

المختلفون في أمر « الوحي الفني » يتفقون في شيء واحد، وهو أن هناك حالة أصلح من حالات أخرى للعمل الفني كائناً ما كان من نظم أو تلحين أو تصوير أو تمثيل. فلا يكون الفنان في كل حالة على استعداد واحد للابتكار والإجادة، ولكنه يعرف له حالة موفقة هي عنده أوفق من جميع الحالات.

وأكبر همّ الفنان أن يستحضر تلك الحالة إن لم تكن حاضرة. وهنا يختلف أصحاب الفنون كل مختلف في وسائل الاستحضار حسبما فطروا عليه وتعودوه. فمنهم من يستعين بشرب القهوة ومنهم من يستعين بالتدخين ومنهم من يتناول بعض المسكرات ومنهم من يمشي مسافات أو يتحرى أوقات البكور أو غيرها من الأوقات، وقد يستعين الواحد بأكثر من وسيلة حسبما يعرض له من غيَر المزاج.

وليس من الضروري أن يضمن الفنان هذه الحالة متى ضمن الوسيلة. فقد توجد القهوة أو توجد المسافات الطويلة ولا يوجد الوحي المقصود. إذ من خصائص الفنون الأولى أنها لا تتقيد ببرنامج ولا تخضع للنظام « الآلي » الذي تخضع له الصناعات اليدوية وما شابهها.

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

ففي ساعة تكتب عشر صفحات وفي عشرة أيام لا تكتب صفحة واحدة، وأنت لا تستطيع أن

نجزم متى تكون تلك الساعة المباركة قبلها بفترة وجيزة . وان كنت تستطيع أن تلجأ إلى جميع الوسائل في كل حين

ويجب أن أتحدث هنا عن تجربتي الخاصة لأن التجربة الخاصة في هذه المسائل هي كل شيء ، وهي كذلك كل شيء حيث لا توجد القواعد المقررة التي يتفق فيها جميع الناس

فمعظم ما ينظمه كاتب هذه السطور من الشعر إنما ينظمه باقتراح من عند نفسه لا يتقيد فيه بموعد ولا غاية . فان لم يتيسر نظمه الساعة فليرجأ إلى ساعة أخرى في يوم آخر ، ولا داعي للعجلة أو للفراغ من النظم في موعد مرسوم

ولكن يتفق بعض الأحيان أن تأتي المناسبة التي أتلقى فيها اقتراحاً بنظم قصيدة مطلوبة لموعد معلوم . فماذا أصنع في هذه الحال ؟ لم أستطع مرة واحدة أن أعد وعداً جازماً بنظم القصيدة في موعدها . ولكني جريت على أن استمهل المقترح أياماً قبل الجزم بالقبول . ثم أبدأ النظم على اعتبار أنني لم أتقيد باجابة ولا بموعد ، ويحدث في جميع هذه الاحوال أن تتم القصيدة قبل أن أجيب بالقبول ، وأن تتم أحياناً في يوم واحد أو ساعات قليلة ، ولكني مع تكرار هذه التجربة عشر مرات أو أكثر من ذلك لا أزال أشعر بالحاجة الى تلك الحيطة وذلك الاستمهال ، ريثما أبدأ التجربة وأنا غير مقيد بيوم ولا متوجس من الخلف ولو على فرض بعيد

***

على أن خير الحالات جميعاً — بل الحالة التي لا غنى عنها لفنان — أن تكون النفس في حالة « حركة » ولا تكون في حالة ركود أو جمود

ومعنى الحركة أن تجيش النفس بعاطفة من العواطف ، أو تهتز لشعور غالب كالحب أو كالحزن أو كالاشفاق أو كالغضب أو كالتفتح بالعاطفة والاستعداد للشعور بما يشعر به من حولها أو ما يلوح على ما حولها من المناظر والاشياء

والشرط في هذه الحالة ألا تكون العاطفة جامحة جانحة ، لان النفس في حالة الجموح الجانح لا تملك القريحة المنشئة ولا تزال مستغرقة فيما هي فيه

وإنما مزية الفنان التي يكون بها منشئاً مبتكراً هي كونه شخصين اثنين لا شخصاً واحداً كسائر الاشخاص

وهو شخصان اثنان إذ يكون هناك شخص يشعر ويعطف ، وشخص يراقب ويقيد ما

براقبه ويخرجه فى الصورة الفنية التى هو بها خبير

ولن يكون الفنان هكذا إلا وفي العاطفة هدوء ما يسمح بالمراقبة والتأمل والمقارنة واطلاق الخيال فى ابتداع الصور والاماثيل . أما إذ تجمح العاطفة وتطغى فهي تستغرق كل شيء ولا تدع إلى جانبها موضعاً « للشخص الآخر » المراقب المبتكر « المتفرج » على الحياة وفي مقدمتها حياته

فاذا وجدت « الحركة النفسية » التى تمنع الركود وتمنع الاستغراق في وقت واحد ، فتلك خير حالات الوحى والخلق والتجويد

وإذا لم توجد في الوقت الحاضر فينبغى أن تكون قد وجدت قبل ذلك في وقت من الاوقات ، وأن يكون عند الفنان قدرة الخيال وقدرة الانفعال لاستئناف تلك الحالة السابقة وإعادتها إلى الحياة كما تعود المشاهد والتجارب فى الاحلام ، وإذا بلغ من قدرة الخيال وقدرة الانفعال أن تخلقا الشعور خلقاً بغير تجربة سابقة إلا ما كان من مراقبة الناس أو القراءة عنهم، فتلك نادرة لا تطرد ، ولا تعهد على كثرة ووفرة إلا فى الافذاذ المعدودين بين أصحاب الفنون

لكن الخيال والانفعال شرطان لازمان في كل فنان يخلق ويجيد ، ولازمة من لوازم الخيال والانفعال تلك الملكة التي تملك « تداعى الخواطر » أو الانتقال من فكرة الى فكرة ومن شعور إلى شعور ومن موقف الى موقف حسبما يكون بينها من المشابهة والمقاربة فى قريحة الفنان ، ونقول « قريحة الفنان » لأن القرائح الأخرى لا تفطن لتلك المشابهات ولا ترى العلاقات الدقيقة التى تربط كل واحدة منها بما بعدها ثم تثب بالذهن من أبعد الاشياء الى ابعدها في الظاهر على سلسلة متلاحقة متشابكة لا فجوة فيها ولا منقطع بينها ، وهى عند الآخرين مملوءة بالفجوات والفروق لا تصلح للسير عليها خطوة أو خطوتين

تتحدث ـ مثلاً ـ الى رجل من أصحاب السليقة الفنية عن برج « ايفل » فلا تنقضى لحة حتى يعود فيحدثك عن « لغة الاسبرانتو » التي توحد بين جميع اللغات . فلا تحسبه مجنوناً أو مخبولا شارد الفكر مولعاً بالمفارقات ينتقل بين الاحاديث بلا مناسبة ولا استطراد .

بل حاول أن تتبعه فى تفكيره و « تداعى خواطره » تجد أن برج « ايفل » قد ذكره على الفور برجاً آخر مشهوراً في التاريخ القديم وهو برج بابل ، وأن برج بابل قد ذكره ما قيل عن تبلبل الالسنة واختلاف اللغات ، وأن اختلاف اللغات قد ذكره بسعى طلاب السلام

والوفاق وما اخترعوه من أسباب للتقريب والتأليف بين الشعوب وفي مقدمتها لغة « الاسبرانتو » . . وهكذا يطفر ذهن الفنان بين المناسبات ، ويتهيأ له من ثم اطراد الخواطر والفيض بالافكار وهو ما يسمونه الخصوبة وسخاء القريحة ، ويتوقف عليه كثير من « وحى الفنون »

والخصوبة في القرائح كالخصوبة في البقاع من حيث المفاضلة والتقويم . فلا يعيب الذهن أن يكون مكثراً ولا يزكي نتاجه أن ينتج باقلال وادلال : كالبستان لا يعيبه أن يسخو بالثمر ولا يزكيه الشح وطول الانتظار . وانما العبرة بالمذاق والطيب لا بالعدد والموسم . ورب مكثر يساوى الفاً من المقلين لأن النفاسة ليست رهينة بالقلة على إطلاقها ، ولكنها رهينة بالقلة التى ليس لها مثيل

***

وغنى عن القول أن الذهن المستريح أقدر على الوحى من الذهن المتعب المكدود . وهذه هى القاعدة فى اكثر الاحوال وأدناها الى المعهود والمعقول . أما الشذوذ فهو أن الذهن المكدود ليفوق أحياناً الذهن الهادىء المستريح ، لانه « يتنبه » فينطلق كما ينطلق المتعب الفاتر بباعث من المنبهات والمحرضات الصناعية . ومثله فى ذلك كمثل الساهد قد طال عليه السهاد حتى نفض عنه غبار الهموم ونشط إلى اليقظة الواعية كأنه استوفى حظه من الراحة وزهد في الرقاد باختياره ورضاه . فهو في هذه اليقظة أقدر على الوعى ممن تيقظ بعد نوم طويل وراحة قريرة ولما يستجمع نشاطه ودواعى التفاته . وهى حالة لا يقاس عليها ولا يعرف لها ضابط مقدور ، ولكنها موجودة حاصلة فهى حقيقة بالتسجيل خليقة ألا تفوت الناظر في هذا الموضوع

وبعد هذا وذاك : لماذا يحتاج الفنان الى « الوحى » ولا يحتاج اليه العالم إلا حين يشبه الفنان فى الاختراع والاستنباط ؟ الجواب الوجيز عن ذلك أن العلم المقرر له طريقة واحدة لصنع ما يصنع . أما الفن فله إذا أراد التعبير عن معنى واحد الف طريقة لا تحصى ولا يتلاق فيها الانسان الواحد وقتين مختلفين . واختيار الطريقة الفضلى والحالة النفسية التى توائمها وتتهيأ لها هو مناط الوحى وهو عماد الفنون

عباس محمود العقاد



بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

متى اجتمع الجمال مع السموّ والعظمة والوقار ، فهو الجلال بعينه . ومن النادر أن تكون البطولة فى الحرب جميلة فقط ، بل هى جميلة وجليلة في آن واحد ، ذلك لأن الشخصية التى تليق أن تتصف بهذا الوصف الرائع تتمثل للناظر حلوة جذّابة تثير في النفس سروراً ، ولكنها فوق ذلك تعمل عملاً جباراً يسمو بصاحبه ويجلله بثوب الوقار

الجمال وحده يثير السرور والغبطة والابتهاج ، ولكن الجلال يثير هذا جميعاً مع ميزته الخاصة وهى الحرمة والوقار ، فكل جليل جميل ولكن ليس كل جميل جليلاً

لا توصف بالجلال الأ كة مهما كانت متناسبة وجذّابة ، ولا البركة مهما كانت لألاءة وصافية ، ولا الغزال مهما كان أغيد وضاحاً ، وإنما يوصف بالجلال الجبل الشامخ والبحر الزاخر والاسد الغضنفر . وقد أجاد (لونجفلو) كثيراً لما مثل الجلال فى الاعمال فقال : « إذا أردت أن تعرف كيف يكون الشىء جليلا فتجرع غصص الالم وكن صنديداً »

ونحن على مذهب أفلاطون ومن جاراه من حكماء اليونان في أن الخير يشمل الجميل والجليل فى جملة ما يشمله ، ونعد عمل البطل الجبّار فى الحرب بياناً أدبياً فصيحاً يتضمن كل ما في القصيدة الحماسية من شجاعة وإباء ونخر كما أن الطبيعة كلها في نظر الفنان قطعة موسيقية أو صورة زيتية

بطولة يوسف بك العظمة والقضية السورية العربية

في ربيع سنة ١٩٢٠ ترامى الى الحكومة الوطنية العربية بدمشق أن فرنسة تنوى أن شن الغارة على سورية الداخلية ، وكان الشهيد العربي الكبير يوسف بك العظمة إذ ذاك

وزيراً للحربية ، فأخذ فى تنظيم الجيش الوطنى و إعداده على الطرق الحديثة ، وطفق يذيع فى الاوساط أخباراً مبالغاً فيها عن قوته واستعداده حتى إنه في أحد الايام استعرضه استعراضاً رسمياً بالابهة والدبدبة ليحمل السلطة الفرنسية فى الساحل على التدبر قبل الاقدام على العمل. وكان أشد الوزراء اندفاعاً وحماسة في تاييد الحرب ومقابلة الفرنسيين في الميـدان ، واستباح لنفسه وهو الجندى الخبير أن يخفى مقدار قوته الحقيق حتى عن مليكه و زملائه ، اعتقاداً منه أن الكتمان وسيلة مشروعة لقضاء الحاجة، وباب من أبواب النصر يلجأ اليه المحاربون، ولكن افتضح الامر قبيل إرسـال فرنسية بلاغها النهائي فى اليوم الرابع عشر من يوليو (تموز) فذاعت الاخبار أن مقدار السـلاح الثقيل في الجيش الوطنى خمسون مدفعـاً فقط لـكل مدفع خمسون قنبلة وأن مقدار البنادق خمسة آلاف لـكل بندقية مئتان وخمسون خرطوشة ، وزاد في الطين بلة أن المجلس العسكرى الذى انعقد لاعطاء الرأي الفنى الحاسم قرر أن حرباً نظامية على هذا النمط من السلاح والعتاد لا تدوم غير بضع دقائق ! فأسقط فى يد يوسف بك العظمة وزير الحربيةوعرف أن سره قد انكشف وأن الشبح الذى جلببه بالابهام والابهام تعرّى وأن العدو لم يعد يحسب له حساباً وأن تلك الحماسـة التى كانت منتشرة فى الصحف وعلى ألسن الخطباء لا تستحق الاصغاء

ولكن يوسف بك العظمة العربي الصميم يغرر بوطنه ويدس على مليكه ويخفى عن زملائه لغرض في نفسه ؟ هذا محال . . . هذا لا ينطبق على خلقه . . . ولا على التربيـة الحرة التى نشأ عليها ، ومن أعوزه البرهان فهذه هي الحجة الدامغة : لقد قرر يوسف بك العظمة طوعاً واختياراً الذهاب الى الساحة التى سيمر منها الجيش المكتسح الغاصب والوقوف أمام قذائفه بصدر مكشوف ورأس مرفوع ،حتى يسيل من قلبه الدم الزكي الطاهر على أرض الوطن ، فيعلم الابناء والاحفاد في سورية خاصة و بلاد العرب عامة أن وزير حربية الحكومة السورية العربية لم يبخل بدمه لاقامة البرهان على مبدأ آمن به وخطة اختطها لنفسه و بلاده .و إن أنس لا أنس يوم وقف أمام الحكومة وعلى رأسها الملك فيصل يودعها فقال لنا بأنفة و إباء : إنني ذاهب إلى جبهة الحرب وليس لدىّ ما أتركه لـكم سوى طفلتى أستودعها ذمتكم . و بعد سـاعات كان على طريقه إلى ميسلون على رأس حفنة من المتطوعة وبقـايا الجيش النظامي ـ لان الجيش كان قد تسرح بحسب اتفاق غادر مع الجنرال غورو ـ وفي صباح اليوم التالى باكراً نعاه لى بالتلفون الدكتور احمد بك قدرى ، وقد علمت أنه صمد في الصف الاول كالمنارة المزدانة.فهو

إذا هوى فى ميدان الفخر فانما هوى ليرفع تمثالاً من الفن البديع على باب العاصمة الاموية يفتخر بدقة صنعه وجلال نحته الابناء والاحفاد

داست سنابك خيل المكتسحين أشلاء القتلى وحانت لضابط منهم التفاتة فرأى بين المضطجعين سحنة عرفها فترجل ليتحقق منها فرأى على الكتفين شارة فصاح : « وزير الحربية السورى يموت ميتة الاشراف »

لقد كان يوسف بك العظمة شاباً معتدل القامة متناسب الاعضاء صبيح الوجه تكاد كل لمحة من ملامح وجهه تفصح عن ذكائه وكل عضلة من عضلات جسمه تدل على نشاطه . فلما مات ميتة الابطال الاشراف اجتمع الجمال الفتان الى العظمة الرائعة فتبدى الجلال بأبدع صوره وأروع أشكاله

إن للفن وما يتصل به من الجماليات شأناً بالغاً في تطور الامم ولا سيما جلال البطولة في ساحة الوغى ، فهو قوة ساحرة نافذة تتغلب على عواطف الافراد وتخضعهم لعظمتها وكبريائها ، وحيثما كانت الحاجة ملحة تتطلب التضافر والتعاون وإزالة الاختلافات الفردية وصهر الناس في بوتقة التجانس للقيام بالعمل المؤثر ، فالعواطف لا المنطق ولا الحجج البرهانية هى التى يستغاث بها أولا ويستعان بنفوذها في سواد الشعب . وهل مثل الشعر والخطابة والفصاحة والموسيقى والرواية الفنية شيء يثير كامن المشاعر ويسوقها في الطريق المختارة ؟ ألم ينهب الناس زرافات ووحداناً في سبيل رواية شهيد تسلط على البابهم بنبله وجماله وجلاله ؟ وان قبائل نجد البسيطة الساذجة في عصرنا هذا وهى تكاد تكون على الفطرة الاولى تقتحم الموت الزؤام المحقق متى دقت الطبول وصاح في الآفاق داعى الجهاد لاعلاء كلمة الحق :

« كدّ النضا في سبيل الله والروح ترجع لواليها »

وفعلت بطولة علي بن أبى طالب ومأساة ابنه الحسين في كربلاء والحوادث الشعرية المنسوبة الى تلك الايام ، فعل السحر في بعض الفرق الاسلامية ، فاثارت ذكرياتها التعاطف الاجتماعي بين أفرادهم وميل الواحد منهم نحو الآخر ، وأزالت الحواجز الفاصلة بما نفثته فى روعهم من شعور واحد مشترك . وعقب وفاة الحسين بن علي ودفنه بعيداً عن عاصمة المملكة التي أسسها اقترحت أن يقام له مأتم تمثيلي في كل سنة كمأتم عاشوراء تذكر فيه رجولته ووطنيته وعروبته والغدر الذي أصابه من حلفائه بالامس مع ما كان متصفاً به من الجلال والوقار ، كل ذلك لتثبيت الثورة العربية فى أذهان الابناء والاحفاد والمطالبة بالحقوق التى

ذهب من أجلها شهداؤنا الغر الميامين الى سدد المشانق . والفن يخولنا الحق أن نتصرف في التأليف التصرف الادبي اللائق،فقدماً صور الناس القديسين والابطال كما يقول«الموجز في علم الاجتماع » بالهيئة الجميلة المقبولة ، في حين يصورون الابالسة وأتباعهم من البشر بأقبح الصور . و بينما يوصف التفوق الاخلاقي بالالفاظ المنمقة الجميلة الجذابة التى تجعل هذه الصفة معقولةمقبولة ومرغوباً فيها ، نجد من الجهة الاخرى أن السيرة التى لاتليق بالمجتمع تدمغ بأقبح الالفاظ دمغاً وتمثل للناظرين بألوان وأشكال تلازم ما يستهجنه المرء ويستنكره في حياته اليومية

وقصارى القول ان جلال البطولة يفتن الخيال و يستولى على الالباب استيلاء المثل العليا في الاخلاق والايثار والبذل والاصلاح ،فيرينا كمالاً جديداً لم نكن نألفه ،و يسوقنا على طرق في الحياة لم نكن لنسلكها ، و ينصب أمام أعيننا أهدافاً قد تغير بناء الامة التى تنتمى اليها من الاساس

الجمال فتنة ولكن الجلال فتنة وعبادة

عبد الرحمن شهبندر

جمال الشجاعة

☆ استعمل كسرى عاملا له على اليمن يدعى « المروزان » فاقام بها حيناً ثم خالفه أهل المصانع — والمصانع جبل باليمن ممتنع طويل ووراءه جبل آخر — فسار اليهم المروزان فنظر الى جبل لايطمع احد أن يدخله الا من باب واحد يمنع ذلك الباب رجل واحد . فلما رأى أن لاسبيل اليهم صعد الجبل القائم وراء المصانع من حيث يحاذى حصنهم فنظر الى أضيق مكان فيه فلم ير شيئاً اولى من هذا الجبل بافتتاح الحصن منه ، فامر اصحابه أن يقوموا به صفين ويصيحوا به صيحة واحدة . ثم ضرب فرسه حتى اذا استجمع قواه رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابه فوثب الفرس الوادى فاذا هو على رأس الحصن فلما نظر اليه أهل المصانع قالوا : « هذا والله ايم » والايم عندهم الشيطان . فانتهرهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضاً واستنزلهم من حصنهم فقتل طائفة وسبى طائفة وكتب بما كان لكسرى فتعجب لجمال شجاعته وجلال جرأته واستخلفه على عمله

في مملكة الفنّ ودولة الجمال

بقلم الاستاذ احمد محرم

أطلق الوصفَ ، وَقُلْ جُنّ القلمْ ... ليس للفنّان وصفٌ يلتزمْ
مُستبدٌّ يحسبُ الدُّنيا له ... وهو خَصمُ المستبدِّ المحتكمْ
ينظرُ النظرةَ تستقصي المدى ... وتُريه النُّورَ يجري في الظلمْ
كلُّ عانٍ ناعمٌ . كلُّ شجٍ ... مستريحٌ ، كلُّ باكٍ مُبتسم
فيلسوفٌ كشفَ الله له ... عن خفايا كلّ سر مُكتنم
طامحٌ يرمي السّموات العلى ... بجناحَيْ طائرٍ طاغي الهممْ
فاذا ما أخذته لمحة ... من جمالِ الفن أغضى واحتشم
هو عبد الفن ، والناسُ له ... في حِمى الفن عبيد وخدم
مَلِكُ العالمِ ، أو قيصرهُ ... خفقت أعلامه فوق الأمم
يدّعيه قومه من عزّه ... وهو للأقوام نَهب مُقتسم
هُوَ خَلْق بارع مِمّا اصطفى ... مُبدعُ الكونِ ، وخلّاقُ النسم
هو نُور ساطع من وحيهِ ... هو سِفر جامع غرَّ الحكم
مَرَّ بالنّاسِ ، فقالوا مالهُ ... صدَّ عنا ؟؟ أهو أعمى أم أصم ؟؟
أمْ بهِ كِبْر ثنى من عِطفهِ ؟؟ ... أمْ هوَ الفنانُ وَحشيُّ الشيمْ ؟؟
جاء بالأمسِ وكنّا حوله ... فرآنا غُيُباً فيما زعمْ
قال منّا قائل : ماذا تَرى ؟ ... فتولى مُستخفّاً ووجم
كلما قيلَ « جمال » مسّهُ ... طائف يَعتادهُ مثل الأممْ

يهجرُ الأهلَ ، وينسى نفسه   فهيَ منهُ في وجودٍ كالعدمْ
همُّهُ الأولُ فنٌّ ما رعى   لسواهُ من ذمامٍ أو رحِمْ
هائمٍ في عالمٍ من فتنةٍ   غائبٍ عن حسنهِ من لم يهِمْ
يتجلى الله في مرآته   ضاحكَ الأقدارِ ، صدّاحَ القسمْ
يُلهمُ الفنَّ ، ويُعطي تاجهُ   كلَّ عالي الشأنِ ، خفّاقِ العلمْ
زادَه مجداً على المجد الذي   زانه في ملكهِ منذ القدمْ
قطرة الماء لها في فنِّه   لججٌ تطغى على البحرِ الخضمّ
وترى الزهرةَ في إنجيلهِ   سُرّةَ المعبد ، أو صدرَ الحرَمْ
تُرجمانُ الحقِّ ، ما من لغةٍ   هي أحلَى موقعاً مما عَلِمْ
ما لغاتُ الناسِ إلا هامشٌ   في كتابِ الفنِّ للناس ارتسمْ
وَسِعت أبوابه الدنيا ، وما   يطمع الطلاب يوماً أن يتمْ
حيّرتهم ألفَ جنسيَّةٍ   خطُّها مبتدئاً « باني الهرَم »
وقفتْ للدهر تلقى صرفه   في إباءٍ جاهليٍّ وشممْ
ضجّتِ الأجيالُ — هل من خبرٍ   يا ابنةَ الفنِّ ؟ فما قالت نعم
صمتتْ إلا نشيداً حولها   ردّدته العبقريات العظم
رنَّ في الأرض ، ومرّتْ رنةٌ   منه بالأفق المعلّى من أممْ
نعمةَ الفنِّ استوت صاعدةً   تحمل الشكر إلى مسدي النِّعم

***

أرأيت الصوتَ يجرى سابحاً   بين أمواج الأثير الملتطم ؟؟
يوقظ الأقطارَ من رقدتها   وكأنَّ الناس منه في حلم
يقطع المشرق والمغربَ في   مثل رجْع الطرْف ، أو وقع القدم
أمم الأرض عليه ائتلفتْ   وهي شتّى شملها ما يلتئم

واحدٌ في العدّ ، ما يشبهه	ألف صوتٍ خارجٍ من ألف فم
فنُّ (ماركونى) وكم فى فنّه	من جمالٍ بالمعاني مزدحم

***

أرأيت الشعر ، من يجعلْ له	حرمة الوحى الملقّى لا يُلم ؟ ؟ ؟
أشرق القرطاس في رونقه	وارتوى من نوره الزاهي القلم
عربىٌّ من سجايا قومه	طلب العزّ ، وإيثار الكرم
باسلُ الأوطارِ ، مقدامُ المنى	ما يُبالى أىّ صعبٍ يقتحم
لى على العلاَّت منهُ صاحبٌ	عَبِقُ الأنفاس ، رنّانُ النغَم
فيْضُ رُوحى ودمى استولى على	كل رُوحٍ ، وجرَى فى كل دَم
قُلْ لمنْ سمّوه شعراً ، مَنْ رمى	في فم الشاعرِ منهُ ماانظم ؟
صوّروه مِنْ جمالٍ رائعٍ	يأخذ الألبابَ أخذَ الملتهِم
القرابينُ على مذبحه	تتهادى ، والضحايا تصطدم
يالهَا من مهجاتٍ ترتمى	في براكين الجمال المضطرم

***

كلُّ فنانٍ لهُ من فنه	لذّةٌ تعروه حيناً ، وألم
ورأى الآلامَ من لذّته	وأراه مسرفاً فيما وَهَمْ
أنصفَ الفنّ ، فمن يظلمهُ ؟	ولمن يصنعُ سُوءاً من ظلم ؟
قال قومٌ : نفعَ الناس ، ولم	ينتفعْ ، يالك من خطبٍ عمْ
حرثه أزكىَ وأبقى مغنماً	بورك الحرثُ ، ونعمَ المغتنم
إعتصمْ بالحقّ فى دنيا الهوى	لستَ بالشاعر إن لم تعتصم
ما جمالُ الكون إلا لمحةٌ	من جمال الحق ، والفنُّ الحكَم
إنما الدنيا لمنْ يغمرها	بهدايا الفنّ ، فارحلْ أو أقم

احمد محرم

مدينة

بقلم الدكتور احمد ضيف

باريس مدينة الفن والجمال ...

تسأل العالم الذى ظفر بالمقام فى هذه المدينة عما أعجبه هنالك ، فيذكر لك جد العلماء ونشاطهم وتوفرهم على الاشتغال فى كشف مخبآت الكون وأسراره بهمة لا تعرف الملل ، واخلاص أعظم من اخلاص المرء لولده وماله . ويذكر لك معاهد العلم المختلفة ، وما يجرى فيها من معجزات العقل البشرى ، وهو معجب بذلك اعجابا

ثم يقول لك : هذا هو جمال الحياة فى باريس ، لان الناس هناك أهل جد ونشاط وذكاء وأصحاب دراية وخبرة . إذ الحياة عندهم كلها عمل

وما أجمل الحياة اذا كانت مملوءة بالعمل !

وتسأل الأديب المثقف الذى قضى شطرا من وقته هناك عن جمال تلك المدينة ، فيذكر لك الكتاب وطبقاتهم ومذاهبهم الكتابية والاجتماعية ، والموضوعات التى يعالجون الكتابة فيها وأقلامهم السائلة وأساليبهم السلسة ، وأخيلتهم الواسعة وقصصهم النفسية والاجتماعية والتمثيلية ، ومجتمعاتهم وأنديتهم وأنهم لا يكتبون للتكسب أو لاعلاء شأنهم لا غير ، وانما يكتبون لاصلاح المجتمع ونقده ، وبث مذاهبهم السياسية والاجتماعية ، والدعاية لبلادهم وأدبهم القومى ، وما يعلق بنفوسهم من أثر الفن وجماله .

ويقول لك - وهو يعتقد ما يقول - ان الحياة الادبية فى فرنسا لا تكاد توجد فى أمة أخرى ، من حيث التحليل النفسى والاجتماعى والفلسفى . ويذكر لك من الشعراء والكتاب والادباء من انبثق ضوءه على الادب العالمى ، فهذب من شأنه وأقام من أوده .

ويقول لك ان حركة التأليف فى الادب من أعظم الادلة على قوة الفكر ونتاجه هناك ، وانه اطلع على مجلة نصف شهرية خاصة بذكر المؤلفات التى تظهر فى عالم الادب فكان يجد فيها ما ألف أو ترجم من الكتب فى أسبوعين يزيد عن مائتى مؤلف . ويقول لك ان جميع الناس حتى بعض الخدم يتكلمون بلغة فصيحة ، ويعرف كثير منهم أخبار الأدباء والشعراء ، ويقرأ القصص

التمثيلية والجرائد الأدبية . ويظهر لك اعجابه العظيم بهذه الثقافة

وتسأل الفنى عن جمال باريس ، فيذكر لك متاحفها العظيمة وما فيها من آثار لكبار الفنيين فى التصوير والنحت . ويذكر لك فن العمارة وآثار أهل هذا الفن من الفرنسيين فى تلك المدينة ، وذوقهم الفنى اللاتينى ، وتفوق هذا الذوق على غيره فى الرقة والانسجام وسعة الخيال . و يقول لك: ان الفرنسيين من أسبق الناس الى العناية بالموسيقى وفن التمثيل ، وكل أنواع الفنون الجميلة ، وان لهم طابعاً خاصاً فى ذلك لا يكاد يضاهى ، وان آثارهم فى ذلك معروفة

واذا سألت شاباً ماجناً زار مدينة باريس وجاس خلالها عما رآه فأعجبه ، ذكر لك مظاهر تلك المدينة الجميلة وما فيها من الملاهى ، ثم تسرب من ذلك الى رشاقة المرأة الفرنسية وجمالها . ورقة أخلاقها وحسن ذوقها ، وحبها الخالص إذا صدقها الحب ، وخفة روحها وامتلاء نفسها بصورة شعرية للحياة ، وانها أنيس الجليس ومسلاة النفوس ، ومثل من أمثلة السعادة فى الحياة . ثم يذكر لك ذكاءها وحبها لبلادها وتفوقها فى كل صفة من الصفات النفسية والاجتماعية التى ليست لغيرها من النساء ، ولا سيما قدرتها على الاستيلاء على النفوس بما فيها من صفات نفسية خاصة بها

وتسأل التاجر والصانع الاجنبى عن جمال تلك المدينة فيذكر لك إعجابه بتنسيق البيوت التجارية ، وتنظيمها المتقنة وجمال صنع الفرنسى فى دقة عمله وابتكاره لأنواع الزينة

وتسأل البائع والشارى والغنى والفقير والكبير والصغير والسائل والمحروم والقريب والبعيد وكل من يفد على تلك المدينة فلا تجد واحداً منهم إلا وهو مملوء إعجاباً وحباً لمدينة النور والعلوم والفنون ، وكلهم مخلص فيما يقول ، صادق فيما يزعم ، وجل هؤلاء المعجبين بتلك المدينة هم من سكان المدن الاوربية الكبرى المتحضرة

* * *

والحق أن هذا كله شيء من جمال الحياة فى باريس ، فالنازح اليها تخدعه كل المظاهر المادية والمعنوية : من جد وهزل وعلوم وفنون ومجون ، ولقد يهيم على وجهه فى تلك المدينة فيخيل اليه أنه فى حلم من الاحلام اللذيذة ، فينعم ويسر ويسعد بما يرى ويسمع . كل هذا يجده الاجنبى فى باريس . ولكن هناك شيئاً أجمل من هذا كله وأدعى الى الاعجاب ، وأدل على جمال تلك المدينة من هذه المظاهر الخلابة : وهو تلك الحياة العقلية والفنية التى تظهر فى المجتمعات والمحادثات وبيوت أهل الفن ، من رقى عقلى وسمو فنى . حتى لقد تسمى باريس بحق « مدينة الفنون » لتفوق الذوق الفنى على سواه ، لأن من اظهر مميزات أهل باريس الادب والفنون . فجو هذه المدينة مملوء بالروح الفنى فى كل شيء ، حتى فى العلوم وفى آثار العلماء . فكثير من هؤلاء العلماء مصبوغة كتاباتهم بصبغة فنية . وهذا « هنرى برجسون » شيخ فلاسفة العصر فى أوربا ، فى مقدمة

الكتاب الفنيين ، وفى ظننا انه ليست هناك مدينة من مدن العالم يسود أهلها ذلك الذوق الفنى مثل مدينة باريس. وهذا الجو الفنى هو الذى صبغ تلك المدينة وأهلها بصبغة جميلة ليست لغيرها

ومن أجمل ما فى باريس تلك الحياة الاجتماعية ، ولا أريد بذلك ما يشاهده النازلون من الاجانب فى القهوات والطرق والمحال التى يغشاها جميع الناس ، ومعاشرة الباعة والسوقة من رجال ونساء فى المنازل والمجالس ، وانما أريد المجتمعات الخاصة التى يسمونها "La société" فى منازل الخواص ، من علماء وأدباء وفنيين واشراف . ففى تلك الاجتماعات يتجلى الروح الباريسى والثقافة الفرنسية الواسعة المدى . ويرى الانسان ارقى العقل والتعاون الفكرى بين المرأة والرجل ، وتلك الصبغة العقلية القومية التى تمتاز بها تلك الامة وهى سر جمالهم العقلى ومزاجهم اللاتينى . فتجد أحاديثهم ناشئة من ثقافة متينة ، وتفكير عميق ، وتربية علمية وأذواق فنية فى إدراك كل أنواع الجمال فى الحياة ، وأنظمة اجتماعية ثابتة مصبوغة بصبغة جنسية فى القيام والجلوس والحديث والسكوت والمأكل والملبس والحركة والسكون والحب والبغض ، والرضا والغضب . فكل هذه الصفات موروثة من أجيال سالفة ، صقلتها الايام وأخذها السلف عن الخلف وزادها الناس صقلا وثباتاً . حتى لقد تجد أريج هذه الصفات من ثقافة وأخلاق وآداب يفوح عبيره فى نفوس العامة والخدم والجهلاء ، فلقد ينطق أحد هؤلاء بالجملة البليغة أو الرأى السديد فيخيل اليك انك تسمع أديباً يتكلم ، أو ترى عالماً يفكر . وما ذلك إلا لانصباغه بالبيئة التى يعيش فيها وقومه الذين ورث عنهم ذلك . وكل هذا يدل على قوميتهم حتى لقد تجد الفكرة الشائعة والرأى المعلوم إذا تكلم به الفرنسى صبغ بصبغة خاصة

وهذه الصبغة القومية من مميزات الأمم المتحضرة .. إذ كل أمة من هذه الامم ذات أسلوب خاص فى العلوم والفنون والآداب . فان الفكر الانسانى فى العلوم والشعور النفسى ، من حب وبغض وشقاء وسعادة ، لا يتغير فى لبه ، ولا سيما فى الآراء العلمية المبنية على التجارب . ولكن للامم المتحضرة شخصية بارزة وأسلوباً خاصاً فى كل مظهر من مظاهر الحياة العقلية والاجتماعية ، وهذا الأسلوب هو الذى يلبس التفكير الانسانى العام والمسائل الانسانية العامة أثواباً مختلفة ويميز بعض الأمم من بعض . وربما كان هذا ناشئاً عما يسمونه نفسية الأمم

وهذه النفسية أشد ما تكون ظهوراً فى الفنون والآداب لدى الامة الفرنسية والحياة الاجتماعية فى باريس ، وهى التى تجذب الى تلك المدينة كثيراً من المفكرين من الامم الاخرى وكثيراً من أصحاب الجد واللهو ، لما فى تلك المدينة من حسن وجمال

احمد ضيف



بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى

خلق الانسان وفى صميم قلبه غريزة حية يقظة من اول عهده بالوجود هى أخص غرائزه سلطانا عليه، وأشدها تأثيراً فيه. تلك غريزة تأثره بالجمال، وتهيامه به بأى مظهر ظهر، وفى أى كائن تجلى. فلا تعجب ان ذكرت لك انه قد ثبت من تحقيقات العلماء المنقبين فى آثار الانسان الأول انه عرف التطرية (التواليت) قبل أن يعرف عمل الثياب

وقد وجدت فى أعمق ما استطاع حفره الانسان من الارض تماثيل منحوتة يسبق تاريخ صنعها تاريخ أقدم التماثيل المصرية القديمة بعدد لا يحصى من القرون. ووجدت رسوم وصور محفورة على الصخور بالسلكس لأناسى وحيوانات وطيور وأسماك ونباتات ومناظر صيد، ومنها صورة الأيل وهو يرعى الكلأ قد عملت بمهارة تحير العقول

وقد فرق العلماء بين الصناعة وبين الفنون فقالوا: والمراد بالصناعة ما يعمله الانسان مما يحتاج اليه فى اقامة حياته المادية، ولكن الفن هو ما يعمله جرياً وراء الجمال، ويشترك فيه الفكر والانفعال والشعور. وحصروا الفنون فى خمسة أشياء: الشعر والموسيقى والبناء والحفر والتصوير

فما هى غريزة التأثر بالجمال؟ لقد عنى الفلاسفة والعلماء من زمان بعيد بدرس هذه المسئلة. ولكن الاقدمين بدل ان يقتصروا على تحليل الشعور الذى تولده رؤية الجمال، ألحوا فى تحديد الجمال فى ذاته، باعتبار انه شىء، وتأدوا منه الى فرض عالم مطلق للجمال واعتبروه المثل الاعلى له، وقد مزجوا بين ما هو جميل وما هو خير، فاختلط بذلك علم الجمال عندهم بعلم الاخلاق، كما يتضح ذلك جلياً مما كتبه افلاطون فى كتبه هيبياس العظيم، وفيدر، والجمهورية وغيرها

كذلك كان شأن الرواقيين أتباع الفيلسوف ذينون فى المزج بين الجمال والخير. وجرى على هذا النحو فلاسفة القرون الوسطى وعصر النهضة

أما فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فلم يعن الفلاسفة بدراسة الجمال والفن من الناحية الفلسفية، لانه كان يشغلهم عنهما العلم وحده سواء أكان بدراسة الطبيعة وقوانينها، أم

بالبحث عن عالم ما فوق الطبيعة ، وجاء ان يضعوه في درجة وضوح الممكنات المحسوسة أو أرجح منها

ولكن العهد الأخير امتاز بالرجوع بالجمال علماً خاصاً . فانكب فلاسفته لدراسة الفنون فناً فناً وترتيبها والبحث في عناصرها ونفسياتها وصفاتها ، وتخيلهم ذلك من تحديد المثل التي يحتذى على إيجاد المبدعات المختلفة والأحوال التي اقتضتها . كل ذلك تمهيداً لمعرفة أسباب تأثيرها في النفوس من النواحي الخلقية والاجتماعية والدينية . وهم يرون اليوم أن تصل إلى علاقاتهم هذه أنكيم تقرر قوانين علم الجمال ، ومعرفة علة الانفعال الذي يحدثه في النفس

إن جهود الفلاسفة والعلماء قد بذلت في سبيل الوصول إلى هذه الغاية البعيدة وقد كثيراً في ذلك كثيراً ولم ينتهوا إلى ما يحسن السكوت عليه بعد . وقد قرأنا الشيء الكثير من بحوثهم فما راقنا منها إلا ما كتبه الفيلسوف الفرنسي «جان ماري جيو» في كتبه الكثيرة ، وخاصة في كتابيه «مسائل علم الجمال في العصر الراهن» Problèmes de l'Esthétique Contemporaine و«الفن من الناحية الاجتماعية» L'art au point de vue social وقد طاح بعبقريته الفذة على الجمال وأخرجه من الأرض التي كان فيه إلى باحة يتجلى فيها ما يحيط به اللغة الفلسفية المريحة من أسرار تكوينية وحكم اجتماعية [illegible] ويتراءى من ورائها ما استتر عن الأكثرين من علاقاتها بمستقبل الإنسانية وتطورها في أطوار [illegible] والمدنية . فأصبحت بلغته هذا الفذ [illegible] الفلسفة [illegible] وإنه ليسرنا أن نحمل [illegible] القراء [illegible] الفلسفة [illegible] العصر الحاضر أبدع الآراء وأجودها بالنفع والفائدة [illegible]

الآن نبدأ في تلخيص مذهب «جيو» مستأنسين بكتاب الفيلسوف الكبير «الفريد فوييه» «الأخلاق والفن والدين في نظر جيو» La morale l'art et la religion d'après Guyau فنقول :

مذهب جيو في الفن والجمال

يرى الفيلسوف جيو أن «الحياة» هي الأصل المولد للفن والخلق والدين . فالفن في نظره كالخلق ذو أصل فطري غير مكتسب ، من صفاته الانتشار والخصب والسمو . وقد استنتج من مذهبه هذا نتيجة عظيمة القيمة وهي أن «الحياة» دائمة على التوفيق بين وجهتي النظر الفردية والاجتماعية ، وأنها لا تزال جادة في تحقيق هذا التوفيق حتى تختلط الوجهتان فتصيرا واحدة لا تخالف بينهما ، وإذ ذاك تكون الإنسانية قد بلغت أرقى مدنيتها

وقال : إن هذا التخالف الظاهر بينهما الآن كان سبباً في نشر آراء غريبة حائلة عن الفنون

والأخلاق والديانة . فالجهد الذي يقوم به مفكرو العصر الحديث ينبغي أن يوجه لبيان الناحية الاجتماعية في الفرد الانساني وفي التكامل الحي على وجه عام . تلك الناحية التي أهملها المذهب المادي المتأثر بروح الأثرة من لدن القرن الثامن عشر إلى اليوم . وببيان هذه الناحية الاجتماعية الفرد يمكن وضع الفن والأخلاق والدين العلمي بهذا الاسم ، على قاعدة واحدة راسخة

وقد رأى جيو وهو يعرض النظريات المبنية على مبدأ المنفعة لفلاسفة القرن الثامن عشر أن هذه المحاولات انتهت بسيادة نظريات مشبعة بروح الأثرة لفلاسفة هلفتيوس وبنتام وفولني ، معاداة النظريات أعرق منها سماحة الفيلسوفين دولامتري وديدرو . ولكن القرن التاسع عشر وسع مدى العلم في ناحية المذهب المادي لنظر الباحثين فيها ، وخصوصاً ميكانيكية دولامتري في تعليل ظهور الحياة على الأرض من طريق آلي محض

ومن ناحية أخرى فإن الفرد الذي لا يعتبره عرضاً في حالة آلية منعزلة عن العالم ، نجد أنه قابل للتأثر بالكائنات الغير عليه ، وأن ضميره متكامل وجميع الضمائر البشرية ، ومتصل بتصورات غير ذاتية فيه . وتجد أن ضميره العصبي مصدر لظواهر تعلو كثيراً عن استطاعة تركيبه الجثماني المحدود (١) مما يدل على أن التكامل العام يطغى بتأثيره على الشخصية الفردية ، فأصبح ما لا يعقل قصر الشعور بالأخلاق والجمال والدين على جسم واحد مثل ما لا يعقل قصر الحرارة والكهرباء التي [illegible] فالظواهر الطبيعية والعقلية بطبيعتها ميالة للانتشار والعدوى . وقد عرفت [illegible] الظواهر الأدبية سواء أكانت عصبية أم عقلية . وظواهر الإيحاء [illegible] والأسلوب المغناطيسي قد بدأت دراستها دراسة علمية على الأسلوب [illegible]

ويترقى العلم من دراسة [illegible] إلى الظواهر الأدبية التي تحدث بين المشاعر المختلفة على غير شعور من أصحابها بذلك ، ثم بين الضمائر المختلفة كذلك ، وستفضي كل هذه الدراسات إلى مكتشفات ما تزال غير مطروقة ، ولكنها بالنسبة لعالم النفس في مثل قيمة مكتشفات نيوتن ولابلاس في العالم السياري . وذلك مثل الاكتشاف المنتظر لتجاذب التصورات والإرادات ، وتكافؤ العقول ، وتداخل الضمائر بعضها في بعض . وستمزج هذه المكتشفات بين علم الاجتماع وعلم النفس ، كما امتزج علم الطبيعة من قبل بعلم الأجرام العلوية . وإذا ذاك سيجد أن التصورات الاجتماعية حوادث مركبة تأتي أكثرها من تجاذب وتدافع الجهازات العصبية للأفراد ، كما هو الحال بين الحوادث الفلكية (٢)

لنضرب مثلاً واضحاً لما نقوله بمذهب الحتمية Le déterminisme ، وهو المذهب الذي

---

(١) يشير الفيلسوف بهذا الكلام إلى ما ثبت من طريق النوم المغناطيسي والأبحاث النفسية العصرية
(٢) يشير الفيلسوف إلى ما أثبته الباحثون في [illegible]

المقرر الذي مؤداه أن الناس في جميع تصرفاتهم محكومون بما يفرضه عليهم تركيبهم الجثماني والعصبي، وما طبعوا عليه من عقليات ونفسيات لا خيرة لهم في إيجادها، فهم مسوقون لأحداث أعمال تحددها لهم هذه العوامل القاهرة، وإن كانوا يزعمون أنهم أحرار في إيجادها أو عدم إيجادها

واللذة كالحياة نفسها اجتماعية أيضاً، وسيزداد الشعور بذلك كلما تقدمت الانسانية في الارتقاء. أما الأثرة المحضة فلا تعبر إلا عن اللذات فحسب، ولكنها من الحالات العقلية أيضاً

يقول جيو: إن كل النظريات التي أتت بها علوم النفس ووظائف الأعضاء والاجتماع تؤدي إلى نظرية واحدة من التكافل العضوي والاجتماعي، وهذا التكافل في نظرنا هو الأصل المشترك لعلم الجمال الصحيح والأخلاق القيمة والديانة الحقة. والطبيعة العامة التي أصبحت طبيعة عقلية هي في نظرنا صورة منطقية وآلية للتكافل الاجتماعي المذكور الحاصل ليس بين الفرد والمجتمع فحسب، ولكن بينه وبين الطبيعة كلها

كان رأي الفلاسفة، حتى القائلين بمذهب التطور والارتقاء، أن الفن وعلم الجمال مصدرهما لعب خصائصنا التخيلية وتأثرها بالمحاكاة والتقليد. وهذا رأي وضع أساسه «كانت» و«شيلر» الألمانيان، فتساءل جيو: هل لو اقتصرنا على القول بأن اللذة ثمرة تساءل العقل واللعب الصرف، نجردن الفن من الحق والنافع والخير على هذا النحو، ألا يؤدي ذلك إلى انكار الجانب الجدي في الجانب [illegible] على هذا النحو؟

ينتج من هذا في نظر جيو [illegible] من الإحساس إلى الشعور بالجمال

ومن ناحية أخرى فإن الفلاسفة [illegible] اعتبروا التناسق عنصراً أساسياً للجمال، فأي شيء هذا التناسق غير التكافل بين الأجزاء؟

والصورة الحسنة تكون حية بقدر ما يقرن بين أجزائها من تناسق أي على قدر ما يكون بين أجزائها من تكافل. فيكون الشعور السائغ بالجمال الذي يولده الاعجاب حتى هو في حقيقته شعور بالتكافل العضوي في ذلك الشيء.

إذا تقرر هذا فإذا يكون الشعور أعلى درجات الجمال؟ يكون نتيجة شهود تكافل أوسع بين الأجزاء، أي تكافل عاقل عالم

ثم تقول: إن اللذات التي لا يقرن فيها عنصر غير شخصي لا يكون فيها شيء يستحق البقاء. فيجب إذاً أن يبحث من أصل الشعور بالجمال في إدخال اللذات، الاتصال الذي يلازم السامع مدى الحياة. وفي علم الأخلاق من اللذات التي لا يعتريها الفناء

فالجمال في نظر جيو بعد هذا التحليل الفلسفي هو الصورة العليا للشعور بالحياة. وبعبارة

أخرى للشعور حياة مركزة وخصبة وقابلة للانفعال، حياة لا تقتصر على أن تكون متحركة ولا مرادة، ولكن سعيدة فرحاً باطنياً

فالنظرة التي تبحث في (الحياة) ذاتها من أصل الفن وغرضه تصل إلى الباعث المتفوق الشعور بالجمال. والفن لا يكتفي بأن يلعب ويطير حول أقرب الأشياء، ولكنه يجتهد في أن يجمع كياناً في كل شيء، وهو دائب بطبيعته على الخلق والإيجاد، وحياة الطبيعة الناقصة لا تكفيه ولذلك فهو يولد من نفس الفنان حياة أجمل في الكثافة والخصب، ويحياها حياة حقيقية ويخرجها لمن معه

والفرق بين الجميل والنافع أن الجميل هو ما يحب مباشرة ولذاته، ولأجل أن يصل اللفظ بمزيته إلى أعلى درجاته يجب ألا يصاحب بفكرة الاستيلاء عليه والاستئثار به، وهو بذلك يفترق عن النافع الذي هو وسيلة الحصول على اللذة

واللذة المادية قد تكون خليطة في نظر العقل باعتبار أنها ناشئة من ترضية حاجة ملحة في ذاتها أو دنيئة تقتضي بذل جهد جهيد، وبضرورة وانعدامها للحياة، فليس هناك من الجمال في شيء. فإن أثر الجميل على الشعور من الضرورة. ولذا اعتبرت اللذة مستقلة عن كل ما يعلق أن يصاحبها ويلابسها مما ليس بجميل، ولذلك في أعلى درجاتها يكون باعثها الجمال والخير معاً

جمال المرأة في نظر جيو

جمال المرأة عند جيو ليس ... ليس غرضاً من الأغراض السامية، فإن الحب ... بضرورة التناسل، ولذلك جعلها أوسع، وفي حالة من الخصوبة أوفر، بعيداً عن المطالب الجنسية

يقول جيو إن الفن يرجع القسم الأعظم منه إلى الحب، وهنا يدل على أنه من أصل الرغائب الكائنة الإنسانية. ويرى أن محاولة الفلاسفة التمييز بين الشعور بالجمال وبين الغريزة التناسلية واستعمالاتها، تظهر لنا أنها من نظر سطحي. فالحب الجنسي بكل ما يتصل به جدير بأن يدخل في مقدمة الشعور بالجمال بدون الالتجاء إلى تجريده من لوازمه المشروطة، لأنه على حالته الفطرية يعتبر أنموذجاً للامتزاج بين الشعور الشخصي والشعور الاجتماعي، فهو يظهر الفرد في حالة محبة لذاته باذلاً لعموم نوعه

وجميع الفلاسفة من أفلاطون، وكانت، و، وسبنسر، يجعلون حداً فاصلاً بين الإحساس بالجمال وبين كل رغبة شخصية حيوية، معتبرين أن الرغبة من حب الذات، تقريباً للشعور الخاص بالجمال، وقالوا إن كل رغبة دنيا في هذه الحياة تنتهي بالتحليل إلى رغبة عليا. وهذه اللذة الجنسية التي تعتبر شخصية محضة، تصبح في آخر تحليل ذات أغراض اجتماعية

ولا يجوز اعتبار الأعقاب بأي شيء مرئيا لأنه يصعب دائماً حلماً أدبياً . فمن قبيل أن تكون أحسن ما نحن عليه كما اعتدنا نحن . فنستطيع بذلك أن نتكامل ونرقى أحوالاً كما نميز عنها ، فإن الروح من عادتها أن ترتفع إلى مستوى ما تعجب به

في أول حالات الشعور بالجمال لدى الكائنات المتحجة نجد ذلك الشعور ضعيفاً غليظاً وحسياً ، ولا يصادف بيئة عقلية وأدبية يستطيع أن يجد فيها ونعطف . فنجد الحيوانات لا يميز القبيح عن الجميل . والمتوحشون لا يرتفعون كثيراً عن الحيوانات في هذا المجال ولكنا بالاعتماد على نظرية التطور نستطيع أن نتخيل دوراً كان فيه الشعور بالجمال . وفيه تتحد العناصر الحساسة فيها بعناصر عقلية وأدبية . فيكون الاحساس بالجمال ليس قرينه تزوية حاسة مجردة فقط ولكن تزوية الحاجات الأدبية كلها . ثم يمتد هذا الشعور على النوع كله ، ولذا ذلك يوم سعد الجمال والوجود في نظرنا . ونحن واصلون إلى هذه الدرجة لا محالة متى أصبحنا حيارى ونرى فيها تناسق نواميس الحياة ووحدتها . هذا يمكن أن يعتبر حلماً الآن ، أو مثلاً أعلى قد لا يتحقق مطلقاً . ولكن الفن الجدير باسمه يعطينا تذوقاً منه وشعوراً به منذ الآن

ويجب على الفن أيضاً في كل ما يأتيه رغبة أن يرقع الجمال ويحل كل شيء يتقدم به الطابع المقدس للجمال الصحيح

ويذكر جيو في كتاب الثاني على الفن بأن فكرة الاجتماع موجودة في صميم الفن ذاته . وأن كل شعور أولي بالجمال هو شعور بالتضامن الاجتماعي في حقيقته . وأن الفن مع محافظته على استقلاله يقوم على تلك الفكرة . فكر جيو وأما ... الاجتماعية بالتضامن الحق . وهذه جهة لا يمكن تفرقتها ... ونزعتها الطبيعية

ويقول جيو أن جيلنا الحاضر الذي به التنقل الاجتماعي آخذ في الظهور والتقدم حتى في عالم الفن ، قد غلب عليه لنا المذهب الراقي المتطرف في الأدب الصادر من المتوحشين والمتوكرين والإباحيين ، ومبادئه أبعد ما تكون عن الاجتماع

الخلاصة أن الفن أنه مظهر واستعداد للحياة الفردية والاجتماعية ، ومنابعه الحقيقية هي الطابع الصحيحة للحياة نفسها . ففي اليوم الذي يؤدي هذا الإدراك لحقيقة الفن أثره ، يحل هذا الأدب المرضي المنتقل المضاد للاجتماع في أصوله وغاياته ، سيكون لدينا أدب حافل بالحياة والقوة ومانح لمساعدة ناموس التطور ، لا لمنقص إلى انحلال الحياة الاجتماعية كما هو حاصل اليوم

رأينا في مذهب الفيلسوف جيو

إن جيو لا يرى أن أولاد قد حلق بمذهبه من الفن والجمال في جو عال من النظر والاستدلال ، ووصل به ما يقال أنه انقطع من مذاهب الفلاسفة الأقدمين وكبار المتصوفين . ولكنه وصل إلى

ما وصل إليه لا من طريق التفكر والخيال، ولا من طريق الرياضة والمجاهدات النفسية، ولكن من طريق التحليلات الفلسفية والعلمية، وعلى أسلوب من التمحيص يرتضيه أشد أنصار المادية من المعاصرين.

نعم إن جيو لا يقول بما قال أولئك الرجال بوجود عالم علوي للجمال المحض تنزل منه الأنفس والطبيعة صورته في قلبه فهو لا يفتأ يحن إليه، ويحاول محاكاته بما أوتيه من قوة على العمل وقدرة على التقليد. فلم يبرح جيو مجال الفلسفة الوضعية، ولم يتجاوز حدود المادة إلى عالم أرفع منها، ولم يشتغل بشؤون الملأ الأعلى عن الشؤون الأرضية الصرفة. فوصل إلى ثمرات من الفلسفة والعلم يستطيع المدافع عنها محاجة كل ناقد يوجه إليه غير متجاوز حدود المقررات المعروفة حتى في حيز المادية المتطرفة.

جعل جيو (الحياة) نفسها مصدراً للفن والشعور بالجمال والأخلاق والدين. ولو أنها تنطوي على أصل خفي من معناه الاختيار والحب والسمو، وهذا تقرير لا يستطيع أشد المذاهب المادية تطرفاً أن يهدمه. فإنها كلها تعترف بوجود الحياة وإن كانت لا تعتقد بأن لها أصلاً عالياً أزلياً، ولا تنكر أن الحياة مصدر لكل جميل وسام في هذا الوجود. فاستفاد جيو من الاعتراف العام بهذا الأصل ورفع بنيانه فيه بعبقرية نادرة في إحالة ثمرات الجهود الإنسانية إلى مقاصد سامية ذات غايات أخلاقية تناسب كرامة الإنسانية، وتقاضيها في أغراضها القصية، وإن طرحت هذه الثمرات في الدرجة الأولى … ووجهة عامة، وذلك بواعث أرضية محضة.

فبعد أن كان المعاصرون ينظرون إلى الشعور كأنه في حيرة ويلتمسون فلتاتها من النفوس ظلاً شخصية، وينظرون إلى أصل الشعور بالجمال نظراً سطحياً منقطع الصلة بنظام الوجود وروابط أجزائه، استطاع جيو أن يجد لهذه الخصائص الفطرية للإنسان مبنى أسمى من المبنى الذي الفن الناظرون عليه إلى الآن. فبين أن لجميع هذه الخصائص مصدراً واحداً هو الحياة، وغاية مشتركة هي جمع الإنسانية في حظيرة واحدة من التكافل والاجتماع ودفعها إلى نهاية واحدة هي الوصول إلى أرقى المعقولات في الدين والفن والجمال.

ولما كانت حقول مسألة الفن والجمال على النحو الذي دحضه جيو قد ولدت جيلاً من الكتاب أكثرهم مشعوذون وموسيقيون وراسمون، استخدموا تلك الحقول في الحط من قيمة الإنسانية وتسميم قلوب الناشئين، دل حقاً على أن مذهب جيو القائم على أرقى التحليلات الفلسفية والعلمية سيولد جيلاً آخر من الكتاب أقوياء النفوس والعقول وعلى جانب عظيم من نبالة المقاصد وكرامة الغايات، يوجهون الناس وجهة الخير المحض والكمال، ويحاولون أخذ بأيديهم إلى أجل الأغراض وأرفع الغايات.

محمد فريد وجدي



بقلم المرحوم جبران خليل جبران

دعوني أنم، فقد سكرت نفسي بالمحبة

دعوني أرقد، فقد شبعت روحي من الأيام والليالي

أشعلوا الشموع وأوقدوا المباخر حول مضجعي، وانثروا أوراق الورد والنرجس على جسدي، وعطروا بالمسك المسحوق شعري، وأهرقوا الطيوب على قدمي. ثم انظروا واقرأوا ما تخطه يد الموت على جبيني

خلوني غارقاً بين ذراعي الكرى، فقد تعبت أجفاني من هذه اليقظة

اضربوا على القيثارات، ودعوا رنات أوتارها الفضية تتمايل في مسامعي

انفخوا الشبابات والنايات، وحيكوا من أنغامها العذبة نقاباً حول قلبي المسارع نحو الوقوف

ترنموا بالأغاني الرعوية، واصنعوا من معانيها السحرية فراشاً لعواطفي. ثم تأملوا وانظروا شعاع الأمل في عيني

امسحوا الدموع يا رفاقي، ثم ارفعوا رؤوسكم مثلما ترفع الأزهار تيجانها عند قدوم الفجر، وانظروا عروس الموت منتصبة كعمود النور بين مضجعي والفضاء.. امسكوا أنفاسكم واصغوا قليلاً واسمعوا معي حفيف أجنحتها البيضاء

تعالوا وودعوني يا أبناء أمي. قبلوا جبيني بشفاه مبتسمة. قبلوا شفتي بأجفانكم وقبلوا أجفاني بشفاهكم

قربوا الأطفال إلى فراشي ودعوهم يلامسوا عنقي بأصابعهم الوردية الناعمة. قربوا الشيوخ ليباركوا جبيني بأيديهم الذابلة المتجعدة. دعوا بنات الحي يقتربن وينظرن خيال الله في عيني ويسمعن صدى نغمة الأبدية متسارعة مع أنفاسي

الانفصال

ها قد بلغت قمة الجبل، فسبحت روحي في فضاء الحرية والانطلاق

قد صرت بعيداً يا أبناء أمي، واحتجبت عن عيني جهات التلال وراء الضباب، وغمرت خلايا الأودية بحر السكوت، واختفت السبل والممرات بأكف النسيان، وتوارت المروج

والغابات والعقبات وراء الشفق بعيدة كنجوم الربيع، وصغيرة كشعاع الشمس، وحرة كوشاح الشتاء

قد تصعدت أغاني امواج البحر، واختفت زرقة السواقي في الحقول، وسكتت الاصوات المتصاعدة من جوانب الاجتماع، فما عدت أسمع سوى أنشودة الخلود، متآلفة مع ميول الروح

الوصية

اخلعوا نسيج الكتان عن جسدي، وكفنوني بأوراق الفل والزنبق

انتشلوا بقاياي من تابوت العاج، وضعوها على وسادة من زهر البرتقال والليمون

لا تندبوني يا بني أمي، بل أنشدوا أغنية الشباب والبهجة. لا تذرفي الدموع يا ابنة الحقول، بل ترنمي بموشحات أيام الحصاد والعصير

لا تغمروا صدري بالآهات والتنهد، بل ارسموا عليه بأصابعكم رمز المحبة ووسم الفرح

لا تزعجوا راحة الاثير بالترنيم والتكهين، بل دعوا قلوبكم تهلل معي بتسبيحة البقاء والخلود

لا تلبسوا السواد حزناً علي، بل ارتدوا البياض فرحاً معي، ولا تتكلموا عن ذهابي بالتنهدات، بل اغمضوا عيونكم تروني بينكم الآن وغداً وبعده

مددوني على أغصان مورقة، وارفعوني على الاكتاف وسيروا بي ببطء إلى البرية الخالية

لا تحملوني إلى الجبانة لأن الازدحام يزعج راحتي، وقعقعة العظام والجماجم تسلب سكينة رقادي

احملوني إلى غابة السرو، واحفروا لي قبراً في تلك البقعة حيث ينبت البنفسج بجوار الشقيق

احفروا لي قبراً عميقاً كيلا تجرف السيول عظامي إلى الأودية، وسيعاً لكي تجيء أشباح الليل وتجلس بجانبي

اخلعوا عني هذه الاثواب واهبطوا بي إلى قلب الأرض، مددوني بهدوء، وضعوني على صدر أمي. املأوا القبر بالتراب الناعم، وألقوا مع كل حفنة حفنة من بذور السوسن والياسمين والنسرين. فتنبت على قبري، متغذية عناصر جسدي، وتنمو ناشرة في الفضاء رائحة قلبي، رافعة إلى وجه الشمس سرائر راحتي، وتتمايل مع النسيم مذكرة عابر الطريق بماضي ميولي وأحلامي

اتركوني الآن يا بني أمي، اتركوني وحدي، وسيروا بأقدام خرساء مثلما تسير السكينة في الأودية الخالية

دعوني وحدي، وتفرقوا عني بهدوء، مثلما تتفرق أزاهر اللوز والتفاح عندما تنثرها أنفاس نيسان

ارجعوا إلى منازلكم تجدوا هناك ما لم يستطع الموت أن يأخذه مني ومنكم

اتركوا هذا المكان، فالذي تطلبونه صار بعيداً بعيداً عن هذا العالم



لعله من الخطأ الذي لازم دراستنا للأدب على أنه فن مستقل، قائم بذاته بنفسه، فإذا ربطناه بقواعد النحو والصرف والقافية على أنها وسائل لا بد منها للأديب والأدب، مع أن هناك رابطة أوثق، وصلة أحكم ما زلنا أكثر غفلة عنه للآن. وهذه الرابطة لو درست دراسة دقيقة واسعة لغيرت نظرنا للأدب ونقده، وأفادتنا أكبر فائدة في النقد الأدبي. والذي يهمنا أن ندرس الأدب على أنه فن من الفنون الجميلة كالنقش والتصوير والموسيقى، يخضع للقوانين العامة التي استكشفها علم الجمال، بمنزلة أنها من كل هذه الفنون، كما يخضع النبات والحيوان والإنسان للقوانين العامة لعلم الحياة، وما تخضع كل الوحدات على اختلاف أنواعها لقوانين علم الطبيعة والكيمياء.

فهناك فرع من فروع الفلسفة هو علم الجمال، أخذ يبحث في ماهية الجميل وما الشروط التي تتوافر في الشيء حتى يعد جميلا، وأسباب ذلك، ووضع القواعد المختلفة التي تنطبق على كل جميل — وهذه الأسئلة والإجابات والقواعد يمكن تطبيقها على الأدب كل الانطباق، لأن الأدب ليس له قيمة إلا في جماله — جمال لفظه وجمال أسلوبه وجمال عواطفه وجمال خياله، فإن هو عري من هذا الجمال لم يعد أدبا، ومن أجل ذلك كان الأدب يخاطب العاطفة لا العقل وحده، كما هو الشأن في الموسيقى والتصوير والنقش، أما الذي يخاطب العقل وحده فهو العلم لا الفن. فالقصيدة من الشعر والوردة في غصنها والنهر في مجراه، والتمثال العظيم البارع، والهيكل الأثري والبناء الشامخ المشيد، والقطعة الموسيقية الجيدة التوقيع، ووجه المرأة الحسناء، والرواية الفنية والقصة الممتعة — كلها نسميه جميلا وكلها تخضع لقوانين الجمال، فإن اختلفت في شيء فاختلاف في التفاصيل لا في الأسس. فإن نحن نظرنا إلى الأدب على أنه أحد الفنون الجميلة كان هذا النظر خليقا أن يصحح نظرنا، لأن ما نضعه من قواعد الأدب الأساسية يمكن امتحانه بتطبيقه على الموسيقى والنقش والتصوير حتى تتبين صحته من فساده. أما الآن فإن أنظار الأدباء في نظرهم إلى الأدب مستقلا ونظرهم إلى

خطأ قصور النظر، وكان منهم مثل من بنى قواعد فنية بعد مشاهدته جزئياً واحداً، أو بحث أن استقرأ استقراء ناقصاً.

وثمة آخر وهو أن نظرة إلى الأدب في ضوء الفنون الجميلة الأخرى يوسع نظرنا إلى متاع تعجز عن أن تمدنا لها إذا نظرنا إلى الأدب وحده.

فقوانين الجمال واحدة مهما اختلفت مادتها الأولية، فقد تكون المادة حجراً فتكون تمثالاً أو لوناً فيكون تصويراً، أو صوتاً فيكون موسيقى، أو يكون شعراً أو نثراً. وقد ندرك الجمال بأعيننا وقد ندركه بآذاننا ولكن مع كل هذه الاختلافات هناك صفة مشتركة صار بها الجميل جميلاً وإذا فقدت عدم الجمال، وهذه الصفة تكون في الأدب فيكون أدباً جميلاً، وفي الموسيقى فتكون جميلة، وفي الصور فتكون جميلة. وعلى مقدار تحقق هذه الصفة يكون مقدار الجمال سواء كانت هذه الصفة في الشيء الخارجي وحده كما يقول بعضهم – أو في الشخص الرائي والسامع وفي المرئي والمسموع معاً كما يقول آخرون. ولكنها على كل حال قدر مشترك بين جميع فروع الفن.

ونظرة واحدة ترينا الارتباط المتين بين فروع الفن المختلفة. فالشعر – مثلاً – ليس إلا تصويراً ناطقاً والتصوير ليس إلا شعراً صامتاً. والشعر والموسيقى أشد ارتباطاً. فأوزان الشعر أوزان موسيقية تختلف في الحركات والسكنات والطول والقصر كما هو الشأن في الموسيقى، ونلاحظ في الموسيقى أن النغمة الواحدة إذا وقعت على «الكمنجة» ثم وقعت بعينها على «البيانو» كانت النغمتان مختلفتين كيفية، واختلف أثر كل منهما عن الأخرى. وهذا يقابله في الشعر القافية، فالقصيدة على قافية قد يكون لها أثر غير أثر القصيدة بعينها على قافية أخرى وهكذا.

بل هناك دليل أقوى من هذا وهو أن مرجع كل الفنون من أدب وتصوير وموسيقى إلى «الذوق»، وهذا الذوق خاضع لقوانين النمو والارتقاء والرقي والانحطاط في الفنون كلها. فالطفل قبل أن يصير يقظة من جمال شكل أو جمال حركة تأخذ بصره الألوان الزاهية والصور البديعة ومن أخذ حظاً قليلاً من المدنية يميل إلى الألوان القوية كالأحمر القاني والأصفر الفاقع ويعجبه من الثياب الألوان الكثيرة المتعارضة. أما المتمدنون فتعجبهم الألوان الجميلة المتناسقة الهادئة – وكذلك الشأن في الأدب فالقطعة الأدبية التي تعجب الشعب المنحط لا تعجب الأديب الراقي من ناحية الألفاظ ومن ناحية المعاني، وهذا – من غير شك – يرجع إلى اختلاف الذوق وتدرجه في الرقي، بل الأديب نفسه إذا رقي استحسن ما لم يكن يستحسن واستهجن ما لم يكن يستهجن تبعاً لرقي ذوقه. وإذا كان الذوق يرقى وينحط فهو خاضع لنظام وقوانين يمكن مراعاتها وإن لم تستكشف جميعها الآن، وهذه القوانين يمكن تطبيقها على الأدب كما يمكن تطبيقها على الموسيقى والتصوير وكل فن جميل بل كل الفنون مرجعها عند الفنان والسامع والرائي إلى الشعور بالجمال. والفنان يشعر بالجمال

في تحويل الصور عنده إلى النتاج وما يتبعه يتم في نفس الشاعر والقارئ شعوراً [illegible] الجلال يثير عند الفنان شعوراً بالجلال فيحوله الشاعر شعراً والمصور صورة والموسيقي موسيقى [illegible] كلها تثير الشعور بالجلال عند من رآه أو سمعها ، ولا فرق بين الفنان وغيره إلا أن الفنان قادر [illegible] ، [illegible] طبيعة الفنون تتفق في الأصل ولا تختلف إلا في الشكل ، وكل الفروق بينها أن هذا يصوغ فنه من ألوان وهذا من كلمات والثالث من أنغام [illegible] يعتمد على [illegible] ولا آخر يعتمد على [illegible] ، والثالث يعتمد على [illegible] إلى آخر ما [illegible] من فروق لا تمس الأصل.

وإن كان ذلك كذلك كان من الخطأ أن ندرس الأدب والبلاغة والنقد الأدبي دراسة مستقلة عن دراسة قواعد الجمال في الفنون الجميلة عامة ، بل يجب أن ندرسها في ضوء جميعها — وعلى أن الدراسة على هذا النحو الذي أقترحه تحمل نظرة في الأدب وقواعده وتكشف لنا ما وقعنا فيه من ضروب الخطأ ، فنظرتنا إلى المجاز والاستعارة والكناية يجب أن تكون نظرة إليها في ضوء التصوير الرمزي والموسيقى الرمزية ، والمحسنات البديعية تعد قواعدها إذا درست في ضوء ما يدخل في التصوير والموسيقى من محسنات ، وبحور الشعر تصحح بدراسة حركات الموسيقى وهكذا ، والأقرب لذلك مثلاً [illegible] البلاغة كلها ندرسها في الأدب مستقلة [illegible] في البلاغة [illegible] ولو أن البلاغة لا [illegible] في الفنون [illegible] ، فهو [illegible] في [illegible] أيضاً [illegible] إلى البلاغة في ضوء الشعر والرواية والخطابة والتصوير والموسيقى أمكننا أن نستخلص من ذلك كله قواعد أقوى [illegible] ما استخلص من قواعد البلاغة من دراسة الأدب وحده.

كذلك نرى — مثلاً — يدرسون هذا الكلام في النقد الأدبي لعلاقة الأدب بالأخلاق ، وهل يجب أن يخضع الأدب للأخلاق أو أن الأدب [illegible] النقد الأدبي فقد تكون [illegible] الفن والأخلاق ، ومن رأيي أن هذه المسألة إذا لم تدرس في حدود الأدب وحده بل درست في دائرة الفن [illegible] من موسيقى وتصوير ونحت وتمثيل ، اتضح وجه الحق فيها أكثر من وضوحه عند قصر نظرنا على الأدب وحده.

لقد تعددت دراسات الأدب [illegible] الأدب دراسة [illegible] [illegible] الحياة الاجتماعية وقالوا لا يمكن أن نفهم الأدب حق الفهم إلا إذا درسنا

البيئة التي أنتجته ، فلسنا نستطيع أن نفهم المتنبي ــ مثلاً ــ إلا إذا فهمنا الأوساط التي قيلت فيها قصائده ، ففهمنا حال مصر إذ ذاك وما قال فيها وفي ملوكها ، وفهمنا حال العراق وما قال فيها من قصائد ، وهكذا ــ ويدرس آخرون الأدب من ناحية حياة الأديب لأحواله النفسية ، لأن نفس الأديب هي المنبع الذي صدرت منه القطعة الأدبية فيجب أن ندرس هذه النفس لنفهم ما يصدر عنها من الكتاب الأدبي الفني والقصيدة التي تطلب لا يمكن فهمها حق الفهم إلا إذا فهمت نفسية القائل . وأتى آخرون أخيراً غير هذا وذاك فقالوا يجب أن ندرس الأدب من حيث هو لا من البيئة ولا من حياة الأديب ، وأن نقوم الآثار الأدبية بقطع النظر عن بيئتها وقائلها ، وأن نجيب عن الأسئلة الآتية : ما ميزة القطعة الفنية ؟ وما موضع الحسن فيها ؟ وما الذي جعلها أثراً فنياً على مر الزمان ؟

والذي أدعو إليه في مقالي الآن شيء غير هذا كله ، وهو أن ندرس الأدب من حيث هو فن جميل ، ومن حيث هو خاضع لقوانين علم الجمال ، ومن حيث الارتباط الصحيح بينه وبين سائر الفنون الجميلة .

وهذا يتطلب أن عالم الأدب ينبغي أولاً أن يدرس علم الجمال وما وضع له من قواعد وما أثيرت حوله من مسائل ، ولما كان علم الجمال فرعاً من فروع الفلسفة فيجب أن يدرس ما يتصل به من فروع الفلسفة وخاصة علم النفس ــ وهو إذا درس القواعد العامة لعلم الجمال استطاع بعد أن يدرس القواعد الخاصة لشيء شيء في كل فن جميل على حسب ما تقتضيه طبيعته ؛ لأن مادتها الصوت ، والتصوير يجاز بأشياء لا تجاز في غيره [illegible] الأدب لأن مادته اللفظ والخيال ــ ولكن هذه الأشياء التفصيلية لا تفهم حق الفهم إلا في ضوء النظريات العامة التي تشترك فيها كل الفنون الجميلة ــ ذلك أن الفنون الجميلة جميعها ترتبط بالعاطفة وتعتمد عليها وترجع من أجلها وتقوم بها ــ فلا بد من درس العاطفة وصلتها إلى الجمال وتعلقها بالجمال لا يمكن أن يفهم أي فن ومنه الأدب .

بهذه الطريقة وحدها يمكننا أن نفهم الأدب ونقدره تقديراً صحيحاً ، وبذلك نستطيع أن نضبط النقد الأدبي ونعالج ما هو فيه من فوضى لا تستند إلى أساس ويذهب كل ناقد مذهب برأسه من غير أن يستند بجهود قيمة وأسس يلتزمها ويسير عليها

وأنا على يقين أنا إذا سرنا في هذا الخط تغيرت وجوه دراستنا التقليدية التي سرنا عليها إلى الآن في البيان والبديع والنقد الأدبي ، وكشفت لنا أمور في منتهى الخطورة ، ورأينا أنفسنا نسلك بالمقطع كثيراً من أمور السخف أوقعتنا فيها النظرة الجزئية للأدب ، ورأينا أنفسنا نؤسس علماً جديداً ومنهجاً جديداً ونظريات جديدة

أحمد أمين

الجمال الذي يفتنني

جمال بالقطاعي ... وجمال بالجملة

بقلم الاستاذ فكري أباظة

تطلبون إليّ أن أعترف بنوع الجمال الذي يفتنني . لا أشبهه العام لكي يفرح الجمال الذي أحب ويسجل التاريخ أن وكل « جمال يفتنني » حتى جمال القطط الصغيرة – حتى جمال الكلاب « الشيان لو » – حتى جمال الجمبري – حتى جمال القرود « البيبي » في حديقة الحيوانات . . .

وأي جمال من « الجلالات » تطلبون منه الاعتراف والاعتداء ؟ أهو جمال الروح ، أم جمال الخلق ، أم جمال الجاذبية ، أم جمال الوجه ، أم جمال القد والقوام ؟ . . .

الواقع أن الموضوع أخطر وأ كبر مما تتصورون . ومثل من ذوي الذمم « الشخصية » في علم الجمال يحتاج منه الرد إلى مجلدات ومرسومات . والجمال الذي يفتنني ينقسم إلى قسمين : جمال بالجملة ، وجمال بالقطاعي . . .

والمطول الكلام من الجمال الذي « بالجملة » وأتكلم من الجمال الذي « بالقطاعي » . . .

طالما فتنني وسحرني وشغل فكري « عين » من العيون الحور حقيقة – وطالما فتنني وسحرني ورماني « حب » واحد من « الأحباب » الانكليزية الطرية – وطالما عبث بفؤادي وأي نغزة في الخد وخال « فاشتعل البال » و « تبلبل » البلبال ! . . .

والجمال « بالقطاعي » واسع الثروة وافر المحصول : فأنت تلمسه في بشرة ناعمة ملساء – وأنت تلمسه في حوَر كله شغل واغراء – وأنت تحسه في الأنامل المكورة – وأنت تلمسه في الأنفاس اللبلية – وأنت تنظر به في ثنايا وتجعيدات مابين القد والكرم – وأنت تكشفه بين حنايا الضلوع – وأنت قد تجده كامناً في أصابع الأرجل العشر بكل نظام وانسجام – وأنت قد تلتقي به في القوام أو في المعصم . . .

فرأيت أن الموضوع دقيق وأنيق . وأن كل « جمال » جميل . ولو كان في خيشوم فيل أو في ظلمة درليل ! . . .

* * *

ومع ذلك فأنا والمفارقات وأنا مجالي كما متضمنة بالإيجابيات والسلبيات . . .

أول ما تفتحت عيني على الحب أحببت فلاحة في القرية اسمها « زينب » . الوجه لا يغري بالحب ولكن الجسم ! الله ! التوام ! كانت كل قطعة من قطع جسمها كأنها تعلن استقلالها عن بقية الأجزاء . كانت كل قطعة دولة ذات سيادة لها شخصية ولها عزة وسلطان !

ثم أحببت واحدة من « الطبقة العليا » كان صوتها الساحر هو الجمال .. ورائحتها هي الجمال .. وعيناها اللتان تنطقان السحر هما الجمال . .

ثم هبطت وانصرفت فأحببت حبي العبقري أطلقه على الزمن وعلى التاريخ . أحببت فتاة في بؤرة الرذيلة وهي بطلة قصتي « الضاحك الباكي » . . . « تروت » ! أحببت فيها جمال الألم وجمال التمرد والسقوط وجمال العذاب !

ثم أحببت وأحببت إلى أن التقيت بسمراء .. قزمة .. نصف حلوة .. ولكن فيها سر عميق فأحببت فيها السر العميق !

ثم تلاقفت فأحببت شقراء متحدثة ذات ثقافة وجنون فأحببت فيها الثقافة والجنون !! ..

وها أنا لا أزال أقلب كتاب « حبي » وما تبقى بعد الصفحات . . .

ومن هذا كله ترى أن كل جمال أحببته كان جمالاً يقتل .. إنما أحب كل أنواع الجمال ويقتلني كل أنواع الجمال كما يقتلني كل أنواع الفنا كما هي جميعاً ..

* * *

إنما يبقى السؤال في قالب آخر وقل لي : ما هو مثلك الأعلى في الجمال .. ما هو أقرب جمال عندك ؟

وجوابي أني لم ألتق به في الحقيقة .. وإنما أتصوره في الخيال . . .

وإليك « الوصفة » :

أولاً — الشعر : أريده أسود حالك السواد .. طويلاً طويلاً طويلاً يصل إلى الركبة . . .

وأشترط على عند إرسال الدموع فيظل مثل عيني الشهر . وتسأل في تلاله تأوهاتي وتسرح زفراتي صعوداً وهبوطاً . . .

ثانياً — العينان : الناعستان الشفافتان عما في الضمير وعن عاطفتها وخلجاتها .. عينان فيهما معان وشكوك واستفزازات . . .

ثالثاً — الوجه : الجميل لا الفوتوجينيك ، أي وجه متزن التقاطيع حتى ولو انحرف الأنف قليلاً ، حتى لو تحمل الثغر بعيب صغير ، وجه دقيق لا وجه كبير ولو كان جميلاً . . .

رابعاً — اللون : أميل الى اللون المصري الاسمر الحري ، وأحب الاصفرار الخفيف ، أي بلا اخضرار يخنق الورد الرطب . . .

خامساً — القد : أحب القد الصغير ، من التي يتراوح ما بين الخمسين الى الستين ، كي أستطيع ضمه على رأسي وبين ذراعي ومنه الدلال والأم للأطفال . . .

سادساً — الجسم : أحبه متماسكاً غير مترهل ولا ممصوص ولا عاثر ، جسم رياضي فيه صلابة وتكسر . . .

سابعاً — الصوت : أحبه من نغمة « الصبا » مع « بحة » خفيفة ، واشترط شرطاً جوهرياً أن يكون هذا الصوت فيه عنصر الأسى والأنين . . .

ثامناً — الأخلاق : أحبها مصونة لينة طيبة لا يشوبها حدة ، ما الجمال الجمال الفرار الفرار . . .

تاسعاً — « الطبع » : أحبه هادئاً رقيقاً ، أن تشعر بجوار الجمال بالأسى

عاشراً — الطبع : اللف كل اللف التصنع والتكلف ، أريد ويخلق الجمال المطبوع بالبساطة والسحر من قواعد المجاملات ، والبروتوكول ، والاتيكيت . . .

* * *

هذه هي « مواصفات الشعر » أو « مواصفات » الشعر . فإن كان عندكم جمال توافرت فيه هذه الشروط ، فإن فضلكم أن تدلوني عليه ، ولكم مكافأة ثمينة . . .

شكري الملك العلي



صلة الفن بالحياة الاجتماعية

الفن يؤثر في المجتمع كما يتأثر به

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

كنت مسافراً على باخرة نيلية بلغت بنا حلفا وقضت بنا الليل فيها ، مزمعة العودة إلى اسوان في اليوم التالى . ولما كان عليها عددٌ من المسافرين لم يجعلوا المرفأ السوداني المصرى غايتهم بل اعتزموا أن يرجعوا على الباخرة الى اسوان ، فقد أعد ربانها لهم في يوم استقرارها بحلفا نزهة إلى شلال النيل الثاني . وأقلنا زورق بخارى الى هناك تسرب بنا في مسالك الشلال خلال أحجاره الجرانيتية الزرقاء حتى انتهى الى هضبة ينزل عندها المتنزهون عادة ليشهدوا من فوقها منظر الشلال العام . فلما هبطنا منها عائدين الى زورقنا سمعنا ضجة وتصايحاً ، ثم إذا طائفة من عبيد تلك المنطقة تعبر الشلال سابحة الينا آتية لا ندرى من أين . ولقد كان كل ما يرتديه أفراد هذه الطائفة نطاقا من جلد ينتطق كل منهم به . وفي يد كل منهم قربة من جلد منفوخة تعاونهم في سباحتهم ولعلها تعاونهم كذلك في إحداث الضجة لتخويف التماسيح الكثيرة التى تعمر منطقة الشلال . وبلغت هذه الطائفة الشاطىء ووقف أفرادها بعضهم الى جوار بعض ، وأجسامهم العارية إلا من هذا النطاق قد بلغت من إبداع التكوين حتى كأنها تماثيل من الابنوس بسوادها اللامع أبدعتها يد الطبيعة الساذجة التى يعيشون بين أحضانها

هذه الجماعة من العبيد تمثل الجماعة الانسانية التى لم تعرف الحضارة قط ، والتى لاتعرف مما يسمونه الحياة الاجتماعية الانسانية شيئاً . فحياتها جماعية وليست اجتماعية ، وهى لذلك أدنى الى مراتب جماعات الحيوان التى تعيش قطعاناً أو أسراباً . ومن ثم كانت لا تعرف من الفن إلا محاكاة أصوات الطبيعة دون تمييز بين الجميل والقبيح منها ، وبعبارة أخرى هى لاتعرف الفن الجميل بتاتاً . فاذا بدأت الجماعات الانسانية تعرف أولى مراتب الحياة الاجتماعية

بدأت تعرف الفن على صورة فطيرة تتوهم الجمال ولا تعرفه ، وتتخيله ولا تدركه . وهذا ما يجعل بعض قبائل الزنوج ينقشون أجسامهم بألوان من الوشم للزينة مكتفين من اللباس بهذا النطاق من الجلد إن رأوا حاجة إلى اللباس . فاذا تقدمت حياة القبائل إلى مرتبة اجتماعية أرقى من هذه المرتبة الفطيرة بدأت تدرك الفن في مراتبه الاولى ، فبدأ فيها اللباس وزينته ، وبدأت تجمل مساكنها في الخيام بما يروق ذوقها البدوى ، وبدأت الوانا من الشعر ومن الموسيقى تتفق مع تلك الحياة ، وبدأت تنحت تماثيل لا تكاد تمثل صورة معينة . ولعلنا جميعاً قد رأينا صوراً من ذلك فى أنحاء مختلفة من مصر ومن غير مصر من البلاد ، ورأينا فيها بدء الحياة الاجتماعية للجماعة الانسانية

يتصل تطور الفن من بعد ذلك بتطور الحياة الاجتماعية في الجماعة الانسانية اتصالا دقيقاً. ويجب في تقدير ذلك أن نفرق دائماً بين الحياة الجماعية والحياة الاجتماعية . فالاولى حياة كل جماعة من الحيوان أو الناس تعيش أسراباً أو قطعاناً ولا تعيش فرادى أو أسراً كما تعيش الحيوانات المفترسة وجوارح الطير . أما الحياة الاجتماعية فهى الحياة الانسانية بمعناها الانسانى وفي صورتها المدنية . ومن ثم كانت الحياة الجماعية مرتبة واحدة وكانت الحياة الاجتماعية مراتب شتى بعضها أدنى الى الحضارة من بعض . ورقى هذه الحياة الاجتماعية يسير جنباً الى جنب مع رقي الفن ، بل لعل الفن وتقدمه هو صاحب الشأن الاول في رقيها

أم انا نكون أدنى إلى تصوير الواقع إذا قلنا إن الفن يتأثر بالحياة الاجتماعية بمقدار ما يؤثر فيها ، أو أكثر مما يؤثر فيها ! فقد لوحظ ان النظم القائمة لها أثر كبير على ارباب الفن في تصوير فنهم وتوجيهه . والنظم القائمة هى المظهر الاول للحياة الاجتماعية . من ذلك أن ارستقراطية لويس الرابع عشر وبلاطه في فرنسا في القرن الثامن عشر هى التى وجهت راسين وكورني وموليير في شعرهم الى حد كبير ، وان الحركة المسيحية التى قامت فى القرن السادس عشر كانت ذات أثر على فن رفائيل بلغ من أمره أن جعل المصور الايطالى العظيم يضفى على جميلاته من المعانى الدينية مالا يمكن أن يدور بخاطره لولا هذه الحركة الدينية ولقد كانت نهضة اوربا في القرن الثامن عشر وتسلط فكرة الارستقراطية العقلية على اهلها بالغة الأثر في نفس الشعراء والكتاب والموسيقيين الذين نادوا بنظرية الفن للفن ولم يروا من حق رجل الفن ان يكون لغير فنه سلطاناً عليه . ثم قويت هذه الفكرة في القرن التاسع عشر حتى اصبحت عقيدة راسخة ، وحتى كان رجل الفن يأبى أن يكون لجمهور غير جمهور رجال الفن

حكم على عمله . فلما تطورت الافكار الاجتماعية تحت تأثير الحرب الكبرى تطور الفن معها وصار أوثق صلة بالجمهور فى مجموعه منه بجمهور رجال الفن وحدهم ! وكذلك كان اتصال الفن بالحياة الاجتماعية وكان تطوره تابعاً لتطور هذه الحياة الاجتماعية

والفن والآثار الفنية الراقية تعتبر من الكماليات في الجمعيات الإنسانية التى لم تبلغ من مراتب الحياة الاجتماعية ما يقارب الكمال ، بينما هي من ضروريات الحياة الاولية في الجمعيات الراقية . وخير ما يصور ذلك مقارنة ما بين بيتين أحدهما لاسرة ذات ثراء وسعة فيه ، ولكنها من مراتب التهذيب الاجتماعية في الدرجات الدنيا أو القريبة منها ، والآخر لأسرة ليست في مثل ثراء الأسرة الاولى ولا سعة رزقها ولكنها أرقى تهذيباً وأسمى ثقافة . قد تجد في البيت الاول فرشاً وطنافس غالية القيمة يعجز أهل الاسرة الثانية عن دفع ثمنها . وقد تكون فيه نقوش وزخارف لا شيء من مثلها فى البيت الثاني . لكن يد الفن تغيب عنه دائماً . فطنافسه وزخارفه انما يراد بها أن تتحدث عن ثمنها أكثر مما قصد أصحابه الى جمالها . فالنفس إنما تدرك الجمال وتتذوقه بمقدار تهذيبها وتثقيفها . أما بيت الاسرة الثانية فقد لا نرى فيه تحفة غالية الثمن ، لكنك تجد اليد الصناع قد نسقت ما فيه تنسيقاً هو الذوق الفنى وهو الجمال الذى تستريح له العين وتطمئن له النفس . فى هذا الجانب من غرفة الاستقبال تمثال صغير وضع مكانه لان الضوء إذ يغمره من هذا الجانب يزيد بهاءه ويزيد المكان الذى وضع فيه مسرة للنفس وبهجة للفؤاد . وهذا اللون الذى صبغ به الحائط قد لوحظ فيه أنه يتمشى مع استعمال الغرفة التى صبغت به . وهذه الوسائد المنثورة فوق البساط أو فوق السجاد قد روعى في تنسيقها أن تتفق ومجموع المكان بحيث تزيد النفس بهجة والقلب مسرة . لم يقصد بشيء مما في المكان أن يتحدث عن ثمنه ولا عن المجهود الذي بذل في اقتنائه . وإنما قصد بأثاث المكان جميعاً وبما فيه من صور ونقوش وتماثيل الى رضى الذوق الفنى في النفس المهذبة ، والى ان يكون بهجة للحياة الاجتماعية بالنسبة للأسرة كلها وللذين يجتمعون بها من أصدقائها

هذه المقارنة بين البيتين هي صورة صادقة تبين الصلة بين الفن والحياة الاجتماعية في الجماعات الانسانية . وقد أتيح لى أن أشهد ما يؤيد صدقها في قرى مختلفة من أوربا . فحيث يشهد الانسان مظاهر الحياة الاجتماعية راقية تقارب الكمال يشهد رقياً في الفن يساير هذا الرقى الاجتماعى ! وكثيراً ما رأيت في بعض بلاد الريف بأوربا الوسطى وبأوربا الشمالية منازل لفلاحين وعمال في أثاثها وفرشها من الذوق الفنى ما لا نظير له في مدن البلقان إلا عند

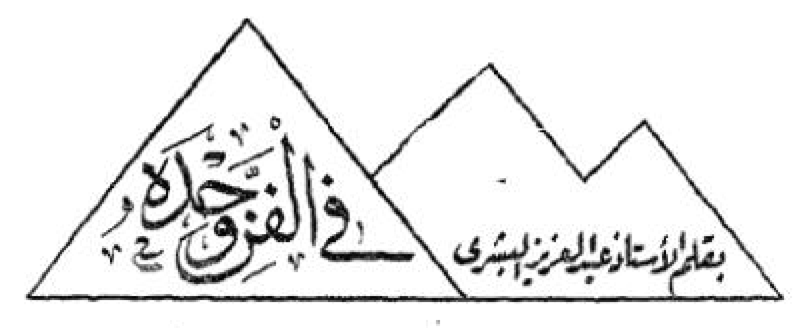
الاغنياء المهذبين ، مما يشهد بأن رقي الفنون يتمشى دائماً مع رقى الحضارة

ربما لوحظ على ما تقدم أن الفنون ترتقى في عهود انحلال الامم والشعوب ، وان أكبر رجال الفن والعباقرة الموهوبين منهم ينتجون خيراً مما ينتج أمثالهم في عصور الازدهار والفتوة . ويخيل إلى أن هذه الملاحظة فيها شيء غير قليل من التجوز . وامامنا الشعر العربي قام فحوله فى أيام الامويين وفى ايام العباسيين حين كانت الدولة في قوة شبابها وفتوة نشاطها كما قام بعض فحوله حين آذن شباب الامة بالافول — على ان هذه الملاحظة ان صحت فليست تعنى أن الفنون تزدهر حيث تنحط الحياة الاجتماعية. فقد يكون الانحلال السياسى ثم تكون هذه الحياة الاجتماعية في أسمى درجاتها . والانحلال السياسي الذى يطرأ بعد القوة والرقي ينشأ عادة عن إمعان فى الترف تضعف معه قوة النضال المادى وتتدهور بسببه روح الغلب وقوة الدفاع . لكن هذا الإمعان فى الترف إذا لم يبلغ حداً يفسد معه النشاط الذهنى ينبعث بطبعه الخيال ويغرى بحب الفنون واكبارها وتقدير أربابها تقديراً يدفعهم الى السمو بها جهد ما يستطيعونه من السمو . وهذا الامعان في الترف فن لذاته يجمع حوله طائفة من سائر الفنون ، وبخاصة اذا كان ترفاً ذهنياً يدعو الى الولع بالجمال في مختلف مظاهره . ثم إن هذا الامعان فى الترف مظهر من مظاهر رقى الحياة الاجتماعية وان ترتب عليه الانحلال في الحياة السياسية

والفن في الحقيقة غذاء الحياة الاجتماعية . ولو أننا حاولنا أن نتصور هذه الحياة خالية من الشعر ومن الموسيقى ومن التصوير والنحت ومن الغناء ومن المسرح لرأيناها قد فقدت كل قيمتها وقد أصبحت لا لون ولا طعم لها . وكلما ارتقى نوع هذا الغذاء ازددنا ارتياحاً للحياة واغتباطاً بها واطمئناناً لها . وان ساعة يقضيها الانسان في المتاع بثمرات هذه الفنون الصالحة لتعوض عليه مشقات كثيرة ولتحبب اليه الحياة . وفى طبيعة الفن أن يجمع الناس حوله للمتاع به . فهذا المسرح اذ تمثل عليه رواية من الروايات يفقد الكثير من بهائه إذا قل عدد حاضريه . وهذا الشاعر الذى يلقى قصيدته على الناس يشعر بالوحشة اذا قل عدد المستمعين له . فالفن بطبعه إذاً ظاهرة اجتماعية هى أرقى ظاهرات الحياة الاجتماعية . والناس أرقى تذوقا له بمقدار رقيهم الاجتماعى . وهم يقدرون حاجتهم للفن والمتاع به بمقدار حظهم من هذا الرقى

أما الجماعات القليلة الارتقاء في درجات الحضارة فتحتاج إلى الفن هي الاخرى . لكنها تحتاج الى فن لا يزيد عليها رقيا . فاذا كانوا من طراز هؤلاء الذين وصفناهم في أول هذا الفصل لم يكن للفن عندهم قيمة ، ولم يميزوا خبيثه من طيبه

محمد حسين هيكل



يريدني صديقي الاستاذ العالم الاديب محرر « الهلال » على ان أقول مقالا فى موضوع « الفن والجمال » على انى من جانبي قد قدرت ، بادىء الرأى ، أن المدى المقسوم لا يتسع لهذين معاً ، فلنكسر حديث اليوم على (الفن) ، ولنرجىء القول فى الجمال ، فله ان شاء الله اذا امتد العمر مجال :

ما الفن ؟

ولقد كان أول ما انبعث فيه ذهنى هو التماس أفق هذا الفن وترسم حدوده ، وماذا يراد به اليوم فى متعارف الناس ؟

فى الحق انى لم أصب فى كل ما وقع لى من كلام المتقدمين والمتأخرين من أصحاب العربية الى زمن قريب تخصيصاً لهذه الكلمة بذلك المعنى الذى يتناول اليوم بكلمة (Art) . فلم أر بدأ من مراجعة معجمات اللغة العربية تحقيقاً لأصل الوضع اللغوى لكلمة « فن » ، ووجوه تصرفها فى مختلف المعانى بالاشتقاق والتجوز وغير ذلك من أسباب الدلالات . وقد اعتمدت فى طلب هذه الغاية من متون المعجمات لسان العرب ، وصحاح الجوهرى ، والقاموس المحيط ، وأساس البلاغة ، فخرج لى من كل أولئك ما أنا مورده عليك فى ايجاز ولكن فيه الغناء :

الفن في اللغة

الفن واحد الفنون ، وهى الانواع ، والفن الحال . والفن الضرب من الشىء . والجمع أفنان وفنون ، يقال : رعينا فنون النبات . وأصبنا فنون الاموال

والرجل يفتن الكلام : أى يشتق فى فن بعد فن . والتفنن فعلك . ورجل مفن بكسر ففتح : يأتى بالعجائب . وذو فنون من الكلام

وافتن الرجل فى حديثه : اذا جاء بالأفانين .. افتن الرجل فى كلامه وخصومته : إذا توسع وتصرف . وافتن أخذ فى فنون من القول

والفنان بتشديد النون الأولى : الحمار الوحشى

وتطلق هذه الكلمة أيضاً فى بعض تصرفاتها على معان أخر لا محل للاشارة اليها فى هذا المقام لأنها لا تتصل بما نحن فيه من قريب

***

وبعد . فأنت ترى ان كلمة « فن » انما تدل بالوضع اللغوى على النوع ، والحال ، ويدل الفعل منها « فنن » الـكلام على الاشتقاق فى فن بعد فن ، أى التصرف فيه نوعا بعد نوع

ومهما يكن من شىء فان دلالة هذه المادة ، فى هذا المعنى ، تـكاد تكون مقصورة على التصرف فى فنون الـكلام . وللعرب فى هذا عذرهم إذ كان جل همهم إلى « فن » الكلام . على انها قد امتدت مع الزمن حتى تناولت كذلك بعض معان أخر ، وسيأتى فى ذلك الـكلام

ثم لقد رأيت ان العرب لم يطلقوا كلمة « الفنان » الا على الحمار الوحشى . على ان اطلاقها على المعنى الذى يطلقها بعضهم عليه اليوم (Artiste) ليس مما يعيي على وسائل العربية . لولا ان استعارة اسم الحمار للانسان مطلقا ، فضلا عن الانسان الصنع ، قبيح !

ولقد سلف عليك أنه يقال رجل « مفن » بكسر ففتح : يأتى بالعجائب . ولا شك فى أن هذا أصح تعبير وأدقه للمعنى المراد ، لولا أن اللفظة جد قريبة من لفظة تنفر الآذان منها أشد النفور . اذن لم تبق حيلة الا ان نصير فى أداء هذا المعنى الى اتخاذ كلمة « مفتن » أو « متفنن » ، وهما صحيحتان على كل حال

كيف تطورت كلمة الفن والى ماذا صارت اليوم ؟

قلت لك ان كلمة « الفن » قد تصرفت فى بعض معان أخر غير تلك المعانى التى أطلقت عليها بأصل الوضع اللغوى . ذلك بأنه لم تـكد الدولة العربية تنبعث فى الحضارة حتى أرسلت كلمة « الفن » للتعبير عما يقابل كلمة « العلم » فما كان قوامه ارسال القضايا الـكلية التى يتعرف بها احكام ما يندرج تحتها من الجزئيات ، فذلك علم . وما كان قوامه العمل الجارى طوعا للاصول والأحكام المقسومة ، فذلك فن . فيقال علم الاصول ، وعلم الفقه ، وعلم النحو ، وعلم الصرف ، ولا يقال على شىء من ذلك فن . ويقال للخطابة ، وقرض الشعر ، والموسيقى فن ولا يقال علم

فقد بان لك ان العلم مادته الفكر والنظر ، وأن الفن مادته العمل والاثر

ولقد يتبهم الفرق الدقيق بين العلم والفن على بعض الناس حين يجدون بين أهل اللسان من يعبر عن الموسيقى مثلا بعلم الموسيقى مرة ، وبفن الموسيقى مرة أخرى ، وعن البلاغة بعلوم البلاغة تارة ، وبفن البلاغة تارة أخرى ، وهكذا :

والواقع ان الموضوع الواحد لقد يكون علماً وفناً معاً . ولـكنه انما يكون هكذا من ناحية .

ويكون كذلك من ناحية أخرى . فنحن اذا طلبنا الموسيقى مثلا من جهة القضايا العامة من نحو تقسيم النغم الى أصلية وفرعية ، وأن هذه النغمة لا يفضى منها الى تلك الا بطريق كذا . وان هذه لا تقع فى جواب تلك الا بشرط كذا الخ ، فلا شك ان « الموسيقى » على هذا علم لا فن . فاذا غنانا المغنى بالفعل فتصرف فى فنون النغم طوعا لتلك الأحكام ، فلا ريب فى ان «الموسيقى» على هذا فن لا علم

وكذلك قل فى علوم البلاغة ، فما قررت من أحكام الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة ، والاستعارة والتشبيه ، والجناس والتورية والتقسيم الخ ، فتلك علوم البلاغة ، حتى اذا أرسلت القلم بالكلام البليغ ، فذلك فن البلاغة

لتفننت فى الكتابة حتى عطل الناس فن عبد الحميد

وكذلك القول فى الهندسة . وفى كل ما تجرى عليه أحكام القضايا النظرية بحيث يمكن ان يكون له أثر محسوس فى خارج الاعيان كما يقولون

على ان العامة فى مصر بوجه خاص ، قد تبسطوا بعد ذلك فى هذا الباب حتى دعوا كل مهنة فنا ، وحتى أصبحوا يكنون أصحاب الكيوف (باولاد الفن) . ولعل الوجه فى هذه النكتة ان ما كان يتناوله الصناع الى الجيل الماضى من (فنون) المخدرات ، كان يعينهم ولو الى حين ، على طول الصبر فى سبيل التأنق والتجويد والاتقان !

ومهما يكن من اسراف اللغة فى اطرادها وتوسعها لم تكن تأبى إدراج هذه الحرف فى جريدة (الفنون) ، لأنها وان لم تقعد لها القواعد وتعقد لها القضايا فى الكتب ، الا ان اصحابها قد تغنوا عن ذلك بطول العلاج والتمرين ، وما كشفت لهم التجاريب على طول السنين

وقد جرد المتأدبون المصريون من أبناء هذا الجيل كلمة (الفنون) للفنون الجميلة خاصة ، لجعلوها بذلك ترجمة لكلمة (Beaux Arts) فى لغة الفرنسيين . وعلى ذلك أصبحت كلمة (الفنان) استغفر الله بل (المفتن) أو المتفنن) ترجمة لكلمة (Artiste) ويعنون بها صاحب الفن الجميل

ولا يذهب عنك فى الغاية ، ان وصف بعض الفنون (بالجميل) لا ينافى ، بل انه ليقتضى ، ان هناك فنوناً أخر وان كان لا يوصف شىء منها « بالجميل » . وكذلك بقى اصطلاح الجمهرة على المراد من « الفن » قائماً فى الجملة ، وان كان بعض المتأدبين اليوم يأبى إلا أن يقصرها كما اسلفنا على « الفن » الجميل

استمداد الفنون وتطورها

وبعد اذ فرغنا من تاريخ هذه الكلمة من أول منجمها فى متواضع العرب الاولين ، وتصرفها فى وجوه المعانى حتى مصيرها اليوم - بعد هذا يحسن بنا أن نلم إلمامة يسيرة بنشأة

الفنون ، وتطورها واضطرابها بين مختلف الاوضاع والاشكال

لا شك فى ان منشأ الفنون على وجه عام انما هو الغريزة . فالحاجة هى التى تدفع الانسان الى أن يبتكر الفن ابتكاراً ، او ان ينقله نقلا ويقلد فيه تقليداً ، سواء أكان ذلك عن الحيوان أم عن الطبيعة نفسها بحيث يكون هذا النقل والتقليد على الوجه الذى يوائمه ويواتى اسبابه

وأريد « بالحاجة » ما يعم الضروريات والكماليات جميعاً . فحاجة الانسان الى الثواء فى المأمن هى التى هدته الى بناء الدور . وحاجته الى عبور الانهار هى التى هدته الى إقامة الجسور . ومن ثم نجم فن الهندسة . وقل مثل هذا فى سائر الفنون التى تدعو اليها ضرورات الحياة . كما ان استراحته الى تنغيم الطيور وتسجيعها ، وتغريدها وترجيعها ، وما يجد لذلك من طرب ويدخله من أريحية قد بعثه هو الآخر على التنغيم والترنيم . وكذلك نشأ فن الموسيقى . وقل مثل هذا فى كل فن جميل

وبعد ، فانت خبير بان الفنون كلها وان نشأت بسيطة غاية فى البساطة ، ضئيلة غاية فى الضآلة بحيث لا تواتى إلا أدنى الحاجة فانها على الزمن لا تفتأ تتسع وتتركب . وتتشكل وتتلون طوعاً لسنة الاطراد فى تفقد سائر مطالب الحاجة أولا ، ثم التدرج فى التماس الأحسن ثانياً ، ثم التأنق فى ابتغاء الكمال ثالثاً . ولا يزال الانسان يجد فى السعى لبلوغ هذا الكمال . ولكنه غير بالغه مهما تراخى الزمان بحال !

ولقد تعلم أن الفنون فى تطورها وتلونها وتهذبها وارتقائها والأساليب التى يجرى فيها كل أولئك ، خاضعة للزمان والمكان ، والجو ومألوف العادات ، ومأثور التقاليد ، وحظ القوم من التعليم والتثقيف . ذلك شأن الفنون كلها ، ضروريها وكماليها فيه بمنزلة سواء .

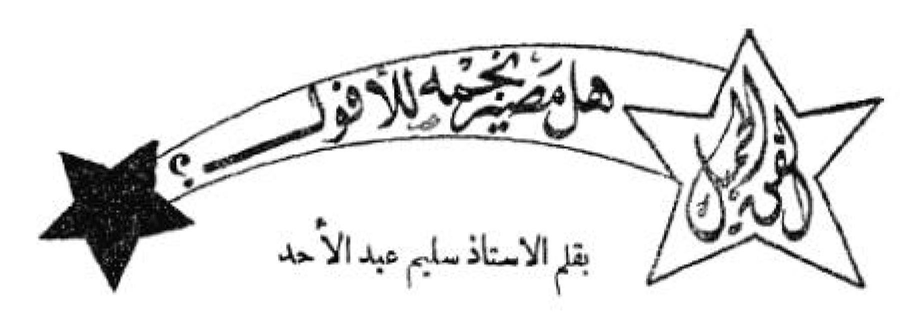
• • •

هذا ما هدانى اليه الفكر فى أمر (الفن) . فاذا كان القلم قد زل فى بعض الرأى . فارجو أن يدلنى العالمون على وجه الصواب عبد العزيز البشري

البارودي يصف جمال شعره

هذا هو الأدب المأثورفارض به ... علماً لنفسك فالأخلاق تنتقل
من كل بيت إذا الأنشاد سيره ... فليس يمنعه سهل ولا جبل
لم تبن قافية فيه على خلل ... كلا ، ولم تختلف فى رصفها الجمل
تغايرت فيه أسماع وأفئدة ... فكل ناد عكاظ حين يرتجل
لا تنكر الكاعب الحسناء منطقه ... ولا يعاد على قوم فيبتذل

محمود سامى البارودى



بقلم الاستاذ سليم عبد الأحد

لا مشاحة فى أن الفن مظهر من مظاهر الحضارة ودليل من دلائل ازدهارها . وقد ذهب فريق من العلماء الى أن الفن هو أكثر من ذلك أى أنه مقياس لدرجة رقى الحضارة . ومفاد هذا التعريف أنه كلما ارتقت الامة ارتقى معها فنها ، وكلما ضؤل شأن الفن ضؤل شأن الجماعة التى ينتسب اليها ذلك الفن . ولعل فى هذا القول شيئاً من الغلو . أو لعله كان أصدق فى الامس منه فى هذا اليوم . ذلك لان الامم الغابرة كانت أسرع الى التأثر بالخيال وأكثر تلبية لنداء العواطف من الامم الحاضرة . وليس فى هذا غرابة فان الانسان يتجه اليوم نحو مايسميه المولدون نظام المادية . أى أنه يتجه نحو الماديات ويبتعد عن المعنويات . ولا أدل على صدق هذا القول من تناقص عدد الشعراء والمصورين وطلاب مختلف الفنون فى هذا العصر . فانت إذا ذهبت اليوم الى العالم الجديد وجلت فى أنحاء الولايات المتحدة أدهشك ما تراه فيها من اندفاع أهلها وراء المادة وتهافتهم على أبواب الرزق وقلة اكتراثهم للمعنويات وللفنون الجميلة ، ما عدا طائفة منهم من أهل اليسر شبعوا ورحبت أمامهم سبل الرزق فانصرفوا الى الاهتمام بجمع التحف النفيسة والطرائف الفنية على اعتبار أنها من مستلزمات المعيشة الكمالية . بيد أنك اذا أجلت الطرف بين القوم تجد النوابغ منهم فى الفنون الجميلة أندر من الكبريت الاحمر . ولعل سوادهم أو كلهم سلالة شعوب نزحت الى العالم الجديد من بلاد اشتهرت بالفنون الجميلة

وليس معنى ما تقدم أن الاقدار قد قضت على الفن وحكمت على دولته بالزوال وأنه لن تقوم له قائمة فيما بعد ، فقد تعاقبت على العالم أدوار ضؤل فيها شأن الفن ثم ازدهر ثم ضؤل ثم ازدهر وهكذا دواليك ــ تلك فترات تتعاقب وتتوالى ــ ففترة ينصرف فيها الاجتماع نحو المادة وينغمس فى الماديات . وأخرى يسأم فيها المادة فينقلب الى الروحانيات ، حتى إذا ما طال عهده بها سئمها وانقلب عليها مرة أخرى قالباً لها ظهر المجن

وعليه فجمود الفن اليوم فى بعض أنحاء العالم ليس دليلا على أفول نجمه لان الاختبار والتاريخ يشهدان بأن فترة الجمود لا بد أن تعقبها فترة انتعاش ونشاط . وإذا كان شأن الشعراء والمصورين والنحاتين ومن اليهم من أرباب الفنون الجميلة ضئيلا فى هذا العهد ، فليس معنى ذلك أنه سيظل

كذلك الى ماشاء الله ، بل لا بد أن يجيء يوم يمل فيه الناس الماديات فيعودون الى المعنويات ويعود الفن الى سابق ازدهاره

ما هو الفن ؟

وقد حاول الكثيرون تعريف الفن تعريفاً دقيقاً ، فكان أحسن ماقالوه : ان الفن هو محاولة تقليد الطبيعة بقصد استثارة العواطف وابراز ماتنطوى عليه الطبيعة من معانى الجمال التى قد تكون مستورة عن نظر الرجل العامى . وهذا التعريف قد يصدق على التصوير والنحت والموسيقى ولكنه لايصدق تماماً على غير ذلك من الفنون ، أو أنه يصدق عليها بعض الشيء . وهـذا هو الفرق بين فنى التصوير والفوتوغرافيا مثلا . فالاخير منهما يراد به تقليد الطبيعة تقليداً دقيقاً من دون استثارة العواطف . وأما الاول فيراد به استثارة اعجاب الناظر بمعانى الجمال التى قد تستخفى عليـه بابراز تلك المعانى فى ثوب رائع يحدث أثراً فى النفس . وههنا تبدو مقدرة صاحب الفن فكلما أفلح فى استثارة الاعجاب كان ذلك دليلا على بروز معانى الجمال المستورة عادة عن أنظار المرء

مثال ذلك ان مدينة لندن مشهورة بكثرة ما يكتنفها من الضباب فى أكثر فصول السنة حتى إن المقيم بها يمل المعيشة فيها ويشعر دائما بانقباض صدره من رؤية ضبابها . ومع ذلك فقد تمكن أحد كبار المصورين من ابراز صورة لندن وهى مكتنفة بالضباب على وجه يأخذ بالالباب لما تشف عنه من معانى الجمال المستورة ، حتى ان الناظر اليها لا يرى فى ذلك الضباب الكثيف الا كل ماهو رمز الى الجمال

وهكذا قل فى صور الكثير من مناظر الطبيعة . فقد تكون تلك المناظر فى حد ذاتها مجردة من أى معنى من معانى الجمال . ولكن اذا تناولتها ريشة المصور بعثت فيها روحاً جـديداً يكسبها رونقاً خاصاً وجمالا كان مستوراً

الفرق بين العلم والفن

والفرق بين العلم والفن أن مرجع الاول الى العقل والمنطق والنواميس الطبيعية ومرجع الثانى الى المشاعر والعواطف . ولذلك ترى ان المسائل العلمية ـ كالحسابية مثلا ـ لا يختلف اثنان على طرق حلها أو على نتائجها . فمجموع اثنين واثنين أربعة لا خلاف فيه ، وتأثير السموم فى الأحياء معروف لا يتطرق الشك اليه ، ونواميس الكيمياء وعلم الهيئة والطبيعة وغير هذه ثابتة لا سبيل الى الريبة فيها . وأما الفن فهو وحى يهبط على كل فرد بمقتضى ادراكه وقوة شعوره . فقد تكلف نحاتاً ايطاليا أن يصنع تمثالا لقيصر وتكلف نحاتا فرنسيا ان يقوم بذلك العمل عينه . فيقوم الاثنان بمهمتهما خير قيام ويصنعان تمثالين يختلف أحدهما عن الآخر اختلافا كبيراً مع ان كلا منهما قد يكون آية من آيات الفن . ولو كان ذانك النحاتان من علماء الحساب وكلفتهما حل مسألة حسابية

لجاء حل كل منهما مماثلا للآخر مماثلة تامة . ذلك لان العلم يقوم على أسس ونواميس ثابتة لا يمكن مخالفتها . وأما الفن فرجعه الى الذوق والعواطف والمشاعر ، وهي عوامل تختلف باختلاف الاشخاص

وليس معنى ذلك ان الفن طليق من كل قيد لا قواعد له ولا روابط . والحق أن له منها الشيء الكثير . ولكن تلك القيود والروابط استبدادية مرجعها إلى الذوق والعرف . وكثيراً ما تؤثر فيها العوامل التاريخية والطبيعية والاقليمية والجوية وغيرها . وفي الحقيقة انك تستطيع ترويض الذوق وطبعه بطابع البيئة واخضاعه لشتى المؤثرات كالعادة مثلا . فقد يكره المرء المرأة النحيلة الجسم الزرقاء العينين الشقراء الشعر . فاذا أقام ببعض انحاء أوربا الشمالية اعتاد رؤية النساء اللواتي تكثر فيهن الاوصاف المذكورة فيراض ذوقه على استحسانهن ويصبح معجباً بالنحيلات الشقر ذوات العيون الزرق . وهذا دليل على أن الذوق يختلف باختلاف المكان والزمان . ولما كان هو (أي الذوق) مرجع الفن فان الفن أيضاً يختلف باختلاف المكان والزمان . وأما العلم — ونقصد العلم الصحيح لا النظريات العلمية غير الثابتة — فلا يختلف ولا تؤثر فيه الاعتبارات المكانية أو الزمانية لانه يقوم على نواميس الطبيعة . والنواميس الطبيعية ثابتة لا تتغير ولا تؤثر فيها البيئة أو خلافها

مصير الفن

قلنا فيما تقدم ان للفن أطواراً يتعاقب فيها ازدهاره وضعف شأنه ، وذهبنا إلى أن الفن لا يمكن أن ينقرض مهما أوغل الانسان في المادية ، وانصرف اليها . وفي الحقيقة انه مادام للانسان شعور وعواطف فسيظل الفن باقيا . فاذا قضي على الانسان بأن يموت شعوره وتزول عواطفه قضي على الفن بالاندثار . وفي هذه الحالة يصبح الانسان مخلوقاً ميكانيكياً أقرب إلى الآلة الصماء منه إلى المخلوق العاقل . واذا كانت هذه هي الخاتمة التي قدرها الله للبشر فهي خاتمة مفجعة ترجع بالعقل إلى أول أطوار النشوء

ومن حسن الطالع ان هذه الخاتمة بعيدة عما هو مقدر للانسان ، وان الانسان في أشد ساعات همجيته وتوحشه يحفظ للفن مقامه ويخضع لسلطانه . وفي التاريخ ان الغوغاء في أيام الثورة الفرنسية هاجموا جماعة من أعدائهم لجأوا إلى حديقة التويلري بباريس حيث تكثر التماثيل الفنية الجميلة واعتصم الفارون بتلك التماثيل فارتد عنهم الثائرون ولم يسوهم بأذى خيفة أن تصاب التماثيل بما يشوه جمالها . وهذا من أبلغ الأمثلة على مايكنه الانسان للفن من الاحترام حتى في أشد ساعات همجيته وجنونه . فكيف نخشى والحالة هذه على الفن من الاندثار ؟

نعم قد تقع ثورات يصاب بها الفن ببعض الاذى . ولكن بزرة الفن لا تموت وان اعتراها الضعف في بعض الحالات

سليم عبد الاحد

النساء جنس غير فنّى

قال روسو : « النساء على وجه العموم لا هوى لهن فى فن من الفنون ، ولم يعرف عنهن النبوغ فى أحدها ، وليست العبقرية من نصيبهن »

ويراهن كاتب هذه السطور على أنه ما من سيدة تأخذ عينها الحلوة كلمة « روسو » هـذه فى خطابه الى « دالمبرت » الا وتحملها على أنها لا شك بادرة عن حب لصاحبها مخيب مردود ، وأنها بداة من بدوات خاطره المعذب المرضوض ، فالرثاء لها أولى فى شرعة الحق من الاخذ بها . ولا عبرة طبعا إذا اتفقت فى هذا أقوال فلاسفة ومفكرين من طبقة روسو وشوبنهور وشامفور ولا شفوركولد ، فان السر فى عرف سيدتى هو هو لم يتغير . ولكن ما الحيلة وهذا الذى سبق به الفلاسفة والادباء قد جاء يقرره بعدهم السادة العلماء بطرائقهم القائمة على التحقيق العلمى والاحصاء بعيدة عن مظان المؤثرات الشخصية ؟ ومن هؤلاء الباحثين الاعلام من جابوا المجاهل وتقلبوا فى أجوازها يدرسون الانسان على فطرته الاولى.

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

ولقد كان مما شهدوه أن النساء يتولين الصناعات كافة وهى المبادىء الاولى لمعظم الفنون ، حتى إذا تجاوز الامر البسائط والاوليات أخذ الموقف يتغير ، فاذا بلغ الى الفنون فى مرتبتها المتنوعة المتميزة آذن الحال بالانتقال وتبدل الموقف غير الموقف فاذا هى منحصرة فى أيدى الرجال

ويضربون مثلا لذلك صناعة الفخار . وهى صناعة تترقى ـــ وصاحبها لا يكاد يشعر بها ـــ الى فن ، وهى فى بدايتها فى جميع انحاء الدنيا من اختصاص النساء ولم تبرح محتفظة بصفتها العملية النفعية ما بقيت فى أيديهن . ويروى بعض الباحثين فى طبائع البشر فى رحلة له باقليم جينيا من افريقيا ، كيف كانت دهشته لخلو الفخار هنالك من كل زخرفة ، ويعلل هذا التعطل من الزخرف فى صناعة الفخار بأنها موكولة الى النساء وهن فى العادة لا ينزعن بطبعهن كثيراً الى الفن . ولقد وجد عالمنا الرحالة حيثما ذهب فى أسفاره مصداق هذا الرأى القديم الحكيم فى بعد الطبيعة النسوية عن الفن . ومن الاصقاع التى ارتادها جزيرة « ببى ببى » وهى تصنع الفخار لجميع القرى المجاورة ، ومما يأثره عن زيارته لها أنه وهو ينظر الى النساء والفتيات يجبلن الصلصال ويسوينه،لحظ بينهن البعض وقد أنجزن نصيبهن والقوارير مكدسة أمامهن وما من حلية عليها ، فسألهن : لماذا لا يدخلن التحلية عليها ولديهن الفراغ من الوقت ؟ فكان جوابهن : « وما الفائدة ؟ هـذا شىء غير

ضرورى ، ولكن هذا ما كان بمانع لاثنين من الفتيان أن يجدا متعة فى أن يطبعا بأظافرهما وبطرف عصا ما يشبه الزخرفة على حافة بعض القوارير

وهذه المشاهدات عند الامم فى حال الفطرة تؤيدها مشاهدات مماثلة لها بين المتحضرين . فقد ثبت لعلماء التربية فى تجرباتهم واستقراءاتهم فى مكاتب التعليم ان اجادة الرسم عند البنات لاحقة بذكائهن العام فى سائر العلوم وليست استعداداً خاصاً . وأما فى البنين فهى استعداد وحده

واذا نحن ولينا وجوهنا شطر ملكة الفن الخالص كما تتجلى فى مراتب الثقافة العليا ألفينا الصدارة دائماً للرجال : فنصيب النساء فى تطور الموسيقى جد ضئيل . وهن بين الهمج والحضر فى جميع أنحاء المعمورة جد متوفرات على الموسيقى . ومع هذا كله فانهن فى الغالب الاعم عازفات . وأما منشئو الموسيقى فكلهم من الرجال . وقد يرد على الذاكرة بضعة أسماء قلائل من السيدات لهن مؤلفات موسيقية ، ولكنهن بعد لا ترتفع واحدة منهن فوق المستوى المتوسط . وهذا التقدير نفسه يدخله غير قليل من التجاوز والمحاباة لهن باعتبار أنهن سيدات ، والعجيب أن المطلبين اللذين هما أخص خصائص المرأة ، وأعنى بهما حبها الرجل وحنانها على الطفل ، لم يظفرا منها بصدى فى الموسيقى ! فليس من تنائية غرامية أو أغنية من أغاني المهد وضعتها امرأة فكانت من المأثورات الموسيقية التى لها قيمة فنية تجعلها نمطا فى ذاتها . وإن أشد الناس تشيعاً للمرأة لا يسعه الا التسليم بهذا القصور منها مع موالاة الظروف لها . وانما قصاراه ان يحسن لها التخلص والتماس المعاذير . وأبرع ما قيل فى تعليل ذلك ان الموسيقى بوصف أنها اسمى عبارة عن العواطف ، والمرأة بفطرتها عاطفية ، والعاطفة فيها طبيعية كالتنفس وجزء منها لا يتجزأ . فن ثمة لا يكون فى مقدورها التخلية عن هذه العاطفة موسيقيا . وبينما للرجل على عواطفه غلبة تمكنه من التعبير عنها خارج نفسه فان العواطف فى المرأة هى العنصر الغالب ، وما دامت كذلك فهى مستغرقة للموسيقى منطوية عليها

والموسيقى أقرب الفنون للعاطفة وأبعدها تجريداً معاً . فهى فيض نفسى يعالج معالجة الرياضيات ولها ميزانها وروابطها وضوابطها بحسب أحكام الايقاع وتركيب الالحان مع التزام تأديتها بالعلامات المرسومة المحتومة . وهذه لاشك عملية تقتضى من ثبات الجنان ورباطة الوجدان مالا يتهيأ لغير الرجل بطبعه الاصلب الاشد . ومما له دلالته فيما نحن بصدده ان الرجل اذا ما تعلم الموسيقى فانه لا يبرح يلتذها ، فى حين أن المرأة يبطل حبها للموسيقى مع علو السن . والسر فى ذلك ان وقعها عند المرأة وقع عاطفى وليس بالفنى

وننتقل الى المرأة فى الأدب . والادب فى معناه الشامل ديوان لشتى مظاهر الاستعداد النفسى والنزوع الفنى . ونذكر من مناحيه أربعة : المعقولات والتصوف والشعر والقصص

فأما المباحث العقلية فمقصورة على الرجال ، ولا تكاد تستبين اسم امرأة حتى بين المتخلفين من

طلاب هذه الدراسات . وذلك أن قوام عمل الفيلسوف النظرى هو إقامة عالم مثالى مفترض على أساس من كيانه النفسى الخاص ، فطلبه بين المطالب كافة أبعدها عروجاً بالعاطفة إلى أفق الفكر وأشدها تجريداً للمادة مما هو حسى وعملى . وهذا ينافى طبيعة المرأة

كذلك نعرف فى النساء شدة انجذابهن الى الدين ، ومع ذلك لم يؤثر عنهن تعبير بليغ عن التصوف الذى هو لباب الدين فى كل زمان ومكان . واذا اتفق بين النساء متصوفات مثل رابعة العدوية والقديسة تيريزا فان عنصر المرض العصبى فيهن يكون ظاهراً ظهوراً بيناً لاخلاف عليه . وهذى أمهات كتب العبادة التى كانت ولما تزل غذاء الآلاف المؤلفة من النفوس وكلها مرددة نفس المعانى مع بعض الخلاف فى العبارة ليس منها كتاب لامرأة وان تكن مقروءة من الجنسين

أما فى الشعر فنصيبهن أكثر بكثير منه فى التصوف والمباحث العقلية . وشعرهن عاطفى غنائى وهن لا يوفقن منه الا فى القصار من المقطوعات الشخصية المركزة . وأما فن الشعر المكين الذى يجمع بين عرام الاندفاع واطالة التفكير معاً فيندر جداً فيهن . ومن المتعذر أن يتوافر لهن الخيال والاسلوب وقوة الفن البنائى

وأخيراً يأتى القصص ، والنساء مشهود لهن فيه بمكانة أعلى علواً كبيراً من أن تقاس الى مكانتهن فى أى فن من فنون الادب الاخرى . وقد أخرج بعضهن روايات لها حظ من القوة والمزية الفنية . بل ان العصر الحديث ليفخر بأكثر من قاصة واحدة تقف بجدارة فى المقام الاول بين القصاصين . بيد أن القصص فى حده الخاص لايتطلب من المقتضيات الفنية الجدية بقدرما يتطلب الشعر . لأن القصص انما هو الا ترجمة للحياة مفرغة فى قالب من الاحسان والتجويد ، وله أن يجرى فى أى منحى من مناحى الحياة المتعرجة ، وأوجب ما يقتضيه القصص هو الادراك الوحى للطبع البشرى والحياة الاجتماعية ، وأن تكون ساحته ملونة بألوان عاطفية تتفاوت فى شدتها . وهذا الادراك المتنبه للظواهر الاجتماعية — أو بعبارة أخص للتفاعل بين الرجال والنساء الذى تقوم عليه القصة — أمر طبيعى فى النساء عامة لانهن من هذه الناحية أدنى اتصالاً بأمور الحياة فى المجتمع من الرجال . فضلا عن أنهن اكثر استيعاباً للتفاصيل الاجتماعية التى تقع تحت حسهن وأوعى ذكراً لها . وان النساء من أفقر الطبقات وأبعدها عن الثقافة لا سمر لهن الا القيل والقال عن علائق الاناث بالرجال وسرد الاقاصيص عما جرى لانفسهن أو حولهن بعد التزيد عليه والاضافة اليه . فليس إذاً بدعاً أن يكون بين ربات الثقافة من تشتهر بالابداع فى كتابة القصة . ولكن لا بد هنا أيضاً من استدراك وهو أن قصصاً كقصص فلوبير مثلا ترتفع الى مرتبة الشعر ليس للمرأة قبل بها لفرط ما تتطلبه من قوة فى الفن البنائى وعكفة على الاسلوب وكبحة للنفس

ونذكر بهذا السبيل تحرير الرسائل ، فان نجاح المرأة فيها عظيم اذ الشأن الاول هنا لخصائص المرأة كالترسل وقلة الاحتفال بالقالب والصراحة فى الامور الخاصة الشخصية . ومع هذا فانهن لم

ينشئن منها أدباً عالياً . وأشيع ما تعاطاه النساء من هذا الفن رسائل الحب فلهن فيها القدم السابقة والقدح المعلى . على أن النساء جميعهن فى هذه المقدرة سواسية . وان ألوف الرسائل المعطرة التى يتلقاها العشاق من عشيقاتهم فيودعونها أدراجهم زمناً ثم يسلمونها طعمة للنار لو أنها طبعت بدلا من ذلك لرأينا أن مدام دى سفينيى لها فى تحبير الرسائل منافسات كثيرات

إلا أن هناك فناً واحداً يمكن القول بأن النساء فيه لاينافسن الرجال فحسب بل يسبقنهم فى حقيقة الواقع ويبرزن عليهم ، وذلك فن التمثيل . فلا تذكر ممثلا كبيراً إلا ذكرت فى قبالته أكثر من ممثلة لا تقل عنه شهرة وقد تزيد . وليس يتعذر رد هذا النجاح الى أصله العضوى . فالعمليات الذهنية عادة أسرع عند النساء منها فى الرجال ، ولدبهن الانفجار العاطفى أظهر وأقرب تلبية . ثم ان ظروف النساء فى حياتهن الاجتماعية تحمل على اعتياد المرونة والملاءمة فى المسلك والتدرب على الاداء الصوتي للعواطف التى يشعرن بها او التى يعتبر من واجبهن الشعور بها . فالنساء بطبعهن وبحكم الاجتماع أدنى من الرجال الى موقف التمثيل . وقد يلحق بهذا أيضا أن النساء يحفزهن أكثر من الرجال مظاهر الاعجاب المباشر وتصفيق الاستحسان مما يحظى به التمثيل لاتصاله بشهوده السامعين

ولقد لحظ علماء التربية أن المطالعة من الدروس القلائل التى يظهر فيها تفوق البنات على البنين وأرجعوا الفضل الى سرعة ادراكهن لمعنى ما يقرأنه والى تمام الانسجام بين ذهنهن وبين الاداء بالصوت والملمحة والحركة . وحينما بذلت العناية لتصرفهن عن النزوع الى التكلف جاءت مطالعتهن كأحسن ما يشتهى المرء حسنا وتفننا وتعبيرا

فاجادة الالقاء فى الطبيعة النسوية منذ الصغر . وعلاقة هذه المزية الطبيعية بالتمثيل ظاهرة غنية عن البيان . كما أن هذا الذى ذكرناه عن التمثيل المسرحى ينسحب على الغناء والرقص

ونخلص مما تقدم جميعه أنه فيما عدا الفنون التمثيلية يعتبر حظ المرأة من النزعة الفنية ضئيلا خافتا قليل الذبوع وغير صادر عن طبع . وذلك الحكم ناصع واضح حيثما قلبنا الطرف . واذا كنا صعدناه حتى الآن الى الفنون الرفيعة فاننا نعود فنصوبه برهة الى ما هو أدنى . فنرى أن الطبخ عمل المرأة منذ القدم وفى جميع الامم ، فاذا ما ارتقى من صناعة الى فن انتقل هو أيضا الى أيدى الرجال . وحتى الجنون فانه ليكشف عن فقر المرأة فى الخيال ، فهذيانها دائما واهن مسف يدب على الارض فلا يعدو الزينة أو دعوى ميراث دفين . ولا يركب رأسها قط ما يتسلط على المجانين الذكور من تصورات العظمة الشخصية وما يدور بمخيلاتهم من السهادير الباذخة وشطط الاخيلة الرائعة . وقد بلغ من وفرة الادلة وقطعها فى انتفاء النزعة الفنية عن المرأة وثبوتها للرجل من دونها أن قرر أحد العلماء انها كاللحية سواء بسواء من علامات الذكورة خاصة

فالنساء على حد قول شوبنهور جنس غير فنى *

عبد الرحمن صدقى

* اعتمدنا الاعتماد كله فى هذا المقال على هافيلوك أليس

بين الفن والفلسفة

بقلم الاستاذ على أدهم

ليس الفن فى حاجة قاهرة الى الفلسفة لان سبيلهما مختلف ، والغاية التى يتوخيانها ليست حدة فالفن غرضه الجمال . والفلسفة غايتها الحق . والفنان بطبيعة عمله وموضوع رسالته غير نيلسوف . بل هو الى حد كبير نقيضه . والفلسفة قائمة على اصالة المنطق وسداد الفكر ونفاذ بصيرة . والفن أساسه غزارة الشعور وقوة المخيلة . والفلسفة قد تمد أفق الفنان وتوسع مدى رفته ولكنها تغريه بالتحليل والتعليل ، والاسراف فيهما يهيض خياله ويرين على فنه . فن مصلحة نان ألا ينغمس فى الفلسفة كل الانغماس . ولا يكثر من المغامرة فى تيارها الجارف ابقاء على ناوة فنه واحتفاظا ببساطته ، وليظل مستلهما وحى مشاعره مستجيباً الى صوت غرائزه . والفنان لم ان قوته الفنية نابعة مما وراء الوعى ، وهو لهذا فى الاغلب يجتوى الفلسفة ويسأم البحوث النظرية صرفة . ووكده ان يبحث عما يهز مشاعره ويثير خياله . والتجويد الفنى الطبيعى المرتجل خير من تجويد المقصود المتكلف . ولست أقول بمقاطعة الفنانين للفلسفة . بل انى حريص على ان أجاهد ت راية خصوم هذه الفكرة . لان تجاهل الفلسفة والتنكر لها يفضى بالفنان الى الاغراق فى عامية واسفاف الفكر وضيق المضطرب . والالمام بمذاهبها عماد الفنان يعينه فى السمو الى مراقى الفن . لكن العكوف على الاستقراء الفلسفى والتكثر من النظريات قد يكدر من صفاء الملكة الفنية يغض من روعة الخيال . وشعر أبى العلاء المعرى مثل بارز لما قد يجره طغيان الروح الفلسفية على لسليقة الفنية . ولا نزاع كذلك فى أن الفيلسوف الى حد ما فنان . لان تنسيق مذهب فلسفى تخطيط بنائه ، والملاءمة بين نواحيه المختلفة ، أطرافه المتشعبة ، يستلزم مقداراً غير يسير من ابراعة الفنية . ولكن قوة التفكير فى الفيلسوف وجه عام أقوى وأرجح من الملكة الفنية . وهذا يجمل بعض آراء الفلاسفة عن الفن مستهدفة للنقد عدم تأثل الروح الفنية فى طبائعهم . كما أن كتابة لفنانين عن الفن على ما قد تحوى من ملاحظات قيمة وخواطر سرية لا تشفى غلة

ان الفن يستدعي نظر الفلاسفة ويرغمهم على تقديره ، لمكانته من الحضارة ، ولأنه حركة هامة من حركات الروح وجهد ممتاز من جهودها . وهو يتطلب الدراسة والبحث من ناحيتين : ناحية الفنان ، وناحية الاتجاهات الفنية

الباحث لما يعتورها من نقص التحليل وضعف التخريج والاستنباط

وبحث العلاقة بين الفن والفلسفة يعني الفيلسوف أكثر مما يعني الفنان، لأنه داخل في دائرة اختصاصه . فان كل نظام فلسفي مطالب بتفسير كل حقيقة وأن يتسع لكل مظهر من مظاهر النشاط العقلي . ولعل هذا هو السبب في ان كثيراً من الفلاسفة قد أفسحوا للفن مكانا في فلسفتهم وخصوه بعناية ملحوظة في مباحثهم . وقد جعل ممثلو نهضة الفكر الالماني في أوائل القرن التاسع عشر كل من يطرق هذه المباحث مدينا لهم، وضيفاً على موائدهم الحافلة،ولا سيما كانت وهجل وشوبنهاور . واشتهر في العصر الحديث مذهب كروتشه ابعد فلاسفة ايطاليا المعاصرين شهرة ، وقد أثر مذهبه في الحياة الفكرية برغم ما وجه اليه من نقد

والفيلسوف يثير السؤال ويصف المشكل ، ويروقه ان يتعاون مع الفنان في استجلاء غوامض الفن والاهتداء الى أسراره . ومن الاعتبارات التي تجنح بالفيلسوف الى الوقوف على تاريخ الفن أنه في كل عصر من العصور ينعكس التصور السائد للحياة والدنيا في الانتاجات الفنية . فالفن اذاً من بعض الوجوه تعبير جميل عن فلسفة العصر

ولقد كان بعض الفلاسفة الالمان يرى أن الاستمتاع بالفن رياضة نفسية هامة . وأنه من أقوى وسائل التهذيب ، ومن أحسن الذرائع الى التوجيه العقلي والسمو الاخلاقي . وذلك لان تأمل الجمال يطامن من غلواء الحس ، ويجرده من الخشونة والجفوة ، ويعلمنا كيف نرقب الاشياء رقابة تأملية هادئة دون ان تمتلئ بنفوسنا حرارة الرغبات . وهذا يطلق النفس من أسر المطالب والالبانات ويجعلها قابلة لادراك القيم السامية قيم الحق والخير

وكل متحضر مثقف لا يكتفي بمشاهدة الحقائق . سواء في العالم المادي المنظور أو في عالم الوعي المحجب . ووفقاً لذلك نشأت من ناحية العلوم الطبيعية . ومن ناحية أخرى نشأت مذاهب الاخلاق والسلوك والآراء الدينية ونظريات الفن والجمال . والباعث اليها جميعها تلك الضرورة الملحة التي ترغمنا على تفهم الحوادث ودراسة حركات الوعي . وقد تروع الباحث كثرة مذاهب الفلاسفة في الفن والجمال ، ويرى في عدم انتهائها الى نتيجة حاسمة دليلا على قلة جدواها . ولكنه يندر أن يستعرض مفكر تلك الفلسفات ولا يقدر مابها من خواطر مضيئة ، وأفكار لامعة . وقد لايخلو من صواب قول ولتربات: « قيمة فلسفة الفنون كانت في الغالب في الافكار الموحية النافذة التي وردت خلالها عرضاً ، وليست فلسفة الفن سياحة جميلة في أقطار مطروقة وبلاد مأهولة . وانما هي أشبه برحلة استكشاف يرود فيها الباحثون مجاهل خفية وأقاليم غير معروفة . والتفكير الفلسفي لا يرمي من وراء ذلك الى تحسين الفن وخلق مقاييس له واقامة حواجز تحد من حريته . وانما غرضه اجادة التفكير في الانتاجات الفنية ، والوقوف على سر الاعجاب بها والاحساس بجمالها . وربما كانت

هذه المحاولة النزيهة أنفس نتائجه وأشهى ثمراته . والذى يقبل على الفلسفة وفى حسبانه انها ستقدم اليه المفتاح لكل مستغلق من الامور ، وتلقنه كلمة السر التى يعلم بها خبيئة كل مجهول ، لاشك أنه واقع تحت تأثير وهم باذخ سرعان ما تنجلى عنه غشاوته ويستفيق من تأثيره عند مواجهتها ومعالجة مشكلاتها

وقد أصبحت الآن مناطق العلوم بارزة المعالم . والفلسفة تتناول المسائل التى يتركها كل علم . وهذا يضفى على الفلسفة أهمية خاصة وينزلها منزلة سامية ويفرض عليها واجباً خطيراً . وهى تستمد أهميتها من مختلف العلوم وتستورد منها الحقائق المقررة والمعلومات الممحصة لتستعين بها فى ابنيتها الفكرية وتكوين نظرياتها . فهى الى حد ما تعيش عالة على العلوم وان كانت لها وظيفتها الشاقة المستقلة . وتاريخها أبعد اغراقا فى القدم من تاريخ العلوم وان لم يكن أقدم من تاريخ الفنون

واتجاه الفلسفة الى معالجة المسائل الخاصة بطبيعة الجمال والفن كان باعثه فى بعض الاوقات ارتباطها بمسائل ما وراء الطبيعة . وفى أوقات أخرى ما كان يلاحظ من تأثير الذوق الفنى فى حياة الفرد وتقدم الحضارة . وقد كثر الالتفات اليها منذ منتصف القرن الثامن عشر . وذلك ان بومجارتن ـ أحد تلامذة الفيلسوف كريستان ولف ـ لحظ وجود ثغرة فى نظام العلوم السائدة ، فقد كانت جميع العلوم النظرية يتقدمها بحث ضاف عن استعمال العقل فى ضروب المعرفة العلمية وكان يطلق على هذا البحث اسم المنطق . ولكن الى جانب هذه المعرفة السامية القائمة على الفهم والنظر فان للانسان ملكة أقل شأناً وأدنى منزلا وهى الادراك الحسى . وهذه الملكة هى التى تجتلب الحقائق اللازمة لفرع آخر من فروع العلوم وهى العلوم التى قوامها التجربة . فمن الواجب اذاً محافظة على الانسجام والتنسيق الفلسفى أن يسبق البحث فى هذه العلوم التجريبية فحص محكم دقيق لهذه الملكة . وحاول بومجارتن ان يتعهد هذا العلم ويكفله وينشئه أخاً صغيراً للمنطق . وقد استرشد فى ذلك بآراء الفيلسوف ليبنتز لانه كان يرى أن الجمال هو كمال التصوير الحسى كما ان الحق هو كمال التفكير النظرى . على ان هذا العلم الذى حاطه بومجارتن بعنايته لم يقتصر على مسألة الادراك الحسى بل أصبح شاملا لنظرية الجمال والاستمتاع به . ومن ثم اكتسبت كلمة aesthetics المعنى الذى يلابسها الآن فى الفلسفة

وأهم ما يشغل الفلاسفه ويستغرق أكثر جهدهم فى المسائل المتعلقة بالفنون هو البحث عن حقيقة الجمال سواء فى الفن أو الطبيعة والاهتداء الى تعريف له ، والبحث عن الصلة بين الجمال الذى يطالعنا عند مشاهدة صورة جميلة أو رؤية بناء أنيق البنيان أو منظر طبيعى فاتن ، والجمال الذى ندركه عند سماعنا منظومة من الشعر الجيد أو قطعة من الموسيقى الشجية . وهل هناك شىء واحد يبدو من وراء الالوان والخطوط والالفاظ والاصوات ؟ وهل الجمال كامن فى الاشياء أو أنه متوقف

على شعورنا ازاءها ؟ وليس غرض الفلسفة تمييز معالم الجمال وتعيين مواقعه، وانما غرضها اشمل من ذلك وهو تحليل صفة الجمال ذاته ما استطاعت الى ذلك سبيلا . ويرى البعض ان الجمال غير قابل للتحليل وأنه صفة ملازمة للاشياء الجميلة لا يسبر عمقها ولا يدرك مداها . والذى يجمل قيمة لمثل هذا الرأى هو أن بعض الحقائق العلمية أو التاريخية قد تكون من التعقيد والغموض بحيث تتشعب فيها الآراء ويطول حولها الجدل. وعند ما تتوافر المعلومات تتقارب وجهات النظر ويبطل الخلاف. ولكننا نحار كيف نثبت لانسان جمال الزهرة ونقنعه بروعة النجوم . وبرغم ذلك فاننا نعتقد أنه لا بد أن يكون هناك فيصل بين الحق والباطل فى هذه المسائل . والفلسفة لا تكتفى بارجاع الأمر الى الذوق وانما تحاول ان تعلل وتفسر

وهناك عوامل مختلفة تتدخل فى تقديرنا للجمال وتأثرنا به مثل الألفة . وصورة العذراء تحمل طفلها قد لا يكون تأثيرها فى نفس البوذى معادلا لتأثيرها فى نفس المسيحى . وبعض الصور القديمة تستهوى فريقاً من الناس لقدم موضوعها وتصرم عهدها . وقد يتباين تقدير سكان الشمال حيث يكثر الغيم والضباب لتوزيع الضوء فى صورة من الصور، عن تقدير سكان المناطق الحارة حيث الضوء شديد السطوع والشمس جلواء الطلعة . وقد نفهم مغزى الشعر فى لغة غير لغتنا ولكنه لا يؤثر فى نفوسنا التأثير البالغ الذى يحدثه الشعر باللغة التى تلقيناها منذ نعومة الاظفار ، حيث يكون لكل لفظة سحر خاص يلازمها وذكريات تزدحم حولها . ويتفاوت احساس ساكنى المدن وساكنى القرى بالجمال كما يختلف تقدير الشيخ والشاب والعالم والجاهل . ولتداعى الافكار تأثير ملحوظ فى تقدير الجمال . لاننا مثلا فى العصور الحديثة نستريح إلى رؤية الجبال الشاهقة والاراضى الجرداء المنبسطة لانها تنسينا أثقال الحياة الراهنة ومتاعب العمل المرهق فى المدن . ولكن شعور أسلافنا نحوها كان يختلف عن ذلك . فقد كانت توحى اليهم الخوف والرهبة لتعرضهم فيها لضوارى الوحوش وفتك اللصوص ومعاناة آلام السغب والظمأ . وكما تختلف الاشخاص والامم فى تقدير الجمال كذلك تختلف العصور المتتابعة والحضارات المنوعة

والبحث عن الجميل يستدعى بحث علاقته بالحق والخير . والفلسفة الحديثة تعتبر الجمال والحق والخير أسمى القيم . وهذا بطبيعة الحال يؤدى إلى بحث الدور الذى تلعبه فى الحياة هذه القيم الثلاث، وهل هى صفات فذة لا نستطيع جلاء غامضها ومعرفة مصدرها أو هى صفات لها نشأتها وتاريخها ؟ وهل هى موجودة بقدرة خالق الكون الذى تحدثنا عنه الاديان المختلفة أو هى كما تقول الفلسفة الطبيعية من أنتاجات الطبيعة فى تطوراتها المتلاحقة ؟

وعلم النفس ولو أنه استقل الآن عن الفلسفة ما يزال وثيق العلاقة بها . وبعض المسائل التى يتناولها لا تزال شغل الفلاسفة الشاغل . ومن بين هذه المسائل كيفية انجاز الخلق الفنى واخراجه إلى

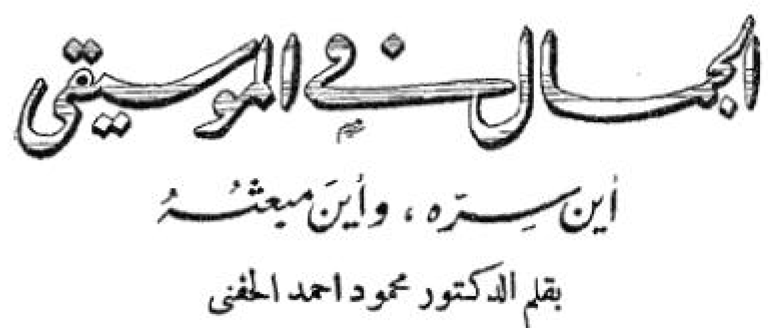
عالم الموجودات ، ووصف الحالة التى تطرأ على الفنان اثناء الخلق والابداع . وهل ترتسم فى عقله صورة واضحة تامة لما يحاول خلقه سواء أكان صورة أم قصيدة ؟ وهل هو يستسلم وينقاد للانفعال الذى يستحدثه الموضوع الذى يصوره أو الحادثة التى يرويها فى الشعر أو النثر أو المنظر الطبيعى الذى يراه ؟ وما هو نصيب الفكر ونصيب الاحساس فى ذلك ؟ وما هو الالهام ؟ وهل هناك اوقات يتمتع فيها عمل العاطفة ويتجه فيها التفات الفنان إلى تكميل التعبير وصقله على ضوء تجاربه المكتسبة ومعلوماته المدخرة وما أفادته طرف الفن وخوالد آياته ؟ وما هو نوع الخيالات التى تبرق فى ذهنه خلال اقباله على عمله ؟ وهل هى مشابهة للصور التى تبتعثها الذاكرة أو هل لها قوة المدركات بالحواس أو هى اشبه باحلام اليقظة ؟ وهل يحس نفسه منفصلا عن الصورة التى يرسمها أويظن نفسه قدغاب فى أثنائها وامتزج كيانه بكيانها ؟ والفنان فى نوبة اهتياجه وأزمة حماسته تتقاذفه دوافع مختلفة بعضها مشعور به وبعضها لا يتعلق به الوعى . وهذه الدوافع يعمل على استكشافها علم النفس التحليلى ويبدو طرف منها فى الاحلام . وعلاقة الفن بالاحلام والاساطير اصبحت الآن من المسائل البارزة فى علم النفس الحديث

وموجز القول ان الفن يسترعى نظر الفلاسفة ويرغمهم على تقديره لمكانته من الحضارة ولانه حركة هامة من حركات الروح وجهد ممتاز من جهودها . وهو يتطلب الدراسة والبحث من ناحيتين: ناحية الفنان والعوامل المختلفة التى تعمل فى نفسه . وذلك لتقدير الدوافع والافكار المسيطرة عليه والتى توحى اليه . وفى هذه الدراسة تعتمد الفلسفة على علم النفس . وناحية بحث الانتاجات الفنية ذاتها وهى دراسة تتصل بالتاريخ والاجتماع . وفى كلتا الناحيتين تعنى الفلسفة بالوقوف على مايسطره نقاد الفن وما يكتبه الفنانون عن عملهم . وفلسفة الفن يلتقى فيها تفكير الفيلسوف بمعلومات الناقد الفنى وتجربة الفنان ولكل منهم مزايا يندر أن تجتمع فى شخص واحد كما اجتمعت فى الفيلسوف الفنان أفلاطون . ومهما تكن قيمة هذه الدراسة فهى لا ريب تقيل من عثرات الذوق وتقلل من فوضاه وتكشف لنا عن بعض اسرار الجمال وتزيدنا عمقا فى الفهم وقدرة على التقدير . وهى لا توجد الا حيث تزهر الحضارة ويسمو الفكر *

علي ادهم



* اهم المصادر التي رجعت اليها عند كتابة هذا المقال هى كتب كارت وصمويل اسكندر ووندلباند وستيس وغيرهم



بقلم الدكتور محمود احمد الحفنى

مفتش الموسيقى بوزارة المعارف

الجمال فى الفن الموسيقى معناه الشعور بالموسيقى والاحساس بها ، وهو جزء من الجمال العام ، ويعنى فلسفة الفن ، ويبحث فيه من حيث قوة تأثيره فى النفس ، ومحاولة تقصى الجمال الموسيقى وموضع اللذاذة بالسماع . وموقع ذلك من قوانين اللحن والايقاع ، وسر إيقاظ الموسيقى لقوى النفس ، وتحريكها للشعور الانسانى والتأثير فيه بتربية الذوق السليم ، والهداية إلى الفضيلة

من هذا يتضح ان الجمال فى الفن الموسيقى ليس مصدره قواعدها الموضوعة وأصولها من العلوم النظرية وعلم صياغة الالحان والانسجام الصوتى ، ولا هو علم الصوت وفسيولوجية حاسة السمع ، ولا غير ذلك مما له اتصال بالموسيقى العملية . انما الجمال فى الموسيقى ، كما فى بقية الفنون الجميلة ، موطنه النفس ، ونوازع الروح وأداته التجارب المتصلة بهذه الناحية

وبدهى ، بعد الذى تقدم ، ان دراسة الجمال فى الموسيقى لا تتأتى الا لمن نضجت ثقافته الفنية ، وتمت له دراسة الموسيقى علميا وعمليا

• • •

وللفلسفة مذهبان مختلفان فى الجمال فى الموسيقى : مذهب الشكل ومذهب المعنى

فالاول يعود بالجمال فى الموسيقى الى « الشكل » ، ويقول ان أساس هذا الجمال راجع الى تنسيق التراكيب المؤلفة منها . وما التأثير الذى تبلغه الموسيقى من المشاعر الا أثر من آثار حبك هذا التنسيق وقوة انسجامه ، كالبناء الجميل أو الوجه الحسن ، تسر العين رؤيته وتسحر النفس بهجته . فالتناسق ، فى رأى هذا المذهب ، هو أساس الجمال

أما المذهب الثانى (مذهب المعنى) فهو على النقيض من هذا المذهب الأول ، اذ لا يعترف بأن التراكيب الموسيقية هى سر الجمال فى الموسيقى ، ولا هى منشأ التأثير الذى تبعثه فى النفوس . وما هذه التراكيب وتنسيقها الا وعاء يكمن فيه الجمال

ومن رأى هذا المذهب ان الموسيقى لغة ، لا كبقية اللغات تؤدى الالفاظ والتراكيب

معانيها ، انما الموسيقى لغة مستقلة لا حجاب بينها وبين النفس ، تتصل بها بدون أداة ولا واسطة

ويتهم أنصار هذا المذهب أهل المذهب الأول بأنهم يعنون بالقشور دون اللباب ، ويقولون اذا كان الجمال فى الموسيقى مصدره التناسق فى التراكيب وحسن السبك ، فلماذا اذاً تمتاز موسيقى عبقرى كبيتهوفن أو موزار عن موسيقى غيرهما ممن يفوقهما فى حبك التراكيب وتنسيقها ؟

وآية أخرى لأصحاب هذا المذهب يدعمون بها رأيهم ، تلك هى التاريخ الموسيقى ذاته ، إذ يقولون انه ما من عصر بلغت فيه الموسيقى أوجها إلا كان اهتمام اهل هذا الزمان « بالمعنى » اكبر من اهتمامهم « بالتراكيب » . وهذه حقيقة ينطق بها التاريخ فى جميع مراحله . فهناك اليونان الأقدمون عرفوا ما يسمونه « إيتوس Ethos » وهو أن للموسيقى قوة تعبيرية كامنة تؤثر فى قوى النفس وطبائع الأنسان تأثيراً شديداً ، ومن أجل ذلك نصحوا بلزومها فى تربية النشء وتهذيبهم ، وبناء الدولة وقيام أركانها . وممن حمل علم هذا الرأى أفلاطون وأرسطو . وعصر ذهبي آخر فى التاريخ الموسيقى الحديث يستشهدون به على صدق فلسفتهم ، ذلك هو القرن السابع عشر والثامن عشر ، فقد تجلت فيهما موسيقى الاعلام باخ وهندل وموزار وبيتهوفن ، وهو العصر المسمى بعصر الكلاسيك

أما المذهب الأول ، القائل بتناسق الشكل وحسن التراكيب ، فقد بلغ شأوه فى القرن التاسع عشر ، وكان من أهم أنصاره « هومل Hummel » و « شرنى Czerny » و « هرتز Herz » وقد كان « التركيب الموسيقى » أظهر ما فى الموسيقى فى ذلك العصر ، حتى قال ادورد هانزلك « Edward Hanslik » النمسوى ، وهو أشد أنصار هذا المذهب ، قولته المأثورة : « جمال الموسيقى فى التراكيب التى نحس لها نغما »

وقد أفل نجم هذا المذهب وانتصر العصر الحديث للمذهب الثانى « مذهب المعنى »

ولقد خرج عصرنا الحاضر من المذهبين بمذهب جديد ، هو مزاج من المذهبين معاً ، وجعلهما مذهباً ثالثا ، ومؤداه ان الجمال فى الموسيقى مبعثه التوازن بين القوتين : « قوة التركيب » و « قوة المعنى » . وهذا المذهب الجديد طريقه علم الجمال النفسى « الجمال البسيكولوجى » ويبحث فى ماهية النفس البشرية وما يتصل بها من التفكير والشعور والارادة

وان عملية سماع الانسان للموسيقى ، وان كانت عملية « طبيعية » بحتة ، يقوم بها الجهاز السمعى إلا أنها مرتبطة ارتباطاً مباشراً بعملية أخرى « نفسية » . وهذه العملية الاخيرة هى التى تخص الجمال فى الموسيقى . وأما العملية الاولى فهي تابعة وخادم لها فحسب

ولقد تقدم علم النفس المنطقي فى الخمسين سنة الاخيرة تقدماً عظيما كان من أثره تقدم البحث

الخاص بالجمال فى الموسيقي . وكان من نتائج هذه البحوث اثبات ان جمال التراكيب وحسن الشكل ليست إلا عناصر جيدة من العناصر الواجب توافرها للجمال فى الموسيقى

وبهذا يمكن أن نستخلص فى كلمة ختامية أن « العملية النفسية » فى سماع الموسيقى هى بعينها « لذة السماع » وهي « الجمال فى الموسيقي » وانها ترتكز على « عملية طبيعية » تقوم بها حاسة السمع وتتصل بها العملية النفسية اتصالا وثيقا . وهاتان العمليتان وحدهما العلم الحديث لجعلهما أساسا لما يسمونه « بسيكو فيزيك »

دكتور محمود احمد الحفنى

آلهة الجمال

تخيل القدماء لكثير من قوى الطبيعة ومثلها العليا آلهة . فكان عندهم إله للحرب ، واله للفنون ، واله للخير واله للشر ، وهلم جرا . وقد اتخذوا آلهة للجمال سموها باسماء مختلفة . فعند اليونان إلاهة الجمال تدعى « افروديت » وهى ابنة رب الارباب « زيوس » من زوجته الاولى التى كانت أول إلاهة جلست على عرش السماء

وإلاهة الجمال عند الفينيقيين هى « عشتروت »

وتسمى إلاهة الجمال عند البابليين « استر » . وهى زوجة الملك ميروداخ وكانت اجمل نساء زمانها فعبدها البابليون على اعتبار أنها الاهة الجمال والحب وزعموا أن النهار يضحك فى وجهها . والليل يرخي ستاره على شعرها

أما الرومان فالاهة الجمال عندهم « فينوس » وقد زعموا أنهم متسلسلون منها لان جدهم « انيس » هو ابن فينوس من زوجها « انشيسيس » أحد أبطال حرب طروادة

أما عند المصريين فاله الجمال « اوزيريس » والاهة الجمال زوجته «ايزيس» . وهى تمثل الانوثة الصالحة الفاضلة . وتروى الاسطورة القديمة أن «ست» اله الظلام اغتال « اوزيريس » ورمى جثته عند شاطىء البحر . فبحثت ايزيس عنه حتى وجدته ملقى بالقرب من « بيبلوس » فوضعته فى تابوت . فاخرجه ست من التابوت وقطعه أربع عشرة قطعة . ونثرها فى أنحاء مصر . فصارت ايزيس كلما عثرت على قطعة دفنتها وأقامت فوقها معبداً

التعبير الفنى

بين قدرة الفن وإبداع الفنان

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

قضيت طوال ليلة أمس أتأمل مجموعة من روائع صور عصر النهضة ، وأفاضل وأوازن بينها وبين مجموعة أخرى من بدائع الفن الحديث

وليس من شأنى أن أتحدث الى القارىء عن الفوارق الفنية التى تفصل بين تصوير وتصوير وتميز بين مدرسة ومدرسة . فهذا من شأن مصور خبير أو ناقد إخصائى أعلم بأسرار هذا الفن منى

لقد اكتفيت بالاحساس والاعجاب ، واسترشدت بقسطى من الثقافة فى فهم ما أتأمل ، ورحت أفكر فى الفن عامة من حيث هو جوهر مشترك انسانى . واليك بعض ما توارد على ذهنى من خواطر :

* * *

ما الفن إلا قوة التعبير عما يكمن خلف المرئيات من جمال أبدى وحقائق خالدة

ما الفن إلا قوة التعبير عن ضمير المادة وروح الاشكال وسر التقاسيم والأوضاع

ولكى يستطيع الفنان أن يذهب فى هذا التعبير الى حده الاكمل ، يجب أن يحذق دراسة نفسه أولا ، وملاحظة العالم الظاهرى ثانيا ، والاندماج فيما وراء هذا العالم الظاهرى ثالثاً

يجب أن يعرف كيف يكتشف شخصيته ويستجلى بواطنها ويرقب انفعالاتها وميولها ويحس مافيها من فتنة الغرابة والاستقلال أوفى شعور وأبلغه

ثم يجب أن تكون نفسه من الخصوبة والرحابة بحيث تتضع وتتضاءل وتشعر بنفوس الناس جميعاً وألوان وأشكال الكون جميعاً ، كى تحبها وتفهمها وتحاول التعبير عنها جميعا

* * *

الفن هو خلاص النفس البشرية من لعنة الارض !

هو صرخة الفرح الانسانى منتصراً على الألم والقبح !

هو الفرار من سجن « المحدود » الى فسحات غير المحدود !

هو تحقيق ذلك المثل الأعلى من الجمال والصفاء والسعادة الذى لا ينفك يلازم كل فرد منا ويقض مضجعه وينزع به الى حياة علوية مليئة لا تسمح بها الحياة العادية إلا نادراً !

فالفنان يخلق العمل الفنى لى ينفس عن صدره و ينقذ شخصيته و يفر من متاعب هذه الدنيا ويضيف الى عالمنا الناقص عالماً أ كمل منه وأجمل !

الفنان يخلق العمل الفنى ليطلق خصائصه النفسية من عقالها ويفكها من إسارالاوضاع والتقاليد الاجتماعية ويتجه بها نحو الحرية فى فهم الحياة والنظر اليها والاحساس بها كما هيأتها الطبيعة فى ظلمات الغريزة وأعماق الفطرة

وليس الغرض من الجمال وإبداعه هو الحرية فقط بل الكمال أيضاً ، الكمال الروحانى عن طريق الحرية . تحقيق ذلك المثل الاعلى من الصفاء والسعادةعن طريق الحرية . ذلك المثل الاعلى الذى ينشده الفن كما ينشده الدين . ويلتقى فى محرابه الخالد الفنان بالقديس !

° ° °

الفنان رجل محكوم بغريزته وخياله وإلهامه أى بعواطفه المضطربة المستبدة الطاغية

هذه العواطف هى التى تقوده وتسيره وهو يبدع العمل الفنى . بل هى نفسها التى يرغب فى تسجيلها فى العمل الفنى . ولكن العمل الفنى ذاته لا ينهض إلا على كبح هذه العواطف والتضييق عليها وحصرها فى إطار معين وتخير الصالح القوى المعبر منها وتنظيمه وترتيبه وصقله

وهذا هو عمل الارادة أى عمل العقل . فالفنان الصحيح هو الذى يسيطر بعقله على عواطفه كما يسيطر الفرد الممتاز بعقله على شهواته وغرائزه . أو كما تسيطر القوى الخالقة العليا على مختلف عناصر الطبيعة

ولذلك شبهوا الفنان العظيم بها وسموه خالقاً !

ويجب ان نلاحظ ان ليس الغرض المباشر من الفن هو تصوير العاطفة . اذ القيام بهـــذا الجهد فى الواقع ضرب من المحال . وما من انسان ، كائنة ما كانت عبقريته ، يستطيع رسم عاطفة من العواطف كما أحس بها وكما اختلجت فى صميم نفسه

واذن فغرض الفن هو تصوير العاطفة راضها العقل وأخضعها وأسبغ عليها حلة رائعة من جمال التناسب والنظام

وهذا هو السر فى ان جميع الأعمال الفنية الجديرة بهذا الاسم توحى الينا وتغرينا بفضيلتين عظيمتين هما :

« الشعور بالقدرة البشرية » و « الاحساس العميق بالصفاء والسلام » أى الشعور بالقدرة البشرية على اخضاع الجزء العاطفى المشوش المضطرب فينا ، توصلا إلى إقرار الصفاء والسلام والنظام فى نفوسنا

وقدما كان أرسطو يقول : « إن فن التراجيديا وهو يصور عواطفنا وميولنا تصويراً يسوده

عقل الفنان المنظم ، يتغلب على تلك العواطف والميول ، وبالتالى يعلمنا نحن أيضاً كيف تتغلب عليها فى حياتنا الخاصة وتتحرر منها ! »

* * *

ان فن الموسيقى نفسه ـ وأقصد هنا الموسيقى الغربية ـ لا يثير فى قلوبنا شتى الأهواء والعواطف ولا يحاول التعبير عن هذه العواطف فى عصفها وزئيرها وفوضاها إلا وهو يخضعها لقانون المزج والتوقيع والتساوق والانسجام اخضاعا رياضياً محضاً أساسه الارادة والعقل

وما فن النحت ؟

هو فن الجمود الرائع . فن التجرد من سلطان الزمن وسلطان الحركة . ولكن هذا الجمود المشاهد فى التماثيل الخالدة هو أرقى وأسمى من الحركة

لماذا ؟

لأنه مجموعة من الحركات أى من العواطف والميول الجائشة المصطخبة . عرف الفنان كيف يكبحها بارادته وعقله ويسودها ويخضعها ويضمها جميعاً فى وضع أبدى واحد ، فى تمثال واحد يشعرك عند ما تتأمله انه متأهب للقيام بأوضاع مختلفة وان فيه عواطف وأهواء وتعبيرات مختلفة ، وان الحركة مضطرمة بين تقاسيمه وان لاح للناظر العادى كتلة هامدة من الاحجار !

فالفن إذاً هو القدرة على السيادة . السيادة على النفس وعلى الطبيعة

ولذلك يعتبر الفنان العظيم أقوى الناس أعصاباً وأشدهم صبراً وأمضاهم عزيمة وأصلبهم إرادة بل يعتبر ـ كما يقول نيتشه ـ المخلوق الوحيد الذى يمثل فضائل العنصر الارستقراطى الصحيح أتم تمثيل وأبلغه !

ابراهيم المصرى

---

* اللهم ضع الجمال فى نفسى

* جمال بلا فضيلة كزهرة بلا رائحة

« سقراط »

مولد الممثل

أسطورة خيالية

بقلم الاستاذ خليل تقي الدين

حدث ذلك منذ آلاف السنين ، إذ كان أبناء الفن يعدون العدة للظهور في الناس

فالمصور خال إلى ألوانه ولوحاته ، وبين أنامله ريشة عذراء ، وفي رأسه صورة لم تولد بعد ولكنها اكتملت في خياله على أتم ما يكون

والنحات يشحذ أزميله ومنقاشه ، وتحت قدميه حجر أعمل فيه زنده ليخرجه في الغد فتنة للناظرين

والشاعر مستسلم الى أحلامه ، يتغنى بنشيد هوى ، ويترنم بقصيدة غير منظومة سرت فيها نفحة الالهام

والموسيقى يشد أوتار قيثارته وقد ضمها إلى صدره كما يضم العاشق رأس حبيبته المعبودة

والكاتب يداعب أقلامه وأوراقه ، وقد اختمرت في رأسه الفكرة ، حتى إذا ألقاها على الناس ذهبت فيهم مذهب الأمثال

وكان لهؤلاء الملهمين إله يهيمن عليهم ويبعث اليهم بشياطين الوحي تملي عليهم ما تشاء من بدائع الفن الخالدات

إله جبار ، يرسلهم في الناس قادة ومبشرين ، فاذا خانوا رسالته أطفأهم كما تطفىء نفحة الريح المصباح المنير

وفي يوم مشرق من أيام الربيع سمع من جانب السماء صوت هائل ، أين منه قصف الرعود ، واسودّ وجه الأرض ، وأظلمت الدنيا كأنما الشمس غارت في البحر أو أطفىء شعاعها بنفخة مارد من مردة الجن ، وتجمدت الأنهار والجداول والينابيع ، واستبدلت من خريرها العذب سكوناً موحشاً كسكون القبور ، وهبت على الأرض ريح صرصر تقتلع

الأشجار ، وتدك الجبال ، وتهوى بالمنازل الشامخة ، وخرست الطيور الصداحة ، وخرجت الضوارى من مكامنها ولها زئير ترتج له الأرض ارتجاجاً ، فشعر العباقرة أن الاله غضبان ، وتنادوا : إلى عبقر ، مهد الملهمين

فحمل المصور ريشته وألوانه ولوحاته

ونفض النحات يده من تراب الحجر المنحوت

وأجفل الشاعر وخلى عنه أحلامه وخيالاته

وتأبط الموسيقى قيثارته المشدودة

وجمع الكاتب أقلامه وأوراقه

وطار أبناء الفن جميعاً إلى حيث يلاقون إلههم الغاضب . وتساءلوا : أي ذنب جنوه ؟ . وظلوا حيارى لا يعرفون !

قال المصور : طفت في الحقول والرياض ، فأخذت من الورد ، والخزامى ، والنرجس ، والياسمين ، والاقحوان ، والشقيق والفل الوانها ، ورفرفت فوق الافق فنزعت عنه ثوب الشفق الأحمر ، وصعدت الى السماء فأعارتنى زرقتها المتموجة ، وأخرجت من ذلك كله صورة للاله لم يحلم بها الاولون ولا الآخرون ؟ . . فلماذا غضب الاله ؟

وقال النحات : أما أنا فقد شرعت في إقامة تمثال لالهنا لو رامته نسور السماء لارتدت عنه لاهثة خائرة ، تمثال جبار لاله جبار ، أليس في ذلك مايرضيه ، فكيف يغضب ياترى ؟

وأغمض الشاعر عينيه وقال ـ كأنه يتمتم في حلم : وأنا أيضاً قد وفيت حق الاله من التكريم ، فقد جاءنى شيطانى الليلة وانا أحسن ما أكون استعداداً له ، فراح يملى وانا اكتب ، وظل يزقنى الشعر كما يزق الطير فراخه ، حتى أتممت قصيدة ستتناقلها الاجيال جيلاً بعد جيل ، لكلماتها في الاذن وقع حلو عذب كترجيع المزار ، ورنين كرنين الناي والعود ، ترى أيغضب الاله منى وانا قطعة من قلبه وخيالى ذرة من خياله ؟

وقال الموسيقى : أأنا مغضب الإله إذن ؟ بالأمس اسمعتنى أذنى الحساسة احلى اناشيد الطبيعة فوعيت هديل الحمام وتغريد العنادل ، وزقزقة الحسون ، وحفيف الشجر ، وخرير الجداول ، واطلعت منها لحنا خالداً خلود هذه الصوادح ، وقدمته هدية حقيرة للاله الجبار

لكن الكاتب قال : ليس الاله غاضباً غير انه سيتحف الارض بخالد جديد ،

يخرجه من احشائه . وما قصف الرعود ، واسوداد الدنيا ، وهبوب العاصفة،سوى مظهر من مظاهر ولادته ، فنحن الخالدين لا نولد كما يولد جميع الناس ، بل تشعر بعظمتنا الدنيا من يوم يقذف الله بنا إلى الارض فيمتاز مولدنا بثورة من ثورات الطبيعة

وفي إغماضة ، اشرقت الشمس وعادت الطيور إلى تغريدها ، واستأنفت الجداول والانهار والينابيع جريها ، ولامست الارض غنيمة كبيرة بيضاء هبط فيها إله العباقرة حاملاً بين يديه مولوداً جديداً من مواليد الفن

وكما يسمع النائم في الحلم ، سمع الملهمون إلههم يقول :

— لقد خلقت لكم رفيقاً جديداً وحملته رسالة إلى الناس . واقمت له منبرا في الارض لا تتحطم خشباته ، وجعلت الدمعة في عينيه طائعة يستطيع ان يذرفها ساعة يشاء، وهو كلما ذرفها ابكى الناس

لقد اعطيته صوت الخطيب وطلاقة لسانه ، ومنحته القدرة على ان يجمع في شخصه جميع الناس في شتى حالاتهم . فهو من على منبره يريهم من نفسه غير ما فيها — يريهم اللؤم والخسة وهو كبير النفس نبيل ، ويريهم الجبن وهو جريء

يجسم لهم نقائصهم ونواحي الضعف فيهم فيصعقون ، ويسخر منهم فيضحكهم ، وقد يكون حين يضحك اشقى خلق الله — يتلاعب بعواطفهم كما يتلاعب الاطفال بالدمى

إذا روى لهم قصص الحياة فانما يروي قصتهم

ويدخل إلى منازلهم ، إلى قصور الاغنياء ، واكواخ الفقراء ، ومنازل السادة ، ومهود العبيد ، فيستل منهم اسرارها ويكشف لهم عن خباياها

وينفذ إلى قرارة نفوسهم فيريهم نزعاتها ، وكم للنفس البشرية من أهواء ؟

لقد خلقته وجعلتكم جميعاً عوناً له ، ووكلت إلى المصور ، والنحات ، والشاعر ، والموسيقى ، والكاتب امر تغذيته — عند ذلك صاح الملهمون جميعاً :

— وما اسم هذا المولود العجيب ؟

فأجاب الاله الجبار : لقد دعوته الممثل

في ذلك اليوم ولد الممثلون ، ومنذ ذلك اليوم عُدُّوا في الخالدين

خليل تقي الدين



بقلم الدكتور زكي مبارك

ما أشقى الكتاب والشعراء !

تلك كانت كلمتي وأنا أتأهب لانشاء هذا المقال : فقد قضيت اسبوعين أنتظر لحظة تصفو فيها النفس ، وتصقل الروح ، ويرهف الاحساس ، ويطيب الوجدان ، وكنت كلما اقتربت من الغرض خطوة نفر الخيال فابتعد خطوات . ولم يرجعني إلى معبد الروح إلا مقال نشره الهلال منذ سبع سنين ، وفي مطلع ذلك المقال نقرأ هذه الأشواق :

« إنما أكتب هذه الكلمة عن المسيو بلانشو Blanchot متأثراً برعاية العهد وحفظ الجميل. وكم تروعني هذه الانسانية التي تجمع بين الشقيتين بوشائج المودة وأواصر المعروف ، فقد يكون هذا الرجل الذي أكتب عنه لمجلة الهلال قد حسب أن الأيام شغلتني عنه في القاهرة كما أحسبها شغلته عني في باريس ، ولكني أشعر بأن بين كرام الناس من روابط الانسانية ما يسمو بالنفس عن نسيان الواجب انقياداً لمطالب العيش ، أو طاعة لما ألفت الجماهير من التأثر بما بين الأمم من فروق » . وكاتب ذلك المقال رجل أعرفه بعض الشيء ، لأن اسمه زكي مبارك

أما المسيو بلانشو فهو أستاذي وأستاذ كثير من رجال الفنون في باريس ، واتصلت مودتي به زمناً طويلا ، وقضيت في صحبته سنين كانت أطيب من المسك وأندى من الريحان

والقصة الآتية تمثل جانباً من الصلة الروحية والعلمية بين الفن والجمال

كان للمسيو بلانشو ممثل(١) في حي مونبارناس ، وكان ذلك الممثل كعبتي في ساعات الفراغ

(١) مكان لصنع التماثيل

واتفق انه كان يصنع تمثال العارية ذات الطفل الجميل ، وكان له نموذج فتان . هو تلك المرأة ذات الجسم الخصيب التي ترون صورتها بجانب هذا المقال ، وكانت تلك المرأة تقف ساعات طويلة وهي عارية ، وكان المسيو بلانشو يمضي في فنه وهو مشغول عن كل شيء ، ولا يكاد يذكر أنه يواجه منظراً ينافي الحياء ، وكنت اجلس فأنظر في كتابي لحظة وفي ذلك الكتاب لحظات . وما نزال كذلك حتى نتعب جميعا فيدعونا المسيو بلانشو الى كأس من الشراب ، وعندئذ تشعر تلك المسكينة أنها كانت عارية ، وأنها في حاجة الى شعار تداري به جسمها

أترون كيف تفنى الشهوات الرخيصة عند درس الجمال ؟ . أترون كيف تنسى المرأة انها عارية ، وكيف ينسى الفنان تقاليد الأدب والحياء لأنه في حضرة سلطان الفنون ؟

إن للروح والعقل مطالب لا يدركها الاطفال من أشباه الرجال ، أولئك الذين يظنون أن في كل نظرة مآرب دعارة ، وأوطار فسوق ، أولئك الصغار في عالم الفكر والبيان

وبين الشهوة والفن درجات لا يدركها إلا الراسخون في علم الاذواق ، وكأي من رجل تحسبه ماجناً وهو أقرب الى الله من المتنسكين ، وهل خلقت في الدنيا وحدك أيها الجاهل المتحذلق ؟ ان الوجود كتلة من الفن والجمال ، وقد تكون انت في جهلك وحذلقتك نقطة سوداء في خد ذلك الوجود تسمى الخال في كلام الشعراء ، فكيف ترى في تأمل الجمال خلاعة ومجانة وهو لم يخلق عبثاً ، وانما خلق ليكون سر الجاذبية والتماسك بين عناصر الوجود ؟

إن الشمس مضرب المثل في الحسن ، ولكن الشاعر لا يراها أجمل من ظلام الليل

والجاهل كالطفل يرى الشمس أجمل من كل شيء ، فاذا أقبل الظلام انحدر الى فراشه يلتمس فيه الامان ، اما الشعراء والفنانون فلهم مواسم في ظلام الليل ، ولا سيما الظلام في الحدائق وعلى شواطىء الانهار والبحار ، وهل عبد المصريون النيل الا في هدآت الليل وهم مأخوذون بما يساور شاطئيه من الرعب والخوف ؟

ان هذا الوجود ليس الا وحدة فنية ، وما فيه من انوار وظلمات ، وحر وقر ، وأمن وخوف ، ونعيم وشقاء ، وصحو وغيم ، وضر ونفع . كل اولئك ملامح وضعها الفنان الاعظم في تلك اللوحة الفنية ،لوحة الوجود . والجهلاء يتأذون من ظواهر كثيرة حين يشعرون بقسوة البرد ، وعنت الفقر وعنف الشقاء ، ولو قد علموا سر الوجود لهللوا وصفقوا حين تثور الزوابع وتعصف الاعاصير ، فان الفن هو أساس الجمال ، ولا يقوم الفن إلا بألوان بعضها تافه وبعضها جميل ، ولو قام الفن على لون واحد لعدم الانسجام وضاع الجمال

كانت للمسيو بلانشو رحلات فنية يصحبه فيها رفاقه من اصحاب الاذواق ، وكانت له محاضرات يلقيها في أبهاء متحف اللوفر ومتحف رودان ، وكنت أصحبه كلما شرق او غرب ، وقد أنسى كل شيء من ذكريات تلك الايام ، ولكني لن انسى ابد الدهر ما صدمني به في

شانتي Chantilly فقد ذهبنا صباح يوم الى ذلك البلد الذى يتمتع بقصر منيف هو اليوم من اكبر المتاحف، وكان معنا فى تلك الزيارة غادة هيفاء مصقولة الجبين، فبادلتها الحديث فابتسمت إلى، وهى تقول: Mon petit doigt me dit que vous n'êtes pas sérieux

وكانت دعابة شغلتنى بها تلك الهيفاء عن محاضرة ذلك الفنان، فلم اكد استمع اليه بضع دقائق حتى فكرت فى الخروج من المتحف لاقضى لحظات فى الغابة مع تلك الحسناء.

غادرنا المتحف وخرجنا الى الغابة، بعد ان داعبنا الاسماك التى تلهو وتلعب فى أحواض القصر، وكان المطر يومئذ يهطل بعنف، فكان منظر الغابة فتنة تشوق العين والقلب

لهونا لهواً شعرياً فى تلك الغابة الفيحاء، وأسرعنا فعدنا قبل أن ينتهى المسيو بلانشو من درسه البليغ، ولكنه لم يكد يرانى حتى ابتدرنى بهذا الحديث:

— أين كنت يا سيد مبارك؟

— خرجت ياسيدى أتنشق الهواء فراراً من حر هذا المتحف!

— وأنت أيضاً تخشى الحر، وقد ولدت فى مصر؟

— أتريد الحق، يا مسيو بلانشو؟ لقد فررت الى الغابة لأرى فى أرجائها مراجع الفن الأصيل، وتركتك تحدث رفاقك عن المحاولات الفنية التى يراد بها تمثيل مظاهر الكون، وبذلك ترانى آثرت عالم الحقيقة على عالم الخيال. وهنا نظر إلى نظرة المحنق وقال:

— عذرتك، يا سيد مبارك، فانكم نسيتم الفنون منذ أزمان طوال، ولم تعودوا تعرفون أين تكون الحقيقة وأين يكون الخيال، أتحسب يابنى أن الفن ليس إلا صورة فتوغرافية للمناظر الطبيعية؟ ان الفن يمثل ذكاء الفنان، وهو محاولات عقلية قد تنفصل عن الاصل بعض الانفصال

وكانت ملامة ارتجفت لها أعصابى، وعرفت يومئذ أنى طفل فى عالم الفنون

ومنذ ذلك اليوم أخذت اتابع دروسى مع المسيو بلانشو بعقل جديد، وذوق جديد، وصرت كلما زرت أحد المتاحف فكرت قبل كل شيء فيما يريد الفنان أن يقول

ثم أخذت اتوغل فى عالم الفنون حتى لأحسب اننى استطيع ان اكون فى طليعة كتاب النقد الفنى، لو شئت ذلك، والفضل فى هذا لاستاذى بلانشو الذى كان يصحح أغلاطى فى فهم الجمال، فقد جلسنا يوماً فى احد مشارب الجران بولفار ومرت إحدى النساء فقلت: ياله من جسم بديع! فاعترض وقال: انه جسم عادى، لان المشية غير جميلة، ثم أنشدنى قول بودلير:

A te voir marcher en cadence,
Belle d'abandon,
On dirait un serpent qui danse
Au bout d'un bâton.

عندئذ عضضت بنانى من الندم، ففى كتاب «حب ابن ابى ربيعة» لمت ذلك الشاعر حين

قال : خرجت تأطر فى الثياب كأنها أيم يسيب على كثيب أهيلا

ثم عرفت انى لم انتبه الى ما فى تلك الصورة الشعرية من روعة التمثيل

وأعود فأذكر أن للفن دقائق تحتاج الى فهم وتعمق . فقد تعرض علينا صورة فنية تمثل منظراً من روائع الجمال فيختلف الناظرون اشد الاختلاف ، وهى مع ذلك فى متناول جميع الاذواق ، ولأضرب المثل بصورة إبروس وبسيشيه ، وهى من بدائع ما يحفظ متحف اللوفر ، وتلك الصورة تفتن جميع الناس ، ولكنها لا تفتح امام عينيك ابواباً من السحر الفنى إلا حين تعرف ما وضعت له فى باب الاساطير . ولك ان تنظر تلك الصورة المنشورة فى الهلال ، ولكنا نرجو ان تعود اليها بعد قراءة هذا الملخص الوجيز :

كان لأفروديت إلاهة الجمال ابن جميل له أجنحة ذهبية اسمه ابروس ، وكان يذهب الى جميع البقاع محمولا على النسيم العطر عند دخول الربيع ، فتورق فى طريقه الأشجار وتزهر الأغصان . وكان يتنقل من مكان الى مكان مسلحاً بالسهام وفى يده مشعال وضاء . وكان يلهو بالمزج بين الدموع والبسمات ، والجمع بين السعادة والشقاء . . وسمعت أفروديت إلاهة الجمال أن بين سكان الأرض فتاة حسناء يعبدها من يراها كأنها أفروديت . وقد بعث جمالها المرموق عقارب الحسد والضغن فى صدر إلاهة الجمال . فدعت ابنها ابروس إله الحب ، وقالت له : « ابروس ، يابنى ، هذا هو الوقت الذى تحتاج فيه امك الى ساعديك القويين لامضاء ارادتها . إن ناساً بلغت بهم الوقاحة أن يساووا بين جمالى الخالد وبين جمال فتاة آدمية تدعى بسيشيه . فاذهب يابنى واحكم على تلك الفتاة بالشقاء : بأن تجعلها مدلهة بحب شاب بائس يضرب الناس بدمامته الأمثال »

عندئذ خرج إبروس من الأولمب ونزل على الأرض . ولكنه لم يكد ينظر الى جمال بسيشيه ونضارتها وحلاوتها حتى فتن بسحر تلك الانسانة التى لا تقل اشراقاً ونضرة عن امه أفروديت . وبلغ به الوجد المفاجىء أن نقلها الى قصر جميل فى بقعة نائية . وهناك فى ذلك المنزل المنعزل فوق ربوة عالية باحدى الغابات الهادئة ظل ابروس يزور محبوبته خفية فى هيبة وحذر

تلك خلاصة الموقف الذى يشرح صورة ابروس وبسيشيه . فحدثونى ماذا ترون ؟ أيلهيكم جمال ابروس عن ذلك المعنى المعجب الذى يمثل دهشته حين وقع بصره على ذلك الجسم الفينان ؟ وأى معنى أعجب من أن يأتى إله الحب ليلقى سهماً فيتلقى سهاماً ؟

إن هذه الصورة تمثل الصلة الروحية والنفسية بين الفن والجمال . فالفن هو حيوية الجمال ، هو الاصل الاول الذى يحيا به كل مخلوق جميل . ولولا الصلات الفنية بين اجزاء الجسم الفتان لذهبت معانيه هباء ، واصبح كتلة من اللحم لا رونق فيها ولا بهاء

وهذا الانسجام هو الجانب العلى فى بناء الجمال . والجاذبية لا تقوم على غير أساس ، كما يتوهم الغافلون ، انما هى موازين ألماس فى عالم السحر والفنون

زكى مبارك

الجمال عند الصّوفية

سر الحياة ومعين الحب

للسيد محمد الغنيمي التفتازاني

وهل يغني الصوفية بغير الجمال ؟

اذا تبدى حبيبي بأى عين أراه

بعينه لا بعيني فما يراه سواه

اللهم انى أسألك من جمالك بأجمله وكل جمالك جميل ، اللهم انى أسألك بجمالك كله

بهذه الجملة العميقة ، نفتتح حزبنا الصباحي ، نستعين بجمال الشهود على جمال الوجود ، ولا ننظر الى ما يحوطنا الا بالمنظار الابيض ، فلو حجب عنا الجمال طرفة عين ، لحقنا الهجر ولأودت بنا القطيعة

وبعد فالجمال عند الصوفية ، هو كل شيء ، هو النور الدائم والمدد القائم ، هو سر الحياة ومعين الحب ، هو القوة القاهرة والعدة الظاهرة ، هو الدليل الملموس على رعاية ذى الجلال ، هو المظهر الاقدس للوجود المحدود ، ثم هو الطريق المعبد الى وجود الخلود ، هو القلب النابض والروح الوثابة

هو بالاختصار كل شيء اليوم وبعد اليوم ، فلولا مظاهر الجمال ما كانت سبحات الجلال ، ولولا سبحات الجلال لكانت عماية الضلالة عن الأزل والابد معا

والآن ، إذا أردت ان تعرف مبلغ مايشغل الصوفية من الانس بالجمال فاستمع لقائلهم إذ يقول:

شاهدوا الحق من مرائى نفوس جل عن كشفها الرفيع مثال

أنما العين بالحقيقة للعين تجلت فما هناك خيال

تحت أستار عزة وجلال حاطها بالذى تراه الجمال

ومن هو ذلك المصقول الذى يستطيع بصره استشفاف أسرار الجمال عند الصوفية ، انه جمال الجلال ، انه جمال الحق ، انه جمال التصوير ، ثم انه جمال الوجود المطلق ، وهو بعد ذلك جمال البارىء المصور ، ثم جمال الرحمن الرحيم

أرأيت الى جماله يبعث من صفحاته فى بدائع صنعه رسالات من مخلوقاته ؟

ثم أرأيت الى جماله يرقق صلب الفؤاد ويلين الصم الصلاد ؟

ثم أرأيت الى جماله يصعد بك من كدرة الوجود المقيد الى صفاء الوجود المطلق ؟

بالقوى من سكرة بمدام ما لعقل الزمان منها خبال

بل من هذه السكرة بجلال الجمال خلقت عقول الجبابرة الذين حملوا مشاعل الهداية والنور فبددوا ظلمات الكون جميعاً

جمالك يا رسول الله ، يا محمد ابن عبد الله ، يا نور النور ، ومظهر الجمال المشرق على مر الازمان والدهور

جمالك يا محمد ، فى خلقك المتسق البديع ، وفى خلقك الوثيق المنيع ، وفى شرعك الخالد الرفيع

جمالك فى حديثك الذى هو فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق « وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى »

جمالك يا حامل لواء الرحمة ، يوم لا يشفع عنده أحد إلا باذنه

وجهك الوضاء حجتنا   يوم يأتى الناس بالحجج

بهذه العين السليمة المجردة ، وان ضعفت عن الابصار ، فبالمنظار الابيض ينظر الصوفية فى جمال الكون وجمال بارىء الكون ثم إلى جمال سيد الكونين

أنتم فروضى ونفلى   أنتم حديثى وشغلى
يا قبلتى فى صلاتى   اذا وقفت أصلى
جمالكم نصب عينى   اليه وجهت كلى

وبعد فليلم اللوام ، وليعذل العذال ، فليس لدى الصوفية غداة امرأ من جلال الجمال ، وهم بعد ذلك لايلومهم الا من يجهلهم ولا يعذلهم الا من يظلمهم

جردوا الوجود من الجمال ثم انظروا ماذا عساه يكون بعد ذلك !

ولكن أين هم الصوفية الذين يتعرفون إلى جلال الجمال ، بالاتصال بذى الجلال ؟ أو ليس من المسلم به أن يفتن المحب فى ارضاء حبيبه ؟

فمن التهب فؤاده بحب الله ، ومن استنار فؤاده بقبس من جلال جمال محمد رسول الله ، وجب عليه أن يقف من أحكام الله موقف الطائع المنيب ، وان يسلك على ضوء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الطريق الذى يحدده فى سبحات الجلال إلى الجمال الخالد ، إلي جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين . أما الآن فنحن عند حد قول الشريف الرضى :

ولقد وقفت على ديارهم   وطلولها بيد البلى نهب
وبكيت حتى ضج من لغب   نضوى وعج بعذلى الركب
وتلفتت عينى فذ خفيت   عنى الطلول تلفت القلب

نعم فقد قدر لنا ولله الحمد أن ننعم بلحظات من دقائق اشراق جلال الجمال . ولكن :

لله أيام تقضت لنـا ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها شيء سوى أن نتمناها

ومهما بلغت بي الحسرة على ما أنا فيه الآن . من محق وحرمان

فهم نصب عيني ظاهرا حيثما سروا وهم في فؤادي باطنا أينما حلوا

ولكن أين وكيف الطريق اليهم ، وقد جرفت المادة العالم ، وأصبح الجمال في نظر الناس زيفاً كما أصبح الزيف جمالا ؟ !

ليرجع الناس إلى الطبيعة الصافية فلا بهرج ولا زيف . ولتمد الابصار إلى اكتناه حقائق الجمال فهي نافذة بأشعته الى اعماق القلوب . وهنالك يكون الحب . واذا كان الحب كانت الحيـاة السعيدة الموفقة

أما الاحن والاحقاد والغايات والاغراض والشهوات واللهوات ، فهي السجف الاسود الذي يحجب عن الابصار جلال الجمال

أعظم ما لاقيتـه من معضلات الزمن
وجـه قبيح لامني في حب وجه حسن

محمد الغنيمي التفتازاني

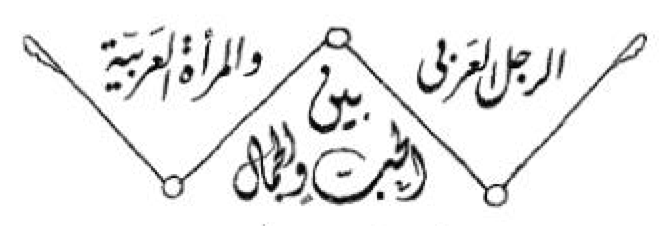
جمال المسيح

لما اشتهر الفنان الخالد دافنشي ، استدعاه الدوق سفورتسا ليكون في خدمته في ميلان فاجاب دعوته والتحق به . وهنالك رسم صورة « العشاء الأخير » الذي مثل فيه المسيح بين تلاميذه عند ما أخبرهم بأن واحداً منهم سيخونه . وكان دافنشي بطيء الرسم ، وكان رئيس أحد الأديرة هو الذي كلفه برسم هذه الصورة ، فلما استبطأه شكاه الى الدوق ، فأرسل الى دافنشي خطاباً يلومه على تأخيره ، فاجابه دافنشي بخطاب جاء فيه :

« لقد أتممت الصورة ، ولكن بقي منها رأسان أشعر بالعجز عن اتمامهما ، لأني أحس بالقصور عن تصور جمال المسيح ـ ذلك الجمال السماوي الذي يتمثل في مولاي . أما رأس يهوذا الخائن ، فاني أعتقد أني لا أستطيع تصور وجه هذا الرجل الذي انطوى قلبه على نية الخيـانة لمولاه بعد أن استفاد منه ، وانتفع به كل الانتفاع

« ولكن حرصاً على الوقت ، فاني سوف لا افكر كثيرا في رأس يهوذا ، بل ساقتنع بوضع رأس رئيس الدير مكانه . وهذا هو رأيي الاخير الذي لا أجد وسيلة غيره في هذه العجلة »

فكانت فكاهة جميلة ضحك لها الدوق كثيراً ، وطلب من رئيس الدير ألا يقلق دافنشي باستعجاله مرة أخرى



بقلم الاستاذ عبد الله عفيفي

لعل أوضح غرائز العربي دقة الحس ، ويقظة النفس ، وانتباهة الوجدان ، وبعد الخيال . وهي غرائز أنمتها حياة الصحراء وما يلابسها من أحداث مفاجئة وغارات مخالسة . ولقد كان للحب النسوي من هذه الغرائز القوية العنيفة المتوثبة أوفى نصيب . لانه لم يكن للعربي من سلوة في حياته القاسية الدامية الا المرأة : فهي التي كانت ترافقه ولا تكاد تفارقه ، في السلم والحرب ، وفي الخوف والامن ، وفي الطفولة والشباب ، وفي رعي الابل والغنم ، وفي رحلة الحي لانتجاع الربيع . وهي التي كانت تروي ظمأه ، وتأسو جراحه ، وتقوي نفسه ، وتشد عضده حين تلفحه الحرب وتغشاه السيوف ، وهو يعتقد حينذاك أن المرأة مدار حياته وموته . بها يحيا ومن أجلها يموت

وهناك امران زادا الصلة بين الرجل والمرأة قوة ووثوقا :

الاول : تساوي الثقافة الادبية بينه وبينها . فهي تحسن ما يحسنه من فنون القول وشجون الحديث . وهي تجيد ما يجيده من حلو التندر وطرافة المسامرة . وهي تتقن ما يتقنه من دقة الاشارة ، وملاحة العبارة ، وبراعة الاستعارة . ومع ارتقاء أدب المرأة الى سواء أدب الرجل كان يميز أدبها سمات الأنوثة القوية الناعمة

الثاني : تهوينهم للشهوات المادية . وازدراؤهم لمن يبتغيها . ولقد كان البغاء معروفا عند بعض القبائل العربية . وكان يحترفه الاماء اللواتي أوقعهن سوء الحظ في السباء . وكان هؤلاء البغايا لا يقمن في القبيلة ولا على مقربة منها بل يذهبن في أعماق الصحراء الى مدى بعيد من الحي في الظلام

وإذا جاوزنا هذا البغاء الذي ذمه العرب وذموا مبتغيه رأينا القوم يحمون بناتهم من الاتصال بالفتيان صلة ريبة وانحراف . فقد كان من أوضاع الاجتماع عند العرب أن من حق الفتى أن يكون مع الفتاة في مجلس الأهل والعشيرة فيحادثها وتحادثه . ويسامرها وتسامره . ولكن الويل والوبال له إذا لقيها في طريق فكلمها أو حياها . فهنالك الهول المطبق . والشر المقام . وقد يثير ذلك بين الحيين أو بين العشيرتين حرباً طاحنة لا يعلم عواقبها الا الله

ولقد عرض أحد الشعراء المتمردين لهذا النوع من حماية الفتاة فقال :

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا ... سوى أنني قد قلت يا سرحة اسلمي
نعم فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثمت اسلمي ... ثلاث تحيات وإن لم تكلمي

وهذا الاسلوب من التمرد والتحدى لا يأتيه إلا شذاذ الشعراء الذين خرجوا على أوضاع العرف وقوانين الاجتماع . وهؤلاء يقضون أكثر حياتهم شاردين بمنجاة عن الحى . ولقد عرفنا من حديث مهلهل بن ربيعة وامرىء القيس بن حجر كيف أقصاهما عن منازل السيادة وشردهما عن الاقامة فى القبيلة تعرضهما فى شعرهما لحديث الشهوات المادية . وكلاهما من بيت الزعامة وسلالة الملك ، حتى لقد أهدر حجر دم ابنه فى سبيل ذلك

ولما بسط الاسلام ظله على أبدان العرب وقلوبهم لم يقف فى سبيل الحب لان الاسلام يهذب الفطرة ولا يقمعها . فهو يعطف على المحب البرىء الذى صرعه الحب عطفاً جيلا . وهذا المحب معدود عند الله من الشهداء . وفى الحديث المأثور : « من أحب فعف فكتم فمات ، مات شهيداً » . وقيل ان اعرابياً وقف بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم فأنشده :

يا مليحة الدعج هل لديك من فرج
أم تراك قاتلى بالدلال والغنج
هل على ويحكما إن لموت من حرج

فقال الرسول : « لا حرج إن شاء الله »

من أجل ذلك ازداد الحب فى الاسلام صفاء وتهذيباً . وبقى على أشده فى البادية ، ولكنه بدأ يتأثر تأثراً مادياً فى بعض الحواضر الاسلامية لانتشار سبى الفرس والروم واندفاع كثير من الناس فى طريق المتع البدنية التى انسابت اليهم من هذه البلاد

وازداد شأن الحب العربى ضؤولة وهواناً فى العهد العباسى حين أصبحت بغداد مثابة متع الدنيا . وفى هذا العهد أخذ الرجل العربى يتجنى على المرأة العربية لانه رأى من غيرها ما بهر لبه وسحر عينيه . ولان حميته وعصبيته مادتا تحت أثقال شهوته . ومن ثم أخذ يعرض بها ويوازن بينها وبين غيرها . وذاع فى هذا العهد قولهم : من أراد قلة المئونة وخفة النفقة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر

جمال المرأة العربية

لم يكن جمال المرأة العربية جمالا عالمياً تباهى به النظائر من نساء العالم ، ولكن هذا الجمال جمال نسبى محدود . ولقد رأينا سلائل نساء العرب من بنات نجد والحجاز واليمن وحضرموت ، فوجدنا فى أكثرهن أدمة اللون ودقة التكوين ، وقليل منهن الفارعة الغضة الواضحة المفصلة . وهذا الصنف من النساء هو الذى يذكره شعراء العرب ويتفننون بوصفه على ندرة فيه . ويخيل لى أن الفتى العربى على ما عرف عنه من أنه أعنف الناس حباً كان يحب فى المرأة شيئاً فوق تكوينها الجسمانى : فهو كان يألفها بالمرافقة ، ويألفها بالمحادثة ، ويألفها بشرف البيت ، ويألفها بقوة الروح قبل أن يألفها

بغضاضة الجسم، وقامة الوجه، وحور العينين، فاذا استمكن حبها من قلبه تخيل فيها كل معانى الجمال

ولقد حدثوا أن عبد الملك بن مروان رأى بثينة بعد موت جميل فانكرها، وقال لها: «ماذا رأى فيك جميل حين هام بك وانت حمشاء أدماء دقيقة الساقين حديدة العقبين؟!» فقالت: «لقد رآنى جميل بعينيه لا بعينيك يا أمير المؤمنين»

أرأيت اذاً كيف كان هؤلاء الشعراء المحبون يتخيلون ثم يغالون، ولقد وصف جميل صاحبته هذه بكل صفات الكمال المادى، وهذا الضرب من الجمال يرى ويلمس، ولا يختلف فيه اثنان! ومع ذلك رأى هذا الشاعر فى محبوبته ما ليس فيها. ومن العجب أن جميلا لم يتمكن حب صاحبته من قلبه إلا فى موقف تشاتما فيه، وفى ذلك يقول:

وأول ما هاج المحبة بيننا بوادى بغيض يا بثين سباب
كلانا أتى قولا فجاء بمثله لكل كلام يا بثين جواب

ومن حديث الأدب أن ذا الرمة وصف صاحبته مية للفرزدق ثم أراه اياها بعد أن اسمعه وصفها، فقال الفرزدق: «ولكنى لا أرى شيئاً مما تصف!» قال: «اسكت فض الله فاك! والله انك لترى كل شىء، ولكن أكل الحسد قلبك!» فانصرف الفرزدق وهو يضحك سخرية من صاحبه

وفى نساء العرب جميلات بلغن الذروة العليا من الجمال. ومنهن زينب ملكة تدمر، ومارية بنت عفرز، والمتجردة امرأة النعمان بن المنذر وهؤلاء الثلاث هجينات أى مختلطات الدم. فالأولى قيل انها لا تمت إلى العرب الأول. والثانية امتزج فيها الدم الفارسى بالدم العربى، والثالثة من بنات اليهود. أما أجمل عقائل العرب فى الاسلام على الاطلاق فعائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. وسكينة ترجع بأبوتها إلى الحسين بن على سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنزع بامومتها إلى الرباب ابنة يزدجرد آخر ملوك الفرس. ومن هنا نعلم كيف سادت سكينة جميلات العرب. والمثل الأعلى من جمال المرأة العربية فى نظر الرجل العربى أن تملأ عينيه طولا وعرضاً وامتلاء واستواء وأن تكون الى كل ذلك كحلاء عيناء (١) زجاء (٢) بلجاء (٣) شماء (٤) مأشورة (٥) فلجاء (٦) لمياء (٧) لعساء (٨) جيداء (٩) غيداء (١٠) أثيثة الشعر (١١) مشرقة النحر مهضومة الحصر (١٢)

على أن تصنع الجمال مما ينبو عنه طبع العربية الشريفة إلا أن يكون كحلا أو طيباً. وقد لعن رسول الله النامصات والفالجات والواشرات والواصلات والواشمات

عبد الله عفيفى

---

(١) العيناء التى اتسعت عيناها واتسع سوادها (٢) الزجاء الدقيقة الحاجبين (٣) البلجاء التى بين حاجبيها بعد يسير على أن يكون هذا البعد خاليا من بقايا الشعر (٤) الشماء الدقيقة الانف مع استواء قصبته فى علو (٥) المأشورة التى فى اسنانها دقة وحدة وتحزيز (٦) الفلجاء التى فى ثناياها تباعد (٧) اللمياء سمراء الشفاه (٨) اللعساء من اللعس وهو سمرة الشفة مع حمرتها (٩) الجيداء التى فى عنقها طول وحسن وصفاء (١٠) الغيداء الناعمة العنق أو سائر الجسم (١١) الاثيثة الشعر التى فى شعرها طول وغزارة واسدال (١٢) هضم الحصر كناية عن دقته



الاصل فى الملكية العبقرية والقوة . ويلمس الباحث هذين العنصرين فى رأس كل أسرة متوجة . . والجمال قوة عظمى فى هذه الحياة . واذا كان الملوك يسلكون الى عروشهم سبيل العبقرية والقوة ، فلم لا تسلك الملكات سبيل الجمال ؟ واذا كان للاسكندر ونابليون وغيرهما من الملوك العباقرة الاقوياء أن يفخروا بما نالوا من الجاه والسلطان ، فلم لا يحق لسميراميس وكليوباتره ونفرتيتى وغيرهن من الملكات الجميلات أن يفخرن بما وهبهن الله من جمال ؟

الحق أن الجمال لعب فى تاريخ التاج أدواراً حاسمة ، أو ان شئت فقل لعب ثلاثة أدوار رئيسية ، هى : دور البطل ، ودور المترف الماجن ، ودور الملهم

دور البطل

هنا يتخذ الجمال عدة الحرب فيلبس الزرد ويبرز للقتال متقدماً صفوف الجند ليشيد للوطن مجداً حربياً . . وعناصر قوة هذا الجمال عديدة، بيد أن بقاءه موكول بقصر عمره أو طوله . ولما كان الجمال البشرى عارية تزول ونعمة تتبعها نقمة . فقد حرص الجمال البطل على أن يبلغ الذروة فى مثل لمح البصر ضناً بقوته على عناصر الفناء

وخير مثال لذلك « سميراميس » ملكة بابل واشور الحسناء . وحياة هذه الملكة سلسلة مغامرات سريعة حاسمة . فقد تزوجت فى أول أمرها ضابطاً فى حاشية ملك أشور . ثم لم تقنع بحياة الزوجية الخاملة فعملت على أن تسترعى نظر الملك بشتى الوسائل ، وأرادت أن يعشقها فعشقها وأن يتزوجها فتزوجها . وهنا تقول الاسطورة : « ففى ذات ليلة ألحت سميراميس على الملك فى أن يوليها الملك المطلق يوماً واحداً لتنعم بلذته . فحقق لها أمنيتها . وما كادت تجلس على العرش ملكة مطلقة التصرف حتى أمرت بقتل زوجها فقتل . وانفردت بالملك من بعده »

وكأنى بسميراميس تريد أن تستغل جمالها فى تمثيل دور البطل قبل ان يضمحل . فرآها التاريخ على ظهر جوادها فى طريقها لفتح الهند وما بعد الهند . . وقد شقت طريقها وسط

كتل بشرية وجحافل لاعداد لها حتى رآها التاريخ بعد بضع سنوات منهزمة فى احد ميادين الهند . . . بيد أن جمالها احال الهزيمة الى تراجع منظم . فقد فطنت الملكة الى حرج الموقف وادركت انها لا شك مأسورة . فنضت ثيابها ووقفت امام جنود العدو عارية !.. وناهيك بمثل هذا الموقف تأثيراً واغراء ! فقد وقف الجنود أمامها ذاهلين ثم خشعت ابصارهم ونكسوا الرماح ، فعادت الملكة العارية الى فلول جيشها المنهزم وجمعت من شمله وتراجعت الى بلادها حيث استقبلت استقبال الابطال الظافرين

وفى قصور بابل ذبل جمال « سميراميس » فاحجمت عن خوض غمار حروب جديدة مخافة ان يهزمها جمالها المولى قبل هزيمة الأعداء . ووسوس اليأس فى صدرها . وسئمها الشعب وتآمر ابنها وولى عهدها على خلعها . فتنازلت عن العرش وقضت بقية حياتها فى هم وغم ويأس من الحياة لا يأس بعده . وهذا هو الجمال البطل اولا وآخراً : شباب طامح . واستغلال للجمال وسط صفوف الجند ، ثم افول فى برج الشيخوخة !

ومثل جمال سميراميس قمين أن يقال فيه انه لم يصب من متع الحياة إلا اتفهها . فقد احتكرته البطولة ولم تمكنه من عالم اللذات الا قليلا (١)

الجمال المترف الماجن

هو جمال كله فتنة واغراء ، ونفس بشرية هلوك على الشهوات تزجرها الايام فلا تزدجر ، بل تظل تنهل من اللذات وتكرع حتى تعاجلها الشيخوخة باسقامها وقبحها وفهاهتها ، او يقصف الموت عودها ولما تزل على ابواب الكهولة

وكليوبطره ملكة مصر مثال فذ لهذا الجمال المترف الماجن . قد فتحت عينها لترى النور فى الفصل الاخير من رواية البطالسة التى مثلوها على مسرح الملكية المصرية . ونشأت فى قصر يفيض باللذات ويجيش بالشهوات . فدرجت على هدى حسها ، ولبست التاج لا لتحكم أو تعدل بل لتعيش فى عالم اللذات بحواسها الخمس . فلما آنست فى نفسها الضعف ترامت على اقدام ابطال روما المتعطشين الى الجمال الشرقى المتأجج . فعشقت قيصر وانطونيوس وحاولت ان تعشق اوكتافيوس لتتم به مأساة حياتها . واستنفدت فى ذلك ما بقى لها من جمال واغراء . ولكن الشيخوخة كانت قد دبت فى مفاصلها ـ وكان اوكتافيوس ما يزال فتياً ـ فتحطم الجمال المضمحل على صخرة الشباب الجليد

كليوبطره

هذا ما اراه في هذه الملكة الجميلة . ولا قيمة عندى لما يقال من

(١) يجد القارئ « في الزباء » صورة أخرى لسميراميس وهي لا تختلف عنها الا في ختام حياتها

انها ارادت ان تصل بجمالها الى استعادة مجد مصر الغابر . فكليوبطره غانية مترفة عابثة ماجنة قبل أن تكون ملكة ، وخير ما يقال فيها أنها لم تأخذ نفسها بشيء من الجد إلا لتدافع عن هذا الترف وتدفع الأذى عن حياتها المسترسلة فى العبث والمجون ، فلا غرو يتزايل مثل هذا الجمال سريعاً وتتخاذل تلك الشهوات الجامحة بعد نضوب معينها (١)

الجمال الملهم

هذا الجمال أجزل نعم الله على عباده وفى جملتهم الملوك . .

نحن الآن على شاطىء مدينة اخيتاتون عاصمة ملك اخناتون الشاعر النبى

النيل يحمل على صفحته زورقاً ملكياً لونه أزرق ، والحية المقدسة تشق الامواه لركب الحياة ، وفى مؤخرة الزورق شاعر يتأمل فى جمال الكون وكأنه يتلقى نفحات الالهام ، وأمامه زوجته « نفرتيتى »

فاذا ولجنا ابواب القصر الملكى رأينا فتوة ظمأى الى رحيق الحب وروحاً ينور من الصخب ويلتمس الهدوء من كل سبيل ، ونظرات ذاهلة تقف أمام الأشياء وكأنها تراها أول وهلة . ولا عجب فهى نظرات شاعر . ثم نرى جمالا ينبعث منه الهوى العذرى وانوثة فى نشوة الربيع الباكر ، وفماً يهمس بالحب اذا رنم ، ويجود بالقبلات اذا تجسم . . . هاكم الجمال الملهم جمال نفرتيتى الحسناء . .

وفى ظلال هذا الجمال الوارفة ورياضه الفيحاء نضجت شاعرية اخناتون وبلغت مرتبة الشعر الخالد ، وطرح فرعون مصر عن كاهله ثياب المستبد المتعسف ولبس ثياب الحب والطهر ، ودعا الى الوحدانية . فلما اعلنت عليه الوثنية حرباً شعواء اعتكف فى عاصمة ملكه ووجد العزاء فى نفرتيتى الملهمة ذات العينين الساحرتين والفم الحلو ، وفى أناشيده المشرقة ، وفى نغماته البلبلية الصادحة ، وفى تلاميذه الابرار ، وفى هذا الكون الذى دعاه فاجاب وبهره فانبهر

هذا مثال للجمال الملهم . وهو لا يخلد لذاته بل لرسالته الجليلة التى يؤديها عن طريق رجل آخر كاخناتون بين الملوك . وهو افضل انواع الجمال الثلاثة (٢)

محمد محمد توفيق

---

(١) اذا أراد القارىء مثالا آخر للجمال المترف الماجن فليطبق احكامنا الآنفة على بلقيس ملكة سبأ ، وسيجد أن حياتها تشبه حياة كليوبطره فى كثير من الوجوه

(٢) يعتبر جمال ارجومند زوجة شاه جيهان أحد ملوك الهند جمالا ملهماً ، فقد ماتت الملكة وخلفت لزوجها ذكرى جمالها ، فشيد لها (تاج محل) ذاك القبر الجميل الذى يعتبر قطعة فنية خالدة

جمال الفن
في الخط العربى

بقلم الاستاذ مصطفى بك غزلان

رئيس التوقيع بديوان جلالة الملك



فؤاد الاول : بقلم غزلان بك

لم يكن للخط العربي فى مصر شأن قبل الدولة الفاطمية ، فلما أسست هذه الدولة ملكها العظيم الذى يمتد من المحيط الاطلنطى الى العراق وجعلت مقره مصر ، وأنشأت مدينة القاهرة عام ٣٥٧، أخذت الحضارة الاسلامية تنبثق من هذه المدنية الزاهية على أرجاء الارض ، وأخذ الفن العربي الاسلامي يتألق من جميع نواحيه

كان فى طليعة تلك النواحى فن الخط الذى جمّلوا به قصورهم وعروشهم وتحفهم وأدوات منازلهم مما لا تزال تنطق به آثارهم الى اليوم

وبعد العهد الفاطمي ، سار الخط سيره الطبيعى في ظل المماليك ، حتى اذا تغلب السلطان سليم التركى على طومانباى – آخر سلاطين المماليك – واستولى على مصر عاد ومعه صفوة رجال الصناعة والفن ، ومن بينهم الخطاطون المصريون الى القسطنطينية



فاروق : بقلم غزلان بك

وفي رعاية الخلافة التركية ، وثب الخط العربى وثبة بالغة حتى قارب الكمال ، لأن خلفاء هذه الدولة ، أخذوا يتبارون – كما كان يفعل سلاطين المماليك من قبل – في اقتناء المصاحف البديعة الخط والتذهيب ، ليجعلوها في طليعة مخلفاتهم الخالدة ، وآثارهم المجيدة ، حتى لقد كان من هؤلاء الخلفاء من امتاز باجادة الخط الى حد بعيد

وكان الخطاطون العثمانيون ، هم أساتذة الخط في العالم الاسلامي ، ويعد المرحوم عبد الله بك زهدى أحد هؤلاء الخطاطين من الكواكب الساطعة التي انتظم نورها الوهاج آفاق الشرق ، فقد طلع على الناس بخط الحرم النبوى الشريف الذى يعد آية الآيات في الاجادة والرونق والبهاء ، وكان ذلك مما حمل المجدد العظيم الخديو اسماعيل ، على استقدام ذلك الخطاط الفذ الى مصر ، فلما قدم كتب ستور الكسوة الشريفة وكثيراً من ستور الاضرحة المقدسة ، وناصية « سبيل ام عباس » ومسجد الرفاعى

أثار ذلك في نفس المرحوم الاستاذ محمد مؤنس افندي شيخ الخطاطين المصريين في ذلك العهد ، روحاً جديداً من الابداع والاتقان ، وكان المرحوم مؤنس معلماً شعبياً محتسباً للخط في مصر ، يتوافى على داره الرحيبة بغاة الخط . فيتعلمون فنه الجميل ، وينعمون بحديقته الزاهرة ويأكلون ويشربون

واليوم بعد الانقلاب التركي ، الذى قضى على الخط العربي في تركيا ، أصبحت مصر مثابة الخط العربي ، وقد تعهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول حفظه الله هذا الفن برعايته السامية ، فأمر بانشاء « مدرسة تحسين الخطوط الملكية » التى تعتبر أول وأعظم معهد للخط العربي منذ عرف الناس هذا الخط ـ تلك منقبة عظيمة من مناقب ذلك الملك العظيم



فيكتور إيمانويل : بقلم غزلان بك

الذى يسهر على احياء العلوم والفنون ولا سيما الفنون العربية

القلم الديوانى

كان الخط الديوانى شارة من شارات الملك في عهد الخلافة العثمانية ، لذلك كان سراً من أسرار القصور السلطانية لا يعرفه إلا كاتبوه ، فلما نقل هذا الخط الى مصر كان كذلك شارة من شارات الامارة فى القصر العلوى ، ثم أصبح بعد ذلك شعار الاسرة الكريمة . ولولا عناية المليك العظيم ، لظل هذا النوع بين جدران القصر الملكي ايضاً لا يعرفه سوى كاتب هذه السطور والذين يعملون معه في قلم التوقيع . واليوم أصبح فنا يتعلمه التلاميذ . ويتفهمه الناس



بيت لشوقي بك ونصه :
ما مات من حاز الثرى آثاره
واستولت الدنيا على آدابه
(بقلم غزلان بك)

وفي الحق ، أن الخط الديوانى يسمو على جميع الانواع الاخرى لحسن مظهره وجمال اوضاعه وانسجام حروفه ولين مقاطعه ، ثم هو خلاب الرواء ، يأخذ بمجامع الالباب

الخط الريحانى

نسبة الى أعواد الريحان ، وقد سماه صاحب البلاغ « الخط الغزلانى » له جمال يفوق جمال الديواني ، وأوضاعه تريك اشكالا متناسبة متناسقة كأحدث انواع الرسم

وقد تعلمت هذا النوع على المرحوم محمود شكرى باشا رئيس الديوان العالى الملكى ، الاسبق ، وكان رحمه الله يجيده اجادة تامة ، وله فيه ذوق وفن

تطاول هذا النوع من الخط على جميع الانواع فكتبت به الاسم الكريم (فؤاد الاول) انظر النموذج الاول الذي اصبح شعارا ملكيا رسميا لجلالته

وكذلك كتبت اسم حضرة صاحب السمو الملكي الامير (فاروق) انظر النموذج الثاني

واخيرا كتبت به اسم حضرة صاحب الجلالة (فيكتور ايمانويل) ملك ايطاليا ، انظر النموذج الثالث ، وذلك يوم زيارة جلالته لمصر وقد ازدانت به بعض الرسائل التى رفعت لجلالته

مصطفى غزلان

الأندلس
فى جمال الفن الاسلامى

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

كانت الحضارة الاسلامية فى الاندلس عنواناً لعبقرية الاسلام وعبقرية هذه الأمة العربية التى حملت لواءه . ولم تبلغ الحضارة الاسلامية ما بلغته فى الاندلس من القوة والروعة والجمال ، وما زالت الآثار والنقوش الاسلامية فى اسبانيا ، وما زالت الاطلال الدوارس فى غرناطة وقرطبة واشبيلية،تشهد بما كان لهذه الامة الاندلسية الباهرة من مكانة سامية فى ميدان الفن الرفيع . والفن الرفيع من خواص الحضارات العظيمة . وقد غاضت الحضارة الاندلسية ، وغاضت فنونها منذ بعيد ولكنها تركت آثارها الباقية فى كثير من نواحى الحضارة الغربية ، فى اسبانيا وفى جنوبى أوربا ، وما زال البحث الحديث المنزه يعرض تراثها وآثارها فى كثير من الاعجاب والعرفان

وحديث الفن الاسلامى فى الاندلس حديث متعدد النواحى ، ويستحيل علينا فى هذا المقام أن نعرض منه أكثر من صورة سريعة . بيد أنا سنحاول مع ذلك أن نعرض أهم خواصه وأطواره

نشأة الفن الاسلامى

نشأ الفن الاسلامى نشأة متواضعة . ونريد بالفن هنا معناه الدقيق الخاص ، فالتصوير والنحت والنقش والزخرفة والموسيقى والغناء وما اليها مما ينعت فى عصرنا بالفنون الجميلة ، يقع تحت هـذا المعنى . بيد أن هنالك معنى أوسع للفن . فقد يشمل فنون الهندسة والعمارة وما اليها . ولا بأس من أن نعامله بهذا المعنى الاعم أحياناً . وهذه النشأة المتواضعة للفن الاسلامى ترجع بالاخص إلى عوامل دينية . فقد نشأ الاسلام خصيم الوثنية يضطرم بغضاً لمظاهرها ورسومها . وقد كان النحت والتصوير والنقوش الرمزية وقت ظهور الاسلام من مظاهر الوثنية ورسومها البارزة فكان الاسلام يخاصمها ويطاردها . ولم يشأ الاسلام أن يفسح صدره لهذه المظاهر والرسوم كما فعلت النصرانية حيث اعتنقتها وشملتها برعايتها وازدانت بها كنائسها وهيا كلها العظيمة منذ القرن الاول للميلاد ، ثم غدت فيما بعد مناراً للخلاف الطائفى واعتبرت رمزاً لعبادة الصور ، وثارت حولها تلك

المناقشات والخصومات البيزنطية الشهيرة . بيد أن هذه الخصومة التى شهرها الاسلام فى عصره الاول على التماثيل والصور ، رموز الوثنية ومظاهرها ، لم تلبث أن خفت وطأتها منذ القرن الثانى للهجرة حينما قامت الامبراطورية الاسلامية وانشئت فى ارجائها الهياكل الاسلامية العظيمة ، وبدت الخلافة فى عظمتها الدنيوية وأخذت بقسطها من الترف والبهاء والبذخ . عندئذ عنى الخلفاء بالفنون وازدانت قصورهم ومعاهدهم وحدائقهم بمظاهر الفن الرفيع . واعتمد العرب على الاقتباس بادىء بدء ، من تراث الفنون الفارسية واليونانية والرومانية والبيزنطية بنوع خاص . واقتبس عرب الاندلس أيضاً من تراث الفن القوطى . ولم يمض بعيد حتى امتزج الاقتباس بالابتكار وبدأ الفن الاسلامى فى مظاهره المستقلة ، وبلغ منذ القرن الثالث للهجرة سواء فى بغداد أو قرطبة مستوى رفيعاً من الروعة والبهاء . وبرع العرب فى صنع الزخارف والنقوش والرسوم والصور الدقيقة ، وانتهوا فى الموسيقى الى ذروة الافتنان والبراعة وازدهر الفن الاسلامى فى المشرق والمغرب أيما ازدهار

فى القرن الرابع

وبلغ الفن الاسلامى فى الاندلس أوج ازدهاره فى القرن الرابع الهجرى . ويجب أن نلاحظ ان الفن الاسلامى فى الاندلس كان فى تحرره من قيود التحريم أسرع وأوسع مدى منه فى المشرق . وكان عرب الاندلس أسبق الامم الاسلامية إلى صنع التماثيل والصور ، وقد زينوا قصورهم ومعاهدهم منذ القرن الثالث بالتماثيل والصور والنقوش التى تمثل الحيوان والنبات والطير . أما التماثيل والصور البشرية فكانت تلقى نوعاً من التحريم العام . وفى عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ) خطا الفن الاندلسى خطوة أخرى فصنعت التماثيل والصور البشرية وزينت بها القصور والمعاهد الخلافية . وكما ان عصر الناصر كان أعظم عصور الدولة الاسلامية فى الاندلس فكذلك كان أعظم عصور الفن الاندلسى . وقد كان قصر قرطبة الكبير حتى عهد الناصر موضع العناية والرعاية من جميع أمراء بنى أمية وكان مجمع البهاء والرواء والفن ، ولكن الناصر آثر أن ينشىء له ضاحية ملوكية جديدة تكون آية فى الفخامة والبهاء ، فانشأ مدينة الزهراء وقصورها ومعاهدها الباهرة ، وأفاض عليها من الوان البذخ والبهاء وبدائع الفن والزخرف آيات رائعات . وكانت نقوش الزهراء ورسومها وتماثيلها أبدع ما اخرج الفن الاسلامى فى الاندلس. ولا يتسع المقام للافاضة فى وصف عظمة الزهراء وروائعها الفنية، فنحيل القارىء الى ما أورده صاحب نفح الطيب فى هذا الشأن من مختلف الروايات والفصول (١) ولكنا نخص بالذكر هنا مثلين رائعين من آيات الفن الباهر التى زينت بها قصور الزهراء ، فن ذلك أسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أبهى منه فيما صنع الملوك

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقري (مصر) ج ١ ص ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٦٤ – ٢٦٦ وابن خلدون ج ٤ ص ١٤٤ . وراجع Murphy Mohamedan Empire in Spain P. 167-174

الأوائل مطلى بالذهب وعيناه جوهرتان لهما ضوء ساطع قد أقيم على بحيرة قصر الناعوة ، يجوز الماء الى مؤخره من قناة تحمل اليه الماء العذب من جبل قرطبة على حنايا معقودة فيدفع الماء إلى البحيرة فى منظر رائع (١) ومن ذلك الحوض البديع الذى جلبه الناصر لاستحمامه وأقيم عليه اثنا عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس مما صنع بدار الصناعة بقرطبـة : أسد إلى جانبه غزال ثم تمساح ، يقابلها ثعبان وعقاب وفيل ، وفى الجانبين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحدأة ونسر ، كلها من ذهب مرصع بالجوهر النفيس وتخرج الماء من أفواهها (٢) . وهنا أيضاً أعنى فى عصر الناصر نرى لاول مرة فيما يظهر تماثيل الانسان وصوره تمثل فى الفن الاندلسى الى جانب تماثيل الحيوان وصوره . فيروى أن الناصر أمر أن تنقش صورة جاريته وحظيته « الزهراء » على باب قصر الزهراء . وهذه الجارية فيما يروى هى التى حملته على بناء الزهراء وتسميتها باسمها (٣) وزينت ابهاء الزهراء بتماثيل وصور بشرية (٤) فكانت ظاهرة فنية جديدة

وبلغ الفن الاندلسى فى عصر الناصر وابنه الحكم المستنصر ذروة القوة والبهـاء . وما زالت اسبانيا النصرانية تحتفظ ببعض تحف فنية نادرة من تراث ذلك العصر ، منها وعل الزهراء الشهير ، وهو تمثال وعل من البرونز زين جسمه بالنقوش والزخارف العربية البديعة ، وتاج عمود من المرمر به زخارف دقيقة مدهشة وقد نقش عليه اسم الحكم المستنصر بالله واسم حاجبه ، وكلاهما بمتحف قرطبة ، وصندوق من انعاج البديع نقشت عليه صور فرسان وأسود آية فى الدقة ، وذكر عليه اسم صاحبه وهو عبـد الملك بن أبى عامر ولد الحاجب المنصور ويحفظ بكنيسة بنبلونه الكبرى (٥) . وقد برع الاندلسيون فى الصناعات الفنية الدقيقة مثل صناعة الحلى الفائقة والتحف العاجية والجلدية ونافسوا فيها صناعة بيزنطية (٦) . وكانت القصور والمعاهد العامة والمساجد الجامعة معرضاً لابدع ما تمخض عنه الفن الرفيع يومئذ من صنوف الزخارف والرسوم والتحف الفنية . ومن ذلك أنه كان بجامع قرطبة تنور من نحاس أصفر يحمل الف مصباح وقد زين بصور ونقوش رائعة يعجز عن وصفها القلم (٧) . وقد امتازت المدرسة المحافظة بالتفوق فى نوع بديع من الزخارف يقوم على رسوم الشجر والأوراق والاغصان والاشكال المتماثلة المبتكرة دون الصور التى تمثل الانسان والحيوان ، ذلك لانها كانت تقوم على احترام التقاليد الدينيـة القديمة ، واشتهرت هذه المدرسة فى العصور الوسطى وكان لها أثر عميق فى تطور الفن الاوربى وما زالت تعرف بالنماذج العربية (الارابسك) (٨)

---

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٤ (٢) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٦ (٣) نفح الطيب ج ١ ص ٢٤٥

(٤) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٥ Murphy ; ibid ; p. 292 (٥) Lévy-Provençal : L'Espagne Musulmane au Xeme Siecle Pl. XXII, XXIII, XXIV (٦) ; ibid p.184

Lévy-Provençal (٧) نفح الطيب ج ٣ ص ٢٤٥

(٨) Aschbach : Gesch. der Omajaden in Spanen II-352 Murphy ; ibid 291 ;

فى عهد ملوك الطوائف

وسطع الفن الاندلسى أيام الطوائف مدى حين ونثر ملوك الطوائف ولا سيما بنو عباد فى اشبيلية وبنو ذى النون فى طليطلة ، حولهم آيات من البذخ والترف والبهاء . واغدقوا على قصورهم ومعاهدهم بدائع الفن وروائعه مما أفاض فى وصفه المؤرخون والكتاب والشعراء . وكان بنو عباد فى اشبيلية أعظم حماة للفنون والآداب . وكان قصر المأمون بن ذى النون ملك طليطلة آية رائعة من آيات الفن والبهاء . وكان روشنه الشهير الذى بنى وسط بحيرة القصر من الزجاج الملون المزين بالنقوش الذهبية مستقى خصباً لخيال الشعراء ، وكانت حافة البحيرة مزدانة بصفوف من تماثيل الاسود التى تقذف المياه من أفواهها وهى لا تزال تقذف الماء ولا تفتر ، وتنظم لآلىء الحباب بعدما تنثر (١) . وكان للمقتدر بن هود ملك سرقسطه فى قصره مجلس رائع زينت جدرانه بالنقوش والتحف الذهبية البديعة (٢) . ولم يكن هذا الهوى الفنى قاصراً على الامراء والكبراء ، فقد روى لنا المقرى انه كان ببعض حمامات اشبيلية تمثال بديع الصنع قال فيه الشاعر :

ودمية مرمر تزهو بجيد تناهى فى التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا ولا ألمت باوجاع المخاض
ونعلم أنها حجر ولكن تتيمنا بألحاظ مراض

وفى عهد المرابطين والموحدين خبت دولة الفن الاسلامى فى الاندلس . ذلك لان اولئك الغزاة البربر الذين كانوا يضطرمون بروح دينية محافظة لم يقدروا روعة الفن الرفيع وسحره ولم تفسح لهم الثورات والحروب الداخلية مجالا لرعاية الفنون والآداب

فى مملكة غرناطة

وازدهرت الفنون والآداب كرة أخرى فى مملكة غرناطة وكان بنو الاحمر حماة كرماء للفنون . ونلاحظ ان الفن الاندلسى بلغ فى هذا العصر ذروة التحرر والافتتان أيضاً وتوسع الفنانون المسلمون فى تصميم المناظر والرسوم ، ولم يقتصر الامر على الصور والرسوم والتماثيل المفردة بل تعداه إلى المناظر المصورة وإلى المجموعات المنحوتة . وما زالت حمراء غرناطة ، وما زالت ابهاؤها ومجالسها الرائعة تنبىء عما انتهت اليه آخر دول الاسلام فى الاندلس من البذخ والبهاء ، وعما بلغه الفن الاندلسى فى هذه المرحلة الاخيرة من حياة الاسلام فى اسبانيا من الدقة والافتتان ، وسوف يبقى قصر الحمراء وما يحتويه من النقوش والصور الرائعة رمزاً خالداً لعظمة الفن الاسلامى فى الاندلس . وفى الحمراء : فى قاعة الحكم ، وفى بهو الاسود ، وفى قاعة السفراء ، وفى غيرها من الابهاء المنيفة زينت

(١) نفح الطيب — ج ١ ص ٢٤٧ و ٢٨٢ — قلائد العقيان للفتح بن خاقان ص ١٩٤ و ١٩٥
(٢) نفح الطيب ج ١ ص ٢٥٠

الجدران بمجموعات كاملة من المناظر المصورة ومن ذلك صورة لمجلس الحكم وصور تمثل موقعة حربية وكوكبة من الفرسان ومناظر فروسية وصيد وغيرها

الموسيقى فى الاندلس

نعرض بعد ذلك لناحية أخرى من الفن الاسلامى فى الاندلس هى الموسيقى، وقد كان للموسيقى بين فنون الحضارة الاسلامية أيما شأن . وكان ازدهارها بالاخص فى بغداد وقرطبة حيث بلغت حضارة الاسلام ذروة العظمة والنضج . وكان ازدهارها فى عصر مبكر جدا منذ أواخر القرن الثانى للهجرة فى ظل الدولة العباسية الفتية . وفى هذا الوقت نفسه انتقل إلى الاندلس قبس من هذه النهضة المشرقية، فنزح زرياب الموسيقى غلام الموصليين (١) اساطين الموسيقى والغناء لهذا العهد الى الاندلس فى عصر عبد الرحمن بن عبد الحكم (اوائل القرن الثالث) فاستقبله بنفسه وبالغ فى اكرامه وأغدق عليه العطف والبذل . وكان زرياب موسيقياً عظيماً ومغنياً ساحراً ، فذاع فنه وافتنانه فى الاندلس والمغرب ، وانشأ بالاندلس مدرسة موسيقية وغنائية باهرة استطال نشاطها وأثرها حتى عصر الطوائف ، وازهرت أيام الطوائف فى اشبيلية فى ظل بنى عباد بنوع خاص (٢) وسطع فى مملكة غرناطة قبس من هذه النهضة ، واشتهرت الموسيقى الاندلسية فى غرب اوربا فى العصور الوسطى ، وكان لها أثرها فى تطور الموسيقى الغربية . وبرع المسلمون فى العزف على كثير من الآلات الموسيقية المعروفة حتى اليوم واخترعوا الكثير منها ولا سيما القيثارة ، التى كانوا يعتبرونها اجمل الآلات الموسيقية . وكان للموسيقى الاندلسية أثر كبير فى تطور الموسيقى الايطالية القديمة، ولا زالت آثار من الاوضاع والتقاليد الموسيقية الاندلسية تمثل فى الموسيقى الاسبانية الحديثة (٣)

وللعرب آثار قيمة فى الموسيقى العلمية والعملية . وفى مكتبة الاسكوريال مخطوط عربى نفيس عن الموسيقى وعناصرها ومبادئها وأوضاعها وانغامها وكذلك عن الآلات الموسيقية المختلفة واشكالها وتراكيبها (٤) وهو دليل على ما بلغه المسلمون فى هذا الفن من الرسوخ والابتكار

وقد يرى بعض الباحثين الغربيين ان الاندلسيين تلقوا معظم تراثهم الفنى عن الفنانين النصارى ، وفى هذا الرأى مبالغة ، فقد اقتبس الاندلسيون من فنون القوط والفرنج والبيزنطيين والبنادقة ، ولكنهم كانوا مبتكرين أيضاً وكانوا منشئين لفن اسلامى محض بما اسبغوه عليه من الوان الافتتان الرائع التى اختصوا بها وتميز بها تراثهم الفنى مدى الاحقاب

(النقل ممنوع) محمد عبد الله عنان

---

(١) ابراهيم الموصلى وولده اسحاق وولده حماد (٢) ابن خلدون — المقدمة ص ٣٥٧ — ونفح الطيب ج ٢ ص ١٠٩ وما بعدها (٣) Murphy; ibid; 296-Aschbach; ibid : 353

(٤) Casiri: I-p. 374

عبقرية الفنون

بقلم الاستاذ عبد الرحمن شكرى

لا أذكر أكان جيتى الالمانى او كارليل أول من عرف العبقرية بأنها اهتمام المرء لفنــــه وكده فيه اهتماماً وكداً لا حد لهما ، ولعل الثانى قد نقل هذا التعريف عن الاول . ولكننا نرى ان بين المشتغلين بالفنون من يفنى حياته لاحياء فنه فلا يكون فى فنه شيء من دلائل العبقرية ، وقد يقضى أناس ليلهم ونهارهم يحاولون ان يضرموا فى انفسهم نارها فلا يظهر فيما يذكون من الفن بصيص العبقرية . وا كثر من هذا ان امثال هؤلاء قد لا يستطيعون ان يصنعوا فناً جميلا لا عبقرية فيه . ففى هذه الحال لا يدركون فناً ولا يصيبون عبقرية حتى ولو كان اهتمامهم وكدهم لا حد لهما ، وبعض هؤلاء يقضون حياتهم فى عبث الفن ، فاذا رأيت تعبهم عجبت من تعب ونصب وأمل وعزم وايمان وصبر ، وحسبت ان الذى ابتعث كل هـذه الصفات فن خالد فلا ترى فيما يعبثون به من الجد أو ما يجدون به من العبث شيئاً خالداً . وليس أدعى الى التأسف عليه والاشفاق به ممن يقضى حياته فى لغو الفن مؤمناً بان العبقرية هى الاهتمام والكد اللذان لا حد لهما

والعبقرى يبعثه الشغف الى الاطلاع كما يبعثه الشغف الى الانتاج فهو يريح نفسه فى الحالتين حتى لا يكاد يحس كده واهتمامه اذا كان فى اطلاعه أو انتاجه كد ، وهو قلما يأخذ باسباب فنه او يزاوله الا بباعث خفى من نفسه كأنه غريب عنه لا سلطان له عليه . وقد تتخلل فترات الاطلاع والأخذ بأسباب الفن ومزاولته والانتاج فيه ، فترات اخرى طويلة من فترات الركود تكون روحه فيها اشبه بالارض التى اعفيت من الزراعة لتستريح وتستعيد صفات الانتاج

ومن العبقريين من يحمل عبقريته كما يحمل المخاطر روحه على طرف سنانه أو رمحه يرمى بها كل مرمى وكأنه لا يرى لها قيمة

وبعضهم كان يتأمل عبقريته كما يتأمل غيرها من أمور الحياة ويعلى او يخفض من شأنها كما يعلى او يخفض من شأن الحياة فى احوال نفسه المختلفة . وكأن لديه فى نفسه ما هو أعز من كل ذلك . فتعريف العبقرية انها اهتمام وكد لا حد لهما تعريف باطل لأن الكد ليس بالصفة الخاصة بالعبقريين او العامة فيهم جميعاً . ولو انه قيل ان الفنان هو الذى يرى ان للفن فرضاً يؤديه من كد واهتمام لا حد لهما لحسن المعنى . والعبقرية والفن كالدائرتين اللتين تشتركان فى شطر منهما وتختلفان فى شطرين

مزاج العبقري

ويقولون ان العبقرية مزاج منحرف عن الأمزجة المعتدلة ويبالغون فى وصف هذا الانحراف ويقصرونه على اهل العبقرية والحذر فرض عند تدبر هذه المبالغة إذ الناس يتهمون بالشذوذ والانحراف كل من ظهر عليهم فى قول او فكر او فعل ويحسبون صنفاً خاصاً من اصناف الخليقة كل من غايرهم فى العقل وخالفهم فى القول والرأى

وهذا الحسبان قد وقع فيه العلماء عند نظرهم فى حياة اهل العبقرية الذين يؤدون زكاة شهرتهم وظهورهم بالنظر الثاقب والرأى الجديد أضعافاً مضاعفة من آلامهم . ويقولون ان العبقرية ان تقوى ملكة من ملكات العقل وأن تضعف اخرى فينبغ الرجل من اجل اختلال التوازن بين ملكات عقله . ولكن ينبغى الا ننسى ان انحراف المزاج والشذوذ فى الفكر او الخلق او العادة وان اختلاف ملكات العقل فى النمو امور شائعة بين ذوى العبقرية ومن لا عبقرية لهم وهى توجد بمقادير متفاوتة فى العبقريين قدر تفاوتها فى غيرهم وتختلف اسبابها فى أهل العبقرية كما تختلف فى غيرهم بين اثر الوراثة وأثر البيئة والحياة . فالنقاد يخطئون محاولتهم فصل ذوى العبقرية عن الناس فى تدبر صفاتهم إذ الحقيقة ان ذوى العبقرية يشبهون الناس فى اكثر محامدهم ونقائصهم وان المزاج المعتدل النظرى يكاد يشذ عنه كل انسان فى صفة أو صفات من تلك الصفات التى ذكرها النقاد وعدوها من خصائص المزاج المنحرف . وأهل العبقرية لما انهم يشبهون الناس فى اكثر صفاتهم يختلف كل منهم عن الآخر فنهم العاقل ومنهم شبه المجنون ومنهم المتزن وغير المتزن والقوى والضعيف والخير والشرير واذا شئت فقل ان هذه الصفات تختلف فيهم مقاديرها كما تختلف فى الناس عامة فلا غرو اذا كانت الصفة المميزة لهم وهى جدة الصنع والنظر توجد فى الناس ايضاً بمقادير مختلفة فى اطوار مختلفة إلا انها جدة مصحوبة بشىء من صدق النظر والجمال ويعظم هذا الشىء كلما عظمت العبقرية

نظر العبقري الى نفسه

ولقد كان بعض ذوى العبقرية شديدى الأيمان بانفسهم وغير هؤلاء على النقيض يزدرون ما يجيدون طموحاً الى ما لم يصنعوا ويطلبون فوق كل إجادة إجادة وطائفة منهم تتردد بين الثقة والشك فتنتابها دورة أشبه بالدورة التى تنتاب أنفس بعض الناس من زهد وتقشف تارة ومن تمتع بالحياة تارة أخرى .ومن يريد ان يقصر العبقرية على طائفة دون طائفة يصنع صنيع الذى يحكم على العبقريين بغير ما يحكم به على الناس كما اوضحنا

والحقيقة ان العبقريين فى نظرهم الى ملكاتهم كالناس ، فمنهم من يغالى بها ومنهم من لا يغالى ومنهم من كان الشك ينتابه فى كثير من أمور الحياة ومنهم من بلغ به إعظامه لعبقريته

ما هو شبيه بداء العظمة ومنهم من كان يدفع بعظمته مكايد الناس ومنهم من تعاطى العظمة لعرفانه ان الناس قلما يثقون إلا بمن يثق بنفسه ويعظمها وانهم تبهرهم مظاهر الايمان بالنفس حتى يعبدوا صاحبها كما حدث فى عصور التاريخ أو يتخذوه وسيلة الى الله او يعتقدوا فيه العبقرية

والعبقرى مثل غير العبقرى ليس بمعصوم من الخطأ فى نظره الى ملكاته كما انه ليس بمعصوم من الخطأ فى تفضيل صنع على صنع وهو قد يخطىء حيث لا يخطىء الفنان لأن هذا يتبع السبيل الموطأ والعبقرى يجتاب الطرق غير المعهودة فيختط خطة وهذا عذر قد يلجأ اليه من لا يجيد إجادة الفنان ولا إجادة العبقرى بل يخطىء ويحيل خطاه على عبقرية موهومة

العبقرية والاحتراف

ومن الناس من يريد ان يرغم الفنان على أن يجعل فنه حرفة يرتزق منها ومنهم من ينكر عليه ذلك والاحتراف واقع حتى بمن لا يرتزقون من فنهم وانما مما يكسبهم الفن من الجاه والاصدقاء ومعاونة اهل الرياسة أو مما يكسبهم من الشهرة التى يستعينون بها فى جلب الرزق من حرفة أخرى مقاربة او مباعدة لفنهم ولكن بعض الناس يريدون من الفنان أن يحترف فنه احترافا مباشراً متصلا بفنه حتى ولو ألقى به فى الطريق وشرده تشريداً ويطيلون فى الكلام المفخم المأخوذ عن صغار الفنانين الباريسيين الذين كانوا يقضون أوقاتهم فى احتساء الابسنت وفى الطرقات والمقاهى ويقولون انهم يكتسبون خبرة بامثال هذه الحياة. ومن الغريب ان اناسا آخرين يأخذون عليه الاحتراف ويعيبونه به وليس الاحتراف أو نقيضه من دلائل العبقرية. وسواء احترف المرء فنه أو لم يحترفه فهو فى الحالتين اذا عاش من أجل فنه كان خيراً ممن يموت من أجله لأنه يزاوله ويحييه. وأما الآخر فيموت فنه بموته. والتفكير السليم والخبرة بالحياة والناس والطبيعة لا تأتى فقط من طريق يشرد المرء نفسه فيه اختياراً

ومن الغريب ان أناساً يلومون المحترف على احترافه وهم لا يلومون الطبيب أو المعلم أو المحامى ويقولون: ان الفنان المحترف قد يضطره احترافه الى ان يصنع ما لا يرضى عبقريته. وهذا أمر ليس بالمحتوم ولو حدث شىء منه لكان الفنان فى هذه الحالة معطيا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ولا يمنعه هذا من إرضاء عبقريته ايضاً إلا اذا شغل احترافه كل حياته. وعلى أى حال لا أظن أنه يشتغل بما يرضى عبقريته أقل ممن يحترف غير فنه وسيبقى ما هو جدير بالخلود مما أرضى به عبقريته من الفن العالى وقد يهيىء له احترافه الفن فرصاً لا تتهيأ إلا به. ولمن يحترف فنه على اى طرق الاحتراف سواء الاحتراف الواضح القريب والاحتراف غير القريب الذى وصفناه مزية كبيرة لانه يكتسب الخبرة والدربة والحنكة والاطلاع اكثر ممن يحترف غير فنه وإن كان الاخير فى بعض الاحايين نظرات جديدة كنظرات من يبتعد عن المنظر الحسن من

مناظر الطبيعة كي يرى ما لا يراه القريب . والمحترف فى أكثر الاحايين اكثر انتاجاً وإجادة لانه اكثر مزاولة لفنه . واعنى المحترف العبقرى فليس كل المحترفين من ذوى العبقرية وليس العبقرى مدفوعاً إلى الاحتراف لا محالة ، وإنما هى أحوال الحياة وقد يتفرغ المرء لفنه اذا احترف غيره فلا يصرف فرص مزاولة فنه فى البحث عن الرزق . ولكن لما كان الفنان قد تنتابه عوارض يقظة الوعى الباطنى ليلا فان الارق يضنيه اذا لم تتح له فرصة الراحة نهاراً

عالمي أم محلي

الفن العالمى يصلح لكل مكان فان العقول والنفوس لا تختلف فى جوهرها وان اختلفت فى أذواقها وهذا الاختلاف لا بد من مراعاته عند النقل . واذا لم تكن فى الفن فكرة عالمية ولم يكن فيه شعور عام انقلب الى ملح ونكات محلية وألاعيب لفظية أو معنوية تروج فى مكان دون مكان وقد يكون فنها جميلا مليحاً ولكن مكانته دون مكانة الفن العالمى . والفن العالمى قد يكون مقروناً بثقافة عالية وقد لا يكون مقرونا إلا بثقافة تنشأ عن مزاولة الفن والتمرس به دهراً حتى تسقط عنه أخطاؤه التى تنبو عن أصول الفن الصحيح

فالفن العالمى قد يكون آية فى البساطة والسهولة وقد يكون مقرونا بالثقافة الكثيرة . والسهولة والبساطة لا ينفيان الثقافة على أى حال

والثقافة نوعان ثقافة العلم والفكر وثقافة التشذيب والتهذيب والمزاولة والخبرة . ولكننا نستنكر أن يقهر الفنان ثقافته كي يروج فنه بين من لا ثقافة لهم إلا أن يكون فى قهر بعض ثقافته داع الى اعظام فنه وكماله وإتمام قوته وخلاص له من الشذوذ الرخيص الفاتر المخل . ولكن هذا قهر ثقافة بثقافة فنية اعظم قيمة وليس من قبيل قهر الثقافة من أجل إخراج فن للعامة . ولو جاز هذا الامر فى صنع لما جاز فى كل اعمال الفنان

وليس الفن الجميل العالى فى مقدور كل انسان فى كل وقت حتى يقهره على ما لا تشاء العبقرية والثقافة والوعي الفطن . والفنان الكبير له أثران : أثر فيمن يستطيع ان يدرك كل مرامى فنه وأثر فى الآخرين الذين يتأثرون من يستطيع ادراك كل مرامى فنه أو بعضها . فأثر الفنان الكبير أشبه باثر الحجر يرمى به فى الماء فيصنع فيه دوائر متعددة تعظم وتتسع حتى يشمل أثر الحجر سطحا واسعا من الماء بعد أن كان أثر وقعه فيما حوله من الماء . وهذا ايضا اثر الفنان فى شعبه . ومن أجل ذلك كان اكثر عظماء الفنانين عالميين لأنهم انما يعبرون عن جوهر العقل البشرى والنفس البشرية اينما كانت وعن الطبيعة فى مظاهرها التى يشترك فى استجلائها كل انسان ويلتذ جمالها كل ذى لب مهما اختلفت مظاهر جمالها

عبد الرحمن شكرى

عبقرية الجمال

بقلم الأستاذ طاهر أحمد الطناحي

« بينما كان عمر بن الخطاب يطوف ليلا بالمدينة سمع امرأة تهتف فى خدرها وتقول :

هل من سبيل الى خمر فأشربها أو هل سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل سهل المحيا كريم غير ملجاج

« فقال عمر : لا أرى معي رجلا تهتف به العواتق في خدورهن . عليَّ بنصر بن حجاج . فجيء به ، فاذا هو أحسن الناس وجهاً وأجملهم خلقاً . فقال عليَّ بالحجام ، فجاء الحجام فجز شعره فخرجت وجنتاه كأنهما شِقتا قمر . فقال له : اعتم ، فاعتم ، ففتن الناس به . فقال عمر : والله لا تسكن بلداً أنا فيه . . وسيره الى البصرة »

تلك قصة يرويها الرواة على أنها تدل على إحدى فضائل عمر فى المحافظة على عصمة النفوس من الزلل ، وعلى أنها إحدى الحوادث التى تصور لنا مثلا من أمثلة يقظته في تتبع أحوال رعيته وحرصه على مصالحهم الدينية والدنيوية . . ونرويها نحن هنا لغرض آخر غير هذا الغرض الذي نعتقد أن الفاروق كان في غنى عنه — نرويها لهذه العبارة التى قال فيها الراوى : « فخرجت وجنتاه كأنهما شِقتا قمر » . فلو أن الجمال على الاطلاق هو تناسب الاجزاء كما يقول البعض ، أو الشعور بالشيء الجميل كما يقول آخرون ممن بحثوا فى معنى الجمال ، لكان الغرض الذى رمى اليه عمر من تشويه وجه نصر بن حجاج بقص شعره قد تحقق بنقص جزء مهم من تناسبه ، وبصرف شعور الناس عن جماله . ولكنه على العكس بدا خيراً مما كان . وكأن هذا الشعر الفتان الذى اختاره عمر لتشويه صاحبه لم يكن له فضل فى جمال نصر ، فقد زادت فتنة الناس به بعد حلقه حتى ضاق به عمر فحلف ألا يسكن بلداً هو فيه . .

فما السر فى ذلك ؟

السر فيه أن هناك شيئا غير تناسب الاجزاء ، هو عبقرية الجمال وروحه التى تسيطر على النفوس ، وهذه العبقرية تنمحى امامها الحدود والمقاييس ، فكما أنك لا تستطيع أن تقيس العبقرية في الادب أو الموسيقى أو التصوير بمقياس من المقاييس ، ولا تقدر أن تحدها بحدود

كما تحدد المسافات والابعاد ، كذلك عبقرية الجمال ، هي شيء فوق القياس والتحديد ، نراه ببصيرتنا قبل أن نفهمه باذهاننا ، وهي قوة تنفذ الى البصيرة كما ينفذ الجمال المعنوي في بيت الشاعر المطبوع ، فتطرب له نفسك حين سماعه ، وقبل ان ينتقل الى ذهنك ، وكما ينفذ الجمال الموسيقي في نغمات النشيد قبل ان تفهم معنى النشيد ، فالبصيرة هنا هي التي تقوم بدورها ، ولو أنك رأيت منظراً من منـاظر تلك العبقرية في الطبيعة أو الانسان فاعجبت به أشـد الاعجاب ، فلست في حاجة لان تسأل نفسك لماذا أعجبت به ، ولا أن تحلله تحليلا منطقياً وتقيسه بالحدود والمقاييس ، ولعلك لو حاولت ذلك ما استطعت

فتعريف سقراط للجمال على الاطلاق بانه نسبي لا ذاتي ، وبأنه لا يوجد شيء جميل في ذاته لا ينفصل عن شعور الانسان ، تعريف لو طبقناه على كل كائن معنوي أو مادي لما كان هناك وجود لشيء من الكائنات ، فلو قلنـا انه لا وجود للشمس إلا حيث يوجد الشعور بالشمس ، ولا وجود للعدل الا حيث يوجد الشعور بالعدل ، لما كان هناك شمس ولا عدل ولا غيرهما من الكائنات المادية والمعنوية

وكذلك افلاطون وارسطو في تعريفهما الجمال بالتناسب والتماثل والدقة في الاجزاء وتوسط الحجم دون أن يعينا كنه هذا التناسب ومقدار التماثل والدقة ، بل تركا ذلك للاذواق ، فهذا التعريف لا ينطبق على كل جميل ، وهو تعريف ناقص للجمال . على ان الحكم في ذلك كله للبصيرة ، كما قلنا ، لا للمقاييس والحدود

اما « كانت » و «هيجل» و « شوبنهور » من فلاسفة المتأخرين ، فقد ابعدتهم فلسفتهم عن حقيقة الجمال كما ابعدت المتقدمين الذين كانوا يريدون ان يخضعوا كل شيء للمنطق والموازنة والتحليل ، وقد قال فولتير :

« اذا سألت الفلاسفة عن معنى الجمال اجابوك اجابة غامضة بعيدة عن الواقع الملموس ، فدعهم وابحث عما تستطيع ان تفهمه » !

والذي نستطيع أن نفهمـه هو أن الجمال موجود في ذات الشيء الجميـل الذي نراه ببصيرتنا قبل افهامنا . وهو حيثما وجدت عبقريته لا تقاس بالمقاييس ولا تخضع للشعور المتأثر بالبيئة والنزعات التي تحدثها التربية والوسط والذوق الادبي

فحسناء كالليدي هاملتون يعجب بها المصري كما يعجب بها الانجليزي ، وكما يعجب بها الزنجي والياباني والصيني. واذا عرضت صورة أية عبقرية من عباقرة الجمال في الامم ألفيت اجماعاً

من سائر الافراد والجماعات على استحسان هذه الصورة مهما اختلفت الحضارات ، وتباعدت المسافات ، فرأس الملكة نفرتيتي وموناليزا أو الجيوكندا ، وتمثال فينوس ، وامبراطورة اليابان في رسم ايزا كو وادا ، ومدام دوبمبادور ، والاميرة كانت ، في رسم فانديك ، وغيرها من أمثلة الجمال العبقري ، لا تجد من لا يعجب بها ، ومن لا يقر لها بالجمال الساحر والتأثير النافذ الى كل النفوس سواء في ذلك الاوربي ، والافريقي ، والاسيوي ، والامريكي ، و الاسترالي

أمل المرأة

وعبقرية الجمال هي أمل المرأة الذى تسعى اليه ، ولو كانت على حظ كبير من الجمال ، فهي تتوسل اليه بالوسائل الصناعية ، كما يتوسل بعض الادباء من غير العباقرة بالمحسنات اللفظية في الشعر والنثر . ولكن عبقرية الجمال شيء يسمو على هذه الوسائل . واذا استخدمت فيها الوسائل الصناعية شوهتها لانها كاملة لا تحتاج الى الزيادة والتكميل ، وهى في بساطتها تجبر النّاس على الاعجاب بها ، لا فرق فى ذلك بين العدو والصديق ، والعاشق والحاسد ، والمؤمن والكافر ، فهي أينما وجدت ذات قوة سماوية ، لانها هبة إلهية لا يستطيع أحد أن يجحد سيطرتها على النفوس والأنظار ، وهى آية الله التي يعجز بها البشر ليقروا له بالعظمة في كل بدعة من بدائع الخلق

وغاية الرسام من فنه ابراز هذه العبقرية ، فاذا صادفها فى إنسان أو نبات أو جماد فتن بها ، وسرعان ما يلائم بين حقيقتها وخياله الطامح إلى المثل الاعلى ، وقد لا يعدو الواقع في رسمه كأنه ينقل بفوتوغرافيته لا بيده ، لان الجمال العبقرى لا يحتاج الى من يكمله ، أما الجمال العادى — أو الجمال الناقص — فهو في حاجة الى هذا التكميل ، فيخلع عليه الرسام من خياله جمالا فوق جماله ، فيبدو فى ثوب عبقرى ، لان غاية الرسام كما قلنا هي إبراز هذه العبقرية بقدر ما يستطيع

وعبقرية الجمال تخدم الفن حيثما وجدت ، وهى ترقى به الى المستوى الروحاني ، لانها من روح الله ، فاذا لم توجد هذه العبقرية أمام الفنان في ظرف من الظروف ، وافتقد نموذجاً منها يرسم على غراره احتال بخياله في الوصول اليها . ومن هنا تتفاوت أقدار الفنانين فى تمثيل عبقرية الجمال ، فأقدرهم على تمثيلها أقوام بصيرة في استكناه الجمال الذى لا تعرف له حدود

هل الجمال شقاء ؟

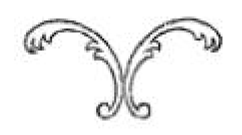
و بعد فهل الجمال سعادة أو شقاء ؟ أما انه سعادة للفنون ، فذلك مما لا شك فيه ، فانه يتقدم بها الى الامام ، ويرقى بها من الدرك الحيواني الى مكانة سامية في عالم الروح ، واما انه شقاء لاصحابه وللمجتمع ، فقد رأينا ما جنته عبقرية الجمال على نصر بن حجاج وما أصابه من الضيق والنفي عن وطنه ، والذين يتصفحون التاريخ يجدون ـ عدا قصة يوسف وما أصابه من جماله ـ امثلة كثيرة ، فيلانة أم تلياك ، وكليوبطره ملكة مصر ، كان جمالها شؤماً عليهما ولو كانتا قبيحتي المنظر لما شقيتا في حياتهما

والجميلة دائماً مرمى انظار الرجال ومثار للمنازعات ، فجمالها شقاء لها وللمجتمع ، وقد سببت كثيرات منهن اقتراف افظع الجرائم واخطر الاعمال بل كادت بعضهن تسبب قيام حرب دولية كما وقع في حادثة الكونتس فرنسيسكة وزوجها مسيو ليتشيف وعشيقها الضابط جوزيف وايلد ، فقد اشترك في الخلاف بينهم ثلاث دول وقعت في نزاع دولى بسبب هذا الخلاف

وكل من يتصفح حياة ملكات الجمال في العصر الحديث يجدها مليئة بالشقاء والآلام. وما زلنا نذكر مصرع الآنسة « اينيس سورية » ـ أول ملكة للجمال ـ بالسل بعد ما تقلبت فيه من مآس وما اصابها من بؤس بعد ظفرها بهذا اللقب

فالجمال شقاء لاصحابه كما هو شقاء لغيرهم وقد كان سبباً في شقاء بعض الملوك والامراء بما يصابون به من الغدر والخيانة التي تغرى بها أطماع الطامعين وأثرة الحاسدين. نذكر من ذلك ملك بهار أحد ملوك الهند فقد امتحن بهذه الخيانة من اجمل امرأة كان يحبها فانصرف عن الجمال وعن الحب واعتزل العالم وعكف على نظم أقواله في كراهة الجمال وكراهة النساء . ومما قاله : « ان المرأة الجميلة علة الشر فى الحياة وسبب انحطاط الرجل لأن نور الحكمة ما يزال يتألق فى أفئدة الرجال حتى يطفئه الحب . فالرجل يستطيع الاحتفاظ بكرامته والسمو بنفسه و روحه حتى يأسره جمال المرأة فينسيه كل شيء ويقعد به عن الرقى الى السماء » !

طاهر احمد الطناحي



حديث إلى الشباب

بقلم الأستاذ احمد أمين

الشباب نقطة البدء في حياة الانسان ، وطريق المستقبل ، فاما الى السعادة واما الى الشقاء . وعلى الشباب رسالة يجب ان يؤديها ، فاذا هو قصر فيها كانت عقبى التقصير جنايته واجرامه، لاجناية القضاء، واجرام القدر - بذلك يتحدث الاستاذ احمد امين الى شباب اليوم . والاستاذ احمد امين مدرس لطائفة من خيرة الشبان بالجامعة المصرية ، ومن الذين عرفوا كيف يستفيدون في زمن الشباب حتى وصلوا الى مكانة محترمة في العلم والادب . وهو بعد استاذ الكثيرين من الشبان الذين شقوا طريقهم في الحياة ، ووصلوا فيها الى النجاح الباهر ، والمستقبل الزاهر

تفضلت « مجلة الهلال » فطلبت إليَّ أن أتحدث هذا الشهر الى « الشباب » فرحبت بهذا الطلب ،لأن الحديث مع الشباب وعن الشباب والى الشباب ، حبيب الى النفس قريب الى القلب . وكيف لا يكون كذلك وهم - كما قال ابو العتاهية - رائحة الجنة ، وأيامهم خير أيام الحياة ، وهي أكبر مظاهر القوة ، وأكبر مظاهر الانسانية ، وهي في الأيام كالربيع في الزمان ، تغنى بها الشعراء يوم كانوا ينعمون بها ، وبكوا عليها يوم حرموا منها ، فالشباب كان شغلهم الشاغل إذا وجد وإذا فقد ، وما أكثروا من القول في الحزن على الشيب إلا لأنهم أعظموا الشباب . ثم أين حكمة الشيوخ من قوة الشباب ، فلطالما كانت الحكمة معوقة عن العمل ، بما ملئت من حذر ، ومن دعوى بعد النظر ، بل وما الحكمة التي زعموها إلا وليدة الشباب وبفضل الشباب ، فلولا حركة الشباب الدائمة وإقدامهم في شجاعة على الخطأ والصواب ما كانت حكمة ولا تجارب ، ولا مران ولا شيء مما يدعي المحنكون . والحق أن لا شيء في الشيوخ يعوّض ما للشباب من لمعان في عيونهم ، وقوة في عضلهم ويقظة في عقلهم ويقين في قلبهم . ليسوا بالاطفال يصعدون ولا بالشيوخ ينحدرون ، وإنما هم في الذروة التي ليس بعدها غاية - هم حجر الزاوية وواسطة العقد في الأمة

طريق المستقبل

في سن الشباب « ينعقد » الانسان ويتحدد قالبه ، ويكتب بنفسه قضاءه وقدره ، ويرسم خطة نجاحه وفشله ، وليس له بعد الشباب إلا تنفيذ ما رسم ، واستقبال ما قضى وقدر ،

فان حدث شيء غير عادى فبفعل الظروف لا بفعله ، وعلى الجملة فحياته بعد شبابه هى حركة « التصور الذاتي » واستمرار فى دفعة الشباب . واذا كتب لكل انسان تاريخ فكتب الناس متشابهة في أن أهم فصولها فصول شبابه وليس بعد « فصل » الشباب إلا فصل « النتيجة » وهل بعد صب العجين في القالب إلا التصلب ، أو هل بعد استكمال المقدمات إلا النتائج ، أو بعد انتهاء الفصول إلا الخاتمة . أو بعد انتهاء المهندس من رسم البناء والموافقة عليه إلا التنفيذ

ولكن ـ واأسفاه ـ يخطىء كثير من الشباب فيصب نفسه في قالب غير القالب الذى يناسبه أو يؤلف كتاب تاريخه على غير ما خُلق له ، أو يرسم هندسة بنائه ومساحة نفسه التي يقيم عليها البنـاء لا توائم شكل البناء فيخرج معيباً مشوهاً ، فكثير من رجال الأعمال أضاعوا شبابهم في دراسة نظرية بحتـة ، وكثير ممن حسن استعدادهم للفلسفة والنظريات البحتة أضاعوا شبابهم فى عمل يدوى ، ففقدت الأمة نبوغ هؤلاء وهؤلاء جميعاً ، وكنا كأننا فى مصنع يكنس أرضه المهندس ويهندس آلاته الكناس ، ويقوم بكل عمل فيه من لا يحسنه. وهذا أكبر سبب في ضياع الشبان وفساد الاعمال

فنقطة البدء فى حياة الشاب يجب أن تكون هى دراسة نفسه ، وتعرفه مواضع نبوغه ، ومواضع ضعفه ، واختيار العمل الذى يعمله ، ونوع الدراسة التى تناسبه ، وتحديد الغاية التى ينشدها . ولعـل الطبيعة لم تخل أحداً من نبوغ فى ناحية من نواحى الحياة ، وانما يميت هذا النبوغ أو يضعفه أن الشاب لا يستكشفه فيختار ماليس له بأهل فتكون النتيجة المحتومة الفشل تلو الفشل . ويلصق ذلك بالقضاء والقدر ، وما القضاء والقدر في هذا إلا أن بين جنبيه كنزاً لم يعرف مفتاحه ، وكم بين العاطلين والبائسين ومن لم يجدوا قوت يومهم من لو اتجه وجهة صالحة لأصبح نابغة فنه أو علمه ، ولأتاه الرزق من كل مكان . ولـكن كم من الناس يموتون عطشاً في الصحراء والماء على مقربة منهم لم يهتدوا اليه ولم يوفقوا الى مكانه !

وليس يستطيع أى عالم أو مرشد أو ولى أمر أن يستكشف موضع النبوغ في الشاب كما يستطيع الشاب نفسه . فنفسه بين جنبيه هو أقدر على أن يقيسها ويقيس اتجاهاتها ، وهو لو دقق النظر وأخلص النية في تعرف جوانبها ولم تغره المطامع الخادعة والمظاهر الـكاذبة لعرف سر نفسه وموضع عظمته

صعوبات الشباب

وليست هذه هى الصعوبة الوحيدة للشباب ، فهناك صعوبات عدة تعترضهم وتحاربهم وتدفعهم الى الشر وتصدهم عن الخير

من أهم هذه الصعوبات « الوراثة والبيئة » فهناك كثير من الشباب ورثوا الميل الى الاجرام، والميل الى الخمر ،والميل الى النساء ونحو ذلك عن آبائهم ، وظلت هذه الجذور الموروثة كامنة فيهم مدة صباهم حتى اذا دخلوا في دور الشباب تحركت هذه الميول بقوة وشدة فظهرت فيهم مرعبة مزعجة

كما أن كثيراً من الظروف السيئة تحيط بالشاب الطيب فتلتهم ميوله الطيبة ، وتهدم آماله وطموحه ، وتستأصل شعوره بالشرف والنبل ، وتجعل على عقله غشاوة فلا يستطيع التفكير ، وتجعل كل طموحه وكل أمله وكل تفكيره في شهوات وضيعة . وكل يوم تقوم لنا البراهين العدة على هذا

فمن هذه الظروف « الصداقة السيئة » فقد يكون الشاب طاهراً نقياً ، فما هو الا أن يصاب بصديق يفتح له حديث الشر ، ويحيي فيه كوامن شهواته ، ويقص عليه مغامراته ومغامرات أمثاله فى النساء وفى الشراب ، ويستدرجه من مجازة بمخنها ، الى كأس يشربها ، الى ما هو أسوأ من ذلك ، فاذا رأسه مشتعل بالشر ، واذا هو يطلق كل ما اعتنقه من مبادىء الخير ، واذا هو لا يصلح لجد ولا لدراسة واذا هو لا يصلح الا لضروب الشر

ومثل هذه الصداقة، صداقة الكتب والمجلات والجرائد التى من هذا النوع ، فهناك أنواع من الادب مضلة مغوية ، وكم من الشباب اتخذوا مثلهم العليا من روايات السينما الداعرة الفاتكة بالعقول الممثلة الجرائم واللصوصية ، المحركة لاسفل أنواع الشهوة ، وكذلك الكتب والمجلات والصحف والصور التى من هذا القبيل

ومما نأسف له أن هذا النظر وهذا القول يعد عند بعض الشبان من أخلاقية القرون الوسطى لا يصح أن ينطبق على عصرهم وزمنهم. والواقع أن التجارب التى أجريت والحريات التى منحت في هذا الباب دلت على صحة أخلاقية القرون الوسطى وأصبح المعاصرون من كبار أرقى الامم الممدنة يخشون من تهور الشباب في هذا الباب ، وأصبحوا في فزع مما يرونه من المآسى التى يرتكبها الشباب باسم الحرية

كيف يبني الشاب نفسه

والآن نتساءل : ماذا يجب أن يكون الشاب وكيف الوصول الى ما يجب ؟

أول واجب على الشاب أن يبني نفسه . فينظر في ملكاته واستعداداته ويكوّن منها نفسه على أحسن وضع يمكن ان تكون عليه المواد الاولية ، والناس كلهم مختلفون في كمية الملكات والاستعدادات وكيفياتها ، ولكن كل كمية وكيفية يمكن أن يصاغ منها انسان جيد في ناحية من النواحي ، له شخصية ممتازة نوع امتياز ، وليس يفسد هذا العمل إلا عدم القدرة على البناء ، أو عدم الاهتداء لخير الاشكال - يجب ان يبني نفسه جسمياً وعقلياً وخلقياً ، فيرسم له مثلا أعلى محدوداً في كل ناحية من هذه النواحي ، ويرسم خطة السير للوصول الى هذه الغاية ولا يترك نفسه سبهللا كالسفينة بلا قائد تتقاذفها الامواج ، وتدفعها الرياح كما تهوى - ولا يتسنى له ذلك إلا اذا امتلأ عقيدة بخير هذا المثل ومناسبته له . وقد دلت التجارب على ان القلب لا العقل هو الذي يبني الانسان ويكتب تاريخه ، ويحدد مقدار نجاحه ، فلا خير في عقل كبير لا قلب معه . وتاريخ الانسانية يشهد أن خدمة القلوب الكبيرة لها اقوى من خدمة العقول الكبيرة

وأهم ما يدعو اليه القلب ويتطلبه من الشاب أن يكون « رجلا » ، والرجولة وصف جامع لكثير من الصفات المحمودة : أهمها الجد في العمل ، والشجاعة في مواجهة الصعاب ، والحرص على المبادىء . وهذه الصفة نحن الشرقيين أحوج ما نكون اليها الآن ، وأحق صفة لكثرة الكلام فيها ، لأني أرى في الشباب ميلا الى الانحدار والتحلل من الواجبات ، وعدم الاكتراث بالمبادىء ، والميوعة في السلوك ، وهي كلها مظاهر لقلة « الرجولة » أو عدمها ، وهي اكبر سبب فيما نرى من عدم نجاح الشبان في الأعمال الحرة وتهافتهم على وظائف الحكومة ، لان طلب العيش في الحكومة سهل يسير . أما العمل الحر فيتطلب جداً فائقاً ونشاطاً كبيراً وعملا شاقاً في زمن طويل ، واعمال العقل في الابتكار والتفكير في وسائل النجاح ، فاذا لم يكن الشاب مسلحاً بكل هذه الخصال فشل فشلاً تاماً

لماذا يفشل الشاب

ولعل من اكبر أسباب هذا الفشل وعدم هذا الخلق - خلق الرجولة - أن الآباء لم يتعودوا عندنا أن يزجوا بأبنائهم الشبان في معترك الحياة ويحملوهم عبء أنفسهم ، بل يفتحون

لهم صدورهم وبيوتهم وجيوبهم حتى بعد أن يتخرجوا من المدارس العالية، ويتركونهم في البيت يأكلون ويشربون وينامون وينعمون، وكل عملهم السعي في دواوين الحكومة لعلهم يجدون لهم « وظيفة » . ولم يعتد الآباء فينا هذه العادة الجيدة التي اعتادها الغربيون، وهي أنهم منذ تعليمهم يطلبون منهم أن يصطدموا بالحياة، ويلجئونهم أن يجدوا لهم عملاً وأن يبحثوا لهم عن قوت، وأنهم وقد أعانوهم على اتمام دروسهم قد أنهوا الواجب عليهم، فوجب على الشاب أن يحمل عبء نفسه ويتعلم أن يعوم في الحياة كما يعوم في البحر، وان يكافح الامواج ويحارب الصعاب، ويبذل جهده حتى يجد قوته، فهذا هو ما يبني الشاب حقاً ويستخرج منه الرجولة. أما طريقتنا التي نسير عليها فلا نتيجة لها إلا ما نشاهد من ميوعة وتسكع على أبواب المصالح الحكومية . ومبلغ قليل يكسبه الشاب من عرق جبينه وبجده وباعتماده على نفسه خيرٌ في تكوين خلقه من عشرة أمثاله يحصلها من وظيفة حكومية أو من اعانة من والديه

إن الشاب يحب الوظيفة لانها عمل ميكانيكي محض، عمل راتب كعمل الآلة يعقب رزقاً محدوداً يقبضه آخر الشهر . وأشجع منه وأكبر رجولة من يغامر ويستخرج رزقه من فم الأسد، فالاول تسلمه الوظيفة الى الخنوع والاستسلام والتواكل وعدم الثقة بالنفس، على حين أن جد الآخر ومشقته في تحصيل العيش يكسبه شجاعة وجرأة وطموحاً واحتمالا للصعاب

وللوصول الى هذا يجب أن يكون الشاب — دائماً — باسماً للحياة متفائلا لا متشائماً آملا في النجاح . فاليأس يستلزم الفشل والخيبة، ويسمم الحياة كما يسمم « المكروب » الماء

وأخيراً على الشاب أن يمتلىء شعوراً بأنه مكلف أن يفعل ما يستطيع لتصحيح الخطأ الذي يقع فيه الناس من جرائم وشرور، فلا يكون في حياته انانياً بحتاً لا ينظر الا الى نفسه بل هو مطالب بعد ان يبني نفسه ان يشترك في بناء أمته وفي بناء الانسانية عامة على قدر جهده وكفاياته بخلقه وبعلمه وبماله وجاهه — على الشباب ان يكونوا قوة فاعلة دائمة في حياة امتهم، ويجب أن يتحملوا في الحياة أكبر عبء لان حيويتهم في الامة أقوى حيوية . وهم المقياس الصحيح لرقي الامة او انحطاطها . فاذا اردت ان تعرف هل ارتقت أمة أو انحطت وما مقدار هذا الرقي أو الانحطاط فاعرف الفرق بين شباب الامة وشيوخها، فبمقدار تفوق الشبان على الشيوخ في العلم والخلق والصحة يكون الرقي . وبمقدار ضعفهم عن الشيوخ في ذلك يكون الانحطاط . ان كل طبقة من طبقات الامة لها رسالة يجب ان تؤديها وليس في كل هذا أجدى وأنفع من أن يؤدي الشباب رسالتهم

أحمد امين

موسليني
من السلام إلى الحرب
بقلم الأستاذ عباس العقاد

كان موسليني من أقوى المعارضين للحرب الطرابلسية حين أعلنتها الحكومة الايطالية حتى انه اشترك مع بعض الجمهوريين في نزع قضبان السكة لتعويق سفر الجنود الى الميدان . وسيق الى المحاكمة فألقى في الدفاع عن نفسه خطاباً استغرق ساعتين قال في ختامه : « لو كنت فى موضعكم لأدنت نفسى ، لأننى ثائر ! فأنتم إن برأتموني أسديتم إلىّ فضلاً ، وإن حكمتم على أسديتم إلىّ شرفا »

وقال القاضى للمحلفين : « أيها السادة المحلفون . ان الرجل الذى أمامكم ليس بالمجرم الشائع المثال ، وانما هو رجل صاحب ذكاء رفيع ، فاصدروا حكمكم عليه وفقاً لما عندكم من مبادىء العدل والانسانية الرفيعة »

وصدر القرار بالبراءة فخرج موسليني محمولاً على الاعناق بطلًا من أبطال السلام أعداء الحروب

ذلك كان في الحرب الطرابلسية . أما بعد ذلك فقد عرف القراء ما صنعه الرجل في تذليل طرابلس التى كان يأبى فتحها وارسال الجنود اليها ، وقد عرفوا ما يصنع في الحبشة بعد أشهر قضاها كلها في ازدراء السلام بالعمل والكلام

ولما كان موسليني طريداً في جنيف حضر اليها الخطيب الفرنسى الكبير « جوريس » زعيم الاشتراكيين الفرنسيين ، ووقف يخطب عن السيد المسيح فلم يطق موسليني – وكان بين الحاضرين – صبراً على ثناء الخطيب ، وهم بمقاطعته مرات أثناء كلامه ، حتى أوشك الجمهور أن يبطش به ويقصيه عن مكان الاجتماع ، لولا أن جوريس نفسه تشفع له

ليس هناك رجل يلهج العالم كله بالتحدث عنه الآن كموسليني واطماعه ، وما أثاره من حرب تكاد تنتظم كثيراً من الدول . ومن الغريب أن هذا الزعيم الذي يعد الآن داعية الحرب كان من قبل داعية السلام ، وعدو الحروب . وقد عالج الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد هذه الناحية فيه ، وأبان سبب تحوله من جانب السلميين الى جانب الحربيين . وكشف عن قيمة مواهبه الممتازة في نفع بلاده

عندهم واستمهلوا الى ان يفرغ من خطبته فيقول ما يشاء ، وقد نهض الكلام فاذا به ينحي بما في وسعه من قوة اللسان وقوة البغضاء على الانجيل و «الجليلي» . . . ويقول ان المسيحية هي التي قضت على الحضارة الرومانية ، وهي شيء لا يذكر الى جانب «البوذية» والفلسفة الهندية

هذا وهو طريد في جنيف . أما موسليني الحاكم بأمره فقد عاهد الكنيسة على تعليم الصلوات في المدارس ، وترتيل الاناشيد الدينية في ثكنات الفاشية ، واتخذ من العصبية وسيلة الى تدويخ الشعوب التي لا تدين بدين المسيح !

* * *

وكان موسليني في أوائل الحرب العظمى عدواً للحرب نصيراً للحيدة الايطالية بين الدول الوسطى والحلفاء

ثم انقلب الى الحرب في صفوف الحلفاء وانتظم أياماً في الجيش المقاتل وأنشأ جمعية للدعاية الحربية ناقض بها نفسه وناقض حزبه وناقض العهود العلنية التي بين ايطاليا والحليفتين الجرمانيتين !. . .

فالرجل من أصحاب «الفرصة» السانحة ، وليس من أصحاب العقيدة التي لا تتحول ، وممن يعتمدون على القوة العملية ولا يعتمدون على التفكير والاقناع . فاذا استطاع عمل ولم يحفل بالتوفيق بين رأيه وآراء الآخرين ، ولا بين رأيه الحاضر وما كان له من رأي قديم

لماذا تحول موسليني

لماذا تحول موسليني من جانب السلميين الى جانب الحربيين ؟ أو لماذا تحول من الاشتراكية الى الفاشية ؟

لذلك تفسيران : أحدهما على ألسنة الاصدقاء ، والآخر على ألسنة الخصوم

أما التفسير الحسن فهو أنه نقم على الاشتراكيين الالمان والنمسويين خيانتهم للمبادىء الاشتراكية وتغريرهم بزملائهم في المذهب من الايطاليين . لانهم نصروا الدعوة العسكرية وسخروا بدعوة السلام وأورثوه خيبة الأمل في حقيقة المذاهب والآراء ، فانقلب اشتراكياً محارباً كالاشتراكيين النمسويين والالمان ، ثم انقلب عدواً للاشتراكيين لما رأى اتباع هذا المذهب خلوا من الوطنية والشرف القومي بعد انتهاء الحرب العظمى ، فكان هذا سر تحوله من أقصى الشمال الى أقصى اليمين

وأما التفسير المسيء فهو ان الرجل أجبر للدعاية الفرنسية في أثناء الحرب العظمى كما جاء على لسان المحامي الفرنسي الكبير « هنري توريس » . . . وكان يدافع عن فتى ايطالي قتل رسولا من رسل الفاشيين في باريس ، فلما ذهب النائب العام يشرح للمحكمة فظاعة الجرم ووجوب الصرامة في عقاب القاتل ، لان موسليني الذي يعاديه هذا الفتى صديق فرنسا في محنة الحرب العظمى ومعينها الغيور الكريم الذي استبسل في ضم الامة الايطالية الى صفها - وقف المحاميان يتساءلان : ألم يقبض موسليني اجره الذهبي على تلك المعونة ؟ ألم يكن له مرتب قدره عشرة آلاف فرنك يتقاضاه مشاهرة من الحكومة الايطالية ؟ ثم فصل البيان عن هذه المسألة بما سجله « ارماندو بورجي » في كتابه « موسليني في قميصه ! » كما يراه القارىء هناك بعنوان : « كيف أشتروه ؟ »

موسليني في ثقافته

هذا هو موسليني السياسي المتحول كائناً ما كان السبب الذي دعاه الى التحول ولا يزال يدعوه

أما موسليني في ثقافته فالرجل بلا ريب على نصيب من الثقافة العامة والمساهمة الادبية ، يدل عليه إلمامه بتواليف نيتشه وشوبنهور وجيتي وبعض الشعراء الانجليز ، واطلاعه على الاداب العامة التي جرى الحديث المرتجل عليها بينه وبين « أميل لدفج » ودونها هذا في كتاب مشتمل على جملة فصول وهي : فصل عن السياسة والحكومة ، وفصل عن الاشتراكية والوطنية والحرب والسلطان ، وفصل عن أطوار الأفراد والجماهير ، وفصل عن اوربا وروما والكنيسة ، وفصل عن الافكار والفنون

وفي جميع هذه الفصول ترى له الكلمات الخاطفة ، والاشارات النافذة ، والخلاصات السريعة ، فضلا عن شغفه بالموسيقى وتوقيعه على بعض آلاتها ، وفضلا عن معالجته التأليف وعنايته بآثاره في توجيه الجماعات . ولكن هذه الثقافة لا تعدو « الاعمال الواقعة » وما يعين عليها ، ولا تدل على التفكير والامعان دلالتها على الاقتضاب والتنفيذ

وليس في وسع أحد أن ينكر على موسليني العزيمة والارادة وقدرة التنظيم ، وان كان ناس كثيرون يضعونه في طبقة دون الطبقة العليا بين اصحاب هذه الصفات ، ويقولون ان أساليبه لا تنجح في غير الجماهير ومن يؤخذون بمظاهر الهيبة وسمات التقطيب والمبالغة

والتهويل ، ويعلمون انه اجدى على ايطاليا بعض المنافع الموقوتة وجمعها الى نمط من الوحدة الظاهرة ، ولكنه غامر بها فى أخطار لا تؤمن عقباها عليها ولا على الدنيا بأسرها

ولعل اصدق ما رأيناه فى نقده وايجاز عمله هو وصف المترجم له فى « قاموس السير » الذى طبعه السير هامرتون حيث قال : « اما ان ايطاليا اصبحت بعد ولايته عليها ادنى الى النظام والاغراء بالمعيشة فيها، فذلك ما لا شك فيه ، ولكن يشك في انها اسعد وارغد . وانما تنتظم فيها القطارات وتتمهد فيها الطرق وتستخدم فيها كهرباء الماء وتعمر أماكن المستنقعات ويتم ما قد تم فيها بالقوة الغاشمة والقسوة القاهرة . فالصحافة خادمه ، والاذاعة لسان حاله ، والفنون دعاته ومعاذيره ، وآراؤه يجرعها خصومه بزيت الخروع أو يصبها على رءوسهم بالهراوات وانه ليبشر بسلطان الحكومة ويقدم حرية الحضارة كلها قربانا لذلك الاله . . . فان كان قد أنقذ بلاده من الثورة والفوضى ، فقد ادناها من خطر لا يقل عنهما وهو خطر الحرب الجائعة ، وان كان قد أراش أجنحة المطامع من قومه فقد استعبد منهم العقول ، وان كان قد اسكت لسان الشكوى فقد عجز عن نزع اسبابها وهي خرساء اللسان »

ذلك هو موسلينى فى الحق والانصاف ، ومهما يكن من تنظيمه وعزمه فهو والحرية عدوان لا يجتمعان في مكان . وهو رجل لا بد أن يختار العالم بينه وبين مبادىء الحق واخلاق الحضارة التى خلصت لبني الانسان من أقدم الازمان ، وهو حاكم قد ثبت الخطر منه على بلاده ولم يثبت فضله المزعوم فى تحسين المرافق والاموال . ولست أتمنى مثله لمصر ولا اتمنى للعالم ان تسود فيه آراؤه واساليبه ، ولو انقذه من الفوضى كما يقال انه انقذ البلاد الايطالية

عباس محمود العقاد

لكل امرىء رأيان رأي يكفه عن الشيء أحياناً ، ورأي ينازع
ومن كانت الدنيا هواه وهمه سبته المنى ، واستعبدته المطامع

أبو العتاهية

أنشودة المرأة

Le livre des quatre saisons par Marie Fontane

تأليف مدام ماري فونتان

عرض وتحليل : بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

مارى فونتان امرأة فى الخامسة والستين من عمرها لم يسمع باسمها أحد، ولم تصدر فى حياتها الطويلة أى كتاب ولم تفكر فى احراز شهرة أدبية ، ولا فى الخروج من ظلمات القرية الفرنسية النائية التى تعيش فيها

ومع ذلك وهبت هذه المرأة حدة فى الذهن ، وتوقداً فى القريحة ، واضطراماً فى الخيال ودقة فى الملاحظة ، وروعة فى الأسلوب ، وشاعرية فياضة تنبع من قلب ناضر يأبى أن يشيخ

كانت مارى فونتان عاملة فى احد المخازن الكبرى بباريس ، ثم احترفت بيع الازهار فى الحانات والفنادق ثم اشتغلت كاتبة فى مصرف ثم التحقت بفرقة تمثيل ، واخيراً اقترنت بشاب أحبته وتبعته إلى قريته حيث تعيش اليوم

فالحياة بمختلف ألوانها غذت نفس تلك المرأة وأشاعت فى كيانها الملتهب ضرباً من الرغبة فى المعرفة والاحساس والتعبير قوياً غريبا

ولذلك ما إن شعرت بروح النظام والصفاء تسرى فى القرية وتنتشر فى بيتها وتسود العلاقات الحميمة بينها وبين زوجها حتى ثارت فى نفسها نزوات المدينة وأحست أنها فى حاجة الى الحركة والنشاط والانطلاق ، فلم يخطر ببالها أن تنفصل عن قرينها أو تسافر إلى باريس أو تسترد حريتها بأى شكل من الاشكال ، بل استجمعت قواها وانطوت على نفسها وا كبت على المطالعة والتأمل تحاول أن تخلق عالماً من الجمال والحكمة يسمو باحساسها ويلقى بها فى محيط الفكر الدائم الحركة والغليان

وظلت طوال حياتها تطالع وتفكر وتختبر وتتألم وتفرح وهى صامتة حتى أصيبت بمرض خبيث فعز عليها أن تفارق هذا العالم دون أن تترك له أثراً منها . فما ان شفيت حتى شرعت فى وضع « كتاب الفصول الاربعة او انشودة المرأة » الذى أودعته صفوة حياتها ، واستقبله أدباء فرنسا بعاصفة اعجاب وتهليل

كتاب « الفصول الاربعة » هو مجموعة غريبة من الخواطر والتأملات والمقطوعات الشعرية ، وهو أشبه بانشودة يؤلف انغامها العقل والعاطفة وترفعها المرأة للمرأة تمجيداً لشخصية الانثى وتخليداً لها

فالفصول الأربعة هي الأربعة الأطوار التي تمر بها المرأة . أي حياتها كاملة منذ أن ينفتح بصرها على النور وهي عذراء . حتى تطويها الشيخوخة ويذهب بجمالها غدر القدر !

ومدام ماري فوتنان تحدثنا عن كل فصل من فصول « العام » الذي تعيشه المرأة . فتارة تنثر آراءها في عبارات عذبة لينة قوامها المنطق والملاحظة ، وتارة تأخذ منها الحماسة كل مأخذ فتنظم الشعر وتتغنى بما في حياة بنات جنسها من آيات العظمة والتضحية والوان الألم والشقاء !

وسنحاول في هذا المقال احترام أسلوب الكاتبة ومزج آرائها النثرية بمقطوعاتها الشعرية ، كي نعطي القارىء فكرة صادقة أمينة عن كتاب حياتها الذي صرحت انها لن تكتب سواه

الربيع او عالم الاحلام

الربيع أجمل صور الطبيعة ، كذلك ربيع المرأة أجمل صور النساء . قد يحب الرجل المرأة مكتملة أنوثتها ، ولكنه لن ينسى أبداً مفاتنها وهي عذراء . فعالم الأحلام الذي تعيش فيه الفتاة النقية التي لم تعرف الدنس ، هو العالم الذي يستمد منه الرجل فضائله . والحضارة الصحيحة ميولها وأغراضها : الصفاء والعفة والخجل والرقة والبراءة والطهر وسرعة الايمان وحب المرح وعبادة الشرف والاستقامة والنبل ، كل هذه الفضائل يخلقها وجود المرأة العذراء وتتكون في ربيع حياتها أي في عالم الاحلام . وندرك نحن انها أحلام ومع ذلك نؤمن بها ولا نستطيع العيش بدونها ولا نتصور قيام حضارة لا تحسب لها كل الحساب

فكيان العذراء البكر الطاهرة هو الذي أوحى الفضائل للناس وجرد الغرائز من سلاحها وأخضع رجل الغابة وعلم الانسان معنى الشهامة وغرس في قلبه زهرة الواجب

والحق انك تحب اليوم زوجك لانها كانت بالأمس عذراء .. ولولا فضائل العـــذراء التي تخلفت في نفسها وقد أصبحت امرأة لعافها قلبك واعرضت عنها ومضيت تبحث عمن تستطيع أن تكون امرأة دون أن تفقد الكثير من سحرها القديم كعذراء ! . . .

الامير الظريف

كل فتاة في هذا العالم تبحث عن الامير الظريف .. تنشده في اعماق نفسها ، في قصائد الشعراء في خيالات الحداثة ، في أحلام المراهقة ، في المستقبل الدائم الابتسام ، في أنوثتهـــا التي تشعر بغرابتها وجمالها وتعلم انها كالمنجم الزاخر بالكنوز . . ولكن الأمير الظريف طيف من

الاطياف ووهم رائع تزينه تصورات الشباب ومع ذلك فالفتاة أيا كانت لا تنفك تتطلع اليه وتبحث عنه ..

فلماذا ؟ . لماذا تغرر بها الحياة على هذه الصورة ؟ لماذا تدفع بها إلى الولع بخيال لا يمت الى الحقيقة بسبب ؟ لماذا تدخل فى روعها أن من واجبها ألا تسلم بجمالها وصباها وعفتها الا لزوج يشبه الامير ان لم يستطع أن يشبه الملك ؟

الواقع ان هذا هو نداء الطبيعة تستمع له المرأة صاغرة دون أن تفكر فيه . ان الزواج سيجعل منها أماً ، ولذلك هى تطلب رجلا موفور الحياة المادية فى مقدوره أن يعول أسرة وأبناء . والزواج سيجعل من بدنها قربانا وضحية ، ولذلك هى تطلب رجلا فى وسعه أن يقدم الذبيحة ويشيد الهيكل ويحرق البخور . . .

ولقد كانت الفتاة فى العصور الأولى تنشد الأمير الظريف فى صورة بطل جبار . فاصبحت تراه اليوم متمثلا فى نجوم السينما . أى فى المظهر الانيق والحديث العذب والروح الخفيفة ، وإطار الترف الساحر المادى . أما العقل فابغض شىء اليها وأما الحكمة والاتزان والصفاء ففضائل يعشقها الكهول ذوو المخيلات الضيقة والأعصاب الواهنة والدم الآسن العليل

تلك هى مأساة الفتاة : تقول لها الطبيعة ابحثى عن الأمير الظريف أى عن الحسن والمال والقوة والاطمئنان الى المستقبل . ويقول لها المجتمع ابحثى عن العقل والفضل والحسب . عن الزوج الهرم السرى ، أو عن الشاب النشط الفقير ، أو عن الرجل الهادىء الرصين الكبير النفس الواسع الادراك

ولكن الفتاة تطلب أعظم وأثمن عناصر الدنيا ، الجمال ، والمال ، والقوة . لا تريد أن تضحى بواحد منها فى سبيل الآخر . وان هى اضطرت إلى التضحية على مر السنين تعذبت وتنكرت لها الحياة وعاشت وملء نفسها الحسرة وقضت البقية الباقية من عمرها تواصل البحث عن الامير الظريف برغم الزواج وبرغم الشيخوخة وبرغم كل شىء . . .

فمن يستطيع ان يخلص الفتيات من الأمير الظريف ؟! . . من هذا الحلم الذى يقض مضاجعهن ويعكر عليهن صفو الحياة ويسمم كل فتاة وكل زوجة وكل بيت ؟ . .

لا أحد . . اجل . لا احد . . . اذ الامير الظريف هو رمز المثل الشامل الاعلى الذى لا نستطيع خنقه فى قلب الانسان ولا سيما المرأة. هو التوق الى احتضان الحياة كاملة . هو الرغبة الخالدة فى معرفة كل شىء ، والحصول على كل شىء . هو البحث الأبدى عن السعادة . السعادة التى قد يقنع الرجل بجزء منها ، والتى تأبى المرأة الا ان تفوز بعناصرها جميعاً

هذا هو السر فى أن المرأة أقوى من الرجل أمام الحياة وأضعف منه فى نفس الوقت وأشد تعساً وشقاء ! انه يبنى كل شىء على أرض العالم الخارجى بواسطة العقل والارادة . أما هى فتشيد

حياتها على هذا العالم أيضاً ولكن بواسطة القلب والحواس والخيال . لذلك أنا أعجب بالرجل ولكني أحب المرأة !!.. أحبها لانها في جحيم اليأس . ومرارة الحسرة ، وشقوة الهجر ، وذل الشيخوخة لا تقطع الأمل ابداً ، ولا تنفك تبحث عن الأمير الظريف !

نشيد العذراء

« لمن أقدم حياتي ؟.. قلبي جوهرة لم يقع على ضوئها بصر مخلوق ! ولكني أريد أن أهبك اياها يا حبيبي

« الحنان يهطل من فؤادي كالمطر ، الوفاء يفيض من جوانحي كسيل مجنون ! التضحية تصفر في اذني كالريح وتحملني الى أعلى الجبل وتواجهني بالموت فلا ارتعد ولا أتحرك ولا أخاف !

« إن دمي ليتوق الى الفناء في دمك ، إن كنزي ليتوق الى التبعثر عند قدميك فاين أنت ؟! بحثت عنك في كل عين وكل نور وكل ابتسامة فلم أجدك ! سألت عنك الجميع فاجابوني : ليس هنا ! طفت بالشوارع. جبت انحاء الارض. تغلغلت في الكهوف فلم أجدك ! انا لا أعرف اليأس وسأتعقبك إلى الابد ! مهما فعلت وأيان ذهبت فسأرغمك على الوقوف والتطلع الي ! ولكن هل تقدرني عندئذ قدري ؟ هل تدرك مجد الثروة التي احملها اليك ؟ آه لشدما اخشاك ! لمن ؟ لمن اقدم حياتي ؟ »

الصيف أو عالم الزواج والامومة

بين عشية وضحاها تتفتح اكمام الزهرة وتتجه في ثقة وإيمان صوب الشمس ! تختفي الفتاة وتبرز المرأة أوثق ما تكون صلة بالواقع المحسوس . تشعر بهذا الواقع في نفسها وجسدها ونظرة الناس اليها ونظرتها الى زوجها وبيتها فتدب فيها النشوة وتدرك فجأة ان سلطانها عظيم وانها أصبحت معبودة بل نصف اله !

لقد اعطت الرجل أعز ما تملك! لذلك تعتقد أن من حقها ان تطالبه بكل شيء . والرجل من جانبه يسرف في التودد اليها ويغلو في التحبب لها ويمعن في ارضائها فتزداد تعلقا به وتزداد شعوراً بقيمتها فتضيق عليه الخناق وتأمر وتنهى وتقبل وتعرض وتتحكم وتستبد كأمير حديث العهد بالملك لا يعرف بعد حدود سلطته !

وهكذا تأبى الزوجة إلا أن تبسط سلطانها على الجميع وتبدأ فتصادر حرية زوجها . لا حرية مع الطغاة ، والمرأة في مستهل حياتها الزوجية طاغية فظيع له نزوات مجنون وروح طفل .. لا يمكنها أن تفهم أن زوجها كان بالأمس أعزب وانه الف الحرية واعتاد الرحابة والانطلاق وان من الخير لها ان تمنحه على الاقل وهم الحرية ليعيش . كلا ، يجب أن ينزل عن حريته ، يجب أن يودع لهو الصبي وخلان الصبى ، يجب ان يتأهب لانكار ذاته وإلا تجهمت له وتنكلت به واحالت بيته الى جحيم

وهذا ما يمقته الرجل بل ما يخشاه من الزواج على الاطلاق . ولكن لمن تستبد المرأة ؟ وأى دافع يدفعها إلى سلوك هذا الطريق ؟ الحق انها تطغى قبل الامومة لتضمن بقاء الاسرة بعدها . تستبد بالزوج فى مبدأ الأمر كي تحتفظ فيا بعد بالوالد . تدرب الشاب على فقدان حريته كى تهون عليه رق الابوة . ومتى اصبحت أماً نزلت بدورها عن كامل حريتها وضربت أورع الامثال فى انكار الذات والتضحية . فاذا ادرك الرجل جلال هذه التضحية وقابلها بمثلها فى سبيل انضاج الثمرة المشتركة الباقية ، فازت المرأة واعتبرت نفسها اسعد النساء ، وإلا عادت الى سابق احلامها . . احلام الربيع . . . ومضت تنشد من جديد اميرها الفاتن الظريف !.

فاجعة حياتها

إذا أصبحت الزوجة أماً تحول معظم حبها من الزوج إلى الولد واشتد بالتالى تعلقها بزوجها خشية أن يلحظ فتور عواطفها فتفقده وهى احوج ما تكون اليه . . ولكن التعلق غير الحب والزوج يشعر بهذا فيتبرم ويتضجر ويدرك شيئاً فشيئاً ان الحب آخذ فى النزول وان الامومة اوشكت ان تفنيه فينور ويتمرد ويتوق الى التحرر والحياة ، فتفزع الزوجة وتحاول انعاش الحب القديم فتتخبط بين واجب الزوجية وواجب الامومة ، بين حب الرجل وحب الابناء ، وتظل هكذا تجاهد وتكافح لترضى نزعات القوة والحب والتمتع فى نفس زوجها وتقوم فى ذات الوقت بتأدية فرضها المقدس كحارسة للنوع وخادمة امينة للسلالة البشرية !

فأى شقاء يضارع شقاءها وأى عذاب يقاس بعذابها وهى تعلم حق العلم ان من واجبها ان تكون اما وزوجة معاً ، فى حين ان الامومة قد تشوهها وتذهب بذلك الجمال الذى عليه وحده ينهض سلطانها كزوجة وانثى ؟! . .

غير ان فى الامومة عزاءها الكبير والرجل يعرف هذا . ولذلك يستولدها لتنصرف عنه الى ابنائها وينصرف هو كلما سنحت الفرصة الى حياة المرح واللهو والحرية . فهو ينزع الى الفرار من التضحية ، اما هى فتقبل عليها . وكثيراً ما استعاضت الامهات عن اجمل الازواج وافتن العشاق بلغثمة ساحرة بريئة تخرج من شفتى طفل !

نشيد الأم

« انظروا إلى . انى احمل العالم كله بين يدى ! ما اخفه وما اثقله ! ما اجمله وما اروعه ! لقد عجنت الخميرة فى احشائى ورويتها بدمى ومزجتها بدموعى ونفخت فيها من كلمة الله المودعة فى وسويتها بنعمته انساناً !

« انظروا الى . إنى احمل العالم كله بين يدى ! احمل الانسان مجموعة العالم وملك العالم ! هو

ملك ولكنه اطوع لى من بنانى ! انا التى قلدته صولجانه واجلسته على العرش . انا التى علمته كيف يحكم وانا مع ذلك اول من يطيعه ! انا سيدته الى الابد وعبدته الى الابد ! لقد صغت تاجه من لؤلؤ دمعى ! لقد ابدعت فيه ما حرمتنى الطبيعة اياه : الارادة والعقل والقوة ! فاحنوا رءوسكم امام ولدى ! وانظروا الى انى احمل العالم كله بين يدى ! »

الخريف أو عالم الكهولة والشهوات

تنقضى الايام والأعوام . وتعقب الاصباح الأمساء . وتمر مفاتن العالم فى عرس يلوح كأنه ابدي . وفى ذات يوم تستفيق المرأة من سباتها وينفض الزمن عبء الوهم عن خيالها وتحدق الى المرآة فتبصر وقلبها يهلع ونفسها تتمزق اولى الشعرات البيضاء تضحك ساخرة فى مفرقها البديع

لابد من التقهقر . لابد من التسليم . ولكن المرأة تموت ولا تسلم . كيف ؟ . امن كانت بالامس رمز الجمال تصبح اليوم موضع الشفقة والاستخفاف ؟ امن كانت بالأمس معقد الامل ومحط الابصار تصبح اليوم موطن الضعف والتدهور ؟ وهل يمكن ان يموت الجمال ؟

كلا . الجمال خالد خلود الحياة ومهما عصفت به الطبيعة فقى وسع العقل أن يحتفظ منه ولو بالسراب الخادع البراق . لا بد للجمال ان يعيش ويبقى . تلك شريعة المرأة وفى سبيل توكيدها تحتمل عن طيب خاطر شتى الوان التحقير والامتهان

يذهب الجمال الطبيعى فتلوذ المرأة بعقلها وتستعيض عنه بالجمال الصناعى . تعنى بجسمها عناية الام بولدها وتسرف فى العناية وتستخدم ان استطاعت شتى وسائل العلم ومختلف طرائق التبرج وتظل تكافح وتغالط وتكابر لا تعرف اليأس ولا الملل

انها لتعبد الجمال وتقدسه اكثر من الفنان نفسه ! فقد يذبل الحور فى نفس الفنان وقد يضعف ويقنط أمام جحود الناس . أما المرأة الكهلة المتصابية المتبرجة فينسى الرجل ماضيها المجيد ويسخر منها وتزدرى وتصبح ملهاة النساء وأعدى أعداء العذارى ، ولكنها تمضى فى طريقها غير حافلة ما دامت تؤدى رسالتها وتؤدى شريعتها وترى فى هذه الدنيا شباباً ورجالا !

والمرأة فى دور الكهولة أتعس مخلوق . الفت الجمال . علموها كيف تكون جميلة . طلبوا اليها قبل اى شىء أن تكون جميلة . مثلوا الحسن فيها . زينوها بوشائح من ذهب ونور . جعلوا منها ملكة وإلهة . وها هم اليوم يتنكرون لها ويتآمرون على خلعها ويحاولون طردها من هيكل طالما تصاعدت اليها فيه الابتهالات والصرخات !

يقولون لها : الفضيلة ! فتقول لهم : الجمال ! فيعتقدون أن من المحال على الكهلة ان تجمع بين الرغبة فى الجمال والحرص على الفضيلة . وهذا هو السر فى احتقارهم إياها والسر فى شقائها العميق . لانها لا تكاد تتبرج حتى تتهم ولا تكاد تطلب كعادتها الجمال حتى يجردها الكثيرون لا من الجمال فقط بل من الفضيلة أيضاً !

شيطان الكهولة

... وتحس الكهلة المنكودة الحظ ان كل شيء يفر منها . . الوجوه تعرض عنها . العيون تتغامز متى لمحتها . الصبايا القاسيات القلوب يعيرنها . الشباب المزهو يأنف منها . عشاقها الاقدمون ينكرونها ويمرون بها غير آبهين . فتذكر الماضي وتوازن وتفاضل بينه وبين الحاضر وتشرئب ببصرها الى المستقبل فترتعد وتتصور نفسها وقد أصبحت مخلوقة شوهاء كليلة طحنتها الأيام ،فتثور ويركب رأسها شيطانها وتطوف بذهنها أحلام غريبة وتستأثر بحواسها شهوات وغرائز تظل تتأجج كنار تحت رماد

فاذا كانت الكهلة من اولئك اللواتي يقدسن الواجب الاجتماعي كبحت جماح ميولها وتجلدت وأعدت العدة لاستقبال مصيرها المحتوم ،وان كانت متوثبة المزاج سريعة التحول خليعة مستهترة ، اصاخت لشيطانها ومضت تلهو وتمرح وتنتهب الفرص لا تلوى على شيء . وفي كلتا الحالتين تصاب المرأة الكهلة في كرامتها واحساسها وفي صميم انوثتها : في الحالة الأولى يحكم عليها المجتمع بالموت البطيء . وفي الحالة الثانية يلفظها المجتمع وتنحط في عين نفسها ويسرع عشاقها بالغدر بها ، وتتلقفها الأيدى العابثة متعة ليلة قد لا يعقبها صباح

أجل . من النساء في دور الكهولة من تشعر بالسعادة برغم هذا الألم،ولكنها سعادة المحتضر الذى يقاوم لتتخلف في صدره بعض نسمات الحياة أو سعادة المستقبل الذى يلقى بنفسه الى التهلكة سعيا وراء لذة الموت المجيد . وعلى كل فالكهولة هي رؤيا الموت ، ومهما كانت المرأة جريئة فمن المحال ان تجد السعادة الحقة في مداعبة صورة الموت !

نشيد الكهولة

« أين أنتم يا صحاب ؟ أين أنتم يا صحاب ؟ زهر الشباب كان يسطع في عيونكم . عزم الشباب كان يدوى في سواعدكم . دماؤكم الحمراء كانت نهر جمالي ! عصارة أجسامكم كانت غذاء قلبي ! نور أبصاركم كان من حرارة بدني . فأين أنتم يا صحاب ؟

« الأرض تدور بي وخيالكم يلازمني ، وأنا أصيح وليس فيكم من يستجيب لندائي ! لقد ضربتني الحسرة كما يضرب البرق الشجرة بالصاعقة فيحرقها . أنا ألتهب وأطلب الرحمة يا غلاظ الاكباد جبارى القلوب ! حولوا أنظاركم إلى ولو لحظة . دعوني أنعم بالحب ولو صدقة ! اقتربوا مني . كل شبابي القديم وحسرتي تجمع اليوم في قبلتي ! لو قبلت واحداً منكم . . واحداً فقط . . لأعدمت في خياله ذكرى عذارى الارض جميعاً ! فتعالوا . . تعالوا إلى صدرى . . أنا التي اعرف كيف أحبكم ! سأعطركم بآخر أنفاسي . . سأغسل شبابكم بدموعي . . ولكن أين أنتم يا صحاب ؟ . آه . أين أنتم ؟ »

الشتاء أو عالم الشيخوخة والعدم

الكلام هنا لا يجدى .. وخير لى ان انطوى على نفسى وأتأمل ثم أرسل بقية حياتى فى انغام ممزقة كزفرات . لا أحد يهتم بى . الوحدة تكتنفنى . . زوجى اصبح لا يرانى . هو قطعة ميتة تستمد الحياة من جسم ميت ! ضجة وصياح . الشباب يتضاحكون وانا اهز راسى وأبتسم ثم أتحامل على هيكلى المهدم واخلو إلى ذاتى المضمحلة وانظم ايات الوداع :

نشيد الظلام

« الظلام يغمر عقلى ويحفر هوة سحيقة امام قدمى ! اذنى اصبحت صماء ! عينى تخاف النور ! رأسى يهتز على الدوام ويضحك الأطفال ! غضون وجهى المتشعبة المتداخلة مسختنى وقتلت فى ذهنى خيال المرأة الجميلة التى كنتها بالأمس !

« انى اتوكأ اليوم على عصا وامشى على ثلاث وكأنى ادب على اربع !

« القى بى المرض فى زاوية واحاطنى هو الآخر بظلام . فالظلام جوحياتى ، الفته وتدربت عليه وانا الآن احبه . فالوداع ! ... »

نشيد البرد القاتل

« أين هى الشمس ؟ . أين هى الشمس ! لا أطلب من الحياة غير حرارة الشمس ! كان جسمى مرجلا يغلى فاصبح بارداً كالرخام !

« الجميع يشفقون على وتنفذ الشفقة منهم الى صدرى كطعنة سكين !

« ألا ارى ضوء الشباب ينسكب على جبينى مرة أخرى ؟ ألا ابعث فى الأرض كما سأبعث فى السماء ؟ ألا يرد الى جبروتى ولو لحظة ؟

« أريد أن اعذب رجلا ميقات برهة ثم اموت ! ... اريد ان يعذبنى رجل ميقات برهة ثم اموت ! .. أريد ان اتنفس ملء رئتى ! أريد ان اصعر خدى وامشى فى الارض مرحاً وانفجر ضاحكة كينبوع !

« ولكن اذنى اصبحت صماء . وعينى تخاف النور ، ورأسى المهتز على الدوام يضحك الأطفال !

« بى حاجة للشمس . اين هى الشمس ؟ اين هى الشمس ؟ »

نشيد الخلود

« كفكفوا الدموع وانثروا الازهار ! ضفروا الأكاليل واوقدوا الشموع ! غنوا حولى وارقصوا يا رفاق !

« الضريح كالمهد ناصع البياض ! القبر كالليل رائع الحركة والضوضاء ! لا هدوء في قبري يا رفاق ! لا موت ولا تحلل ولا فناء . كل ذرات جسمي قد استحالت الى كواكب واقمار !

« لن اموت ! لن اموت !

« الجمال صدر عنى ، والجمال يرتد الى ! كان يحيا بى وهو الآن يعيش منى . كان مثلا فى وهو الآن من وحيى . فانا خالدة فيكم وفى اصلابكم وفى كل زهرة وكل نبتة وكل جو وكل سماء !

« انا خالدة فيكم وسأظل باقية معكم الى ان تنصرف عن الأرض عين الله ! فغنوا وارقصوا يا رفاق ولنهتف جميعاً : مجداً للجمال ! مجداً للجمال ! . . »

ابراهيم المصري

الشرق

بقلم الاستاذ احمد محرم

رب هب لى قلباً من رحمة	وبياناً من هدىً في الكاتبين
لك نفسي ، ويراعي ، ودمي	لك إيماني ، وديني ، واليقين
ما أبالي حين ترضى أن أرى	أمم الأرض غضاباً اجمعين
رب إني قد تبينت الهدى	فتنكبت سبيل الجاهلين
رب كن (للشرق) وارزق اهله	في بني الدنيا حياة العاملين
زلزل (الشرق) قضاء هائل	فتح الأقطار للمستعمرين
جاشت الاحداث في هبوته	فاستباحت جانب السدّ الحصين
سد (يأجوج ومأجوج) الالى	ملكوا الارض فعاثوا مفسدين
اين (ذو القرنين) في قوته	يدفع القوم ويحمي المالكين
أيضيع (الشرق ؟) ويمحي إنه	حرمة الوحى ، وعهد المرسلين

احمد محرم

الأدب النسائي الحديث

المرأة المصرية تقتحم ميادين الحياة الفكرية

بقلم الدكتور زكى مبارك

اهمال الادب النسائي القديم ـ أظهر الشخصيات النسائية في الادب الحديث ـ باحثة البادية ـ الآنسة مي ـ السيدة هدى شعراوي ـ فتيات الجامعة المصرية

كان أستاذنا الشيخ محمد المهدى ـ طيب الله ثراه ـ يعجب من قلة العناية بتدوين أدب النساء ، ويرى أن حملة الادب ورواة الشعر جاروا سائر الناس فى استصغار شأن المرأة ، ثم يقول :

« فان لم يكن ذلك كذلك فما بالنا نسمع من أسماء الشواعر فى الجاهلية العدد العديد . ولا نرى لواحدة منهن ديواناً حافلا مجموعا مرتباً مشروحا ، كما نرى ذلك لأكثر الشعراء ؟ فقد عنى العلماء بدواوينهم رواية وشرحا وترتيباً ومفاضلة . وبذلوا وسعهم فى اظهار معانيها المخترعة ، ومقابلة بعضها ببعض ، ومآخذ المشترك منها ، والموازنة بين المأخوذ والمأخوذ منه ، ومقارنة الديباجة والوضوح والمتانة والسلاسة ، والسلامة من عيوب اللفظ وما شاكل ذلك ، بنظائرها من كلام الشاعر الآخر . ولم يكن لعلماء اللغة ورواتها مثل هذه العناية لشاعرة من شواعر الجاهلية حتى الذين تخيروا الشعر الجيد منهم وجمعوه فى ديوان ليحفظ . كأنهم لم يريدوا أن يختاروا قصيدة امرأة لتكون بجانب قصائد الرجال »

وحجة أستاذنا المهدى أن أبا زيد القرشى اختار تسعاً وأربعين قصيدة من القصائد الطوال ولم يجىء فيها بواحدة لامرأة ، لا من الجاهلية ولا من الاسلام . وأن المفضليات ، وعدتها مائة وعشرون قصيدة وقطعة . ليس فيها الا خمسة أبيات لا مرأة مجهولة من بنى حنيفة

ولم يفت أستاذنا رحمه الله أن ينص على أن من المتقدمين من عنى بأدب المرأة كأبى عبيد الله المرزبانى الذى الف كتاباً فى أشعار النساء.

والواقع أن علماء الادب لم يغفلوا الادب النسائى إغفالا تاماً ، ولكنهم مع اهتمامهم به لم يذكروه الا فى مجال التندر ومطارح الاسمار . وقد حدثوا أن الخوارزمى قصد الصاحب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل الى بابه قال لأحد حجابه : « قل للصاحب : على الباب أحد الادباء وهو يستأذن فى الدخول » . فدخل الحاجب فأعلمه فقال الصاحب : « قل له قد ألزمت نفسى ألا يدخل على أحد من الادباء إلا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب » . فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له ابو بكر : « ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر

النساء؟» فدخل الحاجب فاعاد عليه ما قال. فقال الصاحب: «هذا يكون أبا بكر الخوارزمى»

ما بالنا نحاسب التاريخ؟ ان التاريخ لم يكتبه غير الرجال وهم أهل قسوة، والمرأة لاتستطيع أن تفرض سلطانها على الرجل الا فى دولة القلوب وهى دولة لا تملك السيطرة فى جميع الأحوال

دين المرأة على الادب

ان من الحق أن الأدب مدين للمرأة لانها فى بعض نواحيها مخلوق طريف يوحى الى الرجل أشرف العواطف وأجزل الاراء، ولا يكاد رجل يتكلم الا فى خياله طيف امرأة ساجية الطرف مصقولة الذوق معسولة الحديث. والرجل الذى لاتسوقه المرأة إلى ميادين المجد يمشى الى غايته فاتر الجهد خامد الاحساس، ولكنه مع عرفانه بفضل المرأة يتجنى عليها وهو عامد لأن فطرته تفرض عليه القسوة ويكاد يؤمن بأنه لا يجمل فى عينى المرأة الا اذا تسلح بالعنف

تلك فطرة الرجل وفطرة المرأة. فليقم التاريخ على أساس هذه الفطرة وليكن فيه ظالم ومظلوم، ليصح له الانسجام الذى ينشده أهل الآداب والفنون

وبالرغم من هذا كله نشعر بأننا مضطرون الى الاعتراف بقوة الادب النسائى فى العصر الحديث ولن نملك من التجاهل ما كان يملك رواة الادب فى الاعصر الخالية، لان النساء فى الادب القديم لم يكن لهن من وسائل الدعاية ما يملك نساء العصر الحديث. فالتجنى على الادب النسائى لم يعد فى طاقة الباحث الامين لان المرأة تطل عليه من جميع النوافذ فلها فى كل مدرسة مقعد ولها فى كل جريدة مكتب ولها فى كل ناد مكان وهى أخت الشيطان حقاً وصدقاً

فلا تحسبونى انصف المرأة طائعاً، وانما أترفق بعد اذ عجزت عن الثورة والطغيان. ولأواجه الموضوع بطريقة حازمة فأقول:

باحثة البادية

أظهر الشخصيات التى أقامت قواعد الادب النسائى بعد عائشة التيمورية هى المرحومة ملك ناصف (باحثة البادية) وكانت امرأة حصيفة معروفة بجزالة الرأى ومتانة الاسلوب ولها كتاب جيد اسمه «النسائيات» وهو الحجة الباقية على ما تركت تلك المرأة القوية من الاثر البالغ فى الادب والاجتماع - كان أدب ملك ناصف أدبا نسائياً من حيث الموضوع فانها قصرت اهتمامها على المرأة وصورت زمانها وعصرها تصويراً ناطق الملامح وجرأت المرأة على الجهر بكلمة الحق وعودتها الصبر على مقارعة الخطوب

ومن المؤكد أن لنشأتها أثراً شديداً فيما امتاز به أسلوبها من قوة الديباجة، فهى بنت المرحوم حفنى بك ناصف، وكان أزهريا قديماً يدين باللفظ الضخم والاسلوب الرصين

وكان لعصرها نفسه أثر فى تلوين ذوقها الاجتماعى ، فقد شهدت المعركة الدموية التى اثار عجاجها قاسم امين . والذى يرجع إلى جرائد ذلك العهد يراها مشحونة بأخبار المعارك بين السفور والحجاب ، ويرى ان تعليم المرأة كان فى المسائل التى يشتجر حولها النضال ، وهذا يفسر اهتمامها بالمشاكل النسائية ويشرح السبب فى انصرافها عن كثير من مشاكل الاجتماع

ونجاح ملك ناصف فى الكتابة كان من المغريات التى دفعت الجنس اللطيف إلى اقتحام ميادين الانشاء . ويمكن الحكم بأنها صاحبة الفضل الاكبر فى توجيه النساء الى احتراف الادب والتسامى إلى منابر الخطباء

وكانت ملك تنظم الشعر ، ولكنها كانت من المقلين فلم يؤثر عنها من جيد الشعر إلا النزر القليل . اما نثرها فكان اقوى ما خطته انامل امرأة فى ذلك الزمان . وسيظل أعجوبة الاعاجيب لمن يتصور حال النساء فى ذلك العهد يوم كان تعليم البنات يحتاج الى فتوى من مشايخ الازهر

الآنسة مى

ثم تجىء عروس الادب النسائى فى هذا الجيل ، وهى فتاة أعرفها جيداً ، فقد كانت رفيقتى فى الدرس وزميلتى فى طلب الادب والفلسفة بالجامعة المصرية ، وهى المدموازيل صهباء

اعرفتم من هى ؟ ان لم تعرفوا فاسمعوا

كان لى بالجامعة المصرية زميلة تنافسنى منافسة عنيفة ، وكنت اضمر لها خلا من البغضاء . ولحظ ذلك المرحوم اسماعيل بك رأفت فدعانى إلى مكتبه ثم قال : « اتعرف ما معنى « مية » التى تغنى بها الشعراء ؟ » فقلت : « لا ! » فقال : « مية هى الخمر بالفارسية ، واهل فارس يسمون الخمارة « مى خانه » فعرفت منذ يومئذ أن الآنسة مى معناها المدموازيل صهباء

والآنسة مى هذه شخصية صحيحة النسب إلى حواء . هى شخصية نسائية فى كل شىء قلبها قلب امرأة ، وعواطفها عواطف امرأة واسلوبها فى الكتابة والخطابة والحديث أسلوب فتاة خلوب تعرف كيف تغزو الصدور والقلوب

هى فتاة مخضرمة جمعت بين الشمائل المصرية والسورية . واطلعت على آداب كثيرة لأمم مختلفة وعرفت كيف كان يفكر العرب وكيف يفكر المصريون والفرنسيون والانجليز والالمان . وفى ادبها ظلال مما قرأت وما سمعت وما عرفت ، وهى مع ذلك كله فتاة شرقية تجرى فى عروقها احلام الشرق الاصيل

رافقتنى الآنسة مى بالجامعة المصرية ثلاث سنين . وكان الطلبة يختلفون معى اختلافاً شديداً حين كنا نعرض لتقدير مواهبها الادبية ، فسألنا الاستاذ المهدى أن يحكم فيما شجر بيننا من خلاف وكان فينا من يفضل باحثة البادية ومن يقدم مى ، فقال الاستاذ : « تلك أجزل ، وهذه أرشق ،

ومن المؤكد عندى أن هذه الفتاة متينة الثقافة إلى حد بعيد وهى نموذج للفتاة المثقفة التى ينشدها أهل هذا الجيل ومعرفتها بالادب معرفة صحيحة وهى من أجل ذلك تعد من نوادر المثقفات

أما أدبها فهو أدب يتسامى إلى منازل الفحول . وتود لو نظرت إلى الحياة بعيون الرجال . ولكن فطرتها النسائية لا تمكنها من ذلك . وهو عيب جميل فهى دائماً تحوم حول الازهار النسائية وتكاد عناوين مقالاتها تنطق بانها لم تكن ولن تكون إلا فتاة صحيحة النسب إلى السيدة حواء

ومن مزايا هذه الفتاة أنها أدخلت فى النظام الاجتماعى سنة الأندية الادبية . وكان لها فى بيتها ناد يختلف اليه الناس فى مساء الثلاثاء ، ومن سوء الحظ أننى لم أشهد هذا النادى أبداً فقد كانت بينى وبينها أحقاد ، وكان بعض المفسدين أوهمها أنى لا أغشى الاندية إلا لأتخذها مادة لما أكتب فى وصف الأسمار والاحاديث، ومن أجل ذلك لم أفكر فى زيارتها ولم أشهد كيف تنسجم الطبائع فى ذلك النادى الجميل . وكان من رواد ذلك النادى اسماعيل صبرى باشا . ويؤكدون أنه قال فى صاحبته هذين البيتين :

روحى على بعض دور الحى حائمة كظامىء الطير تواقا إلى الماء
إن لم امتع بمى ناظرى غداً لا كان صبحك يايوم الثلاثاء

وللآنسة مى طائفة من المؤلفات الجيدة والمترجمات المتخيرة . وهى فيما تكتب وما تترجم نموذج لدقة الذوق ورقة الاحساس ، وأنا أوصى باقتناء ما ألفت وما ترجمت لانها فى الواقع من صواحب الفكرة والاسلوب ولها طابع يميزها عن الرجال ويكاد يعزلهـــا عن جمهرة النساء . وكتابها عن باحثة البادية يشهد بصدق ما أقول

السيدة هدى شعراوى

ثم ماذا ؟ ثم تجىء السيدة هدى شعراوى ، وهذه السيدة لا يمكن إضافتها إلى الشواعر أو الكواتب ، لأن آثارها الأدبية قليلة جداً ، ولكن لا مفر من الاعتراف بأنها ترعى النهضة النسائية رعاية قوية، ولها سلطان أدبى لا يمكن اغفاله فى هذا المجال ، وقد استفادت من الأسفار والرحلات ، وتركت فى كل بقعة حلت بها آثاراً عطرة لا ينكرها إلا المتحاملون . وقد اتفق لى مرة أن أدرس النهضات النسائية فى باريس فوجدت للسيدة هدى شعراوى اسماً عالياً هناك ، وعرفت أنها تمثل المرأة المصرية أشرف تمثيل

السيدة هدى زعيمة وليست أديبة ، فسلطانها الأدبى لا يصدر عما تكتب وما تؤلف ، ولكنه يصدر عن الفكرة التى تدعو اليها فى صدق وعنف، وهى نموذج للمرأة المتطرفة التى تسبق زمانها بأجيال، وإلا فكيف يسوغ أن يكون لسانها فى الدعوة لسانا أجنبياً يرطن فى مجلة فرنسية اسمها « L'Egyptienne »

هى سيدة لا تعرف من أهل عصرها إلا طبقة واحدة تخاطبها بلسان فرنسى مبين، لا بلسان عربي مبين ، وعذرها فى ذلك انها نشأت نشأة اريستوقراطية تعرف تاريخ السين، قبل أن تعرف تاريخ النيل، وتقرأ هوجو وميسيه قبل أن تسمع باسم البحترى والمتنبي ،هى سيدة من الفضليات ولكن قرابتها العقلية الى الشرق يلحقها بعض الضعف

وانما اهتممت بشرح هذه النقطة لأبين ما سيكون لدعوتها من الأثر فى صبغة الأدب النسائى . فان لهذه السيدة أشياعا من المثقفات ، ولها دار فى شارع قصر النيل ، ودار فى شارع قصر العينى ، وفى هاتين الدارين تستقبل الفتيات اللائى ينشأن فى الكليات المصرية والأجنبية ، وتزودهن بمحصول من الفكر الجدد سيكون له خطره بعد قليل

فتيات الجامعة المصرية

وبعد كل ما سلف نرى من الحتم أن نشير الى النهضة النسائية فى المدارس والجرائد والمجلات. فمنذ عشرين عاما كنا جميعا فى الجامعة المصرية من الطلبة الخناشير ، ولم يكن معنا من الجنس اللطيف إلا فتاة واحدة نرعاها بأبصارنا فى الغدو والرواح ، أما اليوم ففى كليات الجامعة المصرية أسراب من الفتيات ، وذلك بشير أو نذير بأدب نسائى سيقوى ويعنف بعد حين

ومنذ عشرين عاما لم تكن الفتاة ترسل كلمة الى جريدة إلا وفوق اسمها برقع ، أما اليوم فالفتيات والسيدات يكتبن الصفحات النسائية بلا تهيب ولا استحياء . وذلك سلطان أدبى لم يكن احد يفكر فيما سيصل اليه من قوة الضجيج

كان الأدب النسائى فى بداية أمره مقصوراً على الشئون النسائية، أما اليوم فهو يقتحم سائر الموضوعات، وإلا فمن الذى كان يظن أن المتنبي تدرسه فتاة كالذى وقع من الآنسة سهير القلماوى؟ ومن الذى كان يظن ان الفتاة تنشىء القصائد والأقاصيص لشرح النوازع الوجدانية كالذى يقع من الآنسة جميلة العلايلى ؟

يضاف الى ذلك الأندية النسائية فى مصر وفلسطين وسورية ولبنان وحلب والعراق وتونس وما الى هؤلاء من البيئات العربية التى قوى سلطانها واستفحل . وصار له أعداء وأشياع

ان المرأة العربية فى هذه الأيام تتوثب ، ولها نفوذ خطر سيلون الأدب كله بلون جديد . ومن العقل أن نفكر فى مصير هؤلاء الاديبات اللائى احترفن التمثيل والغناء ، فلهن سلطان على العقول والقلوب لا يتجاهله إلا الاغبياء . ولو كنت أملك الصراحة كلها فى هذا المجال لبينت ما لهن فى عالم الدسائس الادبية ، وشرحت كيف يغزون الأندية والمسارح والملاعب بفنون من الفكر المصقول لا يحسنه الرجال

زكى مبارك

الكلمات كلها روحانية
وليس أكثر روحانية من الكلمات

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

الانسان من قديم الزمان يصطنع للعبارة عن نفسه والدلالة على الاشياء تراكيب صوتية . وهذه الرموز اللفظية مابرحت على توالى الاحقاب واختلاف الجديدين مصدر وهم وعجب ! فالاسم والمسمى عند أهل البداوة متلابسان ، ولا تقوم الملابسة بينهما على أن أحدهما رمز على الآخر وإشارة اليه ، بل أنه جزء منه لا يقبل التجزئة ولا ينفصم عنه . وهذا الاحساس قد يغلو بهم فاذا الاسم والمسمى فى نظرهم صنوان ، واذا هما من كل الوجوه فى اعتبارهم سيان

كذلك من المشاهد الملحوظ عندنا فى الصغار دوام السؤال عن اسماء الاشياء واعتبار مجرد عرفان الاسم غنما كبيرا

ولكن مالنا نقصر سلطان الكلمة على الطفولة وأهل البداوة ومثلهم فيه أهل الحضارات مع اختلاف الاشكال والدرجات ؟

فان الأسماء منذ اطلاقها بادىء بدء على الأشياء وهى متكفلة بتمثيلها والقيام فى عالم المعانى مقامها . فلا غرو أن يجرى فى روعنا ، فى خفاء ولطف من وراء وعينا ، أنها تشبعت بخصائصها واستوعبت روحها ، فهى لم تعد فى شعورنا الاسماء المجردة الموضوعة ، بل هى لباب اللباب وسر الاسرار

فالرموز والاشارات فى مقابر المصريين الأقدمين تغنى عندهم عن الذوات والمحسوسات . وقد كانوا يتخذون كل حيطة دون اندثار الاسم الثامن (اسم الروح) والعمل على بقائه بين أسماء الالهة . وفى النصوص الموجودة فى الهرم إله اسمه « خرن » أى الكلمة ، فالكلمة عندهم لها كسائر الاحياء ذاتية شخصية . ثم إن خلق الخليقة ناشىء فى ديانتهم من نقل الاله « توت » إرادة الربوبية إلى كلمات

ولا مشاحة فى أن بنى الانسان كلهم أو جلهم كانوا فى زمن من الازمان يعتقدون أن الاسم من الحى بمنزلة الروح أو هو منه جزء عظيم الشأن حتى ليصح بديلا عن الكل . والكتب المقدسة تنوه بالأسماء بما يشعر بخطرها . فقد ورد فى القرآن الكريم : « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ؟ قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم بأسمائهم . فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم

اقل لكم إنى أعلم غيب السموات والارض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ؟ » . وورد فى سفر الرؤيا : « وهلك فى الزلزال أسماء سبعة آلاف من الناس » . وفيه من كتاب الى ملاك الكنيسة التى فى ساردس : « عندك اسماء قلائل فى ساردس لم يدنسوا أردانهم» . ثم يجىء فى وصف الوحش الطالع من البحر أن له سبعة رءوس وعلى رءوسه أسماء تجديف . ويقول ملاك الرب فى سفر القضاة لمنوح وقد سأله هذا عن اسمه : « لماذا تسأل عن اسمى وهو فوق البيان ولا ينطق به لسان ؟ »

والاسم الاعظم لله سر عند المسلمين . وكذلك أسماء الآلهة عند البراهمة ، ومثلهم اسم كنفشيوس الحقيقى . ويجتنب متنطسة اليهود ذكر اسم « يهوه » كل الاجتناب . وحتى المؤرخ هيرودوتس يأبى فى كتابه ذكر اسم أوزيريس

وما لنا نذهب بعيداً ومنامن يقول : « قال تعالى » ، ويقسم : « والذى نفسى بيده » ، كما يردد الانجليزى حامدا Thank Goodness ويتسخط الفرنسى لاعنا Norblen الى غير ذلك من الكناية والتلميح دون الابانة والتصريح

وجرت العادة بين الجنود إذا احتسب أحدهم وليده أن يدعو من يخلفه الله عليه من الولد بعده باسم مهين ، فيسموا الصبى مثلا « كوريا » بمعنى دمنة أى مزبلة . وإذ كان ملاك الموت يتعرف على الاحياء باسمائهم فأنه لاريب متجاوز عما لا قيمة له . وقد كان لكل مصرى من الأوائل اسمان : أحدهما لهذا العالم والآخر يعرف به لدى الاقدار العلوية . واسم التعميد عند نصاوى الاحباش واجب كتمانه . والاله الحامى لرومة ذو اسم مصون يمتنع الافضاء به . وفى بعض انحاء يونان القديمة كانت الاسماء المعظمة للالهة تحفر على الواح من الرصاص وتلقى فى قاع اليم صيانة لها من التدنيس

ولقد انطبع فى نفوس البشر أجمعين أن للكلمات خصائص تفعل فعلها فى تصريف الأمور والسيطرة على الاشياء فنسبوا اليها فى كل زمان قوى من وراء الغيب روحانية

ومن ثم شيوع التمائم والتعاويذ والطلسمات لدرء الشر وجلب الخير وتحقيق الغايات بغلبة وقهر . والشأن كله للسطور فيها من الكلمات أو الحروف فهم ينحلونها أسراراً فلكية تربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية . وهناك مطولات موضوعة فى أسرار الحروف باقلام الغلاة من متصوفة الشرق وكهان الغرب بكل اللغات . وأصحاب هذا العلم يزعمون على حــد قول ابن خلدون : « ان الكمال « الأسمائى » مظاهره أرواح الافلاك والكواكب ، وان طبائع الحروف وأسرارها سارية فى « الاسماء » فهى سارية فى الاكوان على هذا النظام . . والاكوان من لدن الابداع الاول تنتقل فى أطواره وتعرب عن أسراره » . ومما يقوله البونى : « ولا تظن

أن سر الحروف مما يتوصل اليه بالقياس العقلي ، وإنما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الالهي ، وأما التصرف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المركبة فيها وتأثر الاكوان عن ذلك . فأمر لا ينكر ، لثبوته عن كثيرين تواتراً ،

ومما تقدم يتضح للقارىء أن ليس بين موقف الاولين وموقف هؤلاء فرق يذكر . بل ان موقف كتابنا وشعرائنا في العصور الحديثة ليس يختلف عن أسلفنا جميعاً كبير اختلاف . واليك ولت هويتمان الشاعر الامريكي فاسمع اليه يقول : « الكلمات كلها روحانية ، وليس شيء أكثر روحانية من الكلمات . ترى من أين هي ؟ ترى كم ألوف من السنين وعشرات الالوف انحدرت في أصلابها هذه الكلمات الينا ؟ » ويردد الشاعر الارلندي ييتس : « الاصوات جميعها تستحضر إحساسات محدودة في ذاتها وإن لم يحدها الوصف ، أو هي تستنزل - كما أوثر تصورها - قوى متجردة تهبط علينا وتتمشى في نفوسنا فنسمع وقع خطاها خوالج وإحساسات » . ويهتف بيرون شاعر الانجليز : « أنا مؤمن بأنه قد تكون ثمة كلمات هي ذوات موجودة وإن كنت لم أجدها بعد » . وهذا برجسون الفيلسوف الفرنسي يقرر « أن لوناً من ألوان الطعام يطلق عليه اسم يشعر بانه شهي ويدل على طيبه واستمرائه ليقف بين حس المرء الظاهر ووعيه الباطن . فقد يتوهم المرء انه يلتذ طعمه ونكهته . ولو انه تكلف القليل من الانتباه لثبت له عكس ذلك

ومهما تقدمت الحضارة فالخرافة باقية ، والانسان لما يزل متوحشاً همجياً في صميمه . ومثل المجتمع كالبحر لا يبرح سطحه في حركة واعتلاج ، أما أغواره فستقرة ثابتة على حالها لا تتحرك

والكلمات أشد القوى غلواً في المحافظة واستعصاء على التغيير . وقد أخذ الباحثون في طبائع البشر منذ قليل يسلمون بوجود هذه الالتواءات اللفظية المتوارثة واطوائها المتشابكة المتراكبة التي تطوق تفكيرنا وتحصره . وان هذا الاسلوب الموروث المشترك في تصوير الاشياء وادراكها الذي ألفناه حولنا والذي يواتينا طبيعيا وبقبول منا لا اعتراض عليه كالهواء الذي نتنفسه - هو مع هذا محتوم مفروض علينا فرضاً ويقيد حركات تفكيرنا من وجوه لا تحصى . ويزيد من تمكينه فينا انه متركز في طبيعة اللغة نفسها التي لا بد لنا من اصطناعها للعبارة عن أبسط المعاني . وهذه اللغة قد اتخذناها ومثلناها قبل أن نبلغ بحال طور التفكير بأنفسنا لأنفسنا

ولا سبيل الى الخلاص أو مجرد التفكير في الخلاص من مبنى اللغة وأسر كيانها . واذا كانت المخارج الصوتية والعلامات الكتابية للغة من اللغات ناطقة بأصولها ونشأتها الأولى ، فان الملابسات القديمة المقترنة بهذه الاصوات والعلامات ، فضلا عن عادات التفكير التي نشأت ونمت باستعمالها وترتبت على مبانيها وتراكيبها العتيدة كما رسمها أسلافنا - كل أولئك ناطق كذلك بدوام التشابه واستمرار الاطراد على نفس الوتيرة أو ما اليها

ولعلنا نبتسم عند ذكر الاوهام اللفظية في اخلاد أهل الفطرة الاولين ، ولكننا ننسى أن

العتاد اللفظي الذى نعول عليه والذى يدين به طلاب ما وراء الطبيعة لاستكناه حقيقة الوجود ، انما أقام بناءه الاولون وعنهم أخذناه ، وقد تترتب عليه أوهام لنا ليست بأقل من أوهامهم خطلا ولا أيسر زوالا

ويعقب ناقد من أكبر نقاد الفلسفة الالمان فى دراسة له عن ارسطو : ولقد مات أرسطو وعفى عليه ، لأنه كان عا كفاً كأهل الخرافات على الالفاظ ، كما لم يعكف قط كاتب من الكتاب المعروفين فى تاريخ الفلسفة بأسره. وهو حتى فى منطقه رهين بالملابسات اللفظية واعراض اللغة، لغة بلاده الاغريقية . فلو أنه كان من أبناء الصينية لكان له مذهب فى المنطق غير مذهبه أو لكان له على كل حال نظرية تخالف نظريته تمام المخالفة فى المقولات . وقد ظل الفكر الانسانى ألفى حول كامل تحت تأثير تمويهات هذا الرجل الكلامية مما كان له أسوأ النتائج . وهذا اكبر مثل على ما يمكن أن يكون لمذهب يقوم على الالفاظ من قوة متسلطة وأثر باق ،

والا كثرون من المتفلسفة والمناطقة والمتكلمين والمتصوفة يسيطرون على العقول بالمغالطات الجدلية وروعة الاوصاف اللفظية ونظم المترادفات . ولقد يخلقون من لا شيء شيئا ، فيصفون العدم مثلا والعدم لا يمكن تصوره عقلا . ولكنها عادة المقابلة . وهذه المعارضة بين اللفظ ونقيضه أورثتنا مقرراتنا عن الحقائق السلبية

وهكذا يشغلنا اللفظ عن النظر ويحتل الاصطلاح محل الحياة

عبد الرحمن صدقى

في قوم ماجدين

والمجد ما يستوى جوانبه فيستوي الخال فيه والعمُّ
تشتد الفاظهم وتخدم اقـ ـلامهم السمهريةُ الصم
اذا انتحوا فى عدوهم غرضاً بالرأى اصموا من قبل ان يرموا
تثنى الليالى بهم اذا جمحت كأن اسماءهم لها لجُم

مهيار الديلمى

وقفة الفكر

بين حيرة النفس ومأساة الحياة

بقلم الاستاذ علي أدهم

« . . والانسان يريد أن يستخبر كل مجهول ، ويستبطن كل سر ، وان يسع علمه كل شيء، ولكنه يرى قصر الحياة واستهدافها لسلطان المصادفة فيظهر له غرور المعرفة وخداع الأمل، ويستوثق ان مصير آماله في الاحاطة الشاملة الأفول، وان ظمأه للمعرفة لن يرتوي لها غليل، وانه لن ينتهي الى غايته مهما تمهد له الاسباب ويبسط العمر ، وهذه هي حيرة النفس ومأساة الحياة . . »

في بعض ساعات الوحدة والاستفراد والاسترسال مع التفكير والاستغراق فى التأملات، قد يسائل الانسان نفسه عن غايته فى الحياة ومكانه في الوجود ، وما قصارى تعلاته وأمانيه ونهاية طموحه وتطلعه. وأمثال هذه الخطرات تلم بذهن المفكر، سواء أكان عامر النفس باليقين مستريحاً إلى العناية المتجلية في سير الحوادث أم كان قد أبى الانخداع للأوهام واطمأن إلى الشك الفلسفي . ومما يطيب للمؤمن أو المتشكك أن يعلم فى ساعاته الاخيرة أنه قد بذل أقصى جهده وعمل ما في طوقه وأن حياته لم تذهب عبثاً باطلا وأنها أنفقت في محاولات نافعة وحبست على غايات مجيدة

وقد يستشعر الانسان ضؤولة جهود الفرد في هذا العالم الأبدى غير المحدود ويستبين له صورة واضحة محزنة أنه لا يستطيع أن يظفر بنجاح أو يكلل بانتصار في مكافحة الشر المستفيض وتقويض الفوضى الغالبة . ويرى كيف أن صيحات الانبياء وتضحيات الشهداء وجهود المصلحين قد ذهبت أدراج الرياح وما تزال الدنيا على حالها . وقد يكون مكانتنا فى الحياة مما يقصر بنا عن تحقيق أعز أمانينا وأصدق آمالنا وأغلى مثلنا العليا . ولكن لا خلاص لنا من هذا الشعور الاليم الذى يفل العزيمة ويثلم الفطنة ويسلط علينا التردد والنكوص، إلا بأن يقنع الانسان نفسه بأن الحياة ليست نهباً للسعادة والمتعة وإرضاء الغرائز وإشباع الشهوة ، وإنما هى مجال لفهم النفس واستجلاء أسرارها ومعرفة الدنيا والسيطرة على قوى الطبيعة الخارجية وقوى النفس الداخلية . وعلى الانسان أن يقرر موقفه من الحياة ويتبين

الرسالة التي زودته بها الاقدار ويخوض بعد ذلك غمار المعركة قانعاً أو غير قانع

ولكنه عند ما يحاول أن يختار له غاية تنشأ الصعوبة ويتجسم المشكل وسرعان ما تمتد أمامه المسالك وتنفرج الابواب . فأي طريق يسلك وأي غرض يقصد وبأي نجم يهتدي وبأي دليل يسترشد ؟ لا فائدة هنا من الركون إلى فلسفة الجبر وانكار حرية الارادة ، ولا مندوحة عن مواجهة عقدة الاختيار والاضطلاع بمسئوليته . فماذا يختار ولأي معبود يقدم الطاعة والقربان ؟ هل يختار سبيل الفنان ، أو طريق السياسي ، أو مذهب العالم ، أو خطة الفيلسوف ؟ وهل يحيي حياة حافلة سرية مليئة بالعواطف أو يعيش رواقياً متجلداً تعصف حوله الخطوب وتزخر الاهوال وهو ثابت لا يتزعزع وقور لا يتزلزل ؟ ولا نزاع في أن للحياة العاصفة جمالا يطبي النفس وشجاعة تدعو الى الاعجاب وروعة تغرى بتجشمها . ولا نزاع كذلك في أن لحياة التجلد وكبح شرة النفس والاستخفاف بملهيات الحياة ، جلالا يسترعي الفكر ويثير الاكبار . ولكن من الصعب على الانسان أن يكون كل شيء . ولا مفر له إذا أراد أن يعمل عملا مأثوراً مذكوراً في ناحية من النواحي أن يهمل النواحي الاخرى . ولو انطلق الانسان مع غرائزه ولبي مطالبه الرعناء فمن المتعذر عليه أن يحقق منه الاعلى . وإذا استطاع أن يخمد في نفسه كل شهوة ويسحق كل رغبة فانه سيعيش عيشة هادئة مستقرة ولكنها منزوفة ناضبة كامدة الالوان مظلمة النواحي . وسيخشى أشباح شهواته المنقمعة وثورة أهوائه المكبوتة . والحضارة تفرض على الانسان الكبح وتزين له فضيلة الاستسلام ومحاسن التضحية ، ولكن التضحية ستظل درساً قاسياً يعاني منه الانسان أبرح الالم مهما يكابر ويغالط في الحقائق نفسه

ونحن نقبل في الحياة على دنيا قد حفلت بكنوز المعرفة وذخائر الفنون . وبها نفائس الصور وروائع التماثيل وبدائع الموسيقى وغرر التصانيف ومبتكرات الصناعة ومستحدثات العلوم . وهذه الصور والتماثيل نبت حضارات منوعة وثمرات عبقريات سامية ومجهودات ضخمة . وقد صنفت الكتب في أزمنة متباينة وبلغات مختلفة وهي فيض قلوب كبيرة وصوب عقول راجحة. وقد تضافرت القرون المتتابعة على تنمية هذه الثروة .ولعل أول واجبات التربية الحقة هو أن تفتح عيوننا على هذه الآثار وتلقننا الاعجاب بها وتبصرنا محاسنها وتدنيها الى قلوبنا وتغرس في نفوسنا القدرة على استمرائها والاستفادة منها ، ولكننا عند ما نتجرد لتعميق هذه القدرة وتوسيع نطاقها تبدو لنا وعورة المرتقى واستحالة المطلب . لأن قوة التحصيل فينا محدودة قليلة والحياة جد قصيرة . والانسان يريد أن يستخبر كل مجهول

و يستبطن كل سر وأن يسع علمه كل شيء ، فلا يجهل ظاهراً ولا خفياً ولا تند عنه شاردة ولا واردة . ولكنه يرى قصر الحياة واستهدافها لسلطان المصادفة فيظهر له غرور المعرفة وخداع الامل وعبث الطموح ويستوثق أن مصير آماله الزاهية في الاحاطة الشاملة للافول، وأن ظمأه الى المعرفة لن يرتوى لها غليل، وأنه لن ينتهى الى غايته مهما تمهد له الاسباب ويبسط له العمر ، وهذه هي حيرة النفس ومأساة الحياة . وما دام الانسان مضنوناً عليه بالخلود فمن الصعب ان ينفى عن الحياة شوائب النقص ويرد عنها عوادى الاسف والحزن . واذا كان لابد من انتصار الموت في النهاية فان النزوع الى المعرفة الكاملة أمل كذوب وسراب باطل . وقد لا تخلو من العجَب محاولة الانسان أن يتزيد من المعرفة وهو مضطر بعد فترة قصيرة الى ترك هذه الدنيا التى يكلف بها و يولع بأسرارها . فلو بسط له في العمر لحقق بعض ما يجول بخاطره وتصبو اليه نفسه ، ولكن عليه أن ينشد الغايات العظيمة ويبحث عن الكمال ، والموت كامن له بالمرصاد والمهالك تطالعه من شتى النواحي

ومن دأب الانسان ألا يكتفى بالتذوق والاستمتاع ، بل هو يحاول أن يجدد في نواحى التفكير ويضيف الى المحصول العالى . ويود أن يبتكر بدائع كالتى استمتع بها . ومن شاء أن يخلق ويبتدع فلا معدى له عن أن يقتطع جزءاً من الوقت المخصص للتحصيل . ولا نزاع في أن القراءة مدرجة للكتابة والتأليف . ولا نزاع كذلك في أن الكاتب لا يؤمل أن يقرأ قراءة واسعة كمن هو مستعد لأن يوقف كل وقته للقراءة والاطلاع . والكاتب المجيد يجب أن يكون عالماً دارساً . والعالم الصادق يجب أن يكون رجلا ملماً بأحوال الدنيا حتى يحصل على معرفة مباشرة حيَّة للاشياء في مختلف ظلالها وألوانها . ولكن من أفرط في التماس الدُّنيا صار منها وأعجزه الارتفاع إلى ما هو أسمى منها . ومن أمعن في التغلغل الى آراء الغير فقد فرصة اظهار شخصيته والقدرة على التعبير عن آرائه . والخالق المبتكر لا بد له أن يغالب بعض المغالبة رغبته في التبحر والاستيعاب . وهنا تبدو لنا صعوبة حياة الانسان الثقافية . وليسَ المشكل هنا هو قصر الحياة ولا ترامى ابعاد الثقافة وتنوعها بحيث لو أوقف الانسان حياته لما استطاع سوى تحصيل جزء يسير منها . وانما هو ان نفس إمعانه في الاقبال على الثقافة كل الاقبال غير ممكن ولا ميسور لان عليه أن يوجه جزءاً كبيراً من جهده للعمل والخلق . وليس عليه في ساعات فراغه الا كتفاء بالتحصيل ، بل عليه أن يخلق و يجدد . وفضلا عن ذلك فانه لا يريد أن ينمي استعداده لتقدير كل بارع ممتاز وخلق أمثلة منه وحسب ، بل يريد

أن ينمي إلى جانب ذلك حياته العاطفية وقابليته للشعور والتعبير عن الشعور بالعمل . ولكنه من الواضح انهُ لا يسمح لنفسه ولا يسمح النّاس له بأن يحرّك مشاعره الى عمل يهدد المجتمع ويضر بالثقافة ، فعليه أن لا ينهب ولا يسرق واذا استفزه الغضب فيجب عليه ألا يعمد إلى الضرب والقتل . ومهما تسيطر عليه الشهوة فعليه أن يحترم النواهي والزواجر . وهكذا يجد الانسان نفسه مضطراً في كل موقف الى مدافعة ميوله الاصيلة وغرائزه الاولى . ولا ريب أن شعور الانسان بالميل إلى العمل ثم شعوره بالموانع التى تحد من حريته تجعله في قلق دائم وشقاء مستمر . فهل يعبر الانسان عن عواطفه ويتحدى المجتمع أو يكبت عواطفه ويخرس هاتفها؟ إن الانسان يشقى بكبت عواطفه وانه لك يشقى لو أطلق لها العنان !

ولقد نستعين على رياضة جموحنا واطلاق قيودنا فى عالم الوهم والخيال فيكون لنا من أشخاص الروايات التى نقرؤها أعداء ألداء يكيدون لنا ، وأصدقاء حميمون يعطفون علينا ، ويهزنا ما بها من مخوف الاهوال فتريق دموع الحزن أو تغلي نفوسنا بفائر الشهوة ومضطرم الاهواء . وما دام ذلك لا يشجعنا على اتيان مثل هذه الاعمال في عالم الواقع فلا ضرر في ذلك بل إن فيه نفعاً محققاً إذ يمكننا أن نلقى فى عالم الوهم الاثقال الادبية التى ترهقنا في عالم المشاهدة . ولكن هناك خطراً واضحاً وهو أن هذا التعبير الوهمي عن عواطفنا بدلا من أن ينميها قد ينبه راقدها ويمنحها القوة على ارتكاب المحظور

والواقع أن الانسان لا يريد إخماد عواطفه خشية أن يعيش بقلب فاتر واحساس جامد ولا يريد أن يثيرها على صورة تعرضه للخطر والوقوع في براثنهـا . وهو يأبى أن تكون حياته فقيرة عاطلة لا تنبض فيها نبضات السرور ولا تضطرب فيها رجفة الألم . بل هو يريد أن يستجيش شعوره ويستنهض همته على شريطة ألا يفقد عنانه ويضل غايته ويود أن يشعر شعوراً قوياً غلاباً بالسرور والغضب والحزن ليستثمر ذلك في خدمة المثل الاعلى ويسخره للغاية السامية . وهو في حاجة الى استدعاء هذه الارواح من مستقرها وأثارة هذه الشياطين الراقدة في النفس . وعليه أن يرد جماحها إذا صاولته وحاولت الانفلات من قبضته . وفرويد نفسه يسلم بأن التسامى لا يكفى لتهدئة الميول فضلا عن تفاوت المقدرة عليه

من ذلك يرى الانسان أنه أوضح عجزاً وأقصر حيلة من أن يحيط بكل شيء . فيفكر فى التنازل عن الكثير ليتسنى له التبريز في ميدان محدود . ويختار لحياته غاية قريبة يوجه اليها همته ويحصر في تخومها جهده ويعيش للعمل الاجتماعى المنوط به او يعيش للعمل الذى

خصص له اوقات فراغه. وسواء عاش لهذا او لذاك فانه لابد له اذا اراد التوفيق ان يتوافر على عمله وينقطع له. وبهذا الاسلوب يضع لحياته قراراً ويهبها وحدة. أما اذا ظل متنقلا من موضوع الى موضوع حائرا مترددا بين مختلف الغايات فسيكون له نفوس موزعة ضائعة وشخصيات ضالة عائمة لا نفس فريدة باقية ولا شخصية ممتازة نامية تزداد على الاستيعاب والتوسع وحدة واستمساكاً. وكفايات الانسان تدل على أنه إذا أراد أن يحقق له شخصية واضحة فعليه أن يقتصد في مطالبه. ومن الناس من يقنعهم الالمامة اليسيرة والتوازن الزائف فيرشفون من كل منهل جرعة ويقطفون من كل حديقة زهرة ويوفقون على هذا النمط بين مطالب الجسم وحاجات العقل. ولكن مثل هذه المساومة الرخيصة ليست بالغاية النبيلة والمطمح الأسمى. ولكن لا نزاع كذلك في أن الرجل الذي يريد أن يكونَ عالماً باحثاً ومتأملاً صوفياً وفناناً ممتازاً وفيلسوفاً عميقاً - لا شك أن مثل هذا الرجل مشغول بمحاولة خاتمتها الاخفاق وتبدد الامل. والرجل الحريص على التفوق في ميدان خاص قد يرتضى من أجله أن يضحي بتوازن الشخصية ولا يخشى فى سبيل ذلك إرهاق الصحة والتحامل عليها. والذين يعملون على إنماء استعداد معين بدلاً من أن يفكروا في تحقيق توازن الشخصية وانسجامها يتفقون جميعهم في عجزهم عن السمو إلى الكمال في نفس الميدان الذي عملوا على التخصص له واحراز التفوق فيه. وفي نفس الوقت سيعاودهم الأسف لما فاتهم في الميادين الأخرى

وما دام الانسان ليس فى وسعه أن يجمع بين الاحاطة الشاملة والاجادة التامة مهما يكثر فى حياته المحدودة على العكوف على التخصص، فان هذا مما يبرر الرأى القائل بأنه يجمل بالانسان ألاّ ينغمس كل الانغماس فى التخصص. وانما عليه أن يشبع مطالبه العضوية والعقلية إلى حد ما. فلا يحصر كل همه في انماء تخصصه وتوسيعه وتعميقه، وانما يجعل شخصيته تنمو وتتسع حول محور هذا التخصص. فمثلا اذا انقطع للادب فعليه أن يلم بآداب بعض الأمم وأن ينشيء أدباً وان يحيط بمختلف الفنون، وتكون له دراية بالعلم والفلسفة والدين. ويستطيع أن يقوم ببعض رحلات يجرب فيها روعة المفاجآت وجمال المخاطرات وسيشعر مثل هذا الرجل في آخر حياته أنه قد أدّى عملاً

علي أدهم

العيوب الخفية

وأثرها في حياة الأفراد والجماعات

بقلم الدكتور أمير بقطر

يقول أساتذة علم النفس التحليلي ان الاسراف في الشعور بمكرمة من المكارم أو فضيلة من الفضائل، محاولة بريئة لاخفاء نقيصة من النقائص، او رذيلة من الرذائل، كامنة في نفس صاحبها. وليست هذه النظرية حديثة، من مبتكرات فرويد في فينا، ولكنها قديمة ترجع الى عهد فلسفة الاغريق، وقد كان الفيلسوف اليهودي سبينوزا في القرن السابع عشر من المعجبين بها

ألا ترى الكثيرين من الناس يتلمسون فضيلة معينة، ويبتغون لها الاسباب، كتابة وحديثا وخطابة، ويتذرعون لها بمناسبة وبغير مناسبة، وفي كل زمان ومكان. حتى يخيل اليك انهم اشد الخلق غيرة على هذه الفضيلة المعينة، واكثرهم رغبة في نشرها بين الملأ؟

ومن الاسف ان مثل هؤلاء عرضة للنقد والتقريع تارة، والهزؤ والسخرية اخرى، لان الناس سرعان ما ينظرون اليهم بعين الريبة، ويعتقدون انهم يراءون ويداجون، ويتكشفون للغير عن وطنية كاذبة، ودين مشوب بالرياء، وعفة تشف عن فجور، وحب يخفي تحته كراهية، وشرف ينم عن دناءة. بيد أن من ينظر الى هؤلاء بعين العطف، يجد انهم معذورون فيما يفعلون. لأن الطبيعة ارادت أن تعوض عليهم مافاتهم من وطنية او جمال او عفة او جاه او خلق كريم وشمائل محمودة — ارادت ان تعوض عليهم مافاتهم من هذه بالتفاخر بها، ثرثرة وجعجعة وكتابة، اخفاء لما اتصفت به نفوسهم من نقيضاتها، وتعزية لهم على ما فقدوه من مزايا وصفات، اغدقت الطبيعة بها على سواهم. ولست ارى خيراً من ضرب الامثلة، شرحا لهذه النظرية:

* * *

هذه امراة تعلم يقينا ان قلبها قد اعرض عن رفيقها او زوجها، وان نفسها قد طوت صحيفة ذكره، وانها رأت في غيره ما اسلاها عن حبه. غير انها لاسباب اقتصادية او اجتماعية، تريد المحافظة على العيشة الزوجية. ومع اشتداد هذه الرغبة فيها، فانها تخشى أن يحس زوجها بما تحس هي به من جفاء وفتور، فتسرف في اظهار توددها له، وتسهب في كلامها عن الحنين والصبابة والشوق لرؤية زوجها، امامه وامام الغير، وتقابله عند رجوعه الى المنزل كأنها يحبه ملتهبة الصدر، مضطرمة الضلوع

وهذا شيخ يبدو وقوراً ، طاهر الثياب ، عفيف الازار ، غضيض الطرف ويكثر من المناداة بالحشمة ، ويشكو الخلاعة والتبرج ، ويندب سوء حظنا من المدنية ، وما تسوق الى بناتنا من تهتك . واذا ماحل فصل الصيف وهرع الناس الى شواطىء البحار بالملابس القصيرة ، استغاث بأهل الفضيلة ، وندد بالآباء والامهات ، والافراد والجماعات والحكومات ، ونادى بصون الاعراض من الدنس ، فيخيل الى القارىء والسامع انه من رسل الله الاطهار . ولشد دهشة عارفيه عندما يعلمون انه اول من يخلع عذار الاحتشام ، وان اقرب المقربين اليه فى مقدمة من لا يحافظون على الآداب العامة ، وانهم فى الشوارع والسيارات وعلى شواطىء البحار ، لا يدل مسلكهم على انهم من ذوى الحصانة . وان ذلك الغيور على العفة والطهارة ، قد يكون من رواد الخنا ، ومن اهل الريبة والفجور ، وانما يتطوع للدفاع عن المكارم إخفاء لنقيصة كامنة فى نفسه او نفوس المقربين اليه

عرفت فتى دميم الخلقة ، منكر الطلعة ، تنبو عن منظره الاحداق ؛ غير أنه حسن البزة ، نزاع الى افخر الملابس واغلاها ثمنا ، واشدها لمعانا ، واكثرها اجتذابا للانظار ، ماهر فى الظهور بمظهر الاناقة والتيه والدلال ، كثير التحدث عن نفسه . وقد حدا به هذا الغرور الى نسيان ما رزىء به من الجهومة والسماجة وما ناله من الدمامة والبشاعة ، ومع كثرة تحديقه فى المرآة فانه يعتقد انه متناسب الاعضاء ، وسيم الطلعة ، يترقرق فى وجهه ماء الجمال ، ويخال النساء الحسان تترامى على قدميه افتتانا بجماله ، وسعيا للقرب منه . ولا شك ان الطبيعة احسنت صنعا فى الترويح عنه بهذا الشعور ، الذى به يستطيع ان ينسى ما هو عليه من قبح ، ويتسامى فى عالم الخيال ، بما يرفه عنه ما فى عالم الحقيقة

قرأت الكثير من المقالات الشائقة ، وسمعت الكثير من الخطب الرنانة من شبان متقفين ينتمون الى أسرة واحدة . وقد لاحظت ان عدداً يذكر من هذه المقالات وتلك الخطب تدورحول موضوع الزواج بالاجنبيات . وبرغم أهمية الموضوع وصحة معظم الآراء التى أدلى بها ، فانى تساءلت عن سبب هذا النشاط من أفراد عديدين من أسرة واحدة فى موضوع واحد ـ وقد أخذت الريبة منى كل مأخذ . ولم أفكر طويلا حتى اهتديت الى سر المسألة ، وهو شعور باطنى قد يكون خفياً من الكاتب والخطيب ، مصدره ان الأسرة التى ينتمون اليها ، يجرى فى عروقها دم أجنبى لا سبيل الى إخفائه

• • •

قلما تجد غنياً يقول عن نفسه انه غنى اللهم إلا اذا كان حديث النعمة ، وقلما تجد سريا رفيع المنزلة يقول عن نفسه انه باذخ الشرف سامى الرتبة ، ما لم يكن فى حسبه وصمة ، وما لم يشعر شعوراً جلياً أو خفياً ان فى عرقه مطعناً ، وان فى سلالته أو نسبه مغمزاً

تنظر الى سراة الانجليز فى ملابسهم الوضيعة ، وسياراتهم التى اكل عليها الدهر وشرب . فيخيل اليك انهم من الطغام أو رعاع القوم

فهذا ولى العهد يبدو فى الفنادق والمطاعم وأماكن النزهة كأنه احد الافراد من الطبقة المتوسطة . وهذا دوق وستمنستر ، وهو أغنى أغنياء الانجليز قاطبة ، تراه سائراً على قدميه فى زيه البسيط الهادىء فتخاله من السابلة . وقد حدث فعلا ان محسناً كريماً من الطبقة المتوسطة رآه واقفاً على الرصيف فى انتظار قطار فقدم له شلناً ظناً منه انه من العمال العاطلين ، وهذه حكاية معروفة فى انجلترا عن ذلك السرى العظيم

ولما كان حديثو النعمة أشد الناس ميلا الى الزهو والظهور فى أزيائهم وسياراتهم وأثاثهم وجواهرهم وزينتهم ، فى مظهر خلاب زاه براق ، إخفاء لما يشعرون به فى بواطنهم من حسب وضيع وشرف مشكوك فيه ـ أصبح كبار القوم وسراة الاوربيين والاميركيين يتباعدون عن هذه المظاهر جهد استطاعتهم ، فلا يتخيرون من الثياب إلا أبسطها هنداماً وأعدلها ثمناً ونوعاً وأهدأها لوناً ، ولا يمتطون من السيارات إلا أقدمها ، ولا تكاد نساؤهم تتحلى بالاحجار الكريمة إلا فى المناسبات الرسمية القليلة . ومن الغريب ان ابناء اصحاب الملايين فى اميركا وبناتهم فى رحلاتهم الصيفية حول العالم لا يسافرون بالدرجة الاولى فى البواخر والقطرات الحديدية ، تاركين هذه الدرجة لمن هم اكبر منهم سناً من آبائهم وأجدادهم !

ومن المسائل التى تسترعى الأنظار فى الاوساط الجامعية فى أميركا انك تستطيع أن تتبين أول وهلة أبناء العمال وحديثى النعمة وبناتهم ، وذلك بسياراتهم الفخمة ، وملابسهم الثمينة ، ومعاطفهم المصنوعة من الفرو الغالى ، الذى يبلغ ثمن الواحد منه خمسمائة جنيه أو اكثر . وذلك بعكس أبناء الاسر العريقة ، فان ذويهم يضنون عليهم بالنقود ، ويحرمون عليهم شراء السيارات تحريماً تاماً ، أو يسمحون لهم باستعمال العربات القديمة على الا كثر . ومن الاقوال المأثورة فى انجلترا انك اذا شاهدت رجلا أو امرأة فى ملابس السهرة يرتدى معطفاً من الفرو ، صيفاً وشتاء على السواء ، فمن المؤكد انه ممثل أو ممثلة من الطبقة الثالثة . وما ذلك إلا لان هؤلاء يخشون ان يدرك الناس من ملابسهم ، فيما اذا توخوا فيها التواضع والبساطة ، انهم حقيقة ممثلون من الطبقة الثالثة ، وليسوا من الدرجة الاولى

ومن أغرب ماسمعت من المحاضرات ، خطاب ألقاه احد اساتذة علم النفس فى نيويورك ، حاول فيه أن يستدل على الاسباب التى حدت بالاميركيين ان يفاخروا بما لديهم من ثروة ، وما بلغوه من عظمة ، وما شادوه من دور ، ومعاهد ، وجامعات ، وناطحات سحاب . ومما قاله ان ولايات اميركا المتحدة بلاد حديثة التاريخ ، تكاد تكون فى عزلة تامة عن العالم القديم ، واقعة بين المحيطين العظيمين ، الاطلسى والهادى ، ويكاد يشعر اهلها شعوراً خفياً بأن

ليس لهم فى المدنية والعظمة من العراقة والقدم ، ما لاوربا من المزايا ، ولا يكادون ينشئون بناية ، او قنطرة ، أو ملهى ، أو مدرسة ، أو بركة للسباحة ، أو كاتدرائية ، أو ملعبا ، أو متحفاً ، حتى ينعتوها بصفة من صفات التفضيل ، فيقولوا انها اعلى بناية ، أو أضخم قنطرة ، أو اعظم كاتدرائية ، فى العالم بأسره ، أو انها أكثر برك العالم اتساعا . أو أكثر الملاعب أو المتاحف نفقات . وما هذه الاقوال سوى وسيلة لاخفاء شعور دفين بالسمو الاوربى ، وعظمة العالم القديم ، وتفوقه على العالم الجديد . وما هذه البنايات الشاهقة ، والقناطر الفولاذية الضخمة ، والمنشآت العلمية والطبية والاجتماعية والاقتصادية العظيمة ، سوى سبيل الى تغطية ذلك الشعور

* * *

سواء أصح هـــذا التعليل أم لم يصح فان الامم كالافراد فى كثير من الاحايين ، تباهى بعظمتها لانها تشعر بحداثة عهدها ، وبضعة حسبها . وخير دليل على ذلك أن بعض الامم التى نهضت بعد الحرب العظمى ، بعد أن كانت معداتها الحربية وقوتها الدولية خاملة الذكر ، ما كادت تشعر بسطوتها وحداثة عهدها ، حتى أخذت تملأ الارض صياحاً ، وتهدد العالم بمخترعاتها ، وتفاخر بأجدادها وعزة قومها ، وتعج أرضها بمظاهرات أفرادها وجماعاتها ، وتنادى صحفها بمدنيتها ، وتتباهى بجنسها الابيض ، مع ارتياب علماء الانثروبولوجيا فى صحة هذا الامر ، لان دم أهلها لا يزال ملوثاً بدماء الارقاء ، الذين كانوا يستوردونهم من زنوج أفريقيا بمئات الالوف

امير بقطر

فى النـاس ذو حلم يسفه نفسـه كيما يهاب ، وجاهل يتحلم
وكلاهمـا تعب يحارب شيمة غلبت فآض بحملهـا يتـألم

* * *

تسربل الوشى راج ان يجمله والحمـد في كل عصر خير سربال
وكيف يعدل موصول بمنقطع يبلى النسيج وهذا ليس بالبالى

ابو العلاء

بلاد الآلهة والبخور المقدس

الحبشة وعلاقتها بمصر القديمة

بقلم الاستاذ احمد يوسف

شغل الجنس الاسود فى التاريخ القديم أعالى النيل ومنابعه من حدود الشلال الاولى . وكان المصريون القدماء يطلقون على الاراضى التى تلى بلادهم جنوبا اسم « بلاد السود» . وكانت هناك دولة متاخمة لحدود مصر الجنوبية هى بلاد النوبة . تنقسم الى قسمين : القسم الشمالى منها ، وكان يعرفه المصريون باسم بلاد « واوات » . والقسم الجنوبى وهو المنطقة التى تبدأ من وادى حلفا حتى نهاية الشلال الرابع ، ويعرفها المصريون باسم بلاد « كوش » . وكوش اسم ولد من ذرية حام بحسب نصوص التوراة . وقد أطلق الاغريق والرومان على بلاد النوبة اسم «اثيوبيا»

وكان المصريون القدماء يعرفون أسماء كثيرة من شعوب مختلفة تقطن أواسط افريقا ، ذكروها كثيراً فى كتاباتهم ، مثل أرض «حوا» - ويحتمل أن تكون بجوار ساحل الصومال - وأرض « أونيشك » - وهى فى جنوب حوا ، وأرض « كاروى » - وهى حول منطقة الشلال لرابع - وأرض « تخثى » وغيرها

وكانت منتجات أواسط افريقا ترد الى مصر عن طريق بلاد كوش وواوات - أو بلاد النوبة - كالأبنوس والعاج وجلد الفهد والصمغ والراتينج . وهذه المنتجات من أحب الاشياء الى المصريين ومن ألزمها لصناعاتهم

وكانت عاصمة بلاد كوش مدينة دعاها المصريون « نباتا » وتقع عند الشلال الرابع . وقد جعلها الفراعنـــة حصناً مصرياً فى أيام الملك « امنحتب الثانى » . وسميت فى أيام الاغريق والرومان « مرو » وتعرف بهذا الاسم للآن . وكانت « نباتا » أو « مرو » هذه مركزاً للتجارة بين مصر وأواسط افريقا أو منطقة السودان الحالى

وحتى بداية الدولة الحديثة لم تكن لبلاد النوبة ولا لكوش مكانة تذكر كمملكتين لهما نظام وقوة ، ولكنهما كانتا أمتين صغيرتين تحت حكم رؤساء أقوياء يسيطر كل منهم على جزء من الارض . وكان من المتعذر على المصريين من أجل ذلك أن ينشروا حكمهم دفعة واحدة على أولئك الحكام المتفرقين بمناطقهم ، الى أن تمكنوا من إخضاعهم جميعاً وتعيين حاكم مصرى على بلاد واوات وآخر على بلاد كوش

تسوقنا هذه التوطئة الى الموضوع الذى نريد الحديث عنه . وهو موضوع علاقة مصر ببلاد الحبشة

فقد كانت تجاور بلاد كوش من الجنوب الشرقى أرض كان المصريون القدماء يسمونها « بنت » كانت بينها وبين مصر صلات وعلائق فى التاريخ القديم : حيث كانت البعثات تقوم من مصر الى بلاد « بنت » من حين لآخر ، لجلب بعض الحاصلات والمنتجات

ولما كانت تلك البعثات تأخذ دائماً طريق البحر الاحمر . فقد اختلط على كثير من العلماء تحقيق موقع بلاد « بنت » فحسبوها حول الساحل الغربى للبحر الاحمر فيما يقابل مضيق باب المندب . أو هى سواحل الصومال الآن . ولا تتعداها . وذلك أن المصريين لم يقصدوا الى تلك البلاد عن طريق البر . ولكن الواقع أن « بنت » كان القسط الاكبر منها يشغل أواسط افريقا . وكانت تلاصق الارض التى تدعى الآن « أوغنده » . وان المصريين القدماء كانوا يستسهلون فقط طريق البحر فى الذهاب اليها إذ كانوا أمة بحرية . وكان لديهم فى معظم الحكم الفرعونى الأسطول القوى الكفء المستعد . حتى ان بعض أساطيلهم أتم رحلة طويلة بحرية حول افريقا باجمعها ، خارجاً من مصر وعائداً اليها . وكانت الطريق البرية وعرة المسالك . وما تزال الى الآن بعض آثار ضئيلة فى مناطق متعددة فى الجزء الغربى من بلاد الحبشة وفى جنوبى السودان كبقايا الأوانى والخرز المصرى من عصر الأسرة الثامنة عشرة مما يثبت علاقة تلك الارض بالمصريين القدماء ، وانها كانت تتبع بلاد « بنت » التى كان المصريون يتعاملون معها

إذاً كانت بلاد « بنت » هى المنطقة التى تقع من ساحل البحر الاحمر شرقا ، حتى حدود السودان غربا ، وجنوبا حتى مستعمرة كينيا وأوغنده الحاليتين ، شاملة الاريتريا والصومال الفرنسى والانجليزى والايطالى وبلاد الحبشة بأجمعها . أو هى بلاد الحبشة بالذات قبل أن تستقطع منها أراضى الصومال التى وزعت بين الممالك الاوربية الثلاث

وقد ذكرت بلاد « بنت » كثيراً فى النصوص المصرية القديمة وكانوا يعتبرونها فردوساً أرضية ، ويدعونها « أرض الآلهة » و « مملكة البخور » وقد ذكر ذلك فى كتاب الموتى ، مع تقديسها والتبرك بها . وكان المصريون يستوردون منها الذهب والعاج والأبنوس والبخور والعطور والاشجار والقردة والنسانيس والفهود التى كان يستأنسها بعض الفراعنة ويستخدمون جلودها فى أثاثهم . والصمغ والراتينج . وكل ما يفيد لخدمة العبادات وإقامة الطقوس الدينية والجنازية . ولم تكن تجارة هذه المواد فى أيدى أفراد الشعب من المصريين بل كانت الحكومة هى التى تتولى أمرها . فالملوك هم الذين يوفدون البعثات الى بلاد « بنت » ويزودونها بالمؤن والحاجات مدة الرحلة الطويلة التى تستلزم شهوراً . وكان بعض الملوك يبادل أهل بلاد بنت أو أمراءها منتجات بلادهم ومحصولها بما يحتاجون اليه من المنتجات المصرية ، والبعض الآخر يفرضها عليهم جزية يؤدونها اليه

وكانت الاقزام أحب ما يرغب ملوك مصر القدماء فى الحصول عليه من بلاد بنت .

وكانوا يفرحون بمقدمهم أيما فرح ويغدقون العطايا والهبات على رئيس البعثة التى يرسلونها اذا نجح فى إحضارهم . وكانوا يوظفون أولئك الاقزام فى مملكتهم ويكلفونهم ببعض الشئون الخاصة التى لا يقوم بأدائها غيرهم ، كرؤساء خزانات الثياب والحيوانات الأليفة . ويستخدمونهم فى مهن معروفة كمهنة الصياغة وصناعة الذهب

وتوجد نقوش من عهد الأسرة السادسة المصرية فى اسوان عند الشلال الاول ذكر فيها ان الملك «أسسا» أرسل أحد ضباطه المدعو «بورتت» الى أرض «بنت» للحصول على قزم وإحضاره اليه ، فنجح هذا الضابط فى مهمته ، وعاد بالقزم المطلوب ، فأحسن الملك مكافأته من أجل ذلك

وقد ظهرت الأقزام فى التاريخ القديم فى آثار الأسرة الرابعة المصرية . اذ كان أحد أولاد الملك « خوفو » يقتنى قزماً من « بنت » . ولكن الملك « سحورع » من الأسرة الخامسة كان أسبق الملوك الى العناية الخاصة بالاقزام وجلبها الى مصر . وكان لهذا الملك بعثة عظيمة أرسلها الى بلاد « بنت » فى أسطول عظيم ، حيث كانت قوة مصر البحرية فى عصره على أتمها . وقد عادت بعثته بكميات عظيمة من محصولات تلك البلاد دونها على آثاره . منها ٨٠٠٠٠ كيل من المر و ٦٠٠ وزن من « الألا كترم » وهو خليط من الذهب والفضة و ٢٦٠٠ ربطة من الأخشاب النفيسة وعلى الأخص الأبنوس

وكان أعيان « الفنتين » هم المنوط بهم الحركة التجارية الواسعة النطاق من مجاهل أفريقا وقد كانوا يضطلعون بمهمة التجارة منذ عهد الدولة القديمة . ويعتمد عليهم الملوك فى أغلب الأحيان . وكانت الطريق الى « بنت » مقفرة من الماء عسيرة المسالك . وكانت طريق البحر تبدأ من قفط بالقوافل الى ميناء القصير ومن القصير تأخذ السفن سيرها بحذاء الساحل فى مياه البحر الاحمر الى سواحل « بنت »

وفى عهد الاسرة السادسة ، تم تمهيد الطريق ، وأصبحت صالحة للسير والملاحة . وكانت السفن الشراعية قد طرأ عليها تحسين ظاهر فى عهد الملك « بى الثانى » فصارت وافية بالغرض سريعة السير . وكان هذا الملك قد أرسل أحد الاشراف فى بعثة الى بلاد « بنت » فقتله البدو فى الطريق ، فأعقبه بآخر يدعى « بى ناخت » فأخذ هذا على عاتقه أن يعيد جثة سلفه الى بلاده ، وأن يؤدب البدو المغتالين . فقام بمهمته وواصل السير الى « نت » . وبعد رحلة « بى ناخت » هذه أصبحت الطريق مأمونة السير سهلة المسالك . حتى ان أحد أعيان الفنتين ، الذى كان يصحبه فى رحلته قد دون فى مقبرته بأنه صحب « بى ناخت » فى رحلاته الى « بنت » ما لا يقل عن احدى عشرة مرة . وهذا مما يؤكد العلاقات الشديدة والصلات المستمرة بين مصر وبلاد « بنت » فى التاريخ القديم ، التى هى بلا شك أصل بلاد الحبشة الحالية . أو موطن الاجداد الاول للشعب الحبشى

وفى عهد الدولة الوسطى قامت بعثات أيضا الى بلاد بنت . وتبادلت مع البلتين محصولات البلدين . إذ أن الملك « منتوحتب الخامس » أحد ملوك الاسرة الحادية عشرة أرسل بعثة الى بلاد بنت ، كانت مكونة من ضباط من طيبة ومن عمال مجموعهم ٣٠٠٠ رجل ، تحت إمرة أحد كبار موظفيه المدعو « حنو » . وقد عادت البعثة بالمر والنفائس الاخرى . وانتهزت أثناء عودتها فرصة مرورها على المناجم الواقعة على ساحل البحر الاحمر فجلبت معها كتلا من أحجار الديوريت والفرفور لتعمل منها تماثيل الآلهة والملوك

وأرسل الملك « أمنمحت الثانى » من الاسرة الثانية عشرة بعثة اخرى الى بلاد بنت فى السنة الثامنة والعشرين من حكمه لجلب المحصولات الهامة التى كانت مصر دائما فى حاجة اليها . وكانت البعثة برئاسة المدعو « خنت كاتور » كما أرسل بعثة أخرى لجمع الجزية من أراضى السود ، جنوبى السودان . وسار على منواله ولده الملك « سيزوستريس الثانى »

ولعل أهم البعثات الى أرض بنت ـ أو الحبشة ـ تلك التى أوفدتها الملكة المصرية العظيمة « حاتشبسوت »

وبعد هذه البعثة وردت الى مصر فى عهد تحتمس الثالث جزية نفيسة من بلاد « بنت » ومن شمال النوبة كانت محتوياتها من الكثرة بحيث ملأت خزائن المملكة . وهى من أعظم ماورد الى مصر من هدايا هذه البلاد

وفى عهد الملك « رمسيس الثالث » أحد ملوك الاسرة العشرين قامت بعثات الى بلاد « بنت » وجنوبى بلاد العرب ثم عادت الى مصر بأنفس المحصولات والمنتجات . وقد وضعت المراكب احمالها عند ميناء القصير ، ونقلتها الى داخل مصر عند مدينة قفط الحالية

ومما تقدم يتبين أن العلائق بين مصر وبلاد الاحباش فى التاريخ القديم كانت وثيقة وطيدة الدعائم . وكان المصريون القدماء يحترمون بلاد الاحباش ويقدسونها ويدعونها « بلاد الآلهة والبخور المقدس »

احمد يوسف
بالمتحف المصرى

---

* اعمل مادمت في مقتبل العمر ، فليس للحياة إلا ربيع واحد (حكيم)

بين أوتو الأكبر وعبد الرحمن الناصر

سفارة المانية إلى بلاد قرطبة

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

في القرن العاشر الميلادي كان زعيم الاسلام خليفة الاندلس عبد الرحمن الناصر ، وزعيم النصرانية امبراطور المانيا أوتو الاول وقد حدثت بين هذين الزعيمين علائق دبلوماسية أدت الى انشاء سفارة سياسيه بين الفريقين . وفي هذا المقال استعراض لتاريخ هذه السفارة ، وأسباب نشأتها وطبيعة الاساليب الدبلوماسية ونوع العلاقات الدولية في العصور الوسطى

كانت الزعامة الدينية والسياسية في العصور الوسطى مركزاً للتجاذب والصلات الدبلوماسية بين الشرق والغرب ، ولم يكن ذلك التجاذب دائماً مباشراً ولم يقم دائماً على مصالح مباشرة أو متبادلة ، ولكنه كان يرجع في كثير من الاحيان الى نوع من الجاذبية المعنوية التي تسبغها القوة والزعامة . فمثلا كان بين الرشيد وكارل الاكبر زعيمي الشرق والغرب ، والاسلام والنصرانية ، في أواخر القرن الثامن سفارات ومراسلات شهيرة لم تقم بواعثها أو نتائجها على شيء من المصالح المباشرة ، ولكنها قامت بالأخص على بواعث ومجاملات معنوية (١) وفي القرن العاشر كانت الدولة العباسية قد دخلت في دور انحلالها ، ولم تكن الدولة الفاطمية الفتية منافستها في المشرق بلغت بعد ذروة قوتها ونفوذها ، فكانت الاندلس زعيمة الاسلام الحقيقية ، وكانت قرطبة يومئذ مركز الجاذبية الدبلوماسية في العالم الاسلامي

وكانت قسطنطينية مركز هذه الجاذبية في النصرانية حتى القرن الثامن ، ثم خلفتها مملكة الفرنج مدى حين ، فلما اضمحل شأن المملكة الفرنجية استردت قسطنطينية زعامتها الدبلوماسية في النصرانية ، ولما قامت الامبراطورية الجرمانية في القرن العاشر أخذت تنازعها هذه الزعامة في أواسط أوربا وفي غربها . ولكن قرطبة لبثت تستأثر وحدها بزعامة الاسلام في الغرب حتى نهاية القرن العاشر

وقد كان هذا العصر الذي اجتمعت فيه تلك الزعامات الدينية والسياسية القوية أحفل العصور بصلات الاسلام والنصرانية ، فكانت ثمة معاهدات وسفارات ومراسلات وعلائق دبلوماسية بين قرطبة وبين معظم الأمم النصرانية . وقد بلغت هذه الصلات ذروتها في عصر « الناصر لدين الله » ، أعظم عصور الاسلام بالأندلس ، فتوالت وفود الأمم النصرانية على بلاط

---

(١) راجع تفاصيل هذه السفارات الشهيرة وظروفها وبواعثها كتابي « مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام » (الطبعة الثانية) ص ١٣١ وما بعدها

قرطبة تنشد الحلف والصداقة والمهادنة من زعيم الاسلام فى الغرب . وكان رسل قيصر بزنطة قسطنطين السابع فى مقدمة هذه الوفود ، فوفدوا على قرطبة سنة ٣٣٦ ﻫ (٩٤٨ م) يحملون الى الخليفة أنفس التحف والهدايا واحتفل الناصر بقدومهم فى يوم مشهود وكانت سفارة شهيرة أفاض فى خطورتها وروعة استقبالها مؤرخو العصر (١) . ووفدت على الناصر بعد ذلك سفارات أخرى من ملك الصقالبة ، وملك فرنسا ، وأمبراطور المانيا ، ومن ملوك اسبانيا النصرانية ، ووفدت عليه أيضاً سفارة من البابا ، وكانت هذه السفارات ترجع فى الغالب الى بواعث ومجاملات معنوية ، والى طلب المودة والصداقة من زعيم يسيطر على أرواح ملايين من النصارى

بيد أنها كانت تقوم أيضاً على بواعث ومصالح مباشرة ، فمثلا كان ملوك اسبانيا النصرانية يتنافسون فى طلب المودة والتحالف من سيد اسبانيا لسحق خصم متغلب أو استرداد عرش مفقود . وكانت السياسة التى ينتهجها زعيم الاسلام ازاء هؤلاء الأمراء المتخاصمين هى السياسة التى تقضى بها مصلحة الدولة الاسلامية . وأحياناً كانت هذه السفارات والعلائق ترجع الى بواعث السياسة أو الدين . وسنعرض فى هذا الفصل الى سفارة من هذا النوع كانت من ورائها بواعث دينية وسياسية ، وقد وصلت بين زعيمى الشرق والغرب فى ظروف تلقى كثيراً من الضياء على طبيعة الاساليب الدبلوماسية فى القرن العاشر . تلك هى سفارة أوتو الأول أو أوتو الاكبر امبراطور المانيا الى عبد الرحمن الناصر ، وهى حادث دبلوماسى هام من حوادث ذلك العصر . ولكن الرواية الاسلامية تشير اليها اشارة موجزة ، ولا تحاول أن تكشف لنا عن بواعثها أو تفاصيلها

ويجب أن نستعرض بادىء بدء خلاصة الحوادث والظروف التى كانت مبعث العلائق والمخاطبات الشهيرة بين زعيمى الاسلام والنصرانية . فمنذ أوائل القرن التاسع كانت هذه السرايا العربية المغامرة تجوس خلال سواحل فرنسا الجنوبية وتثخن فيها . ونفذت شراذم من أولئك المغامرين الى ولاية بروفانس وعاثت فى كثير من أنحائها . ولم يمض سوى قليل حتى استقرت منهم فى جنوب بروفانس عدة مستعمرات قوية ، وأنشأوا لهم سلسلة من المعاقل والحصون المنيعة فى سفح جبال الألب كان أقواها وأمنعها حصن « فراكسنيه » الشهير ، ولما استقر الغزاة فى تلك الأنحاء وفد عليهم سيل من المتطوعين والمجاهدين من ثغور افريقية والاندلس وكثرت غزواتهم فى أنحاء بروفانس ووادى الرون حتى بسطوا الذعر والروع فى جنوب فرنسا . ثم نفذت بعض السرايا الجريئة الى بيمون . وفى أوائل القرن العاشر غزوا ليجوريا على شاطىء خليج جنوه ، ثم نفذوا الى ولاية ڤاليـــه فى سويسره وعاثوا فى تلك الأنحاء ونهبوا الأديرة والكنائس وسيطروا على ممرات الألب . وقطعوا المواصلات بين فرنسا وايطاليا . وفى سنة

(١) المقري في نفح الطيب ج ١ ص ١٧٠ و ١٧٤ وما بعدها — وابن خلدون ج ٤ ص ١٤٢ و ١٤٣

٩٤٠ غزوا ثغر فريجوس وهو يومئذ اكبر وأمنع ثغور فرنسا الجنوبية . وغزوا ثغر طولون ، واجتاحوا منطقة نيس وتقدموا الى ولاية دوفيني ، وغزوا مدينة جرينوبل واحتلوها مدى حين ، وجاست هذه السرايا المسلحة المغامرة خلال سويسرا ، وتقدمت فيها حتى مدينة سان جال على مقربة من بحيرة كونستانس ، وبسط الغزاة نفوذهم فى تلك المناطق زهاء قرن ولبثوا مدى حين عاملا هاماً فى تطور الحوادث فى تلك الانحاء

ولما اشتد عيث هذه السرايا المغامرة ، اتحد أمراء النصارى المحليين على رد عدوانهم ، واستمر النضال سجالا بين الفريقين مدى حين ، وأخيراً رجحت كفة النصارى ، وأخذ العرب يفقدون معاملتهم فى تلك الانحاء تباعاً ، ولكنهم لبثوا مع ذلك مثار الذعر والروع حيثما استطاعوا المقاومة ، فى بيمون ، وفى بروفانس

وكان ذلك فى منتصف القرن العاشر ، وكان أعظم أمراء النصرانية فى ذلك الحين أوتو الأكبر (أو أوتون) ملك المانيا (وامبراطور الدولة فيما بعد) ، وكان أعظم أمراء الاسلام عبد الرحمن الناصر خليفة الاندلس ، وكان المفهوم دائما أن حكومة قرطبة تحمى هذه المستعمرات العربية الغازية ، وتمدها بعونها الأدبى على الأقل ، فلما رأى أمراء النصارى انهم لم يستطيعوا سحق هذه السرايا الخطرة وانها ما زالت تجثم فى أرضهم وتهددهم بالويل ، سعوا الى الامبراطور أوتو زعيم النصرانية أن يعاونهم بمفاوضة الناصر ، زعيم الاسلام ، فى انقاذهم من ذلك الخطر الداهم ، ومن ثم كانت تلك السفارة الشهيرة التى أوفدها عاهل الألمان الى خليفة الأندلس

وتشير الرواية الأسلامية الى تلك السفارة فى غموض وايجاز ، فتذكرها ضمن السفارات التى تلقاها الناصر فى ذلك الحين ، وهذا ما يقوله ابن خلدون فى هذا الشأن : « ثم جاء رسل ملك الصقالبة وهو يومئذ «هوتو» وآخر من ملك اللمان ، وآخر من ملك الفرنجة بقاصية المشرق وهو يومئذ كلده ، واحتفل الناصر لقدومهم ، وبعث مع رسل الصقالبة ربيعا الأسقف الى ملكهم هوتو ، ورجعوا بعد سنتين (١) . . . » وفى هذه الرواية خلط يسهل تبيانه . ذلك أن « هوتو » هو بلا ريب «أوتو» أو « أوتون » ملك المانيا ، ونعته بملك الصقالبة خلط يكثر مثله فى الرواية الأسلامية حينما تحدثنا عن أحوال الامم الفرنجية ، وقد جاء رسله الى قرطبة بسفارة الى الناصر وهى السفارة التى تتحدث عنها

وتضع الرواية الفرنجية تاريخ هذه السفارة الشهيرة فى سنة ٩٥٦ م (٣٤٢ هـ) وأما السفير فهو حبر يدعى يوهان أو يوحنا الجورزينى نسبة الى الدير الذى ينتمى اليه فى جورزى على مقربة من متز ، وقد اختاره أوتو من رجال الدين ومن اقطاب الجدل والمناظرة . ذلك أنه كانت فيما

(١) ابن خلدون ٤ ص ١٤٣ — نفح الطيب ج ١ ص ١٧٠

يظهر ثمة مراسلات سابقة بين الناصر وأوتو، وكان أوتو قد تلقى من الناصر كتابا يذكر النصرانية فيه بسوء. فالفى أوتو الفرصة سانحة لأن يدافع سفيره عن قضية النصرانية لدى خليفة قرطبة (١) الى جانب مهمته الأولى فى السعى لدى الناصر لاستعمال نفوذه فى التأثير على المستعمرات العربية الغازية فى جنوب فرنسا لتقف عبثها وعدوانها . وقدم يوحنا الى قرطبة عن طريق الرون وقطلونية برفقة راهب آخر، ومعه طائفة نفيسة من الهدايا برسم الخليفة، فاستقبل فى قرطبة استقبالا حافلا وانزل فى احدى الدور الرسمية. ولكن الناصر لم يبادر باستقباله حين وقف على موضوع رسالته، ولم يقبل بالأخص أن تكون المسائل الدينية موضع جدل بينهما. ولما ألح يوحنا فى المقابلة والمحادثة أجاب الناصر بأنه سبق أن ارسل رسولا أسقفا الى أوتو، فاعتقله مدى ثلاثة أعوام. وأنه سيعتقله أى يوحنا مقابل ذلك تسعة أعوام لأنه أرفع مقاماً من ملك النصرانية واخيرا تقرر أن يرسل الناصر الى ملك المانيا رسولا آخر يستوثق من عواطفه ونياته نحوه. ويبقى يوحنا معتقلا حتى يعود السفير. واختير لهذه السفارة كالعادة قس من رعايا الخليفة هو ربيع أو «ريفا» الأسقف (٢) فاخترق فرنسا الى المانيا. ومثل لدى اوتو فى تورنجن حيث كان ينفق معظم أوقاته وكان أوتو يومئذ يجوز متاعب داخلية من جراء ثورة ولده عليه. فأبدى تساهلا فى قبول وجهات نظر الخليفة وأكرم مثوى سفيره. وعاد ربيع الاسقف الى قرطبة بعد سنتين من سفره (٣٤٤ هـ - ٩٥٨ م) (٣) فارتاح الناصر لنتائج سفارته. وأذن برؤية يوحنا سفير الامبراطور، واستقبله بقصر قرطبة فى احتفال فخم ظهرت فيه عظمة البلاط الاموى. وأفضى السفير الى الخليفة بموضوع سفارته. ولسنا نعرف ماذا كانت نتيجة هذه السفارة لأن الرواية العربية لا تحدثنا عن موضوعها، ولا تحدثنا الرواية الكنسية عن نتائجها. ولكن المرجح أن وجهة النظر التى أبدتها حكومة قرطبة لسفير الامبراطور هى انها ليست لها علاقة بالمستعمرات العربية فى غاليس (جنوب فرنسا) وانها لا تتحمل تبعة اعمالها. ولا تستطيع أن تتدخل فيها. وهو استنتاج يؤيده صمت الرواية العربية عن ذكر أخبار هذه المستعمرات، مما يدل على أن حكومة الأندلس لم تكن تعنى كثيراً بشأنها، وان كانت بلا ريب تنظر الى غزواتها وتوغلها فى الأراضى النصرانية بعين العطف. على أن لوتيبراند، وهو مؤرخ كنسى معاصر يؤكد لنا أن الخليفة كان يحمى هذه المستعمرات ويمدها بالتشجيع والعون (٤)

بيد أن الرواية الكنسية تقدم الينا بهذه المناسبة حديثاً طريفاً من آراء الناصر فى نظام الحكم

---

(١) Reinaud; Invasions des Sarrazins p. 187

(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٣ (٣) ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٣

(٤) Reinaud; Invasions des Sarrazins en France p. 193

فقد وقف الناصر من مستشاريه أو من يوحنا نفسه على طرف من نظام الحكم الاقطاعى فى المانيا . وما يتمتع به بعض الأمراء المحليين فى ظل هذا النظام من الاستقلال الداخلى ، وأبدى ليوحنا اعتراضه على هذا النظام قائلا : « ان ملككم أمير حكيم ماهر ، ولكن فى سياسته شيئاً لا أسيغه ، وهو أنه بدلا من أن يقبض بيديه على جميع السلطة ، يتزل عن بعضها لاتباعه بل يترك لهم بعض ولاياته معتقداً أنه يكسب عطفهم بذلك . وهذا خطأ فادح . فان مداراة العظماء لايمكن إلا أن تزيد فى كبريائهم وتذكى رغبتهم فى الثورة » (١) وفى ذلك ما يوضح لنا فكرة الناصر فى الحكم المطلق . وسياسته فى سحق أولى الشأن والعصبية من زعماء القبائل العربية ، والاعتماد على بطانة ذليلة من الفتيان الصقالبة والمولدين

هكذا كانت حوادث هذه السفارة الشهيرة التى أريد بها تحقيق غايات السياسة ولكنها لم تسفر عن نتائج سياسية معينة . بل استحالت حين أدائها الى نوع من الجدل والمجاملات الدبلوماسية . بيد انها تلقى مع ذلك ضياء على طبيعة الأساليب الدبلوماسية فى العصور الوسطى . وتلقى بالأخص ضياء على نوع العلاقات التى كانت تنظم من آن لآخر بين زعماء النصرانية وبين زعماء الاسلام ، وتحمل فى الغالب طابعاً افلاطونياً مرجعه وحدة المقام والزعامة والجاذبية الدبلوماسية . أما المستعمرات العربية فى غاليس وهى التى كانت مبعث هذه السفارة وهذا المسعى من جانب امبراطور المانيا . فقد لبثت بعد ذلك عصراً آخر تناضل عن معاقلها وحياتها . ولكن لم يك ثمة شك فى مصيرها . فقد كانت منعزلة نائية عن تلقى العون قليلة فى العدد والأهبة . وكان خصومها كثرة متحدة يحدقون بها من كل جانب . وكان عهد الجهاد والحماس الدينى الذى دفعها الى قاصية سويسرة قد خبا . فلم يمض قليل حتى سحقت وأخرجت فلولها من تلك الارض التى استعمرتها وراعتها زمنا . وانتهت الى الأبد سيادة العرب والاسلام فى تلك الانحاء.

محمد عبد الله عنان



(١) Dozy: Musulmans d'Espagne II p. 153 والمراجع

صراع الأديان فى الحبشة

كيف استعان الاحباش بالبرتغاليين

بقلم الدكتور فؤاد حسنين على

مر بالحبشة عهد بين عامى ١٥٤١ و ١٥٤٣ م لم يكن عهد فتوحات أو تأسيس مستعمرات او استغلال ارض ، بل كان حلقة من سلسلة كفاح المسيحية منذ مئات السنين لتثبيت قدمها من ناحية ولمقاومة انتشار الاسلام والوثنية من ناحية أخرى . ولا شك فى أن بقاءها حتى اليوم يرجع الى تلك البطولة التى قام بها ٤٠٠ فارس برتغالى بقيادة البطل الفتى « كريستوف داجاما » ابن الملاح الشهير « فاسكو داجاما » . فقد قاد حملته بصبر وحزم الى الحبشة على الرغم من وعورة أرضها وقسوة حرارتها وندرة مياهها ، ورداءة طقسها . فكم ليال قضوها لم يغمض لهم جفن ، وكم معارك خاضوها بشجاعة لا تعرف الضعف والخور . فهم كما يحدثنا التاريخ الحبشى ، رجال أشداء وشجعان أقوياء ، ظمأهم الى المعارك ظمأ الذئاب وشراهتهم الى النزال شراهة الاسود

وقد ترجم العلامة أنو ليتمان الى الالمانية التقرير الذى أصدرته الجمعية الجغرافية بلشبونة عن هذه الحملة باللغة البرتغالية واعتمد على النص الاصلى الذى وضعه ميجويل دم كاستنهوزو أحد أعضاء هذه الحملة . ونحن نلخص هنا فصلا من هذه الترجمة ، فنقول :

بلاد الحبشة بلاد يلتقى فيها كثير من الاجناس واللغات والديانات المختلفة ، فنجد فيها من اللغات : الافريقية القديمة ، واللغة النجريتية ، والكوشية ، والحامية ، والسامية . ومن الديانات نجد الوثنية واليهودية والمسيحية والاسلامية . لذلك كان من الطبيعى ان تكون هذه البلاد فى العصور الغابرة مسرحاً للحروب الداخلية الطاحنة التى لم تكن دينية فقط ، بل كانت جنسية أيضاً

فحوالي منتصف القرن الخامس اعتنق ملك اكسوم المسيحية . ويتبين لنا ذلك من كتابتين لاحد الملوك أولاهما وثنية ، وثانيتهما مسيحية ، يذكر فيها كيف أنه حرق اصنام الاعداء وأسر كهنتهم . ولكن اليهودية كانت قد سبقت المسيحية الى تلك البلاد ووجدت هناك بين الكوشيين أنصاراً كثيرين ويسمى معتنقوها « فلاشا » أما المسيحية فقد انتشرت خاصة بين الساميين بينما الوثنية ما زالت بين الكوشيين والزنوج . وقد بذل المسيحيون جهدهم ليبسطوا سلطانهم على تلك البلاد وينشروا دينهم فيها حتى تصبح لهم السيادة على سائر الاجناس والديانات . وكاد يتم ذلك لهم فيما

بين القرن السابع والقرن الثالث عشر حين اندلعت نيران الحروب الطاحنة التى لا نعرف عنها الا النزر القليل . ومن ذلك الحين أخذ يتم التزاوج والاختلاط بين الساميين والكوشيين ، وكان ذلك الاختلاط قوياً جداً حتى إن الفصل بين الجنسين اصبح من اصعب الامور ان لم يكن محالا . ولم يقف الامر عند ذلك الحد بل ساهم فى هذه الحروب دين آخر هو الاسلام

والعصر الذى يهمنا من تاريخ الحبشة فى تلك الحروب هو عصر ملكين من ملوكها وهما : لبنا دنجل (١٥٠٨ — ١٥٤٠) وكلوديوس (١٥٤٠ — ١٥٥٩) ففى ايام الأول ارتقى جندى بسيط اسمه احمد (وقد ورد ايضا محمد) بن ابراهيم المشهور ببراعته ومهارته ، واصبح أميراً على هرر . ولم يمض وقت طويل حتى صار أكبر خطر عرفته المسيحية فى البلاد الحبشية . ففى عام ١٥٢٧ انقض عليها ذلك الامير وغزاها ولقبه الاحباش بـ « جران » أى الاشول ، ومما ساعده على احراز ذلك النصر حيازته بعض الاسلحة النارية وحصوله على بعض المدافع من الجزيرة العربية . ولم يبق أمام الملك « لبنا دنجل » إلا الهروب فاعتصم هو وقليل من رجاله بالجبال

ونظر الملك حوله يرجو المساعدة فلم يجد إلا أعداء محيطين به وأراد ان يستغيث بالعالم الخارجى فوجد الطريق مغلقاً أمامه ، لكنه ما لبث حتى وجد فى بلاده شخصاً يدعى « يواوبرمودا » — وكان حلاقا فى السفن أيام « رودريجو ده ليما » وقد سعى جهده ليكون بطريركا للكنيسة الحبشية ورشحه البابا لذلك ولم يوفق ، فاضطر الملك لحاجته الى كسب عطف البابا الى الموافقةعلى تعيينه بطريركا ، لكنه علق هذا التعيين على وفاة البطريرك القائم. فرجع برمودا الى أوربا يستعطف ملك البرتغال لمساعدة الحبشة ويعلن للبابا خبر خضوع الشعب الحبشى للكرسى البابوى . لكن « لبنا دنجل » مات قبل أن تأتيه المعونة وخلفه ابنه الثانى « كلوديوس » وورث عن أبيه ميراثاً لا امل فى الحصول عليه واسترداده ، فكان أول شىء قام به محاولة كسب عطف البابا والبرتغاليين الذين كانت لهم فى ذلك الوقت مصالحهم الكثيرة فى البحر الاحمر والتى اضطرتهم إلى خوض غمار حروب كثيرة مع المسلمين خاصة بسبب فتوحاتهم العظيمة فى الهند والخليج الفارسى

أخذ البرتغاليون يوالون ارسال الحملات الى البحر الاحمر من الهند وهى معقلهم الحصين فى ذلك الوقت .ففى عامى ١٥١٣ و ١٥١٧ فشلت الحملات البرتغالية فى الاستيلاء على احد الموانىء وا كتفت بتحريق المدن الساحلية وتخريبها . وقد قابل الترك تلك الحملات بمثلها ومن بينها الحملة التى قادها سليمان باشا عام ١٥٣٨ وهاجم بها « ديو » فى الهند ، وكان من نتيجة هذه الحملة ان تعززت قوة تركيا فى البحر الاحمر . وقد قابل البرتغاليون هذه الحملة بحملة أخرى لتحطيم السفن الشراعية التركية التى كانت راسية فى السويس . فقرر رأى الحاكم البرتغالى الجديد للهند وهو « د . استيفو داجاما » الابن الثانى للملاح « فاسكو داجاما » ان يرسل عام ١٥٤٠ حملة الى البحر

الاحمر ، وخرج هو على رأس أسطول عظيم وواصل السير حتى بلغ مصوع وهناك ترك السفن الكبيرة تحت قيادة أحد أقاربه واتجه بالسفن الصغيرة الى الشمال ولكنه ما لبث حتى عاد دون أن يحقق غرضه

وبعد عودة « د . استيفو داجاما » الى مصوع بوقت قصير أقبل اليه « بحر نجاش » (١) راجياً من البرتغاليين مد يد المساعدة للمملكة المسيحية . وسرعان ما عقد الحاكم مجلساً استشاريا ضم كبار رجاله الذين قر رأيهم جميعاً على تلبية ندائه وإرسال حملة تبارى كبار الضباط فى رئاستها وقد أظهر كل منهم رغبة صادقة تنم عن شجاعة حقة وحب فى التضحية عظيم . لكن الحاكم اسند رياستها الى اخيه الصغير « دوم كريستوف » الذى أبدى فى كثير من المواقف شجاعة فائقة

وقد اجتازت الحملة طرقا وعرة ولاقت صعوبات جمة ، وغالبت أهوالا لا يغالبها إلا ابطال الرجال

وفى تاريخ هـذه الحملة امرأتان لعبتا دوراً هاما : اولاهما الملكة « سبلا ونجيل » ومعنى اسمها (سنبلة الانجيل) وكانت ارملة للملك « لبنا دنجل » وأماً للملك كلوديوس . فعند وصول « دوم كريستوف » طلبها من معقلها وولاها قيادة الجيش البرتغالي فى كل المعارك . وتدلنا المعارك القليلة التى ذكرها لها « كاستنهوزو » على انها كانت حقا امرأة فريدة فى نوعها

أما المرأة الثانية فهى « دل ومبرا » أى النصر تاجها . وكانت كما يظهر لنا تشبه أم الملك من حيث الشجاعة والاقدام ودماثة الاخلاق وحسن الطباع ، فقد رافقت زوجها فى المعارك وان كان قد رفض الجند ذلك فى بادىء الامر إلا أنهم سرعان ما عرفوا لها شجاعتها فاحترموها

وقد مات « دوم كريستوف » ومات معه الكثيرون من البرتغاليين وتبعثرت جثثهم فى الصحراء . وروى بعضهم ان الترك أخذوا رأس دوم كريستوف ، وروى آخرون أنه بعد أن مضى ٨٠ عاماً على وفاته أخـذ فى البحث عن جثته « دوم فرنسيسكو داجاما » حفيده الاكبر حينما عين حاكما على الهند ونائباً عن الملك فيها للمرة الثانية . وقد اهتدى الى بقايا جثة قال شاهد عيان إنها من جثة دوم كريستوف فجمعت هـذه البقايا وحملت الى البرتغال عن طريق الهند ، وربما تكون قد دفنت فى مدافن آل « جاما » بجانب « فيدوجوريا »

أما عدد البرتغاليين الذين رجعوا الى وطنهم بعد هذه الحروب فهو قليل جـداً . ومن بين هؤلاء « ميجويل دهكاستنهوزو » وقد بقى عدد آخر فى البلاد الحبشية أقاموا بها وتزوجوا حبشيات وماتوا بعد ان سببوا كثيراً من المتاعب لملوك الحبشة

فؤاد حسنين على
دكتور فى اللغات السامية من المانيا

(١) هو لقب لحاكم الجزء الشمالى لبلاد الحبشة والذى يطلق عليه الآن « اريتريا » ومعنى هذا اللقب (حاكم البحر) لان حدود الولاية كانت تمتد حتى مصوع . وكانت الشواطىء الجنوبية تحت يد المسلمين

النسر في القفص

حياة نابليون في سنواته الأخيرة

بقلم الاستاذ حسن الشريف

فى ساعة من الساعات التى تطيش فيها الحكومات كما يطيش الافراد ، طغى الحقد فى قلب الحكومة البريطانية على كل عاطفة كريمة . وتغلبت شهوة الانتقام على كل مبدأ قويم ، ففتحت ذراعيها متظاهرة بالترحيب بنابليون ضيفاً عليها . فلما أحسن الظن بشرفها وقبل ضيافتها ، أطبقت عليه هذين الذراعين فهصراه ، ثم طوحا به الى المنفى السحيق ليقاسى عذاب الموت البطيء . فكأنها لم ترد أن تتخلص من عدوها العظيم بقتله جهارا ، فأرسلته الى جزيرة سانت هيلانة ليتولى جوها المميت قتله . وكأنها تقهقرت امام جريمة بشعة لترتكب جريمة أبشع ، فكان اثمها أكبر ووزرها أعظم ، وكان حكم التاريخ عليها عادلا فى قسوته وما أعدل التاريخ إذا حكم !

هنالك فى سانت هيلانة ، تلك الجزيرة النائية السحيقة ، بل الصخرة الجرداء الجاثمة فى وسط المحيط . أمضى الامبراطور نابليون السنوات الست الأخيرة من حياته يقاسى غصصاً لم تقاس مثلها نفوس الشهداء والرسل ، وآلاماً لا تدرك مدى تباريحها عقول البشر

لم تكن أوربا لتصدق بعد حادث الفرار من جزيرة ألبا أن المارد قد استكان فى منفاه وأذعن للقضاء المحتوم . بل كانت تتوجس منه كل يوم ريبة وتتوقع كل ساعة مفاجأة . وكان شبحه يقض مضاجع الملوك إذا ناموا ويقف اللقمة فى حلوقهم إذا أكلوا ويعكر عليهم صفو الايام وهناء السلطان . ولقد وصف شاتو بريان هذه الحالة أحسن وصف اذ قال : « ان أنفاس هذا السجين المحتضر لا تزال تهز العالم وتزعجه . وان ذكره ليبعث الاصفرار الى وجوه الساسة والملوك . ولو نجح نابليون وأفلت من أيدى سجانيه الى أمريكا لكفى ذلك لالقاء الرعب فى قلب الدنيا . إذ لو وقف على شاطىء الاطلنطى بأمريكا وحول نظره صوب أوربا لتجمعت أوربا بأسرها وعسكرت بجيوشها على الشاطىء المقابل مضطربة واجفة »

التنكيل بالقيصر

لذلك لم يكتف أعداؤه بابعاده عن العالم ولا بسجنه فى جزيرة على هامش الدنيا . فضيقوا عليه الخناق وفرضوا عليه رقابة عنيفة يقظة ، غليظة ساهرة ، تعد كلماته وتحصى حركاته ولا تسمح له بالتنقل أو التنفس الا فى حيز محدود

أما الجزيرة فصخرة عاتية لفظها في قديم العصور بركان بحرى فأخرجها من جوف المحيط إلى سطحه فجاءت جرداء سوداء قاحلة تغم الناظرين . وأما جوها فمتقلب متحول لا يستقر على حال : تشتد حرارته في النهار حتى تبلغ حد القيظ ثم تبرد في الليل حتى تصل الى حد الزمهرير . وإذا كان هذا الجو شديد الخطر على سكان الجزيرة عامة فقد كان أشد خطراً على صحة الامبراطور اذ استشرى فيه السرطان الذى ورثه عن أبيه فصار إذا أجهد نفسه أو غضب يحس بآلام مبرحة بالمعدة مصحوبة بنوبات عصبية وبقيء شديد

ولقد أسكنوا نابليون أول الامر في « كشك » مؤلف من حجرة واحدة ، قائم بحديقة بيت لاسرة انجليزية ، ولكنهم عادوا فضنوا عليه بالتمتع بالحديقة فنقلوه الى بقعة من الجزيرة غير صحية اسمها لونجوود ، وتخيروا فيها لسكنه منزلا حقيراً أكلت الرطوبة بياض جدرانه واتخذت الجرذان جحورها في زواياه وأركانه ، فكانت إذا جن الليل تخرج لترتع فوق الاسرة وتأكل الكتب والاوراق حتى اذا تناول الامبراطور قبعته في الصباح قفز منها فأر أو فأران . وحسبك ان تعلم أن هذا المنزل كان مراحاً للخنازير قبل أن يصبح مسكناً لاعظم ملك عرفته العروش وأكبر رجل عرفه التاريخ

وإذا كان المسكن سيئاً فلم يكن المأكل والمشرب أحسن حالا ، فلقد كان نابليون أغلب الاحيان يعاف الطعام الذى يقدم اليه لرداءة نوعه . ويؤكد الكونت لاسكاز أن الطاهي كثيراً ما امتنع عن طهي بعض اللحوم لانهم كانوا يرسلونها اليه عفنة غير صالحة للاكل

ولقد ضيقوا عليه الرقابة في كل شيء حتى في نزهاته . فكان إذا ركب جواده للرياضة تبعه الجواسيس وانبث المخبرون في طريقه وتبودلت الاشارات مع دار الحاكم العام لانبائها بالأمكنة التى يجول فيها . وكان إذا زاره ضيف آت من أوربا فتشوا هذا الزائر قبل دخوله عليه واستوثقوا منه أنه لن يتحدث اليه في شئون أسرته ولا في أى شأن من شئون السياسة الدولية. ولقد أثر فيه هذا التضييق حتى حرم نفسه أحب أنواع الرياضة اليه وامتنع عن استقبال الزائرين وصار يقتل الوقت بالمطالعة أو يصرفه في املاء مذكراته على رجاله . وكان جلده على الاملاء عظيماً حتى ليؤكد الكونت لاسكاز أنه كان يظل يملي طيلة أربع عشرة ساعة وكلما مل كاتب استبدل به غيره حتى يستنفد جهد أربعة أو خمسة منهم

وذهب الصغار بالحكومة الانجليزية الى أن أمرت موظفيها بالجزيرة بألا يخاطبوا نابليون بلقب « الامبراطور » أو « صاحب الجلالة » فكانوا يسمونه « الجنرال بونابرت » متناسين أن هذا الذى ينكرون عليه صفته انما هو امبراطور شرعي باختيار شعبه ومتوج بيد البابا نفسه ومعترف به في كل المعاهدات التى أبرمها مع الدول ومصاهر لاقدم بيت مالك في أوربا ، وأن هذا الامبراطور

كان إذا اجتمع حوله الملوك يظل لابساً قبعته بينما يقفون مكشوفى الرءوس ، وأنه نصب تسعة من رجاله ملوكا تترجم على الممالك والعروش ، وأنه لم يجد لعبة يقدمها الى ابنه يوم مولده سوى تاج روما وصولجان نيرون

جلاد نابليون

وأرادت انجلترا أن تمعن فى النكاية بأسيرها العظيم فعينت لجزيرة سانت هيلانة حاكما رجلا وضيع النفس خبيث الطبع شرس الخلق اسمه سير هدسون لاو ، جعل مهمته الاجهاز على الامبراطور المريض ، فلم يكن يدع فرصة للتنكيل به الا اغتنمها أو وسيلة لمضايقته وتنغيصه الا عمد اليها . ولقد وفق الانجليز حقاً فى اختيار هذا الرجل البشع لتلك المهمة البشعة . بيد أنه إذا كان قد حقق أغراضهم الخفية وعجل موت نابليون ، فهو قد خدم نابليون فى الوقت ذاته خدمة كبيرة اذ أثار بغلظته معه وقسوته عليه ضمير العالم كله فأحاطه بعطف الانسانية جمعاء ، فلما قضى نحبه كان موته استشهاداً من نوع جليل قال فيه المؤرخ أوكتاف أوبرى : « أنه لم يسبق له مثيل غير استشهاد السيد المسيح »

ولقد اشمأزت نفس نابليون من الحاكم الجديد منذ رآه أول مرة وأيقن أنه الجلاد المرسل للقضاء على حياته ، فكان يتجنبه ويتحاشى مقابلته ولا يتمالك إذا اجتمع به من الثورة عليه ، ثم ما لبثت العلاقات بينهما حتى توترت فانقلبت الى مجافاة ومخاشنة ثم الى تحد ومقاطعة ، حتى لقد احتد عليه يوماً فانتهره الامبراطور قائلا : « أنت رجل خبيث قاس خلقت لتكون سجاناً . وإذا صح أنك قائد فما قدت فى حياتك سوى عصابات من اللصوص . انى أعرف كل القواد الانجليز الذين اشتهروا فى ميادين القتال ولست منهم ، ومهما عظم أمرك فلست أكثر من سفاح أو قاطع طريق » ثم طرده من بيته

وكان هدسون لاو يثأر لنفسه فيمعن فى الاساءة الى نابليون فى غير ما حرج ولا ورع ، حتى لقد صارحه يوماً بأن حكومته تستكثر ما تنفقه عليه فى المآكل والمشرب وأن لا بد من الاقتصاد فيهما . فنظر اليه الامبراطور نظرة مقت واحتقار وأجاب : « قل للذين أوفدوك الىّ بهذا انهم لو تركوا لى مالى الذى صادروه لوفرت عليهم ما ينفقونه علينا ، وقل لهم أيضاً ان نفسى لا تعاف الخبز الجاف الذى يأكله حراسى ولكنها تأبى علىّ أن أناقشك فى مثل هذه الصغائر »

وأشار عليه أحد رفاقه يوماً أن يشكو الحاكم العام الى حكومته ليقفها على سوء سلوكه معه فأبى قائلا : « مثلى لا يشكو ولا يتظلم . لقد خلقت لآمر فأطاع فاذا لم أستطع فلأسكت ، ثم أطرق هنيهة وقال : « ان التاريخ لن يهمل قضية رجل مثلى » ولكن المعاصرين لم ينتظروا حكم التاريخ

فلقد تصعدت صيحات العطف والاحتجاج من جميع الأنحاء ، وواجهت الحكومة الانجليزية عاصفة قوية من استنكار العالم المتمدن لمسلكها الشائن حيال السجين العظيم ، ولما مات نابليون وانتهى هدسون لاو مهمته وعاد الى لوندرة صادفه ابن الكونت لاسكاز يوماً فى الطريق العام فصفعه على مرأى من الناس فصفق المارة استحساناً وموافقة حتى أضطر الرجل الى مغادرة لوندرة ليستر خزيه فى احدى قرى الريف

ولقد أتيحت لنابليون فرص عدة للهروب من منفاه ولكنه كان يرى فى الهروب نوعا من الصغار تعافه نفسه الكبيرة كما كان يرى فى الانتحار جبنا لا يقدم عليه الا ضعفاء القلوب والنفوس . لذلك آثر أن يتجرع كأس الاستشهاد حتى الثمالة ، صابراً ، يتململ ولا يشكو ، ويتألم ولا تعرف عينه البكاء

كانت مكاتباته النادرة لاتصدر عنه ولا تصل اليه الا بعد ان تمر على الحكومة الانجليزية ثم على حاكم الجزيرة هدسون لاو . وكانت تصل اليه فى بعض الاحيان وعن هذا الطريق رسائل من أمه أو أخته بولين أو من بعض أهله ، ولكنها رسائل فاترة يذهب بكاتبيها الحذر وخوف الرقابة الى حد الاكتفاء بذكر ما يفيد أنهم أحياء يرجون له الخير وطول البقاء ، فاذا تضمنت الرسالة عبارة تلمح الى شيء سياسي أو أمر عائلي أو كانت هذه العبارة غامضة أو تحتمل معنيين ، امتدت اليها يد الرقيب لحذفتها أو الى الرسالة كلها فزقتها . لذلك كان الامبراطور يتناول تلك الرسائل فيفضها فى غير اهتمام بل كثيراً ما كان يعدمها وهى فى غلافها علماً منه أنها لا تحتوى شيئاً يهمه أو يعزيه أو يواسيه

شوقه الى ابنه وزوجته

كان يتحرق شوقا إلى تنسم أخبار ابنه وزوجته ، ولكن أوربا أقامت بينه وبينهما الاسوار والرقباء والبرور والبحور ، حجاباً لا تخترقه الرسل ولا ينفذ منه البصر . فماذا يعنيه من الرسائل ما دامت لا تحدثه عن ابنه وزوجته وماذا يهمه من شئون الناس ما دام أقرب الناس الى قلبه أبعدهم عن سمعه وبصره ؟

حدث أن أوفدت حكومات أوربا مندوبين إلى سانت هيلانة يستطلعون حالة الاسير فيها ويستوثقون من أن قضبان القفص قوية متينة لا يستطيع النسر الافلات منها . وكان من بين أولئك المندوبين البارون ستورمر ممثل امبراطور النمسا ، فظن نابليون أنه يحمل اليه رسالة من صهره أو كلمة من ابنه ، ولكن هذا الامل قد خاب إذ لم يكن البارون يحمل سوى الامر بتشديد الرقابة على السجين. وكانت مدام مارشان وصيفة مارى لويز وام مارشان خادم نابليون الخاص المقيم معه بالجزيرة ، قد علمت بسفر ستورمر فشذبت خصلة من لمة الطفل ملك روما وجعلتها فى ورقة مطوية كتبت عليها بعنوان ابنها فى سانت هيلانة : « هذه خصلة من شعر رأسى أبعث بها اليك للذكرى » ثم توسلت الى شاب من رفاق البارون ليوصلها الى ابنها فى المنفى . وتسلم الخادم مارشان الرسالة فأدرك أن

هذا الشعر الاشقر الخفيف الناعم انما هو شعر ابن سيده فسلمه اليـه . وهكذا علم الامبراطور أن ابنه ما يزال حياً . ولكن جواسيس هدسون لاو مالبثوا ان تنسموا الخبر حتى رفعوه اليه فاستدعى الشاب وانتهره ثم أعاده الى أوربا على أول سفينة غادرت الجزيرة . واعتبر البرنس ميترنيخ صديقه ستورمر مسئولا عن الحادث فألغى مهمته واستدعاه الى فينا . ولقد تحدث نابليون فى ذلك إلى بعض زائريه فقال : « إنه لمن التوحش والبهيمية أن يحال دون اتصالى بشخص يستطيع أن يحدثنى عن ابنى وزوجتى »

كان الطفل شغل أبيه لا يصرفه عن التفكير فيه هم من هموم الدنيا ولا أمل من آمال الحياة . وكانت صوره وتماثيله التى أحضرها معه من أوربا ماثلة أمام عينيه فى كل وقت وقد صفها على رف المدفأة فى غرفته ينظر اليها كل لحظة ويقول لمحدثيه فى ابتسامة تنم عما فى نفسه من كمد وحسرة : « هذا ابنى وهذا كل ما تركوه لى منه »

وكانت حياة هذا الطفل عزاء الاب فى نكبته وسلوته فى وحشته حتى لقد تجمعت فيه آماله وأمانيه . فبات يتقبل النفى والسجن والالم المرير بنفس راضية مستسلمة ظاناً ان استشهاده فوق تلك الصخرة الصماء سيكسب ابنه عطف العالم ، وأن نهاية النسة المحزنة قد ترد الى هـذا الابن العزيز تاجه المفقود . لا بل لقد كانت نفسه تطيب كلما برحت بها الآلام وتوالت عليها الاحداث موقنا أن العالم الذى يشهد مصرعه البطىء لا بد سيذكر أن لهذا الشهيد العظيم ابناً وأن لهذا الابن شعباً وعرشاً يجب أن يردا اليه

ويظهر حقيقة أن الآلام تصهر النفس وتطهرها ، فان الآلام التى قاساها نابليون فى منفاه قد أنست العالم كل المصائب التى صبها عليه فى حروبه وفتوحاته ، ولم تبق فى ذاكرة الناس شيئاً من آثار القائد الفاتك والامبراطور المتعدد المطامع ، فتجلى نابليون فى منفاه مثلا أوحـد للعظيم المظلوم والشهيد المعذب . لذلك كان اشفاق الدنيا يتصعد اليه من سائر أرجائها مصحوباً بالعطف والاعجاب والاكبار

ظل نابليون فى محنته مالكا عواطفه ولسانه . وإذا كان قد فقد كل شىء فهو لم يفقد تلك العظمة التى تجعله يضع نفسه فوق الكوارث . وكان يقول : « أود بعد موتى ان يعلم ابنى أنه ابن رجل لم يتضعضع لريب الدهر ولم يتضاءل أمام ضربات الايام ، رجل لم تنسه مصائبه فى أحرج المواقف ذلك المركز الرفيع الذى شغله فى العالم »

بيد أن من العواطف مالا يغالب وما تضعف أمامه أقوى القلوب ، ومن هـذه العواطف القهارة الغلابة عاطفة حب البنين . ولقد كان نابليون يذوب شوقا الى ابنه وقلقاً عليه ، ولكنه يغالب هذا الضعف فى نفسه حتى لا يتجلى فى قول له أو عمل . لذلك كان يتجنب التحدث عن ابنه

ما استطاع هذا التجنب ، فاذا اضطرته اليه بعض المواقف صرف الحديث عن الحاضر المؤلم الى المستقبل السعيد الذى يرجوه لوحيده ، ثم لا يلبث حتى يكف عن الاسترسال فيقول : « ومع ذلك فلنتكلم فى شىء آخر » ثم يسكت ولا يتكلم عن أى شىء

ويصل الطبيب الكورسيكي انتومارکی ـ وكان على اتصال بأسرة الامبراطور ـ فيسأله نابليون عن كل أفراد العائلة ماعدا ابنه فلا يذكره حتى لا يفيض قلبه على لسانه ، ثم ينسى كبرياءه ويعاوده الضعف البشرى فيطلب الى أحد جلسائه ان يقرأ عليه شيئا من شعر راسين. فاذا وصل القارىء من رواية أندروماك الى قول الشاعر : « . . . ولقد جعلت أطوف بالديار لعلى أسمع صوت ابنى السجين فهو البقية الباقية لى من نعم الحياة . . . . » تأوه الامبراطور وقال : « ان اندروماك رواية الآباء التعساء » ثم ينهض واقفا ويقول : « أرجو أن تتركونى ياسادة فانى أحس بانقباض عظيم » وهكذا يخلو بصور ابنه فيظل شاخصا اليها ساعات تطير نفسه خلالها شعاعا ثم يغمض عينيه ويسترسل فى شىء يشبه النوم وما هو بنوم

على فراسه المرض

لقد كانت بنية نابليون من حديد ، ولكن الحديد يصدأ ويتأكل . ولقد أثرجو الجزيرة القاتل فى بنيته فأنقر دمه وأمرض كبده وأنمى السرطان فى معدته ، وكان للعزلة والهم والقعود عن الحركة اسوأ الأثر فى هذه الطبيعة النشطة الميالة الى التنقل والعمل. فلم تأت سنة ١٨٢١ حتى بدأ شبح الموت يتراءى أمام عينى السجين ويدب فى كيانه . فكان يحس به ويكاد يلمسه مغتبطا به عالماً أن فيه الخلاص من عذاب طال وأنه قد تكون فيه بداية السعادة لانه المحبوب. فكان يقول : « عما قريب تغرب شمسى فلا يعكر ذكر اسمى صفو الملوك ولا يصد نفوسهم عن الطعام . ان انجلترا تريد موتى ولن أدعها تنتظر طويلا فليوفر أعداؤى على أنفسهم مشقة تسميمى فسأموت بغير السم »

وتشتد به تباريح الألم فتلفظ معدته كل الاطعمة وكل الادوية وينحل جسمه ويذوب شحمه وتنحط قواه، ولكن يظل رأسه حافظاً لكل مواهبه فلا يختل اتزان عقله ولاتضعف ذاكرته ويبدأ بكتب وصيته فيقول : « أريد ان ترقد بقاياى على ضفاف السين فى وسط تلك الامة الفرنسية التى أحببتها »

وياليت شعرى هل كان يجهل أن زوجته مارى لويز تخونه فى أحضان الكونت نايبرج وتلد فى الخنا زنيمين من هـذا العشيق ، أم كان يعلم ذلك ويتغاضى عنه ليترضاها حرصاً على مستقبل ابنه واستبقاء لعطفها عليه ، أم سمت به آلامه ومصائبه فرفعته فوق مستوى البشر حتى بات لا يتألم مما يتألم منه الانسان العادى إذا أصيب فى عرضه وهو القائل : « ان مهمتى فى الحياة لا تدع لى الوقت لأفرح بما يفرح به سائر الناس ولا لأتألم مما يتألم منه سائر الناس » ؟ لا أدرى . ولكنى اقرأ فى

وصيته : « أموت راضيا عن زوجتى العزيزة مارى لويز ، واحفظ منها حتى النفس الاخير أجمل الذكرى وأطيب الاثر ، وأرجو أن تسهر على ابنى لتقيه شر المكائد المنصوبة حوله »

وبينما يتلوى على فراش المرض والسقم يهد كيانه ، لا تغيب عنه صورة ابنه فكأنه يراه ورجال البلاط النمسوى يحاولون أن يمحوا فى نفسه كل أثر من فرنسيته فيكتب : « أوصى ابنى أن لا ينسى أبداً أنه أمير فرنسى وأن لا يتورط فى أى عمل يسىء الى فرنسا وأن يحتفظ بالشعار الذى اتخذته لنفسى طيلة حياتى وهو : كل شىء فى سبيل فرنسا » ثم يضيف : « اترك لابنى نياشينى وأسلحتى ومروجى ومهاميزى وكتبى وملابسى والاسرة التى كنت أنام عليها فى ميادين القتال وبيانها مفصل فى القائمة الملحقة بهذه الوصية ، وأريد أن يحتفظ بهذا التراث وأن يعتز به ليذكره بأبيه الذى لن يفتأ العالم يحدثه عنه » . .

أما المال فلا يوصى له بشىء منه بل يوزعه على رجاله وخدامه وعلى الابطال الذين ضحوا فى خدمته بكل شىء . ويرى أن أثمن تركة يخلفها لابنه هى اسمه فهو يغنيه عن المال ، وحسبه هذا الاسم هادياً فى الحياة وموصلا الى المجد والعظمة . وكأنما يريد ان يحيط الطفل بذكريات العظائم التى سطرها فى حياته فيكتب : « أريد ان يعمل منفذو وصيتى على جمع الصور واللوحات الزيتية والكتب والمداليات والنقوش التى تحدث ابنى عنى لتزيل من ذهنه أثر الترهات التى نشرها أعدائى بغية النيل منى ، وأريد ان تطبع مذكراتى عن غزوتى مصر وإيطاليا وغيرها لتقدم اليه عندما تسمح له سنه بمطالعتها واستيعاب ما فيها »

ويبدو له شبح مترنيخ مطوقا الطفل بذراعيه خشية أن يصل اليه تاريخ أبيه فيحتاط للمستقبل ويدون فى وصيته : « عندما يبلغ ابنى سن الرشد أرجو من والدتى واخوتى وأخواتى ان يكاتبوه ويتصلوا به وأن يحكموا وسائل هذا الاتصال ، ولن يستطيع البيت المالك فى النمسا ان يحول دون ذلك بحق لان ابنى عندئذ يكون ولى أمر نفسه »

ويعاوده القلق على فرنسية الطفل ويساوره الاشفاق من أن تنسيه السياسة الأوربية اسمه الحقيقى باستمرارها على تسميته باسم « فرانتز » الالمانى فيكتب : « يجب على ابنى متى بلغ سن الرشد أن يستعيد لنفسه اسم « نابليون » وأن يحمل هذا الاسم بالكرامة الواجبة له . واذا قدر لابنى أن يعتلى عرشى فانى أريد من منفذى وصيتى أن يطلعوه على كل ما أنا مدين به لضباطى وجنودى وخدامى من الفضل وجليل الخدمات »

وهكذا نرى كلمة « ابنى » لا تفارق لسانه وعقله فترد فى كل وقت وفى كل مناسبة حتى ليخيل الينا أنه جعل العالم دائرة مركزها هذا الابن العزيز

ولقد ثقلت المصائب على كاهل هذا العملاق حتى أقعدته عن الحركة ولكنها لم توهن من نشاط

ذهنه ولم تؤثر فى صفاء عقله ، لا بل ولم تخفف من جبروته ورغبته فى التحكم فى الازمنة والامكنة والناس . وها هوذا على حافة القبر سجين مغلول الارادة لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً أو نفعاً ولكنه برغم كل شىء يعتقد ان الزمان الذى عصاه يوماً سيعود فيخضع ويجىء جاثياً يسأله المغفرة. وبما أن حياته لن تمتد حتى يملى على الدهر أوامره ونواهيه فهو يدونها ويكل الى ابنه تنفيذها لان ابنه هو امتداده فى الحياة ، فيكتب : « يجمل بابنى الا يفكر فى الانتقام لموتى ، ولكن عليه أن يستفيد من ميتتى وألا يدع شيئا من آثارى يغيب عن ذاكرته . وعليه ان يبقى كما بقيت أنا فرنسيا من قمة الرأس الى أخمص القدم . كذلك أوصيه إذا حكم أن يحكم فى ظلال السلام وألا يحاول استئناف الجهود التى قمت بهالان فى استئنافها معنى يفيد أنهـا لم تثمر وهى فى الحقيقة والواقع قد أثمرت كثيراً . لقد أكرهتنى ظروفى على كبح جماح أوربا بالسلاح ، أما اليوم فقد تغيرت الظروف وأصبح الواجب تحكيم العقل فى العلاقات الدولية . لقد جئت عقب ثورة هائلة فطهرت فرنسا من آثارها السيئة وحافظت على مبادئها الطيبة فجلوتها وأظهرتها للعالم فى مجدها الحقيقى الرائع . ولقد غرست فى فرنسا بذور مبادىء جديدة لن تستطيع أوربا الرجوع عنها ، فأوصى ابنى ان يعمل من بعدى على تنمية تلك البـذور حتى تزهر وتينع وأن يتعهد بالرعاية الصالحة جميع عوامل الرخاء التى تحتويها أرض فرنسا وانه اذا فعل لواصل حتما الى أن يكون ملكا عظيما »

ويخيل اليه ان اعتلاء ابنه العرش أمر لا محالة واقع فيريد ان يزوده بوصايا تنفعه وتنير أمامه سبيل التفاف الامة حوله فيقول : « يجب أن يعمل ابنى على جمع شتات الامة الفرنسية حوله وذلك بأن يعفو عن الذين خانوا قضيته وبان يقـدر الكفايات ويكافىء الخدمات وبألا يعتمد فى حكمه على طبقة دون أخرى بل يجب ان يعتمد على كتلة الشعب ملتفة حوله . ومهما يكن من الامر فلا أريد ان يكون ابنى مدينا بعرشه للاجنبى وأحب ان يصعد اليه بارادة فرنسا وحدها »

وهو عظيم العناية بالتاريخ وقد استفاد منه أحسن العظات وخير العبر فلا يفوته أن ينصح لابنه بان يستقرىء الماضى ليهتدى بخطوات السلف فيكتب : « ليقرأ ابنى التاريخ وليطل التفكير والتأمل فى وقائعه فليست فى العالم فلسفة جديرة بهذا الاسم إلا تلك التى تستخلصها من صفحاته . ألا فليتدبر سير القواد العظام وليستذكر حياة عظماء الملوك فذلك هو السبيل لتعلم فن الحرب وفن الحكم »

وبعد ما يتم كتابة وصيته والقوائم والبيانات الملحقة بها يرى أنه لم يبق لديه ما يفعله فى الحياة أو ما يستحق أن يعيش من أجله ، فيقول لرفاقه : « الآن وقد نظمت كل شىء لم يبق أمامى سوى أن أموت » وتساوره فكرة الخلاص من الآلام بالانتحار ، ولكنه يعرض عنها بأنفة لان الانتحار جبن يغضب الله ويشين صاحبه ثم يتساءل : « لماذا يغضب الله من رجل يتعجل لقاءه ويريد أن يوافيه قبل الموعد المضروب ؟ »

ويخشى أن يكون قد فاته شيء لم يحتط له فى وصيته فيعيد تلاوتها وينقح بعض موادها بالحذف أو بالاضافة ويظل كذلك حتى تحين ساعة الاحتضار التى ينصرف الانسان فيها عن كل شيء فى الدنيا ليستقبل الهول الاكبر ، فتراه دائب الاهتمام بابنه وبترتيب مستقبله وتنظيم شئونه ، حتى اذا دخل فى طور الغيبوبة وعجز عن مسك القلم حاول أن يملى بقية إرادته على رفاقه وخدامه فاذا ما اعتقل لسانه واحتبس الكلام فى فه حول وجهه نحو تماثيل ابنه وصوره ولبث شاخصاً اليها حتى يستولى عليه السبات

وفى أصبوحة اليوم الخامس من شهر مايو سنة ١٨٢١ صحا نابليون من غيبوبته صحوة الموت فأجال الطرف فيما حوله وتمتم قائلا : « انى متألم وأحس ان الخاتمة دنت وذلك خير لى فلا بد من هذه النهاية » واختلى بطبيبه الدكتور انتومارکی وقال له : « أريد بعد موتى أن تشق صدرى وتخرج منه قلبى لتقدمه تذكاراً منى الى زوجتى مارى لويز التى أحببتها كثيراً ، وأريد أن تذهب الى روما لتحدث والدتى وأهلى عما شاهدته بنفسك فيما يتعلق بحالتى ومرضى ووفاتى ولتقول لهم ان نابليون العظيم قضى نحبه فى أسوأ الحالات يعوزه كل شيء لا معزى له سوى مجده وأنه يخلف لملوك أوروبا عار الشدة التى لقيها منهم فى أيامه الاخيرة »

وفى أصيل نفس اليوم غربت شمس الامبراطور نابليون وهدأت تلك الحركة الجبارة التى أقامت العالم وأقعدته مدى عشرين عاماً فى غير ما هوادة ولا رحمة

بعد وفاة نابليون

لم يصل نبأ وفاة نابليون الى انجلترا الا فى الايام الاولى من شهر يوليو فحمله البريد تواً الى بلاط النمسا . وهكذا أيقن العالم أن الموت نهاية كل حى حتى ولو كان نابليون

أما البرنس ميترنيخ فلم تخمد جذوة حقده على عدوه حتى بعد الموت فكتب الى لوندرة ملحاً فى ألا تنشر وصية الامبراطور المتوفى وفى ألا تتسرب أى وثيقة خاصة به . ويفسر المركيز كارامان سفير فرنسا فى فينا هذا الاحتياط بقوله فى رسالة منه الى مليكه : « يظهر ان البرنس ميترنيخ يخشى نشر وثائق تثير اهتمام العالم مرة أخرى بمصير الامير الصغير سجين البلاط النمسوى وتقفل الناس على الوسائل التى حيل بها بين الوالد وولده وزوج وزوجته »

وأما مارى لويز « المحبوبة العزيزة » فقد استقبلت النبأ فى غير اهتمام ولا مبالاة . ولعمرى بماذا تبالى وهى العاشقة الهائمة بصديقها نايبرج وتحس تقلب ابنها الثانى منه فى أحشائها ولا تنتظر الا الفرصة التى تخلص فيها من رباطها الزوجى لتتزوج علنا بالحبيب نايبرج ؟ وها هى رسالة منها الى صديقتها مدام كورنفيل تغنينا عن الاسهاب فى الحديث عن علاقاتها بزوجها قبل موته وبعده : « اجمعت الأنباء الصحيحة على ان الامبراطور نابليون قد مات فلم يبق سبيل الى الشك فى ذلك .

وانى اعترف بأن هذا النبأ أحزننى . وبرغم كونى لم اشعر نحوه يوماً من الايام بعاطفة قوية من أى نوع فانى لا أستطيع أن انسى أنه أبو ابنى وأنه ـ على عكس ما يتوهمه الناس ـ طالما أحسن معاملتى وأحاطنى بصنوف من الرعاية والمجاملة ، وذلك أقصى ما تطمع فيه امرأة من زواج سياسى كزواجى . نعم لقد أحزننى موته وانه ان يكن من دواعى الاغتباط ان يكون قد أنهى حياته التعسة نهاية كفرت عن ماضيه ، فانى كنت أتمنى له حياة أطول وأسعد على شرط أن يظل بعيداً عنى » ثم تغلبها رعونتها ويعاودها نزقها فتنتقل فجأة من هـذا الموضوع الخطير الى التحدث الى صديقتها فى نفس الكتاب عن الجو وعن اعتزامها الرحيل الى الجبل «حيث الجو أرفق بصحتى وحيث استطيع التنزه على ظهور الخيل وأتمتع برؤية ما لم أره بعد من دوقيتى الصغيرة » . وبعد مضى شهرين وضعت مارى لويز ابنها الثانى من عشيقها نايبرج . ولمـا أرسلوا اليها قلب زوجها تنفيذاً لوصيته أبت قبوله معتذرة بأن اعصابها تتأثر من هذا المنظر ، والله يعلم أنها لم ترد ان تجمع بين قلبين فى وقت واحد

وبقدر ما قطعت مارى لويز صلاتها الروحية بزوجها وبقدر ما نفضت يديها من الاشتغال بمصيره ونهايته ، نراها شديدة الاهتمام بتركته ومخلفاته فلقد اوصى نابليون ببضعة ملايين من ثروته الخاصة لبعض رجاله الاوفياء فتدخلت الامبراطورة فى الامر واعترضت تنفيذ الوصية فلم تنفذ

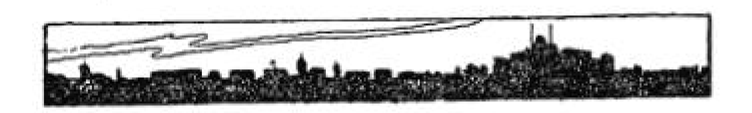
أما والدة نابليون فلم تتمسك من نصوص الوصية الا بالنص الخاص بدفن ابنها فى باريس على ضفاف نهر السين فكتبت الى لورد لندنبرى الوزير الانجليزى الكتاب العنيف الآتى نصه :

« انى اطالب ببقايا ابنى وما أظن ان الحقد ـ حتى فى أشد الامم وحشية وبربرية ـ يمتد الى ما بعد الموت ويتعقب الميت الى اعماق القبر . لقد انجبت نابليون ووهبته لفرنسا وللعالم فأتوسل اليكم باسم الله وبحق الامومة ان تردوه الى والا تضنوا على به ميتاً »

ولقد بقى هذا الكتاب بلا جواب حتى كانت سنة ١٨٤٠ فسمحت أوربا بعودة بقايا الامبراطور العظيم الى فرنسا ظانة ان الزمن فعل فعله وأن الفرنسيين نسوا ذكرى بطلهم الكبير وان وفاة ابن النسر قضت على كل أمل لدى البونابرتيين فى تسنم العرش واعادة النظام الامبراطورى

ولكن ظهر لاوربا فيما بعد انها اخطأت الحساب فلقد ألهبت عودة بقايا نابليون نفس الشعب الفرنسى وأحيت ميت الامل فى قلوب آل بونابرت فلم تمض على هذا الحادث اثنتا عشرة سنة حتى كان البرنس لويس بونابرت امبراطوراً على فرنسا باسم نابليون الثالث

حسن الشريف



فى سبيل الجمال

تشويه أعضاء الجسم للزينة والتجميل

أولع الانسان منذ القدم بتجميل جسمه وتزيين اعضائه فقد مارس الاقدمون الوشم والختان وتشويه شكل الجمجمة وغيرها من أعضاء الجسم منذ عدة آلاف من السنين . وعلى جدران بعض الكهوف فى فرنسا واسبانيا رسوم وتصاوير ترجع الى العصر الجليدى الاخير يستدل منها على عادة تشويه بعض أصابع اليد – وهى عادة لا تزال شائعة فى جنوبى افريقا والهند وفى أنحاء أخرى . ولا يعرف منشأ هذه العادة أو الغرض منها تماماً . والمظنون أن مرجعها بعض الاعتبارات الدينية . وفى متحف « ويلكم » الطبى بلندن هيكل رجل عاش قبل زمن التاريخ المعروف وكان مدفوناً فى حفرة بمكان يدعى جبل مويا بالسودان . وقد وجدوا فى الحفرة حجراً مستديراً ملاصقاً للفك الاسفل لذلك الهيكل ، وكل القرائن تدل على أن الحجر كان متدلياً من شفة صاحب الجثة ، جرياً على عادة الناس فى ذلك الزمان والمكان ، وكما يفعل بعض الشعوب الساكنة على ضفاف النيل بافريقا حتى هذا اليوم

أما الاسباب التى كانت ولا تزال تدفع الناس الى معالجة بعض أعضاء أجسامهم بتشويهها أو تجميلها فكثيرة متنوعة ، ويمكننا حصرها فيما يأتى :

(١) مراعاة التقاليد والعادات القومية (٢) مراعاة مقتضيات الزى والزينة (٣) مراعاة الفرائض والشعائر الدينية (٤) مراعاة شروط بعض الجمعيات (٥) مراعاة المقتضيات الصحية (٦) العقاب

هذه أهم الاسباب التى كانت ولا تزال تدفع الناس الى تشويه بعض أعضاء الجسم . وإذا نحن قلنا أعضاء الجسم أردنا بذلك الاعضاء الظاهرة

> الانسان هو الكائن الحي الذى يمارس عادة التجميل منذ القدم . وقد تعددت طرق التجميل بتعدد الامم والاجيال . وروى المؤرخون الذين عاشوا قبل بدء التاريخ الميلادي ما يثبت ان النوع البشري مارس أنواع الزينة ، وعالج في سبيل ذلك طرقاً عدة . وترى في هذا المقال عرضا طريفاً لبعض عادات الشعوب المختلفة في تزيين جسمهم ، بتشويه بعض أعضائهم سعياً وراء الجمال أو خضوعاً للتقاليد والشعائر الدينية

فمن ذلك عادة الوشم بين الكثيرين من المتمدنين والمتوحشين من الشرقيين والغربيين ، وهي أن يغرز جلد اليد أو الساق أو الصدر أو غير ذلك من أعضاء الجسم بإبرة ثم يذر على الموضع المغروز مادة تكسبه لوناً يكون فى الغالب أزرق . وكان العرب يذرون على الموضع المغروز مادة النؤور

أو النيلج أى دخان الشحم فيصبح أزرق اللون ولا يزول هذا اللون . ولعل قبائل الماورى (سكان نيوزيلندا) أعظم من نبغ فى فن الوشم وهم لا يزالون يمارسونه بمهارة عظيمة ويستنبطون الرسوم والتصاوير المختلفة على الوجه والساعدين . والوشم كثير الشيوع بين الهنود والصينيين وأهالى بورينو وغيرهم من الشعوب الشرقية . والمظنون أنه انتقل منهم الى بلاد الغرب على يد البحارة الذين كانوا يرتادون موانىء الشرق الاقصى . والغريب أنك تجد اليوم فى لندن وباريس وغيرهما من عواصم الغرب أندية (صالونات) للتجميل تمارس فى جملة ماتمارسه صناعة الوشم وقد بلغت عند القوم حداً بعيداً من الاتقان

وهنالك وسيلة أخرى من وسائل معالجة الجسم فى سبيل الجمال وهى شرط الجلد وتجريحه بقصد احداث علامات دائمة فيه . ولا تخلو هذه الطريقة من شىء من التوحش فان الجلد بعد شرطه تذر عليه مادة مهيجة يظل الجرح بسببها مفتوحا مدة طويلة ولا يؤذن بالتئامه إلا بعد أن يترك وراءه أثراً لا يخشى من زواله . وهذه العادة شائعة بين معظم القبائل التى تسكن القارة الافريقية . فمنهم من يتخذ تلك العلامات بمنزلة شارات قومية تميز قبيلتهم من غيرها . ومنهم من يزيد عليها علامات شخصية لا علاقة لها بشارة القبيلة . وبعض زنوج افريقا يتفننون فى شرط صدورهم واحداث رسوم هى فى غاية الغرابة . ومنهم من يسم المرأة الحامل ويحدث فيها مثل تلك العلامات دفعاً « للعين الشريرة » أو جرياً على سنة دينية . وقد تكون تلك العلامات أيضاً من قبيل السحر واسترضاء الارواح

☆☆☆

والشعر أيضاً من جملة ما تتناوله يد المشوه . فمن ذلك عادة حلقه أو استئصاله أو إزالته . وهى ــ كسابقاتها ــ عادة شائعة منذ أزمنة بعيدة . ولا يزال المتمدنون يمارسونها على وجه من الوجوه . فمن حلق الشاربين واللحية الى حلق شعر الرأس إلى ازالة الشعر النامى على مختلف أجزاء الجسم . والقبائل الهمجية تستأصل الشعر باقتلاعه من جذوره باليد واحدة واحدة . وهى كما لا يخفى طريقة مؤلمة . ومن المتوحشين من يستعمل لذلك « ملاقط » خاصة هى عندهم أثمن حلية يقتنونها . وهذه العادة شائعة بين جميع القبائل الافريقية بلا استثناء . وفى بعض أنحاء الشرق الاقصى قبائل تستأصل كل ما على الجسم من شعر من قمة الرأس الى أخمص القدمين

وكان الاقدمون يحلقون شعر الرأس بقطعة من زجاج « يكشطون » بها الشعر « كشطاً » ، أو بحجر صوانى أو بآلة حادة . ولم يكونوا يستعينون على ذلك بالماء أو الصابون ولذلك كان الحلق عندهم مؤلما ولا سيما حلق رءوس الصغار . وكانوا يزيلون الشعر أيضا بتشييطه وهى عادة لا تزال شائعة عند بعض المتوحشين فى افريقا ، ومرجعها الاعتقاد أن الصلع وزوال كل أثر للشعر من

مستلزمات الجمال . وهذه العقيدة متمكنة فيهم الى حد أن من كان على رأسه أو فى أى موضع آخر من جسمه شعر أو زغب يعتبر نجسا ولا ترضى أية امرأة بأن تتزوجه

على أن لازالة شعر الرأس سبب آخر وهو دينى . وقد كان كهان المصريين وغيرهم فى الأزمنة القديمة يحلقون شعور رءوسهم حلقا تاما تبعا لمقتضيات دينهم .ولا يزال الرئيس الدينى لأهالى «تيبت» وكهنة البراهمة يحلقون شعور رءوسهم . بل ان بعض رجال الدين من المسيحيين يحلقون قمة الرأس كما يفعل رهبان الفرنسيسكان وغيرهم . ومن الفرائض الاسلامية أن المسلم بعد اتمامه فريضة الحج وقبل دخوله المسجد الحرام يحلق شعر رأسه اطاعة لقول الله فى سورة الفتح : «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين» ومن السنة أيضا حف الشارب واللحية . فترى اذن ان لحلق الشعر أو إزالته أو تقصيره صلة بالدين

ثم ان المتمدنين بوجه عام يحلقون شعر الوجه بالموسى . ونذر الذين يطلقون لحاهم من غير رجال الدين . والفرنسيون من أشد الغربيين ميلا الى اطلاق اللحية . والاميركيون والانجليز والايطاليون من أشدهم ميلا الى حلق الشارب . وعرب البادية قلما يحلقون لحاهم والرجال منهم يرسلون غدائرهم ويتغزلون بها . والذوق ينبو من الامرد الذى لاينبت الشعر على وجهه

* * *

ولم يسلم الرأس من عادة التشويه بقصد التجميل أو التقبيح . وأكثر ما يصاب منه الأذنان والشفتان والأنف والأسنان . وقد تعانى الجمجمة أيضا ضروبا من التشويه والتقبيح جريا على العادات القومية . ومن أغرب العادات الشائعة بين بعض القبائل الاميركية عادة تصغير الجمجمة منذ الطفولة بلفها لفا محكما حتى لاتتاح لها فرصة النمو . ومن هؤلاء الناس من يلفون جمجمة الطفل على وجه معين بقصد اكسابها شكلا معينا . وقد يشوه شكل الجمجمة عن غير تعمد كما لو أضجع الطفل على وضع تصبح الجمجمة معه مستطيلة أو مفرطحة أو غير ذلك من الاشكال ، وهذه العادة منتشرة فى جميع أنحاء العالم ولكنها على أشدها تفشيا فى أميركا وعلى أقلها فى أوستراليا

أما الآذان فنصيبها من الايلام والتشوية أكثر من نصيب غيرها من الاعضاء سواء أكان بين المتوحشين أو المتمدنين . وثقبها لوضع الاقراط فيها عادة مستحكمة فى الانسان منذ أقدم الازمنة حتى الآن . وقد مارستها جميع شعوب العالم قديماً وحديثاً فلا يكاد يخلو قبر من قبور الفراعنة من أقراط كانت تدفن مع الجثث وهى دليل على تفشى عادة استعمال الاقراط . ويقال أن عادة ثقب الآذان لوضع الاقراط غير معروفة عند قبائل جزائر الاندمان بخليج بنغال (١) وسكان الغابات بمجاهل أفريقا الوسطى والجنوبية وقبائل الباجندا (باوغندا) . والعادة أن تثقب كلتا الأذنين من

(١) وهم من اشد الناس توغلا في الهمجية

أسلهما أو من أعلاهما وذلك فى زمن الطفولة اذ يكون جلد الاذن رخصاً يسهل ثقبه . ثم يوضع فى الثقب عود دقيق أو سلك معدنى أو ما أشبه لمنع انسداد الثقب . وفى أفريقا قبائل من الزنوج يوسعون الثقب بالتدريج بأن يضعوا فيه عيداناً متدرجة فى الثخانة إلى أن يبلغ الثقب الحجم المراد . وكلما اتسع كان ذلك أكثر انطباقا على مقتضيات الجمال . ولعل أهالى بورينو وشرق افريقا اكثر الشعوب شغفاً بتوسيع ثقوب الآذان حتى يقال ان آذان بعض النساء عندهم تتدلى على المناكب كالزعانف ويبلغ من اتساع ثقوبهـا انك تستطيع ادخال يدك فى الثقب مقبوضة . فتأمل ! . . وغرضهم من ذلك كله الزينة لا غير . وهم يستعملون أقراطاً باشكال وحجوم مختلفة مصنوعة من خشب أو جلد أو معدن أو حجر أو غير ذلك من المواد ، وكثيراً ما يغضب الرجل من امرأته فيقبض على أذنها ويمزقها أو يشقها

✡ ✡ ✡

ولم ينج الانف من التشويه فى سبيل الجمال . فقد جرى الكثيرون من الهنود وأهالى بولينيزيا وغينيا الجديدة واوستراليا وأميركا الجنوبية وبعض أنحاء الشرق ومجاهل افريقا ، على عادة خزم الانف ووضع الخزامة فيه كما يوضع الخطام فى أنف البعير . وقد يكون نوع الخزامة عند بعض القوم دليلا على ثروة الانسان وجاهه أو على الطبقة التى ينتمى اليها من الشعب . فاذا كانت الخزامة من ذهب أو عاج مثلا كانت دليلا على الغنى . واذا كانت من خشب أو جلد أو غير ذلك كانت دليلا على الفقر أو توسط الحال . وقد يخزم أحد المنخرين أو كلاهما . والمشهور عن أهالى غينيا الجديدة وقبائل توجيرى وسكان جزائر سليمان أن الرجال فيهم يستعملون خزائم كبيرة الحجوم

وفى أنحاء كثيرة من أفريقا ولا سيما الكونجو ومستعمرة طانجنيقا ومجاهل أعالى النيل وفى مقاطعة بوطوكودو بجنوبى أميركا ، يثقب الرجال والنساء الشفة العليا والسفلى ويعلقون بها حجارة ملساء أو مواد أخرى على وجه الزينة . وفى اوغندا وكينيا وبعض أنحاء السودان يعلقون باحدى الشفتين أو بكلتيهما حلقات مصنوعة من العاج . وفى أنحاء أفريقا الغربية يخزون الشفاه بالابرة حتى تدمى فى مواضع كثيرة ثم يذرون على الجروح مواد تهيجها تكثيفاً للشفاه وتغليظاً لها . ذلك لان الشفاه الغليظة عند القوم من متممات الجمال

✡ ✡ ✡

وللاسنان أيضاً نصيب من عناية القوم واهتمامهم . ففى أكثر أنحاء أفريقا وفى استراليا وغينيا الجديدة يستأصل كل رجل وامرأة سناً أو اثنتين من الفك الاعلى أو الاسفل أو من كليهما . ويتم استئصال السن فى حفلة عامة ويكون ذلك دليلا على مبلغ شجاعة الانسان وصبره واحتماله . وفى أغلب الانحاء يوجد اتفاق ضمنى على أن كل قبيلة تستأصل من أفرادها سناً معينة ولا تستأصل

غيرها لكى لا يختلط أفراد القبيلة بأفراد غيرها

وفى جنوبى الهند يبرد الناس أسنانهم ويحددون أطرافها اما دلالة على القبيلة التى ينتمون اليها أو لان ذلك من الشعائر الدينية عندهم . وكان بعض المبشرين الذين زاروا تلك المجاهل يعتقدون أن تحديد القوم لاسنانهم دليل على أنهم من أكلة لحوم البشر ولكن المباحث « الانتولوجية » أثبتت فساد هذا الاعتقاد ، فان الاسكيمو وبعض القبائل الافريقية المعروفة ببعدها عن عادة أكل لحوم البشر تمارس عادة تحديد الاسنان على ما ذكره السياح

ومن عادة « الدياك » — وهم من سكان بورنيو — وغيرهم من الشعوب الشرقية أنهم يثقبون أسنانهم ويرصعونها بالذهب على سبيل الزينة . ولما فتح الاسبان المكسيك وجدوا هذه العادة شائعة بين المكسيكيين ، اذ كانوا يثقبون أسنانهم ويرصعونها بالحجارة الكريمة المختلفة

✡ ✡ ✡

ومن أفظع هذه العادات وأدلها على الهمجية مارواه بعض السياح عن أهالى قبيلة الباتيزو بشرق أفريقا وهى أنهم يثقبون اللسان ويضعون فيه حلقة من النحاس مرصعة بخرزتين أو أكثر .

وكانت عادة استلال اللسان من أفظع أنواع العقاب التى لجأ اليها البشر وكانت شائعة فى أوربا حتى القرون الوسطى . وفى أفريقا حتى العصور الحديثة

وأهالى جزائر « الوسيا » وبعض سكان أميركا الجنوبية يثقبون خدودهم « ويغرسون » فيها ريش الطير وشوارب عجول البحر على سبيل الزينة

وأهالى مقاطعات «شان» الجنوبية — ويعرفون بالباداخ — يطيلون أعناق نسائهم بطريقة غريبة، ذلك أنهم يلبسون الطفلة طوقا معدنياً عالياً وكلما تقدمت فى السن ألبسوها طوقا أعلى حتى تستطيل رقبتها وتشبه رقبة الزرافة . ومتى كبرت أبقى الطوق فى عنقها لكى يسند رأسها

واذا نظرنا إلى بقية أعضاء الجسم نجد انه ما من عضو منها سلم من التشويه بقصد الزينة أو العقاب . ومما يجدر بالذكر ان البشر فى جميع الازمنة السالفة كانوا يفقأون عيون الاسرى والمجرمين على سبيل القصاص أوالانتقام ، وكان القانون حتى فى أوربا يجيز بتر يد الجانى أوصلم اذنه أو استئصال عضو من أعضاء جسمه عقاباً له . وقد ظل هذا القانون سارياً حتى العصور الحديثة . ولا يزال أهالى بعض أنحاء أفريقا يعاقبون المرأة التى تخون زوجها بقطع ثدييها . وبعضهم يقطع خنصره دلالة على الحداد . ومن أغرب العادات التى كانت شائعة فى جنوبى الهند إلى أن ابطلها الانجليز ، أن الجدة كانت تقطع مفصلا من مفاصل أصابعها كلما ولد لها حفيد أو حفيدة . وكان الصينيون حتى عهد قريب يربطون أقدام أطفالهم لتظل صغيرة فى كبرهم . وقد أبطلت هذه العادة الآن

أحاديث فضولى

في الادب ، واللغة ، والفلسفة

بقلم الأمير مصطفى الشهابي

من أصحابي المعروفين فضولى حمل هموم الناس على عاتقه وضمها الى صدره وشغل بها باله وأطال فيها لسانه ، فما لقيته مرة إلا راح يسألنى عن الايام وكيف أقضيها وعن الساعات وماذا أعمل فيها . وهو لا يهدأ له بال إن أنا عدلت عن الجواب وتحرفت ، أو اقتصدت فيه واختزلت ، فاذا أجبته بأنني سلخت النهار فى كتابة مقال ادبى ، راح يطعن فى الصحف وناشريها والآداب ومحترفيها ،وطفق يتكلم على تحاسد الادباء وتباغضهم وتقاطعهم وتنابذهم ووقوف بعضهم لبعض بالمرصاد على ما في درجاتهم من تفاوت . وهو في كل ذلك لا يوارب ولا يجمجم بل يدعي أنه يكاد يكون لكل كاتب أو أديب في أيامنا هذه حلقة من الشباب المناصرين له يحملونه على الراحات ويطوفون به في الساحات والبعكوكات[1] ويخطون بمديحه أطول الصفحات . فهذا الاديب خلقه الله على رأيهم لغير جيله ، وذاك يحمل للعالمين رسالة الادب العالى ، وثالث هو سيد الادب وحاميه ، ورابع هو حامل قبسه ومذكيه، إلى ما لا حد له من نعوت رنانة يدعمها تهكم وتنقص وشتم وسباب ، تنصب كلها على أم رأس من يشك في صاحبهم أو لا يؤمن بما أوتيه من عبقرية أدبية لا مثيل لها في أدب الانس والجن في عالم الناس هذا ، وفي العالم الذى اليه يبعثون . ويهيب بى صاحبي الفضولى أن أكسر القلم أو أتركه إلى أربابه وألا أزج بنفسى في هذا الاتون الحامى بين جماعة الادباء

واذا أجبته بأنى عكفت على مدارسة بعض النباتات والحشرات ، ووضع الفاظ عربية لها ، ابتسم لهذا العمل المرهق والجنون المطبق ، وجعل يثبت لى ببراهينه التى هو بها نسيج وحده ، أن هذا العمل لا يضطلع به الا جماعات وأنني كما وضعت فى هذا الباب لفظاً عربياً وضع الفرنج فيه عشرات ، وأن مئات الالفاظ التى وضعتها ونشرتها في مجلة المجمع العلمى العربي لم يته بها النيران، بل لم ينتطح فيها عنزان ، في بلاد ثمانون في المائة من سكانها أميون

(١) البعكوكة بضم الباء مجتمع الناس . ويطلقها بعض أدباء مصر على المقاهي التى يجلسون فيها ولكل واحد منهم بعكوكة . . .

لا يميزون الالف عن العصا ولا الهاء التى فى آخر الكلام عن الحلقة التى يدق بها الباب ، أو تلك التى يربط بها مقود الخيل العراب . . . وصاحبنا مفتون بمجمع مصر اللغوي ورجاله الميامين وأبطاله الدهاقين ، فهم على ما يرى خير من ينفقون الجرايات المحبوسة عليهم في إغناء لغة الضاد وجعلها في مصاف اللغات الاوربية الحية . قال : انظر الى الالفاظ التى وضعوها في الطب وعلوم الاحياء مثلاً ، فهى ، وان كانت ثلاثة أرباعها معروفة وموجودة مع مقابلها في المعجمات الفرنجية العربية ، فأنهم قد طبعوها في مجلتهم طبعاً حسناً على ورق صقيل بحروف غاية في الرونق والبهاء . ثم هلا نظرت الى الربع الذى وضعوا له الفاظاً من عندهم ، وكيف لم يحتاجوا في وضعها الى مثل مخبرك أو مجهرك أو تلك الحشرات التى تشرحها أو الزهرات التى تفحصها أو النباتات التى تستنبتها أو البزور التى تنتشها أو الآلات الزراعية التى تجربها ، أو كتب اللغة والنبات والزراعة والطب التى تنقر فيها عن الالفاظ القديمة بطائل أو بلا طائل . هؤلاء يا صاح فقهاء باللغة قد قتلوا قواعدها درساً ومفرداتها حفظاً ، يكفى أن يأتيهم معلم في مدرسة يسمونه خبيراً فيقول لهم : يلزمنى في العلم الفلاني الفاظ للمعاني الفلانية ، فاذا بهم ينثرون عليه الالفاظ العربية نثراً قد شابهت فى جمالها دراً وتبراً ، واذا بكل اسم قد طابق المسمى فى أدق معانيه العلمية وأبرز صفاته الحيوية . ولا يضير الخبير عدم اطلاعه على أسرار لغة الآباء والاجداد ، كما لا يضير أعضاء المجمع عدم التفريق بين الآس والرمان ، وبين الزنبق والاقحوان ، مادام الخبير قادراً على ذلك . ألم يذكر أحد أعضاء المجمع في مقالة له منشورة في مجلة ذلك المجمع أن شجر الدلب الذى كان يجتمع تلامذة أفلاطون تحته لا نور له ولا ثمر . فأى جناح على هذا العلامة إذا هو لم ير فى حياته دلباً ولم ير له نوراً ولا ثمرا . ولكن كيف بدلت الطبيعة رأيها فجعلت اليوم للدلب أزهاراً وأثماراً ؟ وهل يجب أن نصدق الطبيعة ونكذب الكتاب القديم الذي نقل عنه العضو هذا النبأ ؟ ومهما يكن فان أصحابنا الاعضاء سيجدون لشكل زهرة الدلب لفظاً عربياً ، وكذا لكل جزء من أجزاء تلك الزهرة ، مما يرى بالعين أو لا يرى إلا بالمجهر

وعند ما ارى الصديق مسترسلاً في ثرثرته وفضوله أوقفه قائلاً : إننى قد تركت الزراعة والمواليد وتحرى الفاظها ومصطلحاتها العلمية وعكفت على تلاوة كتب الفلسفة والاخلاق انتفع بما فيها من حقائق . وهنا لا يتمالك صاحبي عن ان يقهقه ويقول : أتراك واجداً في كتب الفلسفة حقائق كالحقائق العلمية ؟ انك يا صاح لن تجد فيها إلا أناساً يرجمون بالغيب

ويتخبطون في خضم واسع من التخيلات والاوهام الفارغة ، ولا سيا عند ما يصدرون على زعمهم أحكاماً قاطعة ويبتون العلة والمعلول وقدم العالم أو حدوثه والازل والابد وكنه الفضاء وشكله وأسباب الوجود ، وغير ذلك من التصورات التي لا تحس ولا يمكن للعقل السليم أن يجزمها بالطرق العلمية . وستجد أن لكل فيلسوف رأياً فى هذه الامور يختلف عن رأي الثانى، فايهما المخطىء وأيهما المصيب ؟ أما كتب الاخلاق فحسبك أن تعرف كيف يطبق الغرب مضمونها على الشرق بما أوصى به نتشه ولار وشفوكلد وأضرابهما من أصحاب فلسفة اللذة وفلسفة القوة . وأما توسيع معارفك بما تقرأ فشيء أجيبك عنه بما أجاب اناطول فرانس وهو أن الجهل شرط لازب لسعادة الانسان . فهو لو علم بما يجيء له المستقبل لما أطاق حياته الحاضرة لانه عندئذ يطلع على الآلام التي سيتعرض لها فيتوجع منها سلفاً ، وتضطرب لذلك حياته ويفقد اللذة فى عيشه الحاضر مادام يتوقع انقضاء هذا العيش . والانسان جاهل جهلا مطبقاً ، فهو يجهل نفسه ويجهل الغير . وفي جهله راحته وفي المغالطة او الكذب سعادته . افلا ترى الناس يتمثلون دائماً بيت الشاعر العربى المشهور وهو :

كذب النفس اذا حدثتها إن صدق النفس يزرى بالأمل

وقبل أن ينهى الصديق حديثه الغريب ومنطقه العجيب ، ولكي أقطع عليه حديثه أرى نفسى مضطراً الى انبائه أني لا اقضي الايام بشيء مما ذكرت بل اعيش مستريحاً هادئاً مسرحاً الطرف في ارجاء الغوطة ومتأملاً في هذا الكون وعظمته . اقول له هذا وانا على يقين من انه سيجد فيه مجالا للأخذ والرد والاعتراض والمناقشة . وكذا كان ، فقد اجابنى بان هذه الحياة لا راحة فيها لمخلوق ، وان الهدوء معناه الموت ، وان الغوطة التي ما برحت اشيد بذكرها ليست انزه بلاد الله كما قال ياقوت الحموى ولا احسنها منظراً . ولو عرف هذا الجغرافي الرومى بعض الاماكن النزهة في اوربة وفي امريكة لما ذكر ان جنان الارض اربع : الصغد والابلة ، وشعب بوان ، والغوطة . اما قتل الوقت بالتأملات والتخيلات فهي بزعمه اغرب ما في امرى . قال : اتراك بأخيلتك الشعرية التى لا ظل لها من الحقيقة ستوقف الافلاك عن الدوران وتضرب الآلهة بعضهم ببعض وتوحد الاضداد وتعدم الموجودات وتخلق ما اردت من العدم ؟ كل هذه امور يسيرة يمكنك ان تأتيها فى ذهنك ، ولكن اين انت من الحقيقة التي تهزأ بك و بأخيلتك ؟

مصطفى الشهابي

« أقسم بصورة الاله المقدسة »

اليمين وعادات الامم فيها

كيف نشأ القسم ـ ما هي العادات التي تتبعها الامم في القسم ـ عقاب الحانث ـ اليمين في التاريخ ـ يمين الملوك والحكام ـ اليمين في القوانين

القسم هو تثبيت كلام المتكلم فى ذهن السامع وإزالة الشك منه بعبارة ذات صبغة دينية أو إشارة مصطلح عليها . وليس فى سجلات التاريخ مايدل على الزمن الذى شرع فيه الانسان يستعمل القسم . والارجح أن ذلك كان بعد نشوء العقيدة الدينية فيه . وفى كتب اللغة أن القسم يسمى يميناً لان الناس كانوا إذا تحالفوا أو تعاهدوا ضرب كل واحد منهم يمينه على يمين صاحبه . وفى « الاساس » انه سمي يميناً : « لانهم كانوا يتماسحون بايمانهم فيتحالفون » . وزعم آخرون أن الناس اصطلحوا لتشديد القسم على رفع اليد اليمنى فسمى ذلك يميناً

كيف نشأ القسم

وقد نشأ القسم عن اعتقاد الانسان فى أوائل نشوء عقيدته الدينية ان الحنث وعدم انجاز الوعد يستوجبان العقاب . وتجد آثار هذا الاعتقاد عند كثير من الشعوب غير الراقية حتى الآن . فبعض أهالى آسام مثلا يقسمون بطريقة غريبة تدل على ايمانهم بان الحنث يعقبه الهلاك ، ذلك أن المقسم (باسكان القاف وكسر السين) والمقسم له (باسكان القاف وفتح السين) يمسكان عند القسم بدجاجة حية وبضربة واحدة بالسيف يقطعانها نصفين ويقول المقسم : « فلاقطع (بصيغة المجهول) هكذا بالسيف اذا حنثت يميني » ، وبعض شعوب افريقا تستعين بناب النمر لتأكيد القسم ، فيقول المقسم : إذا لم أنجز وعدى فلأذهب فريسة لهذا (يريد النمر) ومنهم من يقسم برمحه أو بحربته أو بقوسه وتشابه . وفى جميع هذه الحالات يقوم القسم على العقيدة الدينية . ومن أغرب العادات عند شعوب الاسكيمو انه إذا اراد احدهم ان يحلف جاء برأس دب واخذ بعضه وهو يقول « لينهشنى هـــذا الدب إذا لم أقل الصدق » ، وبعض الهنود ـ ولاسيما أهالى السنتال ـ يأتون برأس النمر أو جلده فيقسمون عليه . ولا يخفى ان الهنود يؤمنون بالتقمص إلا الذين تفترسهم النمور فانهم يفنون فناء محققاً ولا أمل لهم فى الخلود . فن أقسم منهم برأس النمر أو

بجلاده كذباً وحنث فى قسمه ذهب فريسة النمر وقضى عليه بالفناء الابدى

ولم يترك الانسان شيئا لم يقسم به فقد أقسم بالآلهة والطبيعة والافلاك والانهار والجبال والحيوان والنبات وهلم جرا . وكان قدماء المصريين يقسمون بمختلف الآلهة وبالشمس والنيل . ولا يزال بعض الهنود يقسمون حتى الآن بنهر السند المقدس ويعتقدون أن هذا النهر ينتقم ممن يحنث بيمينه بان يغرقه هو وأولاده . وإذا اراد أحد سكان « تيبت » ان يقسم لوح بمديته فى نور الشمس وهو يقول : « اذا حنثت بقسمى فلتخرق هذه المدية احشائى »

وبارتقاء العقيدة الدينية صار الناس يقسمون بالالهة والافلاك المؤلهة . وفى التاريخ ان المقدونيين وأهالى قرطاجة عقدوا معاهدة صداقة أيدوها بالقسم بزفس إله الآلهة عند اليونان وبالالهين هير وأبولون وبآلهة القرطاجيين كلها.وكان الرومان يقسمون باله آلهتهم ويستحلفونه ان يصعق من يحنث فى يمينه لأنه هو الذى كان يتولى اطلاق الصواعق على الأرض . وكانوا عند القسم يأتون بخنزير برى ويذبحونه بسكين مصنوع من حجر الصوان (وكان هذا الحجر يعتبر مقدسا) رمزاً الى ما يحل بمن يحنث بيمينه . وفى الواقع ان معظم شعوب اليونان والرومان القدماء كانوا يعتقدون أن الصواعق تهلك الذين يحنثون بايمانهم.إلا أن بعضهم كانوا يعتقدون ان الصواعق تهلك الصادقين والكاذبين على السواء

عقاب الحانث

ويعتقد أصحاب الأديان المنزلة أن عقاب الحانثين بايمانهم قد يكون فى هذه الحياة والحياة الأخرى أيضاً . وفى تاريخ الكنيسة أن ثلاثة من الاشقياء تواطأوا على الكذب على نارسيس أسقف أورشليم وأقسموا أمام الكنيسة على صحة أقوالهم . وتمنى أولهم لو كان كاذبا أن تلتهمه نار من السماء ، وتمنى الثانى أن يهلكه الوبأ ، والثالث أن يصاب بالعمى . وما هى طرفة عين حتى شبت نار لم يعلم سببها فالتهمت الأول وبيته وجميع أفراد أسرته، وأصيب الثانى بالوبأ وهلك . وخاف الثالث مما أصاب رفيقيه فأخذ يبكى حتى أعمت الدموع عينيه

فهذا المثل دليل على اعتقاد القوم أن عقاب الحانث لا يكون بالضرورة فى العالم الآتى . بل قد يتم فى هذا العالم . على أن الاعتقاد السائد عند أتباع الأديان المنزلة هو أن عقاب الحانث يكون بالأكثر بعد الموت

وفى الحقيقة أن فكرة عقاب الحانث بعد القبر ليست مقصورة على أتباع الاديان المنزلة بل نرى لها أثراً عند أقدم شعوب البشر حتى المتوحشين منهم . واذا درست أحوال القبائل الهمجية فى هذا العصر ترى هذه الفكرة شائعة بينهم وتراهم يؤمنون بوجود روح أو إله يعاقب الذين يحنثون ـ لا فى هذه الحياة فقط بل فى الحياة التى وراء القبر أيضاً . وهذه الفكرة ترجع

الى أقدم الازمنة أى الى اليوم الذى رأى فيه الانسان نفسه محاطا بقوى الطبيعة الغامضة التى لم يكن له عليها سلطان. فقد رأى البرد والحر والمطر والصحو والرياح والزوابع والرعدوالبرق وما الى ذلك من قوى الطبيعة ولم يكن يدرك سببها ، فلم يجد بدأ من تعليلها بانهـا قوى غامضة لا مهمة لها سوىعقاب من يحنث بيمينه . ولـكن أين يكونالعقاب ؟ أعلى الارض مع أن اكثر عناصر الطبيعة وقواها الغامضة ـ كالرعد والبرق والصواعق ـ تجيء من العلاء ، من ذلك المكان المجهول الذى لا يستطيع أن يصل اليه أحد من الاحياء ؟

قلنا فى صدر هذه المقالة ان « القسم هو تثبيت كلام المتكلم فى ذهن السامع . . بعبارة . . أو اشارة . » وفى الحقيقة ان القسم يندر ان يكون مجرداً من اشارة أو حركة يبديها المقسم (بكسر السين) تأييداً لقسمه . فمن رفع اليد اليمنى (وهذا هو اليمين) الى رفع كلتا اليدين احداهما قابضة على الاخرى ، الى وضع اليد اليمنىعلى الصدر ، الى رفع النظر الى السماء ، الى غير ذلك منالأمور التى كانت ولا تزال تصحب القسم . ولعل أغرب هذه الاعمال ما كان يفعله بعض القدماء عند التحالف وهو انهم كانوا يردفون القسم بأن يلحس كل من المقسم والمقسم له نقطة من دم صاحبه . وكانت عادة اكثر الاوربيين فى العصور الوسطى ان يقسموا على السيف كناية عما يحل بمن يحنث بيمينه . ولا يزال الجندى يقسم بسـيفه رمزا الى شرفه العسكرى . والمعروف عن اكثر الشعوب القديمة ان القسم تزداد قيمته أضعافا اذا صحبه قربان أو اتبع بضحية . ومن عادات شعوب السكندناف ان كهنتهم كانوا يجلسون فى محاكم خاصة للحكم بين المتخاصمين، وكان فى كل محكمة مذبح وسوار من حلقتين يلبسه الكاهن اذا جلس للقضاء . ثم يؤتى بثور فيذبح فى المحكمة ثم يغمس الكاهن يده وعليها السوار فى دم الثور وهو يقول : « أقسم بهذا السوار امام هذه المحكمة وأشهد « فراى » و« نيورد » والاله « طور » القادر على كل شيء باننيسأجرىالعدل »

القسم فى القانون

ويقضى قانون قسطنطين بمعاقبة كل من يقسم قسما غير لائق أو يحنث بيمينه ، ويحتم على كل شاهد يقف أمام القضاء ان يقسم اليمين . ولما جاء يوستنيان أيد قانون قسطنطين وأوجب على كل من الخصمين وعلى المحامين عنهما أن يقسموا اليمين . وأوجب على القسوس والاساقفة ان يقسموا اليمين عند رسامتهم أو عند النذر أو فى حفلات أخرى معينة . ولما حدث « الاصلاح » وافق زعماؤه على القسم فى أحوال معينة . وجرت عادة المسيحيين بأن يقسم الرجل وبيده نسخة من الانجيل . والأرجح ان هذه العادة مأخوذة عن عادة يهودية غير قديمة تقضى بأن يمسك من يقسم بنسخة من التوراة . ولعل اليهود أخذوا هذه العادة عن الرومان . أما عادة تقبيل الانجيل

فترجع على الارجح الى العصور الوسطى. وكان العرف المتبع فى ذلك الزمن ان يوضع الانجيل على المذبح فيضع المقسم يده عليه أو يتجه بنظره اليه . وفى حالة عدم تيسر وجود انجيل يمكن الاستعاضة عنه باى أثر مقدس كالصليب او صورة أحد القديسين او سيف يمثل سيف مار جرجس او ما الى ذلك

اما نصوص الاقسام التى جرى عليها الناس فتختلف باختلاف الازمنة والامكنة . فنص القسم الذى يوجبه قانون يوستنيان يجرى كما يأتى : « اقسم بالله القادر على كل شىء وبابنه الوحيد يسوع المسيح وبالروح القدس وبمريم البتول وبالاناجيل الاربعة التى انا ممسك بها بيدى وبرئيسى الملائكة جبرائيل وميخائيل » . وكان نص القسم الذى جرى عليه ملوك فرنسا فى العصور الوسطى : « اقسم بمحبة الله وبالشعب المسيحى وبالخلاص . . » الخ . وكان اكثر المسيحيين فى اوربا يختتمون القسم بقولهم : «فليساعدنا الله على البر بقسمنا» . واشتهر عن وليم الفاتح انه كان يقسم دائما : «بجلال الله ومجده» . وكان ريكاردوس الملقب بقلب الاسد يقسم « بقدمى الله » والملك حنا يقسم : « باسنان الله » وغيره يقسم : « بالتاج » و « بصورة الاله المقدسة » و « بموت الاله » الخ . وكان ملوك انجلترا ولا يزالون يرددون عند تتويجهم قسما يلقنهم إياه رئيس الاساقفة الذى يقوم بتتويجهم. فكان هذا يسأله بصوت جهورى امام الجمهور: « هل تعد وتقسم بأن تحكم شعب بريطانيا العظمى وارلندا والمستعمرات طبقا للقوانين التى قد وافق عليها البرلمان وللشرائع والعادات الشائعة فى هذه البلاد ؟ » فيجيب الملك : « نعم اتعهد واقسم بأن افعل ذلك » . ثم يسأله رئيس الاساقفة بعد ذلك اسئلة اخرى لامحل لها هنا فيجيب انه يقسم بان يقوم بكل ما يفرض عليه . ويردف ذلك بقوله : « فليساعدنى الله على ذلك »

وأغلب الملوك والحكام والولاة والوزراء ملزمون بالقسم لخدمة بلادهم وأوطانهم . وقوانين المجالس النيابية فى العالم كله توجب على كل عضو من أعضائها ان يقسم . فالدستور المصرى مثلا يقول انه : « قبل أن يباشر الملك سلطته الدستورية يحلف اليمين الآتية أمام المجلسين مجتمعين : احلف بالله العظيم انى احترم الدستور وقوانين الأمة المصرية واحافظ على استقلال الوطن وسلامة أرضه » وتنص المادة ٨٩ من ذلك الدستور على انه : « قبل أن يتولى أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب عملهم يقسمون ان يكونوا مخلصين للوطن وللملك مطيعين للدستور ولقوانين البلاد، وان يؤدوا اعمالهم بالذمة والصدق . وتكون تأدية اليمين فى كل مجلس علنا بقاعة جلساته » اما البرلمان الانجليزى فقد تغير القسم الذى يحتم على اعضائه ، وحذفت منه الاشارة الى الديانة المسيحية لكى يصح تطبيقه على غير المسيحيين من اعضاء البرلمان . وفى الواقع ان قسم اولئك الاعضاء ينحصر الآن فى التعهد بالولاء للملك وبتأييد نظام وراثة العرش الذى وضع فى عهد وليم الثالث

والقضاء فى أكثر البلاد المتمدنة يوجب على القضاة والشهود وغيرهم بان يقسموا اقساما معينة . وقوانين المتمدنين تعاقب من يقسم بالزور أو يحنث بيمينه . والاسلام يوجب أن يكون القسم بالله فقط لا بغيره.ويوجب على من يحنث بيمينه اطعام عشرة مساكين أوكسوتهم، فاذا كان القسم ينصب على فعل أمر ماض أو على ترك ماض سمي اليمين الغموس وهى التى تغمس صاحبها فى الكفر . اما اليمين المنعقدة فهى الحلف على فعل آت أو على ترك فعل آت . واليمين اللغو هى أن يحلف المرء ظاناً انه كذا وهو خلافه،ويمين الصبر هى التى يكون الرجل فيها متعمداً الكذب قاصداً لاذهاب مال مسلم ، سميت كذلك لصبر صاحبها على الاقدام عليها مع وجود الزواجر

ثم ان اكثر قوانين البلاد المتمدنة تعتبر شهادة أى شاهد فى المحكمة باطلة إلا إذا حلف الشاهد اليمين القانونية بان يقول الحق وكل الحق ولا شيء غير الحق . على أن بعض المتطرفين فى الدين يرفضون ان يقسموا بحجة أن ضمائرهم واعتقاداتهم لاتبيح لهم ان يقسموا ولذلك يعفى هؤلاء من القسم على ان يستبدلوه بالوعد بان يشهدوا بالحق.والقانون الانجليزى يحتم على المسيحى ان يقسم عل الانجيل بان يرفع يمينه ورأسه عار من كل غطاء.وله أن يقسم على الترجمة التى يختارها من الانجيل.ويقسم اليهودى على الاسفار الخمسة ورأسه مغطى.وقد يقسم المسلم على القرآن الكريم بأن يضع يده عليه . ويقسم البوذى على تعاليم البوذه ، والازردشتى على كتاب زاندافستا ، والهندوسى على كتاب الفيداس،وقبائل الكفرة بزعيم القبيلة ،وزعماء تلك القبائل بملك انجلترا . ويقسم الصينى وهو راكع وبيده صحن يرميه على الارض ويكسره

ويعفى الشهود فى المحاكم من القسم إذا كانوا احداثا لم يبلغوا سن الرشد أو كانوا ملحدين لايؤمنون بالله وليس لهم أى معتقد دينى . ويتساهل القانون الاميركى فلا يوجب اليمين على من لاترتاح نفسه إلى القسم

ومما يجدر بالذكر ان قوانين الولايات المتحدة توجب على كل شخص أن يقسم بالله إذا طلب منه تأدية شهادة،فان كان لايؤمن بالله اكتفى بان يقسم بشرفه ، وان كان وثنيا طلب اليه أن يقسم بأى اله يؤمن به . وعليه فان المحاكم الاميركية تقبل قسم الزنجى الوثنى وان لم يكن بالله



خلاصة مسرحية

الرعاع

للأديب الانجليزي جون جولزورثي

لعل هذه القصة من أنسب القصص للحرب الحالية بين البيض والسود، فهي متفقه معها في المغزى، وإن كانت تباينها في الأسباب والتفاصيل. وهي بعد تمثل سلطان المبدأ وكيف يفني فيه صاحبه، ويضحي في سبيله بالمنصب والجاه والمستقبل والطمأنينة، ويحمل بصبر أذى الرعاع واستخفافهم. وهي من جهة أخرى تصور الوحشية الحمقاء التي تسجل على الوطن ظلم الضعفاء والاعتداء على الابرياء في سجل التاريخ

هذه الحياة المجهدة الضنينة تبسط أمامه سبلها ممهدة فسيحة، وهذا المجتمع المتدافع المتهافت يوسع له في زحمته صدراً رحيباً. فله المكان الملحوظ والمستقبل المأمول، وله الشباب الناضر والثراء الموفور، وله الجنة التي خلقتها زوجه من حبها وأمومتها! فلم لا يعتصر من حياته ما تحفل به من ترف ونعيم، ولم لا يعتصم من لفح الهجير بهذا الظل الوارف، ولم يدع هذا اللين والرفه الى حيث تناله العوادي وتأزمه الشدائد؟ ولكنها الفكرة التي توهج ضوؤها في لجاج عقله، قد استحالت إلى عقيدة تحتشد بها حنايا قلبه، فأخذت عليه السبيل التي يندفع الناس فيها دون روية أو تفكير، وأبت عليه أن يخلد الى ما يبتغيه الناس من دعة ورخاء، وفرضت عليه أن يلقى بيده الى حيث تفوق اليه السهام فتهلكه! وهذا هو الايمان الذي تتضاءل في محرابه الدنيا الآهلة بالآمال، وهذا هو المؤمن الذي يفتح صدره لما يضمره المصير المحتوم من غير رهبة، فلا يخشى أن يضيع المستقبل الموعود، وأن تشرد الزوجة والاطفال. فقد نذر لعقيدته أن يجهر بها وإن تألب عليها الناس جميعاً، وأنذر خصومه بأن يصمد لهم وإن تضافروا عليه بما فيهم من بأس وسفه

☆☆☆

اعتدت قبيلة من قبائل الزنج المنبثة في غابات افريقيا على جماعة من التجار والمبشرين الذين أوفدتهم انجلترا الى القارة المظلمة، ليستغلوا خيرها ويستبدوا بأمرها باسم المدنية والدين. فأثار هذا الحادث حفيظة الشعب المعتز بالحديد والنار، وأتاح الفرصة للسياسة الطامحة الى النصر والغلبة. فعبئت الجيوش وأرسلت، وحشدت البوارج وسيرت لينأر شعب المدنيـة والنور ممن يدفعون عن

وطنهم عادية المغير ، وليقضى رسل الدين والكرامة على من يأبون أن تلقى حريتهم عند أقدام الطغاة .! وفى وسط هذا الشعب الناقم ، وتجاه الحكومة العادية وقف مور (More) ليعلن فى الناس مادبر وراء الحجب من كيد أثيم ، وليظهر للملأ ما يحملون من وزر حين يلغون فى هذا الدم البرىء

يناقش الرجل جماعة من أهله وصحبه فيما اعتزم أن يجهر به غدا فى قاعة البرلمان ، ويعلن إليهم الموقف الذى آلى على نفسه أن يتخذه تجاه هذه الحرب الظالمة . هم يرون أن هذه الحرب لا تشهر على شعب يستأهل العطف والانصاف ، وإنما على شراذم من الزنوج الهائمين فى فيافى الارض ، وأن هؤلاء الذين يحيون كالسوائم العائثة لم يرعوا حرمة من هجروا أوطانهم لينشروا فى ظلماتهم ضياء المدنية والدين ، وأن لا سبيل إلى أن تلقى انجلترا بمن ذهب بنيها ليرفع لواءها فى مجاهل الدنيا الى عصابات تشرب دماءهم وتنهش لحومهم ، وأن ليس هناك من ينكر أن انجلترا قد خطت بالبلاد التى بسطت يدها عليها خطوات واسعة . وهو يرى أن الشعب الذى يذود عن وطنه وهو أعزل ويدفع عن حريته وهو أكشف ، جدير بأن ترعى حرمته ، وأن التجار الذين يجازفون سعيا وراء المال ، والمبشرين الذين يرصدون جهودهم لنشر الدين ، يجب أن يعدوا أنفسهم لحمل الأذى وبذل الدماء ، وأن الشعب الضعيف إنما يلق من الشعب القوى مايلقاه الحمل من الذئب لا مايلقاه الطفل من أبيه . ومن بين مجادليه حموه وهو قائد شيخ يرى أن حق الوطن يحتم قتال من يعتدى على بنيه ، وأخوه وهو قسيس يعتقد أن المؤمنين فى حل من دم الوثنيين نشراً للدين. ولكن « مور » يرى أن رد البادىء بالعداء لا يجيز الاخذ بالثأر ، وأن الخصومة فى الدين لا تبيح سفح الدم . على أن الامر لم يعد يحتمل الجدال فى الآراء أو يتسع للنقاش فى المذاهب . فمور يأبى إلا أن يشذ وحده عما اجتمعت عليه كلمة شعب فتنته القوة عن الحق ، وأضله الطماح عن القصد ، وإلا أن يتخذ لنفسه طريقا موحشة لا يلتق فيها بغيره لانها تنتهى بسالكيها إلى مصير تخاف رواهنه . وأهله وصحبه ينكرون عليه أن يضع نفسه حيث يتخذه الاعداء المتمرون حجة لهم على وطنه . وينذرونه منذ اليوم بما سيلقى من الشعب الحانق من جزاء وفاق . وهم حين يقولون له — كى يثنوه عن عزمه بوسيلة أخرى — إنهم يعجبون ويألمون إذ يرون سليل أسرة نبيلة مجيدة ، وصهر عشيرة مجاهدة مكافحة ، يتناسى حق وطنه المهضوم ، ويتجاهل كرامة شعبه المذالة ، حذر الحرب وهو لها ، يرد عليهم غاضبا حازما بأنه أول من يندفع إلى وطيس المعمعة عند ما يلقى أمامه جيشاً جراراً جباراً ، لا شعباً ضعيفاً وديعاً . ثم تقول زوجته — بعد أن ينصرف ابوها ومن معه — إن خطبته غداً لن تقف حرباً حشدت جنودها وعبئت ذخائرها ، ولن تثنى حكومة دبرت الامر منذ أمد بعيد لتثأر ممن لم يخشوا بأسها وسطوتها وأنما تؤلب عليه زملاءه فى الوزارة حتى يكره على اعتزالها ، وتثير ضده هؤلاء الرعاع الذين لا يتحرجون عن تسفيهه وإيذائه ، وتنفر منه جميع من حوله . فيرد عليها بأنه انما يريد ألا

يسجل التاريخ على بلاده هذه الكلمة الرهيبة ، وأعلنت الحرب الباغية دون أن يحتج عليها أحد من رجال الحكومة .

ثم يخلو الرجل الى نفسه ، ويراجع الكلمة الخطيرة التى أعدها ، فيهم بتمزيقها يائساً حائراً ، ولكن الكلمات التى تدوى فى أعماق ضميره ، تنساب من فيه متقطعة متناثرة ، ثم يعلو بها صوته قليلا قليلا . حتى يقول : « اننا ادعينا أن بلادنا هى التى تكفل الحرية . وتضمن العدالة وهى التى تناهض الظلم وتجاهد الاضطهاد . فهل نهمل هذا المجد ونضيع هذا الفخار ؟ أم هل نضحى بشىء من حقنا لنزيح عن هذا المجد ما أثقله من صخور وأحمال ؟ هلا ندع هذا الغرور ، هلا ننتزه عن هذه الاهواء التى ستقذى عين من يقرأ تاريخنا بعد أن تنكشف عن وجه الحقيقة هذه الاباطيل؟ إننا نغير إثما وعدواناً على بلاد عاشت حرة منذ أحقاب طويلة ، اننا نقضى قهراً واقتداراً على شعب يحب وطنه كما تحبون وطنكم . ولست بقادر على ان أحجز لسانى هذه الليلة عن النذير بهذه الحرب المنكرة . انى أحب وطنى ، ولهذا أرفع صوتى جهيراً داوياً . وهذه القبائل التى تعتصم بالجبال والهضاب ، وتأوى الى الغابات والاجام ، تبذل نفسها للحرب راضية سخية ، فتظفر برجالنا ناقمة مغيظة . وهذا ضمير العالم كله يقسو علينا لاننا نعدو ، ويحنو عليهم لانهم ضعاف . وإذاً فنحن نأثم فى حق الانسانية أولا ، ونؤلب علينا ضمير العالم ثانياً ، ونواجه شعباً ولوعا بالقتال متفننا فى أسبابه ثالثاً . وسوف تقضى علينا العدالة التى ندعى أننا حماة ذمارها بأقسى الاحكام ، وسوف تلقى علينا المدنية التى ندعى أننا نعلى دعائمها أمر الدروس »

وبعد قليل تأتيه رسالة من حميه ينبئه فيها ان الحرب قد أعلنت ، ثم لا يلبث أن يأتى الرجل ليسأل مور عن موقفه بعد أن قضى الأمر . ولكن أين مور ؟ عند ما بلغه النبأ الرهيب ، انسل من بيته خفية وذهب تواً الى قاعة البرلمان ، ووسط الجمع الحاشد الثائر القى الكلمة الحاسمة ! ثم عاد الى بيته حيث لقيته زوجته واجمة ذاهلة ، ثم آذنته بمصيرها معه منذرة محذرة . ولكن الرجل المؤمن يضحى من ذات نفسه هادئا راضيا ، وها هو ذا يبدأ حياته الجديدة بهذه الرسالة التى بعث بها الى رئيس الوزارة : « بعد ان قلت الليلة الكلمة التى حملتها عقيدتى وايمانى ، لم يعد فى وسعى إلا ان أضع استقالتى من الوزارة بين يديك . قد أكون مخطئا فى رأيى ضالا فى عقيدتى ، ولكنى لم أخطىء ولم أضل حين أعلنت الكلمة التى آمنت بها »

* * *

بعد أيام قلائل نرى زوجة مور تودع أخاها قبل سفره الى أفريقا التى تنذر أنباؤها الاولى بما يلقاه المغيرون من جموع حاشدة لم يقدروا مالها من بأس وبطش ، ومن آجام وأدغال لم يدروا ما تقيم أمامهم من صعاب . فنرى الشاب الذى يبدو للناس مقدما على الحرب بكل ما يملأ قلبه

من حرارة واخلاص ، والذى يخدع نفسه بما قد تتيحه الحرب من فرص تشبع ما يجيش به من أمل وتفاؤل ، وهو يضم زوجه الوالهة الى صدره ضمة تكاد تنزع من قلبه دفعة واحـدة حبا كان يرجو ان يوزعه على الايام ، وتفرغ فى قلبها عاطفة يحتفظ بها الرجل لمن يود ان تبقى الى جانبه حتى ينتهى بهما الطريق المألوف . وهكذا الجندى قد يتحدث الى الناس عن الحرب حديث التضحية والفداء ، وقد يهتف مع زملائه الذاهبين الى ساحتها باناشيد الوطنية والبطولة ، ولكنه إذا خلا الى وحدته ذهبت نفسه فرقا من لهب النار الحامية ، ووجف قلبه هلعا من هول الدماء الطامية ! أما هذا الذى ندعيه فى الحرب من بسالة وبطولة ، أما هذا الذى ننسبه الى الوطنية من تقتيل وعدوان ، فما هو إلا أثر لما يثبت فى الاذهان وهى رخوة ناشئة من تاريخ يمجد أولئك الذين بنوا شواهقهم من الجثث والدماء

ولنعد الى مور حيث نلقاه وسط عاصفة عاتية تأخذه من كل جانب . فالصحف تنكر عليه ان يقف تجاه وطنه فى هذا اليوم الحرج العصيب ، ويناشد الجمهور أن يحول بينه وبين ما يبذره فى خطبه وأحاديثه من بذور الفتنة والتضليل ، وتثير سـفه الغوغاء كى تجزيه على مروقه بما يستأهل من تسفيه وإيذاء . والمقاطعة التى يمثلها فى البرلمان تبعث إليه بوفد يعلنه بسخط ناخبيه على هذه الكلمة الزرية التى ألقاها على الناس دون تحرج أو استحياء ، ويستنكر منه أن يطوف بالمدن والقرى بأولئك الذين يثأرون للوطن ممن يستخفون بحرماته ، ويطلبون اليه أن يصحح موقفه ـــ حتى ولو كان محقاً فيه ـــ فقد قامت الحرب ولم يعد من سبيل إلى وقفها . ولكن الرجل ليس فى حاجة إلى من ينصحه أن يربأ بنفسه عن الريب والظنون ، وليس مغتبطاً بأن تلقى يده الى المهالك والمهـاوى ، وكم يود لو استطاع أن يحجز نفسه عن هذه الطريق الشائكة وما تنتهى اليه من مجهل مرهوب . أما والامر الى عقيدته التى تسدد خطاه سواء الى الهدى أم الضلال ، وتدفعه الى القول سواء كان حقاً أم باطلا ، فلا سبيل الى أن ينزل عما يحتمه الضمير الى ما يريده الناخبون . وهم يأخذون عليه أنه لم يفصح لهم حين اجتمع بهم منذ أشهر عن هذه الخطة التى فجأهم بها على حين غرة . وأنه يأبى أن يعدل عن رأيه الخاطىء تجاه حرب لاهبة تقتضى كل فرد دمه فى ساحتها فضلا عن صمته عن التنديد بها ! .. ولكن العقائد كالأجنة ، لاتخرج مستوفية النمو مستكملة العناصر مرة واحدة ، وكم من ليال ساهرة قضاها فى مجاهدة هـذه الافـكار الغامضة التى انتابته أول الأمر ، وكم من آلام بئيسة كانت تحز فى قلبه وهو يرى هذه الآراء المشتتة الملتاثة قد تجمعت واتضحت وتجسمت حقيقة مرة ! ـــ وهم يذكرونه بما يلقاه ابناء وطنه فى مسارب الادغال والاحراش ، وفى منعطفات الجبال والوديان ، من مناسر تبطش بهم بطش الجوارى الكاسرة ، ومن أجواء تعصف بهم عصف الرياح بالهشيم ، فيقول لهم تصوروا جيشا من اولئك الزنوج أغار على بلادنا نهباً وفتـكا ، فلقيناه بما أعددنا له من حديد ونار ، حتى حصدنا

جمعهم فرداً فرداً ، ثم ألقينا برممهم تنهشها الكلاب وتنهشها الغربان . أكنتم تعدون عملكم عدواناً أثيما أم دفاعاً مجيداً ؟! أما أن ناخبيه يألمون ويأسفون حين يرون ممثلهم يشذ عما أجمعوا أمرهم عليه ، فهذا يقتضيه أن يعفيهم من نيابته عنهم في البرلمان .. وهكذا ترتد الجماعة الموفدة الى أهلها يائسة نادمة ، غاضبة ناقمة ، منذرة محذرة متوعدة مهددة

✡✡✡

أخذ « مور » يجوس خلال المدائن والقرى ، ليخطب الناس منددا بالحرب والاستعمار ، مبشراً بحريات الشعوب متحملا فى أداء رسالته سنة الرعاع وأذى الغوغاء ممن يساقون إلى الباطل وهم يحسبونه الحق ، ويهتفون للظالم وهم يظنون المظلوم . فنراه بعد ستة أسابيع قضاها بعيداً عن بيته وأهله ، فى بلاد تضيق به أينما حل ، وهو يخطب بعض الناس فى إحدى القرى النائية ، وقد اجتمع عليه نفر من سفلة الرجال والنساء ، هازئين ساخرين ، صائحين صاخبين . ولكنه لا يحفل بسفاهتهم وبذاءتهم بل يصر على أن يسمعهم مايغيظهم منه ويثيرهم عليه . . إنه لايلوم أحداً منهم فهم مساقون الى الغى سوق الأنعام ، وإنما يندد بالحكومة التى تدفع برجال الوطن وشبابه الى حرب لاهبة آثمة ، ويندد بالصحافة التى تضلل الجمهور دفاعاً عن سياسة خاطئة ظالمة . ولكن الرعاع يخدعون أنفسهم عما تتجاوب به أفئدتهم من أصوات الحق

✡✡✡

ولنذهب إلى بيت مور حيث نرى ابنته تطيل الصلاة وتكثر الدعاء ، كى تنشر جرائد المساء شيئاً عن انتصار بلادها وهزيمة أعدائها . ثم تتحدث إلى أمها عما يفعله أبوها خلال هذه الأسابيع التى هجر فيها البيت ضارباً فى مناكب الأرض كالأفاقين المشردين . تسألها لماذا يخطب أبوها ناساً يأبون أن يسمعوه ؟ ولمــاذا يعرض نفسه لألسنة السفلة ؟ والام فى حيرة من اجابتها . لان هؤلاء الذين يثورون به كلما خطب ، ويضجون به اينما ذهب ، هم اولئك الذين تصلى الطفلة لنصرتهم . .

أما خادمة البيت فقد جاءتها من ابنها الجندى فى الحرب رسالة يصف لها ما يلقى الجيش الغازى من كيد العصابات المدافعة . فترى المرأة العجوز ان ليس مما يليق بكرامة ابنها أن تخدم فى بيت رجل يدافع عن هؤلاء الزنوج الضوارى . وتطلب الى سيدتها أن تعفيها من البقاء فى هــذا البيت الذى قضت فيه ردحاً طويلا ، لا لانها تخشى من يهاجم البيت من السوقة والصبيان ، ولا لانهــا تعبأ بمن يعيرونها ويلازمونها أينما ذهبت . بل لان قلبها لايطاوعها على أن تاكل خبز رجل يؤيد من قد يقتلون ابنها . بل هى تعجب كيف تنسى سيدتها ، وأبوها قائد فى الجيش واخوتها الثلاثة جنود فى الحرب ، أن هذه الخطب التى يلقيها زوجها ذات اليمين وذات الشمال ، ليست الا سهاما مفوقة الى صدور هؤلاء الضحايا ! بل هى تعجب كيف ترضى سيدتها أن تبقى الى جانب رجل يتخلى عن

مركزه فى الوزارة ومقعده فى البرلمان ويثير عليه النقمة والعداء ، ويتيح للحاقدين والمعادين أن يؤلبوا على وطنه قلب العالم المتحفز الناقم .. لماذا ؟ ليدافع عن زنوج يهيمون فى الغابات كالسوائم الضالة ، ويأوون الى الكهوف كالسباع الكاسرة ! وهكذا تستفز عاطفتها وتستثير شعورها

ولكن ماذا تفعل الزوجة حين يفرض عليها أن تفاضل بين أهلها وزوجها ؟ انها ترى أباها واخوتها وسط نار موقدة . وترى زوجها يؤجج النار ويثير لهيبها !! فهل تقف تجاه هذا الزوج مضحية بكل ماترجوه المرأة فى الحياة من زوج محب وعيش رخى ؟ أم تقف الى جانبه لتؤدى واجب المرأة قبل الرجل حين لايبقى له من أضواء الحياة الا ماترسله عيناها من بريق ؟

ثم ماذا ؟ .. فى هذه الساعة التى تنتهبها العواطف العنيفة ، وتتوزعها الافكار الجامحة . تأتى زوجة أخيها لتقص عليها حلماً مروعا . رأت فيه سهلا فسيحا مستويا يمتد فى الافق كضباب يغمر الفضاء . وقد انتثرت عليه أشباح قاتمة لاترى ، ثم ظهرت من بينها جثة مقطوعة الرأس ورجلا يضمد جرحا بساقه ... ثم رأت زوجها مغبر الوجه مهضوم الجسم . وبصدره جرح تتدفق منه الدماء ثم سمعت صوتا يقول : «ياإلهى انى أموت» ثم خفت الصوت قليلا وأن الرجل ثانية :«ساظل طول الليلة أقاسى نزع الروح . وفى الصباح أسلمها» . وضحك تابع زوجها وقال : «اللسور لا تمس الاحياء» فقال له سيده : «دع الرجل» ثم نهض خائراً متخاذلا وتقدم الى الرجل المحتضر ، وقبل أن يبلغه انتزع منه التابع غادرته وأطلقها عليه . فصاح زوجها : «يا وحش» ثم سقط ثانية هامداً لا يتحرك . وبدأ الظلام يغمر السهل ، ولم تر إلا امرأة تجرى هنا وهناك بين أجداث القتلى ..

* * *

أما مور فيؤكد لخادمه أن ليست هناك راحة تعدل هذه التى تغمر الانسان حين يرى يده لم تمتد بالاذى الى أحد من الناس ، وان امتدت اليه بالاذى جميع الايدى

وها هو يتحدث الى صديق جاء يطلب اليه أن يأذن له أن يتفلسف قليلا . يقول صاحبه : إن شعباً يبذل دم ابنائه راضيا سخيا ، ويصب دم أعدائه شرها نهما، ثم يعصب عينيه كى لايرى الصنم الذى يضحى على مذبحه . لن يستمع إلى العقل مهما دوى صوته فى الفضاء لانه يلبى نداء الغريزة التى تضطرم فى عروقه . فليس لهما اذاً أن يؤملا فى السوقة أن تسمو بمثلها الى حيث تؤثر العدل على الوطن . وليس لهما أن يلوما الرعاع الذين هاجوا مور وآذوه . ثم ينصحه صديقه أن يغادر المدينة على عجل لان الجمهور يتردد دائماً بين هذا وذاك حين يكون النزاع سجالا . فاذا تحقق النصر لاحدهما تقوى على المهزوم بكل مافيه من أخلاص موهوم . وقد جاءت الانباء الاخيرة تعلن النصر المبين فى المعركة الحاسمة . فستتجمع هذه الاوحال التى تملأ أرجاء المدينة فى تيار جارف يطغى عليه ويغرقه ... ولكن ماذا يخشى مور من الغرق ؟ بل ماذا يرجو مور من النجاة ؟ انه يسعى منذ

أشهر فى الارض ليؤذن بعقيدته والعالم كله أصم ، وليبسط فكرته والدنيا كلها عمياء ! !

ثم تأتى الخادمة تستأذن سيدتها فى الانصراف من البيت . حتى الخادم العجوز قد أنساها الغيظ ماله عليها من حق فتقف بينه وبين زوجته موقف المحرض الساعى . وتجبهه بهذا القول القاسى : « أين قلبك ؟ أيخفق عطفا على هذه الحيوانات العائثة بين الادغال ؟ ألا يخطر له هذا الوطن وهؤلاء الابطال ولو عفواً ؟ . . ثم هذه الزوجة التى ولدت ونار الحرب مشبوبة واستشهد جدها فى ساحتها وخدم أبوها الجيش خمسين سنة ونزل اخوتها الثلاثة الى الميدان حين دعاهم ــ أليست لها عندك كرامة ترعى ؟ أيرضيك أن يرجم الناس نوافذ غرفتها ؟ أيعجبك أن يهزأ بها الصبية فى الطرقات ؟ كيف تفكر فى اعداء الوطن أكثر مما تفكر فى زوجتك ؟؟ انظر اليها . ألا ترى وجهها الشاحب وبصرها الساهم ؟ ألا تشعر بقلبها الحائر وضميرها المنى ؟ » ثم تذهب غير آبهة لما يتوقعها من جوع وعرى فى هذا العمر الفانى ــ ويدخل حموه ليعلن الى ابنته نصر بلادها . وقتل أخيها . . .

ويقول القائد لمور : « قتل ابنى بايدى اولئك الذين تدافع عنهم . وقد يقتل ابناى الآخران ولست بنادم ولا خائف . فانى أوثر أن يموتوا دفاعاً عن وطنهم على أن يتخاذلوا عن أداء ما يفرضه عليهم الشرف » فيعترضه مور : « انى أتمنى أن أحل محل أحدهما فى الميدان » فيجيبه الرجل : « نعم وانى أدرك ما أنت فيه من ألم وشقاء . ولست أعرف أبأس ممن يقف تجاه وطنه ولا أسعد ممن يستشهد فى سبيله . والوطن ــ كالله ــ لا يحق لنا أن ننسب اليه الخطأ أو نحكم عليه بالظلم »

ثم يحدثه عن موقفه من ابنته : « لست أدرى بعد أن قتل ابنى كيف يكون الامر بينك وبين ابنتى . ولكنى أقول لك إنك حملتها طوال هذين الشهرين ما ليس فى سعة امرأة أن تحمله .وقفت بجماع قلبك العنيد تجاه ما تعتز به من كرامة وما تجيش به من شعور » فيرجوه مور ألا ينسى ما حمله هو كذلك طوال هذه الايام الشاقة الاليمة. كيف يمر به أصدقاؤه كما يمرون على حجر لا يسمع ولا يرى. كيف يلقاه الناس معرضين بوجوههم تحقيراً وازدراء . كيف يأوى الى فراشه كل ليلة وأصوات السفهاء ترن فى أذنيه . على أن الرجل لم يأت ليؤنبه بل لينقذه قبل أن ينفد الامر . فهو ينصحه بان يكتفى بما ألقى من خطب وما جاب من بلاد ، وأن يهجر وطنه قليلا حتى تنتهى الحرب وتهدأ ثائرة الناس . ولكن مور الذى يرى ابناء وطنه يلقون الموت فى القفار والفيافى دفاعاً عن مبدئهم يأبى أن يشترى الراحة والعافية . أو يتقى الاذى والردى بالتخلى عن مبدأ أنبل وأسمى . ثم كيف يطفىء بيديه هذه الجذوة المقدسة التى أوقد الضمير نارها فى القلوب ، ونشر الحق نورها فى الارجاء ؟

أما زوجته فترى أن الرجل الذى يؤثر رضى أصحابه وأعوانه على حب الزوج وصلة الاهل لا يستاهل ان تبقى الى جانبه هذه التى تقضى الليل الساهر مرتمية على الارض تفكر فى اخوتها الذين يقعون فى الميدان اشلاء مبعثرة . بينما هو يهجر البيت دفاعاً عن قاتليهم السفاحين. ولما توسلت اليه

أن يهبها شيئاً من قلبه قال ان واجب الرأى أولى من حب المرأة . واذاً فلا سبيل الى ان يمتد الامر بينهما الى أكثر مما ضحت . ولا لوم عليها ان تركته هي وابنتها حيث أراد الى بيت ابيها . . وما أقسى أن ترى الزوجة المحبة الوفية حين يتقوض البيت الذى شادته من عصارة قلبها ، وما آلم أن ترى الطفلة البريئة الباكية وهي تتوسل الى أبيها أن تبقى معه أو يأتى معها !

ويتدفق الناس أمام البيت فى جموع زاخرة ، ويتعالى الهتاف الداوى بكلمات الخيانة والجبن والنذالة ، ثم ترجم النوافذ بالصخور الحاطمة حين يطل مور ، وهو لايعى ، ليرى العربة التى تقل زوجته وابنته . ويندفع الثائرون الى ساحة البيت ، قارعين طبولهم حاملين مشاعلهم . ومن بينهم شاب فارع القامة عريض المنكبين . يتقدم الصفوف ويقتحم الباب الموصد . ويتجمع الطلبة والفتيات على مور ويأخذون بتلابيبه ويتدافعونه بينهم . ثم يضعونه على منضدة ويأمرونه ان يخطب فيقول : «تستطيعون أيها الرعاع ان تمثلوا بجسمى كما تشاءون» فيعترضه احدهم : «نعم وسنفعل» ويقول آخر : «أقسم ألا تقول كلمة اخرى ضد وطنك» فيتابع خطبته : «إنى لا اخافكم ، ولكنكم اقتحمتم بيتى عنوة . وطلبتم الى ان اخطبكم . إذاً فاسمعوا كلمة الحق هذه المرة ، انكم انتم الذين تظلمون الضعاف حقوقهم وتسلبون النساء كرامتهم ، وتأبون على الرجال ان يعلنوا عقائدهم جهاراً . وليست لكم عقول تهديكم ولا قلوب ترشدكم وانما انتم الضعة والجبن . اما الوطنية فنوعان : هذه التى يدافع عنها الجنود ، وهذه التى أدافع عنها . ولستم أنتم من هذه ولا من تلك ، وتقاطعه الاصوات ، ولكنه يصر على ان يتكلم : «ان وطنى غير وطنكم وطنى هو الذى لا يهضم حق الضعيف . وفى وسعكم ان تهشموا عظمى هشماً ، وتهشوا لحمى نهشاً ، ولكنكم لاتستطيعون ان تمسوا عقيدتى ولو كنتم الوفاً مؤلفة على واحد ضعيف»

وتتقدم منه فتاة شعثاء الشعر وتخاطبه : «أأنت فى صف أولئك الذين قتلوا فتاى ؟!» ثم تستل سكيناً وتغمدها فى صدره فيخر صريعاً

☆☆☆

فى يوم من أيام الربيع الناضرة ووسط خميلة من الاشجار الوارفة . بدأ الفجر يرسل ضوءه فى انحاء الفضاء الفسيح . وأخذت الطير تشدو باغانيها الشجية .. ووقف تمثال مور وعلى ثغره بسمة وديعة رقيقة حازمة . وفى عينيه نظرة بعيدة هادئة واثقة وعلى حافته هذه الكلمة :

«أقيم لذكرى ستيفن مور رمز الاخلاص لمبدئه»

تلخيص : عبد الحميد عبد الغني

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

الغرب بازاء الشرق

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة مودرن ثنكر.
بقلم رابندرانات طاغور شاعر الهند الأكبر]

ليس صحيحاً أن جميع الذين يسعون وراء الحقيقة يدركونها دائماً . ونحن نعلم أن أهل الغرب كثيراً ما يرتكبون الاغلاط باسم العلم . وفى الحقيقة أن الكثيرين من المفكرين يجدون اليوم علاقة وثيقة بين « الامبريالسم » ونظريات داروين التى ابتدعت ناموس بقاء الافضل . فالغربيون يتمسكون بهذه النظريات ويقولون بوجوب سيادة الشعوب الاوربية على الشعوب الشرقية . ولكن الغرب نفسه قد بدأ يستيقظ من سبات هذا الوهم ويدرك ما فى تلك النظريات من أغلاط

ومن دواعي الأسف أننا نحن الشرقيين لانرى من آثار علاقات الغرب بالشرق سوى علاقة استغلال الاول للثانى . وبعبارة أخرى أن تلك العلاقات هى تجارية مادية . ولهذا السبب لانرى من آثار علاقتنا بأوربا غير القوة المادية تبدو لنا من خلال كل خطوة من خطوات تلك القارة وكل عمل من اعمالها . وهذا مايثير فينا نفوراً واشمئزازاً عظيمين . حتى انك لاتجد اليوم فى آسيا أحداً إلا وفى نفسه من أوربا مرارة عظيمة وهو ينظر الى الغرب كله بعين الشك والارتياب . ولقد مر بنا زمان كنا معجبين فيه باوربا كل الاعجاب ومأخوذين بجمالها وعظمتها . وكنا يومئذ نعتقد أن مهمتها العظمى فى هذا العالم هى التبشير بانجيل الحرية والاخاء والمساواة . ذلك لاننا لم نكن نعرف أوربا يومئذ إلا عن طريق مؤلفيها وكتابها وشعرائها . وبالتدريج وبمرور الزمن أصبحت آسيا وأفريقا مطمح أنظار أوربا ، إذ صارت هذه تنظر الى تينك القارتين كما ينظر الصياد الى طريدته وتسعى الى استغلالها لترويج متاجرها فيهما . وقد ألجأها هذا الطمع الى الاستزادة من الجيوش والمعدات الحربية فهى من هذا الوجه قد نمت وتقدمت كثيراً ولكن سمعتها الادبية نقصت وساءت

أما الذين يستغلون غيرهم فيشعرون من نحو الذين يستغلونهم بشيء من الاحتقار . وكلما امعنوا فى استغلالهم امعنوا فى احتقارهم . وشعوب أوربا تحاول اليوم استغلال شعوب الشرق ، وقد قسمت العالم أقساماً تستغل كلا منها بدوره ،وقد تعلم الشرق من ارتباطه بالغرب ومن علاقاته به انه — أى الغرب —

ذو كفاية نادرة وقدرة على عمل كل شيء . ومن دواعي الاسف أن البعض يؤلهون تلك الكفاية . فمثلهم فى ذلك مثل الوثنيين الذين كانوا يصنعون لهم أصناماً بأيديهم ثم يعبدونها . على أن الشرق قد انتبه اليوم وادرك الخطر الذى يتهدده من جراء ذلك فأخذ ينكر على الغرب دعواه ويرفض التسليم له بأنه ارقى منه ادبياً

ولا جدال فى أن «الانسانية» الغربية ، اذا لم تؤثر فيها الصلات غير الطبيعية التى تربطها بالشرق ، هى ذات سلطان ادبى عظيم ، وهذا السلطان هو مصدر وحى للانسان يرشده فى طريقه ويسدد خطاه . والغريب اننا قد اعتدنا عندما يوبخنا أحد على سلوكنا الادبى أن نشير بأصبعنا الى الغرب ونكشف له عن أغلاط فيه اكبر من أغلاطنا ، ولكن ارتكاب أمرىء لجريمة لا يسوغ لغيره أن يرتكب مثلها . ثم إن قوى الخير فى الغرب لم تمت بل لاتزال حية تناضل وتكافح قوى الشر . ومع أن جذور العصبية القومية متأصلة فى أوربا فان الشعور بان الامم كلها أسرة واحدة قد ابتدأ يستيقظ ويتحرك وان كان مايزال ضعيفاً حتى الآن . اما المجردون من كل شعور وعاطفة فسيظلون متمسكين بالمادة أبد الدهر وسيواصلون السير فى طريقهم المعوج

ولا ريب أنه يصعب على المرء أن يصف الغرب بالشعور الانسانى السامى وهو يرى مدنيته ملوثة باقذار التعصب الجنسى الذميم — ذلك التعصب الذى نرى آثاره فى أنحاء كثيرة — فى الحرب العظمى الماضية وفى اعتداء البيض على الزنوج فى اميركا وفى غير ذلك . ومع ذلك فان لمدنية الغرب حسنات كثيرة يجدر بنا اقتباسها ، غير آذنين للسياسة فى اعمائنا عن الحقائق ، جاعلين العقل النقطة التى يجب ان تجتمع عندها جميع الشعوب والاجناس مادامت الاديان لا تستطيع الجمع بينهم

ان انتشار التجارة بين الدول المختلفة واتساع نطاقها وازدياد وسائل المواصلات البرية والبحرية والجوية الى غير ذلك من العوامل ، كان يجب ان تقرب البشر بعضهم من بعض وان توثق الصلات والروابط بينهم . ولكن هذه العوامل كثيراً ما أدت — وياللاسف — الى عكس ذلك، اذ كثيراً مانشأ عنها احتكاك شديد بين الشعوب ادى فى احوال كثيرة الى امتشاق الحسام . ومع ذلك فليس فى الامر ما يدعو الى اليأس لان الشعور الانسانى والضمير الانسانى لايمكن أن يموتا . نعم إنهما قد يضعفان زمناً ولكن لابد أن يجيء يوم يعودان فيه الى حالتهما الطبيعية والى قوتهما الاعتيادية . وفى الحقيقة انه مع كثرة ما نرى من مطامع الانسان فى هذا العصر ، نرى أيضاً من الجهة الاخرى شعوراً يقوى مع الحق . وهذا دليل على قوة الضمير فى الانسان ، وهنا رجاء الانسانية فى مستقبل الانسان العمرانى والاقتصادى والسياسى والعلمى والادبى . وفى كل قطر من أقطار العالم نرى أشخاصاً ذوى ضمائر حية ينادون بوجوب اطلاق الحرية للشعوب لتتحكم فى مصيرها وتختار لنفسها المستقبل الذى يرضيها . ومثل هذا المبدأ الذى يجاهر به اولئك الافراد هو بدء عصر جديد وحياة جديدة بل هو أساس صرح جديد للحضارة البشرية قائم على التفاهم المتبادل بين الشعوب

فلسفة البكاء

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة البسيكولوجيا والوحي . بقلم جـورج ايرت]

قال لى « هنت » الشاعر الانجليزى : « لقد خلق الله الضحك والبكاء وجعل كلا منهما لغاية حيدة . فكما أن الضحك يتيح للمرح والحبور أن ينطلقا من كل قيد ، كذلك البكاء يتيح للحزن أن ينصرف بسلام . والدموع تمنع الحزن من أن ينقلب يأساً وجنوناً »

لا شك أن كل امرأة تبكى . وقد يكون البكاء عادة متمكنة عنها . والمرأة المستجمعة لصفات الانوثة ربما لاتبكى بسهولة ، ولكنها تبكى لاسباب كثيرة . وهى تبكى فى السر ولا تدع احدا — ولا أعز المقربين اليها — يدرى ببكائها ، ومع ذلك تذرف الدموع المدرارة لان الغدد التى تفرز تلك الدموع متمرنة على الافراز — شابة كانت المرأة أم كهلة أم عجوزا

وما بكاء المرأة إلا تعبير عن بعض ما يختلج به فؤادها من احساسات وانفعالات . وهذا « التعبير » يصبح بمرور الزمن عادة راسخة ، ولكن وراءه دافعاً نفسانيا له كل ما يسوغه . وهذا تعليل ما نسمعه من بعض الفتيات حين يقلن : « لقد بكينا فسرى عنا » وليس ثمة ما هو أصدق من هذا القول ، فان البكاء كثيراً مايفرج ضيق صدر المرأة ويخفف حزنها . فهو نافع لها من كل وجه.

أجل ان المرأة تبكى ولا تخجل من البكاء . والدافع لها على البكاء أمور كثيرة . فهى تبكى اذا انتابها الحزن أو تولاها الغضب أو ثارت فى داخلها العواطف أو استفزتها دواعى الغرام أو رأت على المسرح مشهداً يثير انفعالها أو سمعت لحنا موسيقيا محزنا أو ما الى ذلك من الدوافع التى لها علاقة بالعواطف والمشاعر والانفعالات . وقد قالت إحدى النساء : « إننا معشر الجنس الضعيف قد تندى عيوننا لأتفه الاسباب وأوهاها . فكأن شيئا فى داخلنا يفيض حتى يطفح الى الخارج »

ولاحاجة الى القول ان البكاء يخفف لوعة الحزن وان المرأة تجد فى سكب الدموع مايشبه اللذة. فالثورة التى تقوم فى نفسها والنار التى تتأجج فى داخلها لايطفئها إلا سيل الدموع . وهذه الدموع تنشىء فى النفس مايشبه شعور اللذة والارتياح

وعليه فالبكاء نافع من الوجه الصحى . وكفى بهذا سببا لتشجيع المرأة على اعتياد سكب الدموع ، بل البكاء فضيلة فيها

وليس معنى ذلك انه يجدر بالمرأة ان تبكى فى كل حالة ولأى سبب كان ، فالبكاء اذا كان تباكيا (اى تكلفاً) عجز عن ابلاغ المرأة الغاية التى تقصد اليها لانه يصبح إذ ذاك وسيلة ميكانيكية ذا غاية دنيئة فيفقد قيمته وما قد يكون له من مزية

وهل ثمة شك فى ان المرأة التى تبكى عند مايجب البكاء تشعر بحاسة الارتياح وبأن البكاء يسرى عنها ويفرج كربتها وضيق صدرها ؟

فلنشجع إذاً الدموع فى المرأة ولنمتدح فيها عادة البكاء بشرط ألا يشوبها التكلف والتصنع ولنعلم ان البكاء لها أشبه بصمام الامان. نعم لقد تحررت المرأة ونالت جانبا كبيرا من حقوقها. ولكنها فى الحقيقة مازال مضغوطا عليها مهضومة الحقوق رازحة تحت قيود كثيرة خلقية وطبيعية، وهذا مايجعلها أغزر عواطف من الرجل. ولا شك ان الضغط الذى قد وقع عليها بمرور الاحقاب قد جعلها ادق احساساً وأكثر انفعالا بحيث لا تجد حداً لعواطفها وانفعالاتها. ومهما وزعت تلك العواطف والانفعالات بين احبابها واصدقائها وأهلها بقى لها منها الشيء الكثير. وفيض هذه العواطف هو الذى يدفعها الى البكاء. وما دام البكاء المنفذ الطبيعى للانفعالات النفسانية التى ترزح تحت ثقلها فالواجب تشجيعها على البكاء.

على ان هناك نساء يشعرن بما يشبه الخجل من البكاء لزعمهن ان الدموع دليل على الضعف، ولا شيء ابعد من هذا عن الحقيقة إلا اذا كان البكاء تكلفا يراد منه استفزاز عطف الآخرين وشفقتهن فقط. فالدموع الكاذبة انما يراد منها اكتساب المنفعة عن طريق الاحتيال. وفى هذا من الدناءة مافيه. ولا شك ان المرأة التى تلجأ الى البكاء على هذا الوجه لا تشعر بأن البكاء يريحها أو يسرى عنها بل بالعكس كثيراً ما تشعر بعد البكاء بانها أسوأ حالا مما كانت من قبل. ولقد تثور ثائرة الزوج اذا رآها تبكى وادرك ان بكاءها تكلف لا يستند الى اساس صحيح. وكلما زادت بكاء زاد غضباً وهياجاً

وهنا يجول ببالنا هذا السؤال، وهو: لماذا لا يبكى الرجال عادة؟

الجواب عن ذلك ان الرجل يخجل من البكاء. وفيض العواطف النفسانية التى يجب ان تحمله على البكاء ينصرف الى الغضب فيصرفه عن سكب الدموع. ولا يعزب عن البال ان الرجال اقل واضعف عواطف من النساء وهم لا ينفعلون بمثل السرعة التى تنفعل بها النساء. وبكلمة اخرى انهم يستطيعون ضبط عواطفهم والتحكم فيها اكثر مما تستطيع النساء، وقد قضت الطبيعة بان يكونوا اقل حاجة الى الحياة العاطفية من الجنس الضعيف. ومع ذلك فهنالك مواقف يجدر بالرجل أن يبكى فيها. واذا كان الرجل لا يجد فى البكاء اللذة التى تجدها فيه المرأة فلأن الرجل لم يعتد سكب الدموع. وهذا ما يجعل بكاءه ادعى الى الضحك والسخرية

فليبك كلا الرجل والمرأة كلما ارادا ذلك وليكن بكاؤها سراً لا علناً لان المراد بالبكاء هو التسرية عن النفس لا الاعلان او التأثير فى الآخرين او استفزاز عواطف الغير. وحبس الدموع مضر بشهادة الاطباء وفيه اجهاد للاعصاب. ولاشك ان سكب الدموع اشبه شيء بفتح صمام الامان لينطلق البخار ويزول الانفجار

مغزى الخوف

[خلاصة مقالة نشرت في رسالة الاخبار العلميـة . بقلم السيدة دي واتر]

قد يطبق عليك الظلام الحالك وأنت فى غرفتك فى منتصف الليل تصغى الى كل صوت وتتنبه لكل حركة ، فاذا سمعت حفيفاً خيل اليك أن على مقربة منك رجلا يحاول الدنو منك فتشعر شعوراً غريباً يخالجه شيء من الهلع وتريد الوقوف على الحقيقة

وقد تشعر بالهلع اذا انطلق بالقرب منك عيار نارى أو دنا منك كلب هائج أو هاجمك حيوان شرس . أو اذا اعترض سبيلك ولد وأنت تسوق أوتوموبيلك فلا ينجو من الموت إلا باعجوبة فتشعر إذ ذاك بان جسمك كله يتصبب عرقا وبان قلبك ينبض نبضات مسرعة

أمثال هذه الامور تقع لكل امرىء فى الحياة . فما من أحد إلا وقد وجد نفسه فى يوم من الايام فى موقف يقف له شعر الرأس . ولا شك أن بعض الاشخاص هم أكثر تعرضاً للشعور بالخوف من غيرهم . ويدل الاختبار على أن المرأة أسرع الى الخوف من الرجل . فقد قام بعض العلماء بدرس هذه المسألة وحاولوا أن يعرفوا كيف يكون شعور كل من الرجل والمرأة فى مواقف الهلع ، فاتضح لهم أن بين « الجنس » والهلع علاقة كبيرة وأن جنس المرأة أقرب الى التأثر والانفعال من جنس الرجل . وليس ذلك فقط بل قد أثبت البحث أن الرجل أشجع من المرأة وأقل خوفاً منها بوجه الاجمال

وقد كان بعض علماء النفس يعتقدون ان المرأة أبعد عن الغضب من الرجل واهدأ طبعاً وأكثر رزانة . ولكن البحث الحديث لايدل على صحة هذه النظرية بل على عكسها فهو يثبت ان المرأة اسرع الى الغضب والانفعال من الرجل

على أن هذا الانفعال الدال على سرعة شعور المرأة بالخوف ليس ناتجا عن الخوف بالمعنى الذى نعرفه نحن . أى أنه ليس مظهراً من مظاهر الجبن ، بل هو مظهر من مظاهر الرغبة فى معالجة الحالة التى قد تجد المرأة نفسها فيها . وكلا الخوف والغضب الذى يستولى عليها دليل على تنبه عضلاتها وانهماك ذهنها ورغبتها فى العمل للخلاص من الموقف الحرج الذى تجد نفسها فيه

وقد يتوهم القارىء أن الخوف والغضب صفتان متناقضتان مع انهما فى الحقيقة خلاف ذلك على مايقول علماء النفس ، إذ هما مظهران مختلفان لشيء واحد . وربما كان أحدهما متمما للآخر كما أن الشكل المقعر متمم للشكل المحدب . فكلا الخوف والغضب هو التدبير الذى رسمته الطبيعة لمعالجة بعض الحالات الفجائية غير المنتظرة . واذا كانت نتيجة الخوف الفرار من الميدان ، ونتيجة

الغضب الحرب والكفاح ، فان اختلاف هاتين النتيجتين يرجع الى عوامل مختلفة لا الى كون الخوف والغضب حاستين متناقضتين . والدليل على ذلك أن بعض الحيوانات الشرسة قد تهرب اذا فوجئت بحركة غير منتظرة ،ولكن سرعان ماتنقلب من حالة الفرار الى حالة الغضب والكفاح . فلو كان الخوف والغضب حاستين متناقضتين كما يزعم البعض ما انقلبت تلك الحيوانات من احداهما الى الاخرى بمثل تلك السرعة

واذاً فجنوح الجنس الضعيف الى الخوف والغضب بأسرع من جنوح الجنس القوى اليهما ليس دليلا على الجبن والضعف بل على القوة . والمرأة التى قد حبتها الطبيعة قوة الصبر والجلد والاحتمال أكثر من الرجل لايمكن وصفها بالجبن والضعف . وما الخوف الذى يبدو عليها فى بعض الحالات إلا مظهر من مظاهر الغريزة التى أوجدتها فيها الطبيعة وهى الحرص على النوع والمحافظة عليه من عوامل الفناء . ولا شك أن لعوامل البيئة والتهذيب والتعليم تأثيراً كبيراً فى اظهار هذه الصفة أو اخفائها . فتربية المرأة ترمى الى اظهارها حالة أن تربية الرجل متجهة الى جهة أخرى

خذ الولد فى بدء أطواره ، تجد أن المشرفين على تهذيبه يبذلون الجهد منذ أول الامر ليغرسوا فيه حاسة الشجاعة ويطردوا منه صفة الخوف . فكلما رأوا منه عملا يدل على الشجاعة امتدحوه ولشطوه . وبالعكس اذا آنسوا منه مايدل على الجبن فانهم يوبخونه عليه ويحاولون ابعاده عنه . على انهم قد يتغاضون عما يبدر منه من بوادر الغضب لاعتقادهم أنه مظهر من مظاهر الرجولة ، حالة انهم لا يعطفون على اظهار المرأة للغضب لاعتقادهم أنه من شأن الرجل فقط . والفكرة فى حد ذاتها خطأ ، ولكن الاجماع قد جرى عليها منذ أول عهده الى الآن

ومن الحقائق التى قد توصل اليها علماء النفس أن الولد الوحيد هو عادة أشجع من الولد الذى ليس وحيد أبويه . وأن الابن البكر أشجع من اخوته . والارجح أن سبب ذلك يرجع الى كون الابن الوحيد ليس له اخوة أو اخوات يقاومونه وأن الابن البكر يشعر بسلطة طبيعية على أولئك الاخوة والاخوات . أما الفتاة التى تكون وحيدة والديها أو بكرهما فلا تشعر شعور الولد الوحيد أو البكر وانما تكون عادة أسرع الى الغضب والانفعال

وبعبارة أخرى أن الولد البكر مثلا يشعر شعوراً طبيعياً عند مايكون مع اخوته بأنه مسئول عن الدفاع عنهم . وهذا الدفاع يقتضى الشجاعة . أما الفتاة التى تكون بكر والديها ولها اخوة واخوات فتكون عادة أسرع الى الغضب والانفعال لان موقف اخوتها واخواتها بازائها قد يضايقها ويحرج صدرها . ومن عادة الصبيان أن يرفضوا الخضوع الذى يحسبونه عبودية فموقفهم بازاء اختهم الكبيرة يزرع فى نفسها بزور الغضب

ومن المحتمل أن يكون بين حاستى الخوف والغضب من ناحية والذكاء من ناحية أخرى

علاقة ثابتة . ولكن العلماء لم يستطيعوا اثبات هذه الحقيقة حتى الآن . وانما هم يعتقدون أن صفة الجنوح الى الغضب بسرعة مما قد يكون عقبة فى سبيل التحصيل ، لان تلك الصفة لاتتفق والذكاء الطبيعى . نعم إن هنالك أدلة غير قاطعة على أن التأفف والغضب الذين يظهرهما التلميذ بازاء مسألة حسابية قد يساعدانه على حلها . ولكن هنالك أدلة أقطع على أن مثل ذينك التأفف والغضب يعوقان حل تلك المسألة . والارجح أن الاستسلام الى الغضب يعوق الذكاء ومثله الاستسلام الى الخوف

وهذا يأتى بنا الى وجه آخر من وجوه المسألة وهو علاقة لون الشعر بحاستى الخوف والغضب ثم بصفة الذكاء . فالبحث والاستقراء يدلان على أن أصحاب الشعر الاسود هم أسرع الى الغضب من أصحاب الشعر الاشقر أو الكستنائى . وهذا الحكم يجعل سكان البلاد الواقعة على حوض البحر الابيض المتوسط أميل الى الغضب من سكان أوربا الشمالية وبالتالى أوفر ذكاء منهم . والارجح أن الجنس البشرى الذى يمتاز بضيق الجمجمة هو أسرع الى الغضب والانفعال من غيره من أصحاب الامزجة الليمفاوية الذين يمتازون بهدوء الطبع والبعد عن الغضب . والمعروف أن الشعوب الساكنة حوالى البحر الابيض المتوسط هم أسرع الشعوب الى الغضب والانفعال

وفى جميع ذلك نرى الفرق واضحاً بين الرجل والمرأة . فالرجل ابطأ شعوراً بالخوف والمرأة أسرع الى ذلك الشعور . وليس منشأ الخوف فى المرأة هو الجبن بل الرغبة فى معالجة الحالة الطارئة التى تفاجىء المرأة ، والعمل على النجاة من تلك الحالة . ومن السهل أن يميز الانسان بين حالتى الخوف والغضب ، وإن يكن هذا التمييز بينهما فى بعض الاوقات متعذراً . واليك طائفة من الحالات التى تشعر فيها بالخوف وأخرى من الحالات التى تشعر فيها بالغضب . وطائفة ثالثة من الحالات التى تشعر فيها بالخوف والغضب معا

فانت تشعر بالخوف اذا هاجمك حيوان مفترس أو زلت قدمك وانت على جرف هار أو توقعت قذف النيران والغازات الخانقة عليك أو شهر اللص مديته فى وجهك . وتشعر بالغضب اذا أهانك أحد أو ضربك أو سرق متاعك أو لم يحفظ الميعاد الذى ضربه لك أو أقلق راحتك فى الليل لسبب تافه . وتشعر بالخوف والغضب معا اذا هاجمك عدو تكرهه وأنت تعلم انك ضعيف بازائه . ففى هذه الحالة يغطى الخوف الغضب . أما فى المرأة فقد يكون ذلك الخوف وذلك الغضب مظهراً من مظاهر الاحتيال على معالجة الحالة الطارئة للخلاص منها

دفاع عن المتشائمين

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
مودرن ثنكر. بقلم باول ايلدريج]

ينظر الناس الى جماعة المتشائمين بعين الريبة والازدراء ويثيرون حولهم الشكوك والشبهات . والحقيقة التى لا مراء فيها ان للتشاؤم فلسفة خاصة لا يدركها الا القليلون . وقد جرى الناس على تشويه هذه الفلسفة واظهارها بمظهر التذمر والتأفف من كل شيء

ومن الحقائق المعروفة أن المرء يقضى عمره متعللا بالآمال ، ولكنه يموت باليأس وهو يعتقد أن هذا النصيب محتوم عليه وأنه مضطر الى هذه التضحية لانه يتجاهل حقائق الحياة . فهو من المهد الى اللحد يتعلل بالاوهام . ولعله هذا هو سبب الكثير مما يصادفه من الخيبة والفشل . فهو أبداً يطلب المحال ، وإذا لم يحرزه ذهب يبكى وينتحب ويشكو الزمان

ان التشاؤم هو فلسفة الحقيقة لانه يؤكد لنا بأسلوب لا يقبل الشك ان الحياة شر لابد منه وان الانسان يولد بالآلام ويقضى عمره بالآلام ويموت بالآلام . وإذا تخلل حياته شيء من المسرات فعلى سبيل الاتفاق فقط . وفى الحقيقة أن الانسان يقضى عمره وهو يبنى قصوراً فى الهواء ، فاذا دنا أجله انهار ما بناه وأدرك ان مجموع المسرات التى تمتع بها لا تزيد على الصفر

أما المتشائم فلا يشعر بالخيبة لانه لا يرجو ان يفوز بالسعادة بل هو لا يؤمن بها والطوارىء المحزنة لا تؤثر فيه لانه أبداً يتوقع حدوثها فلا تأخذه على حين غرة . وإذا كان له شيء من الامل فهو ضمن الحدود المعقولة التى تتفق والحقيقة . وبعبارة أخرى — أنه يعرف المثل الذى يقول : « لا وردة بلا شوكة » ويعرف أن هذا المثل لا ينطبق على عالم النبات فقط بل يتناول نظام الاجتماع بحذافيره : فهو يدرك قيمة الجمال ولكنه لا يتجاهل ما يمازجه من المشوهات . ويعرف اللذة ولكنه لا يعمى عما يخالجها من آلام

والحكمة — وهى تختلف عن الذكاء كل الاختلاف — لا تخلو من عنصر التشاؤم بل ان التشاؤم هو قوامها . وقد كان كبار الانبياء ومؤسسو الاديان متشائمين بكل ما لهذه الكلمة من معنى . لانهم كانوا يدركون مآسى الحياة وأثرها فى الانسان . ولهذا وقفوا أنفسهم على شفاء جروح الانسانية

ومن غرائب المتناقضات ان المتفائلين أشد بكاء ونحيباً من المتشائمين . وتعليل ذلك أنهم يقضون أيامهم متعللين بالسعادة وإذا خابت أمانيهم وتلاشت أحلامهم انقلبوا الى العويل والنحيب ساخطين على الاقدار . فهم إذن يعيشون فى عالم الاوهام التى يتعذر تحقيقها

ثم أن التشاؤم هو فلسفة التعزية فالمتشائم قد يؤمن . بوجود السعادة ولكنه بطبيعته لا يطمع

فى نيلها ، ولذلك لا يشعر بالخيبة من جرائها . وبعبارة أخرى أنه يعرف أن فى العالم أسباب مسرات كثيرة ولكنه لا يحزن إذا لم تتحقق تلك الاسباب . أى أنه لا يكترث اذا لم يقدر له الفوز . وهو يعلم ان الانسان يقيس سعادته بشقاء غيره ، وان الاشقياء يجب ألا يتذمروا من حالتهم لان الحياة كلها سلسلة من الاحزان والفواجع التى ليس لها أول ولا آخر . وإذا أدرك العاقل هـذه الحقيقة أصبح لا يتأثر بالاحزان . ولهذا ترى بعض الشعوب الشرقية كالهنود والصينيين وغيرهم مطبوعين على خلق التشاؤم وهم أكثر قناعة بحظهم من شعوب الغرب المطبوعة على التفاؤل

وليس التشاؤم مظهراً من مظاهر الاستكانة كما قد يتبادر الى ذهن البعض . فكثيراً ما يكون المتشائم من أشد المجاهدين المناضلين يمتاز بالشجاعة والاقدام ولا يعرف معنى للخوف ، وهو يعرف الغاية التى يسعى اليها ويعلم أن دون الوصول اليها خرق القتاد . وليس ذلك فقط بل هو مستعد للقيام بالتضحية اللازمة فى سبيل الوصول الى تلك الغاية فان دون الشهد ابر النحل . أما المتفائل فيقول ان المتشائم لايعرف سوى الاستكانة وان بينه وبين الانتحار خطوات . ولكن المتشائم ينكر ذلك ويقول انه يتمتع بالحياة أكثر مما يتمتع بها المتفائل لان هذا لا يرجو سوى السعادة حالة ان المتشائم يعلم ما يحيط بازهار اللذات من أشواك . وبعبارة أخرى ان المتفائل يشبه موسى عند ماضرب الصخرة فتفجرت . فهو يرجو أن تتفجر كل صخرة يلمسها وان يخضر كل سهل تحت قدميه . وهو ينسى أو يتناسى ان ما فعله موسى كان أعجوبة وان العجائب هى خروج على نواميس الطبيعة

اننا نعرف قيمة الاشياء بمقابلتها باضدادها وقد قال الشاعر : « وبضدها تتميز الاشياء » . فنحن ندرك قيمة النور بمقابلته بالظلام ، وندرك قيمة الحلو بمقابلته بالمر ، وندرك قيمة الجمال بمقابلته بالدمامة . على أننا لا ندرك قيمة الحياة لاننا يجب أن نقابلها بالموت ونحن لا نعرف ما هو الموت

ان التشاؤم هو ان تنظر الى الاشياء نظرة سوداء وعكسه التفاؤل . ومما يجدر بالذكر أن المتفائل لا يسعى وراء الحقيقة ولكنه يسعى وراء تحقيق آماله وأحلامه — وان تكن تلك الامال والاحلام أقرب الى الاوهام منها الى الحقائق . وبكلمة أخرى ان المتفائل لا يميز بين الحقيقة والخيال . فحياته أقرب الى الخيال وهـذا ما يجعل تحقيق غاياته أصعب وأبعد . ولذلك تراه يطلب السعادة ولكنه لا يسلك اليها الا طريق الشقاء . أما المتشائم فيعلم أن مشاكل الحياة لا يمكن حلها بازدرائها أو باحتقار شأنها . والانسان الذى يتوقع الصعاب تهون عليه الصعاب . وأما الذى لا يتوقع إلا السهل فان ظهور الصعاب فى طريقه يفت فى عضده ويلقيه بين أحضان الفشل . والسلاح الوحيد الذى يستطيع المرء أن يقاوم به الشدائد هو أن ينتظر وقوعها لا أن يتجاهلها . والقائد الذى يخرج للقتال اذا لم يحسب للمفاجآت والصدمات حساباً لا يمكن ان تنجح خططه

الحاسة السادسة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة اتلانتك
مونثلي . بقلم ارنست كالكنس]

قام كاتب هذه السطور بعدة مباحث واسعة النطاق لادراك كنه تلك الحاسة الغريبة التي يتمكن الاعمى والاصم بواسطتها من الاستعاضة عن حاستي البصر والسمع — تلك الحاسة التي يسميها بعضهم « الحاسة السادسة » ويسميها غيرهم « الحاسة المعوضة » وقد وقفت في اثناء قيامي بتلك المباحث على بيانات ومعلومات غريبة . من ذلك مارواه واحد ممن يوثق بصدقهم وهو أن رجلا اعمى من متخرجي معهد بركنس الاميركي للعميان يدعى « بنسون » ركب ذات ليلة قطار السكة الحديدية راجعاً الى بلدته . ولما وصل القطار الي المحطة التي يجب أن ينزل فيها نزل وسار الى بيته ماراً ببلاد ريفية . وظل يسير ستة اميال (أو أكثر من تسعة كيلو مترات ونصف كيلو متر) في وسط الحقول والغيطان حتى وصل الى بيته من دون أن يستدل عليه من عابر سبيل

وروت سيدة من أهالي ولاية كونكتكوت أن عمها كان صياداً واصيب بالعمى ومع ذلك ظل يمارس مهنته فيخرج بالقارب وحده ويبتعد عدة أميال عن الشاطىء حتى في الليل ثم يعود الى المكان الذي أقلع منه

ووصف أحد الطلبة العميان القوة الغامضة التي يستعين بها الاعمى على معرفة اتجاهه وتلافي العثرات في أثناء سيره فقال : « انها قوة كامنة توجد في كل انسان وبواسطتها يميز الاشياء ولو لم يستعمل حاستي البصر واللمس . وان الاشياء غير العاقلة تنبعث منها مؤثرات غامضة يعرفها الجسم ويعمل بموجبها »

وقال أحد العميان : « اذا سرت في الطريق فاني اسمع « صوت » الشجرة أو عمود المصباح أو ما الى ذلك فكأن لتلك الشجرة أو لذلك العمود « صوتاً » خفياً ينبهني على الخطر ويجنبني اياه . فتنقبض عضلات وجهي وتظل منقبضة مادمت في منطقة الخطر فاذا خرجت منها زال ذلك الانقباض »

ان هذه القوة الغامضة التي يتمتع بها الاعمى هي حقيقة علمية معروفة . وقد روى العلماء أمثلة كثيرة تؤيدها . وروى أحد الصحفيين الاميركيين ان رجلا من أهالي مدينة بلونتفيل يدعى بارجر وقد ولد أعمى كان يتاجر بالخيل ، وكان لشدة ممارسته هذه التجارة يعرف وقع حوافر كل حصان في بلدته . فكان اذا أقدم الفلاحون راكبين خيلهم يخاطب كل فلاح باسمه قبل أن يفاتحه هذا بكلمة إذ كان يعرف الفلاح من وقع حوافر حصانه . وليس ذلك فقط بل كان اذا وضع يده على الحصان عرف عنه من الصفات ما قد يخفى على المبصر

وأغرب منه أعمى آخر يدعى هوكس كان يستطيع معرفة لون الحصان من امرار أصابعه على جلده . وقد علل بعضهم هـذه الحاسة الغريبة بقولهم ان بعض الالوان تجعل شعر الحصان ليناً أو خشناً وان حاسة اللمس – كغيرها من الحواس – تستدق بحيث يستطيع الاعمى بواسطتها أن يميز بين الالوان

وفى اواسط القرن الثامن عشر اشتهر فى بلدة دمفريز باسكوتلندا رجل أعمى يدعى ويلسون كان يحمل أعمدة طويلة من الخشب أفقياً على كتفه ويسير بها فى شوارع البلدة الضيقة بسرعة مدهشة وهو يتلافى المارة بخفة ورشاقة عظيمتين فلا يمس أحداً كأنه رجل مبصر . وكان هذا الرجل يعيش منفرداً وكانت غرفة نومه مرتبة ترتيباً يدل على كثير من حسن الذوق

ويقول أحد الثقات فى مسائل العميان : « ان هنالك أشياء يظهر فيها بعض المنكوبين بفقد البصر مقدرة فائقة يتعذر تعليلها وهي أدعى الى الدهشة من تمييز الالوان عن طريق لمسها ، فمن ذلك أن بعض العمي يستطيعون سلك الخيط فى الابرة بأن يضعوا طرف الخيط على اللسان ويضعوا الى جانبه طرف الابرة (من جهة سمها) وبذلك يتمكنون من سلك الخيط فى الابرة . ومنهم من يستطيع اصلاح بعض الآلات الدقيقة – كالساعة وآلة الكتابة وغيرهما – بأن يستبدل بعض الاجزاء الدقيقة بغيرها . وبعضهم يستطيع ان يمر يده على صفحة اعتيادية مطبوعة فيعلم تماماً أين تكون الكتابة وأين يكون الفراغ ويستطيع أيضاً امرار أصابع يده على هامش تلك الصفحة الأبيض حيث لا توجد أية كتابة »

ان أمثال الاعمال المدهشة التى أشرنا اليها معروفة عند الكثيرين وبعضهم يأبى أن يعللها بوجود « الحاسة السادسة » فى الانسان بحجة أن فى استطاعة أى انسان أن يكتسبها بطول الممارسة والاختبار . وهي من قبيل الخبرة التى يكتسبها « متذوقو » الخمور أو الدخان إذ يستطيعون أن يميزوا بين اصناف الخمور أو الدخان . وطائفة « المتذوقين » فى بعض البلدان يربحون الاموال الوفيرة

ويعلل بعض العلماء قدرة الرجل الاعمى على السير فى طريقه بقوة كامنة يسمونها « الذاكرة العضلية » . فالاعمى قد يستطيع السير فى طريق غير مألوف مسترشداً بتقلص عضلات وجهه وجسمه أو بتمددها وبذكريات مرتبطة بذلك التمدد أو التقلص . ولكن هذه القوة لا تعلل كيف يستطيع ذلك الاعمى أن يشعر بوجود شخص غريب من دون أن يتكلم هذا الشخص أو يبدى أية اشارة تدل على وجوده . كما أنها لا تعلل احساس الاعمى فى أغلب الاحيان التى يكون فيها مهدداً بالاخطار بانه محاط بذلك الخطر من دون أن تبدر أية بادرة يشعر بها أحد . حقاً أن أمثال هذه الظواهر لايمكن تعليلها إلا بقولنا انها خاضعة لتلك الحاسة الخفية التى لانعلم من كنهها شيئاً والتى نسميها « الحاسة السادسة » وجدير بعلماء النفس أن يوجهوا جهودهم الى هـذه المسألة لا كتناه سرها الغامض إذ لابد أنها خاضعة لناموس طبيعى مجهول

هل هنالك جنس ثالث ؟

[خلاصة مقالة نشرت في جريدة برليغ تاجبلات . بقلم يواكيم همرانج]

مهما تعددت أجناس البشر وطوائفهم فان التقسيم الاساسي الذي يقوم عليه الاجتماع هو جنسا الذكر والانثى . وليس ثمة أي احتمال لوجود جنس ثالث يعبر عنه البعض بكلمة أخنث أو خنثى

ومما لا شك فيه أن الانسان والحيوانات العليا والنباتات العليا لا تشتمل الا على جنسي الذكر والانثى . ولكل منهما صفات وخواص معروفة ليس هذا مجال الخوض فيها . فالذكر ينتج مادة الذكر والانثى تنتج المادة الخاصة بها وباتحاد هاتين المادتين ينتج النوع

على أن هنالك أنواعاً من النباتات والحيوانات السفلى تمتاز بأن كل فرد من أفرادها ينتج خلايا كلا الجنسين — الذكر والانثى — وتسمى الخنثاوات . فالحيوانية منها تسمى «أرموفريديت» والنباتية « أندروجين » . وقد حسب بعض العلماء هذا النوع من النبات والحيوان جنساً ثالثاً قائماً برأسه بحجة أن في كل فرد من أفراد هذه الانواع قوام الذكر والانثى معاً . ولا يخفى ان النباتات الفطرية والنباتات ذات الخلايا المفردة وغيرها من النباتات التي تعتبر من أحط الانواع ، لها من مظاهر التوالد والتناسل ما يشبه النباتات العليا ، أي ان التوالد فيها يتم بتلقيح الذكر للانثى . ومع ذلك فان الخلايا الجنسية أو خلايا التوالد في بعض تلك الانواع لا يسهل تمييزها . وهذا ما حمل بعض العلماء على القول بأن هنالك جنساً ثالثاً بل جنساً رابعاً . ويسمي بعض علماء البيولوجيا هذا النوع «النوع المتعدد الاجناس» . ويقول العلماء ان اجتماع خلايا الجنسين معاً في الفرد الواحد ليس هو الحالة الاولى التي وجد فيها ذلك النوع بل هو درجة ثانية من درجات تطوره وان أصل تلك الحالة هو فرد وجدت فيه خلايا الجنسين معا « بالصدفة » — وهو ما يعبر عنه العلماء بكلمة « الطفرة »

على ان المباحث الواسعة النطاق التي قام بها العلماء في السنوات الاخيرة قد أثبتت فساد هذه النظرية . وفي الحقيقة ان تلك المباحث قد أثبتت ان بعض الانواع التي لا تدل خلاياها الجنسية على أنها ذكر أو انثى هي في الحقيقة جنسان يمتاز كل منهما عن الآخر . والدليل على هذا الفرق بينهما أن بعض أفرادها لا تتزاوج وبعضها تتزاوج . وسبب التزاوج أو عدمه وجود الذكورة في بعض تلك الافراد والانوثة في البعض الاخر . وبعبارة أخرى ان خلايا التوالد فيها — وان تكن تلك الافراد متماثلة في الظاهر تمام التماثل — هي نوعان متفاوتان أحدها قوام الذكورة والاخر قوام الانوثة . فأفراد النوع الاول إذا اجتمعت معا لا تتناسل حالة انها تتناسل اذا اجتمعت مع أفراد النوع الاخر مع ان كلا النوعين هو في الظاهر واحد . وبعبارة أخرى ان تلك الافراد هي

فى الظاهر جنس واحد لا يمكن تمييز أفراده عن غيرها ومع ذلك فان فيها عاملى الذكورة والانوثة

ومن التجارب التى قام بها العلماء لتحقيق هذه المسألة انهم جاءوا ببعض أفراد النوع المعروف « بالدوناليلا » — وهو من ذوات الخلايا المفردة — ووضعوها فى بيئة خالية من مادة الفوصفور فانقلب لونها احمر . ولما وضعوها فى بيئة غنية بالفوصفور انقلب لونها أخضر . وقد ثبت ان تغير لونها دليل على تغير جنسها فبينما هى لا تتزاوج ولا تتوالد إذا كانت من لون واحد فانها تتوالد بكثرة إذا كانت من لونين مختلفين

ومما يجدر بالذكر أن المباحث العلمية الاخيرة تدل على أن الاجناس المعروفة بالخنثى والتى تبدو أفرادها فى الظاهر متماثلة تمام التماثل هى فى الحقيقة اما ذكور واما اناث . وهــذا دليل قاطع على أن تقسيم الاحياء الى ذكور وإناث أمر لا بد منه لقيام الاجتماع وانه عامل لا بد منه فى الاحياء

من ألغاز الطبيعة

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة ريدرز دیجیست . بقلم تشارلس ثمان]

وقف أعضاء بعثة شكلتن على ظهر باخرتهم فى منطقة القطب الجنوبى يراقبون غياب الشمس فى الافق . وما كان أشد ذهولهم ! فانه بعــد أن توارت الشمس وراء الافق عادت فظهرت مرة أخرى ثم توارت ثانية . ولم يستطع العلماء الذين رافقوا البعثة يومئذ أن يعللوا تلك الظاهرة الغريبة . ولكن العلم يستطيع تعليلها اليوم فهى أثر من آثار السراب الذى يعرفه الكثيرون

ان فى الطبيعة الغازاً كثيرة يستطيع العلم تعليلها الا أن فيها الغازاً أخرى لم يتمكن أحد من حلها حتى الآن . فالعلم يؤكد لنا ان بحر الظلمات الذى لا يبعد كثيراً عن جزائر الكنارى والذى لا تزال بعض السفن تخشى الدنو منه ، انما يكتسب اسمه من سحب الغبار الذى تثيره فى سمائه رياح الصحراء الكبرى . وكذلك يستطيع العلم ان يعلل لماذا تبدو حافة الشمس العليا أحياناً خضراء زاهية قبيل الغروب . ولماذا تنفجر بعض الآبار العميقة قبل حــدوث الزوابع . ولماذا تجمد بعض الانهار من أسفلها ثم يتدرج تجمدها صعوداً الى السطح . ولماذا . . . ولماذا . . . ولماذا . . . ولكن هنالك الغازاً كثيرة يعجز العقل عن تعليلها

خذ مثلا الاشكال الهندسية المختلفة التى تجمد عليها المياه . فهى دقيقة الصنع جــداً متناسقة الاجزاء يعجز أمهر رجال الفن عن العثور على أى نقص فى رسومها وأشكالها . أفليس من الغريب أن تتجمد نقطة الماء على مثل ذلك الشكل الهندسى من دون وجود علة ظاهرة توجب ان يكون الشكل كذلك ؟ !

خذ أيضاً بعض الغاز البروق والصواعق . فقد روى الدكتور نوخ من كبار العلماء الالمان أنه كان مسافراً مرة بزورق بخاري على نهر « ريو باراجواى » باميركا الجنوبية . وكان الجو صحواً والهواء عليلا والوقت حوالى الساعة السابعة مساء ، وإذا الجو قد امتلأ فجأة ومضات متتابعة من البرق بعضها خطوط طويلة والبعض الآخر بشكل عقود من اللؤلؤ . وقد ذكر العلماء مثل هذه الظاهرة الغريبة عند الكلام على مختلف الزوابع والانواء ولم يستطع أحد تعليلها حتى الآن

وأغرب من ذلك ما رواه الدكتور نوخ المذكور من أمر الحادث الذى نحن بصدده وهو ان بعض تلك الومضات كانت صفراء برتقالية اللون كانها غاز كثيف ملتف على نفسه بشكل اسطوانى يدور على محوره . وبينما كانت الومضات تتتابع تجمع منها مثات فى السمت بشكل أقواس لاتستطيع العين النظر اليها بسبب شـدة تألقها . وظلت الحال كذلك مدة طويلة والسماء صحو ولا أثر فيها للرعود . ولكن حدثت بعد ذلك زوبعة هائلة بقيت مدة طويلة ثم انقضت

وقد جمع الدكتور نوخ بيانات مسهبة عن أمثال هذه الظواهر الغريبة . ولما كان مديراً للمرصد المثيورولوجى الحكومى بشيلى فان مركزه يخوله الاطلاع على معلومات ثمينة فى هـذا الشان . وقد كتب فصولا ضافية عن ظاهرة النور والومضات المتألقة التى تشاهد حول قنة جبال الانديس فى أشهر الصيف إذ يلمع أعلى الجبل وينبعث منه شبه بروق تخترق السحب

ومما يذكر ان أحد طلبة جامعة تورث وبسترن الامريكية أبصر فى إحدى ليالى شهر ابريل سنة ١٩٢٤ شبه كرة نارية متألقة انقضت من السماء بغتة ودخلت غرفة نومه من النافذة ثم أخـذت تتدحرج حول جدران الغرفة بسرعة هائلة حتى إذا وصلت الى النافذة خرجت منها كما دخلت

ومثل هذا وقع فى محطة اتلانتك شى فى أول أبريل سنة ١٩٣١ فقد كان فى تلك المحطة قطار ثابت فى مكانه واذا كرة نارية بحجم كرة القدم قد انقضت من حيث لم يرها أحد على احدى مركبات القطار ودخلت إحدى « غرفه » حيث كان ستة من الركاب . وسمع القوم عنـد دخولها صوت انفجار عظيم هلعوا منه ولبثت الكرة امامهم بضع ثوان ثم توارت عن الانظار ولم يلحظ أحد كيف توارت

وفى تلك السنة عينها كانت فتاة من اهالى « لونج إيلند » جالسة فى غرفة الطعام بمنزلها . واذا كرة نارية صفراء يبلغ قطرها نحو بوصتين تتدحرج على ارض الغرفة ببطء كأنها كرة الجولف . ولم تحرق « مشمع » الغرفة وبعد بضع ثوان توارت عن الانظار

أمثال هذه الالغاز كثيرة فى الكتب العلمية . وقد يظن انها من قبيل انخداع البصر . ولكن القرائن تدل على انها ليست كذلك ، وعلى أنها ظواهر طبيعية ليس فى الامكان الآن تعليلها وقد يستطيع العلم تعليلها فى المستقبل اذا انجلت أسرار بعض النواميس الطبيعية

لذة الجنون

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة سيانتفك اميركان . بقلم الدكتور ايستبروكس استاذ البسيكولوجيا بجامعة كولجيت]

إذا أردنا أن ندرك حقيقة الجنون وجب علينا ان نتذكر قبل كل شيء ان البشر كلهم غاية مشتركة هي السعادة، فهي مطلب كل انسان فى هذا العالم . وجميع أعمال المرء وتصرفاته فى هذه الحياة تكيفها وتتحكم فيه تلك الغاية . وعلماء البسيكولوجيا يسمونها « عامل اللذة »

ومن أغرب حقائق الحياة أن طائفة المجانين هي أسعد طوائف الناس فى العالم . انظر الى ذلك النوع من المجانين المصابين بمرض الشهرة والسلطان ، فان كل واحد منهم يحسب نفسه « نابليون » انظر الى أحدهم فى مستشفى المجانين . فقد يجلس الى منضدة ويكتب لك صكا (شيكا) بمبلغ مليون جنيه أو يهبك « دوقية » من دوقيات فرنسا ، فهو يزعم انه من كبار الاغنياء ومن أصحاب الحول والطول وفى استطاعته ان يتصرف باملاك الدولة كما يشاء

قد تقول : « مسكين ! كان الله فى عونه ! انه مجنون ! » ولكن قف وفكر قليلا . ان عقل الرجل المجنون يشبه عقل الرجل العاقل من حيث كونه لايميل الى التفكير إلا فى الاشياء المفرحة . أى انه يكره التفكير فى الاشياء المحزنة ويتجنبها . ولو رجعت الى تفكيرك والى ما يمر بمخيلتك رأيت أكثره مما ينشىء لك لذة وسروراً . نعم قد تداهمك الهموم وتتدافع الافكار المحزنة فى مخيلتك ، ولكنك لاتلبث أن تشعر بشيء من اللذة لان تلك الافكار المحزنة يعقبها فكر آخر مفرح هو حل مشكلة احزانك ومعالجتها والدواء الشافى لها . هذا هو ما يراد بقولنا « عامل اللذة » وهو مفتاح من مفاتيح أسرار الجنون

وفى الحقيقة أن المجنون ليس سوى رجل كسائر الناس وانما يختلف عنهم بكونه قد تعلم كيف يجتنب الاحزان والاشياء التى تسبب له الاكدار وأين يجد اللذة والسرور ويتمتع بهما . وفى حوادث الجنون الاعتيادى (واسمه العلمى Dementia praecox) ترى المصاب يجلس طول النهار منفرداً يكلم نفسه ويتبسم من آن الى آن كأنه قانع من الدنيا بحالته ، وقلما يخاطب من قد يكون بجانبه أو يوجه اليه كلمة . وأكثر حديثه عن أمواله وغناه وسلطانه ، وقد يوهمك أن جيوبه ملأى بالذهب حالة كونه لايملك شروى نقير

ولكن انظر الى وجهه ملياً وتأمل فى ملامحه تره فرحاً منبسط الاسرة والسعادة بادية على محياه . وهو يعتقد اعتقاداً أكيداً أنه سعيد . ولهذا لايمكن شفاؤه من داء الجنون . وبعبارة أخرى أنه يتلذذ بجنونه ويتمتع به ولا يريد أن يشفى منه . وكأنى به قد أدرك أسرار الحياة وحل مشاكلها .

فاذا ذكروا الغنى أمامه قال انه أغنى أهل الارض طرا . واذا أشاروا إلى الجاه والسؤدد قال انه أعظم ملوك الارض قاطبة . وهو يعتقد اعتقاداً راسخاً انه غنى وأنه عظيم وأنه ذو جاه وسلطان . وقد تضحك إذا سمعته يتكلم وتقول فى نفسك : « مسكين ! . . انه مجنون ! » ولكن لماذا ؟ لماذا تضحك منه وتسخر من كلامه ؟ وما هو الهدف الذى ترمى اليه فى الحياة ؟ أليس هو السعادة ؟ أليست السعادة كل ما يشغل بالك وما تصبو اليه نفسك فى هذا العالم ؟ وهل عثرت على السعادة ووضعت يدك عليها ؟ ربما كنت قد بلغت منها جزءاً يسيراً . وعليه فسعادتك ناقصة غير تامة . أو لعلك غير سعيد على الاطلاق . فانت اذاً أشد تعساً من ذلك المجنون الذى قد وجد السعادة وأدركها وهو الآن يتمتع بها ضاحكا مسروراً . بل هو سعيد الى حد أنه يسخر منك ويشفق عليك ولا يريد أن يضيع وقته بمحادثتك ! . .

أجل ! انه سعيد جداً قد أدرك سر السعادة ولا يمكنك أن تشفيه من الداء الذى تظنه مصاباً به — داء الجنون — لانه هو نفسه لا يريد أن يشفى منه إذ انك فى اليوم الذى تشفيه منه تسلب منه سعادته وتعيده الى حالة الشقاء . انك تكد وتجتهد وتبذل كل ما فى وسعك لاحراز السعادة فى الحياة وقد تزعم أن السعادة تقوم على الغنى والجاه . وقد تذهب مساعيك أدراج الرياح فلا تدرك الغنى ولا تتمتع بالسعادة . أما المجنون فعلى خلاف ذلك . انه يعيش سعيداً متمتعاً — على وهمه — بالغنى والثروة والسؤدد ، ويموت وهو يتصور انه أغنى أصحاب الملايين فى العالم . ولو استطاع أن ينظر اليك فى ساعة احتضاره لحدجك بنظرة تشف عن الرأفة والشفقة كأنه يأسف على ما فاتك من لذات الحياة ولسان حاله يقول لك : « يالك من تاعس عاقل ! انك تاعس لانك عاقل ! لو تسنى لك أن تعيش مثلى لعشت سعيداً ومت أوفر سعادة ! »

كذلك يعيش العاقل شقياً فى هذه الحياة . أما المجنون فلا يعرف إلا السعادة والتمتع بلذات الدنيا . وقد صدق المثل القائل : « ما لذة العيش إلا للمجانين »

كلمات

- لا يهز الظالمين سوى صوت جماعة متحدة
- ثمن الكرامة والحرية فادح ، ولكن السكون للذل والاستعباد أشد فداحة
- لابد لصاحب المبدأ من قلب جرىء يقاوم صدمات العواصف . وما أشدها وأقساها فى وجه أصحاب المبادىء
- كل قوة لا يكون مبعثها القلب تكون ضعفاً

تقدم العلم والعالم

الغازات السديمية

المعروف أن الغازات السديمية هى عوالم غازية تبعد عن النظام الشمسى مئات الملايين من السنوات الضوئية ، وأن هذه العوالم هى فى حالة النشوء والتكون بحيث أن الغازات التى تتألف منها تتكاثف وتتجمد بمرور ملايين الأحقاب . وقد جاءنا الآن الدكتور سترمبورج العالم الفلكى بمرصد مونت ويلسون بنظرية جديدة خلاصتها أن تلك العوالم السديمية هى كتل هائلة من الغازات السابحة فى الفضاء وهى حطام عوالم حدثت فيها انفجارات هائلة فرقتها شذر مذر وحولتها غازات . وستظل تدور على محورها الى أن تتكاثف مرة أخرى بمرور الزمن وتصبح عوالم جديدة

عمر الأرض

لا يزال عمر كل جرم من أجرام النظام الشمسى موضع بحث علماء الفلك فى جميع أنحاء العالم وهم مختلفون فى تقدير أعمار تلك الاجرام بسبب اختلاف الطرق التى يجرون عليها . ويظهر أن آخر تقدير وصل اليه العلماء يجعل عمر الأرض نحو عشرة آلاف مليون سنة ، وليس المراد من ذلك أن الأرض لم تكن موجودة قبل ذلك الزمن بل أنها لم تكن قد اتخذت شكلها الحالى . وفى الحقيقة أن الأرض انفصلت عن الشمس منذ نحو عشرة آلاف مليون سنة ولكن الشمس كانت كتلة سديمية تسبح فى الفضاء قبل ذلك بألوف الملايين من السنين . ويزعم « منزل » ، وهو من كبار علماء الفلك فى الوقت الحاضر أن كتلة الشمس السديمية كانت تشع نوراً وحرارة منذ نحو خمسمائة سكستيليون سنة . والسكستيليون بحساب نظام العدد الفرنسى هو الرقم واحد والى يمينه واحد وعشرون صفراً ، أى أن الشمس كانت تشع منذ خمسمائة الف مليون مليون مليون سنة . فتأمل ! ومع ما قد فقدته بالاشعاع فان العلماء لا يتوقعون انطفاءها قبل انقضاء ملايين أخرى من الأحقاب

كأهل الكهف

يقف الأطباء من وقت الى آخر على حوادث نوم غريبة شبيهة بنوم أهل الكهف . وقد روت مجلة المجمع الطبى الامريكى عدة روايات من هذا القبيل وقالت ان هناك أربعة وستين حادثاً موثوقاً بصحته من حوادث النوم الطويل ، وآخرها حادث فتاة أمريكية تدعى باتريشيا ماجير وقعت فى سبات عميق فى ١٥ فبراير سنة ١٩٣٢ وما تزال فى سباتها حتى الآن وان تكن فى الحقيقة قد استيقظت منذ عهد قريب ولكنها يقظة أقرب الى الغيبوبة منها الى الصحو . وقد كان الأطباء فى أثناء نومها يغذونها بوسائل صناعية لا يتسع المجال لشرحها . وأصيبت أيضاً فى أثناء ذلك بأمراض مختلفة فعالجها الأطباء حتى شفيت شفاء تاماً

بدلا من الراديوم

لا يخفى أن الراديوم قد أصبح عنصراً ضرورياً لمعالجة المصابين بمرض السرطان ولكن غلاء هذا العنصر يحول دون شيوع استعماله . وقد ذكرت المجلات العلمية أن أحد علماء الكيمياء تمكن من إيجاد مادة جديدة لها جميع خواص الراديوم ويمكن احلالها محله فى معالجة السرطان وهى أرخص من الراديوم كثيراً جداً ، وقد سماها منشئها « راديو صوديوم » وهى تستخرج باطلاق كهارب « الايدروجين الثقيل » ـ ويسمونها « دوتونات » ـ على الصوديوم الذى هو قوام ملح الطعام بقوة مليون وسبعمائة وخمسين الف فولت ، فتنبعث عن الصوديوم أشعة من نوع أشعة « جاما » هى أشد الأشعة المعروفة لدى العلماء حتى الآن فى قوة اختراقها . والصوديوم المعالج على هذه الطريقة هو « الراديو صوديوم » الذى نحن بصدده ويظن الكثيرون من الاطباء أنه يمكن الاستعاضة به عن عنصر الراديوم . فاذا صح ذلك سجلت الانسانية لعلم الكيمياء خدمة جديدة تضاف الى خدماته السابقة التى لا تحصى .

مضيق ترموبيلى

يعرف طلبة التاريخ أن مضيق ترموبيلى هو المكان الذى صمد فيه القائد ليونيداس اليونانى الاسبرطى لجحافل الفرس بقيادة ملكهم

وكان جيش ليونيداس مؤلفاً من ثلثمائة جندى فقط وجيش الفرس من الوف لا تحصى من الجنود . وبعد دفاع مجيد خان رجل يدعى ايفاليت وطنه فانسل الى جيش الفرس ودلهم على طريق للاحداق بحامية ترموبيلى . وكانت النتيجة أن الفرس أبادوا الحامية على بكرة أبيها . ولكن معركة ترموبيلى بقيت صفحة مجيدة من صفحات التاريخ اليونانى . وقد ظل مضيق ترموبيلى مجهولا عند علماء الجغرافيا ولم يستطيعوا تعيين موقعه بوجه التدقيق . الا أن عالمين من علماء الآثار أحدهما ألمانى والآخر فرنسى تمكنا حديثاً من تعيين ذلك المضيق . وقد عثرا على قاعدة تمثال للقائد ليونيداس كان اليونان قد أقاموه فى ميدان المعركة وأقاموا على جانبيه أسدين لم يقف العالمان المذكوران على أى أثر لهما

الالمانيات والجرائم

تدل الاحصاءات الجنائية على أن السم يكاد يكون سلاح الالمانيات الوحيد عند ارتكابهن الجرائم فهن من هذا القبيل أشبه بنساء بورجيا المعروفات بكثرة جرائمهن وبأنهن كن يعتمدن على السموم دون أى سلاح آخر . أما الجرائم التى اشتركت فيها الالمانيات مع الرجال فقد استعملت فيها الأسلحة المختلفة دون السموم . ويصعب تعليل تفضيل المرأة الالمانية للسم على غيره من وسائل القتل ، ولعل نساء العالم بوجه الاجمال يفضلنه على السلاح

كم سنة ستعيش ؟

يجول هذا السؤال بخاطر كل انسان . ولم يستطع العلم حتى الآن أن يجد له جواباً . ولعل أقرب الاجوبة الى الحقيقة أن عدسة عين الانسان تدل على مدى عمره وكم سيعيش من السنين بشرط أن يعيش عيشة طبيعية ولا يموت موتاً فجائياً أو موتاً ناشئاً عن مرض غير قابل للشفاء . وتفصيل ذلك أن عدسة عين

الانسان تفقد مرونتها بمرور الزمن . وهذا ما يعرف عند الاطباء بمرض « بريسبيوبيا » - أي تقدم قوة النظر فى السن - ويظهر من مباحث كثيرة أنه كلما نقصت مرونة العدسة كان ذلك دليلا على دنو الأجل وكلما استمرت تلك المرونة كانت دليلا على طول العمر . ولا حاجة الى القول أن هذه القاعدة تصدق بشرط عدم طروء أمراض معدية أو اصابات تقصر أجل الانسان

الروماتيزم والفيتامين

الروماتيزم من أشد الامراض انتشاراً فى العالم . ويقول بعض الاطباء إنه المرض الذى سيقضى على المدنية . وقد ثبت الآن من المباحث الواسعة النطاق أن الفيتامين « د » هو من أحسن المواد التى تشفى من هذا المرض فقد جرب فريق من الاطباء الامريكيين معالجة الروماتيزم باستعمال الفيتامين المذكور فاسفرت المعالجة عن فائدة كبيرة . ولا يخفى ان هذا الفيتامين هو الدواء الشافى من داء الكساح . فن المحتمل أن يكون بين مرضى الكساح والروماتيزم أوجه شبه أو علاقة

النور البارد

المراد بالنور البارد هو النور المجرد من كل أثر للحرارة . وقد حاول العلماء استنباطه فلم يوفقوا الى ذلك . ولعل أقرب نور الى هذا النوع هو نور الحباحب أو النور الذى ينبعث من بعض الهوام فى الليل ، فان العلم لم يتوصل حتى الآن الى طريقة يقيس بها حرارة ذلك النور . ويؤخذ من التجارب الكثيرة التى قام بها علماء الكهربائية أن أرخص انواع النور الصناعى هو نور مصباح بخار الصوديوم وان نفقات توليد « نور بارد » لا تقل عن خمسة وعشرين مليون ضعف النفقات اللازمة لتوليد ذلك المقدار عينه من النور الصناعى ، بمعنى انه اذا كان مصباح بخار الصوديوم الذى تعادل قوته الف شمعة مثلا « يكلف » مليماً واحداً فى الساعة فان نفقات « النور البارد » لمصباح قوته الف شمعة (لو تسنى استنباط مصباح من من هذا القبيل) لا يمكن ان تقل عن خمسة وعشرين مليون ضعف ذلك اى نحو خمسة وعشرين الف جنيه فى الساعة !

الرصاص والسرطان

قام جماعة من الاطباء الامريكيين المشتغلين بحل مشكلة السرطان بتجارب كثيرة لاختبار تأثير بعض مركبات الرصاص فى مرض السرطان فاتضح لهم انه فى الحالات التى يكون فيها هذا المرض قد بلغ مرحلة تدعو الى اليأس ، اذا استؤصل السرطان بعملية جراحية ثم حقن العليل بمركب من مركبات الرصاص بقرب المكان المصاب ، تحسن العليل تحسناً ظاهراً . بل قد يشفى تماماً لان عنصر الرصاص يقضى على ما قد يتبقى فى جسم العليل من آثار السرطان . ويسعى الاطباء المذكورون الى تحسين هذه الطريقة بتجربة مركبات مختلفة من مركبات عنصر الرصاص

فروع الفيتامين « ب »

ليس الفيتامين « ب » نوعاً واحداً كما قد يتوهم البعض بل أربعة أنواع ، ولكل نوع منها خواص معينة ، وقد اتضح الآن أن النوع الرابع هو دواء شاف لمرض الأنيميا أو فقر

الدم بشرط ألا يكون من النوع المعروف عند الأطباء بالانيميا الحادة ، والظاهر أن هذا الفيتامين يساعد على انتاج مادة الهيموجلوبين التي هي قوام المادة الحمراء في الدم

العمى والوراثة

يقول الدكتور فرانسكيتي السويسرى إن مرض العمى الوراثى كثير الانتشار في العالم وإن أحسن وسيلة لمقاومته هي تعقيم المصابين به لكيلا يتناسلوا . وعليه فيجب على كل عروس - ذكر كان أو أنثى - أن يحصل على شهادة من طبيب يوثق بأمانته تدل على خلوه من جراثيم العمى الوراثى . ويقول الدكتور فان دويز البلجيكى إن الرمد المعروف باسم «نيوناتورم» هو سبب العمى الوراثى والاولاد معرضون له في الثانية أو الثالثة من أعمارهم . ولهذا يجب على الوالدين الاهتمام بحالة عيون أولادهم في هذه السن للحيلولة دون اصابتهم بالعمى . ومن حسن الحظ أن حوادث العمى الوراثى قد نقصت منذ بدء القرن الحاضر خمسة وعشرين في المائة بفضل تقدم علم الطب واتقان وسائل المعالجة

العنصر الثالث والتسعون

كان عدد العناصر المعروفة عند علماء الكيمياء حتى أوائل هذا العام اثنين وتسعين عنصراً . على أن العلماء كانوا يؤكدون أن وراء هذه العناصر عنصرين آخرين على الأقل هما الثالث والتسعون والرابع والتسعون ، وهما بالطبع أثقل العناصر المعروفة ، وفي أواسط فصل الربيع الماضي جاءت الأنباء بأن الاستاذ فرمى الايطالى والاستاذين هان وميتنر الالمانيين (وكلاهما من معهد القيصر ولهلم ببرلين) والأستاذ جروس الامريكى تمكنوا - كل واحد منهم على حدة - من ايجاد العنصر الثالث والتسعين بطريقة صناعية ، كما تمكن بعض هؤلاء من ايجاد العنصر الرابع والتسعين أيضاً . والمظنون أن هنالك عناصر أخرى سيكشفها العلم بمرور الزمن أو سيتمكن من ايجادها بطريقة كيماوية

آثار سورية

ذكرت مجلة رسالة الاخبار العلمية الامريكية أن علماء الآثار الالمان والفرنسيين في سوريا اكتشفوا عدة أماكن شمالى مدينة تدمر كانت مقر معابد يقيم بها سكان تلك البلاد شعائرهم الدينية منذ نحو سبعة عشر قرناً . ويظهر أن اكبر تلك المعابد كان يتألف من خمس غرف تقام فيها الحفلات والمآدب الدينية . وقد عثروا في احدى تلك الغرف على اناء من الحجر كانت توضع فيه الخمر وقد نقش عليه هذا التاريخ وهو « سنة ٢٥٦ بعد الميلاد » ، وعثروا أيضاً في تلك الغرفة وغيرها على آثار مذابح ومباخر وأطباق وغيرها . ويظهر ان القوم كانوا يعبدون آلهة ماتزال مجهولة عند العلماء . وقد عثر المنقبون على صلوات منقوشة كانت توجه الى تلك الآلهة كما عثروا ايضاً على صورة تمثل تلك الآلهة راكبة جياداً مما يدل على ما كان للجياد من المقام في ذلك العهد

ومما يجدر بالذكر أن البعثة العلمية الفرنسية التي تنقب عن آثار سورية القديمة برآسة الاستاذ كلود شفر قد عثرت في جملة ما عثرت عليه في رأس شمرا على تمثال للاله داجون الذي كان الفلسطينيون يعبدونه وقد ورد ذكره في التوراة

مراراً كثيرة كما عثرت ايضاً على آثار مدينة ترجع حضارتها الى سبعة آلاف سنة مضت وهي مدينة تيب جورا ولعلها أول مدينة بناها الانسان . ولا شك ان هذه الاكتشافات سترجع تاريخ الحضارة خطوات أخرى الى الوراء لانه اذا ثبت ان الانسان بنى مدينة منذ سبعة آلاف سنة فلا شك انه كان ذا حضارة قبل ذلك الزمن بكثير اذ لا يعقل ان يكون قد شرع فى بناء تلك المدينة الا وهو على شيء من علم الهندسة وتخطيط المساكن

فوائد

• بينما كان بعض علماء الآثار فى أثينا يفحصون الضريح المقام لتخليد ذكر القواد الاسبرطيين الذين قتلوا فى الحرب التى اثاروها سنة ٤٠٣ قبل المسيح على الثلاثين من الظالمين ، وجدوا هياكل اولئك القواد سليمة وفى بعض عظامهم الاسلحة التى قتلوا بها

• مع ان الاطباء لم يكتشفوا الى الآن ميكروب حمى المفاصل فان قرائن كثيرة تدل على انه هو نفس البكتيريا الذى يسبب التهاب اللوزتين ومرض رقصة سنت فتيوس

• بعض الحشرات تهاجر فى فصول معينة من السنة من مكان الى مكان كما تفعل الطيور

• يظهر من بعض التجارب ان المحار هو غذاء مفيد جداً لمعالجة مرض الانيميا او فقر الدم لانه يحتوى على الحديد والنحاس بالمقدار الذى يوجدان به فى الكبد

• فى أحد الاحصاءات الطبية التى وقفنا عليها ان داء الحصبة انتشر فى أوربا فى هذا العام . فكان انتشاره يفوق كل ما عرف عن انتشاره فى خلال الثلث الاول من القرن الحاضر

• يقول الاستاذ هلسيزر فى مقالة نشرتها مجلة « نايتشر » الانجليزية ان سكان أوربا اليوم هم أربعة أضعاف عددهم منذ مائتى سنة . وقد كان مركز الازدحام فى أوربا سنة ١٧٢٠ فى نقطة تبعد خمسة وأربعين ميلا شرقى مدينة مونخ فانتقل ذلك المركز الآن الى نقطة تبعد نحو ثلاثين ميلا شمالى مدينة فينا

• يستعمل اليوم رجال فرقة المطافىء بلندن خوذاً جديدة لا تؤثر فيها النار بدلا من الخوذ النحاسية التى يستعملها رجال المطافىء فى معظم أنحاء العالم

• فى احصاء لدى جمعية الامم انه وإن تكن نسبة المواليد فى اكثر أنحاء العالم فى تناقص مستمر إلا ان عدد المواليد نفسه لا يزال آخذاً فى الزيادة . وفى هذا الاحصاء بيان نسبى لعدد التوائم فى اكثر أنحاء العالم . وفيه أيضاً ان أماً واحدة من كل ٦٥٤ ٤٥٥ أماً تلد أربعة أولاد فى بطن واحد

• كانت النساء الرومانيات قديماً يستعملن حجر الخفان مكسراً أو مسحوقاً لتنظيف أسنانهن. وكان هذا الحجر يومئذ عند العطارين بسعر غال

• اخترع أحد المعامل الانجليزية التى تصنع الآنية المنزلية مادة شفافة لصنع الصحون والاكواب وغيرها من آنية المطبخ

• أعلنت جامعة برن بسويسرا انها تعرض جائزة الف فرنك سويسرى على من يؤلف أحسن كتاب أو نبذة عن مرض النوم وكيفية الوقاية منه

كتب جديدة

[تراكمت عندنا طائفة كبيرة من هدايا حضرات المؤلفين التي صدرت في الاشهر الثلاثة الماضية ، فلم يتسع المقام للتحدث عنها كلها الى القراء . ولذلك اضطررنا الى الاقتصار على هذه الكتب معتذرين الى حضرات المؤلفين وسنتحدث عن باقي الهدايا في العدد القادم]

المختار

تأليف الأستاذ عبد العزيز البشرى

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة . صفحاته ٢٣٨

قبل أن أبدأ الكتابة عن هذا المختار أخذت أقلب صفحاته وأطالع بعض فصوله ، فانسقت فى القراءة نحو ساعتين وأنا لا أحس بالزمن يمر ، ولا بفسحة العمل تضيق عن مراجعة ما أمامى من هدايا الكتب والكتابة عنها . وقد أنسانى أدب « البشرى » وسلطانه على القلب ، وأسره للنفس ، انى قرأت هذه الفصول متفرقة فى الصحف – ولعلى قرأت بعضها مرات – ومع ذلك لم يبلغ منى السأم ، ولا انصرفت نفسى عن القراءة . بل كنت كلما قلبت صفحة أطمعتنى فيما بعدها ، ولولا زيارة زميل ما انتبهت مما أنا فيه من سحر وإغراء

وكذلك يكون أثر رجل الفن فى النفوس ، فهو يأسر قارئه إن كان أديباً ، وناظره إن كان مصوراً ، وسامعه إن كان موسيقياً ، ويهيمن على ذهنه ونفسه ، ويسمو بهما الى عالم آخر ، لا يعرف فيـــه إلا المتعة بجماله ، والاعجاب بعبقريته وجلاله

فالاستاذ البشرى أفادنى فى هاتين الساعتين فائدتين : أولاهما انه أنسانى شقاء الحياة مدة ، وثانيتهما انه أهدى إلى من راحة النفس وغذاء القلب ما استعنت به فى تخفيف كثير من الأعباء . ولا شك ان كل من سيطالع « المختار » سيشعر بما شعرت به ، وسيستفيد من فصوله فى الادب ، والوصف ، والتراجم ، ما لم يستفده فى غيره . فللاستاذ عبد العزيز البشرى أسلوبه الحى ، ونظراته النافذة ، وآراؤه الناضجة . وقد ادخر فى هذا الكتاب فصولا جمة هى فى الواقع زبدة مما كتبه وخلاصة مما دبجه ، ودرر كانت متفرقة فأحسن جمعها فى عقد ثمين . . . ومن هذه الفصول « الادب العربى وموضعه فى مصر » وهى خطبة قيمة ألقاها فى ديسمبر سنة ١٩٣٣ فى نادى القلم ، و « حيرة الادب المصرى » و « الادب الحاد » و « القصص فى الأدب العربى » و « خيال الشاعر بين الطبع والصنعة » و « الراديو » و « فى الطيارة » و « رشدى باشا » وغيرها من الفصول التى عقدها الاستاذ فى الادب والوصف والتراجم ، وقد ترجم لثلاثة من كبار المصريين هم : حسين رشدى باشا ، والشيخ على يوسف ، ومحمد بك المويلحى . ويزيد فى قيمة هذه التراجم انه عاصر أصحابها وعرفهم حق المعرفة ، وبصر بهم ما لم يبصره بهم أحد ، لجلاهم فى طبائعهم وصفاتهم

وكفاءتهم ، وميزاتهم ، وحوادثهم ، ونوادرهم . ورسمهم رسماً صادقاً بيد صناع قدير . ومن ذلك ما قاله فى الشيخ على يوسف :

« ... وكان بعد رجلا شديد العقل . قوى النفس . حديد العزم . وافر الشجاعة . لا تتعاظمه قوة ذلك الخصم وبأسه . واذا تحداه متحد ركب رأسه فى نضاله . لا يبالى أين يقع المصير . وصح فيه قول الشاعر :

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانباً

« واذكر أننى مضيت اليه مرة فى صحب من خلصائه ، وسألناه أن يترفق بالمؤيد ، فلقد تظاهر عليه خصومه ، فأصغى الينا وأحسن الاصغاء حتى انتهينا ونحن على الظن انه نازل عند رأينا ، عادل الى ما سألناه ، فاذا هو يرتج فى مجلسه ارتجاجة عنيفة . ويقول فى قوة وعزم حديد : « والله لا يعنينى أن يكون الناس جميعاً فى صف واحد . وأنا والحق الذى أعتقده بازائهم فى صف واحد » !

تطور الاساليب النثرية

فى الادب العربى

تأليف الاستاذ انيس المقدسى

طبع بمطبعة سركيس فى بيروت صفحاته ٤٤٨

هذه نفحة أخرى من نفحات يراعة الاستاذ انيس المقدسى أستاذ الادب العربى فى جامعة بيروت الامريكية . والكتاب الذى بين يدينا الان هو الجزء الاول من المؤلف . وقد جاء فى صدره أنه يتناول النثر العربى وخصائصه الفنية منذ بزوغ الاسلام الى النهضة الاخيرة ، ويتخلله دراسات تحليلية لنخبة من أمراء الاقلام وعرض كثير من نصوصهم الانشائية وقد اسهب المؤلف البحث فى مختلف أساليب الكتاب منذ صدر الاسلام . فتناول النثر عند منبثق الاسلام والاسلوب القرآنى وتحقيق النثر فى نصوص الحديث والنثر فى عصر الفتوح حتى عهد عبد الحميد . وقد أفرد المؤلف فصلا ممتعاً للكلام على النثر العربى عند ظهور الاسلام وبحث فى الاسلوب القرآنى وفى بلاغة القرآن الكريم ثم انتقل الى الاحاديث النبوية من حيث مقامها فى النثر وتطرق منها الى الكلام على الامثال القديمة وأورد منها طائفة من اشهرها فى ذلك العهد . وتكلم بعد ذلك على المزايا الانشائية العامة فى عصر الفتوح وهى الجزالة وعدم التكلف والايجاز وأورد الامثلة الكثيرة على ذلك واتبعها بامثلة من الخطب كخطبة الامام على يوم اغار سفيان ابن عوف الغامدى على الانبار . وخطبة عمرو بن سعيد فى مجلس معاوية . وأردف ذلك بأمثلة من الرسائل والعهود والوصايا ككتاب محمد بن أبى بكر الى الامام على ووصية معاوية لابنه يزيد وكتاب الحجاج الى قطرى بن الفجاءة ورد قطرى عليه . وانتقل المؤلف بعد ذلك الى الحكم والعظات الخلقية وأورد الامثلة عليها . ثم تخلص منها الى الكلام على الاسلوب المتوازن أو المزدوج غير المسجع وهو اسلوب النثر منذ عهد عبد الحميد الى عهد ابن العميد أى من أوائل القرن الهجرى الثانى الى القرن الرابع . وقد بحث المؤلف فى هذا الفصل فى أحوال النثر فى أواخر العصر الاموى وصدر العصر العباسى ، ثم فى أساليب عبد الحميد الكاتب والجاحظ وغيرهما من كبار البيان فى ذلك العصر . وختم المؤلف هذا

من كتابه بفصل فى الاسلوب المسجع تناول به الرسائل الديوانية والمصنفات الادبية والمقامات والخطب الروحية

فالكتاب مجموعة نفيسة من آثار الادب عند العرب فى عصر من أهم عصور الاسلام وهو مطبوع طبعاً أنيقا باشراف القائمين على وقفية تيودور بجامعة بيروت الامريكية . فنشكر للمؤلف هذه التحفة النفيسة ونرجو ألا يطول عهد انتظارنا للجزء الثانى منها

وحي العصر

للاستاذ ابراهيم المصرى

طبعته مكتبة الهلال بشارع الفجالة بالقاهرة . صفحاته ٢٠٦

يصطبغ أدب الاستاذ ابراهيم المصرى بصبغة التفكير الحر ، والتوثب الى الأمام ، والرغبة فى التجديد . وهو الى ذلك أدب جم النشاط غزير المادة . يتناول غير ناحية واحدة من نواحي النهضة الحديثة ، فكما تراه فى القصص تراه فى الاجتماعيات والادبيات ، بل فى السياسيات أيضاً . وهو الآن يحترف الصحافة السياسية ، ويقضى فيها شطراً من وقته ولكنه لم يدع هذا العمل المضنى يستولى على كل جهوده ويطغى على أدبه فيحرم الجمهور من ثمرات قريحته ، ونتائج اطلاعه الواسع فى الادب الغربى ، ففى كل اسبوع يتحف قراء البلاغ بالافكار الجديدة والدراسات الادبية . وبين آن وآخر يصدر كتاباً نفيساً كهذا الكتاب الذى أصدره فى عطلة الهلال الصيفية ، وجمع فيه طائفة من منتجاته القيمة فى الاجتماع والدراسات الادبية ، والقصص والتراجم ، والآراء الحرة التى تفيض بتقديس المثل الاعلى والدعوة اليه ، والثورة على التقاليد السقيمة ، والطبائع الموروثة فى الأمم الضعيفة ، ضارباً الامثلة بحياة الأمم الراقية التى استقام كيانها بعد التحرر من هذه الطباع والتقاليد ، وبعد أن صحت نظرتها فى الحياة

وفى قسم الادبيات كتب ستة فصول تناول فى كل منها ناحية من نواحى الادب الذى يجب أن يتمشى مع تطور العصر الحديث ، وهو يقنعك باسلوبه المنطقى بصحة نظرته وسداد رأيه ، فلا تنتهى من قراءة فصل من فصوله حتى تكون قد سلمت للكاتب بصدق ما يرى وصواب ما يقول . وربما كنت قبل قراءته تنظر غير نظرته وتقتنع بغير رأيه . وكذلك قل فى الاجتماعيات والصرخات التى اتبع فيها الاسلوب المنطقى ايضاً دون أن يحرج القارىء أو يتحداه أو يفاجئه بما يغضبه . وتلك طريقة صائبة فى نجاح الدعوة وصحة الاقناع

أما التراجم والقصص ، فقد ترجم لسبعة من أدباء الغرب وفلاسفته وهم : اميل زولا ، وبول بورجيه ، ورومان رولان ، وكاترين مانسفيلد ، واداجرى ، وليون ولستوى . فعرض بحمل حياتهم وخلاصة أفكارهم وآرائهم ومميزاتهم . وقد اختار ست قصص لبعض كبار الأدباء الغربيين كبرنار جافو ، وجان ماريليك ، وجان ديسور فلخصها تلخيصاً مشوقا باسلوبه الممتع الذى عرفه قراء الهلال

السودان

من التاريخ القديم الى رحلة البعثة الاقتصادية

تاليف الأستاذ عبد الله حسين

ثلاثة أجزاء فى ١٢٤٨ صفحة ، طبعت بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش بالقاهرة

وضعت قبل هذا الكتاب كتب عدة عن

السودان وتاريخه وجغرافيته ومطامع الانجليز فيه وعلاقة مصر السياسية والطبيعية به . وكل من هذه الكتب تناول ناحية أو نواحي خاصة . فلم يلم بكل ما يتعلق بالسودان منذ تاريخه القديم الى اليوم . ولم يجتمع فيه ما اجتمع بهذا الكتاب الضخم الذى وضعه المحامى اللبق والكاتب القدير الاستاذ عبد الله حسين

ففى الحق ان الاستاذ عبد الله حسين بتأليفه هذا الكتاب عن قطرنا الشقيق قد سد فراغاً فى التأليف التاريخى عن هذا الموضوع الذى يتجدد بتجدد الحوادث ويتطور بتطور الاحوال السياسية . وقد كان يعوزنا مؤلف كهذا المؤلف الذى يسجل الحوادث الاخيرة ، وما اعتور السودان من انقلاب سياسى واقتصادى . فان اكثر المؤلفات التى وضعت عن هذا القطر صدرت قبل ٣٠ عاماً . وهى غير جامعة لكل ما يتعلق بالسودان فى تاريخه القديم وتاريخه الحديث . وقد وضع المرحوم نعوم بك شقير كتابه « تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته » سنة ١٩٠٣ وهو أوسع وأوفى المؤلفات التى وضعت عن السودان قبل ٣٢ سنة . كما وضع سلاطين باشا كتابه « السيف والنار فى السودان » واللواء ابراهيم فوزى باشا كتابه « السودان بين يدى غوردون وكتشنر » . وكما وضع غيرهما كتباً أخرى . ولكن هذه الكتب كما قلنا لم تتناول السودان من جميع نواحيه . ولم تسجل فيه الحوادث الجديدة التى وقعت بعد تأليف هذه الكتب . ولذلك فان كتاب « السودان » للاستاذ عبد الله حسين امتاز بأنه أحدث الكتب التاريخية التى ألفت عن السودان وأوفاها بالغرض الذى رمى اليه المؤلف من وضع دراسة وافية تجلو هذا القطر الشقيق فى حياته الاجتماعية والتاريخية والسياسية وعلاقاته بمصر من جميع الوجوه

وقد أتيح للمؤلف أن يزور السودان فى البعثة الاقتصادية المصرية التى سافرت اليه فى العام الماضى، فأضاف الى دراسته الطويلة لتاريخ السودان وعلاقاته بمصر مشاهداته لسكانه ووقوفه على حياتهم الادبية والاجتماعية . حتى اذا انتهى من رحلته فى هذه البعثة عكف على تأليف هذا الكتاب ثم أخرجه فى ثلاثة أجزاء تناول الجزء الاول منها تاريخ السودان القديم من عهد الفراعنة الى انتهاء الثورة المهدية . وتناول الجزء الثانى إعادة السودان بقيادة اللورد كتشنر ، واتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ ، ونظام الحكم فيه وحالة البلاد من وجوهها الادارية والقضائية والصناعية والادبية والتعليمية والهندسية وتطورها فى أثناء ذلك الى وقتنا الحاضر مع بعض البيانات التى يحتاج اليها الباحثون

أما الجزء الثالث فيشتمل على رحلة البعثة المصرية الى البلاد السودانية وما قامت به من زيارات واطلاع على مشاهد السودان فى البلاد التى مرت بها . وأضاف الى ذلك بيانات أخرى عن شئون تلك البلاد

ولم يفت المؤلف أن يدون فى كتابه كل مسألة مصرية أو مناقشة فى البرلمان المصرى تتصل عن قرب أو بعد بالسودان . ولذلك نرى فيه شيئاً غير قليـــل عن الحكم المصرى فى السودان وعن الجيش المصرى . وعن حوادث مصر وتأثيرها فى السودان كاعلان الحماية

والاحكام العرفية والانقلابات السياسية ولجنة ملنر ومهمة لجنة ملنر، والوفد السوداني في لندن، والسودان في مشروعات الاتفاقات المصرية الانجليزية الى غير ذلك

ونستطيع أن نقول بعد ما تقدم ان كتاب الاستاذ عبد الله حسين سجل تاريخي عن السودان وموسوعة يرجع اليها كل من يريد أن يقف على حادثة من حوادثه التاريخية أو ناحية من نواحيه السياسية والعمرانية

الزراعة العملية الحديثة

تأليف الامير مصطفى الشهابي

طبع بمطبعة الاعتدال بدمشق . صفحاته ٥١٥

الامير مصطفى الشهابي مؤلف هــذا الكتاب علم من أعلام الادب في البلاد العربية فهو من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومدير وزارة الزراعة والتجارة في الشام. وهو إلى كونه من كبار رجال اللغة العربية من العلماء القلائل الخبيرين بشؤون الزراعة . وقد أهدى الينا نسخة من مؤلفــه النفيس في علم الزراعة العملية الحديثة ، وهو كما يصفه دروس في الزراعة العامة والخاصة وطرائق اتباعها في بلاد الشام وأشباهها . وقد تناول ببحثه شؤون التربة بوجه عام وتركيبها الترابي والمواد الكيمياوية التي تتألف منها وقسمها أقساماً عدة ثم بحث في الاعمال الزراعية بوجه الاجمال وفي الفلاحة والحراثة والادوات والحيوانات التي يستعملها الانسان في تلك الاعمال واستكمالها بالبذر والعزق والحصاد والدراس والغربلة . ثم انتقل إلى الكلام على وسائل ري التربة وطرق الري المختلفة وضرورة صرف المياه . وبحث بعد ذلك في موضوع من أهم الموضوعات التي تشغل فكر الزارع وهو مسألة السماد . فاوضح ما للسماد من الاثر في اخصاب التربة وذكر أنواعه المختلفة من طبيعية وكيمياوية ومعدنية . وتكلم بوجه خاص على فعل نترات الصودا والكلس وكبريتات النشادر والكلس الآزوتي والفوصفات والعظام وغير ذلك من مختلف الأسمدة وانتقل من ذلك الى البحث في الآفات التي تصيب الزراعة وفي طرق الوقاية منها، وتكلم على أشهر أنواع الحبوب التي يعنى الزراع بها كالقمح والفول والشعير والذرة والشوفان والارز والحمص والفاصوليا والعدس والترمس وغيرها . وبحث بعد ذلك في نباتات العلف وفي المروج الطبيعية ثم في مختلف أنواع البقول والخضر كالبطاطس والشوندر والجزر واللفت والكرنب والقلقاس والقرع والبطاطــا الحلوة . وأفرد المؤلف فصولا خاصة يبحث فيها في القطن وما يصيبه من آفات وأتبعه ببحوث مسهبــة في القنب والكتان والحلفا والسمسم والخشخاش والخروع والفول السوداني والخردل وقصب السكر والتبغ وحشيشة الدينار ومختلف الافاويه كالانيسون والكمون والسماق . وختم كتابه بفصل في زراعة الارض اليابسة

والكتاب مبوب تبويباً علمياً ومطبوع طبعاً متقنا ومحلى بالصور الكثيرة . وهو شاهد ناطق بما عليه المؤلف من سعة العلم والخبرة . فنشكره على هذا المؤلف النفيس الذي يجب ألا تخلو منه مكتبة

بين الهلال وقرائه

الغدة النخامية

(القاهرة ــ مصر) أسعد حلاوة

أشرتم مراراً كثيرة في أجزاء الهلال الماضية الى الغدد ولا سيما الغدة النخامية . فما هي حقيقة هذه الغدد وما مهمتها في جسم الانسان ؟

(الهلال) في جسم الانسان عدد لا يحصى من الغدد تفرز الافرازات المختلفة كالعرق والدموع والهورمونات وغيرها . ولهذه الافرازات تأثير عظيم في جسم الانسان وفي شكله وملامحه بل في أخلاقه أيضاً . ولعل أهم تلك الغدد الغدة النخامية وموقعها في سفح الجمجمة تحت الدماغ في المكان المعروف عند علماء التشريح « بالسرج التركي » وتسميتها بالنخامية خطأ سببه ان الاقدمين كانوا يعتقدون أنها تفرز مخاط الانف . وقد ثبت اليوم ان لافراز هذه الغدة علاقة مهمة بشكل الانسان وأخلاقه وطول قامته ، فاذا كان الافراز غزيراً جاء الجسم طويلا والعظام والعضلات كبيرة ، وبالعكس اذا كان الافراز ضعيفاً . وقد ثبت ان ملامح الانسان أيضاً وما هو عليه من جمال أو دمامة مرجعه الى افراز هــذه الغدة . وهنالك أمور كثيرة متعلقة بسلوك الانسان وآدابه وصفاته ومرجعها كلها الى افراز الغدة النخامية . وفي رأى الكثيرين من العلماء ان سبب اعتياد الاجرام في بعض المجرمين ناشيء عن فعل الغدد . ولذلك تنوي بعض الولايات المتحدة الاميركية سن قانون لمعاقبة المجرمين المعتادي الاجرام ، يقضى ان تعمل لهم عملية جراحية لاصلاح افراز الغدد فيهم ليصبحوا رجالا نافعين للمجتمع بدلا من الحكم عليهم بالسجن والاشغال الشاقة

النزيف الوراثي

(القاهرة ــ مصر) ومنه

لى ابن خالة اذا جرح جرحاً بسيطاً نزف منه دم غزير يكاد يتعذر وقفه . فما سبب ذلك وهل من سبيل الى معالجته ؟

(الهلال) الحالة التى تشيرون اليها تعرف عند الاطباء بالهيموفيليا أو الاستعداد النزيفي أو النزيف الوراثي . وأصحاب هذا الاستعداد يصعب وقف النزيف عندهم لان دمهم لا يتجمد بسهولة . ومن الامور التى قد حار العلماء في تعليلها ان نسل بعض ملوك أوربا حتى العصر الحاضر مصاب بهذا المرض الوراثي وتقتضي معالجته عناية تامة بمسألة غذائه مع جعله يعيش في الخلاء على قدر المستطاع واعطائه مركبات الحديد وأملاح الجير . وهنالك طريقة أخرى لمعالجة الهيموفيليا ولكنها تقتضى احتراساً دقيقاً وخبرة عظيمة وهي حقن المصاب بسم الافعى المعروفة عند الاوربيين باسم الموكاسين فان هذا السم يمنع النزيف في الحال . ولكن الحقن بهذا السم لا يخلو من الخطر ويجب ألا يعهد فيه الا الى طبيب ماهر

علاج الربو

(الاسكندرية ــ مصر) فهمى حسن خليل

أنا مصاب بالربو وقد قرأت اعلانات كثيرة عن علاجات لهذا المرض وقد جربتها كلها ولم أترك دواء وصف لى الا جربته ولم يفدني دواء حتى الآن . فهل عجز الطب عن علاج هذا الداء ؟

(الهلال) الاطباء الاخصائيون هم الذين يستطيعون الاجابة عن سؤالكم هذا . والذي نعلمه ان آخر ما وصل اليه الطب من أمر هــذا الداء هو معالجة المصاب به باستنشاقه مزيجا مركبا من ثمانين في المائة من غاز الهليوم وعشرين في المائة من غاز الاوكسجين . ولما كان الهليوم خفيفاً جداً فان جهاز التنفس يستطيع استنشاقه بسهولة . وقد جرب هذا العلاج في حالات كثيرة فأسفرت التجربة عن النجاح بحيث أراحت المصاب بالربو راحة تامة وان هي لم تشفه من الداء نفسه

علاج الروماتيزم

(الاسكندرية — مصر) ومنه

هل صحيح ان الفيتامين « ج » يشفي من داء الروماتيزم ومن حمى المفاصل ؟

(الهلال) الذى نعلمه ان التجارب التي عملها الاطباء لاختبار تأثير الفيتامين المذكور في أمراض المفاصل على اختلاف أنواعها لم تسفر عن نتيجة يحسن السكوت عليها . على ان الفيتامين المذكور (ويسمى أيضاً حامض الاسكوربيك) يشفى تماماً من داء الاسكربوط

متى وجد الانسان في أميركا

(نيويورك — الولايات المتحدة) أحد المشتركين

هل حقق العلماء الزمن الذي ظهر فيه الانسان فى اميركا ؟

(الهلال) الادلة على وجود الانسان في العصر الحجري في أميركا تكاد تكون معدومة . وأقدم آثار للانسان في ذلك الجزء من العالم لا تجاوز ستة آلاف سنة . والارجح ان السلالات البشرية لم تظهر هنالك الا بعد ظهورها في أنحاء كثيرة من العالم أي حوالى ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح

أسنان الاميركيين

(نيويورك — الولايات المتحدة) ومنه

بماذا تعللون رداءة أسنان الاميركيين بالنسبة الى أسنان الشرقيين ؟

(الهلال) ليس من الممكن تعليل ذلك تعليلا علميا يقبله الجميع. والارجح ان الامراض التى تصيب الاسنان هي من مستلزمات الحضارة وتكون على أقلها في البداوة . ويقال ان نحو عشر سكان العالم المتمدنين يشكون من تسوس الاسنان وان الذين يتمتعون بنعمة الاسنان الكاملة من غير الاطفال لا يزيدون على واحد فى الالف

سكان أوربا

(الاسكندرية — مصر) عبيد حنا

أصحيح ان أوربا هي أشد البلاد ازدحاماً وان ازدحام ايطاليا بسكانها هو الذي حمل موسوليني على شن الغارة على الحبشة ؟

(الهلال) لا شك ان أوربا شديدة الازدحام بالسكان ولكن في العالم بلاداً كثيرة أشد ازدحاماً منها . وما ذكرتموه من الدافع الذي حمل موسوليني على شن الغارة على الحبشة صحيح ، فهو يدعي ان الشعب الايطالى آخذ في الازدياد فلا بد من تدبير بلاد تكون ذات خصب وموارد تصلح له

أما عدد سكان أوربا في الوقت الحاضر فيبلغ نحو ستمائة وخمسين مليوناً وقد كان في بدء القرن الماضي (أى في سنة ١٨٠٠) نحو مائة وثمانين مليوناً فقط فالزيادة كما ترون كبيرة جداً

علاج البخر (رائحة الفم)

(القدس — فلسطين) أحد القراء

لى أخ مصاب برائحة كريهة تنبعث من فمه . وقد جرب عدة طرق للعلاج فلم يفز بطائل . فهل لكم ان تشيروا عليه بما يزيل رائحة فمه ؟

(الهلال) البخر أو رائحة الفم الكريهة من الامور التى تنغص على الانسان عيشته . وكثيراً ما يكون منشأ هذه الرائحة في الفم وما بين الاسنان، وقلما يكون منبعثها المعدة كما يتوهم البعض . وتدل مباحث الاطباء الدقيقة على ان ذرات الرائحة تلصق بتجاويف الفم المختلفة وبغشاء اللسان. وعليه فأحسن علاجها غسل الفم بمحلول الكلورامين Chlaramine ويمكنكم الحصول عليه من أكثر الصيدليات ومستودعات الادوية وهو المادة التى تستعمل في تعقيم مياه الشرب وفي معالجة الجروح . ومن خواصه انه يحل ذرات الرائحة الكريهة التى تملأ الفم ويذيبها فتزول الرائحة بتاتاً . ونعتقد أنكم اذا جربتم هذا المحلول أسفرت التجربة عما يسركم

زواج الصم

(القدس — فلسطين) ومنه

هل الصمم داء وراثي ؟

(الهلال) الارجح انه يصبح وراثيا في الاولاد الذين يجيئون من والدين مصابين بالصمم .

ولذلك يحذر الاطباء الاخصائيون من زواج الرجل الاصم والمرأة الصماء فان أولادهما يجيئون على الارجح صما

المهاجرة الى الولايات المتحدة

(القاهرة — مصر) محمد محمد مصطفى

أرجو ان تفيدوني عن أهم شروط المهاجرة الى الولايات المتحدة

(الهلال) في الولايات المتحدة قانون يحدد نسبة عدد المهاجرين الذين يحق لهم دخول الولايات المتحدة من كل شعب أجنبي . وهذا القانون عرضة للتبديل والتنقيح تبعاً لاعتبارات ومقتضيات لا يتسع لها هذا المجال ، ويمكنكم الحصول على المعلومات التي تطلبونها من القنصلية الاميركية

تعليل التعب

(القدس — فلسطين) ن . ح . خ

ما هو تعليل التعب الذي يشعر به الانسان بعد القيام بعمل مجهد ؟

(الهلال) يشعر الانسان بالتعب لان الياف عضلات جسمه تتغير عند الاجهاد بحيث لا تستطيع التقلص بشدة . ولم يقف العلماء حتى الآن على سبب التغيير المذكور فقد يكون ناشئا عن استنفاد تلك الالياف لبعض مواد الغذاء أو عن مادة سامة تنتج عن استعمال الالياف . وربما كان السبب الحقيقي كلا الشيئين كما ان القاطرة البخارية تستنفد الوقود (وهو بمنزلة الغذاء لها) وفي الوقت نفسه تنتج الرماد

نهر المسيسبي

(ناتشز — الولايات المتحدة) خليل رفول

كيف عرف الهنود الحمر في أميركا ان نهر المسيسبي هو أطول أنهار العالم فسموه بهذا الاسم فان معنى كلمة « مسيسبي » أبو الانهار ؟

(الهلال) لا نعلم معنى كلمة مسيسبي تماما فاذا كان معناها كما تقولون فليس في هذه التسمية ما يدعو الى الاستغراب ، اذ ليس من الضروري ان يكون الهنود الحمر قد عرفوا انه أطول نهر في العالم حتى يسموه بالمسيسبي بل يكفي ان يكونوا قد عرفوا انه أطول نهر في بلادهم

الهجرة الى المستعمرات الانجليزية

(بالوتال — كولومبيا) حنا جبرائيل سعد

سمعنا ان الحكومة الانجليزية منعت مهاجرة جميع الاجانب الى مستعمراتها فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) لم نسمع بهذا المنع ولكنا نعلم ان الهجرة الى المستعمرات الانجليزية مقيدة بقيود يقصد منها تقليل تلك الهجرة وعدم السماح بها الا للعناصر التي يرجى منها ان تفيد في ترقية تلك المستعمرات

فائدة اليود

(سيرا ليوني — أفريقا الغربية) خليل ابراهيم

قرأت في الجزء الثالث من هلال سنة ١٩٣٢ في باب شؤون الدار ان أخذ ثلاث نقط الى خمس نقط من صبغة اليود في كاس ماء على الريق يمنع السل فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) لا شك ان لليود فائدة عظيمة للانسان فانه يمنع أمراضاً وحميات كثيرة واذا كان الانسان صحيح الجسم ودأب في استعمال صبغة اليود على الوجه المذكور فالارجح ان ذلك ينشىء فيه شبه مناعة من مرض السل

صلع الرجل دون المرأة

(لاغوس — نيجيريا) جوزيف عبود

هل من تعليل لصلع الرجل دون المرأة ؟

(الهلال) هنالك بضع نظريات لتعليل هذه الظاهرة الغريبة ولكن ليس بينها نظرية يسلم بها العلم تسليما تاماً . والارجح ان لاجهاد الرجل لقوته الجسمية والعقلية تأثيراً في بصيلات شعر الرأس اذ يضعفها فيؤدي ذلك الى تساقط الشعر . وقد أصبح « تعرض » الرجل للصلع وراثيا بمرور الزمن ويظن بعض العلماء ان دخول المرأة في ميادين الكفاح في الازمنة الحديثة سيؤدي بعد مرور الاحقاب الى تعرضها للصلع كالرجل تماما . والله أعلم

ذكر الافعى

(لاقوس ــ نيجيريا) ومنه

يقال ان ذكر الافعى ينتقم ممن يقتل أنثاه فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) الافعى ــ ولا سيما بعض أنواعها الشرسة ــ تهاجم كل كائن حي يدفعه سوء حظه الى طريقها ؛ ولا تقتصر أذيتها على من يقتل أنثاها أو ذكرها فقط

الكحول والذكاء

(بغداد ــ العراق) أحد المشتركين

هل صحيح ان استعمال الكحول ولو بكميات معتدلة يؤدي الى فقد الذكاء ؟

(الهلال) الارجح انه يؤدي الى ذلك بمرور الزمن وان أنكر بعضهم هذه النظرية . والادلة على ذلك كثيرة لا يتسع لها هذا المجال

عناصر الشمس

(بيروت ــ لبنان الكبير) أحد القراء

ما هي الطريقة التي يعرفون بها تركيب مادة الشمس ومادة غيرها من الاجرام الفلكية ؟

(الهلال) يعرف ذلك بواسطة السبكتروسكوب وهي آلة تحل الطيف الشمسي الى الالوان التي يتألف منها . ولما كان لكل عنصر من عناصر المادة المعروفة اشعاع يختلف عن اشعاع غيره فان أثر هذا الاشعاع يظهر في السبكتروسكوب ظهوراً واضحاً لا سبيل الى الشك فيه . وبهذه الطريقة نعرف ان في الشمس خمسة وأربعين عنصراً من العناصر الموجودة في الكرة الارضية

الحيوانات المنقرضة

(القاهرة ــ مصر) أحد القراء

لماذا انقرضت الحيوانات الكبيرة التي كانت تعيش على الارض في الاحقاب الخالية ؟

(الهلال) لا نعرف سبب ذلك تماما والارجح ان ناموس بقاء الاصلح هو الذي أدى الى انقراض بعضها والى بقاء البعض الآخر ــ واذا سألتم : لماذا كانت الحيوانات التي عاشت أصلح للبقاء من الحيوانات التي انقرضت : قلنا ان الجواب عن هذا يستغرق عدة صفحات من مجلة الهلال مما لا يتسع له المجال

ومن المحتمل ان يكون لتغير حالة الارض الجوية أثر كبير في انقراض بعض تلك الحيوانات . فقد كان الجانب الاكبر من الزحافات الهائلة من نوع ذي دم بارد . ولعل الكرة الارضية بردت في أثناء العصر الجليدي الى حد أصبحت معه غير صالحة لبقاء تلك الزحافات فانقرضت بمرور الزمن . وربما أتى ذلك البرد في النباتات التي كانت بعض تلك الحيوانات تغتذي بها فانقرضت وانقرضت معها تلك الحيوانات . وعلى كل يصعب جداً تحديد الاسباب التي أدت الى انقراض من انقرض . ولكن من السهل ان نقول ان سبب بقاء الحيوانات الاخرى هو أنها كانت صالحة للبقاء وقد استطاعت التغلب على العوامل التي كانت تعمل على ابادتها

تقسيم الوقت

(القاهرة ــ مصر) ومنه

من أول من قسم اليوم الى ساعات والساعة الى دقائق والدقائق الى ثوان ؟

(الهلال) البابليون هم أول من فعل ذلك وقد كان نظام العدد عندهم يقوم على الرقم (١٢) كما ان النظام العشرى يقوم اليوم عندنا على الرقم (١٠) . فجعلوا النهار اثنتي عشرة ساعة والليل اثنتي عشرة ساعة ، والساعة خمسة « اثني عشرات » من الدقائق ، والدقيقة خمسة « اثني عشرات » من الثواني . وكانوا يعرفون الوقت يومئذ بواسطة المزولة الشمسية في النهار وبواسطة مواقع القمر والنجوم في الليل

السياسة البريطانية هل لها أساس؟

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

كان تردد السياسة البريطانية في الشهر الماضي بين وجوب تنفيذ عهد عصبة الامم وبين نقض هذا العهد بوضع مشروع الصلح ، مما لفت الانظار الى التناقض الغريب الذي يعتور هذه السياسة ، ودعا الى التساؤل عن الاساس الذي تقوم عليه علاقة بريطانيا بالامم القوية والامم الضعيفة ، وهل هذا التردد يدل على عدم الاستقرار في السياسة البريطانية ، أو هو يتمشى مع المشهور عنها من الثبات على خطة واحدة جيلا بعد جيل . وقد عالج الاستاذ عباس محمود العقاد هذا البحث في المقال التالي ، وكشف فيه عن حقيقة هذه السياسة وعن السر في سلامتها من عواقب الاخطاء

من الكتاب الصحفيين والمؤرخين من يعتقد ويقرر أن السياسة البريطانية تنحو في جميع الحوادث الكبرى نحواً واحداً مدبراً من قديم الزمن يتوارثه الأعقاب عن الأسلاف ويرجعون فيه الى سجل مكتوب لا يفرط في كبيرة ولا صغيرة من شئون الدولة وعلاقاتها بالدول الأخرى

ومن الانجليز أنفسهم من لا يزال ينحي على حكومته أشد الانحاء لأنها تضطرب وتتردد في الحادث الواحد من اليمين الى الشمال ، ومن الشمال الى اليمين كرة أخرى ، بغير قصد معلوم ولا برنامج مرسوم . وأنها قد ضيعت كثيراً من الفرص النواجح من جراء هذا التردد والجزاف الذي لا يرجع الى تدبير أو تقدير - فأين تكون الحقيقة يا ترى بين هذين الطرفين المتناقضين؟

الحقيقة - كما هي العادة في أمثال هذه الخلافات - تجتمع من كلام النقيضين، ولا تستقر في جانب واحد من الجانبين . فليس للسياسة البريطانية سجل مكتوب كالذي يزعمه الصحفيون والمؤرخون الاولون ، ولكنها مع ذلك لا تخلو من اطراد واستمرار . وليست السياسة البريطانية بالتي تجرى خبط عشواء في شئونها الداخلية وعلاقاتها الخارجية ، ولكنها لا تخلو من تردد وشطط قد يسوغ نقد الناقدين إذ يرمونها بالمجازفة وتضييع الفرص في بعض الحوادث

وأصدق وصف لهذه السياسة أنها تجرى على « الممارسة » أو على مايسميه الانجليز أنفسهم

" Muddling through " وهو تحسس المواقف في حينها حسبا يقتضيه المقام

فاذا ظهر للذين يلاحظون السياسة البريطانيـة أنها تطرد في طريق واحد مرسوم فانما يرجع ذلك الى أسباب مختلفة أهمها السبب الذي ذكره « سير اوستن شمبرلن » في كتاب « سياسة الدول الخارجية » " The Foreign Policy of The Powers "

وخلاصته أن الضرورات الجغرافية هي التي تملى على الساسة البريطان ما يتخذونه من خطط متشابهة في جميع العصور ، لان الضرورة الجغرافية لا تتغير بين جيل وجيل فلا عجب في ثبات السياسة التي تقوم عليها وانتظامهـا في اتجاه واحد ، وان جاء ذلك أحياناً بغير تدبير قديم - قال سير اوستن شمبرلن : « ثلاث وقائع جغرافية كان لها السلطان الحاسم في مجرى التاريخ البريطاني ، فهى تفسر - كما توجب - الاصول الكبرى التي تقوم عليها تلك السياسة والشواغل التي يعنى بها الساسة : أولها أن بريطانيا العظمى جزيرة ، وثانيها ان هذه الجزيرة لا تنفصل عن القارة الاوربيـة إلا بمجاز ضيق من الماء ، وثالثها أن هذه الجزيرة قد أصبحت مركزاً لدولة واسعة النطاق شائعة المواصلات بين العيالم والبحار »

ويمضى الوزير بعد ذلك في سرد الاعمال المتشابهة التي فرضتها هذه الحقائق الجغرافية ، فهى التي دعت الانجليز الى حرب الاسبان في القرن السادس عشر لضمان استقلال الارض الواطئة التي كانوا يخشون الاغارة من شواطئها على جزيرتهم القريبة ، وهى التي دعتهم الى حرب نابليون في القرن التاسع عشر كما دعتهم الى حرب الالمان في القرن العشرين ، فسرى الى الاذهان من هذا التشابه في الاعمال أن الخطط السياسية مرسومة من قديم الزمان ، وانما الحقيقة أن المواقع الجغرافية هي الشيء الثابت الذي لا يتحول ، وكذلك كل ما يبنى عليه مع اختلاف الطوارىء والاحداث

وليس هذا السبب الوحيد لانتظام السياسة البريطانية على نهج واحد يخيل الى بعض الناس أنه منقول من سجل مرقوم ، فهناك سبب آخر هو نشأة الساسة البريطان جيلا بعد جيل على آثار المتقدمين من عظماء الوزراء وأقطاب الزعماء . فيندر بين وزراء بريطانيـا العظمى من تولى الوزارة قبل أن يكون كاتباً لزعيم عظيم ، أو ملازماً له فى عمله بضع سنوات ، أو وكيلاً لوزارة من الوزارات ، أو تلميذاً على نحو من الانحاء لاستاذ سابق في مراس الحوادث الكبرى وعلاج الخطط الدولية . ومن شأن هـذه التلمذة الدائمة أن توحد الآراء كما توحد الاعمال ، ولا سيما في بلد مشهور بالمحافظة وكراهة الوثبات في التغيير من حال إلى حال

وهناك سبب غير هذا وذاك : وهو سهولة استدراك الفرص بعد تضييعها أو الغفلة عنها ، لأن العزلة البريطانية لا تستعجل الساسة البريطان كما يستعجل الساسة الفرنسيون أو الالمان أو الطليان الذين لا تحميهم من الاخطاء عزلة كتلك العزلة البريطانيـة . فاذا فاتت السياسي البريطاني فرصة من الفرص فعنده الوقت الكافى لاستدراكها بعد التنبيه الى الخطأ وسوء التقدير . ومن هذا القبيل مقاومة الانجليز لفتح قناة السويس ثم رجوعهم الى شراء أسهمها والعناية بحراستها ، ومن هذا القبيل مقاومة الانجليز الظاهرة لقبول الحبشة فى عصبة الامم بناء على اقتراح الحكومتين الفرنسية والايطالية ثم رجوعهم الى تأييد هذا القبول والانتفاع به في سياستهم الافريقية والعالمية اكثر من انتفاع الفرنسيين والطليان أصحاب الاقتراح

تلك هى خلاصة ما يقال عن علة الثبات في مجرى السياسة البريطانية مع الدول الاخرى

أما سياستها مع الامم المغلوبة ، فهى جزء من تلك السياسة العالميـة التى تحكمها تلك العوامل الجغرافية والتقاليد الموروثة

ويزيد عليها أن الدولة البريطانية تحرص كل الحرص على ابقـاء الامم المغلوبة فى حالة اعتماد عليها وافتقار اليها في الشؤون الكبرى ، وهى شؤون الاقتصاد والحرب والسياسة

فهى لا تسمح لأمة مغلوبة بأن تستقل بنفسها في الصناعة والتجارة أو في الدفاع والعلاقات الاجنبية : لا تسمح بذلك إلا على كره منها حسبما تشعر به من قوة الأمة المغلوبة وطموحها إلى الحرية

قال لانسبري زعيم العمال المعروف في رسالة عن سياسة الدولة البريطانية : « لقد قلنا للهنود مرة بعـد مرة أنهم لا يصلحون للاستقلال بالحكومة المسئولة لانهم لا يقـدرون على الدفاع عن أنفسهم في وجه الغارة الاجنبيـة . وجوابهم على ذلك بطبيعة الحال هو : أننا لو رغبنا حقاً فى حكمهم لانفسهم لاسرعنا جهد المستطاع في تدريبهم على الدفاع عن بلادهم . والواقع أننا عملنا نقيض ذلك ، وأن الهنود لم تكن تعوزهم الصفات الحربية يوم ذهبنا اليهم . وقد كانت سياستنا منذ سنة ١٨٥٨ سياسة خوف وريبة منهم . فتألفت لجنة بيل للبحث عن تنظيم جديد للجيش الهندى في سنة ١٨٥٩ . وشهد اللورد النبرو حاكم الهنـد واللورد الفنستون حاكم بومباى أمام اللجنة شهادة عالية بصفات الشعب الهنـدى العسكرية ، ونصح كلاهما باجتناب تسليم السلاح الى الهنود لسرعة فطنتهم الى استخدام السلاح على أنواعه »

فالسياسة البريطانية تزيد العوامل التى تحوج الامم المغلوبة اليها ولا تزيلها ولا ترحب

بإزائها: تزيد هذه العوامل فى الاقتصاد وفي الحرب وفى السياسة، ولا تتورع عن عمل يبقى هذه الأمم في قبضتها ولو لجأت إلى أخبث الأساليب وأسوأ ضروب الافساد والاتلاف

ومنذ شاعت المبادىء الديمقراطية ومبادىء تقرير المصير بعد الحرب العظمى عمدت السياسة البريطانية الى استغلال هذه المبادىء فقبضت على أعنة السلطان واختفت وراء ستار في حكم الشعوب الشرقية. فاستفادت من ذلك سمعة الانصاف والايقاع بين طلاب الحكم والمظاهر ولم تخسر شيئاً مما كانت تغنمه قبل ذلك

وقد اطلعنا على كتاب ألفه الفرنسى « روبرت بوشار » يصف فيه فرعا آخر من السياسة البريطانية هو الفرع السرى الذي تتولاه الادارة الهائلة المعروفة بادارة الخفية

اسم هذا الكتاب « خفايا الجاسوسية الانجليزية »

Les Dessous de L'espionnage anglais

وفيه عجائب من التدبيرات والدسائس لا تفوقها عجائب الخيال في أعجب الروايات، وفيه شيء يتعلق بالتجسس على زعيمنا سعد زغلول أثناء مقام الوفد المصرى بباريس، وفيه شيء عن العبث باخبار القتال أيام الحرب العظمى لتوفير مكاسب الادارة - إدارة الخفية - من رفع الاسعار وهبوطها وشراء الاسهم وبيعها، لان الادارة مستقلة فى مواردها ومصروفاتها عن حساب الدولة الخاضع لرقابة البرلمان، وفي الكتاب أشياء عن ايفاد الرسل المتنكرين واختلاس حقوق الاستقلال في الاقطار الشرقية، وقتل بعض الاعوان الخائنين أو بعض الرجال الواقفين في الطريق، يحار العقل فى تصديقها ولكنها تستحق الدراسة وتدل على كثير من الاسرار. ومهما يكن من مبلغ تمحيصها فلا شك في التجاء السياسة البريطانية كثيراً الى الاساليب الخفية التى تشابه هذه الاساليب

وصفوة هذه الاقوال أن السياسة البريطانية تعالج الامور معالجة المراس والمحاولة على حسب الحوادث والاوقات، ولكنها تطرد في الغاية والوسيلة لانها خاضعة قبل كل شيء للضرورات الجغرافية، ولأنها تجرى على أيدي أناس يتوارثون الحكم توارث التلميذ للاستاذ في التفكير والتنفيذ، وهى لا تتورع عن شيء في سبيل تسخير الشعوب المغلوبة لها في ميادين الاقتصاد والحرب والسياسة الخارجية، مع التستر وصيانة السمعة والمظهر وليس يصعب عليها استدراك الاخطاء لان مصابها بعواقبها السيئة أبطأ من مصاب الاخطاء في سياسة القارة الاوربية

عباس محمود العقاد



يا زعماء الائتلاف ويا أعداء الاختلاف :

يلوح لى أن الهواء مشبع بروح الثورة : فانني وأنا قادم الى هذا المكان رأيت الشوارع تمج بالثائرين ، وفى الشهر الماضي أحييتم ذكرى ثورتكم في اليوم الثالث عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨ ، كما نحيي ذكرى ثورتنا في سورية في شهر اغسطوس سنة ١٩٢٥، ويحيي العراق ذكرى ثورته فى سنة ١٩٢٠ ، وفلسطين في سنة ١٩٢٩ ، وكذلك تفعل مراكش بذكرى ثورة الظهير البربرى ، وتونس بذكرى الدستور ، والجزائر بذكرى ابن جلول واخوانه ، وطرابلس الغرب بذكرى جهودها التي لن تنسى . فكل هذه ثورات اقليمية لمعالجة شؤون اقليمية يجمعها كلها الاحتجاج العملى على الاستعمار وأعوان الاستعمار . ولكننا اجتمعنا اليوم للاحتفال بذكرى ثورة لا تشبه هذه الثورات المحلية — هى ثورة عامة ليست للعرب فقط بل للعرب والعجم وسائر المخلوقات — هى ثورة الروح على المادة ، ثورة الفضيلة على الرذيلة ، ثورة النور على الظلمة، ثورة أهل بدر حلفاء الرحمن ، على مشركي قريش حلفاء الشيطان

إن معظم الثورات التى قامت في العالم كان للبواعث الاقتصادية فيها الشأن المفوق ، وآخر هذه الثورات الشيوعية للعمال ، والكمالية والفاشستية والنازية للاوطان، ولكن هنالك ثورات غايتها أسمى وأجل وخيرها أشمل وأعم وهى الثورات التى يرتفع علمها للقضاء على المساوىء الاجتماعية والامراض الروحية . وقد دل التاريخ

أقيمت في الشهر المنصرم حفلة بدار جمية الشبان المسلمين لذكرى غزوة بدر وانتصار المسلمين بقيادة النبي محمد على المشركين من قريش . وقد حضرها طائفة من زعماء مصر والشرق العربى . وخطب فيها الزعيم السوري الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر هذه الخطبة الشائقة . وقد تفضل حضرته فخصّ بها « مجلة الهلال » فنحن ننشرها له شاكرين

على أن الاسلام - من حيث الغاية المجردة عن المنافع الحقيرة - هو على رأس هذه الثورات التي لم تبل جدتها القرون الخوالي ، فقد هب كالعاصفة لاستئصال عبادات سخيفة ، وشعائر وعادات مخيفة لا يقوم عليها مجتمع صحيح . وحسبه شرفاً وفخاراً أن ينقذ العرب أولا والعالم ثانياً من عبادة إله لا يختلف كثيراً في صفاته وبواعثه ومراميه والجلباب الذى يجلبب به عن شيخ كبير من شيوخ القبائل . وقد دل التتبع على أن التنزيه عن النقائص والعيوب في الآلهة شأناً كبيراً في تدرج الأخلاق ، ذلك لأن الامم تنطبع على غرار الآلهة التي تعبدها ، ولو لم يكن للاسلام من الميزات إلا التنزيه ومنع المسكر والاعتماد على النيات والابتعاد عن المصلحة المادية والامر بالمعروف والنهى عن المنكر لكفى ، ولكن قريشاً كغيرهم من القبائل والشعوب طبعوا على المحافظة والتمسك بعادات الآباء والجدود بالغة ما بلغت من السخافة والانحطاط ، فلا عجب أن يقفوا في وجه الثائرين جبهة واحدة فيكموا أفواههم كما تكم الصحف بالقوانين الخاصة في عهد الحكومات المستبدة الظالمة ، ويضيق عليهم في روحاتهم وغدواتهم ، وتوضع الجواسيس لمراقبتهم فى حركاتهم وسكناتهم ، ويؤتى بهم للاستجواب كما يؤتى بالمشبوه بهم الى المحافظة أو دائرة الامن العام ، حتى أصبحت الحياة في الوطن العزيز لا تطاق تحت هذا الكابوس المهلك ، فنادى المنادى هلموا نرحل فراراً بعبادتنا وعقائدنا من هؤلاء الظلمة الطغاة الذين لا تتسع عقولهم ولا تلين قلوبهم

ولكن فات قريشاً أن هؤلاء الثوار ليسوا ثواراً اعتياديين يرضون أن يطردوا من ديارهم ويقبلون الضيم ويسكتون على الاذى ، بل قاعدتهم هى أن يعتدوا على المعتدي بمثل ما اعتدى . ومثلهم الاعلى في الحياة هو أن الظلم إذا أناخ على الصدور بحيث لا يتزحزح إلا بالقوة فالجبان الذى يفر من القتال

كانوا قبل هدايتهم يستميتون فى الدفاع عن بيت من الشعر يبيتون فيه أو قطعان من السائمة يرعونها أو بقعة من الارض ينبت فيها الشوك والبلان ينزلون بها ، فما أحراهم أن يبيعوا أرواحهم في تأييد الوحدانية المنزهة وتحقيق عدلها وصدقها وأمانتها ، لقد انتقلوا بواسطة هذه العقيدة الجديدة من الماديات الى المعنويات ، فلم تعد لبيوت الشعر وأسراب الابل والغنم والماعز وسائر أنواع الثروة قيمة فى نظرهم إلا بقدر ما تحقق لهم من هذه المناظر الجديدة التى تجلت لعقولهم وأرواحهم على مسرح مذهبهم الجديد ، فالله أكبر من كل كبير ، والصدق والامانة والاستقامة والعدل والاقدام والجرأة بالحق أعز من كل عزيز

بيد أن قريشاً لم تحسب لهذه القوة الجديدة الروحية المتفجرة الحية حساباً،فاحتقرت أصحابها وعدتهم مجانين ومهووسين غير مرغوب فيهم ، ومخدوعين لا يقام لهم وزن ، ومشاغبين يجب ابعادهم ، شأن كل مصلح مجدد ثائر على الاوضاع الظالمة والنظم البالية ، واستهترت بهم الى درجة أن أبا جهل لما طلب اليه ابو سفيان أن يعود الى مكة برجال قريش حسماً للنزاع ، أجابه : « والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا »

انهم لم ينحروا جزورهم ولكن نحروا رجالهم ، ولم يطعموا الطعام ولكن غصوا بريقهم ، ولم يسقوا الخمر ولـكن سفحوا دماءهم على الارض ، ولم تعزف عليهم القيان ولكن ولولت عليهم النساء ـ كما يجب أن تولول على كل جبان ـ لهزيمتهم . ولما سمعت بذلك العرب احتقرتهم واحترمت خصومهم فدخلت فى صفوفهم أفواجاً أفواجاً

لقد انتصر العقل على الجهل أخيراً ، وفازت المعنويات على الماديات للاسباب الآتية :

(أولاً) وحدة القيادة : فالقائد العام في الثورة كان ذا مواهب حربية اعترف له بها أعداؤه ، وكان محترماً مبجلاً مسموع الكلمة نافذ الاشارة بين أصحابه ، له سلطة على الارواح قبل أن تكون له سلطة على الاجسام ، يدلك على ذلك قول المهاجرين له يوم غزوة بدر: «إنا معك ، وانك لو سرت الى برك الغماد لجالدنا معك دونه حتى نبلغه» وقول الانصار له : « قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أنما جئت به هو الحق فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك ، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، فسر على بركة الله »

حقاً إن في الاسر من تضعه زوجه واولاده في المقدمة ، فيقال له« رئيس» وفي الناس من تضعه الظروف والملابسات على رأس العمل ، فيقال له« زعيم » وفي الجنود من تصدر الاوامر السنية بتوليته أمر الجيش فيقاله له «قائد» ، ولكن الذى شق طريقه في الصخر من راعى ابل الى أن استولى على الارواح والاجسام ليس رئيساً وزعيما وقائداً فقط بل هو نبى كريم

(ثانياً) وحدة الغاية : وهذه الغاية التى استولت على قلوب الثوار المنتفضين هي سحق الاصنام واعلاء كلمة الحق ، فكان كل شيء دونها عرضاً ، وعندهم أن الذى لا يتقدم الى الصف الاول للدفاع عنها لا يستحق الامانة التى يحملها في عنقه للمذهب الجديد ، أما قريش فكانت منقسمة على ذاتها لا تعرف ماذا تصنع ، وبعضها رأى في أول الأمر أن

يعود الى مكة برجاله كما فعل الاخنس بن شريق يوم عاد ببني زهرة ـ ويتراوح عددهم بين مائة وثلثمائة ـ ناهيك بذلك الجدل العنيف الذى احتدم بين الزعيم عتبة بن ربيعة وأبي جهل

(ثالثاً) الخطط الحربية القويمة والتعبئة الصحيحة : قال (مرغوليوث) عن القائد العام إن ميزاته الحربية تجلت لاول مرة فى هذا الميدان ، وان النظام والثبات على الغاية شكيمتان في الجيوش تقودانها الى الظفر، وانهما كانتا متوفرتين في الجانب الاسلامى مفقودتين فى الجانب الجاهلى . وحدث أن النبي وهو يرتب الصفوف للحرب أصاب أحد أصحابه بعصاه فآلمه ، فاقترب هذا من النبي وقبله من بطنه للحصول على الترضية الكافية

وكان القائد العام عند احتدام المعركة يبث الامل فى النفوس ويقوى القلوب بآياته البينة وبلاغته الساحرة ، ومع كل هذه الميزات الجلية والمقام الرفيع الذي ناله لم يأب أن يستشير اخوانه ويرجع عن رأيه اذا اقتضى الحال الاخذ برأيهم كما هو معروف فى الرأى الحربي السمين الذي ابداه الحباب بن المنذر،فقد قبل رأيه ونفذ كما يقبل وينفذ رأى رجال أركان الحرب في المقر العام . وخلاصة هذا الرأي أن ينزل المسلمون في أقرب ماء من المشركين ويبنوا حوضاً ويملأوه ماء لشربهم ، ثم يقذفون بالآنية في البئر ليغوروه ، ويقيمون حامية منهم للدفاع عن الحوض الذى صنعوه مما يسهل لهم ورود الماء ويقضي على أعدائهم بالموت ظمأ

(رابعاً) ايمان الثوار بحسن الخاتمة : قال (مرغوليوث) : وهنالك دليل على أن الباعث الروحي العظيم الذى فعل العجائب في العدد الكبير من ميادين القتال الاسلامية ساعد كثيراً في هذا الميدان ايضاً ، وذلك أن الموت في سبيل الله كان في نظر الكثيرين من المجاهدين مقدماً على الظفر في الميدان ، فالمؤمنون وقد أضناهم الشوق الى جنات النعيم احتدموا غيظاً من السلاسل التى قيدتهم بهذا العالم الفانى فتراموا ببهجة وحبور على العدو الذى صيغت من نصلات سيوفه مفاتيح الجنة

وفي يومنا هذا إذا هبت ريح الجنة على الوهابيين فى ميادين القتال باعوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله

(خامساً) الانتقام : وهو الانتقام من الطغاة العتاة الذين لا يراعون إلاًّ ولا ذمة فى مقاومة النهضة الروحية الحديثة ، هو انتقام للعموميات لا للخصوصيات ، للمعنويات لا للماديات ، للرحمن لا للشيطان ، فأين هذا الانتقام الايثارى النزيه الذى حدث في القرون

الوسطى المظلمة من انتقام الطليان من الحبشة مثلاً في عصر النور؟ زحف الطليان منذ نحو اربعين سنة على الحبشة ليسحقوها ويستعبدوها ويسخروها لمآربهم الدنيوية الحقيرة، فلما صدهم الاحباش عنها وأعملوا السيف في ظهورهم دفاعا عن الحرية والشرف والوطن وكسرات من العيش في بطون النساء الجائعات، قام موسوليني اليوم بعد ما حشد أعظم الجيوش وجمع أحدث العتاد يطلب الانتقام، فأين موقف غزاة بدر وايمان غزاة بدر وغايات غزاة بدر من موقف الطليان وإيمان الطليان وغايات الطليان؟ إن قضية الطليان هي بسطة سياسية عسكرية، وطمع أشعبي، وغطرسة الابيض على الاسود، ولكن قضية غزاة بدر: مظلوم مرهق ينتقم من ظالم مرهق، ومؤمن مضطهد يثأر من وثني مضطهد، وانسان حر كامل يتخلص من عبودية غرٍ ناقص، فلا عجب أن تغلب فئة الحق القليلة فئة البطل الكثيرة، وان تكون الكلمة العليا والاخيرة للذين آمنوا وعملوا الصالحات وعرفوا أن النجاة من التهلكة لا تكون بالبكاء والعويل واقامة الاحزان، بل بالجرأة والاقدام وتحطيم القيود والاغلال

اخواني زعماء الائتلاف وأعداء الاختلاف: الحق كنز ثمين لا يقوّم بالمال، وشرف عظيم لا ينالُ بالأماني والآمال، ولكنه تزداد قيمته ويتلألأ نوره اذا ما انتزع بالقوة من جيوب المبطلين وحمل على هامات الرجال

واسمحوا لي أن أقول لكم في الختام اننا في هذا الشرق العربي الناهض قد أصبحنا نفزع من الاستسلام وترتعش أفئدتنا من الانقياد. ذلك لان التجارب علمتنا أن الخضوع سلم الجبروت، وأن الرضاء مطية الظالمين، وأن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم

في انتصار بدر

سمونا يوم بدر بالعوالي سراعا ما تضعضعنا الحتوف
فلم بر عصبة في الناس أنكى لمن عادوا اذا لقحت كشوف
ولكنا توكلنا وقلنا مآثرنا ومعقلنا السيوف
لقيناهم بها لما سمونا ونحن عصابة وهم ألوف

حسان بن ثابت

ميادين القتال

بين الأجناس والأمم والطبقات

بقلم الأستاذ أحمد أمين

أحب الحديث الى النفوس، ما وافق الظروف، فمن اللياقة أن تتحدث فى الكوارث والمصائب والصبر عليها فى المآتم، وأن تتحدث فى السعادة والسرور والهناء فى حفلات العرس، فان أنت عكست فغنيت نغمة حزينة فى عرس، أو نغمة سارة فى مأتم، رميت بضعف الذوق وقلة اللياقة

والناس الآن كلهم فى حالة حرب وحديث حرب واستعداد لحرب، فلنختر موضوعا للكتابة يتفق وهذه الحالة النفسية. وإلا كان الكلام غثا بارداً وحديثاً سمجا. والكاتب كالمغنى، يجب أن يساير الشعور، ويراعى العواطف، ويتخير لكل مقام مقالا، ولكل موقف انشودة. ولكن ان كان الكاتب موظفاً وجب أن يبتعد عن السياسة، فهو اذا اختار موضوعا سياسيا كعنوان هذه المقالة وجب ان يكتب فيه علمياً أو أدبياً، ويترك للساسة أن يعالجوه سياسيا، فهم به أعرف وعليه أقدر، وبحكم ظروفهم أصرح

والعالم كله ميادين قتال فحيثما التفت وجدت ميدانا، ووجدت حروبا، ووجدت ضحايا فكأن الذى خلق الخلق سلط بعضهم على بعض، فهم فى نزاع مستمر وحرب دائمة. ان نظرت الى الحيوانات فهى تتناطح دائما، ويفترس القوى الضعيف دائما، ذئب يفترس شاة، وسبع يفترس ذئبا وهكذا. وميدان قتالهم فسيح لاحد له

وان نظرت الى الانسان والحيوان وجدت ميدانا آخر للقتال بديعاً، انسان يفترس دجاجا وشياها وانعاما، وأسد يفترس انسانا، وميكروب يفترس هؤلاء جميعاً. وان نظرت الى عالم الانسان وحده وجدت ميادين القتال أروع، والحرب فيها أبرع، ووجدت ما كان فى الميادين الأخرى عن غريزة ساذجة، وانفعال فطرى، هو فى الانسان وليد الغريزة والعقل معا، برز العقل فى الميدان، فكان أبرع ما كان، عرف كيف يستخدم العلم والطبيعة وكل شىء فى الحياة فى حروبه، فكان فتكه ذريعاً، وحصده شنيعا وسلاحه مبيداً واختراعه وبيلا

وكل يوم يمد العقل ميادين القتال بصنوف المهلكات والمدمرات، ويعم الميادين من الأرض الى السماء، ومن البر الى الماء. ويمعن فى اختراع الآلات من حجر الى رصاص، ومن رصاص الى غازات. ومن غازات الى مالا يعلمه إلا الله خالق العقل - ثم هو لايكتفى بما عرف عن الحيوان من قتال بل يقاتل فى المعانى كما يقاتل فى الاجسام، فهناك ميادين للقتال فى الاخلاق،

وميادين فى الشهوات ، وميادين فى العلم ، وميادين فى النظم الاقتصادية والاجتماعية ، فكانت ميادينه لا تحصى . ولا يمكن أن تستقصى . فان قلت انك فى كل خطوة تخطوها ، وفى كل حركة تحركها ، وفى كل معاملة خلقية ومالية واجتماعية تصدرها فانت فى ميدان حرب ، وانك كاسب فى كل منها أو خاسر ، وانك تظفر بعدو لك أو يظفر بك عدوك لم تعد الصواب ولم تخطىء القول

ولكن اذا اتسعت الميادين بهذا الشكل لم يستطع الكاتب أن يشملها بالكتابة وأن يعمها بالقول جملة ، فخير أن يختار منها ميدانا يصفه ، ويقتصر على شرحه . فلنكتف اليوم بأهم أنواع القتال بين بنى آدم

ونحن اذا دققنا النظر وجدنا انها انواع ثلاثة : القتال بين الاجناس والقتال بين الامم والقتال بين الطبقات

القتال بين الاجناس

فالعداء بين الأجناس سببه الاختلاف الطبيعي والاجتماعي بينهم ، فالانسان من طبيعته العطف والميل والتعصب لمن يشاركه فى لونه وملامحه وشعره وملبسه ، وقد جر هذا العطف الى التعاون بينه وبين امثاله من هذا القبيل ، فتقاربوا كذلك فى الأخلاق وفى العقلية وفى المظاهر الاجتماعية فتأكدت بينهم الصلة ، كما أن من طبيعته الكره والبغض والتعصب على من لايشاركه فى تلك الخصائص الجسمية ، فجر هذا الكره الى عدم التعاون . فتباعدوا فى الاخلاق وفى العقلية وفى المظاهر الاجتماعية فبعدت مسافة الخلف بينهم ـ وعملت الوراثة والبيئة عملهما فى توثيق الصلة بين الاولين ، وشدة التنافر بين الآخرين . وأصبح الخلاف بين السود والبيض مثلا ليس خلافا فى اللون وحده بل خلافا فى العقلية والاخلاق وفى الحياة الاجتماعية وفى النظر الى الاشياء وتقويمها ، وفى الحياة الاقتصادية وغيرها

وليس القتال بين الاجناس المختلفة الألوان مقصوراً على القتـــال لتحصيل العيش ، بل هو كذلك قتال على السيادة . فالجنس الابيض ـ مثلا ـ يرى أن له من المزايا والصفات مايؤهله أن يحكم الجنس الاسود ويسيطر عليه ـ وأكبر مظهر لحرب الاجناس المشكلة التى بين البيض والسود فى أمريكا . فقد بدأ النزاع بينهما من القرن السابع عشر . وما تزال هذه المشكلة الى اليوم أهم مشاكل الولايات المتحدة ـ والنظريات العلمية تتنازع بينهما تنازع الجنسين أنفسهما . فنظرية ترى أن استعداد السود لابأس به ، وانهم يصلون فى الاعمال الاقتصادية والحكومية وفى الفنون الى درجة ليست بالمنحطة . وانهم ان لم يبلغوا شأو البيض فليس لقصر فى استعدادهم ، وانما هو لما أحاط بهم من ظروف . ولعزلتهم وعدم معاونة البيض لهم ونحو ذلك من أسباب . ونظرية ترى أن استعدادهم الفطرى ضعيف وعقليتهم منحطة ـ مهما هيء لهم من ظروف . وأنه مهما

أعينوا وسوعدوا فلن يصلوا الى درجة البيض بحال ـ وعلى هاتين النظريتين ثارت مشاكل فرعية : هل يصح تزاوج السود والبيض ؟ والى أى حد يسمح للسود بالاشتراك فى المسائل الاجتماعية والسياسية ؟ الى كثير من أمثال ذلك

وليس النزاع بين السود والبيض فى امريكا هو المثل الوحيد فى النزاع بين الاجناس. فالحقيقة أن هذا النزاع دائرته أوسع مما يظن . فحركة مصر والهند نحو الاستقلال ، والعداء بين أمريكا واليابان ، وحركة الامم الشرقية جميعا نحو التحرر من الاستعمار والانتداب ، من أسبابه الاختلاف بين الاجناس ولست أقول إنه هو السبب الوحيد

وكثير من العلماء يرى أن هذا النحو من النزاع آخذ فى الضعف لأنه يرجع الى العواطف الموروثة التى تبعث على الكراهية . فاذا حل محلها العقل وحسن التقدير وسعة النظر قل هذا العداء وضبطت هذه العواطف ، وادرك الناس أن هذا النزاع ليس فى مصلحة أحد المتخاصمين ولا فى مصلحة الانسانية . وأن تعاون الاجناس خير لكل مرافق الحياة سواء كانت اقتصادية أم علمية أم سياسية أم اجتماعية

القتال بين الامم

وهذا النزاع بين الامم يرجع عادة ـ أيضاً ـ الى سببين : سبب نفسى وسبب اقتصادى : فالنفسى منشؤه الاختلاف بين الأمم فى الأخلاق والعادات والمميزات والثقافة والتاريخ . والسبب الاقتصادى منشؤه قلة الحاجات بالنسبة الى سعة الرغبات . فخيرات الدنيا أقل من شهوات الأمم . ولذلك يشتد النزاع وتتسابق الامم للحصول على أكبر قسط منها فيكون الاصطدام

وهذا النزاع الذى بين الامم هو بعينه الذى كان بين القبائل أيام البداوة . وبين الاشراف أيام حكم الاقطاع . فلما تكونت الامم بحكم الظروف بدأ هذا النزاع القبلى والاقطاعى يتحول الى نزاع أممى . وعظم شأنه بعظم المتحاربين . فالقبيلة قليل عددها . ضعيف دخلها محدود قدرتها . فاذا حاربت قبيلة قبيلة أخرى مثلها كان القتال بنسبة قوتهما . فلما قوى المتحاربون وأصبحت وحدة الجبهة هى الامة لا القبيلة زادت ويلات الحروب وعظم خطرها

والغرض الذى ترمى اليه الحروب بين الأمم ـ كذلك ـ نفسى ، واقتصادى . فالاقتصادى تحصيل خيرات الامم المغلوبة من أراض وأسرى وأنعام وذهب ونحو ذلك ـ والنفسى هو السيطرة على الامة المغلوبة واذلالها واخضاعها لحكمها ـ وهذان الغرضان كانا وما زالا يغذيان نفوس الشعوب ويدفعان أفراد كل أمة للتعصب الشديد لأمتهم والعداء الكامن لغير

ولكن أخذ يتجلى للناس شيئاً فشيئا أن هذا القتال لايحقق الغرض منه . فمن الناحية الاقتصادية قل أن تساوى نتائج الحرب ماضاع بسببها ، سواء فى ذلك الغالب والمغلوب . وكـ

أمة هي في الواقع عامل من عوامل الثروة في العالم . فاذا أضعفت ضعف انتاجها فيتضرر العالم من ضعفها . ومن الناحية النفسية لاخير في هذا العداء ولا في هذا التعصب فهو نفسه يزيد الحالة الاقتصادية سوءاً ويزيد النار وقوداً . والعلماء القائلون بهذا يتفاءلون بأن العالم صائر الى أن يفهم هذه الحقيقة فهماً جلياً فتقل الحروب أو تنمحي . فكما كان في القديم اذا خاصمت أسرة أسرة حاربتها . واذا خاصم فرد فرداً بارزه ، ثم ترقى الناس فأحلوا التفاهم محل القتال واذا لم يكن تفاهم فهناك محاكم يخضع لها المتخاصمون . فكذلك يجب أن يكون الشأن في الامم لا تتحاكم الى السيف وانما تتحاكم الى العدل - ولكن كلما أمل المتفائلون خيرا أتت حوادث العالم فخيبت ظنهم وأقصت أملهم

القتال بين الطبقات

كل أمة جاوزت طور البداوة نشأ فيها جماعات ممتازة - وأوضح شيء في هذا الامتياز هو الثروة أو الملكية . وهذه الثروة هي السبب في كل الامتيازات الاخرى . فالغنى ينشأ عنه سعة أوقات الفراغ . فليس يصرف الزمن كله في تحصيل القوت . ومتى وجد الفراغ استطاع صاحبه أن يتفرغ للعلم أو الفن . وبذلك يكبر عقله . ويرقى ذوقه . فتصبح الطبقات متميزة في الثروة والثقافة جميعاً ، والثروة والثقافة تسببان قوة ، وهم يستخدمون هذه القوة في مظاهر مختلفة . فتمايز الطبقات في الثروة والثقافة والقوة وما ينشأ عنها - وهذا التمايز يورث في الاسر . فالاسرة ترث عن عميدها ثروة ، وترث جاهاً وقوة وترث ثقافة . وبمضي الزمان واستمرار الارث تزيد الفواصل بين طبقات الامة . فتجد طبقة من الشعب أن ليس لها من الوسائل ماينفقها . ولا من الوسائل مايحييها حياة طيبة صالحة . ولا من الوسائل مايمكنها من أن تكون لها مكانة في المجتمع وترى طبقة الاغنياء ممتعة بكل هذه الوسائل . فيكون هناك ميدان ثالث من ميادين القتال - فكان قتال بين ملوك الاراضي وعبيدهم . وكان قتال بين أصحاب رءوس الاموال والعمال . وكان قتال بين أصحاب الآلات الحديثة والصانعين بأيديهم . وعلى الجملة كان هناك قتال بين الارستقراطيين والديمقراطيين - فالارستقراطيون يريدون أن يحتفظوا بثروتهم وبقوتهم وبجاههم . والديمقراطيون يريدون أن يحيوا حياة خيراً من حياتهم . وهم لايرضون أن يكونوا عبيدا . ولا يقنعون بالفتات الذي يتبقى من موائد الاغنياء ولا أن يعيشوا في جهل وظلام ، فكان من ذلك صراع أي صراع ، صراع يمتاز عن حرب الاجناس وحرب الامم بأنه حرب دائم مستمر ، لايظفر أحد الجانبين ظفراً إلا ويستعد للموقعة التي تليها . وهكذا تنتهي الحياة بين حرب واستعداد للحرب وتوزيع للغنائم

وقامت النظريات الاشتراكية وغير الاشتراكية تتنازع في المبادىء تنازع الطبقات في الحياة .

وكان ظفر الديمقراطية - على الجملة - أكبر . وانتصارهم أتم وأبهر . فحسن مركزهم فى الهيئة الاجتماعية واستطاعوا أن ينالوا حظا من التربية والتعليم . وكانوا كلما ظفروا بشىء استخدموه فى الموقعة التى تأتى بعده . فاستخدموا تعلمهم واستخدموا القوانين المشروعة لهم فى تنظيم ساعات عملهم - ورفع أجورهم فى المطالبة بأكثر مما نالوا ، وبحقهم أن يعيشوا خيرا مما عاشوا . وحاربوا الافكار الشائعة أن طبقة من الناس خلقت لتحكم وتنعم بالثروة ، وطبقة اخرى خلقت لتحكم . وقالوا ان فى كل طبقة مزاياها وعيوبها ، وفى كل طبقة أناسا متميزين بفطرتهم واستعدادهم يستطيعون أن يتبوءوا احسن المراكز ويتحملوا أشق التبعات لو أتيحت لهم الظروف ، وهؤلاء موجودون بين الفقراء كما هم بين الاغنياء

وأهم مظهر للنزاع بين الطبقات كان فى تولى شؤون الحكم كالنزاع بين طبقة المحافظين وطبقة العمال عند كثير من الامم . كما كان فى كسب الرأى العام بعرض كل فريق حججه وأدلته وشرح قضيته شرحا مستفيضا ليكسب الناس بجانبه ويفوز بتأييدهم له

وكان أكبر نصر نشأ من هذا النزاع بين الطبقات تقرير حقوق الانسان وسيادة المبادىء التى تقرر أن الحكومة انما وظيفتها أن تخدم كل الطبقات على السواء لا طبقة خاصة . وألا تعير أى التفات الى انقسام الناس الى طبقات . وأن تتجه الى الرأى العام من غير تمييز ولا تحيز . وأن تتيح الفرص فى التعلم والكسب والمناصب للناس على السواء . وأن تنظم الشؤون الاجتماعية على اساس المساواة لا على اساس الطبقات . وأن تفهم الناس ان قيمة كل فرد انما هى فى شعوره بالواجب وادائه . لا فى الفخر بأجداده وآبائه

° ° °

وبعد فهذه هى اهم ميادين القتال بين الناس . وهناك موضوع آخر يتصل بهذا أتم اتصال ، وهو مناهج القتال التى استعملت فى هذا النضال سنرجىء الكلام فيها الى مقال تال ، ان شاء الله

احمد امين

من أراد التماس شىء غلابا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى ان يكون الغضنفر الرئبالا

ابو الطيب المتنبي

شباب الأدب وشيخوخته

هل يحرم الأدب يحرم الأدباء

بقلم الدكتور زكي مبارك

للادب شباب وشيخوخة ، كسائر الاحياء ، وهو خليق بأن يكون أمة وحده ، فيتمتع بالقوة والفتوة ، ويقاسي آلام الضعف والهزال ، كما يتفق ذلك للافراد والشعوب

ولنذكر دائما أن الكتاب صديق يضر وينفع . فهو يعدى بالقوة ويعدى بالضعف . كما يعدى الصديق ، ألست في الاغلب صورة من صديقك الذى تألفه وتسكن اليه ؟ ألا تشعر باتساع آفاق الامل أمام عينيك حين تتحدث إلى صديق قوى العزيمة ؟ ألا تشعر بالدنيا تضيق فى وجهك حين تتحدث إلى صديق متبرم بالوجود ؟

كذلك يكون الكتاب . فالمؤلف الفتى يدفعك إلى ميادين المغامرة ، ويثير فيك التطلع إلى استكشاف المجهول ، والمؤلف الشيخ يقنعك بان الدنيا لم يبق فيها خير ، وأن الحياة ليست الا مسبعة يفترس فيها كرام النفوس ، وأن التقوى توجب التحرز من جميع الناس

كان القدماء يقولون :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

وانما وقف الشاعر عند القرين لانه صاحب ملموس ، أما اليوم فأنا أوصى باختيار مذاهب الرجال فى الادب قبل التعرف اليهم ، وقبل اصطفائهم فى عالم الصحبة والوداد ، لأنى جربت بنفسى آثار المذاهب الادبية فى تربية النفس وتربية العزيمة وتربية الضمير . ولى أصدقاء أعزهم وأحنو عليهم . ولكنى أتجنب لقاءهم ما استطعت ، لأنهم يخونوننى فى الدنيا ، ولأنى أرى فى شمائلهم ملامح ضعف تنفر من التأهب إلى ميادين النضال

الأدب صورة النفس ، فلا تبحث فى شبابه وشيخوخته من حيث ذاته ، ولكن ابحث عن مصدره الأول ، وهو قلب الاديب . ومثل الادب فى ذلك مثل الماء . هو تارة عذب ، وتارة ملح . مع أنه ينبع من عينين متقاربتين . فالماء واحد فى الطعم واللون . وانما يتغير بتغير الارض التى تنبع منها العيون . أليس النيل واحداً فى جوهر مائه ، أو كأنه واحد . فما بالنا نرى السواقى مختلفة المذاق فى وادى النيل ، ان سر ذلك بسيط . هو جوهر الارض التى تنبع فيها الآبار ، وهى تختلف فى العذوبة والملوحة فتقدم لكم ما تذوقون من مختلف الالوان ، وكذلك الادب يختلف قوة وضعفاً باختلاف النفوس والقلوب ، فالقلب الفتى ينتج أدباً فتياً ، والقلب الكهل ينتج أدباً كهلا ، واليكم بعض البيان :

أكثر الشعراء يبدأون حياتهم بالتشبب ، لأن النفس تتفتح أول ما تتفتح على أزهار الحسن والصباحة والجمال ، ومتعة الاحساس هي أول ما تقع عليه العيون ، ومن أجل هذا قيل :

« اثنان أبرد من يخ : شيخ يتصابى وصبي يتمشيخ »

وهذا المثل سمعته منذ عشرين عاماً من أستاذنا الشيخ أحمد الحملاوي ، رحمه الله ، واليخ كما فسره هو دود يتولد في الثلج . وتصابي الشيخ بارد لأنه متكلف ، أما تمشيخ الصبي فهو سخيف كل السخف ، لأنه على فرض صدقه دليل على أن صاحبه ممسوخ ، وأنه سقيم الشعور والاحساس

ولكن من هو الفتى ومن هو الكهل ؟

أعيذكم أن تلجأوا إلى السنين والحساب ، هيهات هيهات ، ففي الدنيا فتيان لم يتجاوزوا العشرين ، ولكنهم يعيشون بقلوب هرمة أمضها الضعف وأضناها الهزال ، وفي الدنيا شيوخ جاوزوا الستين . ولكنهم يعيشون بقلوب معمورة بالبأس والفتوة والشيطنة والاعتزام . وليس من المزاح أن تروا أحيانا رجلا يتزوج بنت العشرين وهو في سن الستين . ومن أجل هذا رأينا من يقول :

ماذا تقولين في شيخ فتى أبداً وقد يكون شباب غير فتيان

ومن أجل هذا أيضاً رأينا احدى قريبات جورج ساند تدافع خصومها وتقول : « لقد كانت جورج ساند مثال العفاف وهي في سن الاربعين . مع أن تلك السن هي مصطرع العواطف والاهواء » سبحان الله ! أتكون سن الاربعين مصطرع العواطف والاهواء مع أن كتب اللغة عندنا تنص على أن الشيخ هو من بلغ سن الاربعين ؟

وأذكر أني حاورت الاستاذ ماسينيون في باريس سنة ١٩٣١ وكان يشكو مر السنين . فقلت : لك أسوة بالشاعر الذي يصيح :

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب

فأجاب المسيو ماسينيون : إنه قال الثلاثين . ولم يقل الاربعين أو الخمسين !

فابتسمت وقلت : ذاك حكم القافية . أو حكم الوزن ان شئت . أما الشباب فلا يفرق بين الثلاثين والخمسين . لانه لا يعرف غير متانة الاعصاب وقوة الاحساس . وتلك مواهب قد يظفر بها الكهول ويحرم منها الشباب

ومن أمثال الفرنسيين : « لا تسأل عن سني . ولكن اسأل عن عمر قلبي »

وفي كل ما سلف مقنع للقارىء الذي يخطر له أن يقيس الشباب والكهولة بقياس السنين . وانما اهتممت بشرح هذه المسألة لأبين أن شباب الادب يتبع شباب الادباء ، وأن شيخوخة الادب تتبع شيخوخة الادباء . ومنذ أجيال طوال قال أبو نواس :

قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدى   عن أن تمد إلى فى بالكاس

فالاديب الشاب هو الذى تحيا عواطفه وحواسه حياة الفتوة . والاديب الكهل هو الذى تعيش غرائزه ومشاعره عيش الكهولة . وبين هذين العهدين ألوف من النوازع يدرك ألوانها علماء النفوس

وقد رأينا ناساً يبدأون حياتهم بالتنسك ويختمونها بالفتك ، ورأينا رجالا يبدأون حياتهم بالعنف ويختمونها باللين ، وانما كان ذلك لأننا لا نملك من أمور حياتنا إلا قليلا ، وإلا فكيف اتفق لبعض النساك أن يقضى صدر حياته فى الزهد والنسك ، ثم تقضى عليه الاقدار بأن يقع فى حبال إحدى القيان ، فينتقل من حال الى حال . ويقول :

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها   فاعجب لما تقضى به الأيام
فاليوم أعذرهم وأعلم انما   طرق الضلالة والهدى اقسام

ومن أجل هذا لاتعجبوا حين ترون صورة أدبية مكتهلة تصدر عن أديب شاب . اوصورة فتية تصدر عن أديب كهل ، فنحن جميعاً أسرى الحوادث ، وقد ينقضى عهد الشباب فى هدوء ، ثم تجد أخطار يبعثها الحب أو المجد فيتحول الكهل الى أتون مستعر لا يجد شواظه تماسك ولا يصد أوامره عقل ولا يقف تياره استحياء.

ولا بد من الاشارة الى أن بعض الناس يظلون فتياناً فى جميع الأحوال ، ولكن فتوتهم تتلون بتلون المذاهب الادبية ، فابن الفارض كان فى جميع أدوار حياته شاباً يتغزل ويتشبب ، ولكن الفرق بين عصريه بعيد ، فهو فى العصر الأول كان يمثل قوة الشهوة ، وفى العصر الثانى كان يمثل قوة الروح ، وهو فى كلا العصرين شاب يصلح شعره لغناء الشباب وأنين الكهول وهنا نقطة لا تخلو من اشكال ، فلنرسل اليها شعاعا من البيان .

قد يتوهم بعض القراء أن الشباب لا يكون إلا فى عهد القوة ، فلنرفع هذا الوهم ، ولنذكر أن بعض الضعف فيه فتوة وفيه شباب ، فالشاعر ميسيه فى الادب الفرنسى وعباس بن الأحنف فى الأدب العربى لايخلوان من ضعف ، ولكن ضعف هذين الشاعرين كان مملوءاً بالقوة ، وكان فى مقدورهما أن يسيطرا على القلوب بقوة الاحساس . وقد دهشت يوم زرت قبر الفريد دى ميسيه فى باريس ، فقد رأيت صورة الشاعر على لوحة القبر ولم أتمثل فيها من معانى الحزن الا قليلا ، ذلك بأن أحزان ميسيه كانت أحزان شاب ينزى فؤاده من قوة الشوق ، والشوق لا يصدر إلا عن قلب يفيض بالعافية ، وهل يشتاق المرضى والاموات ؟ وكذلك ابن الاحنف الشاعر البكاء الذى وقف قلبه على غرام واحد ، وظل طول حياته يتغنى بالكتمان ويصوره فى أفانين مختلفات ، هذا الشاعر كان قوياً على ضعفه ، وكانت قوته تنبعث عن الرقة كما تنبعث قوة غيره عن العنف ، وستمضى السنون والأجيال ولاينسى الناس ذكرى ابن الأحنف ولا ذكرى

ميسيه ، وهذا التأثير من فيض الفتوة ، فتوة القلوب والارواح

ومن هذه البابة يجيء الادب القوى الذى أثر عن المحتضرين ، وليس من العجيب أن يكون فى المحتضر قوة . فان النفس الاخير قد يكون أحر الانفاس ، وصحوة الموت قد تكون أقوى الصحوات ، ولا يتسع المجال لايراد الشواهد ، وهى فى متناول القراء يجدها من يبحث عمن رثوا أنفسهم من الشعراء . ومنذ ستة عشر عاما أرسل شهيد الوطنية محمد فريد كلمة الى صديقه المغفور له عبد اللطيف الصوفانى ، وكنت يومئذ محرراً فى جريدة الافكار ، فلما اطلعت على تلك الرسالة عرفت أنها فيض من يقظة الموت ، وحدثتنى النفس بأن الرجل سيموت بعد أيام ، ومضيت الى المطبعة أترقب فراغ العمال من صف تلك السطور لآخذ الرسالة واحفظها لنفسى ، وكانت دهشتى عظيمة حين رأيت الصوفانى يراقب العمال لنفس الغرض ، وصح ما توقعت ومات فريد بك بعد ذلك بأيام ، وكانت رسالته تلك أقوى من كل ما كتب وهو فى ريعان الشباب

فمثل هذا الادب يعد من أدب الشباب وان كان أصحابه من المودعين ، لان العبرة بقوة الروح وهى توجد على عتبة الموت فى بعض الاحيان

وأود أن يوافقنى القارىء على ما قررت من القوة التى تفيض أحيانا عن الضعف ، فالضعف لا يخلو من القوة إلا حين يكون أثراً لفقد الحيوية ، كالذى وقع لاحد الشبان ، وكان طالباً بكلية العلوم فى جامعة باريس ، وخطر له أن يقدم لخطيبته تحفة لم يسبقه اليها أحد . فرأى أن يصوغ خاتم الخطبة من دمه ، وكذلك ظل شهورا يتصدع عروقه ويجمع ما يتجمد من الحديد حتى استطاع ان يصوغ من دمه خاتماً لطيفاً يساوى من حيث المعنى كل شىء ، ولكن ما فيه من الحديد لا يساوى اكثر من سنتيمين ، ومضى المسكين الى خطيبته فلم تكد تعرفه من فرط الهزال ، ثم قدم اليها الخاتم ، ومعه مذكرة تفسيرية ، ولكنها غضبت وفارقته الى غير لقاء . ولكم تصوروا كيف توجع ذلك (العبيط) ولكن توجع الفانين لا يثير غير عطف الامهات . أما المعشوقة فلا تتألم لتوجع المحزون إلا وهى تلمح ما خلف حزنه من وقدة الحيوية وفورة الاحساس

* * *

نترك هذا ونتحدث بايجاز عن بعض الشعراء الذين أثرت عنهم نماذج من الادب الصحيح فى الشباب والشيخوخة . واظهر هؤلاء المعرى الذى خلف (سقط الزند) عنواناً على شبابه ، وخلف « اللزوميات » عنواناً على شيخوخته ، فاى الاثرين اقوى وامتع ؟

ان (سقط الزند) صورة من ادب الذكاء ، أما اللزوميات فهى صورة من أدب العقل وانما كانت قصائد سقط الزند من صور الذكاء لانك ترى الشاعر يتحداك بقوته وعنفوانه

ويكاد يعلن أنه اعلم الناس باللغة واعرفهم بمذاهب القول واقدرهم على البيان. والذى يغفل قراءة (سقط الزند) يفوته من المعرى شىء كثير لان قصائد الرجل فى شبابه كانت ثورة عقلية لا يفطن لها الا من يعرفون خطر الشباب ويفهمون قدرته على تلوين الخيال

أما اللزوميات فهى لون آخر: هى صيحة يرسلها رجل ملول فقد الثقة فى الحقائق وفى الناس. وأكاد اجزم بأن المعرى كانت فى روحه بقايا شباب حين نظم اللزوميات، والا فكيف يمكن لمثل هذا الرجل ان ينقد الانظمة الاجتماعية فى قوة وعنف إن لم يكن يشعر بدمه يفور ويهتاج حين تصل الى سمعه أخبار من يجاورهم من السوقة والملوك؟

ان اللزوميات فيها الطيب وفيها الخبيث، أما الطيب فهو القصائد التى كوى بها جباه الظالمين من الحكام والولاة، والمقطوعات التى أرسلها سخرية لاذعة فى اقفاء المنافقين من أدعياء الزهد والتقوى والصلاح، والابيات التى ساط بها ظهور المتعالمين. وأما الخبيث فهو القصائد التى أذاع بها سخطه على الدنيا وتبرمه بالوجود. فان السخط على الدنيا كذب فى كذب ورياء فى رياء، ولا يسخط على الدنيا وهو صادق إلا العاجز الضعيف الذى تفوته مباهج الحياة بالرغم منه، فيتلوى فى غيظه تلوى الاسود المقتول

خلف المعرى فى اللزوميات طائفة كبيرة من الحكم والأمثال. ولكن حكم المتنبى وأمثاله أقوى فى نفسى من كل ما خلف المعرى، لأن المعرى نظم الحكمة بعد أن لاذ بالفرار، أما المتنبى فقد نظم الحكمة وهو جندى يصول فى الميدان. وكانت حقده على الناس حقد فتيان ثائرين، لا حقد شيوخ يائسين، وما أبعد الفرق بين الرجلين عند من يعرف كيف توزن أقدار الرجال

كان للمعرى أدب فى شبابه وأدب فى شيخوخته، أما أبو نواس فلم يعرف الا بأدب الشباب لأن دنياه كانت دنيا مرح ولهو وفتون، فانطلق فى أودية البيان كيف شاء، وخلف الخمريات التى تعد من أنفس الذخائر فى الأدب العربى، فلما اكتهل وشاب أحب أن ينظم فى الزهد فعجز أقبح العجز وخلف أبياتا ومقطوعات ليس لها طعم ولا لون، لأن الرجل كان أفرغ صباه فى الكأس والسقاة، ولم يجد فى مشيبه من القوة ما يقنص به أسراب الخيال

وما أنكر ان أبا نواس برع كل البراعة فى شعر الندم والابتئاس، ولكن هذا من بقية شبابه، وكانت له فى شبابه صحوات يميز فيها بين البر والفجور، ويسلك مسالك الابرار فى الحياة، وهى صحوات قصيرة، ولكنها كانت قوية، وهى الشاهد على انه كان يندم ندم الفتيان لا ندم الفانين

ولنقترب من عصرنا فنقول:

كان حافظ ابراهيم أقوى من تغنى بشعر الوطنية وهو شاب، وكانت قصائده على ألسنة

الناس . وكان اسمه ملء المسامع ، ثم اختطفته الحكومة فألهته بوظيفة فى دار الكتب المصرية فسكت زمانا طويلا ، ثم فتح عينيه فرأى نفسه أحيل على المعاش . فعاد ينظم قصائد الوطنية ، ولكن هيهات . والذين قرأوا قصائده الاخيرة يذكرون ان أنفاسه كانت فواتر ، وأن نجمه كان يشرف على الأفول

أما شوقى فكان شاعراً فى شبابه وشيخوخته ، وكان شعره فى الشيخوخة أقوى وأجزل . والسر فى هذا يعرفه من عرف شوقى ، فالرجل كانت له آمال طوال عراض ، وكانت أعصابه كتلة من القوة والفتوة . وكان يضمد جراح الشيخوخة بأحلام الشباب ومن أجل هذا ظل يهدر هدير الفحول الى أن عقله الموت بأعنف عقال

أما بعد فقد كان يمكن أن يعالج هذا الموضوع بطريقة غير هذه الطريقة ، وكان يمكن أن يوضع بأسلوب غير هذا الاسلوب ، كأن يتحدث الكاتب عن العصور والممالك ، فيقول مثلا كان الادب فى شبابه يجرى على الفطرة ، وكان فى شيخوخته مثقلا بالزخرف ، ولكن هذا النوع من التحليل ملته الاسماع ومجته الأذواق ، وقد سلكنا هذا المسلك فى بعض ما نشرنا من المؤلفات فلم نشأ أن نعود اليه لاننا نكره الحديث المعاد

وما أحسبنى أسأت حين آثرت هذا الوجه من وجوه المفاضلة بين ألوان البيان

زكى مبارك

خبريني ماذا كرهت من الشيـ ـب فلا علم لى بذنب المشيب
أضياء النهار أم وضح اللؤ لؤ أم كونه كثغر الحبيب
واذكرى لى فضل الشباب وما يجـ ـمع من منظر يروق وطيب
غدره بالخليـل ، أم حبه الغى أم أنه كدهر الاديب ؟

ابو العلاء المعرى

ثورة على علوم البلاغة

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشرى

سيداتى ، سادتى (١) :

طوينا فى الازهر بضع سنين ، مقصوراً جهدنا كله على درس الفقه والنحو . ثم استشرفنا ، على العادة ، لدرس شيء من علوم البلاغة فى أبسط كتبها المعروفة يومئذ لأهل الأزهر . ولم يرعنى فى تلك الأيام إلا أن هجم على نفسى سؤال شغلنى وأهمنى ، حتى كان فى بعض الحين يملك على مذاهب تفكيرى ! وانى لاخشى أن أبادى به أشياخى أو لداتى فى الطلب لئلا أرمى بالجهل المطلق بما يسلم الناس جميعاً ، بدليل أن أحداً لم يراجع فيه من بين الطلاب جميعاً !

هذا السؤال هو أنه مادامت للبلاغة علوم مقررة ، ومعارف واضحة ، وقواعد مفصلة مقسومة ، وقضايا محدودة مرسومة ، فقد أصبح من السهل اليسير على كل من يجيد علمها ، ويحذق فهمها أن يجيء بالبليغ من القول إذا نظم أو نثر ، بل لتهيأ له أن يجيء بأبلغ الكلام ، بل بما ينتهى منه الى حدود الاعجاز ! وماله لا يصنع ، وقواعد البلاغة تشير بأوضح الاشارة اليه ، وتدل بأفصح العبارة عليه ؟

« لست ثائراً فأدعو إلى الغاء علوم البلاغة كما ألفتها أمم فى الغرب ، ولكننى أدعو الى تليينها وتمرينها حتى تصبح أشبه بالاسلوب النقدى القائم على التفطين والتذويق بحيث تتطور مع تطور الافهام والاذواق وعلى أن يوصل تعليمها فى المدارس والمعاهد بدرس الادب نفسه . . . »

ماذا على المرء إذا أرسل الكلام أن يخرجه مطابقا لمقتضى الحال ، ويجريه على أحكام الفصل والوصل ، ولا ينحرف به عن مقتضيات الايجاز والاطناب والمساواة ؟ وهذه أحوال التشبيه بين يديه فما يمنعه أن يصوغ الكلام على غرارها ، ويترسم فيه أجلى آثارها ؟ وهكذا ...

وكذلك تمثلت لى قضايا علوم البلاغة قوالب . ما على الخطيب أو الكاتب أو الشاعر إلا أن يصب فيها القول صباً ، فسرعان ما يخرج له من صورها الضرب الذى يشاء ، ولو طلبه بالغا حدود الاعجاز !

ولكن الواقع . . . الواقع القاسى يأبى مع الأسف إلا أن يزعجنى عن الاستراحة إلى هذا الفكر القويم والمنطق السليم ! فهؤلاء متقدمو الطلاب الذين درسوا علوم البلاغة فى أخل كتبها

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة فى الجامعة الاميركية بالقاهرة . وقد خص الأستاذ البشرى بها « الهلال »

المقسومة وأعلاها مكاناً لاحظ لأكثرهم الكثير فى فصاحة ولا فى بيان ! بل هؤلاء أشياخهم الذين استهلكوا الدهر الأطول فى درس هذه الكتب وتحقيق قضاياها ومسائلها ، حتى فروا أبوابها فريا ، وبروا فصولها بريا . هؤلاء كثير منهم لا غناء لهم فى فصاحة لسان ولا فى نصاحة بيان

هذا طالب كبير يجاورنى فى خزانة حوانجى فى الأزهر . وهو يتلقى علم الأصول فى كتاب « جمع الجوامع » ، أى أنه فرغ من درس كتاب « السعد » ، أى أنه ختم علوم البلاغة ، ولم تبق له بشيء منها أية حاجة . لقدجمعنا هذا الطالب المنتهى ليسمعنا قصيدة رائعة من نظمه ، يهجو بها أهل بلدة (كوم زمران) المجاورة لبلده . فأسرعنا الى الاستواء بين يديه وقد أرهفنا الآذان ، وحددنا الاذهان وعلقنا الانفاس ، حرصاً على المتاع بما لا يظفر بمثله عامة الناس !

ولست أروى لكم أيها السادة من هذه القصيدة الرائعة حقاً ، والجديرة بمن أتم دروس (السعد) وحواشيه حقاً ، إلا هذه الستة الابيات

أما مطلع القصيدة فهو بمشيئة الله تعالى :

دع كوم زمران كى تنجو من العلل وتستريح أخى من كثرة الزلل

ومنها : إن جاءهم ضيفهم قبل العشاء اذن تراهم يا فتى فى غاية الملل

فالبخل يشتق منهم ماعلى أحد منهم ثياب سوى البالى من الحلل

مافيهم عاقل يا ابن الكرام فقد جنوا جميعاً وقاك الله من خبل

ومنها : لا يحضرون دروس الفقه انهم والله لو تدرين فى غاية الكسل

أما تمام التمام . ومسك الختام . فهو :

☆☆☆

ستون بيت قريض لا تريد سوى بيت به قد سألت العفو عن زللى

سيداتى . سادتى :

إذا لم يكن لهذه القصيدة من نظم ذلك الشيخ كل الفضل فلا شك فى أن لها أبلغ الفضل فى أن نهتدى الى أن درس علوم البلاغة ــ على هذه الصورة على الأقل ــ ليس من شأنه أن يعلم البلاغة أو يطبع على ناصع البيان . ولعل لها بعد ذلك شأناً آخر !

البلاغة

من البين الذى لا يحتاج الى أى جلاء أن مقاويل العرب إنما كانت تجود ببليغ القول فطرهم ، وتنضح ببارع الكلام سلائقهم . لا يصدرون فى شيء من هذا عن علم تعلموه ، ولا عن درس تفهموه ، ولا قواعد يتحرون أحكامها ولا أقيسة يتقرون حدودها وأعلامها . انما مردهم فى كل ذلك الى الفطنة الفطنة والذوق المرهف السليم . حتى موسيقى الاشكال والمياكل وأعنى أوزان الشعر

ومقاطعه ــ لقد كانت هى الاخرى موصولة بطباعهم فلم يكونوا فى أى حاجة الى قانون يهديهم موقع النبرة من السلك المنظوم (١)

وما يقال فى الخطيب والشاعر يقال فى سائر النقدة وهم كثرة العرب الغامرة إن لم يكونوا كلهم متذوقين ناقدين

وبهذا المقياس الفطرى كانت تقدر أقدار الشعراء والخطباء . فينزل كل منزلته فى غير صراع ولا حراب من الصدور أو المتون أو الأعقاب

هذه الفطنة النافذة وهذا الحس المرهف وهــذا الذوق التام لقد أغنت جمهرة العرب عن المطالعة بفنون نقد الكلام والتنبيه الى ما فى مطاويه من المحاسن والعيوب . حتى لكأن هــذه الخلال الشائعة فيهم كانت عندهم من أفصح أساليب الخطاب !

ولست أزعم أن العرب كانوا كلهم أصحاب بيان وأن شعراءهم إنما كانوا يرسلون الشعر من عفو الخاطر . لا ! بل إن من أعلامهم لمن كان يجتمع للقريض ويتكلف تجويد النظم . ولقد يجهد بعضهم كثيراً فى تحرير الكلام وضبطه ، والكر عليه بالجندرة والصقل والتهذيب

ولقد ظل شأن البلاغة العربية كذلك الى غاية العصر الاموى . فاذا كان قد نجم فى هذا الباب جديد ، فان بعض البصراء بفنون الكلام قد انبعثوا لنقد بعض ما يجلى عليهم من الشعر ، وجعــلوا يدلون بوجه عام على ما لعله يخفى من عيوب . ولقد يقارنون بينه وبين شىء من جنسه من أشعار السابقين ويفطنون الى ما يضمر من دقة معنى واحسان أداء . ومهما يكن من شىء فان ذلك الضرب من النقد لم يكن جارياً على أى نهج علمى ــ إذا صح هذا التعبير ــ انما هو الذوق والفطنة والحس العام

وبالرغم من ان بعض العلماء تقدموا فى أعقاب هذا العصر ، وفى صــدر العصر العباسى الذى وليه ، لجمع الحديث واستخراج الاحكام الفقهية ، وعقد القواعد للنحو والصرف . بل لقد تعمد الخليل بن احمد المتوفى سنة (١٧٠) ضروب الشعر وتقصى أوزانه ومقاييسه ، فوضع علم العروض ــ بالرغم من هذا كله فان أحــداً من العلماء لم يتكلف وضع قاعدة علمية واضحة المعارف بينة الحدود لشىء من فنون البلاغة يرد الى حكمها ما يندرج تحتها من الجزئيات

كيف عقدت للبلاغة قواعد وجردت لها علوم ؟

سيداتى ، سادتى :

إذن فكيف ومتى ضبطت للبلاغة قواعد وجردت لها علوم ؟

يقول ابن خلدون : « ان السبب فى اطلاق (البيان) على الاصناف الثلاثة أنه أول ما تكلم فيه

(١) وهذا ولا شك شأن كل من يجري من أسباب البلاغة على عرق الى الآن والى غاية الزمان

الاقدمون . ثم تلاحقت مسائل الفن واحدة بعد أخرى . وكتب فيها جعفر بن يحيى ، والجاحظ . وقدامة وأمثالهم إملاءات غير وافية فيها . ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً الى أن محص السكاكي زبدته وهذب مسائله ، الخ . وهذا الكلام يحتاج الى قدر كبير من الايضاح والتفصيل

أما أن البيان كان أسبق الفنون الثلاثة الى التدوين فذلك أن الامام اللغوى الجليل القدر أبا عبيدة المتوفى سنة (٢٠٩) قد وضع رسالة فى البحث عن (المجاز فى غريب القرآن) ولا شك فى أن غرضه إنما كان دينياً محضاً ، فان تبين الحقيقة من المجاز مما تتأثر به بالضرورة أحكام الشرع الكريم . فاذا صح أن تقصى هذه المجازات تقصياً جزئياً دون العناية بنظمها فى قواعد كلية تستخرج منها الأحكام العامة — إذا صح أن يدعى هذا تدويناً فى علم البيان ، فلا نزاع فى أن رسالة أبى عبيدة هذه هى أول ما دون لا فى علم البيان فحسب ، بل فى علوم البلاغة على الاطلاق

بعد هذا نعود الى جعفر بن يحيى والجاحظ . أما جعفر فلم يسقط الينا مما كتب فى هذا الباب كثير ولا قليل . وأما الجاحظ المتوفى سنة (٢٥٥) فلقد جرى قلمه فى كتابه (البيان والتبيين) أكثر ما جرى بأسباب بتراء وإرشادات عامة لمن يتصدون لنسج الكلام . ونقول فى تعاريف البلاغة عن الاقوام الآخرين . على أنه لقد يقع اجتهاده فى بعض ما يكتب على أمور يعتبرها العلماء المدونون بعد ذلك — اما بنصها أو بعد تهذيبها وتسويتها — من قواعد علوم البلاغة التى لا يطوف بها ريب ولا يلحقها نزاع

يقول الجاحظ مثلا : « ... ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر ، وان كانت مجموعة فى بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها الا ببعض استكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

ولا شك أنه بهذا يعد واضع شرط من شروط الفصاحة وهو السلامة من تنافر الكلمات . وقد استشهد مدونو البلاغة على هذا الضرب من التنافر بالبيت نفسه

ويقول فى مقام آخر : « ... عن الحسن يرفعه أن المهاجرين قالوا يارسول الله : إن الانصار فضلونا بأنهم آووا ونصروا وفعلوا وفعلوا . قال النبى صلى الله عليه وسلم : «أتعرفون ذلك لهم ؟ »قالوا : نعم . قال : « فان ذاك » . يريد ان ذاك شكر ومكافأة

وهذا أيضا من بلاغة الايجاز بالحذف

وهنالك أمثلة يسيرة أخرى مما نضح به قلم الجاحظ صادراً فيها عن اجتهاده أو ناقلا عن غيره . وكل ذلك لا غناء فيه إذا نحن تحدثنا فى شأن علوم البلاغة عن التدوين والتصنيف

* * *

بعد هذا جعل أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز المتوفى سنة (٢٩٦) يتفقد ألوان البديع التى

أصابها فى الكتاب العزيز ، وفى كلام من سبقه ومن عاشره من أعلام البيان ، فأحصى منها بضعة عشر نوعا ضمنها رسالة لطيفة ، نشرها مطبوعة من عهد قريب احد كبار المستشرقين

قدامة بن جعفر

ثم يجئ أبو الفرج قدامة بن جعفر المتوفى سنة (٣٣٧) على أرجح الاقوال فيصنف فيما يصنف كتابيه « نقد الشعر » و « نقد النثر »

ولقد يغنيني عن الاطالة فى الابانة عن أثر هذا الرجل فى وضع الأسس الأولى لقواعد علوم البلاغة ومحاولة إجراء هذه الأسس على نهج علمى — اذا صح هذا التعبير — لقد يغنينى عن هذا تلك الرسالة البديعة التى وضعها فى الفرنسية صديقى الدكتور طه حسين وأداها فى العربية صديقى الاستاذ عبد الحميد العبادى ، وصدر بها كتاب « نقد النثر »

وقد صرح الدكتور طه فى رسالته هذه بأن قدامة إنما وضع ما وضع من أسس علوم البلاغة العربية متهديا بكتب أرسطاطاليس . وهذا حق لا شبهة فيه ولا يتخالج الشك فيه من يقرأ كتاب « نقد النثر » . بل ان المؤلف نفسه ليصرح فى بعض المواطن من كتابه بأن ارسطاطاليس قال فى هذا الموضع كذا ونص على كيت

على أن من أظهر ما يخرج به متصفح هذا الكتاب أن الرجل فى تدوينه لعلوم البلاغة ، أو على الصحيح فى محاولته تدوين هذه العلوم ، انما كان برغم مابين يديه من قضايا أرسطو ، كالسارى فى بيداء مجهل . فهو لا يفتأ يلتمس الاعلام ويتحرى المسالك والدروب . او هو كالطائر المهاجر يسقط حيث يلوح له الحب او تترقرق لعينه صفحة الماء . فما إن تسنح له الجزئية يحسبها مما يتصل بما هو بسبيله الا تراه قد هجم عليها ومثل لها باية من اى القرآن الحكيم . وتارة يتمثل بالبيت او بالبيتين من الشعر مترفقاً شديد الترفق فى وجوه التعليل والتأويل

وهو انما يتصيد اسباب البلاغة نثارا حتى انه لم يفصل بين فنونها الثلاثة . فلقد يأتى بالمسألة من مسائل البديع فى اثر القضية من قضايا المعانى أو البيان

ثم لقد يميل فى بعض الطريق الى بحث فلسفى . أو ياخذ فى شيء من المنطق أو الاصول أو النحو أو الصرف . أو يعدل بالحديث الى قوانين الجدل وهى التى دعيت بعد بآداب البحث والمناظرة . وللرجل حق العذر فى هذا فانه لم يعد بسنة من نشأوا العلوم . وخاصة منها ما كان مرده الى الاذواق . وهذا ما نعبر عنه اليوم بالفن الجميل

ومهما يكن من شيء فان هذا قدامة حتى فى القليل من المعانى التى وقع عليها من فنون البيان لم يضع لشيء منها قاعدة كلية . انما جهده كله كما أسلفنا ان يلتمس لما يتمثل له من الجزئيات وجوه العلل التى تشرف بها رتبة الكلام

عبد القاهر الجرجانى

ومن العجب أن يثب ابن خلدون فى تسجيل نشأة علوم البلاغة من قدامة الى السكاكى ولا يقف وقفة — ولو قصيرة — برجل له أثره وله خطره . بل لقد عقد له بعضهم فيما نحن بسبيله ابلغ الآثار وأعظم الأخطار . وذلكم الرجل هو الامام الجليل عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة (٤٧١)

الف الجرجانى فى علوم البلاغة كتابين هما (أسرار البلاغة) و (دلائل الاعجاز) . ولقد جعل أجل همه فى الكتاب الاول الى (البيان) فتكلم فى التشبيه وأطال ، وتكثر من ايراد الشواهد والامثال . وقسم المجاز الى لغوى وغير لغوى ، وأسبغ القول فى فنون الاستعارات . وأصاب فى أثناء ذلك ألوانا يسيرة من (البديع) كالسجع والتجنيس وحسن التعليل . أما ما أصاب من مسائل المعانى فان جميعه انما كان من حظ كتابه الآخر (دلائل الاعجاز) اللهم الا سنحات قد تلوح أحيانا فى آفاق الكلام

وعبد القاهر يعمد الى المسألة من مسائل العلم فيضفى بين يديها المقدمات ويسبغ المقال فى التعليل لها ايما أسباغ . ولا يزال يتيامن بالقول ويتياسر ويضرب فى مجازات الكلام جيئة وذهوبا ولا يبرح يفصل المعانى تفصيلا ويلون الحجج تلوينا حتى اذا ظن أنه أوفى من ذلك على الغاية ووقع بقارئه على الصميم راح يورد الشاهد فى إثر الشاهد جاهداً فى شحذ فطنتك وارهاف ذوقك ليتهيأ له أن يتدسس بك إلى أطواء الكلام فتجس ما أجنت من الدقائق جسا وتستشعر ما أضمرت من المحاسن ذوقا وحسا، وكل أولئك يعتمد فى عبارة جزلة فخمة ويجلوه فى ديباجة مشرقة اللفظ متلاحمة النسج. ولا شك أن عبد القاهر بعبارته هذه انما كان أدنى إلى تعليم البلاغة منه بآثار ما يخرج له من بحثه وتحقيقه لولا أنه يتكلف السجع ويتجمع له فى كثير مما يجرى من البيان

ومهما يكن من أمر فانه كقدامة لم يعن بضبط ما اتسق له من نتائج البحوث فى قواعد كلية تنتظم ماتحتها من الجزئيات على الأسلوب المعروف . نعم انه لقد مهد لهذا ويسره لمن دون بعده من العلماء فى هذه الفنون

ومما تحسن الاشارة اليه فى هذا المعنى أن التأليف فى علوم البلاغة إلى هذه الغاية لم يعد فى الجملة ألواناً من أساليب النقد طلباً لشحذ الأذواق وارهاف الاحساس والاجتهاد فى التفطين إلى مادق وخفى من وجوه المحاسن والعيوب فى الكلام . وليته لم يتجاوز هذا القدر . اذن لكان لهذه العلوم من الحظ ومن الاثر غير ما لها الآن !

السكاكى والقزوينى

سيدانى . سادتى :

بعد هذا جاء العلامة المحقق أبو يعقوب يوسف السكاكى المتوفى سنة (٦٢٦) فاستخلص جملة

أحكام البلاغة التى تهدى اليها من تقدمه من الباحثين . وضم كل جنس إلى جنسه ، وجمع كل شكل إلى شكله . وجمل ينظم ما تهيأ له من ذلك فى قواعد واضحة الرسوم مضبوطة الحدود حتى تكون جامعة مانعة على اصطلاح جمهرة العلماء . وساق لكل قاعدة ما اجتمع له من الامثلة والشواهد . ووصل كل ذلك بكتابه (مفتاح العلوم)

ولا ينبغى أن نظن أن السكاكى فى مجهوده هذا إنما كان صائغاً فحسب بل انه كثيراً ما يكون لاجتهاده فى توجيه الاحكام وفى جوهر المادة العلمية الاثر البعيد

اذن لقد استطاع السكاكى أن يحيل أحاديث البلاغة من مادة أدب ونقد واحتفال لتفطين الافهام وشحذ الاذواق حتى تستطيع النفوذ إلى دقائق البلاغات ـ لقد استطاع السكاكى أن يحيل أحاديث البلاغة علوماً إنما تخاطب الافهام لتدلها على مبرم الاحكام !

ثم جاء العلامة الخطيب القزوينى محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة (٧٣٩) فضغط ما استخرج السكاكى ضغطاً شديداً وعصره عصراً (بليغاً) حتى أصبح ما يطالعك من قواعد كتابه أشبه بالاحكام العسكرية فى شدة السطوة والجفاء !

وعلى كل حال فانه على قدر ما تم لعلوم البلاغة بمختصر الخطيب القزوينى من التحرير والضبط والدقة فى تجلية الاحكام والقواعد وشدة التحرى فى ايراد الامثلة والشواهد ، فلقد ذهب من الجهة التعليمية رواؤها وجف ماؤها واقتصر خطابها على العقل والحافظة وكانت من قبل تخاطب الاحساس والاذواق !

واذا كانت علوم البلاغة (الرسمية) قد ختمت بمختصر الخطيب القزوينى فتكون قد استهلكت من أول تنشيئها إلى غاية نضجها وإدراكها أربعة قرون سوياً

ولا شك ان من الكتب التى استغرقت جليلا من هم الدارسين والباحثين والشارحين والمعلقين هو هذا الكتاب . فلقد شرحه وعلق عليه من لا يحصون من العلماء كثرة . وأهم شروحه وأعظمها كان استدراجا لعناية أصحاب التحقيق هو المختصر لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى سنة (٧٩٢) والمطول له كذلك . واشهر الحواشى على هذا المطول وأشيعها بين أهل العلم تداولا حاشية السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة (٨١٦) . وشرحا السعد وحاشية الجرجانى لقد كانت من عهد بعيد هي المادة العظمى لتروية علوم البلاغة لمتقدمى الطلاب فى الازهر الشريف

فوق التعقيد الشديد فى عبارات هذه الكتب أيها السادة والمبالغة فى ابهام واغماضها فان ملاك البحث فيها إنما هو الجدل اللفظى والاعتساف فى بحوث فلسفية لاغناء لها فى صنعة البيان . بل انى لازعم انه لو كان هناك من يريد التخلص من فصاحة اللسان ونصاحة البيان فليس عليه أكثر من

أن يدرس هذه الكتب حق درسها ويديم النظر فيها ويقلب فى عباراتها لسانه وفكره ليكون له كل ما يجب ان شاء الله !

لتكن هذه الكتب مما يفسح فى الملكات العامة ويطبع الطالب على الصبر على البحث والتحقيق ويعوده ألا يسيغ قضية من القضايا الا بعد أن يحككها بألوان الاختبار والامتحان — ليكن لها كل هذا وليكن لها غير هذا أيضاً — ولكنها لا يمكن أن تلقن علوم البلاغة على أى حال . فضلا عن أن تذيق الطالب البلاغة نفسها أو ترمحه ريحها اللهم الا أن تكون بلاغة من طراز :

دع كوم زمران كى تنجو من العلل وتستريح أخى من كثرة الزلل !

البلاغة فن

سيداتى . سادتى :

لقد حدثتكم فى صدر هذا الخطاب عن عقلية فتى ناشىء لم يتهيأ له بعد أن يدرك الفرق بين العلوم والفنون . ولم يكن يعرف أن الفن ابن الطبع والغريزة والملكة . وانما تدعو إلى انشائه ومعالجته الحاجة تبعثها ضرورة أو تبعث اليها مجرد الرغبة فى الترفيه والتلذيذ . أما العلم فهمه بعد ذلك الملاحظة والتقييد والتسجيل

فالبلاغة باعتبارها فناً هي أثر الملكة ومظهر قدرتها من نظم شعر رائع أو ارسال نثر بديع . أما البلاغة باعتبارها علماً فهى عبارة ما خرج بالاستقراء للاحساس والاذواق من دواعى الحسن والقبح فى فنون الكلام . وما يقال فى البلاغة من هذه الناحية لا شك يجرى حكمه على سائر الفنون والعلوم . والعالم بالفن غير المفتن على كل حال . وانما بينهما العموم والخصوص الوجهى على تعبير أصحاب المنطق . فيجوز أن يكون المرء بليغاً وهو غير عالم بقواعد البلاغة . ويجوز العكس . كما يجوز أن يجمع بين الخلتين معا . وهذه الشواهد ماثلة فى الكثيرين ممن عاصرنا ومن لم نعاصر من العلماء والكتاب والشعراء

إذن ليس العلم أيها السادة هو الذى يخلق الفن ويطبع ملكة المرء عليه . إنما الفنون كما زعمنا وخاصة هذه الفنون الجميلة وفن البلاغة منها — وان نازع بعضهم فى هذا — إنما هى من أثر تهيؤ الفطرة ، أو ما اصطلحوا على تسميته بالموهبة فى هذه الايام . فاذا كان للعلم من هذه الناحية أثر ، ففى توضيح المناهج وهداية السبل ، وتبصير من يعالج الفن بما استجادت جمهرة أصحاب الافهام والاذواق أو ما أنكرت من آثار جماعات المفتنين سواء من السابقين أو من المعاصرين

ومما ينبغى أن يلاحظ فى هذا المقام أن أفحل من عاصرنا من الشعراء لم يكن أكثرهم من العلم بقواعد البلاغة على حظ جليل ولا ضئيل . انما هو الطبع والتهيؤ وكثرة الحفظ وترديد النظر فى آثار البلغاء المجلين !

الفن يتطور

سيداتي . سادتي :

إذا كان الفن التقليدى إنما يجرى فى حدود العلم أى أنه ينبغى أن يطابق ما اجتمع عليه رأى أصحاب الافهام والاذواق فى الفنون الجميلة بوجه خاص ، فلا ينبغى ان يفوتنا أن العلم لا يستحدث فى الفن جديداً ولا يعدل به من نهج الى نهج . ولكن الفن هو الذى يغير العلم ويدخل على قضاياه بالتشكيل والتلوين ما دام يشرع ويتطور ويستحدث ، إذ كل هم العلم هو كما أسلفنا إلى الملاحظة والتسجيل والتدوين

ولا شك ان أظهر ما يظهر فيه التطور بالاتساع والدقة هو الفن الجميل لان مرده فى الغـاية الى الاذواق . والاذواق كما تعلمون شديدة التأثر بالكثير من أسباب الحياة . ومن أفعلها مبلغ حظ الجماعات من الحضارة والتثقيف ولون تلك الحضارة وهذا التثقيف

نعم ، ان للفنون الجميلة عند كل أمة تقاليد تكاد تتصل جذورها بالطباع والفطر . ولكن ذلك لا يمنع من أن يتناول الزمان كثيراً من مظاهرها وصورها بالتشكيل والتلوين

* * *

أرجو أن تدعونى بعد هذا أزعم أن البلاغة العربية باعتبارها فناً أولا ، وباعتبارها فناً جميلا ثانياً ، مما يجوز عليه التغيير والتلوين ومما يتقبل النمو وشـدة النفوذ ، بحكم اطراد التقدم فى أسباب الحضارة واتساع الافهام ورهافة الاذواق باتساع آفاق العلوم والفنون

وإذا كان مشق البلاغة العربية هو بلا شك ما أثر الينا عن عرب الجاهلية والصدور الاولى فى الاسلام . فان مما لا مراء فيه أنه قد استحدثت بعد ذلك ولا تزال تستحدث بلاغات لم تشكها علوم البلاغة المأثورة بالتقييد والتدوين ولم تعقد لها قاعدة بين قواعد البيان والتبيين

بل ان هناك صوراً مما استجاد متقدمو النقدة وواضعو علوم البلاغة وساقوها شواهد على براعة الكلام . هذه الصور مهما كان من استراحة أذواق السابقين اليها فانها مما ينفر منه ذوق العصر الحديث ويأباه الحس القائم كل الاباء !

ومن هذا الباب ما مثلوا لحسن التعليل بقول الشاعر :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته ... لما رأيت عليها عقد منتطق

وقول الشاعر :

لم تحك نائلك السحاب وإنما ... حمت به فصبيبها الرحضاء

أو قول الشاعر :

ما به قتل أعاديه ولكن ... يتقى اخلاف ما ترجو الذئاب

فمن ادعى أنه يسيغ مثل هذا الكلام اليوم وأن ذوقه يستريح به فانى الى غيره أوجه الحديث

هنالك شيء آخر له خطره الشديد وله أثره البعيد . ذلكم أن تقدم الحضارة واتساع آفاق العلوم قد فطن النقدة ومتذوقى الادب الى ألوان من البلاغة فى مأثور العربية . لا أجرؤ على أن أقول انه لم يفطن لها وانما اقول انه لم يحتفل لها متقدمو نقدة الكلام أى احتفال . ومن أظهر ما أغفلوا الحديث عنه فى هذا الباب بلاغة الصورة وبلاغة القصص وما يتضمن من بارع الجدل ورائع الحوار

انظروا أيها السادة كيف يجلو الله تعالى علينا بعض خلقه فى كتابه الحكيم :

« إن فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون »

انظروا أيها السادة كيف يصور لنا القرآن أهل الكهف فى منامهم الطويل :

« وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين . واذا غربت تقرضهم ذات الشمال . وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله . من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً . وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد . لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً »

الله الله ! ما شاء الله ! ولا قوة إلا بالله !

حدثونى بعيشكم أى مصور مهما خالت عبقريته واستمكنت سطوة فنه يستطيع أن يجلو مثل هذه الصورة للعيون . فكيف وقد جلاها علينا القرآن عن طريق الآذان !

حدثونى بعيشكم الى أية قاعدة من قواعد البلاغة (الرسمية) ترد هذه (اللوحة) الفنية الرائعة لتدرك بها علل كل هذا الاحسان والابداع ؟ أترى هذه الصورة قد انتهت كل هذا المنتهى لان فيها ألواناً من الطباق فى اليمين والشمال وفى طلوع الشمس وغروبها ، ويقظة الجماعة ورقودهم ؟ لا لا يا سادة! اللهم ان الخطب لاجل من هذا بكثير وفوق الكثير !

وبعد ، فلو قد ذهب ذاهب فى سرد أمثال هذه الشواهد من كتاب الله تعالى وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وما أثر عن فحول البلاغة من الخطباء والكتاب والشعراء لاستهلك فى ذلك الزمن الطويل

وهنا شيء لا أحب ان أتجاوز هذا المقام دون أن أشير اليه : ذلكم أن من علل الحسن فى الفنون الجميلة ما يدق حتى تعيي الترجمة عنه على اللسان والقلم جميعاً وان تعلقت به الفطن وأصابته الاذواق

ومما يتصل بهذا الباب ما روى من أن بعض الخلفاء العباسيين قال لاسحاق الموصلى ذات يوم :

« صف لى جيد الغناء » فقال : « يا أمير المؤمنين إن من الاشياء أشياء تصيبها المعرفة وتعجز عن أدائها الصفة ! »

ولست استدل على هذا بأبين من صنيع عبد القاهر الجرجاني فى كتابه « دلائل الاعجاز » . فانا كثيرا ما نراه يحاول بكل ما أوتى من بسطة علم ونفوذ فكر وسطوة قلم ، أن يقع على احدى دقائق الحسن فى الآية من الكتاب فلا يصيب الصميم وان أجهدته كثرة اللف والدوران . على أنه إذا عجز عن جلو الحقيقة بالنص فانه محصلها كاملة فى نفس قارئه وواصلها بذوقه إذا كان ممن يجرون من الصناعة على عرق وذلك بالبراعة فى التنبيه والتفطين

سيداتى . سادتى :

لعل من أظهر ما نحسه من ضعف النقد الادبى — أو بعبارة أبين من قصور علوم البلاغة العربية فى هذا العصر — أن سلفنا وجهوا كل عنايتهم الى النقد الجزئى . أعنى نقد الكلمة فى الجملة أو نقد الجملة فى العبارة . فاذا كان الكلام نظماً جرى النقد للبيت مستقلا وأحياناً للبيت من حيث اتصاله بما قبله أو بما بعده أى النقد (بالقطاعى) على تعبير التجار . أما نقد الكلام مجتمع الشمل وتناوله من حيث استواء الصورة واتصال المعانى واتساق الأقطار وتلاحم الأجزاء فذلك ما لم يكن له من نقدة البلاغة حظ جليل !

وليس يغيب عنا فى هذا المقام أن هذه الحضارة القائمة لقد جلت علينا من صور البلاغة صورتين لم تلبثا ان ساهمتا فى أدبنا العربى بنصيب جليل . وأعنى بهما فن القصص والتصوير البيانى ، على حين أننا لا نرى لهما مكانا واضحا من عناية علوم البلاغة المأثورة ومضارب النقد القديم !

سيداتى . سادتى :

لست ثائراً فادعو الى الغاء علوم البـلاغة العربية بتاتا كما الغتها أمم فى الغرب بتاتا ، ولكننى أدعو الى تليينها وتمرينها حتى تصبح أشبه بالاسلوب النقدى القائم على التفطين والتذويق بحيث تتطور مع تطور الافهام والاذواق . وعلى أن يوصل تعليمها فى المدارس والمعاهد بدرس الأدب نفسه . فالواقع أنه ما نضجت موهبة شاعر ولا كاتب قط بدرس علوم البلاغة . ولكن بطول ترديد النظر وتقليب الذهن فى المأثور من روائع الآداب ، الى الارتياض بكثرة العـلاج والتمرين . فاذا انفسحت مع هذا ملكة الكاتب أو الشاعر ورهفت فطنته بترسم مذاهب النقد الفنى فقد تمت نعمة الله عليـه ! . هذا رأيى فى الجملة وأقول « فى الجملة » لان هناك أسبابا من القول يضيق عن شرحها هذا المقام . وبعد فاذا أبينا الا الحرص على بقاء هذه العلوم على تلكم الصورة التى دفعها الينا السابقون فلا شك فى أن لها فى دار الآثار العربية المكان الفسيح ! !

عبد العزيز البشري

في ذكرى تلستوى

تلستوى كنهر النيل

فى بساطته وهدوئه ، واعتزازه وجلاله

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

مضى الآن على وفاة الاديب الروسى الكبير الكونت ليون تلستوي خمس وعشرون سنة وقد احتفلت الهيئات الادبية في أوربا بهذه الذكرى . فرأينا أن ننشر هذا المقال لهذه المناسبة . وقد بحث فيه الكاتب في تلستوى وما اشتهر عنه من بساطة الاسلوب وبساطة الافكار وبساطة النفس ، مع الروعة والجلال وعمق التأثير

كثيراً ما سمعت فى مصر من بعض أدبائنا أن روح الفن الروائى الروسى هى روح البساطة وأن السحر الغريب الذى تفيض به اعمال كتاب الروس ينبع من البساطة ، وأن أولئك الكتاب جميعاً يشتركون فى تقديس البساطة ويتخذون منها مثلا أعلى

وقد يبدو هذا الرأى أول وهلة صحيحا ، ولكنه فيما أعتقد لا يساعد البتة على اماطة اللثام عن جوهر الفن الروسى ولا يحسب حساب شخصية كل أديب وما تمتاز به من خصائص ونزعات

وعندى أن البساطة شائعة فى معظم كتاب الروس من ناحية الاسلوب اللغوى فقط . أما المعانى والتحاليل وطرائق الوصف والسرد وعرض الشخصيات فابعد ما تكون عن البساطة اللامعة الساذجة الصافية إلا عند ليون تلستوى

فتشيكوف مثلا بسيط الأسلوب ولكن المرارة والحسرة وأعراض الضجر والسوداء تتمشى بين سطوره ، ودستويفسكى بسيط الاسلوب ولكن الانخلاع العصبي الناشىء عن داء الصرع يتمثل فى شخصه كما يتمثل فى أبطال رواياته ، واندريف بسيط الأسلوب أيضا ولكن مخيلته الملتهبة الميالة الى المبالغة تنكر معالم الشخصيات وتخرج بها عن دائرة الواقع وتضفى عليها حلة من الالوان الصارخة المزعجة

فالبسيط حقا ، البسيط اسلوبا ومعنى ، عرضا وجوهرا ، اطارا وصورة ، فكرا وروحا هو تلستوى

ان تلستوى عبقرى بالفطرة ، بسيط بالطبع لا بالاجتهاد ولا بالصبر ولا بالارادة كاناتول فرانس مثلا

فالعبارة التى يسهر عليها اناتول الليل بطوله كى تخرج صافية بسيطة يبدعها تلستوى فى طرفة عين ، والشخصية التى يرسمها دستويفسكى ملبدة معقدة ، لاتستقيم فى خيال تلستوى إلا واضحة الاجزاء والتقاسيم

ومن هنا كان قصص هذا الروائي بمثابة راحة كبيرة يشعر بها كل من طالعه . راحة علوية نادرة كتلك التي نحسها أمام الشجرة ، أمام الينبوع أمام السهل المنبسط ، أمام النهر العريض الدائم الصفاء . وإنه ليخيل الى أن أكمل وأروع تعبير يمكن أن نقرب به فن تلستوى الى الاذهان هو أن نقول عنه إنه يشبه نهرنا نهر النيل ، في سكونه وصفائه ، وثقته واعتزازه ، وجلاله المهيب الذى يرمز الى الألوهية ويوحى بها ! ولكن هل النفس البشرية صافية صفاء هذا الفن ؟ هل النفس البشرية التي يطلب الى الروائي رسمها وتحليلها صافية صفاء هذا الفن ؟

الواقع انها على النقيض قاتمة مكفهرة ، تعصف بها الغرائز وتعبث بها الميول وتتعاقب عليها العواطف ، وتمتزج فيها ظواهر العقل الواعي بالعقل الباطن وتعيش في جو خانق من الضباب الكثيف . فهل رسم تلستوى هذه النفس في رواياته ؟ هل حاول أن يبرزها في جوها الضبابي ؟ هل حفل بغريب اسرارها وخفى انفعالاتها وعواطفها ؟

كلا . ان روحه البسيطة بسطت الحياة ، وبسطت الافكار ، وبسطت شخصيات ابطاله ، فتعادلت بساطة نفسه وبساطة اسلوبه وبساطة قصصه . وهذا التعادل في نظر الكثيرين هو وجه الكمال في فنه كما هو موطن النقص أيضا في نظر بعض النقاد

فافتح الآن رواياته الكبيرة « أنا كارنينا » أو « البعث » أو « الحرب والسلم » ، وتأملها وانعم النظر فيها ، تجد تلستوى لم يهتم إلا بالشخصيات الجلية والعواطف الواضحة والاهواء الطبيعية وكل ماهو شائع في قلب الرجل المتوسط أى في قلوب الاغلبية الساحقة من الناس

لاميول شاذة في قصصه ، ولا أعراض جنون أو هستيريا أو فكرة ثابتة أو صرع كما في قصص دستويفسكي أو اندرييف . لاشخصيات غريبة تساعد على اكتشاف اعراض سيكولوجية غامضة في النفس البشرية وتمد العلم بذخيرة جديدة

لارغبة في نبش جوانب هذه النفس وصب اضواء ساطعة على ما يحجبه الانسان والمجتمع من نقائصها ونزواتها بل انفعالات صريحة واهواء وعواطف وميول يشعر بها الجميع لانها شائعة كما ذكرت في قلب الرجل المتوسط أى في قلوب الجميع

فكلنا يفهم ويحس شقاء الزوجة العاشقة « أنا كارنينا » ، المضطربة الحيرى بين واجب الأمومة وواجب الغرام . وكلنا يفهم ويحس عظمة الرغبة في التطهير والتكفير ممثلة في البرنس « نيكليدوف » في رواية « البعث » . وكلنا يفهم ويحس عذاب « مسلوفا » في رواية « البعث » أيضا تلك الفتاة التي انتهك عرضها واحترفت البغاء وظلت فيها شعلة الروح كامنة حية

وكلنا يفهم في رواية « الحرب والسلم » كيف أن كبار القواد مضللون وكيف أن الخطط الحربية باطلة وكيف أن النصر المعزو الى رجل واحد كثيراً ما يكون ضربا من الوهم والاعلان ...

هذه الألوان والحوادث والشخصيات نفهمها حق الفهم ونشعر بها تمام الشعور ، لأنها قريبة

منا متصلة بنا تشترك فى حياتنا الظاهرة العامة ولا تحاول أن تنفذ الى ما وراء هذه الحياة البسيطة الشائعة . وهذا هو السر فى أن أغلبية القراء تقبل على مطالعة تلستوى فى حين أنها تخشى دستويفسكى وتجد صعوبة كبيرة فى فهمه

تلستوى يخاطبها عن الواقع اليومى ودستويفسكى يحاول أن ينقلها الى ما وراء هذا الواقع ، الى أغوار النفس البشرية وظلماتها وما فيها من غرائب وشذوذ

لذلك هى تحب الأول وتطمئن اليه سريعاً ، وتعجب بالثانى وتهيبه حتى تعتاده فتفهمه فتحبه

وعليه فتلستوى بسيط الاسلوب ، بسيط العواطف والشخصيات . ولكن هذه البساطة المتناهية التى يأخذها عليه بعض نقاده قد تكون أثمن الف مرة من التعقيد والغوص على الغرائب ! ـ لماذا ؟

لأن الفن تأثير لا اقناع عقلى . ولأن قيمة العمل الفنى تقاس بقيمة الاثر الذى يحدثه فى نفسك لا بمقدار الحقائق النادرة المشتمل عليها

أية حقائق نفسية سيكولوجية نادرة يشتمل عليها منظر النيل ؟

لا شىء . عظمته كلها فى مبلغ تأثيره فيك وفى نوع هذا التأثير . وكذلك فن تلستوى

أما نوع التأثير الذى يولده هذا الفن فى نفسك فن أروع وأعمق ما استطاع أن يصل اليه فنان أديب . هو تأثير مزدوج : فنى وروحانى . عقلى وخلقى

فمن الناحية الفنية تجد فى قصص تلستوى مختلف شروط العمل الفنى الروائى الرفيع مجتمعة : قوة التخيل ، القدرة على البناء ، صدق العاطفة ، دقة الملاحظة ، مهارة عرض الشخصيات دقة الرسم ، حركة الحياة ، سيطرة العقل على الاعصاب ، التناسب والانسجام والنظام

ومن الناحية الروحانية تجد فى تلك القصص حاسة إنسانية لا مثيل لها ، شعوراً دافقا بالمحبة، شعوراً ممزقاً بآلام الغير ، ارادة جبارة فى العمل لاسعاد الناس ، ولعاً جنونيا بتقديس العدل ، رغبة طاغية فى الدعوة للاخاء البشرى ، اعتقاداً راسخا بوجوب اقرار المساواة الاجتماعية والاقتصادية بين الجميع ! . .

فالفن الكامل فى قصص تلستوى يملك عليك عقلك ، والانسانية الرحبة الغزيرة تملك عليك قلبك وتحاول أن تبدل خلقك وتكسر من شرة غريزتك ، وتقرب مسافة الخلف بينك وبين البشر اخوانك ، وتسمو بمجموع كيانك الى عالم الحق والخير والعدل

وليس شك فى أن عددا كبيراً من الروائيين الافذاذ استطاع أن يحقق فى عمله الادبى أشق وأخطر شروط الفن وفضائله . ولكن النادر هو أدب تلستوى ، هو اقتران تأثير تلك الفضائل الفنية بهذا التأثير الروحانى الانسانى الذى يزيد فى قوتها ويتضاعف جمالهـا ويتحالف معها لاحداث الثورة المثالية المنشودة فى القلب البشرى !

فليون تلستوى كان روائيا عبقرياً وكان فوق ذلك انساناً واسع الانسانية كنبى أو رسول ! ولقد طغت به النزعة الانسانية فى أواخر حياته وتغلبت فى قصصه على النزعة الفنية ، فاستحالت رواياته بدافع حبه الشديد للناس ورغبته المحمومة فى انقاذ التاعسين البائسين من أبناء الشعب ، الى محض كتب للاصلاح والتبشير والدعاية ففقدت اعماله الادبية ذلك التعادل الالهى بين النزعتين الفنية والانسانية الذى كان سر عظمتها

عندئذ ثارت عليه ثورة نقاد الادب ، وأبوا إلا أن يدفعوا عن فن تلستوى عدوان النظريات الاجتماعية الانسانية . ولكنه وقد أحس الحياة الغالية تفر منه ، والشيخوخة الهابطة تعجل بفنائه ، أبى هو الآخر إلا أن يضحى بفنه ويمضى فى دعوته الثورية صارخاً ملء رئتيه الكليلتين علّه يسمع العالم صوت العدالة والحق . فحمل بجبروت المستميت على الاوضاع الاجتماعية الظالمة ، والعقائد الدينية البالية ، ونظام الاسر ، وتواطؤ رجال الدين مع رجال الدولة على استعباد الشعب واستغلاله وابقائه يرسف فى قيود الفقر والذل والهوان

أثار الكل عليه وهيج الكل على تعاليمه وافكاره وشخصه . وفى يوم ٢٥ فبراير عام ١٩٠١ صدر أمر الكنيسة بتوقيع « الحرمان » على الكونت ليون تلستوى !

استفاض النبأ فى روسيا كلها وأصبح رجل الله بين يوم وليلة عدو الله !

وكان تلستوى اذ ذاك فى موسكو وحدث أن خرج فى نفس اليوم لزيارة صديق ، فعند ما وصل الى مكان يعرف باسم ميدان « لوبيانسكا » عرفه بعض المارة فتألبوا عليه واحدقوا به وصاح احدهم فى سخرية :

ـــ هذا هو الشيطان مجسما !

ولكن الشعب ، الشعب الذى كان يستجيب لتلستوى ويحبه ويفهمه ويشعر بمقدار اخلاصه وحبه له اندفع نحوه وصاح :

ـــ فليحى تلستوى !

وارتفعت القبعات ولوح بها وتعالى الهتاف . وفى تلك اللحظة ارتبك الرجل العظيم وخجل ولم يكن قد الف هذه المظاهر فاسرع من فوره واستقل أول مركبة صادفها . ولكن الجماهير تكاثرت عليه وحالت بينه وبين الرحيل وظلت تهتف حتى أقبلت ثلة من الفرسان ففرقتها بعد عناء كبير

وهكذا ارادت الدولة والكنيسة القضاء على تلستوى ، ولكن الشعب أبى الخضوع ، ورفع العبقرى الى ذروة المجد لأنه كان يشعر ويفهم بسليقته أن هذا الرجل الارستقراطى عاش للشعب واستهدف لكراهية أسرته ونقمة حكومته ولعنة كنيسته من أجل الشعب ! . . .

ابراهيم المصرى

الألم قوام الحياة

ولا يعرف الحياة من لا يعرف الألم

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

« . اذا اردنا معرفة الحياة واستطلاع دوافعها الخفية والوقوف على حقيقة عواملها الاولية، فاوجب الواجبات ان نعدل عن اقامة هذه المعرفة على العقل المجرد، وان نقيمها على القلب . . »

لا يسعنى قبل البدء إلا المعذرة لدى القراء لاختيارى الكلام عن موضوع حزين فى هذه المرة . وشفيعى فى هذا أنى أخذت على غرة منى وأنا مستغرق فى نفسى . فلم يتسع لى الوقت لأعالج إصلاح شأنى ، والخروج للناس بصفحة من الخواطر أدعى الى البشر والايناس

على أنى اطمئنه بأنه غير مشروط فيمن يسيء الرأى فى الحياة أن يكون عابساً كاسف البال ، عمط أسارير الوجه من الكآبة والابتئاس ، وألا ينى يندب الحظ ويجهش فى النحيب وينعى الحال والمآل . بل لقد يكون أسبق الأنام الى اللهو والتسلى ، وأشدهم إقبالاً على مجالى الحسن فى الطبيعة والبشر ، وأسرعهم استجابة لدواعى الحب ، وأقدرهم على اختلاق الحظوظ والمسرات ، فلا تراه إلا متهللا ضاحك السن . فكه البادرة مراحا . ذلك أن سوء الرأى فى الحياة لا يؤدى الى حال واحدة ، حال أبى العلاء فى التبتل والزهد والأعراض عن الدنيا . بل يؤدى الى أحوال شتى جد مختلفات على حسب الطبع والبنية . فالذى يقول :

الا كل حى هالك وابن هالك وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

الذى يقول هذا لا ريب متشائم وفى الصميم من التشاؤم . ولكن صاحب هذه الأبيات ابو نواس كما هو معلوم ، وقد أدى به شعوره هذا بالحياة الى الاستهتار والى العبث والمجون . كذلك تهالك صاحب الرباعيات عمر الخيام على معاقرة الخمر وعدم الافاقة من السكر إلا إلى السكر ، انما كان عربدة المفكر اليائس من الحياة وما بعد الحياة . وهذه احدى رباعياته من ترجمة الأستاذ المازنى:

هات لى الكأس ياحبيبى ودعنى من امور تشقى بها الفطن
ليس يجدى يا قرة العين شيئاً علمنا كيف ينطوى الزمن

لم تلد هذه الليالى الحبالى الغد والأمس لفـــه كفن
فاسقنيها وحســبنا اليوم ما دام غريرا ووجهه حسن

ومثل هذين فى قبول الحياة عملا ورفضها نظراً شوبنهور إمام الفلاسفة المتشائمين ، فقد كان من المنعمين المكفول لهم العيش وعاش الى ما بعد السبعين

فليس على القراء إذن بأس فى هذه المرة من مطالعة كلمة متشائمة نظرنا فيها لشوبنهور وقد تكون هى كلمة الحق وقد لا تكون

إننا اذا اردنا معرفة الحياة ، واستطلاع دوافعها الخفيــة والوقوف على حقيقة عواملها الاولية ، فأوجب الواجبات أن نعدل عن إقامة هذه المعرفة على العقل المجرد ، وان نقيمها على القلب . فالقلب هو الاول فى الحياة يخفق فى الجنــين مبتدئاً قبل أن يتكون العقل . ثم هو الآخر فى الممات ، فلا يزال نبضه فى المحتضر وهو فى سكرة الردى غائب عن الرشد . فقوام بنائنا هو القلب ، مبعث تلك القوة الخفية التى هى قوى الحياة ، وبعبارة أخرى ارادة الحياة

فالأرادة هى كلمة السر فى الحياة . وهى من وراء كل شىء . وفى قرار كل وجود . ونحن لا نقول الارادة لنقف بها عند معناها فى العرف الجارى . وانما نحن نعنيها فى اوسع معانيها فاذا هى تفسير للكون كله . فالارادة هنا لا تعنى الرغبة الواعية فحسب . بل تنسحب على الغريزة غير الواعية وعلى القوى المكنونة فى طبيعة الجماد . فليست الارادة فى حياة الانسان والحيوان وحدهما . بل هى مشهودة كذلك فى القوة التى تنجم وتترعرع فى النبـات . والقــوة التى تتبلور بها البلورة ويتوجه بها حجر المغناطيس وجهة القطب الشمالى . والقوة المتجلية فى حركات التآلف والتنافر فى المادة كالجذب والدفع والانحلال والتركب وكالجاذبية التى تجذب الحجر الى الارض وتجذب الارض الى الشمس . هذه جميعاً واحدة فى ذاتها . وهى هى القوة بعينها فى كل مظهر من مظاهر الطبيعة كما هى فى كل عمل يتوخاه الانسان . ولا خلاف فى الكنه وإنما الفرق فى الدرجة وفى تفاوت الوعى لاغير . فالانسان أشرف المخلوقات يعى هذه القوة العشواء . وكلما ارتقى فى معارج الانسانية زاد شعورا بها وادراكاً لها فى دخيلة نفسه وفى خارج نفسه

وتتمثل ارادة الحياة حتما فى المجاهدة للحياة . فليس يخلو فى الطبيعة موضع من المغالبة والصراع فكل ارادة تنازع غيرها من أجل المادة والمكان والزمان . وهذا الصراع يتجلى حتى فى مراتب الارادة الدنيا ، كاللبلاب يلتف حول دوحة السنديان فتصوح وتذوى كأنما أمسك بكظمها وخنقها ، وكالحشرة الطفيلية تلتصق بالحيوان فتقتله حتى المادة الخام فى باطن الارض ليس لها وجود إلا بصراع القوى المتفاعلة . واظهر ما يكون الصراع وابشعه فى عالم الحيوان حيث صير جوف الوحش الضارى قبراً حيا للالوف من الحيوان غيره . لا معدى له عن افتراسها

طيلة العمر، يقيم بها أوده ويطيل بقاءه . والذئب ذنب الجوع لا ذنبه على حد قول ابى العلاء :

ولو علمتم بداء الذئب من سغب إذاً لساعتم بالشـــاة للذيب

ويجيء الانسان فاذا هو بدوره ينظر الى الطبيعة نظره الى ضيعة كل ما فيها لخدمته وانتفاعه الخاص فلا يعفى شيئا من عدوانه . وهكذا تعم الضراوة والافتراس جميع الكائنات فيعمد الانسان فيما يعمد اليه لطعامه الى مدد من الحيوان، ويعيش الحيوان على بعضه وعلى النبات، والنبات لا غنى له عن التربة والماء والعناصر الكيمياوية ومركباتها . فكل شيء فى الطبيعة يفتك بغيره من صور الحياة . فالحياة تعيش على نفسها، وهى أبداً آكلة مأكولة، وارادة الحياة ابداً جائعة منهومة

ولما كان الجماد فيما نعلم لا يحس ألما فى تفاعله، كما أن الحيوان ينسى الألم بزواله، فان ارادة الحياة فى هؤلاء خطبها يسير . أما الانسان فخطبه كبير وبلاؤه مســـتطير، لانه ارادة شاعرة بنفسها . ومن ثمة كان كل ما يقف فى طريق هذه الارادة ويعتاقها ويعرقلها يحدث لنا ألماً ويترك فى نفوسنا مضضا . وكل السعى من جانبنا انما هو وليد حاجة من حاجات الارادة . فنحن نجهد لقضائها ما نجهد وتتكلف النصب الناصب والبرح المبرح لنحقق لها مطلبها . ونسمى هذا التحقيق ارضاء وراحة ومتعة . ولكن هذا المطلب لا يلبث بعد دركه أن تتزايل عنه بهجته وتنطفىء زهوته شيئا فشيئا حتى نمجه ونسلوه فننبذه نبذ النواة وتنفيه عنا وهماً من الاوهام الباطلة . ثم نلتفت برهة فياسرعان ما تتخايل من جديد فى الافق فراديس وجنات ساحرة فى البعد رائعة، فنشد لها الرحال مرة أخرى . فاذا هى الأخرى من أخاديع النظر سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فيه شفاء الغلة وما هو الا كما بقته غرور باطل ووهم زائل . ومن حسن حظنا ألا يتولانا مع هذا كله اليأس القاتل وألا يزال لنا على الدوام رغيبة نرغب فيها وأمنية نسعى لها . فنظفر بالرضى الموهوم لحظة تنصرف بعدها الى مطلب غير المطلب . فالرضى قليل اللبث والرغبة سريعة التوالد . وهكذا دواليك من الطلب الى الرضى ومن الرضى الى الطلب . ونحن فى كل مرة نحسبها الامنية القصوى والمطلب الذى ليس وراءه مطلب

فالسعادة أبداً فى المستقبل، وإلا فهى فى الماضى . أما الحاضر فأشبه بعارض الغيمة المدجنة على السهل الضحيان المشرق . فكل موضع من أمامها ومن ورائها زاهر منـــير الا حيث هى فانها ضاربة عليه دائما ظلها المظلم . فالحاضر دائما لامقنع فيه والمستقبل غيب والماضى لا مرد له

فالادارة لا تنفك تجاهد . وليس يقفها بلوغ الغرض عن جهادها الدائب المتصل . بل هى ماضية قدما من مطلب لمطلب الى غير نهاية . لان المجاهدة فى صميم طبعها . ولأنها لا تعرف الا كنفا . وليس فى الكون كله ما يسكت دواعى الرغبة . ويقف الاشواق المحدودة عندحد ويملأ من القلب هوة سحيقة بغير قرار

ولو ان امرءاً يخلو من دواعي الرغبة لاستولى عليه ما هو أدهى وأمر الا وهو الاحساس بوحشة الفراغ ونكد السآمة . فتصبح الحياة عنده حملا لا يطاق يؤوده ويثقل عليه . وحياة الناس تتراوح كرقاص الساعة بين طرفين فاما الالم واما الملل

ثم إن الوجود على هذه الارض يحتم علينا تكلف العناء والنصب غير مختارين . فليست الحياة منة غير ممنونة فما علينا الا التملي والاستمتاع بها بل هي أشبه ما تكون بالواجب والتكليف المفروض ، ولا سبيل للقيام بهذه الفريضة غير العمــــل . فترى أنه لا بد في صغار الأمور وكبارها من الكد دون فترة أو ونآء ، والمنافسة بغير هوادة ولا اغفاء ، والمناضلة المستمرة بلا انتهاء . فأينما توجهت فثم حركة مسخرة توترت لها جميع قوى البدن واستجمعت قوى الفكر . فالملايين من الناس تتألف منهم الامم يتعاونون على مافيه خير أمتهم وهم في ذلك فرداً فرداً يخدمون مصلحتهم ، غير ان الآلاف منهم يذهبون ضحايا في سبيل صلاح الجماعة . ففي زمن الحرب تبذل الدهماء دمها مدراراً تحقيقاً لاحلام القادة أو تكفيراً عن أخطائهم . وفي السلم تتصبب جباه العمال والصناع وتتفصد عضلاتهم عرقاً لتزدهر الصناعة والتجارة ولتخرج للدنيا عجائب الاختراع وتمخر البواخر متون البحار تحمل الاطايب من أرجاء المعمورة . ومع أنه أوان سلم فان الألوف أيضاً يلقون حتفهم تحت أنقاض المناجم المنهارة أو بين فكي الآلات الفاغرة أو في جوف اللجج الهامدة المزبدة . فكل ما في الوجود دائب الحركة . هؤلاء يكدون أذهانهم وأولئك ينهكون ابدانهم . والجميع في هرج ولجب يقصر عنه البيان

وتلحق بهذه التكاليف هواجس من الخيال غير بعيدة الاحتمال . فان امرءاً يتمثل لنفسه ما تتعرض له حياته باستمرار من طوارىء الامراض والحدثان ليأخذ منه الفزع كل مأخذ . وبحسب المكابر جولة في المستشفيات والمحاجر الصحية وغرف التعذيب الخاصة بالعمليات الجراحية وفي السجون ودور القصاص وحظائر العبيد وميادين القتال ومحاكم الجنايات ، فضلا عن المباءات المظلمة التي يتستر الشقاء في غياباتها هرباً من الأنظار المتطلعة في برود وازدراء . فانه اذ ذاك ليخالف المتصوفة وهم في مواجدهم الروحية يتغنون : « ليس في الامكان خير مما كان » ويهتف متبرماً مع الساخطين المتشائمين : « ان هذا الكون شر ما في الامكان من الاكوان » . وفي وسط هذه المخاطر يحيا الانسان حياته في الارض فيدب عليها بخطوات حذرة ويلقي حواليه في كل خطوة نظرات المتوجس كانه الهارب المطلوب :

كأن فجاج الارض وهي فسيحة على الهارب المطلوب كفة حابل

يؤتى اليه ان كل ثنية تيممها ترمى اليه بقاتل

وهكذا كان سير الانسان في عصور الهمجية وكذا سيره في عهد المدنية ولا أمان ولا اطمئنان ومهما يكن حديث الناس عن السعادة فانها قائمة على جرف هار ورمل مهيل ، على الوهم

باننا لقينا مافيه تمام الرضى لرغائبنا وختام المطاف . والنتيجة المحتومة هي اننا عند زوال الوهم ندفع ثمن الفرحة اضعافها حسرة ، وكلما كان الارتفاع شاهقا يكون السقوط من حالق اشد واوقع

وحقيقة الواقع أن السعادة وجودها إيجابي . فالحياة الانسانية تجرى كالنهر غير شاعرة ولا واعية ، وانما تنتبه لنفسها كلما تعرضت إرادتها لاعتراض واصطدمت بالموانع . ومعنى ذلك أن المستكره أو المؤلم هو الذى نحسه على الفور وبأتم وضوح . ونحن لا نلتفت إلى صحتنا العامة فى كمالها وانما نذكر الموضع الصغير الذى عقره الحذاء فى طرف قدمنا . ونحن لا ننعم بلذة الفرح بنجاح عملنا فى جملته إذا فاتنا النجاح فى دقيقة تافهة من دقائقه . أضف إلى ذلك أننا نجد المسرات على الاجمال دون ما كان يزينه لنا التشوق والانتظار ، حتى الملذات الجسدية هى فى معظم الأحيان تظاهر من الجانبين ، ومرجع هذا الى أن الطبيعة ضنينة بالافراح ، ونحن يعز علينا شحها ، فنتعلل بما نبديه من طاقة للتلذذ لم نرزقها . ذاك فى حين أن الآلام تجىء من حيث لم تخطر على البال ، وتتجاوزنا الطاقة والاحتمال . ومن المشاهد المتكرر أن نعم الحياة الكبرى وهى الصحة والشباب والحرية لا نلقى اليها خاطرنا طالما هى من نصيبنا . وانما نعرف لها قدرها حين نفقدها . والساعات تكر سراعا كلما كانت هنيئة ، وتبطىء كلما كانت كئيبة . وكما أن السأم هو الذى يشعرنا بالزمن ، فكذلك الألم هو الذى يشعرنا عند زواله بما نسميه سعادة . فالراحة والرضى والسعادة كلها سلبية ، لأن كل ما فيها من الراحة والرضى والسعادة هو أنها سدت حاجة واسكتت رغبة وأنهت ألماً . أو بكلمة واحدة ، السعادة ان هي الا غيبة الألم . واذا كان الخلق منذ أقدم الأزمان يلتمسون النشوة فى الخمر وأشباهها فذلك لان السعادة هى فى غيبة الحس عن الوجود . قال الاستاذ العقاد :

لذة الناس فى السلافة والشعر وفى الحب والكرى والغناء
تطلق النفس من مظاهر هذا الحـ ـس حتى تمس باب الفناء
خير ما فى الحياة يا قلب ما أنسـ ـاك ذكر الحياة والاحياء

فلا عجب أن يكون التماس السعادة ، ان كان ثم سعادة . فى التجرد من الارادة فى عرف الزهاد أو فى تسليم النفس طواعية للحياة من غير ارادة فى شرع أهل الفنون . على ان هذا التجرد أو التسليم نسبي لا تمحى فيه الارادة بالكلية . فلا حياة قط من غير ارادة . ولما كانت الارادة ـ بما تستتبعه من السعي والصراع ـ هى الالم ، فالذى يخلص من ذلك ان الالم قوام الحياة

عبد الرحمن صدقي

هل الحب الخالص موجود

نظامنا الاقتصادي وأثره في الحب

بقلم الاستاذ بولس مسعود

«الحب الخالص منفي من مجتمعنا المؤلف من ذوى مال مسيطرين ومأجورين ممتثلين . والسكد الباهظ الذي يفرضه ناموس الاقوى السارى الآن يدفعنا الى بذل كل نشاطنا في كسب العيش ويميت فينا قوة الحب ..»

يخيل الى أن الجنس البشرى فى درجة تطوره الحالية يتغلب فيه الجاذب الجنسى على أى شيء آخر ، ويشغل جانباً كبيراً من الفكر الانسانى وإن ظل اللسان صامتا

ومن حسن الحظ أن القراء لا يجدون الصراحة فى هذا الشأن ذات مذاق طيب ، ويضطر الكاتب الى مجاراتهم فى ذلك . ولكنى أعتقد ان القراء فى نفورهم من البيان مندفعون فى أغلب الاحيان بعامل مصطنع ، يتظاهرون بالحشمة والحرز صونا للظواهر ليس غير . ومهما يكن من شيء فان لامر الجنس رنيناً بعيداً فى أوزان المجتمع ، ولذلك يلذ لنا على الدوام أن نجعله موضوع بحثنا ومدار حديثنا

للفرد ، رجلا او امرأة ، حق فى إرضاء الغريزة الطبيعية ، غريزة الاتحاد الجنسى الضرورى لتطورنا الحيوى ونمونا الانسانى . وللفرد حق كذلك فى الصورة السامية لهذا الاتحاد التى يقضى بها الاختيار المتبادل المسمى الحب

يتطلب الاتحاد الجنسى لكي يدوم شيئا من الاستقلال . وهذا الاستقلال يأباه مجتمعنا الخاضع لنظام اقتصادى فردى (individualiste) ففى حالة المجتمع الراهنة غير ميسور للمرأة بصفة عامة أن تعطى الرجل أو تأخذ منه أكثر من اتصال خفى بهيمى

كانت المرأة فى العهد القديم ، عهد البداوة وتعدد الازواج من غير قيد ، أسيرة الرجل تكاد تكون تبعيتها له تبعية مطلقة ، وما زالت المرأة تحمل آثار الاسترقاق فى أرقى الامم مدنية ، أما الزواج بواحدة السائد الآن فى العالم المتمدن ، فكان يمكننا أن نحسبه تقدما نحو الحب لو كان العمل به نتيجة الحب والاختيار بين القرينين ولكن بالاسف ليس الامر كذلك . ولا علاقة لهذا الزواج بالحب إلا قليلا

المرأة عملية فى حبها شأنها فى كل شيء . فهى ترى فى الاقتران وظيفة يدعوها الى تأديتها (فضلا عن الدافع الجنسى) ضمان رزقها أو مركزها فى المجتمع . وقليلات فى النساء من خلص شعورهن تمام الخلوص فى ميلهن الى الرجال وخلا من الانانية

أما الرجل فكثيراً مايعميه حبه ويحجب عنه قوة المنطق ويجرى به فى طبقات الخيال فيقدم على الزواج مذعنا لدافع داخلى ، وقد لا يكون الدافع سوى الشهوة

ولكن الواقع ان أكثر الرجال فى أيامنا يضطرون بحكم النظام الاقتصادى السائد ، الى كبح جماح ميولهم ومراعاة أحوالهم المادية ومركزهم الاجتماعى . فيقدمون على الزواج أو يمتنعون عنه اغتناماً لفائدة شخصية أو اتقاء لضرر محتمل الوقوع

ويغلب والحالة هذه ان يمتنعوا عن الزواج الى حين، فتسد فى وجوههم الابواب المشروعة لارضاء الميل الجنسى ويحملون مكرهين على تعدى الانظمة الاجتماعية . وحينئذ تسد هـذه الابواب بعينها ، مع أبواب كسب الرزق ، فى وجوه النساء كذلك ، فيضطرهن الحال الى بذل أنفسهن للرجال من غير مبالاة بما هو مشروع

وللملكية الفردية فى أمر الزواج العصرى أثر راجح ظاهر الوضوح ، فالزواج فى أيامنا خاضع قبل كل شيء لاحوال اقتصادية أساسها ثروة حاضرة أو توقع ميراث ، ولذا نجد أن الزواج لا يتم أمره بين المتعاقدين مباشرة بل يدبره ويقضى به أهلهما بما يتفق مع المصلحة

فالحب الخالص كما ترى منفى بطبيعة الحال من مجتمعنا المؤلف من ذوى مال مسيطرين ومأجورين ممتثلين . والكد الباهظ ، الذى يفرضه علينا ناموس الاقوى السارى الآن ، يدفعنا الى بذل كل نشاطنا فى كسب العيش، وينزع منا كل طموح الى الوجهة المعنوية من الحياة ويميت فينا قوة الحب

أما الشغل العادى المعتدل الذى لابد منه للقيام بأود الافراد فى حياة اجتماعية ليس فيها تفاوت فى وسائل المعيشة ، كالحياة التى يعللنا بها الاجتماعيون فى زمن مقبل ، فلا يثقل كاهل أحد ولا يحرم أحداً من حرية السير فى سبيل ميله الجنسى

فى عهدنا الحاضر يضطر الشبان ، فى السن التى تنبت فيهم الحب ، ان يدفعوا برعشاته الاولى الى أعماق القلوب ويقذفوا بانفسهم قلبا وقالبا فى معمعان تنازع البقاء العنيف ، ويرجح ألا يسود الهدوء برهة فى حومة الوغى إلا وقد استيقظت القلوب ونضب معينها ويبست

فليس فى وسع الفرد ، ومهماز الخبز اليومى يحرشه ، وهول البؤس يلاحقه ، أن يعلل النفس بحرية الاختيار والحب الخالص . والمرأة أكثر من الرجل تلتوى تحت نير هذا المجتمع الثقيل لانها أقل من الرجل كفاءة لكسب عيشها فترغم على ألا ترى فى الاتحاد الجنسى سوى اقتسام الارباح التى حصلها الرجل ، وعلى أن تدع الرجل يختارها بدلا من أن تختار لنفسها . وعلى أن تبذل نفسها أحياناً كثيرة على كره منها

ومن ثم فليس فى المجتمع العصرى داع ولا محل لعاطفة الحب الطيبة . فعلى هـذه العاطفة أن تقنع وترضى بما يترك لها وترضى تراعها الى الحب كما يتيسر لها بعد أن تقضى سائر لوازم الحياة

منذ أيام تحدثت الى خليل — وهو صديق لى كهل — فى موضوع الحب وقلت له: لا أظنك ترغب

عن هذا الحديث لسبب تعديك سن الشباب فقد قيل : « وأ كثر حب المرء إذ يكهل » وفوق ذلك فان عندك من الخبرة ما يجعلك تحسن الفكر والقول فيما قد جربت بالفعل . ويعجبنى منك نظراتك الفلسفية وتعبيرك الخالص البرىء فقال :

— قبل أن الى طلبك دعنى أطمئنك انى لست ذلك الشيخ الذى أثقلت كاهله السنون كما تظن ، فليست السنون هى التى تجعل المرء شيخاً بل تفكيره فى أنه أصبح شيخا ، وانا بحمد الله مازلت برغم تقدمى فى السن افكر فى انى شاب ، وأشعر بدم الشباب ينبض فى عروقى .وبعد فانى على ماتريد من التحدث اليك فى الحب

« قد علمنى الاختبار ان أفضل الحب وأ كثره نعيماً هو ما تسامى على اللذة الشهوانية وسما بنا الى تعشق ذات الحبيب وان كان لابد لنا فى بادىء الامر من الوقوع فى حبائل الحب الجسمانى لنكتسب منه خبرة ونتخذه سلما للصعود الى الحب الانسانى الروحانى . ويغيظنى ان نظامنا الاقتصادى مابرح يكسر أجنحتنا التى تتوق للطيران بها الى ملأ الحب الانسانى ويجذبنا الى أسفل حيث لا وجود إلا للحب الحيوانى »

— أنا أعلم أنك ساخط على هذا النظام ومتمرد بالفكر والقول على المجتمع الذى أنت خاضع له . ولكن ما الفائدة من صياحك وصياح الاقلين معك ما دام الأمر بيد غيركم ؟

— الفائدة من ذلك نشر فكرة التمرد بين الناس والتشوق الى استبدال الحاضر البالى بجديد أفضل ،والتفكير فى ذلك الجديد المشتهى . فلا يخفى عليك ان الفكر مبدع وأن الواقع المحسوس ان هو الا نتيجة الفكر . فما نشتهيه جد الشهوة ونمعن ونثبت فى التفكير فيه يتحقق فى الواقع . ولذا فكل انظمتنا التى فى حيز الفعل هى تحقيق ما سبق عنصنا فى حيز الفكر . فاذا أطلنا النظر فى الجديد المرغوب ونشرنا فكرته حوالينا وفكر فيه العدد الكثير من الناس ثم العدد الا كبر آل الامر بالسلطة التشريعية الى اقراره وتم تحقيقه عاجلا أو آجلا . ولكن ان لم تنتشر فكرة الجديد وتعم فيستحيل تحقيقه . الا تذكر قول الله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » ؟

— ولكن ألا يوجد فى مجتمعنا مكان لتلك العاطفة السامية عاطفة الحب الانسانى الخالص ؟

— أنت تعلم أن الحب بحصر المعنى يرفع صاحبه فوق المستوى العام . والناس فى حياتهم الاجتماعية عائشون عيشة المناجذ يراءون ويدارون . فاذا اجترأ بعضهم على رفع رأسه وبرز على أقرانه فى الفكر أو الرغبة أو الفعل شعر من حوله بانحطاطهم عنه وعدم قدرتهم على مجاراته فيقومون فى وجهه يزيفون صفاته ويسعون الى تنغيص عيشه بقصد ازاله عن مستواه وارجاعه الى منزلتهم

«فاذا ازدرى الحب بما يلقاه من المعاكسات ومايعترضه من المحن واقتحم الآداب المرعية ليتخذ لنفسه مكاناً تحت الشمس وأصاب نجاحاً فنمى وأثمر فى وسط أنظمتنا فذلك لا يكون على الغالب إلا على « هامش » الاقتران الرسمى أو بالرغم منه

« نعم لا يندر فى الواقع أن يقترن حبيبان اقترانا يؤدى اليه جاذب الود الخالص الصادر من تلقاء النفس غير مبالين بما ترسمه مصطلحات المجتمع . ولكن تجاسرهما على الظهور بهذا المظهر لا يخلو من ايذائهما . فحالما يبرز الحب الصحيح الى الوجود يثير المجتمع عليه حربا عوانا لا تعرف الموادة ولا الرحمة . فالاسرة وأنظمة الزواج ، دينية كانت او مدنية ، وآدابنا وعاداتنا والرأى العام كل ذلك يشترك معا فى مكافحته ومطاردته لاجباره على الاذعان والتسليم

« الاسرة التى أولى دعائمها الملكية وحق الارث والموكول اليها صون المصالح المادية تنظر الى اقتران اعضائها الجنسى من وجهة هذه المصالح قبل كل شيء . والعائلات التى لا ثروة لها خاضعة كغيرها لقوة المال القاهرة ولضرورة الكسب . فهى لا ترى فى الافراد غير قيم تجارية وهى على تمام الاستعداد لان تخنق فى الناشئة بذور جميع القوى الطامحة الى العلاء وفى مقدمتها الحب لانها تعكر صفو آمالها وتخل بحساباتها . والاسرة فى مكافحتها للحب الذى يضعضع خططها تستخدم كل سلطتها الادبية فان لم تكفها فتلتجيء الى الدسائس الخفية فالعنف

«والذى يزيد الحالة شدة ان السلطات التشريعية لا تنظر الى الاقتران الجنسى إلا من وجهة رد فعله على النظام الاقتصادى الذى وضعه الاقوياء فتأتى وتدعم دعاوى الاسرة ضد الحب بتايدها الاقتران الجنسى بقوانين مقيدة ومهينة بنصها وروحها

«ولكى تضمن السلطات سيطرة هذا النظام الاقتصادى على الزواج تنشيء التفاوت بين الجنسين وتخضع المرأة للرجل الذى توليه رفعة شان ساحقة . وقد تلزم بالقوة مخلوقين يكره أضعفهما الآخر بان يعيشا جنباً الى جنب عيشة ذل وهوان . وهى تحمى البغاء وتحشد له الجنود لاعتبارها إياه أحسن ما يشغل ويلهى عن الحب ويصون نظام الطبقات الذى فيه خير للملكية

« والذين يجرأون فى مجتمعنا حيث السواد مسير ومسلم أمره للواقع — على التخلص من تدخل القانون ذلك التدخل المهين فى أخص متعلقاتهم الشخصية الداخلية يفقدون حقوقا سمينه ويعرضون أنفسهم للنكد الجم والظلم البليغ »

بولس مصوبع



الطريق الى الفردوس

فى شفاء الحضارة من امراضها الراهنة

ظهر حديثاً في اميركا واوربا كتاب نفيس أحدث ضجة عظيمة في الدوائر العلمية . ولعله أهم الكتب التى ظهرت هذا العام ، لان مؤلفه الدكتور الكسيس كارل من أشهر علماء العصر . وقد نال جائز نوبل من أجل مباحثه الغريبة فى منشأ الحياة . والمقال التالي خلاصة وافية للنظريات العلمية التى يحويها هذا الكتاب

قبل أن نلخص النظريات الغريبة التى ينطوى عليها الكتاب نقول إن لمؤلفه تجارب واسعة فى البيولوجيا يقف عندها العقل حائراً . فمن ذلك أنه قطع مرة رءوس طائفة من الصراصير وأوقع بينها التبادل بأن وضع بعضها موضع البعض . فالتأمت الجروح وعاشت الصراصير . ومن ذلك أيضاً أنه أخذ قلب دجاجة منذ ٢٣ سنة ووضعه فى أنبوب زجاجى من أنابيب التجارب العلمية المعروفة . وما يزال هذا القلب حياً ينبض الى هذا اليوم ، مما يدل على أن الفناء ليس بالضرورة نهاية كل حى ، وأن المخلوقات الحية تستطيع أن تعيش الى ما لا نهاية له من الزمن اذا توافرت لها العوامل الطبيعية اللازمة

وكما أن الفناء ليس بالضرورة نهاية كل حى ، فهو أيضاً ليس بالضرورة مصير الحضارة البشرية . وانما يشترط اتخاذ الأهبة اللازمة لابعاد عوامل الفناء عن تلك الحضارة . ترى كيف تؤخذ تلك الأهبة ؟

انتق طائفة من أحسن شبان العالم ذكاء ومعرفة ممن لا يزالون فى مستهل الشباب ، وافرض عليهم أن ينفقوا ربع القرن المقبل فى درس كل ما يتسنى لهم من العلم ، واجعلهم يعيشون كما كان يعيش رهبان العصور القديمة والوسطى بأن ينبذوا لذات العالم ومشاغله ويتوافروا على الدرس والتحصيل ـ منقطعين عن المآدب والولائم والالعاب والاحتفالات على جميع أنواعها . فاذا فعلوا ذلك اصبحوا بمرور الزمن عباقرة ذوى عقول جبارة يستطيعون أن يتحكموا فى العالم وأن يمنعوا الحروب ويعالجوا البطالة والازمات . وفى وسع هؤلاء العلماء أن يعلموا جميع أمم العالم كيف تنجو من المصير الذى انتهى اليه اليونان والرومان وغيرهم من الشعوب التى انقرضت وطمست عليها الأيام

وفى الحقيقة أن كل حضارة تدخل فى دور الانهيار تعرف العوامل الباعثة على انهيارها . وكان فى وسعها أن تستعين بالعلم لو حكمت العقل فتنجو من ذلك الانهيار . وهذا ما حدا الكسيس كارل على بسط نظرياته الحديثة فى أسباب قيام الامم والحضارات وسقوطها . وهو

يقول إنه اذا كان العلماء والأطباء يستطيعون شفاء الامراض وتضميد الجروح فمن أشد دواعى الاسف أن يعجزوا عن معالجة أمراض الحضارة وشفاء البشرية مما تعانيه . ولو تسنى لهم ذلك لأصبح هذا العالم فردوساً يحبب الى الناس الخلود على الأرض

ترى لماذا لا يتسنى ذلك ؟

فى مقدمة الاسباب أن حياة الفرد أقصر من أن تستوعب جميع العلوم والمعارف اللازمة لحل مشاكل الاجتماع الاقتصادية والعمرانية . فهذه العقبة الكاداء لا سبيل الى التغلب عليها إلا بتربية العباقرة وايجاد جبابرة العقول ـ أى السوبرمان ـ وايجادهم ليس من الامور المتعذرة بل هو فى متناول الاجتماع فى الوقت الحاضر

ومن تلك الأسباب أن المستوى الذى قد بلغه العالم فى هذا العصر ، مع كونه عالياً جداً ، لا يزال بعيداً جداً عن الكمال أو عما يقرب من الكمال . فنحن نعرف أشياء كثيرة عن دقائق المادة وعناصر الطبيعة ونواميسها وعن الكثير من الاجرام العلوية وعن المواد الغذائية وطرق الانتقال بالبر والبحر والهواء . بل نعلم الكثير مما يتعلق بالامراض وأسبابها وطرق معالجتها والشفاء منها . ومع ذلك لا نزال عاجزين عن تكييف حياتنا بحسب مقتضيات العالم الآلى الذى خلقناه وأنشأناه . ولو تمكنا من تكييفها لاستطعنا أن نعيش بأمان وسلام

ولعل عجزنا عن ذلك ناشىء عن خطأ ما يزال الناس يرتكبونه ويكررونه منذ ثلثمائة سنة . فمنذ ثلثمائة سنة صعد جاليليو العالم الايطالى الى قمة برج بيزا المائل والقى منها كرتين حديديتين إحداهما أخف من الأخرى لكى يثبت لعلماء عصره أن سرعة سقوط الاشياء الثقيلة ليست اكبر من سرعة سقوط الاشياء الخفيفة اذ أن جميعها تسقط بسرعة واحدة بحيث إنها اذا القيت من مكان عال فى وقت واحد فانها تصل الى الارض فى وقت واحد مهما اختلفت حجومها وأثقالها . فالخطأ الذى ارتكبه الناس منذ عهد جاليليو وما يزالون يرتكبونه الى هذا اليوم هو عدم التمييز بين صفات الاشياء الاولية وصفاتها الثانوية . فاللون والرائحة مثلا من النوع الاول لانها صفات لا تقع تحت حصر أو كيل أو مقياس . والحجم والثقل من النوع الثانى إذ يمكن ضبطهما ومعرفة حدودهما . وقد أثبت جاليليو لعلماء عصره أن لكل شىء من الاشياء صفتين : الكم والنوع . ولكن الناس وباللاسف لا يعنون الا بالصفة الاولى وهى التى تقع تحت الحصر والقياس وهم يهملون الصفة الثانية التى تبحث فى صفات الاشياء النوعية (تمييزاً لها عن الصفات الكمية) وعلى هذا المبدأ ساروا فى التوسع فى العلوم الرياضية والطبيعية والكيماوية فضربوا فيها بسهم وافر وقطعوا شوطا كبيراً

فاذا اريد انقاذ البشرية والاجتماع من الانهيار فيجب اصلاح هذا الخطأ أى يجب الاهتمام بدرس الصفات النوعية بقدر اهتمامنا بدرس الصفات الكمية لان مستقبل النظام العمرانى لا

يقوم على الحسابيات والرياضيات والكيمياء فقط، بل يقوم بالاكثر على الروحانيات والمعنويات. وفى الحقيقة أن كل ما فى الانسان من مسميات لا تقع تحت حصر أو قياس، كالعقل والقوة والاخلاق، هو أهم بكثير مما فيه من الاشياء التى يمكن حصرها وقياسها. كأعضاء جسده من لحم ودم وعظم. وبعبارة اخرى ان ما كان مادياً هو أقل شأناً مما هو غير مادى. ومما يدعو الى الاسف أن نظام الاجتماع فى الوقت الحاضر منصرف الى المادة والمادة هى غايته القصوى

وبمرور الزمن قل اهتمام الناس بالروحانيات فصاروا لايعنون إلا براحة الجسد وتوفير أسباب اللذة والسعادة له. وبسبب فصلهم الماديات عن الروحانيات أصبحوا يجهلون مظاهر العقل والروح ويعجزون عن تعليلها لأن اهتمامهم كله أصبح منصرفاً الى أعضاء الجسم الظاهرة وما قد تكون عليه من مختلف الحالات

وقد كان من نتيجة ذلك أن تقدم العلم تقدماً عظيماً وانتصر على الجهل ولكن الروحانيات والمعنويات ـ ومعها الاخلاق ـ انحطت كثيراً جداً. وانحطاط الروحانيات والمعنويات معناه انحطاط الانسان نفسه. ولذلك يتحتم على الذين يهمهم انقاذ الاجتماع أن يوجهوا عنايتهم الى ترقية قوى العقل وتنشئة جيل من البشر يمتازون بسمو سلطانهم العقلى ويعملون على حل مشاكل العمران « الكمية » و « النوعية » وذلك بأن يتوسعوا فى درس العقل واماطة اللثام عن الاسرار المحيطة به، وهو الأمر الذى يسعى اليه جميع علماء البسيكولوجيا وقد ضاعفوا جهودهم فى سبيله فى السنوات الأخيرة

ان العلم قد رقى معلوماتنا عن الجسد وعما يحتاج اليه كل عضو من أعضائه فى حالتى الصحة والمرض. وقد كانت نتيجة ذلك أن قويت أجسامنا وكبرت وتحسنت وصارت تفوق أجسام أسلافنا من كل وجه. فضلا عن أن العلم مكننا أيضا من اطالة متوسط الأعمار ومن انقاذ حياة الملايين من الاطفال وغير الاطفال. على أن كل تقدم أو رقى فى هذه السبيل قد كان على حساب المعنويات وهذا هو سبب عجزنا عن حل ما بيننا من خصومات ومنازعات. بل هو سبب عجزنا عن تلافى أسباب الحروب والثورات. فالشعوب تحارب بعضها بعضاً لانهـــا تتجاهل المعنويات أو تجهل قوتها ولا تعنى إلا بالماديات. والماديات هى الأساس الذى يقوم عليه كيانها. وفى الحقيقة أننا أعجز من أن يدرك بعضنا نفسية البعض الآخر. ولو أمكننا ادراكها لحللنا مشكلة توزيع البلاد والممتلكات والمواد الغذائية على وجه يحول دون الحروب فى المستقبل ويمنع قيام الثورات وارتكاب الجرائم وانتشار الشقاء. وبعبارة أخرى ـ لتمكنا من انقاذ صرح مدنيتنا من الانهيار

ان درس الروحانيات أو المعنويات يجب ألا يقتصر على درس المشاكل التى يعالجها علماء البسيكولوجيا فقط بل يجب أن يتناول درس مشاكل الدين والآداب والسلوك والعلاقات

المعنوية التي تربط الأفراد والجماعات . نعم إن هذه الشؤون عويصة جداً وهذا هو سبب اهمالنا لها وانصرافنا عن درسها . ومن دواعي الأسف أن نظام معيشتنا المادية قد أوجد فينا اعتقاداً خاطئا وهو انه لاحاجة بنا الى الدين والآداب ودرس ألغاز الروحانيات

ومن رأى الدكتور كارل أن بعض مظاهر الروحانيات « كالتلباتي » أو انتقال الأفكار . والأنباء بالمجهولات والغوامض - من الأمور التي يجب ان تأخذ قسطها من عناية العلماء . نعم إن فريقا كبيراً منهم ينكر تلك المظاهر ولا يؤمن « بالتلباتي » أو بقوة الأنباء بل يحسبها من الخرافات غير الجديرة بالاهتمام ، ولكن الحكمة تقضي بدرسها والاكتناه ما يحيط بها من الاسرار الغامضة ، على أن يتولى هذا الدرس فحول العلماء لاصغارهم . فان هؤلاء الفحول هم الذين يستطيعون معالجة تلك المشاكل معالجة جدية . نعم انهم لايستطيعون أن يحددوا تلك المشاكل بوزن أو كيل أو قياس ولكن في وسعهم أن يميطوا اللثام عن صفـــات تلك المشاكل النوعية

وهنالك وسائل أخرى لتحسين نظام الاجتماع وإنقاذ الحضارة من الانهيار وفي مقدمتها مسألة المواد الغذائية ومعرفة ماهو ملائم منها لتقوية الجسم والدماغ وما هو غير ملائم . والارجح أن مانعرفه من أسرار الفيتامينات و«الكالوريات» أو « وحدات الحرارة » وما الى ذلك ليس سوى جزء تافه من الحقيقة . وكلما تبحرنا في درس تلك الاسرار زاد ذهولنا وانجلت لنا أسرار جديدة . ومن دواعي الاسف أن مانعرفه من تأثير المواد الكيمياوية - كالفيتامينات وغيرها - في الدماغ هو ضئيل جداً لايكاد يذكر . فاذا أتيح لنا اماطة اللثام عن ذلك التأثير أمكننا أن نتحكم في قوانا العقلية فنزيدها ونوسعها حتى ينشأ جيل من جبابرة العقول يتمكنون من وقاية الحضارة والحيلولة دون انهيارها . ولاشك أننا اذا اكتنهنا جميع أسرار المواد الغذائية أمكننا تعيين الغذاء الملائم لكل فريق من الناس ، فنقدم الى كل من العالم والفيلسوف والرياضي ورجل الفن والجندي والموسيقي وهلم جرا ما يحتاج اليه من أنواع الغذاء . وقد نضطر الى البحث عن مواد غذائية لتقوية الاعصاب والقوى العقلية بدلا من البحث عن مواد تساعد على انماء أعضاء الجسم المختلفة وتقويتها . واذا تم لنا ذلك وتحقق الحلم الذي نتعلل به أمكننا تنشئة قادة وزعماء حسب الطلب . وفي وسع هؤلاء القادة والزعماء انقاذ صرح الحضارة من الانهيار

وقد يتمكن العلم في المستقبل من اكتشاف طريقة يتسنى بواسطتها تنشئة رجال عظماء من أولاد اعتياديين كما يمكن انتاج ملكة النحل من أية فراشة من صـــغار النحل باعطائها نوعاً معيناً من الغذاء

(إن الثورة الوطنية قد شبت)

هتلر فى طريقه إلى الدكتاتورية

بقلم الأستاذ حسن الشريف

كيف بدا هيتلر — هيتلر زعيم جيش (العمل) — تاليفه حزب الجهاد — كيف قام بالثورة — محاربة الثورة — القبض على هيتلر — محاكمة هيتلر وزعماء الثورة — الحكم عليه بالسجن خمس سنوات ، ثم العفو عنه

لم ينس معاصرونا بعد كيف شبت الثورة الاشتراكية فى ألمانيا أواخر سنة ١٩١٨ ، وكيف كانت هذه الثورة سبباً فى اسراع حكومة برلين الى طلب الهدنة والتسليم بمطالب الحلفاء ، لا ولم ينسوا بعد كيف سارت الأمور فى مؤتمر الصلح ، وكيف أكرهت ألمانيا على توقيع معاهدة فرساى ، وعلى تنفيذ نصوصها برغم ما تضمنته هذه النصوص من إذلال للحكومة وارهاق للشعب واستنزاف لموارد القوة والثروة فى البلاد

بيد أنه إذا كانت الحكومة الالمانية قد قبلت المعاهدة وأحكامها الجائرة على أمل أن تستفيد من الظروف وتطورات الاحوال للتحرر من قيودها شيئاً فشيئاً ، فان فريقاً كبيراً من الشعب الالمانى لم يكن يشاطر حكومته هذا الصبر ، بل بقى ناقماً على ما كان يسميه سياسة الجبن والاستسلام التى كادت تورد ألمانيا العظيمة موارد التهلكة ، حاقداً على اليهود والكاثوليكيين الذين كان يعتبرهم أصحاب هذه السياسة ومدبريها

ومذ أدت ثورة سنة ١٩١٨ الى سقوط الامبراطور وليم الثانى وقيام جمهورية الرايخ باتت مدينة مونيخ بيافاريا ملتقى للوطنيين المتطرفين وأنصار النظام الامبراطورى وأعداء الجمهورية الحديثة ومقاومى دستور فايمار ، ومسرحاً للفتن والمؤامرات والدسائس والتدابير العنيفة ، ومعسكراً للجمعيات السرية والزعماء الثائرين والاحزاب المتبرمة بما آلت اليه الحال . ففيها كان الزعماء بابست وكاب وايرهارت ، يقيمون ويسيرون تجريداتهم المسلحة على برلين لقلب حكومتها تحت ستار من دعوى محاربة البولشفية وحماية الشعب من مساوىء الفوضى ، وفيها استقرت بعض الجمعيات السرية الرهيبة وأشهرها جمعية روزباخ وجمعية أوبرلاند وجمعية اينفوترفير التى كانت تصدر أحكام الاعدام على من تعتبرهم أعداء الوطن فتنفذها الايدى الخفية فى برلين وغير برلين . والى جانب أولئك الزعماء وتلك الجمعيات كان يقيم أيضاً بمدينة مونيخ الجنرال لودندورف القائد الالمانى الاشهر والشاب

أدولف هيتلر النمساوى الذى هجر وطنه وتجنس بالجنسية الالمانية معلناً أن النمسا والمانيا بلد واحد

وفى سنة ١٩٢٦ كان الجنرال فون كار يحكم بافاريا بصفته وصيا على العرش الشاغر ومندوبا ساميا من قبل حكومة الرايخ وكان يعاونه فى الحكم وزراء أهمهم شأنا الجنرال فون لوسوف وزير الحربية والهرفون سايفر وزير البوليس والهر فون كنيلنج وزير الشئون الداخلية

أما فون كار فرجل غامض السياسة كثير الاطماع ملتوى المسالك يبطن غير ما يظهر ويدبر الخطط لخدمة غاياته ولو تعارضت مع مصلحة الوطن . ولعل قصوى أمانيه كانت تتلخص فى اعادة الامير روبرخت الى عرش بافاريا تمهيداً لانتزاع هذه المملكة من الوحدة الالمانية واعلان استقلالها عن جمهورية الرايخ ، مستأنفاً بذلك تلك الجهود الضخمة التى كان يبذلها أنصار استقلال بافاريا قبل سنة ١٨٧٠ فيحبطها بسمارك بكل قواه

وللوصول الى هذا الغرض كان فون كار يترفق فى معاملة الوطنيين المتطرفين ودعاة الفتنة ومدبرى الثورة والمؤامرات آملا أن يستشرى خطرهم على حكومة برلين فيستفيد من الاضطرابات التى يحدثونها وينتهز الفرصة متى سنحت لسلخ بلاده عن الجمهورية الالمانية . لذلك رأيناه يسهل للمجرمين السياسيين وأعضاء الجمعيات السرية سبيل السفر الى النمسا فراراً من الاحكام الصادرة عليهم من محاكم الرايخ ، ثم يسهل لهم طريق العودة لمعاودة ارتكاب الجرائم وتدبير الانقلابات . ولعل أبرز حادث من هذا القبيل فضح سياسته الخفية حادث معاونته صديقه ايرهارت على الفرار من سجن ليبزج والالتجاء إلى بلاد المجر ثم تيسير عودته الى مونيخ والسماح له بالاقامة فيها برغم محاكمته وسجنه بتهمة التآمر على سلامة الدولة وسيره على رأس تجريدة لقلب النظام الجمهورى فى المانيا

كيف بدأ هتلر

تلك كانت الأحوال فى سنة ١٩٢٣ عند ما بدأ الشاب أدولف هيتلر يظهر على مسرح السياسة ويدبر الثورة على حكومة برلين

كان هيتلر فى الثانية والثلاثين من عمره نحيف القوام حسن البزة جميل الوجه تبدو عليه أمارات القوة والعنف والاعتداد بالنفس . وكان ينتسب الى أسرة رقيقة الحال . وقد عانى مرارة الفقر والبطالة وقاسى آلام الجوع والفاقة وزاول مهناً مختلفة ليعيش منها وكانت آخرها مهنة نقاش فى فن العمارة . وانه وان يكن نمساوى الأصل الا أنه مولود بمدينة معظم أهلها من الالمان وقد ربى تربية ألمانية محضة فشب ألمانى الميول والمنازع يرى ان ليس ثم سبب معقول يحول دون اندماج النمسا فى عصبة الممالك الالمانية . حتى انه بعيد اعلان الحرب الكبرى لم يتردد فى الانضواء جندياً تحت أعلام الجيش الالمانى معلناً أن هذا الجيش هو الجيش الوطنى الحقيقى . وامتاز فى ميادين القتال بالجرأة والشجاعة ونسيان الذات حتى لقد جرح مرتين وأصيب بالاختناق من فعل الغازات السامة واضطرته حالته الصحية الى

الاعتكاف للاستشفاء بأحد مستشفيات مونيخ العسكرية

ولقد خرج هيتلر من العسكرية بعد تسريح الجيش فى سنة ١٩١٩ فألفى نفسه عاطلا لا عمل يشغله ولا مصنع يؤويه فانصرف الى التفكير فى شئون العمال وما يقاسونه من جراء آثار الحرب والثورة والحالة العامة فى البلاد ، ونصب نفسه زعيما على ستة من العمال أطلق عليهم اسم « جمعية العمل » واستطاع بفضل مواهبه ونشاطه واقدامه ان ينمى هذه الجمعية الصغيرة ويعظم من شأنها . فلم تمض السنة حتى كانت تضم تحت لوائها آلافا مؤلفة من الشباب القوى المتحفز . وإذ آنس الزعيم الناشىء فى أنصاره قوة وحماسة واستعداداً للسير الى العظائم أطلق عليهم اسم « جيش العمل » وبدأ يقذف بهم فى المغامرات الكبرى فيصدعون بما يأمر غير مبالين بالمخاطر والاهوال

أما بلاغة هيتلر فى الخطابة فمن ذلك النوع الشعبى الصريح العنيف الذى يلهب الحماس الفائر فى الشباب ويذكى الجذوة الخامدة فى الشيوخ ويأسر السامعين بتدفقه وجرأته وبما فيه من قوة العقيدة والايمان . ولقد استطاع بهـذه البلاغة الخطابية ان يضم حوله كل العناصر الموالية للامبراطور أو المتقززة مما وصلت اليه حالة الوطن . وأعلن من بداية الامر أنه اشترا كى وطنى عدو للشيوعية عدو للحزب الكاثوليكى عدو لليهود ،وأن اساس خطته السياسية وجوب تعديل معاهدة فرساى ووجوب استرداد المستعمرات الالمانية التى لم تتنازل المانيا عنها إلا تحت تاثير الاكراه المادى والاكراه الادبى

تأليف حزب الجهاد

عظم شأن هيتلر فى نظر مواطنيه فاولته الجماهير ثقة جعلته يخرج من حيز شئون العمال الضيق الى حيز السياسة العالية ، فاسس حزباً سياسياً سماه «حزب الجهاد» ضم اليه كثيراً من زعماء الجمعيات السرية وقادة الهيئات السياسية ذوى النفوذ وبعض كبار ضباط البوليس وعدداً كبيراً من ضباط الجيش وكل ما تحتويه مونيخ من الشعب المتحركة من الرأى العام وطلاب الجامعات .وهكذا صارت مونيخ من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٢٦ ميدانا للاضطرابات والهياج السياسى ومسرحا للمظاهرات العنيفة والصدام المتواصل بين قوى الشعب وقوى الحكومة حتى جزعت صحف برلين مما وصلت اليه الحال وهبت تستحث حكومة الرايخ لتتدارك الامر قبل أن يتفاقم ويصعب علاجه ، ولفتت حكومة برلين وزارة باڤاريا الى وجوب أخذ الأمور بالحزم الذى تتطلبه الاحوال

وإذ أحس الجنرال فون كار أن تراخيه فى المحافظة على نظام الحكم وتغاضيه عن حملة التحريض التى يقوم بها هيتلر وأنصاره ضد حكومة الرايخ قد يكشفان سياسته المستورة ويفضحان النية التى يبيتها ، عمد الى التظاهر بالشدة فى قمع المظاهرات ومنع الاجتماعات ، ثم رأى ان يطمئن حكومة برلين إلى حسن نياته فعقد اجتماعا كبيراً ليعلن فيه ولاء حكومة باڤاريا وشعبها لحكومة الرايخ ودعا الى حضور هذا الاجتماع أعيان المدينة وأصحاب الرأى وذوى المصالح فيها

كيف قامت الثورة

وفى مساء التاسع من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٦ احتشدت جموع غفيرة فى مشرب البيرة المعروف باسم « بورجر براوكلر » (والعادة فى بافاريا أن تعقد الاجتماعات الكبرى فى مشارب البيرة) لسماع خطبة رئيس الحكومة ، وقد اندس فى وسطهم عدد كبير من أنصار هيتلر ، ووقف فون كار ليلقى خطابه فتكلم فى عبارات فاترة عما يجب أن تكون عليه العلاقات بين الحكومتين وعن المسئولية التى تقع على الزعماء الذين يحاولون تعكير صفو تلك العلاقات . وبينما هو يسترسل فى هذا السياق اذا أبواب المبيرة (Brasserie) تدفع بقوة واذا الزعيم هيتلر يقتحم المكان وفى كل يد من يديه مسدس كبير ووراءه رهط عظيم من انصاره مدججين بالسلاح ، ويسير حتى يتوسط مكان الاجتماع فينصب فيه مدفعا رشاشا من طراز المتراليوز ، ثم يتجه نحو المنصة التى جلس عليها الوزراء ، ويزيح الخطيب عن المنبر بحركة عنيفة . ويطلق نحو السقف مقذوفا ناريا من مسدسه إيذانا بأنه سيتكلم

بهت المجتمعون من هذه المفاجأة فشملهم سكون يشبه الجمود وظل كل منهم يجيل الطرف بين المنصة والمنبر وينتظر ماسوف يكون . ثم تشجع أحد ضباط البوليس وهرع الى المنبر يحاول القبض على هيتلر ولكن هذا تلقاه بركلة قوية من قدمه ألقته على الارض ، فالتقطه أنصار الزعيم وجردوه من سلاحه ثم قذفوا به الى خارج المكان . وصاح هتلر قائلا :

« أيها السادة . إن الثورة الوطنية قد شبت . وإن هذا المكان والطرق المؤدية اليه محتلة بخمسمائة رجل مسلح . ولست أسمح لاحد بمغادرة هذا الاجتماع بغير إذن منى . واذا لم يستتب النظام هنا فى الحال فانى أسلط هذا المتراليوز على المشاغبين منكم . . . لقد سقطت وزارة بافاريا وستحل محلها الآن وزارة وطنية مؤقتة ، وقد احتلت جنودنا ثكنات الجيش والحرس الاهلى اللذين انضما الينا وأعلنا ولاءهما لحركتنا واستعدادهما لتأييدها بالقوة المسلحة . ومن هذه اللحظة نقرر أننا لا نعترف بالعلم الذى يظلل حكومة الرايخ ، وأن علم ألمانيا هو العلم القديم ذو الالوان الثلاثة : الاسود والابيض والاحمر ويضاف اليه الصليب المعقوف »

انعقدت الالسنة وشخصت الابصار وعم المكان وجوم شامل وانتحى الوزراء طرفا من المنصة ووقفوا مشدوهين لا يدنون ولا يبعدون ، حتى لقد كان الصوت الوحيد المسموع فى وسط ذلك الجمع الحاشد إنما هو صوت اجنحة المراوح الكهربائية تدوى دويها الخفيف فى اركان البهو الكبير

ونزل هيتلر عن المنصة وأشار الى الوزراء ليتبعوه فاطاعوا الاشارة صاغرين وساروا وراءه مطرقى الرءوس حائرين ، فقادهم الى غرفة صغيرة من غرف المبيرة وابتدرهم قائلا :

« لا أسمح لاحد منكم بالخروج من هنا إلا بعد أن استوثق منكم انكم توافقوننى على خطتى

وتسيرون معى فيها الى النهاية . ان الحكومة الالمانية الجديدة قد تألفت وستعلن الغاء دستور فايمار وتصدر الدستور الجديد . وقد عينت نفسى مستشاراً للدولةورئيساً لحكومتها على أن يكون الجنرال لودندورف وزيرا للحربية وقائدا عاما للجيوش . وقد اخترتك يافون سايفر وزيرا للبوليس وانت يا فون لوسوف قائداً لجيش الميليشيا البافارية . أما انت يافون كار فانى استبقيك رئيساً لحكومة بافاريا كما انت الآن . وتعليماتى اليكم تتلخص فى هذه الجملة : اما ان تنجحوا واما ان تموتوا . وفى مسدسى هذا أربع رصاصات : ثلاث لكم اذا تخليتم عنى والرابعة لى اذا اخفقت فى مشروعى »

وبعدأن استرد الوزراء صوابهم وأفاقوا من ذهولهم استجمع فون سايفر شجاعته وأخذ يلوم هيتلر على قيامه بهذه الحركة الثورية بعد أن تعهد باحترام نظام الحكم القائم . فاجابه الزعيم فى لهجة قاطعة : نعم لقد أخلفت وعدى وحنثت بيمينى ،ولكنى مضطر الى ذلك خدمة للمصلحة العامة»

واستانس فون كار بشجاعة زميله فقال لهيتلر : « اقتلنى اذا شئت ولكنى لن اتبعك اذا أنت حاولت الزحف على برلين» فنظر اليه هيتلر نظرة استصغار وقال فى لهجة هادئة تنم على الاحتقار: « بل ستتبعنى »

اما فون لوسوف فا كتفى بان سأل : « مارأى لودندورف فى كل هذا ؟ » فاجابه هيتلر : « ان لودندورف معنا وانى أترقب حضوره الى هنا الآن »

لم يطل هذا الفصل الروائى المدهش أكثر من عشر دقائق وغادر هيتلر الوزراء الثلاثة تحت حراسة شرذمة من أعوانه بعد ان أمر بألا يسمح لاحد منهم بالاتصال بالآخرين . وعاد الى قاعة الاجتماع وارتقى المنبر واطلق الى السقف رصاصة من مسدسه طالبا السكوت وأعلن بصوت قوى ان الحكومة الالمانية الجديدة قد تألفت تحت رياسته وان لودندورف وفون كار وفون سايفر وفون لوسوف اعضاء بها وقد قبلوا القيام بهذا الانقلاب الذى تتطلبه مصلحة المانيا وتحتمه الظروف

وفى هذه اللحظة سمع المجتمعون هتافا من الخارج باسم لودندورف ودخل القائد العظيم الى القاعة فوقف الحاضرون احتراماً لشخصه وخف هيتلر لاستقباله عند الباب وهمس فى أذنه كلماتثم صحبه الى الحجرة الصغيرة التى اودعها الوزراء الثلاثة. وهناك قال لهم لودندورف : « أيها الاصدقاء ان الحوادث قد توالت بسرعة جعلت دهشتى منها لاتقل عن دهشتكم ولكناصرنا الآن فى موقف لانستطيع التراجع عنه ولا التردد فيه . وسواء أردنا أم لم ترد فان طبيعة الاحوال تسوقنا امامها فلم يبق إلا ان تسيروا معنا عسى ان نوفق الى انتشال الوطن العزيز من الهوة التى ينحدر اليها . هذه نصيحتى لكم وانى واثق بكم ومعتمد عليكم وساعلن ذلك الآن »

ولم ير الوزراء بدأ أمام هيبة لودندورف من أن يتظاهروا بالموافقة والاذعان فصرحوا له بانهم يقبلون مناصبهم الجديدة، وشكر لهم القائد هذا القبول وعاد مع صاحبه إلى مقرالاجتماع حيثأعلن

هتلر أن الجنرال لودندورف قد تفضل فقبل منصب وزير الحربية والقائد الاعلى للجيش . ونهض الجنرال بين عاصفة من التصفيق والهتاف والتهليل والقى التصريح الآتى :

« أتعهد مقسما بشرفى العسكرى أمام الله والناس بأن أسخر كل قواى لأعيد الى العلم الالمانى مجده القديم والى المانيا مكانتها الاولى بين الامم . وبعد فان الساعة التى نجتازها لمن الساعات الحاسمة فى تاريخ وطننا المجيد فيجب أن نسمو بنفوسنا حتى نكون أهلا لهـا وأكفاء للامانة التى حملناها معتمدين على الله الذى لا شك فى أنه سيمنحنا العون والتأييد جزاء اخلاصنا ونبل غايتنا »

وأقبل الوزراء الثلاثة وتبوأوا مقاعدهم فوق المنصة برهة ثم وقف فون كار وقال : « فى هذه الساعات الرهيبة من حياتنا القومية إذ يقاسى الوطن أشد المحن ويتحمل فى صبر وأناة صنوف الرزايا والاهوال ، أقبل أن أتولى تحت ظلال النظام الجديد شئون حكومة بافاريا ، وأن أعمل على اعادة الملكية التى اسقطتها يد الغدر والنذالة منذ خمس سنين . وانى أفعل ذلك وقلبى مفعم بالاسى لما آلت اليه أحوالنا العامة ، مستبشراً بهذا الانقلاب الذى أرجو من ورائه لبلادى الخير العميم »

ووقف فون لوسوف وفون سايفر وصرحا بتأييدهما للنظام الجديد وقبولهما الاشتراك فيـه . فصافحهما هتلر ولودندورف شاكرين . ومال هتلر على أذن فون كار وقال له : انه يثق بالعهد الذى قطعه على نفسه مع زميليه وانه يطلق سراحهم

محاربة الثورة

ولقد كانت ثقة هتلر باولئك الوزراء تلك الثقة ثقة طائشة بلهاء هى التى اضاعته وقضت على ثورته الى حين . فلقدخرج الوزراء الثلاثة من الميرة وقصدوا توا الى سراى الحكومة حيث اتصل فون كار تليفونيا بحكومة برلين ليطلعها على مجرى الحوادث ويطلب منها ان توافيه بما يجب عمله . وبينما هو منهمك فى ذلك كان زميله فون سايفر يجمع من الجيش الفرق التى لبثت موالية للحكومة ، وزميله فون لوسوف يسير جيش الميليسيا للقضاء على الثورة فى مهدها وقبل ان يستفحل امرها

أما هتلر فقد وزع قواه لتعسكر فى ثلاثة من مشارب البيرة وتنتظر الاوامر التى يصدرها اليها . ولـكن احدى فرق « جيش الجهاد » استبطات تلك الاوامر فغادرت معسكرها واقتحمت سراى محافظ المدينة وبيتى الوزيرين كنيلنج وشوايفر وخرجت تطوف بهم فى الشوارع كأنها تعرضهم على الجماهير ثم أخذتهم رهائن واودعتهم ميرة بورجر براوكلر

وفى هذه الأثناء كانت فرقة أخرى من جيش الجهاد تهاجم المطبعة الرسمية وتصادر فيها كمية كبيرة من البنكنوت وتذهب بها إلى الزعيم

ونشطت الفوضى من عقالها فانطلق الهتلريون يخربون سراى البريد ومنازل الزعماء المشكوك فى

وطنيتهم ويعتقلون بعض الكبراء الذين يخشون معارضتهم وينشرون الرعب والارهاب فى قلوب اليهود والكاثوليكيين والشيوعيين

وعند الساعة الثانية بعد نصف الليل ذهب لودندورف إلى بيته ولبث هيتلر مع فريق كبير من رجاله فى الميرة ينتظر طلوع الصباح واستيقاظ المدينة ليخطب الاهالى ويحثهم على وجوب تأييد الثورة ومؤازرتها

وفى ساعة مبكرة من الصباح عاد لودندورف إلى الميرة ليتفق مع صديقه هيتلر على برنامج اليوم. ولشد ما كانت دهشة الجميع عندما سمعوا صوت فون كار يذيع بالراديو أنه يستنكر ثورة هيتلر ولا يؤيدها ويقرر أن التصريح الذى فاه به فى الميرة أنما انتزع منه انتزاعاً تحت تأثير الاكراه والقوة فهو لا يتقيد به وإنه سيقاوم الثورة بكل الوسائل ومنها القوة المسلحة

القبض على هتلر ولودندورف

ولم تبلغ الساعة العاشرة حتى كان جيش فون سايفر يحاصر فرق هيتلر فى معسكراتها ويجردها من سلاحها ويحيطها بنطاق من القوة لا يسمح لها بمغادرة المعسكرات للانضمام إلى زعيمها. ولقد اسقط فى يد هيتلر وهالته خيانة الذين وثق بهم واعتمد على معاونتهم فرأى أن يقابل القوة بالقوة والشر بالشر فخرج فيمن بقى معه من الرجال وإلى جانبه لودندورف يظللهما العلم الالمانى المثلث الالوان وفى زاويته الصليب المعقوف ليخلص جيشه من الحصار. ولكنه لم يبلغ قنطرة لودفيج حتى رأى فرقة من رجال البوليس تسد أمامه الطريق وتأمره بالوقوف. وتولى البوليس تجريد هيتلر وأتباعه من السلاح وقادهم إلى الميرة بغية اعتقالهم فيها. وبينما هم سائرون اعترضتهم فرقة من الميليسيا الهيتلرية فاصطدم الفريقان ونشب بينهما قتال لم يستمر طويلا اذ فرت الميليسيا الهيتلرية تاركة الزعيمين وحدهما فى قبضة البوليس — وانتهز هيتلر فرصة مرور سيارة نقل كان أحد رجاله يقودها فقفز اليها وأسرع بها الى حدود التيرول النمساوى ظاناً أنه أصبح فى مأمن من شر فون كار ولكن بعض الحراس اعتقلوه وأعادوه مخفوراً الى مونيخ

أما الجنرال لودندورف الذى له من مكانته الرفيعة ومقامه العسكرى مالا يسمح للبوليس بالقبض عليه الا باجراءات خاصة. فقد انصرف ميمما شطر بيته. وبينما كان يسير اليه اعترضه ضابط من ضباط الأمن العام وحياه التحية العسكرية وابتدره قائلا :

— معذرة يا صاحب السعادة فقد أمرت بالقبض عليك

— هل تحمل أمراً رسمياً بذلك من السلطات المختصة ؟

— نعم يا سعادة الجنرال وهذا هو

— اذن هيا بنا

واقتاد ضابط الأمن القائد العظيم الى المندوب السامى الذى اعتذر له عن الضرورة التى قضت بهذا الاجراء وأفضى اليه أنه يطلق سراحه فى الحال اذا أقسم بشرفه ألا يغادر مونيخ بدون تصريح من الحكومة . وحلف لودندورف اليمين وانصرف

ثم فتشت السلطات بيت هيتلر فعثرت فيه على حافظة أوراق تتضمن تفاصيل الخطة التى رسمها مع لودندورف للزحف على برلين وقلب حكومة الريخ تمهيداً لاقامة الدكتاتورية الهيتلرية

محاكمة هيتلر وزعماء ثورته

وقدم هيتلر ولودندورف وبعض البارزين من أنصارهما إلى المحاكمة أمام محكمة الجنايات بتهمة الشروع فى قلب نظام الحكم . وترافع النائب العام وقدم مالديه من الادلة التى تثبت التهمة الخطيرة على المتهمين . ثم نودى هيتلر ليدلى بأقواله فلم يحاول أن يبرىء نفسه بل القى بياناً سياسياً عنيف اللهجة قال فيه : إنه يحس فى قرارة نفسه بغضاً شديداً للشيوعيين واليهود والكاثوليكيين والفرنسيين . وقرر أن ثورة سنة ١٩١٨ التى أفضت الى سقوط الامبراطور وقيام الجمهورية انما كانت ثورة رعاع أيدهم بعض الخونة من اليهود والشيوعيين ، وإن الطبقات الرفيعة من الشعب ما تزال تحن الى النظام القديم وتتمنى عودة الحكم الامبراطورى الذى يقود المانيا الى النهوض من كبوتها واستعادة مقامها بين الأمم . ثم اندفع فى حماسته فقال : « انى أوثر أن أرى بلادى نهبا للفوضى على أن أراها مستكينة صاغرة للاحتلال الفرنسى ، لان فرنسا هى عدوتنا الطبيعية التى لا تسعد الا بفنائنا وهلاكنا ، فمن العجز والصغار أن نذل أنفسنا بالتماس الرحمة منها أو أن نتغافل أمامها عن حقوقنا . ويجب أن يعلم هذا العدو القاسى أن شباب المانيا لا يفكر الا فى الاخذ بالثأر والانتقام »

وتقدم بعده الجنرال لودندورف فى وقاره العسكرى وقال :

« ان حياتى ملك للتاريخ وهى صحيفة معروضة أمام أنظار العالم ليس فيها خفى ولا مستور . وهى تتلخص فى جهاد طويل متواصل فى خدمة وطنى وخدمة الشعب الالمانى وخدمة البيت المالك الشرعى فى هذه البلاد . لقد شغلت مكانا رفيعا فى الدولة استطعت وأنا فيه أن أعرف مايفيد وطنى ومايضره ، وهأنذا أحاول أن أخدم بلادى بما أعتقد أن فيه مصلحتها ولكل منا وجهة هو موليها وتلك وجهتى » فسأله رئيس المحكمة : « هل لسعادة الجنرال أن يوضح لنا وجهته السياسية التى يشير اليها ؟ » فأجاب :

« لقد كان لسقوط الامبراطور والامبراطورية وتدهور المانيا أسوأ الوقع على نفسى وأبلغ الاثر فى اتجاهى السياسى . فأنا اعتقد أنه لا بد لانهاض وطنى من القضاء على الروح الشيوعية التى بدأت تسود أحوالنا وذلك لايكون الا باحد أمرين : اما عودة الامبراطورية وإما قيام حكومة وطنية قوية تحمى المانيا من شرور الفوضى والشيوعية . وأرى أن من اكبر الكوارث التى تجتاح

البلاد فى هذا الزمن كارثة الكاثوليكية وكارثة اليهود . فسالة اليهود مسالة جنس عدو لجنسنا فلا ينبغى أن يكون لهم فى بلادنا نفوذ أكثر من نفوذ أى أجنبى . ومهما قيل من أن اليهود استوطنوا المانيا من قديم الزمان فسأظل موقناً أنهم غرباء عنا يجب أن نعاملهم معاملة الدخلاء مع الحذر منهم والاحتياط لخطرهم . أما الكاثوليكيون وان كانوا قد شاطرونا الدفاع عن وطننا فى الحرب الكبرى بشجاعة واخلاص ، فان لهم مصالح لاتتفق ومصالحنا . فالفاتيكان عدو لألمانيا وقد تجلت عداوته لها فى الحرب بشكل لا يدع مجالا للشك فيما أقول . على أن لدى من المعلومات الخاصة ما يجعلنى أعتقد اعتقاداً جازماً أن فى هذه البلاد جمعية مؤلفة من اليهود والكاثوليكيين غرضها هدم المانيا وتدميرها . فاذا كنت أعمل على اسقاط النظام القائم فلان هذا النظام يشجع نماء هذه العوامل الخطرة ، واذا كنت أقاوم اليهود والكاثوليكيين فانما أقاوم عنصرين لا سلامة لالمانيا مادام لهما نفوذ فيها » . . وأدى الجنرال فون كار شهادته فقال :

« اعترف أنى حنثت بالعهد الذى أخذته على نفسى أمام هيتلر ولودندورف ، ولكن يجب أن أقرر انى لم أكن مخلصا اذ قطعت هذا العهد لانى كنت واقعا تحت الاكراه وخاضعا أمام القوة ، ولم يكن أمامنا سبيل إلى الخلاص من الامر غير هذا السبيل والا لما استطعنا أن نقاوم الثورة ولا أن نقضى عليها . وعلى كل حال فان سلامة الدولة يجب أن نضعها فوق كل اعتبار شخصى وأن الالمانى الذى لايضحى بحياته وأملاكه ويشرفه فى سبيل بلاده هو المانى يجهل واجبه الاسمى نحو وطنه »

أما شهادة فون لوسوف فلم يكن فيها ما يسترعى الالتفات غير رأيه فى هيتلر اذ قال :

« هذا رجل ينساق الانسان وراء حرارة حماسته وبلاغته ولكن الانسان لايلبث بعد قليل من التمحيص حتى يتنبه إلى أنهما حماسة وبلاغة فارغتان لا تنطويان على رأى سليم أوخطة محكمة التدبير . ومتى زال الاثر الوقتى الذى تحدثه فصاحة هيتلر يتبين السامع أن هذا الرجل لا يسوق أنصاره الا إلى مغامرات ضارة لايمكن أن تصل إلى غاية ولا أن تحقق فكرة »

وبعد عشر جلسات انتهت المرافعات فى هذه القضية الكبيرة وأصدرت المحكمة حكمها فاذا هو يقضى ببراءة الجنرال لودندورف وبالحبس لمدة خمسة اعوام على أدولف هيتلر

ولقد نهض الجنرال لودندورف عند سماعه الحكم ببراءته وقال للمحكمة : « ان هذه البراءة اهانة لى لا أقبلها »

أما هيتلر فقد حبس فى قلعة لاندسبرج سنة وبضعة أيام ، أفرج عنه بعدها بعفو شامل ، وظل خلالها يدرس أسباب فشله ويدبر ثورته الكبرى التى انتهت الى تعيينه رئيسا للحكومة ثم رئيسا لجمهورية الرايخ وزعيما للشعب بعد وفاة الماريشال هندنبورج

حسن الشريف

فن كتابة التراجم

يزدهر فى عصور الشك لا فى عصور الإيمان

بقلم الأستاذ على أدهم

أقوى الغرائز المسيطرة على حياة الانسان غريزة حفظ الذات . ويتلوها في القوة غريزة حب الانتاج وكما أن غريزة حفظ الذات تبدو في صور متعددة ، كذلك غريزة حب الانتاج لها سبلها الخاصة وهي في حدتها تظهر في صورة حرص المرء على أن تكون له ذرية تتمثل فيها الحياة ولكن بعد أن يبلغ الانسان مستوى معيناً من الرقي تتخذ صورة الرغبة في تخليد آثاره والاحتفاظ بتراثه . وفي هذا المقال يبحث الكاتب هذه الصورة التي تتمثل في فن التراجم كما يبحث في نشأة هذا الفن وتطوره وكيف يزهو في عصور الشك ويضعف في عصور الايمان

لقد كانت بعض الاثار التى تركها الأنسان من الصور والنقوش على الاحجار صدى لاوهام عارضة وبدوات طارئة . ولكن تدرجه فى التقدم صحبه ارتقاء فى التعبير وشعور داخلى بالميل الى رسم الحوادث الهامة وتخليد الآثار البارزة . ومر زمن قبل أن يعنى بنصيب الفرد فى تلك الاثار والسجلات. ولما كان لا يوجد فى القبيلة سوى شخص واحد محلق فوق حياة الجميع اليومية ومستأثر بطاعتهم فلا عجب أن يصبح هو مناط اهتمامهم ومحور أخبارهم المروية وحوادثهم المدونة، وبه يؤرخون كل مايعرض لهم من الشؤون وما يتداولهم من الأحوال . ولكنه كان مع ذلك ظلا للقوى المرهوبة المسيطرة على الوجود أكثر مما هو إنسان مثلهم فهم لا يتصورون ملامحه الفردية وخصائصه الذاتية لانهم مسحورون بقدرته مأخوذون بجلاله . وأما غيره من أفراد القبيلة أو الرعية فقد حبتهم الطبيعة بالفردية ومستلزماتها فكل منهم يعرف السرور والحزن ويطوف بنفسه الأمل واليأس . ولكن يلزم أن يكون قد مرت أجيال متطاولة قبل أن يصبح الفرد العادى مستأهلا لان تدون اخباره ويحرص على آثاره

وقد يستوقفنا ذلك الغرور الذى يبعث الانسان على محاولته تخليد اعماله وافكاره وعواطفه فى هذا الكون الغامض العظيم، وهو يعلم بأيسر تأمل انه ليس سوى قطرة فى لجه الطامى ولكن الانسان انسان ولا بدله ان يتلقى عوامل التدمير والفناء بهذا الغرور الضخم والأمل العريض

أول ترجمة وأول مترجم

وربما كان من العسير أن نعرف أول ترجمة حياة لم يغمرها النسيان . ولا ريب أن فى أقدم

كتب الصين والهند ومصر وغرب اسيا شذرات فى التراجم ،ولكنها أقرب إلى التاريخ منها إلى الترجمة . ولعل أقدمها وأبرزها قصة يوسف المعروفة فى الكتب المقدسة . على أنه يلاحظ بوجه عام أن كثيراً من السير القديمة كانت تعمد إلى سرد تاريخ الحوادث أكثر مما تدور حول شخص معين.ومن قبيل ذلك ما كتبه زينوفون عن كيروس الفارسى.والفرق بين التاريخ والترجمة ان الترجمة تتناول الفرد رجلا كان أو امرأة بوصفه وحدة منقطعة النظير وتكشف لنا عنه . وقد يكون المترجم له شاعراً أو سياسياً أو جنديا أو تاجراً . وفى هذه الحالة يلزم أن تظهر لنا سير التفاعل المحتوم بين فرديته ومهنته وكيف تأثر بالبيئة والعصر . وهذه كلها أشياء تقتضى دقة فى الفهم والاحساس . اما التاريخ فانه يصف الحوادث والكوائن من وجهتها العامة

والمعروف أن أول مترجم بارع للشخصيات هو بلوطارخ الذى نبغ فى النصف الثانى من القرن الاول الميلادى . وكتابه الخالد عن أعيان الرومان واليونان اثر جليل من آثار الادب والتاريخ وشاهد بقدرته على وصف أطوار النفوس وقراءة القلوب . وهو لا يكتفى بسرد الحوادث وإنما يحاول أن يراقب كيف يشكل السياسى أو الجندى تلك الحوادث ويطبعها بطابعه . وأول ميزاته هى القدرة الفائقة على وصف كل شخص على حدة وصفا بين الدقة واضح الحدود . فانت من كتابه فى متحف رائع حافل ببدائع الصور ، وكل صورة من صوره لها جوها الخاص ومعالمها الممتازة وقصتها المتفردة . وهو فى سوقه للحوادث لا يخضع للترتيب التاريخى،فنحن لا ندرى هل الحادثة التى يقصها علينا قد حدثت بعد الحادثة التى رواها لنا من قبل أو سبقتها . ولكننا برغم ذلك بعد أن نطالع صوره ونتدبر روايته نرى انه قد استوفى جميع الحقائق المطلوبة . وميلنا الى الترتيب التاريخى التعاقبى نزعة حديثة ، ولعلنا نشعر بها أشد شعور فى العصر الحديث لاننا نحس احساساً قوياً بان الافراد والشعوب فى حركة مستمرة وتطور دائم،فنحن من ثم حريصون على أن نعرف كيف طفر الشاب الطامح من الطفل الغرير ، وكيف نجم الكهل المجرب من الشاب ، ونستخلص من ذلك ان الحوادث تصقل الرجال ،ولكنها لا تصنعهم صنعا ولا تخترعهم اختراعا . وقصاراها أن تجلو ما اكتن فيهم من قوة وعزم ورأى وتدبير ونعلم من ذلك مصداق المثل اللاتينى القائل : « إن الانسان لا يصبح شريراً بغتة » . وعنايتنا فى العصور الحديثة بان نتتبع الخطوات ونقفو الاثر سببها كوننا نعلم أن وراء الاعمال البادية للعيان البواعث المستترة وهى فى غاية الدقة والتعقيد :

ومن التراجم البديعة التى كتبها القدماء ترجمة حياة اجريكولا الموجزة التى كتبها تاسيتس المؤرخ الرومانى ومعاصر بلوطارخ . أما تراجم سيتونياس فهى خالية من روح النقد ويشك الان فى تفاصيلها ، وهى فضلا عن ذلك لا تنم على عبقرية ممتازة مثل تراجم بلوطارخ وكتابات تاسيتس ولا على نظر صادق للاشخاص الذين يترجم لهم

تطور كتابة التراجم

ولقد كان الاتجاه فى تطور كتابة التراجم من الخارج الى الداخل . لان كتابة التراجم فى اوائل أمرها كانت مقصورة على وصف مظاهر الانسان وأثره فى الحياة العملية الملموسة . ولذا كان الملوك والقواد وما اليهما من « كواكب » الحياة العملية هم موضوع كتابة التراجم، ولكن على مدى الايام ظهر أن عوامل التقدم الحقيقية ليست وقفا على هؤلاء . وأصبح واضحا أن بعض الاشخاص الذين لا يتألق نجمهم فى الحياة العملية تألقا يخطف الابصار ، لهم أهمية داخلية عميقة وتأثير بالغ وإن لم يرفعهم الحسب ويسم بهم المنصب . وليست براعة المترجم فى الاكتفاء بوصف المظاهر الخارجية وتعداد المآثر المتعارفة وانما محك قدرته هو توفيقه فى كشف مجاهل الضمير ومغالق النفس وكيف يخرج من شوارد الاخبار ومتخلف الآثار شخصية نابضة بالحياة

ويرى المتبصر فى تاريخ الادب أن التطور فى كتابة التراجم كان متضافراً مع التطور فى كتابة القصص والروايات . فرسم الاشخاص فى الروايات لم يكن فى أول الامر من الوضوح بمكان . وكانت أكثر القصص تحاك حول الابطال والعواهل ويتلوهما الاشراف . وذلك لان الشعب كان يتوق إلى الوقوف على حياة هؤلاء ، ويتطلع إلى معرفة أخبارهم وما يتقلبون فيه من نعمة وما يهيمون به من لذة وما يستطير حولهم من اشاعات السوء وفاضح المغرات . ولم تكن هذه الروايات صادقة فى تفسيرها ولا أمينة فى تصويرها ، لان كتابها كانوا بمعزل عن حياة الطبقة العالية مثل سائر أفراد الشعب . وإنما كانوا يستوحون أوهامهم فى ذلك التصوير الزائف . ثم أخذت الرواية تنزل من عليائها وتتجه نحو الحياة الطبيعية وتعرض عن وصف « القوالب » واستشعر كتاب التراجم هذا التغيير فكبر عليهم أن يستطيع الروائيون أن يهبوا أشخاصهم حياة أصح وأوفر من حياة المترجم لهم . ومن هذا يتبين لنا اننا اذا حاولنا أن ندرس تطور فن كتابة التراجم فعلينا أن نراقب التطور المماثل له فى مختلف الفنون الأدبية وبخاصة فن كتابة القصة . ومما يدل على وجود تشابه فى تطور الفنون المختلفة بوجه عام أن نفس فن التصوير فى مبتدأ أمره لم يكن يجيد رسم الوجوه وابراز مميزاتها . وكان يصور المسيح والعذراء تصويراً تقليدياً لا يقوم على فهم صادق لتشريح الأعضاء وتركيب الاجسام . ثم اخذ بعد ذلك يتجه الى الحياة الواقعية يدعم بها الفن ويستمد منها الوحى

وقد غصت العصور الوسطى بكتابة تراجم حياة القديسين والاولياء ووصف كراماتهم وخوارقهم . وجهل أهل تلك العصور بأبسط قوانين العلم حملهم على تصديق تلك الخرافات ولم يستطع كتاب تلك التراجم أن يضيفوا شيئاً إلى فن كتابة التراجم لأن كتابة الترجمة على أساس الاعتقاد بتلك الخوارق والمعجزات تجردها من القيمة التاريخية وتحرمها من الحياة . والمغالاة

فى التصديق بالسحر والخوارق تجعلنا نعيش فى عالم معكوس ودنيا مقلوبة مختلطة الحقائق بالاوهام. ورغبة هؤلاء المترجمين فى اثبات قضاياهم والتسامى بابطالهم دعتهم إلى التسليم بخرافات جمة وخوارق مدهشة وتجافت بهم عن أمانة التصوير وصدق التحرى

وقد كان لكتابة الاعترافات تأثير غير منكور ولاخفى فى فن كتابة التراجم. وذلك لأننا عندما نقرأ تلك الاعترافات التى يفضى فيها الينا كتابها باسرار نفوسهم ودقائق عقولهم نصبح ننتظر من كتاب التراجم مثل هذا التحليل الدقيق والكشف النفسى الصادق. وكما أن تقدم فن القصة ارغم كتاب التراجم على أن يقدموا لنا شخصيات حية لاموميات أو بقايا متحجرة فكذلك كتابة الاعترافات اضطرتهم إلى الغوص وراء الدوافع والتعمق فى فهم الطبيعة الانسانية. ولا نزاع فى أن الانسان يعرف نفسه أكثر مما يعرف غيره ولكن هذا لايدل فى جميع الحالات على انه يستطيع أن يجيد الكتابة عن نفسه ويحسن تصويرها وقد كان جونسون من كتاب الانجليز المعدودين ولو أنه كتب تاريخ حياته بنفسه لما استطاع أن يفوق صاحبه بوزويل

وليست أهمية الترجمة موقوفة على أهمية المترجم له لأن الكاتب القدير يستطيع أن يجعلنا شديدى الطاعة كثيرى الاهتمام بأى كائن اذا استطاع أن يلمس قلبه ويهتدى إلى دخيلته ويصوره تصويراً صادقاً أميناً. وربما كان تناول حياة المغمورين العاديين أدل على البراعة والحذق من كتابة حياة العظماء البارزين

الاسلوب العلمى

والاسلوب العلمى الذى ساد فى أواخر القرن التاسع عشر كان له أثره فى كتابة التراجم وفن القصة، لأنه علم الناس كيف يصفون غيرهم من بنى الانسان وصفاً منزهاً عن التعصب مجرداً من الهوى، مثلما يدرس العلماء طبائع الحيوانات وخواص العناصر الكيمائية. على ان التطوح فى الاخذ بالاسلوب العلمى لا يلبث أن يصطدم بعقبة لا يمكن تذليلها وهى الروح الانسانية العصية على العلم وطرائقه وهى جوهر موضوع المترجم. وقد يكون فى مصلحة الترجمة أن نعتبرها فرعا من علم النفس، لأنه فى هذه الحالة يكون الاغراق فى المدح مضللا مثل الاغراق فى القدح، وتكون عدم الدقة فى العرض مشابهة للتقصير فى استيفاء الحقائق وتشويهها. والامانة العلمية من أقوى الوسائل إلى الاجادة فى كتابة التراجم. وأخص ما يلزم توافره فى كتاب التراجم هو الشغف بالاستطلاع وصحة الملاحظة النفسية المشوبة بروح الفكاهة وصدق العطف وقوة التأليف والتركيب وبراعة الاختيار والقدرة على التجرد، لأن ادخال المترجم مقاييسه الادبية وميوله الشخصية وعقائده الفكرية فى الترجمة مفسدة لها. وهى تتطلب الدقة على شريطه ألا تنحدر إلى التكلف والحذلقة والسماجة دون أن تهوى الى الافراط فى المدح، وهى تخدم الفكر والاخلاق بطريق غير مباشر لأنها توسع العطف الانسانى وتنسينا الانانية البغيضة

كثرة التراجم

ومن الظواهر التي يعنى برصدها وتعليلها مؤرخو الآداب استفاضة كتابة التراجم فى السنوات الاخيرة بصورة تسترعى النظر وكثرة الاقبال عليها والنشاط إلى قراءتها. ويمكن رد ذلك إلى عوامل ثلاثة: العامل الأول شخصي وأقصد به ظهور طائفة من الكتاب الموهوبين لهم استعداد خاص وتفوق ممتاز فى كتابة التراجم مثل ستريتشى وموروا ولدفج وزفايج وبلوك وقد شجعهم على متابعة خطتهم كثرة اقبال القراء على كتبهم وتقدير المثقفين لها. ومهما نبالغ فى تأثير العوامل الاجتماعية فلا ينبغى أن نهمل هذا العامل الشخصي وأثره البعيد. والعامل الثانى هو روح الشك والحيرة الغالبة على هذا العصر لأنه من الملحوظ ان عصور اليقين والايمان ليست ملائمة للاجادة فى فن كتابة التراجم. والافراط فى الاهتمام بالحياة بعد الموت صارف عن الاهتمام بالحياة الحاضرة. ولقد قال القس ستانلى: «ليس للاتقياء عبقرية فى كتابة التراجم»، ويفتر الاهتمام بكتابة التراجم أو يشتد وفقاً للاهتمام بالشخصية الانسانية. وفى عصور اليقين تتجه عناية الانسان الى ما يسميه الحقائق الأبدية وتقل عنايته بالحقائق الدنيوية. والتراجم التى تظهر فى أمثال تلك العصور تصطبغ بالصبغة التعليمية ويشوبها الولوع بالوعظ والتبشير. أما فى عصور الشك فان جمهور القراء يكلف بالسلوك الانسانى فتصبح الترجمة من أجل ذلك استقرائية واقعية نزيهة. وربما كان العامل الثالث فى طلب الاستزادة من كتابة التراجم زهد فريق من القراء فى قراءة القصة واعتقادهم بأن العلاقة بين الفن والحياة فى التراجم اوضح وأقوى مما فى الروايات العصرية. وقد كان كتاب التراجم يعرضون الحقائق مرتبة ويتركونها تتكلم. أما الآن فان الطريقة الحديثة تعمل على ملء الفراغ بالفروض المتخيلة وسد الفجوات وتنسق الحقائق تنسيقاً يلائم تصوير الشخصية. فهى تجمع بين طريقة المؤرخ وأسلوب الروائى. وفى الأدب المصرى الحديث نزعة مبشرة الى كتابة التراجم واستحضار طيوف الشخصيات البارزة فى التاريخ الاسلامى وهى نزعة محمودة البواكير مرجوة النماء وجديرة بأن تتعورها الاقلام بالتحليل وتشجعها بالاستزاده (١)

على ادهم

---

(١) رجعت عند كتابة هذا المقال الى كتب رسكوناير ونيكولس وموروا وكا ولايل

بين عرب الاندلس والنورمانديين

الحروب البحرية وأثرها فى الاسطول الاندلسى

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

كانت سيادة البحار الشمالية منذ فجر العصور الوسطى فى يد « الفيكنج » ، أو النورمانيين، وبينما كانت الأساطيل الأسلامية فى مياه الأندلس وصقلية ومصر والشام تبسط سيادتها على البحر الابيض من شرقه الى غربه ، كان النورمانيون يجوبون البحار الشمالية ومياه أوربا الغربية تارة فى سبيل الاستكشاف ، وتارة فى سبيل الفتح والغنيمة . ومنذ القرن الثالث الهجرى يهبط النورمانيون الى شواطىء الاندلس ، ثم يجوزون الى ميـــاه البحر الابيض المتوسط ، وهنا يصطدم العرب لأول مرة بخطر الغزوات النورمانية فى وقت لم تكن البحرية الأسلامية الفتية قد استكملت فيه أهبتها لرده ، وتشعر الاندلس المسلمة شعوراً عميقا بوجوب انشاء الاساطيل القوية لاتقاء الخطر الداهم وبسط سيادتها فى تلك المياه

وكان أولئك « الفيكنج » ، أو النورمانيون أمة بحرية عريقة تمرست منذ غابر العصور فى ركوب البحر ومقارعة أهواله ، ووطنهم الاول هو اسكندناوه أو بلاد النرويج والســويد وربما الدانيماركه وشواطىء المانيا الشمالية ، ولذلك عرفوا « بالنورمانيين » أى أهل الشمال (١) وكان النورمانيون منذ العصور الغابرة يجوبون هذه البحار الشمالية ، ويغالبون قسوة الجليد وأهوال اللجة والطبيعة . ولم يأت القرن الثامن الميلادى حتى كانت حملاتهم الناهبة تثخن فى شواطىء الجزر البريطانية . وكان جدب الوطن ، وشظف العيش وروح المخاطرة ، تدفع بهم دائما الى عرض البحار وتجعلهم خطراً دائما على الشواطىء والثغور المجاورة ، بيد انهم لم يحاولوا معالجة الفتوح المستقرة قبل أوائل القرن التاسع ، وكانت حملاتهم الناهبة قد اجتاحت شواطىء هولنده وفريزيا أكثر من مرة ووصلت الى الشواطىء الفرنجية (شواطىء فرنسا) . وفى سنة ٨٤١ دخلوا فرنسا من الشمال ، وغزوا مصب اللوار ومصب الجارون ، وانشأوا لهم عدة مراكز وقواعد فى تلك الانحاء

وهنا بدأ تطلع النورمانيين الى اسبانيا والاندلس بنوع خاص . وكانت نعماء الاندلس وما اشتهرت به من الخصب والغنى يثير جشع أولئك الغزاة المغامرين ، ولم تكن الاندلس تحسب

---

(١) وهي بالفرنجية Normannen أو Nrosmen

حسابا لذلك الخطر الداهم المستتر معاً ، لانها لم تعرف النورمانيين من قبل ولا تعرف لهم بقربها أرضا أو مستقراً . وتطلق الرواية الاسلامية على أولئك الغزاة المجهولين اسم «المجوس» بيد انها تعرفهم فيما بعد « بالمجوس الاردمانيين » (١) أعنى النورمانيين ، ولهذا التعريف أصل من الحقيقة ، فقد كان النورمانيون فى العهد الذى عرفهم فيه العرب لاول مرة « مجوسا » أعنى وثنيين لم يعتنقوا النصرانية بعد . وكان أول ظهور النورمانيين فى المياه الاسبانية سنة ٨٤٤ م . ففى تلك السنة خرج اسطول نورمانى من نهر الجارون وعاث فى شواطىء مملكة جليقية فبعث ملكها راميرو إليهم جيشاً ردهم وأحرق كثيراً من سفنهم ، فانقلب النورمانيون عندئذ الى مياه اسبانيا الغربية والجنوبية يجوبونها فى طلب السبى والغنيمة ، واقتحموا شواطىء المملكة الاسلامية (الاندلس) فى غزوتهم الاولى

وتضع الرواية الاسلامية تاريخ هذه الغزوة فى سنة ٢٣٠ ﻫ وتحدثنا عنها بافاضة ، فتقول لنا إن اسطولا مجوسيا (نورمانيا) قوامه زهاء ثمانين مركبا رسا فى مياه اشبونه فى أواخر سنة ٢٢٩ (يوليه أو اغسطس سنة ٨٤٣ م) ، فكتب عاملها وهب الله بن حزم الى عبد الرحمن بن الحكم أمير الاندلس يومئذ ينبئه بالخطر ، فكتب عبد الرحمن الى عمال الثغور بالتحوط والأهبة ، ولبث النورمانيون فى مياه اشبونه ثلاثة عشر يوما التحموا خلالها مع المسلمين فى عدة وقائع ، ثم ساروا باسطولهم جنوبا الى قادس ثم الى شدونه (سيدونيا) ، ثم اخترقوا النهر الكبير (الوادى الكبير) حتى اشبيلية . وكان ظهور هذه السفن الغازية ، وأولئك الغزاة الشقر فى قلب الاندلس مفاجأة مروعة ، ولم يكن للاندلس يومئذ اسطول قوى تدفع به شر الغزوات البحرية ، ولم تتخذ فى الثغور لردها أهبات خاصة ، ونزل النورمانيون فى ظاهر اشبيلية فى أوائل المحرم سنة ٢٣٠ ﻫ (سبتمبر سنة ٨٤٤ م)(٢) فخرج اليهم المسلمون ، فهزموا بعد عدة وقائع وارتدوا الى المدينة ، واقتحم النورمانيون اشبيلية وامعنوا فيها سفكا واسراً ونهبا ، ثم غادروها بعد بضعة أيام الى سفنهم ، وكان عبد الرحمن أمير الاندلس قد سير اليهم جيشا من قرطبة بقيادة حاجبه عيسى بن سعيد ، فوافاهم فى ظاهر اشبيلية والتحم بهم فى معركة شديدة كانت الدائرة فيها على المسلمين ، وعندئذ هبت القواعد والثغور كلها لدرء الخطر الداهم ، وسير عبد الرحمن جيشاً آخر لمقاتلة الغزاة . وتلقى النورمانيون المدد فى سفن جديدة قدمت اليهم ، وعاثوا فى ضواحى اشبيلية . وقتلوا وسبوا كثيراً من المسلمين ، ثم التقوا بالمسلمين كرة أخرى فهزمهم المسلمون عندئذ وقتلوا منهم عدداً كبيراً واحرقوا بعض سفنهم ، ثم نشبت بين الفريقين

(١) البيان المغرب — ج ٢ ص ٢٥٧ — وراجع أيضا : Dozy : Recherches II P.33 7 338

(٢) يضع ماريانا المؤرخ الاسبانى الكبير تاريخ غزو النورمانيين لاشبيلية فى سنة ٨٤٧ ﻫ — راجع تاريخه الكبير : His. Generale d'Espagne (وهى الترجمة الفرنسية) ج ٢ ص ٨٤

موقعة كبيرة حاسمة فى اواخر صفر (سنة ٢٣٠ ﻫ) هزم فيها الغزاة هزيمة شديدة، وأحرق من سفنهم نحو ثلاثين، وقتل وأسر منهم عدد كبير، وكان قائدهم بين القتلى، ومثل المسلمون باسراهم وعلقوا على جذوع النخل. فارتد باقى السفن النورمانية جنوبا وطاردتها سفن المسلمين. بيد أن بعض السرايا النورمانية استطاعت أن تنفذ الى الداخل، وأن تغير فى طريقها على لبلة وباجة. ثم انتهت الى اشبونة حيث التحقت بسفنها. وغادر النورمانيون مياه الاندلس بعد أن لبثوا بضع أسابيع يبثون فيها الرعب والروع (١)

وكان لهذه المفاجأة المروعة أثرها فى حمل حكومة الاندلس على الاهتمام بأمر الاسطول والتحصينات البحرية. فانشأ عبد الرحمن داراً للصناعة فى اشبيلية، واهتم بصنع السفن الحربية وحشد لها المقاتلة من شواطىء الاندلس. فكانت نواة الاسطول الاندلسى الكبير الذى بلغ فى عهد عبد الرحمن الناصر زهاء مائتى سفينة. وعلى أى حال فقد أدرك النورمانيون أن الاندلس لم تكن فريسة هينة. وتحدثنا الرواية الاسلامية بأنهم عقب هزيمتهم فى هذه الغزوة الاولى سعوا الى الصلح مع امير الاندلس، وبعثوا اليه رسلهم فى طلب السلم والمهادنة وأن أمير الاندلس عبد الرحمن بعث كاتبه يحي الغزال الى ملكهم ليرد السفارة، فسار السفير الاندلسى الى قاصية الشمال الى بلد لم تعينه الرواية تعيينا واضحا. وأدى سفارته. وعاد بعد رحلة استطالت عشرين شهرا (٢)

وكانت غزوة النورمانيين الثانية لشواطئ الاندلس فى سنة ٢٤٥ ﻫ (٨٥٩م) فى عهد أمير الاندلس محمد بن عبد الرحمن. فخرجوا من مياه غسقونية فى اثنتين وستين سفينة. وبدأوا كعادتهم باجتياح ساحل جليقية (المملكة النصرانية) فردهم ملكها اردونو. فساروا جنوبا الى مياه جبل طارق. واقتحموا شاطىء المغرب الاقصى وعاثوا فيه أياما عيث، ثم غادروه بعد أيام قلائل وانقضوا على ساحل الاندلس، ونفذوا الى النهر الكبير، واجتاحوا الجزيرة الخضراء، ثم هاجموا اشبيلية فردهم جيش الاندلس بقيادة الحاجب عيسى بن الحسن، فساروا عندئذ الى المياه الشرقية وهاجموا مرسية، ثم اريولة ونشبت بينهم وبين المسلمين وقائع عدة. ولما رأوا مناعة الثغور الاندلسية، ساروا شمالا الى شواطىء فرنسا الجنوبية واجتاحوا ولاية بروفانس وقضوا الشتاء فيها، ثم تفرقوا بعدئذ فى مياه اسبانيا الشمالية، ونفذوا الى نافار

---

(١) راجع تفاصيل الرواية العربية عن هذه الغزوة فى البيان المغرب ج ٢ ص ٨٩ و ٩٠ وفي النويري ـ نهاية الارب (القسم الخاص بتاريخ الاندلس) وقد نقل دوزى روايته : Recherches, Appendice 37 وفي ابن القوطية (فتح الاندلس ص ٩٠) وفي ابن الاثير ج ٧ ص ٧ ـ وابن خلدون ج ٤ ص ١٢٩ ـ وراجع ماريانا فى تاريخه المشار اليه ص ٨٣ و ٨٤

(٢) راجع رواية النويري في دوزي Recherches : App. 34

واقتحموا عاصمتها بنبلونه، وعاثوا فى تلك الانحاء، وبعد أن قضوا زهاء ثلاثة أعوام فى تلك الغزوات الجريئة ارتدوا الى ديارهم وقد فقدوا معظم سفنهم خلال العواصف والمعارك المختلفة (١)

وشغل النورمانيون حينا بغزواتهم فى شمال غربى فرنسا حيث عولوا على البقاء والاستقرار واضطر ملك فرنسا أخيراً أن يقر زعيمهم الكبير «رولو» على ولاية الاقليم المحتل (سنة ٩١٢ م). وقامت فى ذلك الحين فى فرنسا إمارة نورمانية، وسميت «نورماندى» نسبة الى سادتها الجدد. وفى ذلك الحين أيضاً بدأت اسبانيا المسلمة عصراً من القوة والعظمة فى عهد عبد الرحمن الناصر، واستطاعت أن تفرض احترامها وارادتها على الممالك النصرانية المتاخمة لها. وبلغ الاسطول الاندلسى يومئذ ذروة قوته وضخامته وبسط سيادته على تلك المياه فلم تجرؤ السفن الغازية على الاقتراب منها. ولكن المملكة النورمانية الجديدة نمت واشتد ساعدها بسرعة، وتقاطر اليها المتطوعة والمغامرون من دانماركه واسكندناوه حتى ضاقت بهم وضاق بهم ملكها ذرعا، ولم يجد بدأ من أن يصرفهم فى طلب الغزو والغنيمة فى حملات متوالية متفرقة. ففى سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) فى عهد خليفة الاندلس الحكم المستنصر بالله، ظهر النورمانيون كرة أخرى فى مياه الاندلس الغربية على مقربة من ثغر قصر أبى دانس (الكازار دوسال) فى نحو ثلاثين سفينة، وأثخنوا فى ذلك الساحل، ووقعت بينهم وبين المسلمين فى بسيط اشبونه وقائع شديدة قتل فيها كثير من الفريقين، وبادر الحكم فبعث الجند الى الثغور، وسار الاسطول الاندلسى بقيادة أمير البحر ابن رماحس من النهر الكبير قاصداً الى المياه الغربية. ونشبت بينه وبين الغزاة فى المياه الجنوبية الغربية على مقربة من شلب، موقعة بحرية حطمت فيها عدة من سفن النورمانيين، وقتل منهم عدد كبير، واستنقذ من كان معهم من أسرى المسلمين فارتدوا على أثر هذه الهزيمة نحو الشمال (٢) وعرجوا على شواطىء جليقية وهاجموا ثغورها واستمر عيثهم فى تلك المياه زهاء عامين. وأمر الحكم المستنصر بتلك المناسبة بتعزيز وحدات الاسطول وبناء سفن جديدة كسفن النورمانيين لتكون أمنع وأقدر على رد عدوانهم (٣)

وفى عهد الحكم المستنصر أيضا فى سنة ٣٦٠ هـ (٩٧١ م) عاد النورمانيون الى الظهور فى المياه الاندلسية. وهنا تبدى الرواية الاسلامية دقة فى وصف الغزاة فتسميهم لاول مرة «بالمجوس الاردمانيين» أعنى النورمانيين (٤) وانقض الغزاة كعادتهم على الساحل الغربى

---

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ١٣١ - البيان المغرب ٢ ص ٩٩ - دوزي ص ٢٧٩ وما بعدها - وراجع مارِيتاج ٢ ص ٩٥

(٢) البيان المغرب ٢ ص ٢٥٥ وابن خلدون ج ٤ ص ١٤٥

(٣) البيان المغرب ص ٢٥٥

(٤) البيان المغرب ٢ ص ٢٥٧

فتحرك الاسطول الاندلسي من مرفئه في مياه المرية لمطاردتهم ، فارتد النورمانيون الى الشمال قبل أن يستفحل عيثهم ، وأيقنوا انهم لن يبلغوا أربا بعد فى تلك المياه

ولا نسمع فى الرواية الاسلامية بعد ذلك عن المجوس أو النورمانيين إلا فى منتصف القرن الخامس الهجرى (أواخر القرن الحادى عشر) حيث تشير الى عدة غزوات أخرى قام بها النورمانيون على شواطىء اسبانيا النصرانية فى القرن الحادى عشر، وليس لنا بهذه الغزوات شأن. أما الغزوة الاخيرة التى تحدثنا عنها الرواية الاسلامية فقد وقعت فى عهد الطوائف سنة ٤٥٧ هـ (١٠٦٥ م) وقام بها اسطول نورمانى جاء على مايظهر من المياه الايطالية ، وقد كان النورمانيون عندئذ فى خدمة البابا ، وكان زعيمهم « جيوم دى مونرى » قائد الجيوش الرومانية ، وكانت مملكة بلنسية احدى دول الطوائف الاسلامية يومئذ فى حرب مع نصارى الشمال ، فانتهز النورمانيون تلك الفرصة ، وهاجموا شواطىء بلنسية ، واقتحموها ، واستولوا على قلعة بيشتر الحصينة ، وأمعنوا فى تلك الانحاء سفكا ونهبا ، ثم انسحبوا مثقلين بالسبي والغنائم وتركوا حامية فى القلعة ، ولكن المسلمين مالبثوا ان استردوها منهم بعد اشهر قلائل (١)

وكانت هذه خاتمة الغزوات النورمانية الكبيرة فى المياه والاراضى الاندلسية ، وربما وقعت بعد ذلك غزوات صغيرة ناهبة من بعض السرايا النورمانية فى مياه الاندلس الغربية أو الجنوبية . بيد انها لم تك ذات أثر يذكر ، وكانت تقمع على الاثر . وقد كان لهذه الغزوات النورمانية المروعة أكبر الاثر فى إذكاء الروح البحرية عند عرب الاندلس ، وفى انشاء الاسطول الاندلسى الكبير . ولم يك لعرب الاندلس قبل الغزوات النورمانية شغف بجوب البحر والمغامرات البحرية الخطرة ، ولكن لم تأت فاتحة القرن الرابع الهجرى حتى كان أسطول الاندلس يبسط سيادته على غربى البحر الأبيض المتوسط ، وكانت شراذم من المجاهدين والمغامرين المسلمين قد تمرست أثناء ذلك فى ركوب البحر ومهاجمة الجزر والشواطىء النصرانية المجاورة ، ولم تلبث هذه الشراذم المغامرة أن حلت فى بروفانس فى جنوبى فرنسا ، ولبثت على مثل النورمانيين تبث الروع فى تلك الانحاء عصراً . وفى عهد الطوائف ، افتتح مجاهد العامرى صاحب دانية ، جزائر البليار وجزيرة سردانية (٤٠٥ هـ - ١٠١٤ م) ، واحتفظ المسلمون بسيادة هذه المياه زهاء قرنين آخرين ، حتى كان عهد الانحلال السياسى والعسكرى ، منذ القرن السابع ، وعندئذ تفقد الاندلس تفوقها فى الجزيرة شيئا فشيئا . وتفقد سيادة البحر فى الوقت نفسه ، وتغدو دولة ثانوية فى غرب أوربا ، تسير الى قدرها المحتوم بخطى بطيئة ، ولكن محققة لاريب فيها

محمد عبد الله عنان

---

(١) راجع دوزي Musulmans d'Espagne III P76-79 والبيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٥

السلام الاجماعي

وكيف حلت فكرته محل التوازن الدولي

بقلم جول كمبون سفير فرنسا سابقا ببرلين

تتجه اليوم انظار رجال السياسة في عصبة الامم الى مسألة السلامة الاجماعية وقد كان لهذه المسألة اكبر الاثر في توجيه سياسة العصبة بازاء الحرب الحبشية وفي حمل الدول على فرض العقوبات الاقتصادية على ايطاليا . ولذلك رأينا ان ننشر هنا خلاصة مقالة كتبها مسيو جول كمبون السياسي الفرنسي الكبير قبيل وفاته أخيراً وقد عبر بها عن رأى فرنسا وشرح كيف نشأت هذه الفكرة بعد الحرب وحلت محل توازن القوى الدولية

تشغل مسألة السلام الاجماعى أفكار جميع رجال السياسة فى الوقت الحاضر والهم الوحيد الذى يشغل افكار الناس بعد الحرب الماضية هو منع تكرار تلك الفاجعة واتقاء ويلاتها . وما تاريخ الاعوام التى تلت الحرب سوى تاريخ للمساعى التى بذلها وما يزال يبذلها رجال السياسة لاتقاء ذلك الخطر . ومع رغبة الدول فى اتقائه تجدها عاجزة عن الاتفاق فيما بينها على الوسائل المؤدية إلى ذلك . وفى الحقيقة ان الدول مع رغبتها فى ضمان سلامتها الاجماعية تسير على خطط مختلفة لأن لكل منها رأياً خاصاً فى هـذا الشأن . فكلمة « السلام الاجماعى » ليس لها فى نظر جميعها معنى واحد ، وقد يكون كل من العامل الانجليزى والفلاح الاميركى والريفى الفرنسى راغباً فى السلام ، ولكن لكل منهما رأياً خاصاً فى ذلك وطريقة خاصة لتحقيق تلك الفكرة

فسكان أوربا الذين أصيبت بلادهم بنكبات الحروب المختلفة وشهدوا تغيير الحدود الجغرافية غير مرة بسبب الحروب ، ينظرون إلى مسألة السلام الاجماعى بغير العين التى ينظر بها الرجل الانجليزى الذى لم يصب بنكبات الغزو منذ قرون . فالسلام فى نظره يعنى السيادة البحرية التى تضمن له الحصول على المواد الغذائية اللازمة وتؤمن له جميع أنحاء امبراطوريته . أما الاميركى فانه يعلم ان هنالك اوقيانوسين عظيمين يجعلان بلاده أمنع من عقاب الجو ويحولان دون تفكير أية دولة فى غزوها . فضلا عن ان سعة موارد العالم الجديد وكفايتها لاهله تريح بال الاميركى من جهة الحصول على المواد الغذائية اللازمة

فترى اذاً أن كل أمة تفسر السلام التفسير الذى يلائمها ويتفق وحالتها الجغرافية والاقتصادية والعمرانية . ولما كانت كل أمة تجهل احتياجات غيرها فان كلا منها تتهم الأخرى بالانانية وحب الذات والطمع . والحقيقة ان مصالح الامم مرتبطة بعضها ببعض ولا يمكن الفصل بينها . وارتباطها

معاً يزداد وثوقاً بمرور الزمن وباتساع نطاق الحضارة . وعليه يمكن القول انه ليس ثمة سلام لاية دولة من الدول إلا مرتبطاً بسلام غيرها

وهذه الحقيقة تقضى باعادة النظر فى الوسائل الدفاعية التى تتخذها كل أمة ومقابلتها بالوسائل التى تتخذها غيرها ، وذلك لتنظيم تلك الوسائل وتنسيقها حرصاً على السلم العام مع مراعاة العوامل الجغرافية والاقتصادية والطبيعية والتاريخية . وقد تضطر بعض الامم فى سبيل ذلك إلى بذل بعض التضحيات وهذا شيء طبيعي ، اذ لا يمكن عقد أي اتفاق بين البشر من دون تضحية

وقد حاول البعض أن يفرقوا بين مسألتى السلام والتسلح . والغريب ان عصبة الامم نفسها قد سعت وما تزال تسعى لتحقيق هذه التفرقة ولكن ذلك متعذر اذ لا يستطيع العاقل أن يتصور أن انجلترا تغرق اسطولها الذى هو سلاحها الدفاعى عن مستعمراتها ، أو أن فرنسا أو أية دولة أخرى من دول أوربا تسرح جيوشها التى تحرس حدودها

ولا خلاف فى أن المادة الثامنة من عهد العصبة تنص على وجوب خفض الدول سلاحها إلى أدنى حد يتفق وشروط سلامتها . إلا أن للمسألة وجهين خطيرين أحدهما متمم للآخر وهما تحديد السلاح والسلام . والغلط الذى يرتكبه اكثر رجال السياسة هو انهم يحاولون التفرقة بين هذين الوجهين وفصل احدهما عن الآخر . ولهذا يجب الا يدهشوا إذا هم اخفقوا

على أن هناك ميلا قوياً الى السلام بين الدول يرجع إلى سنة ١٩١٩ . وكانت انجلترا والولايات المتحدة قد رفضتا الاقتراح الذى قدمه المسيو كليمنصو لانشاء دولة مستقلة على الضفة اليسرى من نهر الرين تكون بمنزلة شقة حرام بين فرنسا والمانيا . وقد عرضت انجلترا والولايات المتحدة على فرنسا عقد معاهدة مهمها ازالة مخاوفها ، ومع ان هذه المعاهدة كتبت وأمضيت الآن إلا أن مجلس الشيوخ الاميركى رفض ابرامها . فاضطرت انجلترا أن ترفضها . الا أنها شعرت بما كان يساور فرنسا من القلق ورأت من العدل أن تبحث عن وسيلة أخرى تعوض بها فرنسا عن تلك المعاهدة وتطمئنها من جهة سلامتها . وعليه جرت المفاوضات فى سنة ١٩٢١ بين المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية فى ذلك الوقت والمسيو بريان الوزير الفرنسى بقصد عقد ميثاق يؤيد الضمان المعطى من عصبة الامم . وكان من رأى المستر لويد جورج أن تعقد فرنسا وانجلترا معاهدة سياسية اقتصادية بشرط أن تقلع فرنسا عن بناء الغواصات وعن المنافسة البحرية . الا أن بريان اصر على أن يشمل الاتفاق الشؤون الحربية بوجه الاجمال . ولسوء الحظ قام بين المسيو بريان وأعضاء وزارته خلاف على بعض التفصيلات أدى الى حبوط المشروع والى استقالة المسيو بريان

وعقبه المسيو بوانكاره فأراد احياء مشروع المعاهدة بين فرنسا وانجلترا ولكن خلافا نشأ بين الحكومتين الفرنسية والانجليزية بشأن بعض الامور فحبطت المفاوضات . ومنذ ذلك الحين بقيت مسألة السلام الاجماعى من شأن عصبة الامم وحدها

وكانت المادة الثامنة من عهد العصبة التى تقدمت الاشارة اليها توجب على مجلس العصبة أن يضع خطة لخفض السلاح تعرض على جميع الحكومات التى تؤلف منها العصبة . والمادة التاسعة من العهد المذكور توجب تعيين لجنة فنية تبدى رأيها فى المسائل الحربية والجوية . وفى سنة ١٩٢١ طلبت العصبة من مجلسها تعيين « هيئة » استشارية تدرس المسائل السياسية والاقتصادية التى تنشأ عن مشروع خفض السلاح . وقد انشئت هذه « الهيئة » وعين المسيو فيفيانى الوزير الفرنسى رئيساً لها وسميت « اللجنة الوقتية المختلطة » وظلت هذه اللجنة تعقد جلساتها حتى سنة ١٩٢٤ . وكان من رأى اللورد ايشر العضو الانجليزى فيها ان تحدد للقوات البرية « وحدة » لتسهيل المقابلة بين القوات البرية على نسق « الوحدة » التى تقابل بها القوات البحرية . إلا أن اللجنة رفضت هذا الاقتراح بحجة كونه غير عملى ولان القوات البرية لا يمكن التعبير عنها بكذا من « الوحدات » كما يمكن التعبير عن السفن الحربية ، ولان عدد الجيوش ليس هو العامل الوحيد فى تقدير قوة تلك الجيوش

ولما عرض رأى هذه اللجنة على عصبة الامم قررت أن يقوم المجلس ببحث سلاح كل دولة من الدول كما كان منذ سنة ١٩١٣ وكما هو الآن فاخذ المجلس يطلب من كل دولة أن تقدم اليه ميزانيتها الحربية عن كل سنة من السنوات الماضية مع بيان ما تحتاج اليه كل منها لضمان سلامتها وايضاح ما يربطها بغيرها من الدول من الالتزامات . وإذ ذاك بدأت الصعوبات تظهر للعصبة شيئاً فشيئاً وأدركت هذه أن مشكلة نزع السلاح هى أشد تعقيداً مما كانت تظن أول وهلة . وعليه اقترح اللورد روبرت سيسل — وكان من أعضاء اللجنة الوقتية المختلطة المذكورة — حل المسألة على وجه آخر وهو تقديم الضمان لجميع الدول لتأمين سلامتها مقابل وعدها بخفض سلاحها . إلا أن اللجنة الاستشارية الدائمة صرحت بان جميع الضمانات تذهب سدى مالم توضع خطة عامة للدفاع . وهنا نشأت مشكلة جديدة وهى مشكلة تعريف هوية المعتدى . وقد بحث المجلس باسهاب فى مسألة الضمانات المتبادلة فاقترح اللورد روبرت سيسل ان تعد الدول وعداً عاماً بان تساعد بعضها بعضاً عندما يقع اعتداء احداهن وأصر المسيو دى جوفنيل المندوب الفرنسى على وجوب عقد معاهدات خاصة لهذا الغرض . وطال الجدال بهذا الشان الى أن أصدرت عصبة الامم القرار المعروف «بالرابع عشر» وهو مبنى فى الاكثر على اقتراح اللورد روبرت سيسل . وقد جاء فى هذا القرار أن حالة العالم الحاضرة لا تسمح بخفض السلاح خفضاً جديا مالم تحصل كل دولة على الضمان اللازم لسلامتها . ومثل هذا الضمان يمكن تحقيقه بعقد معاهدة دفاعية تعرض على جميع الدول لتشترك فيها من تشاء منها . وتقوم — أى المعاهدة — على أساس خطة دفاعية يتولى مجلس العصبة وضعها

واستناداً الى « القرار الرابع عشر » المشار اليه شرعت اللجنة الوقتية المختلطة فى وضع مشروع معاهدة للتعاون الحربى بين الدول . وعرض هذا المشروع على العصبة فى الدور الرابع من جلساتها وأبلغت جميع الدول المختصة المشروع وأرسلت الدول ردودها عليه فى خلال سنة ١٩٢٤ .

فقبلته ثمانى عشرة منها مع بعض القيود . ولكن الجانب الاكبر منها لم يتلق المشروع بروح القبول . وفى مقدمة الدول التى اعترضت عليه بريطانيا العظمى فانها لم تر فيه أى ميل الى خفض السلاح ، فضلا عن أن مسألة التحكيم أهملت فيه اهمالا تاماً . وقد لقيت اعتراضات بريطانيا هذه موافقة من معظم الدول فحبط مشروع معاهدة التعاون الدولى

☆☆☆

على ان حبوط المشروع ما كان ليثبط عزائم الدول الساعية الى خفض السلاح . وكان المستر مكدونالد شديد التمسك بمبدأ التحكيم بين الدول يرفض البحث فيما عداه . وحجته فى ذلك أن الرغبة فى تحقيق السلام يجب ان تكون أقوى من الرغبة فى انشاء نظام للدفاع . فان انشاء هذا النظام سهل ولكن الشاءه يقضى على كل أمل فى السلام . وكان رد المسيو هريو أن التحكيم بين الدول لازم ولكنه لا يكفى لضمان السلام . إذ يجب ان يكون واسطة لاغاية . وان التحكيم والسلام ونزع السلاح أمور مرتبطة بعضها ببعض ولا قيمة لها إلا إذا استندت الى الحقائق

وأدت المناقشة فى هذا الامر الى عقد بروتوكول جنيف وهو يقضى على الدول الموقعة عليه بتطبيق العقوبات على الدولة المعتدية وبان تعقد هذه الدول مؤتمراً دوليا فى أوائل عام ١٩٢٥ للبحث فى مسألة نزع السلاح . وعين مجلس العصبة لجنة لتمهيد أعمال ذلك المؤتمر. إلا أن الانتخابات التى جرت فى انجلترا يومئذ أدت الى قيام وزارة جديدة طلبت تاجيل مؤتمر نزع السلاح . وفى ١٢ مارس سنة ١٩٢٥ أعلن السر أوستن تشمبرلن وزير الخارجية البريطانية أن حكومته ترفض بروتوكول جنيف . وبسط الأسباب التى دعت الى ذلك

ولا تسل عن الخيبة التى شعرت بها العصبة لهذا التصريح . على أن حالة جديدة نشأت اذ قدم سفير المانيا بباريس مذكرة إلى المسيو هريو وزير الخارجية الفرنسية اقترح فيها عقد محالفة بين انجلترا وفرنسا والمانيا وإيطاليا تتعهد بموجبها كل من هذه الدول بعدم شهر الحرب على الاخرى الى مدة تحدد بالاتفاق . وأعلنت المانيا فى هذه المذكرة أنها مستعدة لعقد معاهدات تحكيم مع جميع الدول . ووعدت بتأييد الحالة كما هي على ضفاف الرين وبنزع الحصون المقامة هنالك . فرحب المسيو هريو بهذه المذكرة وأجاب عنها بأنه سيطلع حلفاءه عليها . وبعد مفاوضات طويلة بين فرنسا وانجلترا رد الوزير الفرنسى على المذكرة الالمانية بقوله ان المعاهدات التى بين دول الحلفاء السابقين تقضى على هذه الدول بالعمل معاً وهى لا تستطيع أن تعقد أية محالفة مع المانيا الا اذا انضمت هذه الى عصبة الامم . ومنذ ذلك الحين بدىء ببذل المساعى لادخال المانيا العصبة . وأدى ذلك إلى عقد معاهدة لوكارنو فى ١٦ اكتوبر سنة ١٩٢٥ وهى معاهدة لضمان السلام بين المانيا والبلجيك وفرنسا وانجلترا وايطاليا

وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٥ قرر مجلس العصبة أن يؤيد قضية السلام بمجهود آخر فى سبيل

نزع السلاح . وقد سبق القول ان الوزارة البريطانية الجديدة كانت قد طلبت تأجيل مؤتمر نزع السلاح . وعليه عينت لجنة تمهيدية لهذا الفرض أصبحت أهم لجنة فى عصبة الامم

ومن دواعى الأسف ان هذه اللجنة صادفت منذ أول الامر صعاباً كبيرة من جملتها تعريف معنى التسليح وكيفية مقابلة قوة كل دولة بغيرها والتمييز بين الطيارات العسكرية والطيارات المدنية

وكانت العقوبات الاقتصادية موضوع درس جدى ، لا سيما ان الولايات المتحدة (وهى ليست عضواً فى العصبة) هى أعظم قوة اقتصادية فى العالم . أما مسألة العقوبات العسكرية فقد اتفق المسيو بريان والسر اوستين تشمبرلن على تأجيل النظر فيها إلى حين انعقاد العصبة فى خريف سنة ١٩٢٧ . فلما انعقدت فى هذا التاريخ عينت اللجنة التمهيدية لمؤتمر نزع السلاح لجنة فرعية سمتها لجنة التحكيم والسلامة وعين المسيو بنيس الوزير التشيكوسلوفاكى رئيساً وعهد الى المسيو بوليتيس الوزير اليونانى فى وضع تقرير عن مسألة السلام الاجماعى . وقد قام هذا بمهمته خير قيام وقدم تقريراً الى العصبة نظرت فيه فى سنة ١٩٢٨ وبعد أن درسته عهدت الى اللجنة فى تحضير عدة معاهدات نموذجية للمصالحة والتحكيم وعدم الاعتداء والتعاون . فأنجزت اللجنة ذلك على أحسن وجه . الا أن مندوبى بعض الدول أبدت بعض التحفظات . ولذلك تقرر البحث فى هذه المسألة فى اجتماع العصبة فى خريف سنة ١٩٢٨

وقبل عقد هذا الاجتماع وقع حادث خطير له أوثق العلاقة بمشكلة السلام وهو توقيع معاهدة كيلوج . ومنشأ هذه المعاهدة انه فى شهر ابريل سنة ١٩٢٧ (وهو ذكرى السنة العاشرة لدخول الولايات المتحدة الحرب) وجه المسيو بريان الوزير الفرنسى رسالة إلى الشعب الاميركى ناشد بها الحكومة الاميركية أن تتعاون هى وفرنسا على نبذ الحرب . فرحب المستر كيلوج بهذه الرسالة ورأى ان مثل ذلك التعاون بين أميركا وفرنسا يكون ابعد أثراً اذا عقدت معاهدة لهذا الغرض وفى ١٣ ابريل سنة ١٩٢٨ أبلغت حكومة الولايات المتحدة بريطانيا العظمى والمانيا وايطاليا واليابان نص مشروع معاهدة وضعتها لهذا الغرض وكان رد بريطانيا العظمى مقيداً ببعض التحفظات

وبعد ذلك بايام قليلة عقدت عصبة الامم جلسة عامة ووافقت الدول فى هذه الجلسة على معاهدات التحكيم وعدم الاعتداء التى قدمتها لجنة السلام ، مع شدة الانتقادات التى وجهتها اليها بعض الدول وفى مقدمتها بولونيا . وبعد الموافقة على تلك المعاهدات عهد الى اللجنة التى وضعتها فى وضع برنامج لعقد مؤتمر لنزع السلاح . وطلب الى اللجنة أيضاً أن تجمع الاحصاءات اللازمة عن حالة كل دولة من الدول باعتبار سلاحها وحاجتها الى تأمين سلامتها . وعين المستر هندرسن الوزير البريطانى رئيساً لمؤتمر نزع السلاح — وقد توفى أخيراً — والى هذا اليوم لم تستطع الدول الوصول الى اتفاق عام بشأن السلام الاجماعى ولكن الآمال لم تنقطع بعد . والرجاء وطيد أن تتحقق هذه الامنية فيستريح العالم من شبح الحرب

خلاصة مسرحية

اوليفر كرومويل

للاديب الانجليزي جون درنكواتر

كان تلميذاً خاملاً، ثم شاباً طائشاً ، ثم فلاحاً منزوياً . ولكن عند ما رأى كرامته تهان تحت أقدام الطغاة ، وعقيدته تضطهد ويعذب معتنقوها ، أبى ان يخلد الى حياته الهادئة في وطنه ، وهم بالهجرة الى حيث يحيا في عسر وضيق . على ان يكون موفور الكرامة ، مصون الحرية معزز العقيدة . ولما حيل بينه وبين الهجرة ، لم يخضع للظلم وسيطرته ، بل أثار الشعب المستكين في وجه المعتدي الآثم ، حتى أقام لبلاده صرحاً مشيداً من الحرية والعدالة — ذلك هو القائد الانجليزي « أوليفر كرومويل » الذي تصوره القصة التاريخية التالية

ها نحن فى بيت كرومويل سنة ١٦٣٩ حيث نرى سيدة شابة هى زوجه ، وعجوزا فى الثمانين هى أمه . تتحدثان عن خطته تجاه الملك شارل الأول (١٦ — ١٦٤٩) الذى كان يعتنق مبدأ «الملك ظل الله فى أرضه» ، فمن حدثته نفسه أن يعصيه فى أمره ونهيه ، أو يناقشه فى تفكيره وتدبيره ، حقت عليه كلمة العذاب . ولكل من الزوجة والأم رأيها الخاص . فهذه تضيق بابنها الذى يأبى أن يخلد الى الراحة فى مزرعته وبين أهله . وتخطىء « همبدن » فى امتناعه عن دفع ما يفرضه الملك من الضرائب ، وتخشى أن تؤدى هذه الحركة العنيدة إلى ماينغص عليها الحياة فى شيخوختها الفانية ، فطالما رأت أولئك الذين عصوا الملوك فيما أمروا وهم مساقون إلى حتوفهم . وتلك ترى أن زوجها فى حل من طاعة الملك الذى يستبد بالأمر كما يهوى ، وانه إنما يحمل رأسه على يده ليؤدى للرجولة ما تقتضيه من حق العزة والحرية والاقدام . وتنضم ابنته إلى رأى أمها ضد جدتها ، اذ هى تعجب كيف يستبيح « ايرل بدفورد » مالناس من مواش وأنعام اعتماداً على اذن أصدره الملك دون حق ، وتسائل جدتها : كيف تريد ابنها على أن يعقل لسانه عن التنديد بهذه المظالم المتعددة المشهودة . ولكن جدتها لاتخطىء ابنها فيما يقول ويعمل ولا تكتم اعجابها بصراحته واخلاصه ، وإنما تخشى ما قد يصيبه من أذى وسوء . وتحسب أن الحياة ، وقد خبرتها ، لا تستأهل زئاطا ولا عراكا ، وتود لو يوجه ابنها ورفاقه هممهم إلى قراءة الشعر بدلا من هذه المغامرة المحفوفة بالاخطار

ثم يفد « جون همبدن » و « هنرى ايرتون » . ويتحدثان الى السيدتين فى الموقف الذى ينوى أن يتخذه كرومويل غداً فى قاعة البرلمان . أما أمه فتود الا يزيده الرجلان اندفاعا فى تياره

وتأمل أن يثنياه عن موقفه قليلا . اذ ليس فيما يريده غداً ما يستحق التشجيع والتأييد . وأما الرجلان فيعتقدان أن غداً يقتضى الجميع أى يتكلموا بكل ما أوتوا من قوة وشجاعة وأن أعظم الفخر لمن لا يرهب فى كلمة الحق سطوة العادى ولا قسوة الباغى . ويلفتان السيدة الى أنها تخطىء اذ تحسب ان ابنها يؤلب الشعب على ملكه فالناس فى غنى عمن يثيرهم ويستفزهم وهم على أهبة ان يقولوا الكلمة الفاصلة التى طالما رددوها فى المدن والقرى وفى الكنائس والاسواق . ثم يقبل كرومويل وهو فلاح فى الاربعين من عمره يلبس ملابس أهل الريف العادية.وبعدأن يتبادل التحية مع أهله وزائريه يهنىء همبدن بموقفه تجاه ضريبة السفن التى كانت تفرض على الموانىء أن تمد الاسطول بالسفن . فاستعاض الملك عنها بالمال وعممها على سائر المدن . فلما عارضههمبدن قضىعليه بغرامة فادحة . ويرى كرومويل ان أولئك القضاة الذين اعرضوا عن وجهالحق والقانون واستمعوا لأمر الملك فى ظلمه وعدوانه يؤذنون بانقضاء العسف والبغى ويبشرون بعهد يشرق فيه العدل والحرية . ثم يقول لأمه الجازعة من خطته المشفقة من مصيره : ان هناك أوقاتاً يجب ألا نقيم فيها لما يلحقنا من الاذى والشر أى وزن . وهو لا ينسى أثناء حديثه انه فلاح يهمه ما انتجت الارض من محصول وما يتأهب له القوم من أعياد موسم الحصاد ، وأن يستمع الى أمه وهى تتناقش فى بعض الشعراء الذين تقرؤهم وتجلهم . وتأتى جماعة من الفلاحين فيخاطبهم بهذه الكلمة التى لا تنبعث الا من قلب زعيم يرى انه مهما بلغ من قوة اليقين وسداد النظرة فما هو الا واحد من هذا الشعب يستوحى عقيدته ويستأنس برأيه . يقول : « اخوانى فى الله . عندما ينتهى النهار نجتمع معا لنشكر الله الذى يمدنا بالقوة على العمل . ويجزينا على كدنا أحسن الجزاء . هو الذى يرعانابعنايته اينماذهبنا فى أرجاء هذه الحقول . وهو الذى يريد لنا الحرية ويكره لنا الظلم . وهو الذى يدبر بحكمته الامر بينى وبينكم . فاذا اسأت الى أحدكم فليجابهنى بذلك لانا نريد أن نحيا دائما ابداً اخوانا متآزرين » . ويتقدم اليه أحدهم فينبئه بأن « ايرل بدفورد » سيوفد اليه من ينصحه بأن يعدل عن رأيه ويحذره عاقبة عناده ولكنهم يؤملون أن يثبت زعيمهم فى الموقف الرهيب الذى يواجههم غداً

وبعد قليل يفد رسولا « ايرل بدفورد » ويطلبان الى كرومويل أن ينفردا به ليفضيا اليه بأمر خطير . فيأبى الا أن يتحدثا اليه على ملأ من قومه . اذ هو لا يخفى عن هؤلاء الفلاحين أى سر ان كان هناك سر فى خطته . يقول الرجلان : ان ليس له أن يتخذ موقف المعارضة لايرل بدفورد وزملائه لأن مالهم من الحقوق لم يغتصب من الشعب غصبا بل وهبهم اياه الملك جزاءاً وفاقا فمعارضته اذاً تمرد على العرش يقتضى دروسا قاسية . فيرد عليه كرومويل بلهجته الحازمة : « هذه الحقوق ملك الشعب وحده . وهى أثمن من أن يعبث بها أى ملك . بل على الملوك أن يدفعوا عن هذه الحقوق مايراد بها لا أن يتآمروا على انتهاكها واغتصابها . وغدا سانادى فى الناس جميعا أنى سأقف

ضد من يعتدي عليها ولو انفض الناس جميعا من حولى . ان هذه الحقوق حقوقى لانى أتكلم باسم الشعب الذى أنابنى . يجب ان يتمتع الناس بكل شبر فى هذه الارض وكل حمل فى هذه المراعى . واعلما انى لا اتكلم اليكما . بل الى السيد الذى أوفدكما ، الى الملك نفسه . قولا له انى اهيب بالشعب أن يرد « ايرل بدفورد » عما يريد انتهابه عنوة واغتصابا . وأنا أعلم ان هناك دروساً قاسية » . ويتبعه همبدن قائلا : « عليكما أن تنقلا الى سيدكما كل ما رأيتما وسمعتما . لا تخدعاه ، بل اطلعاه على الحقيقة الواضحة . قولا له ان الناس يتكلمون فى كل مكان بما هو أوضح من هذا وأصرح . قولا له ان همبدن ينادى بأن « غرفة النجم » قد لوثت كرامة الملك بأحكامها الظالمة » ويقول أيرتون : « ويمكنكما أن تقولا أن ليس الخوف من الامراء أو الرهبة من الملوك هى التى تنجيكما من سياطنا لو كنتما اكثر من اصداء لما يقولون » ويضج الفلاحون ويهمون بايذاء الرجلين فينتهرهم كرومويل ويقول للرجلين : « انى لم اتكلم اليكما إلا لتبلغا قولى إلى هؤلاء الذين يجب أن يسمعوه . أنا فلاح بسيط ، أزرع قطعة ضيقة من الارض ولست بذى جاه ولا صيت . ولكنى اعتقد اعتقاداً راسخاً أن هؤلاء الناس يجب أن يعيشوا تحت الله وحده شعباً حراً . فاذا كان سادتكما ينسون ذلك فهناك كما قلتما دروس قاسية . فهل لكما أن تسألا « ايرل بدفورد » أن يتدبر الأمر . ولكن الرسولين يعلمان أن سيدهما لن يحسب لهذا الكلام أدنى حساب ، ويؤكدان لكرومويل انهما يخشيان عليه عاقبة ما هو سائر اليه . ولكنه يأبى أن يستمع الى كلمة واحدة من هذا القبيل فان الكلمة التى نذر نفسه دفاعاً عنها قد رسخت عمدها فى حنايا قلبه فلم تعد هناك حيلة الى تشكيكه فيها أو تحويله عنها

* * *

وفى قاعة البرلمان سنة ١٦٤١ قام خطيب بمجلس العموم يقول : « هذه المظالم الموضحة فى هذا الاحتجاج بينة ظاهرة ، وقد تناقشنا فى الامر أكثر من ثمان ساعات ، فلم يستطع أحدنا أن ينكر هذه الاخطاء العديدة . نعم إن حكومتنا لا تنهج الطريق السوى ، وان اصلاحها واجب لا بد منه ولكن يجب أن نكون على حذر فالملك هو الملك ، جزء لاغنى عنه لحكومة هذه البلاد (ضجة) . إذا أقررنا هذا الاحتجاج فكأننا أقررنا نزع الثقة بالملك . تدبروا الامر ، كيف تنكرون أنكم بهذا تلقون بتاج بلادكم ؟ ومن منكم يريد أن يحمل كاهله هذه التبعة الثقيلة ؟ (ضجة) انى أتوسل اليكم ألا تلبسوا أنفسكم جريمة كهذه . وأرجو منكم ألا تظنون انى ضعيف العقيدة أوقليل الغيرة . فأنا أعلم أن حول الملك بطانة سوء ، وأنهم يريدون أن يخربوا بلادنا . ولكن يجب أن نتريث ونتأنى ، يجب أن نتخذ لنا طريقاً آخر . يجب أن ندافع عن أنفسنا دون أن نتحدى سلطة الملك »

ثم يقوم همبدن وسط ضجة المؤيدين والمعارضين فيقول : « أظن ان صديقى قد التبس عليه الامر فهذا الاحتجاج ليس موجها ضد الملك ، وانما ضد سياسة معينة . إنه يخلو من كل تحد للعرش أو لوم لصاحبه . وليس هناك رجل حصيف العقل يؤوله هذا التأويل الذى يخشاه صديقى »

ولكن كرومويل الذى يتفجر الكلام من قلبه بقوة العقيدة والايمان يقول : « هذا يوم يجب فيه على كل انسان أن يقول كلمة الحق التى تدوى فى أعماق نفسه . وإلا فلنسكت إلى الابد منكسى الرءوس . يرى هذا السيد ان احتجاجنا معناه أننا لا نثق بالملك فعلينا ألا نقره . ويرى مستر هميدن أنه لا يعد اقتراعاً على الثقة بالملك . ولكنى أقول إنه اقتراع على الثقة بالملك ، وأويد هذا الاقتراع بكل ما يحمل قلبى من عقيدة ويقين . يا سيدى إن هذه البلاد قد قاست مالا صبر عليه من المظالم فمن الذى فرضها علينا ؟ إنه الملك . هل يأمن أحدنا على ما تملك يداه ؟ هل يتحرج الملك عن فرض الضرائب الفادحة ارضاء لهواه ؟ ألم تسمعوا شيئاً عن ضريبة السفن ؟ هل تجهلون ما يقترف فى « غرفة النجم » فليحدثكم أولئك الذين سلبت أموالهم ، وقطعت آذانهم ، وزجوا فى أعماق السجون مدى الحياة لتمسكهم بعقيدتهم الدينية . ان هذه البلاد قد غصت بالمظالم الفاجعة ، وهذا الملك ـ هذا الملك وحده ـ هو الذى يقترف هذه الآثام . انى لا أحارب الملكية ، بل أعلم فائدتها وملاءمتها مادامت لا تستبد بتصريف الامور وفقاً لاهواء طائشة . ان سلطة الملك يجب أن تحد بالقواعد والقوانين التى يضعها الشعب . وإذاً فامامنا سؤال واحد : هل تحكم انجلترا بالملك وحده ام باشترا كه مع ممثلى الشعب ؟ هذا هو ما يجب ان نقرره الآن لا لهذا الجيل وحده بل لما يليه من الاجيال . واذا كان للملك أن يستفيد من هذا الدرس فانا أول من يؤيده ويخلص له . أقول لكم ثانية يجب أن نقترع الآن على الثقة بالملك »

ويقترع النواب وسط الضجيج والعجيج ، ثم المشادة والشجار ، عند ما يعلن فوز كرومويل وأنصاره . وبعد أن ينصرف البرلمان يتحدث كرومويل وهمبدن عما يجب أن يتأهبا له من الاحداث الخطيرة ، فان الامر لا بد أن يؤدى الى الحرب التى سيخوضونها على كره منهم ، فقد كانوا يودون أن ينتصر الحق دون أن تجرى سيول الدماء

☆☆☆

وفى بيت كرومويل فى سنة ١٦٤٢ تقبل ابنة كرومويل على جدتها التى تطالع دواوين الشعر الى جانب الموقد وتقرأ لها خطابا من أبيها يقول فيه : « ابنتى العزيزة . غادرت « المدنية » حيث التقينا مع جيش الملك لاول مرة ظهر السبت الماضى . ولذلك كنا نسمع أجراس الكنائس عند ماشرعنا فى هجومنا . وكان جيش الملك يحتل أرضاً ممهدة مشرفة كما كان يفوقنا عدداً وعدداً . ومن الصعب أن نعرف من منا الذى كسب المعركة فقد كانت الحرب سجالا طوال المدة . وكانت فرسانهم تحت قيادة الامير الشجاع روبرت مثالاعالياً كما نظم ابن عمك همبدن فرقة من أشجع الرجال وأشرفهم. أما عدد القتلى فاربعة آلاف ونصيبهم منهم أكثر من نصيبنا . وقد وقع من فرقتى وعددها ستون راكباً ثمانيـة عشر . وقد امتدحنا القائد ، فان العزم لم يخنا طوال المعركة . وسأعود الى انجلترا لادعو كل من يحمل فى قلبه الحب للوطن والخوف من الله أن يهب لاداء واجبه . وسأعمل الى

جانبهم . ويبدو لى أنى سأدعى لاداء مهمة أعظم وأشق ، وسوف أضرب فيها بقدر جهدى مثالا يحتذى »

وبعد قليل يسمع صوت خيول مقبلة . ويدخل كرومويل وايرتون ويحيان السيدة والفتاة ويبلغانها تحية الزوجة التى كانت قد سافرت الى الميدان . وتدعو السيدة لابنها أن يوفق الى تحقيق الغاية التى حمله الشعب عبأها ، وأن يجعل خلاص انجلترا وارتقاءها على يديه . ويستدعى كرومويل عمدة البلدة ويحدثه عن نتيجة المعركة قائلا : « ان النتيجة الحاسمة لم تعلن بعد ، ولكنى أظن أن رجالنا قد تبينوا ما يجب عليهم ان يؤدوه . إنهم قد وقفوا فى المعركة موقف الحزم فاستطاعوا أن يصمدوا للعدو طويلا . ان رجالنا أشداء ، أما جيشهم فمؤلف من شبان ضعاف العقيدة ، فاترى العزائم . فهل تظن أنهم يستطيعون أن يظهروا على رجالنا الذين امتلأت قلوبهم جرأة وكرامة ، وزخرت أرواحهم حزماً ويقيناً ؟ انا نريد رجالا تدفعهم العقيدة الراسخة الى ان يسلكوا فى الحياة طريق النبل والشرف وإلا خسرنا وهزمنا . ولم أفكر يوماً ما ان امتشق السيف ولكن الامر يضطرنى اليوم إلى ان أضرب به . وإذاً فلندع اهل المدينة وما حولها من القرى إلى ان يجتمعوا بعد يومين فى ميدان السوق حيث أفضى اليهم بكل ما يتعلق بالامر . سأريهم كيف يجب أن يخلصوا ، وأن يجاهدوا ، وان يضحوا ، حتى ينقذوا قلب الوطن من السهام المفوقة اليه . يجب ان نؤلف جيشاً عظيماً فلا سبيل الى انقاذ انجلترا إلا ببذل دمائنا وأرواحنا . يجب ألا نتباطأ بل علينا أن نقتصد الوقت ونختصر الحرب . ثم تدعو له والدته أن يعينه الله فى جهاده وأن يردعنه ما تتخوف أن ينتهى اليـه الامر من عواقب مرهوبة . ولكن كرومويل لا يستطيع ان يفتح فى قلبه منفذاً للتوجس والتردد ، وهو يرى هذا الشعب باطفاله وكهوله يريده ان يصمد فى الطليعة وهم سائرون الى الحرية والكرامة وسط هذه الظلمة الضاربة

ثم يسأل ابنته عن الشاب الذى عذبته غرفة النجم شر عذاب ، ويطلب اليها ان تستدعى مغنيا ينشده بعض الاغانى موقعة على الناى الذى يطرب لسماعه ويتحدث ايرتون الى الفتاة عن موقف أبيها فى المعركة حيث أبدى ما يؤهله لان يقود جيوشاً جرارة الى ساحات النصر والفخار . وهذه حرب تطالب قائداً ثبت العقيدة قوى الايمان ككرومويل لينفخ فى الجند من روحه قوة ويقينا . ويعلمهم كيف يستبسلون ويستشهدون حتى يعيدوا للشعب ما هضم من حقوقه ، وليجبروا للوطن ماهيض من جناحه . ومع أنها سوف تستمر سنين عدداً ولا يدرى احد الى أية نتيجة تنتهى ، بل لا يدرى هل يمتد به العمر حتى يشهد النتيجة أم لا . إلا أن هذا لا يمنع ايرتون من أن يتقدم الى كرومويل يخطب ابنته ويوافق الرجل على رغبة الشاب والفتاة ، فقد أحسن كل منهما اختيار صاحبه على أن يرجئوا الامر حتى تنتهى المحنة التى تقتضى كل فرد أن ينذر لها جماع عقله وقلبه . ثم تقدم اليه أمه حزمة من المفاتيح قائلة : « هذه مفاتيح منازلى الخمسة ومزارعى . ضعها كلها تحت يدك خلال

الحرب فقد تحتاج اليها أنت ورجالك . وأنا فى غنى عنها فلن تطول بى السن إلا أياما معدودة » .

ويتقدم والد الشاب الذى عذبته غرفة النجم ببضعة نقود قلائل اقتصدها من رزقه الضيق كى يساهم فى هذا الجهاد المقدس بما يتسع له ذرعه ، ويطلب الرجل كذلك أن يقبل ابنه الاخرس المبتور الاذنين والاصابع جنديا فى الجيش . وتفد جماعة من الفلاحين فيخطبهم كرومويل خطبة تستفز فيهم روح الاخلاص والاقدام . وتستثير منهم عاطفة التضحية والفداء ، يقول : « أصدقائى . لست أدرى ماذا سيطلب منكم غداً . فنحن نجتاز أياما سودا . ونواجه محنا قاسية ستؤدى الى نتيجة حاسمة لا تمحى ولا تنسى . إن الظلم الذى أصابنا ما آسيه دهراً طويلا يعمل اليوم لسحقنا ومحونا فيجب أن نأخذ أهبتنا للدفاع وإلا فلنقاس الذل ما حيينا . انا ندعى اليوم الى أن نقيم حصناً منيعا مشيداً يحمى عقائدنا وحرياتنا . وأمامنا صفوف وفيرة من الجند كاملة العدة قوية العزم رابطة الجأش . فليس من السهل ان ننتصر ونتغلب . ولكنا نقبل على المعركة مؤيدين بروح الله . فليقدر كل منكم هذا الامر . فلنتقدم أقوياء القلب . أشداء العزم . مؤمنين بأن الحق فى جانبنا وما اهتدينا بوحى من الله ما ضللنا سواء السبيل وما عجزنا عن ازهاق الباطل »

☆☆☆

انتهت الحرب وانتصر جيش كرومويل واندحر جند الملك . ولكن اسكتلنده كانت قد اشتركت فى الحرب الى جانب كرومويل لما تضمره للملك من حفيظة وعداء . ولان انجلترا رضيت بان تتخذ المذهب الاسكتلندى (البرسبتيرى) مذهباً رسمياً فى كنائسها . فلما انتهت الحرب رأى الجيش أن هذا الشرط الذى ارتضوه حين أزمتهم الحرب بنارها وحديدها ليس فى وسع شعب يموت دفاعاً عن الحرية والكرامة أن يقبله . ورأى البرلمان ، وكان قد بدأ يسوء مابينه وبين كرومويل أن يتقيد بهذا الشرط . فوقع النزاع بين الحليفين . وعمل الملك على انتهاز الفرصة

وها نحن نرى الملك سجينا فى قلعة هامبتون يتحدث الى سكرتيره عن هؤلاء المندوبين الذين أوفدتهم اسكتلنده سراً ليتآمروا معه ضد كرومويل . يرى الملك ان دفة الامر بدأت تتجه الى جانبه وأن هذا النصر الذى تعالت به أصوات جنودهم ودوت به أرجاء برلمانهم سوف ينقلب هزيمة يذيقهم وبالها ويأخذهم بأسائها . وهو يعتقد — او يوهم نفسه — ان الوطن فى حاجة اليه لينقذه من هوس كرومويل وطيش شيعته ، وأنه فى حل من أن يتخذ أية وسيلة تؤدى الى التغلب على هذه الشرذمة المتمردة ، فيملى على سكرتيره الحقوق التى يمنحها اسكتلنده جزاء لها على دخولها الحرب الى جانبه وهو فى هذا لا يرعى لوطنه أية كرامة . ولا لعقائد شعبه أية حرية فلم يتحرج عن أن يخول اسكتلنده حق غزو انجلترا ، وأن يضع جيشه تحت امرتها ليقمع أية مقاومة يبديها الشعب ، وأن يبيح لها بعد انتهاء الحرب أن تنكل بكرومويل ورجاله كما تشاء ، وأن يمنحها حق فرض مذهبها مذهباً رسمياً

فى انجلترا . وبينما هو يملى هذه الوثيقة الخطيرة يطرق الباب ويدخل كرومويل وايرتون على حين غرة ، فيسرع السكرتير الى إخفاء الورقة وسط صحائف بيضاء

يبدأ كرومويل حديثه الى الملك السجين قائلا : « اننا ظللنا خلال هذه الاشهر الماضية موضع الشك والارتياب فى نظر جلالتكم » فيقول الملك : « ان اخلاقك وشهرتك يا مستر كرومويل تنفى كل شبهة وريبة» ثم يسأل كرومويل عن هؤلاء المندوبين الذين يقال ان اسكتلنده أوفدتهم الى انجلترا سراً ، فينفى الملك علمه بشىء من هذا القبيل ، ويرى أن هـذه الايام القلقة تخلق للاشاعات جواً صالحا . فيقول ايرتون : « ان الناس يتحدثون عن مؤامرات مع اسكتلنده ، وهـذا سوف يؤدى الى إثارة حرب أهلية ثانية واراقة دماء الشعب مرة أخرى . ومجرد تطاير هـذه الاشاعات يثير القلق والاضطراب. ولذلك جئنا لنسمع من جلالتكم كلمة تعيد الامر الى نصابه . وحيث ألا صحة لشىء من هذا فمن السهل ان ننظر فى شروط مناسبة نتفق عليها »

يرى كرومويل أن أول خطوة فى الاتفاق أن يعمل الملك على استرضاء الجيش ، لأن السلطة الحقيقية فى يده الآن ، ولأن جنوده هم خيرة هذا الشعب ممتشقة الحسام . ولكن الملك الذى يريد أن يوسع شقة الخلاف بين الجيش والبرلمان يرى أن عليه استرضاء ممثلى الشعب قبل كل شىء ، وذلك بأن يوافقهم على اتخاذ المذهب الاسكتلندى فى الكنيسة الانجليزية ، ويحاول كرومويل أن يقنع الملك بأن الجيش الذى ثار ضد التاج وحارب جند الملك هو الذى يستطيع أن يجعل العرش المتهافت المتخاذل عرشاً متين الاسس موطد الجوانب . وان الجيش قادر على أن يحمل البرلمان على اقرار مطالبه ، وليس فى وسع البرلمان أن يرغم الجيش على قبول مذهب ينكره ويأباه . ويؤكد له كرومويل الذى يستطيع أن يجلس على العرش مؤيداً من الشعب والجيش معاً انه يتكفل بان يضع الجيش وراء العرش . ويؤلف الشعب حول التاج ، ويحول عداء البرلمان مناصرة ومؤازرة ، على أن يتعهد الملك بان يترك كل فرد حراً فى عقيدته . فيراوغه الملك ويستأجله بضعة أيام يتروى فيها ، فيرجئه كرومويل ثلاثة أيام يستعرض فيها الامر من جميع نواحيه . وبينما هو يرفع الاوراق المصفوفة أمامه تقع عينه على الوثيقة المخبأة ، وتلمح عينه بعض فقراتها فيقف فى مكانه واجفاً راجفاً :
« ماذا ؟ أيخون الملك وطنه ؟ أيتآمر مع العدو على تخريب بلاده وتعذيب شعبه ؟ يالالخيانة الدنيئة !.. تغزو اسكتلنده أرض الوطن . ويناصرها جيش الملك على اذلالنا . وتفرض عقائدها علينا اكراها واقتداراً ؟ ! يالالنذالة ! .. عندما نمتشق السيف مرة أخرى فانما لنقرر به الحق والعدل. هناك كثيرون يسمونك السفاح الظامىء للدماء ، وقد جاهدت حتى غيرت رأيهم فيك . ولكنك تأبى الا أن ترهق أرواح الشعب ثانية يا الهى ! كم كنت أخاف هذا ! ولكن فلتكن ارادتك ولنذهب الى الميدان ثانية ! »

✡ ✡ ✡

وفى يوم ٣٠ يناير ١٦٤٩ ينفذ حكم الاعدام فى الملك . فنرى زوجة كرومويل وابنته جالستين

حول الموقد فى صمت ووجوم . وكل شيء من حولهما هادىء . الا أصوات طبول تبلغهما من بعيد . وتطل الفتاة من النافذة ، وتنادى أمها لترى الملك وهو مساق الى حيث يستوفى ظمأ حياته . فتأمرها أمها ألا تطل فان المنظر مروع ورهيب

وتقول : « عندما أراد كرومويل أن يؤلف الشعب حوله ويضع الجيش تحت امرأته ويعيد اليه التاج معززاً مؤيداً ، كان فى وسعه أن ينقذ نفسه ورعيته لو أنه أبدى شيئاً من الامانة والاخلاص ، ولكنه أبى أن يفعل » وتقول الام ان اونيفر سيكون أول رجل فى انجلترا ، وترى ابنته أنه سوف يجلس على العرش ، ولكن الزوجة تؤكد انه سيرفض كل شيء من هذا

ويأتى ايرتون ويسألنه عما حدث . فينبئهن بان الأمر سيقضى بعد دقائق معدودات . وان الملك لم يخنه من الرزانة والثبات ماعهد فيه . فليته أبدى وهو على عرشه ما أبداه من النبل وهو فى سجنه ولكنه أراد أن يجعل الحياة بغيضة خبيسة وأصر على أن تبقى كذلك دائما أبداً . والملوك الذين يفسدون على رعيتهم حياتها يجب أن يزالوا من الارض . ثم تتجاوب أنحاء المدينة بالاصوات الصاخبة فقد فصل رأس الملك عن جسمه . وبينما هم ذاهلون واجمون يدخل كرومويل ساهما مطرقا منباطئا متخاذلا ، ويجلس الى الموقد وعينه محلقة فى النار . . .

* * *

بعد ست سنوات نرى الفتاة واقفة الى جانب جدتها وهى مستلقية فى فراشها بعد أن بلغت الرابعة والتسعين . وما زالت الجدة معنية بقراءة الشعر . وكان الى جانبها منذ قليل سكرتير ابنها الشاعر العظيم جون ميلتون يتلو عليها جزءاً من قصيدة بدأ انشاءها حول خروج آدم من الجنة . وهى تطلب الى حفيدتها أن تقرأ لها شيئا من شعر مارفيل الذى أرسل اليها طائفة من قصائده . وهذه المرأة الفانية حين تقرأ الشعر أو تسمعه تنطلق الى عالم آخر مشرقة أراضيه مائجة بحاره !

ثم يأتى كرومويل — حامى الجمهورية — فينحنى الى أمه ويقبلها ، ويتحدث اليها عن هذا المنصب الذى لا يدرى كيف وضع فيه . والذى يثق بأن لابد من ارجاعه لاصحابه . وتسأله الفتاة : ولماذا لا تبقى هذه الجمهورية قائمة ؟ فيجيبها بأنها ستبقى ولكن على رأسها ملك . وستكون مهمة الملك منذ اليوم أن يدفع عن الجمهورية . وهذه هى الغاية التى حارب من أجلها . فتقول الام : « ان وطنك سيكون اكثر الاوطان تمتعا بالحرية لانه انجبك . وان اسم اسرتنا قد ينسى ويزول ولكن هذا لايهم ما دمت تؤدى واجبك فى أمانة واخلاص » وتوصيه خيراً بالشعراء . اولئك الذين ينشئون المثل العليا ويرسمون المبادىء القويمة . فعدها [illegible] لهؤلاء الذين يتكلم الله بلسانهم على غائلة ان الى الله عند فراشها صلاة مؤمنة خاشعة

تلخيص عبد الحميد عبد الغنى

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

عصب السلام

[خلاصة مقالة نشرت في صحيفة
فو . بقلم نورمان آنجل]

من تمعن فى كل ما يقرأه من المقالات الخاصة بمسألة نزع السلاح يدرك للحال أنه لو كان العالم مخلصاً فى حبه للسلام لتسنى حل مشكلة نزع السلاح حلا نهائياً . وفى الحقيقة أن الدسائس السياسية والمطامع الاشعبية واصرار المستبدين على مواصلة سياستهم الجائرة ، وعلى ابقاء أسباب الشكوى والتذمر على حالها — كل ذلك عثرة فى سبيل الساعين الى نزع السلاح الداعين الى السلام . ولا ريب أن القوات التى تعمل من وراء الستار لاثارة الحروب تضع نفسها تحت تصرف أصحاب المطامع والغايات وتعمل على مقاومة دعاة السلام

ومن الطبيعى أن القوات التى تعمل لاثارة الحروب تقوم على غايات سافلة وهذه الغايات هى سبب ما نشاهده اليوم من المباراة فى التسلح . وهذه المباراة هى سبب الثروة التى يجمعها أصحاب معامل السلاح والذخائر الحربية . على أن الرجل العادى لا يدرك انه انما يدفع ما يدفعه من ضرائب ومكوس ويعرض حياته وحياة أولاده للموت حبا لسواد عيون الذين يصنعون الاسلحة ويبيعونها ويتاجرون بها . ترى ما الذى يحمله على دفع ما يدفعه والتضحية بما يضحى به ؟

ليس فى الامر سر يخفى على أحد . فالرجل العادى يعلم أن من أول واجباته وأقدسها ان يدافع عن وطنه ومسقط رأسه . وهو فى سبيل هذا الدفاع لا يبخل بماله ولا بروحه بل يتحمل من أجله كل محنة وعذاب . والتاريخ مفعم أدلة على صحة هذا القول . وأنت إذا قلت لسكان اقليم من الاقاليم ان بلادهم فى خطر وانها فى حاجة الى السلاح للدفاع عن كيانها ولدفع اعتداء الاجنبى عليها قاموا كلهم قومة واحدة وقدموا ما عندهم من مال لشراء السلاح اللازم لدفع ذلك الاعتداء . وكثيراً ما يكون أفراد الامة مسالمين مستسلمين فيسخرهم دعاة الحرب والتسلح لقضاء أوطارهم . ولولا استسلامهم ما استطاع أولئك القوم أن يستغلوهم فى سبيل مطامعهم ولا تمكنوا من مواصلة سياستهم الاشعبية القائمة على المصلحة الذاتية

ان الواجب على كل عاقل محب للسلام هو ان يحول دون المباراة في التسلح والتمادى فى جمع معدات القتال ، فان فى ذلك من الخطر ما لا يخفى على العاقل

ترى ما المراد من المباراة فى التسلح ؟

تقول دولة كذا : « انى أريد أن امنع عنى كل اعتداء . ولتحقيق هـذه الامنية يجب ان يكون جيشى وما عندى من معدات القتال أكثر مما عند جارتى »

وتقول هذه الجارة : « ان ما لدى غيرى من سلاح وعتاد يفوق ما عندى فيجب أن أسعى لتقوية جيشى والاكثار من معدات القتال لأتفوق على غيرى »

كذلك تناجى كل دولة من الدول نفسها فلا ترضى احداها أن يكون ماعند غيرها من معدات القتال أكثر مما عندها ، فهى تريد لغيرها من الدول مالا ترضاه لنفسها . أى أنها تريد أن تكون كل جارة من جيرانها دونها فى السلاح والاهبة . وما دامت كل دولة تريد ذلك فكيف ترجو ان يقف التسلح عند حد ؟

ثم ان المساواة بين معدات القتال التى لدى الدول مستحيلة بل من المتعذر مقابلة قوة أية دولة من الدول بقوة غيرها . ذلك لان أسلحة الدول غير متماثلة فى النوع ولا متعادلة فى الكمية . فقد يكون لاحدى الدول أسطول كبير من البوارج ولكنها لاتملك مايكفيها من مستودعات الفحم أو البترول . فهى لهذا السبب قد تكون أضعف من دولة أخرى قد لاتملك مثل ذلك العدد من البوارج ولكن لديها موارد كثيرة من الفحم والبترول ، بل قد تكون احدى الدول غنية بالغواصات وغيرها غنية بالطيارات . ومما يجدر بالذكر فى هذا المقام أنه فى أثناء جلسات المؤتمر البحرى الذى عقد فى مدينة واشنطون منذ عهد غير بعيد أثبت الخبراء البحريون أنه فى حالة الضباب الكثيف يكون الطراد المسلح بمدافع قطر فوهتها ست بوصات مثلا أقوى من مثيله المسلح بمدافع قطر فوهتها ثمانى بوصات ، لان الاول يكون أسرع وأخف حركة . وأما فى وقت الصحو فان الطراد الثانى يكون أقوى من الاول . وعليه فقد يعتبر الضباب ضرباً من السلاح . وهذا ما حمل الخبراء الاميركيين فى ذلك المؤتمر على اعتبار الضباب المحدق بسواحل انجلترا على مدار السنة تقريباً سلاحا قوياً تبنى عليه المقابلة بين قوات الطرادات الانجليزية والاميركية

فترى مما تقدم أنه ليس من السهل عمل مقابلة بين القوات الحربية المختلفة ، وهذا ما يحمل كل دولة على الاكثار من السلاح الذى تزعم أنه أنفع لها من غيره . على أن أوربا فى العصور الحديثة قد لجأت الى سياسة المحالفات تحقيقاً لمبدأ توازن الدول . وهذه المحالفات تقضى على كل دولة حليفة أن تحتفظ بجيش معين تحت السلاح وأن يكون تسلحها على أساس والى مدى متفق عليهما تحقيقاً للغاية المنشودة من المحالفة

ترى هل هذه المحالفات فى مصلحة السلام أو هي خطر على السلام؟

قد تكون نعمة كما قد تكون نقمة. فليست العبرة بالمحالفة نفسها بل بالغاية الحقيقية التى تنطوى عليها. أى أنها قد تكون للهجوم وقد تكون للدفاع فقط وقد تكون لكليهما معاً. وعلى كل حال فان الحجة التى تستند اليها كل دولة عند الاكثار من التسلح هى حجة الدفاع الوطنى والرغبة فى دفع غائلة الاعتداء عليه. ومبدأ الدفاع الوطنى يقتضى تأمين البلاد حربيا واقتصاديا وضمان أسباب المعيشة والسعادة والرخاء. وليس هذا كل ما يراد بالدفاع الوطنى، ولكنه من أهم ما يتضمنه. لان الشعب الذى يعانى مرارة العيش قد يصبر على الضيم قليلا، ولكنه لا يستطيع الصبر طويلا. وهذا سبب أكثر ما نشاهده من الانقلابات والاضطرابات والحروب فى العالم. وفى الحقيقة أننا إذا أردنا تعميم السلام وترسيخ أسسه فى العالم فلا مندوحة لنا عن تأمين أسباب الراحة والرخاء والطمأنينة ومنع كل اعتداء وإزالة كل ظلم وحيف وتوسيع أبواب الرزق ورفع أسباب الشكوى والتذمر، وإلا فلا سلام يرجى للعالم

حيث الاموات يحسنون الى الاحياء

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة فوروم . بقلم السيدة آلما هيدين]

نشرت احدى المجلات الاميركية مقالة لاحدى السيدات فى موضوع الجنائز أوضحت بها اسراف بعض الناس ومجاوزتهم حد المعقول فيما ينفقونه على موتاهم فى سبيل شراء الازهار الغالية وتشييد الاضرحة الفخمة وإقامة مظاهر العظمة عند تشييع الجنازة، وما إلى ذلك من النفقات التى تذهب ضياعاً وتنزل الضيق بأسرة المتوفى. وفى الحقيقة أن تلك النفقات كثيراً ما تكون فوق طاقة أهل الميت. ولا شك أنه لو استطاع الميت أن يبدى فى الأمر رأياً لنصح أهله بعدم انفاق درهم على جنازته

ان فى الجيل الحديث روحاً جديدة بشأن الجنائز وشعائر دفن الموتى. فاكثر الناس يفضلون اليوم البساطة فى كل شيء مع الاحتفاظ بروعة الجنازة ومقتضياتها. وقد خطا أهالى السويد فى هذا السبيل خطوة موفقة، فان «جمعية احراق الموتى» الاسوجية انشأت نظاماً اقتصادياً يعرف بنظام التأمين. وهذه الجمعية تعنى باقامة الجنائز على أبسط الوجوه وأجلها. وهي تقبل من كل أسرة «تأميناً» لدفن من قد يموت من أفراد الاسرة. ولا يزيد مبلغ التأمين فى أية حالة من الاحوال على خمسة عشر جنيهاً يدفع قسطاً واحداً أو أقساطاً متعددة بحسب الرغبة. وقد يكون المبلغ أقل من ذلك بكثير. وعلى كل فهو مبلغ زهيد بالنسبة إلى ماقد تتحمله الاسرة من النفقات الباهظة لو اضطرت إلى القيام بالجنازة بنفسها

وفى بلاد السويد جمعية أخرى تسمى جمعية « أمناء أموال الازهار » وأغراضها مرتبطة بأغراض الجمعية الاخرى المذكورة آنفاً وهي تسعى لتكريم الموتى على وجه أحفظ لكرامة الميت من الوجوه الشائعة فى أكثر البلدان المتمدنة . فالناس فى معظم تلك البلدان ينفقون أموالا كثيرة لشراء أكاليل الازهار التى تحمل مع الجنائز . أما الجمعية التى نحن بصددها فتنصح أهل الميت وأصدقاءه بعدم انفاق المال فى شراء أكاليل لا تلبث طويلا حتى تذوى . وبدلا من ذلك تطلب منهم أن يتبرعوا بأى مبلغ من المال لاضافته إلى مالدى الجمعية . وهى تكتم مقدار هذا التبرع ولكنها تخبر أهل الميت ، فاذا أرادوا معرفة مقداره أطلعتهم عليه . والاموال المتجمعة من هذا السبيل تنفق على غرض خيرى . ونقرر هنا ان بين أعضاء الجمعية جمهوراً كبيراً من العظماء والوجهاء والوزراء والحكام وكبار رجال الدين والكتاب والشعراء وغيرهم

وتنفق الجمعية المال على مشروع كبير النفع وهو انشاء بيوت صغيرة للاشخاص المتقدمين فى السن ممن قد أناخ بهم الفقر . ولدى الجمعية الآن بيوت من هذا القبيل تكفى لايواء الف نفس يدفعون أجوراً زهيدة جداً لا تضارعها فى ضآلتها أجرة أى منزل . ومع ذلك فان جميع وسائل الراحة والصحة متوافرة فى هذه المنازل.ومن جملتها أن فيها مطعما (رستورانا) لتقديم مايطلبه سكان المنازل من الطعام بأجور هى غاية فى الضآلة ، اذ المراد أن تكون فى متناول جميع الذين يقيمون هنالك اذا هم أرادوا شراءها ،والا فهم أحرار فى طبخ أطعمتهم بأنفسهم فان لكل مسكن (شقة) مطبخاً خاصاً وحماماً خاصاً ، ومنافع خاصة . وكلها مرتبة بمقتضى أفضل الشروط الصحية . أضف إلى ذلك أن المطعم (الرستوران) المشار اليه مستعد لارسال الطعام إلى كل « ساكن » اذا لم يشأ الحضور بنفسه لتناول الطعام

وهنالك أيضا ــ فضلا عن المطعم ــ مخبز لبيع الخبز بأثمان زهيدة جداً لا مثيل لها فى أى مكان آخر فى العالم . وهنالك أيضاً مكان خاص لغسل الثياب وكيها بأجور زهيدة . وجميع المساكن (الشقق) مشغولة والاقبال عليها عظيم جداً لان جميع أسباب المعيشة الهنيئة مستوفاة فيها . والناس تطلب المساكن الجديدة منها باستمرار وكلما تجمعت الاموال الكافية لدى الجمعية شيدت منازل جديدة على ذلك النمط ، وفى هذا فضل للاموات على الاحياء

ومما يجدر بالذكر ان جميع اعلانات النعى فى بلاد السويد تختم بهذه العبارة وهى : « تذكروا جمعية أمناء أموال الازهار » . والشعب السويدى شديد الاقبال على تأييد هذه المساعى التى تبعث فى النفس كل راحة وطمأنينة . وفى الحقيقة ان أهالى السويد قد حلوا مشكلة الجنائز ، التى هى من أصعب المشاكل الاجتماعية الاقتصادية ، على أفضل الوجوه الممكنة . وفى هذا الحل طمأنينة لاهل كل ميت . ففى أكثر بلاد العالم المتمدنة ينوء أهل الطبقات الوسطى تحت ثقل الدين بسبب كثرة الانفاق على الجنائز . أما فى السويد فلا ترى اليوم أثراً لذلك على الاطلاق

العائشون فى عالم الاحلام

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة بسيكولوجيا
انه انسبريشن . بقلم ملتون باول]

التفكير نوعان : التفكير فى الحقيقة ، والتفكير فى الخيال . وقلما تجد فى العالم من لا يندفع فى النوع الثانى من التفكير معللا نفسه بالاحلام

انظر الى الكاتب البسيط فى احدى الشركات الكبيرة . لقد يجد من وقته فراغاً للانهماك فى الضرب الثانى من التفكير — أى فى الخيال — فيتصور نفسه وقد دارت الايام دورتها واذا هو فى كرسى الرآسة يامر وينهى ويفعل ما يريد . انه فى الحقيقة يحلم ويطلق لخياله العنان ! لقد تقول انه الطموح يدفعه الى التعلل بالخيال وان مطامعه هى مصدر ما يعلل به نفسه من الاحلام . ولكنها مطامع تقوم على العبث والفساد . لانه اذ يعلل نفسه بالوصول الى كرسى الرآسة قد يضطر الى ارتكاب المنهى عنه والى ازاحة كل من فى سبيله للوصول الى متمناه

ثم انه باندفاعه فى مثل هذا الخيال يسوغ لنفسه الوصول الى غايته من دون أن يبذل جهداً أو يكلف نفسه عناء . وبعبارة أخرى انه يعلل نفسه بالوصول الى غاية معينة طفرة وبطريقة سهلة يرتفع بها الى القمة على اكتاف غيره ممن هم أحق منه بالوصول الى تلك القمة

أما الذى يفكر تفكيراً جديا فهو يعالج الحقائق ويعترف بوجودها ويطبق سلوكه على مقتضاها . فاذا أراد أن ينجز أى عمل من الاعمال أخذ يفكر فى خير الطرق لانجازه ويضع الخطط المفصلة لذلك . وهو يريد الوصول الى غايته عن طريق الجد والعمل لا عن طريق الخيال . فلا يضيع وقتاً ولا يضن بجهد بل ينفق كل ساعة من ساعات عمله وفراغه فى سبيل تحقيق تلك الغاية ولا يجد من وقته متسعاً للتعلل بالاوهام والاحلام

ويقوم التفكير الخيالى على غاية هى اقرب الى الوهم منها الى الحقيقة — ونعنى بها تحقيق امنية تجول فى المخيلة او رغبة تختلج بها النفس . فيتصور ذلك المفكر نفسه وقد نال امنيته وتحقق الحلم الذى يتعلل به فاصبح بطل القصة التى استنبطها خياله وصار — مثلا — غنيا من أكبر أغنياء العالم يتمتع بما لم يتمتع به غيره من مال وجاه وسؤدد ولذات . وإذا كان هذا المفكر فتاة فقيرة فقد تتصور نفسها وقد هام بها شاب جميل الوجه من أهل الثروة والجاه فانهضها من حضيض الذل والمسكنة الى مستوى أغنى النساء

وكذلك يندفع الولد أيضاً فى الخيال فيتصور نفسه وقد أصبح بطلا من أبطال العالم يشار اليه بالبنان يتغلب بسهولة على كل من ينازعه بطولته

ترى هل مثل هذا التفكير فى الخيال والتعلل بالأمانى نافع للانسان أم مضر له؟

يزعم البعض أنه نافع وان أعظم التحف الفنية والمنتخبات الادبية وما تستنبطه القريحة انما هو من نتاج التفكير الخيالى . ولكن البحث العلمى الصحيح ينكر هذا الزعم ولا يجد ما يؤيده . بل ان كبار رجال الفن والادب الذين اشتهروا أكثر من غيرهم انما وصلوا الى ما وصلوا اليه من رفعة المنزلة لانهم كانوا يفكرون فى الحقائق أكثر من تفكيرهم فى الخيال . ولاشك ان أحسن ما استنبطته عقولهم وقرائحهم وأجدره بالبقاء هو ما يمثل الحقائق لا الاوهام والخيالات . فالاندفاع فى الخيال اذاً مضر غير نافع . بل هو غير منتج على الاطلاق لانه يقعد الانسان عن بذل الجهد ويقوى فيه الكسل والخمول . وفضلا عن ذلك فهو مضيعة للوقت ، والوقت ملاك العمل بل ملاك الحياة نفسها . والواجب على المرء أن ينفق كل دقيقة من دقائق الحياة فى العمل المجدى لا فى التعلل بالاوهام والاحلام . ولاشك أن الكثيرين من الناس يضيعون من الوقت فى مثل ذلك التفكير الخيالى ما لو أنفقوه فى تعلم علم أو لغة لعاد عليهم بأفضل النتائج . وخير للمرء أن ينفق كل يوم ساعة فى درس لغة نافعة من أن ينفق تلك الساعة فى التعلل بالاوهام والخيالات

والتفكير الخيالى قوى التأثير فى الانسان يستولى عليه بقوة تشبه السحر . فهو من هذا القبيل يشبه سلطان المشروبات الروحية على النفس بحيث يصعب التخلص من سلطانه كما يصعب التخلص من سلطان الخمر . وفى الحقيقة أنك قلما تجد بين المجانين فى المارستانات من لا ينفق جانباً من وقته فى التعلل بالاوهام والخيالات

ويزعم البعض أن فى التفكير الخيالى ضرباً من الرياضة العقلية وأن فى هذه الرياضة شيئاً من التسلية وقطع الوقت . ولكن لماذا تقطع الوقت بمثل هذا التفكير غير المنتج بدلا من أن تقطعه بالتفكير المنتج ، مع أن فى التفكير المنتج من الرياضة للعقل ما هو أفضل من التعلل بالاوهام . ان العاقل يجد مثل تلك التسلية فى التأمل فى الطبيعة وفى امتاع النفس بمظاهرها الخلابة ، فلماذا يعدل عن تسلية نافعة الى تسلية خيالية غير مجدية

وهنالك حقيقة يجب أن لا تعزب عن البال وهي أن التفكير الخيالى انما هو عرض من أعراض محاولة المرء التملص من حقائق الحياة المزعجة . ولكن مثل ذلك التفكير لا ينقذه من تلك الحقائق كما أن اخفاء النعامة رأسها فى التراب (إذا صحت هذه الخرافة) لا ينقذها من رؤية مطارديها لها . والمرء الذى ينهمك فى التعلل بالاوهام انما يحاول أن ينشىء بينه وبين حقائق الحياة المزعجة شبه شقة حرام حتى لا تصيبه تلك الحقائق . ولكنها محاولة يأس مصيرها إلى الاخفاق المحقق

وإذا كان الانسان طموحاً وكانت له مطامع يمالى نفسه بتحقيقها فان ذلك لا يكون بالانهماك فى التفكير الخيالى وفى التعلل بالاوهام والاحلام بل بالتفكير فى الحقائق الموصلة الى نتيجة حقيقية

وان شر ما يصيب المرء من التفكير الخيالى اندفاعه فى الخيالات الشهوانية . فهو إذا عجز عن ادراك غايته عن طريق الحقيقة عمد الى الخيال وفى ذلك من الضرر ما فيه وما لا يمكن أن يخفى على العاقل

حينما يبصر الاعمى

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة رسالة الاخبار العلمية. بقلم السيدة مرجورى فان ديواتر]

افرض أيها القارىء أن رجلا أعمى منذ ولادته استرد بصره فجأة ، فكيف يكون شعوره وماذا يكون حكمه على المرئيات ؟ هل يسر بذلك المنظر الفجائى وهل يستطيع أن يميز الاشياء بعضها عن بعض فيعرف أن هذا كتاب وذاك قلم وذلك سكين وتلك تفاحة وما بجانبها برتقالة ؟ أم يقف حائراً مذهولا مأخوذاً بروعة الكون الماثل أمامه وبجلال المرئيات التى تبدو لعينيه ؟

وقد قام أحد العلماء الاميركيين ببحث واسع النطاق فى هذا الشأن فانجلت له أمور غريبة ما كانت تخطر ببال أحد . ويؤخذ من هذا البحث أن قوة إدراك كنه المرئيات التى يقع عليها البصر لا تجىء فى الحال وأن أول ما يفعله الشخص الذى ينال بصره فجأة هو أنه يلتفت الى جهة النور وهو مدهوش مما يبصر مأخوذ بشىء من الرعب والخوف بسبب غرابة الاشياء التى يقع عليها بصره والتى ما كان فى امكانه ان يتصور أشكالها وهو أعمى

ومما يروع مثل هذا الشخص — والكلام مقصور على الذين يولدون عمياً ثم يبصرون — بعد مسافات بعض المرئيات عنه . فالغيوم فى أعالى الجو والطيور فى كبد السماء والاشباح تتحرك فى الافق — كل هذه أشياء تحيره وتأخذ بمجامع لبه بل هى تروعه لبعدها الشاسع

وفى الحقيقة ان الذى يولد أعمى ويظل كذلك أعواماً ثم يشفى من عماه يدهش عند أول رؤيته للعالم الماثل أمامه ولا يعرف أسماء المرئيات التى يقع عليها بصره . فقد كان قبلا يعرف الاشياء بلمسها أو بسماع صوتها . فلما فتح بصره أصبح مضطراً أن يعرف تلك الاشياء بأشكالها وألوانها . ومثل هذه المعرفة لا يستطيع أن يكتسبها طفرة بل لا بد له من تعلمها بالتمرين والممارسة . لذلك نراه يتفرس فى الاشياء مدهوشاً مما يقع بصره عليه . وقد يجد صعوبة كبيرة فى تعلم أسماء الاشياء لكثرتها وتنوعها . فقد يرى الكلب والقط ويسأل عن اسم كل منهما ثم يغلط بعد قليل فى تسميتهما إلا إذا استعان بحاستى اللمس والسمع فيعرف ان هذا كلب وذاك قط

أما وجوه الاشخاص فلا يستطيع التمييز بينها على الاطلاق . والاختبار يدل على أن الفكرة التى كانت لديه عن أعضاء الوجه — من عينين وحاجبين وأجفان وأنف وهلم جراً — تختلف كل الاختلاف عن الصورة التى انطبعت فى ذهنه حالما تفتحت عيناه

ويدل الاختبار أيضاً على أن مثل هذا الشخص يستطيع تمييز الالوان بالسهولة بخلاف تمييز الاشخاص . أما رأيه فى جمال بعض الاشياء وفى دمامة غيرها فلا ينطبق فى الغالب على رأى الرجل الاعتيادى ولا يشف عن ذوق سليم . فقد يبدى اعجاباً خاصاً بلون من الالوان دون غيره حالة

أن رجلا آخر تفتحت عيناه مثله يميل الى خلاف ذلك اللون

ويظهر أن حاسة اللمس التى يعتمد عليها الاعمى لا تساعده على إدراك الجمال الحقيقى . فا قد يزعمه — وهو أعمى — جميل الشكل بسبب جمال ملمسه قد يبدو له متى تفتحت عيناه قبيح الشكل مخيبا لأمله .

وأغرب ما يشف عنه هذا البحث أن رؤية الاشياء الاعتيادية تؤثر فى مثل ذلك الشخص تأثيراً غريباً . فمع أنه يأكل اللحوم على أنواعها وهو أعمى فانه ينفر منها نفوراً غريباً عند ما تتفتح عيناه ، حتى قيل ان أحدهم كان يصاب باغماء وقيء عند رؤيتها مع أنه كان قبل ذلك (أى قبل ان تتفتح عيناه) يلتذ بأكلها . ولا شك أن للالوان هنا دخلا كبيراً ، فان معظم العمى الذى تتفتح عيونهم يأنفون من أكل الخبز الذى لا يكون ناصع البياض ويميلون الى ما كان أبيض

ويدل الاختبار أيضاً على ان صور الاشياء المطبوعة فى مخيلة الرجل المولود أعمى تختلف كل الاختلاف عن صورها الحقيقية ، وأن هذا الاختلاف هو سبب الدهشة والذهول اللذين يستوليان على ذلك الرجل لاول مرة عندما تتفتح عيناه ، حتى ان أحدهم صور (بعد ان تفتحت عيناه) دجاجة كما كان يتصورها وهو أعمى فاذا صورتها أقرب إلى صورة حيوان خرافى منها الى صورة دجاجة اعتيادية

ولا بد من مرور وقت طويل حتى يعتاد الاعمى الذى تتفتح عيناه رؤية الاشياء على حقائقها



[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة مودرن بسيكولوجيست . بقلم الاستاذ باورز]

يقول علماء البيولوجيا ان أول خطوة من خطوات الحب هى الحياء ، وان الحياء ليس طبعا غريزيا فى الانسان بل هو عادة مكتسبة صقلتها المدنية بمرور الزمن حتى أصبحت كأنها خلق طبيعي. فالطفل الصغير مثلا لا يدرى للحياء معنى ، بل قد يقف عارى الجسم لا يحفل بمن حوله ولا يتطرق اليه شعور الحياء الا بعد أن يتقدم فى السن

ويغرس فيه ذلك الشعور عادة اما بالقدوة أو التنبيه أو العقاب أو النصح أوما الى ذلك . وتعمل هذه الوسائل أيضاً على ترك العادات الخارجة عن حدود الادب أو المنطق أو الحياء .

وبعبارة أخرى — ان الشعور بالحياء هو أثر من آثار المدنية بل مرتبة من مراتب تطورها . ولولا المدنية — أى لو ظل الانسان فى الطور الحيوانى — ما ظهر للحياء أى أثر فى حياته أو فى تصرفاته بل لبقي كالحيوان لا يعرف لذلك الشعور معنى على الاطلاق

فاذا نظرنا الى الشعوب المنحطة ـ كسكان اوستراليا الاصليين وبعض شعوب أفريقا وأميركا الجنوبية الذين ما يزالون فى طور الهمجية ـ رأيناهم يعيشون كالحيوانات عراة لا أثر للثياب على أجسامهم . وفى الحقيقة ان نشوء الشعور بالحياء وعادة لبس الثياب قد تطورا معاً على ممر العصور حتى وصلا الى الطور الذى هما عليه فى الوقت الحاضر

وقد أرجع علماء النفس الشعور بالحياء الى عاملين : أحدهما حيوانى والآخر اجتماعى . فاما العامل الحيوانى فرتبط بالشعور الجنسى فى الانسان وهو أقوى فى المرأة منه فى الرجل . ويزعم بعض علماء النفس أنه كان مقصوراً فى الاصل على المرأة فقط، وذلك لاسباب ليس هذا مجال الكلام عليها . وهذا يعلل ما نراه من كون الشعور بالحياء أوضح وأكمل فى الانثى منه فى الذكر . وما غريزة المغازلة (وهى أوضح فى المرأة منها فى الرجل) سوى دليل على شدة الكفاح بين الشعور الجنسى والشعور بالحياء فى المرأة . ويعتقد علماء النفس أيضا ان الشعور بالحياء مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحاسة النفور من الاعضاء المفرزة فى الجسم . ولهذا ترى جماعة من أعرق الشعوب فى الهمجية تبالغ فى ستر تلك الاعضاء لشدة النفور مما تفرزه

ومهما تكن الحقيقة فان الشعور بالحياء نسبى يختلف باختلاف المكان والزمان . فما يحسبه الشرق عيباً قد لا يحسبه الغربى كذلك . وما يخجل منه الاوربى قد لا يخجل منه الافريقى

خذ شعوب أوستراليا الاصلية وأهالى بورينو وبعض قبائل اواسط أفريقا وغير هذه من الشعوب العريقة فى الهمجية تجد من جملة العادات المنتشرة بينها عادة الزواج الاباحى التى تكون المرأة الواحدة بمقتضاه زوجة لجميع رجال القبيلة على السواء بلا قيد ولا شرط . ومن عادات شعوب « بولينيزيا » وبعض قبائل هاوايى ان المرأة المتزوجة لاتكون زوجة رجل واحد فقط بل زوجة جميع اخوته أيضاً اذا كان له اخوة . وكل منهم يعتبرها زوجة شرعية له ، عليه أن يقوم باودها ويقدم اليها كل ما هى فى حاجة اليه من غذاء وكساء

وأغرب من ذلك ان الشعوب ـ حتى المتمدنة ـ تختلف نظرتها الى الحياء اختلافا تاماً . ويتضح هذا جلياً من عادة الحجاب . فبعض النساء يسترن وجوههن وبعضهن يسترن رءوسهن وبعضهن يسترن أقدامهن . كل ذلك دليل على أن الشعور بالحياء نسبى . وأى دليل أصدق على صحة هذا القول من ان الفتاة الصينية تغطى قدميها وتسترها عن الانظار لان ذلك فى نظرها من مقتضيات الحياء ؟ حالة ان غيرها من الشرقيات تستر وجهها . وحالة ان بعض نساء البدو يغطين مؤخرة رءوسهن بدلا من ستر وجوههن . وفى الواقع انك اذا فاجأت امرأة فى خدرها فان حاسة الحياء عندها تختلف باختلاف جنسها والعادات التى قد ورثتها او اكتسبتها من أهلها . فان كانت مسلمة سترت وجهها . وان كانت بدوية سترت شعرها . وان كانت صينية سترت قدميها وان كانت من شعب آخر اعربت عن حيائها بما جرى به العرف فى عشيرتها

الاولاد والعادات الرديئة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة سيكولوجي اند الصيريشن، بقلم السيدة مرجريت برادى]

يقتبس الاطفال العادات الرديئة بسرعة البرق الخاطف . فاذا أردت اكسابهم العادات الجيدة صعب عليك ذلك . ومن الاطفال من يمر بهم زمن الطفولة من دون ان يكتسبوا أية عادة رديئة، ولكن هؤلاء قليلون جداً وأكثر الاطفال يكتسبون العادات الرديئة الواحدة تلو الاخرى

وفي مقدمة هذه العادات مص الاصابع والامتناع عن النوم والتبول في السرير وحب المماكة والمناقضة ورفض أكل بعض الاطعمة والظهور بمظاهر نوبات عصبية وما الى ذلك . وسبب اكتساب الاطفال لهذه العادات غريزة التقليد فيهم وعدم كفاية الذين يقومون بتربيتهم ووضعهم في بيئة يسودها الاضطراب وعدم العناية بمسألة تغذيتهم وعدم تعويدهم الانتظام في معيشتهم ، الى غير ذلك من الاسباب

فاذا أرادت الأم تقويم خلق طفلها وجب عليها ان تعنى بالاسباب لا بالنتائج فان استئصال السبب هو العلاج الافضل

خذ عامل التقاليد مثلا . فاذا كان الطفل في بيئة حسنة فليقلد من كان في تلك البيئة إذ لا خطر من ذلك على الاطلاق . ومما يجدر بالذكر هنا أنه من أعظم الاخطار تنبيه الطفل الى عادة لم يكتسبها بعد بالتشدد في نهيه عنها . فمثل هذا ينبه ذهنه إلى تلك العادة ويغريه بتقليدها ليختبرها بنفسه وهذا مصدر خطر كبير . أما إذا كان الطفل قد شرع في اقتباس عادة وانصرف اليها بكليته فالواجب اتخاذ الاحتياط اللازم لصرفه عنها . وعلى كل أم ان تتذكر أن تهاونها في صرف طفلها عن عادة من العادات قد يؤدى الى رسوخ تلك العادة فيه بحيث تصبح طبيعية ولا يبقى للطفل أى سلطان على نفسه ليتمكن من ابطالها

والمعروف عن الاطفال وصغار الاولاد أنهم يرغبون كثيراً في جذب الانظار اليهم ويتغاظون ممن لا ينتبه اليهم أو لا يعنى بمراقبتهم . وهذا الشعور غريزى فيهم ، فيجب على جميع أعضاء الاسرة أن يتظاهروا بالاهتمام بهم حتى يشعر أولئك الاولاد بأنهم جزء متمم للاسرة . ومما يدعو الى الاسف أن اكثر الوالدين انما يظهرون الاهتمام بأطفالهم عند ما يسوء سلوكهم أو يرتكبون أية هفوة فيوبخونهم ويتشددون في معاقبتهم ، وقلما يهتمون بهم في غير تلك الحالة . على ان اكثر الاولاد يفضلون أن يصفعهم والدوهم من وقت الى آخر على أن لا يكترثوا لهم على الاطلاق . فالعلاج الافضل هو أن يعطى الطفل ما يمكن من العناية والاكتراث كلما عمل صالحاً . وأن يطرد من الغرفة إذا أساء . وقد يكون من المفيد ان يحرم شهى الاطعمة ، وعلى كل فان أكثر الاعمال التى يعملها

الاطفال مما تسميه العامة « شقاوة » ناشيء عن عدم توجيه ما يكفي من العناية اليهم . وقد يظن البعض ان تكرار التوبيخ والضرب والعقاب قد يصلح الولد . ولكن مثل هذه الوسيلة قد تنشيء فيه قلقاً واضطرابا مستمرين

فاذا أريد ابطال أية عادة رديئة فى الولد وجب توجيه الاهتمام الى ازالة روح العناد والمقاومة منه . وليس معنى هذا أخذ الولد بالشدة والضرب والعقاب لأتفه الاسباب بل اعطاؤه الاوامر المعقولة من وقت الى آخر مع تنفيذها بدقة واهتمام . وليحاذر الوالدون من اصدار الاوامر والقيود غير المعقولة والتى لا ضرورة لها . وفى الحقيقة يجب اطلاق الحرية التامة للاولاد ليفعلوا ما يشاءون إلا اذا كان ثمة سبب وجيه يقضى بمنعهم ، لان قولك للطفل : « لا تفعل هذا . . ولا تفعل ذاك . . ولا تفعل ذياك . . . » لغير سبب وجيه ليس من المنطق فى شيء ونتيجته جهل الولد يندفع فى عمل مايريد من غير اكتراث لنواهيك

عند ما تكثر الام من تتبع الولد ولا تريحه من الاوامر والنواهي لحظة واحدة (وهي تكاد تعلم أن ابنها لن يخضع لذلك السيل من الاوامر والنواهى) تنشأ فى الولد حالة يسميها علماء البسيكولوجيا « الحالة العكسية » والمراد بها ميل الطفل الى عمل عكس ما يطلب منه . فاذا قيل له : لا تخرج . خرج . وإذا قيل له : لا تلعب . لعب . وإذا قيل له : سر يميناً . سار شمالا . وهذه الحالة تجعل الام والولد فى حرب مستمرة طول النهار . فاذا كانت الحالة بينهما قد وصلت الى هذا الحد فستعانى الام صعاباً جمة فى محاولتها العودة الى الحالة الطبيعية . فاذا تشددت فى معاملة الولد باحراجه ومواصلة توبيخه وعقابه اتسع الخرق بينهما . والحكمة فى مثل هذه الحال تقضى بالاقلال من الاوامر والنواهي وبالاقتصار على الضرورى منها مع وجوب تنفيذها . لان اصدار أى أمر وعدم الاهتمام بتنفيذه جهل مطبق . ثم ان أكثر الاولاد يميزون الفرق بين التصرف العادل والتصرف غير العادل . ومن الخطأ ارتكاب الظلم فى معاملة الولد ثم محاولة تسويغ ذلك الظلم . والحكمة تقضى أيضاً بمعاملة جميع الاولاد على السواء وبعدم التمييز بينهم . وإذا ارتكبوا هفوة لم ينبهوا اليها أو يعاقبوا عليها ، فان معاقبتهم عليها عند ما يرتكبونها مرة أخرى لا بد أن تحدث فى أنفسهم شعوراً غريبا ، وكثيراً ما يكون الوالدون هم سبب سوء الخلق الذى يكون عليه الولد لان اهمالهم تربيته على أقوم المبادىء ينشيء فيه روحاً لا شك أنهم يتعبون إذا حاولوا تقويمها فيما بعد . ولعل أفضل علاج فى مثل هذه الحالة تغيير بيئة الولد ومنحه شيئا من الحرية مع جعله يشعر على قدر الطاقة بالتبعة التى عليه

وقد لا يخلو اللين فى المعاملة من احداث الاثر الطيب فى الولد . فاذا كان الولد يلعب فى الشمس وأرادت أمه اقصاءه عن الشمس فليس من الحكمة أن تلجأ الى توبيخه وإظهار الغضب عليه

وتهديده بالعقاب . بل الافضل أن تخاطبه بلين ومحبة وتسأله : «ألا يظن أن اللعب فى الناحية الاخرى من الحديقة حيث لا توجد الشمس أفضل له ؟» ان الام بمثل هذا السؤال قد تنال من ابنها مالا تناله بالضرب والشتم والتهديد والوعيد

وإذا أظهر الطفل أية فضيلة فيجدر بوالديه ان يمتدحوه عليها ويذيعوها (بحضوره) أمام كل زائر وزائرة تشجيعاً له وترسيخا لتلك الفضيلة فى نفسه . وخطة كهذه تثمر أطيب الثمرات . وليحذر الوالدون توبيخ أولادهم أمام الزائرين والزائرات . وليغضوا الطرف قليلا عن هفوات الاولاد إذا كانت مما لا يترتب عليها ضرر أو خطر

وهنالك مسألة على جانب عظيم من الشأن ونعنى بها مسألة الغذاء . فاذا كان الولد عصبى المزاج حاد الطبع ميالا الى النزق فالافضل اقلال اللحوم والمنبهات أو حذفها من طعامه ولو مؤقتاً . وليس من الحكمة محاولة اصلاح الولد وتقويم ما فى خلقه من عوج وحدة طبع قبل أصلاح غذائه وتغيير بيئته . فلهذين العاملين تأثير قوى فى تحسين خلق الولد وتنشئته على الطباع السليمة والصفات المستحبة . وليعلم الوالدون أن أخلاق الاولاد لا يمكن أن تصلح أو تستقيم إلا إذا كان غذاؤهم ملائماً لهم وبيئتهم موافقة لحالتهم النفسية من كل وجه . أما محاولة ابطال أية عادة سيئة من دون محاولة استئصال السبب الذى أدى إلى رسوخ تلك العادة فسعى لا يرجى له نجاح

تجارة مجرمة

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة كرنت هستوري . بقلم اغناطيوس فاير]

منذ عهد قريب كان كاتب هذه السطور يسير فى شارع احدى مدن مراكش فمر بسوق المدينة يجيل الطرف فى كل ما يشاهده حواليه . وما كانت أعظم دهشته إذ أبصر جماعة من الرجال والنساء والاولاد من البيض والسود معروضين للبيع كما تباع السائمة ، والدلال يصيح بأعلى صوته يصف تلك «البضاعة» أحسن وصف تشويقاً للراغبين فى شرائها ، ويعرض كل واحد أو واحدة من اولئك التاعسين على الانظار ويقلبهم على كل وجه ليرى الناس محاسنهم . وكان اذا عرض فتاة منهم صاح بأعلى صوته : الله اكبر ! انظروا أيها السادة الى هـذه الحسناء الفاتنة ذات الوجه الجميل والعينين الدعجاوين ! انظروا . . . انظروا . . . فيتقدم أحد الراغبين فى الشراء وبعد أن يفحصها يعرض على الدلال ما يساوى ثلثمائة أو اربعمائة من الريالات . فاذا لم يزد غيره الثمن فاز بهـا ودفع ثمنها الى كاتب جالس على المنصة يسجل حساب البيع

ان ماشاهده كاتب هذه السطور فى تلك السوق ما يزال يجرى الى اليوم فى أسواق كثيرة حيث يباع

الناس كما تباع الانعام . وفى العالم خمس عشرة دولة – بعضها من أعضاء عصبة الامم – تروج فيها النخاسة رواجاً عظيماً وفى مقدمتها بلاد الحبشة التى هى من أعضاء العصبة . ويقدرون عدد العبيد فيها بنحو ملونين اغتصبهم النخاسون من أهاليهم عنوة فى غارات فجائية . وطريقة اغتصابهم أن جهوراً كبيراً من النخاسين المدججين بالاسلحة يهاجمون قرية فى ظلام الليل فيوقعون الرعب باهاليها وقد يحرقون أكواخهم ويقتلون منهم من يقاومهم ويأسرون من يستسلم . ثم يقيدون غنائمهم بالسلاسل وينصرفون بهم تاركين الجرحى والمرضى ليموتوا أو لتفترسهم الوحوش . وكثيراً ما يبلغ عدد الاسرى الذين يفوز بهم اولئك النخاسون بضعة آلاف بينهم الرجال والنساء والاولاد

وأشد خطراً من هذه الغارات التى يشنها النخاسون الاحباش على الاملاك البريطانية الافريقية . وقد وقعت نحو مائتى غارة من هذا القبيل فى السنوات الاخيرة واستلب الغزاة غنائم كثيرة خلاف الاسرى . ولما كان امبراطور الحبشة يشدد فى منع النخاسة فان النخاسين الاحباش يزاولون تجارتهم هذه فى الاقاليم الحارة المنخفضة من بلاد الحبشة حيث تصعب المراقبة أو تكاد تتعذر وحيث يجنى النخاسون المكاسب العظيمة . ومما يجدر بالذكر ان جلالة هيلا سلاسى امبراطور الحبشة يبذل جهوداً كبيرة لمنع النخاسة . وقد أنشأ فى بلاده مصلحة خاصة لهذا الغرض ولكن الصعاب التى تلاقيها هذه المصلحة عظيمة جداً

وما يزال الاقبال على شراء العبيد كبيراً جداً فى أنحاء كثيرة من العالم . ففى بلاد العرب يعتبر العبد وما ملكت يداه ملكاً لسيده . وفى جمهوريات اميركا الجنوبية يكلف العبيد القيام بجميع اعمال السخرة . وكذلك الحال فى المستعمرات البرتغالية . أما فى الصين – حيث الحياة البشرية رخيصة جداً – فالنخاسة فيها رائجة منذ أقدم العصور ولم تبطل قط . ويقدرون عدد العبيد فى المقاطعات التى تعتبر أرقى مدنية من غيرها بعدة ملايين . اما الذين فى المقاطعات الاقل مدنية فلا يمكن تقدير عددهم

وعلى كل فان القارة الافريقية هى أكبر مورد للنخاسة . وقد قامت جريدة «الماتان» الباريسية بمباحث واسعة النطاق فاتضح لها ان فى بلاد الحبشة قبائل كثيرة يباع فيها العبيد علناً برضى البائع والمشترى ، وأن اهالى هذه القبائل لايشنون الغارات للحصول على العبيد بل هم يحصلون عليهم بالمساومة وبمفاوضة أهاليهم . وهذه القبائل ترسل « بضاعتها » الى اسواق أديس ابابا نفسها حيث تباع علناً . واتصل بالجريدة المذكورة أيضاً انه اذا كانت القبيلة فقيرة أو كان زعيمها يأبى دفع الضرائب فان النخاسين يعرضون أن يدفعوا تلك الضرائب عنه ثم يستوفون الدين بأن يأخذوا عدداً كبيراً من افراد القبيلة عبيداً برضى الزعيم . وزيادة فى الاحتياط يذهب النخاسون «ببضاعتهم» الى معاقل جبلية يصعب الوصول اليها أو الفرار منها ويدافع عنها حرس خاص . فيضعون « البضاعة » هنالك الى ان يتسنى لهم «تصريفها» . وقد أوفدت الجريدة المذكورة مندوبين لزيارة قرية جبلية يستخدمها

النخاسون لخزن « بضاعتهم » . فسار المندوبون فى ازقة قذرة ضيقة حتى وصلوا الى ساحة مسورة بجدران عالية وقد قام على حراستها جماعة يدل منظرهم على قسوة وشراسة عظيمتين . وفى هذه الساحة أبصر المندوبون عدداً من الرجال والنساء قد استولى عليهم الرعب والذهول لجهلهم مصيرهم وما هو مخبأ لهم فى ثنيات الاقدار . وقال الدليل للمندوبين : « سوف نبارح هذا المكان هذه الليلة لان السفر فى الليل اسلم عاقبة « لنا » . وفى الحقيقة ان الجماعة غادروا تلك القرية ليلا يحملون معهم امتعتهم « وبضاعتهم » . فتبعهم مندوبو الجريدة حتى وصلت القافلة الى سواحل الصومال الايطالية وكان رئيس القافلة قد اشترى لكل « عبد » جواز مرور (باسبورت) حبشياً زيادة فى الحذر والاحتياط

هذه هى التجارة الشائنة التى تسعى اليوم الدول المتمدنة الى استئصال شافتها . والاساطيل الانجليزية والفرنسية والايطالية تتعاون على هذه المهمة الشريفة فى أنحاء كثيرة من البحار ولا سيما البحر الاحمر وخليج العجم وسواحل افريقا وسواحل جزيرة العرب . ومع ذلك فان نجاح هذه الاساطيل ضئيل جداً لان للنخاسين حيلا وأساليب يصعب التغلب عليها . ولهم مخابىء يصعب العثور عليها ، وجميع سفنهم تمخر عباب البحر ليلا وهى مطفأة الانوار ولا تخشى لان ربابنتها يعرفون مسالك البحار خير معرفة

ومما يجدر بالذكر أن أربعين دولة قد وقعت معاهدة عصبة الامم الخاصة بمنع النخاسة.وقد بذل السر اوستن تشمبرلن الوزير البريطانى المعروف جهوداً كبيرة لحمل الدول التى وقعت تلك المعاهدة على اعتبار النخاسة ضرباً من « القرصنة » لكى يقضى الحكم على النخاسين بالموت ، ولكن جهوده لم تسفر عن النجاح . وعليه فما يزال النخاسون يظفرون بنحو خمسة آلاف عبد كل سنة من المستعمرات البريطانية الافريقية وحدها

والنخاسة رائجة فى بلاد العرب أيضاً مع ان جلالة الملك ابن سعود وقع اتفاقا فى سنة ١٩٢٧ مع بريطانيا العظمى لمنع الرقيق . وفى بعض بلاد العرب اليوم أسواق « رسمية » خاصة بالنخاسة يباع فيها الرجال والنساء والاولاد علناً . ذلك لان النخاسة متأصلة هنالك وليس من السهل القضاء عليها مع شدة رغبة الحكومة فى ذلك

والظاهر أنه ليس من السهل استئصال شأفة هذا الشر بعقد المعاهدات الدولية فقط لان هنالك عوامل كثيرة يجب القضاء عليها قبل كل شىء مع تنقيح بعض مواد القانون الخاص بالنخاسة . وقد القت مرة اللايدى سيمون زوجة السرجون سيمون وزير الخارجية البريطانية السابق خطبة فى هذا الشان ــ وهذه السيدة زعيمة المطالبات بمنع النخاسة ــ ومما قالته فى خطبتها : « ان هنالك سلاحاً واحداً نستطيع ان نشهره على النخاسة وهو سلاح الرأى العام . فيجب أن نستثير الرأى العام على هذه التجارة المحرمة . فبه وحده نستطيع القضاء عليها قضاء مبرماً »

هل تموت رأس المالية

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة اميركان مركوري . بقلم الاستاذ منكن]

يردد الكثيرون القول بأن الكابيتالسم (أى رأس المالية) على وشك الزوال ، وان أتباع هذا المذهب آخذون فى الاضمحلال . ولكن المنطق والاختبار يؤكدان لنا أنه ليس ثمة ما هو أقرب الى الخطأ من هذا الزعم ، فان رأس المالية (أو الرأسمالية كما يقول البعض) نظام قائم وسيظل قائماً ما دام الاجتماع . وهو أقوى اليوم مما كان منذ مائة سنة.ولعله أقوى فى روسيا السوفياتية نفسها مما هو فى أى مكان آخر فى العالم

كانت شكوى الاشتراكيين (وما تزال) مبنية على القول بأن العامل فى البلاد الخاضعة لنظام الرأسمالية قد أضاع وسائل الانتاج إذ لم تبق له سلطة على آلاته ومعداته . وقد كان الانسان يقوم بالعمل بنفسه مستعينا بالآلات التى كانت ملكه أى أنه كان يعمل وهو حر . فلما جاء العصر الآلى تغير كل شيء وتغيرت الآلات نفسها . فبعد ان كانت بسيطة يستخدمها العامل بنفسه أصبحت معقدة التركيب غالية الثمن لا يتسنى للعامل اقتناؤها . وكان التجار وأصحاب الاموال يدركون ما سيكون للآلات الضخمة من الاثر فى نظام الاجتماع فأخذوا يتسابقون الى شرائها . ومن هذا نشأ نظام الكابيتالسم أو الرأسمالية . وكان أنصار هذا النظام فى أوائل عهده — كما فى هذا العهد — معرضين لاخطار كثيرة . فقد ينفق أحدهم كل ثروته وما يملكه على شراء الآلات الضخمة ثم يظهر الى الوجود اختراع جديد يجعل تلك الآلات بلا قيمة

ولا حاجة الى القول بأن نظام الكابيتالسم — كغيره من نظم العمران — لا يخلو من المعايب . فقد يكون صاحب العمل (الكابيتاليسم) ظالماً شرس الطباع يرهق العمال بأشد أنواع الظلم والاستبداد . على أن العمال قد نظموا الآن شؤونهم وقيدوا أصحاب الاعمال بقيود تمنع عنهم الحيف والاجحاف . وليس ذلك فقط بل سنوا « اللوائح » والقوانين التى تحدد موقف العمال بازاء أصحاب الاعمال وتضمن أجور العامل وتحدد ساعات عمله وأيام عطلته وما له وما عليه إبان الصحة والمرض وفى غير ذلك من الحالات

ولاشك أن العمال أحسن حالا اليوم مما كانوا بالأمس وان أنكر الشيوعيون ذلك . فالعامل يعيش أحسن مما كان يعيش منذ خمسين سنة وله من أوقات الراحة والفراغ ومن الضمانات ما لم يكن يحلم به من قبل . ومع أن مشكلة البطالة لا تزال تزعجه وتقلق باله فهو اليوم أهنأ بالا وأسعد حالا مما كان فيما مضى . بل ان ما يأكله ويشربه ويلبسه هو أفضل اليوم مما كان بالامس . وحالة ولاده فى الصحة والمرض أحسن كثيراً مما كانت سابقاً

وهذا التحسن عام يشترك فيه الجميع ومرجعه الى تحسن أسباب الراحة والرفاهة وانتشار وسائل المعيشة الرضية. وفى الحقيقة ان انتشار السكك الحديدية والاوتوموبيلات وسائر وسائل النقل ورخص الثياب والاطعمة والملاهي وكثرة الالعاب ووسائل اللهو والتسلية ووفرة المعامل التى تنتج كل ما نحتاج اليه ـ كل هذه دليل على تحسن حالة الاجتماع وهي بلا شك وليدة نظام الكابيتالسم أو رأس المالية، ولاقيام لها بدون ذلك النظام حتى فى روسيا السوفياتية نفسها. وكان البلاشفة فى أوائل ثورتهم يصيحون ملء أفواههم أنهم سيقلبون نظام الاجتماع رأساً على عقب ويعيدون الى طبقة العمال سلطتها على وسائل الانتاج. والحقيقة التى لا مناص لهم من التسليم بها أن العامل الروسى هو اليوم أسير ضرب من الكابيتالسم لا يمكن السماح به فى غير روسيا لانه شر أنواع الكابيتالسم. فالعامل لا يملك هنالك الآلات التى هى وسائل الانتاج ولا المساكن الحقيرة التى يقطنها ولا المستودعات التى يستمد منها ثيابه وأطعمته ولا المدارس التى يرسل اليها أولاده ـ فكل ذلك ملك لغيره وليس له إلا أن يقبل العمل الذى يعهد به اليه والاجر الذى يعرض عليه. فاذا شكا أو تذمر أرغمه القانون على السكوت وقد يعاقب على تذمره بالاشغال الشاقة

وليس ذلك فقط بل ان العامل الروسى قلما يجد كفافه من الرزق لان ما زاد على ذلك الكفاف يضاف الى «رأس المال» وبعبارة أخرى أن القائمين بالامر والنهى هنالك يعصرون العامل ويستنزفون عرقه لا لتحسين حاله بل لزيادة قوة الانتاج لمصلحة المشروعات «الرأسمالية» لان أجوره تضاف الى رأس المال الذى يراد أن تشترى به العدد والآلات والمهمات من الخارج. والغريب أن العامل الذى تشترى تلك الاشياء بعرق جبينه لا سلطة له عليها ولاحق له للتعرض لها لان المشرف عليها السياسيون «الرأسماليون» الذين هم الكل فى الكل وبيدهم مقاليد الامور. وفى الواقع أن التغير الوحيد الذى أحدثه البلاشفة فى نظام «الرأسمالية» هو أنهم طردوا جميع «الرأسماليين» من البلاد واحتكروا رءوس أموال البلاد كلها بأنفسهم

أما العامل نفسه فقد أضاع حريته بحيث لا يؤذن له اليوم أن يقتنى أى شىء لا يسمح له به سيده ـ بل لا يؤذن له أن يقول أو يفعل أو يفكر أى شىء لا يسمح له به رؤساؤه

وهذه لعمر الحق نتيجة الاشتراكية المتطرفة المحتومة. فحالما ينتهى الكفاح بين رءوس الاموال المتجمعة والقوة السياسية ـ بحيث تبتلع احدى هاتين القوتين الاخرى ـ تهدر الحريات وتداس الحقوق. وليس من المهم لأية القوتين يكون الانتصار. فاذا انتصرت القوة السياسية نشأ عن انتصارها ذلك الضرب من الاستعباد الذى قد أحفظ اليوم العالم كله على روسيا. وإذا انتصر أصحاب رءوس الاموال نشأ عن انتصارهم النظام الذى نشاهده اليوم فى ايطاليا وألمانيا والذى قد أغضب الكثيرين. وفى الواقع ان النتيجة فى كلتا الحالتين تقضى على حرية الكلام والكتابة والاجتماعات القضاء المبرم وتخضع الفرد اخضاعاً تاماً بلا قيد ولا شرط

تقدم العلم والعالم

غاز حربي جديد

لا حديث للناس اليوم سوى الغازات السامة التي تستعملها الجيوش في الحروب. ويؤخذ مما جاء في بعض المجلات العلمية أن علماء الكيمياء قد وفقوا الى استنباط غاز جديد كثير الشبه بغاز الخردل. ومن المحتمل أن يستعمله المتحاربون في حروبهم المقبلة. واسم هذا الغاز العلمي «تريكلورو ترى ايثيلامين» ويكاد يكون هو غاز الخردل بعينه إلا أن النتروجين يحل فيه محل عنصر الكبريت. وهذا الغاز - كغاز الخردل - سائل ومن خواصه أنه اذا وقع على جلد الجسم حرقه. وقد كان اكتشافه بطريق العرض والاتفاق. ولا نعرف جميع خواص هذا الغاز حتى الآن

في أعالي الجو

تدل المباحث العلمية الخاصة بطبقات الجو العليا على أن سرعة الريح في الطبقة المعروفة بالستراتوسفير تبلغ نحو مائتي ميل في الساعة. وقد تمكن العلماء من قياس هذه السرعة بمراقبة آثار السحب التي تركها أحد النيازك في الجو وهو يهوي الى الأرض. فبمراقبة دخان ذلك النيزك وسرعة حركته في أثناء اجتيازه طبقة الستراتوسفير تمكن العلماء من معرفة سرعة الريح في تلك الطبقة الجوية العالية. ولا يخفى أن الخبيرين بشؤون الطيران يعتقدون أن الطيارات في المستقبل لن تطير إلا في طبقة الستراتوسفير لتنجو من السحب والأمطار والصواعق

الفراعنة واللعنة

كان من عادة المصريين القدماء أن يؤكدوا أقسامهم بالدعاء باللعنة على من يحنث في قسمه. ولعل أول من استعمل هذا الدعاء من ملوكهم سيتي الأول فقد دعا باللعنة على كل من يحاول قلب النظام الذي أسسه. واليك نص ما أمر بنقشه على جدار أحد المعابد. قال:

«لتنقلب الآلهة ناراً حمراء كلهب المجمرة ولتلتهم كل من لا يسمعني ولا يصغي لكلامي ولتهلك الآلهة جميع الذين يعارضون آمالي ويعبثون بمقاصدي»

ومما يجدر بالذكر أن معاهدة الصلح التي عقدها ملك مصر مع ملك الحثيين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد (أي منذ أكثر من أربعة آلاف سنة) مختومة بالدعاء باللعنة على الفريق الذي يخالف شروط تلك المعاهدة. واليك نص تلك اللعنة: «لتهدم آلهة مصر بيت الملك الذي ينكث عهده ويخل بشروط هذه المعاهدة. ولتخرب بلاده ولتهلك عبيده»

وكان الأقدمون - ليس في مصر فقط بل في بابل وفلسطين وغيرها - يؤمنون بقوة اللعنة ويخافون منها خوفاً شديداً

علماء الكيمياء الايطاليون

مما يدل على أن إيطاليا تفكر منذ زمان طويل في غزو الحبشة أن علماءها الكيميائيين

يعملون منذ بضع سنوات ليل نهار لاستنباط المواد الكيميائية التى تساعدهم على الحرب . فقد أصدرت مصلحة الكيمياء الاميركية التابعة للشؤون الخارجية بوزارة التجارة تقريراً يدل على عظم الجهود التى يبذلها العلماء الايطاليون فى سبيل تحقيق حلم ايطاليا . ويؤخذ من هذا التقرير أن ايطاليا منحت فى سنة ١٩٣٤ مائة وثمانى عشرة رخصة لتشييد معامل كيميائية جديدة فأصبح مجموع عدد تلك المعامل فى البلاد كلها ٨٧٤ معملا ، ومجموع رءوس أموالها نحو ألفى مليون وخمسمائة مليون ليرا . وفى مقدمة المباحث التى تقوم بها هذه المعامل ماهو خاص بالغازات السامة وبالمواد الكيميائية التى لاغنى عنها اليوم فى الحروب من غازولين وبترول وسبرتو وايدروجين واوكسجين ونتروجين وهيليوم وغير هذه من المواد التى قد أصبحت اليوم عصب الحرب

الزنابير لمكافحة دودة اللوزة

قرأنا فى إحدى المجلات العلمية الأميركية أن وزارة الزراعة الاميركية استوردت من مصر فصيلة من الزنابير لكى تستولدها وتكثرها وتستخدمها فى مكافحة دودة لوزة القطن ، إذ قد أثبتت التجارب أن الزنابير هى أشد الوسائل فتكا بتلك الآفة التى تهدد شجيرات القطن

وتقول المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر إن حكومة الولايات المتحدة استوردت سلالة خاصة من الزنابير من افريقا الشرقية ، وكان لا بد من تدريبها على الفتك بدودة اللوزة . فاطلقتها على حقول واسعة من القطن فى احدى مناطق القطن بالقطر المصرى وبعد أن تم تدريبها على المهمة التى كان يراد منها القيام بها جمعت وأرسلت الى الولايات المتحدة ، ولكنها لم تستطع أن تتحمل مشقة السفر فهلكت ، واضطرت حكومة الولايات المتحدة أن تعيد الكرة فاستوردت طائفة أخرى من الزنابير المصرية ونقلتها الى أميركا بعناية تامة وفى حالة جوية ملائمة من حيث البرد والحر . فوصلت الى العالم الجديد سليمة وقد شرعت وزارة الزراعة الاميركية تستخدمها فى سبيل الغرض الذى استوردتها من أجله

الاضطراب الفكري

هو عرض من أعراض الشيخوخة يصحب انحطاط قوى الانسان وتضاؤل نشاطه ، أو هو نتيجة ذلك الانحطاط . وتدل جميع الاحصاءات الطبية على ان نحو سبعين فى المائة من حوادث الاضطراب الفكرى انما تظهر فى الاشخاص الذين يجاوزون سن السبعين . ولا شك أن لكلا الوراثة والاجهاد العقلى تأثيرا واضحاً فى حالة الانسان الفكرية وعلاقة متينة بما ينتابه من الاضطراب الفكرى . وليس لهذه الحالة أية علاقة بالعته أو الجنون

حضارة مالطة القديمة

الأستاذ أوجولينى من أشهر علماء الآثار الايطاليين ان لم يكن أشهرهم . وقد فاجأ العالم حديثاً بنظرية جديدة فى أصل حضارة الانسان . ولا يخفى أن النظرية المسلم بها اليوم تقول إن الشرق هو مهد الحضارة ومنه انتشرت غرباً الى آسيا الصغرى فبلاد اليونان فالرومان وهلم جرا . أما الاستاذ أوجولينى فيؤكد أن

الغرب هو مهد الحضارة وأن جزيرة مالطة كانت مهدها الاصلى ومنها انتشرت شرقاً الى مصر وغيرها من البلدان . ودليله على ذلك الآثار المدهشة التى اكتشفها فى جزيرة مالطة وهى آثار معابد وبيوت مبنية بالحجر المنحوت ترجع الى نحو ستة آلاف سنة قبل المسيح أى الى نحو ثمانية آلاف سنة مضت . وهذه الآثار تدل على هندسة قويمة الأصول وعلى حضارة راقية لابد انها كانت قد استغرقت عدة أجيال قبل أن وصلت الى ذلك الحد من الرقى. فهل نحن الآن أمام فتح جديد فى عالم التاريخ ؟ وهل نحن على وشك اكتشاف مهد الحضارة البشرية ؟ ذلك ماستكشفه لنا الايام

مرض جديد

يخطىء من يزعم أن الامراض التى تصيب الانسان والحيوان والنبات هى هى منذ ظهور الحيـاة على الارض الى الآن . فالامراض تختلف باختلاف ظروف المكان والزمان . وهى تتطور بمقتضى تطور الميكروبات التى تسبب تلك الامراض. والميكروبات كما لايخفى لاتبقى على حالة واحدة بمرور الزمن بل تقوى أوتضعف أوتتغير تبعاً لعوامل مختلفة ليس هذا مجال الكلام عليها . ويظهر الآن أن مرضاً جديدا قد أخذ ينتشر فى الولايات المتحدة لم يكن معروفاً من قبل ولا سمع به أطباء القرن الماضى بل لم يسمع به طبيب منذ أكثر من سنتين . وهذا المرض يشبه الالتهاب السحائى وشلل الاطفال ومرض النوم معاً، إلا أنه أخف منها جميعها وأسلم عاقبة . وقد أطلقت عليه مصلحة الصحة الاميركية هذا الاسم العلمى وهو : « ليمفوسيتك كوريو منتجايتس » . وميكروب هذا المرض من النوع الذى يمر بالمرشحات . ومدة المرض من عشرة أيام الى خمسة عشرة يوماً . وهو لايترك بعد الشفاء أثراً فى المريض . والقردة والفئران والخنازير تصاب به . ويقوم الاطباء الاميركيون اليوم بتجارب كثيرة للحصول على مصل لمعالجة المصابين بهذا الداء

الجراثيم التى تمر فى المرشحات

لايخفى أن هنــالك جراثيم دقيقة جداً يسميها العلماء « فيروس » وتمر فى المرشحات لتناهيها فى الدقة والصغر . ويظن بعض العلماء أن هذه الجراثيم أو « الفيروسات » ليست أجساماً حية بل هى دقائق مادة بلورية تتكاثر بالانقسام لانها تمتص بعض المواد من الخلايا الحية فيساعدها ذلك على التكاثر . وقد تمكن معهد روكفلر للمباحث الطبية من اثبات هـــذه النظرية على الاقل فيما يتعلق « بفيروس » يتلف أوراق شجيرات التبغ. فقد أثبت أن الفيروس المذكور هو مادة بلورية تمتص مواد معينة من الخلايا الحية فتساعدها هذه المادة على الانقسام والتكاثر مع انها ليست أجساماً حية

فاذا صدق هذا القول فسيحدث انقلاباً كبيراً فى طرق مكافحة الميكروبات

التليفيزيون

لن ينقضى فصل الشتاء الحاضر حتى يكون جهاز التليفيزيون (أو الرؤية عن بعد) فى متناول كل أسرة فى انجلترا . ولن ينقضى خريف هذا العام حتى ينتشر التليفيزيون فى الولايات المتحدة انتشار الراديو فيها . وقد

خصصت شركة الراديو الاميركية الكبرى مبلغ مليون ريال أميركي لانشاء محطة تليفيزيون فى مدينة نيويورك ، وحالما يكمل بناء هذه المحطة ستشرع الشركة فى استثمارها

شجرة حلوب

فى بلاد جواتيمالا شجرة غريبة يسميها الاهالى « شجرة البقرة » وهى تدر لبنا كما تفعل البقرة الاعتيادية ولبنها عذب دسم غزير لا يمسه الهواء حتى يختر ويثخن فيصبح كاللادن تماماً . وبعض الاهالى يمضغونه كما يمضغون العلك . ويعتقد بعضهم أن لبن هذه الشجرة يصلح لصناعة اللادن ولا تفوقه أية مادة أخرى

السعداء في زواجهم

قام أحد الفرنسيين بجمع احصاءات حوادث الطلاق التى وقعت فى فرنسا منذ بدء القرن الحاضر حتى الآن فاتضح له أن ثمانية وثمانين فى المائة من حوادث الطلاق المذكورة كانت بين أزواج اشتهر والدوهم بشقائهم فى حياتهم الزوجية وأن ٦٥ فى المائة من تلك الحوادث كانت بين أزواج طلق آباؤهم امهاتهم . وهذا دليل على تأثير الحياة العائلية ، فان الزوجين السعيدين فى حياتهما العائلية يكونان قدوة لأولادهما ، وهذه القدوة تبعد أولئك الأولاد عن الحياة الزوجية التعسة وتربيهم على الحياة الهنيئة

الجذام

الجذام أو البرص من أقدم الامراض التى ابتلى بها الانسان . وكان المظنون حتى عهد قريب أنه من أمراض المناطق الحارة ومن الامراض التى تنشأ عن الأقذار . إلا أن المباحث الطبية الأخيرة أثبتت أنه ليس كذلك ، فهو غير محصور فى المناطق الحارة بدليل أنه كثير الانتشار فى كوريا واليابان وغيرهما من البلدان المعتدلة . بل لقد كان الجذام كثير الانتشار قديما فى بلاد النرويج وهى من البلدان الباردة . وقد حار الأطباء فى حقيقة الباشلس الذى هو سبب الجذام إلا أن الدكتور ويد وهو من كبار أطباء نيويورك قام بسياحات متعددة فى الأقطار التى تعد بيئة الجذام ، وبعد تجارب ومباحث واسعة النطاق تمكن من استنباته فى جو صناعى مؤلف من ٦٠ فى المائة من الأوكسجين و ٤٠ فى المائة من ثانى أوكسيد الكربون وهو الجو الملائم لنموه

ومن دواعى الاسف ان المصابين بالجذام لا يذهبون الى الاطباء إلا بعد أن يكون الداء قد تمكن منهم . ولعل لهم عذراً فى ذلك وهو جهلهم أعراض المرض الى أن تستفحل وتشتد ولولا ذلك لأمكن انقاذ الكثيرين لان هذا المرض ليس من الامراض المستعصية فى أدواره الاولى

مقابر الاقدمين

فى التوراة أن ابراهيم الخليل اشترى مغارة تدعى مغارة المكفيلة حيث دفن زوجه سارة . وقد اعلن الاستاذ وليم بادى مدير بعثة تل النصبة التى تعمل فى فلسطين انه عثر بين خرائب مدينة المصفاة الوارد ذكرها فى التوراة على آثار مقبرة كبيرة يستدل منها على الكثير من عادات أهل ذلك الزمن وشعائرهم وهى تشرح ما غمض من مراسم الجنائز فى زمن ابراهيم الخليل .

ويظهر أن القوم يومئذ كانوا يدفنون موتاهم فى المغاور فكان لكل قرية أو طائفة من الناس مغارة خاصة لا يشاركهم فيها أحد . ويظهر ان الاغنياء فى ذلك الزمن كانوا يقتنون مغاور خاصة لهم ولأهل بيتهم . وهذا ما فعله ابراهيم الخليل عندما اشترى مغارة المكفيلة إذ ابى أن يشاركه فيها أحد

معالجة السكر بطريقة غريبة

تقول رسالة الاخبار العلمية فى جزئها الصادر فى أول يونيه الماضى ان ثلاثة اطباء اميركيين قدموا إلى الجمعية الفسيولوجية الاميركية تقريراً شرحوا به نظرية جديدة فى معالجة مرض الدبابيطس (البول السكرى) بواسطة أشعة اكس . ولا يخفى أن البنكرياس هو العضو الذى يحتوى على الخلايا المنتجة لمادة الانسولين والمعروفة عند الاطباء بجزائر لنجرهانس » . فاذا تلاشت هذه الخلايا أو أصيبت بعطب حرم الجسم حاجته من الانسولين ونشأ عن ذلك مرض الديابيطس أو البول السكرى ويؤخذ من المباحث الطبية الحديثة ان فى الجسم غدداً اخرى ـ خلاف البنكرياس ـ لها علاقة بهذا المرض ،وهذه الغدد هى الدرقية والنخامية والكظرية ، وجميعها مسيطرة على السكر الذى يستنفده جسم الانسان . ويقول الاطباء المشار اليهم ان التجارب التى قاموا بها ببعض الحيوانات تدل على انه لو كان من السهل استئصال الغدتين الدرقية والنخامية من الشخص المصاب بالديابيطس لشفى من مرضه ، ولكن استئصالهما ليس من الهنات الهينات وانما تقوم مقامه معالجة الغدتين النخامية والكظرية بأشعة اكس وهذه المعالجة تشفى من الديابيطس

فوائد

• تنام الهوام والحشرات وتظل عيونها مفتوحة إذ ليس لعيونها أجفان تغطيها

• يقول العارفون بطبائع الحيوان وغرائزه إن النحل لا يطير فى جو تقل حرارته عن ٤٥ درجة بمقياس فهرنهيت

• من أدلة اهتمام الروس بمسائل الطيران انهم التقطوا حديثاً عشرات الألوف من الصور الفوتوغرافية للاشخاص الذين يهبطون من أعالى الجو بواسطة الباراشوت أو المظلة الواقية . وهم يلتقطون عشرات من الصور لكل شخص يهبط بالباراشوت وهذه الصور تبين مركز الجسم الهابط فى كل درجة من درجات هبوطه

• من الظواهر التى قد حيرت الأطباء الاميركيين والتى قد عجزوا عن تعليلها أن مرض السرطان منتشر فى بعض الولايات المتحدة انتشاراً رائعاً حالة كونه لا أثر له تقريباً فى بعض الولايات الأخرى . وقد حاول الكثيرون من الأطباء تعليل ذلك بنظريات مختلفة ولكن ليس بينها نظرية واحدة يقبلها العلم

• بلغ ما استخرج من سكر البلح فى العام الماضى فى جميع انحاء العالم الف مليون رطل

• زاد عدد الاطباء فى المانيا زيادة اوجبت على الحكومة اتخاذ الوسائل لوضع حد لها

• تدل الاحصاءات الاقتصادية على ان مرض السل يقتضى من النفقات ما لا يقتضيه اى مرض آخر وذلك بسبب طول المرض وما يقتضيه من وسائل المعالجة

كتب جديدة

١ ـ من بعيد
٢ ـ أندورماك

للاستاذ الدكتور طه حسين

طبع (من بعيد) بالمطبعة الرحمانية بالقاهرة، وأندروماك بالمطبعة الاميرية بالقاهرة صفحاتهما ٣٠٩ و ٧٣

وهاتان نفحتان من نفحات صديقنا الدكتور طه حسين فى ميدان التأليف والترجمة وهما ذخيرتان ادبيتان من تلك الذخائر الأدبية التى يهديها بين الآونة والأخرى الى اللغة العربية والى الأدب العربى ، فتزيد من ثروة هذا الأدب فى النهضة الحديثة ، التى لا ريب أن صديقنا فى المقدمة من الوافين لها الحريصين على تقدمها ، وقد جمع فى كتابه « من بعيد » الآثار القلمية النفيسة التى دبجها ونشرها بين سنتى ١٩٢٣ و ١٩٣٠ . وهى مع اختلاف أغراضها وموضوعاتها ، ترتبط برباط البعد فى الزمان والبعد فى المكان كما يقول الدكتور طه فى مقدمته . وهذا البعد يغرى الكاتب ويغرى قراءه بأن يروا كيف كان يكتب ، وكيف كان يفكر فى سنواته الماضية . وهى رابطة قد تفيد فى الحكم على الكاتب وفى دراسة حياته ، بجمع آثاره كلها ، والمقارنة بين أطواره المختلفة . والدكتور طه من أعلام الأدباء الذين تجب دراستهم بعد عمر طويل ..

أما الكتاب من حيث هو موضوع واحد فهو ذكريات عما حضره وشهده فى سفره الى باريس وبلجيكا وفينا . وقد قسمه أربعة أقسام تناول فيها التحدث عن بعض الشخصيات الفرنسية ووصف بعض المشاهد ، وحضوره مؤتمر العلوم التاريخية ، وماخالجه من الخواطر وما أوحي اليه من الآراء والأفكار فى متاع هذه الأسفار

ويعجبنا منه قوله فى مقال « فى السفينة » :

« وكيف أستطيع مثلا أن أفى لهؤلاء الأصدقاء البررة الذين عادونى ، فأحسنوا العيادة ، وودعونى فأحسنوا التوديع بما أنا مدين لهم به من شكر وثناء ؟ كيف أفى لهم بذلك وهو أجل من أن يفى به كاتب ، وأدق من أن يصل اليه واصف ، وهى عبارة حسنة تنم عن سريرة طيبة طالما نمت عليها عباراته فى جميع ما يكتب ، وليس وفاؤه لأصدقائه فقط ، بل هو أعظم وفاء لقرائه

أما « أندروماك » فهى قصة ممتعة استعارها « راسين » من الحياة اليونانية القديمة ، ولكنه لاءم بينها وبين عصره الذى كان يعيش فيه ، كعادته فى رواياته التاريخية ، وقد صور فيها المرأة أصح تصوير ، صورها فى حبها وبغضها ، صورها فى تلك العاطفة الغريبة التى تخدع الغير بالتظاهر بغير ما تبطن فى نفسها ، بل تخدعها هى ، ثم تثوب الى رشدها ، فترى ضعفها ، وتكاد تؤمن به ، ولكنها تأبى أن تعترف بهذا الضعف ، وأن تحمل نتائجه ، فتلقى بها على غيرها وكأن قلبها وهى يفوه بالبغض والحقد والانتقام يكذب لسانها

وستمثل هذه القصة الفرقة المصرية

الحكومية بأسلوب الدكتور طه فقد ترجمها ترجمة قوية بلغت الغاية من اتقان الترجمة وبلاغة الاسلوب لجمع فيها بين صفاء الفكر الفرنسى وجودة الاسلوب العربى . وترجمة كهذه الترجمة للقصص التمثيلية التى يشهدها مختلف الطبقات تعود الجمهور البلاغة - ولو فى قليل من العسر - وتقرب اليهم الأدب العالى وتقضى فى القصص على الاسلوب العامى الممجوج

الاسلام فى الحبشة

بقلم الاستاذ يوسف احمد

طبع بمطبعة حجازى بالقاهرة صفحاته ١١٠

وقام بعض الكتاب يذكر المسلمين بما للحبشة عليهم من حق كريم ، أوجبه ما فعلوه مع المهاجرين المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما هاجروا الى الحبشة . وقالوا ان ما فعلته الحبشة مع المهاجرين يعد مكرمة خالدة . ونحن وان كنا ممن يحفظون الجميل ، ويخضعون للحق ، الا أننا أحببنا أن نبين للمسلمين ارتباط الحبشة بالاسلام قديماً وحديثاً على الوجه الصحيح . ليعرفوا ما لهم وما عليهم نحوها حتى يكونوا على بينة من الأمر، وليدركوا بأن عطفهم على الحبشة لم يكن رداً لجميل سابق لها على الاسلام ، بل لانها دولة شرقية تحاربها دولة غربية ، وان شئت فقل لأن الانسان جبل بطبعه على الانتصار للضعيف

ويقول المؤرخ الاستاذ يوسف احمد مفتش الآثار العربية سابقاً إنه ألف هذا الكتاب الذى يضم بين دفتيه وثائق تاريخية قيمة عن أحوال المسلمين فى مملكة اثيوبيا ، لعل المصريين خاصة ، والمسلمين عامة ، يطالبون النجاشى بعد أن تضع الحرب اوزارها باصلاح شئون المسلمين فى مملكته ، ودفع الأذى عنهم ، وفك الاغلال عن أعناقهم ، واعطائهم حقهم من حرية الدين والتجارة والصناعة والزراعة، وأن يمنع عدوان الروس الجبابرة عن أموالهم وأرواحهم . وقد تناول فى هذا الكتاب تاريخ الاسلام وأحوال المسلمين فى الحبشة منذ الهجرة حتى الآن . كما تناول تأثير الاسلام فى هذه البلاد ، وكيف انتشر ، وكيف كان يقاوم ، ولغات المسلمين فيها، وأسماء الشعوب الاسلامية والحبشية ، والطرق الصوفية وتأثيرها فى نشر الدين الاسلامى بين الأحباش وحكام المسلمين هناك وولاؤهم للحكومة الحبشية ، الى غير ذلك من الموضوعات المفيدة الطريفة التى انفرد بها هذا الكتاب القيم بقلم مؤلفه المحقق الكثير الدأب فى سبيل التاريخ الاسلامى والآثار الفنية الاسلامية

الكيمياء العضوية

تأليف الاستاذ عبد الواحد فهمى

طبع بمطبعة دار النشر والتأليف التجارية بالقاهرة . صفحاته ٢٤١

العلوم الطبيعية علوم مع قيمتها وفائدتها لها لذة ولها امتاع لان الطبيعة جميلة وكل ما يتصل بها ولا سيما ما يتعلق باسرارها جميل . ولكن الشعور بلذتها وامتاعها يزيد كلما ألم القارىء بطرف منها . والكيمياء العضوية لها علاقة قويمة بالمسائل الحيوية من زراعية وصناعية . ولذلك فطلاب الزراعة والصناعة يحتاجون الى دراستها ويحتاجون فى الوقت نفسه الى ما ييسر لهم هذه الدراسة ويسهل لهم موضوعاتها .وهذا التيسير وذاك التسهيل تجده

فى كتاب (الكيمياء العضوية) للاستاذ عبدالواحد فهمى الحائز لدبلوم الزراعة المصرية ودبلوم الكلية الزراعية الملوكية بانكلترا

والكتاب يحتوى على احد عشر بابا باسلوب سهل واضح ، اتبع المؤلف فيه طريقة التشويق بحيث لا يشعر الطالب فى دراسته بصعوبة أو يقف أمامه تعقيد

أساطين العلم الحديث

تأليف الاستاذ فؤاد صروف

طبع بمطبعة المقتطف . صفحاته ٢٧٧

لعله ليس أمتع فى قراءة التاريخ من مطالعة سير عظماء الرجال ، بل ان تراجم العلماء والمخترعين ودهاة الساسة ودهاقين الحكم ، فضلا عن المتعة واللذة اللتين تشبعان النفس من قراءتها ، فانها كثيراً ما توحى الى القارىء وتحفزه الى متابعة سيرهم والتشبه بهم

وفى هذا يقول لنا الأستاذ فؤاد صروف : « اولعت منذ حداثتى بتراجم العظماء فقرأت اولا كتاب سر النجاح ثم تصفحت مجلدات المقتطف فطالعت فيها التراجم ... » إلى أن قال: « وقد تركت هذه التراجم فى نفسى أثراً تحول بعد الدرس والاختبار وموالاة المطالعة فى كتب التراجم الى ايمانى بان خير الوسائل لعرض المعارف على الشبان والشابات وتشويقهم الى الاستزادة منها ، يقوم على ادماج الحقائق العلمية المختلفة فى صلب تراجم العظام والعظيمات »

أما كيف بسط المؤلف سير العظماء الذين ترجمهم فى كتابه فانا نكتفى بتهنئته على التوفيق العظيم الذى أصابه فى هذا الكتاب الجدير بان يكون مرجعاً هاما من المراجع التاريخية الموثوق بها

الضوء اللامع

طبع بمطبعة القدسي بباب الخلق بالقاهرة .
صفحاته ٣٥٢

أهدت الينا مكتبة القدسى بالقاهرة الجزء الثانى من هذا المؤلف النفيس الذى وضعه المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى . ولمكتبة القدسى فضل كبير على اللغة لعنايتها باخراج المؤلفات النفيسة ونشرها بين قراء اللغة العربية . والكتاب الذى نحن بصدده هو تاريخ جامع لتراجم مشاهير الاسلام الذين نبغوا فى القرن التاسع للهجرة . وفيه تراجم نحو الف منهم ممن سار ذكرهم فى جميع الامصار العربية فى ذلك العصر . والتراجم مبوبة بحسب أحرف الهجاء . وهى تبدأ باحمد بن عثمان بن الصلف الذى ولد فى دمشق . وتنتهى بايوب اليمانى ، وبانتهاء ترجمته ينتهى هذا الجزء من المؤلف وينتهى معه حرف الهمزة

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً على ورق صقيل . فنشكر لصاحب مكتبة القدسى عنايته بنشر هذا الكتاب الذى يسجل له فضلا على الادب العربى

المقدس

تأليف الاستاذ نقولا الحداد

طبع بمطبعة شمس الدين بالقاهرة . صفحاته ٢٩٢

لا نظن ان بين قراء الصحف والمجلات العربية من يجهل اسم الأستاذ نقولا الحداد أحد الكتاب القلائل عندنا الذين لم تمنعهم مشاغل الحياة عن مزاولة البحث العلمى والاشتغال به . وقد تلقينا منه هدية جديدة عنوانها « المقدس » (بتشديد الدال وفتحها) وقد

وصف المؤلف كتابه بقوله : « انه سفر ماهو كائن وما سيكون ، وان فيه بدع الانسان تجاه وحي الطبيعة ، في النظام والحكم والشريعة

والكتاب مصدر بكلمة وجيزة يستطيع القارىء ان يتبين من خلالها الغرض الذي يرمي اليه المؤلف . فهو يقول : وان النعيم الامثل هو جوهر الكون وان جميع حركات البرايا مهيأة منذ الازل لبزوغ ضيائه الذي يشق ظلمات الغموض ، جوهر تهيأ منذ الازل في قلب الجماد ثم تغلغل في عروق الحياة الى أن دب في ألباب البشرية ولا يزال رغم عواصف الشهوات يشق طريقه إلى ان يستولى على عرش الانسانية »

والكتاب موضوع في قالب رواية خيالية. فنشكر لحضرة المؤلف تحفته النفيسة ونثنى على أدبه الجم أوفر الثناء

معجم الشعراء

تأليف الامام أبي عبيد الله المرزباني

طبع بمطبعة القدسي بحارة الجداوي رقم ٩ بباب الخلق بالقاهرة . صفحاته ٥١٦

هو كتاب نفيس جمع فيه مؤلفه كل أسماء الشعراء القدماء منهم والمعاصرين له وجعلها على حروف المعجم ، وقد استهل كتابه بامرىء القيس فذكر كل من حملوا تلك الكنية وأورد شيئاً من أخبارهم وأشعارهم ، ثم سار في مؤلفه على هذا النهج وانتقل من حرف « الألف » الى حرف « الباء » ثم الى « التاء » وهكذا ... ومؤلف الكتاب ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة من أشهر أدباء عصره ومصنفيهم ، وله غير هذا المؤلف مؤلفات اخرى تشهد بطول باعه في البحث عن أخبار الأدباء والشعراء ونقدها وجمعها مهذبة منقودة

ومع الكتاب كتاب آخر نفيس هو « المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم » للامام ابي القاسم الحسن بن بشر الآمدي المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة

وقد عني بتصحيحهما وتهذيبهما الاستاذ المستشرق الدكتور « فريتس كرنكو » كما عنيت بنشرهما مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي

التشريح المرضي والجنائي

للدكتورين محمد زكي شافعي ولبيب شحاته

طبع بمطبعة أمين عبد الرحمن بالقاهرة .

صفحاته ٤٩٦

هذا الكتاب الذي وضعه الدكتوران محمد زكي شافعي ولبيب شحاته ، يسد فراغاً كبيراً ويقدم آراء ومعلومات ونظريات مفرقة في مراجع عدة ، ويعرض طائفة من التجارب والملاحظات الشخصية ، في أسلوب على يجمع الى بساطة التعبير صدق الوصف ودقة الرصف والاقتصاد في الكلمات مع وضوح معناها وسلاسة نسقها

ويمتاز الكتاب « بتمصير » الطب الشرعي ، باضافة ما أثمرته ملاحظات وتجارب علماء مصر في مائة عام تقريباً ... وليست تلك بالميزة الهينة ، فانها في الواقع كسب على لمصر ومفخرة تباهى بها

وميزة أخرى للكتاب لها أهميتها في تقرير الحقيقة ووضع العدل في نصابه - والطب

الشرعي وثيق الصلة بالقضاء الجنائي - ذلك انه يأخذ بما انعقد الاجماع عليه ورجحت كفته مع التنبيه الى مواضع الشبه ومثار الشكوك

ينقسم الكتاب الى ثلاثة أقسام : أولها عن الموت وأسبابه وأوصاف الجثة وطريقة تشريحها والادوات اللازمة لذلك

والثاني يبحث في الوفاة المتسببة عن مختلف الامراض - خصوصاً أمراض البلاد ذات المناخ الحار ... ويتناول الثالث الاصابات المميتة التي تحدث آثاراً باقية أو زائلة ، ويدخل تحت هذا الباب هتك العرض والحمل سفاحاً والاجهاض والحروق والخنق والتسميم

والحق انه لتوفيق كبير أن يحشد المؤلفان المجهدان كل هذه الثروة العلمية الطبية المدعمة على النظر والمشاهدة والاختبار ، في ذلك الكتاب الصغير الذي يستطيع الطبيب الكشاف أن يضعه في جيبه ويحمله حيثما حل وسار ... وبذلك حلت مشكلة خطيرة هي حاجة الطبيب الكشاف الى المراجع الموثوق بها ليستوثق من أحكامه وليهتدي على نورها الى اليقين

كتب أخرى

(حوض البحر المتوسط) تأليف الاستاذ رفيق التميمي والاستاذ سعيد الصباغ . طبع بمطبعة الكشاف ببيروت . صفحاته ١٢٠ وهو كتاب في جغرافية البلاد التي تقع في حوض البحر المتوسط ، وفق برنامج السنة الثالثة الابتدائية في مدارس فلسطين . وقد اتبع المؤلفان فيه الطريقة القصصية لتسهل دراسته ويكون مشوقا للناشئة

(تحرر العراق من الانتداب) بحث على في نهاية نظام الوصاية الانتدابية عن العراق ودخوله عصبة الامم . تأليف مجيد خدوري . طبع بمطبعة العهد ببغداد صفحاته ٤٠

(ديوان الاسكندرية) ديوان من الشعر الجيد نشرته جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية تأليف الأديب علي محمد البحراوي صفحاته ٢٠٨

(السهام) ديوان من الشعر الممتع بقلم الأديب الياس الياس قنصل . طبع بالمطبعة السورية بمدينة بونس ايرس عاصمة الارجنتين . صفحاته ٨٧

(القاهرة) الجزء الثاني يتناول تاريخ القاهرة من عهد السلطان الغوري الى آخر عصر اسماعيل . تأليف الملازم الاول عبد الرحمن افندي زكي . صفحاته ٢٠٠ طبع بمطبعة حجازي بالقاهرة

(المسألة الحبشية) يبحث في تاريخ الحبشة وقضيتها الاستقلالية منذ القدم حتى عام ١٣٢٥ تأليف الأستاذ عبد الله حسين المحامي والمحرر بالاهرام . صفحاته ١٨٦ طبع بالمطبعة الرحمانية بالخرنفش بالقاهرة

(تاريخ القرآن) كتاب يبحث عن تاريخ النبي محمد (ص) والقرآن الكريم . تأليف ابي عبد الله الزنجاني . طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . وله مقدمة نفيسة بقلم الاستاذ احمد أمين

(المرشد في علوم البلاغة) كتاب نفيس في الفصاحة والبلاغة والمعاني يحتوي المنهج الحديث للسنتين الثالثة والرابعة والخامسة الثانوية . تاليف الأستاذين محمد رزق الدهشان وطلبه محمد عبده المدرسين بالمدارس الثانوية . صفحاته ١٢٨ يطلب من المكاتب الشهيرة

بين الهلال وقرائه

الحيوانات السفلى والالم

(طنطا — مصر) نعيم السيد

هل تشعر الحيوانات السفلى بالالم كما نشعر به نحن وهل لها الحواس التي لنا ؟

(الهلال) ليس لجميع الحيوانات السفلى نفس الحواس التي لنا ، ولكن لا شك انها تشعر بألم كما نشعر به نحن لكن بدرجة أقل . ذلك أن الالم عندها مادى فقط وأما عندنا فهو مادى ومعنوى معاً . فالحيوان اذا بدىء بذبحه مثلا لا يشعر الا بالالم المادي فقط . وأما الانسان فانه يشعر بكلا الالم المادى والمعنوى . والاخير ناشيء عن حاسة الخوف

غذاء الاسماك

(طنطا — مصر) ومنه

بماذا تتغذى الاسماك في البحار فقد قرأت في احدى المجلات العلمية انها « كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله » ؟

(الهلال) بعض الاسماك الكبيرة تلتهم الاسماك الصغيرة . ولكن أكثرها تتغذى بالنباتات والحييوينات الميكرسكوبية التي تطفو على وجه الماء

دورة الكرة الارضية

(الموصل — العراق) سعودى ناصر

لماذا تدور الكرة الارضية وهل من حكمة تجعلها تدور باستمرار ؟

(الهلال) ليس من السهل أن نشرح لكم سبب هذا الدوران في أسطر قليلة وانما نقول بوجه الايجاز ان الارض عندما انفصلت عن جسم الشمس وهي كتلة سديمية احتفظت بحركة الشمس نفسها وهي الدوران في الفضاء وظلت محتفظة بها الى هذا اليوم بقوة الاندفاع . وهذه الحركة ضرورية وليس في الكون جرم من الاجرام العلوية الا وهو يدور وفي دورانه حكمة بالغة ولولاه لفسد ناموس الجاذبية . ولو وقفت الكائنات فجأة لصدمت بعضها بعضاً وهلكت كل نسمة حية على الكرة الارضية وفي الافلاك

الغاز وصناعة الاسنان

(نيويورك — الولايات المتحدة) خ . ع

بعض أطباء الاسنان يستعملون هنا مخدراً للاسنان يسمى الغاز الضاحك (La ughing gaz) فما هو هذا الغاز ؟

(الهلال) هو مادة كيميائية مركبة من النتروجين والاوكسجين واسمها العلمى اوكسيد النتروجين . ومن خواصها انها تتحد بكريات الدم الحمراء فتمنعها مؤقتاً من نقل ما يكفى من الاوكسجين الى الدماغ فيبطل الشعور مؤقتاً

فساد اللبن

(نيويورك — الولايات المتحدة) ومنه

ما سبب فساد اللبن (الحليب) عندما يصبح حامضاً ؟

(الهلال) لان جرثومة تعرف بكتيريا الحامض اللبني تظهر فيه وهذه البكتيريا تحول السكر الذى في اللبن الى حامض

اما زعم بعض النساء ان اللبن الحليب المعرض للرعد والبرق يختمر ويحمض فلا يستند الى أساس علمي . ولعل سبب هذا الاعتقاد ان الرعود والبروق كثيراً ما تجيء على أثر يوم شديد الحر والحر الشديد خير بيئة لنمو بكتيريا الحامض اللبنى التى أشرنا اليها

الشمس ولون البشرة

(القدس — فلسطين) سلمان السيد قنديل

لماذا تلوح الشمس لون البشرة وتجعلها سوداء ؟

(الهلال) لان في الجلد خلايا حية مهمتها انشاء مادة ملونة تمتص نور الشمس كما تفعل الثياب السوداء

في الشتاء ، فعندما يتعرض الجلد لنور الشمس تكثر تلك الخلايا من توليد تلك المادة السوداء وهذه وسيلة حكيمة دبرتها الطبيعة لوقاية جسم الانسان

من غرائز القط

(القدس — فلسطين) ومنه

قرأت في أحد الكتب المدرسية أن القط لا يسقط ابداً من مكان عال الا واقفاً على قوائمه فهل هذا صحيح ؟ وما تعليله ؟

(الهلال) هو صحيح وتعليله ان القط قد اكتسب بمرور الاجيال القدرة على الالتفاف في الهواء افقياً . والارجح انه اكتسب هذه القدرة منذ كان يعيش متسلقاً الاشجار

حجم الحوت

(القدس — فلسطين) ومنه

ما هو حجم أكبر انواع الحيتان ؟

(الهلال) قد يبلغ الحوت المعروف بذى البطن الكبريتي ثلاثين متراً في الطول وقد يزن نحو مائة طن، وهذا أكبر حجم لاي مخلوق حي وجد على الكرة الارضية ما عدا نوعين أو ثلاثة أنواع من التنانين العظام التي انقرضت منذ عدة ملايين من السنين وكانت اكبر من الحوت الحالي قليلا

الببغاء

(الموصل — العراق) حسين عبد المحسن

كيف يستطيع الببغاء الكلام ولا يستطيع غيره من الطيور ذلك ؟

(الهلال) ان الببغاء لا يستطيع الكلام كما تتوهم وانما هو يستطيع تقليد الاصوات بفضل الاوتار الصوتية التي له . وليس ثمة أي دليل على انه يفهم معنى الكلمات والاصوات التي يقلدها

السنة الكبيسة

(الموصل — العراق) ومنه

ما هي السنة الكبيسة وما سبب زيادتها يوماً على السنة البسيطة ؟

(الهلال) السنة الكبيسة هي التي يسترق منها يوم في كل أربع سنين فيزاد على شهر فبراير فيصير تسعة وعشرين يوماً . وسبب هذه الزيادة ان السنة (وهي المدة التي تستغرقها دورة الارض حول الشمس) ليست ٣٦٥ يوماً تماماً بل نحو ٣٦٥ يوماً وربع يوم . ولذلك يضاف يوم كامل على عدد أيام السنة كل أربع سنوات . وسبب اضافة هذا اليوم الى شهر فبراير دون غيره هو قصر هذا الشهر . وبهذه الطريقة يتعادل التقويم مع دورة الارض حول الشمس

حرارة النجوم

(بيروت — لبنان) عساف ابو راجح

ما هي اقصى درجات حرارة النجوم ؟

(الهلال) لا نعلم ذلك تماما . ولا شك ان تلك الحرارة هي أخف على سطح النجم منها في باطنه ويقدر بعض العلماء حرارة بعض النجوم بنحو خمسين الف درجة فهرنهيت على السطح، وبنحو اربعين مليون درجة فهرنهيت في الباطن

البنزين والبقع الدهنية

(بيروت — لبنان) ومنه

كيف يزيل البنزين البقع الدهنية عن الثياب ؟

(الهلال) البنزين يذيب كل انواع الدهن كما يذيب الماء الملح . وهذا تعليل اذابة البنزين البقع عن الثياب

شعر الرأس

(ديوبند — الهند) عبد الصمد صاحب بيت الهاجرة

أيهما أنفع للصحة : حلق شعر الرأس أم تقصيره ؟

(الهلال) ليس لاحدهما اية علاقة بالصحة الا من حيث ان شعر الرأس قد تتجمع فيه بعض الميكروبات والحشرات وفي هذه الحالة قد يكون الحلق أنفع ، ولكننا لا يمكننا ان نضع لذلك مبدأ عاماً . والارجح ان زي تقصير الشعر عند المرأة في هذا العصر سيدوم لانه أكثر انطباقاً على مقتضيات الصحة

السرطان والزرنيخ

(القاهرة – مصر) سعد سليان

قرأت في احدى المجلات الطبية أن التجارب الاخيرة التي قام بها بعض الاطباء الاميركيين أثبتت أن الزرنيخ يشفي من السرطان . فهل تعلمون شيئاً عن هذه التجارب ؟

(الهلال) يظهر انه اذا حقن الشخص المصاب بالسرطان بالزرنيخ المعدني في حالة لزجة (كولويد) أمكن شفاؤه . وطريقة تحضير هذا الزرنيخ هي باذابته في الماء واضافة مادة هلامية (غروية) لتمنعه من الرسوب

خراب سدوم وعمورة

(أسيوط – مصر) حنا ميخائيل

جاء في التوراة ان مدينتي سدوم وعمورة أحرقتا بنار وكبريت أمطر عليهما من السماء . ويقول البعض ان في جوار المكان الذي كانت تلك المدينتان قائمتين عليه آثاراً تدل على صدق رواية التوراة المذكورة . فما رأيكم في ذلك ؟

(الهلال) التفسير العلمي لهلاك مدينتي سدوم وعمورة ان بركاناً في تلك الجهة ثار وقذف حمماً نارية على المدينتين فطمرهما وأهلك أهلهما وما كان فيهما من حيوان ونبات . والفحص الجيولوجي الطبيعي لتلك الجهات يثبت انها كانت منذ بضعة آلاف من السنين بركانية الا أن البراكين التي كانت هنالك انطفأت بمرور الزمن

مدينة نمرود

(اسيوط – مصر) ومنه

في التوراة ان الملك نمروداً بنى مدينة من أقدم مدن العالم . فأين موقع هذه المدينة وفي أي زمن بناها نمرود ؟

(الهلال) سميت المدينة المذكورة ارك وعريش واوروك وورقا . وقد بناها نمرود الصياد الجبار حوالى سنة ٤٠٠٠ قبل المسيح أي منذ نحو ستة آلاف سنة . وقد قامت احدى البعثات الالمانية بالبحث عن آثار تلك المدينة على ضفاف الفرات في جنوب ما بين النهرين فعثرت على خرائب هياكل ومعابد ترجع على الارجح الى ما بين القرن الثلاثين والقرن الاربعين قبل المسيح . وعثرت أيضاً على آثار معبد يرجح أنه بني قبل سنة ٤٠٠٠ قبل المسيح . والمعروف ان السلوقيين شيدوا هنالك معبداً فخماً في القرن الثالث قبل الميلاد وقد عثرت البعثة الالمانية المشار اليها على آثار هذا المعبد . كما عثرت على بقعة من المدينة تبلغ مساحتها نحو عشرة آلاف متر مربع كانت ميداناً أقيمت عليها معابد وتماثيل لآلهة القوم واصنام كثيرة

الجراحة قديماً

(بيروت – لبنان) عبد السلام الدعاني

هل كان الاطباء الجراحون قديماً يستعملون مخدراً عند القيام بالعمليات الجراحية ؟

(الهلال) لم يكونوا يعرفون التخدير ولذلك كانت العمليات الجراحية يومئذ مؤلمة الى أقصى حد . بل كثيراً ما كانت تنتهي بموت العليل لا بسبب الالم فقط بل بسبب تعفن الجرح . ويقال ان بعض الاطباء الذين كانوا يمارسون الجراحة في القرون الوسطى – بل في أوائل القرون الحديثة أيضاً – كانوا اذا أرادوا القيام بعملية جراحية عمدوا الى اسكار المريض وايصاله الى أقصى حالات السكر ليتمكنوا من انجاز تلك العمليات . وكان الجراح اذا بتر عضواً من أعضاء الجسم كوى موضع الجرح بالزيت الغالي لمنع تعفن الجرح وهي قسوة شديدة . أضف الى ذلك أن الاطباء كانوا يوثقون المريض بالحبال والسلاسل ليمنعوه من أية حركة أو مقاومة عند القيام بالعملية الجراحية . فاذا تذكرنا ذلك كله حمدنا الله على اكتشاف العقاقير المخدرة

الميكروسكوب

(بيروت – لبنان) ومنه

من اخترع المجهر أي الآلة المعروفة بالميكروسكوب ؟

(الهلال) لا يعلم ذلك تماماً ولكن الميكروسكوب الحالي يرجع على الارجح الى العصور

الوسطى . ولعل أول من صنع الميكروسكوب المعروف بالمركب رجل هولندي يسمى زكريا زاندر (سنة ١٥٩٠ ميلادية) وكان هنالك رجل آخر هولندي يصنع الميكروسكوبات البسيطة يسمى انطون ليفنهوك وقد عاش من سنة ١٦٣٢ الى ١٧٢٣ . على أن العدسيات المكبرة كانت تصنع في القرن العاشر وكانت هذه العدسيات تستعمل للتكبير والاحراق . وممن اشتهر بمزاولة صنع هذه العدسيات راهب الماني يدعى ويلهلم تيوبالد

وهنالك قرائن تدل على أن المصريين القدماء كانوا يصنعون عدسيات من الزمرد ويصقلونها صقلا عظيما ويستعملونها للاحراق . وكانوا أيضاً يصنعون قوارير زجاجية كروية الشكل ويملأونها ماء ويستعملونها لتكبير المرئيات

اللثغة

(دمشق — سوريا) احد المشتركين

هل توصل الطب الى معالجة لثغة اللسان بالعمليات الجراحية وهل تم شيء من هذه العمليات في مصر واقترنت بالنجاح ؟

(الهلال) لم يستطع الطب حتى الآن معالجة اللثغة بعملية جراحية ولم نسمع بأية عملية من هذا القبيل لا في مصر ولا في غيرها

اصلاح الموميات

(القدس — فلسطين) جورج أبو نفره

قرأت في احدى المجلات أن اخراج الموميات من مدافنها الاصلية يعرضها للفناء بسرعة . أفلم يتوصل العلماء لاكتشاف طريقة لوقايتها وقاية أكيدة أو لاعادة الاجزاء التي قد تتلف منها ؟

(الهلال) لا شك أن في اخراج الموميات من مدافنها وتعريضها للهواء والرطوبة والعوامل الجوية المختلفة خطراً عليها . ولكن العلماء الذين يعنون بها يبذلون الجهد دائماً لوقايتها من أخطار تلك العوامل . أما اعادة الاجزاء التي قد تتلف منها فغير ممكنة . وقد حاول بعضهم استعمال المواد الكيميائية لذلك فلم تسفر التجارب عن فائدة . واستعمل بعضهم ايدروكسيد الصوديوم لاعادة الموميا الى لونها الطبيعي فلم تفلح التجربة . ولعل أفضل وسيلة لوقاية الموميات هي ازالة ما قد يكون عالقاً بها من البكتيريا والجراثيم ثم وضعها في صناديق زجاجية مفرغة من الهواء ووضع تلك الصناديق في جو بعيد عن الرطوبة

درجة حرارة الشمس

(الاسكندرية — مصر) صادق حسنين

ما هي درجة حرارة الشمس ؟

الهلال هي نحو عشرة آلاف بمقياس فهرنهيت . واذا علمتم ان الدرجة ٢٨٠٠ فهرنهيت تصهر الحديد أمكنكم ان تدركوا شدة حرارة الشمس

الكلف الشمسية

(الاسكندرية — مصر) ومنه

من أول من رصد الكلف الشمسية ؟

(الهلال) أول من رآها بالنظارة غاليليو الفلكي في سنة ١٦١٠

الحية ذات الاجراس

(نيويورك — الولايات المتحدة) أحد القراء

ماهي الحية ذات الاجراس وهل صحيح أن لها أجراساً ؟

(الهلال) الحية ذات الاجراس أنواع كثيرة : سامة متوسط طولها ثلاثة أمتار وتسمى ذات الاجراس لان ذنبها يتألف من مفاصل لها خشخشة تسمع عند ما تتحرك ، وليس لصغار هذه الافعى مفاصل أو « أجراس » للخشخشة ولكن هذه « الاجراس » تنمو بمرور الزمن

وهذه الافعى لاتلسع الا اذا حاول أحد ايذاءها أو اذا احتاجت الى الغذاء فانها تطارد اذ ذاك فريستها ولعلها أسرع الافاعي المعروفة

أساليب القتال

الصراع العقلي أليق الأساليب بالإنسان

بقلم الأستاذ أحمد أمين

المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

« .. لقد كان التباهي قديماً بقوة العضلات وكبر الحجم ، فكانت المشاكل تحل بالقوة ـ بقوة الجسم وقوة السلاح . ثم نمت في الانسان قوة عليا غطت على القوى الاخرى . وهى « قوة العقل » فلم لا يكون التحاكم اليها والقول الفصل لها ؟ . إنما الحروب أثر من آثار القوة المادية . ولم يعد يليق بمقام الانسان من أنواع الصراع إلا صراع الآراء والافكار . . »

أبنت في المقال السابق أهم ميادين القتال : وهى الحرب بين الاجناس ، والحرب بين الامم ، والحرب بين الطبقات ، ووعدت القراء أن أذكر في هذا المقال أساليب القتال

وأساليب القتال كذلك متنوعة الاشكال ، متعددة النواحي ، ولكن أهمها أيضاً ثلاثة ، فلنحصر كلامنا فيها : وهى الحرب ، والصراع الاقتصادى ، والجدل والمناقشة والحجج والبراهين

الحرب

لسنا ننكر ما للحرب فى تاريخ العالم من أثر كبير في تقدم الانسان ، فالحرب بين الافراد كان لها أقوى الأثر في تقوية أخلاقهم ، والحرب بين القبائل أدت إلى قوة المجتمعات ، و إنشاء المدنيات ، والحرب بين الامم أدت إلى شحذ الهمم والتسابق إلى المجد ، والتسامى إلى الكمال

فالحرب تدمر وتفنى ولكن من يبق بعدها يكون أصلح للبقاء ، وأقوى على احتمال الآلام . فكم من ملايين الارواح أكلتها ، وكم من كنوز الاموال ابتلعتها ، ولكنها مع ذلك كله قوت أخلاق الشعوب وعلمتها البذل والتضحية . والامم التى لم تساهم في الحرب ولم تتخلق بأخلاق الحرب تفنى وتموت . وقديماً قالوا : « ماغزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا »

وكان أهم ماقدمته الحرب للانسانية أنها علمت الشعوب النظام والخضوع لأوامر سلطة قوية تهيمن على شؤونها ، وتدبر أمورها ، فكان من أثر ذلك أن انتقل المتوحشون من حالة

همجية إلى حالة استقرار وخضوع لنظام ، فتكونت الامم ، وتقدمت المدنية

ولكن بتقدم الناس في المدنية عظمت ويلات الحروب ، وصارت الموازنة بين منافعها ومضارها محل تفكير العلماء ، فالحرب عمادها الفتح وطمع الفاتح فى الثروة من مال « المفتوح » ولكن هذا الاسلوب في تحصيل الثروة - إذا نظر اليه من الناحية الانسانية - أسلوب فاسد ، فالثروة المشروعة هى الثروة بالانتاج أو في مقابل إنتاج ، كالذين يربحون من تجارة أو صناعة او نحو ذلك ، أما ثروة الحرب فثروة من جنس ثروة الغاصب أو السارق أو المقامر - وهي كذلك تحرك في نفوس الفاتحين نزعات الطمع والقسوة والبغض وحب التدمير وغير ذلك من أوصاف تحتقرها الانسانية - ثم هى تشغل الامم المتحاربة ، وتصدها عن التقدم الحقيقى ، فهي تقضي زمانها الحربي في خرب ، وزمنها السلمي في استعداد للحرب ، وإصلاح لما أفسدته الحرب ، وفي ذلك بلاء عظيم

ولقد كانت الحرب العظمى الاخيرة مجالا صالحاً لدراسة العلماء نفعها وضرها ، إذ كانت مواد الدراسة فيها متوافرة ، وكانت أسبابها ونتائجها ماثلة بين أعينهم ، وكانت الدراسات الاجتماعية والاقتصادية قد تقدمت تقدماً عظيما ، فاستطاعوا من ذلك كله أن يلقوا ضوءاً قويا على مقدار ما استفاد العالم منها وما خسر

لقد رأوا أن خسارة العالم منها كانت أكثر من الربح بدرجة عظيمة ، وأن أضرارها تفوق ما كان فى الحروب السابقة . وأكبر سبب في ذلك قوة الجبهتين المتحاربتين - نعم إن فى كل حرب كان تدمير وخراب ، ولكن هذه الحرب كانت أكثر تدميراً وخرابا . فقبل هذه الحرب كانت الاسس الاقتصادية لكل أمة تكاد تكون مستقلة ، فاذا حاربت أمة أمة انتقلت مزايا الامة المغلوبة الى الامة الغالبة في سهولة ، وبقدر الغلبة . أما الآن فالاسس الاقتصادية ليست وحدتها الامة ، ولكنها مشتركة بين الامم - كشركة النفط في العراق تشترك فيها انجلترا وفرنسا وأمريكا ، وهذا هو الشأن في أهم منابع الثروة من صناعة وتجارة . فالحرب لاتنقل المغانم من يد إلى يد ولكنها تهدم البناء على الجميع ، على الاعداء والحلفاء ، وعلى الغالبين والمغلوبين ، وعلى المدافعين والمهاجمين ، ومن ثم كان الخراب فى الحروب الحديثة أتم ، والبلاء أعم . هذا إلى اتساع رقعة القتال وعدد المقاتلين . فلم يعد القتال بين أمة وأمة - غالباً - بل إن المصالح المشتبكة جعلت القتال بين نصف العالم ونصفه الآخر تقريباً ، وبذلك كان الخراب فى الانفس والاموال ، لايقاس به كل ماسبق من قتال

لقد أحصى الاستاذ اروين Irwin مقدار الخسارة المالية في الحرب العظمي فكانت حسب تقديره ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١٨٦ دولار . وهذا كما يقول هو مقدار الخسارة المالية المباشرة. فاذا أضيفت إليها الخسائر غير المباشرة من مثل تخريب الاملاك ووقوف حركة الانتاج كان المجموع ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٣٣٧ دولار . وكانت الخسارة المالية المباشرة في اليوم الواحد فى السنة الاخيرة من الحرب تكلف الامم المحاربة ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٤٠ دولار . وأحصى بعضهم الخسارة في الانفس فكان نحو عشرة ملايين من الجنود قتلى وبين مليونين وثلاثة ملايين عجزة . وليس يستطيع كاتب بليغ ولا شاعر مفلق أن يصف ما أصاب الناس فيها من هول وفزع وكرب . حتى كان كثير ممن نجا من القتل والجرح غير صالح نفسياً لمداومة الحياة . وكثرت بعد الحرب الوفيات . وزادت إحصاءات الامراض . وورث الآباء القاتلون أولادهم أعصابا مريضة . وأوصافاً سيئة . ولم يقف الامر عند هذا بل إن الحرب هزت النظم الاجتماعية من أساسها فبلبلت الآراء والافكار فى القانون وفي العقائد وفى الاخلاق . وأفقدت الناس ثقة بعضهم ببعض، فساءت الحالة الاقتصادية لأن مبناها الثقة. فكانت مصيبة الناس فى تزعزع النظم الاجتماعية والمثل الاخلاقيـة والثقة الاقتصادية ، أكبر من مصيبتهم في الانفس والاموال

وتحولت كل القوى من قوى بانية إلى قوى مخربة . فالعلماء وجهوا مجهودهم لاختراع المخربات والمهلكات . وأموال الامم التى كانت تعد للبناء صرفت في التسلح واقتناء المدافع المدمرة والغواصات والطيارات . وانتشر الميل إلى التخريب بين أفراد الشعوب . فقد كانت الحروب الماضية حروبا بين الجنود فحسب ، فأصبحت الحرب الاخيرة بين طبقات الشعوب كلها من أطفال ونساء وشيوخ ، كل يعمل أعمالا حربية تلائمه . فانحل بذلك كثير من أسس المدنية لان المدنية تقوم على البناء لا على الهدم والتخريب

أفبعد هذا يستطيع أن يؤمن منصف بخير الحروب ومزاياها ؟ لا شك أن العالم الآن في حاجة قصوى إلى تغيير في الآراء السياسية ، والنظم السياسية ، والى تأسيس مشاعر انسانية لا قومية ، وعادات انسانية لا قومية ، وتفكير انساني لا قومي ، وعواطف انسانية لا قومية ، وعلاقات اقتصادية انسانية لا قومية ، وحكومات ترعى هـذه المشاعر والعواطف والعادات الانسانية لا القومية . فبذلك وحده يختتم العالم فصول الحرب، ويحل البناء والتعمير محل الهدم والتخريب ، ويسير العالم إلى الرقى بخطى لم يكن لها نظير في الماضى

الصراع الاقتصادى

وهذا هو النوع الثانى من أساليب القتال ، وهو كثير الدوران بين الناس فى كل ساعة وأوان . فالبائع يصارع المشترى والمشترى يصارع البائع . والمستهلك والمنتج يتصارعان دائماً . والعمال وأصحاب رءوس الاموال فى صراع دائم . وكذلك ملاك الارض والمستأجرون. ثم كل طائفة متحدة العمل يتصارع بعضهم مع بعض . فالباعة يتنازعون على المشترين . وأصحاب رءوس الاموال يتنازعون على العمال وغيرهم . والملاك على المستأجرين وهكذا

وقد نشأ من هـذا الصراع الاقتصادى نتائج كثيرة بعضها نافع كتحسين الانتاج وتخفيض الاسعار على المستهلكين . إذ لو انعدم هذا الصراع لكان الاحتكار ، وفي ذلك ضرر على الناس كبير ـ و بعضها ضار كالذى نشاهد من النزاع العنيف بين العمال وأرباب رءوس الاموال ، ومشكلة العاطلين ، ومشاكل اضراب العمال وغيرها

ومن مظاهر الصراع الاقتصادى الصراع بين الشرق والغرب . فمن أهم أسبابه أن الغرب يريد أن يستغل الشرق إلى أقصى حدود الاستغلال . فهو يريده مزرعة والشرق يريد نفسه حراً . يريد الغرب أن يرقى الشرق ولكن كما يرقى الملاك مزارعه . فهو يساعد على حفر الترع وتنظيم الرى وتسهيل المواصلات ونحو ذلك مما يزيد في الثروة . لان هذه الثروة نتيجتها في الغالب وفي النهاية للغرب . و يريد الشرق أن يثقف أبناءه على النمط الذى يريده . ويضع لنفسه نظام الحكم الذي يتفق ومصلحته . فيأبى الغرب عليه ذلك لأنه ليس في مصلحة الاستغلال . فيكون من ذلك صدام وصراع كالذى نشاهد الآن ـ نعم ان هناك أسبابا لذلك الصراع غير اقتصادية ولكن السبب الاقتصادى في النهاية أهم الاسباب

وإذا تغيرت الانظار الانسانية التى أبناها من قبل في هذا المقال سهلت هذه المصاعب وقل هذا الصدام وساعد الضعفاء على حسن الانتاج وحسن الانتفاع

الجدل والمناقشة

وهذا الصراع أرق أنواع الحرب وأظرفها . تقوم فيه الآراء مقام الجنود . وتقوم الحجج مقام السلاح . وتقوم العقول مقام مصانع الذخائر والاسلحة . وفي هذا الصراع الخير كل الخير فقد نتج عنه خير المخترعات وخير النظريات وخير العلوم والمعارف . وكان من أثر النزاع

بين الآراء معرفة جيدها من رديئها وصحيحها من زائفها . وكان من أثر النزاع بين النظريات التعادل بينها ، وأخذ القدر الصالح من كل منها . وهذا الجدل والمناقشة بدأ فى أول أمره فوضى لا ضابط له ولا نظام ثم دخله النظام فرقاه . ففى النواحى السياسية نظمت البرلمانات والاحزاب . كما نظمت المناقشات فى الانتخابات . وفي النواحى الاجتماعية الاخرى نظمت جماعات الاديان وجماعات التربية . وفي المحاكم نظمت المناقشة في المحاماة وفي منصة القضاء . ونظمت المؤتمرات لتبادل الآراء . فكان هذا التنظيم داعياً لحسن التفاهم وزيادة الانتاج العقلي . نعم قد يشوه الجدل التحزب والتعصب واتهام الخصوم بعضهم بعضاً ونحو ذلك . ولكن كلما رقى النوع الانساني تضاءلت هذه الاشواك وتجلت المناقشة في أحسن مظاهرها

ثم هذا النوع من الصراع أليق الانواع بالانسان . وهو الامل الوحيد في أن يحل محل كل نزاع وصراع . فيحل بالرأى ما كان يحل بالحرب . و يحل بالجدل والمناقشة ما كان يحل بالاضراب . وما كانت « عصبة الامم » في أسمى أشكالها . وأرقى مناهجها إلا ضرباً من هذا ونزوعا إلى تحكيم العقل بدل تحكيم السلاح ، و إحلال الرأي محل السيف

لقد كان التباهى قديماً بقوة العضلات وكبر الحجم فكانت المشاكل تحل بالقوة — بقوة الجسم و بقوة السلاح . ثم نمت في الانسان قوة عليا غطت على القوى الاخرى وهى « قوة العقل » فلم لا يكون التحاكم اليها والقول الفصل لها ؟ انما الحرب أثر من آثار القوة المادية ، ونزعة عتيقة من نزعات القرون الاولى ، ولم يعد يليق بمقام الانسان من أنواع الصراع إلا صراع الآراء والافكار

احمد امين

الشباب

الشباب ربيع الحياة . والربيع شباب العام . ففي عنفوان الربيع القادم يظهر عدد ابريل الممتاز من الهلال ، حاويا لموضوعات شتى فى الشباب وعن الشباب . وهو العدد الثانى من اعداد الهلال الممتازة في هذه السنة

عنق الدولة

مضايق البحار وأثرها فى السياسة الدولية

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

لقد يرى كثير من القراء فى هذا العنوان شيئا من الغموض . فان الناس لم يألفوا أن يسمعوا بأن للدولة أعناقا . ولو ان عنوان الحديث (جسم) الدولة ، أو (قلب) الدولة ، لما رأى أحد فى هذا شيئا من الغرابة ، أما ان يكون للدولة عنق ! فهذا ما قد يراه فريق من القراء بعيداً . أما نحن فنراه قريبا جدا . فان لبعض الدول عنقاً ذا خطر شديد ، حساساً الى أقصى درجات الاحساس ، بحيث يجب أن يحاط بأنواع الوقاية والرعاية ، حذراً عليه وعلى الدولة التى ينتمى اليها من أن يصيبها سوء . والعنق عضو حساس فى الدول كما هو فى الناس على حد سواء . ولقد يطول هذا العنق ويمتد حتى ليظن ان بعض الدول إنما يتألف من عنق قد التصقت به أجزاء وأعضاء وأشلاء ، ولولا هذا العنق ما جاز لهذه الأوصال المتفرقة المتباعدة أن تؤلف جسما متحداً ، ولا كيانا مؤتلفا . وبالطبع ليس لكل دولة عنق ، كما ان من ضروب الحيوان ما ليس له عنق يستحق الذكر كالاسماك ونحوها ، ولكن منها ما له عنق هائل يمتاز به عن سائر الكائنات كالزرافة والنعامة والابل وما يجرى مجراها ويسبح فى مساربها

وكذلك الدول منها ما له عنق ، ومنها مالا عنق له ، وحديثنا اليوم عن الدول ذات العنق ممثلة فى خير مثال لها ، وهى دولة بريطانيا . فان لهذه الدولة عنقاً لايضارعه فى الطول والامتداد عنق آخر على وجه البسيطة . وهكذا يرى القارىء ان الموضوع الذى بدأ غامضاً لأول وهلة قد جعل يتخذ شكلا محسوساً ملموساً ، وما قد ظنه ضربا من العبث هو فى الحقيقة موضوع جغرافى خطير

هنالك فرع من الدراسات الجغرافية أطلقوا عليه اسم الجغرافيا الحربية ، وهو دراسة العلاقة بين الموقع الجغرافى للدولة ، وما يقتضيه هذا الموقع ، وما تتطلبه طبيعة البلاد من وسائل الدفاع . وبديهى ان الدفاع عن دولة مثل فرنسا يختلف اختلافا شديداً عن دولة مثل إرلنده ، والمملكة الكثيرة السواحل تتطلب استعداداً وقوة يختلفان عما تتطلبه الممالك المعدومة السواحل . والدولة ذات (العنق) لها حالة خاصة تختلف اختلافا كثيراً عن الدولة غير ذات العنق

وأكبر ما تمتاز به الدولة البريطانية ، التى نتحدث عن عنقها اليوم ، أنها مترامية الأطراف ، وما هى إلا نظرة يسيرة عجلى نلقيها على الخريطة لنرى هذه الحقيقة واضحة كل الوضوح ،

فهي ليست مندمجة كتلة واحدة . بل مبعثرة فى أركان الارض ، وليست متصلة الأجزاء أو مركزة فى إقليم من الأقاليم ، بل هي مشتتة منفصلة منقطع بعضها عن بعض . لهذا كانت البحار هي وسيلة الاتصال ، ولهذا كان (العنق) الذى قد يصل ما بين هذه البحار على جانب عظيم من الخطر ، وعلى جانب عظيم من شدة الاحساس

والآن - بعد هذا التمهيد - قد أخذ يبدو لنا المعنى الذى نرمى اليه بلفظ عنق ، فهو تلك المواضع من طرق البحار ، التى تضيق جداً كما يضيق موضع العنق من الجسم ، وهى بسبب هذا الضيق نفسه مواضع حساسة ، ولها من ناحية الدفاع ومن ناحية الجغرافيا الحربية أهمية منقطعة النظير

حينما بسطت فرنسا نفوذها على السومال الفرنسى ، فى الناحية الغربية من مضيق باب المندب ، صاح أحد رجال السياسة البريطانيين ، متوجعاً : « إن فرنسا قد أمسكت بعنق الدولة البريطانية » . وهى صيحة تدل على أن الألم قد دفع صاحبها الى كثير من الاسراف . ذلك ان مضيق باب المندب ما هو فى الحقيقة سوى جزء من عنق تلك الدولة ، هو فى الواقع فقرة واحدة من جملة فقراته . فاذا قيل ان من يقبض على فقرة كمن يقبض على العنق كله ، فلنذكر ان فرنسا - على كل حال - لم تقبض إلا على أحد طرف ذلك العنق ، فى الناحية الغربية ، وقد استطاعت بريطانيا أن تبسط نفوذها على الجانب الشرقى ، حيث ساحل عدن والطرف الجنوبى لبلاد اليمن ، وبذلك على الأقل أمنت الاختناق أن يصل اليها من الناحيتين فى آن واحد

ومن دأب الدول أن تتكالب على امتلاك المضايق ، وتحرص على ذلك أشد الحرص ، بل المألوف أن تكون فى صدور الدول الاستعمارية شهوة تثور بها من أجل القبض على المضيق حباً فى القبض على المضيق ، حتى ولو لم يكن عنقاً لها ، ولو لم تكن لها به صلة . لأن الدول لطول اهتمامها بأعناقها الخاصة قد يتكون فى صدرها حب للاعناق عامة — اما حباً افلاطونياً وهوى عذريا لمجرد حب الأعناق — أو لأن القبض عليها هو على كل حال أمر له خطره ، لأن المضيق إن لم يكن عنقاً للدولة القابضة عليه ، فانه على كل حال عنق لغيرها . ومن ذا الذى لا يرضيه فى السياسة الاستعمارية أن يقبض على أعناق الناس ؟

لهذا رأينا بريطانيا - وغرامها بالمضايق قديم ، وحبها للاعناق حب مبرح - رأيناها بعد الحرب الكبرى ، تثير فى الشرق الأدنى حربا صغرى ، من أجل بسط نفوذها على مضيق الدردنيل والبسفور ، مع ان هذا الطريق الضيق هو العنق الحساس لدولة مثل رومانيا أو بلغاريا أو روسيا ، وليس لبريطانيا شأن ، إذ ليس لها جزيرة واحدة ولا صخرة فى جميع أنحاء البحر الاسود . ولكن هذا لم يمنع بريطانيا من أن تشتهى القبض على هذه المضايق الخطيرة ، لكى تصبح فى قبضتها هذه الأعناق الحساسة . ولقد رأينا فرنسا التى خاضت غمار الحرب الكبرى مع صديقتها وحليفتها ، تغار على هذه المواضع الخطيرة أن تقع فى يد صديقتها هذه ، فتكيد لها

بعض الكيد ، وتعاون تركيا أصدق المعاونة لكى تنتصر ولكى تفوز بهذه المضايق ، ولكى تستبعد عنها نفوذ حليفتها العزيزة - ولنعد الآن إلى حديثنا عن عنق الدولة البريطانية :

ان رأس الدولة البريطانية - الممثل فى تلك الجزر المنبسطة فى غربى أوربا - منفصل عن الجسم كله انفصالا شديدا ، وكان لا بد من عنق هائل طويل يصل ذلك الرأس ببقية الجسم ، وكان طبيعياً أن تحرص بريطانيا على ألا يمس هذا العنق بسوء ولو بقدر الامكان

وأول فقرة من فقرات هذا العنق هى مضيق دوفر ، فهنا يضيق البحر ويستدق ، ويقترب الساحلان بحيث لا يفصلهما الا مسافة تقترب من عشرين ميلا . وقد ربضت على احد جانبى المضيق انكلتره ، وعلى الجانب الآخر فرنسا ، تنظر احداهما الى الاخرى نظرة الخصم اللدود حينا ، ونظرة الصديق الودود حينا . وليست حيازة هذا المضيق كله بأمر ذى خطر لانكلترة ، ومع ذلك فان غرامها بالمضايق قديم جداً ، وكان من اول مظاهره الاستيلاء على مدينتى كليه وبولونيا ، وقد بقيت الاولى فى حوزتها زمناً ليس بالقليل . ولعل انكلتره قد تعلمت هنا حب المضايق والولع بالاستيلاء عليها . ولهذا نراها فى وقت مبكر ، وفى ظروف مريبة ، تقبض بنى كثير من العنف ، وبشىء غير قليل من الحنث ، على حصن جبل طارق ، لكى تتحكم فى هذا الموقع الشديد الخطر ، او الذى أصبح فيما بعد عظيم الخطر

استولت انكلتره على جبل طارق فى اول القرن الثامن عشر، يوم لم يكن هنالك قناة السويس ولم يكن هذا بعد الطريق الى الهند . واستولت عليه فى ظروف غريبة تجلت فيها السياسة البريطانية فى اجلى مظاهرها . ذلك انها فى عام ١٧٠٤ كانت تحارب الى جانب هولنده والنمسا ، عدوتها القديمة فرنسا ومعها أسبانيا ، وهى الحرب التى أطلق عليها اسم حرب وراثة العرش الاسبانى . وفى احدى حوادث تلك الحرب استولى الاسطول الهولندى الانكليزى على حصن جبل طارق ، وكان الاستيلاء عليه من أجل ولى عهد النمسا وباسمه . غير ان الاميرال البريطانى بادر فرفع على الحصن الراية البريطانية ، وأسرعت حكومة ذلك الزمن فى لندن فأقرت عمل الاميرال . وأصبح الحصن أرضاً بريطانية منذ ثلاثين ومائتى عام

لم تكن لمضيق جبل طارق تلك الاهمية التى أصبحت له فيما بعد . ولكن منذ ذلك الحين قد أصبح من اجل المواقع خطراً . فعنده يضيق البحر جداً ، وتدنو افريقيا من أوربا بحيث لا يفصلهما سوى بضعة عشر ميلا . وفى وسع مدافع الحصن ان تتحكم فى كل سفينة تمر من هذا المضيق

والدول بعد ان أفاقت من سباتها ، واخذت تتزاحم فى حلبة الاستعمار - اشتد تكالبها على هذا المضيق ، حتى لقيت انكلتره عنتا شديداً ، ومشقة هائلة لكى تذودهن عن هذا الجزء الحساس من عنق الدولة البريطانية . وقد رأت انكلتره ان ليس هنالك بد من ان تكون لاسبانيا أرض على هذا المضيق ، بل رأت ان ليس من بأس فى ان يكون لاسبانيا شطر عظيم من سواحل هذا



خريطة تبين تكالب الدول على بوغاز جبل طارق

المضيق ، فقد محا الدهر أسباب النزاع بين الدولتين وباتت أسبانيا من الدول القليلة الحول والطول. لهذا نرى بلاد الريف تقتطع من مراكش وتعطى لأسبانيا لكى تحرم منها فرنسا ، فما كان لبريطانيا ان ترتاح لرؤية صديقتها فرنسا على الساحل الافريقى من مضيق جبل طارق

وهنالك موضع عظيم الخطر على بوغاز جبل طارق من الناحية الافريقية لم تستطع انكلتره بعد ان تستخلصه من مخالب الدول ، وهذا الموضع الخطير هو مدينة طنجة ، أحد مفتاحى المضيق . وقد طمعت فى طنجة بدورها كل من فرنسا وأسبانيا وألمانيا وبريطانيا . واخيراً دخلت حتى إيطاليا هذا الميدان وانتهى هذا التزاحم والتدافع بان جعلت طنجة مدينة تابعة لأربع دول : فرنسا وأسبانيا وإيطاليا وانكلتره . وللبلجيكا أيضاً فيها عدد من الوظائف التى جرت العادة ألا يعين فيها سوى البلجيكيين . ويوشك ألا يكون لهذه الحال فى الميدان الاستعمارى كله نظير

والموضع الذى يلى جبل طارق فى الطريق الى الشرق والى الهند هو بالطبع جزيرة مالطة وهى تحرس مضيقاً خطيراً وإن لم ينتبه اليه معظم الناس . فهنا تقترب افريقا مرة اخرى من أوربا ، وتدنو تونس من صقلية ، وتقف جزيرة مالطة فيما بينهما فى منتصف المسافة تقريباً تحرس الطريق الضيق الذى يصل النصف الغربى بالنصف الشرقى للبحر الابيض المتوسط

ولقد ازدادت أهمية مالطة يوم ازدادت أهمية البحر المتوسط حديثاً بفتح قناة السويس وإيجاد طريق الملاحة نحو الشرق . ولكن الانكليز لم ينتظروا حتى تبدو تلك الاهمية ، بل بادروا فاستولوا على هذه الجزيرة فى أوائل القرن التاسع عشر ، فى ظروف تحاكى تلك التى قبضوا بها على جبل طارق ، وبوسائل مشابهة

ثم قناة السويس وما أدراك ماقناة السويس ! فقرة ضئيلة جداً خطيرة جداً من فقرات ذلك العنق العظيم ، ليست ملكا لصاحب العنق وليس لها فيها حق مشروع ، ولهذا نكثت من أجلها

العهود ، وتهلهل الشرف الدولى ورق حتى صار أوهى من خيط العنكبوت . من أجلها جىء بجيش جرار لحراسة هذه الديار . ومن أجل القناة اقتطعت فلسطين من جسم سوريا وخلقت المشكلة الصهيونية خلقا ، وارتكبت من أجل هذا كله أمور يعز أن نجد لها مثيلا حتى فى تاريخ الاستعمار

ولنسرع فى طريقنا نحو الجنوب . فلا نكاد نبلغ الطرف الآخر من البحر الاحمر ، حتى نرى البحار قد ضاقت مرة أخرى ، واذا آسيا قد اشتاقت لرؤية افريقا فدنت منها دنواً شديداً . واذا الدول تتكالب على هذا المضيق كما تكالبت على مضيق جبل طارق . واذا انكلترة السابقة فى هذا الميدان قد بسطت يدها على عدن فى الثلث الاول من القرن الماضى . ثم أخذت تزيد فى عدن وتمدها ذات اليمين وذات الشمال تارة نحو حضر موت وطوراً نحو اليمن . فلا تمضى عشرات السنين حتى تصبح عدن مستعمرة حربية ذات حجم لا يستهان به . وقد بادرت دول أخرى فأحرزت مواقع خطيرة فى هذا الطريق الضيق . ولعل أشدها خطراً هو استيلاء فرنسا على جيبوتى . وهو موقع خطير جدا لا يقل فى خطره عن عدن نفسها . وبلا شك ان فرنسا قد بسطت يدها على هذا الموضع فى غفلة من بريطانيا . ولكن مركز بريطانيا هنا مازال ، برغم هذا كله ، مركزاً قوياً بفضل عدن وبفضل استيلائها على الجزر التى تعترض المضيق . وعدا هذا فان ممتلكات إيطاليا تدنو هى الاخرى من المضيق . وكذلك كان لمصر فى هذا الموضع الخطير فى الماضى القريب « ملحقات » ذات شأن لم توفق للاحتفاظ بها . ولا ينتهى عنق الدولة البريطانية بالوصول الى المحيط الهندى كما يتوهم كثير من الناس . بل يمتد هذا العنق الى الطرف الجنوبى من آسيا . ولعل آخر فقراته من ناحية الشرق هو مضيق سنغافوره ـ ذلك المضيق الخطير الذى يصل المحيط الهندى بالمحيط الهادى ، والذى تحرسه قاعدة بريطانية خطيرة

والآن يحسن بنا ان نختم هذا الحديث مكتفين بأن نلفت نظر القارىء الى المغزى الجغرافى الذى نرمى اليه . وهو ان المصادفات الجغرافية اليسيرة التى تقضى بأن تضيق البحار فى مواضع قليلة قد لعبت دوراً خطيرا فى حياة الناس . وقديماً أحرقت طروادة ودمرت تسع مرات لامرة واحدة . وما دمرت من أجل عيون هيلانة ، بل لان طروادة أقامت نفسها حارساً على مضيق الدردنيل . وأرادت ان تتحكم فى هذا الطريق الذى يقرب أوربا من آسيا ، ويصل البحر الاسود ببحر الروم

محمد عوض محمد



خريطة توضح التكالب على بوغاز باب المندب

الوجهة العلمية

فى المؤتمر الجراحى الدولى

بقلم الدكتور محمد مبارك

انعقد المؤتمر الجراحي الدولي العاشر بالقاهرة من ٣١ ديسمبر الى ٤ يناير الماضي، وقد ألقيت فيه بحوث قيمة لبعض مشاهير الاطباء. وقد رأينا بهذه المناسبة أن ننشر هذا المقال. وقد تناول فيه الدكتور محمد مبارك المؤتمر الجراحي من الوجهة العلمية

كأن الطبيعة فى مصر قد شاركت أعضاء المؤتمر الجراحى فجادت بكل حسنها فى أيام انعقـاده (٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٥ — ٤ يناير سنة ١٩٣٦) فكانت السماء صافية والشمس ساطعة والهواء عليلا والنيل يجرى صافياً والحقول تغطيها خضرة يانعة، مما يبهج النفوس وخصوصا نفوس الأطباء الذين اختاروا الوقت المناسب فى المناخ الجميل فى البلد الطيب. ذلك ما كنا نراه فى رحلاتنا القصيرة فى ضواحى القاهرة، فاذا عدنا اليها كان يزيد حرارة نفوسنا — نحن الأطباء المصريين خصوصا — فوران الشباب وحماسته البريئة. وكانت آثارنا الشامخة الباقية على الدهر، التى لم يحل العلم عقدتها حتى الآن من أى ناحية من نواحيها كالاهرام مثلا، تطوح بنا فى الماضى السحيق المفعم. ولقد ساعد كل ذلك مجتمعاً على نجاح المؤتمر نجاحا قل أن يبلغه فى بلد من بلاد العالم كما شهد بذلك الجهابذة الاعلام من جميع الأصقاع

أما موضوعات المؤتمر العلمية فكانت جراحة:

(١) الغدة جارة الدرقية

(٢) العصب السمبتاوى القطنى

(٣) أمراض القولون غير السرطان

(٤) البلهارسيا

(٥) موضوعات مختلفة وأشرطة سينمائية

والمؤتمرات العلمية عادة لاتبحث فى الموضوعات المعروفة وانما تنتحى ناحية على هامش العلم المعروف وتبحثها بقدر الاستطاعة حتى تتم بحثها فى مؤتمر أو أكثر، وتعرف نتائجها المؤكدة، وبعد ذلك إما أن تقرها أو ترفضها لعدم نجاحها أو للاستعاضة عنها بعلاج آخر. والموضوع الاول والثانى ميدانان

جديدان للجراحة وخصوصاً لنا نحن المصريين ، ولذلك لم يتكلم فيهما غير مصرى واحد . أما الثالث والرابع فللمصرى فيهما جولات لا يجاريه فيها غيره

وقبل أن نتكلم طبعا على جراحة الغدة جارة الدرقية والعصب السمبتاوى القطنى والقولون والبلهارسيا يجب أن نعرفها للقراء بقدر الاستطاعة لانه لايصح أن نتكلم على الجراحة بشيء ربما كان مجهولا للقارىء

فالغدة جارة الدرقية هي أربع غدد صغيرة فى حجم الحمصة المتوسطة تقع كل اثنتين منها وراء فص من فصى الغدة الدرقية واحدة فى أعلاه وواحدة فى أسفله . هذه الغدد الاربع تتحكم فى الكلسيوم (الجير) والفسفور الموجودين فى مصل الدم بنسبة طردية فاذا نقصت كمية الكلسيوم فى مصل الدم استحث ذلك افراز الغدد فيحتفظ المصل بمعدنيه ويتبع نقصان الكلسيوم وزيادته جملة أعراض مشتبكة هي الداعي فى الحقيقة الى استئصال تلك الغدد . فاذا نقص الافراز ونقصت بذلك كمية الكلسيوم فى مصل الدم نشأ عن ذلك تشنج مضطرب يستدعى تعاطى خلاصة الغدة لتكميل النقص . واذا زاد الافراز زادت كمية الكلسيوم ، فتتكلس بعض المفاصل ويحصل انحلال كلسى فى بعض العظام وبعض أجزاء الجلد . وهنا يكون التداخل الجراحي لاستئصال الغدد جارة الدرقية . ولم يذكر الثقات من الجراحين نسبة الوفيات فى العملية أو بعدها ولا النتائج الحاسمة المترتبة عليها ، وان كان حصل بعض التحسن فى الحالات التى عملت لاجلها ما سبق شرحه . ولا يزال الزمن يعوزنا لمعرفة هذه النتائج بالضبط حتى لمعرفة فوائدها الفسيولوجية المحددة . واذا قدر القارىء مكان هذه الغدد خلف الغدة الدرقيـة وعلم أن مكان الغدة الدرقية يلاصق القصبة الهوائية فى الرقبة وهي تجاوز أوعية الرقبة الدموية وأعصابها وعضلاتها ، وان كل ذلك متلاصق تلاصقا تاماً مما يجعل عملية الجوتر وهو الغدة الدرقيـة نفسها متضخمة عملية صعبة ، علم مافى عملية استئصال الغدة جارة الدرقية من جرأة ودقة

أما العصب السمبتاوى القطنى فهو مجموعة مع مجموعات الاعصاب السمبتاوية تلاصق فقرات القطن من الجهتين فى تجويف البطن وتتضخم مع الاعصاب القطنية المركزية ، وتغذى أحشاء الحوض فى الرجل والمرأة والاوعية الدموية للحوض . وللطرفين السفليين بالاعصاب السمبتاوية التى تحرك هذه الاحشاء والاوعيـة حركاتها غير الارادية كما هي فائدتها فى الجسم جميعه . لذلك كانت عملياتها متعلقة بهذه الاحشاء والاوعية . ولقد عمل « لريش Leriche » و « فونتان Fontaine » ١٥٢ عملية لقطع العصب السمبتاوى القطنى أو على الاصح لاستئصال عقده العصبية من جهتى القطن من سنة ١٩٢٤ لغاية أول مايو سنة ١٩٣٥ . وهما يفضلان العملية خلف البريتون ما أمكن . والوفيات فى العملية فى يديهما ٢٫٨ ٪ — ويقولان إن هذه النسبة لا تذكر وهما يعملان العملية فى فضلات البتر

المؤلمة وعرق النساء العنيد ، وآلام أعضاء الحوض فى الرجال والنساء كالتهاب المثانة والآلام الرحمية والمبيضية وفى بعض الأدوار المتعلقة بالدورة الدموية فى الأطراف . أما «بيرى Puri» فقد عمل ١٢٠ عملية منها ٥٦ لامراض القناة الهضمية فى الحفرة الحرقفية اليمنى و ١٧ لامراض المجارى البولية المؤلمة و ٢٢ لامراض النساء (الآلام الرحمية والمبيضية) و ١٩ لآلام الاطراف السفلى . أما «أجوليار Aguilar» فقد عملها لمرض «رينود Raynaud's» ومرض Burger ولالتهابات الأوعية الانحلالية وأمراض المفاصل المزمنة المتعددة فتتحسن جميعها . وانى أعرف بعض الجراحين المصريين قد عمل العملية الاخيرة فى عدد محدود من الحالات لاتعطى الفرصة لبحث نتائجها

أما القولون أو المصران الغليظ فيبتدىء من المصران الأعور يميناً إلى فتحة الشرج فيمر صعداً إلى المعوج الكبدى فالقولون المستعرض فالمعوج الطحالى فالقولون النازل فالمعوج السينى فالمستقيم فالشرج . وهو عبارة عن خزان الجسم حيث تتجمع فضلات الطعام فيتغير قوامها ويمتص منها ما يمتص ويترك الباقى فى الجسم . وللقولون أمراض مختلفة ناشئة من عمله الفسيولوجى ومن أمراض تهاجمه مباشرة . من ذلك الجيوب والتجاويف الجانبية والالتواءات والانسدادات بعواملها المختلفة والتقرحات البسيطة والمتعددة الاولية والثانوية وانتفاخ القولون وخلاف ذلك

وكل هذه الاعراض لها عمليات جراحية مناسبة لم يبحث فى المؤتمر الا العويص منها كالذى ذكره الرئيس «شوماكر Schœmaker» فى مذكرته التى قدمها للمؤتمر ، كالشذوذ الخلقى والجيوب والقولون الضخم ، وكالذى ذكره «سوبلت Soupault» فى مذكرته كالجيوب القولونية والاورام البوليبية والقرحة البسيطة والتقرحات المنتشرة ، وهذه الحالات وان كانت منتشرة فى الغرب إلا أن عندنا حالات قليلة منها ، أما أمراض القولون عندنا غير الالتواءات والاحتباس فأغلبها ناشىء عن البلهارسيا والدوسنطاريا ومضاعفاتهما ولكل هذه الحالات عمليات مخصوصة يجيدها الجراحون المصريون اجادة قل أن يسبقهم فيها أحد

أما البلهارسيا فكان موضوعا خاصاً بمصر والمصريين من مرضى وجراحين . ولقد تكلم فيه أعلامنا عن مشاهداتهم وعملياتهم مما استرعى أنظار المؤتمرين الاجانب حيث لايرون مثل هذه الحالات عندهم . ومرض البلهارسيا الذى يعرفه عامة المصريين بالبول الدموى له مضاعفات جراحية متعددة ومدهشة تصيب كل أجزاء الجسم وأحشاءه على اختلاف مواضعها . فهى تصيب المجارى البولية كلها من أول الكلية لغاية فم القضيب . وتصيب القناة الهضمية جميعها من أول الفم لغاية الشرج . ويتبع ذلك الاحشاء الجوفية كالكبد والطحال والبنكرياس . وانتشارها هذا ليس غريباً اذا علمنا أن دودة البلهارسيا المزدوجة تعيش فى الدورة الدموية وخصوصاً فى الوريد الباب وفروعه . وتوزع بويضاتها فى جميع الدورة الدموية واللمفاوية لاتصالها . وحيث وجدت البويضة وجد التهاب بلهارسى خاص

ربما يحتاج لمشرط الجراح فى أى جزء من أجزاء الجسم . ولقد كان من المدهش تلك المقالة الممتعة التى القاها زميلنا الدكتور عزمى القطان الرمدى عن ثلاث حالات بلهارسية فى ملتحمة العين . ولكنى أعتقد أن التداخل الجراحى سيقل كثيراً فى المستقبل أمام التأثير المدهش الذى يحدثه علاج البلهارسيا بالطرطير المقىء . ونحن وان كنا نعالج بمشارطنا تلك التركة المثقلة بمضاعفات البلهارسيا الجراحية قبل أن يستعمل الطرطير المقىء ، فان ذلك التداخل يقل يوما عن يوم حيث تعالج البلهارسيا المبتدئة بالطرطير قبل أن تحدث مضاعفاتها . ولقد كان للصيحة الجريئة التى القاها زميلنا الدكتور حامد محمود مدير مستشفى الاسكندرية ، باستنكاره استئصال الطحال المتضخم المصرى ، وقد كان من أكثر الجراحين عملا لهذه العملية — قد كانت للصيحة رنة منبهة الى استعمال العلاج الطبي بدل الجراحي . وفى الواقع أن الطحال المصرى المتضخم كان مشكلة عويصة الحل على من سبقنا من علماء التشريح المرضى والاطباء والجراحين . أما الآن فاعتقد أن مشكلته قد حلت وهو مسبب عن البلهارسيا . كما أرانا ذلك الدكتور أنيس بك انسى بقطاعاته الفريدة . ومتى كان كذلك كان علاجه بالطرطير أمراً مؤكداً ونكون بذلك قد انتهينا من هذه المشكلة التى اخجلت تواضع الاطباء الذين يعملون فى مصر زمناً طويلا

أما وقد فرغت من ذكر الموضوعات العلمية فلى انتقاد على لغات المؤتمر التى كانت تلقى بها المحاضرات ، فقد كانت قاعة محاضرات الفسيولوجيا بكلية الطب أيام المؤتمر كبرج بابل الذى تبلبلت فيه الالسنة ، فكنت تسمع الروسى والاسبانى والالمانى والطليانى والفرنسى وقليلا من الانجليزى . وأنا اقترح القاء كل المحاضرات بالفرنسية والانجليزية لانى أعتقد أن كل عضو يعرف لغة منهما مهما كانت لغته الأصلية ، حتى يسعفنا الزمن باللغة الموحدة (الاسبرانتو) لنفهم المحاضرات جميعها . وأنا أعتقد أن القاء المحاضر محاضرته بلغته الأصلية غير المفهومة للاغلبية نوع من التعصب لا يليق بمقام العلماء . ولقد كانت كل المعروضات المصرية من مستشفيات وجراحين وآثار وطقس ، بديعة بشكل أثار دهشة المؤتمرين كما شهد بذلك حضرة السكرتير العام اللطيف الدكتور ماير . أما معرض الآلات فقد كان أظهر مافيه الآلات الكهربائية التى تقدمت تقدماً محسوساً مما اعتقد أنه سيسبب الشفاء لكثير من الحالات التى نلعب فيها بمشارطنا الآن وخصوصا فى الحالات التى كان يبحثها المؤتمر فى هذه المرة

دكتور محمد مبارك

الأدباء المجانين

بقلم الدكتور زكي مبارك

ألقيت قيادى إلى مجلة الهلال تسير بى كيف تشاء ، فهى تقترح وأنا أجيب ، ولعل محرر الهلال يظن انى أصبحت لا أهوى غير هواه ، ولكن هيهات ، فقد رأيته لايقترح على موضوعا جديداً ، وانما يقترح موضوعات كتبت فيها من قبل ، فان كان يعرف هذا فهو لبق : وإن كان لايعرف فهو موهوب

وقد اتفق لى قبل اليوم ان أكتب مقالا فى البلاغ عنوانه « يوم بين المجانين » فكان فيما رأى بعض الناس أجمل ما كتبت ، وانما كان كذلك لأنى أحرص منذ زمان على درس العقول وهذا الحرص كفيل بأن يقف ، على أبواب الصواب حين أدرس آثار العقل وآثار الجنون

ومن الانصاف ان اعترف بأنى فى هذا مدين الى الدكتور مرجرات رحمه الله . فقد صحبته نحو عشر سنين ، ورأيت فى شمائله وفهمه للحياة مايغرينى بدرس أطوار الجنون ، فالى جسده فى الثرى أهدى هذا المقال الوجيز

ولكن ماهو العقل ؟

العقل مأخوذ من العقال الذى تعقل به الدواب ، ومنه الحديث المأثور : « اعقلها وتوكل » وانما سمى العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن الشطط ، ويصده عن الزيغ ، ويحميه من الخروج على المألوف

وفى الدنيا كثير من العقلاء . يقضى الرجل منهم دهره كله فلا يخرج قيد أنملة عما اصطلح عليه الناس ، فلا يلومه لائم ولا يؤاخذه قانون

والعقلاء ليس فيهم أديب ، لأن الادب نفسه نوع من الانحراف ، فهو قهر الملكات الانسانية على الخضوع لمؤثر خاص هو تذوق الجمال فى المحسوسات والمعقولات، والهيام فى الدنيا للبحث عن المثل الاعلى فى الحقائق والاشخاص والاشياء

ومن العناء ان تظفر بأديب عاقل ، لان العقل فى أغلب الاحيان من دلائل البلادة والغباوة والركود ، وقد يكون العقل نوعا من المرض لانه فى جوهره ضرب من الاستسلام والخمول

الادباء مجانين لأنهم لا يثبتون على حال ، وانما كانوا كذلك لانهم أحياء ، والحياة توجب التحول من رأى الى رأى ، ومن إحساس الى احساس ، وأبقاهم أثراً فى الدنيا هم أصحاب الجنون الغليظ الذين يحتقرون الشرائع التقليدية التى يفرضها العرف المزيف والاصطلاح السخيف

ومن أشهر هؤلاء الادباء المجانين سيدنا سقراط الذى لقى حتفه بفضل خروجه على المألوف من قوانين اليونان ، ومنهم ابن رشد الذى شرب العلقم بسبب ثورته على آراء الاغبياء من معاصريه ، ومنهم قاسم امين الذى غضب عليه الرأى العام بسبب احتقاره لحجاب النساء ، ومنهم محمد عبده الذى حورب فى حياته لأنه أباح لبس « البرنيطة » ودعا الأزهريين الى ركوب الخيل

وفى كل أمة ادباء حكم عليهم بالجنون لأنهم افرطوا فى الدعوة الى الحرية فى عالم السياسة او الوطنية او الدين أو الاجتماع

ويمكن الحكم بأن ثلاثة ارباع الادباء قضوا حياتهم مشردين لأنهم عجزوا عن الخضوع لأحكام العرف والاصطلاح ، وأكثرهم لا يستطيع العيش الا بما فيه من قوة الحيوية والسيطرة على الناس ، والاديب العبقرى لا يحيا لأن قومه يريدون له الحياة ، وانما يحيا لان أعصابه تمكنه من العيش وتفرض سلطانه على الخاملين من العقلاء

وأهل البلادة يعجبون كيف يعيش الاديب الموهوب ، وفاتهم ان الجنون هو فى ذاته فيض من الحياة ، والجنون ثورة ، وكل ثورة دليل على فيض الحيوية . أما العقل المطلق فهو تماسك لا يحسنه غير أرباب الجمود

ومن طريف القول ان نذكر ان المجانين يرون أنفسهم عقلاء ، ويتهمون غيرهم بالجنون ، فقد حدثوا أن مخارق بن صخر دخل يوما على حارثة بن بدر وهو مضطجع فعاتبه وقال : « قد أسقطت الخمر قدرك ومروءتك » فقال حارثة : « دع عنك هذا الجنون ، وهلم تساعد واسمع ماقلت » قال : « هاته » فأنشده :

غدا ناصحاً لم يأل جهداً مخارق ... يلوم على شرب السلاف المعتق
فقلت أبا صخر دع الناس يجهلوا ... ودونكها صهباء ذات تألق
تراها اذا ما الماء خالط جسمها ... تخايل فى كف الوصيف المنطق
لها أرج كالمسك يذهب ريحها ... عمابة حاسيها بحسن ترفق
وكم لائم فيها بصير بفضلها ... رمته بسهم صائب متزلق
فظل لرياها يعض ندامة ... يديه وأرغى بعض طول تمطق
يعيب على الشرب والشرب همه ... ليحسب ذا رأى أصيل موفق

فقال له مخارق : « انما عاتبتك لان الناس قد كثروا فيك ، ورأيت النصيحة لله واجبة على ، وكرهت ان تضع لذتك قدرك ، فان أطعتنى فى تركها وإلا فلا تجاهر بها فانك قادر ان تبلغ حاجتك فى ستر » فقال حارثة : « ماعندى غير ما سمعت »

والشاهد هنا قول حارثة لمن ينهاه عن المجاهرة بالشراب : « دع عنك هذا الجنون » وقوله وقد أجزل له النصح : « ما عندى غير ماسمعت »

وحارثة بن بدر هذا اديب مجنون ، وجنونه كان مقصوراً على الاستهتار فى الشراب ، وأكاد أجزم بأنه ابرع من ابى نواس فى وصف الصهباء ، فهو الذى يقول :

يعيب على الراح من لو يذوقها ... لجن بهـــا حتى يغيب فى القبر
فدعها او امدحها فانا نحبها ... صراحا كما اغراك ربك بالهجر
علام تذم الراح والراح كاسمها ... تريح الفتى من همه آخر الدهر
فلمنى فان اللوم فيها يزيدنى ... غراما بها ان الملامة قد تغرى
وبالله أولى صادقا لو شربتها ... لأقصرت عن عذلى وملت الى عذرى
وإن شئت جربها وذقها عتيقة ... لها أرج كالمسك محمودة الخبر
فان انت لم تخلع عذارك فالحنى ... وقل لى لحاك الله من عاجز غمر
وقبلك ماقد لامنى فى اصطباحها ... وفى شربها بدر فأعرضت عن بدر
وحاسيتها قوما كأن وجوههم ... دنانير فى اللأواء والزمن النكر
فدعنى من التعذال فيها فاننى ... خلقت أبياً لا ألين على القسر
ولولا النهى لم أصح ماعشت ساعة ... ولكننى نهنهت نفسى عن الهجر
فقصرت عنها بعد طول لجاجة ... وحبى لها فى سر أمرى وفى جهرى

وكان علماء الادب واللغة يحبون استنشاد المجانين ، حدث المبرد قال :

« اجتزت بدير هرقل فقلت لأصحابى أحب النظر اليه فاصعدوا بنا ، فدخلنا فرأينا منظراً حسناً واذا فى بعض بيوته كهل مشدود حسن الوجه عليه أثر النعمة، فدنونا منه وسلمنا فرد علينا السلام وقال : « من اين انتم ؟ » فقلنا : « من البصرة » . قال : « فما اقدمكم هذا البلد الغليظ هواؤه ، الثقيل ماؤه ، الجفاة اهله ؟ » قلنا : « طلب الحديث والادب » قال : « حبذا ! تنشدونى او انشدكم ؟ » فقلنا : « انشدنا » . فقال :

الله يعــلم انى كمـد ... لا أستطيع أبث ما أجـد
روحان لى ، روح تضمنها ... بلد ، وأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها ... صبر وليس يضرها جلد
واظن غائبتى كشاهدتى ... بمكانها تجد الذى اجد

« ثم أغمى عليه فتركناه وانصرفنا :فأفاق وصاح بنا فعدنا اليه فقال : تنشدونى او انشدكم ؟ قلنا انشدنا ، فقال :

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهمو ... وثوروها فثارت بالهوى الابل

وابرزت من خلال السجف ناظرها ترنو الى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان خلته عنما فقلت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلى من البين ماذا حل بى وبها من نازح الوجد حل البين فارتحلوا
انى على العهد لم انقض مودتكم ياليت شعرى بطول العهد مافعلوا

وكان الدير مأوى هذا الاديب المجنون لان المتقدمين كانوا يتخذون الأديرة لحبس المجانين .

حدث شريح الخزاعي قال :

اجتزت بدير حزقيال فرأيت وانا ادور به سطرين مكتوبين على اسطوانة منه فقرأت :

رب ليل امد من نفس العا شق طولا قطعته بانتحاب
ونعيم كوصل من كنت أهوى قد تبدلته ببؤس العذاب
نسبونى الى الجنون ليخفوا ما بقلبي من صبوة واكتئاب
ليت بى ما ادعوه من فقد عقلى فهو خير من طول هذا العذاب

وتحته مكتوب :

هويت فمنعت ، وشردت وطردت ، وفرق بينى وبين الوطن ، وحجبت عن الالف والسكن ، وحبست فى هذا الدير ظلما وعدوانا ، وصفدت فى الحديد زمانا

وانى على ما نابنى واصابنى لذو مرة باق على الحدثان
فان تعقب الايام اظفر بحاجتى وان ابق مرميا بى الرجوان
فكم ميت مثلى بغيظ وحسرة صبور لما يأتى به الملوان
هو الحب أفنى كل خلق بجوره قديماً ويفنى بعدى الثقلان

ويمتاز ادب المجانين بالصدق لانهم يعيشون بقلوب الأطفال ، والصراحة هى الخصيصة الاساسية فى حياة المجانين ، والقارىء يستطيع أن يستعرض حياة الادباء من أهل زمانه ، فان فعل فسيرى من بينهم من يجنى على حاضره ومستقبله بفضل الحرص الآثم على رأى يراه او مذهب يميل اليه ، وهؤلاء لايسمون اصطلاحا بالمجانين ، ولا يجرؤ أحد على دعوتهم لزيارة قصر العباسية ، ولكن لايمكن التورع عن رميهم بقارص القول : فهذا مغفل ، وذاك ابله ، وذلك عبيط ! والناس مقامات !

وكما يمتاز المجانين بالصدق يمتازون بالظرف ، ومن اشهرهم فى ذلك مان الموسوس ، فقد حدثوا ان محمد بن عبدالله بن طاهر عزم على الصبوح وعنده الحسن بن محمد بن طالوت فقال : ولقد خطر بالى رجل ليس علينا فى منادمته ثقل ، قد خلا من ابرام المجالسين ، وبرىء من ثقل المؤانسين، خفيف الوطأة إذا ادنيته ، سريع الوثبة اذا أمرته . قال: ومن هو؟ ، قال : ومان الموسوس ، قال : وما اسأت الاختيار ، ثم تقدم الى صاحب الشرطة بطلبه واحضاره ، فلما مثل بين يديه قال

له بعد رد السلام : « أماحان لك ان تزورنا مع شوقنا اليك ؟ » فقال له مان : « أعز الله الامير ! الشوق شديد ، والود عتيد ، والحجاب صعب ، والبواب فظ ، ولو تسهل لنا الاذن لسهلت علينا الزيارة » فقال له محمد : « لقد لطفت فى الاستئذان » ثم حضرت جارية فغنت :

ولست بناس اذ غدوا فتحملوا دموعى على الخدين من شدة الوجد
وقولى وقد زالت بعينى حمولهم بواكر تحدى لا يكن آخر العهد

فقال مان : « ايأذن لى الامير ؟ » قال : «فيماذا ؟» قال : «فى استحسان ما أسمع ؟» قال : «نعم» فقال مان : « أحسنت والله ، فان رأيت ان تزيدى مع هذين البيتين :

وقت أفاجى الدمع والقلب حائر بمقلة موقوف على الضر والجهد
ولم يعدنى هـذا الامير بعـدله على ظالم قد لج فى الهجر والصد »

فقال له محمد : « ومن اى شيء استعديت يامان ؟ » فاستحيا وقال : « لا من ظلم ايها الامير ، ولكن الطرب حرك شوقا كان كامنا فظهر . . . » ثم غنت :

حجبوها عن الرياح لأنى قلت ياريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرياح الكلاما

فقال مان : « ما كان على قائل هذين البيتين لو اضاف اليهما هذين البيتين :

فتنفست ثم قلت لطيفى ويك إن زرت طيفها إلماما
حيهـا بالسلام سرآ وإلا منعوها لشقوتى ان تناما »

فقال محمد : « احسنت يامان ! » ثم غنت :

يا خليلى ساعة لا تريمـا وعلى ذى صبابة فأقيما
ما مررنا بقصر زينب إلا فضح الدمع سرك المكتوما

فقال مان : « لولا رهبة الامير لأضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع سامع ذى لب ، فيصدرا إلا عن استحسان لهما » فقال محمد : « الرغبة فى حسن ما تأتى به حائلة عن كل رهبة ، فهات ماعندك » فقال :

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخـــر بطرف لغادرته هشيما
واذا ما تبسمت خلت ما يبـــدو من الثغر لؤلؤآ منظوما

وفى نهاية المجلس قال ابن طالوت : « قد وجب شكرك يامان ، فساعدك دهرك ، وعطف عليك إلفك ، ونلت سرورك ، وفارقت محذورك ، والله يديم لنا ولك بقاء من يبقائه اجتمع شملنا ، وطاب يومنا » فقال مان :

مدمن التخفيف موصول ومطيل اللبث مملول

فأنا استودعكم الله . ثم قام فانصرف

ويمتاز مجانين الادباء فوق الصدق والظرف برقة الحس ، لأن جنونهم فى الاغلب يصدر عن الوجدان ، ومن المشاهير فى هذا الباب خالد بن يزيد الكاتب ، وكان يهوى جارية لبعض لوجوه ببغداد فلم يقدر عليها ، وولاه محمد بن عبد الملك عملا فى الثغور فخرج فسمع فى طريقه منشداً ينشد ومغنية تغنى :

من كان ذا شجن بالشام يطلبه ففى سوى الشام أمسى الاهل والشجن

فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ثم أفاق وهو مختلط ودام به الوسواس

وكان خالد هذا تحفة عصره فى بغداد ، لقيه احد اصحابه فقال : « كيف أنت يا ابا الهيثم ؟ » قال : « كما ترى » . قال له : « فمن تعاشر اليوم ؟ » قال : « من احذره »

قال صاحب الحديث : « فعجبت من جوابه مع اختلاله »

واتفق له مرة ان هجا بعض الناس ، فقيل له : « منذ كم دخلت فى الهجاء » فأجاب : « مذ سالمت فخوربت ، وصافيت فنوفقت »

وهذا كلام نفيس

وكان خالد على جنونه من أشعر الناس ، وهو صاحب هذه الابيات :

محب شفه ألمه وخامر جسمه سقمه
وباح بما يجمجمه من الاسرار مكتتمه
أما ترثى لمكتئب يحبك لحمه ودمه
يغار على قميصك حين تلبسه ويتهمه

ثم ماذا ؟ لم يبق إلا ان نعرض لاهل عصرنا من أدباء المجانين ، او مجانين الادباء ، ولكنهم يتعاقلون

ومع هذا لا انكر ان فى القاهرة طوائف من المجانين الظرفاء تلقاهم فتداعبهم فيفيضون عليك بالسمر الممتع والقصص الطريف ، ولهم مطارح يغشاها عشاق الاسمار والاحاديث ولكن من هم ؟ انتظروا ، فسأقص عليكم اخبارهم بعد حين ؟

زكى مبارك

أكبر المعارك البحرية

جتلند التي غيرت مجرى الحرب الكبرى

اشتهرت الحرب الماضية بمعركتين كبيرتين وقعتا بين العمارتين الانجليزية والالمانية وكان لهما أثر جلي في نتيجة تلك الحرب . فأما الاولى فمركة « فلكلند » التي وقعت في ٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وفيها انتصر الاميرال « ستردي » الانجليزي على الاميرال « فون سبي » الالماني وسحق أسطوله . وأما الثانية ، فمركة « جتلند » وقد كثرت الاقاويل في هذه المعركة فادعى الالمان أن كفتهم رجحت فيها . وادعى الانجليز أن النصر كان في جانبهم بدليل أن ما بقي من سفن الاسطول الالماني فر والتجأ الى قواعده . وفي هذا المقال جلاء لحقيقة هذه الموقعة

وقعت معركة جتلند فى ٣١ مايو سنة ١٩١٦ فى البحر الشمالى بين الاسطول البريطانى الاكبر بقيادة الاميرال السر جليكو ، والاسطول الالمانى بقيادة الاميرال فون شير

وتمتاز هذه المعركة بكونها اكبر موقعة حربية جرت بين الاسطولين الانجليزى والالمانى فى الحرب العظمى الماضية ، ومنى فيها كل من الفريقين بخسائر فادحة . ولكنها أسفرت عن نتيجة لا سبيل الى انكارها وهي احتفاظ الاسطول الانجليزى بالسيادة البحرية وصيرورته مسيطراً على جميع البحار حتى أصبحت المانيا بعد ذلك محصورة حصاراً أفضى الى انكسارها فى الختام

وليس من المتيسر أن نصف فى هذه العجالة جميع تفاصيل معركة جتلند ، ولاسيما ان اكثرها فنى يصعب فهمه . ولكن شأن المعركة يتجلى اذا تذكرنا الامور الآتية وهى :

(أولا) ان أمل الحلفاء بالانتصار كان يقوم على احتفاظ الاسطول البريطانى بالسيادة التامة على البحار

(ثانيا) ان الاسطول الالمانى لم يجد مفراً من منازلة الاسطول البريطانى لان المانيا كانت محصورة حصراً شديدا وأسطولها التجارى قد أصبح فى خبر كان وحالتها الاقتصادية تبعث على اليأس

(ثالثا) ان الاسطول البريطانى كان يتحين الفرصة للقضاء على الاسطول الالمانى ، ولكنه ما كان يرى من الحكمة أن يغامر بقضية الحلفاء بمنازلة ذلك الاسطول فى مياهه التى كان قد بث فيها ألغاماً لا تحصى والتى كانت الغواصات الالمانية تكثر فيها كثرة هائلة للدفاع عن سواحل المانيا

(رابعا) أن القيادة البحرية الالمانيـة كانت تجرى على خطة اجتناب الاشتباك مع الاسطول البريطانى فى معركة فاصلة . وكانت ترجو ان تتمكن من اضعاف هـذا الاسطول بمواقع صغيرة بقصد اضعاف نطاق الحصر البحرى

(خامسا) تحقيقاً لهذه الغاية عزم الاميرال فون شير على استدراج جزء من الاسطول البريطانى الاكبر الى جتلند على ان يجتنب الاشتباك فى أية معركة مع الاسطول المذكور اذا ظهر كله فجأة

وبعبارة أخرى ان الالمان وضعوا خطة لاستدراج جانب من الاسطول البريطانى الاكبر الى منطقة معينة من البحر الشمالى قد بثوا فيها الالغام وحشدوا فيها أهم غواصاتهم بقصد ايقاع الاسطول البريطانى فى ورطة يقضى عليه فيها القضاء المبرم

وقد لخص الاميرال جليكو البواعث التى حملت الالمان على خوض معركة جتلند بما يأتى :

(١) ان تشديد الحصار البحرى على المانيا جعل الشعب الالمانى كله يتذمر ويلح على الاسطول بأن يعمل شيئا لفك نطاق ذلك الحصار

(٢) ان الاميرال فون شير الالمانى كان قد سئم مواصلة الخطة السلبية التى جرى عليها وصار يتحين الفرصة لتسويغ الآمال التى كان الشعب الالمانى يعلقها عليه وعلى اسطوله

(٣) ان احتجاج الولايات المتحدة على وجود الغواصات الالمانية فى طرق البواخر التجارية أرغم الالمان على استرداد تلك الغواصات فأصبحت بلا عمل تقريبا وأصبح قوادها يلحون على القيادة العليا باتباع خطة حربية حاسمة

(٤) ان بعض الانباء التى تلقاها الاميرال فون شير حملته على الاعتقاد ان القيادة البريطانية البحرية ستشطر الاسطول البريطانى الاكبر لتستخدم بعض سفنه فى الدفاع عن بعض سواحل انجلترا . وفى الحقيقة انه بينما كان الاميرال الالمانى يضع خطة لغزو سواحل انجلترا الشرقية احدثت قيادة البحر البريطانية بعض التغييرات فى توزيع سفن الاسطول الاكبر . فتولى الاميرال جليكو قيادة الجزء الاهم وبقى فى مينا « سكابافلو » على أن ينتقل منه فيها بعد . وأقلع جانب من ذلك الاسطول الى « انفر جوردون » وجانب آخر الى روزيث

وللموازنة بين قوتى الاسطول البريطانى والاسطول الالمانى نقول إن الاول كان يتألف من ثمان وعشرين بارجة من طراز دردنوط وتسعة طرادات عدا المدمرات والنسافات والسفن الاخرى الملحقة . والاسطول الالمانى يتألف من اثنتين وعشرين بارجة من طراز دردنوط وخمسة طرادات عدا المدمرات والغواصات والنسافات والسفن الصغرى . وكانت مدافع البوارج الانجليزية كما يأتى :

٤٨	مدفعا من المدافع التى قطر فوهتها	١٥	بوصة
١٠	مدافع « « « « « « «	١٤	بوصة
١٤٢	مدفعاً « « « « « « «	١٣½	بوصة
١٤٤	« « « « « « « «	١٢	بوصة
٣٤٤	المجموع		

أما مدافع الاسطول الالمانى فكانت :

١٩٢ مدفعاً من المدافع التى قطر فوهتها ١٢ بوصة

٥٢ « « « « « ١١ بوصة

٢٤٤ المجموع

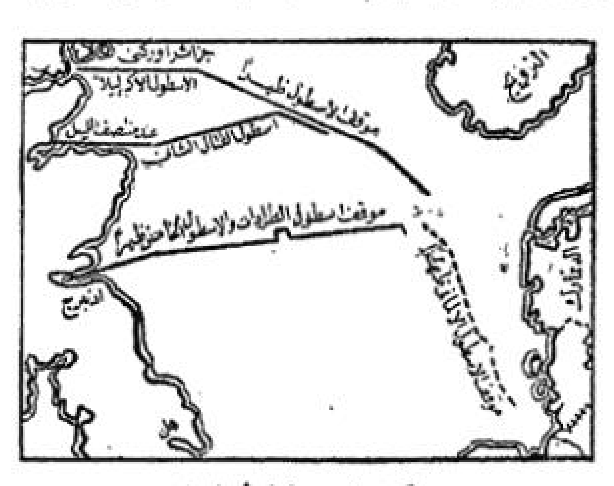
فترى إذاً ان الاسطول البريطانى كان أقوى من الاسطول الالمانى ببوارجه ومدافعه، ومع ذلك تمكن هذا من الحاق أضرار جسيمة بعدوه. ولو ان الحظ ساعده قليلا لانتصر على عدوه ولاسفرت الحرب العظمى الماضية عن غير النتيجة التى أسفرت عنها

بدء المعركة

فى ١٨ مايو من ذلك العام أصدرت وزارة البحرية الالمانية الامر الآتى الى الاميرال فون شير قائد الاساطيل الالمانية :

« ان ضرب طراداتنا لميناء سندرلند يراد منه ارغام العدو (أى الاسطول الانجليزى) على ارسال جانب من سفنه الحربية للدفاع عن ذلك الميناء . فتى قدمت هذه السفن وجب على الاسطول الالمانى أن يقف جنوبى « دوجر بانك » لتتمكن الغواصات الالمانية من مهاجمة سواحل انجلترا الشرقية، وسيلغم البحر لمنع السفن الانجليزية من مبارحة أماكنها »

هذه كانت خطة الاسطول الالمانى الاصلية وقد عزم على تنفيذها . فأرسل الغواصات الالمانية لمهاجمة سواحل انجلترا والاستطلاع والاستكشاف . ولكن سوء الاحوال الجوية أرغمت الاميرال فون شير على تغيير خطته . فأصدر فى ٣٠ مايو أمراً الى الاميرال هيبر (الالمانى) بأن يقصد الى عرض البحر ويدنو من سواحل نروج الجنوبية الغربية ليقوم هنالك بشبه مظاهرة يستدرج بها جزءاً من الاسطول البريطانى للخروج من موانئه فيستطيع إذ ذاك مهاجمة ذلك الجزء من أسطول العدو



معركة جتلند فى أول أدوارها

وفى الحقيقة ان هيبر أقلع بجزء من الاسطول الالمانى بعد منتصف ليل ذلك اليوم وسار شمالا بعيداً عن سواحل الدانمرك، وتبعه الاميرال شير على بعد خمسين ميلا . وعند الفجر تلقى تقريراً

لاسلكياً من الغواصات الالمانية استخلص منه ان الخطة التى وضعها لاستدراج جانب من الاسطول الانجليزى قد أفلحت . على ان الحقيقة كانت خلاف ذلك . وأما حدث حادث تافه فى حد ذاته ولكنه كان ذا شأن خطير فى نتيجته . ذلك ان البارجة « جلاتيا » الانجليزية بقيادة الكومودور السكندر سنكلير لمحت فى عرض البحر باخرة تجارية أرادت أن تعرف ماهى . ولمح الاميرال هيبر أيضاً تلك الباخرة فأراد هو أيضا ان يعرف ماهى وكان ذلك سبباً فى التقاء الالمان والانجليز فى بدء المعركة

وكان موقف الالمان الى الغرب بحيث يستطيعون مشاهدة الاسطول الانجليزى بجلاء، والاسطول الانجليزى لا يستطيع رؤية سفنهم بمثل تلك السهولة . ومع ذلك أراد بيتى أن يقطع خط الرجعة عليهم . وأدرك هؤلاء غرضه فارتدوا ليتصلوا باسطولهم الاكبر . إلا أن الاميرال الانجليزى صمم على منازلتهم فجمع طرادات القتال وأطلق لها العنان . فسارت تطارد الاسطول الالمانى بسرعة ٢٥ عقدة فى الساعة حتى أصبحت على قاب قوسين منه . وفى منتصف الساعة الرابعة أخذت تقذف الحمم على الاسطول الالمانى . ولكن وقوف هذا الاسطول الى الغرب تجاه الشمس أعمى رجال المدفعية الانجليزية فكانوا يطلقون المدافع اطلاقا غير محكم ، حالة كون الالمان كانوا يشاهدون الاسطول الانجليزى بجلاء ويصلونه ناراً حامية والمسافة بين الفريقين نحو خمسة عشر كيلو متراً .

ومع ذلك تحرج موقف الالمان حتى كاد يسقط فى أيديهم لولا أن تداركتهم الاقدار إذ ظهر أسطول القتال الالمانى فجأة فكان عوناً كبيراً لهم . ويقول النقاد البحريون ان ذلك الحادث الفجائى أنقذ الاسطول الالمانى من الفناء



معركة جتلند فى وسط أدوارها

وأصبح مركز الاسطول الانجليزى إذ ذاك حرجا . ولكن الاميرال بيتى صمم على الثبات ريثما يتسنى للاميرال جليكو قائد الاسطول العام أن يصل فى الوقت الملائم فيغير سير القتال . وظلت مدافع الفريقين تتقيأ الحمم الى أن لاح الاميرال جليكو ببوارجه الكبرى

وفى الساعة الخامسة والدقيقة

الاربعين بدأت المدمرات الانجليزية تطلق نيرانها على طليعة الاسطول الالماني الاكبر فيجيبها هذا بالمثل . ورأى الاميرال الالماني خطر مركزه فعزم على الارتداد شرقا ولكنه ما كاد يشرع فى ذلك حتى انبرى له أسطول الطرادات البريطاني الثالث وشرع فى قتاله . ورأى الالمان الخطر يشتد فلم يبق أمامهم إلا الفرار . فاتجهوا جنوبا شرقاً . ولكن أربع مدمرات انجليزية استقبلتهم بنيران حامية . فظن الالمان ان هذه النسافات طلائع قوات كبيرة فغيروا اتجاههم وساروا جنوبا غربا

وفى الحقيقة ان قائد الاسطول الالماني كان قد سبق فأعد خطة للتقهقر فى الاحوال الطارئة . لذلك أمر المدمرات أن ترتد وهى تطلق النيران على الاعداء لتفسح المجال لبقية سفن الاسطول بالارتداد . ولم يصدر ذلك الامر إلا بعد ان رأى القائد الالماني بوارج الاسطول البريطاني تشدد الوطأة عليه . ومع ان خطة التقهقر هذه كانت محفوفة بأعظم الاخطار فقد تمكن الالمان من تنفيذها بدقة لا مزيد عليها بحيث لم تمض بضع دقائق حتى كانت أكثر سفنهم قد اختفت عن الانظار ، ولم يجد الانجليز من الحكمة أن يطاردوا تلك السفن لان المدمرات الالمانية كانت تواصل اطلاق الطوربيد بمنتهى الشدة

ورأى الامير جليكو انه اذا اقتفى أثر العدو عرض نفسه للتهلكة لان العدو كان يستدرجه الى منطقة ملأى بالالغام ومحاطة بجميع وسائل الدفاع . وكان يعلم ان معظم سفن الالمان الحربية تحمل ألغاما تبثها وراءها فى حالة تقهقرها . فاذا لم يتسن له (أى للاميرال جليكو) أن يلحق بالالمان قبل أن يصلوا الى منطقة ألغامهم فمن العبث مطاردتهم . وبما ان سرعة الاسطول الانجليزى لم تكن أعظم من سرعة الاسطول الالماني بكثير فقد رأى الاميرال جليكو عدم القيام بتلك المطاردة

وكانت الساعة السادسة والدقيقة الاربعين مساء . ولم يبق من نور النهار الا القليل ــ نحو ساعتين فقط ــ وقد توارت سفن الالمان كلها عن الانظار واتجهت جنوباً غربياً . وتمكن الاسطول الانجليزى من الانتقال الى جهة الشرق، وغرضه من ذلك أن يكون الاسطول الالماني غربيه فيما اذا التقاه مرة أخرى قبيل الظلام فيستطيع اذ ذاك رؤيته بجلاء . وفى الساعة السابعة الا الربع أمر الاسطول بالاتجاه جنوباً شرقاً وأمر الكومودور « جوديتوف » أن ينطلق باسطول الطرادات الخفيفة التى كانت تحت أمره ليبحث عن مواقع العدو فأسرع «جوديتوف» الى تنفيذ الامر . وبعد قليل أرسل اشارة الى الاميرال جليكو يقول له ان أسطول الالمان الاكبر متجه جنوباً غرباً

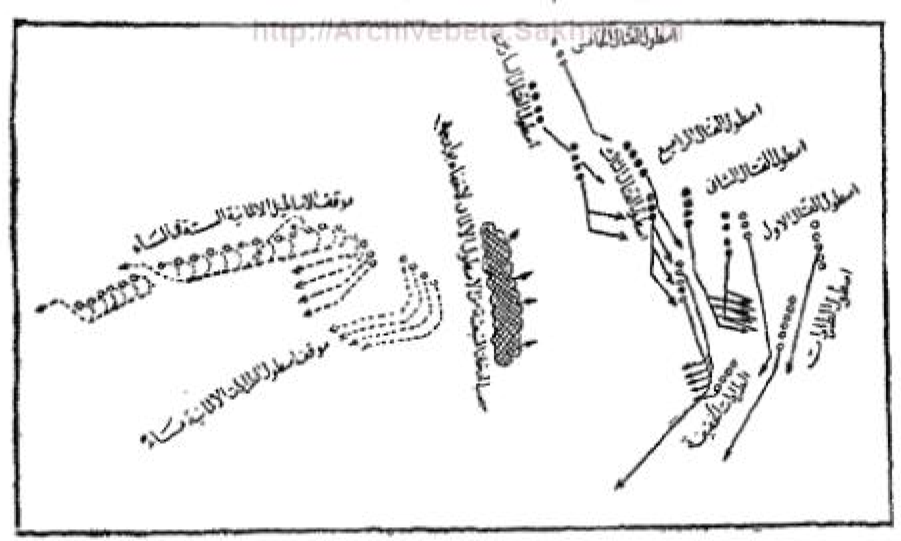
فأصدر الاميرال جليكو الامر الى الاسطول الانجليزى بالاتجاه الى تلك الجهة . وكان قد تلقى قبيل ذلك ببضع دقائق أنباء تدل على كثرة الغواصات الالمانية فى طريقه فاضطر الانجليز أن يسيروا فى غير الطريق الذى كان يجب أن يسلكوه اجتناباً لتلك الغواصات . وفى الحقيقة ان أنباء وجود الغواصات لم تكن صحيحة ولكن الاميرال جليكو لم يكن يستطيع أن يغفلها من حسابه . وعليه

سار فى خط مستدير وأضاع وقتاً ثميناً قبل أن عثر على الاسطول الالمانى . وقد كتب الاميرال فون شير الالمانى فى ذلك يقول : « كان فى وسع الاميرال الانجليزى أن يرغمنا على القتال قبيل احداق الظلام ويقطع علينا خط الرجعة لو أنه لم ينخدع بأنباء وجود الغواصات الالمانية » وعلى كل فان وصول الاميرال جليكو لم يبق للاميرال الالمانى مندوحة عن القتال مرة أخرى مهما تكن النتيجة وبناء عليه استدعى جميع المدمرات الالمانية لمعاونته

تجديد القتال

وفى الساعة السابعة والدقيقة الثانية عشرة شرعت البارجة مارلبرو فى اطلاق مدافعها بشدة على البارجة « كونج » الالمانية المعقود لواؤها للرير أميرال بهنكى . فحاول الالمان توجيه كل قواتهم لضرب السفن التى فى مؤخرة الاسطول الانجليزى ولكن جليكو قام بحركة فنية لحماية تلك السفن واستمر فى اطلاق النار . ورأى الاميرال الالمانى أن بوارجه الكبرى معرضة للفناء وأنه إذا أراد انقاذ تلك البوارج فلا بد له من التضحية باسطول الطرادات . فامر هذه الطرادات بمهاجمة بوارج الاسطول الانجليزى غير مكترثة لما قد تتعرض له من الخطر . وأمر جميع المدمرات أن تصوب نيرانها الى العدو بمنتهى الشدة

وأصيبت البارجة « لوتزوف » (بارجة الاميرال هيبر الالمانى) بعطب شديد جعلها غير صالحة للقتال . فانتقل هيبر منها الى بارجة أخرى . ورأى هارتوج قائد البارجة « درفلنجر » الالمانية انه لم يبق له إلا الاستماتة فى الدفاع . فهجم هو وثلاث بوارج أخرى على الاسطول الانجليزى هجوم



جتلند فى دورها الاخير الحاسم

اليأس (والالمان يسمون هذه الهجمة هجمة الموت) فتلقاهم الانجليز بنيران حامية وصرفوا النظر مؤقتاً عن السفن الاخرى . وكانت النتيجة أن البارجة « درفلنجر » لسفت والبارجتين « مولتكى » و« فون درتان » عطبتا عطباً بليغاً . وما هى الا دقائق حتى صدرت الاوامر الى سفن الاسطول الالمانى بالتقهقر فتلقت هــذه السفن تلك الاوامر بالارتياح وأسرعت الى التقهقر بلا انتظام وهى تطلق سحباً من الدخان الكثيف تسترها عن الانظار . وظلت المدمرات الالمانية فى مواقفها تطلق الطوربيدات بشدة متناهية ، ولكن الكومودور ليموزريه قابلها بنيران حامية فاغرق بعضها وعطب البعض الآخر

وفى الساعة الثامنة الا الثلث مساء لمح الاميرال بيتى بوارج الاسطول الالمانى الا كبر تتجه شمالا غرباً . فارسل نبأ بذلك الى الاميرال جليكو القائد العام واقترح عليه أن يسمح للبوارج التى فى المقدمة بمتابعة طرادات الالمان.فاصدرالاميرال جليكو أمراً الى الاميرال جيرام بتنفيذ ذلك الاقتراح ولكن وصول الامر تأخر قليلا فساعد ذلك الالمان على الاختفاء

وكان الاميرال شير يكره استئناف القتال مرة أخرى ما دام بعيداً عن سواحل المانيا . فامر بوارجه بالاتجاه جنوباً . وكان الاميرال جيرام الانجليزى يحاول ساعتئذ تنفيذ أوامر جليكو ويبحث عن الاسطول الالمانى وبعد قليل عثرعليه ولكن الاميرال فون شير تمكن بحركة لطيفة من التوارى عن الانظار مرة أخرى

وكان الاميرال جليكو مرتاحاً الى سير القتال حتى تلك الساعة . وأراد انتهاز الفرصة فقسم أسطوله قسمين وحاول أن يحدق بهما بالاسطول الالمانى لمنعه من الفرار . وأدرك الاميرال فون شير الخطر المحدق به وعلم أنه اذا تأخر فى اتخاذ قرار حاسم فان أسطول الاميرال بيتى سيدمره . فاندفع غرباً وهو يجازف بكل شيء وتمكن من التوارى عن الانظارقبل وصول الاسطول الانجليزى وكان الظلام قد أحدق

وشاءت الاقدار أن يلتحم الفريقان مرة أخرى فى الليل . ولم يكن الموقف ملائماً للانجليز . ولكن لم يكن بد من خوض غمار المعركة . وكانت المعركة هائلة جداً كثرت فيها خسائر الفريقين . وبسبب الظلام كانت السفن تطلق مدافعها تقريباً على غير هدى . حتى إن البارجة « البنج » الالمانية صدمت شقيقتها البارجة « بوزن » وعطبت فاضطر قائدها الى أغراقها لكى لا تسقط أسيرة بيد الانجليز. وفقد الالمان عدة سفن فى هذه المعركة . وخسر الانجليز أيضاً خسائر فادحة . ولكن اذا كان الاسطول الانجليزى يحتمل تلك الخسائر، فان هؤلاء ما كانوا يحتملون نصفها . وعليه رأى الاميرال شير الالمانى أن يجازف مرة أخرى بالارتداد جنوباً شرقاً وهو يعلم أن الانجليز سيطاردونه

وبلغت خسارة الانجليز ثلاث بوارج وثلاثة طرادات وثماني قاذفات طوربيد . وخسارة الالمان بارجة من طراز دردنوط وبارجة من بوارج القتال الكبرى وأربعة طرادات خفيفة وخمس قاذفات طوربيد . وبلغت خسارة الانجليز فى الرجال ٣٢٨ ضابطاً و٥٧٦٩ جندياً من جميع الرتب ، وخسارة الالمان مائة وستين ضابطاً و ٢٣٨٥ جنديا من جميع الرتب . وتمكن الاسطول الالمانى من الارتداد الى قواعده حيث لبث الى أن وضعت الحرب أوزارها

نتيجة معركة جتلند

أما نتيجة هذه المعركة الختامية فكانت كما يأتى :

(أولا) ان الاسطول الالمانى بعد ان التجأ الى قواعده رفض أن يخرج منها فبقيت السيادة البحرية المطلقة للاسطول الانجليزى

(ثانياً) لم يحاول الاسطول الالمانى الخروج من قواعده بعد تلك المعركة سوى مرة واحدة ، وذلك فى ١٩ أغسطس من السنة عينها . الا أن الطيارات الالمانية أنذرته بدنو الاسطول الانجليزى فعاد مسرعاً الى موانئه

(ثالثا) فى نوفمبر سنة ١٩١٨ ضاق الاميرال شير الالمانى صدراً بنطاق الحصر المضروب عليه فاصدر أمراً الى أسطوله بالخروج الى عرض البحر لفك نطاق ذلك الحصر . ولكن رجال الاسطول كانوا لا يزالون يذكرون معركة جتلند فابوا تنفيذ أوامره . وكان لتلك الفتنة أسوأ الاثر فى نفوس الالمان

(رابعاً) يمكن تقدير نتيجة معركة جتلند تقديراً صحيحا اذا تذكرنا أنه فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٨ سلم الاسطول الالمانى بجميع بوارجه الى الاميرال بيتى الانجليزى

« ثورات على علوم البلاغة »

نشر الهلال فى عدد يناير الماضى مقالة للاستاذ عبد العزيز البشرى بعنوان (ثورة على علوم البلاغة) وقد جاءتنا كلمة جامعية شائقة بعنوان « بل هى ثورات على علوم البلاغة » بقلم الاستاذ أمين الخولى المدرس بكلية الآداب فى الجامعة المصرية . وسننشرها فى العدد القادم



للدكتور زكي محمد حسن

كان حكم الصفويين في إيران عصر رخاء وتقدم ، فعرفت البلاد في القرنين العاشر والحادى عشر الهجرى (السادس عشر والسابع عشر الميلادى) وفي الربع الاول من القرن الثاني عشر ، تطوراً كبيراً في الفنون ، وبلغت صناعة التصوير في النصف الاول من حكمهم الطويل درجة عظيمة من الابداع والاتقان . لا غرو فان استيلاء الشاه اسماعيل على هراة سنة ٩٠٧ - ٩٣٠ هـ وهجرة الفنانين الى عاصمته تبريز ، ثم تعيينه بهزاد مديراً لدار الكتب الملكية وهي في ذلك الوقت أشبه شيء بمجمع الفنون الجميلة ، نقول ان ذلك كله كان باعثاً على نشأة مدرسة جديدة على رأسها خير من أنجبتهم هراة من مصورين ، ومن ثم كانت الصلة وثيقة بين فن المدرسة الصفوية في أول عهدها و بين التقاليد الفنية التي سادت في الوسط الذى عمل فيه بهزاد وزملاؤه وتلاميذه .

على ان الحروب التي خاض غمارها الشاه اسماعيل جعلت نصيبه في تشجيع الفنون أقل من نصيب ابنه الشاه طهماسب ، الذى خلفه على عرش إيران سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤) وظل يحكم البلاد حتى سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦)

وقد كان الشاه طهماسب نفسه مصوراً ماهراً ، تلقى الفن على المصور المشهور سلطان محمد . وكانت بينه وبين بهزاد وأغاميرك صداقة طيبة . والمعروف ان ازدراء المصورين قل في عهد الاسرة الصفوية ، واذا كانوا ظلوا مهضومي الحقوق منخفضي المكانة

تقوم لجنة التأليف والترجمة والنشر بطبع كتاب نفيس عن (التصوير في الاسلام) للدكتور زكي محمد حسن امين دار الآثار العربية . وسيصدر قريبا . وقد رأينا أن ننشر هنا الفصل الآتي من هذا الكتاب الطريف لقراء الهلال

فان الامراء وكبار رجال الدولة كانوا يتهافتون على اقتناء آثارهم ، وظهرت تبعاً لذلك مخطوطات فيها عدد كبير من الصور

وتظهر في الصور الصفوية عظمة ذلك العصر وأبهته ، وأكثر ما تعرض لتمثيله مأخوذ من حياة البلاط والطبقة الارستقراطية ، والقصور الجميلة والحدائق الغناء ، وتمتاز الاشخاص في هذه الصور بالقدود الهيفاء والملابس الفاخرة . وأما رسومها فغاية فى الدقة ، كما ان ألوانها كثيرة التنوع ، ففيها الالوان الساطعة الزاهيـة التى اشتهرت بها المدرسة التيمورية ، وفيها ألوان أخرى أكثر هدوءاً . وهناك عدا ذلك عناية ظاهرة في تخير موضوعات الصور وفى التأليف التصويرى على وجه عام

ومما يميز الصور الصفوية لا سيما غير المتأخرة منها لباس الرأس ، فانه مكون من عمامة ترتفع باستدارة تبرز من أعلاها عصا صغيرة حمراء . واذا كان وجود هذه العمامة في صورة من الصور يدل على انها ترجع الى عصر الاسرة الصفوية ، فان وجود غيرها أو عدم وجودها لا يحتم أن تكون الصورة من غير هذا العصر . والظاهر أنها كانت بادىء الحال شعار أفراد الأسرة الصفوية وأتباعهم . وكانت العصا الصغيرة حمراء دائماً كما يتبين من الصور التى ترجع الى أوائل العصر الصفوى . ولـكن ما لبثت أهميتها تقل وبدأ الناس والمصورون يغيرون لون العصا عند ما رسخت قدم الاسرة ولم تعد ثمة مقاومة لها . حتى ليمكننا أن نلاحظ ندرتها فى الصور الصفوية بعد وفاة الشاه طهماسب سنة (٩٨٤ هـ ــ ١٥٧٦ م)

ومما يمتاز به القرن العاشر الهجري في تاريخ التصوير الفارسى أن الوحدة السياسية في العصر الصفوى قضت على الفروق فى الصناعة بين الانحاء المختلفة في ايران ، فأصبح من العسير التفرقة بين الصور المصنوعة في شرق الامبراطورية وما صنع فى الوسط أو في الغرب ، إذ أن المصورين كانوا في كافة أ . الامبراطورية يقلدون مصورى البلاط فى تبريز وقزوين ، ولم تكن هناك إلا فوارق يسيرة جداً بين منتجات الفنانين العاديين في مختلف الاقاليم الايرانية

وهناك عدد من المخطوطات تمثل صورها عصر الانتقال من المدرسة التيمورية في هراة إلى عصر الشاه اسماعيل وابنه الشاه طهماسب . ومن أهمها مخطوط واحد في المكتبة الاهلية بباريس لمير على شيرنوائى ، كتب في هراة سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٧) ومن المحتمل أن يكون ما فيه من صور قد أضيف اليه في تبريز بيد بهزاد وتلاميذه

وفى متحف المتروبوليتان بنيويورك مخطوط جميل من (المنظومات الخمسة) لنظامى ،

كتبه في سنة ٩٣١ هـ سلطان محمد نور الخطاط الكبير . وفيه خمس عشرة صورة تمتاز كلها بألوانها الجميلة ، ورسومها الفنية ، وزخارفها الدقيقة . ولا يدري المرء بأيها يعجب ! أبهذه التى تمثل ليلى وحبيبها المجنون في المدرسة وعلى بابها بيت شعر بالفارسية يطلب الى المعلم « ألا يلقن هذه الفتاة الشقراء ذات الوجه الجميل غير كل طيب هى جديرة به » أم بسبع الصور التي تمثل بهرام جور مع سبع الاميرات التى تزوجهن،وكان يزور كل واحدة منهن في قصر يسوده أحد الالوان السبعة : الاسود ، والاصفر ، والاخضر ، والاحمر ، والصندلى ، والابيض، والازرق الفيروزى .

وقد نسب مارتن صور هذا المخطوط إلى أغا ميرك ونسبها ساكسيان إلى محمود مذهب

على ان أجمل مخطوطات القرن العاشر الهجرى على الاطلاق هو ذلك الذى يشتمل « المنظومات الخمسة » لنظامي ، والذى كتبه للشاه طهماسب بين سنتى ٩٤٦ و ٩٥٠ هـ (١٥٣٩ ـ ١٥٤٣ م) الخطاط المشهور شاه محمد النيسابورى، وهو محلى بأربع عشرة صورة كبيرة تعتبر من أنفس ما في المتحف البريطاني من تحف شرقية ، ولا غرو فان عليها امضاءات أكبر فنانى العصر الصفوى وهم : سيد على، وسلطان محمد ، وميرك، وميرزا على ، ومظهر على

وقد كتب سام ميرزا اخو الشاه طهماسب سنة ٩٥٧ هـ (١٥٥٠ م) ان أغا ميرك كان مصور البلاط الذى لا يبارى ، ولكن لم يكن له منافس قط . وذكر المؤرخ التركي أعالى ان أغا ميرك كان تلميذاً لبهزاد، وان اثنين من كبار المصورين درسا عليه وهما سلطان محمد التبريزى الذي سيأتي الكلام عليه ، وشاه قولى الذى عمل في بلاط سليمان القانونى

ولا ريب ان براعة أغا ميرك وحذقه لفن التصوير يظهران جلياً في هذه الصور الخمس التى تمثل إحداها كسرى أنو شروان يصغي للبومتين اللتين تتحدثان على أنقاض قصر قديم، ويرى في الثانية مجنون ليلى في الصحراء وحوله حيوانات برية رسمها آية فى الدقة والجودة، بينما تمثل ثلاث الصور الباقية مناظر في بلاط الشاه وحفلات تتجلى فيها العظمة والابهة (١)

أما سلطان محمد فتنسب إليه صورتان من هذا المخطوط تمثل الاولى خسرو يفجأ شيرين تستحم ، ويرى في الثانية بهرام جور يصيد الاسد . والصورتان تكفيان للدلالة على إتقان لمزج الالوان ليس بعده إتقان ، وعلى مراقبة دقيقة للطبيعة ومراعاة لأصولها ، مع براعة فائقة في رسم الوجوه الآدمية والحيوانات ولا سيما الخيل . وفي المخطوط نفسه صورة أخرى تمثل عجوزاً تطلب إلى السلطان سنجر أن ينظر في مظلمة لها ، وحيوانات هذه الصورة وغير ذلك من

(١) انظر اللوحة ١

تفاصيلها تجعلنا نوافق الاستاذ ساكسيان في نسبتها إلى سلطان محمد [١]

ولعل أبدع ماصوره سلطان محمد ، وأكثره حركة ، وأخفه روحا ، وأكثره دعابة ، صورة في مخطوط من ديوان حافظ تمثل منظر شراب تدار فيه كؤوس الراح ، فيشرب أناس ويرقص آخرون ، ويتدحرج البعض على الارض ، ويترنح من أسكرتهم الخمر ، وينظر شيخ في مرآة في يده ، ويشترك الملائكة في الشراب من شرفة تطل على الباقين ، بينما يطرب الجميع موسيقيون بينهم ثلاثة وجوههم أشبه شيء بوجوه القردة . وفي طرف الصورة حديقة تطل عليها شرفة وقف فيها رجل في يده حبل طويل يتدلى إلى ساق يربط له فيه إبريق من الخمر [٢]

ومما ينسب إلى سلطان محمد صور الشاهنامة الشهيرة الموجودة الآن بمجموعة البارون دى روتشيلد ، والتى تشمل ٢٥٦ صورة كبيرة فيها كثير من مناظر القتال والصيد

ويلوح لنا أن سلطان محمد تولى حيناً من الزمن إدارة مدرسة التصوير أو مجمع الفنون الجميلة في تبريز ، وأنه عنى ببقية الفنون الزخرفية فكان يرسم تصميمات السجاجيد والخزف ، ويظهر تأثير طرازه وصناعته فى الرسوم الآدمية التى نراها على الاقمشة الحريرية الفارسية في القرن العاشر (السادس عشر الميلادى)

وممن اشتهر من المصورين في بلاط الشاه طهماسب مظفر على ، الذى وصل الينا من أعماله صورتان في مكتبة لينينجراد ، والذى رسم في مخطوط المتحف البريطانى السالف الذكر صورة تمثل بهرام جور يثبت بسهم واحد أذن حمار وحش بقدمه ، ليثبت لحبيبته « ازاده » براعته فى الصيد . وكان مظفر علي تلميذاً لبهزاد ، وامتاز ببراعته فى رسم صور الاشخاص ، وبحبه للون الذهبي فى تصويره ، وتولى عمل الصور اللازمة للقصر الملكي ولقاعة جهل ستون في اصفهان . وهناك مصوران لهما أهمية خاصة هما : ميرسيد على ، وعبد الصمد ، وقد لعبا دوراً كبيراً في نشأة المدرسة الهندية الفارسية فى بلاط الهند

أما ميرسيد على فقد كان تبريزى الموطن ، واشترك في تصوير مخطوط نظامى الذي عمل للشاه طهماسب بالمتحف البريطاني . فرسم صورة تمثل عجوزاً تقود « المجنون » الى ربع ليلى ، وهو يرسف في أغلاله والصبية يقذفونه بالاحجار ، وليلى جالسة أمام خيمتها . وفي الصورة خيام أخرى انصرف من فيها من النساء الى الاعمال المنزلية المختلفة وراعيان يحرسان قطيعاً من الغنم وفى يد أحدهما مغزل بينما الثانى يعزف في مزمار [٣]

(١) انظر اللوحة ٢ (٢) انظر اللوحة ٣ (٣) انظر اللوحة ٤

جريمة وفاء

شارل ... إنك تقتلني

بقلم الأستاذ حسن الشريف

قصة تاريخية حدثت وقائعها في افول نجم نابليون . وهي وان كانت واقعية الا ان ماتضمنته من التضحية في سبيل الوفاء والشرف والكرامة يعد خيالا ، أو لعله أغرب من الخيال

لعمرى أننا نظلم معها عند ما نزعم أننا والروايات التمثيلية ما من المثل العليا لفضائل حافلا بالحوادث والاسماء والمروءة ، والكرم والشجاعة ، والايثار الطبيعة ونظم الانسانية تشاهد فى القصص الخيالية لا نشاهده فى الحياة الدنيا الانسان. فهذا سفر الحياة التى تشهد بأن النبل والشهامة ، والوفاء والتضحية ، فضائل لم تعقم عنها الانسانية عصراً من العصور ، وبأن هذه الفضائل كانت وما تزال تتجلى من آن لآخر فى بعض النفوس فتتشكل أشكالا رائعة تعجز أخصب الخيالات عن خلق مثلها أو الاتيان بما يقرب منها

ولعمر الحق إذا نجح واضعو القصص ومؤلفو الروايات فى خلق أبطال يخرجونهم للناس مثلا عليا للفضائل الانسانية والمعانى السامية ، فان أولئك الابطال لا ينالون من عطفنا واعجابنا بعض ما يناله هؤلاء الذين تخرجهم لنا الحياة بين حين وحين . ذلك لان المؤلف انما يصور فى قصصه شخصيات وهمية يبدع فى زخرفها وتنميقها ما يشاء له فنه أن يزخرف وينمق . أما الشخصية التى تنجبها الطبيعة فشخصية حقيقية تحيي حياتها وتضرب للناس المثل الأعلى للصفة التى تتجلى بها، ثم تقضى ويطويها الزمن ، فتذهب متواضعة على عظمتها ، حية على جلالها ، غير مزهوة ولا مفاخرة ، بل غير طامعة فى أن يذكرها الخلف أو يرعاها التاريخ . ثم يأتى المؤرخ - اذا أتيح له أن يأتى - فيعثر بها وهو ينبش انقاض الماضى فيخرجها من بين تلك الأنقاض عظيمة رائعة لا أثر فيها للصنعة ولا للتعمل ، أحق بتقديرنا واجلالنا وأولى بعطفنا وإعجابنا من كل ما صنفه المصنفون وتخيله المتخيلون

اسرة ذات مبادىء

ولدت جورجين ده شاستلكس قبيل الثورة الفرنسية الكبرى من أبوين عظاميين ينتسبان الى أسرة فنيت أجيال عدة منها فى خدمة الملك والملكية . فلما عصفت ريح الثورة بفرنسا عانت أسرة

شاستلكس ما عاناه سائر النبلاء وقتئذ من عسف واضطهاد ، وقاست جورجين ، وهي بعد طفلة لم تتجاوز السادسة من عمرها ، أهوال الهجرة مع أهلها ومتاعب الاغتراب خارج وطنها ، وبلت ماسبق الهجرة من فرار تحت جنح الظلام ، وتسلل بين الاحراش والادغال في الغابات ، وسكنى الأقبية والمخابىء في البيوت ، والتنكر في شتى الأثواب وتحت مختلف الاسماء ، وتوقع الموت في كل لحظة ومكان !

فلما عادت الاسرة الى فرنسا سنة ١٨١٠ كان الامبراطور نابليون الاول يحكم البلاد ، وقد تغيرت الاحوال وعفت آثار الملكية وألغيت امتيازات الاشراف وتهدمت الحواجز بين الطبقات ، وقامت نظم غير النظم ونشأ رجال غير الرجال حتى كان العائدون من المهجر يحسبون أنهم غرباء في وطنهم العزيز

ولقد أحصت الأسرة ضحاياها وخسائرها في ذلك الانقلاب فاذا عشرة منها قضوا نحبهم بسكين المقصلة وعشرة غيرهم لقوا حتفهم في الحرب الاهلية ، وإذا قصر شاستلكس الاثرى الفخم لم يبق منه سوى خرائب دارسة واطلال بالية ، وإذا المزارع الواسعة المحيطة به قد صودرت ، وإذا معالم العهد الماضي السعيد قد زالت ولم يبق منها سوى الذكرى تلهب الافئدة وتضنى القلوب ، والحسرة تؤجج نيران الحقد والبغضاء في النفوس

في تلك البيئة المترحمة على العهد الزائل ، الحاقدة على النظام القائم ، لم تكن الفتاة جورجين ده شاستلكس تسمع من اهلها الا عبارات الأسف على الماضي السعيد ، واللعنة على الحاضر البغيض . فكل المحاسن والفضائل والرخاء والسعادة واليسر والامن أشياء مصدرها الملك والملكية ، وكل المقابح والرذائل والازمات والعسر والمجاعة والحرب أشياء مصدرها الكورسيكي اللعين الذي اغتصب عرش الملوك ونصب نفسه امبراطوراً على شعب لا يريده ولا يصبر عليه ، فلا عجب اذا شبت فتاتنا ملكية المنازع والميول تمقت الامبراطور والامبراطورية وتمقت ما يمت اليهما بصلة أو تربطه بهما رابطة

عدو ولكن . . . .

بلغت جورجين العشرين ربيعا وكانت تعيش بين ذوى قرباها هادئة وادعة تستمع الى شكاياتهم الدائمة وتواسى قلوبهم الدامية وتحاول أن تسرى عنهم بظرفها ومرحها ذكريات موتاهم وخسائرهم وما قاسوه من هموم ومتاعب وأحزان . وبينما هي تحيى حياتها المتشابهة الراكدة لا تفكر الا في شئون الاسرة ولا تعنى الا بتوفير أسباب العزاء والهناء لأبويها ، اذا الاقدار تسوق اليهم قريبا كانت تجهله فينزل بيتهم ضيفاً ليومين

أما هذا القريب فضابط شاب اسمه شارل ده لابيد وايير اجتمعت فيه صفات ومزايا قلما تجتمع في شخص واحد . فلقد كان في الخامسة والعشرين من عمره جميل الوجه وسيم الطلعة جذاباً حسن البزة مرح المزاج غنياً نبيلا ذا رتبة عالية في الجيش . بيد أن تلك المزايا والصفات لم تكن لتشفع عند آل

شاستلكس فى وصمة بشعة فيه . فلقد كان شارل ده لايد وايبر ضابطاً فى جيش الامبراطور نابليون.

نعم كان الشاب الجميل يخدم الغاصب ويحمل أوسمة الكورسيكي اللعين ، وكان يؤيد النظم الحديثة الكريهة التى قامت على انقاض الماضى المحبوب ، والتى عانت بسببها أسرة شاستلكس ما عانت من المصاعب والاهوال . ولقد انتظم شارل فى الجيش سنة ١٨٠٦ وما لبث أن امتاز بشجاعته واقدامه فرقاه نابليون الى رتبة كابتن ، وأنعم عليه بنشان فرقة الشرف ، ثم الحقه بمنصب الياور للامير أوجين نائبه فى ايطاليا ، وبعد أن لبث بأيطاليا سنتين امتاز خلالها بخدمات جليلة أنعم عليه الامبراطور برتبة الكولونيل وعاد الى فرنسا يحمل شارة هذه الرتبة العظيمة التى يحسده عليها كهول العسكريين

على أن الشاب برغم هذه الوصمة التى لا يتسامح فيها أمثال الكونت ده شاستلكس ، قد حل بين الاسرة أهلا ونزل بها سهلا وأجمع أفرادها على أنه شاب كان يكون كاملا لو لم يبتله الله بأن يكون ضابطا بجيش نابليون

وأقام شارل بين آل شاستلكس ضيفا ثمانى وأربعين ساعة ارتحل بعدها الى باريس تاركا فى نفس الجميع أحسن الاثر من مناقبه ومزاياه ، وأشد الاسف على الحالة التى ارتضاها لنفسه بخدمة الغاصب الملعون

أما الآنسة جورجين فلم تكن تعنى بالسياسة عناية أبويها بها . واذا كانت تمقت عهد نابليون لان والديها غرسا فى نفسها منذ طفولتها بذور هذا المقت ، فهى لم تكن ليسعها ان تتجاهل الشأن الرفيع الذى بلغته فرنسا فى ظل هذا العهد ، ولا أن تعمى عن تلك الاصلاحات العظيمة التى أدخلتها ادارة نابليون الحازمة الموفقة على أحوال البلاد

ولقد كان للثمانى والاربعين ساعة التى قضاها شارل لايد وايبر فى بيتهم أثر فى نفسها لم تتبين كنهه أول الامر ، فلما أخذت تفحصه ظهر لها أن عاطفة قوية تدفعها نحو ذلك الشاب وأن هذه العاطفة هى الحب . لا بل لقد أحست أنه هو الآخر يحبها وأن الثمانى والاربعين ساعة قد فعلت فى نفسيهما ما تفعله السنون الطوال وربطتهما برباط قوى لا ينفصم ولا يهى

حارت الفتاة فى أمرها فلم تدر لمن تبوح بسرها ولا من تستنصح وتستشير ! فأبوها رجل مغلق القلب لا سبيل لمثل تلك العواطف الرقيقة اليه ، وهى فضلا عن ذلك لاتستطيع أن تفتح له فؤادها وتفضى اليه بأن كل آمالها فى الحياة قد تركزت فى هذا الشاب البونابرتى النبيل المتسمم بحب نابليون

إذاً لابد من أن تكتم أمرها وتصبر . ولكن ما امر الصبر اذا طالت الايام والشهور ! فهذا شارل يقاتل فى الروسيا وهى لا تدرى ما كتب له فى لوح القدر . وقد تواترت الانباء بأن كارثة كبيرة حلت بجيش الامبراطور ولكنها انباء غامضة لا تدل على شىء معين ولا تقفها على ما كان من نصيب حبيبها فى تلك الكارثة

وينقضى عامان ويعود نابليون من حملة الروسيا بفلول الجيش تاركا زهرة شباب فرنسا تحت

الثلوج ، ويعود معه الـكولونيل لابيد وايير فتنتعش آمال جورجين وتلبث تنتظر الحبيب متوقعة أنه لا محالة سوف يجيء

ولا يطول الانتظار بالحبة المدلهة فيتقدم الشاب الى اهلها طالبا يدها فينشب فى نفس الكونت ده شاستلكس عراك بين عواطفه ومبادئه ينتهى به الى التسليم . ولم لا يسلم والاحوال جميعها تنبىء بقرب سقوط العملاق وخلاص فرنسا منه . لقد فنيت جيوشه فى سهول الروسيا . وتلك أوربا كلها متألبة عليه ، وذلك لويس الثامن عشر يتأهب للجلوس على العرش ويعلن أنه يعفو عن الجميع حتى ليشمل العفو رجال الحكومة العرفية والمحكمة الثورية الذين اعدموا أخاه بسكين المقصلة . فطريق الهداية معبد أمام لابيد وايير ولن يعتبر سابق خدمته للامبراطور اكثر من زلة فى الحياة سوف يكفر عنها باخلاصه وولائه للملك يوم يعود

ويبتدىء عام ١٨١٤ حافلا بالبشائر للملكيين ، فهذا نابليون يقاتل اوربا المتحالفة عليه قتال اليائس والنصر يتسرب من بين أصابعه فى معركة ليبزج ثم فى معركة دارسى . وهذا نجمه يخبو ويؤذن بالافول . فعلام الاحجام والتردد ؟

وتزف جورجين الى شارل فى حفلة فخمة ويسافر العروسان الى الريف لتمضية شهر العسل . بيد أن العسل لم يكن حلواً كما كان الخطيبان يتمنيان . فالآراء السياسية مهما قيل ، عقائد مصدرها العاطفة ولا فائدة من تحكيم العقل فيها ، فاذا اصطدمت تلك الآراء كان لاصطدامها أثر فى الرابطة التى تربط اصحابها مهما كان نوعها وكانت قوتها . ولقد كانت لشارل ميوله البونابرتية يحاول ان يخفيها جهد الطاقة عن زوجته . وكانت لجورجين نزعتها الملكية تحاول هى الاخرى أن تخفيها جهد الامكان عن زوجها . ولـكن هذه المحاولات المخلصة من الجانبين لم تكن لتستر حقيقة الواقع . فلقد ظل شارل خلال الاشهر الاولى لزواجه دائم الهم كثير الاكتئاب ، يروح ويجيء مشرد الفكر مشتت العواطف يتغيب عن بيته فلا يعنى بأن يستأذن زوجته ، ويعود فلا يعنى بأن يبين لها سبب تغيبه . وتسأله جورجين عما يشغل باله فيصرفها عنه بأدب ولين ليغرق فى بحر من الهموم والتأملات

وفاء

وفى الايام الاولى من شهر ابريل سـنة ١٨١٤ يزحف الحلفاء نحو باريس ويعتزل نابليون العرش ويقيم بقصر فونتنبلو ريثما يبت أعـداؤه فى مصيره . فيتنكر له المراشلة والقواد والوزراء ورجال الدولة ، بل ويهجره أصدقاؤه وخدامه وأمناؤه وأقرب الناس اليه ، فيعز على لابيد وايير ان يبقى الامبراطور وحيداً فيهرع اليـه ويقيم الى جانبه فى القصر يخدمه ويواسيه حتى لا يقال ان نابليون العظيم لم يجد فى محنته رجلا وفيا له بعد أن كان حتى الامس معبود الجميع

ويبلغ الخبر الكونت شاستلكس وذويه فتثور ثائرتهم على شارل ويرمونه بالجنون ، ويرون فى

وفائه لسيده جريمة نكراء . وكيف لا يكون هذا الوفاء جريمة والاسرة كلها تتأهب لاستقبال الملك لويس الثامن عشر وتتمنى لو تقدم الى جلالته صهرها الجديد ؟

وتكتب اليه زوجته الرسالة تلو الرسالة ملحة فى أن يعود الى الصراط المستقيم ، فيرد عليها بأن الصراط المستقيم انما هو صراط الواجب والشرف ، وان لا واجب ولا شرف إلا فى الوفاء للامبراطور . ثم يزيد الطين بلة فيرسل الى وزير الحربية استقالته من منصبه بالجيش ، ويكتب الى أهله انه لا يريد أن يكون بين اللئام الذين تنكروا للسيد المنكوب ليستقبلوا الشمس المشرقة ركعا خاشعين

ويضع الامبراطور قائمة بأسماء الضباط ورجال الحاشية الذين اختارهم ليصحبوه الى منفاه بجزيرة ألبا فيدخل عليه شارل لابيدوايير ويجثو أمامه متوسلا اليه أن يجعل اسمه فى القائمة ، فينهضه الامبراطور ويربت على كتفه شكراً وتقديراً ويقول له : « انى لا أريد ان أحرمك التمتع بعروسك التى تحبك وانى أعلم انها حامل فابق الى جانبها لتعنى بها وبالطفل الذى تنتظره منها » فيزداد شارل تشبثا واصراراً وتنهمر الدموع من عينيه ويقول : « ما دمت لا تريدنى فى خدمتك يا مولاى فلا أقل من أن تسمح لى أن أتبعك عن بعد » . ويكبر الامبراطور فى صاحبه هذا الوفاء العظيم فيعانقه ويؤكد له انه لن ينساه ثم يقتاده الى الباب قائلا : « اهنأ بعروسك وطفلك يا ولدى واذكر انى قادرك قدرك ، وانك حائز لصداقتى واعجابى »

ويرحل نابليون الى جزيرة ألبا ويقتعد لويس الثامن عشر العرش ويعود شارل الى بيته محزون النفس مهموم العقل . وبينما تحاول زوجته ان ترفق بعواطفه وتجامل احساسه فتخفى فرحها لعودة الملكية كان هو لا يستطيع ان يستر حنقه على ذلك الملك الحقير الذى لم يأنف العودة الى عرشه تحت لواء أعداء وطنه يحميه الانجليز والبروسيون والذى رضى أن يرى اسكندر قيصر الروسيا يتحكم فى فرنسا ويملى إرادته على حكومتها وشعبها

ويغلب هذا الحقد على الملك والملكية فى قلب الضابط الشاب كل عاطفة فيهرع كل يوم الى قصر المالميزون حيث تسكن الامبراطورة جوزفين مطلقة نابليون فيفضى اليها بهواجس نفسه ويظل يتردد عليها ويجد فى وجوده بجانبها تسلية لكربه وعزاء لهمه ، حتى تتبدى له الناحية الخبيثة من روح تلك المرأة ويدرك انها تحادن القيصر اسكندر وتعالج بكل الوسائل ما فعلته السنون بجمالها لعلها تعجبه فيتخذها خليلة ، فتتقزز نفس شارل من هذا التبذل والغدر ويهجر قصر المالميزون الى غير رجعة . ولكن حنينه الى أهل الامبراطور يدفع به الى قصر سانلو حيث تقيم الملكة هورتانس وولداها ابنا أخى نابليون فيتولى بنفسه تربية الطفلين وتعليمهما غير متنبىء بأن أحد الطفلين سيعتلى يوما عرش فرنسا باسم الامبراطور نابليون الثالث

وفى تلك الاثناء يحاول أشقاء جورجين وأبوها ان يحملوا صهرهم العنيد على العدول عن مسلكه

ويؤكدون له ان مجرد اعلان ولائه للملك كفيل بأن يعيده الى منصبه بالجيش ويشيرون الى المستقبل الباهر الذي ينتظره والذي هو جدير به . ولكن شارل لا يزداد إلا تأبياً وإصراراً فتعاف نفسه خيانة سيده ويكبر عليه أن يرمى شارة الامبراطورية ليحمل الشارة البيضاء التي لا تشرف حاملها ولا تشرف فرنسا فى شيء

وييأس حموه من اقناعه ولا يرى فى تأبيه الا نزوة من نزوات الشباب لا تثبت أمام الامر الواقع ، فيبذل المسعى لدى الملك من تلقاء نفسه حتى يحصل لصهره فى شهر سبتمبر سنة ١٨١٤ على لقب كولونيل لاحدى فرق الجيش المعسكرة بمدينة شاميرى . وهكذا يرى شارل نفسه برغم أنفه ضابطا بجيش الملك

بيد ان هذا المنصب لا يطيب له ولا يستهويه بل ولا يتفق وميوله البونابرتية . لذلك يعرض عنه أول الامر فلا يزال به حموه وزوجته حتى يحملاه على قبوله فيقبل اللقب كارها ولكنه يرفض العمل ويلتمس اجازة طويلة يقضيها الى جانب زوجته

وتضع جورجين طفلا ينصرف اليه شارل بكليته فينسى السياسة والحزبية الى حين ، ويخصص كل وقته لهذا الطفل المحبوب ويظل مغموراً بنشوة الفرح حتى يفيق منها على صوت أمر يأتيه من وزير الحربية ويقضى بأن يلتحق بفرقته بشاميرى فى الثامن من شهر فبراير اذ ان بعض الطوارىء يقتضى الغاء جميع الاجازات الممنوحة لضباط الجيش

ويسافر شارل الى شاميرى ويتولى قيادة الفرقة فيوافيه فى اليوم التالى أمر بالسير الى مدينة جرينوبل لصد العدو الزاحف عليها ....

ومن هو هذا العدو ؟ ... هو نابليون ! ....

الجريمة

نعم العدو هو الامبراطور نابليون نفسه ، فلقد فر العملاق من منفاه بجزيرة البا واكتسح جنوب فرنسا وهاهو ذا يسير الى جرينوبل فى طريقه الى باريس لاستعادة عرشه

ألا تباً للاقدار ما أقساها ! فلقد أبت إلا أن يكون لابيدوايير أول متراس تنصبه الحكومة الملكية فى وجه الامبراطور فتقفه بذلك موقفا محيراً لا سبيل الى النكوص عنه ولا سبيل الى الاقدام عليه

ولكن شارل جندى . والجندى عبد النظام والطاعة ، وما دام النظام والطاعة يقضيان عليه أن يسير فليسر وليكن بعد ذلك ما يكون

قاد لابيدوايير فرقته الى جرينوبل وعسكر بها يومين حتى بلغها نابليون فخرج للقائه خارج المدينة ، فما ان التقى النظر بالنظر وما ان شاهد شارل جنوده الاقدمين يسيرون فى ركاب

امبراطورهم العظيم حتى اضطرب منه القلب وزاغ البصر فرفع يده ليأمر عسكره بالضرب ولكن لسانه لم يطاوع اشارته فصاح : « ليحى الامبراطور » ثم لم يتمالك نفسه فهرع الى سيده وعانقه وأشار الى فرقته فصاحت هي الاخرى : « ليحى الامبراطور » . ودخل لابيدوايير مدينة جرينوبل فاتحاً فى ركاب نابليون (١)

فر الملك من باريس واستعاد نابليون عرشه فكان شارل لابيدوايير من أقرب المقربين اليه ولقد رقاه الى رتبة القائد وعينه عضواً بمجلس الاعيان وأنعم عليه بلقب الكونت واختاره ياوراً له ، وبات الجنرال الشاب قرير العين هادىء البال لا شيء يشغله الا أن يصرف زوجته وأهلها عن نزعتهم الملكية ويضمهم الى صف الامبراطور فتتم له نعمة الدنيا وهناء الحياة

ولكن الهناء عارية لا تدوم ، فها هى الحرب على الابواب وها هو الامبراطور يتأهب لخوض غمار معركة ضد دول أوروبا الكبرى فلا بد من امتشاق السيف والسفر الى الميدان

ويبلى شارل لابيدوايير فى معركة واترلو أحسن البلاء حتى ليأتى من أعمال الشجاعة ونسيان الذات ما يقصر عنه الابطال . ولكن النصر بيد الله وقد شاء الله أن ينهزم العملاق مرة أخرى فكانت هزيمته فى سهل واترلو الضربة القاضية التى استطارته من ذروة العرش الى المنفى السحيق بجزيرة القديسة هيلانة

انهارت الامبراطورية للمرة الثانية بعد مائة يوم من قيامها ، وعاد لويس الثامن عشر الى العرش فأحاط به نصحاء السوء يزينون له وجوب معاقبة « الخونة » الذين تخلوا عنه وانضموا الى نابليون ، وانطلقت الاحقاد من الصدور وغمرت الحزازات النفوس وطغت شهوة التنكيل والانتقام فى نفس الملك على كل عاطفة من عواطف الكرم والترفع والتسامح . فأمر باعداد قائمة بأسماء « الخونة » وأخرى بأسماء « المشبوهين » ، واندفعت السلطات الشرطية والقضائية تقبض وتفتش وتحقق وتسجن حتى لم تبق على أحد مهما كبر شأنه وعظم تاريخه ومجده

واذ أبصر آل شاستلكس المارشال العظيم « ناى » يسقط جثة هامدة تحت رصاص الجنود تنفيذاً لحكم الاعدام الصادر عليه جزاء خيانته للملك وانضمامه للامبراطور ، أدركوا أن نفس هذه الخاتمة لاعالة محيقة بصهرهم وأن دوره آت لاريب فيه فحببوا اليه الفرار من باريس

وتردد شارل فى الهروب أول الامر ولكن ذوى قرباه وأصدقاءه ألحوا عليه فقرر الارتحال الى سويسرا . غير أنه أراد أن يرى زوجته وابنه قبل سفره فعاد الى بيته متخفيا تحت جنح الظلام ولكن الشرطة كانوا له بالمرصاد فقبضوا عليه وأودع السجن وحكم عليه بالاعدام

---

(١) أفردنا لحادث عودة نابليون من منفاه مقالا خاصا بهلال يونيو سنة ١٩٣٥ فليرجع اليه القارىء اذا أراد التفصيل

بطولة زوجين

هنا تتجلى أمامنا نفسان فى اروع ما يمكن أن تتجلى فيه النفوس من مظاهر العظمة والبطولة والحب والوفاء. فان جورجين، تلك الشابة المتواضعة المستسلمة الوديعة، لم تكد تسلم أمر الحكم الذى قضى باعدام زوجها حتى آنست فى نفسها شجاعة النمرة فانطلقت تثير الارض والسماء فى سبيل انقاذه. فها هى تلك تدفع أباها وأمها وأخويها الى ساحة الملك ليطلبوا منه العفو، وترتمى على قدمى الوزير تاليران فاذا أعرض عنها لم تيأس بل تذهب الى الامبراطور اسكندر قيصر الروسيا المقيم بباريس وتتوسل به لتخليص زوجها. فاذا صرفها عنه معتذرا لجأت الى صديقته المحبوبة مدام كرودنر، ثم تبتهل الى الوزير فوشيه وتحاول أن تستعطفه فلا يرق لها ولا يعطف، فتقصد باب دوقة انجوليم بنت أخى الملك ولكنها توصد بابها ولا تستقبلها. ثم لا تيأس بعد كل هذا فلا تدع كبيراً ولا عظيماً ولا ذا نفوذ إلا وتتوسل به الى الملك باكية منتحبة. فاذا سدت فى وجهها الطرق وتخلى عنها الانصار والاصدقاء اعترضت سبيل الملك نفسه وارتمت على قدميه صائحة: «عفوك يامولاى عفوك يامولاى» ولكن الملك يعرض عنها هو الآخر ولا يتأثر بدموعها ولا ينظرها وهى مغمى عليها فوق درجات سلم القصر تتمتم بصوتها الخائر المتصدع: «زوجى زوجى». وتعود فى اليوم التالى الى القصر حاملة طفلها وتحاول أن تقتحم باب غرفة الملك فيصدها عنه الحجاب والامناء فتبكى وتعول ثم تصيح وتولول فيخرج لويس الثامن عشر ليقف على جلية الامر فتجثو أمامه وتبتهل: «لست أطلب الرحمة له ولا لى يامولاى بل أطلبها لهذا الطفل البرىء» فيظل الملك جامد الاحساس أمام هذه النفس الممزقة، فتقف زائغة البصر مشتتة العقل كالنمرة الهائجة وتمزق جلد عنقها باصابعها وتقطع شعرها بيديها وتصيح: «لقد أفنينا العمر فى محبتك يامولاى وكنا نظنك خيراً من ذلك» ثم تقع مغشياً عليها فيبكى الطفل ويجيل ذراعيه الصغيرين بين الملك وأمه فيحدث هذا المشهد أثره فى نفس لويس الثامن عشر فيطرق ملياً ثم يرفع رأسه ويقول لمن حوله: «اسعفوا الام بالعلاج وطمئنوها، فسوف أنظر فى المسألة وأصدر أوامرى»

وفى المساء استدعى وزير الحقانية الكونت ده شاستلكس وأفضى اليه بأن الملك يعفو عن الجنرال لابيدوايير إذا رضى أن يستعطف جلالته بكتاب يعترف فيه بجريمته ويبدى ندمه عليها واستعداده للتكفير عنها بالاخلاص لذاته والولاء لعرشه

استبشرت الاسرة خيراً وذهبت جورجين فى الصباح الباكر الى السجن تحمل نص الكتاب ودخلت على زوجها متهللة النفس مشرقة الوجه وارتمت بين ذراعيه قائلة: «لقد نجوت ياحبيبى شارل» فظن الزوج أول وهلة أن أريحية الكرم قد دفعت الملك الى العفو عنه بلا شرط ولا قيد. فعانق امرأته وقال: «لولاك ياجورجين ولولا طفلنا ما قبلت العفو من هذا الرجل» وعندئذ مدت

اليه جورجين الكتاب وقالت : « لم يبق إلا أن تضع اسمك فى أسفل هذا الكلام وتمسى حراً طليقاً »

تناول شارل الكتاب وقرأه فارتجفت يده ثم تأمل فيه وأعاد قراءته وهز رأسه وقال : « مسكينة أنت يا جورجين فان سلسلة آلامك لم تنته بعد » قالت : « وكيف ذلك ؟ » قال : « إن العفو متوقف على التوقيع » قالت : « نعم » فطوقها بذراعيه وانحدرت دمعتان ساخنتان من مآقيه وقال : « هل تظنين ياحبيبتى انى أنزل الى هذا الدرك الاسفل من الهوان ؟ »

قالت : « فكر فى العاقبة يا شارل واذكرنى واذكر ابنك »

قال : « وهل غلت الحياة حتى نفتديها بالشرف ، أم هان الشرف حتى لنشترى به الحياة ؟ انى أفكر فى شرفك وشرف ابنك ياجورجين فهل يطيب لك ان تعيشى زوجة لخائن فاقد المروءة والكرامة ، وهل ترضين لطفلنا ان يشب ابناً لرجل أنكر ماضيه ومبدأه ونسى شرفه فى ساعة ضيق وشدة ؟ »

ـــ شارل . . . شارلى العزيز . . . انك تقتلنى

ـــ جورجين ياصديقتى المحبوبة ان الحياة عزيزة ، وانها لهنيئة اذا حييتها إلى جانبك ، ولكن الثمن الذى يطلبونه أغلى لدى من الحياة ... دعينى أمت والخير لك أن تعيشى أرملة رجل شريف من أن تظلى زوجة مرتد حقير

وفى هذه اللحظة سمع الشابان دقات على الباب وصوت السجان يؤذن بانتهاء أجل المقابلة ، فخرجت جورجين تجر ساقيها المتخاذلتين وتستند إلى الحائط بيدها وهى تكاد لاتبصر ولاتعى حتى اذا سمعت صوت الباب يوصد من خلفها التفتت ناحيته وصاحت : « شارل ... شارل » ولم تستطع أن تزيد على ذلك كلمة فسقطت على الارض وهى تشير الى الباب بيدها ولاتفوه ببنت شفة فحملوها الى مركبتها وصحبها أحد ضباط السجن الى البيت

وفى أصبوحة اليوم التالى كانت الجماهير قد احتشدت أمام السجن وأحاطت بالعربة المعدة لنقل المحكوم عليه الى مكان التنفيذ ، وكان الجنود يحرسون الممر الموصل من السجن الى العربة شاكى السلاح وقد وقفت جورجين بين الجماهير تحمل طفلها

وفتح الباب وخرج منه الجنرال لابيدوايير فما أبصرته زوجته حتى جعلت الطفل على الارض وأسرعت اليه باكية . وكان الحراس يدفعونها عنه فتدافعهم وتتعلق بزوجها تارة وتحاول أن تتسلق سلم العربة تارة أخرى وظلت تجاهد وتقاوم وتصيح حتى خارت قواها وفقدت توازنها فتلقاها شارل بين ذراعيه وقبلها قبلة حارة طويلة وعهد فى العناية بها الى أحد خدامه ثم هرع الى ابنه فحمله وعانقه وأسلمه الى الخادم قائلا : « الوداع ... الوداع » وأخذ مقعده من المركبة ولوح للجماهير بيده مسلماً وانطلقت الجياد بالعربة الى ساحة التنفيذ

حسن الشريف

الفن طريق الخلاص

ولا تصفو الحياة الا لمن تأدبوا بالفن

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

« . . وما دام اشباع الرغبة مستحيلا ، فالخير كل الخير في الخروج من ربقتها والاستعلاء عليها . وتمام ذلك بالفن كما قدمنا ، فهو الذي يطلقنا من كل ذاتية ، ويجعل نظرتنا للاشياء خالصة ، فن الآن هو الخلاص الحق من الحياة . . »

اجمعت الكتب المقدسة على أن الحياة شر . ولولا أنها شر لما قامت الاديان تعالج صلاحها حتى ليصح القول بأن سوء الرأى فى الحياة عقيدة دينية . وشكاة الخلق من الحياة لما تزل تتردد ولعلها مرددة منذ الازل وإلى الابد . ولقد أفرد لها شيوخ الادب العربى بابا كبيراً أسموه باب الشكوى ، وقد قال شاعرهم :

كل من ألقاه يشكو دهره ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟ !

وللشاعر أن يعجب ، وأن يعجب معه كل من فى الارض . فلن ينقضى لهم عجب أجمعين . وبعد . فهل غير اعدام الحياة سبيل الى الخلاص منها ؟

الواقع أنه لا ضرورة فى معظم الاحيان لأن يقضى المرء على حياته . وبحسبه ان يتحرر من ارادة الحياة ، وأن يصبح بقدر المستطاع بعيداً عن أنانيـة الفرد ، مستغرقا فى حقيقة الكل . وسبيل ذلك الفن

فالفن يتطلب التجرد الكلى عند النظر فيه . وإذا كان سواد الناس الذين يغرهم ممتع الوجود بالمألوف كل يوم لا قدرة لهم على النظر حق النظر فى آيات الفنون ومحاسن الطبيعة وكل ما هو معنوى فى مجالى الحياة ، فذلك لأنهم جد محصورين فى حيز المصلحة والارادة . فهم بحافز الحاجة أو لشدة التكالب على الكسب المادى معجلون دون التريث هنا أو هناك فى طلب الجمال ، ولا وقت عندهم يضيعونه فى التطلع لمعنى الحياة فى جملتها

أما حين تعرض لنا حال بعيدة عن ذواتنا أو يستولى علينا فيض انسجام نفسانى ، فعندئذ نرتفع عن عباب الرغبة اللجب ، ومدها الطاغى بغير جزر وموجها المتدفع الى غير حد ، وينطلق فكرنا من أسر الارادة حر الجناحين . ويرتاح بالنا من كل ما يستفزه ويهاجه . فتتجلى لنا الاشياء خالصة من بهارج الطمع الكاذبة الخلابة ، ومن شوائب الخيبة المبلبلة المكدرة ، وبالجملة من كل مصلحة خاصة . أى انها تكون موضوع مشاهدة لا موضع اشتهاء . فاذا بالغبطة التى

يطلبها الناس عبثاً فى مناكب الارض جادين ، تسنح لنا ، وكأنما تسنح من تلقاء نفسها ، فتفرغ السكينة كل السكينة فى نفوسنا . وهذه الحال من الراحة الخالية من الالم هى التى يلهج أبيقور بأنها أفضل البركات وخير النعم!

وأقرب دليل لنا على أنه لا سعادة مع الارادة . أن الواحد منا ليذكر ما لاقاه فى أيام صباه الخوالى فيستمتع بالذكرى مهما يكن هذا الصبا من الشقاوة وسوء الحال . كذلك يقبل المرء على الروايات الفاجعة مع ما تعرضه من ضربات القدر وعوادى الحدثان . ويستعذب الشعر الوجدانى مع مابينه من الأسى ودواعى الاشجان . وذلك لأن الاشياء جميعاً فيها من المتعة لنا بمقدار بعدها عن المساس بأنانيتنا وعدم استفزازها لرغبتنا واهاجة ارادتنا

فالحياة التى نحياها هيهات أن تكون جميلة . أما الحياة التى ننظرها وننظر فيها ، فهى هى الجميلة . واذا كان الصبا أجمل مراحل الحياة ، فلاننا فى الصبا لا ندرى بعد ما الحياة . فلا حرص عندنا عليها ، ونحن أبعد ما نكون عن الغرض وابتغاء المصلحة فيها

والفنان بطبيعة عمله لا بد له من التحرر من الارادة والاستعلاء على المادة . فهو شاهد عدل للحقائق ، لا يتأثر فيها بغرض ولا تشغله الاعراض عن الجوهر . فالمحسوسات كما نعرفها واحدة واحدة ليست الا ظواهر ، وليس لها فى ذاتها حقيقة . فهى لا تكون قط ، وانما هى ابداً صائرة من حال الى حال . ولكن للاشياء عامة معانى ثابتة لا تدخل فى الزمان والمكان ولا يدخل عليها تغيير ، وهى وحدها الحقيقة التى لاحقيقة غيرها . والفن وظيفته اظهار هذه المعانى الازلية والكشف عما هو أصيل وباق فى المظاهر الكونية ، فهو راصد لمجرى الحياة يلتقط هذا الشىء أو ذاك ويرفعه على حدة نصب بصره الثاقب ، فاذا بهذا الشىء بعينه الذى كان فى مجرى الحياة جزءاً ضئيلا زائلا ، يصبح فى الفن عنوانا على الكل ونمطا للكثرة التى ليس لها انتهاء فى المكان والزمان ، فالشىء الذى يقف الفن عنده يخرج من حركة الزمن ويتجرد من الملابسات ، فلا يبقى منه غير الجوهر أو ما يسميه افلاطون بالفكرة ، وهى لا تختلف على اختلاف الاطوار وتعاقب الدهور ، ومثل الفن كقنطرة عبور بين عالمين اذ ينقلنا من الاشياء كما تبدو فى ظاهرها الى الاشياء كما هى فى حقيقتها

وأظهر مشخصات رجل الفن انصرافه عن شخصه الى المدركات ، ونفاذه من المدركات الى معانيها ، ثم استعداده للاسترسال فى هذه الحال من الادراك التجريدى ، وغاية هذه الحال أن ينمحى الشاهد فى المشهود ، وينمحى المشهود فى المعنى الذى وراءه ، والى القارىء فى بيان هذا قصيدة للشاعر الانجليزى كولردج يصف وقفة له أمام جبل مونت بلانك فى سويسرا :

ألا أيها الطود الشموخ المقطب   أمامك يحلو لى التقى والتهيب
لقد أثارت عينى اليك لحاظها   طويلا فلا هدب لها يتذبذب

فظل يلاشيك الذهول من النهى | وغبت ، فأنت الحاضر المتغيب
وليس ذهولى عنك الا عبـــادة | الى الكائن الاعلى الخفى تثوب
على أن مهما تذهل النفس أنعم | فما زال يسرى النغم فيها ويرسب
كذا كنت شوب النفس رغم ذهولها | تشوب أقاصى لبهـــا وتشرب
فأفعمتها حتى نمت وتمـــددت | وفى جرمك العالى مضت تتسرب
وتم كما لو كان جرمك جرمها ـ | سمت تتمادى فى الفضاء وتذهب

وهذه أشبه بدرجة التوحيد عند المتصوفة ، وليس أبلغ فى وصفها من قول جامى أحـــد مشايخهم من الفرس : « أطل النظر حتى يصبح الرامق من اطالة النظر هو المرموق ، لم أعد أنا أنا ، ولم يعد هو هو ، بل امتزجنا فى ذات واحدة لا تتجزأ ، ولا جرم يشكو كل من لم يكن واحداً من صدع الفراق »

ولا يكفى أن تحصل للفنان هذه الحال لحظات قصارا ، بل لابد من دوامها فترات طوالا ليتمكن الفنان من أن يخرج ما أدركه بالنظر الباطن الى ظاهر الوعى ، وأن يعالجها عن قصد وحضور حس بحسب مقتضيات الصناعة . وبهذه المناسبة نقول إن القدرة على النفاذ الى المعنى موهبة فطرية ، ولكن القدرة على جلاء المعنى وتبليغ الحقيقة للآخرين ملكة اكتسابية وهى فى الفن ناحيته الصناعية

واذا كانت طبيعة الفنان تقوم على المشاهدة الخالصة لمعانى الاشياء ، فانه لاطاقة له ببلوغ هذا المدى البعيد إلا اذا أسعده الخيال . فالخيال يوسع أفقه ويذهب به الى ما وراء التجربة كما أنه مكمل لما يقع تحت حسه من النقص ، فان المحسوسات الواقعة هى فى الغالب صور ناقصة للمعانى . ومن ثم كانت حاجة الفنان للخيال حتى لا يقف من الاشياء عند ما ابرزته الطبيعة فعلا ، بل يعبر عما يختلج فيها ويجاهد فى الظهور قوة . فالفنان بنظرة خياله الثاقب يتبين الفكرة ويفهم تلميح الطبيعة ويفصح عن غمغمتها

وكل من يشعر بالمتعة الفنية فهو لايخلو من إدراك لمعنى الاشياء واستجابة لداعى الجمال واستعلاء فى تلك الآونة على ذاته

والمتعة الفنية واحدة ، سواء أكان مبعثها اجتلاء الطبيعة أو التأمل فى عمل فنى . لان المعنى فى الحالتين هو بعينه دون اختلاف . وانما كان الأثر الفنى وسيلة لتخليد النظرة التى تحققت المتعة . وعلى حد قول كارليل : « انه الخلود يطالعك فى الأثر الفنى من وراء الزمن »

واذا كانت معانى الأشياء أسطع جلاء فى آيات الفن منها فى الطبيعة فرجع ذلك قدرة الفنان على استخلاص الجوهر من العرض ، والباقى المقيم من الحدث الزائل ، واغفال الزوائد والانفال التى تغمى على الحقيقة وتعترض العيان . والفنان لا يضفى على الاشياء كما يقولون

شعاعاً لألاء لم يلمح قط فى بر ولا بحر ، وانما كل ما فى الامر أن حسه ألطف كثيرا من حس الرجل العادى ونظرته أحد وأصفى . وهو بعمله الفنى يقدح الشرارة الموصلة من ذهنه الى أذهاننا ، فتسطع لنا الاشياء فى وهجها النورانى مثل سطوعها له

والفنان فى كل هذا كما قدمنا منصرف عن شخصه ذاهل عن ارادته . وهو حين يشركنا معه ينقذنا من الارادة ولجاجها المستمر كلما انقضت لها طلبة استجدت أخرى . وما جود الحياة بالرغائب إلا كالصدقات تلقى للمتسول فتقيم أوده اليوم ليطول شقاؤه الى الغد . وما دام إشباع الرغبة مستحيلا فالخير كل الخير فى الخروج من ربقتها والاستعلاء عليها . وتمام ذلك بالفن كما قدمنا فهو الذى يطلقنا من كل ذاتية ، ويجعل نظرتنا للاشياء خالصة من الارادة الشخصية والرغبة الخاصة . فان الفن هو الجانب البرىء من الحياة ، وهو هو زهرتها بكل معنى هذه الكلمة . ولن تصفو المتعة بالجمال إلا لمن تأدبوا بأدب الفن . مثلهم مثل أديب فرنسا الشاعر « سيلى بريدوم » فى قصيدته « الفن المنقذ » :

« لو لم يكن فى الدنيا ماهو أزرق إلا السماء والبحر
« وما هو ذهبى سوى سنابل القمح ، وما هو أزهر وردى غير الورد
« ولو لم يكن من جمال إلا جمال الطبيعة الجامدة
« لكانت متعة الاعجاب خالصة من مضاضة ووجد
« ولكن هيهات ، فالبحر والحقول والفضاء
« تطلع معها قدود ملاح لها فتنة مؤلمة
« فاذا نحن عشاق لسحر اللحاظ وريا الانفاس ودلال الحركات
« ومن ثم ، آلام لنا ليس لها آخر
« وان الله الذى جعل نعمة الراحة فى النغم
« جعل الالم من زفرة حب غير مستجابة .

* * *

« ولكننى وقد اتخذت من الفن المقدس درعا سابغة
« فطلبى النظر الى الشفاه والاعين والشعر العسجدى
« نظرى الى السنابل والورد والبحر والسماء . »

عبد الرحمن صدقى

اجتمع فى ميدان بلدية سانت جوزيف بولاية ميسورى بامىركا خلق كثير تحسبهم قد جنوا لشدة ما بهم من هياج ، وكانوا يصيحون طالبين أن يسلم اليهم شاب زنجى فى التاسعة عشرة من عمره يدعى (لويد وارنر) اتهم باغتصاب فتاة بيضاء فى طريق موحش وقدم للمحاكمة وكانت المحكمة تنظر قضيته فى تلك الساعة . ولكن جماهير البيض لا يثقون بمحاكمهم حين يقدم اليها زنجى متهم باغتصاب فتاة بيضاء مهما أنزلت به من عقاب ، وشددت عليه فى الاحكام . وانما يودون ان يحاكموه بأنفسهم محاكمة شعبية وأن يحكموا عليه بالعقوبة التى لا يعرفون غيرها لمثل ذلك الذنب العظيم ، وهى صلب الزنجى المعتدى على شجرة وشنقه على أحد فروعها !

بين البيض والسود

حرب اللون

في العالم الجديد

واشتد صخبهم ، وتفاقم شرهم ، وحاول الجند الذين يحرسون المحكمة أن يصدوهم فلم يستطيعوا ووقف قاضٍ من القضاة ، أو لعله واحد من المحلفين ، يخطب فيهم ، منذرًا ومبشرًا دون أن ينجح فى تهدئتهم والعدول بهم عن بغيتهم الاثيمة وأخيرًا لم تجد المحكمة مندوحة عن تسليم المتهم اليهم ، وسرعان ما امتدت اليه آلاف الايدى تجرده من ثيابه ثم وضعوا بعنقه حبلا وعلقوه على شجرة وشنقوه على هذه الشاكلة بين تهليل الجمع المحتشد

وليست هذه الحادثة إلا مثالا واحدًا مما يلقاه الزنوج فى أمريكا وبخاصة فى أمريكا الجنوبية

لمحة تاريخية

نشأت مشكلة الزنوج فى الولايات المتحدة منذ قيام الحرب الداخلية بها بين ولايات الشمال وولايات الجنوب . فقد أرادت الاولى تحرير العبيد الذين يعملون فى الارض فقاومت الثانية وانتهى الامر بانتصار الشمال على الجنوب ثم باعلان المساواة بين البيض والسود ومنح هؤلاء جميع الحقوق المدنية التى للاولين . واذا كان الزنوج قد كسبوا من ذلك تحررًا من الرق الذى رسفوا فيه منذ كانوا يجلبون من أفريقا ، فانهم قد شرعوا بعده يعانون الضائقة لان (أسيادهم) الاولين صاروا غير مكلفين ايواءهم واطعامهم ، بل صاروا فى حل من طردهم فى أى وقت يشاءون حسب الظروف الاقتصادية السائدة . ولما رأى (المؤتمر) ـ البرلمان الامريكي ـ ذلك أنشأ فى سنة ١٨٦٥ مكتبًا فى واشنجتن لمعالجة هذه الحالة وإيجاد أعمال للزنوج المحررين

وإذا كان أهالى الجنوب قد ازدروا الزنوج واضطهدوهم منذ البداية فان أهالى الشمال كانوا دائماً يشملونهم بعطفهم ويسعون لترقية أحوالهم . ولعل السر فى ذلك كثرة الزنوج فى الجنوب وقلتهم فى الشمال فى ذلك الحين ، وبلغ من رعاية أهالى الشمال للزنوج أنهم اكتتبوا بالأموال الطائلة حتى أنشأوا لهم فى الجنوب جامعات (فيسك) و (أطلنطا) و (هوارد) و (هامبتون) . بينما كان أهالى الجنوب ـ وجلهم أرباب مزارع ـ يخشون من تعليم الزنوج ورفع مستواهم أن تعلو أجورهم فتزيد معها نفقات زراعة القطن وغيره

على أن الزنوج ما لبثوا حتى صاروا يهاجرون الى الشمال أفواجاً ، فقد تقدمت هناك الصناعات وانشأت المصانع كأنما انشق عنها بطن الارض ، والمعروف أن اجور العمل فى الصناعة أعلى منها فى الزراعة

الخطر الاسود

ولما كثر الزنوج فى ولايات الشمال أصبح البيض فيها ينظرون اليهم مثل نظرة أهالى الجنوب وصار « الخطر الاسود » مشكلة يعجز الجميع عن حلها . وقد بلغ من كثرة الزنوج فى المدن الامريكية الكبرى ـ مثل شيكاجو ونيويورك وفيلادلفيا ـ ان عددهم صار لا يقل عن عشر عدد سكان تلك المدن . أما مدينة واشنجتن فان عدد الزنوج فيها نصف مجموع السكان . ولما كان الزنوج كثيرى التناسل فان زيادة عددهم أسرع كثيراً من زيادة عدد البيض مع اضافة المهاجرين اليهم . ويؤخذ من التعداد الاخير أن مجموع عدد الذكور فى الولايات المتحدة ٦٢٫١٠٠٫٠٠٠ منهم ٤٨ مليوناً من البيض و ٥٫٨ ملايين من السود ، ومجموع عدد الاناث ٦٠٫٦٠٠٫٠٠٠ منهن ٤٧٫١ مليوناً من البيض و٦ ملايين من الزنجيات

ويعيش الزنوج فى تلك المدن عيشة عزلة حتى ليؤلفوا مدينة بداخل المدينة ولكن أكثرهم يعانون البؤس والفاقة خصوصاً فى هذه الازمة الخانقة ، ومع قلة العطف عليهم من جانب البيض . ففى نيويورك مثلا ٣٤٣٫٠٠٠ زنجى ثلثهم يعيشون على معونة العطلة . وقليل من الزنوج من يعيشون عيشة الرغد فى بقعة أغنيائهم عند (ستريفرز رو) . ولما كان اليهود هم أصحاب المنازل والحوانيت والمقاهى والاندية فى حى هارلم فانهم يستغلون الزنوج حتى لتقوم بين الفريقين مشاحنات كثيرة . وقد أدى تكاثر الزنوج فى ذلك الحى الى غلاء أجور المساكن لدرجة أنها تستهلك نصف أجور الزنوج الذين يلقون عملا

النهضة الزنجية

اذا تحدث الامريكى عن « الخطر الاسود » فانه لا يعنى تكاثر الزنوج وحده وانما يعنى كذلك

خوفه من نهضتهم وسعيهم الحثيث الى القوة. والسلطان عن طريق العلم والمال

أجل فقد نهض الزنوج لمكافحة البيض، وأيقنوا أنهم لا يستطيعون مكافحتهم إلا بمثل سلاحهم فصار منهم الآن أناس مبرزون فى كل واد، وأصبح منهم رجال أعمال وفنانون ومحامون وعلماء

وقد كانت السنوات العشر الاخيرة عهد نهضة للزنوج تماثل (عصر النهضة) الطويل الذى خرج باوربا من ظلمة القرون الوسطى الى نور المدنية والحضارة. ولست تجد زنجياً إلا يؤمن بضرورة التعليم لاولاده ويشعر بشعور (الطائفة) قوياً جامحاً

ولنذكر هنا من نوابغ الزنوج الامريكيين: الكاتب الكبير توماس نلسن بيج مؤلف كتاب «العم ريموس» ورواية «رجل القبلة»، وقد وردت فى هــذه الرواية جمل تدل صراحة عما يجيش بنفوس الزنوج مثل قوله: «انه لعين الحق والعــدل الالهى ان يكون الزنجى الحاكم المسيطر حيث كان بالأمس العبد الرقيق، وهــذا وحده هو الحل الملائم لمشكلة الأجناس. أصبروا حتى أوضع ورقة الانتخاب فى يد كل زنجى وسنجة فى صدر كل أبيض من نهر جيمس الى نهر ريو جراندى». وقد ظل هذا الكتاب زماناً وهو يلقى النصيب الاوفر من الرواج فى أمريكا، أما الآن فقد فات أوانه

ثم نذكر من الكتاب الزنوج أيضاً: بول لورنز دنبر. وتشــارلس تشسنت. و بورجهارت دى بوا. وقد كان لهم فى الادب الامريكى أثر ملموس، هو بلا ريب أكبر من نسبة عدد الزنوج الى عدد البيض فى أمريكا..

كذلك نجد فى العالم الموسيقى زنوجا كسبوا لانفسهم شهرة عالية، مثل ادموند ديد الذى نشأ فى نيواورليانز ثم هاجر الى (بوردو) بفرنسا حيث عين مديراً لفرقة موسيقى الاوبرا واشتهرت لحنه الموسيقية مثل (مقدمة النخيل). ثم المغنى الزنجى (آل جولسون) الذى وصلت شهرته الى أوربا وكذلك باريتون هارى بورلى الذى عمت شهرته أنحاء أمريكا

وهناك فرقة تمثيلية من الزنوج بلغت الذروة من النجاح منــذ مثلت رواية زنجية اسمها «المراعى الخضراء»، حتى قالت عنها احدى الصحف الامريكية فى معرض نقدها: «وبالاختصار تعد هذه الرواية من أحسن الروايات التى عرفها المسرح الامريكى فى الجيل الحاضر»

الزنوج والسياسة

لم يحل الارهاب دون اهتمام الزنوج بالحالة السياسية فى أمريكا. وقد ساعدهم على ذلك انتشار التعليم بينهم فى العهد الاخير. ودفعهم اليه سعيهم فى الحصول على شىء من السلطان عن طريق المجالس النيابية

وقد ظل الزنوج نصف قرن وهم يعاونون الحزب الجمهورى على الحزب الديموقراطى دون



النائب الزنجي ارثر ميتشل الذي انتخب عضواً بالبرلمان الامريكي سنة ١٩٣٢ بعد أن انتقل من الحزب الجمهوري الى الحزب الديموقراطي

أن يفيدوا من ذلك ثمرة تذكر من الوجهة السياسية . ولما بانت لهم هذه الحقيقة شرعوا يقتحمون أبواب الحزب الديمقراطي نفسه ، وآية ذلك تحول الزنجي ارثر ميتشل عضو (الكونجرس) عن شيكاجو من الحزب الجمهوري إلى الحزب الديموقراطي في العهد الاخير ، ودخوله المؤتمر بهذه الصفة

ولما كان قد أصبح نائباً أمريكياً مثل غيره من النواب فان قرينة الرئيس روزفلت لا تهمل دعوة قرينته مع نساء النواب الآخرين إلى حفلة شاى تقيمها لهن (بالبيت الابيض) ولا ندرى ماذا تقول نساء النواب البيض حين يرين تلك الزنجية بينهن لأول مرة في دار الرياسة !

على أن الرئيس روزفلت نفسه قد جهر مراراً بميله إلى الزنوج أو على الاقل بعدم تفريقه بينهم وبين البيض . ومن دلائل ذلك انه لأول مرة في تاريخ أمريكا عين رجلا زنجياً في منصب سياسي اذ اختار (لستر والتون) ليكون وزير أمريكا المفوض في جمهورية ليبريا . وقد أنشأ الزنوج بعض المحافل الماسونية فلم يأنف الرئيس روزفلت أن يستقبل وفداً منهم في البيت الأبيض

في أسفل : بعض مستخدمي بنك الزنوج وهم لا يختلفون عن موظفي البنوك البيض في شيء سوى سواد بشرتهم




الشبيبة الزنجية في حي هارلم بنيويورك تمارس الألعاب الرياضية مثل شباب البيض

قوة الزنوج

ان طلائع النصر النهائي الذي يسعى اليه الزنوج تتمثل فى القوانين التى صدرت فى أول سبتمبر الماضى بولاية بنسلفانيا (وفيها نحو ... ألف زنجى) وهى تقضى بالمساواة الصحيحة بين السود والبيض . ولذلك قصة لا تخلو من طرافة :

فى أثناء الحملة الانتخابية التى تمت سنة ١٩٣٠ كان الديموقراطيون يكافحون فى سبيل الفوز على الجمهوريين ، وكان من مرشحى الاولين المستر بندوم فنصح له خادمه الزنجى أن يضمن برنامجه الانتخابى السعى فى ترقية حالة الزنوج وفى مساواتهم بالبيض . وراقت هذه الفكرة لبندوم وأمل أن يكسب بها أصوات الزنوج وهم كثيرون . وسرعان ما اتصل بالكاتب الزنجى روبرت فان صاحب جريدة (بتسبورج كوريه) واتفقا على العمل معا ، وقد ساعده ذلك الكاتب حتى فاز فى الانتخابات بفضل أصوات الزنوج ، ثم عين فان نفسه فى سنة ١٩٣٣ مساعداً للنائب العمومى بالولايات المتحدة . ولم ينسه هذا المنصب المثابرة على الجهاد فى سبيل قومه فنظم حركة عامة بين الزنوج جعل غايتها « أن يحترموا أنفسهم » . ولما جرت انتخابات سنة ١٩٣٤ صوت للديموقراطيين ١٧٠و٠٠٠ زنجى من بين ١٨١و٠٠٠ من الزنوج الذين لهم حق الانتخاب . وكان ببرلمان الولاية ثلاثة نواب من الزنوج فأصبحوا بعد ذلك أربعة . ومنذ بضعة أسابيع فاجأ أحدهم ــ واسمه رينولد ــ برلمان الولاية بمشروع قانون يقضى بالمساواة التامة بين السود والبيض فى الفنادق والمطاعم والمسارح والحوانيت ، وينص المشروع على أن من يفرق بين البيض والزنوج من أصحاب تلك المحال العامة يحكم عليه بغرامة قدرها ٥٠٠ دولار أو بالحبس لغاية ستين يوماً . وقد أيد وكيل المجلس ــ وهو من الديمقراطيين ــ ذلك المشروع ولم يستطع الجمهوريون أن يجهروا بمعارضته وان يكونوا قد فقدوا



عون الزنوج فى الانتخابات . وهكذا مر المشروع بالمجلس باجماع الأصوات ثم مر كذلك على عجل بمجلس الشيوخ فأصبح قانونا ووقعه حاكم الولاية . ولما نشر القانون ثارت ثائرة أهالى الولاية من البيض فحاول بعض نوابهم أن يعيدوا النظر فى القانون بالمجلس ولكنهم لم يصلوا إلى بغيتهم لانه كان قد نشر وأصبح واجب التنفيذ

وهكذا كسب الزنوج المعركة فى تلك الولاية الكبيرة وحققوا المساواة بينهم وبين البيض ولم يبق الا أن يكسبوا معارك مثلها فى الولايات الاخرى بفضل اتحادهم ومثابرتهم

والآن نرى زنوج أمريكا كلهم يرقبون حرب الحبشة عن كثب ، ويهللون لكل انتصار يحرزه الاحباش السود على الأبطاليين البيض . . فاذا انتصرت الحبشة فى النهاية ـ كما ترجو وتتوقع ـ فسيكون لذلك أثر بالغ فى حالة زنوج أمريكا ، ويومئذ يحققون المساواة الصحيحة بينهم وبين البيض ويحررون أنفسهم نهائياً من « رق اللون »

(. . .)

الزنجيات أيضا لهن معاهد تجميل ، وهذه صورة خادمة فى أحد تلك المعاهد وهى تتعهد وجه زنجية مثلها بواسطة الاشعة فوق البنفسجية بعد أن غطته بطبقة من الكريم



منظر بشع من مناظر التمثيل بالزنوج فى امريكا وهو يمثل جماهير غفيرة من البيض فى بلدة ماريون بولاية انديانا . وقد شنقوا على احدى الأشجار شابين من الزنوج إتهما بقتل رجل أبيض واغتصاب فتاة بيضاء

خضوع الفكر للمزاج

لماذا نتعصب لفكرة ونصر عليها؟

بقلم الأستاذ علي أدهم

« .. المزاج يسيطر على الاختيار ، والاختيار يمهد السبيل للنتيجة الفكرية . وافكارنا متأثرة بالمزاج الى حد لا يستهان به. ولا نزاع في أن للوسط والظروف تأثيراً في صوغ الافكار ، ولكن المزاج له في ذلك النصيب الاوفى . . »

تأثير المزاج على التفكير من الامور المشاهدة المعروفة . ضمنها أحد كتاب القرن الثامن عشر قوله : « لقد وهب الانسان العقل ليمكنه من اختلاق الاسباب لما يريد عمله » . وقد كانت جمهرة المفكرين الذين يفكرون فى ضوء الكتب اكثر مما يفكرون فى الهواء الطلق تعمل على اقصاء هذا التأثير وتتحرى اهماله والغض من شأنه لغلبة الاعتقاد بان المسائل الفكرية منسرحة من سلطان المزاج . وان الفكر النقى فى خلوصه وصفائه لا تشوبه شوائب المزاج ولا تعلق به كدرته ، وإلا فقد مكانته ومزية تجرده وقلت الثقة به والتعويل على أحكامه . ولكن المرجح الآن ان الفكر والمزاج متداخلان ممتزجان ولا سبيل الى فصل أحدهما عن الآخر . فليس هناك فكر نقى النقاء كله كما انه ليست هناك رغبة خالية الخلو كله من اثر الفكر . وان كان هذا لا ينفى وجود فارق أصيل بينهما . وهو ان الفكر عام على حين ان المزاج فردى

وقد ألف المفكرون أن يستعينوا على فهم النفس الانسانية بتقسيم العقول البشرية أقساما متباينة . من أشهرها تقسيم العقول الى عقل أفلاطونى وعقل ارسطوى اى عقل مولع بالمثالى ، وعقل موكل بالعملى . ومن أبرع تلك التقسيمات تقسيم وليم جيمس العقول الى عقل لين ، وعقل صلب . فأصحاب العقول اللينة تهيمن عليهم النزعة المثالية وإيثار الاستبشار والتفاؤل والميل الى الدين والقول بحرية الارادة والتصديق بمذهب الوحدة . وأقصد به رد الاشياء كلها الى اصل واحد . وأصحاب العقول الصلبة تجريبيون حسيون نزعتهم مادية ومذهبهم الشك والتشاؤم . ويمكن أن نلمح من خلال ذلك ان العقيدة الفكرية التى ندين بصحتها والآراء التى نستمسك بها ونحرص عليها وما يعن لنا من الخواطر فى مختلف الشؤون ، متأثر الى حد كبير بأخلاقنا مستمد من نظرتنا العامة الى الحياة . وكل نمط خاص من العقول والاخلاق يصطحب انماطا معينة من التفكير وأساليب المعرفة . فاذا عرفنا أخلاق احد من الناس وبلونا شيمه يمكننا ان ندرك بوجه عام

الآراء التي يكونها والاحكام التي يصدرها في امر من الامور العارضة قبل أن يعلنها . ولتوضيح ذلك أذكر بعض الامثلة :

من الحقائق الملحوظة اننا اذا نظرنا الى الطبيعة من بعض الأوجه كشفت لنا عن خطة مرسومة وتدبير محكم . واذا نظرنا اليها من أوجه أخرى شككنا في ذلك وغالينا في إنكاره ، فبعض وجوه الطبيعة تجعلنا نقول مع الفيلسوف ليبنتز : « ان هذه الدنيا أحسن دنيا ممكنة » وبعضها يميل بنا الى رأى شوبنهور القائل : « انها أسوأ دنيا ممكنة » وهناك براهين كثيرة تدعم الرأى الأول وبراهين لا تقل عنها كثرة وقوة تعزز الرأى الثاني

فما يدل على وجود عقل مدبر غير محدود ذلك الجمال المنثور في نواحي الكون الوسيع . وقد كشف تقدم العلوم الطبيعية وعلوم الحياة عن روائع في الكون خفية ودقائق عجيبة تدل على نظام مبدع وإحكام بارع قد لا تكفي في تعليله الاسباب الطبيعية . والميكروسكوب يرينا في كل ذرة جمالا فريداً وبهاء جماً . وعلم طبقات الارض ولو انه أشاع الشك في قصة الخليقة الا أنه كشف عن المدى الواسع والحكمة الشاملة في التطور . ويرى بعض من يسلمون بصحة ذلك التطور وضوح دلالته على وجود قصد في الطبيعة . ويزيد ذلك الاعتقاد متانة ان غريزة الأمومة تقوى عند ما يكون الاطفال في أشد حالات الضعف وفي مسيس الحاجة الى العطف المتصل والرعاية الدائبة ، وان الازهار التي لا تلقح إلا بانتقال اللقاح من الذكر الى الأنثى هي أشد الأزهار جاذبية للنحل

وهناك كذلك من الحقائق ما يطوع لبعض المفكرين أن يروا خلاف ذلك ، وقد شبه أحد مفكرى الالمان أعمال الطبيعة وتدبيرها بمن يريد ان يقيم لنفسه سكناً يأوى اليه فيبتنى مدينة برمتها . والعلاقة المتبادلة بين الحيوانات تتم على قسوة وظلم فادح ، وقانون تنازع البقاء وهو الوسيلة التي يحقق بها التطور غاياته يجر من المجازر الدموية والقسوة البالغة ما يجعل بعض النفوس الرقيقة تتردد في قبول حكمة التطور والغاية الأدبية المرجوة من وراء تحقيقه . واذا كانت المادة التي ينبعث منها الكون غير واعية فانها قد تبدو في صورة الزهرة اليانعة أو شكل الناب المؤلل . ولا معنى إذن لحسابها على الشر أو لحمدها على الخير . ويثب هؤلاء المفكرون من ذلك إلى انكار وجود عقل مدبر

وأخص ما يسترعى النظر في ذلك انه حينما يقف رجل لين العقل وآخر صلب العقل إزاء مشهد بعينه ويواجه كل منهما بنفس الحقائق فانهما سيكونان آراء مختلفة وينصرفان بنتائج متباينة ، سببها ان للمشهد مظاهر مختلفة ، وجوانب متعددة ، يوجه كل من النظار اهتمامه وعنايته إلى ناحية منها حسب مزاجه ، ووفقاً لطبيعته ، فالرجل ذو النزعة الدينية يستخلص من رؤية المساء الذهبي ، أو الصباح الاضحيان دليلا على وجود الله وابداع خلقه . ولكن الرجل القليل

الايمان بالدين ينصب فى مسمعه خلال ذلك الجمال صوت طائر تفتك به بومة ، او أنة جريح يتعذب ، ويرى فى ذلك دليلا على قسوة الطبيعة وعدم وجود عناية مشرفة عليها . ونلحظ من ذلك ان كليهما لا تعوزه الادلة التى يدعم بها رأيه ويسند معتقده الذى دفعه اليه مزاجه. فالمزاج يملك توجيه التفاتنا ويجعلنا نصر على جانب خاص ونهمل الجوانب الاخرى.وعلى هذا الجانب المختار نشيد بناء عقائدنا وأفكارنا . وواضح من ذلك ان المزاج يسيطر على الاختيار وان الاختيار يمهد السبيل للنتيجة الفكرية وأفكارنا متأثرة بالمزاج الى حد لا يستهان به . ولا نزاع فى ان للوسط الذى ينشأ فيه الانسان والظروف التى تكتنفه تأثيراً كبيراً فى صوغ أفكاره ولكن المزاج له فى ذلك النصيب الاوفى . ويرينا ذلك ان العقل ليس حراً فى أكثر حركاته، وأغلب ميادينه . وما دامت معتقداتنا قائمة على دعائم المزاج وليس للتفكير كبير أثر فى استدراجنا اليها ، وانما نحن مجبورون عليها بدافع من الطباع ، فما أحرانا بالتزام الاعتدال والعمل على سلوك محجة الانصاف ومجافاة التعصب الممقوت والاضطهاد الذميم

والصوفية تظهر لنا تأثير المزاج فى التفكير فى صورة بارزة وضوء ساطع . لان من المتعالم ان الصوفية تستصحب نوعا خاصاً من المزاج وهوالمزاج الصوفى ويستلزم ذلك أن يقف الانسان من الاشياء موقفاً لا يمكن فهمه ولا تفسيره ، واذا لم يتجدك فيه الاحساس الباطنى والبصيرة الملهمة فلا أمل لك فى تقديره ولا تذوقه . وما يتحدث عنه المتصوفة بعباراتهم الغريبة ورموزهم الغامضة لا يمكن تعليله بالمنطق والا أصبحت الصوفية شيئاً آخر غير الصوفية . وصاحب العقل اللين يقف منها موقف الاجلال ويعتبرها فوق متناول العقل . أما صاحب العقل الصلب فتميل به طويته الى انكارها والتسميع بها ، ومن دأب الرجل الصلب العقل أن يحتكم فى كل شىء الى العقل فاذا لم يستطع تبريره رفضه وأباه . وهو يرى الصوفية وأمثالها ملجأ للعقول المتخلفة التى يتخاذل بها التفكير ويحسرها النظر تحتمى به لتتقى صرامة المنطق ومجاهدة التفكير.أما صاحب العقل اللين فانه يرد على ذلك بان يشير الى التناقض الكثير فى المذاهب الفلسفية ويتخذ منه دليلا على اننا كلما اعتمدنا على العقل وحده أمعنا فى الابتعاد عن الحق . والصوفية فى نظره تستنقذ الانسان من عقم المنطق الذى يحاول أن يثبت كل شىء فينتهى به المطاف الى أنه لا يثبت شيئاً

وينجم من الاختلاف بين أصحاب العقول اللينة وأصحاب العقول الصلبة التصادم فى الفلسفة بين الماديين والروحيين . فالفلسفة المادية تعتبر الدنيا شيئاً مغايراً للوعى الانسانى ، وترى ان ظهور الوعى الانسانى جاء باعتباره حادثة عرضية طارئة ليس وراءها معنى بعيد ولا لها دلالة عميقة . وليس هنالك دليل مقنع يسوغ لنا ان نقول باتصاله بجوهر الكون وامتياحه من عنصره الاصيل . والعالم يموج بمختلف المظاهر ، والوعى الانسانى ظاهرة بين ظواهره الكثر . ومن هنا نشأ مذهب الكثرة وهو إرجاع الاشياء الى أصول متعددة لا الى أصل واحد منفرد . والفلسفة

الروحية ترى ان طبيعة الحقيقة وباطن الواقعى مماثل للوعى الانسانى . ويمهد ذلك لفكرة ان الوعى الانسانى جميعه وحدة مشتركة شائعة ، ومن هنا نشأ مذهب الوحدة . فالفلسفة الروحية ترى الوجود غريباً عن الانسان وترى الانسان محفوفا بعزلة رهيبة لا يهون احتمالها . فتحاول أن تخلع على الكون الطبيعة الانسانية وتزخرفه بأمانيها، وتوشيه بأخيلتها طلباً للعزاء والتماساً للسلوى. والفلسفة المادية لا تروعها فكرة صغر قيمة الانسان فى الكون الغريب المنافر له . وتقف بشجاعة تتلقى الحقائق الكالحة ولا ترى لذة عقلية فى تزييف هذه الحقائق استنزالا للرحمة واجتلابا للعزاء

وقد تجلى تأثير العاطفة فى إصدار الاحكام ووزن الامور أثناء الحرب الكبرى . فقد كان الانجليز مثلا من أشد النـــــاس اعجابا بأساليب التفكير الالمانى ودقة علماء الالمان وصبرهم على معالجة عويص المشكلات وخصوبة تفكيرهم الفلسفى . فلما وقعت الحرب أخذ مفكرو الانجليز يجدون فى التفكير الالمانى عيوبا كثيرة ، وتغير تقديرهم لامثال وجنر ونيتشه . ولست أنتقص من قيمة هذه التقديرات ، وانما أود أن أشير الى اثر الحرب وما حركت من موجدة وحفيظة فى توجيه النظر الى تلك الجوانب التى لم يلتفت اليها كثيراً قبل نشوب الحرب

وما دمنا نفسر الكون فى ضوء تجاربنا وما دامت هذه التجارب يسيطر عليها الى حد كبير مزاجنا ، فان تأمل كل انسان لتجاربه سيهديه الى آراء معينة عن الحياة وطبيعة الكون . واذا صح ان رأينا فى الحق والخير متوقف على ماركب فى طبائعنا ، وغرس فى نفوسنا ، فان هذا من شأنه أن يميل بنا الى التسامح واحتمال من يخالفنا فى الرأى لأنه الى مدى بعيد غير مسئول عما تورط فيه مما هو خطأ فى نظرنا . واذا تأملنا الموقف الذى يقفه كل انسان من المسائل التى تختلف فيها الآراء سواء أ كانت أدبية ام سياسية ام علمية ام دينية ، وجدناه الموقف الذى يوائم نزعته وتمليه عليه طبيعته ، ويبدو من ذلك أهمية تمكين كل انسان من ان يطرق أبواب الأدب جميعها ويلج الى حظائر الفكر حتى يقف على ألوان التفكير التى تتجاوب مع ميوله ويروقه ان ينقطع لها ويتخصص فيها . وبواعث الاضطهاد تنشأ من عجز العقل عن النظر الى الاشياء فى ذاتها نظرة خالصة حرة . فاذا اعتقدنا شيئاً أحببنا ان نفرضه على الناس ونرغمهم على قبوله . والمتعصب الذى يعتقد ان الله لا يمكن عبادته الا على نمط خاص ولا يؤمن بوجود اى نمط آخر من انماط العبادة ، مستعد لأن يضطهد كل من يخالفه فى رأيه ، وحتى المبتكر المجدد لا يود ان ينفرد برأيه ولا يحب ان يخلو بالحق ولا يقر له قرار حتى يحمل الغير على مشاركته فيه . وهذا هو سبب الرغبة فى الدعاوة من ناحية والميل الى الاضطهاد من ناحية أخرى (١)

علي ادهم

(١) اعتمدت في هذا المقال على كتب الفيلسوفين وليم جيمس ، وسيريل جود

قصص وأساطير

حمراء غرناطة

هل بنته السحرة والشياطين

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

ليس بين الصروح والآثار الاسلامية الباقية صرح أدعى الى الخشوع والتأمل ، وأبعث الى الأسى والشجن من حمراء غرناطة ، ذلك الصرح الذى يمثل فى تاريخ الأندلس عصراً بأسره وحضارة بأسرها ، والذى يثير بجلاله وروعته كثيراً من المواقف والذكريات الخالدة ، والذى مازال رمزاً حياً لتلك المأساة الأندلسية المفجعة التى اختتمت فصولها الأليمة بين جدرانه الصامتة واقترنت باسمه الى الأبد

لبثت حمراء غرناطة زهاء قرن ونصف قرن عنوانا لمجد الأسلام ودولته ، وملاذاً ساطعاً لتلك الحضارة الأندلسية التى نثرت أنوارها الباهرة فى أوربا خلال ظلمات العصور الوسطى ، فلما أشرفت الدولة الأسلامية على فنائها ، غدت حمراء غرناطة قبرها الأخير ، وطويت بين جدرانها صفحتها المجيدة ، وما زالت الحمراء وساحاتها الشاسعة وابهاؤها المنيفة ، وابراجها الشاهقة منذ أربعة قرون ونصف قرن ، عنوانا للمجد الذاهب ، وشاهداً صامتاً لرائع الحوادث والذكريات

وتاريخ الحمراء هو تاريخ الصروح والهياكل العظيمة التى تتبوأ مقامها الراسخ فى تاريخ الأمم التى شادتها والعصور التى شهدتها ، فهو جزء لاينفصل من تاريخ الأندلس ، كما أن الفاتيكان جزء لاينفصل من تاريخ البابوية . وما تاريخ الحمراء وسير بناتها وسادتها إلا تاريخ مملكة غرناطة آخر دول الأسلام بالاندلس . وما الحمراء ذاتها وما تعرض من عظمة فى الصنع والانشاء ، وما تحوى من بدائع الفن والزخرف ، إلا صفحة جامعة من تاريخ الحضـــارة الاندلسية . فالسائح المتأمل فى جنبات هذا الصرح الخالد ، لايسعه إلا أن يرتد بذهنه الى الماضى البعيد فيذكر قصة أمة مجيدة كانت سيدة فى هذه الأرض والمهاد ، وحضارة زاهرة كانت تفيض على هذه الارض والمهاد ، عظمة ونعماء ونوراً

وكما أن للحمراء تاريخها الحافل ، فكذلك للحمراء تراثها من القصص والأساطير ، وهو تراث يمتزج أحيانا بالتاريخ الحق ، ويجنح أحيانا الى الاسطورة الشائقة ، بيد أنه يثير الشجن

دائماً ، وينفث الاعجاب والسحر ، ذلك لأنه مستمد من الحوادث والذكريات العظيمة التى ترتبط بتاريخ غرناطة ، ومن الروايات المؤثرة التى ذاعت عن مصرعها ، وعن بسالة فروستها حين المعركة الحاسمة ، وعن خلال مجتمعها ومخاوفه وهواجسه وآماله . واذا كان المؤرخ لا يجد فى هذا التراث دائما مادة وثيقة يستطيع الوقوف بها ، فانه يجد فيه على الاقل صوراً مؤثرة مما تسبغه العقلية المعاصرة على تلك الحوادث العظيمة من آيات الروع والشجن والأسى

* * *

كانت الحمراء قبل أن تكون قصراً شامخ الذرى ، حصناً متواضعاً ، فلما غلب بنو الأحمر على غرناطة فى أوائل القرن السابع الهجرى جدده محمد بن الاحمر مؤسس الاسرة وزاد فيه ، وكان ولده محمد الغالب بالله أول من انشأ الحصن والقصر الملكى (أواخر القرن السابع) ، وانشأ حفيده محمد الى جانب القصر مسجداً بديعاً . ولكن الحمراء تدين بفخامتها الرائعة الى السلطان يوسف أبى الحجاج ، الملك الشاعر والفنان ، فقد زاد فى القصر زيادة كبيرة ، وأسبغ عليه بدائع الفن والزخرف ، وانشأ البرج الشاهق الذى يكون مدخل القلعة ، والذى مازال يحمل تاريخ انشائه (٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م) . وسميت هذه المجموعة الملكية الفخمة « بالحمراء » نظراً لاحمرار ابراجها الشاهقة (١) ولبثت الحمراء زهاء قرن ونصف قرن مقاما فخما لملوك غرناطة وحصنا منيعاً يعتصمون به وقت الخطر والأزمات العامة ، حتى شهدت ذهاب ملكهم ، كما شهدت من قبل مظاهر عظمتهم وسلطانهم

وتبوأ القصة والاسطورة فى تاريخ الحمراء مكانا كبيراً ، وتقدم للقصصى مادة شائقة مؤثرة ، ومنها ما يجنح كما قدمنا الى التاريخ الحق ومنها ما يجنح الى الاسطورة المحضة ، ويرجع معظم هذا القصص الى الفترة الأخيرة من حياة مملكة غرناطة ، والى حوادث مصرعها النهائى . وقد كانت الحمراء مسرحاً لكثير من حوادث المأســـاة ، وكانت بالاخص مسرحا لفصلها الختامى

وتقدم الينا حياة السلطان أبى الحسن وولده أبى عبد الله آخر ملوك غرناطة طائفة كبيرة من القصص التاريخى ، وكان أبو الحسن أميراً وافر العزم ، ولكن مضطرم الاهواء ، فهام بحب أسيرة نصرانية حسناء وقعت له فى بعض المعارك ، وتزوج بها الى جانب زوجته الاميرة عائشة ، واصطفاها دونها حتى أصبحت كل شىء فى القصر وفى الدولة . وتسمى الرواية المسلمة هذه الاسبانية الحسناء « ثريا » ، وتصفها بأنها « جارية رومية » ، وتسبغ على الاميرة عائشة لقب « الحرة » تمييزاً لها عن « الجارية » ، أو إشادة بعفتها وطهرها . وكان تغلب هذه النصرانية الحسناء على شئون الدولة خطراً على مصاير غرناطة ، ذلك لانها كانت فتاة وافرة الدهاء والمطامع ، فلم

(١) المستشرق سيبولد ، وهناك قول بان التسمية ترجع الى اشتقاقها من « بنى الاحمر »

تلبث ان أغرت ابا الحسن بالأميرة عائشة وأولادها سعياً الى اقتناص ولاية العهد لعقبها .
وتقول الرواية ان أبا الحسن ذهب فى قسوته وفى تأثره بهذا الاغراء الى حد أن اعدم بعض أولاده فى القصر فى « بهو الأسود » بتهمة التآمر عليه . ثم زج الاميرة عائشة وولدها ، ولى العهد أبا عبد الله ، فى برج « قمارش » آمنع أبراج الحمراء . وكانت عائشة امرأة وافرة الشجاعة والعزم . فلم تستسلم الى قدرها الجائر . وما زالت تدبر الامر مع أنصارها خارج القصر حتى استطاعت ذات ليلة أن تفر من الحمراء مع ولديها بمعاونة بعض الاصدقاء المخلصين .
وتقدم الينا الرواية عن هذا الفرار صوراً شائقة فتقول لنا إن الاميرة استعانت بأغطية الفراش على الهبوط من نوافذ البرج الشاهق ، وذهبت مع ولديها وأنصارها الى « وادى آش » ، حيث استطاعت أن تنظم وسائل المقاومة والكفاح

وشاء القدر أن تظفر عائشة وأن يجلس ولدها أبو عبدالله على عرش غرناطة ، وأن يموت السلطان أبو الحسن أسيراً منزوعاً من الملك ، وأن تسجن ثريا وأولادها فى برج قمارش فى نفس المكان الذى سجنت فيه من قبل عائشة وأولادها . ولكن شاء القدر أيضاً أن يكون مصرع غرناطة ودولة الاسلام فى الاندلس على يد أبى عبد الله . وأن يكون أبو عبد الله آخر ملوك الاسلام فى الاندلس

وهنا تؤدى الحمراء دورها المحزن وتغدو مسرحاً لطائفة من الحوادث المحزنة . ففى يوم من أيام اكتوبر سنة ١٤٩١ بعد أن برح حصار النصارى بغرناطة واستنفدت كل وسائل الدفاع والمقاومة جمع السلطان أبو عبد الله الكبراء والقادة فى بهو الحمراء الكبير ليبحثوا أمر التسليم للنصارى . وفى هذا البهو ذاته صدر القرار الحاسم بتسليم غرناطة إلى النصارى فى مناظر مبكية . وفى يوم من أيام يناير سنة ١٤٩٢ . بعد ان تم تسليم المدينة واحتلتها جنود فرديناند الكاثوليكى ، خرج أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة بأهله وحشمه ومتاعه من قصر الحمراء فى ركب مؤثر ليغادر موطن عزه ومجد أسرته الى الابد . وسار للقاء عدوه الظافر فى سرية من الفرسان والخاصة . فاستقبله فرديناند فى معسكره على ضفة نهر شنيل . وقدم اليه أبو عبد الله مفاتيح الحمراء قائلا انها آخر أثر لدولة العرب فى اسبانيا . ثم انحدر كسير القلب فى طريقه الى المنفى

وهنا تقول الرواية أن ابا عبد الله التمس الى فرديناند أن يغلق باب الحمراء الذى خرج منه الملك المنكود لآخر مرة حتى لايمر منه انسان بعد ذلك فاجابه فرديناند الى ملتمسة . وبنى مكان هذا الباب بناء محكما . وأغلق بذلك الى الابد . وما زالت الرواية تعين لنا مكان هذا الباب بين الاطلال المتهدمة بجوار أحد الابراج

تعرض بعد ذلك الى طائفة من الاساطير الشائقة التى أحاطت بها الرواية النصرانية قصة

الحمراء وقصة أبهائها وأبراجها . وأول ما يروى فى ذلك أن بانى الحمراء السلطان محمد الغالب بالله كان ساحراً ، وانه استعان بالسحر والشياطين فى انشاء الحصن والقصر . ومن ثم استطاعت الجدران والابراج المنيعة أن تغالب فعل الحوادث والعواصف والزلازل حتى يومنا دون أن تتصدع أو تتأثر . والسر فى ذلك يرجع الى الطلاسم والتعاويذ السحرية التى تحمى البناء من كل شر . وتقول الاسطورة أيضا إن الحمراء لن تتهدم أو تسقط إلا حين يميل اللسان المثبت فى أسفل البرج الخارجى ويصل الى موضع القفل . فعندئذ تنهار الحمراء كلها دفعة واحدة . وتنكشف جميع الكنوز التى أودعها المسلمون فى اعماقها

وعلى ذكر هذه الكنوز ، تقول الاسطورة إن المسلمين عند ما سقطت غرناطة كانوا يعتقدون أن سقوطها هو حادث مؤقت ، وأن دولة المسلمين فى الاندلس لن تلبث حتى تعود قوية عزيزة ، وأن بعدهم عن أوطانهم لن يطول . ولذلك عمدوا الى اخفاء ذخائرهم وحليهم وأموالهم فى أعماق الحمراء ، فى جوانب متعددة منها . وانهم لجأوا فى حفظها وحمايتها الى السحر . فرصدوا لحفظها الطلاسم والاسماء . وقد يبدو حراسها أحيانا فى صـــور مردة أو وحوش هائلة أو فرسان مسلمين مسحورين مدججين بالسلاح ، يسهرون عليها مدى الاحقاب جامدين لا يغمض لهم طرف . وليس فى الحمراء برج أو بهو أو قاعة إلا اقترن ذكره بقصة هذه الكنوز الخفية . وكانت الاسطورة تضطرم من عصر الى آخر ولا سيما فى جنوبى اسبانيا كلما كشفت المباحث الاثرية فى أنحاء الحمراء أو حولها عن بعض النقود والتحف الاسلامية

وتقدم الينا الرواية بعض الاساطير المروعة عن بهو الاسود والبهو الذى يقابله وهو المسمى بهو بنى سراج . فأما بهو الاسود فتزعم الرواية أنه كان مسرحاً دموياً لمصرع بعض أبناء السلطان أبى الحسن كما قدمنا . وأما عن بهو بنى سراج فتقول الرواية إنه كان مسرحا لمصرع بنى سراج ، وهم أسرة عريقة نابهة من انجاد غرناطة ، سيما شأنهم فى عهد السلطان أبى الحسن. وقيل إن عميدهم وهو من أكابر الفرسان والسادة هام بحب أميرة من البيت المالك فوجد عليه السلطان وقرر سحق الاسرة كلها . ودبر مع ولده أبى عبـــد الله كيناً لهلاكهم . فدعا أكابرهم ذات مساء الى حفل اقامه ، وادخلوا واحدا بعد واحد من باب البهو المذكور وكلما دخل أحدهم بادره القتلة ونحروه على حافة الفسقية الرخامية حتى أعدموا جميعاً . وفقدت الاسرة كل انجادها (وسمى من ذلك الحين بهو بنى سراج). وما زالت ثمة بقع سوداء فى أرض البهو الذى وقعت فيه المأساة . يقال انها بقع من دم القتلى وانها لن تمحى قط . تقول الاسطورة : وما زالت تسمع فى ذلك البهو فى بعض الليالى أنات خافتة وقعقعة سلاح . وقد حدث أكثر من مرة أن رأى حراس الحمراء فى جوف الليل بعض الجند المسلحين وقد لمعت

أثوابهم الزاهية وأسلحتهم البراقة يقطعون البهو جيئة وذهابا (١)

وهنالك طائفة كبيرة من الاساطير الغرامية تروى عن الملوك والسادة الذين سكنوا الحمراء وعن أبهائها الفخمة وابراجها القائمة. ويقال لنا إن كثيرا من الاميرات والغيد الحسان الذين استحقوا اللعنة الملكية زجوا الى اقبيتها وابراجها السحيقة أو أعدموا فى ظلماتها. ومن ذلك مازعمه الاسطورة من أن سلطاناً مستبداً من سلاطين غرناطة سجن بناته الثلاث فى أحد ابراج الحمراء. ولم يك يسمح لهن إلا بالتريض ليلا فى بعض التلال المجاورة بحيث لايراهن انسان قط وان أولئك الاميرات الثلاث ما زلن يظهرن فى بعض الليالى المقمرة فى هاتيك التلال يمتطين جيادهن الفخمة وتسطع حليهن النفيسة تحت أشعة القمر. فاذا حاول انسان أن يخاطبهن أو يزعجهن اختفين فى الحال فى جوف الظلام

وقد ذاعت هذه الاساطير عن الحمراء وعن ملوكها ودونت عقب سقوط غرناطة فى بعض التواريخ والقصص المغرقة. ومن ذلك كتاب وضع فى هذا العصر بالاسبانية. وزعم كاتبه وهو اسبانى من أهل مرسية يسمى جينز بيريز دى هيلا، انه نقله من التواريخ العربية؛ وهو مزيج من بعض الوقائع التاريخية المحرفة وكثير من القصص المغرق، يدور معظمه على حوادث غرناطة الاخيرة ومعاركها الاهلية ومنافسات بنى سراج وبنى الزغرى وغيرهما من أمجاد غرناطة. وقد ذاع هذا المؤلف فى اسبانيا ولا سيما فى ريف الاندلس وترجم الى لغات عديدة. بيد أنه يبدو من سياقه أنه لا يمكن أن يكون ترجمة لرواية عربية. وكل ما هنالك يدل على أنه مزيج من بعض الاساطير النصرانية والشعبية التى أذيعت فى ذلك العصر عن حوادث غرناطة واذكاها خيال الاحبار والفرسان وأذكتها بالاخص عوامل دينية وسياسية خاصة

هذه خلاصة موجزة لقصص الحمراء وأساطيرها. واذا كان المؤرخ لا يستطيع أن يقف بهذا التراث المغرق من القصص والاساطير فانه يستطيع على الاقل أن يستخرج منه مغزى بليغاً وهو مغزى ينم فى كثير من الاحيان عما كان للاندلس المسلمة فى اسبانيا وفى الغرب من عظيم الهيبة والشأن، وما كان لذكريات غرناطة وحمرائها من عميق الروع والسحر والاجلال (٢)

محمد عبد الله عنان

---

(١) كانت حوادث هذه المأساة المزعومة وما اقترن بها من الحوادث والظروف مستقى خصبا لكتاب القصص. وللكاتب الفرنسي الكبير شاتو بريان قصة تسمى «آخر بنى سراج» تقوم على بعض الاساطير المتعلقة بمصير أبناء هذه الاسرة بعد سقوط غرناطة

(٢) رجعنا فى كتابة هذا الفصل الى نفح الطيب، وازهار الرياض للمقرى، وكتابين لواشنطون ايرفنج هما: Alhambra Tales, Conqnest of Granada: والى بريسكوت: Hist of Ferdinand and Isabella

من قصص الحرب

عذراء أورليان

للأديب الألماني فريدريك شيلر

تلخيص الاستاذ نظمي خليل

هي قصة رائعة من قصص الروحانية وأثرها في الحرب . وهي تصور جانبين مختلفين في الانسان . وكيف يستجيب لنداء السماء على الرغم من قيود الارض ، فتتصارع فيه قوى الروح وشهوة الجسد ، وتسمو به الاولى وتؤدى معجزتها بينما تصبح الثانية ضحية وفداء لنداء السماء ومجد الوطن

ولقد اكتمل نضجها . ان جسمها كالزهرة الغضة، قد تفتح عن جمال قدسى ولكن عبثاً تنتظر جنى الثمار. أشد ما يؤلمنى نفورها من أختيها وامتناعها عن الزواج مثلهما ــ تترك فراشها قبل الفجر ، وتنسل كالعصفور الوحيد فى غسق الليل الى شعاف الجبال متخذة من الرياح البرية صاحباً وخدينا

« لماذا لاتتزوج كاختيها من هذا الشاب الجميل ريموند وتأخذ نصيبها من الحياة وتعيش كما نعيش ؟

« طالما رأيتها جالسة تحلم تحت الشجرة المسحورة التى يرتاع منها كل من يراها لان روحاً خبيثة تسكن هناك «مسكن الوثنيين الاقدمين ، وطالما سمعت فلاحينا يقصون عنها قصصاً غريبة كلها هول ورعب . كأصوات خفية لست كأصواتنا تصافح آذاننا وهى تنبعث من الاعماق . وقد حدث مرة أن ضللت الطريق الى تلك البقعة فلمحت شبحا هائلا يخرج من عباءته الطويلة يداً نحيلة فهرولت فازعاً واستعذت بالله من شر تلك الارواح

« لقد رأيت جان فى ثلاث ليال متعاقبة جالسة على العرش فى « ريمس » وعلى جبينها اكليل بسبع نجوم وبيدها صولجان بثلاث زنابق ، ورأيت نفسى وشقيقتيها والنبلاء والاساقفة والملك نفسه ينحنون أمامها ، كيف أستطيع أن أصدق هذا الحلم الرائع ؟ آه انها لمقدمة شر عظيم ! ان هذا الحلم يكشف عن تلك الرغبة الباطلة والشوق الخاطىء الذى يتملك قلبها . انها تعاف منبتها الوضيع لان الله حباها جمالا غنياً واختصها من بين فتيات هذا الوادى بقلب ذكى وعقل نير وجسم خصيب

« بهذه الكبرياء التى سقط بها الملائكة من قبل ستغوى هذه الشيطانة الملعونة الناس . سأصمت الآن . أيمكن أن أتهم ابنتى ؟ لا أستطيع إلا أن أحذرها وأصلى من أجلها . ألا سحقاً لتلك الشجرة الملعونة ، الافضل ألا نترك أنفسنا فى البرية فان أمير الظلام يستطيع أن يغوى الانبياء ، ان قلبها قلب رجل . لقد أخضعت مرة الذئب ، ذلك الحيوان الكاسر الذى انقض على قطيع الغنم وملأ

الوادى خوفا ورعباً ، ولم يستطع أحد أن يدنو منه الا جان قلب الاسد فقد انقضت عليه وخلصت ذلك الحمل من بين أنيابه الدامية »

بهذا كان يتكلم « تيبو » والد «جان» عند ما دخلت عليه ومعها اختاها والازواج الثلاثة الذين يأخذون فى التحدث عن حالة البلاد وما صارت اليه ، فيخبرهم تيبو أن العدو قد تغلغل فى قلب البلاد كأنه جيوش من النحل تحوم حول خلاياها فى يوم صائف ، أو كسحب من الجراد قد ملأت الجو . فمن برغنديين إلى هنجاريين وهولنديين وانجليز — الكل قد انضوى تحت لواء دوق نرمندية وهم يحاصرون الآن أورليان . لقد تهدمت الكنائس وأخذ حصن « نوتردام » المنيع بحر من فتنه، ورصاص البنادق سيدوى فى الشوارع وتقف المدينة مرتجفة ترقب سقوطها من ساعة الى أخرى . وقد استولى الذعر على جميع السكان وتذمر الجند من قلة الرواتب ، وذابت صيحات الملك فى فضاء المملكة . واضطرب الناس فيما بينهم كما تضطرب الشياه اذا هاجمتها ضوارى الذئاب

فلا تكاد تسمع جان هذا الكلام حتى تنفض وتقول كانه قد أوحى اليها :

« لا تتحدث عن الضعف والاستسلام فسيأتى المنقذ وسيرد العدو عن أبواب أورليان — لقد جاءت الساعة وها هو ذا يقترب الان ومعه تلك العذراء . لا تيئسوا ولا تهربوا فانه قبل أن تنضج تلك الثمار أو يكتمل القمر لا يبقى جواد انجليزى يرد مياه نهر لوار الجارية ، ستكون معجزة ، ستظهر حمامة بيضاء كالثلج وفى قوة النسر ستمزق طيور الفريسة التى تحوم فوق أرض الوطن . ستنقض على البرغنديين الخائنين وستطرد لصوص الجزيرة — ان اله الحرب سيختار ذلك المخلوق الضعيف الرقيق ويضع فيه قوته لانه قوى جبار »

فيعجب القوم من أمر هذه الفتاة ولا يفهمون ماذا تعنى بهذا الكلام فيتركونها تسبح فى أحلامها وينصرفون الى شئون الرعى والزراعة ، فتبقى جان وحيدة تخاطب نفسها :

« وداعاً أيتها الجبال المحبوبة والوديان النائية المطمئنة . ان جان لن تمكث فيك بعد اليوم لانها ستفارقك الآن ، أيتها الحقول التى طالما رويتك ! أيتها الاشجار التى غرستك ! أيتها الازهار المتفتحة والثمار الحلوة اللذيذة وداعاً ! ! أيتها الينابيع البلورية ذات الاصداء العذبة ! روح الوادى المحبوب التى طالما رددت أناشيدى ! ان جان ستغادرك اليوم الى حيث لا معاد . ايه يامسارح صباى ومواطن لهوى وسرورى سأخلفك الان ورائى ولن أراك ثانية ! أيتها الحملان والخراف الصغيرة يامن تركت بدون ماوى لن يرعاك بعد اليوم راع ، ستهيمين طريدة لانى وطنت العزم على الذهاب الى ميدان الحرب ذى اللون القرمزى حيث أجد هناك قطيعا ينتظرنى

« ان هذه هى رسالة الروح الى قلبى ، وما من طمع ارضى يشيع فى صدرى ! !

« إن ذلك الذى ظهر فى العليقة الى موسى فى البرية وأمره أن يذهب ويقف أمام فرعون لينقذ بنى اسرائيل ،قد جاءنى وأمرنى ان أذهب لا كون رسولا له على الارض وان أكسو صدرى

بالدروع وأدجج جسمي بالسلاح . فلا الحب الارضي يستطيع أن يعرف طريقه الى قلبي ولا النزوات الدنيئة تتسلط على نفسي . ولن أحمل رضيعاً . بل المجد الحربي نصيبي ! وتحرير الوطن رسالتي ! وتتويج الملك في كنيسة « ريمس » شهرتي وفخاري . لقد وعدتني تلك الروح السماوية بعلامة . فقد أرسلت الى هذه الخوذة التي تبعث في قوة مقدسة فأندفع كالريح العاتية الى ميادين الحرب . الابواق تدوي والمهاجمون يصيحون وزئير الحرب في أذني ! فهيا الآن »

ثم تدق الطبول وينفخ في الابواق اعلانا للحرب . ويلتحم الجيشان وتدور الدائرة على جيش الانجليز فتموت زهرة فرسانه وينسحب البرغنديون وتتراجع جان تاركة جيشها في نشوة الانتصار الى مكان منعزل وتصلي للعذراء التي قوت عزمها في كل هذه المحن والخطوب ، ويذهب الفرسان وبأيديهم المشاعل معلنين فوزهم وانتصارهم . فيعجب الملك بهذه المفاجأة ولا يصدق حتى يأتيه قائده « دينوا » ، وهو نبيل من نبلاء فرنسا وفارس من فرسان الحرب . فيقص عليه كيف كان انكسار الجيش الفرنسي أولا ثم انتصاره أخيرا على يد تلك العذراء التي تقدمت الى الجند في ملابسها الحربية كأنها الاهة الحرب وصاحت فيهم : « ماذا يخيفكم أيها الفرنسيون الشجعان ؟ هيا الى العدو ولو كان يفوق رمال المحيط عدداً . فان الله والعذراء معكم » ثم اختطفت العلم من حامله وتقدمت الصفوف في شجاعة نادرة والكل ذاهل صامت لا يدري ماذا يفعل من هول ما رأى . فوثب الجيش متتبعاً العلم والعذراء . وفي حماسة ملتهبة انقض على العدو الحائر المذعور فاندفع شطر منه الى الماء وأسلم الشطر الآخر بغير مقاومة . ثم كانت مجزرة طاحت فيها رءوس ألفين من جيش العدو بينما نحن لم نخسر جندياً واحداً

فيتعجب الملك لهذا الانتصار الغريب ويسأل عن تلك العذراء فيجيبه قائده : « أنها فتاة مخيفة مرعبة ولكنها محبوبة جميلة . تقول ان الله قد أرسلها لترفع الحصار عن أورليان قبل أن يكتمل القمر . وها هي قادمة »

فيريد الملك أن يمتحنها فيجلس النبيل دينوا مكانه ويقف هو بين الحاشية ويقف سائر النبلاء بجانبه . ثم تقبل جان في خطى ثابتة ثم تدير النظر فيمن حولها وتأمر دينوا أن يترك مكانه لصاحبه الذي من أجله بعثت . ثم تدنو من الملك وتنحني أمامه قليلا ثم تهب واقفة . فينظر القوم اليها في دهشة ويسألها الملك : « كيف عرفتني ولم ترى وجهي قبل الآن ؟ » فتجيبه جان بأنها قد رأته في « محضر الاله » ، ثم تقول :

« أني فتاة فقيرة ولدت في احدى قرى فرنسا (دوم ريمي) وقد سمعت كثيراً عن سكان تلك الجزر الذين يأتون لاستعبادنا وعلمت كيف أخذوا باريس ونهبوا المملكة فتضرعت « لام المخلص » أن تنقذنا من عار ذلك الاستعباد وأن تحفظ لنا مليكنا الشرعي . وكان بجوار قريتنا صورة للعذراء معلقة في احدى أشجار البلوط المقدسة فكنت ألجأ الى هذه الشجرة أرعى غنمي ، فرأيت في

حلم من أحلامى وأنا نائمة فى ظلها ان العذراء المقدسة قد ظهرت لى فى ثياب الرعاة حاملة فى احدى يديها سيفاً وفى الاخرى علماً ، ثم خاطبتنى قائلة : « أن أنا . ألا هى يا جان ! ولتتركى تطبيك هذا فان الله قد كلفك بعمل آخر ، ولتأخذى هذا العلم ولتحملى هذا السيف لتأتى به على أعداء شعبى ولتقودى مليكك الى (ريمس) حيث تتوجينه » . فقلت : « كيف أستطيع أن أقوم بهذه الاعمال وأنا فتاة رقيقة لم أزاول فن الحرب قط؟ » . فأجابت : « ان العذراء الطيبة النقية تستطيع أن تأتى فى الارض بروائع الاعمال اذا لم يخضع قلبها للحب الارضى » . ثم لمست جفنى بيدها . فلما رفعت وجهى رأيت السماء قد امتلأت بالملائكة الصغار يحملون الورود والزنابق فى أيديهم وينشدون عذب الاناشيد ويهزجون أحلى الاهازيج

« وهكذا ظهرت لى تلك العذراء المقدسة فى ثلاث ليال متوالية . وهى تصيح : « هبى ياجان . ان الملك قد عينك لامر آخر » وفى الليلة الثالثة ظهرت غاضبة وألقت الى بهذه الكلمات : عليك أن تطيعى . ان عمل المرأة فى هذا العالم شاق عظيم يجب أن تطهرى بالتعاليم . وان من يخدم هنا يمجد فى السماء » . وما كادت تلفظ هذه الكلمات حتى ألقت عنها ثوب الرعاة فظهرت كأنها أضواء لامعة ثم أخذت السحب الذهبية تحملها شيئاً فشيئاً الى عالم النعيم »

فيدهش الكل لهذا الحديث ولكنهم لايرتابون فيما سمعوا فان العمل قد سبق القول . ثم يأمر الملك أن تعين جان رئيسة للجيش . ويجيب دينوا : « سنطيعك طاعة عمياء . إن عين تلك الفتاة المقدسة الشبيهة بعيون الانبياء ستقودنا الى حيث تريد . وان هذا السيف الشجاع سيحمينا من أشد الاخطار هولا » .

لم يكن دينوا هو الذى ينطق بهذه الكلمات الحماسية التى تشيد بأعمال تلك العذراء الطاهرة . بل كان قلبه هو الذى يوقع أنشودة المجد والفرح على أوتاره ، هذا القلب الكبير الذى لم يخضع من قبل لسلطان الحب ، أصبح يتلظى اليوم شوقا لان يستقر على ذلك القلب الوديع الذى يستطيع أن يحمله ويفهم سره ..

لقد أدت تلك العذراء رسالتها وعليها الآن أن تقرر مصيرها . فهى التى حررت فرنسا وهى تستطيع أن تمنح قلبها لمن تشاء . فيكاشف الملك برغبته فيدعو الملك جان اليه ويدور بينهم هذا الحديث . .

دينوا : « ماذا يكون مصيرك أيتهـا العذراء المقدسة . فانك لا ريب ستكونين أسعد المخلوقات البشرية لانك محبوبة من السماء نقية طاهرة ؟ »

جان : « ان السعادة هناك عند الهناء الذى فى السماء »

الملك : « ان سعادتك ستكون منذ الآن موضع تفكير الملك واهتمامه . انى أمجد اسمك فى كل أنحاء فرنسا وستباركك الاجيال القادمة . وهأنذا أنجز وعدى هكذا (تركع جان ثم يلمسها

الملك بسيفه) ففى الآن. انك شريفة . انى أمجد مولدك وآباءك فى قبورهم ، ان اعظم نبلاء فرنسا ليشعر بالفخر فى خطب يدك . إن زواجك سيكون موضع شغلى وتفكيرى »

دينوا (متقدماً) : « لقد اختارها قلبى وهى وضيعة مجهولة . إن هذا الشرف الجديد لم يزدها قدراً ولم يزدنى حبالها . هنا أمام مليكى والاسقف الطاهر أمد اليك يدى أيتها العذراء الرقيقة . وأتخذك زوجة لى اذا كنت ترينني جديراً بك »

الملك :« أيتها العذراء الطليقة الحرة كم من معجزات تضيفينها الى معجزات ! لاشىء يمتنع عليك لقد أخضعت ذلك القلب الكبير الذى لا يزال متجبراً حتى الآن . انكما بطلا الميدان فى الفضائل والشهرة . قد سحقتما عدوى ووحدتما مملكتى وأرى أنكما جديران ببعض . تكلمى أيتها العذراء ان قلبك الآن هو الذى يقرر »

جان : « ان اختيار مثل هذا النبيل لشرف لى ولكنى لم أترك رعى الخراف وحياة الرعاة لانال مجداً دنيويا أو لارتدى لباساً حريرياً . ولا لاتوج رأسى بأكاليل الملوك . ان عملى أبعد من هذا — هو عمل عذراء طاهرة . أنى جندية فى جيش الملك ولن أكون زوجة لمخلوق فان »

الاسقف : « لقد ولدت المرأة لتشارك الرجل الحب . فعند ماتلبى نداء الطبيعة تنفذ بذلك إرادة السماء . فاذا ما أديت رسالتك اليوم فى الحرب ستلقين بأسلحتك غداً وتبحثين عن نوع أرق من الناس يشاركك عيشك بدل هذه الحياة العسكرية الخشنة »

جان : « أيها السيد المعظم انى لا أستطيع أن أجحد عمل الروح . ولكن عند ما يحين الوقت فان صوتها لا يبقى خافتاً وسأليه . وهو الآن يأمرنى أن أتم واجبى — إن سيدى لم يتوج بعد »

الملك : « إننا ذاهبون الآن إلى ريمس »

جان : « دعنا . لا نتوان أن العدو يدبر خطط الايقاع بنا . سأقودك وسط جحافله »

دينوا : « وعندما تنتهى رسالتك المقدسة وندخل (ريمس) منتصرين . ألا تسمحين أيتها العذراء الطاهرة أن . . . ؟ »

جان : « إن أراد الله ذلك . فان عملى سينتهى عند هذا . ولا يبقى لى عمل فى القصور »

الملك : « إنه صوت الروح الذى يتكلم الآن . ان الحب الملهم الذى فى قلبك صامت الآن . ولكنه سوف لا يبقى طويلا فى صمته . فاذا ماوضعنا سلاحنا وهدأت نفوسنا سيعود الفرح الى صدورنا وتستيقظ فينا تلك المشاعر اللطيفة وستستيقظ فى قلبك أيضاً وستبكين بدموع الشوق اللطيف . دموع لم تعرفها عيناك من قبل . ان هذا القلب الذى تحتله السماء الآن سيفتح غداً للصديق الارضى »

جان : « أتتحدث أيها الملك عن الرؤيا السماوية ومحو أثرها . أو تنحط تلك العذراء التى أرسلها اليك الاله الى تراب عادى . يا أعمى القلب . ياقليل الايمان. إن مجد الله يشع حولك . ولقد كشف

لعينيك عن عجائب ولكنك لا ترى إلا امرأة عادية . أتجرؤ المرأة أن تلبس هذه الملابس وأن تحمل هذا السلاح وتكافح كفاح الابطال ؟ ألا سحقاً لى وتعساً اذا خفق قلبي بحب انسان فان . إذاً لكان أجدر بى ان لم أكن ولدت . لاحديث الآن عن هذا . هيا الى العمل . إن عين الانسان التى ترعانى بالحب هى فى نظرى رعب ودنس »

الملك : « من العبث أن نستدرجها بعد الآن »

جان : « دع الابواق تدوى . ان هذا الركود يضايقنى . أشعر بدافع داخلى يدفعنى من هذا الجمود وينادينى لان أنجز عملى وألقى مصيرى »

ولكن جان وقعت فيما كانت تخشاه إذ خفق قلبها بحب الانسان الفانى . وان مصابها بهذا الحب الارضى كان أعظم . إذ لم تحب ذلك القائد الفرنسى العظيم دينوا الذى قدم اليها قلبه الكبير رهينة لحبه السامى الصادق . ولا غيره من النبلاء والضباط الفرنسيين ولا (ريموند) الراعى خطيبها الاول . بل أحبت انساناً أجنبياً عدواً لها . هوضابط انجليزى (ليونيل) أسرته فى الحرب الاخيرة وأبقت على حياته من أجل حبها له . ولكن هذا الحب لم تكد تحس بحرارته حتى ابتعدت عن مصدره إذ عاد الضابط الى بلاده وعادت هى الى وطنها تحمل قلباً تتناهبه شتى النوازع ومختلف الاشواق .

عادت إلى باريس انسانا بدون قلب وجسما بلا روح كأنها قبر متحرك لحبها الموءود . . .

ولنيس أفصح للتعبير عن تلك الثورة النفسية العنيفة التى أنزلتها من سماء الطهر الى أرض الفساد وأثارت كوا من أشجانها وقلبت كيان وجودها ، وصيرت الحياة فى عينيها ظلمة وعماء تضل فيه روحها على غير هدى ، بل جعلت حياتها هى عبثا وعدما ، من حديثها هى وهى تناجى نفسها . . .

« لقد خفت صوت السلاح ورقدت عواصف الحرب وأعقب تلك المعارك الدموية أناشيد الفرح يرن صداها فى كل أنحاء المدينة ونواقيس الكنائس تدق معلنة سرورها فى هذا العيد ، وأقواس النصر تقام فى كل الميادين

« إن « ريمس » على اتساعها تضيق بالجماهير التى تتدفق اليها من جميع الانحاء والكل فكر واحد وشعور واحد . هو شعور الفرح بهذه الوحدة المقدسة

«إن فرنسا اليوم تستعيد مجدها القديم وتسجد اجلالا لمليكها العظيم . إلا أنا التى أوجدت هذه الافراح لا أشاركهم فيها . ان قلبي قد تغير وأخذ اليأس يستولى على . انه لا يزال يحن الى حرب الانجليز . ولكن ارادتى تقف فى سبيلى . لقد انسلت من الجمع مفعمة حزنا لأخفى ذلك الجرم الذى يجثم فوق صدرى الآن . ماذا ؟ هل أسمح لانسان بشرى أن يطوف بقلبي المقدس ؟ هنا حيث الاضواء الالهية قد تلألأت أآذن للحب الارضى أن يسكن فيها ؟ وهل احترق أنا منقذة الوطن ورسولة الاله العظيم ! أحترق الآن من أجل عدو بلادى . إنى لا أتجاسر على ان ألقى ضوء السماء المقدس ولا أشعر بشناعة عارى

(تسمع أنغام الموسيقى ناعمة ثم تتلاشى شيئاً فشيئاً)

« ألا سحقا لى . ان هـذه الانغام المذابة تشوش مخى . ان كل نغمة تحمل فى رجعها ذكراه وصورته وهو واقف أمامى . آه ! لو ان الحراب لمعت اليوم ودوت الحرب وقعقع السلاح لعادت الى قوتى الاولى . ان هذه الانغام الحلوة . وهذه الاصداء المذابة مسكرة مشجية . إنها تذيب فى صوت رقيق كل شعور وان كل فكر يستدر الدموع من حزنى المرير »

ثم تستجمع بعض شجاعتها فتقول :

« أكان لى أن أقتله ؟ أكنت مستطيعة ذلك عندما حدقت فى وجهه . أقتله ؟ لا . بل كان لى ان أصوب سهامى الى صدرى . ولكن هل أعاقب من أجل انسانيتى . وهل الرحمة خطيئة ؟ الرحمة ! وهلا كنت أسمع صوت الرحمة والانسانية عندما كانت الرجال تتساقط ضحايا سهامى ؟ .

« أيها القلب الماكر إنك تكذب أمام السماء . ليس صوت الرحمة هو الذى يناديك الآن . لماذا قدر لى ان أنظر الى عينيه وأن أمعن النظر فى ملامح وجهه الجميل ؟ يالى من تعسة بائسة . كان لى أن أجهز عليه ولكن قلبى لم يطاوعنى ولصبت لى جهنم أشراكها »

ثم تستسلم لحزن عميق :

« كم كنت أتمنى ان تلك الاصوات لم تصل الى أذنى من خلال تلك الشجرة المقدسة . يا ملكة السماء المقدسة ليتك لم تظهرى لى . خذى . خذى تاجك فانى لا يمكننى أن أدعيه لنفسى الآن . خذيه فهو ليس لى . لقد رأيت السماء تفتح لى أبوابها . ولكن آمالى كانت لا تزال عالقة بالارض ولم تستطع أن تسمو اليها . لماذا ألقيت الى أيتها العذراء الطاهرة بهذا النداء الثقيل ؟ أألسل وأغلق قلبى على كل العواطف الرقيقة التى خلقت لاشعر بها بطبيعتى . أيها الاله ان الخالدين يحفظون تعاليمك إنهم لا يشعرون ولا يكون . فلا تختر مساعدة امرأة رقيقة . لا ولا روح عذراء راعية . هل كنت مشتغلة بالشئون الحربية والمعارك والكفاح ؟ كنت أرعى غنمى فى طهارة وسذاجة فوق سفوح الجبال الصامتة فأرسلتنى الى حياة القصور والحروب لافقد زهرة روحى اللطيفة . وا أسفاه ! إنى لا أبحث عن مصيرى . . . »

ثم تدخل عليها الملكة وتعانقها فى شوق عظيم ثم تسجد أمامها فتدهش جان لهذا وتحاول أن تنهرها وهي تقول : « هل نسيت نفسك ونسيتنى » ؟

الملكة : « لا تمسكينى . انه السرور العظيم الذى يلقى بى تحت قدميك . يجب أن أسجد شكراً للاله الذى أعبده مستتراً فيك . انك الملاك الذى سيقود سيدى الى ريمس ويتوجه هناك . إن ما لم أحلم به قد تحقق . ان حفلة التتويج ستعد سريعا . كل هذا يبعث فى فرحا عظيما لا أستطيع حبسه . لكنى أراك رزينة متجهمة . أتخلقين فرحا ولا تشتركين فيه ؟ إن قلبك بارد لا يساهم فى هذا الفرح الشامل ! . لقد رأيت السماء رائعة الجمال . مبتهجة لافراحنا . إن اللذات البشرية لا تحرك

قلبك النقى أوه . ألا تحملين قلب امرأة ؟ انزعى عنك هذه الدروع فقد انتهت الحرب لتختارى لك صديقا من نوع آخر ، أراك مقطبة الجبين . ان قلبي يرتجف خوفا منك

جان : « ماذا تريدين ان أعمل ؟ »

الملكة : أن تنزعى هذا اللباس وأن تلقى بهذا السلاح . ان اله الحب يخاف ان يقترب من صدر مغطى بالصلب ! أوه ! كونى امرأة . لتشعرى بهذه القوة

جان : « ماذا ؟ أأجرد نفسى الآن من السلاح . سأكشف عن صدرى وسط المعارك لضربات العدو المميتة ولكن ليس الآن . ألا من جدار نحاسى سبعة أمثال هذا الجدار يحول بيني وبين مرحى وبيني وبين نفسى ؟ »

الملكة : « ان الكونت دينوا يحبك . ان قلبه النبيل يتأجج غراماً وشوقا ويتفجر حباً خالصاً . انك تكونين سعيدة اذ تعرفين أن هذا البطل يحبك وتكونين أسعد لو أحببته . أتكرهينه ؟ لا . لا . كيف يمكن للكراهية أن تصل الى قلبك . اننا لا نكره الا الذين ينتزعوننا من أحبابنا . ولكن ما من أحد يدعى حبك . ان قلبك هادىء . فلو شعر . . . »

جان : « ارحمينى . اندبى مصيرى الممقوت . »

الملكة : « أى شيء يعوز كمال سعادتك . لقد أنجزت وعدك وحررت فرنسا وستقودين الملك الى كنيسة ريمس حيث تتويجه . ان أعمالك العظيمة قد أكسبتك شهرة خالدة . ان الشعب يمتدحك بل يعبدك . واسمك الان شرف كل لسان . انك إلاهة هذا الاحتفال . ان الملك بتيجانه وعرشه لا يفوقك جلالا وروعة »

جان : « أوه . أأختفى فى أعماق الارض »

الملكة : « لماذا هذه العاطفة الحزينة ؟ ومن أين هذا الضيق الغريب . من منا لا ينظر اليوم دون أن يخاف اذا ألقيت عينيك الى الارض . انى أشعر الان بضآلتى بقربك . فأين لى فضائلك وبطولتك ؟ ليست شهرة فرنسا ــ وطنى ــ ولا جلال تتويج الملك ولا سرور الجماهير المتجمعة يمس قلبي . انما شكل واحد . صورة واحدة مقدسة فى أعماقه . ليس به فراغ لأى شعور آخر الا له وحده . هو المعبود الذى يباركه الشعب ويمجده . ولاجله ينثر الزهور والرياحين . هو مليكى . هو حبى الصادق الوفى »

جان : « انك سعيدة . سعيدة حقاً . انك تحبين حيث الكل يحب . يمكنك أن تظهرى كل فرحك وسرورك فى غير لوم . فان انتصار وطنك انتصار لحبك . وان تلك الجماهير التى تزدحم اليوم تهتف وتصفق تشاركك فرحك وتحييك . فانت اليوم جزء من هذا الفرح الشامل . وما ترينه اليوم هو مجد حبك وعظمته »

الملكة (وهى تميل عنقها عليها) : « انك تبهجيننى . تستطيعين أن تقرئى ما فى قلبى . لقد أسأت

اليك . انك تعرفين ما هو الحب . لقد عبرت عن مشاعرى بصوت القوة . ان قلبى ينسى خوفه الآن ويندمج فيك»

جان (وهى تجذب نفسها بعيداً فى قوة) : « أتركنى . أتركنى . اذهب بعيداً . لا تتعب نفسك بالتحدث معى . اذهب وفى أعماق الليل دعنى أخفى خطيئتى . يا لتعسى ويا لبؤسى ! ! »

الملك : «انك تخيفيننى من جديد . انى لا أفهمك ولم أفهمك.انك لا تزالين خافية على . من ذا الذى يستطيع أن يسكن روحك الطاهرة المقدسة ؟ »

جان : «انك أنت النقية المقدسة . فلو أنك رأيت دخيلة قلبى لوليت فراراً من العدوة الخائنة »

ثم يدخل دينوا باحثاً عن جان لتحمل العلم وتسير أمام الملك الى ريمس فترتجف جان وتصرخ بأعلى صوتها : « لقد حنثت فى يمينى ودنست أسمك المقدس » وتهم بالرجوع فيتزاحم القوم عليها ويلصقون بها العلم ويسيرون بها الى الكنيسة . ولكنها لا تكاد تصل الى الكنيسة حتى تندفع بين الجماهير وهى تقول :« لا أستطيع البقاء ان الارواح تطاردنى . أسمع الانغام كأنها رعد قاصف .منظر القباب يخيفنى . يجب أن أنجو بنفسى . لقد تركت العلم ولن أمسه ثانية . يخيل إلى أنى أرى شقيقتى أمامى كأنى فى حلم . فتتقدم اليها أختاها إذ كانتا قد جاءتا مع تلك الجماهير لتشاهدا حفلة التتويج .فلا تكاد تصدق عينيها وتعجب أن يكون حلمها حقيقة . ثم تسألها عن والدها وتأخذها الدهشة ويستولى عليها شعور جنونى فتقول :« أين أنا ؟ أخبرونى ! أكان كل هذا حلماً طويلا طويلا . ثم استيقظت الآن . وهل أنا بعيدة عن قريتى . وهل حقاً نمت تحت تلك الشجرة الملعونة ثم استيقظت الآن وحولى تلك الوجوه المألوفة ؟ لقد حلمت بكل هذه المعارك والحروب. إن هذه كلها لم تكن إلا خيالات مرت أمامى » . فتجيبها أختها: إننا فى «ريمس» ان هذه لم تكن أحلاما بل أعمالا قت بها. ارجعى الى صوابك . فتصيح جان : « تعالوا . دعنا نهرب . ساعود الى قريتنا . الى صدر أبينا . ان هؤلاء الناس يمجدوننى أكثر مما يجب . سأتخلص من كل هذه المظاهر الممقوتة التى كانت حائلا بينى وبينكم . وساعود راعية كما كنت . وكعذراء متواضعة أقوم بخدمتكم وأتوب لانى رفعت نفسى عنكم »

وإذ تنتهى مراسيم التتويج يتقدم من بين الصفوف رجل هرم هو « تيبو » والد جان . فيصيح فى الملك والشعب : « أيها الملك المخدوع لا تظن أنك محفوف بقوة الله . أيتها الجماهير الساذجة لقد أنقذت بفنون جهنم . انكم مجانين حتى هذا الاسقف العاقل ، إذ ظننتم أن إله السماء ظهر لكم فى شخص هذه العذراء الخاطئة . هنـاك فى تلك البقعة الملعونة تحت ظل الشجرة المسحورة مرتع الارواح النجسة كانت تسكن هذه المشعوذة لاجل جاه دنيوى . دعوها تكشف عن ذراعيها فسترون عليها علامات جهنم مطبوعة » . فتقف جان صامتة لا تفتح فاها ولا ترد عنها اتهـام والدها . ويضطرب الشعب فيما بينه .ويدهش الملك والنبلاء من هذه المفاجاة الغريبة . ثم يامرها الملك أن تغادر المدينة آمنة فتنسل بين الجماهير التى ترتاع منها وتفر من وجهها وهى تقول : « الشيطانة . الساحرة » . ثم

يلحق بها « ريمون » خطيبها الاول ويدلجان فى الغابات حتى يصلا الى كوخ أحد الحطابين فلا يكادان يدخلانه حتى يسمعا زوجة الحطاب تقص عليه قصة تلك الساحرة

ثم لا يكاد ابنها يلمح وجهها حتى يصيح : « هذه ساحرة أورليان » فيرتاع الرجل ويفر هارباً وتتبعه زوجه وابنها . فتخرج جان وريمون ويستأنفان سيرهما فى الغابة . فيسألها ريمون : ولماذا صمت أمام اتهام والدك ؟ » فتجيبه جان : « لقد استسلمت صامتة الى مصيرى لانى اعتقدت أن ما أراده أبى هو إرادة الله . ولست مخطئة فى ذلك ولا حزينة . فلا ضير يلحقنى . نعم انى شريدة . ولكنى فى وسط هذه البرية عرفت نفسى بعد أن تخلصت من ضوضاء الاحتفالات التى كانت تؤذينى . كان هناك صراع عنيف بينى وبين نفسى . كنت أتعس الناس عندما كان الجميع يحسدنى والآن لقد عدت الى نفسى وأصبحت هذه العواصف القوية التى تخيفك رفيقتى . لقد طهرتنى كما طهرت العالم . أشعر فى قرارة نفسى بهدوء تام . لا أفكر فيما يأتى به الغد . سيأتى ذلك اليوم الذى تنتزع فيه من اسمى هذه الشوائب التى لحقته عندما يدرك الذين طردونى الآن خطأهم . سيأتى ذلك اليوم الذى يعلو فيه الحق »

ثم تهاجمها فرقة من جيش العدو فيفر (ريمون) مذعوراً وتستسلم جان هادئة فيذهب بها العدو الى ملكته ثم تلقى حبيبها «ليونيل» فيحنو عليها ويتركها فى حفظ الملكة ويذهب الى المعركة

ثم تسمع جان بانهزام جيشها وسقوط القائد دينوا وأسر الملك فتركع على ركبتيها وتصلى الى الله الرحيم أن يكون معها . ثم تضرب قيودها بيديها فتحطمها وتندفع بين الجند ملتقطة سيف أحدهم ، وتذهب الى المعركة فيتراجع الجند أمامها ويرتد العدو مدحوراً . وتنقذ الملك ثم تقع فاقدة الاحساس ، فيظن الملك والنبلاء أنها ماتت ولكنها تعود بعد قليل تفتح عينيها وعلى شفتيها ابتسامة الفرح وتقول :

« وهل حقا أنى بين أصدقائى ؟ وهل يطردوننى ثانية ؟ انهم يشفقون على الآن . لقد صفا عقلى ورجعت إلى حواسى . إنى أرى ما حولى . هذا مليكى وهؤلاء هم حملة الاعلام . إنى لا أرى علمى . أين هو ؟ بدونه لا أتجاسر أن أظهر ، لقد سلمه إلى إلهى ويجب أن أضعه أمام هذا الملك . يجب أن أراه هنا . لانى حملته حقاً »

ثم يقدم اليها العلم فتمسك به وتهب واقفة غير مستندة الى أحد والعلم فى يدها والسماء تشع بأضواء وردية . ثم تقول : « ألا تنظرون قوس قزح هذا ؟ إن فيه مقام العذراء وحولها الملائكة يترنمون فى ثياب بيضاء . وعلى صدرها ابنها الخالد تضمه وتحنو عليه وهى تمد الى يديها الطاهرتين الآن فى حنان وحب . ماذا يكون شأنى ؟ إن السحب البيضاء تحملنى . لقد أصبح درعى الثقيل ثوباً بأجنحة . سأمتطيه . سأطير . سينتهى العالم سريعاً . ما أقل الحزن ! ما أعظم الفرح ! » ثم يسقط العلم من يدها . وتقع هى على الأرض ميتة . ويقف الكل صامتاً خاشعاً . ثم يأمر الملك أن تلقى عليها الاعلام جميعها فى رفق حتى تستر جسمها كله ....!!

نظمي خليل
بكالوريوس في الأدب الانجليزى

مهزلة أضحكت العالم

الوثائق التاريخية الزائفة

بقلم الدكتور محمد أبو طايله

فى مايو سنة ١٨٥٢ وفد على باريس شاب ريفى يدعى لوكاس فرين حاز قسطاً من التعليم غير كبير . وكان يشغل وظيفة « كاتب » لدى أحد المحامين ببلدة شاتودون ، ثم أراد أن يحقق فى العاصمة آمالا جاشت بصدره ، ويشبع طموحاً إلى العلا جبلت نفسه عليه

وقد أخذ يجوب باريس وهمه الأكبر أن يبحث عن الكتب القديمة الرخيصة ، فصار يرتاد المكاتب العامة ولا يطلب فيها إلا كل كتاب قديم أو مخطوط لم يطبع ،فيغرق رأسه فى صفحاته ولا يكاد يرفع بصره عن أسطره . لكنه كلما ظن المراقب غافلا عنه مد يده الى جيبه فى مثل لمح البصر وتناول سكيناً دقيقاً فقطع من الكتاب الذى يقرأه الورقة التى تروقه .. وقدر له أن يفتضح ، فقد رآه أحد المراقبين وهو يباشر هذه السرقة ومنذ ذلك حرم عليه أن يدخل المكتبات العامة

وبعد ذلك شاء حسن جده - أو سوءه - أن يتصل برجل يدعى لتليه كان يمارس صناعة هى أعجب الصناعات إذ تتلخص فى تزييف تاريخ الاسر واختراع شجرات التناسل الكاذبة لاولئك الاغنياء المحدثين الذين اذا صادفتهم الثروة اغتباطاً لم تغنهم عن ادعاء أصل رفيع . وقد صار لتليه هذا بمثابة « الاستاذ » للترجمان ، وخصوصاً أنه كان الى جانب تلك الصناعة الرابحة يتجر بالمخطوطات اليدوية القديمة

وكان من علماء فرنسا العظام فى ذلك الحين العلامة « ميشيل شال » عضو المجمع العلمى الفرنسى . وقد اشتهر بحبه للبحث عن الوثائق التاريخية النادرة واقتنائها . وسرعان ما اتصل به « لوكاس فرين » وكان ذلك فى مارس سنة ١٨٦١ فعرض عليه أن يبيعه خطاباً قديماً بخط الشاعر موليير بخمسمائة فرنك ففرح العلامة بهذه الصفقة واقتنى تلك اللقية النادرة . ومنذ ذلك لازمه لوكاس وصار يبيعه مخطوطا إثر آخر حتى بلغ عدد المخطوطات التى باعه اياها فى ثمانى سنين ٢٧٣٢٠ وبلغت قيمتها ١٤٠٠٠٠ فرنك وهى ثروة طائلة قضت على مركز « شال » المالى

> يتحدث الكاتب فى هذا المقال عن أكبر احتيال على عرفه التاريخ ،قام به شاب ريفى فاستطاع ان يخدع عالماً شهيراً من كبار علماء الاكاديمية الفرنسية ، فسلبه بهذا الخداع شهرته وماله وثقة الناس به . واحدث ضجة تجاوزت اصداؤها فى جميع الاوساط العلمية فى أوربا وأمريكا .
> وكانت مهزلة اضحكت العالم

وكانت تلك المجموعة من المخطوطات تشمل كتباً بخط عظماء العصور القديمة وفلاسفتها مثل ارخميديس والسيبادس وابقراط وهيرودس وبومبيوس وكاتو وتاسيتوس وفرجيل وغيرهم من مشاهير اليونان والرومان . على ان الجزء الاكبر منها يتألف من رسائل بخط بعض ملوك فرنسا مثل لويس الحادى عشر ولويس الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر ، وبعض مشاهير الكتاب والشعراء والفلاسفة الفرنسيين مثل موليير وروسو وفولتير ولافونتين ، بل كان منها كذلك خطاب موجز زعم المزيف الجرىء - لوكاس فرين - أنه بخط جان دارك !

ولكن أنفس فرائد المجموعة فى نظر العلامة ميشيل شال تلك الرسائل التى دارت بين بسكال الفرنسى ونيوتن الانجليزى ، وقد جاءه بهما لوكاس فرين مكتوبة بخطهما - كما زعم - ولا يقل عددها عن ثلاثة آلاف خطاب ! ووجه القيمة التى لهذه المكاتبات بين العالم الفرنسى والعالم الانجليزى أنها تثبت بشكل قاطع أن بسكال - لا نيوتن - هو الذى كشف قانون الجاذبية ، وان الفضل فى هذا الفتح العلمى العظيم ثابت لفرنسا لا لانجلترا ...

وإلى القارىء أمثلة من تلك المكاتبات التاريخية الهامة ، التى باعها فرين الى العلامة ميشيل شال على انها قديمة وبخط مرسليها :

١ - « من الاسكندر الملك الى عزيزه ارسطاطاليس

« عزيزي

« لم يسرني انك نشرت كتابا من كتبك التى يجب ان تحفظها سراً من الاسرار ؛ فان ذلك يذهب بقيمة الكتاب . ويدفعني هذا الى ان أرجو منك سحب ذلك الكتاب من الايدى الدنسة وألا تنشر بعد ذلك أي كتاب الا بعد موافقتى .

« أما عن طلبك ان تقوم برحلة الى بلاد الغال لكي تقف على علوم أهلها فانى أوافق على ذلك بل أدعوك اليه لمصلحة امق . وينبغي لك ان تعلم انى اقدر ذلك الشعب حق قدره واري انه هو الذى نشر ضوء العلم في العالم

« في ٢٠ مايو السنة الاولمبية الخامسة بعد المائة الاسكندر »

٢ - يوليوس قيصر يتحدى فرسنجتوريس

« اني باعث اليك أحد أصحابي لكي يبين لك الغاية من سفري . اني أريد أن استحوذ بجنودي على ذلك البلد الذي أنجبك . ومن العبث أن تحاول الدفاع عنه . انى أعلم أنك شجاع . ولكنى ساكون شجاعا كذلك اذا شاءت الآلهة . فهيا سلم لى سلاحك والا فاستعد للحرب ! »

٣ - خطاب من جان دارك الى أهل باريس

« يا أهل باريس البواسل : اطمئنوا فقد وصلت جيوش ملككم الى مقربة من باريس وهي معسكرة بين شابيل وباب سانت أونوريه . وأنا نفسي بالقرب من تل الطاحونة . ان باريس لنا ! وسننام بها غداً . هذا هو اليقين كيوم ميلاد أم الاله . والحمد لله !

« فى ٧ سبتمبر . يوحنا المسماة بالعذراء »

٤ - خطاب من رابليه الى مارتن لوثر

« يامعلم لوثر : لقد قلت لك مراراً من زمن انى لاأريد أن أتدخل في المنازعات الدينية . أما وقد أرسلت

الى رسائلك المعنونة « ضد البابا في روما » فاني أعدك بان اقرأها وان أبدي لك رأيي فيها . وتحيا في اليك ماازلت خادمك المطيع « رابليه »

***

وقد انتهى أمر هذا التزييف بمهزلة أضحكت العالم كله ففى سنة ١٨٦٦ احتفل المجمع العلمى (أكاديمية العلوم) بباريس بمرور مائتى سنة على تأسيسه . وبعد سنة اجتمع أعضاء هذا المجمع لكى يسمعوا محاضرة قيمة يلقيها زميلهم العلامة ميشيل شال . وقد انتهز فرصة هذه المحاضرة لجادت مكارمه للمجمع بخطابين أثريين من مجموعته لاثنين من كبار الشعراء ، وفى الوقت نفسه أعلن أنه سيدلى فى محاضرته التالية (بالدليل القاطع) على أن الذى كشف قانون الجاذبية هو باسكال الفرنسى لا نيوتن الانجليزى . ومن البداهة أن يفرح علماء فرنسا بهذا النبأ العظيم وأن يرتقبوا تلك المحاضرة وذلك الدليل بصبر نافد

وقد حان موعد تلك المحاضرة يوم ١٥ يوليو من تلك السنة فاهتزت لها جوانب المجمع اللغوى ، وخصوصا حين عرض العلامة على زملائه الخطابات الاولى التى تبادلها باسكال ونيوتن والمكتوبة بخط كل منهما . وفيها ما يدحض الاعتقاد الشائع بأن نيوتن هو كاشف ذلك القانون الطبيعى الهام

وقد بادرت الاكاديمية الى طبع تلك الوثائق الخطيرة ونشرها فى كافة الاوساط العلمية فى فرنسا وفى الخارج . ولم يلبث الاستاذ شال حتى قدم لها خطابات أخرى تزيد نظريته تأييداً . وقد اختلفت الآراء فى الاكاديمية ، ولكن الرأى العام الفرنسى فرح أيما فرح بهـــذا النصر العلمى المبين . .

وشجع ذلك صاحبنا شال على ابراز وثائق تاريخية من مجموعته النفيسة بشأن أمور أخرى غير قانون الجاذبية ، وأخصها بالذكر خطابات من جاليليو وبخط يده ! تسجل لفرنسا وجوها أخرى من الفخر بمسائل علمية شتى

وكان لذلك كله صدى فى نواحى العالم العلمى باجمعه فتتابعت البرقيات وتكاثرت المذكرات وكثر الهجوم واشتد الدفاع ، ونشبت حرب دولية لم يقلل من خطرها انها علمية ومقصورة على دوائر العلماء . وكان أشد (الوقائع) الحربية بالبداهة بين الفرنسيين والانجليز ، فقد كره هؤلاء أن يسلبوا بغتة ذلك الفخر الذى أكسبهم نيوتن اياه ونعموا به طويلا ، فانكروا تلك الخطابات والمراسلات وأصروا على أن فضل استكشاف الجاذبية باق لعالمهم نيوتن لا يسلبه اياه باسكال ولا غيره . ولم يقبع العلماء الايطاليون كذلك فقد أقحمهم فى تلك المعارك ورود اسم عالمهم جاليليو ونسبة خطابات اليه ، فنادوا بان تلك الخطابات زائفة وأن الاكاديمية الفرنسية تحمل وزرها ، بل تطاير الشرر من هذه الحرب الى امريكا على بعد المزار

ثم علا اوارها حتى دخل ميدانها رئيس الجمهورية الفرنسية نفسه ، المسيو تيير وصرح فى

البرلمان الفرنسى بان الوثائق الخطيرة التى نشرتها الاكاديمية لاغبار عليها . وكان بعض الصحف الفرنسية قبل ذلك قد وقف وقفة المتشكك المرتاب ، ولكن بعد ذلك التصريح الرسمى من رئيس الجمهورية لم يبق مجال للشك والريبة ، وحق للرأى العام الفرنسى كله أن يهنأ بالنصر العلمى المبين الذى حازه باسكال الفرنسى على نيوتن الانجليزى - وان يكن كلاهما سا كنا فى قبره

ومكثت الحرب عامين كاملين حتى اذا آن لها أن تضع أوزارها ككل حرب فى العالم - وردت من مدينة البندقية صور فوتوغرافية لبعض الخطابات التى كتبها جاليليو بخطه والتى لايمكن أن يمتورها شك . وأقبل بعض خبراء الخطوط ذوى السمعة والثقة فى باريس على مضاهاة الخط الذى كتبت به تلك الخطابات بالخط الظاهر بخطابات جاليليو الاخرى التى أهداها العلامة ميشيل شال الى الأكاديمية الفرنسية ، وكان يسيراً عليهم أن يتبينوا الزيف فى هذه الخطابات ثم رفعوا تقريرهم الى الأكاديمية

ولما جاء شال - أو جىء به - يوم ١٩ يوليو سنة ١٨٦٩ الى المجمع العلمى ليسأله عن سر هذه الفضيحة اضطرب وارتبك ، واضطر الى أن يقر بزيف تلك الوثائق التى حاول بها أن ينصر مواطنه باسكال على العلامة نيوتن . . وما كان أشد حنقه على المجرم لوكاس فرين الذى وقفه ذلك الموقف المهين وهو العالم الوقور ذو السمعة والمكانة ! غير أنه لم يدر بعد مدى الخديعة التى حا كها له والغفلة التى بات فيها طوال السنين الماضية . وعلى أى حال طلب الى البوليس أن يراقب لوكاس فرين عن كثب وقد قبض عليه يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٦٩ . واهتم الرأى العام بهذا التحول المفاجىء فى موضع فخره وأمله ، ولكن الصحف الفرنسية سكتت أو أسكتت خوف شماتة الأعداء وسخرية الساخرين . . .

* * *

قدم لوكاس فرين للمحاكمة يوم ١٦ فبراير سنة ١٨٧٠ متهما (بالنصب والاحتيال) كما جرى اصطلاح القانون . . وقد لزم فى أقواله جانب الحذر والحيطة وادعى أن شخصاً مجهولا - لم يذكر اسمه - قد باعه تلك المخطوطات القديمة لحساب رجل كبير من الاشراف أصحاب الالقاب ولم يذكر اسمه كذلك . . وأصر على القول بأن الجزء الأكبر من تلك المخطوطات صحيح لاشية عليه . لكنه اعترف بأنه زيف بعضها لاسيما تلك المراسلات المنسوبة الى باسكال ونيوتن. والعجيب أنه التمس لنفسه عذراً من الحاح العلامة شال عليه فى طلب مخطوطات قديمة وشرهه فى ذلك ! وقد شهد الخبراء أمام المحكمة بأن جميع المكاتيب مزيفة لا البعض منها فقط ، وان الكلام المكتوب فيها مسروق أكثره من كتب التاريخ المعروفة مع بعض تزويق فيه وتنميق أضافه المتهم . ولكن الذى عجبت منه المحكمة أن تلك المخطوطات مكتوبة بأسلوب القرن الثامن ولغته . ولما سئل لوكاس فرين عن ذلك حاول أن يفسره بأن المخطوطات كانت فى حوزة

الراهب الفرنسي المشهور (الكوين) وأنه هو الذى ترجمها الى اللغة الفرنسية حوالى سنة ٨٠٠ بعد الميلاد . وكان قد أدخل ذلك فى روع العلامة (شال) حتى بقىهذا مصراً عليه فى المحكمة. غير أن تقرير الخبراء - ومنهم أدباء وعلماء معروفون - ورد فيه أن تلك المخطوطات الزائفة ان دلت على معرفة مزيفها بالتاريخ وسعة اطلاعه على كتبه فان الأسلوب والتفكير البادين فيها يدلان على نقص فاضح وعجز كبير . واتضح أن لوكاس قد اتبع فى تزييفه الوسيلة القديمة المعروفة وهى وضع الورقة المكتوبة فى قهوة ثم تجفيفها لتبدو بعد ذلك وعليها سمة القدم . . أما الحبر فقد أضاف اليه محلول النحاس لهذا الغرض نفسه

ومهما يكن من اجرام لوكاس فرين فقد حاز اعجاب الناس وعطفهم وفتنذ بشيئين: أولها جده ونشاطه حتى استطاع أن يكتب فى بضع سنوات ٢٧٣٢٠ خطابا منسوبة الى ٦٦٠ شخصاً من مشاهير التاريخ ، والثانى حرصه فى كل ما كتبه وزيفه على رفع شأن بلاده - فرنسا - وتميزها على سائر البلدان فى كل مايستحق الفخر ويسجل المجد

وقد حكم عليه بالسجن عامين وبغرامة قدرها خمسمائة فرنك . أما العلامة ميشيل شال فلقد كانت عقوبته أشد : اذ فقد سمعته وكرامته وثروته !

محمد ابو طائلة

قطرات ندى

عجبت للاثير كيف لم يتكاثف حتى اليوم وفيه ما فيه من زفرات البشر !

لا يجوز أن يكون تمثال الحرية من حديد فالحديد يذكرك بالقيود التى من أجل تحطيمها يقام ذلك التمثال

أرقام الرجل الخيالى هى نجومه يعدها فى جدول الافق

اذا اغضبت البحر أتاك بزبده وغرقاه فاذا استهنت به اخرج لك من قلبه الدرر

الابطال يشدون بحبال مشانقهم أوتاد خيامهم فى بطاح المجد

ا كبر الانداء ندى الشاعرية

الاحقاد أفاعى الصدر

الضباب فكرة غمضت فى دماغ الطبيعة

والله لولا المعدة القاهرة لما فكرت فى المال

كم من ثروة فى العالم لم يلمع ذهبها الا بعد أن لمع سيفها

هل نستطيع أن نكشف الغيب؟

بين الغزالي ورجال علم النفس الحديث

من الحوادث التى هدت العالم الفيلسوف « وليم جيمس » الى الاعتقاد فى إمكان الاطلاع على الغيب هذه الحادثة :

تركت السيدة « برتاهيوس » منزلها فى « انفليد » يوم الاثنين أول أكتوبر سنة ۱۸۹۸ وغابت عنه واختفى أثرها . وقبل اختفائها رؤيت هناك بالقرب من قنطرة . وانتشر أهلها يبحثون عنها فى كل مكان فلم يعثروا عليها . وأمضى أحد الغواصين يوماً ونصف يوم يبحث فى الماء عنها بالقرب من هذه القنطرة ولكنه لم يهتد الى أى أثر من آثارها

وفى يوم الاربعاء التالى كانت سيدة أخرى تدعى « مسز تيوتس » مستغرقة فى سبات عميق وفى لحظة استيقظ زوجها على صيحات منكرة ونظرات حادة كانت تصدر عن زوجه وهى نائمة ، فذعر وهزها مراراً لتعود إلى وعيها ، ولكنها هبت تلومه صائحة : « لماذا تزعجنى هكذا ؟ كنت ارجو أن اهتدى الى السيدة المختفية بعد لحظة واحـدة » ثم عادت لنومها حتى انتصف الليل فاخذت تئن وشرعت تصف طريقة اختفاء المرأة الغائبة ، وكان زوجها يرقبها فى حالة من الرعب . قالت : « إنها كانت سائرة فى طريقها حتى وصلت الى القنطرة وبدأت تعبرها فداست على قطعـة من الخشب كانت نائثة فيها ، مغطاة بالثلج ، فزلت قدمها وسقطت تحت القنطرة ، وهى ما زالت هناك سجينة تحت الماء فى أحد الاعمدة . . . »

وبفضل هـذه المعلومات التى أبدتها « مسز تيوتس » استطاع الباحثون أن يعثروا على جثة الفقيدة . ويعلق العالم الفيلسوف على هذه الحادثة بانها غير عادية

ومن الوقائع التاريخية الموثوق بسندها واقعة حدثت لامير المؤمنين عمر بن الخطاب . وخلاصتها ان « سارية بن زنيم » كان قائداً على بعض جيوش المسلمين بالعراق ، فتورط مع المشركين فى معترك وكادوا ينتصرون عليه . وكان بالقرب منه جبـل . فرفع وقتئذ لعمر وهو يخطب على المنبر بالمدينة ، فناداه : « ياسارية الجبل ! » وسمعه سارية وهو بمكانه ورأى شخصه فانحاز إلى ذلك الجبل فانتصر

وتروى كتب السير حكايات كثيرة من هذا النوع ، فما هو التعليل المعقول لهـذه الظواهر الغريبة ؟

علم النفس الحديث

الواقع ان علم النفس الحديث ينزع إلى تحليل العمليات التى يقوم بها العقل عند الادراك الى مراحل أربع : تبدأ العملية الاولى باستقبال المؤثرات المادية من العالم الخارجى إلى الحواس ، بمعنى ان الحواس تلتقط كل مايلابسها من الخارج ، وهى مرتبة حسية محضة لا أثر للادراك فيها وتسمى « مرتبة الاحساس Sensation »

ثم تنتقل عملية الادراك بعد هذه المرتبة الى مرحلة أخرى هى تفسير هذه الاحساسات وتكييفها وتحديدها ، وتسمى « مرتبة الادراك الحسى Perception » والفارق بين العمليتين أن الاولى لا بد فى حدوثها من وجود المؤثر الخارجى أما الثانية فلا يتحتم وجود هذا المؤثر

ثم تتدرج عملية الادراك الى مرحلة ثالثة هى مرحلة « تثبيت المدركات Aperception » وفيها يتحدد المعنى ويربط بالمعلومات السابقة المختزنة فى وعى الانسان . وتنتهى عملية الادراك الى مرحلة أخيرة هى مرحلة « ادراك الكليات Conception » وهى أرقى عملية فى التفكير . فالعقل لايمكن أن يدرك فوق الكليات شيئاً . وهذه هى حياة العقل البشرى من أولها الى آخرها ــ يبدأ العقل فى تطوره باستقبال الاحساسات ثم ادراكها ادراكا حسياً ثم محاولة تحديدها وتعريفها ويأتى فى النهاية بعد ذلك الادراك الكلى للاشياء وهنا يقف العقل ولا يجد له طاقة أخرى للادراك

نوع آخر من الادراك

وفى تاريخ الفلسفة الاسلامية مدرسة سيكولوجية تسلم بكل هذا تماماً ولكنها لاتقف عند حد ادراك الكليات ، بل ترى فى طاقة العقل الانسانى نوعا آخر من الادراك لا تسلم به السيكولوجية الحديثة صراحة وإن كان اتجاه البحوث النفسية فى « اللاوعى » ينبىء عن استعدادها للتسليم به . و « الغزالي » نعده بحق زعيم هذه المدرسة . ولهذا سنترك له إقامة الدليل على وجود هذا النوع من الادراك وتبيين حقيقته

يقول الغزالى : « اعلم أن جوهر الانسان فى أصل الفطرة خلق خالياً ساذجاً لا خبر معه من عوالم الله تعالى . والعوالم كثيرة لا يحصيها الا الله تعالى . وانما خبره من العالم بواسطة الادراك . وكل ادراك من الادراكات خلق يستطلع الانسان به على عالم الموجودات ، فأول ما يخلق فى الانسان حاسة اللمس فيدرك بها أجناساً من الموجودات كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها ، واللمس قاصر عن الالوان والاصوات قطعاً بل كالمعدوم فى حق اللمس . ثم يخلق له البصر فيدرك به الالوان والاشكال وهو أوسع عوالم المحسوسات ثم ينفتح له السمع فيسمع الاصوات والنغمات، ثم يخلق له الذوق كذلك إلى أن يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز وهو قريب من سبع سنين،

وهو طور آخر من أطوار وجوده فيدرك فيه أموراً زائدة على عالم المحسوسات لا يوجد منها شيء فى عالم الحس . ثم يترقى الى طور آخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات وأموراً لا توجد فى الاطوار التى قبله » وهنا يكاد الغزالي يتفق مع علم النفس الحديث فى أطوار العقل الانسانى من الناحية الادراكية،الا أنه يستمر ويقول : « ووراء العقل طور آخر يفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون فى المستقبل وأموراً أخر ، العقل معزول عنها كعزل قوة التميز عن ادراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات التميز » وهذا النوع من الادراك هوالذى يرى به الانبياء حقائقهم ويفهمون به الحياة « وكما أن العقل طور من اطوار الادمى يحصل فيه عين يبصر بها أنواعاً من المعقولات ، الحواس معزولة عنها ، فالنبوة أيضا عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر من نورها الغيب وامور لا يدركها العقل »

وهنا يتجلى لنا بوضوح الفارق بين اتجاه النظر الشرقى واتجاه النظر الغربى لاسيما الحديث منه فى فهم الحياة وادراك حقائقها . فالنظر الشرقى يتناول الحياة المادية المحسوسة يتفهمها عن طريق العقل والادراك بمراحله ، ويتناول فوق هذا حياة ما وراء المادة بهذا النوع الجديد من الادراك . أما النظر الغربى فيقف أمام المادة الملموسة ويقتصر على البحث فيها بأسلوب علمى مقرر ، أما موقفه ازاء ما وراء المادة (عالم الغيب) فلا يعنيه فى قليل أو كثير

وقد يكون فى البحوث الحديثة التى تدور حول العقل الباطن ما يشير الى اتجاه العناية الى هذه الناحية الخفية. الا أن هذه البحوث تدرس اللاوعى أو العقل الباطن كأنه حالة من حالات الشعور لا وسيلة من وسائل الادراك . ونشأ عن هذا خلاف واضح بين « فرويد » صاحب البحوث المبتكرة فى اللاوعى وبين « الغزالى » فى هذا النوع الجديد من الادراك الذى يقول به . فالأول يرى فى تعليل ظاهرة الاحلام عند النائم أنها تحقيق للامال والرغبات والاهواء وكل ما تستثيره الغرائز — والغريزة الجنسية بوجه أساسى — أو كل ما يضطرب فى نفس الانسان ولا يستطيع أن يتحقق إما برادع العقل الواعى أو بعوائق خارجة عن سلطة الانسان

أما « الغزالى » فيرى أن الرؤيا الصادقة هى دليل قوى على هذا النوع من الادراك . فليست الرؤيا الصادقة فى نظره الا كشفاً للغيب وانباء عن المستقبل

ويستشهد بوجود حالات خاصة من الجذب يسقط الانسان فيها مغشيا عليه كالميت ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب . ثم يقول: إن كل اعتراض على هذا ترده التجربة والمشاهدة . ويرى من الادلة على إمكان وجود هذا النوع من الادراك وجود معارف فى العالم لا يتصور أن تنال بالعقل ، ثم يعتمد فى النهاية على دليل قوى لاثبات دعواه فيقول : « إن هذا النوع من الادراك لا يأتى من طريق الدليل والقياس أو المنطق ، انما مبناه الذوق والوجدان »

احمد توفيق عياد

الآلهة الذين كسفوا الشمس

خرافات يروجها المشعوذون منذ القدم

الشعوذة فى اللغة خفة اليد وأخذ (بضم ففتح) كالسحر يرى معها الشيء فى رأى العين بغير ماعليه أصله . والفرق بين الشعوذة والسحر ان الأخير هو عمل شيء فيه مناقضة لنواميس الطبيعة وخروج على قيودها . والمراد منه فى الغالب إخراج الباطل فى صورة الحق . وفى بعض كتب اللغة ان السحر هو ما يستعان فى تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان . على ان العلم ينكر السحر لأنه يقوم على مخالفة نواميس الكون . فاذا كانت هذه المخالفة وهمية أو من قبيل الخداع البصرى فهى الشعوذة والخفة

وقد درج الناس على اعتبار السحر والشعوذة شيئاً واحداً.وهو خطأ يجاريهم فيه الكثيرون من الكتاب . وفى الحقيقة ان الساحر يعتمد على قوة غير منظورة . سواء أكان هو نفسه يؤمن بتلك القوة أم لايؤمن بها ، وأما المشعوذ فلا يعتمد إلا على الخداع وخفة اليد

والارجح ان السحر وجد قبل الشعوذة وأنه تحول اليها بمرور الزمن ، وأثر السحر ظاهر بين جميع الشعوب المتوحشة . فلا تجد قبيلة من القبائل المغرقة فى الهمجية إلا ولها ساحر تحترمه وتنقاد وراءه . بل لقد كان الساحر أو العراف قديماً زعيم القبيلة وسيدها المطلق ، وهذا ماجعل زعماء القبائل يلجأون الى الخداع والمخاتلة لضمان زعامتهم على قومهم ، وبمرور الزمن أدرك الناس ان مخالفة نواميس الطبيعة غير ممكنة ، فالشمس لابد أن تشرق فى النهار ، والنار لا بد أن تحرق مايلقى فيها ، والحديد لابد أن يغرق فى الماء ، والسم لابد أن يقتل من يتناوله . فاذاحدث مايناقض جميع ذلك فهو شعوذة لاشك فيها

ولايضاح ذلك نقول على سبيل التمثيل : انه لما ذهب كولمبوس الى أميركا فى القرن الخامس عشر توغل بعض رجاله بين قبائل الهنود الحمر ، فهجم عليهم هؤلاء ليفتكوا بهم ، وكان البيض يعلمون أن الشمس ستكسف ذلك اليوم . فتهددوا الهنود ان هم مسوهم بسوء بأن يطلبوا من معبودهم ، الشمس أن يغضب عليهم !... وما هى الا دقائق حتى بدأت الشمس تكسف، فذعر الهنود واستولى عليهم الهلع وخيل اليهم ان أولئك البيض آلهة . فأطلقوا سراحهم واستغفروهم وقدموا لهم هدايا وتحفاً كثيرة . ولا يزال بعض هنود أميركا الى هذا اليوم يتناولون قصة الآلهة الذين زاروا بلادهم من أحقاب كثيرة وكسفوا الشمس !...

فما عمله أولئك البيض لم يكن سحراً اذ لم يكن فيه خروج على نواميس الطبيعة . ومع ذلك

اعتبره الهنود سحراً . ولعله أقرب الى الشعوذة منه الى أى شيء آخر ، إذ ليس فى الشعوذة ماهو مناقض لطبائع الاشياء . الا ان المشعوذ يستغل معرفته لتلك الطبائع ويستعين بخفة يده و مهارته على خداع الناس

ومما يدل على ما كان لكلا الساحر والمشعوذ من مقام عند الاقدمين (ولم يكن هؤلاء يفرقون بينهما) ان الملوك فى الازمنة الغابرة كانوا يحيطون أنفسهم بالسحرة والعرافين . ففى التوراة أنه لما صنع موسى معجزة أمام فرعون استدعى هذا سحرته وعرافيه وطلب منهم ان يفعلوا مثل مافعل موسى . وفى التاريخ ان الاسكندر ذا القرنين كان اذا أراد الخروج الى الحرب استشار السحرة والعرافين . وكذلك كان يفعل الروم والرومان والفرس وغيرهم.وفى الحقيقة انه ما كان أولئك السحرة يستطيعون الاحتفاظ بما لهم من سلطان على الملوك والاقيال الا بالتجائهم الى الخديعة والشعوذة . وكانوا يحتاطون لتكون شعوذتهم بمأمن من الفضيحة بأن يقولوا أقوالا أو يتنبأوا نبوءات يسهل تأويلها كما يريدون مهما كانت النتيجة

مثال ذلك ان كهان معبد دلفى ببلاد الروم قديماً كانوا يشيرون على الملوك وقادة الجيوش الذين يستشيرونهم باشياء لا يمكن ان يؤاخذوا عليها مهما جاءت به الحوادث . قيل ان أحد اقيال الروم استشارهم مرة فى محاربة الفرس فقالوا له : انك ستخرب مملكة عظيمة ، فلما حاربهم انتصروا عليه . وكان تأويل نبوءة الكهان سهلا ، فانهم لم يعينوا الغالب والمغلوب ، فكانت النبوءة تحتمل الوجهين

وقد كانت الخرافات ولا تزال مستولية على عقول الناس . وهذا ما جعل للسحر والعرافة رواجاً . ففراعنة مصر كانوا يقربون اليهم السحرة والمشعوذين لينبئوهم بالغيب وليفسروا لهم الرؤى والاحلام وليقرأوا لهم الافلاك ويطلعوهم على المستقبل . وكذلك كان يفعل ملوك بابل واشور والفرس والروم والرومان . بل لقد بقيت تلك البدعة متمكنة من النفوس حتى الآن . وما عهدنا بشعوذة راسبوتين ببعيد . فقد تمكن ذلك الدجال من التغرير بعقل قيصرة روسيا وايهامها انه يستطيع ان يفعل مايشاء لان له صلة بالعالم غير المنظور . قيل انه لولا ذلك الراهب المشعوذ لكانت حالة روسيا وألمانيا بل حالة أوربا كلها اليوم غير ماهى عليه . فالشعوذة هى التى ذهبت بالقياصرة وبغير القياصرة . ولا يزال فى أوربا كثيرون حتى من العلماء ممن ينخدعون بالدجل والشعوذة . ومن أشد دواعى الاسف ان بعض الخبيرين بأسرار الاستهواء اى التنويم المغناطيسى يستغلون معرفتهم للتغرير بالناس وتمويه الحقائق بطلاء الباطل والشعوذة . بل لقد استخدم بعضهم مسألة استحضار الارواح ومخاطبتها لتضليل الناس والتغرير بهم

وقد كانت الشعوذة ولا تزال مرتبطة بالتطبيب والتنجيم ارتباطاً وثيقاً . فكان الطبيب فى أطوار الاجتماع الاولى مشعوذاً يستعين بقليل من الخبرة وبكثير من الدجل والخداع . فكان

اذا دعى لعيادة مريض عمد الى وصف بعض الاعشاب والمواد والى استطلاع النجوم والافلاك وتنبأ بما سيكون من أمر العليل . لهذا كان لشخص الطبيب عند الاقدمين حرمة كبيرة وكان الناس ينظرون اليه كما ينظرون الى شخص مقدس يجب له الخضوع فى كل شىء . وكان الطبيب أو المشعوذ يرث مهنته عن أبيه ويورثها لابنه . ومن ثمة نشأت طائفة الكهان او العرافين الذين لم يكونوا فى الحقيقة سوى دجالين مشعوذين . نعم انهم كانوا فى أقدم عصور الاجتماع يؤمنون عن اخلاص بما لهم من قوى خارقة قد ورثوها عن غيرهم ، ولكنهم أدركوا بمرور الزمن ان دعواهم قائمة على الكذب والدجل وأنهم مجردون من كل قوة خارقة للطبيعة . ومع ذلك احتفظوا بما لهم من سلطان بفضل ما لجأوا اليه من ضروب الحيل والخداع. ويقول علماء النفس ان أولئك المشعوذين كان لهم فى عدة مواقف فضل على قومهم بما كانوا يوقدونه فيهم من نار الحماسة وما ينفخونه من روح الشجاعة والاقدام . وتفصيل ذلك أن قادة الجيوش الاقدمين كانوا اذا خرجوا للحرب والقتال يستشيرون السحرة والكهان كما تقدم القول ويذيعون ما يقوله هؤلاء بين الجنود ليشجعوهم ويستثيروا حماستهم . وفى التوراة ان شاول ملك اليهود استشار روح صموئيل النبي فيما سيؤول اليه أمره من محاربة الفلسطينيين فأنبىء بانه سينكسر وبأن جيشه سيهلك ومع ذلك لم يعبأ فكانت آخرته وبالا عليه ، وليس هذا مجال البحث فى كيفية استشارة روح صموئيل ، وانما نقول انها تمت على يد عرافة مشعوذة . وكان هو نفسه ، أى شاول ، قد قطع دابر العرافين والمشعوذين فى مملكته . ولعله أول ملك فى التاريخ حرم العرافة والسحر والشعوذة. فقد كانت هذه المهنة كثيرة الشيوع بل كانت من مستلزمات الاجتماع فى العصور الغابرة. والمعروف ان النساء الرومانيات كن كثيرات الشغف بالالتجاء الى المشعوذين لاستطلاع حظوظهن . ولسنا نعلم جيلا من الناس لم تلجأ نساؤه الى الدجالين والمشعوذين لاستطلاع أنباء الغيب والكشف عن المستقبل ، فان مثل ذلك الاستطلاع فى خلق المرأة منذ أقدم أزمنة التاريخ

ولنرجع الى الشعوذة المحضة منذ أقدم الازمنة ، فنرى انها كانت شائعة عند قدماء المصريين كل الشيوع وكانوا يخلطونها بالسحر مع بعد الفرق بين الاثنين . وفى سفر الخروج من التوراة ان سحرة مصر (ويراد بهم المشعوذون) تمكنوا من تقليد الآيات التى صنعها موسى أمام فرعون لحمله على اطلاق سراح الاسرائيليين . ومن ضروب الشعوذة التى كانوا يمارسونها انهم كانوا يحرقون البخور فى غرفة مظلمة فتنعقد فى الجو سحب كثيفة من الدخان تظهر عليها صور مختلفة فتدهش الناظرين . وكانت تلك الصور أو المرئيات تنعكس عن مرايا معدنية مقعرة مستورة عن الانظار

ومن أعمالهم أيضاً انهم كانوا يرسمون صور الآلهة على جدران الاقباء أو الدهاليز المظلمة المقامة تحت الارض ، وما هى الا لحظة حتى تلتهب تلك الصور كأنها بقوة سحرية . والمعروف

ان تلك الصور كانت من مواد قابلة للالتهاب فاذا مست النار جزءاً منها سرت فى سائر الاجزاء وأحدث التهابها دهشة عظيمة !

وهنالك ضروب أخرى من الشعوذة كان يمارسها قدماء المصريين . وعنهم أخذ اليونان حتى قيل ان كهنة دلفى وافسس وغيرهم تلقوا السحر والشعوذة عن المصريين . ومن عادة الرومان أنهم ما كانوا يقيمون وليمة الا وللشعوذة منها نصيب كبير

ولم يتفق العلماء حتى الآن على تعليل الشعوذة التى كان يقوم بها كهان دلفى ببلاد اليونان . فقد كان الملوك وقادة الجيوش يقصدونهم اذا عزموا على القيام بغزوة أو حرب ويستطلعون ماهو مقدور لهم فى صحف الغيب كما مر بك . فاذا ألقوا على أولئك الكهان سؤالا سمعوا أصواتاً لا يعلمون من أين هى رداً على سؤالهم . ومن المحتمل أن الكهان كانوا يحسنون اخراج الاصوات من بطونهم - وهو مايعرف اليوم « بالفنتريولوكويسم »

واذا عدنا الى العصور المتوسطة وجدنا ان الشعوذة كانت منتشرة فيها انتشاراً عظيماً . فقد أشار تشوسر الشاعر الانجليزى الى مرئيات غريبة كانت تظهر فى بعض الاحتفالات وتمثل مواقع قتال ومشاهد صيد وحوادث مختلفة . وذكر السر جون منديفل انه شاهد مثل ذلك فى قصر أحد أقيال الشرق . وروى « تشليني » فى أواسط القرن السادس عشر انه رأى صوراً ورسومات مدهشة بارزة على ستار فى الظلام فى بناء الكولوسيوم بمدينة روما . والأرجح ان جميع هذه المناظر كانت مما يعرف اليوم بالفانوس السحرى . وقد كان البعض يعتقدون ان الفانوس السحرى من مخترعات القرن السابع عشر

ومما يجدر بالذكر ان الفيلسوف ديكارت الذى نبغ فى النصف الأول من القرن السابع عشر صنع تمثالا شبيهاً بالانسان الميكانيكى الذى شاع صنعه اليوم فى أميركا والذى يسمى « روبوت » أو « أوتومات » . وكان يتلفظ بعدة كلمات وعبارات تدهش السامعين . قيل ان ديكارت كان مسافراً ذات يوم فى سفينة ومعه هذا التمثال . فلما رآه ربان السفينة تشاءم منه وقذفه الى البحر . وفى أواخر القرن السابع عشر عرض رجل انجليزى يسمى توماس ايرسون فى قصر تشارلس الثانى تمثال رجل يتكلم ويجيب عن أسئلة السائلين . وتعليل ذلك ان التمثال كان دقيق الصنع جداً وكان مجوفاً يختفى فى داخله رجل ذكى الفؤاد يتكلم عدة ألسنة ويخرج من جوفه أصواتا غريبة كأنها آتية من بعد . ولم تنكشف جلية هذا الاختراع إلا بعد مرور الزمن

والمجال لا يتسع لذكر جميع أنواع الشعوذة التى شاعت فى القرون الوسطى . وكان العامة يعتبرونها ضربا من السحر مع انها لم تكن سوى ألاعيب وحيل لا تحتاج فى الحقيقة إلا الى قليل من المهارة والخفة وطلاقة اللسان . ولعل أعظم ضروب الشعوذة هى التى يمارسها اليوم بعض دراويش الهند وقد حار العلماء فى تعليلها وهى أقرب ما تكون الى السحر لو صح

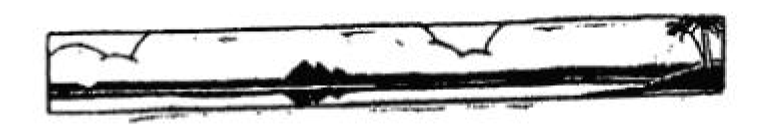
وجود السحر . فمن ذلك ان أحدهم قد يدفن نفسه حياً ويظل مدفوناً عدة أيام فى مكان لا يتطرق اليه النور أو الهواء أو الغذاء حسب الظاهر . ومع ذلك ينتفض بعد أيام من قبره كأنه ينفض عنه غبار الموت . وقد حاول بعض الملاحدة أن يعللوا قيام المسيح من الموت بهذه الطريقة

ومن أعمال مشعوذى الهند أيضاً انهم يمشون حفاة على النار جيئة وذهابا ولا تحترق أقدامهم . ولعل هذا من قبيل الخداع البصرى أو لعله يستند الى الاستهواء أى التنويم المغناطيسى . وأغرب منه ما يفعله بعض دراويش الهند حيث يلقى حبلا فى الهواء فينتصب الحبل فى الجو فيتسلقه الدرويش كأنه يصعد فى الجو ويظل صاعداً الى أن يختفى عن الانظار ، وما هى إلا لحظة حتى يظهر بين الجمهور بغتة . أو قد يتسلق الحبل الممدود فى الجو ومعه ولد وبيده سكين ومتى وصل الى ارتفاع كبير عمد الى الولد فذبحه وألقى رأسه بعيداً وظل الدم يسيل غزيراً . فيهيج الجمهور ويريد الفتك بذلك الدرويش ولكن الدرويش يختفى فى الجو فجأة . ومتى هدأت ثائرة القوم ظهر بينهم ومعه الولد المذبوح !

وقد حاول الكثيرون أن يكتشفوا سر هذه الشعوذة فلم يوفقوا الى ذلك . وحاول بعضهم رشوة بعض دراويش الهند بمبالغ كبيرة ليكشفوا لهم سر تلك الظاهرة فلم يفوزوا بطائل . ويظن بعض علماء النفس أن التعليل الوحيد لتلك الظاهرة هو التنويم المغناطيسى أى ان المشعوذ يستهوى الجمهور وينومه تنويماً مغناطيسياً ويوهمه انه يرى ذلك المنظر الغريب

ومن هذا القبيل ما عرضه منذ مائة سنة تماماً رجل هندى من البراهمة فى انجلترا ، فانه كان يثب أمام جمهور النظارة فى الهواء ويجلس القرفصاء وهو غير معلق بشىء أو مستند الى شىء . وكان يظل كذلك مدة وهو مكتوف اليدين . وقد اتضح بعد ذلك أنه كان فى الحقيقة يجلس على أسلاك حديدية غير منظورة

ولعل أغرب أنواع الشعوذة فى الوقت الحاضر ما يشبه أعمال دراويش الهند من قطع رأس الانسان أو بتر بعض أعضاء جسمه ثم اعادة الرأس المقطوع أو الاعضاء المبتورة الى أماكنها . وليس من السهل شرح هذه الحيلة فى مثل هذه العجالة وإنما نقول انها تستلزم استعداداً خاصا وأدوات وآلات خاصة



مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

بين الامل والفشل*

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة المجلات الامبركية . بقلم الاستاذ دونالد ليرد]

من الاكتشافات العظيمة التى وفق اليها العلم حديثا أن لكل انسان فترات يتعاقب فيها الامل والفشل ، أو الشعور بالانبساط والشعور بما يشبه اليأس . وعلماء البسيكولوجيا يسمون هذه الفترات « فترات الشعور » أو « الدورات العاطفية » ، وما من انسان فى العالم الا مرت به تلك الفترات المتعاقبة . فيوما يشعر بانقباض النفس لغير سبب يدركه ويخيل اليه ان الحياة كلها شقاء وأحزان . ويوما يشعر بمرح وارتياح فيخيل اليه ان العالم كله يبسم وأن الحياة نعيم دائم . وبين هذين الشعورين المتناقضين تنقضى أيام تختلف فى طولها وعددها . وهذه الدورات هى الفترات العاطفية التى نحن بصددها

وليس لهذه الفترات أية علاقة بنجاحنا أو بإخفاقنا فى الحياة ، ولا بما يصادفنا من بؤس أو نعيم ، ولا بما يصيب علاقاتنا بغيرنا من موجبات الحزن أو الفرح . وانما هى دورات تمر بنا أو نمر بها وهى نتيجة نشاط مشاعرنا وعواطفنا او همودها — فيوماً نسام ، ويوماً نسر

وقد ثبت لعلماء النفس أيضاً أن جسم الانسان وعقله ينشئان العواطف والمشاعر ويخزنانها وينفقانها فى دورات متعاقبة منظمة . ومتوسط طول كل دورة من أربعة أسابيع إلى خمسة

وبعبارة أخرى — أن كل انسان فى هذا العالم تتعاقب عليه فترات الانشراح والحزن . فمن ارتياح الى كل ماحوله وإلى جميع من حوله إلى شبه يأس مما هو فيه ومن جميع المحيطين به من الاهل والاصدقاء . فيوماً يظهر اغتباطه بأهله وأصدقائه وبوظيفته ونتيجة أعماله . ويوماً يشعر بقنوط من كل شيء — من عمله وصحته وأهله وأصحابه وسير تجارته . فيعيش بين مد الحياة وجزرها يتقاذفانه . ولو علم ان هذه الفترات المتعاقبة محتومة لامناص منها وانها لا بد أن تجيء فى مواعيد معينة لهان الامر عليه كثيراً ولصار فى وسعه أن يستعد لها ولا ينقاد إلى اليأس والفشل

---

* ليس المراد بكلمة « فشل » هنا المعنى المتعارف بين العامة أي « الاخفاق » بل المعنى اللغوى الصحيح وهو الضعف والتراخي والجبن عند الشدة

يبدأ الانسان إحدى الفترات الموجبة للانقباض بحادث بسيط . ولا يكاد يتقدم خطوة حتى يرى شيئاً آخر يسوءه . وما هي إلا دقائق حتى تتوالى الاشياء الداعية إلى الانقباض . فيرى الدنيا وكأنها قد أظلمت ولم يبق له شعاع أمل . فيستولى عليه شبه ماليخوليا .وتكاد هذه الحالة تدفعه إلى القنوط بل إلى الانتحار . وما هي الا أن تنقضى تلك الفترة القاتمة فتتبعها فترة أخرى ينشط فيها الامل وينتعش الرجاء . وبالتدريج تزول حالة الانقباض بتاتا وتصبح نسيا منسيا ويحل محلها الطرب والنشوة والانشراح

وقد قام بعض علماء البسيكولوجيا حديثا بمباحث واسعة النطاق ثبت لهم منها ما بسطناه من شأن الفترات المتعاقبة . ورأوا أن متوسط كل فترة من تلك الفترات نحو أربعة أسابيع . ففي فترة الفرح والانشراح يشعر المرء بأنه في فردوس النعيم ويرى كل ماحوله مزهراً مبتسما . وبعكس ذلك في فترة الحزن والانقباض

واذا علمت ذلك وجلت في دوائر الاعمال مثلا فأيقن أن معظم ما تراه من اعراض الشكوى التذمر بين العمال والمستخدمين ، ومعظم ماتراه بين غيرهم من أعراض عكس تلك ، ناشىء عن ماقب الفترات التي نحن بصددها

وهنا نصل الى نتيجة ذات شأن خطير في حياة الانسان . ذلك انه اذا صدق مابسطناه من أمر لك الفترات ففي وسع الانسان أن يتغلب على فترات الحزن والانقباض بأن يستعد لها ويعلم انها حوادث طبيعية لا بد أن تتعاقب في حياته ثم تزول وتحل محلها فترات الانبساط والانشراح

فقد يبدأ الرجل يومه بشيء يحزنه ويسوءه . ولا يلبث أن يخرج من منزله حتى يصادف في لطريق أموراً تزيد في انقباضه ، فاذا وصل الى محل عمله ازداد انقباضا لسبب ظاهر أو غير ظاهر . يقضى يومه على تلك الحال ويظل كذلك الى أن تنقضى فترة الانقباض . فاذا عرف مواعيد هذه لفترة ومواعيد فترة الانبساط — واذا عرف أيضا مواعيد فترات الانقباض والانبساط لكل من زوجته وأعضاء أسرته — أمكنه أن يصبر ويتحكم في عواطفه فلا يستسلم الى اليأس لانه يعلم ان فترة نقباضه أو انقباض زوجته آيلة الى الزوال ، وان ما يشعر به من ذلك الانقباض ليس ناتجا عن سبب يدعو إلى القلق حقيقة ، بل هو انقباض « دورى » لابد منه ، ولا حاجة الى الاضطراب والانزعاج من جرائه ، وستعقبه فترة مرح وانشراح كما يعقب الليل النهار

وليس ذلك فقط بل اذا عرف سر هذه الفترات أمكنه أن يعلل مايلمحه من أمارات الانقباض في الكثيرين من الناس ، وبدلا من أن يؤولها تأويلات غير صحيحة يدرك سببها الحقيقى فتزول بذلك أكثر احزان الحياة وتنقشع السحب التى كثيراً ما تقضى على الصفاء والمودة بين الاخ وأخيه والصديق وصديقه . وبذلك يمكن اجتناب الكثير من مصائب الحياة

ولعل القارىء يتذكر حوادث الانتحار المحزنة التى وقعت منذ عهد غير بعيد للكثيرين من العظماء . فقد انتحر كروجر ملك الكبريت وايستمان ملك آلات التصوير (الكوداك) ولوفنشتين المالى البلجيكى العظيم ، وغير هؤلاء ممن لا يتسع المجال لذكرهم . ولا شك أن انتحار كل من هؤلاء وقع فى فترة من « الفترات العاطفية » — أى من فترات الانقباض — التى اشرنا اليها . ولا شك أيضا انهم لو كانوا يعلمون سر تلك الفترات وضرورة تعاقبها لكفوا أنفسهم مؤونة الانتحار ، ولصبروا الى أن تمر فترات انقباضهم وتعقبها فترات الانبساط . فتأمل فيما يكتشفه العلم كل يوم مما يفيد الانسان ويزيد فى قيمة الحياة

وما وقع لاولئك الاشخاص قد يقع لكل منا . وقلما يمر بالانسان يوم لايتخذ فيه قراراً خطيراً . ولا شك ان هذا القرار قد يتخذ شكلا آخر لو درى الانسان سر « الفترات العاطفية » ، فان العلم يؤكد لنا الآن أن فى وسع كل امرىء أن يتغلب على ماقد يحدث به من عوامل القنوط والانقباض

ترى لماذا تتعاقب تلك الفترات وما هو تعليلها العلمى ؟

ان العلم لم يوفق الى الآن الى معرفة سبب هذا التعاقب . والرجاء وطيد أن يتمكن من معرفته بفضل جهود العلماء . أما الآن فيكفى أن نعلم ان « الفترات العاطفية » تتعاقب . وتعاقبها هذا يهون علينا كثيراً من احزان الحياة ومصائبها . فاذا تذرع المرء بالصبر الى أن تزول فترة الانقباض امكنه الانتصار على العوامل التى تدفعه الى اليأس فيخرج من المعمعة النفسية ظافراً منصوراً

اصحاب الذوق السليم

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة ديكوراسيون . بقلم هرمان شريفر]

الذوق السليم من الموضوعات التى عالجها الكتاب فى كل زمان ومكان . وما من شاعر أو مهندس أو مشتغل بفن من الفنون الجميلة الا كان حسن الذوق فى مقدمة الامور التى شغلته ولا تزال تشغله . وحسن الذوق هو المطلب الأسمى فى كل بحث ذى صلة بالفن وبرفاهة العيش . وقد جرت العادة أن ينسب الناس حسن الذوق الى كل ذى نعمة أو عيش رغيد

ترى مانصيب هؤلاء المترفهين من حسن الذوق — الذين يعيشون فى القصور الباذخة ويقيمون الولائم للضيوف ويحتفون بهم فى قاعات كل ما فيها دليل على البسطة والرخاء وعرض الجاه . إنهم يبدون لنا كأنهم عائشون فى فردوس أرضى ويتمتعون بسعادة لا يحلم بها غيرهم . فهل هم سعداء

حقيقة وهل ما يبدو عليهم وعلى قصورهم من دلائل الجاه والنعمة رمز الى سعادة حقة وهل تلك الدلائل تشف عن حسن الذوق وسلامته ؟

الارجح أنهم مقلدون لغيرهم ومنافسون لهم فى اقتناء القصور والتحف وفى التمتع بالكماليات. ولا يمكن ان يكونوا سعداء حقيقة إلا اذا كان لهم من سلامة الذوق ما يمكنهم من قدر ما هم فيه من نعمة حق قدره . ومحدثو النعمة يدفعون ثمنا غاليا عن كل ما يشف عن سلامة الذوق من دون ان يدركوا حق قدره

ولا شك ان أصحاب الذوق السليم هم قلائل فى كل مكان وزمان . ومعيشتهم كلها دليل على سلامة ذوقهم . حتى ان بيوتهم — وان كانت مجردة من آثار النعمة والرفاهة — تشف عن ذوق سليم وعن ادراك لحقيقة قيمة الفن ، والعيش فن ، بل هو أعظم الفنون . ومن أهم دعائم هـذا الفن ان يعرف الانسان ما يحتاج اليه وما لا يحتاج اليه ، وان يصمم على الحصول على الاول وعلى عدم الاكتراث للثانى . والعاقل من اكتفى بالسعى لحاجته فقط والحصول على الضروريات

انظر الى بعض الموسرين والى ما فى داخل قصورهم من تحف وصور وطرائف ، وكثيراً ما تكون هذه الآثار الفنية موضوعة فى غير موضعها أو مبعثرة فى مختلف أنحاء البيت ، على وجه قد يرضى العائشين فى ذلك البيت ولكن لا يرضى رجال الفن لانه لا يشف عن ذوق سليم.وفى الحقيقة أن معظم قصور الاغنياء فى العالم بعيدة عن مظاهر الذوق السليم وعن مقتضيات الفن الصحيح . وأنت تعلم ان مرجع الفن كله الى الذوق لا إلى شىء آخر . فاتحسبه جيلا انما هو كذلك لانه يوافق ذوقك والعكس بالعكس

ومن أهم عوامل السعادة — وقد يبدو هذا غريباً أول وهلة — ان تسمح لنفسك بالملل وبالضجر من بعض الاشياء . فليس فى العالم كله سبب يستطيع ان يمنعك من ان تمل اليوم شيئاً كنت تحبه بالامس . وفى الحقيقة ان علماء الاجتماع يؤكدون أن تبـدل الذوق وتغيره دليل قاطع على سلامة الذوق وعلى الرقى الحقيقى . وعلى هذا المبدأ تجد أن بعض التحف التى كنت تحرص عليها بالامس حرص البخيل ، قد أصبحت اليوم بلا قيمة فى نظرك ، والاشخاص الذين كانوا أعز اصدقائك فى العام الماضى قد أصبحوا عندك نسيا منسيا لا تسأل عنهم ولا تعنى باخبارهم

وخير للانسان أن يتمتع بذوقه السليم وان كان ذلك فى بيئة لا تشف عن الثروة والجاه ، من أن يتمتع بثروته على وجه لايشف عن شىء من الذوق السليم . ومن دواعى الاسف ان اكثر الاغنياء يتمتعون باشياء لا لان لهذه الاشياء قيمة فى نظرهم بل لان لها قيمة فى نظر الغير . وقد قال روشفوكو : ان السعادة هى أن تتمتع بالاشياء التى تعجبك لا بالاشياء التى تعجب الغير

أشعة الموت

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة رسالة الاخبار العلمية . بقلم الدكتور فرانك طون]

نرى اليوم شبح الحرب في كل فج وصوب ــ في آسيا وأفريقا وأوربا وفي كل قطر تصل اليه مطامع الانسان . فايطاليا تريد ابتلاع الحبشة . واليابان تريد التهام الصين والمانيا تنوى فتح النمسا ، ومعالم الحضارة تئن تحت أقدام الجيوش وسنابك الخيل . ولا شك أن ذكريات الحرب الماضية تولد في نفوس الناس المخاوف . ومع أن سبع عشرة سنة قد انقضت الآن على تلك الحرب فان آثارها لاتزال تلقى الرعب في النفوس . وما استعمل فيها الانسان من أدوات جهنمية ــ من مدافع وغازات وسموم ومعدات ــ يمثل لنا شبح الموت مرة أخرى ويوقظ في النفوس حاسة السخط والاشمئزاز . فهل قدر على البشرية أن تشقى مرة أخرى وأن تكون ضحية لمطامع أبنائها ؟

ومما يزيد في مخاوف الناس ماينعق به أنبياء الشؤم من أخبار اختراعات جديدة ليست اختراعات الحرب الماضية شيئاً يذكر في جانبها . فهم يزعمون أن وسائل الاهلاك والتدمير في الحرب القادمة ستجعل الحياة جحيما لا يطاق وستجعل الناس أقرب إلى الابادة منهم إلى البشر . فستنفث الطيارات السموم من الجو فتمحق مدناً بأسرها . وستمطر الجيوش غازات سامة جديدة ، وستنشر عليهم جراثيم أمراض قتالة يتعذر الشفاء منها ، وسيستعمل المحاربون مقذوفات جهنمية تدك البوارج والمعاقل والجبال وتتركها هباء منثوراً . وفوق ذلك كله سيطلق العلماء من اجهزتهم الجهنمية أشعة الموت التي اذا سقطت على أي مخلوق حي أعدمته الحياة في طرفة عين

والظاهر أن أشعة الموت هذه هي أروج بضاعة في سوق اراجيفهم وهم يزعمون انها تخترق الفضاء حتى تصل إلى أطراف الابدية ولا يقف أمامها حائل

ترى ما رأى العلماء في هذه الاشعة وهل هم يصدقون هذه الخرافات ؟

ما من عالم يحترم نفسه يصدقها . وكلما ذكرت أمامه هز كتفيه ساخراً ! فالعلم لاينكر فقط انه قد اكتشف هذه الاشعة بل هو ينكر وجودها بتاتاً وينكر احتمال اكتشافها في المستقبل . ذلك لان العلماء قد اكتشفوا تقريباً كل مايمكن اكتشافه من مختلف الاشعة وكل ما يمكن أن يوجد منها في الطبيعة . فمنها ما هو بعيد ومنها ماهو قريب ومنها ما هو ذو أمواج متناهية في الطول أو القصر وفي قوة الاختراق . ومجموعة هذه الاشعة معروفة ومرتبة ترتيباً علمياً . وليس بينها ما يمكن استخدامه في الحرب للتقتيل والتدمير أو مايمكن اطلاقه إلى مسافات شاسعة بقصد الحاق الضرر بالعدو

نعم أن هنالك أشعة مهلكة أو مدمرة ولكنها قصيرة المدى جداً . وهنالك أشعة أخرى شديدة الاحتراق . ولكنها تكاد تكون غير مؤذية . وإذا كان ثمة احتمال لوجود أية أشعة ينطبق عليها اسم

أشعة الموت فلا يمكن أن يكون ذلك فى هذا العالم ولا فى العوالم القريبة منا . والعلماء كافة مجمعون على أنهم لا يتوقعون أن يكتشف العلم فى المستقبل أية أشعة من هذا القبيل

وليس ذلك فقط بل إن العلماء يذكرون لك أسماء جميع الاشعة الموجودة فى الكون ويعدون لك صفاتها وخواصها . وهم يقسمونها ثلاث طوائف : الاولى والكبرى طائفة الامواج الكهربائية المغناطيسية والعلم يعرف عنها أكثر مما يعرف عن سائر الاشعة . وهى تتضمن جميع التموجات أو الاهتزازات التى تمر فى « الاثير » الذى لم يستطع العلم اثبات وجوده حتى الآن . وتشمل هذه الاشعة أشعة الراديو بجميع أنواعها وأشعة اكس والاشعة التى وراء البنفسجية والاشعة الكونية . والطائفة الثانية هى طائفة الامواج الشبيهة « بمجار » لانها عبارة عن سيول من الذرات أو من كهارب المادة ، ولا يمكن مشاهدة هذه الاشعة إلا فى المعامل الكيميائية الكبرى . وهى تشتمل على ذرات « الفا » و « بيتا » وجميع الايلكترونات والنترونات وأمثالها . والطائفة الثالثة أنما تسمى أشعة من قبيل التسامح فقط وهى « أشعة » الصوت أو أمواجه

فهذه الطوائف الثلاث تشمل جميع الاشعة التى قد اكتشفها العلم والتى يقول باحتمال وجودها فى الكون ، وليس بينها أية أشعة تقتل أو تدمر بالمعنى الحربى أو تصلح سلاحاً فى الحرب

فأشعة النور الاعتيادية هى فى مقدمة أشعة الطائفة الاولى . وهى أشعة منظورة وتسير بسرعة هائلة وتجتاز ملايين الملايين من الاميال فى فضاء الكون ، ولكنها لاتقتل ولا تؤذى . نعم ان ارخيدس العالم الرياضى اليونانى استخدم أشعة النور قديماً لاحراق سفن الرومان بمرآة عاكسة ، ولكن المبدأ الذى بنى عليه ذلك العالم اختراعه معروف ولا يصلح استخدامه فى الحروب

وأشعة النور الاعتيادى هى نوع واحد من عدة أنواع من الاشعة الكهربائية المغنطيسية . ومن هذه الاشعة الاشعة التى تحت الحمراء وهى فى الحقيقة أشعة حرارة وقد تستخدم لاغراض طبية لشفاء بعض الامراض . وكغيرها من الادوية يكون الافراط فى استعمالها مضراً جداً . ومع ذلك فليس هذا الضرر كبيراً إلى حد يسوغ استعماله لاغراض حربية

وهنالك أيضاً أشعة الراديو القصيرة وقد استخدمها الطب لاحداث حمى صناعية بقصد شفاء بعض الامراض كالشلل الناشىء عن الزهرى مثلا . وهذه الاشعة تولد فى جهاز قوى جداً . وقد تقتل بعض الجراثيم ولكن استعمالها لاهلاك الاشخاص لا ينطبق على المعروف من مبادىء العلم

وليس معنى ماتقدم ان الاشعة القاتلة لا وجود لها على الاطلاق بل ان تأثيرها لايظهر إلا فى المعمل الكيميائى ولا يكون إلا على نطاق ضيق جداً أى انه لا يمكن استخدامه لاغراض حربيـة . ومن هذا النوع مايسمى « باشعة كاتود » وهى وان تكن من الأشعة المهلكة إلا أنها لاتصلح للحرب

والخلاصة ان كل ما يقال عن اكتشاف أشعة الموت هو كلام خرافة لا يصدقه العلم ولا يقبله العلماء . والمستقبل خير كفيل باظهار كذب هذه الاشاعة

ماذا بعد تحرير المرأة ؟

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة هاربرز . للسيدة مرجريت باشج]

لا يزال الرجل يحترم المرأة ويرفع لها قبعته عندما يقابلها . ولكنه احترام مجرد من المغزى — أى ميكانيكى

كان الرجل يعلل احترامه للمرأة بقوله انها أضعف بنية وأقل ذكاء منه وانها فى حاجة إلى من يحرسها ويذود عنها لا سيما انها مخلوق جميل يزدان فى أغلب الاحوال بالفضيلة والاخلاق الكبيرة . وقد جعل الله المرأة فى الاصل رمزاً إلى الفضيلة وجعل هذه الصفة أمانة فى عنقها . فهى لهذا السبب تستحق كل عناية واحترام

على أن مرور الزمن أفسد علاقة الرجل بالمرأة وأثر فى موقفه بازائها . فهو اليوم لا يشعر نحوها بالحرمة التى كان يشعر بها ولا يتصدى للدفاع عنها كما كان يفعل من قبل . نعم لايزال كل فرد من الرجال يحب امرأة أو فتاة معينة ويحترمها ويجود بنفسه فى سبيل الدفاع عنها . ولكنه لا يحترم جنس المرأة ولا يشعر بحافز يدفعه إلى الدفاع عن طائفة النساء كافة . وليس ذلك فقط بل هو لا يكتم اليوم غضبه منها وحنقه عليها لانه يرى فيها منافساً قوياً له فى ميادين الاعمال يحول دون كسبه رزقه كما كانت الحال سابقاً يوم كان الكد مقصوراً على جنس الرجال فقط . وليس ذلك فقط بل ان آداب هذا الجنس الذى لايزالون يخطئون بتسميته الجنس الضعيف قد تبدلت وانحطت . فبعد أن كانت قيمة المرأة تقاس بما تقوم به وتحسنه من الشؤون المنزلية ومن كثرة الولد أصبحت لاقيمة لها من هذ الوجه على الاطلاق

وقد بلغ حقد الرجل على المرأة أشده بسبب مزاحمتها اياه فى ميادين الرزق وانتزاعها منه الكثير من وسائل المعيشة . وإلى هذه المزاحمة يعزو الكثيرون من علماء الاقتصاد ما نشاهده اليوم من انتشار البطالة فى أكثر أنحاء العالم . وكثيراً ما سمعت كاتبة هذه السطور الناس يقولون انه لو تنحت المرأة عن ميادين الاعمال لانفرجت هذه الازمة المستحكمة بالعالم . وفى الحقيقة أن بعضهم قد أفلح بحمل الحكومات على سن قوانين تحظر على المرأة المتزوجة القيام ببعض الاعمال

ولا ريب أن فى ذلك من الغرابة مافيه . فالرجل يعتقد أن المرأة تنازعه حقوقه وتنتزع منه الاعمال والوظائف . ويعتقد أيضاً انه كلما كان ثمة عمل يطالب القيام به وجب أن يعهد به إلى الرجل قبل المرأة

على أن العقل يؤكد لنا أن المرأة لن تنجو من غضب الرجل وحقده وان هى ارتدت عن

ميادين الاعمال وتركت أبواب الرزق للرجل . وسبب ذلك أن الرجل نفسه لا يحترم اليوم المرأة الكسول بل يقدر قيمتها بما تكسبه بعرق جبينها . فطالب الحياة قد زادت فى هذا العصر زيادة عظيمة بحيث صار يصعب على الرجل أن يسدها وحده . والرجل يدرك اليوم أن المرأة الكسول « تكلفه » كثيراً ولا ينتفع منها بشيء لانها تقضى معظم وقتها فى ارتياد المسارح والملاهى والاندية فتنفق بلا حساب وتزيد فى ثقل حمله

ومما يدعو إلى الاسف أن بعض الازواج هم الذين يشجعون نساءهم على المعيشة غير المنتظمة التى يعشنها . فبدلا من أن يعلموهن فضيلة الادخار والاقتصاد يطلقون لهن حرية الانفاق والتبذير بحيث يصبحن عالة على الاجتماع سواء فى أثناء حياتهن الزوجية أو بعد ترملهن — وفى الحالة الاخيرة تنفق المرأة مما تركه لها زوجها من مال و التأمين »

وهنالك أمر آخر يدعو إلى الاسف ويزيد فى حقد الرجل على المرأة وهو اعتقاد الكثيرات من نساء هذا الجيل أن الفضيلة قد أصبحت اليوم اسما بلا مسمى حتى إن الكثيرات منهن يجاهرن بذلك علناً ولا يبدين أى أسف على هذا التبدل ، بل قد يبدين ارتياحهن اليه ويقلن لقد انقضى عهد الفضيلة وهن يعنين بالفضيلة العفاف . وغنى عن البيان أن هذا التطور فى عقيدة المرأة هو من أسباب ضعف الاجتماع بل هو معول من معاول الهدم والتخريب . ومع ذلك يعتقد بعض الجهال أنه من مستلزمات تطور المدنية . ولا شك أن المرأة التى تعتقد هذا الاعتقاد تجعل نفسها اضحوكة بين العقلاء . فهى تريد تحرير نفسها وجنسها ولكنها تطرق السبل المعوجة التى تزعم أنها توصلها إلى تلك الغاية . ومن المحتمل أيضاً — وهذا صحيح فى حالات كثيرة — انها تجاهر بمثل هذه العقيدة الغريبة تسويغاً لخروجها على الادب والفضيلة ولاندفاعها فى سبل الغواية والضلال

لقد كانت الشجاعة والاقدام والقيام بعظائم الاعمال من شأن الرجل وحده وكانت المرأة حتى عهد قريب تراقب الرجل ، وقد احتكر كل ذلك ، مراقبة تمازجها الغيرة والحسد . فلما تحررت وكسرت اصفادها أخذت تنظر فى خير السبل لمنافسة الرجل فى تلك الميادين . وقد زعمت أنها تستطيع ذلك اذا سلكت طريق العواطف وقامت بما يسمونه « مجازفات عاطفية » . ولكن هذه المجازفات كثيراً ما أدت — ويا للاسف — إلى السقوط فى حمأة الرذيلة

ان أكثر النساء ينسين انه لا شيء يسوغ خروجهن على العرف والعادات المألوفة الا الرغبة فى ترقية المجتمع . ولما كان النساء فى أوائل هذا القرن يطالبن بحقوقهن ويسعين للتحرر من قيود العرف والعادات لم يكن غرضهن أن تتاح لهن الفرص لمجاراة الرجال فى الشؤون الجنسية بل كن يرمين إلى تقرير حقوقهن الطبيعية والاجتماعية لكى يشاركن الرجل فى سعيه إلى ترقية الاجتماع . وبعبارة أخرى انهن كن يردن أن يصبحن أعضاء نافعة فى العالم وأن يقمن بنصيبهن من رفع لواء الحضارة

الحقيقية . وغنى عن البيان أن عدداً غير يسير من النساء قد فزن بذلك وانتهزن الفرصة فانجزن اعمالا كباراً . ولكن جانباً آخر منهن اسأن التصرف اذ تمتعن بما سنح لهن من الفرص ولم يقمن بما تفرضه عليهن تلك الفرص من الواجبات . فكن فى ذلك من أتباع الانانية وحب الذات وهذا مما أحفظ الرجال وأوغر صدورهم عليهن

وقد يخيل الى الكثيرات من النساء — كما قد يخيل إلى الكثيرين من الرجال — أن القيام بالاعمال العادية ليس مما يكسب القائم بها شرفا كبيراً لانها أعمال تافهة فى حد ذاتها ، وان هذه الفكرة هى التى تحفز المرأة إلى التماس الاعمال الكبيرة لانجازها ، والحقيقة أن انجاز أى عمل نجازاً صحيحاً هو فى حد ذاته عمل عظيم . فيجب أن تعلم المرأة هذا وأن تدرك أن قيامها بأى شأن من الشؤون المنزلية هو فى حد ذاته عمل موجب للفخر بشرط القيام به على الوجه الا كمل

كانت المرأة منذ ربع قرن تطالب بحقوق الاقتراع والانتخاب . وقد فازت اليوم بتلك الحقوق فى أنحاء كثيرة من العالم . فاذا هى مارستها على الوجه الا كمل كان عملها عظيماً جداً لايقل عن أى عمل يقوم به أى بطل من الرجال . وليس ثمة أى سبب يمنع المرأة من ممارسة حقوقها السياسية اذا كان الغرض الحقيقى من ممارستها خدمة الاجتماع خدمة منزهة عن كل غاية ذاتية . وإذا اثبتت انها تستطيع تأدية هذه الخدمة للاجتماع ، وان فى عملها منفعة لكلا الرجل والمرأة على حد سوى ، فلا تبقى بعد ذلك أية حجة للرجل ولا يبقى أى مجال للشكوى من اندفاع المرأة فى الميادين التى كانت حتى الآن مقصورة على الرجال . أما منافسة الرجل بقصد منافسته فقط والقاء العثرات فى سبيله على رجاء التغلب عليه فما يدل على جهل مطلق . ان الرجل والمرأة هما شطرا الاجتماع وكل منهما متمم للآخر . فيجب أن تزول كل منافسة بينهما وان يحل محلها التعاون والمؤازرة لتتحد الجهود وتدفع الاجتماع الى الامام

فضائل شعب عريق

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة
آسيا . بقلم لن يوتانغ]

الشعب الصينى شعب عملى ينظر الى الحياة نظرة جد ولا يندفع وراء الاوهام والخيالات . وهو يمتاز بالفضائل التى يمتاز بها الرجل الشيخ الذى حنكته الايام وصقلته التجارب ، ولا يريد التحلى بالفضائل التى يتحلى بها الغربيون من طموح واقدام ومغامرة وبطولة فى الحروب والخصومات . فالصينى لا يهمه ارتياد المجاهل القطبية أو تسلق جبال افريست أو ما الى ذلك من المغامرات . ولكنه يعنى بمشاغل الحياة العادية وبالصناعة والتجارة . وهو بطبيعته ميال الى السلام ينفر من الخصا

ويجنح الى انجاز الواجب والصبر والتسامح والمرح ،وغيرهذه من الصفات التى هى أقرب الى طمأنينة النفس وأدعى الى الراحة والهناءة . وما خلق التسامح والميل الى السلام فى الصينيين سوى دليل على نضجهم وادراكهم لحقائق الحياة . بخلاف الاوربيين الذين يعيشون معاً فى خصام مستمر يرمق بعضهم بعضاً بعين التساؤل والارتياب . وفى الحقيقة أن العاقل الذى يتأمل فى حالة أهل الغرب يخيل اليه أن العلة التى يشكونها هى نزق الشباب وسرعة الاندفاع وعدم النضج الاجتماعى وانهم سوف يتعلمون بعد قرن أن يكونوا أقل ذكاء ولكن اكثر نضجاً وتسامحاً

ان الصينى هو أقعد الناس عن الخصام والقتال وأقلهم معرفة بفنونه ، ذلك لانه حكيم عاقل يسلك بمقتضى تعاليم التاوسئية والكنفوشية . وهو ينفر من القتال لان كل ولد صينى يعرف ما يجهله كل شيخ سياسى غربى ، وهو أن الذى يحارب لا يسلم من خطر التعرض للموت . ولهذا ترى الصينيين مسالمين يسرعون الى التصالح والتصافى ولا يضمرون الحقد . وهـذا الوجه من وجوه حضارتهم مستمد من فلسفة التاوستية التى يرضعونها مع اللبان . ولو أن الدول التى انتصرت فى الحرب العظمى الماضية كانت متشبعة من روح تلك الفلسفة لكانت أهدأ بالا وا كثر طمأنينة مما هى اليوم . ولكن فرنسا وهى ثملة بخمرة النصر جثمت على صدر المانيا ـ وكان المنتظر ان تفعل المانيا أيضاً كذلك لو قدر لها الانتصار . ومثل هذا الخطأ ما كان كليمنصو ليرتكبه لو درس الفلسفة الصينية

وحب الصينى للسلم مسألة مزاج بقدر ما هى مسألة ادراك لحقائق الحياة . فالاولاد الصينيون فى الشوارع أقل ميلا الى الخصام من الاولاد الغربيين ، بل ان الصينيين بوجه الاجمال ـ مع كثرة حروبهم الأهلية ـ أقل الناس حباً للقتال . ولو ان الشعب الاميركى مثلا كان يعانى ما يعانيه الشعب الصينى من فساد الحكم منذ نحو عشرين عاما لثار ثلاثين ثورة لا ثلاث ثورات فقط . والغريب أن الجندى الصينى انما يحترف الجندية لانه لا يجد أمامه حرفة أخرى يحسنها ويكسب منها رزقه

وإذا وقع قتال بين اثنين من الصينيين فما أكثر ما يكون ذلك القتال تراشقا بالالفاظ لا باللكمات والمتقاتلون من الصينيين يكتفون بما يحدثونه من ضجة فقط ولا يعمدون إلى الحرب الحقيقية إلا فى أندر الاحوال . وإذا تواجه قائدان صينيان فقد يكتفيان بأن يرعب أحدهما الآخر فينسحب هذا بجيشه وتنتهى الحرب بينهما ، ثم يمنح القائد المغلوب مبلغاً كبيراً من المال ويقال من منصبه .فيعتزل حياة الجندية إذ ذاك وهو عالم بأنه اذا سنحت الفرصة فقد يدعى الى تقلد سيفه مرة أخرى . وقد ترى فى هذه المرة هذا القائد والقائد الذى انتصر عليه قبلا يسيران معا متحابين متوادين يعملان لغاية واحدة . كلاهما يكره الحرب وكلاهما يحب السلام وكلاهما يعرف ان الكريم العنصر لا يحارب ولا يميل إلى القتال

وهذه الاستماتة فى حب السلام .قد تبدو فى نظر الاجنبى ضربا من الجبن . ولكنها أبعـد ما تكون عن ذلك وقلما تنفصل عن مزيتى الصبر وعدم المبالاة . وهاتان المزيتان متأصلتان فى نفس

الشعب الصيني الى حد قد تشل عنده كل حركة وعمل وكل مشروع . والمعروف عن تعاليم كنفوشيوس أن من جملة مبادئها الاساسية وجوب التسامح والاغتفار للمسيء والصفح عن الاهانة والصبر والاحتمال والسكوت عن الاذى . ولا شك ان الشعب الصيني أشد شعوب الارض تمسكا باهداب الصبر وأكثرهم عدم مبالاة بالحوادث . والمشهور عن الأم الصينية أنها عند ما تودع ابنها وهو على أهبة السفر تنصح له قبل كل شيء ألا يتعرض لشؤون الغير ولا للشؤون العامة . وفي الواقع أن الانسان قد يكون ميالا الى التدخل في الشؤون العامة لو استطاع ان يضمن حقوقه الشخصية فاذا لم يستطع ضمانها فعدم المبالاة هو أسلم الطرق عاقبة . والشبان الصينيون — مع اهتمامهم كغيرهم من شبان الشعوب الاخرى بالشؤون العامة — يصبحون بين الخامسة والعشرين والثلاثين عقلاء حكماء يعنون بأمورهم الشخصية أكثر من عنايتهم بامور غيرهم . ومنهم من يكتسبون هذه الحكمة بعد ان يصابوا بما يصاب به كل من يتعرض لما لا يعنيه

والسياح الذين يجوبون أنحاء الصين المختلفة يدهشون لما يشاهدونه من استكانة جميع الطبقات الصينية الفقيرة وما تبديه من دلائل القناعة . وفي الحقيقة أن ما يحسبه أولئك السياح مظهراً من مظاهر البؤس والشقاء ليس كذلك في نظر الصيني نفسه . فالاوربي يعتقد ان المرء لا يعتبر سعيداً الا اذا عاش في بيت مستكمل جميع شروط الراحة من دفء وكهرباء وراديو واوتوموبيل وغير ذلك من الكماليات . على أن مقياس السعادة هذا ليس مقياسا صحيحا والا لعددنا جميع الناس قبل اختراع الكهرباء والاوتوموبيل والراديو تعسين بائسين . على ان الشعب الصيني أكثر قناعة واهنأ عيشة من الشعوب الغربية اذا قابلنا كل طبقة صينية بما يماثلها من طبقات غيرها من الشعوب . والحكمة الصينية تقول : « المعدة الملأى هي كل ما يستحق العناية في الحياة . وكل ماعدا ذلك فن الكماليات » وهنالك مثل آخر يقول : « اذا أقبل الحظ فلا تستنفده كله »

ولعل الشعب الصيني أكثر الشعوب معرفة بشروط السعادة وقد عني بها أكثر مما عني بها غيره ، بل لقد عني بها أكثر من عنايته بمشكلة الرقي العلمي والاجتماعي ، وهو يقيس السعادة بمقياس ضرورات الحياة وقدرة الانسان على سد حاجاته منها . وقد يشعر الصيني بأنه في حاجة الى عدة أشياء . فاذا لم يستطع الحصول عليها أو على بعضها فلا يشعر بأن سعادته قد نقصت شيئا . فاذا شعر بحاجته الى قميصين مثلا ولم تكن حالته المالية تسمح له بأن يشتري غير قميص واحد فانه لا يشعر بنقص . واذا كانت زوجته لا تستطيع أن تلد له غير ولد واحد — مع شدة محبته لكثرة النسل — فلا يرى في ذلك ما ينغص عيشه . واذا كانت أحواله المالية لا تسمح له بأن يكون عنده حشم وخدم وطهاة فهو يقنع بما يستطيع الحصول عليه . بل هو يكتفي من متممات السعادة بقفص فيه عصفور أو بلبل وببعض اصص الازهار والرياحين — يشرق عليها القمر — والقمر في متناول الجميع مجاناً

ساعات الفراغ المملة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ميروار
دءوند . بقلم جبرئيل تيموري]

ما من امرىء إلا ويشكو من الزمن ومن ضيق سبل المعيشة . على أن هذه الشكوى ليست وليدة هذا العصر بل قد كانت على لسان كل انسان فى جميع العصور السالفة . ولا نظن ان زمنا من الازمان خلا من الشاكين والمتذمرين ، فالتذمر من طبيعة كل انسان

وإذا كان المرء يعجز عن ضبط أعصابه فليس اللوم دائماً واقعا عليه . وفى الحقيقة أن ثورة الاعصاب لها ما يسوغها فى هذه الايام . فالازمة الاقتصادية التى كانت وليدة الحرب الماضية قد ألقت على عاتق كل منا عبئاً ثقيلا . والجأته الى مضاعفة الجهد والكد . وقد كان الرجل فى أوائل القرن الحاضر يكتفى بما يكسبه بعرق جبينه ويفتخر بأنه ليس فى حاجة الى أحد وأنه سوف يعتزل العمل بعد قليل ليقضى بقية أيامه بالراحة والسكون . أما اليوم فان العمل المتواصل يكاد يقتلنا وما من أحد — حتى الشيوخ والطاعنين فى السن — يفكر فى اعتزال العمل وقضاء بقية العمر بالكسل والعزلة

والشكوى التى نسمعها اليوم من كل رجل وامرأة هى من اضطرارنا الى مواصلة العمل ليل نهار ، ومن كون الاحوال والعوامل المحيطة بنا لا تسمح لنا بالاقلال من العمل أو بطلب الراحة . وأنى يمكن ذلك والحياة قد أصبحت كفاحا شديداً بحيث يخاف المرء ان يخفف من جهاده لئلا يخفق وينتصر عليه غيره . ففى السنين الماضية كان المرء اذا فرغ من عمله يذهب لقضاء بعض ساعات فراغه فى إحدى القهوات أو الاندية حيث يحتسى القهوة أو الجعة . أما الآن فانه يقضى كل فراغه فى الاندية الليلية يحتسى الخمرة ويشاهد الراقصات نصف العاريات ويسمع الاغانى التافهة

ومع أننا الآن نقيم الولائم ونجتمع حول موائد الطعام ونخوض شهى الاحاديث فلا نزال نعتقد أن كل ذلك لايكفى وان الذى يقيم وليمة أومأدبة يجب أن يهيىء لضيوفه جميع أسباب المسرات لابعاد الملل والسآمة . حتى لقد جرت بعض ربات المنازل على عادة جديدة وهى اقامة حفلات رقص أو سينما أو ملاكمة أو ما أشبه ذلك بعد الفراغ من الاكل

أما حفلات الشاى التى كانت تقام بعد الظهر فقد تحولت الآن الى حفلات « كوكتيل » أو الى « سهرات » . وقد كانت حفلات بعد الظهر مقصورة على النساء فقط فأصبحت الآن تشمل الرجال أيضا ، لان هؤلاء يجدون متسعا من الوقت للنجاة من عناء العمل وشغل الفراغ بما يقتل السآمة

والملل . وأكثرهم قد استبدلوا الشاى بمختلف أنواع الكوكتيل وبغيره من المشروبات يحتسونها ويقتلون بها الفراغ . ولكن أنى لتلك المشروبات ، مهما كان نوعها ، أن تقتل شيطان الملل وتسد الفراغ الذى يشعر به الانسان فى خلال ساعات العمل ؟

أما الأغنياء فانهم يقتلون السآمة بطريقة أخرى وهى السفر والسياحة وكثرة التنقل من مكان الى مكان. الا أن مقتضيات الحياة ومطالبها تنقص كثيراً من لذة السفر . أولا ترى السائح وقد جلس على مقعد وثير فى مركبة « البولمان » وهو بدلا من ان يمتع النظر بجمال الطبيعة وبهجة مناظرها يفتح أمامه الصحف ويطالع فيها أخبار «البورصة» وأسعار مختلف السلع والقراطيس المالية فكأنه لا يتمتع بالفراغ الذى طلبه لنفسه ؟!

ان ناموس الارتقاء يقضى بأن نشعر كل يوم بحاجات جديدة لا نستطيع الاستغناء عنها . وما يكون من الكماليات فى أول الامر يصبح بمرور الزمن من الضرورات . ولكن شدة إقدامنا على كلا الكماليات والضرورات دليل على سرعة السآمة التى تستولى علينا . بل دليل على أننا لا نرضى أبداً بالحالة التى نحن عليها بل نطلب تغييرها باستمرار لئلا تقتلنا السآمة

ولاشك أن مشاغلنا لا تترك لنا دقيقة نستريح فيها الراحة الحقيقية . وفى الحقيقة اننا قد اعتدنا العمل بلا انقطاع حتى لقد أصبحت الحياة فى نظرنا جهاداً متواصلا . فاذا وقفنا الجهاد لحظة شعرنا بما يشبه الخوف من البطالة أو من وقف العمل . فمواصلة الجهد قد أصبحت فينا خلقا ثابتاً — لا فى العمل فقط بل فى طلب المسرات أيضا . فنحن نطلب لذات الحياة ونواصل السعى وراءها لان مواصلة السعى قد أصبحت خلة فينا ولاننا نخشى دائما كابوس السآمة

ولقد جاء الوقت الذى يجب ان يحصل فيه رد فعل . فنحن نحكم على «الفراغ» حكما قاسيا ونعتبر الملل عرضا قاتلا . وفى الحقيقة ان للفراغ بهجة لا يدركها الا القليلون وسكان القرى التى لا تكثر فيها الضجة والحركة . فهذا الفراغ مجدد لقوى الجسم والعقل . ولعل من أكبر الاغلاط التى يرتكبها قادة التعليم اليوم انهم يحاولون تعليم الولد الصغير وحشو دماغه بالمعلومات فى أوقات الفراغ التى يجب ان تكون « فراغا » بالمعنى الحقيقى . ومما لا شك فيه ان الفراغ نافع لكلا الشبان والشيوخ . واذا وصفنا العزلة التامة للمصابين بالملل والسآمة وحكمنا عليهم بأن ينقطعوا عن كل عمـل وتفكير بل عن اللهو وطلب المسرات ظهرت فائدة ذلك الفراغ ظهوراً جليا . واستطاع طـلاب الفراغ أن يستأنفوا أعمالهم عند نهاية الفراغ بكل جد ونشاط . وما على الاطباء الا ان يصفوا العزلة التامة أى الانقطاع عن كل عمل وتفكير ولهو — فينالوا الشفاء التام من مرض ثورة الاعصاب ويستطيعوا فيما بعد انجاز اعمالهم على الوجه الا كمل

الاقوال الاوتوماتيكية

[خلاصة بحث نشر في مجلة
لايف . بقلم جرتي ولمس]

تلقى كاتب هذه السطور رسالة من صديق يسأله فيها ما يأتي : « هل علمتم أن زوجا أجاب زوجته جوابا مقنعا عن سؤالها له : ماذا تريد ان تطبخ اليوم ؟ » .

فرد عليه كاتب هذه السطور بما يأتي : « ان معظم الزوجات يسألن أزواجهن عند خروجهن من البيت فى الصباح السؤال الذى أشرتم اليه ، وقد أصبح هذا السؤال اوتوماتيكيا لا يعنى أى شيء ، كقولنا لأى رجل نقابله فى الطريق : « نهارك سعيد » أو « كيف الحال » أو ما الى ذلك من ضروب التحيات الاوتوماتيكية التى قد أصبحت لا تدل على شيء ولا تشف عن شعور حقيق

وقد خطر ببال أحد الازواج مرة أن يخرج عن المألوف ويجيب عن سؤال زوجته عما يشتهى ان تطبخه له . فعدد اصنافا من شهى الأطعمة من لحم الضأن والطير والسمك ومن افخر أنواع البقول وأشهى ضروب الحلوى والفاكهة ، وألقى جوابه بصوت رزين جدى كأنه يعنى ما يقوله وهو متظاهر بالخروج الى عمله . فلما سمعت زوجته كلامه حملقت ناظرة اليه نظرة دهشة وهلع كأنها تقول فى نفسها : « هل جن زوجى أم اصابه مس من الخبل ؟ فانه لم يعتد مثل هذا الهذر من قبل » وما كاد يخرج من البيت حتى استلقت على سريرها وقد خارت قواها من شدة الهلع وصار قلبها ينبض نبضات سريعة ، ثم استرسلت فى البكاء مطلقة لدموعها العنان كأنها تتوقع عند عودة زوجها شراً مستطيراً . ولما عاد زوجها فى المساء لم يجد ما يأكله فبات ليلته على الطوى

وبعث رجل آخر الى كاتب هذه السطور برسالة يقول له فيها : « إننى بدال بسيط فى هذا الحى وقد جاءتنى فى هذا الصباح امرأة اشترت منى اثنتى عشرة بيضة من دون ان تسأل : هل البيض طازج ؟ وهي أول مرة وقع لى فيها مثل هذا الحادث اذ لم أر فى حياتى قط أحداً يشترى بيضا من دون أن يسأل ذلك السؤال الاوتوماتيكى وهو : هل البيض طازج ؟ وكلنا نعلم ان مثل هذا السؤال لا يقدم ولا يؤخر فى « تصريف البضاعة » فلا السائل ينتظر الجواب ولا البائع يجيب بغير ما هو منتظر . ولقد بحثت عن المرأة التى اشترت منى البيض فى هذا الصباح فثبت لى أنها تتمتع بقوى عقلية تامة ومع ذلك خالفت حكم العادة . فما رأيكم فى تصرفها ؟ » .

فرد كاتب هذه السطور على السائل مؤكداً له أن الحادث يكاد يكون فريداً فى نوعه ولا يدانيه إلا حادث آخر خلاصته ان امرأة قصدت ذات يوم الى دكان بدال لتشترى بيضاً وسألت البائع حسب العادة : هل البيض طازج ؟ فاجابها البائع : إنه قديم متعفن . فظنته يمزح واشترت البيض

وأثبتت بذلك ان سؤالها كان أوتوماتيكياً ناشئاً عن حكم العادة وانه لا يؤثر فى اتمام الصفقة . ولما ذهبت الى البيت وجدت أن البائع لم يكذب عليها فقد كان البيض فاسداً متعفناً

وخطر ببال كاتب السطور أن يقوم مرة ببحث بسيط ليعرف مبلغ تأثير العادة وسعة انتشار الاقوال الاوتوماتيكية التى يلقيها الناس بلاتفكير . فذهب الى حفلة ليلية كانت احدى سيدات الطبقة الراقية قد أقامتها لعدد غفير من الاعيان والوجهاء والاصدقاء . واتفق كاتب السطور مع أربعة من المدعوين الى تلك الحفلة على ان يقولوا للداعية عند انصرافهم كلاما معينا على اعتبار أنه من الاقوال المألوفة فى مثل ذلك المقام . وعند ختام الحفلة وقفت ربة الدار تودع ضيوفها ، وكل منهم يشكرها على حفاوتها بما يحضره من الاقوال الاوتوماتيكية فى مثل ذلك الموقف . فترد على كل منهم رداً اوتوماتيكيا كقولها لهم : أشكر لكم حضوركم — كم سررت برؤيتكم — لا شكر على واجب — شرفتم — أهلا وسهلا . وما الى ذلك من ضروب الترحيب الاوتوماتيكي . أما الاربعة الذين اتفق معهم كاتب السطور فقد ودعوا المضيفة وهم مندسون بين سائر الضيوف وكان ما قال أولهم : « لقد استأت من هذه الحفلة » وثانيهم : « ياضيعة الوقت الذى قضيته » وثالثهم : « آسفا على ما أضعته من الوقت ! » ورابعهم : « لقد سرقت ما وصلت اليه يدى من آنية فضية ! » ولم يكن جواب المضيفة عن جميع ذلك الا دليلا على حكم العادة وتأصلها فى النفوس . فقد ردت على أولئك الاربعة كما ردت على غيرهم بما تقتضيه آداب الضيافة والمجاملة . ولم يخطر ببالها قط ان أحداً من ضيوفها يودعها بغير الاقوال الاوتوماتيكية المألوفة فى مثل هذه الاحوال

العبقرية وتاريخ الولادة

[خلاصة مقالة نشرت في جريدة
وشنطون بوست بقلم فرنك زالا]

لو أن علماء الكيمياء والطبيعة والاغذية والاحصاء تعاونوا على البحث فى العلاقة بين العبقرية والتاريخ الذى يولد فيه الانسان لاستطاعوا على الارجح أن يتحكموا فى مصير الجنس البشرى وفى الا كثار من العباقرة وأصحاب العقول الكبيرة. فقد أثبتت الاحصاءات أن أشهر الشتاء هى أخصب الاشهر لكثرة ما يولد فيها من النوابغ وأصحاب العقول الكبيرة . وهى فى الوقت عينه فى مقدمة الاشهر التى تكثر فيها المواليد من المجانين والذين تصاب عقولهم بمس من الخلل . وقد يظن القارىء أن فى هذا القول شيئاً من التناقض. ولكن اذا تذكرنا ما يقوله الكثيرون من أن بين الجنون والعبقرية صلة حقيقية زال ذلك التناقض

وقد يخيل الى القارىء أن محاولة ايجاد علاقة بين صفات الانسان ومزاياه وقواه العقلية

جهة وتاريخ ولادته من الجهة الاخرى رجوع الى التنجيم الذى ينكره العلم . والحقيقة خلاف ذلك فليست المسألة مسألة تنجيم ولا بينها وبين التنجيم أية علاقة . انما المسألة مسألة حقائق

والفضل فى اكتشاف هذه الحقائق يرجع الى علماء الهيئة . فقد القى الدكتور « فرى » من اساتذة جامعة نيويورك خطبة أمام « جماعة هواة علم الفلك » التابعة لمتحف التاريخ الطبيعى الاميركى اورد فيها احصاءات وحقائق مدهشة تاييداً للنظرية التى نحن بصددها

إذا درست سيرة مائة الف من العظماء الذين نبغوا فى العالم منذ خمسة آلاف سنة الى اليوم رأيت أن الجانب الاكبر منهم كانوا من مواليد فصل الشتاء — أى من مواليد ديسمبر ويناير وفبراير ونصف مارس . ويلى هذه الاشهر فى كثرة مواليد النوابغ أشهر أغسطس وسبتمبر واكتوبر . فهل هذه الظاهرة من قبيل العرض والاتفاق أم ان لها مايعللها ويكشف عن سببها ؟ ان الاحصاءات فى أميركا وأوربا — ولا سيما الاحصاءات التى قام بها حديثاً طائفة من العلماء السويسريين — تؤيد الحقيقة التى نحن بصددها تأييداً تاماً لا تدع مجالا للقول بأن هذه الظاهرة من قبيل « المصادفة » وما يصدق على النوابغ بهذا الاعتبار يصدق أيضاً على المجانين فان أكثرهم كما تقدم من مواليد فصل الشتاء أيضاً . ولا عجب فان بين العبقرية والجنون صلة قد أثبتها العلم ففى كليهما يكون العقل خارجا عن الحد الطبيعى

وتدل الاحصاءات أيضا على ان مواليد أشهر الصيف هم ذوو قوى عقلية مستقرة غير مضطربة بخلاف مواليد فصل الشتاء فان قواهم العقلية فى حركة واضطراب مستمرين هما سبب العبقرية والجنون فى آن واحد

ولعل أحسن تعليل للظاهرة التى نحن بصددها يقوم على نظرية تأثير الغذاء كيميائيا فى الجنين قبل ان يولد . ولا يخفى أن بعض المواد الغذائية يكثر وبعضها يقل فى فصل الشتاء . ففى هذا الفصل تقل البقول الطازجة والفواكه وتتغذى الابقار والاغنام بمواد معينة لا شك أنها تؤثر فى لحومها والبانها تأثيراً معينا . والام الحامل تتغذى فى أشهر الشتاء بلحوم كثيرة وبقول طازجة قليلة . فاذا كان فصل الصيف أقلت من أكل بعض اللحوم وغيرت نظام تغذيتها . أفليس من المعقول ان يكون تأثير المواد الغذائية هو سبب كثرة من يولد من العباقرة والنوابغ فى أشهر الشتاء ؟

وهنا يعرض لنا هذا السؤال وهو : إذا صدق هذا التعليل أفلا يكون فى وسع الانسان ان يتحكم فى ولادة العباقرة والنوابغ فيتخذ ما يمكن من الاهبة للاكثار من مواليد فصل الشتاء ولتوفير المواد الغذائية المعينة لهم ؟

الجواب على ذلك بالايجاب . ومن المحتمل أيضا ان يكتشف علماء الكيمياء سر تأثير بعض المواد الغذائية فى بناء القوى العقلية والخلقية . وفى هذه الحالة يستطاع تنشئة النوابغ حسب الطلب وذلك بالتحكم فى تواريخ ميلادهم وباعطائهم المواد الغذائية التى تصلح دون غيرها لبناء صرح العبقرية

تقدم العلم والعالم

اعانة العمال العاطلين قديماً

يؤخذ مما كتبه هيرودتس المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد ان الفرعون ميسيرينيوس ابن الفرعون خوفو باني هرم الجيزة الاكبر كان من أشد ملوك مصر شفقة على الرعية وانه كان يأمر رئيس الخزانة الملكية من وقت الى آخر باخراج الاموال من الخزانة وتوزيعها على الفقراء والعمال العاطلين . وعليه يصح القول بأنه أول من أنشأ عادة إعانة العاطلين التي جرت عليها اليوم بعض الحكومات بعد الحرب العظمى الماضية. أما الفرعون خوفو فقد كان فيما يروى بعض المؤرخين قاسياً مستبداً سخرّ الألوف من العمال المصريين لتشييد هرمه

مدفع جديد لمقاومة الطيارات

يؤخذ مما كتبته بعض الصحف الفرنسية ان البوارج البحرية البريطانية تحمل مدافع لمقاومة الطيارات تفوق كل ما استنبطه المهندسون العسكريون من نوعها وان هذه المدافع اذا سلطت نيرانها على أية طيارة فلا أمل لها بالنجاة من الهلاك . ومما يجدر بالذكر في هذا الصدد انه في أثناء الانتخابات البريطانية الأخيرة أشار المستر الكسندر وزير الحربية الأسبق الى المدافع المذكورة من طرف خفى في احدى خطبه الانتخابية ، فما كان من وزير البحرية الحالي إلا أن نبه الى خطئه وامتعضت الوزارة البريطانية كلها من عمله

أقوى من جاذبية الارض

ألقى الدكتور بيكلز أحد أساتذة جامعة فرجينيا خطبة في مجمع تقدم العلوم الاميركية شرح بها آلة جديدة تولد قوة تعادل مليوناً وخمس مليون ضعف قوة جاذبية الارض . وهذه الآلة هي جهاز موضوع داخل فراغ ويدور بسرعة عظيمة . ولشرح قوة هذه الآلة نقول ان جاذبية الارض تجعل الاجسام تسقط من الجو الى الارض بسرعة ست عشرة قدماً في الثانية الاولى . أما الآلة الجديدة فتدور ١٥٦ الف دورة في الثانية وتجذب الاجسام نحو الارض بسرعة تسعة عشر مليوناً ومائتي الف قدم (أو اكثر من ثلاثة آلاف ميل وستمائة ميل) في الثانية الاولى

والمظنون ان قوة هذا الجهاز هي عظيمة الى حد أنها تكفي لتمزيق ايلكترونات المادة بعضها من بعض

في عالم الفلك

في أواخر القرن الماضي اكتشف علماء الفلك جرماً سديمياً لم يعلموا ما هو ، فرقموه بالرقم (١٠ س - ٣٤٢) وظلوا يرقبونه منذ ذلك اليوم . وقد جاءت الأنباء اليوم بأن ذلك الجرم السديمي ليس سوى جزيرة من « الجزر الكونية » أي انه من السدم اللولبية التي تبعد عنا نحو مليون سنة ضوئية ويبلغ قطرها نحو عشرة آلاف سنة نورية أي نحو ستين الف الف الف مليون ميل . فتأمل !

اللبن والصوت

من الاكتشافات المدهشة التى وفق اليها بعض المشتغلين بالمسائل الغذائية ان الصوت القوى يجعل اللبن الحليب أسهل هضما ولا سيما للاطفال الصغار. ومن التجارب التى قام بها هؤلاء العلماء انهم وضعوا لبناً بقرب مدفع أطلق عدة طلقات ثم أعطى هذا اللبن طفلا شربه فهضمه بسهولة. ولا يعلم حتى الآن العلاقة بين الصوت والهضم

آثار يهودية قديمة

عثرت البعثة البريطانية القائمة بالتنقيب فى فلسطين على آنية فخارية على مقربة من خرائب مدينة لخيش المذكورة فى التوراة والتى كانت من أعظم حصون فلسطين فى الازمنة القديمة. والآنية المذكورة ترجع الى سنة ٥٩٧ قبل الميلاد وعليها كتابة باللغة العبرانية هى من قلم عبد يسمى أوريا، وقد ورد اسمه فى سفر النبى ارميا، وخلاصة هذه الكتابة هى نبوءة بسقوط أورشليم وجميع بلاد اليهودية اذا ثار اليهود على بابل. وهذه النبوءة تشبه من بعض وجوهها نبوءة ارميا نفسه

النسر الطائر

النسر الطائر نجم كبير من القدر الاول يزيد قطره على قطر الشمس بمقدار اربعين فى المائة وكثافة مادته ضعفا كثافة مادة الشمس، وهو يدور على محوره بسرعة تبلغ مائة وعشرين ضعف سرعة دورة الشمس وأربعة أضعاف سرعة دورة الارض. وتستغرق دورة هذا النجم ست ساعات. والمعروف الآن ان سرعة دوران بعض الاجرام الفلكية عند خطوط استوائها تبلغ نحو ثلثمائة كيلو متر أو نحو ١٨٦ ميلا ونصف ميل

مستقبل جسم الانسان

يقول علماء الانثروبولوجيا ان الانسان فى المستقبل سيكون أضيق وجهاً واكبر رأساً، وان الاسنان القواطع ستكون أصغر مما هى الآن، وان سن الحكمة ستكبر كثيراً ولا سيما الاشخاص الطوال القامة الضخام الاجسام. وان النساء سيلغن قبل الرجال وأن الفرق بين الرجل اليمنى والرجل اليسرى - وكذلك بين الذراع اليمنى والذراع اليسرى - سيزول بمرور الزمن. ومما يجدر بالذكر ان القرد يشبه الانسان بهذا الاعتبار فان رجله اليمنى وذراعه اليمنى اقصر من رجله اليسرى وذراعه اليسرى

دواء للنحافة

نحافة الجسم هى اليوم مطلب كل فتاة حسناء. وفتيات هذا العصر لا يحجمن عن بذل أى تضحية فى سبيل إنحال قوامهن. والأطباء يعلمون ان هنالك عقاراً لاحداث النحول فى الجسم ولكنهم يكتمونه أو يأبون أن يصفوه لما يترتب عليه من بعض الاخطار. وهذا العقار يسمى دينتروفينول Dinitrophenol ومع ان استعماله قد أخذ يشيع اليوم فى الولايات المتحدة فان الاطباء الاميركيين والمجلات الطبية الاميركية قد شهرت عليه حرباً شعواء.

المواد الغذائية والهضم

يختلف الهضم باختلاف الاشخاص وباختلاف المواد الغذائية التى يتناولونها. وتدل التجارب الطبية على ان هنالك كثيرين

لا يستطيعون أن يهضموا الفواكه مثلا مع انهم يستطيعون هضم مواد يخيل الى المرء انها عسرة على المعدة . فمنهم من يعجز عن التفاح مثلا مع ان التفاح فى نظر الاكثرين هو من أهم الفواكه عامة ومن اكثرها نفعاً للانسان. ومنهم من لا يستطيع هضم البيض أو الزبدة أو الجبن أو غير ذلك من المواد . وقد خطر ببال أحد الأطباء الذين درسوا المواد الغذائية ودرجات نفعها أن يضع بياناً بتلك المواد مرتبة بحسب أهميتها ونسبة نفعها . واليك أهمها : لحم الخروف ، فالزبدة، فالسكر، فالأرز ، فالتابيوكا فالساجو ، فالتفاح المطبوخ ، فعصير البرتقال ، فالانا ناس ، فالبنجر، فالبازيلا، فالهلبون (كشك الماز) ، فالبطاطس، فالبطاطا ، فالبذنجان فاللفت فالجزر الابيض، فالخرشوف، فالكمثرى المطبوخة

معالجة الانيميا

المعروف الان ان خلاصة الكبد هي أفضل دواء للانيميا ولا سيما النوع الخبيث منها . على ان خلاصة الحديد لا تزال فى مقدمة العقاقير المعول عليها فى معالجة هذا المرض . وهنالك وصفات طبية قديمة ترجع الى سنة ١٦٠٠ بعد الميلاد تشير باستعمال الحديد لمعالجة فقر الدم

أما خلاصة الكبد فان سنتيمتراً مكعباً منها يعادل فى قوته أحد عشر رطلا من الكبد الطازجة

من عجائب التنويم المغناطيسي

يظهر ان فى استطاعة المنوم المغناطيسى التأثير فى المعدة الفارغة بحيث يجعلها تشتغل كأنها ملأى بالغذاء فيشتغل اذ ذاك الجهاز الهضمى كله . ولا يخفى ان المنومين المغناطيسيين يستطيعون دائماً إيهام الانسان بانه جائع أو شبعان . ولكن علماء النفس قد أثبتوا الآن ان الشعور بالجوع هو عقلى وفيسيولوجى فى آن واحد . فقد جاءوا برجل فى الرابعة والثلاثين من عمره صام عشرين ساعة وأناموه نوماً مغناطيسياً وأوهموه أنه شبعان فبدأ جهازه الهضمى يعمل كأنه شبعان حقيقة

لغة مغولية قديمة

تمكن فريق من علماء الروس من أعضاء الأكاديمية العلمية السوفياتية من حل رموز لغة الطنجوت وهى لغة مغولية قديمة ترجع إلى نحو تسعمائة سنة مضت . وقد تمكن أولئك العلماء من فك طلاسم خمسة آلاف رمز هيروغليفى من رموز اللغة المذكورة ووضعوا لها معجما سيكون له أعظم الأثر فى جلاء الغامض عن دولة الطنجوت المشار اليها وعن لغتها وآداب شعبها وكان المعروف عنها حتى الآن نزراً يسيراً

تأثير دراسة الطب ومزاولته

يظهر أن لدراسة الطب ومزاولته تأثيراً قوياً فى سلوك الانسان وآدابه ومعتقداته . فالطبيب يقضى معظم وقته في عيادة المرضى ومشاهدة آلامهم ومناظر شقائهم وفى درس ذلك الطور من أطوار الحياة الذى يصارع فيه المرء قوى الفناء . وتدل بعض الاحصاءات على ان الكثيرين من الاطباء يصبحون بسبب مزاولتهم لمهنتهم عصبيين شديدى الاندفاع والخشونة فى كلامهم . وقد يفقد بعضهم عاطفة الشفقة على المريض وعلى أهله فيشدد عليهم الوطأة ويغلظ لهم القول لأتفه الاسباب . على ان الكثيرين من الاطباء هم بحمد الله على عكس ذلك مجبولون على الرقة والشفقة ودماثة الخلق

كلاب البحر وضحاياها

القرش او كلب البحر من اشرس الحيوانات البحرية واشدها فتكا بالانسان . ومع كثرة الاحتياطات التي يتخذها السباحون والصيادون فان ضحايا هذا الحيوان فى ازدياد متواصل . واكثر ما تقع المعارك بينه وبين الانسان فى المياه المحيطة باوستراليا . فقلما ينقضى عام من دون ان تقع هنالك بضع فواجع من هذا القبيل ولذلك اخذ اولياء الأمور فى الموانىء الاوسترالية ينصحون المغرمين بالاستحمام بالبحر ان يتجنبوا اماكن معينة يقال ان كلاب البحر تكثر فيها . وليس ذلك فقط بل قد شرعوا فى درس الوسائل التى تقى المستحمين شر تلك الكلاب وفى مقدمة تلك الوسائل وضع شباك حديدية حول مواضع الاستحمام وتكليف بعض الطيارات ان تحوم فوق تلك المواضع إذ فى استطاعتها وهى محلقة فى الجو ان ترى كلاب البحر وتراقب حركاتها

على ان اشرس الحيوانات البحرية المعروفة حتى الآن هو الحيوان المعروف بالحوت الفتاك وليس فى البحار حيوان يستطيع الوقوف امامه ويختلف طول هذا الحوت من سبعة امتار الى عشرة ويوجد فى كل بحر من بحور العالم ويأكل كل مخلوق حى يصادفه ولو وقف امامه الاسد والنمر لافترسه فى طرفة عين ويستطيع الحيوان الواحد من هذا النوع ان يلتهم فى كل «وجبة» عشرات من كلاب البحر وعجوله ومئات من اسماكه وسائر حيوانات البحر . ومن عادة هذا الحيوان ألا يسير فى البحر وحده بل مع طائفة من افراد نوعه . فترى كل عشرين او ثلاثين حوتاً منه تسير فى البحر معاً

انقراض الحيوان

تنقرض الحيوانات البرية بالتدريج لان عوامل كثيرة تعمل على ابادتها وفى مقدمتها ميل الانسان الى صيدها . ولذلك يسعى العلماء وامناء متاحف الحيوان فى انحاء العالم المختلفة الى انقاذ انواع الحيوانات المعرضة للفناء . ومن دواعي الأسف ان تقدم الحضارة يؤدى بطبيعة الحال الى انقراض تلك الأنواع

اخبار وفوائد

* وجد بعض علماء الآثار الذين يعملون فى بلاد القوقاز مقبرة يرجع تاريخها الى القرن الثانى قبل الميلاد وفيها آثار وآنية يونانية كثيرة

* بلغ عدد ضحايا الاوتومبيلات فى الولايات المتحدة فى السنة الماضية نحو اربعة وتسعين الف قتيل ! . . .

* فى أحد الاحصاءات التى يوثق بها ان فى الولايات المتحدة نحو خمسة ملايين مصدور. والغريب ان مرض السل أكثر انتشاراً بين هنود أمريكا منه بين البيض

* كان عدد ضحايا الدفتيريا قبل اكتشاف اللقاح الواقى منها نحو ٤٥ فى المائة من الاصابات

* عثرت إحدى البعثات العلمية فى صحراء ليبيا على نحو ثمانمائة صورة منقوشة داخل جدران الكهوف وهذه النقوش ترجع الى ماقبل زمن التاريخ المعروف

* مدينة نيويورك هى أقدم مدن الولايات المتحدة منذ سنة ١٧٩٠ مع ان عدد سكانها فى تلك السنة ما كان يزيد على ٣٣ ألف نفس

* ليست أسنان الانسان وحدها هى التى تسقط وتحل محلها أسنان جديدة بل ان شعره أيضاً يسقط فى صغره ويحل محله شعر جديد

كتب جديدة

الفن الاسلامي في مصر

تأليف الدكتور زكى محمد حسن

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .
صفحاته ١٣٣ عدا اللوحات

من الكتب التى عنيت دار الآثار العربية بالقاهرة بطبعها كتاب الفن الاسلامى فى مصر تأليف الدكتور زكى محمد حسن الامين العلمى لهذه الدار . وقد أصدرت منه حتى الآن الجزء الأول عن المرحلة الاولى فى تاريخ الفنون الاسلامية فى مصر . فقد قسم المؤلف كتابه الى ثلاث مراحل : الاولى تبدأ بالفتح العربى وتنتهى بسقوط الدولة الطولونية . والثانية تشمل عصر الفاطميين ، والثالثة تستوعب أطوار الفن الاسلامى فى عصور المماليك

وهذا الجزء الذى نحن بصدده يتناول المرحلة الاولى ، فبدأها بمقدمة تاريخية عن فتح مصر ، والولاة الذين تقلدوا حكمها من ذلك العهد الى نهاية الحكم الطولونى . ثم قسم بحثه الى قسمين : قسم عن العمارة وزخرفة المبانى ، وهو يشمل الفن الطولونى وكيف أخذ عن الفن الاسلامى فى العراق وخاصة سامرا عاصمة الامبراطورية الاسلامية حين ظهور احمد بن طولون ، ويشمل هذا القسم أيضاً العمارات الدينية كالمساجد ، والعمارات المدنية والحربية كمدينة القطائع والبيت الطولونى ، ثم زخرفة المبانى

أما القسم الثانى فيشمل الفنون الفرعية كالنسيج ، والحفر فى الخشب ، والخزف ، والتصوير ، وقد مهد له المؤلف بمقدمة تاريخية عن منشأ هذه الفنون ..

وزين هذه البحوث القيمة ، بسبع وثلاثين لوحة أثرية عن الزخارف الجصية والخشبية ، والاجزاء الفنية الرائعة فى المساجد والقناطر والبيوت والمنائر

وأسلوب الكتاب سهل ممتنع ، كما ان بحوثه طريفة مشوقة ، ونحن ننقل للقراء هذه الفقرة من فصل (الفن الطولونى وسامرا) قال : « الفن الاسلامى فن ملكى بطبيعته ، ونقصد بذلك أنه مدين بكل شيء للسلطان ، فالمثالون والمصورون ، والمهندسون وغيرهم من رجال الفن انما كانوا يشتغلون اجابة لطلبه ، وتحقيقاً لرغبته ، واشباعاً لشهواته . ونحن اذا استثنينا السلطان ، فلن نجد للفنون الجميلة ، رعاة إلا من بلاطه وحاشيته أو فى الأسر القليلة التى تسكن العاصمة ، وتعتمد فى معيشتها على السلطان ، وبيت ماله . ولسنا نقصد أن هذا الامر مقصور على الفن الاسلامى ، ولكننا نقول إنه أصبح فيه ظاهرة كبيرة يصح معها أن تنسب المراحل المختلفة فى التاريخ الاسلامى الى الأسر الحاكمة ، فيقال فن أموى ، وفن عباسى ، وفن طولونى ... » الخ

وقد طبعت دار الآثار هذا الكتاب على ورق ممتاز كما طبعت كتابه « الطولونيون فى مصر » وهو باللغة الفرنسية ، منذ ثلاث سنوات ، وعرضتهما مع المؤلفات الأثرية التى طبعتها لكبار علماء الآثار الاجانب

أول يناير

تأليف الأستاذ محمود كامل

طبع بمطبعة الجامعة . صفحاته ٢١٠

مجموعة قصص كأخواتها من المجموعات القصصية الطريفة التي أصدرها الأستاذ محمود كامل المحامي والقصصي الخصب ، فكثير من القراء يعرفون مؤلف هذه المجموعات القصصية بكثرة انتاجه ، وبما قدمه للأدب وللمسرح من قصص حسنة ، في موضوعات مصرية ، حتى نستطيع أن نقول إنه قد تخصص في هذا النوع من الادب ، وهو نوع جدير بالاهتمام من أدبائنا ، لأنه ما زال عندنا في المهد وكل ما ظهر من منتجاته انما هو محاولات بدائية ، واقتباسات من الادب الغربي قد توفق في بعض الاحيان . ونعتقد أن فن القصص لن يزدهر في مصر والشرق العربي إلا اذا عني الأدباء كغيرهم من أدباء الغرب بالدراسات العلمية والفنية المختلفة ، دون الاقتصار على ناحية واحدة وهي الناحية الادبية البحتة ، فالقصصي يجب أن يكون دارساً للفلسفة ولعلم النفس ولعلم الاجتماع والتاريخ ، وأن يكون بصيراً بالفنون على اختلافها ، ملماً تمام الالمام بأحوال الجماعات والافراد من كل طبقة ، وقد تستوعب هذه الدراسات وقتاً غير يسير يقلل من انتاجه . ولكن حسب القصصي الحق أن ينتج عدداً قليلا من القصص ترضى الفن ، وتزيد في ثروة الادب . ومما لا ريب فيه أن الظروف السياسية في مصر كما قال الاستاذ محمود كامل لها أثرها في ضعف أدب القصة لان الحياة الاجتماعية ما زالت غير مستقرة . وقد انصرف معظم اهتمام المصريين الى السياسة ، فالقصصي الذي يستطيع أن يشق طريقه وسط هذا الاضطراب كالأستاذ كامل يستحق الثناء والتشجيع خصوصاً اذا كانت مؤلفاته تدل على رغبة صادقة في خدمة القصة القومية ، والنهوض بهذا الفن في مصر الى المستوى اللائق به

ديك الجن الحمصي

قصة مسرحية شعرية تاريخية

للأستاذ محمد طاهر الجبلاوى

طبع بمطبعة صادق بالمنيا . صفحاته ١٣١

أحب ديك الجن عبد السلام بن رغبان جارية نصرانية من حمص ، وأولع بها كما أولعت به ، فأسلمت وتزوجها ، وكان يعذله في حبها ابن عم له يدعى أبا الطيب . فلما أكثر عليه هجاه ، فأضمر له الضغينة حتى حلت به نوبة اعسار ، فرحل في طلب الرزق ، وخلف زوجه فانتهزها ابن عمه فرصة للانتقام ، وأشاع بين أهله وجيرانه أن تلك الجارية تهوى شاباً اسمه نزار . فلما عاد ديك الجن سمع بهذه الاشاعة من مدبرها ، فلم يصدقه ، فأرسل في أثره هذا الشاب يقرع الباب ليوهمه بصحة الاشاعة . ففعل فأيقن ديك الجن أن زوجه خائنة ، فقتلها

هذا هو الأساس التاريخي الذي بنى عليه الشاعر المجيد الاستاذ محمد طاهر الجبلاوى هذه القصة ، وهو أساس يصلح أن يكون مادة لقصة اجتماعية رائعة

وقد رأى أن يتوسع فيها بما وهب من سعة الخيال ، فأضاف اليها من يحتمل أن يكون من أبطالها ، واختلق لها حوادث لا يبعد أن تقع ، ولا بد لكمال القصة منها ...

وضعها المؤلف في أسلوب شعري رقيق ، فقد عرف الجبلاوى في دمياط والوجه البحري

بأدبه الجم ، وشاعريته الخصبة ، وكان من آثاره فيهما ملتقى العبرات ، وديوان الجبلاوى وقد حازا ثناء كبار الشعراء . وانتقل إلى الوجه القبلى بحكم وظيفته ، فثابر على انتاجه الحسن ، فألف «الرواية الضائعة» ، وهذه الرواية «ديك الجن» التى نحن بصددها ، وعرف فى الصعيد بما عرف به فى الوجه البحرى فاشتهر بين عارفيه بشاعر الوجهين ، وكان فى طوره الجديد من أطوار حياته الأدبية مثالا للدأب فى خدمة الشعر والادب ، ولا أدل على ذلك من هذه القصة المسرحية . فمع حداثة الشعر العربى بهذا النوع ، استطاع الجبلاوى أن يصل فيه إلى درجة مرموقة ، وبرهن على أن امتزاج فنى الشعر والتمثيل يضاعف جمال الرواية ، ويزيدها تأثيراً وروعة . واذا علم القارىء أن كلا الفنين يحتاج الى استعداد قوى ، وملكة مؤاتية ، لم يبخل على هذه الرواية النفيسة بالتشجيع وحسن التقدير . ونحن ننقل هنا شيئاً مما جاء فيها من الحوار بين ديك الجن ، وصديقه نصر وقد سمعا وقع أقدام :

نصر (مشيراً الى وجود صوت) :

هم مقبلون أحس وقع دبيبهم
أنصت معى . . . .

ديك الجن :

. . . .
. . . . . لا ترتعب . . .

نصر :

. . . .
. . . . أنصت معى

ديك الجن :

لا شىء أسمع غير أنة موجع
ولهيب نار الوجد يحرق أضلعى
دع عنك خوفك أو فدعنى انتى
سأنال قصدى أو ألاقى مصرعى

وعلى هذا النسق الطريف سار الشاعر فى هذه الرواية الممتعة التى نرجو أن تنال من لجنة تشجيع التمثيل العناية التى تستحقها

تفصيل آيات القرآن الحكيم

وضعه بالفرنسية جول لابوم
وترجمه الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى

طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه . صفحاته ٧١٤

يعنى علماء الغرب - الى جانب بحوثهم العلمية - بوضع الفهارس القيمة ، وتأليف المعاجم الواسعة فى مختلف العلوم والفنون . والغرض منها تيسير البحث ، وتوفير الوقت فى المراجعة وتقريب المعلومات حتى يسهل على القارىء أن يطلع على ما يريده مما هو مبعثر فى شتى المصنفات. وقد اتبع المستشرقون هذه الطريقة أيضاً فى خدماتهم العلمية التى قاموا بها فى تاريخ الشرق وعرض آثاره فوضعوا الفهارس والمعاجم لعلوم الشرق وفنونه وعلمائه وأدبائه . ومن ذلك دائرة المعارف الاسلامية ، وفهرست الاحاديث النبوية ، الموجودة فى أربعة عشر مرجعا من مراجع السنة . وهو الفهرست الذى ترجمه الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى باسم «مفتاح كنوز السنة» . وقد وضع المستشرق الكبير جول لابوم فهرساً موضوعياً للقرآن الكريم قسم فيه الآيات بحسب الموضوعات فجمع كل ما نزل منها فى موضوع واحد فى فصل على حدته ، فما جاء منها فى التاريخ جمعه فى فصل خاص بالتاريخ وما جاء عن محمد او التوراة

او ما وراء الطبيعة جمعه فى فصل خاص. وهكذا فتهيأ له من ذلك ١٨ فصلا ، كل فصل يضم جميع الآيات التى اتحدت فى الموضوع ، وان اختلفت فى السور وتاريخ النزول

ولما كان هذا التفصيل ، مفيد للباحثين ، وخاصة من يريد أن يرجع الى جميع الآيات التى نزلت فى موضوع واحد ، وكان المستشرق جول لابول قد وضعه بالفرنسية ، فقد عنى الاستاذ الباحث محمد فؤاد عبد الباقى برد ماجاء فيه من الآيات باللغة الفرنسية الى أصلها القرآنى وترتيب الكتاب فى وضع عربى يسهل تناوله للقراء . أما فصوله فهى: التاريخ ، محمد، التبليغ، بنو اسرائيل ، التوراة ، النصارى ، ماوراء الطبيعة ، التوحيد ، القرآن ، الدين ، العقائد ، العبادات ، الشريعة . النظام الاجتماعى . العلوم والفنون . التجارة . علم تهذيب الاخلاق . النجاح

وتحت كل فصل منها فروع يبلغ عددها ٣٥٠ فرعاً . وتحت كل فرع جميع ما ورد من آيات التنزيل . والى جانب كل آية اسم السورة التى نزلت فيها. ورقمها فى ترتيب آيات السورة. وليس لنا على هذا العمل الجليل الا ملاحظة يسيرة . فقد جمع المؤلف الآيات فى كل فصل دون أن يراعى ترتيب السور . فترى مثلا اولى آيات الفصل من سورة القصص ، والتى تليها من سورة طه ثم الشعراء ، فالاعراف ، فيونس فالنمل ، فالنازعات ، فهود، فالبقرة . وكان الاولى ان يبدأ بآيات البقرة ، ثم بآيات الاعراف ، فيونس ، فهود ، فطه ، فالشعراء ، فالنمل ، فالنازعات ، ولعل مترجم هذا الكتاب الفاضل يعنى بهذه الملاحظة فى طبعته الثانية

بين الاسد الافريقى والنمر الايطالى

تأليف الاستاذ محمد لطفى جمعة

طبع بمطبعة المعارف بالقاهرة . صفحاته ١٢٦

الأستاذ محمد لطفى جمعة من المحامين الذين عنوا بالدراسات التاريخية النفسانية الخاصة بالشعوب الشرقية . وهو شديد الشغف بالبحث والتفكير . وقد أتحفنا اخيراً بمؤلف عنوانه « حروب الارض وسلامها بين الاسد الافريقى والنمر الايطالى » وهو كما وصفه فى صدر الكتاب بحث تحليلى تاريخى ونفسانى واجتماعى فى المشكلة الحبشية الايطالية. وقد مهد لبحثه بمقدمة أتى فيها على جغرافية الحبشة وموقعها من قارة افريقا التى حاولت شعوب كثيرة ـ منذ عهد الدولة المصرية السادسة ـ إماطة اللثام عن مجاهلها ـ وتتبع المؤلف علاقة الاسلام بالحبشة وعلاقة هذه بمصر قديماً وحديثاً وما بذلته مصر من الجهود فى سبيل فتح الحبشة فى أيام المغفور له الخديو اسماعيل ، وكانت مصر قد توغلت فى فتوحها فى افريقا حتى بلغت خط الاستواء ، فوقع فى خلدها أن تجعل النيل كله مصرياً، فأوفدت رجلا سويسرياً يدعى منزنجر لدرس أحوال الحبشة واستمالة كبار رؤسها . وكانت نتيجة ذلك أن توغلت مصر فى فتوحها حتى امتد سلطانها الى ساحل القلزم الغربى عامة من خليج السويس الى تجوره ، وجاوزه الى رأس جردافوى على المحيط الهندى متناولا بذلك أرض الصومال . واستولت مصر أيضاً على هرر وزيلع . ولكن الحرب بين مصر والحبشة لم تكن فى مصلحة الاولى فعقد الصلح بينهما فى أواسط مارس سنه ١٨٧٦ وأجلى المصريون عن الحبشة

كل هـــذه الحوادث أوردها المؤلف بأسلوب شائق . وقد انتقل منها الى الكلام على بدء العلاقة بين الحبشة وايطاليا ومركز مصر من النزاع القائم بينهما وموقف عصبة الأمم بإزاء المشكلة الحبشيـة . وسرد الجهود التى بذلتها عصبة الأمم لفض ذلك النزاع على وجه يحفظ كرامة الفريقين المتنازعين ومصالحهما ، وهى الجهود التى انتهت برفض ايطاليا لجميع الاقتراحات التى عرضت عليها حسماً للنزاع . ثم انتقل المؤلف الى الكلام على الاسباب التى دفعت إيطاليا الى الاغارة على الحبشة وهى ثلاث : الأخذ بالثأر لهزيمة عدوة الشهيرة . ورغبة ايطاليا فى التوسع الاستعمارى . ورغبة زعيم ايطاليـــا فى تجديد مجد الامبراطورية الرومانية القديمة . وأتى المؤلف بعد ذلك على لمحة من تاريخ الحبشة الحديث وعلى الحرب الماضية بين إيطاليا والحبشة ، وبحث فيما أصاب إيطاليا من الخسارة فى المال والرجال فى اريتريا منذ استعمارها فى سنة ١٨٨٨ الى الآن . وختم ذلك بالبحث فى : هل لايطاليا أمل فى الفوز فى حربها الحاضرة ؟ وانتهى من ذلك البحث الى القول بان الامل ضعيف جداً

الحبشة

أو أثيوبيا فى منقلب من تاريخها
تأليف الاستاذ بولس مسعد

طبع بالمطبعة المصرية . صفحاته ٢٤٠

للأستاذ بولس مسعد مؤلفات كثيرة يعرفها اكثر القراء . وقد اتحفنا الآن بمؤلف جديد عن الحبشة ضمنه بحثاً مسهباً فى كل ما له علاقة بتلك البلاد وجوها وطبيعة أرضها ومعادنها وجبالها وسهولها وأنهارها وبحيراتها ، وزراعتها ، ومحصولاتها وطرق مواصلاتها وتجارتها وصناعاتها وأحوالها الاقتصادية والسياسية والاجتماعيـة ، ونظام حكومتها وسكانها وطوائفها وعاداتها ولغاتها وأديانها وتاريخها وصلتها القديمة بمصر الخ الخ

وقد صدر الكاتب مؤلفه ببيان المصادر الفرنسية والانجليزية والعربية التى رجع اليها عند وضع كتابه . ثم أورد لمحة موجزة فى جغرافية الحبشة وفى الممالك والاقاليم التى تتألف منها مع ذكر أهم المدن والحواضر والانهار والغابات وتقسيمها السياسى الحديث ونظام حكومتها ووصف سكانها ولغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم . وانتقل من ذلك الى الكلام على الرق فى الحبشة فأورد تاريخ الرق منذ أقدم الأزمنة وتطوره إلى نظام صريح فى عهد الرومان ثم فى العصور الحديثة . ومما يجدر بالذكر ان الرق ألغى فى روسيا بين سنتى ١٨٦١ و١٨٦٥ وفى الهند الانجليزية فى سنة ١٨٤٣ وفى المستعمرات الفرنسية سنة ١٨٤٨ ، وفى البرازيل سنة ١٨٨٨ . وفى الولايات المتحدة سنة ١٨٦٥ . أما فى الحبشة فمع ان قوانين البلاد تحرمه فهو موجود وله من طبائع الأحباش وأخلاقهم وتقاليدهم ما يجعله من الأمور الجوهرية عندهم وهو يتفق مع نظام الحكم الاقطاعى الشائع فى الحبشة

وانتقل المؤلف من ذلك الى الكلام على المذاهب الدينية فى بلاد الحبشة وهى الوثنية واليهودية والمسيحية والاسلامية . وتقول التقاليد ان الديانة المسيحية غزت الحبشة سنة ٧٠ ميلادية . أما الديانة الاسلامية فقد دخلت الحبشة فى العقد الاول للهجرة ثم اتسع نطاقها بعد ذلك الى أن بلغت حالتها الحاضرة

بين الهلال وقرائه

ضريبة التركات

(القدس – فلسطين) جورج أبو نضرة

هل صحيح أن الضريبة على التركات كانت معروفة عند المصريين القدماء ؟

(الهلال) نعم فقد ثبت أن القانون المصري في القرن الثامن قبل الميلاد كان ينص على أن للحكومة حق فرض ضريبة على ثروة الغني متى توفي

علاج الاسكربوط

(الخرطوم – السودان) ج . م

قرأت في احدى المجلات العلمية ان عصير الليمون علاج نافع يشفي من داء الاسكربوط . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) علاج الاسكربوط بعصير الليمون معروف منذ نحو مائتي سنة. وقد أشار به احد الاطباء الاسبان في سنة ١٧٤٥ . على انه ليس علاجاً نافعاً في جميع الحالات وانما هو يساعد على تخفيف وطأة الداء

نمو الشعر والاظفار

(الخرطوم – السودان) ومنه

ماهو متوسط سرعة نمو الشعر والاظفار وايهما اسرع نمواً ؟

(الهلال) الشعر اسرع نمواً من الاظفار وتبلغ سرعة نموه تقريباً اربعة اضعاف سرعة نمو الاظفار. وأظفار أصابع اليد أسرع نمواً من اظفار أصابع القدمين، ومتوسط سرعة نمو الاولى مليمتر واحد في كل عشرة أيام أو سنتمتر واحد في كل مائة يوم أو ثلاثة سنتمترات و ٦٥ مليمتراً في كل سنة

تقسيم الساعة

(بغداد – العراق) صابر الدجان

متى قسمت الساعة الى دقائق وثوان ؟

(الهلال) كانت الساعة في أوائل عهد المسيحية تقسم الى نصف وربع وثمن . وفي أوائل القرن الحادي عشر بدىء بتقسيم الساعة الى دقائق وثوان

منافع العسل الجراحية

(بغداد – العراق) ومنه

هل صحيح أن الاقدمين كانوا يضمدون الجروح بالعسل ؟

(الهلال) ذكر بلينوس المؤرخ الروماني أن الرومان كانوا يستعملون معجوناً مصنوعاً من العسل ودهن بعض أنواع السمك لتضميد الجروح . ومن المحتمل أن يكون هذا الدهن زيت السمك المعروف في هذا العصر . وفي القرون الوسطى كان الاطباء يعالجون الجروح بالعسل . ويظهر من بعض التجارب التي قام بها فريق من الاطباء الالمان في بضع السنوات الاخيرة أن العسل من أحسن المواد لتضميد الجروح وتعقيمها وان كان لا يشفيها بسرعة . وكذلك ثبت أن زيت السمك يساعد على شفاء الجروح . ولا تعلم حتى الآن أي المواد التي في العسل تساعد على تضميد الجروح وتقيها من التعفن . فقد تكون هي السكر أو الاملاح المعدنية أو الحوامض النباتية أو غير ذلك من المواد . ولا شك أن الاطباء سيتمكنون من جلاء هذه الحقيقة قبل مرور زمن طويل ، فقد سمعنا أن فريقاً من علماء الالمان يقومون الآن بتجارب ومباحث واسعة النطاق لمعرفة خواص كل مادة من المواد التي يتألف منها عسل النحل

غريزة النحل وحمام الزاجل

(بغداد – العراق) ومنه

ما هي القوة الغريبة التي تساعد النحل وحمام الزاجل على العودة الى أماكنها الاصلية بحيث لا تتيه عنها ؟

(الهلال) لا نعلم ذلك بالتمام والارجح أنها قوة

غريزية كامنة . وقد زعم بعضهم أنها حاسة الابصار والشم ولكن الاختبار أثبت فساد هذا الزعم . ولا يبعد أن تكون أمواج الكهربائية اللاسلكية هي القوة التي يستعين بها النحل والحمام الزاجل على الطيران في الاتجاه الذي يريده ، فقد أثبت العلماء حديثاً أن كل نقطة على سطح الكرة الارضية هي منشأ أمواج كهربائية تختلف عن الامواج المنبعثة عن غيرها

ومما يجدر بالذكر أن حمام الزاجل يسير نحو هدفه بالسهولة اذا كان طائراً فوق السهول والبطاح فاذا طار فوق الجبال والاودية فقد يضل الطريق

فساد القهوة

(ريودي جانيرو — البرازيل) أحد المشتركين
المعروف أن البن المطحون يفقد نكهته بمرور الزمن ويتغير طعمه بحيث يستنكف المرء من شربه . فما سبب ذلك ؟

(الهلال) سبب ذلك « التأكسد » فان الاوكسجين الذي في الهواء يؤثر في المادة الدهنية العطرية التي في مسحوق البن . وهذا التأثير يشبه تأثير الاوكسجين في الزبدة وغيرها من الاشياء اذا تعرضت للهواء

الدهون النباتية

(ريودى جانيرو — البرازيل) ومنه
هل توازى الدهون النباتية الدهون الحيوانية من جهة الغذاء ؟

(الهلال) جميع التجارب التي قام بها الاطباء في هذا الشأن تثبت أن الدهون النباتية مغذية سهلة الهضم كالدهون الحيوانية بل قد تفضلها من بعض الوجوه

الجزر الكونية

(حلوان — مصر) م . خ
ما هي الجزر الكونية فقد عثرت على عدة اشارات اليها في الكتب والمقالات التي تبحث في علم الفلك . وهل تمكن رؤيتها بالعين المجردة ؟

(الهلال) الجزر الكونية هي أجرام سديمية هائلة الحجوم تبعد عن الكرة الارضية مئات الالوف بل الملايين من السنين الضوئية . وتصعب رؤيتها بالعين المجردة . والارجح أن أقربها الينا يبعد نحو تسعمائة الف سنة ضوئية وهي اندروميدا . واذا تذكرنا أن النور يسير بسرعة ثلثمائة الف كيلو متر في الثانية الواحدة أمكننا أن ندرك هول المسافة التي تفصل بيننا وبين الجزيرة الكونية المذكورة (وتعرف أيضاً بالسديم الاولي)

المجرة

(حلوان — مصر) ومنه
ما هو حجم المجرة الحقيقي فقد رأيت عدة كتب فلكية تحدد حجمها بأرقام مختلفة ؟

(الهلال) لا عجب اذا رأيتم الكتب العلمية تختلف في تعيين حجم المجرة — ونقصد المجرة القريبة من نظامنا الشمسي — فان هنالك عدداً لا يحصى من المجرات خارج ذلك النظام . فقد زعم بعض العلماء أن قطر مجرتنا هو نحو مائتي الف سنة ضوئية . وقيل غير ذلك . ولكن المباحث العلمية التي قام بها كبار علماء الفلك منذ نحو سنتين أو أكثر تدل على أن قطر المجرة لا يزيد على مائة الف سنة ضوئية . ولعله أسلم عاقبة أن نقول ان حجم المجرة — أو قطرها — غير معروف تماماً حتى الآن

تقسيم الدائرة

(حلوان — مصر) ومنه
من قسم الدائرة الى ثلثمائة وستين درجة والى دقائق وثوان ؟

(الهلال) الارجح أن العلماء البابليين هم الذين استنبطوا هذا التقسيم

السعال الديكي

(حلب — سوريا) فتح الله صابونجي
هل من لقاح يشفي من السعال الديكي أو يقي الطفل المناعة منه ؟

(الهلال) اللقاح الذي يحقن به الاطفال عند

اما بتهم بالسعال الديكي لا يشفيهم من المرض . ولكن اذا حقن الاطفال بذلك اللقاح قبل اصابتهم بمدة طويلة أنشأ فيهم المناعة التامة الا في حالات نادرة ، ولعل احسن وقت لحقن الطفل باللقاح هو بين الشهر السادس والشهر الثاني عشر من حياته . اما الاطفال الذين يزيد عمرهم على ثلاث سنوات فيجب زيادة كمية اللقاح الذي يحقنون به لاحداث التأثير المطلوب فيهم. أما حقن الطفل باللقاح في أثناء المرض فقلما يجدي

نضوب ينابيع البترول في أميركا

(شيكاجو — الولايات المتحدة) أحد القراء

تسعى الحكومة الامريكية الى حظر ارسال البترول الى ايطاليا في الوقت الحاضر ، وقد قرأت في أحدى المجلات العلمية التي تصدرها ان اثنين من كبار العلماء الاميركيين الذين هم في خدمة الحكومة الاميركية (وهما الدكتور بروكس المهندس الكيمياوي والدكتور سيدر العالم الجيولوجي ، قد وضعا تقريراً خطيراً قدماه الى الحكومة وفحواه ان الحساب الدقيق الذي قاما به يدل على ان ينابيع البترول الاميركية سوف تنضب نضوباً تاماً قبل سنة ١٩٤٣ اي قبل انقضاء سبع سنوات. فما رأيكم في ذلك ؟

(الهلال) يؤخذ من الاحصاءات الدقيقة التي لدى مصلحة الجيولوجيا الاميركية ان احتياطي البترول الموجود في الولايات المتحدة لا يقل عن ثلاثة عشر بليوناً وربع بليون برميل من البترول . ولما كان متوسط ما تستهلكه اميركا من البترول لا يزيد على بليون برميل في السنة فان المذخور في اميركا يكفي على الاقل ثلاث عشرة سنة ونصف سنة اذا لم تكتشف ينابيع جديدة . وتدل الاحصاءات التي رجعنا اليها على ان ينابيع كثيرة تكتشف من وقت الى آخر يبلغ متوسط ما تنتجه من البترول ستمائة الف برميل في العام . وعليه لا يخشى من نفاد البترول في الولايات المتحدة قبل انقضاء عدة سنين . ومع ذلك فاننا نعلم ان حكومة الولايات المتحدة تدرس هذه المسألة بعناية

العباقرة

(حماه — سوريا) الليوتنان سمعان

لماذا لا نجد بين نوابغ التاريخ قديماً او حديثاً عباقرة تفوقوا في كل شيء بدلا من ان يتفوقوا في امور معينة ؟

(الهلال) لو ان رجلا من العباقرة تفوق في علم الحساب والهندسة والفلك والمثلثات واللوغارتمات مثلا لقلنا ان هنالك الوفاً بل مئات الالوف من الاشياء لم يتفوق فيها بعد

ولو ان عبقريا آخر تفوق في اللغة والفلسفة والتاريخ والآداب واراد ان يتفوق في غيرها من العلوم لاعوزته القرون الطوال . فقصر عمر الانسان يحول دون نبوغ الانسان في كل شيء . فضلا عن ان مثل هذا النبوغ يكاد يكون متعذراً ولو سنح الزمان . فشكل تركيب خلايا الدماغ يوجه القوى العقلية في اتجاه معين . ويساعد عمل الغدد الصماء على تقوية العقل في ذلك الاتجاه . وعليه فمن المستحيل نبوغ الانسان في كل شيء والكمال لله وحده

العباقرة والعلم والعمل

(حماه سوريا) ومنه

يستدل من شهادة التاريخ ان العباقرة الذين اشتهروا في العالم كانوا رجال عمل وارادة أكثر منهم رجال علم وتفكير . فهل من تعليل لذلك ؟

(الهلال) لا قيمة للعلم الا بالعمل . ولا يكفي الرجل ان يبدي نظرية علمية حتى يعتبر نابغة . فالعمل خير دليل على اتجاه تفكير الانسان وعلى نوع ذلك التفكير . واذا لم يقرن العلم بالعمل كان خياليا لا قيمة له ولا اثر في الاجتماع

اللغة الاسبانية والعرب

(سانتافيه — الارجنتين) اسكندر مفرج

يقال ان في اللغة الاسبانية نحو ستة آلاف لفظ من اصل عربي . فهل هذا صحيح ؟ وهل العرب هم الذين ادخلوا هذه الالفاظ على اللغة الاسبانية؟ ولماذا لا يستعيض عنها الاسبان بألفاظ اسبانية ؟

(الهلال) لا نعلم كم عدد الالفاظ العربية المقحمة على اللغة الاسبانية ، ولكننا نعلم انها كثيرة جداً وان الاسبان (لا العرب) هم الذين اقحموها على اللغة الاسبانية اذ لم يكن عندهم ما يقابلها في لغتهم

يومئذ وكانت قد درجت عندهم في الاستعمال كما درجت عندنا اليوم الطاولة والاوكازيون والتياترو والسينما التلغراف والتليفون والاوتوموبيل والتاكسي البسيكليت وغير هذه من الالفاظ الاعجمية . اما سؤالكم : لماذا لا يستعيض الاسبان عن الالفاظ العربية بالفاظ من لغتهم؟ فالجواب عنه ان السبب هو نفس السبب الذي يقعد العرب عن نبذ مافي لغتهم من الفاظ اعجمية معربة والاستعاضة عنها بالفاظ عربية بحتة . والكلام على هذا يطول بحيث لا يتسع له هذا المجال . وربما افردنا له فصلا خاصا في المستقبل

رؤية هلال رمضان

(سنديب — البنغال) محمد حبيب الله

نحن سكان البنغال الشرقية الخاضعة للحكومة البريطانية قلما نرى الهلال في الليلتين الاولى والثانية من الشهور القمرية . وعليه فقد نتأخر عن البدء بالصيام يوماً أو يومين . وقد كان أول رمضان السنة الماضية (سنة ١٩٣٤) يوم الجمعة عند غيرنا ويوم السبت عندنا . وكان أول رمضان هذا العام عندنا متأخراً أيضاً عن موعد الصيام عند سائر مسلمي العالم . فما حكم الشرع في هذا الشأن ؟

(الهلال) اذا تعذرت رؤية الهلال في أول ليلة من شهر رمضان ولم تتيسر معرفة حلول شهر الصوم بطريق المواصلات البرقية مع البلاد التي لم تتعذر فيها الرؤية فلا حرج من تأخير الصوم حتى يعلم المسلم بحلول رمضان . وعليه في هذه الحالة اعادة صوم ما أفطر من أيامه . وقد كان بدء رمضان سنة ١٣٥٣ الهجرية يوم السبت الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٣٤ وفي هذه السنة (١٣٥٤) يوم الاربعاء الموافق ٢٧ نوفبر سنة ١٩٣٥

ضعف الارادة

(سان باولو — البرازيل) ف . م

ما قولكم في رجل كريم المحتد يتاز على شرفه ولكنه ضعيف الارادة يدمن القمار فيصل آناء الليل بأطراف النهار وعلى أثر كل جلسة من جلسات القمار يندم ويقسم بأغلظ الايمان أنه لن يعود الى الميسر . وما هي الا عشية أوضحاها حتى يعود اليه ؟

(الهلال) هذا مثل من أمثلة ضعف الارادة . ولا علاقة لهذا الضعف بكرم المحتد او شرف الاصل فقد يكون اكثر الناس نبلا رجلا ضعيف الارادة مسلوب العزيمة . ولا نعرف علاجاً ناجعا لضعف الارادة سوى ابعاد الشخص المتصف بها من سبيل المغريات . والمغريات كثيرة في الحياة . ويقول بعض الاطباء انه من الممكن تقوية ارادة الانسان بواسطة الاستهواء والتنويم المغناطيسي بحيث يستطيع ان يتسلط ويتحكم بدلا من أن يخضع ويطيع

الاجهاد العقلي

(المنصورة — مصر) العوضي منصور مسلم

اذا واصلت القراءة ساعة أو اكثر شعرت بتعب عقلي عظيم . فاذا أويت الى فراشي غلبني النعاس ونمت . وكثيراً ما ارى في منامي صوراً وأشباحا مزعجة فأستيقظ وانا انتفض من الهلع . فما سبب هذا المرض ؟

(الهلال) هو اضطراب عصبي يجب استقصاء سببه الاصلي لكي تتسنى معالجته . واحسن دواء هو الراحة والعناية بالغذاء والهضم وتنظيم ساعات العمل والرياضة والابتعاد عن كل مايسبب الحزن والانزعاج وعلى كل يجدر بكم استشارة طبيب اخصائي

أعراض السرطان

(القاهرة — مصر) س . م

ما هي انواع السرطان واعراضه ؟ وهل تبدأ الآلام بعد ظهوره مباشرة ؟ وهل ينتقل بالعدوى ؟

(الهلال) تختلف اعراض السرطان باختلاف العضو الذي يظهر فيه . فقد يظهر في الاعضاء الداخلية كلها وفي العظام والجلد الخ . وانواع السرطان كثيرة، ولكن النوع ليس بالامر المهم وانما المهم هو طريقة العلاج الواجب اتباعها — اي استئصال السرطان بعملية جراحية او بالراديوم او بأشعة اكس — ولم يثبت حتى الآن ان السرطان ينتقل بالعدوى . ولا تبدأ آلامه بعد ظهوره مباشرة

أثر السياسة في أخلاق المجتمع

السياسة تنهض بأخلاق الأمم القوية

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

« .. هذا ما يحدث في الأمم القوية الخلق ، وهو الذي يجعل الحياة الديمقراطية فيها تبقى أبداً لا يستطيع أحد أن يعصف بها ، لان الذي يعصف بالحياة النيابية يجب أن يكون أقوى أيضاً من الامة نفسها . أما في الامم الضعيفة فأثر السياسة في الاخلاق يختلف ، بل يتفاوت عن أثرها في الامم القوية تفاوتا بينا .. »

في الحياة ألغاز يحار الناس في حلها . ومن الكتاب من ينفق مجهوداً غير قليل في محاولة حل هذه الألغاز . فأيهما أسبق في الحياة :الدجاجة ، أم البيضة ؟ .ولعل من ألغاز الحياة ما بين سياسة أمة من الامم وأخلاقها من تفاعل . فهل هي السياسة التي تؤثر في أخلاق الامة ؟ أو أن أخلاق الامة هي التي توجه سياستها ؟ وعندنا أن الامرين متلازمين تمام التلازم . وأن نظام الحكم في أمة من الامم والطريقة التي ينفذ بها هذا النظام ليس إلا ظاهرة من ظاهرات حياة الامة النفسية ، وبالتالي من ظاهرات أخلاقها . ومع ذلك فلطريقة الحكم في الامم اثر في أخلاق الجيل الذي يخضع لهذه الطريقة ، وفي الأجيال التي تتأثر به بطبيعة الحال

لما انتهت الحرب العظمى الماضية ، كانت الفكرة البلشفية التي استولت على نظام الحكم في روسيا تهدد أكثر ممالك أوربا . فكان لها أثرها في المانيا والنمسا وايطاليا واضحاً أكثر من وضوحه في فرنسا وانكلترا . وكانت الثورة تهدد هذه الدول وتقلب نظمها رأساً على عقب . إذ ذاك قام موسوليني في ايطاليا وجمع حوله أنصار رأيه في محاربة البلشفية من الفاشست وزحفوا على روما واستولوا على الحكم فيها وبدءوا يقيمون نظاماً جديداً غير النظام الديمقراطي التقليدي الذي كان معروفاً في ايطاليا الى يومئذ . ومن ذلك الوقت بدأت ايطاليا تتجه في حياتها كلها اتجاهاً جديداً ، وبدأ زعيمها موسوليني يضع لها مثلاً علياً ويغرس في نفوس أبنائها آمالاً لم تكن معروفة عندهم من قبل . بذلك بدأ الشعب الايطالي يحس لنفسه بمكانة في العالم غير المكانة المتواضعة التي كانت له قبل الحرب الكبرى وبعدها والى أن تولى موسوليني مقاليد الحكم فيه .ووجه هذا الشعور الجديد أخلاق الشعب الايطالي وجهة جديدة

حجبت ما كان فيها من ضعف وابرزت ما فيها من قوة وهيأت لايطاليا أسباب السؤدد ومكنتها من أن تقف وحدها بعد خمس عشرة سنة من بدء الحكم الفاشستى موقفاً حير العالم كله

ومثل ألمانيا ليس أقل إثارة للملاحظة من مثل ايطاليا . فهذه الامة التي خرجت هزيمة من الحرب الكبرى والتي أملى الحلفاء عليها في معاهدة فرساي ما أملوا ، قد استطاعت أن تسترد قوتها وكرامتها ومكانتها الدولية فى خمس عشرة سنة منذ انتهاء الحرب . هذا بينما بقيت دول غيرها محطمة هشيمة ضعيفة الرجاء في استرداد مكانتها، كل همها أن تتصل بدولة أخرى لتنقذها من المكانة التي هوت اليها

أفهى القدرة السياسية التى استطاعت أن تبلغ بايطاليا و بألمانيا هذا المبلغ بينا قعدت هذه القدرة بغيرها عن إدراك المكانة التى تطمع في إدراكها ؟ أم أن اخلاق هذه الشعوب هي التى مهدت للمقدرة السياسية السبيل ؟ في رأينا أن ثمة تلازما وثيقاً بين الامرين : بين الاخلاق والسياسة . وهذا التلازم يبدو واضحاً فى مثل آخر حديث بشكل أوثق اتصالا بهذين المثلين . ذلك مثل الامبراطورية البريطانية . فقد قيل عن هذه الامبراطورية أنها هرمت واصبحت غير قادرة على أن تعمل شيئاً اكثر من الدفاع عن كيانها دفاع الهرم المتدلى الى الفناء . فلما كانت المشكلة الدولية الأخيرة بين ايطاليا والحبشة ورأت انكلترا كيانها كامبراطورية مهدداً نهضت نهضة جديدة قوية تدل على أن حيويتها ماتزال قوية متوثبة . وقد دل الشعب الانكليزي بما أبداه فى مختلف أدوار هذه الازمة الاخيرة على أن ما عرف عنه من متانة خلقية وجلد قوى ما يزالان ذوى أثر فعال في حياته السياسية العامة

هذا التلازم بين السياسة وخلق المجتمع يجعل للسياسة فى الامم القوية الخلق اثراً يزيد خلقها قوة ، وفى الأمم الضعيفة الخلق أثراً يساير هذا الضعف حتى يغير الله ما بهذه الأمة من ضعف حين تغير ما بنفسها . وعلة ذلك بسيطة واضحة . فان الامم القوية الخلق هي التى يحكم فيها الرأى العام على الحاكم والمحكوم جميعاً . فيها تعتبر الحكومة وكيلة عن الشعب مأجورة على وكالتها ، فاذا هي حادت عن حدود الوكالة حاسبها الشعب على ذلك حساباً عسيراً بالثورة عليها و باسقاطها . والحكومة في مثل هذه الشعوب تعتبر الثورة حقاً من حقوق الشعب فهى تتفاداها بالنظم الديمقراطية . والحقيقة أن الانتخابات العامة التى تقيم حكومة وتسقط أخرى ليست إلا ثورة منظمة تصالح عليها الملوك مع شعوبهم فى الامم القوية الخلق . فبدل

أن تقوم الطوائف صاحبة النفوذ بحرب أهليـة تسقط الحكومة أو تنتهى بانتصار الحكومة و باذعان هذه الطوائف ، تواضع أهل هذه الامم الديمقراطية على تصوير هـذه الثورة بصورة أقرب ما يستطاع الى الهدوء . وهـذا هو ما دعا الى وصف الانتخابات بالحرب الانتخابيـة وبالمعارك الانتخابيـة . فهي فى الواقع حرب بين طائفتين أو عدة طوائف كل واحدة تريد الاستيلاء على الحكم والاستئثار بالامر . فاذا ما انتهت هذه المعارك بانتصار طائفة تولت الحكم كما لو كانت قد حدثت ثورة دموية بالعنف انتهت الى انتصار فريق وهزيمة فريق آخر

هذا ما يحدث في الامم القوية الخلق . وهو الذى يجعل الحياة الديمقراطية فيها تبقى أبداً ، لايستطيع أحد أن يعصف بها ، لأن الذي يعصف بالحياة النيابية يجب أن يكون أقوى أبداً من الأمة نفسها . أما في الامم الضعيفة فأثر السـياسة فى الاخلاق يختلف بل يتفاوت عن أثرها في الأمم القوية تفاوتاً بيناً . في الامم الضعيفة الخلق تعتبر الامة الحاكم سيداً لا وكيلاً مأجوراً . ولذلك تفشو في طوائفها اخلاق المحسوبية والمحاباة والرياء . فاذا قام من ابنائها أشخاص أقوياء الخلق اعتبروا الحاكم وكيلا عنهم وأرادوا محاسبته كوكيل فثار الحاكم عليهم، لم يجدوا النصير الذى يستطيع ان يمكنهم من التغلب على الحاكم ، بل رأوا على العكس من ذلك نظرات اللوم توجه اليهم على أنهم ارتكبوا وزراً يجب عليهم أن يؤدوا ثمنه وأن ينالهم جزاؤه

لما تحرجت الاحوال في مصر في آخر عهد المغفور له الخديو الأول اسماعيل باشا وازداد تداخل الدول بسبب الدين العام ، الفت الحكومة المصرية مجلس نواب اختير من سراة البلاد وأعيانها ليكون الى جانب الحكومة يعاونها في موقفها الدولى الدقيق . وآن لهذا المجلس أن يجتمع ووقف رئيسه يريد أن يضع التقاليد البرلمانية ، فكان من أول ما ذكره لنواب الامة أن يجلس المؤيدون منهم للحكومة فى مقاعد اليمين من المجلس، وأن يجلس معارضوها فى مقاعد اليسار . هنالك تزاحم النواب جميعاً بالمناكب الى مقاعد اليمين يريد كل واحد منهم أن يكون في أشد المقاعد تأييداً للحكومة . ولما سئلوا فى ذلك أنكروا أن يكون لحكومة الجناب العالى الخديوى معارضاً ، وأنهم جميعاً خدام الحكومة . هذه قصة يقرؤها المصرى ابن اليوم فيعجب . ولـكن عجبه لا يبلغ عجب الانكليزى اذا قرأها . فالانكليزى يخالف صاحبه في الرأى السـياسى مخالفـة صارخة . ويكون الواحد منهم محافظا من غلاة المحافظين والآخر

اشتراكياً من غلاة الاشتراكيين ، ثم لا يغير ذلك من علاقاتهم الشخصية ولا من صداقتهم، وقد يتناقشون وتبلغ بهم الحدة غايتها ثم لا يكون لذلك أي أثر في معاملاتهم لأن كل واحد منهم يؤمن بأن صاحبه يصدر عن عقيدة صادقة يعتبرها تحقق المصلحة العامة وإن أضرت بمصلحته الذاتية . وكفى بالمرء في الحياة فخاراً ألا يصدر فى أعماله إلا عن عقيدة وإيمان

إذا وجد في أمة ضعيفة عدد من أبنائها يصدرون في أعمالهم عن عقيدة وإيمان ولا يردهم إهدار مصالحهم عن المضى في العمل بعقيدتهم والدعوة إلى إعلانهم كان هؤلاء النواة التى تقوي من ضعف الامة وتمتن من خلقها . أما وقد ضربنا المثل بايطاليا في اول هذا الفصل ، فانه يجب أن نشير إلى ان عقيدة موسوليني وايمانه بها الى حد استعداده لتضحية حياته فى سبيلها هى التى نقلت ايطاليا من موقفها الذى كان يهدد وجودها بعد الحرب الماضية مباشرة الى الموقف الذى تقفه اليوم في السياسة والاخلاق . فالشخصية القوية تجتذب اليها من يؤمنون بمثل إيمانها وتدفع اليهم قوة وبأساً وتزيدهم ايماناً وثباتاً . وما دامت المثل العليا اكبر قدراً عند هؤلاء من الحياة ذاتها ، وما داموا يعرفون كيف يتمنون الموت صادقين في سبيل عقيدتهم وايمانهم ، فليس يسيراً ان تتغلب عليهم قوة من القوى

ونختم هذا البحث بالاشارة الى ما كان للمهاتما غاندي في الهند وفى العالم بأسره من اثر كبير في السياسة وفي الخلق جميعاً . فقد بلغ من امر هذا الاثر انه طور حياة الطوائف في الهند وطور علاقات انكلترا بها . ومن قبل ان يكون لغاندى هذا الاثر فى الهند كان له مثله واكبر منه في جنوبي افريقيا

من هذا كله يتضح ما بين السياسة والاخلاق من تلازم في الامم القوية وفي الامم الضعيفة ، وهذا التلازم هو الذي يدعو الى حيرة من يريدون ان يجعلوا للسياسة اثرها في الاخلاق ، وللأخلاق اثرها فى الحياة السياسية. والواقع ان فى هذه التفرقة كما في كثير من مثلها ما يدعو الى الوقوع فى الخطأ . اما ادراك ما بين الامرين من تلازم ، وادراك ما بينهما وبين الحياة الاقتصادية والعلمية ، والحياة العامة إجمالا من تلازم ، فهذا الذى ييسر الوقوف على الحقيقة فى حياة المجتمع

محمد حسين هيكل

فضيحة الاتجار بالنياشين

قضية زلزلت أركان الجمهورية الفرنسية

بقلم الأستاذ حسن الشريف

فى سنة ١٨٤٨ كان النائب جول جريفى يقترح على زملائه أعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية الغاء منصب رياسة الجمهورية قائلا فى أكثر ما يكون من الاقتناع وراحة الضمير : « إن هذا المنصب لا يفيد غير شاغله ولا يرضى أن يشغله غير طماع شره يريد أن يرضى نهمه بالمال وغروره بالجاه . وإن سياسياً ذا كرامة لا يقبل أن يتبوأ وظيفة يكون فيها مستهلكا غير منتج وعالة على الدولة والممول المسكين »

ولكن عقلية الرجل السياسى تتكيف وفقاً للظروف حتى لا يرى جناحا عليه أن يعتنق اليوم رأيا كان يحاربه بالامس ، ولا ان يناهض فى الغد فكرة يؤيدها اليوم . فما إن استقال الماريشال مكماهون سنة ١٨٧٩ حتى برز المسيو جول جريفى يرشح نفسه ليخلفه فى رياسة الجمهورية ، وأبت الاقدار إلا أن تشرك الناس معها فى سخريتها فانتخب الرجل للرياسة بأغلبية تقرب من الاجماع.

ويظهر أن المسيو جول جريفى استطاب الاقامة فى قصر الاليزيه واقتنع بأن رياسة الجمهورية منصب نافع ومفيد ، فلما انقضت السبع السنون المقدرة لمدة الرياسة عاد فرشح نفسه لها مرة ثانية فانتخب لسبع سنوات أخرى

والحق أن مسيو جول جريفى ــ بغض النظر عن رأيه القديم فى منصب الرياسة وتشبثه الجديد به ــ كان رجلا محترماً وجديراً بالاحترام . ولقد كان معاصروه يرون فيه الرئيس المعتدل الحازم الطاهر اليد العف الضمير ، ويوقنون أنهم اهتدوا إلى الرجل الصالح الذى ينبغى أن يظل فى وظيفته السامية حتى يختاره الله إلى جواره .

وكان الرئيس يشاطر معاصريه هذا الرأى فى شخصه ورياسته ويبيت مطمئن النفس هادىء البال يرفل فى حلل المنصب وينعم بخيراته وينظر إلى سماء الرياسة فلا يبصر بها سحباً تنذر

> هى قضية خطيرة زلزلت اركان الجمهورية الفرنسية . وحسبك أن تعلم أنها أثارت برلمانا ، وأسقطت وزارة ، واضطرت رئيس جمهورية الى الاستقالة ، وشغلت أمة بأسرها عن كل حادث سواها . ومع ذلك كله حكم ببراءة بطلها الاكبر ، وتاجرها الاشهر ، الذى اتخذ من قصر الاليزيه محلا لبضاعته وسوقا لرواج تجارته

بصيب ولا بطل ، فيحسب أن الحظ سيظل حليفه وأن الزمان سيبقى مواتيه

بيد أنه كان للرئيس صهر يساكنه في قصر الاليزيه وهو المسيو دانيال ويلسن زوج ابنته . وقد كان هذا الصهر أحد نواب الامة ووكيلا سابقاً لوزارة المالية ورجلا من رجال الاعمال وأصحاب المشروعات وصحفياً يملك عدة صحف تتفاوت في الأهمية وسعة الانتشار ، ولكنه كان في الوقت عينه من ذلك الصنف من السياسيين الذين يرون في المناصب الحكومية والنيابة الشعبية فرصاً للاستغلال لا يجوز تفويتها ، وسبلا للغنائم لا يحسن تجنبها ، وكان يعرف أن الفرصة ذات ذؤابة من الامام في حين أنها صلعاء من الخلف فاذا لم يقتنصها الانسان وهي مقبلة أفلتت منه إلى غير رجعة . لذلك كان طوال مدة رياسة حميه وطوال مدة وكالته للمالية وعضويته بمجلس النواب يقف في الطريق ليتصيد الفرص متى سنحت فينمى رأس ماله ويضخم ثروته التي كانت تناديه كل يوم : هل من مزيد ؟

واذا كان من الميسور ستر الفضائح في عهد الحكومات الملكية المطلقة إذ ليس فيها غير ملك واحد ، وهذا الملك يستطيع أن يسدل رداءه الواسع على كل شيء فيغطيه . فان هذا اليسر ينقلب عسراً في عهد الحكومات الجمهورية ، لأن فيها ملكا له الف رأس والف لسان وهو البرلمان ، ومن الصعب أن يتفق الف رأس على رأى واحد وأن يتفق الف لسان على كتمان شيء

ولقد شاع في أروقة مجلس النواب أن « حضرة الصهر » أو « صهر الدولة » كما كان يسميه ظرفاء باريس ، قد اختار لنفسه نوعاً من التجارة مضمون الربح والرواج وهو السعي لدى حميه ولدى الحكومة للانعام على الافراد بالنياشين مقابل رشوة يتقاضاها من المنعم عليهم عن كل نشان ، وانه فتح في قصر الاليزيه مكتباً لهذا الغرض يتردد عليه فيه السماسرة والوسطاء من رجال ونساء

وتخطت تلك الاشاعة أروقة البرلمان إلى الأوساط الصحفية فأشارت اليها احدى الصحف أول الامر تلميحاً ثم عادت فتناولتها ببعض التصريح . ولم يمض طويل زمن حتى كانت الاشاعة قد انطلقت من عقالها وغشيت المحافل والمنتديات ، فلم يبق للناس سمر غير « تجارة حضرة الصهر » ولم يبق للجمهور دعابة غير سؤال كل حامل نشان بكم اشتراه

ولكن من ذا الذي يجسر على الجهر باتهام « صهر الدولة » وصهر الدولة قوى لا يهاجم واذا هوجم فهو منيع لا يغلب ؟

نعم كان المسيو دانيال ويلسن قوياً بمركزه وجاهه النيابي منيعاً بمصاهرته لرئيس الجمهورية وكان صاحب الكلمة في كثير من الامور أو في معظمها ، حتى لقد كان لا يرى حرجا في أن يكتب إلى وزير الحربية فيقول : « انه لمما يهم الرئيس ويهمني أن يرقى الجنرال تيبودان إلى رتبة الفريق فأرجو أن تعد الوزارة اقتراحا بهذه الترقية » . . .

ولقد حاول بعض أصدقاء الرئيس جريفي أن يفتحوا عينيه ليبصر عمق الهوة التي يقذف به

فيها زوج ابنته بتصرفاته وعملياته المعيبة ، وليتدارك الفضيحة قبل أن تندلع ألسنتها ، ولكنه ظل يتعامى عن الواقع الملموس ويأبى أن يراقب صهره ، فيرى أن فى سراى الرياسة مكتبا حقيقيا منظما للاتجار بالنياشين تباع فيه طبقات نشان فرقة الشرف لمن يدفع الثمن

واستمرت الامور سائرة على هـذا المنوال سنين وسنين حتى كان عام ١٨٨٧ فتواترت الاشاعات واستفاضت الاخبار وتناولها الصحفيون باقلامهم والشعراء بمقطوعاتهم وناظمو الاغنية والاناشيد باغنيتهم وأناشيدهم ، وقد وضع أحدهم أنشودة مضحكة ظريفة عنوانها : « يا ويل من له صهر » سرعان ما تلقفتها الايدى واستظهرتها ذاكرات الجماهير فكانت تغنى فى الشوارع والمساهر وأمام قصر الرياسة وتحت نوافذ مجلسى الشيوخ والنواب

واذا كانت طبيعة الجمهور الفرنسى طبيعة ضحوكة مرحة تتناول كل شىء فى أوله بالدعابة والمزاح والمجون فانها لا تلبث اذا طال بها الأمر حتى تستشيط غضبا وينقلب غضبها ثورة لا تبقى على أى اعتبار . ولقد تبين أولو الرأى والزعماء البرلمانيون أن الامر جد خطير، وأن تلك الاغانى والدعابات انما هى مقدمات لانقلاب لا يعرف مداه وارادوا أن يتداركوا الحالة قبـل أن يستفحل خطرها ، فتوجهوا الى الرئيس جريفى ناصحين له بالاستقالة، ولكنه أبى فاعادوا عليه الكرة ملحين فلم يزدد إلا اصراراً وتأبيا ، فلم يجدوا وسيلة آخر الأمر إلا أن يسلكوا إلى الحل طريقه الرسمى الطبيعى بان يخرجوا المسألة من دائرة المقاهى والمنتديات الى دائرة البرلمان والقضاء

وكانت بعض عرائض قد رفعت الى مجلس النواب تتضمن اتهام دانيال ويلسن بالاتجار بالنياشين ، فانتهزتها الاحزاب فرصة لقضاء مختلف لباناتها ، وتناولها حزب الشمال المتطرف ليضرب بها الوزارة المعتدلة القائمة بالامر ، وتناولها الملوكيون ليطعنوا بها الحكم الجمهورى فى شخص رئيس الجمهورية . وارتقى جورج كليمنصو المنبر وأعمل لسانه فى الوزارة وظل يلهبها بمر النقد وجارح القول حتى انتزع من المجلس قراراً بعدم الثقة بها فاستقالت،ثم انهال على النواب يستثير حميتهم بالتهويل فى خطر الحالة وحرج الموقف حتى استصدر منهم قراراً بتشكيل لجنة برلمانية لتحقيق « فضائح قصر الاليزيه » وتشكلت اللجنة فعلا ولم تلبث أياما حتى رفعت تقريرها الى المجلس طالبة رفع الحصانة البرلمانية عن ويلسن فكان لها ما أرادت

استقالت الوزارة لكى لا تواجه التيار الجارف ولكن رئيس الجمهورية ظل متشبثاً بكرسيه متعلقاً بأستار القصر لا يريد أن يبارحه بل لا يريد أن يصدق شيئاً مما تهرف به ألسنة السوء والتى تحاول أن تنال من النظام الجمهورى بالنيل منه ومن زوج ابنته »

وتلقاء هذه الاستماتة العجيبة من رجل كان يعتبر رئيس الجمهورية شينقورا (Sinécure) لافائدة منه ، لم يجد مجلس النواب وسيلة لاكراهه على الاستقالة الا الحيلولة دون تشكيل وزارة

تخلف الوزارة المستقيلة ، ورفضت الاحزاب تأييد أى مرشح للحكم مالم يعتزل رئيس الجمهورية منصبه ، وانتهى الامر الى أن أصبح تأليف الوزارة شيئاً مستحيلا ولبثت البلاد بلاحكومة عدة أيام

وكان المسيو جريفي يعتمد على الزمن فى حل مشكلته ظنا منـه أن الايام قد تتيح له خلاصاً من موقفه العسير أو أن الخلاف الناشب بين أعضاء البرلمان على من يخلفه فى الرآسة قد ينتهى بهم الى استبقائه . ولكن الحوادث خيبت ظنه اذ مالبثت الاحزاب حتى اتفقت على اختيار المسيو سادى كارنو رئيسا للجمهورية ، فلم يسع جول جريفي الا أن يستقيل.

انتهت المأساة من ناحيتها السياسية عند هذا الحل،ولكن بقيت منها الناحية القضائية وهى الناحية المهمة التى ستكشف لنا عن بعض عجائب الحكم فى بلد كل شىء فيه عجيب !

ففى السادس من شهر اكتوبر سنة ١٨٨٧ استدعت النيابة العامة الجنرال كافاريل الذى كان يشغل منصب الوكيل لرئيس هيئة أركان الحرب للتحقيق معه فى تهمة تقاضيه رشوة مقابل الحصول على نشان فرقة الشرف لأحد رجال الاعمال . وقد دلت التحريات الأولى على وجاهة التهمة فاوقف عن تادية أعمال وظيفته وأودع السجن رهن التحقيق

وفى اليوم التالى استدعت النيابة العامة الجنرال داندلو عضو مجلس الشيوخ للتحقيق معه أيضاً فى مثل تلك التهمة ، ولكن الرجل كان قد اتخذ للطوارىء أهبتها ففر من فرنسا إلى ماوراء الحدود . ثم قبضت السلطات على بعض سيدات متهمات بالسمسرة فى بعض صفقات بيعت فيها نياشين ، وأهمهن امرأة تدعى مدام راتازى وأخرى تدعى مدام ليموزان

ولكن الرأى العام كان شديد الانتباه واليقظة لا يرتاح الى هذه الاجراءات الناقصة فكان يعلن بكافة ما يملك من وسائل الاعلان أن وراء هؤلاء الممثلين الثانويين بطلا هو صاحب الدور الاكبر وهو دانيال ويلسن صهر رئيس الجمهورية وأن هذا البطل لا يزال حراً طليقا يدبر وسائل تخليص أعوانه من يد القانون

وهب خصوم الحكم الجمهورى ــ وقد رأوا فى هذه الفضيحة ميدانا يصولون فيه ويجولون ــ يرمون الجمهورية بأشنع التهم ويلصقون بها أخزى الموبقات، وصار كتابهم يغمسون الاقلام فى مداد من ماء النار ويكيلون المعائب والمقابح هيلا وهيلمانا ويريشون السهام مسمومة الى صدر الجمهوريين. ونشطت الاحزاب فى أنديتها وانفكت الاحقاد من عقالها وانطلقت الحزازات والاغراض من الصدور تنادى بالويل وعظائم الامور ، حتى اضطرت السلطات الى القيام باجراء شكلى عله يهدىء الخواطر الثائرة فعمدت الى تفتيش بيت دانيال ويلسن . ولكن هذا الاجراء جاء متأخرا ، فلقد استطاع «صهر الدولة» بفضل تناوم الحكومة أو تعاميها أن ينقل معه من قصر الاليزيه الى بيته الجديد اثنين وعشرين الف ملف كانت تحتوى على وثائق تثبت عملياته المزرية وتجارته الشائنة ، وان يطهر تلك الملفات من هذه الوثائق الخطرة حتى اذا أفاقت السلطات من غيبوبتها وذهبت

تفتش بيته لم تجد فيه شيئاً يثبت تهمة أو ينهض دليلا على جريمة، فلم تر وجهاً للقبض عليه ولا لتوجيه أى سؤال اليه

وانعقدت محكمة الجنح للنظر فى قضية الجنرال كافاريل والجنرال داندلو وتوابعهما من الوسيطات واستعرضت سلسلة عجيبة الحلقات من شهود الاثبات . فتلك سيدة تدعى مدام كورثاى تشهد أنها استغلت نفوذ الجنرال كافاريل لدى « بعض الجهات . . » للحصول على نشان لأحد تجار الاحذية.. وهذا شخص اسمه بابل يدير نزلا للعائلات ويملك زريبة أنموذجية لتربية البقر وقد زين صدره بوسام فرقة الشرف من درجة فارس. وذلك شاب اسمه فيكا قد اخترع مسحوقا لابادة الحشرات وكوفىء على اختراعه بمثل ذلك الوسام . وهكذا يمر أمام المحكمة سبعة أو ثمانية أشخاص من هذا النوع وقد حصلوا على نياشينهم بفضل مساعى مدام رتازى أو مدام ليموزان لدى أحد القائدين وبفضل نفوذ القائدين لدى . . . احدى الجهات . . .

ويبدو شبح « صهر الدولة » وراء هؤلاء الوسطاء ولكن اسمه يظل مكتوما الى أن يفاجىء الرئيس مدام ليموزان بسؤالها عن مآل المبالغ التى قبضتها من زبائنها فتقول ان هذه المبالغ لم يكن لها فيها سوى أجر المناول وانها ناولتها لاشخاص آخرين . ويسألها من هم أولئك الاشخاص الاخرون فتتردد وتتلعثم ، ثم تقول فى سذاجة مضحكة : « لست أعرفهم . . . »

ويتقدم ديفور أحد الشهود فيقرر أن كل صفقاته تمت مع مدام ليموزان التى تتمتع بحق دخول قصر الاليزيه وقتما تشاء ثم يبرز كتابا منها اليه تقول فيه : « عندى نياشين بخمسين الف فرنك وأخرى باربعين الفا لمن يريد أن ينتظر ريثما انتهى من الطلبات المستعجلة . وليس من الضرورى أن يكون المرشح لفرقة الشرف قد أتى عملا يؤهله للانعام عليه بأوسمتها . بل يكفى انه لم يعمل شيئا يعوق هذا الانعام . . . »

ويسألها الرئيس رأيها فى هذا الكلام فتجيب فى صراحة وقحة : « وهل من ذنبى أن علامات الشرف تباع وتشرى فى هذا البلد ؟ والله يا سيدى الرئيس لو انك جئتنى قبل هذه القضية لفزت أنت أيضا بنشان . . . »

ثم يقف محاميها الاستاذ هابير ويلقى تصريحاً يقع وقع القنبلة فى وسط المحكمة فيقول : « ان موكلتى تقرر ان البوليس كان قد ضبط بمنزلها كتابين بخط المسيو دانيال ويلسن وأن هذين الكتابين بعد أن ظلا عدة أيام تحت يد مدير اقليم السين قد طرأ عليهما تغيير ، وبالحرى قد ابدلا بغيرهما وان الورق الذى كانا مكتوبين عليه يحمل فى أعلاه اسم مجلس النواب » . وتنزعج المحكمة كما ينزعج الجمهور من هذا التصريح وتستدعى فى الحال التاجر المتعهد بتوريد الادوات الكتابية إلى البرلمان، فيفحص الورق ويقرر أن الكتابين المعروضين أمام المحكمة يحملان تاريخ مايو ويونيو سنة ١٨٨٤

في حين أن الورق الذى كتبا عليه لم يخرج من مصنعه إلى السوق الا فى سبتمبر سنة ١٨٨٥ . ولم يكن لذلك غير معنى واحد وهو أن مدير اقليم السين أخفى الكتابين الاصليين لأنهما يتضمنان ما يثبت بعض التهم على دانيال ويلسن وأحل محلهما كتابين مفتعلين يحملان نفس التاريخ وقد طهرا من كل مايمس صهر الدولة

ويذهل الجمهور من هذه المفاجأة: فتصعد فى الجلسة عبارات الدهشة وأصوات الاستنكار ويصيح أحد النظارة قائلا : « الله الله ! مدير السين يزور ليجامل رئيس الجمهورية ... اذن فكل شيء فى هذه القضية تزوير فى تزوير » وترفع الجلسة وسط ضوضاء عالية وجلبة شاملة فتواجه مدام لموزان الجمهور وتصيح : « كيف يجيئون بى الى هنا ويتركون المجرم الحقيق ويلسن ؟ »

ولا تجد الحكومة بدأ من توسيع دائرة القضية فيصدر وزير الحقانية أمراً الى النائب العام بالتحقيق مع كل من تقوم حوله شبهة أيا كان مركزه أو مقامه فى الهيئة الاجتماعية . ويعتزل مدير السين ومدير ادارة الامن العام منصبيهما ويقدمان للمحاكمة ولكن يجيء قاضى الاحالة ويفاجيء الناس بقرار يقضى بأن لا وجه لاقامة الدعوى ، فيثور الرأى العام وتهيج أحزاب المعارضة وتنعى الصحافة الى الامة نزاهة الحكم ونزاهة القضاء

ثم يترافع المحامون عن مدام رتازى فيصرح واحد منهم فى غير ما مواربة ولا احتياط بأن المسيو دانيال ويلسن هو المسئول الاول عن كل تلك الفضائح والمستفيد الا كبر منها « اذ هو الذى زين لهذه المسكينة الانغماس فى حمأة السمسرة فى تجارة النياشين فكانت له بمثابة اليد التى تقبض الثمن بعد أن تساوم فيه » ويقدم دليلا جديداً على صحة نفس « صهر الدولة » وحقارة أطماعه فيبرز للمحكمة مكاتبات منه الى بعض عملائه فيتضح أنه كان يبصم غلاف هذه المكاتبات بخاتم قصر الرياسة ليقتصد ثمن طوابع البريد .. وهنا يصيح جمهور النظارة أيضاً قائلا : « الله الله ! »

وكأن العدالة ، وقد تباطأت كل هذا التباطؤ فى تناول تصرفات « صهر الدولة » بما تستحقه من العناية ، أرادت ان تعوض نفسها عما فات أو ان تهديء ثائرة الرأى العام ، فعمد قاضى التحقيق الى الاجراءات السريعة الحازمة بحيث لم يحل يوم ١٦ فبراير سنة ١٨٨٨ حتى كان المسيو دانيال ويلسن صهر رئيس الجمهورية ووكيل وزارة المالية السابق وعضو مجلس النواب ، جالساً فى قفص الاتهام أمام محكمة الجنح والى جانبيه اثنان من وسطائه : دوبراى وربودو

ويتضح من التحقيق أن كلا من هذين الوسيطين كان اذا تعارف بشخص من ذوى الوجاهة واليسار فاجأه قائلا : « ما هذا ؟ كيف لاتحمل لشاناً وأنت أحق من غيرك بشريط احمر يزين عروة سترتك ؟» ثم يصحبه الى القصر حيث يقابل « صهر الدولة » الذى لا يلبث حتى يقتنع بجدارة المرشح وأهليته لعضوية فرقة الشرف ، ولكنه يتعفف الى حين عن طلب الثمن مكتفياً بأن يلفت نظر

« الزبون » الجديد الى أن صحفه فى حاجة الى بعض المساعدة . أما المساومة فى قيمة هذه المساعدة وبالحرى فى ثمن الوسام فتروكة الى ريبودو أو دوبراى الذى يبدأ بأن يطلب مائتى الف فرنك ثم ينزل الى مائة وخمسين الفاً « نظراً لصعوبات الوقت الحاضر » ولا ينسى أن يفضى الى المشترى بأن هذا المبلغ لا يعتبر ثمناً للنشان لأن النياشين لا تباع وانما هو مساهمة لمساعدة صحف المسيو ويلسن ، وبما أن كشوف المرشحين لفرقة الشرف قد غصت بكثرة الاسماء فسيجتهد صهر رئيس الجمهورية فى لفت نظر رئيس الحكومة بصفة خاصة الى هذا الترشيح الجديد

ويجيء شاهد من أصحاب الاعمال اسمه كريسبان ويقرر أنه دفع لريبودو مائة وخمسين الف فرنك بعد أن حصل منـه على وعد بان يظهر اسمه فى أول قائمة من قوائم المنعم عليهم بنياشين فرقة الشرف ، ثم ظهرت الجريدة الرسمية ولم يجد اسمه بين أولئك السعداء فذهب اليه يسأله عن السبب فاجابه ريبودو فى اكثر ما يمكن من القحة والسماجة : « لقد اضطررنا فى آخر لحظة أن نحل غيرك فى مكانك لانه دفع ثلثمائة الف فرنك »

ويكشف التحقيق عن شخص آخر اسمه بيلوك انتهز فرصة عسر مالى كان حضرة الصهر يعانيه فقدم خمسين الف فرنك ونال بها وساماً وفاز بنشر صورته فى صدر احدى صحف ويلسن مذيلة بترجمة مطولة لحياته وبيان مسهب عن مؤهلاته وجدارته والخدم الكبرى التى اداها للبلاد

اما المدعو لوجران فكان أسعد الجميع حظاً اذ عرض ثلثمائة فرنك بمثابة اشتراك فى الجريدة ولكن صهر الدولة ابتسم وداعب لحيته الطويلة باصابعه الرقيقة وقال : « ارجو أن تضيف صفراً لتنتهى مسألتك » ، واضيف الصفر وانتهت المسألة . . .

بيد أن انظار الجمهور لم تكن لتقف على ريبودو تماماً الا لتنصرف الى بطل الرواية فتستقر عليه لترى مبلغ أثر تلك الصدمات الهائلة على نفسه . ولكن بطل الرواية كان يبدو هادئاً رزيناً رابط الجأش ثابت الجنان وان تكن هموم الثلاثة الاشهر الاخيرة قد أحنت هامته وقوست ظهره وصبغت شعره ولحيته بشيء من البياض . وكان يتلقى الاسئلة فيجيب عليها فى لهجة متزنة وبصوت رصين لا تصحبه حركات ولا اشارات سوى حركة أصابعه وهى تداعب لحيته المرسلة . فاذا ماسأله رئيس المحكمة رأيه فى العمليات المعزوة اليه نهض متثاقلا والقى فى اكثر ما يمكن من التؤدة والوقار هذا التصريح المدهش :

« لقد كنت دائماً أرى أن نياشين فرقة الشرف يجب أن تمنح لذوى الجدارة والاستحقاق لا لمن يتوسلون اليها بذوى النفوذ والجاه . ولكنى كنت ألاحظ أن هذه القاعدة الفاضلة لم تكن متبعة اكثر الاحيان، فكنت أحاول ان اعوض جهد الامكان مافوتته السياسة والاغراض على ذوى الاثر الحقيقى فى انهاض بلادى العزيزة أى على طبقة كبار الصناع والتجار ورجال الاعمـال . ولا

تنسوا أن فرنسا تعد الآن المعدات للمعرض الدولى الكبير الذى سيقام بباريس فى السنة القادمة، وانه لا يجوز أن يفد علينا صناع العالم وتجاره فيجدوا زملاءهم الفرنسيين محرومين من علامات الشرف والتقدير فيظنوا بحكومتنا الظنون ويتهموا الجمهورية بأنها تضن بهذه العلامات على رجال لهم أبلغ الاثر فى حياتنا القومية . ومن ذلك ترون أننى حاولت أن أكشف ظلماً وأرفع حيفاً لا أن أخدم مصالحى الشخصية »

وتهبط تلك الاقوال ثقيلة على سمع القضاء والجمهور فيبتسم البعض ويتأفف الآخرون، ولكن أحد النظارة لا يتمالك نفسه فيقف ويصيح : « كنت أحسب هذا الرجل سافلا فقط فاذا هو سافل وصفيق » ويحتد رئيس المحكمة ويأمر الحراس بطرد هذا المحنق المغيظ ، ولكن الرجل يشير اليه بيده مهدئا ويقول : « خل عنهم يا حضرة الرئيس فسأخرج بمحض رغبتى لأن نفسى لا تحتمل رؤية هذه الشناعات »

وتتخلل المأساة فصول مضحكة تسرى عن الجمهور بعض الكآبة والغم وترسل الابتسامة إلى شفاه القضاة . فيتقدم شاهد اسمه بول فيلير كان قد اخترع آلة حاسبة Comptomètre وعرضها على دوبراى الذى رأى فيها اختراعا عظيما يستحق تقدير الحكومة فاوعز اليه أن يدفع خمسة عشر الف فرنك لينال بها نشانا ، وظل يساومه حتى نزل بها الى ثلاثة آلاف . وهنا تخنق الشاهد العبرات فيقول فى لهجة تنم عن الاسى الشديد : « لقد ساومونى ولكنى لم أطلب نشانا ولم أدفع نقوداً ولم ينعم على بشىء ، بل كانت نتيجة هذه الصفقة أنى خسرت اختراعى اذ قدمت آلتى الحاسبة الى قصر الاليزيه، ويظهر انها اعجبت رئيس الجمهورية فاحتفظ بها لنفسه ولم يعدها الى حتى اليوم»

ولا ينتهى الجمهور من الضحك من هذا المخترع المسكين الا ليقهقه عندما يقرر الشاهد بيلوك : « اننا لم نتجر بالنياشين لأن النياشين على ما أعلم لا تباع وانما هى تمنح مقابل مبلغ معين من المال »

ويزداد موقف ويلسن حرجا عندما يبرز أحد الشهود للمحكمة كتابا أرسله اليه المدعو بونجرس من سماسرة صهر الدولة ، وقد جاء فيه : « إن مركزك فى عالم الصناعة والاعمال يؤهلك يا سيدى للانخراط فى سلك فرقة الشرف . نعم ان نياشين هذه الفرقة لا تباع ولكنها لا تمنح إلا بعد توصيات يقوم بها رجل من ذوى النفوذ فيقدمك الى الحكومة لافتا نظرها الى ما أديته للامة من خدمات . ولا إخالك تجهل أن مثل هذا المسعى يكلف صاحبه جهدا يستحق عليه مكافأة . ولا فرق فى اعتقادى بين هذه المكافاة والاتعاب التى تدفعها لمحاميك حتى ولو خسر قضيتك أو لطبيبك حتى ولولم يوفق الى شفائك . على اننا لا نستحل اتعابنا الا بعد نجاح مسعانا وأظن أن سوابقنا فى النجاح تحملك على الثقة بنا وتجعلك لا تتردد فى دفع المبلغ الزهيد الذى نطلبه والذى لا يتناسب فى الحقيقة ومركز وسيطنا العظيم . . . »

ويتلو النائب العام على المحكمة عينات من توصيات كتبها السمسار بونجرس الى المسيو دانيال ويلسن فاذا هو يوصى فى واحدة منها بعطار مجهول فيقول :

« إنى أقدم اليكم اسم أعظم صانع للروائح العطرية بل أعظم كيميائى فى هذه البلاد وإن فرنسا لتفخر بأمثاله وارى من العدل والواجب أن ينعم عليه بنشان فرقة الشرف من درجة فارس »

وفى توصية أخرى :

« لست أعرف فى العالم صانع قبعات أجدر بأن يكون فارساً فى فرقة الشرف من المسيو آمور الذى أقدمه اليكم بهذا الكتاب . وإن صناعة القبعات التى ظلت محرومة حتى اليوم من تقدير الدولة لممثليها الا كفاء تناديكم بأن تجعلوا للمسيو آمور حظاً من رعايتكم ومن عطف الحكومة الجمهورية »

وفى كتاب من دوبراى الى أحد ملتمسى الانعام :

« . . . إن على الحكومة أعباء يجب أن نتعاون على تخفيفها ونفقات يجب ان نساهم بقسط فيها . على أن هذه المساهمة وذلك التعاون لن يذهبا سدى ، بل سوف يتوجان بالانعام عليك بالنشان الذى تشتهيه . وإذا كان ألفان من الملتمسين قد سبقوك وقيدت اسماؤهم فى السجل ، ففى استطاعتنا أن ننقل اسمك الى مقدمة الكشف بحيث تصبح الثانى أو الثالث فيه ولا تطلع شمس العام الجديد حتى نراك من فرسان فرقة الشرف . . . »

وترافع النائب العام فانهال على دانيال ويلسن بلسانه الذرب وأصلاه وابلا من فصاحته المقذعة فرق أديم ماضيه وحاضره وأظهره للقضاء رجلا خرب الذمة قذر اليدين لا يعف عن السحت مهما خبث مصدره ، ولا يربأ بألقاب الشرف أن يهبط بها من عليائه الغرض الذى جعلت من أجله ليلوثها بالوحل والطين ثم يزين بها صدور رواد المنافع وهواة المظاهر ، ولا يتقى الله فى شرف نظام حكومى أكرمه ورفع من شأنه وآواه ، فعرض هذا النظام لابشع التهم وأسفل الظنون ، بل لم يتق الله فى سمعة حميه الشيخ الذى تدهور من مركزه السامى وراح ضحية حسن الظن بهذا الصهر التعس .

ثم قال : « . . . أى قيمة بقيت لأوسمة الشرف بعد أن صيرها هذا المنكود سلعة دلسة تدر الربح عليه وعلى وسطائه الذين تخيرهم من أحط الاوساط وأحقر البيئات وأباح لهم حرمة قصر الدولة يزاولون فيه واياه تجارة لم يكن ينقصها الا فرض ضريبة عليها لتكون من التجارات المعترف بها فى هذه البلاد ! ومن من أبناء هذا الجيل يستطيع أن يعتز بوسام يحمله وقد قر فى الاذهان أن هذه الاوسمة بضاعة كغيرها تباع وتشترى ؟ ومن من أبنائنا ينظر الى رسومنا ويرى على صدورنا نشاننا ولايسائل نفسه : هلا اشتراه أبى يوم كانت النياشين تباع فى سوق الدلالة بين جدران قصر الاليزيه ؟ أيها القضاة إن شرف الدولة وسمعة الحكم الجمهورى وكرامة الديمقراطية والآلاف المؤلفة من الابرياء الذين يحملون الاوسمة والنياشين عن استحقاق وجدارة ، ان كل أولئك يبتهلون اليكم أن لا تأخذكم

رحمة فى هذا الرجل الذى لم يبق على اعتبار من الاعتبارات السامية حتى صيرها كلأ يرتاده كل ذى مال وكل طماع أثيم ... »

ولقد استقبل ويلسن هذا السيل الجارف ساكناً لا تظهر عليه علامة من علامات الانفعال الا انقباض فكيه انقباضاً عصبياً لا يلحظه غير القريبين منه . فلما انتهى النائب العام من مرافعته كان قد أحاط المتهم بشبكة من أدلة الاتهام هيهات أن يفلت منها ، وأيقن الجمهور أن صهر الدولة قد غرق حتى قمة الرأس فى التهم المنسوبة اليه. والحق أن موقف الدفاع عنه لم يكن بالموقف الهين ، ولكن الاستاذ لانتيه — أكبر محام جنائى فى فرنسا فى ذلك الزمن — التى مرافعة لا يزال المحامون يستظهرونها حتى اليوم لسمو بلاغتها وسحر عبارتها ، فاستطاع أن يزيل كثيراً من الاثر السيء الذى خلفته مرافعة النيابة فى أذهان القضاة والجمهور . ولقد تناول البيئة السياسية الفرنسية فصور الفوضى الاخلاقية السائدة عليها وتلاشى التقاليد الصالحة منها واختلال موازين الحكم وانتشار المحسوبية والوساطة فيها، ثم وضع موكله فى تلك البيئة الفاسدة المفسدة وأبرزه رجلا ضعيفاً أصابته العدوى فتخلق بأخلاق العصر وسار سيرة أهله. ثم قال : « ولكم أن تحملوا موكلى نصيبه من هذا الوزر العام أما أن يحمل وحده أوزار عصر بأسره فظلم لا ترضاه ضمائركم الطاهرة » وسلط المحامى عينيه الواسعتين على القضاة وقال : « من منكم أيها السادة يستطيع أن يضع يده فوق ضميره ويؤكد أن النياشين فى فرنسا لا تمنح الا لذوى الجدارة والاستحقاق ؟ من منكم يستطيع ان يؤكد فى الوقت الذى يحرم منها العالم المتواضع فى مكتبه ، أنها لا تغدق فى سعة وسخاء على كبار الناخبين وأرباب الصحف والمشمولين برعاية ذوى النفوذ من أعضاء البرلمان ؟ » وتناول لانتيه الضجة التى أثارتها الاحقاد والشهوات حول ويلسن وصهره الكبير وناشد المحكمة أن لا يكون لهذه الضجة أثر فى تكوين عقيدتهم وقال : « ان ذلك التطاحن الحزبى الممقوت يجب أن يتلاشى أو يرتد عند باب هذا الحرم المقدس كما تتلاشى الموجة أو ترتد عند الشاطىء الصخرى المنيع . ان الصحافة تهددكم ولا تتورع أن تكتب بالخط العريض قائلة : « ليحذر القضاة فنحن قضاة القضاة » ولكنه تهديد وقح أجوف لن يجد سبيله الى شجاعتكم ولا أثره إلى ضمائركم . ولعمرى اذا جاز لكم أن تفكروا فى الظروف المحيطة بهذه القضية ففكروا فى ذلك الشيخ الجليل الوقور الذى طالما مثل فرنسا خير تمثيل وطالما كرمه ملوك أوربا خير تكريم . فكروا فى هذا الشيخ الذى طردته من قصر الرياسة هذه القضية وما لابسها من ثورة النفوس وانطلاق الحزازات من الصدور ، فكروا فيه فهو ينتظر براءته وبراءة ابنته وبراءة حفيديه من الكلمة التى ستنطقونها الآن »

وأصدرت المحكمة حكمها فى الثانى من شهر مارس سنة ١٨٨٨ فاذا هو يقضى بسجن ويلسن لمدة سنتين مع حرمانه حقوقه السياسية لمدة خمس سنين ، وبالسجن لمدد مختلفة على باقى المتهمين .

بيد أن صهر الدولة لم يكن ليرتاح الى هذه النتيجة فاستأنف الحكم راجياً أن يكون أسعد حظاً أمام القضاء العالى الذى لا تطرح المسألة أمامه إلا من ناحيتها القانونية . ولشد ما كانت دهشة الرأى العالمى ، بل لشد ما كان سخطه عندما أصدر هذا القضاء العالى حكمه ببراءة دانيال ويلسن قائلا : إن التهم المعزوة اليه لا تقع تحت طائلة القانون . .

ولقد هاجت الصحافة وهاج الرأى العام وأخذا هذا الحكم بأقسى النقد وأمر التشنيع. وعادت الاغنية والاناشيد تتناول صهر الدولة ومحاباة القضاء بمقطوعات فكهة تنشد فى المقاهى والمسارح والطرقات . ولم يخفف عن الناس وقع تلك البراءة إلا علمهم أن الرجل قد ضاع فى فضيحته الى غير رجعة وأن حياته السياسية قد انتهت وانه سيظل مغموراً فى الظلام الموحش حتى يموت

ولكن دانيال ويلسون كان أصفق من أن يدارى فضيحته بالانزواء عن العالم ولو الى حين ، فظل متربعاً فوق مقعده فى مجلس النواب حتى أذا انتهت مدة نيابته كان الناخبون قد تناسوا كل شيء فأعادوا انتخابه نائباً عن الامة بأكثرية تقرب من الاجماع .

ومن يدرى ؟! فلعل أولئك الناخبين لم يريدوا أن يفرطوا فى هذا النائب المنبع الذى قصرت عنه يد العدالة والقانون ؟!

حسن الشريف

• انى اخشى المرأة ولا أريد أن اوغر صدور النساء على . ولن اقول عنهن الحقيقة الا بعد أن اضع احدى قدمى فى القبر (تولستوى)

• بين النساء كثيرات ممن لا يملن الى تعذيب طائفة من الرجال ، بل يكتفين بتعذيب رجل واحد . وأولئك النساء نسميهم نحن الرجال : النساء المخلصات

(الفريد كابوس)

بين الأدب والعلم

على أطلال طروادة

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

لقد يكون هنالك موضوعات علمية خالصة ، يتحاماها الادب ، ويتنكب عن طريقها الاديب ومن الموضوعات الادبية ماهو خالص للادب ، فلا يتناوله العلماء بالبحث والاستقصاء ولكن إلى جانب هذا وذاك موضوعات قد عالجها الادب وخلع عليها حلله ، فكساها رواء وبهاء ، وأفاض عليها العلم من ضيائه ، فانار من ظلماتها ، وأظهر كامن أسرارها . موضوعات مشتركة لم ير الادباء مانعاً يحول بينهم وبينها . كما أحس العلماء دافعا يدفعهم نحوها

وقد نجد بين العلماء والادباء أحيانا أفراداً افذاذاً رزقوا شيئا كثيراً من الجرأة والاقدام فلم يتهيبوا أن يردوا الحوض الممنوع ، فاغار العالم منهم على حمى الادب ، يعالجه بالوسائل العلمية من بحث وفحص وتدقيق وتحليل . وهجم الاديب على حمى العلم فجعل من حقائقه ونظرياته شعراً رائعاً وخيالا شائقا . وهكذا استطاع أرسطو الذى لم يكن أديباً ولا شاعرا أن يؤلف فى الشعر كتاباً اتبع فيه السبل العلمية ، من دقة البحث والامعان فى التحليل والتزام المنطق التزاما قد يراه اكثر الناس مما لا يتفق وطبيعة الموضوع . ويقول لنا الذين درسوا كتبه دراسة عميقة ان أرسطو اتبع فى كتابه فى الشعر الاسلوب العلمى الخالص ، كأنما كان يبحث ضربا من أنواع النبات أو الحيوان

ويقابل هذا مانراه من نزعات كثيرة من الكتاب والشعراء المثقفين أن يدخلوا فى أدبهم شيئا من نظريات العلم وحقائقه . وقد جلس المتنبى الى ممدوحه ينشده ، فلم يجد بأسا فى أن يتذكر ولياء دروس الجغرافيا فيزعم أن ممدوحه

كالبحر يقذف للقريب جواهراً   جودا ويبعث للبعيد سحائبا

أو بقوله له :

تكسب الشمس منك النور طالعة   كما تكسب منها نوره القمر

أو تدركه النوبة الكيمياوية فيقول وهو يرثى :

تبخل ايدينا بأرواحنا   على زمان هي من كسبه

فهذه الارواح من جوه   وهذه الاجسام من تربه

وكانا بأبى العلاء وقد عز عليه ألا يعلم الناس انه ملم بمبادىء الفلك والجغرافيا فجعل يقول :

ثلاثة أيام هى الدهر كله وما هن غير اليوم والأمس والغد
وما البدر الا واحد غير انه يغيب فيأتى بالضياء المجدد
فلا تحسب الأقمار خلقا كثيرة فجملتها من نير متردد

وتروى لابن سينا قصيدة طريفة فى موضوع فلسفى خطير وهو الروح . وفى الادب اللاتينى أمثلة رائعة لموضوعات علمية قد نظمت شعراً بديعا، ومن أشهرها المنظومة الشهيرة للشاعر لوكريتيوس Lucretius وموضوعها فى طبيعة الاشياء De rerum natura وقد عالج فيها الشاعر موضوعات فلسفية دقيقة بيراع الاديب البارع

وبين الادباء المجددين فى زماننا هذا غير واحد ممن لا يترددون فى مؤلفاتهم الادبية الخالصة أن يعالجوا موضوعات علمية بحتة . ومن أشهرهم الكاتب الانكليزى ه . ج . ولز . والكاتب الارلندى ج . برنارد شو . ومن ذا الذى يجرؤ أن يقول لهذين العلمين النابهين أن يتركا العلم للعلماء وان يلزما حدود الأدب . . . ؟

والحقيقة أن من حسن حظ العلم والادب جميعا أن يكون كل مشتغل بالادب ضارباً فى العلم بسهم . وكل مشتغل بالعلم قادراً على تذوق الادب والاستمتاع به . ولعل أجل شىء يستطيع أن يرق بادبنا المصرى اليوم أن يعنى اصحابه بالا يحرموا أنفسهم ذلك الغذاء الدسم الذى يصيبونه فى الثقافة العلمية القوية التى تفتح أمامهم سبلا جديدة غير محدودة المدى

وليس فى عالم الثقافة أدعى للرثاء والشفقة من ذلك الكائن المحروم . الذى التزم فى العلم أو فى الادب ركناً ضيقاً حرجا . وقد قصر عليه سمعه وبصره وعقله . لا ينفذ منه قيد شعرة الى ما وراءه من عالم فسيح ، وجنان قطوفها دانية وأنهارها جارية متدفقة

وبعد فقد طال هذا التمهيد أكثر مما ينبغى له أن يطول ، وإنما الذى يعنينا الآن أن نرى أن بين الموضوعات الشائقة ما قد يتناوله العلم والادب ، ويأتى فيه كل منهما بالمعجب المطرب . وموضوع طروادة وحروب طروادة من الموضوعات التى طالما شجت وأطربت حين تتلى فيها قصائد هوميروس وسير الابطال والآلهة العظام . وهو أيضاً موضوع شائق معجب إذا تناوله طالب العلم بالشرح والتفسير والبحث الجغرافى الدقيق . وفى وسع القارىء اللبق أن يطرب للنغمتين ، وأن يرد الحوضين ويستعذب الكأسين . ويجد فى كل منهما لذة سائغة وغذاء نافعاً للعقل والروح . والذى يكتفى باحدى الكأسين لن يصيب فيها الشفاء كله ولا الفائدة كلها . .

وقد تحدث الاستاذ الدكتور طه حسين فى مقالة له عن شخص لم ترقه الاشارة الى طروادة التى جاءت فى آخر مقال (عنق الدولة) فى هلال الشهر الماضى . وكانت تلك الاشارة ذات صبغة علمية . فجعل هذا الشخص يحتسى كؤوس الادب كأساً بعد كأس ، ويتناول من الالياذة قدحا فى

اثر قدح . لكى يمحو بهذه الـكؤوس الادبية ما أثرته تلك الاشارة العلمية الصغيرة . وليس من شك فى أن هذا الشخص كان مسرفا فى نزعته هذه . بل أكبر الظن أنها نزعة عارضة ، سببها زكام طارىء أو برد نازل مما قد يصيب الناس فى هذه الايام . ولو أنه صادف تلك الاشارة وهو صحيح الجسم سليم المزاج لاستطاع أن يجد فيها قليلا من البهار العلمى يساعده على أن يستمرىء كأسه الادبية الخالصة

هذا ومع أننا لا نتردد فى أن نعتذر الى هذا الشخص الكريم عن أية إشارة جارحة قد وجهت عفواً وعن حسن قصد الى هيلانة طروادة وعيونها الساحرة ، فان فى النفس أملا أن يكون حضرته قد عوفى اليوم مما ألم به من برد أو زكام فيستطيع أن يسير معنا مرة أخرى لكى نستطلع أمر طروادة ، وأن يقف وإيانا على أطلالها مليا

☆☆☆

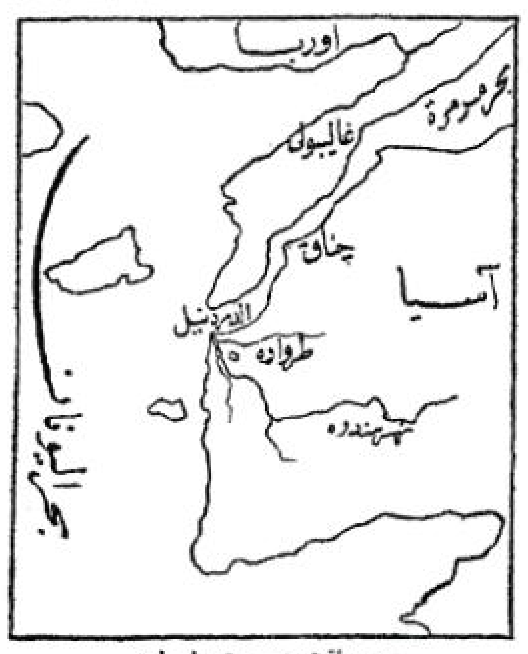
قلما وجد فى ميدان الثقافة البشرية موضوع تعاون فيه الادب والعلم أصدق التعاون مثل موضوع طروادة وحروبها . فان ملحمة هوميروس بمكانتها الادبية الهائلة هى بلا ريب التى دفعت الباحثين الى التفتيش عن آثار طروادة التى أثارت كل هـذه الضجة . ولا شك فى أن قصائد هوميروس قد اكتسبت هى أيضـاً قوة جديدة يوم وفق الباحثون الى العثور على اطلال تلك المدينة الخالدة الذكر

ولم يضعف من تأثير تلك القصائد أن رأى الناس كيف كشف البحث عن اطلال تسع مدن بعضها ذو خطر ، وبعضها قليل الخطر وكل منها قد قامت على أنقاض سابقتها . وأبرقت أسارير العلم والادب معاً يوم رأى الناس فى المدينة السادسة شواهد لا تجحد على أنها هى التى هاجتها جموع الاغريق قبل الميلاد بنحو اثنى عشر قرنا ، والتى كانت مسرحا لحوادث الالياذة

لم تكن إذن قصة الالياذة محض خرافة ، برغم ما يحيط بهـا من أحاديث الآلهة ومن أمور كثيرة خارقة لسنن الطبيعة . بل ان لها أساساً فى التاريخ وفى العلم يزيد جمالها قوة وتأثيرها شدة

والحقائق العلمية التى تحيط بموضوع طروادة لا تقل خطراً ولا لذة عن تلك القصائد الهوميرية الرائعة . فلقد استطاع شليمان Schliemann ودوربفلد Dorpfeld فى أواخر القرن الماضى ، أن يكشفا عن موقع مدينة طروادة بصورة لم يبق معها مجال للشك . وبات من السهل مقارنة هـذا الموقع بالاشارات الكثيرة التى تدل عليه فى الالياذة . وبات من المؤكد أنه حيث يوجد اليوم موضع يدعى حصارلق ، كانت تقوم فى الماضى طروادة حارسة الدردنيل

ولكن الامر الذى لم يكن متوقعاً هو أن تكون الاطلال هنا بقايا عدة مدن لا مدينة واحدة . وبديهى ان هذا يرجع الى أن الموقع شديد الخطر جليل الشأن ؛ فان حصارلق الثانية قد أحرقت



خريطة توضح موقع طروادة

أيضاً ودمرت . ومع ذلك عاد الناس الى تشييد قرية بعد قرية فوق الاطلال البالية . حتى شيدت حصارلق السادسة وهى أشهرها جميعاً . . وقد اكتسبت طروادة هذه المكانة الهائلة بحكم موقعها من الدردنيل (الهلسبنت) . فهى آستانة الزمن القديم . وما أجدرها وهى تحتل ذلك الموقع العظيم أن تنعم وتشقى بما تجلبه العظمة من سعادة وشقاء !

فى الطرف الغربى من مضيق الدردنيل فى الناحية الأسيوية يجرى نهر كان القدماء يسمونه « Skamander » ويدعى اليوم نهر مندره ، وهو يجرى فى واد صغير لكنه عميق وقبل أن يبلغ هذا النهر ساحل البحر يرى على جانبه الايمن كثيب مرتفع قليلا عن السهول التى تحيط به ، بحيث يشرف على الدردنيل الاشراف كله دون أن يكون ملاصقاً له . فهو فى مأمن من أن تغير عليه السفن فجاة . غير أن السفن المارة ليست آمنة أن يغير عليها سكانه . ومثل هذا الكثيب إذا أجيد تحصينه كان قلعة منيعة ليس من السهل اخضاعها

من فوق هـذا الكثيب قامت على التوالى بلدان عدة ويرجع أقدمها الى الالف الثالث قبل الميلاد . وثانية هذه المدن أحرقت وخربت حوالى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ... ليس بالشيء الغريب فى تاريخ الانسان أن تحرق مدينة وتخرب وتدمر . ولكن تكرار المأساة فى موضع واحد مراراً عديدة هو الذى يحملنا على التساؤل عن السبب الخاص ، الذى استحقت من أجله تلك البلدة حتى فى ذلك الزمن البعيد ، ان تحرق وتخرب ! إن الحوادث التى حاقت بطروادة قديما ترجع الى العصور السابقة للتاريخ . ولـكننا نعرف ماحدث فى العصور التاريخية لمدينة بيزنطه على البسفور خليفة طروادة ، التى كانت من غير شك تلعب دوراً مماثلا لدورها

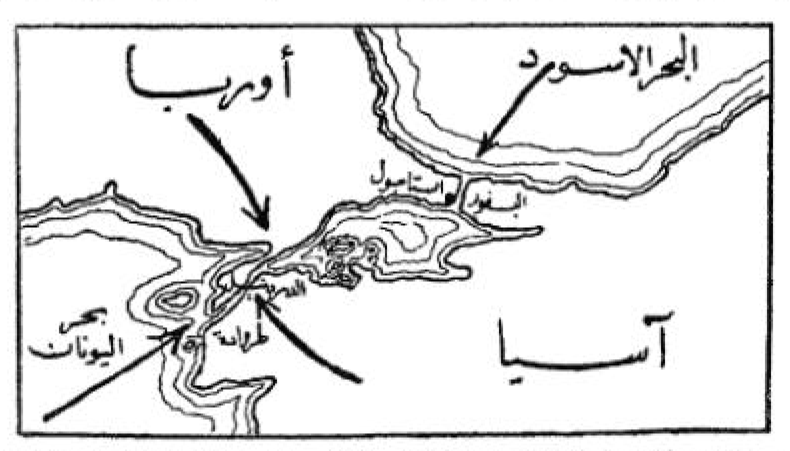
ان طروادة بوقوفها فوق ذلك الكثيب فى طرف آسيا المطل على اوربا ، وبمراقبتها السفن حين تجرى بين بحر اليونان والبحر الأسود ، فى منزل تحسد عليه ، جدير بأن يبعث فى القلوب طمعاً فى حيازته والاستئثار به . ولكن لم يكن هذا كل شيء . فان المدينة المشرفة من فوق هذا الكثيب

ترقب السفن حين تغدو وتروح ، ويمر بها المسافرون إلى اوربا والقادمون من اوربا ، لا بد لها أن تجنى فائدة عظيمة وربحاً وفيراً ، اما بفرض ضريبة على عابرى هذه السبيل ، أو بالسطو والاستيلاء عنوة على ما قد يكون لديهم من متاع . ومن الممكن لمن بيده مفتاح هذه الطرق الخطيرة أن يحسن الانتفاع بهذا الموقع ، فلا يجبى من الاتاوة الا أقلها ، فى نظير خدمات تؤدى للسفن ولعابرى السبيل . ولكن الادنى إلى العقل أن يسيء القوم استخدام ما رزقوه من المكان المتاز المنيع ، فيجعلوه وسيلة لارهاق المارة وظلمهم ، بل ولنهبهم عنوة وسلبهم

وأياً كانت الطريقة التى سلكتها طروادة نحو الذين أوقعهم حظهم فى يدها ، وسواء اتبعت نحوهم سبيل العدل أو الجور ، فانها فى كلا الحالين قد استطاعت من غير شك أن تحوز ثروة طائلة وان تغدو ،لهذا وحده ،مطمح الأنظار ، وبغية الطامعين . سواء أ كان ذلك لعتوها وظلمها ، أو لثروتها وأموالها

وهكذا تعرضت حصارلق الثانية فى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد للتدمير والاحراق ... ولئن كنا لا نعرف تماما من الذين أحرقوها وخربوها فى ذلك الزمن البعيد ، فاننا نستطيع أن نرجح انهم فى الغـالب جماعات أتت من الشمال من حوض نهر الطونة أو من ورائه من أولئك القبائل البربرية ، التى كانت تسكن سهول روسيا الجنوبية فى ذلك الزمن

وكذلك تعرضت طروادة (حصارلق السادسة) لنقمة الأغريق وشرهم الوبيل . وليس بالشيء المستحيل أن يكون اختطاف هيلانة ذريعة تذرع بها الأغريق لأن يثيروا حربا شعواء على اعدائهم . وليس لدينا وسيلة لتحقيق هذا الامر والقطع فيه برأى . ولكن ليس من شك فى أن هذه الذريعة ــ ان صحت ــ لم تكن السبب الاكبر المتأصل الباعث على الحرب ، بل السبب الحقيقى القوى الذى تفرضه الطبيعة ويفرضه العقل هو أن طروادة كانت كالشجا القائم فى الحلق ، تحول بين سفن



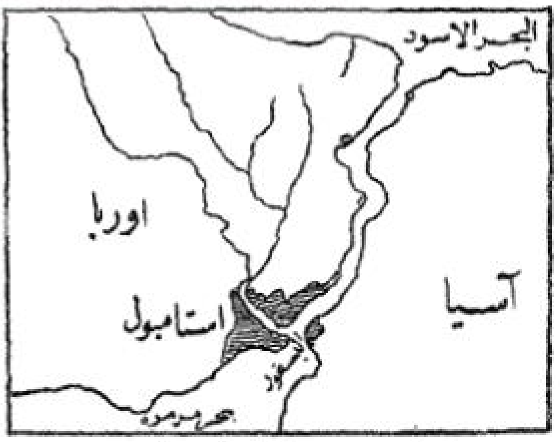
خريطة توضح كيفية التقاء طرق المواصلات البرية والبحرية في مضيق الدردنيل والبسفور

الاغريق وبين حرية الحركة ، اذا أرادوا الانتقال بين بحر اليونان والبحر الاسود

فى ذلك الزمن البعيد كان الدردنيل أجل خطراً من البسفور . وهذه نقطة تحتاج شيئاً من الايضاح . فالشعوب التى كانت تعيش حول البحر الاسود لم تكن قد بلغت فى الثقافة منزلة ذات شأن ولم تكن لهم مآرب تجارية أو استعمارية تستحثهم على الخروج إلى ماوراء هذا البحر . ولم تكن لهم أساطيل ذات شأن كما كان للاغريق . بل الراجح انها كانت شعوبا برية حياتها مركزة فى السهول التى تحيط بالبحر الاسود . بل لعلهم كانوا ينفرون من السفن وماتجلبه . (انظر كيف كان ملك طاوريس يقتل كل اغريقى يطأ سواحل بلاده فى قصة ايفيجنيا) فكانت حركة السفن من بحر إيجه الى البحر الاسود هى الحركة الخطيرة الهامة ، وكان لابد للمدينة التى تبغى التحكم فى هذا الطريق أن تكون مطلة على الطرف الغربى للدردنيل . وهكذا وقفت طروادة بالمرصاد لكل سفينة تبغى الذهاب الى البحر الاسود

وبعد أن اديل من طروادة ، واتسعت فتوح الاغريق . وعم استعمارهم سواحل الاناضول . لم تبق للدردنيل تلك الميزة الكبرى على البسفور . وظهر لليونان ما لموقع بزنطه الخطير من الفضل والرجحان . خصوصاً وان بجانبها ذلك الخليج العميق الهادىء — المسمى الان قرن الذهب — بحيث اصبحت مرفأ للسفن منقطع النظير ، وملتقى للتجارة الصاعدة فى البحر الاسود والنازلة منه ، وباتت متحكمة فى هذا الطريق الضيق بصورة اشد واقوى من تحكم طروادة فى زمانها

وهكذا علا نجم بيزنطه ، التى أسست فى القرن السابع قبل الميلاد بواسطة الاغريق أنفسهم . وأخذت تزداد شهرة وقوة ، وثروة وعزة ، ويوشك الا يكون فى العالم كله مدينة لها مثل هذا الموقع البديع . أما طروادة فقد اضمحل شأنها على مضى القرون فلم يبق من آثارها سوى اطلال حصاراق ، شاهدة على ذلك الماضى المجيد



خريطة توضح موقع استامبول على البسفور

كانت طروادة مدينة أسيوية ، ولم يكن الاسيويون من رجال البحر ، ولهذا كانت طروادة بعيدة عن البحر بخمسة كيلو مترات . أما بيزنطه فمدينة اغريقية . والاغريق رجال ملاحة وأصحاب سفن وتجارة . ولذلك كان لا بد للمدينة التى أسسها

الاغريق لسكى تتحكم فى طريق المضايق ، أن تكون مرفأ على الساحل لا بلداً فى الداخل . ومن العجيب أن تاريخ بيزنطه لم يكن سوى حديث معادلتاريخ طروادة ، غير انا نعلم عنه بالطبع اكثر مما علمنا من أمر الطرواديين . فقد ظلت بيزنطه تعلو وتهبط وتسعد وتشقى ، وتغير ويغار عليها . وتختلف عليها احداث الزمان حتى جاء العصر الرومانى وخلفتها الاستانة

وبعد . فان هذين المضيقين : البسفور والدردنيل قد رزقا من الخصائص ما يجعلهما ظاهرة جغرافية منقطعة النظير . ففى العالم مضايق كثيرة أخرى ، وبعضها كبير الاهمية . ولكن من الصعب أن نجد فى العالم طريقا ضيقاً عميقاً كهذا يقترب عن جانبيه اليابس ، حتى تكاد أوربا وآسيا تتلامسان . لولا هذا الخندق الطبيعى الضيق العميق ، الذى يفصل قارتين ، ويصل بحرين كل منهما على جانب عظيم من الخطر

لقد كان البسفور والدردنيل وسيلة لانقاذ البحر الاسود من أن يكون كأخيه بحر قزوين بحراً مغلقا لا سبيل اليه . منقطعا عن العالم . والاتصال بالعالم هو بلا شك نعمة ، حتى ولو حولها الخلق البشرى احيانا الى نقمة وعذاب اليم . وضيق هذا الطريق مع عمقه من أغرب خصائصه فان الدردنيل والبسفور فى أضيق جزء من مجراهما لا تزيد سعة كل منهما عن ثمانمائة متر بحيث يغدو من السهل اغلاق هذا الباب العظيم الخطر ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل

وقصة هذا الطريق الجيولوجية قصة طريفة . فلقد كان معظم البحر الاسود ، فى عصر جيولوجى ليس بالبعيد ، أرضا يابسة تجرى فيها الانهار . واستطاع أحد هذه الانهار أن يشق لنفسه وادياً عميقاً بين الاراضى التى ندعوها اليوم الاناضول والبلقان . ولم تلبث هذه الحال أن تغيرت . فان البحر الابيض المتوسط أخذ حوضه يتسع ، وانخفضت الارض ما بين الاناضول والبلقان فغمرتها المياه ، وتكون بحر إيجه . ولم تزل مياه البحر تجور على اليابس الهابط وتمتد حتى بلغت الدردنيل ومرمرة والبسفور ثم ملأت البحر الاسود وغمرته ، وأصبحت الحال كما نشاهدها اليوم . فالطريق ضيق كمجرى الانهار ، عميق كأنما حفره نهر سريع غزير المياه قوى الانحدار . وليس هذا الطريق بحاجة إلى اصلاح أو تمهيد أو تعبيد . بل لقد حبته الطبيعة برغم ضيقه بكل ما تطلبه السفن السالكة من سهولة وعمق . ومع أن هنالك تياراً يجرى من البحر الاسود إلى البحر الابيض لكنه ليس خطراً فى الظروف العادية

وقد استطاع الانسان أن يجعل من هذه النعمة الخالصة ، نقمة شديدة . وبدلا من أن يكون هذا الطريق جالباً للسعادة والتجارة والثروة ، أمكن للانسان أن يجعله مثاراً للنزاع والقتل وسفك الدماء . وهذه المصادفة الطبيعية العجيبة ، التى أوجدت مخرجا لتجارة عشرات الملايين من الناس ، قد أصبحت وسيلة لشحذ غرار المطامع واثارة حروب وفتن لا تنتهى . ولقد رأينا فى العصور

الحديثة جداً كيف عاشت روسيا قرونا وهي تحلم بانتزاع هذه المضايق من يد الاتراك. وكيف أثارت من أجلها الحروب الشعواء . ثم كيف وقفت دول عدة أمام روسيا تردها عن امتلاك هذا الطريق الخطير وتأبى عليها أن تكون لها أساطيل فى البحر الاسود كى لا تهدده بسوء . ثم رأينا فى الحرب الكبرى وما بعدها التكالب المدهش على امتلاك هذه المضايق . وكيف انتهى ببقائها فى أيدى أصحابها ، على شرط هدم حصونها وبقائها عزلاء من كل سلاح ، والسماح لجميع السفن الحربية بالمضى فيها كما تشاء

أجل ، وانه لجرىء جداً من يستطيع أن يزعم بان هذه الحال الجديدة لها من الدوام والاستقرار اكثر مما للاحوال السالفة. وان المستقبل لا يطوى فى ثناياه تقلبات لا تقل خطرا عما انطوى عليه الماضى

حقا ان عينى هيلانة لم تفقدا سحرهما على مدى القرون ، بل ازداد لعبهما بالألباب قوة وشدة وازداد الناس بهما افتتانا وهياما !

محمد عوض محمد



كلمات

مما أقره مجمع اللغة العربية الملكى

(الصرح) ــ بيت واحد منفرداً ضخما طويلا فى السماء . يطلق على ما يعرف بناطحات السحاب

(الطبقة) ــ تطلق على ما يسمى بالدور

(الشقة) ــ بفتح الشين وكسرها . اختيرت لتطلق على كل جزء مستقل من اجزاء البيت

(البهو) ــ رأى المجمع أن تستعمل لقاعة الاستقبال الكبيرة

(السرداب) يطلق على البدروم

(الحنفية) ــ يرى المجمع ان استعمالها فى منفذ الماء المعروف صحيح

(الشجاب) ــ والمشجب : الشماعة

الأخلاق السياسية
سيطرتها اليوم وأثرها في حياة الشعوب

بقلم الاستاذ احمد امين

« . . والمتفائلون من الفلاسفة علماء الاخلاق والاجتماع يرون أن العالم سائر من هذه الاخلاق السياسية التى أساسها الوطنية ، الى الاخلاق العامة التى أساسها الانسانية . ولكن يقلل من تفاؤلهم ما يرون من أنه كلما سنحت فرصة للقرب من هذه الغاية استطاع رجال السياسة أن يحولوها لخدمة الوطنية ، لا الانسانية كما فعلوا في عصبة الامم . . »

يخطىء من يظن أن الاخلاق السائدة في العالم اليوم هى الأخلاق التى وردت بها الاديان وقررها في كتبهم فلاسفة الاخلاق

إنما السائد الآن نوع من الأخلاق يصح أن نسميه « أخلاقاً سياسية »

وأهم فرق بين الاخلاق التى أتت بهـا الاديان العالية وتعاليم الفلاسفة ، وبين الاخلاق السياسية التى نتخلق بها اليوم ، أن الأولى مؤسسة كلها على اشتراك الناس في الحقوق والواجبات على حد سواء ، فاذا أمرت بالعدل طالبت به الناس كلهم ، لا فرق بين أسودهم وأبيضهم ، ولا فرق بين افريقى وأسيوى وأوربي ، ولا فرق بين أن يعامل الانسان فرداً من أمته أو فرداً من أمة أخرى

أما الاخلاق السياسية فحورها وأساسها نفع الامة التى ينتسب اليها الفرد، وبعبارة أخرى إن الاخلاق الدينية والفلسفية جعلت غايتها عالمية ، فهى ترمي الى حسن علاقة النـاس جميعاً بعضهم مع بعض من غير نظر الى جنس ولا الى لون ولا الى وطن ، وتضع تعاليمها على هـذا الاساس ، وتجعل مثلها الاعلى أن يسلك الناس السبيل التى ترقى بمجتمعهم « ككل » . فهى تنظر الى العالم كعالم لا باعتبار أنه مكون من عدة أمم ، وتنظر في تعاليمها الى الناس كمجموعة واحدة ، تنظم علاقاتهم ، وتصلح من شؤونهم ، وتضع المبادىء العامة التى توصل الى خيرهم ، مثل المبدأ الاسلامى : « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به »ومثل مبدأ (كانت) : « اعمل فقط ما يصح أن يعمله كل الناس » ومثل مبدأ مذهب المنفعة القائل : « إن العمل خير اذا

سبب من اللذة أكثر من الألم لكل مخلوق » وهكذا . أما الاخلاق السياسية فنظرت الى الاخلاق نظرها الى « القانون » فكما أن لكل أمة قانونها ، فكذلك لكل أمة أخلاقها ، فمحور الاخلاق السياسية خدمة الامة التي يعمل لها الساسة بقطع النظر عن غيرها من الامم، فاذا كان هناك عمل ينفع الامة ويضر سائر الامم ، فالاخلاق العامة تنهى عنه وتحذر منه وتجعله شراً ورذيلة ، على حين أن ساسة هذه الامة يرون الاتيان به فضيلة ونبلا ، وان تضررت منه كل الامم - وقد عبر القرآن عن ذلك بحكايته عن قوم من اليهود كانوا يرون ان الامانة انما تجب على اليهودي لليهودي لا لغيره من العرب ويقولون : « ليس علينا في الاميين سبيل »

وقد كان اليونان في أيام سلطانهم والرومان في سطوتهم ينظرون هذا النظر الضيق في تقويم الاخلاق ، فالاخلاق تجب على اليوناني لليوناني لا لغيره ، والناس ينقسمون الى قسمين : يونان ومتوحشين ، والفضيلة انما وضعت عند معاملة اليوناني لمثله ، أما اذا عامل اليوناني غيره فليس هناك فضيلة واجبة ، وهكذا كان الشأن عند الرومان ، ولعل اضطهاد الرومان النصرانية كان من أسبابه الكبرى ما أتت به النصرانية من نظرة أخلاقية عالمية ، على عكس ما أتت به روح الدولة الرومانية ، ولعل من اسباب اضطهاد اليونان لسقراط ايضاً والحكم بموته تعاليمه الفلسفية العامة مقاوماً بذلك تعاليم اليونان الخاصة كما قال الاستاذ « مكدوجل »

ولكن على الرغم من تعاليم الاسلام والنصرانية ، وعلى الرغم من تعاليم فلاسفة الاخلاق ، فالذي يسود اوربا الآن هو الاخلاق السياسية القومية ، لا الاخلاق الدينية والفلسفية العامة فالانجليزي أو الفرنسي او الالماني يقوّم الاعمال من ناحية امته لا من ناحية الانسانية عامة فاذا عقدت معاهدة لم ينظر السياسيون إلا إلى امتهم ، هل تنتفع بهذه المعاهدة فيمضوها أولا فيرفضوها ، والأمة المقترحة والامة المشتركة في التوقيع لا تنظر في ذلك إلا إلى نفسها ، وقل أن تنظر في ذلك الى ناحية عالمية أو ناحية انسانية . وعند اعلان الحرب او عقد الصلح لا تنظر كل امة إلا هذا النظر - والسبب في هذا أن مفهوم العدل عند هؤلاء الساسة مفهوم ضيق، ومثلهم مثل شيخ القبيلة الذي سئل عن معنى العدل فقال : «اذا أغرت على قبيلة أخرى واستلبت ابلها فهذا عدل ، أما إن أغارت عليّ واستلبت ابلي فهذا ظلم» . فالعدل والظلم دائران حول المصلحة الذاتية ، أو بعبارة أدق حول المصلحة القبلية او القومية ، لا حول المصلحة العامة . وربما كان الداعي إلى هذا تغلب الروح الوطنية على الامم واخضاع الاخلاق لحكمها . وإن الحكم بأن هذا الشيء في مصلحة الانسانية أو في ضررها حكم أكثر تعقداً من

الحكم بأن هذا الشيء في مصلحة الأمة ، فعقول الناس الى اليوم لم تقو على هذا السمو الذي نحكم فيه المصلحة الانسانية فتقبل العمل أو ترفضه . ولذلك نرى في كل أمة أفراداً فلاسفة - يختلفون قلة وكثرة - ينتقدون هذه الانظار الضيقة في تقويم الاعمال ، ويدعون الى النظرات الواسعة ولكنهم ، مع الاسف ، ليسوا القابضين على زمام الامور ، ولاهم المتصرفين في شؤون الدول فقلما تجد دعوتهم سميعاً ، والسبب في تفوق رأى الساسة على رأى الفلاسفة ان الساسة لا الفلاسفة هم ظل الرأى العام ولسانه الناطق ، والفلاسفة يحتاجون الى زمن طويل حتى تتقطر آراؤهم الى الشعب . والرأى العام - كما لاحظ بعض الفلاسفة - أكثر انانية وكبراً وتعصباً من الفرد

ومن أهم شرور هذه الاخلاق السياسية - بالمعنى الذى شرحنا - ما تستلزمه من نفاق ، وذلك أن هذا النوع من الاخلاق مؤسس كما ذكرنا على الشعور القومي الوطنى . والامم مهما خلت من شعورها الوطنى لا يمكن أن تنسى عقلها ولا دينها ولا انسانيتها - فقدر كبير من النفاق لابد منه للساسة ليوائموا بين الشعور والفكر وبين الوطنية والانسانية ، وبين حكم العواطف وحكم العقل . وأشد اوقات الحاجة الى ذلك النفاق ، الازمات أوقات الحروب ، لأن الامم فى مثل هذه الاوقات تغلى مشاعرها الوطنية ، وتهتاج عواطفها حفظا على كيانها ، والساسة مضطرون الى إيقاد هذا الشعور حتى تقدم الامة ما يجب من تضحية ، ولكن فى مثل هذه المواقف يستيقظ العقل أيضاً فيكثر التساؤل : مافائدة هذه الحروب للانسانية ، وماذا يكسب العالم وماذا يخسر منها ؟ . وليس يمكن التوفيق بين هذه المشاعر اليقظى والعقول الصاحية إلا بضروب كثيرة من الخداع والنفاق - فتدعى الدعاوى العريضة عند ذلك فى أن الحرب لخير الانسانية ولنشر المدنية ، ولمحاربة الهمجية ، ولاذاعة الثقافة ، ولتمدين الشعوب البربرية ، ونحو ذلك . والغرض من هذا كله المحاولة في اقناع مشاعر الشعوب وعقولهم معاً ، وأحياناً تستغل العاطفة الدينية أيضا من هذه الناحية ، فيدعى أن الحرب لنشر الدين الصحيح في العالم وهكذا ، والناظر في الادب الذى تنتجه الحروب يرى مصداق هذا في وضوح وجلاء ، والتاريخ السياسي للامم المختلفة مملوء بالدعاوى من هذا القبيل

والمتفائلون من الفلاسفة وعلماء الاخلاق والاجتماع يرون أن العالم سائر من هذه الاخلاق السياسية التى أساسها الوطنية ، الى الاخلاق العامة التى أساسها الانسانية . ولكن يقلل من تفاؤلهم ما يرون من أنه كلما سنحت فرصة للقرب من هذه الغاية استطاع رجال السياسة أن

يحولوها لخدمة الوطنية لا الانسانية كما فعلوا في « عصبة الامم » . فقد كانت اسسها التى رمى اليها واضعوها انسانية بحتة ، فما زال الساسة بها يعدلونها و يحورونها حتى سلبوا روحها وقلبوا وضعها وجعلوها حزبية لا عالمية - وكان المتفائلون من هؤلاء الفلاسفة يرون ، قبل الحرب العظمى ، ان المبادىء والافكار العامة التى انتشرت بين الناس تبعد احتمال وقوع حرب كهذه. فلما وقعت على حال اسوأ مما تخيلوا، شعروا بخيبة الأمل و بعد الرجاء . ولكنهم مع هذا كله ، لم يفقدوا أملهم ولم يعدلوا عن نظريتهم ، ورأوا أن هذا هو الطريق الطبيعي للانسان ، وأن ما قطعه في الماضي يدل على اتجاهه في المستقبل ، فهو من حين الى حين يتسع أفقه ، فقد كان لا يرى الا نفسه ثم صار لا يرى الا قبيلته ثم صار لا يرى الا امته ، فسيأتي عليه زمن يرى عالمه ويقوم الاخلاق تقويما عالمياً لا تقويماً قومياً كما تتطلب الفلسفة والاديان

ومشكلة المشاكل في هذا الموضوع من الناحية السياسية والاخلاقية أن الاخلاق القومية والنزعة الوطنية أفادت العالم فوائد لا تنكر ، فهذا التسابق الى المجد بين الامم ، وهذا التناحر المستمر ، والصراع الدائم ، وحب الغلبة ، كان له أكبر الفضل في المخترعات التى اخترعت ، وفي النظريات العلميـة التي استكشفت ، وفي جميع التحسينات التى أدخلت على الشؤون الاقتصادية والاجتماعية الى غير ذلك . فهذه كلها انما تقدمت هذا التقدم السريع بفضل العداء لا بفضل المسالمة ، و بفضل التعصب القومي والتحزب الوطني ، فلو أننا أحللنا مكان هذه النزعة نزعة انسانية عامة ، وأسسنا الاخلاق على أسس عالمية ، وطالبنا الساسة أن ينظروا في قراراتهم ومعاهداتهم وجميع شؤونهم الى الناحيـة الانسانية الصرفة ، فهل يظل العالم فى تقدمه السريع ونجاحه المستمر أو تقل الحماسة وتفتر الهمم ؟

والحق انها مشكلة كبيرة ، وهى وان كانت صعبة الحل فليست مستعصية ، وكل ما في الامر أنها تحتاج الى مجهود عالمي جبار يصرف في وضع التربيـة على أسس جديدة يكون محورها الانسانية لا الوطنية ، والعالمية لا القومية ، وتكون غايتها تعويد الفرد أن يتحمس للأخلاق العامة ، وأن يقيس الخير والشر بمقياس النفع لانسانيتـه لا لأمته ، وأن يغار على الخير للناس أكثر مما يغار على الخير لأمته ، وان يقدم في ثبات على فعل ما يضر أمته إذا كان فيه نفع للانسانية . على ان الناس اذا بلغوا منزلة عالية سامية زال كثير من التعارض ورأوا ان الخير لاشخاصهم والخير لأمتهم والخير للانسانية شيء واحد وان التعارض انما ينشأ من ضيق الافق وقصر النظر

احمد امين

التجديد والمجددون (*)

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشري

سيداتى ، سادتى :

أتحدث اليكم الليلة فى التجديد والمجددين . فاننا الآن فى شبه ثورة ، بل فى ثورة بالقديم من الآداب والفنون . فهناك ثورة فى البيان ، منظومه ومنثوره . وهناك ثورة فى الموسيقى ، وهناك ثورات فى غيرها من الفنون . وكل اولئك انما يعبر عنه بالتجديد ، ويعبر عن المضطلعين به بالمجددين. وانى لاخشى فى التعبير بكلمة (الثورة) أن اكون من المتجوزين ! . وقبل أن اخوض فى لجة الموضوع ، أرجو أن تأذنوا لى فى أن اعرض عليكم نموذجاً مما سلف لى من الرأى فى هذا الباب ، وأرجو أن يكون كافيا فى استراحة ايمانكم الى انى لست من الجامدين المتشبثين بلزوم القديم . بل انى لا أطمع فى أن يقنعكم بانى من أشد أنصار التجديد والمجددين. ولكن على صورة أحب أن يتفطن اليها بعض هؤلاء المجددين !

الاستاذ البشري ثائر في هذه الايام . فما يكاد ينتهي من ثورة حتى يتبعها بأخرى ، في نشاط كنشاط الشباب ، وقد نشر الهلال ثورته على علوم البلاغة ، وها نحن أولاء ننشر له هذه الثورة في التجديد والمجددين وقد ألقاها فضيلته بمحطة الاذاعة المصرية يوم السبت ١٥ فبراير الماضي واختص بها الهلال

قلت من رسالة فى الذكرى الثانية لوفاة أمير الشعراء المرحوم احمد شوقى بك : «اذا كان من آيات الحياة فى الكائنات تطورها ونموها وتجددها ، فالأدب . ولا شك من هذه الكائنات التى لا تكتب لها الحياة الا على التطور والنمو والتجديد ، والا كان ميتا أو أشل على أيسر الحالين !

« ولكننى أحب أن الفت النظر فى هذا المقام الى مسألة قد تدق على افهام الكثير أو القليل . وتلك أن هناك فرقا بين التربية والتجديد ، وبين المسخ والتغيير . ولست أجد مثلا أسوقه فى هذا الباب خيراً من حياة الطفل وحياة النبات . كلاهما ينمو ويربو ، وكلاهما يطول ويزكو ، حتى يبلغ الحد المقسوم لكماله . وقد تتغير بعض معارفه ، وقد تحول بعض اعراضه ، ولكنه فى الغاية هو هو لا شىء آخر ، فحسن الوليد ، هو حسن الطفل ، وهو حسن الفتى ، وحسن الشاب ، وهو حسن الكهل وحسن الشيخ . وتلك الفسيلة الصغيرة ، هى النخلة الباسقة . كل نما وربا بما دخل عليه من الغذاء وما اختلف عليه من الشمس والهواء

(*) القيت من محطة الاذاعة المصرية فى مساء السبت ١٥ فبراير الماضى . وقد اختص بها الاستاذ البشري الهلال

« لقد اصاب كل منهما ما أصاب من أسباب التزكية والاربا، فاحتجز منهما ماواءمه وما تعلقت به حاجته ، ونفى عنه مالا خير له فيه ، ولاحاجة به اليه ، ثم أساغ ما أمسك وهضمه ، فاستحال فى جسم الفتى مثلا دما يجرى فى عرقه ، ولحما وعظما يزبدان فى خلقه »

« ولا شك فى أن لأدبنا العربى عناصر وله مقومات ، وله شخصية بارزة معينة . فمن شاء فيه تجديداً — ومن الواجب الحتم على القادرين أن يجددوا — فليتقدم ، ولكن من هذه السبيل » .

سيداتى ، سادتى :

لعلى أطلت عليكم فى دفاعى عن نفسى واثبات براءتى من الجمود والجامدين . ولكن مما يشفع لى عندكم فى ذلك أن هذا الدفاع قد صرح لكم فى الوقت نفسه عن رأيى فى التجديد والمجددين . وهذا ، ولا شك ، وثيق الصلة بالموضوع الذى عقدنا له هذا الحديث

عرفتم اذن اننى لست ، والحمد لله ، من الجامدين العاضين بالناجذ على كل ما هو قديم لانه قديم وعرفتم كذلك اننى ارى وجوب التجديد لان طبيعة الحياة تقتضية . بل ان التطور والتجدد من علامات الحياة ، على ألا يكون هذ التطوير والتجديد ضربا من المسخ والتشويه !

وبعد ، فالمقام مابرح محتاجا إلى شىء من البسط والتفصيل . فلنمض على اسم الله ، فى معالجة هذا البيان بقدر مايتسع له الوقت المقسوم

تعلمون ، أيها السادة ، أن العلوم ، على وجه عام ، انما تستمد قضاياها من العقل والتجارب . أما الفنون الجميلة على وجه خاص فان استمدادها فى الجملة من الذوق ، فهى من الذوق تنشأ والى الذوق تعود

وإذا كانت العقول الصحيحة قل أن تختلف بازاء الحقائق الواقعة باختلاف الاشخاص أو البيئات والعصور ، فان الاثنين مثلا ضعف الواحد وزوايا المثلث تساوى قائمتين . وهذا فى كل زمان وفى كل مكان . اذا كان هذا هكذا ، فان الفنون التى مردها الى الذوق أعنى الفنون الجميلة تفترق افتراقا قد يكون يسيراً وقد يكون شديدا . طوعا لاختلاف الاشخاص والعصور والبيئات . فما يعجب قوما ويلذذهم ويشيع الطرب فيهم . لقد ينشز على اذواق آخرين ويدخل الضجر عليهم ، بل لقد يزعجهم ويغثى نفوسهم

ذلكم بان حاجة الاذواق ليست من آثار منطق العقل ، ولا هى وليدة الحقائق الواقعة حتى تشترك الخلائق على اختلاف اصنافهم واعصرهم فى تقبلها والتسليم بها . بل انها لوليدة البيئة والتاريخ ومأثور العادة والالف الطويل . ولاشك فى أن من عناصرها المهمة كذلك حظ الامة من العلم والثقافة ولون هذه الثقافة ومبلغ الامة كذلك من دقة الحس ورهافة الشعور

من هنا كان لكل أمة أدبها ، وكان لكل أمة موسيقاها ، وكان لها غير هذين من الوان

الزخرف والتصوير ، وغير الزخرف والتصوير ، من كل مايدخل فى معنى الفن الجميل .فليس من حق جماعة أن تقول لاخرى: إن هذا الادب الذى تصطنعين لايترجم حق الترجمة عن شعورك، ولايواتى منازع عواطفك ، أو إن هذا اللون الذى تتخذين من الموسيقى لا يوائم ذوقك. ولا يلذك ويدخل الطرب عليك . ذلكم بان مظاهر هذه الفنون انما هى أمور نسبية ، لا تكاد تتصل باحكام العقل أو الواقع ، خلافا لقضايا العلوم ، وقد تقدم فى ذلك الكلام

***

لكم بعد هذا أن تسألونى عن كيفية التجديد إذاً وعن مدى آثار المجددين ؟

والواقع انه حين يعرض هذا السؤال تعرض للنفس مسألة أخرى : ترى آلأذواق هى التى تؤثر فى الفنون ؟ أم الفنون هى التى تؤثر فى الاذواق ؟

لقد سبق القول فى أن منشأ الفنون الجميلة انما هو الذوق أولا .وهى انما تصطنع لتنعيم الذوق وتلذيذه آخراً . فهى منه تبدأ واليه تعود . ولكن ليس معنى هذا أن الفنون لا أثر لها البتة فى تكييف الاذواق . بل إنى لأزعم انه قد يكون لها فى بعض الاحيان الاثر البعيد . اذاً فهناك تفاعل من الجانبين ، أعنى بين الاذواق والفنون . ونحن اذا عبرنا فى هذا المقام بكلمة «الفنون» فمن الواضح اننا انما نريد اثر المفتنين . أو على الصحيح أثر العبقريين من جماعات المفتنين

ومن الجلى أن العبقرى هو الذى يرتفع على مجموع قومه وأحيانا على أهل عصره فى صفة أو فى اكثر من صفة بحيث يتهيأ له أن يدرك فى بعض الامر مالايدركون . ويشعر بما لا يتعلق لهم به حس ولا شعور . ولنقصر الحديث على عباقرة المفتنين مادام الحديث فى الفن والمتفننين

المفتن الموهوب انسان أوتى كمال الذوق ودقة الشعور ورهافة الحس وحدة العاطفة ، والقدرة القادرة على الاداء والتصوير . وليس يشترط فيه ان يكون واسع العلم غزير المادة ، بل بحسبه ان يحصل من قضايا فنه صدوراً لايزل معه ولايضل

ولقد قلنا انه يسبق بتلك المواهب جمهرة قومه . ولقد يسبق أهل عصره .اذ تهديه فطنته الى أشياء لم يفطنوا لها ، وتذيقه رهافة حسه الوانا من الشعور لم يتذوقوها . فينفضها بما رزق من براعة الاداء كما أحسها . ويحاول أن يذوقها غيره كما تذوقها . وكذلك تزيد ثروة الفنون وتشحذ الفطن ، وترهف الاحاسيس على اطراد الايام

نعم ، لقد ينصب بعض هؤلاء العباقرة للعدول بالفن عن مذهبه ، وقد يقلبه رأساً على عقب. وتلكم هى الثورة بعينها . والثورات كما تعلمون حالات شاذة لا ينبغى أن تجرى على مظاهرها الاحكام

وكيفما كان الامر ، فان ماتجىء به الثورات اما أن يختفى ويزول جملة بعد الدعة والاستقرار،

واما أن يتخلف منه صدر ترى الطبيعة انه صالح للبقاء. وهذا القدر، بالنسبة الى الفنون، مهما يكن فى مبتدأ الامر نابياً عن بعض الاذواق، فان مما لا شك فيه انه مع طول الزمن وكثرة تقليبه على الذهن أو السمع أو البصر، وانعقاد الالف، تتكيف به الاذواق وتتلون. ولقد يكون تكيفها به وتلونها الى حد بعيد

بقيت مسألة دقيقة أحب أن يجيل الرأى فيها سادتنا المتصدون للتجديد شعراء كانوا أم كتابا أم موسيقيين أم مصورين. وهذه المسألة أن المرء مهما يكن على حظ من المواهب وخاصة فيما يتعلق بالاذواق والعواطف، فانه ولابد متأثر، بقدر غير يسير، بالبيئة التى درج فيها وبعادات قومه، ومنازع عواطفهم وما ألفوا بطول الزمن، وغير أولئكم مما انحدر اليهم من التاريخ البعيد. هو متأثر بكل هذا حتى ليكاد يتصل بطبعه وغريزته فالاصل فيه أن يحس الاشياء كما يحسها قومه، وأن يذوق ألوان المعانى كما يتذوقها معشره. وذلكم بحكم ضرورة الاشتراك، فى الجملة، فى عناصر تكوين الذوق العام. فهو على هذا اذا ابتدع طريقا واستحدث فى الفن جديداً، ففن قومه القائم هو ولا شك أساس ابتداعه، وملاك ابتكاره واختراعه

وهذا الى انه انما يسعى فى هذه السبيل سعيه ليرفه عن قومه أولا، ولينعمهم ويدخل الطرب والسرور عليهم. فينبغى له بالضرورة الا يسقط من حسابه فى تجديده ألوان عواطفهم، وما تستريح اليه من صور الجمال أذواقهم

نعم، لقد تفتر الأذواق فى مبتدأ الأمر عن الجديد، ولكنها سرعان ما تألفه وتتذوقه وتلتذه، ما دام يمت الى فن القوم بسبب، ويدلى اليه بنسب. ولا حرج على المفتن، بل ان من واجبه انه اذا حرك عواطفه، وهز مشاعره شيء من آثار فنون الامم الأخرى - ان يبادر الى اقتناصه، ويسرع الى معالجته بالتسوية والتثقيف، حتى يتسق لفن قومه، ويطبع بطابعهم ويسوغ فى مذاقهم، حتى ليترجم عن بعض ما يختلج من العواطف فى نفوسهم

أما ان يهجم على القطعة من فن غيره فينتزعها انتزاعا، ويمتلخها امتلاخا، على حين لا يتذوقها هو نفسه ولا يسيغها، ولا هى مما يمكن ان يسيغه قومه أو يتذوقوه، ومع هذا يأبى الا ان يستكرهه استكراها على فنهم باسم التجديد، فذلكم لعمرى هو المسخ والتشويه!

سيداتى، سادتى:

ليس فى هذا اللون من (التجديد) إساءة الى الفنون، واساءة الى الناس بما يفوت عليهم من الاستمتاع بالفنون الجميلة فحسب. بل ان من شأنه ان يبلبل أذواق الجمهرة ويشتتها تشتيتا!

اللهم ان براعة المفتن هى فى ان يطبع ما يسنح له بطابع فنه، وينظمه فى سمطه، فلا يشوه به الفن ولا يتنكر، بل يظل هو هو، على ما زيد فى ثروته، ووسع فى آفاقه، ومد له فى تلطيف

العواطف وارهاق الاحاسيس . وحسبكم ما صنع المرحوم عبده الحمولي بالموسيقى المصرية ، وما كان له في التجديد البارع حقا من أثر بعيد

وبعد ، فاذا كان عندنا ، بفضل الله ، نوابغ أكفاء للتجديد الصحيح في الآداب والفنون ، فان فينا ، مع الأسف العظيم ، من يعبثون أشد العبث بالآداب والفنون ، ليظفروا هم الآخرون بلقب « الأبطال المجددين » وما أرخص الألقاب ، اذا كانت لا تنال الا بمثل هذا الاغراب !

ان بعض هذا الذي تقع عليه أسماعنا وأبصارنا في الفنون والآداب ليس تجديداً ، ولكنه مسخ وتشويه . وما ظنكم بمن كل جهده هو محض الاغراب ، والاتيان بكل ناب عن الطباع ناشز على الاذواق . وكيف لمن لا يحس شيئا بأن يشعره غيره . وقد قال الأقدمون : ان فاقد الشيء لا يعطيه ؟ !

هؤلاء رأوا ان فلاناً ذهب له صيت وذكر لأنه اتى في الفن بما لم يكن يعهد الناس ، فما لهم هم أيضاً لايغربون ، واقعاً هذا الاغراب حيث وقع ، ليذهب لهم كذلك في الفن ذكر وصيت ؟

* * *

لقد عبرت في صدر حديثي بكلمة (الثورة) ، وخشيت ان أكون في هذا التعبير من المتجوزين . فالثورة ، كما تعلمون ، انما هي الانفجار من أثر فكرة تغلي في الصدر ، غليان الماء في القدر . ثم انها انما تضطرم وتحتدم في سبيل تحقيق غاية معينة . فهل بعض هذا الذي نرى ونسمع في الأدب والفن كذلك ؟ أي ان الفكرة قد ملكت على هؤلاء جميع مذاهبهم ، وغلت في صدورهم فثاروا بالقديم ، وراحوا يقيمون فنوناً جديدة واضحة المعارف بينة الرسوم ! أم ان الامر كله لا يعدو التلفيق من هنا ومن هنا تلفيقا كله تعسف واستكراه ، حتى تبدت الفن صورة متناكرة الأعضاء ، متنافرة الاجزاء . وذلك في سبيل الاغراب طلبا للظفر كما قلنا بلقب « البطولة في التجديد » ؟

إذا كان الامر كذلك ، فليس ما نحن فيه بثورة ، ولا هو من الثورة في كثير ولا قليل . انما هو الفوضى بأجمع معاني الكلمة . فحذار أيها الاخوان حذار ، والا لحق الفنون البوار ، وحقت عليها (بتجديدكم) كلمة الدمار ! ! !

عبد العزيز البشرى



الحروف اللاتينية

هل تصلح للكتابة العربية

بقلم المستشرق الأستاذ كارلو ا. نللينو

تفضل المستشرق الكبير الاستاذ كارلو نالينو بكتابة هذا البحث عن مشكلة الحروف العربية وهل يصح الاستعاضة عنها بالحروف اللاتينية. وقد افضى هنا برأيه في ان الحروف اللاتينية لاتصلح للكتابة العربية. واذا كان الترك قد اختاروا هذه الحروف في انقلابهم الاخير، فذلك لحاجة الكتابة التركية اليها دون الكتابة العربية التي تحفظ بحروفها الآن كنوز العلوم والآداب، ووحدة اللغة على الرغم من اختلاف اللهجات

قامت الحكومة الكمالية منذ سنوات بانقلاب خطير اذ اختارت الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية فى الكتابة التركية، وللآن لم تصل بعد الى النتيجة النهائية لهذا الانقلاب، ولكن لنا أن نتساءل: هل يجوز ان نطبق هذا التغيير على سائر اللغات الاخرى التى تدون كلماتها وأفكارها بالخط العربى؟ وما هى الفوائد التى تنتظر من وراء عمل كهذا؟

وقد يكون الدافع لحكومة تركيا الى هذا العمل ان الخط العربى لا يوافق اللغة التركية، ولا شك ان الخط اللاتينى أوفق لها، فاللغة التركية لغة صوتية، فنجد ان الحروف المتحركة يجرى نطقها فى اللسان التركى على ثمانى حركات، فى حين ان حركاتها فى العربية ثلاث، وكل حركة لها صوت خاص ولهذا أهمية كبيرة. ولما كانت الحروف اللاتينية تنقل الكلمات بطريقة صوتية. فان اللغة التركية تنتفع بها من هذه الناحية. واذا نظرنا الى اللغة التركية نجد أن أهم ما كانت تنتفع به من العربية هو من ناحية الاصطلاحات العلمية. أما اللغتان من ناحية الأصل فمختلفتان

ويلوح لى ان هناك سببا سياسياً، وهو محاربة العنصر العربى والدين الاسلامى. وهذا ما لا أرى له مبرراً فى نظرى على الاطلاق. وان كنت فى حكمى أنظر الى الأشياء بعين العلم لا بعين السياسة. وذلك لان المعتقد هناك أن المدنية التركية أقدم المدنيات فهى تتصل بالمدنيات البابلية والآشورية القديمة ولا اتصال لها فى أساسها بالتمدن الاسلامى. ولهذا نجد حملة قوية تمثلت فى كثير من المظاهر كابطال الاحوال الشخصية وتطبيق القانون المدنى السويسرى والغاء الطرق الصوفية وتغيير الزى ومحاكمة من يلبسون الطربوش والتزام مواعيد العمل فى رمضان

كالمادة وما الى ذلك . ولكن اذا نظرنا الى المدنية التركية فانا نراها فى العهود السابقة كانت قائمة على أساس التمدن الاسلامى .

ومع كل هذا فهل الاوفق ان تكتب العربية بالحروف اللاتينية ؟ هذا مالا أراه ولا أقول به ، فالحروف العربية ضرورة لازمة لا يمكن العدول عنها . فكما أن الحروف السامية وضعت موافقة لطبيعة هذه اللغات ، فكذلك الخط العربى وضع موافقا لطبيعة العربية فالحركات لها أهمية كبيرة جداً فى اللغة العربية . لأن الألفاظ فيها ثلاثية المادة (Racine) فى الغالب . أعنى ذات ثلاثة حروف بدون اعتبار الحركات ، والمعنى الاساسى محصور فى تلك الاحرف الثلاثة . أما فى اللغات الأجنبية فتشتمل المادة على حروف وحركات بدون اعتبار عدد الحروف . فلفظ « كتب » مثلا يكتب بالخط العربى ثلاثة حروف بثلاث حركات . ولكنه بالخط اللاتينى لا بد أن يكتب بستة حروف بالشكل الآتى Kataba

واذا أردنا كتابة الالفاظ العربية بالحروف اللاتينية بكل دقة ، يستلزم هـــذا ايجاد اصطلاحات خاصة زيادة على الموجود فى الخط اللاتينى وأبجديته ، ذلك لان عدة حروف ساكنة موجودة باللغة العربيـة ليس لها نظير فى الخط اللاتينى ولا فى اللغات الافرنجية على العموم ، فمثلا الحروف الآتية « ج معطشة . ح . خ . ش . ط . ظ ص ض . ع . غ » كلها حروف لا نظير لها فى الحروف اللاتينية وقد اصطلحنا على كتابتها بالحروف اللاتينية على الوجه الاول الآتى حسب الترتيب : (ġ - é - ḍ - ṣ - 7 - ṭ - sh - ḫ - ḥ - ġ)

كذلك يجب التميز بين الحروف المتحركة الممدودة والحروف المقصورة ويستعمل فى هذا الصدد بعض الاصطلاحات الآتية : (ē - ū - ī - ā) وغير ذلك . ومن المؤكد ان هذه صعوبات تجعل الكتابة العربية بالحروف اللاتينية مهمة شاقة

ويظهر هنا جلياً ان الخط العربى يمتاز بميزة فذة . فهو قريب لما يسمى بالاختزال . والخط العربى ليس فى حاجة الى الاختزال لان طبيعته تغنيه عن اتباع طرق الاختزال . ففى البرلمان وفى المحاكم وفى الصحافة يؤاتيكم الخط العربى بتدوين ما تحتاجون الى تدوينه بغير الاختزال المتبع فى الخط اللاتينى . وقد كنت بالقسطنطينية منـــذ ثلاث سنوات وزرت المتحف العثمانى ، وكان هناك لفيف من تلاميذ احدى المدارس ، وكان المدرس يشرح لهم الآثار الموجودة بالمتحف . وكان التلامذة يأخذون المذكرات ولكن يكتبونها بالحروف العربية وذلك لأنها أسرع من اللاتينية . والواقع أن الكتب العربية صارت أصغر حجماً وأرخص ثمناً باستعمال الحروف العربية

والحقيقة أن الخط العربى حفظ للآن وحدة اللغة العربية وان كان النطق مختلفاً من قطر لقطر . والحروف اللاتينية مبنية على أساس أن صوت الحرف واحد غير متبدل . أما فى العربية فهناك

أصوات لكل حرف لا سيما فيما يختص بالحركات . فمادة الفعل الثلاثى تظهر جيداً بالحروف العربية لأن الحركات لا تظهر بالكتابة . ومع تغيير الأصوات واللهجات فى العربية على حسب الاشخاص أو على حسب الاقطار ، فاننا نجد الخط العربى كفيلا بنقل الالفاظ على وتيرة يفهمها الجميع مع وجود هذا التغيير فى الاصوات واللهجات

ثم انه ليس هناك معادلة بين الحروف العربية واللاتينية . فالحروف مثلا فى الالمانية والروسية قريبة الشبه باللاتينية اما فى العربية فوجه الشبه بعيد جداً

واذا تغير الخط العربى بالخط اللاتينى أصبحت النتيجة خطيرة للغاية . فكيف يكون مصير الكنوز العظيمة التى خلقتها الآداب الاسلامية ، فى الدين والفقه والفلسفة والعلوم والآداب والفنون وغيرها وكلها مدونة بالخط العربى ؟ وأمر كهذا فوق انه خطر فهو متعذر لان الحركات لها شأنها الكبير فى الخط العربى وهى غير كبيرة الاهمية فى اللاتينى . ولانه لا يمكن ان تتصور النفقات الطائلة التى تصرف فى هذه السبيل من غير جدوى

واذا افترضنا أن المنفعة هى فى ابدال الخط العربى . لكان من الضرورى أن يسبق لهذا اتفاق بين الشعوب الناطقة بالضاد . ولو كانت مصر وحيـــدة فى اختيار الحروف اللاتينية ، فيكون هذا سبب انشقاق الوحدة العربية

والآن مصر هى مركز الآداب والعلوم العربية فى العالم الاسلامى ، فاذا تغيرت الحروف العربية ، فستخسر مصر هذا المركز الادبى الكبير

كارلو . ا . نالينو

القطار

نازعتهـم سبب النوى ، فلووا يدى
ومضى بهم ألوى ، يسير فيعنف

هزج ، يردد للزيال نشيجه
ويظل ينعب بالفراق ويعزف

تكبو العيون ، اذا جرين وراءه
فى هبوة تطغى ، وريح تعصف

عجلان ينتهب المدائن والقرى
وكأنمـا هو سـاحر يتلقف

لم ادر حين جرى ، أسيف ينتضى
أم خاطر يهفو ، وعين تطرف ؟

يختال خفة ذى الجناح ، اذا هفا
ويفوت شأو البرق ساعة يخطف

قدر مضى ، ومتاح أمر ماله
رد ، وشىء مايحـد فيوصف

لا كنت يا عصر البخار ، ولا نأى
عصر تنص العيس فيـه وتوجف

العيس اعرف بالحنين ، وبالهوى
وأبر بالدنف المشوق ، وأرأف

احمد محرم

نيقولا ميكيافيللى

محنة السياسى الفيلسوف

كيف حوكم وعُذب

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

يتبوأ تراث مكيافيللى الفيلسوف والسياسى الايطالى فى التفكير الغربى مكانة رفيعة . وقد مضت أكثر من أربعة قرون منذ وضع مكيافيللى كتاب « الامير » الذى يعرض فيه آراءه فى الملك والحكم ، واسبغت حوادث التاريخ ومبادىء الاخلاق على تلك الآراء سحبا من الانكار والريب ، واضحت فى عصرنا نعتا ذائعا لكل سياسة تقوم على مبادىء العنف والغدر وانتهاز الفرص ، ومع ذلك فان هذه الآراء مازالت تحمل طابع الطرافة والقوة ، ومازالت عنوان السياسة العملية التى تقوم على تقدير الحقائق الواقعة ، وتحقيق النتائج المبتغاة

كان مكيافيللى فى تفكيره وفى فلسفته يسبق عصره بمراحل ، كما كان مفكرنا العظيم ابن خلدون يسبق عصره ومجتمعه بمراحل ، وابن خلدون يسبق مكيافيللى بأكثر من قرن ، ولكن يجمع بين المفكرين العظيمين تماثل عجيب فى العصر والظروف الاجتماعية والسياسية التى عاش كل منهما فيها ، وقد استمد كلاهما كثيراً من مبادئه وآرائه الاجتماعية والسياسية من دراساته وتجاربه الشخصية فى ميدان الحياة العملية التى خاض غمارها

كانت حياة مكيافيللى وآراؤه اذاً صورة بارزة من صور الحياة السياسية والاجتماعية فى عصره - عصر الاحياء الزاهر - وكانت فيرنتزا (فلورنس) وطنه ومسقط رأسه تستطع يومئذ كالمصباح المنير وتأخذ باوفر قسط فى احياء العلوم والفنون والآداب . وفى هذا المجتمع الساطع ولد نيكولو مكيافيللى (سنة ١٤٦٩) فى أسرة عريقة فى النبل ، وتلقى تربية تؤهله للانتظام فى سلك الحياة الرفيعة . وكان مكيافيللى فتى فى عنفوانه حينما سقطت حكومة الطغيان التى اقامها آل مديتشى فى فيرنتزا قبل ذلك بنحو ربع قرن . وعادت الجمهورية فوطدت اقدامها (سنة ١٤٩٢) وانتظم مكيافيللى فى خدمة الجمهورية منذ عودها حتى سقوطها . وعود آل مديتشى فى سنة ١٥١٢ ، وتدرج فى وظائف الدولة حتى عين مستشاراً وامينا لمجلس العشرة أو مجلس الحكم

وهنا يغدو مكيافيللى من رجال الدولة البارزين ، ويأخذ بقسط ظاهر فى شئون الدولة والحكم ، وتغدو خلاله ومواهبه موضع التقدير من زعماء الجمهورية ، وتؤهله دائما للقيام بطائفة من المهام السياسية الدقيقة ، ففى سنة ١٤٩٩ نراه سفير الجمهورية الى كاترينا سفورزا اميرة فورلى ، وفى العام التالى نراه سفير الجمهورية الى فرنسا ليعقد مع ملكها لويس الثانى عشر اتفاقا بشأن محاربة بيزا ، وكانت ايطاليا تضطرم يومئذ من اقصاها الى اقصاها بمشاريع البابا اسكندر السادس (اسكندر بورجيا) وولده شيزارى ، وكان مكيافيللى يشهد الحوادث العظيمة التى تجرى يومئذ ويدرسها عن كثب ، ويكون بشأنها آراءه وملاحظاته ، وقد كانت هذه الدرامة عماد كتابه « الأمير » فيما بعد وفى سنة ١٥١٣ نراه مبعوث الجمهورية الى روما ليشهد انتخاب البابا الجديد (جوليوس الثانى) . وهناك يتصل بشيزارى بورجيا ، ذلك الامير الذى اعجب بجرأته وروعة وسائله فى الحرب وفى الحكم ، واعتبره فيما بعد « اميره » الامثل ، وخصه فى كتابه بفصل شائق يبدو فيه عميق اعجابه وتقديره . وما زال مكيافيللى رجل الجمهورية وسفيرها المختار فى جميع المهام السياسية الدقيقة ، يمثلها تارة لدى البابا ، وتارة لدى ملك فرنسا أو امبراطور المانيا ، أو لدى الجمهوريات الايطالية المختلفة ، ويشهد احداث الحرب والسياسة عن كثب . ويدرس طبائع الملوك والقادة ، حتى دخلت الحوادث الايطالية فى طور جديد بانتصار البابا جوليوس الثانى وحلفائه على الفرنسيين واجلائهم عن ايطاليا (سنة ١٥١١) وتداوعت فيرنتزا حليفة الفرنسيين تحت رحمة الظافر فاملى عليها البابا شروطه ، وكان منها عود آل مديتشى الى الحكم

كان مكيافيللى ولد الجمهورية نشأ فى ظلها وارتفع الى مصاف الزعماء والقادة . فلما انهار صرح الجمهورية ، وارغمت فيرنتزا على النزول عند ارادة الظافر واستقبال الحكم المطلق كرة أخرى ، حاول مكيافيللى أن يستبقى مناصبه وامتيازاته فى ظل العهد الجديد فى ظل آل مديتشى ، فكتب اليهم ناصحا متقدما ، ولم يكن مكيافيللى بالرجل الذى يروعه أو يسوءه تبدل السادة والنظم ، وقد كان لآل مديتشى من جهة أخرى فى حكم فيرنتزا ماض مجيد وتراث زاهر ، ولكن آل مديتشى لم يصفحوا عن أولئك الذين أقاموا الجمهورية على انقاض سلطانهم ، واشتركوا فى رعايتها وتوطيدها ، ولم يطمئنوا الى رجال مثل مكيافيللى يتقلبون مع الحوادث والجدود ، واذاً فما كاد آل مديتشى يتبوءون سلطان الحكم (على يدى جوليانو وجوفانى ولدى لورنزو الأفخم) حتى الغيت جميع القوانين التى صدرت فى عهد الجمهورية وطورد رجالها ودعاتها ، وفى السابع من نوفمبر سنة ١٥١٢ صدر قرار بعزل مكيافيللى من منصبه ، كأمين للجمهورية (سكرتير) وأمين لمجلس العشرة ، وبعد بضعة أيام صدر قرار ثان يقضى بنفيه خارج العاصمة لمدة عام ويحظر عليه الظهور فى دار الحكم ، ثم تلاه قرار ثالث يحظر عليه مغادرة الاراضى الفلورنسية ويلزمه بتقديم ضمان مالى ضخم كفالة بالتنفيذ والخضوع

وقد كان العزل والنفى شر مايخشى السياسى والفيلسوف الكبير ، ولكن يد المطاردة لم تقف عند هذا الحد ، ذلك أن خصومه السياسيين انصار الحكم المطلق لم ينسوا انه كان عماد النظام المنتهى ، وانه يتمتع بكفايات سياسية يخشى بأسها ، فلبثوا يرقبون الفرص لسحقه واهلاكه . والفوا تلك الفرصة فى قصة مؤامرة نسب تدبيرها الى جماعة من الفتيان المعروفين بالوطنية ونصرة المبادىء الجمهورية بزعامة وطنى يدعى بيترو باولو بوسكولى ، وانها تدبر لاغتيال جوليانو دى مديتشى وابن اخيه لورنزو ، وضبطت مع بوسكولى ورقة بها اسماء من بينها اسم مكيافيللى ، فقبض عليه مع الباقين فى فبراير سنة ١٥١٣ ، وقدم متهما بالتآمر الى محكمة الثمانية مع بوسكولى ونفر من الزعماء الجمهوريين مثل اجستينو كابونى ونيكولا فالورى ، وجوفانى فولكى . وجوشو اديمارى ، وبونشانى وسيرالى وغيرهم

وقررت المحكمة احالة المتهمين على العذاب ومن بينهم مكيافيللى . ولما عذب بوسكولى وكابونى اعترفا بانهما تعاهدا على افتداء حريات الوطن ، ولكنهما لم يدبرا مؤامرة ، ولم يأتمرا مع أحد ممن وردت اسماؤهم . ومع ضعف الاتهام وركاكة الادلة ، فقد صدر حكم محكمة الثمانية باعدامهما واعدما فى ٢٢ فبراير وقابلا الموت بشجاعة مؤثرة واسبغ اعدامهما واسم مكيافيللى على الحادث خطورة لا محل لها . وكان موقفا مروعا ذلك الذى سيق اليه السياسى الفيلسوف ، فقد شد الى آلة جهنمية للتعذيب فى تلك العصور تبسط بواسطتها الاطراف بسطا اليما مروعا . وكرر شده ست مرات ليعترف ولقى من العذاب اهوالا ، ولكنه استعصم بحبل الانكار المطلق واصر خلال الالم المبرح على اعلان براءته ، وقد كان مكيافيللى بريئا فى الواقع . ولم يكن اتهامه بالتآمر قائما على شىء من الادلة أو القرائن الجدية ، وانما كان وسيلة فقط لسحقه وحماية النظام الجديد مما قد يخطر له من كيد أو سعى لتقويضه

ومع أن مكيافيللى لم يعترف ولم تثبت ادانته بأى الصور ، فقد لبث ملقى فى ظلام السجن بعد عذابه ، ولبث مصيره ومصير زملائه الآخرين معلقا فى ميزان القدر . وعانى الفيلسوف فى سجنه آلاما مبرحة . وكتب عدة مقطوعات مؤثرة يضرع فيها الى الكردينال جوليانو دى مديتشى لينقذه ، ويصف احوال السجن وجدرانه القاتمة التى تعمرها الحشرات الكبيرة المنتفخة . ولكنه ظل يرسف فى سجنه حتى كان ظفر الكردينال جوفانى مديتشى بكرسى البابوية بعد ذلك باسابيع قلائل واعتلاءه باسم ليون العاشر . فعندئذ رأى البابا الجديد ان يفتتح عهده بالعفو عن المتهمين والمعتقلين من انصار الجمهورية . فصدر العفو فى الرابع من ابريل ، واطلق سراح مكيافيللى وزملائه

وغادر مكيافيللى السجن منهوك القوى وقد برحت به محنته وتركت فى نفسه أيما أثر . ويقول لنا فى رسالة كتبها الى بعض اقاربه مشيرا الى تلك المحنة : « لقد كدت افقد الحياة ، ولم ينقذها

سوى الله وبراءتى » وارتد الى ضيعته فى سان كاشانو على مقربة من فلورنس ، وانقطع هنالك الى العزلة والتأليف ،وكتب فى تلك الفترة كتابه الخالد « الامير » . ويصف لنا مكيافيللى حياته الريفية فى بعض رسائله وصفا شائقا ويقدم الينا طرفا من البواعث التى حملته على وضع كتابه . ومن الغريب انه يقدم هذا الكتاب الذى خلد اسمه فى تاريخ الفلسفة الاجتماعية الى لورنزو دى بيترو دى مديتشى أمير فلورنس . ولكن مكيافيللى لم يكن يعنى بتغيير السادة كما قدمنا ، وكان يسعى دائما الى اكتساب عطف آل مديتشى ، أولئك السادة الجدد الذين كاد يفقد على يدهم الحرية والحياة . ولما توفى لورنزو بعد ذلك ببضعة اعوام ولم يعقب ولدا ، طلب اليه عميد الأسرة ليون العاشر ان يكتب له رسالة عن النظم التى يجب أن تحكم بها فلورنس ، فكتب مكيافيللى تلك الرسالة بعنوان « خطاب الى ليون العاشر » وفيها تبدو محاولته فى التوفيق بين آرائه الحرة ومبادئه الجمهورية ، وبين رغبات البابا الاوتوقراطية . وكتب مكيا فيللى فى تلك الفترة عدة رسائل أخرى سياسية واجتماعية ، ثم كتب بعد ذلك تاريخه الشهير « تاريخ فيرنتزا » نزولا على رغبة الكردينال جوليانو دى مديتشى ، فجاء مثل كتاب « الامير » قطعة خالدة من الفصاحة والطرافة والقوة ، وحمله بنفسه الى رومه ليقدمه الى الكردينال عقب ارتقائه كرسى البابوية باسم كليمنضوس السابع . ولكن الحوادث تطورت عندئذ تطوراً سريعا ، فهزم الفرنسيون فى واقعة « بافيا » الشهيرة ، وسحق سلطان آل مديتشى فى رومه وفى فلورنس . وبادر مكيافيللى عندئذ بالعودة الى وطنه مؤملا أن يستعيد منصبه القديم فى ظل الحكومة الجديدة ، ولكنه ما كاد يصل الى فيرنتزا حتى ادركه المرض ، وتوفى بعد أيام قلائل فى ٢٢ يونيه سنة ١٥٢٧

وهكذا اختتمت حياة الفيلسوف والسياسى الكبير ، وكان قد اختتم حياته العامة منذ محنته ولم تنفتح من بعدها قط آماله السياسية . وكان لتلك المحنة وما لقيه الفيلسوف خلالها من آلام مبرحة اكبر أثر فى تطور نفسيته وخلاله ووجهة حياته كلها ، فقد انقلب المجاهد السياسى الى فيلسوف يدون تأملاته فى غمر العزلة وقد كانت هذه التأملات عماد ذلك التراث العظيم الذى خلفه لنا السياسى الفيلسوف

محمد عبد الله عنان

رجعنا فى هذا البحث الى المؤرخ الايطالى فيلاري : Life and Times of Machiavelli وسيسموندي Hist. des Républiques Italiennes والى مكيا فيلى نفسه فى كتابى « الامير » و « تاريخ فيرنتزا »

التاريخ والأبطال

هل يخلق الفرد المجتمع

بقلم الأستاذ علي أدهم

« .. لو حللنا كل ثقافة امكننا ان نرد كل عنصر من عناصرها الى عقل فرد خالق، ولكن العقل الخالق لا يستطيع ان يبتكر ثقافة ، وانما هو يتلقاها ويضيف اليها . ولا يمكن انكار قيمة العظماء . . ولكن لا بد عند تقدير اهميتهم من النظر الى الوسط الاجتماعي الذي ظهروا فيه . . »

من المسائل التي تسترعى النظر في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع تحديد الدور الذى يلعبه الفرد في المجتمع وتقدير أثره في التاريخ . وهي مسألة يدور حولها نقاش مستمر وتعرض لجلائها حلول مختلفة وتفسيرات عدة تكاد تنحصر في نظريات ثلاث وهي :

(١) أن الفرد هو أقوى العوامل المؤثرة في التاريخ وهو بطبيعة الحال موجد حركاته وخالق نهضاته

(٢) أن الفرد نفسه نتيجة من نتائج التطور التاريخي وثمرة من ثمرات البيئة والوسط

(٣) أن الفرد عامل هام في المجتمع والتاريخ من ناحية ، ونتيجة للوسط من ناحية أخرى

ولكل وجه من هذه الاوجه أشياعه المنافحون عنه ومفسروه المتوسعون في تطبيقه واشباع البحث فيه . فالنظرية الفردية ترى أن البطل هو أهم عامل في التاريخ وأنه أكثر العوامل المؤثرة في التاريخ استقلالاً وأشدها استعلاء على مقتضيات الاحوال واحكام الظروف ، وأنه محلة الابتداء ومركز الانتهاء سواء كانت عظمته من النوع الذى يضيء كالكوكب الدرى ، و يقبل كالنسمة المتأرجة مثل العلماء والفلاسفة و رجال الفنون ، أو كانت من النوع الرهيب الذى يهب كالعاصفة المروعة أو الزوبعة القاصفة مثل أتيلا وجنكيزخان وتيمور لنك

وكل ما تزهو به الدنيا من الامجاد وباسق الآثار وجلائل الأعمال إنما تمت على يد الفرد وفي ظل رعايته . وهو الذى يبتدع سير التاريخ و يحتفر مجراه . وهو المتحكم في الماضى يضع له المقاييس و يمنحه القيم وفى يده مقاليد المستقبل وتعيين اتجاهاته

وقد لقى هذا الرأى رواجاً وقبولاً عند زمرة المؤرخين الذين يقتصرون من التاريخ على مشاهده الرائعة وحوادثه الدامية ومواقفه الحاسمة ، وتروقهم التفاصيل الدبلوماسية الدقيقة والدسائس السياسية في جميع العصور ومختلف المواطن . وقد أصاب هذا الرأى نصيراً قوياً ومدافعاً لا يشق له غبار في توماس كارلايل أكبر كتاب البريطان في النصف الاول من القرن التاسع عشر . فقد تناول هذا الموضوع ببلاغة سماوية ساحرة واقتدار فائق عجيب في كتابه الذائع الصيت عن الابطال وعبادة البطولة ودعم بحثه بشواهد تاريخية جمة مستمدة من حياة المشاهير والعظماء والقى عليه أضواء متوهجة مقتبسة من فلسفة فخت وحكمة جيتى وصوفية نوفاليس . وموجز رأيه أن التاريخ في جوهره هو سير عظماء الرجال . ولا سبيل الى نكران تأثير بعض الشخصيات الكبيرة في سير التاريخ مثل قيصر ونابليون و بسمارك ولوثر . وكل حركات التجديد والنهضات المعروفة بدأها أفراد ممتازون . ولا مساغ للشك فى بعد تأثير العظماء وجليل خطرهم . ولكن المشكل هو تحديد المدى الذى يبدو فيه تأثير عملهم وتعليل أسبابه و بواعثه . والابطال أنفسهم ثمرة عصورهم ، وقد سيطر الوسط الاجتماعى على نمو أفكارهم وتطور عقولهم . وهم أبناء عصورهم وتلاميذها قبل أن يصيروا أساتذتها المجربين وقادتها المحنكين . ونفس المثل العليا التى عملوا على تحقيقها والمبادىء التي انتصروا لها ترجع أصولها الى الاجيال التى سبقتهم . ولقد أثر نابليون و بسمارك في حياة عصرهما أكبر تأثير . ولكن نابليون أقام امبراطوريته على أنقاض الثورة الفرنسية و بقايا العهد القديم وجمع من الفوضى الغامرة أشتات النظام المبدد واستغل ولع الفرنسيين بالمجد والعظمة . و بسمارك عرف كيف يحقق ما كان يطمح اليه الشعب الالمانى وأتم العمل الذى بدأته أسرة الهوهنزلرن . وفي العصر الحاضر ساعد على ظهور هتلر ما لحق الالمان من الغبن في معاهدة فرساى وشعورهم باهدار الكرامة وجرح العزة القومية . كما مهد السبل لموسيلينى الخوف الذى خالج بعض الطبقات الاجتماعية فى إيطاليا من انتشار الاشتراكية المتطرفة وسريان عدواها

والمخترعون يظهرون أثر العبقرية الفردية وسمو شأنها في الابتكارات . لان فكرة الاختراع تتنزل عليهم كالوحي المفاجىء . ولكن مما هو جدير بالملاحظة أن الكثير من الاختراعات الصناعية كانت نتيجة تحسسات متوالية وتكميلات متعاقبة للعمل الاجتماعى أثر كبير في خلق الجو المناسب لها وتهيئة الفرصة المواتية لظهورها . وإنما يصير الفرد قوة في التاريخ إذا تعاون

في العمل مع أفراد لهم نفس اتجاهاته المنشودة وغاياته المرومة ، ولا مفر له من أن يضحي بمثله الأعلى الفردى من أجل المثل الأعلى الاجتماعى

وتاريخ العلوم يرينا أثر الفرد في ابتكار النظريات وطرافة الملاحظات وتأسيس المذاهب لانه مهما يشتغل عدد كبير من الناس بالعلم فان استكشاف القوانين واستجلاء الغوامض سيظل مرهناً بظهور الافذاذ . وكل تقدم فى العلوم والآداب والسياسة والفن والدين كان للشخصيات التاريخية البارزة أثر ظاهر فى إحداثه . فليس المجموع مثلا هو الذى يبتكر اللغة ويزيد في ثروتها ، وانما المجهود الفردي له أثر كبير في خلقها وتوسيع دائرتها وتجديد حياتها . وكل ابتكار فيها بدأه شخص معين ثم احتذاه غيره من الناس . والنوابغ في ذلك أشبه بالرواد يسيرون في طليعة الانسانية ويمهدون لها الطريق ويزيلون مافيه من الموانع والعقبات وينصبون الاعلام والاضواء ويمر بعدهم جم الانسانية

ولكن الرجل العظيم مثل الدوحة الفارعة تستمد حياتها من الرطوبة السارية فى التربة ومن الضوء والهواء الذى تتلقاه من الجو . وقد كان كارلايل فردى النزعة غالياً في فرديته فلم يوجه التفاته الى الوحدة العضوية وتضامن النوع الانساني والقوى الاجتماعية الخالقة واكتفى بالوقوف على أعمال القادة البارزين ولم يلق باله الى تيار الحياة العامة الدافق الذى كان يحمل القادة والاتباع . وقد كانت الظلال المتكاثفة الضخمة التى يلقيها الأبطال تحجب عن ناظره أثر الفكر القومى الذى كان هؤلاء الابطال ألسنته الناطقة ومفسرى غرائبه . وقد خصص الكاتب الامريكى الكبير أمرسن لنفس الموضوع الذي تناوله كارلايل كتاباً أسماه « الرجال الممثلون » وهو نقد صامت لنظرية كارلايل . وعندى أن رأى أمرسن في اعتبار العظماء ممثلين لعصورهم أقرب الى الحق من رأى كارلايل

والنظرية الثانية اكثر أنصارها من علماء الاجتماع وفي مقدمتهم الفيلسوف المعروف هربرت سبنسر . وهم على ما بينهم من اختلاف متفقون جميعاً في مسألة أن الانسان من خلق الوسط وأنه ثمرة من ثمراته . وهجل يسمى الوسط الاجتماعى روح العصر . ويرى هذا المذهب أن الفرد خادم لقوة أسمى منه مسيطرة على تصرفاته وجميع أعماله . والفرد فى هذا المذهب لا يعمل لنفسه وانما هو جزء في الكل العظيم الذي يتطور في كل الازمنة . والفرد خاضع لنظامه المحتوم وهو يظن أنه يفعل ما يريد ويتجه حيث شاء ولكنه مخدوع في ذلك . والواقع أن هناك قوى اجتماعية من وراء قدرته لا قبل له بها تملى عليه سلوكه وترسم له سيره . ونفس الضمير

الفردى لا يلعب في التاريخ دوراً هاماً . والميول الفردية اذا اعترضت سير الحوادث تبددت وزالت ولا يبقى أثر إلا للحوادث الاجتماعية . والفرد في رأى أنصار هذه النظرية لا يفكر ولا يخلق وانما الوسط الاجتماعى هو الذي يفكر ويخلق . والتاريخ حركة اجتماعية ولا يبدو معناه الا في التطورات التى تطرأ على المجتمع . والاشخاص في خلال ذلك ظل زائل ومظهر بائد . وكل الاعمال العظيمة التى استطاع ابطال التاريخ أن يقوموا بها لم تتيسر لهم إلا عند ما انجهت ارادتهم الى تحقيق الرغبات التى كانت تختلج بها عصورهم وتتطلبها حياتهم الاجتماعية . والتفسير المادى للتاريخ يرى في تغير الاحوال المادية العوامل الفعالة في سير التاريخ والمسيطرة على كل التغيرات الاجتماعية والسياسية والأدبية والعلمية والفنية

وأنصار هذا الرأى يرون الجبر في التاريخ وأنه سلسلة تتلاحق فيها النتائج بالمقدمات ، وقوانينه صلبة لاتلين وأثر المصادفة فيه ضعيف . والحوادث المتكررة كثيرة بحيث تبيح استخلاص القوانين المسيطرة على سير التاريخ . ولكن لهذه الفكرة خصومها من كبار فلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع . وأغلبهم يفرقون بين العلوم الطبيعية والعلوم التاريخية ،لأن الحوادث التاريخية في رأيهم شديدة التعقيد بحيث لا يمكن حصرها في قوانين معلومة ، وفضلاً عن ذلك فان عناية المؤرخ على الدوام متجهة الى الفرد وأوحديته أو الى الحوادث في صورتها المنقطعة النظير

وقد شايع هذا المذهب من بعض الوجوه تولستوى فان روايته العظيمة عن الحرب والسلام ترينا في صورة واضحة أخاذة كيف أن الفرد مهما ترتفع مكانته ويعظم نفوذه فانه ريشة في مهب الحوادث ولا حيلة له تجاه الظروف واحكام الاحوال

وهذا المذهب يسرف في تقليل أهمية الفرد ومحو أثره . وقد كانت حياة الكثيرين من أعلام المفكرين القائلين به مثلا حياً فى نقده . فكارل ماركس مثلا وهو من موطدى أركانه يبين قوة الخلق في الافراد ، وتأثيره في ايقاظ الطبقات الفقيرة لا امتراء فيه

والرأى الثالث هو محاولة إدماج النظريتين : النظرية الذاتية التى تنتصر للبطل، والنظرية الموضوعية التى تؤيد الوسط . فالبطل نتيجة للتطور التاريخى وهو كذلك عامل من عوامل الخلق في التاريخ . وهذا الرأى يوفق بين الرأيين المتناقضين فى الظاهر لان الواقع أن كليهما غير كاف بنفسه . والحقيقة أن التاريخ مزيج غريب من الجبرية الحاسمة والمصادفة العجيبة ومن شأن المصادفة أن تلطف من حدة الجبرية وتثنى من عنانها . والعلاقة بين الثقافة والعقل

الفردى تبدو أول وهلة علاقة متناقضة المظهر . لأن الثقافة من ناحية تنبعث من العقل الفردى ، ومن ناحية اخرى تصوغ العقل الفردى على أنماطها وترغمه على العمل فى دائرتها . ولو حللنا كل ثقافة أمكننا أن نرد كل عنصر من عناصرها الى عقل فردى خالق ، ولكن العقل الخالق من ناحية أخرى لايستطيع أن يبتكر ثقافة وانما هو يتلقاها ويضيف اليها . ولا يمكن انكار قيمة العظماء إذ بدون أفكارهم الثاقبة وأخيلتهم المجنحة يصبح تقدم الدنيا عرضة للشك ، ولكن لابد عند تقدير أهميتهم من النظر الى الوسط الاجتماعى الذي ظهروا فيه . وقد دافع أرسطو عن العبودية وهو من كبار مفكرى العصور القديمة لأنها كانت جزءاً من النظام الاجتماعي في عصره . ولا يمكن أن نتصور ظهور مثل فدياس في الصين أو مثل ليوناردو دافنشى في غير عصر احياء العلوم . وا كثر التأثيرات المعزوة الى العظماء كانت الى حد كبير نتيجة قوى كانوا هم آلة فى تحقيقها . ولقد شيد قيصر الدولة الرومانية ولكنها كانت في طريق التحقيق قبل ظهوره . والعظيم لا يؤثر في المجتمع إلا اذا كان المجتمع مستعداً لقبول تأثيره . وأهم ميزاته أنه تتركز فيه نزعات عصره وتلتقي مختلف تياراته فهو ممثل لعصره اكثر مما هو خالق له

على ادهم

صرعة الحب

لكم راعنى من جمال غرير ... ارق من الزهر حول الغدير
والطف من صفحات البدور ... ومن قطرات الندى فى البكور
ولكننى ما عرفت السعير ... وبرح الهوى وجنون الشعور
الى أن طلعت كطالعة حور ... من الجن لا من بنات الخدور
شمائل وحشية فى نفور ... ولحظ غوى طموح الفتور
وسطوة حسن عديم النظير ... غريب الشيات غريب العبير
ونفس ولوع كوهج الحرور ... تبث شآبيب نار ونور
تفشيت حسى الوديع القرير ... بهذا العباب القوى الغمور
فأحسست نشوة فلك صغير ... يغالب فى غمرات البحور
فهل صرعة كحميا الخمور ... على الصدر منك ليوم النشور !

عبد الرحمن صدقى

العرش الإنجليزي

سر ثبوته رغم تزلزل العروش

بقلم الاستاذ أديب عباسي

فى الحادى والعشرين من شهر يناير الماضى اهتز الأثير بنبأ وفاة الملك جورج الخامس ملك الانجليز

وأبرز ما يثيره فى النفوس ذكر الملك جورج والاعتبار بحياته ومماته هو بلا ريب هذا الحب الخالص المبرأ الذى تنطوى عليه نفوس الشعب الانجليزى وتكنه له ولأفراد البيت المالك ، مما حفظهم على غليان الحوادث وتواتر الخطوب واضطراب السياسة وتبدل المصائر والحظوظ لاصحاب التيجان فى الغرب والشرق . فأين مصادر هذا الشعور ، ومم هذه المنزلة الرفيعة ينزلها الملك وأفراد البيت المالك فى حبات القلوب وسويداء النفوس ، وما سر هذا الثبوت فى عرشهم بلا منافحة عنه منهم ؟

يقتضينا الامر لندرك السبب أن نرجع قليلا الى الوراء ونلم بالحوادث التى سبقت مباشرة أسلاف البيت المالك

ففى مطلع القرن السابع عشر ولى شؤون الملك فى انجلترا جيمس الاول ، أول من اعتلى العرش الانجليزى من آل ستيوارت ، الاسرة المشهورة فى التاريخ الانجليزى . وتلاه فى الحكم ابنه شارل الاول الذى خاصم البرلمان خصومة شديدة ونشبت بينه وبين جنود البرلمان الحرب الاهلية التى خذل فيها . وتولى قائد جيش البرلمان ، أوليفر كرومول ، مهام السلطة ثم حكم على شارل بالاعدام

وأفضت السلطة بعد موت كرومول الى ابنه . إلا ان هذا لم تكن له بعض قوة أبيه وضلاعته فى تصريف الحكم وضبط الامور والقدرة على التنظيم ، فتنازل مختاراً عن حقه فى الحكم . وانتهز مريدو شارل الفرصة واستدعوا الملك شارل الثانى ابن شارل الاول . وهكذا أعيد اتصال الملك فى أسرة ستيوارت وأعيد معه اتصال الملكية ، بعد ان قطعه أول مرة وآخر مرة عهد جمهورية كرومول القصير

وعند وفاة شارل الثانى تلاه أخوه جيمس الثانى الذى نشبت فى عهده الثورة الاهلية من جديد ، بسبب ما أظهره من ميله الميل الشديد الى إعادة الكثلكة الى انجلترا

وأفضت هذه الثورة فى نهاية الامر الى خذلان جيمس وقيام وليم الثالث أمير أورنج شؤون الملك . وعقب وليم أخت زوجه الملكة آن التى توفيت بلا وريث من بنيها ، فاختير للملك ، بتدبير أبرم فى حياة الملكة ، أقرب الوارثين البروتستانت لها . وكان جورج الاول من أسرة هانوفر الالمانية

والذى يهمنا من هذه الحقبة فى التاريخ الانجليزى أمران : الاول ما أظهره الشعب الانجليزى من جلادة وصلابة في محاسبة آل ستيوارت وعزمهم العزم الاكيد على الحد من سلطة الملك وتقوية سلطة البرلمان لتكون له اليد العليا فى تصريف الامور وتدبير شؤون الدولة . والامر الثانى اصرارهم على ان تكون لهم الحرية المطلقة فى امر دينهم . ولقد نجح الانجليز فى المطلبين بعد نضال عنيف تارة سلمى وأخرى مسلح ، فأضحت للبرلمان الكلمة الأولى والارادة النافذة فى ادارة شؤون الدولة من دون الملك ، وترك للشعب الذى كانت أكثريته بروتستانتية ان يصلى لربه ويعبده فى الاسلوب الذى يشاء ويختار

هذا التمهيد الموفق من الحوادث قد وضع أمام آل هانوفر قاعدتين للعمل : أولا أن يتركوا الشعب يحكم نفسه بنفسه ويصرف دفة الأمور على هواه ، بطريق ممثليه فى البرلمان . والثانية ان يتركوا له حرية العبادة ويدعوه يتجه الى البروتستانتية أو الكاثوليكية ، كما يختار . وقد أفادهم العمل بهاتين القاعدتين من جهتين : الأولى ان أخطاء الحكم وما يعقبها من نقمة الشعب وتبرمه ، ألقيت على كاهل البرلمان دونهم ، والثانية انهم نجوا مما تغرى به السلطة من الميل الى الاستبداد عند ذوى الاستعداد ، مهما يكون من التفاف ذوى الاغراض وطلاب المنافع من بطانة السوء على الملوك المستبدين ، مما يفسد عليهم امرهم ويوقظ فى نفوس الشعب المعاندة لهم والنفرة منهم والحفيظة عليهم

على ان هذا ـ بلا مراء ـ ليس كل السبب فى ثبوت العرش الانجليزى وحدب الامة وعطفها على الاسرة المالكة . والواقع ان ثمة اسبابا أخرى لا تقل أثراً عن السبب الفائت ، منها ما يرجع الى طبيعة الشعب الانجليزى وتكوين مزاجه ، ومنها ما يرجع الى جهد الاسرة الخاص جهداً إيجابياً فى مرضاة الشعب واكتساب وده ودوام تقديره

فالمشهور عن الشعب الانجليزى برودة الطبع واتزان الخلق والسير فى الحوادث على منطق العقل والخبرة العملية دون منطق العاطفة والنظريات الخيالية . وهو شعب ، فوق ذلك ، لا يهمه العرض كثيراً اذا حصلت الغاية وتحقق الغرض . والغاية التى ما فتىء ينشدها الانجليز من عهد الملك جون الى أواخر حكم آل ستيوارت كانت بلا ريب الحرية المدنية والحرية الدينية ، وقد حصل بمسعاه وجهده وصبره على الغايتين معاً . ونعتقد أنه لو كانت تغر الانجليزى امثال هذه الالفاظ : الحرية ، المساواة ، حقوق الشعب ، وما اليها لدار فى نفسه ان يحققها على مثال

ما كانت تحقق فى فرنسا من اشـــغال المقصلة ليل نهار ومطاردة الملكية واجتثاث أرومتها . ولكن الانجليزى عملى قبل كل شيء ، ولا يتناول طعاما قد لا تقوى عليه معدته لمجرد طيب نكهته وجمال لونه

كذلك معروف عن الانجليز المحافظة وكره الطفرة والانتقال المفاجيء فى التطورات الاجتماعية والسياسية . وأنت حيث نظرت فى مؤسساتهم الاجتماعية والسياسية والعلميه أيضا وجدتها وليدة التطور البطيء الذى لم تستعجله حاجة كاذبة الى التطور . والبرلمان الانجليزى أثبت البرلمانات وأقدرها وأقواها أثراً فى تسيير دفة الامور ، لا لأن الانجليز أعرف الناس بمبادىء الديمقراطية النظرية وتأسيس الدستور ، بل لأنهم حصلوا على برلمانهم ودستورهم خطوة خطوة مقومين الاخطاء منقحين الاغلاط عند كل مرحلة من مراحل التطور ، فأمنوا بذلك شر النكسة التى تجيء غالباً مع الاستعجال والطفرة واحلال النظر منزلة مقدمة على العمل . ولو كان الشعب الانجليزى سريع خطى التطور لضيع ، على الارجح ، على الملكية فرصة التطور الناجح التى تهيأت لها وأضحت بذلك أثبت الملكيات وأقربها من هوى الجمهور ، ولعله كان يقطع عليها سبيل التطور ويدعها ترتكس عند عثرتها الاولى ، لو كانت العجلة فى طبيعته ومن سجيته

هذا من ناحية الجمهور ، أما البيت المالك فانه إذ أدرك انه لا يراد للاحداث السياســـية الكبرى ولا لادارة شؤون الدولة التى تتوقف عليها جليلات المصائر ، انصرف الى ناحية أخرى من الحياة هى ناحية الخدمة الاجتماعية العامة ، فخرج من عزلة الملوك التاريخية وزايله تزمت السلطان وعبوس القوة ، وخالط الشعب وشاطره أفراحه وأتراحه ، يضحك اذا ضحك ويبكى اذا بكى ، فهو بينهم فى ألعابهم الرياضية وفى احتفالاتهم الشعبية ، وهو مترئس احتفالاتهم فى الداخل وممثلهم فى الخارج . وهو الداعى الى عقد المؤتمرات وتنظيم الخطط لتقليل البطالة وتخفيف بؤس العمال

ولا يقف أفراد البيت المالك غالباً عند حد العطف النظرى ، بل تراهم عند الحاجة يجودون بعقائل أموالهم (١) للملاجيء والمؤسسات العامة وغيرها . وتراهم ينفون عن أنفسهم الدعة والراحة حين يجابه الامة بلاء أو شدة ، لحينا فى ميادين القتال وحينا فى أمعاء الارض بين العمال فى مناجم الفحم المظلمة القذرة . وكلنا لا يزال يذكر زيارة ولى العهد (الملك ادوارد الثامن الآن) لمناجم الفحم ، وكيف شاهد ولمس لمس العيان حالة العمال البائسة ، وكيف رجع بعدها ، وعلى وجهه تقطبية الجد والتفكير العميق ، وفى حنجرته آلاف الصيحات المدوية بحالة العمال ، ثم ما كان من انهيال التبرعات للعمال بعد ان افتتحها هو بمبلغ كبير . وفى ابان الحرب

(١) فى أواخر الحرب الكبرى اذ أصبحت حاجة الحكومة الانجليزية للمال هى كل شيء فى كسب الحرب قدم الملك جورج مائتى الف جنيه تصرفها الحكومة فى اى وجه تشاء

الكبرى كان الملك جورج حركة دائمة لا يفتر . وبعد ثلاثة أشهر من تاريخ الحرب كان جلالته فى فرنسا يتفقد الثكنات والمستشفيات . وكان ابنه يحارب فى الصفوف فى الميدان الغربى . وزار الملك فرنسا مرة ثانية فجمح به حصانه ووقع وأصابته رضوض وجراح كثيرة نقل على أثرها الى المستشفى . وفى زيارته الثالثة لميدان القتال كان معرضا لنيران القتال تعرض أى جندى من الجنود . ولقد قيد الملك نفسه وكل من فى القصر فى أثناء الحرب بنظام شديد بشأن المأكل والمشرب ، فقطع عن نفسه وعن سكان القصر كثيراً من الاطعمة وجميع الاشربة الروحية على اختلافها ، وأخذ يقتصد فى جميع المصروفات المنزلية . وهذا بالطبع لم يكن من حاجة ولا من تعسر الامور عليه ، ولكنها القدوة والمثل الصالح يضربهما لشعبه

وهناك سبب خاص بالملك جورج فى اكتسابه رضى رجال الدولة وعطف الاحزاب وتقدير الساسة ، وهو كياسته السياسية وحذقه فى معاملة رؤساء الاحزاب ورجال الحكم فهو لم يكن يبدى رأيا له فى ترجيح حزب على حزب أو سياسة على سياسة ، ولم يختص بالعطف رجلا دون آخر من رجال السياسة ، مما جعل الاحزاب تقدره وتجله جميعا

وقد قيل على أثر تولى مكدونلد رآسة أول وزارة من العمال ، وقد أخذ الناس يتكهنون بما لا بد صانعه مكدونلد وحزبه الاشتراكى من تبديل الحكم شيئا فشيئا واعداد البلاد للحكم الاشتراكى واحلال الجمهورية محل الملكية — قيل إذ ذاك : لو قلبت الحكومة فى انجلترا جمهورية لكان الملك جورج أول رئيس لها . وهو قول حق وتقدير صائب . فان مكدونلد وغيره من رجال حزب العمال لا يقلون تقديراً للملك وحباً له عن تقدير غلاة المحافظين وحبهم إياه

هذه عناصر الثبوت والقوة فى العرش الانجليزى ، وهى بلا ريب مجال كبير للدرس والعبرة لمن أرادهما

اديب عباسى

---

* ان الذين يهبون قواهم وأعمارهم لبلادهم لا يحسبون لاشخاصهم وجوداً مستقلا عن المبدأ الذى يعملون لنصرته ، بل يندمجون فى المبدأ نفسه ، فكل تحية تهدى اليهم فهى تحية اليه

مصطفى كامل

... بل هي ثورات على علوم البلاغة

بقلم الأستاذ أمين الخولى
المدرس بكلية الآداب

هي ثورات على البلاغة العربية ، أقول « ثورات » ، لأنها في الحق جمع من ذلك لا مفرد . وكلمتي هنا عن خطى هذه الثورات ومقرراتها ، ومكان ثورة الاستاذ البشرى منها ، مع تعقيب يسير على بعض ما ساقه الاستاذ

والثورات في هذا الميدان ثلاث كبيرات : ١ - ثورة قديمة ٢ - ثورة حديثة ٣ - ثورة جامعية ... ثم الثورة الاخيرة للاستاذ البشرى

الثورة القديمة

هي ثورة خالجت النفوس حين صارت البلاغة الى جفافها العلمي ونزوعها الفلسفي ، لا تعين على شيء من صناعة القول البليغ نثراً أو نظماً ، فقضى هؤلاء الأقدمون الثائرون في غير تردد ، ان هذه العلوم البيانية لا تجدي شيئاً في اكساب الملكة الأدبية . وعقد ابن خلدون في مقدمته أكثر من فصل بين فيه هذا الرأي . فمن ذلك « فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ، ومستغنية عنها في التعلم » و « فصل في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه ، وبيان أنه لا يحصل غالباً للمستعربين من العجم » وفيه حكم على القوانين البيانية بقوله : « ... وربما يدعى كثير ممن ينظر في هذه القوانين البيانية حصول هذا الذوق فيه بها ، وهو غلط أو مغالطة ، وانما حصلت له الملكة إن حصلت في تلك القوانين البيانية ، وليست من ملكة العبارة في شيء » . بل كتب البلاغة التي تحجرت في القوالب العلمية الفلسفية لا تخلو من اشارة الى هذا واضحة

ثورة صريحة ولكنها ذهبت إذ ذاك مع الريح ، لمجيئها في أعقاب نهضة وبدء أدبار الحضارة الاسلامية ، أدبية أو علمية أو عملية . ثم لسبب آخر هو رأي الأقدمين في فائدة علوم البلاغة ، وان ثمرتها انما هي في فهم الاعجاز من القرآن ... فلست تبتغي للاستعانة على صنعة القول ، بل

> نشرنا في هلال يناير الماضي مقالا شائقا للاستاذ عبد العزيز البشرى بعنوان « ثورة على علوم البلاغة » . وهذه الثورة متصلة بثورات سبقتها على هذه العلوم كان للجامعة المصرية نصيب فيها . وقد جاءنا من الاستاذ أمين الخولى المدرس بكلية الآداب هذا المقال النفيس ليسمع به الجمهور كلمة الجامعة في هذه الثورة ، وليصل به ثورة الاستاذ البشري بالثورات الماضية التي دوت في مصر والشرق العربي

هى معايير نقدية خاصة قاصرة . لكن هذه الثورة القديمة التى ظلت حكما مدونا فى بطون الكتب لم تضع تماما بل أمدت

الثورة الحديثة

تلك الثورة التى حمل لواءها الاستاذ الامام حين قضى بأن كتب البلاغة الاخيرة التى تدرس فى الازهر مضيعة لهذه العلوم كما يقول تلميذه المرحوم صاحب المنار فى مقدمة كتاب أسرار البلاغة : « وبين المتكلفين من المتأخرين الذين سلكوا بالبيان مسلك العلوم النظرية ، وفسروا اصطلاحاته كما يفسرون المفردات اللغوية ، ثم تنافسوا فى الاختصار والايجاز ، حتى صارت كتب البيان أشبه بالمعميات والألغاز ، فضاعت حدوده بتلك الحدود ، ودرست رسومه بهاتيك الرسوم »

هذا ما كان يقرره الاستاذ الامام منذ أكثر من ثلث قرن ويعمل عملا قويا فى تلافى هذا الجمود ، باطراح تلك الكتب « التى ملكت العجمة عليها أمرها » واحياء « الكتب التى تهديك الى العلم الصحيح بمعانيها وتهدى اليك الذوق السليم بأساليبها ومناحيها » . فأحيا الاستاذ كتابى عبد القاهر ـ أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ودرس منهما ما درسه فى الازهر ، فلفت النفوس لفتاً قويا الى صلة الأدب والنقد الأدبى بعلوم البلاغة

وتلاحقت أسباب النهضة الادبية والنهضة العامة فى مصر ، فكانت حركة اصلاح دراسة الادب وتاريخه ، تلك الحركة التى ابتعثتها الجامعة القديمة ، وحتها الجامعة الجديدة ، فامتدت الى دراسة سائر علوم العربية وكان لى حظ المشاركة فيها إذ عهد إلى فى أواخر سنة ١٩٢٨ درس البلاغة وتاريخها فى كلية الآداب ، وفى تلك البيئة كانت :

الثورة الجامعية

وهى ثورة بلاغية قوية غير جامحة ، عنيفة غير مدمرة ، عميقة فى رزانة ، لم تشأ ان تشق إهابها ، او تسابق ظلها ، بل آمنت بان التجديد ليس إلا متابعة الحياة من حيث عاقتها غفوة اجتماعية ، ومواصلة النماء من حيث وقفته عوامل جمود . كما قدرت تلك الثورة ان ليس يستبين المجدد طريقه ، ولا يدرى من أين يبدأ جهاده ، إلا اذا استجلى تاريخ ما يعانى تنميته ، وعرف كيف ومن أين بدأت حياته ، ومتى ولم وقف به الجمود . فأقامت أساس ثورانها على حقائق تاريخ البلاغة . وكان لتلك الثورة مظهران : نظرى ، وعملى

الجانب النظرى : كان فى دراسة تاريخ البلاغة درساً متئداً ، ففى مايو سنة ١٩٣١ ألقيت من منبر الجمعية الجغرافية الملكية محاضرة عن موضوع تاريخى تجديدى هو :البلاغة العربية وأثر

الفلسفة فيها ، ونشرته صحيفة اتحاد الجامعة ، كما طبع مفرداً ، ووزع على كبار المشرفين على تعليم علوم العربية

وكان من النتائج التي قررها هذا البحث في نور الدراسة التاريخية :

١ - ان البلاغة نشأت في بيئة فلسفية كلامية متأثرة ببحوث العقائد ، ولا سيما ما حول اعجاز القرآن

٢ - ان للقدماء في درس البلاغة طريقتين (مدرستين) : مدرسة كلامية فلسفية ، واخرى أدبية فنية ، ولكل مدرسة طابعها الخاص ، ورجالها القائمون على أسلوبها ، ومؤلفاتهم على هذا الاسلوب

ومن رجال المدرسة الفلسفية السكاكي والرازي والقزويني والسعد التفتازاني وأشباههم ، ولهم كتبهم المعروفة كالمفتاح والنهاية والمصباح والتلخيص والايضاح والشروح والحواشي والتقارير المشهورة

ومن رجال المدرسة الادبية قدامة بن جعفر - الى حد ما - وابن المعتز ، وابو احمد وابو هلال العسكريان ، والقاضي الباقلاني وابن رشيق . وابن سنان الخفاجي .وعبد القاهر الجرجاني وابن الاثير . ولهم كذلك كتبهم - كنقدى قدامة وبديع ابن المعتز والصناعتين واعجاز القرآن والعمدة وسر الفصاحة والمثل السائر والجامع الكبير الخ ...

٣ - ان في دراسة البلاغة من كتبها المتأخرة المتداولة تقصيراً أدبياً ودينياً . وانه يجب ابعاد الطريقة الكلامية في درس البلاغة واحياء الطريقة الفنية

٤ - ان البلاغة تحتاج الى بحوث جديدة يجب ان نزيدها في درسنا ، كالبحث في الاسلوب واختلافه وأوجه تفاوته ومزايا أنواعه المختلفة . والبحث فيما وراء المعنى الجزئي - تشبيه ، واستعارة ، وكناية - من معنى كلي وغرض فني يقصد الاديب اليه . وكيف يرسم له الصورة الكاملة ويقسمها الى أجزاء ويصل ما بين تلك الاجزاء . وكيف يبرز كل جزء منها ، فتكون وحدة درسنا القصيدة الكاملة ، او القطعة النثرية التامة

ومن ذلك البحث في إيجاد المعاني كيف يكون وترتيبها كيف يتم ، والبحث فيما يناسب كل فن أدبي من المعاني ومالا يناسب ، والبحث في فنون الادب النثري والنظمي ودرسها فناً فناً ، والبحث في فنون جديدة خلقتها الحياة المتجددة بعد الرسالة والمقامة واشباههما ، كدرس المقالة والقصة ... الخ

واتماماً لقوة الاساس النظري رحت استفسر التاريخ عن المزاج المصري في درس البلاغة . فألقيت من منبر الجمعية الجغرافية نفسه (في مارس سنة ١٩٣٤) خلاصة بحث عن « مصر في تاريخ البلاغة » تبين منه ما تركته البيئة المصرية من أثر في حياة البلاغة العربية ، وانه كانت

في القرن ٢١

تصبح المرأة فتى شريفا

بقلم الأستاذ بولس مسعود

« . . اذا نظرت الى المرأة العصرية فقلما يقع نظرك على وجوه نضرة . أما المرأة في القرن الحادي والعشرين ، فمن يعش ير فيها وجها صبوحا مفعما صحة وجمالا . ويشاهد فيها من الصراحة الهادئة والاستقامة البارعة ما يجعلها أقرب الى فتى شريف . . »

من نواميس الطبيعة التي لا تقبل هوادة ولا تبديلا ناموس التطور . فكل ما في الكون في حركة دائمة وتجدد دائم . وتطور البشرية قائم بانتقال الانسان تدريجاً من الطبائع الحيوانية الى السجايا الانسانية ، أي بارتقائه من القوة الحسية الغشوم الى قوة العقل والحق

الانسانية في أيامنا غيرها في عهد أسلافنا الفراعنة الأقدمين فقد تقدمت وارتقت ورقيها مستمر متواصل . كان الانسان القوي يستعبد الانسان الضعيف ويسترقه ، فبتطور الانسانية التدريجي زال الرقيق من البلاد المتمدنة وأصبح جميع الناس سواء أمام القانون . ولكن القانون نفسه مازال جائراً يسنه القوي ويستغل به الضعيف . وأبرز نقطة لهذا الاستغلال ماثلة في نظامنا الاقتصادي الفردي ؛ ولكن هذا النظام الفردي ، كـكل شيء آخر ، خاضع لسنة التطور فقد خفت وطأته كثيراً مع مرور الزمن ، وهو سائر سيراً حثيثاً نحو اخلاء المحل لنظام اجتماعي يحل فيه الحق محل القوة ، والتعاون والتضامن محل تنازع الارتزاق

منذ أقل من نصف قرن لم يكن لهذا النظام الاجتماعي أثر في المجالس التشريعية ، أما الآن فقد كثر أنصاره الى حد يبشرنا بفوزه النهائي . انظر الى برلمانات الدول العريقة في المدنية تر مقاعد الاشتراكيين فيها ، على حداثة عهدها ، لا تنفك في ازدياد دائم . وفي أكثر الدول الاوربية العظمى يوشك النواب الاشتراكيون والعمال أن يؤلفوا أكثرية مطلقة

غير أن هذه الاشتراكية مازالت في طور الجهاد ولن تبلغ طور الفوز في القريب العاجل . فالنظام الاقتصادي الاجتماعي لا يقوم بالقوة أو الثورة أو بمجرد سن قوانين جديدة ، ولا يسود الا اذا تمهدت له السبل الطبيعية فارتقت الانسانية وأدركت العقول صلاحية هذا النظام وتاقت النفوس إلى تحقيقه . وهذا هو السر في فشل الانقلاب الروسي البلشفيكي

وقد بلغت الانسانية من الرقي في أيامنا ما يجعلها تنزع إلى نبذ تحكم القوي بالضعيف وايثار الائتلاف والتعاون بين الناس ، قويهم وضعيفهم ، على تنازعهم موارد الرزق ، وقد ظهرت آثار هذه

النزعة الحميدة فى الطائفتين اللتين عانتا أكثر الحيف الناتج من النظام الاقتصادى الفردى، وأعنى بهما العامل والمرأة . أما العمال فالتحسين الخاص بهم قد ابتدأ منذ بدء القرن الحاضر وأصبح اليوم بارزاً فى انشاء النقابات وفى ارتفاع الاجور وتحديد ساعات العمل وتعيين أيام الراحة وانشاء صناديق التوفير وتقرير الاعانات فى حالة العطلة أو المرض أو الشيخوخة إلى غير ذلك

أما النساء فنجد أن كن يلقين عناء لا مزيد عليه فى خدمة منازلهن قد يسرت لهن المدنية العصرية والاختراعات الحديثة القيام بهذه الخدمة . ولن يمضى القرن الحاضر حتى يكون ما تعانيه ربات المنازل من الخدمة المنزلية قد اختزل الى أدنى حد

أضف الى ذلك أن المرأة فى العهد الحاضر لا تقوم بنفسها بسد حاجاتها المادية ، وكل اعتمادها فى ذلك على الرجل ، ولكن ذلك أيضاً سوف يتغير تغيراً كبيراً . ولن يبلغ أحد فى العهد المقبل مبلغ المرأة فى ابتهاجها اذ يتسنى لها أخيراً أن تطرح عن اكتافها خدمة المنزل المرهقة ، وان تتساوى بالرجل فى موارد الارتزاق وتتحرر من سيادته بدون شرط ولا قيد ، ففى ذلك الزمن المقبل ينقضى عهد التابع للمتبوع ويصبح الرجل والمرأة متساويين فى الكرامة يعامل أحدهما الآخر معاملة الند للند ويتسع المجال لظهور مزايا كل منهما وبروز محاسنه

اذا نظرت الى المرأة العصرية فقلما يقع نظرك على وجوه نضرة . أما المرأة فى القرن الحادى والعشرين فلن يعش ير فيها وجها صبوحاً مفعماً صحة وجمالا ويشاهد فيها من الصراحة الحادثة والاستقامة البارعة ما يجعلها أقرب إلى فتى شريف بريء منها الى أية فتاة من فتيات اليوم

يخيل الى بعضهم ان مثل هذه الصفات الفتانة فى نساء المستقبل يرجع أمرها الى أن المرأة ، وقد رفع عنها نير الخدمة المنزلية ، ستصبح ولا شغل لها سوى العناية بلطافتها وكياستها

اذا قصرنا نظرنا نحن الرجال على ما يعنينا من هذا الأمر لاعتبرنا أن المرأة تقوم أو فى قيام بما عليها للمجتمع لو قصرت همها على هذا الشغل ، ولكن المرأة لن ترضى الا كتفاء به ولو عدته مكافأة لها على تزيينها المجتمع

اجل ستعتق المرأة فى ذلك العهد المقبل من عبء الشغل المنزلى الثقيل ولكنها لن تتخلص منه حتى تأخذ فى مشاركة الرجل فى العمل على رفاهية المجتمع بطرق أخرى أقوى فعلا وأكثر قبولا بقدر ما تسمح لها واجبات الامومة

غير ان رجال المستقبل سيقدرون تمام التقدير انهم مدينون لجمال النساء ولطافتهن بأعظم طعم للحياة وأكبر باعث على بذل الجهد ، فلن يدعوا المرأة تتعاطى أى عمل شاق ولن يسمحوا لها بالعمل الثقيل الاجتماعى ، فوق الامومة ، إلا أنهم يدركون ان شيئاً من العمل المنظم الموافق لقواها حسن الأثر فيها للبدن والنفس معاً . وفى اعتقادى أن الصحة البديعة التى ستمتاز بها نساء المستقبل يرجع أمرها إلى هذا الشغل الصحى الموافق لهوى النفس الذى سيقمن به خارج المنزل

اذا رغبت فتاة فى أيامنا أن تقوم بعمل اجتماعى فتكاد لا تجد سوى مزاحمة الرجال غير الطبيعية . أما فى المستقبل فكل ذلك سيتغير وستعطى المرأة عالماً خاصا بها بما فيه من المهن الخاصة والمنافسات والمطامع مما يؤول ولا شك الى سعادتها . فلا نعود نسمع أن امرأة اشتهت لو تكون رجلا أو أن والدين تمنيا أن يكون أولادهما صبياناً لا بناتاً . فبنات المستقبل مثل الصبيان ، ستملأ المطامع حياتهن الاجتماعية . والزواج إذا حان لا يعنى انحباساً لهن أيا كان عن مصالح المجتمع واسعة النطاق وعن حياة العالم دائمة الحركة . وكل ما هنالك ان المرأة عندما تملأ الامومة ذهنها بمصالح جديدة تنسحب من العالم إلى حين ويمكنها بعد ذلك فى أى وقت أن تعود إلى مكانها فى المجتمع . فانت ترى أن نساء القرن الحادى والعشرين سيعشن فى نعيم عظيم بالنسبة إلى ما كن عليه فى أى زمن سابق فى تاريخ الانسانية وبطبيعة الحال ستزيد قدرتهن على اسعاد الرجال بقدر ذلك

ولا يتبادرن الى ذهن القارىء ان اهتمام الفتيات بما فى عالم المهن الاجتماعى من منافسات ومطامع سيؤثر عليهن فيحولهن عن الزواج . فمهما تقلبت الاحوال بين الرجال والنساء وأحدثت فى علاقاتهم من التغيير والتبديل فسيبقى جاذب الجنس الواحد للجنس الآخر قوياً ثابتاً

والدليل القاطع على ذلك ان تنازع البقاء الشديد فى أيامنا لا يترك لنا وقتاً يذكر للتفكير فى أمور أخرى ، والمستقبل المادى غير مضمون إلى حد أن الاضطلاع بالمسئولية الابوية يعد أحياناً كثيرة مخاطرة اثيمة ، ومع ذلك ما برح الناس يزوجون ويتزوجون

أما من حيث الحب فى العهد المقبل فالفراغ الذى سيحدثه فى الاذهان زوال هم كسب العيش سيملأ جانب عظيم منه بالميل الجنسى الرقيق ، وفيما سوى ذلك فلن يمس الزواج مركز المرأة الاجتماعى بنقص بل يزيده رفعة فان الوظائف العليا فى عالم العمل النسوى لا توكل الا للنساء يكن زوجات وأمهات لانهن دون سواهن يمثلن جنسهن تمام التمثيل . فلا خوف اذن أن يحول اغتباط النساء بمشاركة الرجال فى خدمة الجميع خارج المنزل دون اقبالهن على الزواج

وثم باعث يجعل فتيات اليوم لا يقبلن على الزواج الا مكرهات . ذلك هو نفورهن من الخضوع للرجال الذى يفرضه الزواج ، فان الزوجة فى عهدنا الحاضر مرتبطة بزوجها فى أمر معاشها ويضطرها ارتباطها هذا الى خضوع مهيمن . لا أنكر أن هذا الخضوع يخف حمله على الغالب فى حالة الزواج عن حب ولكنه لا يبرح مذلا للنساء النبيلات ، دع عنك جماهير النساء اللواتى يضطرهن سد اعوازهن المادية لبيع أنفسهن للرجال بصورة زواج أو بغيرها

أما فى المستقبل اذ تصبح النساء تشارك الرجال فى الاعمال الاجتماعية فضلا عن حمل الاولاد وتربيتهم ، فلن تكون وسائل المعيشة للمرأة أقل من وسائل الرجل . وسيعد من السلب والجور أن يحتكر الرجال لانفسهم انتاج العالم ويتركوا زوجاتهم وبناتهم يتسولن ويتملقن للحصول على نصيبهن

منه . فلن تكون المرأة فى ذلك الوقت تحت رحمة الرجل كما هى الآن

ولا يلبث هذا التغيير الكبير فى موقف النساء أن يحدث تغييرا بينا فى صلاتهن المتبادلة مع الرجال ، فسوف تكون العلاقات الجنسية ، المصطبغة الآن بصبغة التصنع ، على تمام الصراحة وعدم التكلف ، ويتقابل الفريقان بارتياح مقابلة الند للند

أما أن المرأة فى عهدنا الحاضر أكثر انتفاعا بالزواج من الرجل ، فذلك أمر معترف به بين جميع الطبقات العامة ، أما فى الطبقات المثقفة فنراه مطليا بمجموعة اتفاقات محكمة البنود ترمى الى عكس هذا المعنى . فهى ترمى الى أن الرجل هو الذى تعود إليه المنفعة الكبرى من الزواج ، واحتفاظا بهذا الاتفاق يعد من الأمور الجوهرية أن يظهر الرجل دائما مظهر الطالب المستعطف ، ومن المخالفة العظمى للحشمة واللياقة أن تبوح المرأة بحبها لرجل قبل أن يبدى رغبته فى التزوج منها ، لانها ان فعلت اعتبر ذلك منها دعوة فعلية للاضطلاع بعبء معيشتها ، فتحملها والحالة هذه عزة نفسها ورقة احساسها على كبح جماح دوافع قلبها

وأما فى العهد المقبل فلا مانع يمنع الفتيات من أن يبحن بحبهن ، فلن يبقى حجة لاخفاء العواطف لامن قبلهن ولامن قبل محبيهن . ولذلك سيصبح التدلل مزدرى به عند الفتى وعند الفتاة على السواء ، ومن شأن البرود المصطنع ، الذى لايجوز على العاشق اليوم ، أن يخدعه غدا،لان أحداً لن يفكر فى استعماله ، ولذا لن يحصل زواج فى المستقبل الا اذا دعا اليه داعى الحب المتبادل

وهذا الاقتران الدافع اليه الحب سيفسح المجال لسنة الانتخاب الجنسى الطبيعية فتقوم بعملها طليقة من كل قيد ، ولا تعود الاعواز المادية تغرى النساء فى قبول رجال ليس فى قدرتهن أن يحببنهم أو يحترمنهم ، آباء لاولادهن ، ولا يعود فى الثروة أو المقام ما يصرف فكرهن عن الصفات الشخصية ، فيضمن الجيل المستقبل أن ينتقل الى ذريته النشاط الحيوى والبسالة والجمال والذكاء

يقضى عهدنا الحاضر على أى شعور حيوى بالمصلحة المشتركة بين الناس وبمسئولية الاحياء عن الجيل الذى يلحقهم . أما فى العهد المقبل فسيكون الشعور بهذه المسئولية أكبر حافز للبحث ، فى الاقتران ، عن أحسن وأشرف ما فى الجنس الآخر ، وستحتل النساء الى أعلى مستوى مسئوليتهن كحارسات للعالم وكل اليهن حفظ مفاتيح المستقبل ، وسيبلغ شعورهن بالواجب فى هذا الشأن حد التكريس الدينى ويكون لهن عبادة يربين بناتهن عليها منذ الصغر

وسيترتب على ذلك أن جميع بواعث التشجيع والتحريض لتوسيع نطاق النبوغ والتفوق من أى نوع لا توازى ، فى فعلها فى الشبان ، تأثير النساء اذا اعتلين منصة الحكم فى حلبة السباق واحتفظن بأنفسهن لمكافأة الفائزين ، فما من شىء من كل السياط والمهاميز والمغريات والجوائز يحث الهمم مثل فكرة الاوجه الصبوحة يراها المتوانون تلوى ببصرها عنهم !

بولس مصويع

الحرب الكبرى

أثرها فى الأخلاق والأدب الأوربي

بقلم الأستاذ ابراهيم المصرى

كان من أثر الحرب الكبرى أن تزعزعت أصول الاخلاق القديمة ، ودبت الفوضى فى علاقات الأفراد ، وشاع الاستخفاف بالعقائد والتقاليد والنظم ، واستولى على الجماهير ضرب من الشك فى غاية الحياة

ولقد خرجت الشعوب الاوربية من الحرب أحوج ماتكون الى اللهو تنفس به عن صدرها ، والى الاسراف فى اللهو طلباً للنسيان والتعزية ، فانتشرت الرقصات الزنجية ، واولع القوم بموسيقى الجازبند ، وهجروا الفنون الرصينة والآداب العالية ، وتبرموا بالمسرح ، واقبلوا على صالات الرقص ودور السينما . . ورغبة منهم فى استعادة نشاط أبدانهم والاستمتاع بالصحة والهواء الطلق ، مجدوا الألعاب الرياضية وتهالكوا عليها وافتتنوا فيها

وكانت الحرب قد ألهبت فى نفوسهم حب الجرأة والمغامرة ، فعبدوا الطيران وقدسوا رجاله ، ووضعوا البعض منهم فى مصاف الابطال ، وهكذا أصبحت الشجاعة أو المخاطرة ، المقصود بها الاستزادة من الاحساس بلذة الحياة القوية ، ومن شعور الفرد بحريته وقوته ، هى الطابع النفسى للفرد والجمهور

وليس شك فى أن نظرية التمتع بالحياة كما يفهما السواد الاعظم ، تقوم على حق الفرد فى المطالبة بأكبر نصيب من الحرية . وهذه الحرية ظفر بها الشعب هناك على حساب العادات والتقاليد ، فنشأ من ذلك أن تداعت سلطة رب الاسرة وازداد شعور الفرد باستقلاله ، وذهب الجميع ينشدون حق التمتع ويلوحون به فى وجه كل رجعى محافظ وفى وجه كل مصلح ما يزال يرعى حرمة التقاليد

وتمكن حب اللهو والمرح من قلوب الكثيرين وكرهوا العمل الشاق . وأصبح البعض منهم يبحث عن أسباب العيش لا من طريق الأعمال الذهنية الخارقة ، بل من طريق النبوغ والتفوق فى الرقص أو فى التمثيل السينمائى أو فى الألعاب الرياضية

الازمة الاخلاقية ـ ادب الصراحة الجنسية ـ ادب الخنادق ـ ادب القوة والمغامرة ـ الادب الاجتماعى الثورى

والواقع ان العالم لم يشهد فى عصر من العصور ماتشهده اليوم من تمجيد الممثل أو الراقص أو البطل الرياضى ومنحه ثروة طائلة لا يصيب العالم أو الاديب أو الفنان عشر معشارها

وكان ان تركزت نزعات الحرية فى فكرة الاستمتاع الجنونى بمختلف الشهوات الجنسية ، فاراد البعض أن يتسامى بهذه الفكرة فدعا الى مذهب العرى وأسس له الجمعيات والاندية . وقال فى الدفاع عنه انه من أشد العوامل فى تلطيف حـدة الشهوة وفى تربية ذوق الفرد وتدريبه على الاحساس بالجمال البدنى وتقدير القوة العضلية وعبادة الجسم المنسجم السليم

ثم جاءت الازمة الاقتصادية الحاضرة ورافقها أول الامر نوع من الخوف والحذر وأحس الجميع انهم قد أصيبوا من جرائها فى صميم حياتهم ، ولكنهم سرعان ما تبرموا بالتفكير والالم وراحوا يمعنون فى لهوهم ويسرفون فى نزعاتهم الجديدة وينشدون فيها العزاء والنسيان

ولم يتخلف عن هذه الطريق غير طبقة العمال التى رزحت تحت وطأة الازمة وابتليت بالعطلة وما يتبعها من تشرد وجوع . وانقسمت شعوب أوربا الى اربع طبقات :

طبقة المموليين الذين ارتعدت فرائصهم لمقدم الازمة الاقتصادية والذين اشعلوا نار الحرب وجمعوا ثرواتهم من اشلاء ضحاياها وغامر معظمهم بالشرف والضمير والعرض من أجلها

وطبقة الساسة والمفكرين الذين اختلطت عليهم السبل وأحرجهم الانقلاب الفجائى ووجدوا أنفسهم بغتة أمام عالم جديد بمشاكله لا يمت الى الماضى بصلة

والطبقة المتوسطة التى أمعنت فى اللهو وألقت مقاليد الامور للساسة والمموليين

وطبقة العمال التى عضها الجوع بنابه فنقمت على الانظمة القائمة وعدتها مسؤولة عن الازمة والعطل ، ومضت تبشر بأفكار ومذاهب اشتراكية متطرفة ترى فيها الخلاص من الشقاء الذى تعانيه

وأسرفت طبقة العمال ــ تحت ضغط الظروف القاهرة ــ فى الدعاية لمبادئها الاشتراكية المتطرفة. وكانت بعض الدول ولا سيما فرنسا قد أسرفت فى الضغط الاقتصادى والعسكرى على البعض الآخر ، ثم استفحلت بعد ذلك الازمة الاقتصادية وتضاعف عدد العمال العاطلين وخيف منهم على النظام القائم فكان من تجمع هذه العوامل أن قويت فكرة الديكتاتورية على النمط الايطالى ، وتوهم صغار العقول انها خير نظام يصلح للتغلب على الفوضى الخلقية والاقتصادية

ولكن الامم التى قبلت هذه الديكتاتورية ، ضحت بحرية أفرادها ، وخضعت لاستبداد حزب معين ، وفشت فيها أعراض الملق والرياء والدس

أما الاخرى فما تزال الاخلاق فيها مزعزعة مضطربة لم تستقر بعد على مبادىء ثابتة . ولاتنفك تتقلب بين الغلو فى الاستمتاع والحرية ، وبين الرغبة فى ايجاد وازع روحى واقتصادى يهذب هذه الحرية ، وينقذ الفرد من طغيان الجشع المادى ، ويوازن فى نفسه بين قوى الغريزة وقوى الروح !

فما هي الآثار التي أحدثتها هذه الازمة الناشئة عن الحرب فى الحركة الادبية الاوربية ؟ وما هي الانواع الادبية التي خلقتها ، بل ما هي الاتجاهات النفسية التي تمخضت عنها وجدت بواسطتها الادب العصري ؟

يلوح لى أن فى وسعنا تلخيص تلك الاتجاهات فى المذاهب الادبية الآتية :

أولا : أدب الصراحة الجنسية

ثانياً : أدب الخنادق

ثالثاً : أدب القوة والمغامرة

رابعاً : الادب الاجتماعي الثوري

وسنحاول فيما يأتي اعطاء القارىء صورة واضحة لكل من هذه المذاهب كي يخرج بفكرة عامة عن مبلغ التطور الأدبي الذي وقع فى أوربا بعد الحرب

ادب الصراحة الجنسية

من خواص الادب انه يتأثر بالنزعات القائمة ويؤثر بدوره فى هذه النزعات

فوجة الاستمتاع الجنسي التي طغت على الاوربيين بعد الحرب أحدثت تأثيراً عميقاً فى نفوس عدد كبير من الادباء

شعر هؤلاء الادباء أن موجة الاستمتاع الجنسي هذه تنطوي على الخير كما تنطوي على الشر ، فحاولوا صقلها وتجميلها وردها الى مجراها الطبيعي الحي — وهكذا نشأ ادب الصراحة الجنسية

وغرض هذا الادب هو محاربة عوامل الكبت الشهوي فى نفوس الناس ، وتحريرهم من التقاليد والعادات والافكار التي تدعو الى خنق الرغبة الجنسية وكتمانها والخجل منها ، والخوف من اشباعها وفق سنن الطبيعة واحكام البدن

والواقع ان هذا الادب اجتهد فى أن ينزع عن الرغبة الجنسية ثوب الخطيئة الذي اضفته المسيحية عليها ، كما اجتهد فى أن يشعر الناس بأن تلك الرغبة طبيعية ، وانها مصدر فرح وغبطة وخلاص مادام تحقيقها ينهض على أساس تبادل الحب بين جسمين متوافرة فيهما عوامل الاستجابة الفطرية الاولى

ولا ريب فى أن الاوربيين الذين قاسوا من ويلات الحرب ما قاسوا والذين اشتد عليهم ضغط الحضارة الآلية ، وجدوا فى الغريزة الجنسية المحققة على الوجه الاكمل راحة لهم وعودة الى الحياة النأضرة الساذجة ، حيث لم يكن للانسان بعد اشباع غريزة الجوع الا اشباع غريزة الحب

ويجب أن نلاحظ ان هذا الادب الذي اتبع مبدأ الصراحة التامة فى التعبير عن مختلف المسائل الجنسية زعزع صرح الزواج القائم على المصلحة المادية ، وزاد الطلاق انتشاراً ، وروج « المخادنة » ولكنه فى نفس الوقت حرر العلاقات الزوجية من أعراض الكذب والرياء والجشع المادي ،

واتجه بالاسرة وجهة جديدة ، وساعد على ايجاد الزواج القائم على اتحاد النزعات الطبيعية وتوافق الميول الجنسية ، هذا التوافق الذى يعتبره أنصار هذا الادب مصدر السعادة الاولى للانسان

أما الاعمال القصصية التى أنتجها أدب الصراحة الجنسية فتنقسم الى قسمين :

القصص التى اكتفى أصحابها برسم موجة الاستمتاع الشهوى التى أشرنا اليها وتصوير ضحاياها

والقصص التى أراد أصحابها التسامى بالشهوة الجنسية وجعل تحقيقها الكامل الاوفى مثلا من أمثلة الحياة العليا

وأشهر أبطال القسم الاول الكاتب الفرنسى فكتور مرجريت مؤلف (لاجرسون) ، والقسم الثانى الكاتب الانجليزى لورنس مؤلف (عشيق لادى تشرلاى)

أدب الخنادق

هو الظاهرة الرئيسية لظواهر الحرب فى الحياة الفكرية . وقد آثرنا احلالها المحل الثانى لان الاحساس بها لم يتغلغل فى جماهير الشعب بقدر ماسيطر على مشاعر الادباء

وليس شك فى أن اذهان الادباء اتجهت أول الامر الى تصوير العواطف والمناظر التى شعروا بها وشاهدوها فى الخنادق وميادين القتال

ويختلف روح هذا الادب باختلاف نفسيات الكتاب وان كان الغرض النهائى واحداً وهو لعنة الحرب والدعوة الى السلام . فهنرى باربوس مثلا فى قصته (النار) يصف الخنادق والميادين وشخصيات الجنود وعذاباتهم وجهادهم وسخطهم واشمئزازهم ، ويخالف ما فى الطبيعة البشرية من ضروب القدرة على احتمال الالم وصفا دقيقا واقعيا ، يتخلله احساس شعرى مثالى اشتراكى يتولد فى نفس القارىء من فرط تأثره بعذابات الجنود وفرط نقمة الكاتب المحتجزة على كل هذا الشقاء

ويمتاز رولان دورجليس فى قصة (الصلبان الخشبية) ــ وهى قصة عن الحرب ذات طابع فرنسى واضح ــ بوصف الروح المرحة الضاحكة التى قاتل بها الفرنسيون ، ورسم استبداد الضباط والقواد وافراطهم فى تقديس المظاهر ، واصرارهم على قيام الجنود بالعروض العسكرية المرهقة عقب خروجهم منهوكين محطمين من معارك طاحنة هائلة

على أن وجه الجمال فى هذه القصة هو شيوع نزعة البساطة فيها ، وبعد كاتبها عن المبالغة ، ومحاولته اعطاء صورة صادقة للجندى المتوسط الذى يحتمل آلام الحرب دون ماسخط أو استنكار لان غيره يحتملها معه ولان اشتراك الجميع فى العذاب يخفف من وطأته ويضاعف فى الفرد قوة الصبر والاحتمال وعدم الاكتراث

أما الكاتب الالمانى اريك ماريا ريمارك فقد بذل قصاراه ليسجل فى روايته (لا جديد فى الميدان الغربى) مناظر شاهد معظمها بنفسه ، ونقلها نقلا أمينا ولم يسمح لخياله بتجميلها

وفى رأينا أن قصته أقرب إلى (التحقيقات الصحفية) منها إلى الفن الادبى . وهذا هو السر فى عمق الاثر الذى أحدثته فى النفوس ، اذ المطلوب من أمثال هذه القصص أن تؤدى لنا خيال الحرب لا خيال الروائى عن الحرب . وأنت اذ تطالع رواية ريمارك تشعر أبلغ شعور وأوفره ان شخصية الكاتب لا شىء وان الحرب هى كل شىء ، هى التى تستعر أمامك وتعصف بالارواح ، وتدوخ الجنود ، وتجرد اذكاهم وأنبلهم من كل انسانية ، وتحيلهم جميعا الى قطيع مفترس مجنون !

أدب القوة والمغامرة

كانت الحرب أكبر المغامرات ، وكانت البرهان الساطع على القوة الخارقة المدخرة فى عصب الانسان ، ولذلك مجد بعض الادباء القوة وعبدوا المغامرة وتساموا بهاتين النزعتين كما تسامى زملاؤهم بالشهوة الجنسية

لم يقدسوا مغامرات الحرب وقوة البطش والافتراس ، بل مجدوا الالعاب الرياضية وبطولة الرحلات الاستكشافية ولا سيما بطولة الطيران

نظروا إلى الحسد والبخل والكسل والحب والغيرة والانانية والانتقام كعواطف شائعة أفاض فى وسمها وتحليلها كبار أدباء القرون الماضية ، فاحتقروها وتحولوا عنها ولم يبقوا منها الا على بعض ما يمكن أن يدمج فى قصص البطولة وحوادث المغامرات

أرادوا تجديد (الوحى الأدبى) ودفع الكتاب إلى استلهام العواطف القوية التى أيقظتها الحرب لفائدة الحرب ، على أن تطبق فى زمن السلم لخير المجموع ، وتبديل مظهر الحياة ، وطرد نزعات اليأس، وانعاش الأمل الاكبر فى قيمة البشرية، واستعدادها الدائم للتطور والجهاد

والواقع أن حب القوة وحب الصحة وحب الجمال والاعتماد على النفس والتهيؤ للعظائم وتقدير معنى الشهامة وتلطيف الحاسة الجنسية واحلال الصداقة النزيهة الرقيقة بين الشاب والفتاة محل الاغراء الشهوى القديم ــ جميع هذه الفضائل الكامنة فى روح الرياضة والالعاب الرياضية لفتت أنظار طائفة من الادباء فأولعت بها وحثت عليها وأجادت فى ابرازها واتخذت منها مادة بكرا لفن جديد

وما يسرى على الرياضة يسرى على الرحلات الاستكشافية فى المناطق النائية ، فهى أيضاً تتطلب مقداراً عظيماً من الجرأة والمخاطرة واحتمال المشقات والصبر على الجوع والظمأ ومغالبة أسرار الطبيعة للكشف عنها واخضاعها فى النهاية لعقل الانسان

أما فن الطيران فتجتمع فيه وتلتقى عنده شتى صور البطولة : حاسة المغامرة ، ارادة التفوق قوة العصب ، قوة الملاحظة ، سرعة التصرف . معنى الواجب والمسؤولية ، تحدى العناصر الاستخفاف بالموت ، الاقدام على التضحية ، رياضة السماء !

ولا شك فى ان هذه الخلجات النفسية العنيفة باجتماعها وتلاؤمها، فتحت للاديب المعاصر مغاليق

عالم شعرى حافل بالالوان الرائعة الطريفة ، عالم لم يحلم به العباقرة أنفسهم من أدباء العصور الماضية أولئك الذين كانت تفصل بينهم وبين الاجواء الشاسعة، تصورات واهية،وأحلام قلقة ، ومخاوف دينية كثيراً ما ألقت فى روعهم أن ملك السماء المنظورة هو ملك الله وحده لا يستطيع الانسان ، بالغة ما بلغت قوته ، إلا أن يرفع اليه آيات الضراعة وأكف الابتهال !

وعليه فالالعاب الرياضية وجدت بين الادباء من يمجدها ، والرحلات الاستكشافية وجدت من يقوم بها ويبدع فى وصفها ، والطيران وجد من يقدسه ويتغنى به . ولقد تفوق فى أدب الرياضة (هنرى دى مونتر لان) وفى أدب الرحلات (أو سندوسكى) و (سفين هيدين) وفى أدب الطيران (جاك كيسل) و (انطوان دى سانت اكسوبيرى)

الادب الاجتماعى الثورى

كانت الحركة الادبية إلى زمن قريب ترمى إلى معالجة الادب باعتباره صورة صادقة للانسان المطلق الابدى . وأصحاب هذا الرأى هم أنصار (الفن للفن) القائلون بوجوب النظر إلى العواطف والميول البشرية لامن خلال أنظمة المجتمع واحتياجاته ولا من خلال القوانين الموضوعة والاخلاق المصطلح عليها بل من خلال وحدة الطبيعة الثابتة وجوهر النفس الانسانية التى لا مفر للاديب من الاخلاص لها والسعى لفهمها وتصويرها اذا شاء أن يخلد عمله الادبى كخلودها

ويميل دعاة هذا المذهب إلى رسم شتى العواطف وتحليل مختلف الاهواء والاعتماد فى الغالب على السيكولوجيا الحديثة فى تفهم أسرار الميول والشهوات وكشف الحجاب عما خفى منها وغمض

وقد نشأ من ذلك أن اسرف هؤلاء الكتاب فى وضع القصص التى لا غرض منها إلا تحليل العواطف والاحساسات بصرف النظر عن البيئة التى خلقتها والانظمة الاجتماعية التى تؤثر فيها والمثل كل الحيوية الخطيرة التى تعترضها مما يخيل اليك معه ان الحياة تسرى فى هذه القصص ناقصة مبتورة شوهاء أبعد ماتكون عن حياتنا اليومية الرحبة المعقدة

فالاديب النزاع الى الاخذ بنظرية الفن للفن قد يجيد رسم العواطف وقد يبدع فى تحليل الازمات النفسية وقد يرتفع بأسلوبه وتحاليله إلى مستوى الفن العالى ، ولكنه برغم ذلك يظل حيا على هامش عصره ويظل جمهور الاغنياء والمترفين هو الذى يشجعه ويقبل عليه ، كما يظل تأثيره مقصوراً على بيئة خاصة لا يمكن أن يجاوزها إلى طبقات الشعب بأسره

ومن الواضح أن الاضطرابات الاقتصادية التى عقبت الحرب والنظم السياسية الجديدة التى ظهرت والاتجاهات الاجتماعية والانقلابات الفكرية ، كل ذلك شغل عقول الناس فى أوربا واستنفد صفوة جهودهم وحال بينهم وبين النظر إلى الادب من الوجهة النفسية الفنية المحضة

وهذا مادفع بالفريق الثانى من الكتاب — أى أصحاب المذهب الاجتماعى الثورى — إلى الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية وعرض نتائجها فى قصصهم ودراساتهم والانصراف إلى بحثها وإيجاد حل لها والاتصال عن هذه الطريق بالنزعات الحية القوية التى تضطرم اليوم فى نفوس الجماهير . . .

وإن عصراً تنقلب فيه الاوضاع الراسخة عاليها سافلها وتصطدم وتتناحر جميع النظم من ملكية وديموقراطية وفاشستية واشتراكية وشيوعية ، ويعلق حظ الانسان والحضارة فى ميزان القدر ، لهو عصر من المحال أن يغفل أدباؤه العناية به ومن المحال أن يرضوا بفصله عن الادب وفصل الادب عنه اذ المسألة بالنسبة لهم وللنوع البشرى كله هى فى الحقيقة مسألة حياة أو موت !

والفكرة التى تساور معظم كتاب أوربا الآن هى هذه :

هل من واجب الاديب أن يعيش للفن وحده وأن ينقطع لابداع الجمال فى حيز الحقيقة النفسية الابدية بصرف النظر عن تطورات الحياة الراهنة ، أم أن واجبه أصبح فى التعبير عن هذه التطورات والثورة لها أو عليها بحيث تتوثق الصلة بينه وبين جمهوره وتتولد منها تلك الاستجابات التى لا بد من توافرها ليحدث الادب تأثيره المعنوى المنشود ؟

يزعم كتاب المذهب الاول أن غاية الادب خدمة الفرد واشعاره بجوهر نفسه وشخصيته وتدريبه على ادراك شتى جوانب هذه الشخصية ليتدبر أمورها بعقله المثقف الحر

ويرى كتاب المذهب الثانى ان غاية الادب لا تنحصر فى خدمة الفرد فحسب بل فى خدمة المجموع أيضاً ، فى مساعدته على التطور ، فى حفز قواه الكامنة لمواصلة الثورة والتجديد فى كل شىء ، فى الشرائع والقوانين والاخلاق والعادات والوضع السياسى والاقتصادى

فالفاشستى ينادى بأدب ثورى فاشستى ، والاشتراكى ينادى بأدب ثورى اشتراكى ، وكلاهما يريد أن يضرم فى الادب نفس الثورة التى اضرمتها الفاشستية أو الاشتراكية فى الحياة العامة كى يهدم الماضى ويقيم صرح المستقبل على أنقاضه . . ولكن هذا الادب الاجتماعى الثورى فشل حتى اليوم فى الانتاج الفاشستى وأحرز نصراً كبيراً فى الانتاج ذى الطابع الاشتراكى

ونحن لا نعرف من الفاشستيين كتاباً نوابغ أو أشباه نوابغ ، فى حين نرى الدوحة الاشتراكية لاتنفك تنمو وتزدهر وتؤتى ابرك الثمرات على أيدى أدباء مشهود لهم من نفس خصومهم بالقدرة والتفوق ، كرومان رولان ، واندريه جيد فى فرنسا ، وبرنارد شو فى انجلترا ، وهنريخ مان ، ولدريج ران فى المانيا ، وستيفان زفايج فى النمسا . وجلادكوف وبابل وفيدين وغيرهم فى الروسيا

هذه هى التطورات المختلفة التى أحدثتها الحرب الكبرى فى الادب الاوربى وقد أوجزنا فى عرضها ولكننا مثلناها فى أهم المذاهب التى أصبحت اليوم محور الحركة الادبية لا فى أوربا فقط بل فى العالم اجمع

ابراهيم المصري

حاجة في النفس

يامعين الظمآن ، يائغر من أهـ   ـوى تقبل في طاعة الحب نفسي
سكرت من جناك روحي لما   أن جعلت القبل الحلو كأسي
وتغاضى الزمان عن رشفات   هن راحي وهن مبعث أنسي
قبل سحرها أباح جناني   ولظاها المشبوب أخمد حسي

***

كم تعاطى الندمان بنت الدنان   ودعاني بلحظه الوسنان
فطبعت الهوى على شفتيه   فتمشى الفتور في جثماني
كلما آبت الشفاه الى اللثـ   ـثم تمادى الفؤاد في الخفقان
بأبي أنت أطلق الجسم واحلل   عقدة أفسدت على لساني

***

يا شفاه المضنى ترفق بمضنا   ك وعاط الولهان روحاً وواحا
ماعليه اذا اجاب نداء القلـ   ـب أو أطلق اللسان فباحا
أسلمته اليك في النفس حاجا   ت فلا تجعل الصدود سلاحا
قبلة فوق طابع الحسن تشفيـ   ـه وتكفي فؤاده الملحاحا

***

يامبيح السحر الحلال تدارك   حسنات الماضي بوعد جميل
كاد هذا الجفا يكون أثاماً   فامحه يا مناي بالتعليل
ظمئت مهجتي الى سلسبيل   شبم من رضابك المعسول
لا تعذب قلبي بحسرة يعقو   ب وارسل عليه نار الخليل

حمص   رفيق فاخوري

الخطر الأصفر

لا نجاة للعالم من حرب الأجناس

«.. لن يكون للعالم منجاة من حرب الاجناس هذه في رأي المطلعين على ما يدور وراء الستار وما يتأجج في الصدور من النيظ بسبب طغيان الجنس الابيض على الاجناس الاخرى في أوطانها، الا اذا تصرف رجال السياسة بحكمة لم يبرهنوا بأقوالهم وأعمالهم حتى الآن على أنهم متحلون بها..»

ليست الحرب الايطالية الحبشية أهم مايشغل بال الدول فى الوقت الحاضر، وليس تسلح المانيا واخفاق المؤتمر البحرى وحوادث اوربا الوسطى وغير هذه من الشؤون، كل ما يسترعى انتباه رجال السياسة فى اوربا واميركا. فهنالك ما هو أهم من ذلك كله ونعنى به الخطر الاصفر الذى قد اصبح كابوس الجنس الابيض يقلق باله ويقض مضجعه. وقد تنبه له الكثيرون من رجال السياسة منذ بدء القرن الحاضر، بل منذ أواخر القرن الغابر، وكان الامبراطور غليوم الثانى فى مقدمة الذين نبهوا اليه ونادوا بوجوب الاستعداد لمقاومته. وكان من رأيه أن تستولى دول أوربا على آسيا وافريقا وجزر المحيط وتتقاسمها وتعمل على ابادة شعوبها. ولكن غليوم لم يجد من يؤيده ويلبى دعوته، وهو لا يزال الى هذا اليوم يؤنب الدول على اغفالها دعوته

ما هو الخطر الاصفر

ترى ما هو الخطر الاصفر؟

الخطر الاصفر هو تهديد توجهه الشعوب الملونة الى الجنس الابيض. فهى تعلل النفس بالانتصار على هذا الجنس ومحو حضارته والحلول محله. وتسمية هذا الخطر بالاصفر هى من قبيل الاصطلاح فقط. فليس الجنس الاصفر وحده هو الذى يتهدد مدنية البيض بل الجنس الاسود وجميع الاجناس الملونة أيضا وفى مقدمتها شعوب الصين واليابان والهند وافريقا وبلاد المغول وجزائر المحيط وغيرها. جميع هذه الامم تعتبر فى نظر غلاة الاستعمار الأوربى خطراً على الحضارة البيضاء يجب العمل على تلافيه ومكافحته

ومن سوء حظ الاجتماع ان الجنس الابيض قد كان ينظر دائما الى الاجناس الملونة نظرة ازدراء ويعاملها معاملة السيد للعبد. ولم يدر بخلده ان هذه الاجناس ان احتملت غطرسته احقاباً فلن تحتملها الى الابد فلما اندفع أبناؤها فى مضمار العلم وتنبهوا الى الحالة التى هم فيها، اصحى الرجل الابيض من غفوته وتنبه الى الخطر الذى يتهدده بسبب سياسته الخرقاء. فلم يبق أمامه

سوى احد أمرين : إما أن يحسن سياسته مع الاجناس الملونة أو ان يعمل على ابادتها . ولكن هل من السهل ابادتها اذا لم يكن ناموس بقاء الاصلح قد قضى بذلك ؟

مقابلة بين الجنسين

ألق نظرة على خارطة العالم تر البشر متفرقين عليها يملأون كل بقعة تصلح للسكن وهم يمتزجون امتزاجا يصعب معه التفرقة بين مختلف اجناسهم وبخاصة في هذا العصر الذي قد بلغت فيه وسائل الاتصال (المواصلات) مبلغا عظيما من الاتقان وزالت فيه الحواجز الجغرافية التي كانت حتى عهد قريب تعزل بعض الدول وتفصلها عن غيرها . فما من قارة في هذا العصر إلا وقد اختلط فيها الجنس الابيض بالجنسين الاسود والاصفر . وما من بلاد إلا وقد تمازجت فيها مصالح الاجناس بحيث تتعذر اليوم التفرقة بينها . وقد قسم علماء « الاثنوغرافيا » البشر أجناساً كثيرة ولكن أقرب تقسيم الى المنطق هو الذي يجعل أجناس البشر ثلاثة وهي : الأبيض والاصفر والاسود . ومن الاخيرين (الاصفر والاسود) يتكون جنس عام هو الذي عبرنا عنه في هذه المقالة بالجنس الملون أو الشعوب الملونة

ولعل تسمية هذه الشعوب « بالاجناس » خطأ من الوجه اللغوي ، فان شعوب البشر كلها جنس واحد . وانما اقتبسنا هذه التسمية مجاراة لسواد الكتاب . وعليه فقد جعلنا الجنس الابيض في إحدى كفتي الميزان ، والجنسين الاصفر والاسود في الكفة الاخرى وأطلقنا عليهما اسما مشتركا هو الجنس الملون أو الاصفر

يبلغ سكان العالم بحسب أدق الاحصاءات الحديثة نحو الف وتسعمائة مليون من الانفس ، ولا يزيد الجنس الابيض على ثلث هذا العدد والثلثان الباقيان هما الجنس الملون . وسواد الجنس الابيض منتشر في أوربا وغربي آسيا وأوربا الجنوبية واوستراليا وشمالي أفريقا . وأما الجنس الملون فمنتشر فيما بقي من أنحاء العالم ومتغلغل أيضاً الى حد بعيد بين البيض أنفسهم بحيث يصعب رسم حدود جغرافية تفصل بين البيض والشعوب الملونة . ويزيد في صعوبة ذلك توثق العلاقات التجارية والاقتصادية والاجتماعية بين الفريقين وزيادة هذا التوثق بمرور الزمن

ومع ان الجنس الابيض لا يزيد على ثلث سكان العالم كما تقدم فهو مسيطر على معظم الكرة الارضية بفضل تفوق قواه العقلية والادبية والمالية . فقد أخضع قوى الطبيعة من ماء وهواء وكهرباء وغيرها ، وسخر جميع موارد الكون لخدمته وبسط سلطانه على معظم أنحاء الكرة الارضية . وهو يسعى اليوم لنشر سلطانه على ما بقي من تلك الانحاء معتمداً على ما هو متصف به من قوة الحزم وعلو الهمة وحصافة الرأي وبما قد هيأت له الطبيعة من أسباب النجاح . وفي الحقيقة ان الجنس الابيض قد تمكن في خلال الاربعة القرون الاخيرة من بسط

سلطانه على تسعة أعشار الانحاء المأهولة من الكرة الارضية

على ان هذا الجنس لم يحسن التصرف فيما اؤتمن عليه بل قد كان ولا يزال يسعى الى توطيد أركان سلطانه فوق رقاب الاجناس الملونة غير مكترث إلا لمصلحته ولا عابىء إلا بما فيه منفعته وكان يجب ان يقلل من غطرسته ويخفف من مطامعه، ولكن الغرور متمكن منه

مواضع الخطر

قلنا ان الجنس الابيض لا يزيد على ثلث سكان العالم فيكون الثلثان الباقيان اذن من الاجناس الملونة. واذا استمرت جميع الاجناس تتناسل على السواء بنسبة تناسلها فى الوقت الحاضر فسيجيء زمن يصبح فيه الجنس الابيض كمية لا يعتد بها بازاء الجنس الملون. ومن دواعي الاسف ان زيادة الجنس الابيض ليست بنسبة زيادة الاجناس الملونة بل هى أقل بكثير. والاحصاءات الموثوق بها تثبت ان الاجناس الملونة أخصب وأكثر تناسلا من الجنس الابيض، كما ان الفقراء هم عادة أكثر ولداً من الاغنياء. وقد تبدو هذه الظاهرة غريبة فى حد ذاتها، ولكن علماء الاجتماع يؤكدونها ويعللونها تعليلا بسيطا وهو ان زيادة وسائل الترف بين البيض تجعل أسباب المعيشة أصعب ونفقاتها أغلى مما هي عند الاجناس الملونة. وفى الحقيقة ان هم البيض منصرف اليوم الى خفض نفقات المعيشة بتقييد النسل وانزاله الى أدنى حد. لهذا تجد نسبة المواليد بين البيض منخفضة جداً حالة كونها عالية بين الاجناس الملونة. واذا سارت الحال على هذا المنوال فصير الجنس الابيض الى الزوال لا محالة

وهنالك خطر آخر لا يقل شأنا عما ذكرناه، وهو يقظة الشعوب الملونة وتصميمها على التحرر من نير الجنس الابيض. وقد انقضى العهد الذى كان الجنس الابيض يباهى فيه بتفوق قواه العقلية على غيره من الاجناس. فقد استيقظت الآن هذه الاجناس من غفوتها وشعرت بثقل وطأة سلطان البيض عليها وأدركت أسباب سيطرتهم عليها فأخذت تعمل على هدمها متوسلة الى ذلك بجميع الوسائل من علم ومال وذكاء. وهي تدرك ما فى الامر من مشقة، ولكنها تؤمن بعدل قضيتها وتقول ان السلطان لم يكن فى أول الامر للجنس الابيض بل للشعوب الملونة

أضف الى ذلك خطراً آخر لا يقل عن سالفه شأنا وهو روح التنافس والتنابذ السائدة بين البيض أنفسهم وعدم اتحاد كلمتهم. بخلاف الحال عند الاجناس الملونة فانها تشعر بوجوب اتحادها معا للدفاع عن كيانها. أفما ترى بعض البيض ناقمين الآن على ايطاليا والبعض الآخر يعطفون عليها - أولئك بحجة ان غارتها على الحبشة ظلم وعدوان، وهؤلاء بحجة ان إضعاف أوربا لا بد ان يقوى شوكة الشعوب الملونة ويزيدها صلابة فى غرورها ورغبة فى كسر شوكة

الجنس الابيض؟ أما الاجناس الملونة - من الصفر والسمر والسود - فجميعها تعطف على الحبشة وتؤيدها وتتمنى لها الانتصار، ذلك لان روح العصبية الجنسية قد انتشرت بينها وقويت حالة كونها قد ضعفت ضعفاً ظاهراً بين البيض

وهذه الحقيقة هي التي حملت بعض رجال السياسة في أوربا وأميركا على التفكير فيما قد يكون عليه مصير الجنس الابيض لو انتصرت الحبشة على ايطاليا. فهم يرون من وراء ذلك الانتصار حرباً أخرى ستكون بلا شك أعظم الحروب هولا وأشدها خطراً على التمدن، ألا وهي حرب الالوان بين البيض من الجانب الواحد والسمر والصفر والسود من الجانب الآخر. وحرب كهذه اذا اندلعت نيرانها عمت العالم كله ولم تبق ولم تذر

مثل هذه الحرب قد تكون عاقبة المغامرة التي قام بها موسوليني في بلاد الحبشة أو عاقبة اية اساءة توجهها اية دولة بيضاء الى شعب من الشعوب الملونة

ويقول كاتب بحث في احتمال حرب كهذه: «لن يكون للعالم منجاة من حرب الاجناس هذه في رأى المطلعين على ما يدور وراء الستار وما يتأجج في الصدور من الغيظ بسبب طغيان الجنس الابيض على الاجناس الأخرى في أوطانها، الا اذا تصرف رجال السياسة بحكمة لم يبرهنوا بأقوالهم وأعمالهم حتى الآن على انهم متحلون بها. ومن دواعي الاسف انهم لن يتعلموا ما دامت المصلحة الذاتية ضالتهم والجشع رائدهم والطمع يعميهم عن رؤية الخطر المتفاقم، وما دام سلام العالم حديث خرافة في عرفهم. فهم في خلاف مستمر، بعضهم مع بعض، بشأن الدولة ذات الحق في السيطرة على قارتي آسيا وأفريقا وما يدانيهما من الجزر، ذاهلين عن روح النفور المتأجج في صدور سكان تلك البلاد منهم»

ويقول الكولونيل هاوس السياسي الاميركي المشهور ان كره الجنس الاسود للجنس الابيض قد تفاقم بعد الحرب العظمى الماضية حتى بلغ حداً خطيراً. ومن المعلوم أن التطورات الاجتماعية التي كانت في الازمنة الماضية تستغرق الاجيال الطويلة لظهورها لا تستغرق في هذا العصر سوى زمن قصير، وذلك بفضل سرعة وسائل الاتصال (المواصلات) من تليفون وتلغراف وراديو يزيدها سرعة تلك النظم التي فرضها الجنس الابيض على العالم بأسره فأحدثت ثورة في الافكار وتنبها في صدور الذين استناموا زمناً طويلا لغطرسة الغربا في القارات غير المتمدنة. وكان ظهورها على اجلاه في البلدان التي اقتفت خطوات الغرب وجرت على خطته ووسائل حضارته من كل وجه كاليابان. ومع ذلك فان ساسة أوربا لايزالون ينظرون الى اليابان نظرة ممزوجة بالتعصب الجنسي، مع أن اليابان تضارع في الذكاء والرقي أعظم أمم الغرب وقد تفوق معظمها ولا نعلم ما هو النصيب الذي تقوم به في تعيين مصير الاجناس الملونة التي هي زعيمة لها. ولعلها اذا احسن البيض معاملاتها وتساهلوا معها تنحاز الى جانبهم وتكون عوناً لهم على الشعوب الملونة،

ويقول بريزباين الكاتب الاميركي المشهور : « ان جمعية الشبان اليابانيين لا تفتأ تحرض الشعوب الملونة فى آسيا وافريقيا على مقاومة الخطر الابيض والاتحاد معا لكسر شوكته . فاذا سارت اليابان على هذه الفكرة وعقدت النية على قيادة الشعوب الملونة فستعبيء من ملايين تلك الشعوب جيوشا لاعداد لها وتتحكم فى مصير الحضارة المقبلة . من أجل هذا يجب على البيض أن يستعدوا لمواجهة ثورة الشعوب الملونة على سيطرتهم التى طال عليها الزمن وكان تصرفهم فى اثنائها خاليا من الحكمة وبعد النظر . واذا فرضنا ان الشعوب الملونة لم تتمكن من زعزعة سلطان البيض فان هذا السلطان سيفقد كثيراً من قوته ويظل الى الابد مهدداً بالانهيار

ثقة الشعوب الملونة بمستقبلها

والشعوب الملونة مفعمة ثقة بعدالة قضيتها وبمستقبلها . وقد ازداد نشاطها فى ربع القرن الاخير ازدياداً مطرداً فاتسعت تجارتها وراجت رواجا عظيما . وكان لها من رخص أجور العمال أكبر عون لها . وسبب رخص تلك الاجور طبيعي وهو عدم انتشار وسائل الترف والتنعم بلذات الحياة بينهم . فالجنس الابيض مغرق فى جميع وجوه الترف كثير الانفاق على لذاته . والترف فى مقدمة الاسباب المؤدية الى ارتفاع نفقات المعيشة . وارتفاع نفقات المعيشة من أسباب ارتفاع أجور العمال . وارتفاع اجور العمال يفضى الى غلاء السلع . وغلاء السلع يحول دون رواجها

ومثل هذه الحال هي أول أسباب قلة النسل . لهذا تجد الغربيين منصرفين الآن الى استنباط الوسائل لتقييد النسل ومنعه من التكاثر . وكثيرون من علماء الاجتماع يعتقدون أن ذلك التقييد بمنزلة الانتحار ، وان البيض بوضعهم العراقيل فى سبيل تناسلهم وتكاثرهم انما يدفعون بانفسهم نحو الهلاك . وناموس بقاء الاصلح قاس شديد لايلين ولا يشفق . والشعوب البيض بتنافرها وتنابذها تجعل من نفسها عونا لذلك الناموس على افناء الجنس الابيض أو اخضاعه للشعوب الملونة

اضف الى ماتقدم ان بين علماء الاجتماع فريقا يعتقد ان اجناس البشر على اختلاف الوانها متساوية فى قواها العقلية . وقد تبدو هذه النظرية غريبة اول وهلة لان الاعتقاد السائد بين الناس هو أن الجنس الابيض هو أرقى فى قواه العقلية من سائر الاجناس . الا أن التجارب التى قام بها بعض علماء الاثنوغرافيا تدل على أن الفرق فى القوى العقلية بين البيض وغيرهم حديث خرافة لا يستند الى شيء من الحقيقة لان الذكاء الفطرى هو هو فى جميع الاجناس لافرق بينها الا من جهة البيئة وسوانح الفرص . فاذا صدقت هذه النظرية – ويظهر انه ليس ثمة ما ينقضها – كان الخطر على الجنس الابيض اكبر مما تتصوره . فهل يستيقظ هذا الجنس من غفوته وينفض عن عينيه القشور التى قد أعمته عن الحقائق . فيحسن معاملته للاجناس الملونة ويعتبرها مساوية له فى حقوقه وفى الواجبات التى عليه بازاء الاجتماع ؟!

خطرات

بقلم الاستاذ احمد رامى

الحب

الحب نبع الشعر منه تفجرت عين المعانى والخيال السارى
الحب لحن النفس وقعه على وتر القلوب بنان موسيقار
ولرب ساعة خلوة هفافة طالت عن الاجيال والاعمار
ولرب ثغر باسم أحيا المنى وأطارها فى النفس كل مطار

هوى الغانيات

وهوى الغانيات مثل هوى الدنيا تلقاه تارة وتخيب
منظر تظمأ النفوس اليه ومتاع يقل فيه النصيب
وشقاء تلذ فيه الامانى وأمان تحقيقها تعذيب

الشهيد

ليس الشهيد هو الذى يطوى الثرى ويقر تحت جنادل ورجام
لكنه الحى الذى فى قلبه من طعنة الأيام جرح دام
كالطائر المجروح ضم جناحه طول الحياة على حداد سهام
سكنت فما انتزعت مكين سنانها كف وما سقته كاس حمام

الوحدة

بح صوتى فى ضجة الناس لا أسمع فيهم تاوهى وأنينى
فاذا ماخلوت اسمع فى الوحدة نفسى وأستجيش حنينى
وأرانى وقد غبت عن الناس بنجوى خواطرى وظنونى
خلت أنى أعيش فى عالم الأرواح لا فى سلالة من طين

احمد رامى

الرجل الذى ملكته يدى

للكاتب الايطالى جيوفانى بانينى

تلخيص الأستاذ نظمى خليل

هى قصة رجل غريب وهب نفسه للمفاجآت الخطرة ، ووضع حياته وماله رهن ارادة كاتب هذه القصة ليختار له حياة كلها غرائب مثيرة للعواطف دون أن يهاب فى ذلك الموت. فهل نجح الكاتب فى مهمته؟ — ذلك ما ستكشف لك عنه هذه القصة الطريفة

لست أذكر على وجه التدقيق ذلك الوقت الذى ملكت فيه « اميكودايت » فقد انصرفت عن تدوين مذكراتى منذ زمن بعيد حتى لا أ كاد أذكر منها الآن إلا ظلالا ضعيفة باهتة

خرجت يوماً من منزلى وما كدت أخطو فى الشارع حتى شعرت أن رجلا يتبعنى ، كان هذا الرجل يناهز الاربعين يلبس معطفاً طويلا أزرق ، ثم أخذ يتبعنى على مسافة بعيدة فلم استطع أن التفت اليه واسأله السبب . لم أ كن خارجاً لأمر معين بل كان كل همى الابتعاد عن صوت الاخشاب وهى تحترق فى الموقد لذلك أخذت أتلهى بمراقبة ذلك الرجل وان لم يسترعنى منظره . كنت واثقاً انه ليس مخبراً سريا لانى لم أ كن من المشتغلين بالسياسة أو المغرمين بالتحدث فيها . ولم أظن هذا الرجل ذا المعطف الازرق لصا يتعقب كيس نقودى ، فقد كان الكل يعرف أنى فقير . أخذت أجول فى الشوارع الملتوية وأخذ الرجل يتبعنى وكان كلما مضى فى طريقه ازددت سروراً . ثم ذهبت إلى مكتب البريد لاشترى طابعا عليه فجاء الرجل المجهول إلى نفس الشباك واشترى طابعا من نفس النوع . ثم أخذت الترام فتبعنى الرجل بأسما ولما نزلت منه رأيته خلفى ثم اشتريت جريدة فاشترى نفس الجريدة ، ثم جلست على مقعد فجلس على مقعد قريب منى ، ثم أخرجت لفافة فأخرج لفافة أيضا لم يشعلها حتى اشعلت لفافتى

سرنى كل هذا وأثارنى فى نفس الوقت . فقلت فى نفسى: « قد يكون الرجل مازحا لا عمل له يريد أن يسلى نفسه على حسابى . وأخيراً صممت على حل المسألة بأسرع طريق ممكن . فذهبت اليه ووقفت أمامه كأنى أسأله من هو وماذا يريد . ولكن لم يكن ثمة حاجة إلى السؤال ، اذ هب واقفا ورفع قبعته وابتسم لى ثم قال فى لهجة سريعة: « معذرة. سأشرح كل شىء . ولكن دعنى أولا أقدم نفسى . أنى أميكودايت . ليس لدى عمل معين اللهم إلا التافه — لدى كثير من الاشياء أريد أن أفضى بها اليك . ولكن . . . حسنا . . . أريد ان ا كتب اليك — لقد كتبت اليك فعلا مرتين بل ثلاث مرات ، ولكنى لا أرسل دائمًا الخطابات التى ا كتبها . أما ما عدا هذا فانى رجل عادى »

وهنا أمسك عن الكلام هنيهة ثم اندفع يتحدث فى عجلة كما لو كان قد تذكر شيئا مهماً فجأة : أتريد ان تشرب شيئا ؟ كأسا من الخمر أو فنجانا من القهوة ؟ ثم مضينا مسرعين كما لو كان لدينا شوق ملح لتفهم المسألة . وما كدنا نلمح مقهى حتى دلفنا اليه ـ كاولئك الذين يريدون أن يشربوا أى شىء فى أسرع وقت ـ ثم جلسنا فى ركن قريب من البار دون أن نطلب شيئا

كان المقهى صغيراً تفوح فيه رائحة الدخان والخمر ـ ولكن لم يكن لدينا متسع من الوقت لان نختار مقهى سواه

ثم بدأت الكلام :

ـــ أريد أن اعرف . . .

فقاطعنى الرجل قائلا :

ـــ ساخبرك عن كل شىء إنى لا أريد أن اخفى عنك شيئا . وساخبرك حالا . ان ثقتى فيك عظيمة . انى هنا أضع نفسى بين يديك تفعل بى ما تشاء

ـــ ولكنى لست أرى . . .

ـــ أؤكد لك انك سترى كل شىء حالا . دعنى أشرح لك . ألم اخبرك من أنا . انى اعرف أن اسمى لم يعطك كل شىء عنى . حسناً ساخبرك أى رجل أنا ـ انى رجل عادى . عادى جداً . ولكنى أريد أن أحيا حياة غريبة شاذة !

ـــ اعنى . . .

ـــ نعم . نعم . سأعطيك من كل شىء . فقط ـ كما أخبرتك ـ يجب أن أقول ما يجب أن اقوله . انى اثق فيك كثيراً . ستكون منقذى وسيد جسمى وروحى . إنى شديد الحيطة . شديد الاحترام . رجل فاضل . أغار كثيراً على نفسى . . . لقد كتبت كثيراً من المسرحيات الخيالية وكثيراً من القصص الغريبة وقد عشت كثيراً بين ابطالك حتى انى كثيراً ماحلمت بهم فى الليل وفكرت فيهم فى النهار . أريد أن أترك وأن أنساه للابد . . .

ـــ أشكرك . . .ولكن . . .

ـــ أرجو أن تنتظر دقيقة واحدة . سأشرح لك لماذا فكرت فيك . ولماذا تبعتك . منذ بضعة أيام ... قلت فى نفسى : انك مجنون . انك انسان عادى كاولئك الذين تقابلهم فى كل مكان وفى كل يوم . انك فى حاجة لان تحيا حياة عظيمة رائعة . حياة كلها مخاطرات ومجازفات كابطال تلك القصص الرخيصة التى تباع بقرش أو قرشين . ان العمل الوحيد الذى تعمله هو أن تنظر حولك باحثا عن كاتب يصور أبطالا غريبة وتمنحه نفسك هدية يصنع بها ما يشاء ويصيرها إلى شىء مثير حقا جيل غير منتظر . .

— وعلى ذلك تريدنى أن . . . ؟

— دقيقة واحدة من فضلك . سأنفذ ما تريد حالا إنى أملك نفسى الآن والشىء الذى أريد أن اخبرك عنه هو أنى اخترتك لتكون مرشدى ، لذلك أقدم لك نفسى وأى مبلغ من المال تحتاج اليه لان تجعل حياتى لذيذة ممتعة . انك واسع الخيال تستطيع أن تحطم سياج حياتى الراتبة . انك حتى الآن — لم تتسلط الا على اناس خياليين ، ولكنك اليوم قد حصلت على رجل حقيقى . رجل يتحرك ويقاسى يمكنك أن تتصرف فيه بما تشاء . انى اضع نفسى بين يديك ولكن ليس كجثة بل كلعبة آلية مدهشة تستطيع أن تتحدث وتضحك وتعمل ما تأمرها به . ومن الآن امنحك حياتى والف جنيه تصرفها فيما تحتاج اليه فى جعل حياتى خيالية — رومانتيكية — لقد احضرت لك الوثيقة هنا فى جيبى . أيها الخادم علينا بالقلم والمداد . لا ينقصها الا التاريخ والامضاء . قل نعم . أولا . كما يتراءى لك . ولكن قلها بسرعة

فتظاهرت بالتفكير فى الموضوع بضع ثوان ، ولكنى كنت قد انتهيت إلى قرار فى هذا . فقد جاء اميكو دايت يحقق لى احدى رغباتى القديمة اذ كنت دائما مطرقا حزينا لانى اخلق ابطالا فى الخيال . وكثيراً ما فكرت فى أوقات فراغى عما أعمله لو اتانى رجل حقيقى من لحم ودم . والآن لقد جاءنى هذا الرجل بمبلغ من المال لابأس به . ثم قلت بعد تظاهرى بالتفكير فى الموضوع :

— لن اضيع الوقت فى المساومة . لذلك سأقبل ماعرضته على وان كان يجب عليك أن تعرف عظم المسئولية الملقاة على فى العناية بروح وجسد . ودعنا ننظر فى الشروط

فسلمنى أميكودايت وثيقة رسمية قرأتها فى لحظة قصيرة . كان كل شىء معداً . وبامضاء هذه الوثيقة أصبحت صاحب ثروة اميكو وروحه أيضاً تحت شرط واحد وهو أن اوجهه حالا إلى ان يحيا حياة مخاطرة رائعة . كان العقد لمدة سنة ولكنه قابل للتجديد اذا ارتاح اميكو الى الطريق الذى رسم له

فامضيته بدون تردد ثم تركت أميكو فى الحال بعد ان نهيته ألا يتبعنى الا فى حالة سكر شديدة . ثم وعدته أن اكتب اليه اليوم التالى

لم أذهب إلى الفراش — كعادتى — لقد كان لدى شىء جديد مهم يستدعى أن أقضى ليلة ساهرة من أجله . لقد أصبح الرجل لى . وفى استطاعتى أن أقوده أسوقه ارسله الى أى مكان اريد . وفى استطاعتى أن أجرى عليه مختلف التجارب وأن امنحه شتى الانفعالات وأسوقه الى أخطر المجازفات . والآن ماذا أعمل له اليوم التالى ؟ أآمره أن يأتى أمراً معيناً . أو أتركه فى الظلام ثم ألقى عليه شيئا فجأة ؟ وأخيراً اخترت شيئاً يجمع بين الاثنين . فكتبت اليه اليوم الثانى أن ينام النهار كله ويمضى الليل كله خارج البيت يطوف وحيداً فى جميع الامكنة المنعزلة . ثم استاجرت لى منزلا

صغيراً خارج المدينة لمدة ستة أشهر واستاجرت أيضاً اثنين من العاطلين وفى أربعة أيام كان كل شىء على ما يرام . وفى المساء المعين تعقبت أميكو . وعندما صار فى مكان ناء عن المدينة انقض عليه الرجلان وساقاه الى البيت الذى أعددته . ومن سوء الحظ لم يرنا أحد ، ولم يعلن أحد الى الحكومة عن اختفاء الرجل وعلى ذلك كنت مضطراً لان أدفع للرجلين ثمن طعامهما طوال هذه الاشهر

والسر فى هذا أنى لم يكن لدى أية فكرة عما أعمله مع هذا الرجل الذى أصبح ملكى . ففى أول مساء فكرت فى ان اختطافه قد يكون بداية حسنة لحياة غريبة مثيرة ولكنى لم أعرف ماذا يحدث بعد ذلك فقد كانت حياة أميكو كحياة الصحيفة اليومية فى حاجة الى مادة جديدة دائما . لذلك لم أصل الى فكرة أفضل من تلك الفكرة القديمة وهى إرسال امرأة تعيش معه فى ذلك المنزل الذى سجنته فيه . امرأة متنكرة دائما لا تتحدث اليه أبداً . وقد كان العثور على هذه المرأة أمراً عسيرا وكيف ترضى امرأة بهذا العمل وكيف تستطيع أن تشغل نفسها معه أكثر من شهر ؟ وبعد أسبوعين تبين لى ضرورة تغيير خططى كلها معه . لذلك أمرت الرجلين أن يطلقا رجلى فارجعته الى بيته . ومنذ ذلك الوقت أدركت ان أميكو لم يكن رجلا عاديا كما قال لى عندما سلم الى نفسه ، فان الرجل الذى يتصور هذا النوع الدقيق جداً من الرق لهو رجل غريب حقاً ! . ثم عرفت رجلا ماهراً فى لعب السيف اتفق أن يساعدنى فى هذه التجربة ، فقد حدث يوما وقت أن كان أميكو جالساً فى أحد المقاهى الفاخرة يشرب كوبا من اللبن ان جاء هـذا الرجل وحدق فيه ثم دفعه بيده ولم يكد أميكو ينطق باول كلمة حتى كان صاحبنا شـاهراً فى وجهه سيفه يضربه ضربات خفيفة هادئة

لم يكن صاحبنا يعرف شيئاً عن المبارزة ولهذا كان يضربه بعنف وقوة فى ابتداء المبارزة حتى انه جرح خصمه جرحا بليغا فانتهزت هذه الفرصة وأوضحت له ضرورة ترك المدينة حالا ولكنه لم يرض أن يغادر المدينة ويتركنى . وفضل ان يحاكم أمام المحكمة فحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر . فظننت انى تحررت منه ولكن لم يمض على ذلك يوم حتى أخذت أفكر ان واجبى يحتم على ان اطلق سراحه . لقد لاح لى ان هذا مستحيل ولكن ــ بوسائل الرشوة والمال ــ خرج صاحبنا من السجن

كان مضطراً أن يذهب الى منفاه ، لذلك تركت عملى وبلدى وكل شىء لاعد له سبل النجاة . وعندما وصلنا الى لندن كنت فى حيرة شديدة فلم أكن استطيع النطق بكلمة انجليزية ، ومع ذلك فقد كنت فى موقف ــ كشأنى دائما ــ يحتم على ان اوجد لرجلى اي نوع من المفاجآت

واخيراً لجأت الى مخبر سرى امدنى ببعض التعليمات السرية فى لغة فرنسية ركيكة . واخيراً بعد استعراض خارطة لندن اخذت اميكو الى احد الاجزاء النائية ولكنه لم يصبه شىء هناك

ثم خطر لي ان ارسل اميكو وحده الى شمال انجلترا . فاعطيته عشرين شلناً فوق اجرة السكة

الحديدية . ولأنه لم يكن يعرف الانجليزية فقد تمنيت ان يلم به حادث مكدر فلا يرجع بالمرة ، فقد اخذت اضيق بذلك الرجل الذى امتلكنا والذى من اجله اشتغلت كثيراً وضحيت كثيرا

لقد كنت ارقب ذلك اليوم الذى ارجع فيه الى مدينتى القديمة المحبوبة المملوءة بالمقاهى والكسالى ، ولكن بعد مضى اسبوعين عاد اميكو دايت الى لندن فى صحة جيدة وروح طيبة فقد اجتمع هناك بصديق إيطالى كان قد جاء الى ادنبرة فدعاه الى الاقامة معه

ولكنى لم أيأس تماما . فقد قرأت فى احدى الصحف عن ناد « للدراسات الروحية » فى حاجة الى أعضاء جدد . وقد وعدهم انهم سيرون أرواحا حقيقية وأشباحا تتكلم وهكذا . فامرت أميكو أن يلتحق بهذا النادى حالا وأن يتردد عليه بانتظام كل مساء فذهب إليه اسبوعا ولكنه لم ير شيئا . ثم جاء فى يوم من الايام وأخبرنى أنه قابل شبحا بالفعل ولكن هذا لم يكن اكثر من رجل عادى

ــ حسنا انى لا أرى شيئا غريبا فيما صنعته معى . معذرة اذا تكلمت معك فى صراحة . ولكنى أظن انك توافقنى على انك أتيت بالعبقرى الشاذ فى قصصك وابتكرت خيالا اكثر متعة ولذة مما فى الحياة الواقعية . فكر فقط . خطف ثم امرأة متنكرة ثم مبارزة ثم نجاة . والآن الاشباح. يظهر انك عاجز عن التفكير فى شىء افضل من هذه الحيل المألوفة التى تجدها كثيراً فى الصحف انى لا استطيع أن أفهم خسوف خيالك الفجائى

« لقد كنت فى بادىء الامر أنفذ كل شىء تامرنى به مترقبا حياة قوية تستثير العواطف ، ولكن سرعان ما وصلت الى الخاتمة وهى أن حياتك كحياة أى انسان آخر . والآن انى أرتاب أيضا فى مقدرتك . فانك لم تجد شيئا افضل من هذا تعمله معى . سابحث عن سيد آخر حتى قبل انتهاء العقد الذى بيننا »

خالت الكبرياء دون أن أجيب عن هذا الجحود الغريب ــ ففكرت فى نفسى ــ كيف انى تسلطت على ذلك الرجل ــ لم اكن سيد نفسى ــ لقد اضطررت أن اترك كل عملى فى منتصفه وأن اترك بلادى وأجهد نفسى فى ابتكار المخاطرات الخيالية وأستاجر الناس يعينوننى على تنفيذها . لقد ضحيت بحياتى من اجله ، أنا الذى ادعى سيده اسميا عبد له فى الواقع . واخيرا كتبت له الخطاب الآتى :

« عزيزى أميكو دايت :

« ما دمت قد اصبحت ملكا لى بمقتضى العقد العرفى الذى بيننا استطيع ان اتصرف فى حياتك أو موتك فانى آمرك أن تحبس نفسك فى حجرتك الساعة الثامنة من مساء يوم السبت وتنام على فراشك وتاخذ واحداً من هذه « الاقراص » الملفوفة ، وفى منتصف الساعة التاسعة تاخذ قرصا آخر وفى التاسعة تماما تاخذ ثالثا . فان عصيت أمرى فانى القى عن نفسى المسئولية »

كنت اعرف ان اميكو لا يهاب الموت . ومع انه كان وحيداً الا أنه كان رجل شرف وأمانة يحترم كلمته وامضاءه . ثم اشتريت مقيئا قويا ودبرت أمرى أن اكون فى منزله قبل التاسعة – أى قبل ان يأخذ آخر قرص لو اخذه لمات لساعته

وفى مساء السبت ناديت حوذيا فى الساعة الثامنة لانى كنت أقطن منزلا بعيدا خارج المدينة . لم يبدأ الحوذى سيره الا فى الثامنة والربع لذلك شددت عليه بالاسراع . فانطلقت العربة تطوى الارض طياً ولكن بعد عشر دقائق عثر الجواد فى حافره فتوقف عن السير . فاسرعت الى حوذى آخر كان من حسن الحظ قريبا منى وقدرت أن اكون فى الساعة التاسعة تماما فى منزل اميكو دايت . انطلقت العربة فى الطريق حتى وصلنا الى شارع رئيسى مملوء بعربات النقل والركوب فرفع رجل البوليس يده اشارة بالوقوف . فقفزت من العربة كالمجنون واندفعت اليه وحاولت أن افهمه انى ذاهب فى أمر مستعجل تتوقف عليه حياة رجل . ولكنه لم يفهم أو لم يرد أن يفهم . فاضطررت أن اقطع المسافة الباقية على قدمى . ولكن نظراً للضباب المتكاثف ولانى لم اكن أعرف لندن تماما ضللت الطريق فوصلت إلى المنزل بعد التاسعة بعشر دقائق

قرعت الجرس فى عنف وسرعة وما كاد الباب يفتح حتى اندفعت إلى حجرة أميكو فوجدته مستلقيا على فراشه شاحب اللون متقلص العضلات كأنه جثة هامدة – فهززته وناديته باسمه وتحسست قلبه ولكنه لم يكن ينبض . لقد كان حقا جسما هامداً

كان الصندوق الصغير الذى أرسله اليه فارغا . لقد احتفظ الرجل بكلمته حتى النهاية . لقد أردت أن أريه رعب الموت الحقيقى ثم هزة الصحو العنيفة ، ولكنى اسلمته إلى موت أبدى محقق . قضيت الليلة ذاهلا . وفى الصباح وجدت نفسى مع الميت شاحبا صامتا كما كان

وأخيراً عرف الامر وقدمت للمحاكمة وكانت قصيرة لانى لم اقدم دفاعا ولم أظهر العقد الذى كنت محتفظا به

لقد مضى على عدة سنوات منذ أن كنت فى السجن . ولكنى لست آسفا لما حدث . لقد جعل اميكو حياتى جديرة بالتحدث عنها . ولست أظن انى اسأت التصرف معه فقد صرفت فى السنة التى قضاها ملكا لى اكثر من الالف الجنيه التى قدمها لى

تلخيص نظمى خليل

✡ لا أجد أجدر بالاحترام من المرأة التى تعرف كيف تنصيد الفرص لتسلية زوجها فى أوقات فراغه (سرفانتس)

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

خالف تعرف

[خلاصة كتاب بعنوان « النفس ورياضتها » بقلم ارنولد بنيت]

ما منا أحد إلا ويعرف أشخاصاً ممن يسيرون على المبدأ الذي يقول : «خالف تعرف» فامثال هؤلاء الاشخاص هم غرباء الاطوار لايرضيهم شيء ولا يعجبهم ما يفعله غيرهم بل يعتقدون في نفسهم الكفاية لكل شيء والمقدرة على كل شيء ، ويزعمون أن راحتهم وهناءتهم تتوقفان على عدد لايحصى من العوامل والاسباب . ولكل من تلك العوامل قيمة خاصة في نظرهم .فاذا لم يتوافر أحدها أو بعضها تضجروا وتذمروا ، واشتكوا وتبرموا ، واصبحوا لا يعجبهم شيء على الاطلاق

يستيقظ أحدهم في الصباح وعلى شفتيه كلمات التضجر والتبرم . ويأوى إلى سريره في الليل وتلك الكلمات لا تزال على لسانه . وهو غريب الاطوار إلى حد انه يضع ترمومترا في حمام ليقيس درجة الحرارة فلا تتعدى حداً معيناً . اذ يصور له الوهم أن الحرارة اذا تعدت تلك الدرجة كانت مؤذية مضرة . كما يصور له أشياء أخرى كثيرة تخرج به عن حد المعقول والمألوف

وفي الحقيقة انه في جميع أحواله وتصرفاته يخالف العرف الشائع ويتصنع الظهور بمظاهر غير مألوفة . وكثيراً مايظهر بمظهر المناقض المخالف في كل ماله علاقة بما يجب أن يأكله أويشربه أو يلبسه. وقد يدعى انه منتظم في معيشته الى حد أنه لايطيق البقاء في غرفة غير مرتبة ولا النظر الى صور معلقة على الحائط بلا نظام ولا الجلوس الى مائدة غير مستكملة شروط النظام الغذائي. وبعكس ذلك قد يكون في قوم يحرصون على النظام ويحبون الترتيب في كل شيء فيخرج عليهم ويعمل أعمالا ليس فيها الا كل مخالفة للمعروف والمألوف . حتى لقد ترتب له زوجته غرفته وتضع فيها كل شيء في مكانه فيزعجه ذلك ويقضى سحابة يومه منزعجا مضطربا . وقد يتظاهر بانه دقيق في كل ما له علاقة بصحته فلا يأكل الا أشياء معينة ولا يلبس الا الثياب التي توافقه ، حالة أنه لو رأى غيره يأكل تلك الاشياء أو يلبس تلك الثياب لابدى تبرمه بها وخوفه منها ولقال فيها ما لم يقله مالك في الخمرة واذا رأى غيره لا يكترث لميعاد أبدى دهشته من ذلك وادعى أنه لا يأكل ولا يشرب ولا

ينام الا بميعاد ، حتى أنه لا يلثم زوجته الا فى أوقات معينة ! . . وهو لا يفعل شيئا الا وهو يعتقد انه اذا لم يفعله أفضى ذلك الى أوخم العواقب . ولو عقل لاقلع عن هـذا الاعتقاد وعن جميع عاداته المغايرة للمعقول والمألوف . فهو ضحية أوهامه وخيالاته

ولا شك أن القارىء يسخر من مثل هذا المغرور . ومع ذلك فان كل فرد من الناس عرضة أن يصبح مثله . ففى كل منا جرثومة الغرور وجرثومة ذلك المرض وهو مخالفة العرف

والمصابون بهذا المرض لا يمكن ان يخفوا على العاقل اللبيب . فالغرور يدفع صاحبه دائما الى الظهور أمام الناس . والمغرور يحاول أن يتقدم الجميع ويكسفهم بنوره . ومثله الذى يسير على مبدأ «خالف تعرف» . مثال ذلك — ان هذا الرجل قد يكره الثياب السود ثم قد يموت قريب له ويترك له ثروة كبيرة . فتحاول زوجته أن تحمله على ان يلبس ثياب الحداد . فيبدى ممانعة شديدة ويقول انه قد اشتهر بين جميع معارفه بانه يكره الثياب السود «فتسكت زوجته ولا تستطيع اقناعه.وليس ذلك فقط بل تضطر إلى الدفاع عنه أمام جميع أصحابه حتى يعلم كل انسان انه عدو الثياب السود . ثم يموت أبوه بعد قليل فيضطر الى عدم لبس تلك الثياب خيفة ان يقال عنه انه بلا مبادىء ، ومادام صيته قد ذاع بأنه يكره اللون الاسود فهو يشعر بشيء من الفخر ويزداد صلفا وغروراً . وكلما زاد شهرة زاد كرها لتلك الثياب وزاد صيته انتشاراً . وهذا دليل على أن النجاح قد يزيد المرء غروراً وقد يزيده عناداً وتمسكا بالخطأ

ومن أشد دواعي الاسف أن مثل هذا الرجل لا يشفى من دائه بالسهولة ، بل قـد يتعذر شفاؤه بتاتا . فان ما يحسبه العالم مخالفة للعرف والمألوف يعتبره هو دليلا على الحكمة والذكاء ويعتقد ألا مندوحة له عنه اذا أراد ان ينجح فى الحياة . وهذا يشجعه على احتقار الآخرين واعتبارهم دونه خبرة « وذكاء »فشفاؤه اذن متعذر ، وانقاذه من هذه النقيصة مستحيل كاستحالة انقاذ السكير من عادة السكر ، أو معتاد الاجرام من ارتكاب الجرائم . ولعل الفائدة الوحيدة التى يمكن اجتناؤها منه هى جعله عظة لغيره ممن قد يعرضهم غرورهم للصيرورة مثله

ولـكن قد يمكن ازالة هذه الخصلة من المرء وهى فى أول أطوارها أى قبل أن يستفحل شرها وتتمكن من صاحبها . فقد تمر بالشاب أوقات يكون فيها على أحسن حال من التعقل والحكمة وصفاء الفكر . وفى هذه الاوقات يرجع الى نفسه ويقول : « حقا انى غريب الاطوار ، أخالف كل عرف وأناقض كل مألوف ولـكن . . . » ففى هذه الدقيقة تسنح الفرصة الملائمة لاصلاح الحال وتقويم المعوج . فان تلك الكلمة التى وقف عندها (كلمة لـكن) هى مفترق الطرق فى تكوين خلقه . وعندها يجب البدء بالعمل . فاذا كان يكره الثياب السود مثلا وجب الالحاح عليه فى الحال بشراء تلك الثياب قبل أن يغير رأيه . فاذا اذعن واشتراها فقد تم اصلاحه وتقويم عوجه

من الوحشية الى الانسانية

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
ريدرز ديجست . بقلم هنري روبنسون]

كان الناس في العصور الماضية يمتازون بالقسوة يباهون بها ولا ينكرونها . وكثيراً ما كانوا يستغلون تلك الصفة لكسب الرزق وجمع المال . ولم تكن الحيوانات وحدها هي الضحية بل كان الاطفال والاحداث وأسرى الحروب أيضاً هدفاً لشر أنواع القسوة

ولا حاجة بنا إلى الرجوع إلى العصور المظلمة لتصور ما وصلت اليه تلك الصفة في الانسان من الشدة . ففي تاريخ القرون الحديثة أمثلة كثيرة عليها . من ذلك مصارعة الدببة في القرن الثامن عشر في أوربا . فقد كان يؤتى بدب تعصب عيناه ويقيد بسلاسل حديدية إلى وتد في الارض ثم يدور حوله أناس أقوياء الجسم وبيد كل منهم هراوة غليظة ينهالون بها على الدب وما هي إلا ساعة حتى يصبح ذلك الحيوان البائس كتلة من اللحم والدم . ويراجع صاحب الملهى حسابه واذا هو قد ربح مبلغاً من المال ما كان ليحلم بمثله . واذا لم يتيسر احضار دب لتلك « الفرجة » استعاضوا عنه بخنزير

ومن مظاهر القسوة أيضاً ما كانوا يسمونه « ركوب الاوزة » وهو ضرب من اللهو كانوا يعلقون فيه أوزة من ساقيها بحيث يتدلى رأسها في الهواء . ثم يركب الفرسان وينطلقون واحداً بعد آخر كالسهم فاذا دنا أحدهم من الاوزة ضرب رأسها محاولا قطعه بضربة واحدة . فاذا لم يوفق إلى ذلك تبعه فارس آخر . ومن قطع الرأس فاز بالاوزة . ثم تعلق أوزة أخرى ويكرر هذا الضرب الهمجي من اللهو ويضحى بطائفة كبيرة من الاوز

وقريب من هذا ما كانوا يفعلونه بالديكة في حفلات عامة اذ كانوا يربطون ديكا إلى وتد ويحاولون رجمه بالحجارة عن بعد عدة أمتار ومن قتله عد فائزاً

وكان عند الانجليز حتى أوائل العصور الحديثة ضرب من اللهو يشبه مصارعة الثيران في اسبانيا وانما كان المصارعون كلاباً شرسة يروضونها على المصارعة بطريقة خاصة فتى حان ميعاد الاحتفال أطلق الكلب أثر الكلب على الثور الهائج ، فما هي إلا ساعة أو أكثر حتى يقتل الثور طائفة من الكلاب أو يعطبها ويصاب هو أيضاً بجروح مميتة ، ولكن الكلاب لا تدع فريستها تفلت من بين أنيابها إلا مضرجة بالدماء وخوارها المؤلم يملأ الفضاء . وكثيراً ما كان الثور يستعاض عنه بقرد شرس تطلق عليه العبيد أو الكلاب الشرسة

ومن مظاهر القسوة أيضاً ضرب من اللهو كان شائعاً في بعض الولايات الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة . فكان اثنان من مشاهير الفرسان يركبان جوادين ويقفان متواجهين وبينهما

ميدان فسيح ، ثم يندفعان بجواديهما كالسهم ويتقاربان حتى إذا أصبحا على قيد شعرة وثب كل منهما عن ظهر جواده وظل الجواد مندفعاً حتى يصدم رأسه رأس الجواد المقابل ، فيقتل احدهما أو كلاهما أو يصابان بجروح مميتة فى وسط عاصفة من تصفيق الجماهير المحتشدة . وكثيراً ما كان الفارس الماهر يقتل عددا من الجياد على ذلك الوجه فى الحفلة الواحدة . وقد يخونه الحظ فيقتل هو أيضاً

ومن ذلك أيضاً أنهم كانوا يحشرون قطيعين من الغزلان فى غابتين بينهما ميدان غير فسيح ثم يطلقون النار فى كلتا الغابتين فتندفع الغزلان نحو الميدان الفاصل بينهما طلبا للفرار . فيهجم عليها الناس ويصطادونها باطلاق النار أو بضربها بالهراوى ولا يهمهم الا اللهو بذلك المشهد المؤلم

وليس ما تقدم سوى نزر يسير من ضروب القسوة التى كان الانسان ينزلها بالحيوان . والمجال لايتسع لوصف الآلام المفجعة التى كانت تصاب بها العجماوات . على أن الآلام التى كان الانسان ينزلها بالانسان لم تكن دون ذلك فى دلالتها على القسوة . فالقانون الرومانى مثلا كان يجيز للأب أن يقتل ولده من دون أن يحاسبه احد عن ذلك . وقد ظل هذا القانون سارياً فى اوربا حتى اواخر القرون الوسطى . وما نحسب القارىء يجهل حكاية حملة الاولاد فى الحروب الصليبية ، فقد قام بتلك الحملة جيش عرمرم من الاولاد الصغار الذين اوفدهم آباؤهم لاستخلاص بلاد المقدس من ايدى المسلمين، فاسفرت الحملة عن هلاك اكثر أولئك الاولاد بالامراض والمجاعة وسقوط الباقين أسرى فى بلاد الشرق

على ان كل ذلك لا يعد شيئاً يذكر فى جانب القسوة التى كان الاولاد والاحداث يعانونها فى اثناء الثورة الصناعية التى وقعت فى أواخر القرن الثامن عشر وبدء القرن التاسع عشر فى اوربا واميركا . ففى سنة ١٧٩٠ انشىء اول معمل فى الولايات المتحدة وكان معظم العمال فيه اولادا بين السابعة والثانية عشرة من العمر . وكانت العقيدة الشائعة بين الناس يومئذ ان استخدام أولئك الاولاد كان عملا من اعمال الرحمة والشفقة لانه يبعدهم عن حياة الكسل والرذيلة والاجرام ! . . .

والمحزن من امر أولئك الاحداث انهم كانوا يشتغلون زمناً متوسطه اربع عشرة ساعة من كل اربع وعشرين ساعة . وفوق ذلك يكلفون الخدمة فى المنزل والذهاب إلى المدارس الليلية بحيث لاينام الولد سوى ما متوسطه خمس ساعات من كل ٢٤ ساعة ! . . . وكثيراً ما كان الولد يصاب فى أثناء قيامه بواجباته فى العمل ببتر يده أو ساقه أو أحد أعضاء جسمه ، فلا ينال من صاحب المعمل أى تعويض عن ذلك . وكان لاصحاب المعامل سماسرة يطوفون بيوت الناس ليجمعوا الاولاد اللازمين للمعامل ، والآباء يأخذون ما يجنيه أولادهم من أجور ضئيلة كانت أقرب الى اجور هزلية منها إلى أجور جدية ، وكان أولئك السماسرة يقنعون الآباء بوجوب ارسال أولادهم إلى المعامل ليشتغلوا ويكسبوا قوتهم بعرق جبينهم وإلا فانهم يعتادون الكسل ويندفعون إلى الاجرام . وانتشر هذا المبدأ بين القوم فكنت ترى أحياناً أطفالا فى الرابعة من العمر يشتغلون فى المعامل والمناجم على وجه يفتت الاكباد . وكان العمل فى اكثرها يبدأ فى الساعة السادسة صباحاً (وهى الساعة التى

يجب أن يكون فيها كل ولد مغرقا فى رقاده) وينتهى فى الساعة الحادية عشرة ليلا — أى نحو سبع عشرة ساعة من كل أربع وعشرين ساعة ، فاذا نعس الولد أو نام عومل بأشد صنوف القسوة

ولم يكن فى أوربا أو أميركا أية سلطة أو محكمة تعنى بالدفاع عن الاولاد لمنع القسوة عنهم حتى سنة ١٨٧٥ . وفى الحقيقة أن الحيوانات كانت حتى تلك السنة أحسن حظاً من الاولاد الصغار . وفى تلك السنة أنشئت جمعية الرفق بالاولاد فى الولايات المتحدة . ومن هنالك انتشرت حتى شملت معظم أنحاء العالم المتمدن. وهذه الجمعية تعنى اليوم بنحو مليونين من صغار الاولاد فى الولايات المتحدة فقط . أما جمعية الرفق بالحيوانات فقد أنشئت قبل ذلك . اذ انشىء أول فرع لها فى الولايات المتحدة سنة ١٨٦٦ فى مدينة نيويورك . ومن هنالك انتشرت حتى عمت جميع مدن الولايات المتحدة ثم جميع مدن العالم المتمدن فى الغرب والشرق . والمجال لا يتسع لذكر جميع أعمال الرحمة والشفقة التى تقوم بها هذه الجمعية ، وكلها دليل على التغيير العظيم الذى قد طرأ على طباع الناس وغرائزهم . ويكفى للدلالة على عظم أعمال تلك الجمعية أن فرع مدينة نيويورك انقذ فى السنة الماضية نحو سبعة وثلاثين الف قطة من شر أنواع العذاب ! وفى هذا ما فيه من الدلالة على تطور العاطفة فى الانسان وانتقالها من القسوة إلى الشفقة . نعم ان بعض أعضاء تلك الجمعية يتطرفون فى غيرتهم على الحيوان ، من ذلك أن امرأة مرت ذات يوم بدكان قد وضع فى نافذته زجاجة ماء فيها سمكة ذهبية اللون معرضة للشمس . فهاجت المرأة وماجت واستدعت أحد رجال الشرطة للقبض على صاحب الدكان بحجة أن تعريضه السمكة للشمس على ذلك الوجه ضرب من القسوة الفظيعة ! . . . واتصل بامرأة أخرى أن فلاحاً ممن يقومون بتربية الدجاج يضع فى غذاء الدجاج مادة معينة ليكثر بيضها . فذهبت المرأة إلى البوليس واشتكت اليه الفلاح بحجة أن فى تغذيته الدجاج بتلك المادة ارهاقا لها ! على أن مثيلات هذه المرأة المتطرفة لسن كثاراً ولا يقمن عقبة فى سبيل نجاح الجمعية

أما جمعيات الرفق بالاولاد فهى سبب انشاء « الاصلاحيات » ومحاكم الاحداث فى أكثر أنحاء العالم . فقد كان الاولاد حتى أواسط القرن التاسع عشر يحاكمون فى المحاكم الاعتيادية فاذا حكم عليهم زجوا فى السجون العامة مع المجرمين والسفاحين حيث تفسد طباعهم وتخشوشن أخلاقهم فاذا خرجوا من السجون أصبحوا أميل إلى الاجرام وأسرع إلى الاندفاع فى مهاوى الرذيلة . أما اليوم فان الاحداث يحاكمون فى محاكم خاصة يرأسها قضاة مشهود لهم بالحلم والمعرفة والخبرة بشئون الحياة . وهؤلاء القضاة يعطفون على الاحداث عطفاً خاصاً ولا يطلبون لهم إلا الخير ، وجميع الاحكام التى يصدرونها عليهم انما يقصدون بها إلى اصلاحهم وتقويم عوجهم وابعادهم عن مهاوى الاجرام والفساد . كل ذلك دليل على تطور خلق الانسان ، فبعد أن كان لا يشعر مع الولد الصغير ولا يتألم لآلامه ، صار يعنى بأمره ويهتم بكل ما له علاقة براحته ومستقبله . وقوانين الامم المتمدنة شديدة الوطأة اليوم على من يسىء إلى الاولاد الصغار أو يهضم حقوقهم أو يمسهم بسوء

قوانين الحياد

[خلاصة مقالة نشرت في جريدة
المانشستر جارديان للاستاذ وطسن]

ان الحرب العظمى الماضية زعزعت دعائم الكثير من النظم والقوانين الدولية الخاصة بمراعاة واجب الحياد فى أثناء الحرب . ولذلك يعتقد البعض ان تلك النظم والقوانين قد أصبحت حبرا على ورق . ولكن الحقيقة خلاف ذلك بدليل تمسك الدول منذ بضعة أشهر بمعاهدة لاهاى لسنة ١٩٠٧ فيما يختص بمعاملة السفن الايطالية التى تجتاز البحر الاحمر وتنقل المؤن والذخائر والجنود الى الحبشة

وتنص معاهدة لاهاى المذكورة — وقد وقعتها جميع الدول — على انه لايجوز لاية دولة واقفة على الحياد أن تسمح للسفن الحربية بدخول أحد موانئها الا اذا كانت السفينة قد أصيبت بعطب طارىء أو تعرضت لخطر الغرق أو نفد وقودها وطعامها أو كانت تحمل ركابا قد أصيبوا بمرض يعرض حياتهم للخطر فى حالة مواصلة السير . وهذه القيود تشمل أيضاً السفن التجارية التى تحمل المؤن والذخائر الحربية

ومما يجدر بالذكر أن قوانين الحياد الدولية حديثة العهد ترجع الى منتصف القرن الثامن عشر . وقد كانت الدول تتبع قبل ذلك السياسة التى تمليها عليها مصلحتها . ولم تكن الدول المحايدة ملزمة باتباع خطة معينة تجاه اية دولة تكون فى حالة حرب مع غيرها

ولا شك أنه لو اخلصت الدول اليوم فى اتباع قوانين الحياد بدقة لكان فى ذلك ضمان يكفى لمنع الحرب أو لتقصير أجلها من دون اضطرار الى فرض العقوبات كالعقوبات التى فرضتها عصبة الامم على ايطاليا بسبب الحرب الحبشية . فقد أنذر البريطانيون ربابنة السفن الايطالية بانهم لن يسمحوا لهم بالبقاء فى الموانىء الانجليزية اكثر من أربع وعشرين ساعة وان المهمات والمؤن التى تأخذها أية سفينة منها يجب أن لاتزيد على المقدار الذى يوصلها إلى أقرب قاعدة بحرية ايطالية

ولا يخفى أن الالمان أسروا فى سنة ١٩١٥ سفينة بريطانية اسمها « آبام » وجروها الى أحد الموانىء الاميركية . فلما عرضت مسألتها على محكمة الولايات المتحدة العليا حكمت بوجوب اعادتها الى اصحابها لانها لم تلتجىء الى الميناء لسبب من الاسباب التى تنص عليها ، معاهدة لاهاى

على أن القوانين الدولية الخاصة بحقوق المحايدين فى البحار ، وان تكن ذات نصوص صريحة فى الظاهر هى دائما موضوع نزاع عند تفسيرها وتطبيقها . ولهذا السبب كانت انجلترا واميركا فى السنتين الأولين من الحرب العظمى الماضية فى نزاع مستمر بسبب تأويل تلك القوانين وتطبيقها . وقد أدى ذلك النزاع الى تبادل مذكرات كثرت كثرة جعلت الناس يسخرون منها ويجعلونها محور كثير من

الاحاديث والاقوال المضحكة . وقد كان القانون الدولى قبل تلك الحرب ينص على أن البضائع والمواد الخاصة بدولة محاربة والتى تنقلها سفينة محايدة لايجوز التعرض لها أو فحصها أو الاستيلاء عليها ولـكن الدول المتحاربة تجاهلت هذا القانون ما بين سنتى ١٩١٤ و١٩١٨ وتعامت أيضاً عن تصريح باريس سنة ١٨٥٦ الذى ينص على عدم جواز التعرض لاية سفينة يخفق عليها علم أية دولة محايدة

ومن قوانين الحياد الدولية أيضاً انه لايجوز لاية دولة محايدة أن تعقد أو أن تضمن قرضاً لاية دولة تكون فى حالة حرب مع غيرها من الدول . على أن مثل تلك الدولة المحايدة لا تستطيع منع رعاياها من عقد مثل ذلك القرض ، اذ ما من قانون يخولها سلطة ذلك المنع . وقد سدت عصبة الامم هذه الثغرة فى القانون الدولى

ومما يجدر بالذكر أن سفارة الحبشة فى لندن اضطرت عند بدء الحرب الحبشية الحالية الى رفض ما عرضه عليها الـكثيرون من أفراد الانجليز الذين أرادوا أن يتطوعوا للدفاع عن الحبشة فى حربها مع ايطاليا . وكان رفض السفارة مبنياً على أن نصوص القانون الدولى صريحة بهـذا الاعتبار وأن بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تسمح بجمع الجنود فى بلادها بقصد استخدامها لاغراض حربية لمصلحة دولة هى فى حالة حرب

ومن قوانين الحياد أيضاً انه اذا اجتاز جنود دولة محاربة حدود البلاد ودخلوا أرضاً محايدة وجب نزع سلاحهم فى الحال . ولهذا يطلق سراح أسرى الحرب عند وصولهم الى بلاد محايدة ولا يجوز تسليمهم الى اعدائهم بوجه من الوجوه

ومما يذكر بشأن حقوق المحايدين انه فى سنة ١٨٧١ اجتاز جيش فرنسى عدده سبعون الف مقاتل حدود البلاد السويسرية فما كان من هذه الدولة الا أن نزعت سلاح أولئك الجنود فى الحال

وقوانين الحياد تضمن أيضاً حقوق الافراد المحايدين المقيمين ببلاد فيها حرب . فلا يجوز ارغامهم على الاشتراك فى القتال بل بالعكس يجب حراسة املاكهم وأموالهم . واذا قضت بعض الضرورات بمصادرة تلك الاملاك والاموال وجب التعويض عنها . وقد وقعت عدة حوادث من هـذا القبيل فى الحرب العظمى الماضية فان بريطانيا العظمى استولت فى سنة ١٩١٤ على عدة بواخر هولندية كانت راسية عند بدء الحرب فى الموانىء البريطانية . ومع أن حكومة هولندا احتجت على مصادرتها احتجاجاً شديداً فان انجلترا لم تكترث لاحتجاجها الا انها أعاضتها عن تلك البواخر بسخاء

ولا يجوز لاية دولة محايدة أن تسمح بتنظيم اية مساعدة لدولة محاربة داخل حـدود بلادها ولهذا يحظر تجهيز أية باخرة أو تعبئة اى جيش بقصد اعانة الدولة المحاربة . وعندما تنشب حرب بين دولتين أو اكثر يجب على الدولة المحايدة أن تعلن على وجه رسمى أنها ستلزم الحياد وتراعى أدق شروطه . ومعنى ذلك انها ستتقيد بنصوص معاهدة لاهاى وغيرها من قوانين الحياد الدولية

التمريض والممرضات

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
سكربنر للاستاذ جونس]

لعل الكثيرين من القراء يذكرون خدمات الممرضات اللواتي اعتنين بهم في وقت من الاوقات وما بذلنه في سبيل شفائهم من الجهد والتعب. ففي الساعات المظلمة التي يصارع فيها المريض ملاك الموت يشعر بأن وجود الممرضة الى جانبه أمر لا بد منه، وبأن في خدمتها له ما يزيد في قدرته على مكافحة المرض ويقوى رجاءه بالانتصار عليه. ولكن من دواعي الاسف أن ما يذكره بعضنا من أمر بعض أولئك الممرضـــات ليس مما ترتاح اليه النفس. وأن بعضهن لم يخلقن لمزاولة الفن الذي احترفنه وكان أجدر بهن أن ينصرفن عنه الى مزاولة عمل آخر من أعمال الحياة. وليس هذا جميع أسباب الشكوى، بل إن هنالك سبباً آخر ليس أقل شأناً وهو عدم انتقاء الممرضة «الاخصائية» لكل مرض من الامراض — كأن تنتقى الممرضة المختصة بأمراض القلب مثلا للعناية بمن هو مصاب بالسرطان. ومن هي مختصة بالجراحة للعناية بمن يشكو من أحد أنواع الحميات

واذا كان لنا أن نشكو من بعض الممرضات فان للممرضات أيضا ما يشكون منه. فاكثرهن يعملن ليل نهار بلا انقطاع بحيث لا تجاوز احداهن الاربعين من عمرها الا وقد ضعفت قواها وفقدت نشاطها. وهذا غريب جداً اذا تذكرنا كثرة الممرضات في كل مكان. فهل نفهم من ذلك أن الامراض منتشرة الى حد أن عدد الممرضات غير كاف للعناية بالمرضى؟ كلا. فالحقيقة هي انه اذا كان عدد كبير من الممرضات يعملن بلا انقطاع فان الباقيات منهن قلما يشتغلن سوى شهر أو شهرين في العام، ويقضين بقية أشهر السنة بالبطالة والقلق من المستقبل

فكلا فريقي المرضى والممرضات غير مرتاح الى الحالة، وسبب ذلك على الارجح راجع الى كون مدارس التمريض واقعة تحت اشراف المستشفيات. وهذه المستشفيات تخرج كل عام جيوشا زاخرة من الممرضات، وهي بما تفعله تقـــاوم ذلك الناموس الاقتصادي أي ناموس الطلب والعرض

وفي الحقيقة أن طالبات أكثر مدارس التمريض الخاضـــعة للمستشفيات يعفين من كثير من الشروط اللازمة. فلا يشترط عليهن أن يكن عند دخولهن من حاملات الشهادات العالية بل يكتفى بما هن عليه من المبادىء الاولية. وغني عن البيان أن بعض المستشفيات صغيرة أو هي وقف على أمراض معينة دون غيرها، فليس من الحكمة أن تتولى تخريج الطالبات في فن التمريض. والطالبات اللواتي يتلقين علم التمريض هنالك لا يكتسبن الخبرة التي هن في حاجة اليها لان المستشفى الذي

ينتمين اليه قد يكون صغيرا أو قد يكون مختصاً بالعناية بالمصابين بالحميات فقط مثلا . وفي هذه الحالة كيف ترجو الممرضة أن تكتسب ما هي في حاجة اليه من الاختبار ؟ !

ومما يدعو الى الاسف أن الجمهور لا يدرك حتى الآن ما لفن التمريض من الشأن وما له من الفائدة للاجتماع . فمنذ نحو ستين سنة أثبتت تلك الممرضة المشهورة — فلورانس نايتنجايل — أن فن التمريض من مكملات علم الطب ، وأن نجاح الطبيب في معالجة مرضاه يرجع في كثير من الاحيان الى حسن مداواة الممرضة للمريض والى محافظتها على وصايا الطبيب وأوامره . ولا شك أن فن التمريض قد أنقذ حياة الملايين . ولذلك نرى أن مدارس التمريض قد انتشرت في جميع أنحاء العالم وكثرت فيها كثرة كان يمكن أن يكون نفعها أعظم بكثير لو عنى المشرفون عليها بازالة أسباب الشكوى منها

ولقد أدرك المشرفون على بعض المستشفيات خطأ جعل مدارس التمريض تابعة للمستشفيات فاخذ الاعتقاد يقوى بوجوب فصل تلك المدارس عن المستشفيات واشتراط شروط معينة على كل من يطلبن دخول مدارس التمريض ومن جملتها أن يكن حاصلات على شهادات عالية . ويرى الكثيرون من أهل الخبرة أيضاً أن من المصلحة العامة اقفال جميع مدارس التمريض التي لا تتوافر فيها الشروط المطلوبة ومنع المستشفيات من افتتاح تلك المدارس . والاتفاق مع بعضها على السماح لطالبات فن التمريض بالتمرن على فنهن . فاذا روعيت هذه الشروط ارتقى هذا الفن ارتقاء عظيما وأصبح نفعه للاجتماع أعظم

وهنالك كما لا يخفى ثلاثة موارد « لتوريد » الممرضات اللواتي يطلبن الاطباء وهي : المورد « التجاري » والمورد « المدرسي » والمورد « الفني » والاخير أحدث تلك الموارد وأفضلها وهو يمتاز بكونه يسجل أسماء الممرضات اللواتي يلتجئن اليه وأعمارهن والمدارس التي طلبن العلم فيها وشهاداتهن ومدة اختبارهن وما هن مختصات به من العناية بأمراض معينة . فمنهن من يفضلن العناية بأمراض القلب ومنهن من يفضلن العناية بالمصابين بالحميات وهلم جراً من ضروب الاخصاء . وفي أوربا والولايات المتحدة اليوم كثير من « المورد » الثالث المشار اليه وقد بدأت فائدة خدمته للجمهور تظهر على أكمل وجه . وأجور الممرضات اللواتي يقدمن هذا « المورد » للجمهور تختلف باختلاف اعتبارات كثيرة — أي باختلاف نوع المرض وساعات العمل ومقدار اختبار الممرضة وما الى ذلك

ان فن التمريض لازم كل اللزوم للاجتماع . وهو جزء لا يمكن فصله عن علم الطب . والممرضة جزء متمم للطبيب . وخير خدمة نؤديها للاجتماع هو أن نحرص على ابقاء مستوى فن التمريض عاليا ليؤدي الخدمة المرجوة منه

الانقلاب فى روسيا

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة سكربنر . بقلم أوجين ليونس]

تدل الانباء الاخيرة الواردة من روسيا على ان انقلاباً خطيراً قد طرأ على العادات والاخلاق، وعلى كل ماله علاقة بأسباب المعيشة وبمظاهر الحياة من مأكل ومشارب وملابس ومجتمعات وهلم جراً . وكان الروس عند ثورتهم البولشفية حتى عهد قريب قد ثاروا على العادات والتقاليد والاخلاق والنظم . ومن جملتها احترام الوالدين واحترام الربط الزوجية وما الى ذلك مما يكاد يكون عادات غريزية فى معظم الشعوب المتمدنة

ومع ان الزواج فى النظام البولشفى هو علاقة غير وثيقة بين الرجل والمرأة يمكن فصمها واعادتها بسهولة تامة ، فقد تغيرت الحال الآن بهذا الاعتبار وصار الناس يحاكمون من أجل كثرة الزواج والطلاق ، وصار الآباء يقفون أمام المحاكم بتهمة اهمال أولادهم . والغريب ان الرأى العام البولشفى نفسه قد تطور فصار يحتم على الناس أن يغيروا النظم الاجتماعية . وأن يستبدلوا القيود والعلاقات القائمة بغيرها أكثر شبهاً بما يقابلها عند غيرهم من الامم . وفى الواقع أن المبادىء التى يجاهر بها البلاشفة الآن لا يرفضها غيرهم من أشد الناس تمسكا بمبادىء الدين والآداب فى البلاد الاخرى . فهم يقولون بوجوب الزواج على دعائم راسخة وبوجوب تنظيم العلاقة الادبية والاجتماعية بين الافراد

ولا شك أن الانقلاب الذى نحن بصدده الآن يشمل جميع مرافق الحياة ومظاهر المعيشة كما تقدم القول — أدبية كانت أم دينية أم سياسية أم اجتماعية — فالروايات التمثيلية أو السينماتوغرافية التى كان البلاشفة حتى عهد قريب يقومون بعرضها على الجماهير بقصد نشر الدعوة الشيوعية قد زالت وحلت محلها روايات تمثل العواطف البشرية على وجهها الصحيح . والصحف تنشر الآن القصص والروايات التى تهذب الاخلاق وتربى الفضائل وترقى الشعور . وليس ذلك فقط بل قد صار الناس يميلون اليوم الى التأنق فى ثيابهم والظهور بمظاهر الوجاهة بعد أن كانت الثورة قد حرمت عليهم ذلك وألزمتهم بلبس الثياب الخشنة ، وأكل الاطعمة غير الفاخرة ، والخروج على كل ما يشتم منه رائحة الارستقراطية

ومغزى هذا التغيير الطارىء هو أبعد مما تتصوره الاذهان أول وهلة . وتحت ستاره الظاهر أمور تدل دلالة قاطعة على ان البولشفية الحالية هي غير البولشفية الماضية . وقد أصبحت وسطا بين الاشتراكية ورأس المالية (الكابيتالسم) وأنها ستظل على هذه الحالة المتوسطة ردحا من الزمن

ترسخ فيه وتصبح نظاما ثابتا قائما برأسه ويقدر له البقاء على الأقل عدة أجيال. وهذا الدور المعروف بدور الانتقال مرضى عنه من جميع الطبقات ومسلم بكونه غير بعيد عن المعقول

وقد كان البلاشفة فى أول ثورتهم كثيرى المواعيد يلمحون لاتباعهم بقرب مجىء ذلك اليوم الذى تتحقق فيه أحلام سعادتهم، فلا يبقى فى الامة كبير أو صغير ، ووجيه أو حقير ، وغنى أو فقير، بل يصبح جميع الأفراد على مستوى واحد . ويتمتعون بمسرات الحياة بمقدار متساو . أما الآن فقد تغيرت الحال وصار الكل يعلمون ان خير ما يستطيع الفرد أن يفعله هو أن يتخذ لنفسه المركز الذى يلائمه فى الاجتماع والذى يضمن له الراحة على قدر المستطاع

ومما يجدر بالذكر أنه لما شرع البلاشفة منذ بضعة أعوام فى تحقيق برنامج السنوات الخمس كان التأنق فى الثياب يحسب عاراً كبيراً بل جريمة لاتغتفر . وكذلك كان يحسب الترفه فى المعيشة وأكل أطايب الاطعمة ، والاقبال على المراقص والاجتماعات الارستقراطية . وكانت الروايات تمثل على المسارح أو تعرض فى دور السينما لتحقير المتأنقين فى ثيابهم المترفهين فى معيشتهم . وكان أبطال تلك الروايات أشخاصاً ربوا على شظف العيش وخشونة أسباب الحياة

أما اليوم فقد تغير ذلك كله وصار نفس زعماء البولشفية يسخرون ممن يتمسك بالعقائد الشيوعية المتطرفة ومبادئها الخيالية ولا سيما ما كان منها متعلقا بمساواة الافراد فى المجتمع . وكذلك يسخرون ممن يظهر بمظهر من لا يعتنى بهندامه وطعامه ولا يهتم بحلق لحيته . وهم يقولون أن أمثال هذه المظاهر غير جديرة باحترام الفرد لنفسه إذ ليس فى اناقة المظهر ما ينافى المبادىء الاجتماعية القويمة

ولا شك أن زعماء البلشفية راضون عن هذا الطور المتوسط من أطوار النظام الشيوعى يرون فيه مرحلة صالحة من مراحل ذلك النظام . وفى هذه المرحلة تبدو الطبقات المختلفة كأنها واثقة من كونها قد بلغت حالة الاستقرار من حيث نظامها العمرانى الادبى الاقتصادى، وكل طائفة من الطوائف قانعة بما هى عليه . فصاحب المال فى مصرفه ، والمدير فى عمله ، والمعلم فى مدرسته ، والتاجر فى حانوته ، والزارع فى حقله ، والجندى فى ثكنته ، كل من هؤلاء قانع بما هو فيه راض عن الحالة التى قد وصل اليها معتقد أنه قد بلغ مرحلة الاستقرار . نعم ان الجميع يرجون بكل زيادة فى رفاهة عيشهم . ولكنهم يعتقدون أنهم ليسوا فى حاجة الى أى انقلاب آخر . ولعل ستالين نفسه يعلم علم اليقين أنه من المستحيل تحقق الاوهام التى كان البلاشفة ينادون بها عند أول قيام دعوتهم والتى ما نادوا بها إلا نشراً للدعوة واستهواء للنفوس . مع أن ستالين نفسه يسخر من أى شاب يظهر أمامه غير حليق الذقن ولا أنيق الثياب . فأى دليل بعد هذا — اذا كان الامر يحتاج إلى دليل — على عظم الانقلاب الذى قد طرأ على أفكار البلاشفة فى السنوات الاخيرة ؟

أضف الى ذلك ان حيازة الاموال الكثيرة كانت تعتبر فى أوائل عهد الثورة البلشفية جريمة

لا تغتفر . أما اليوم فان الغنى ليس فقط أمراً جائزاً بل فضيلة يجب الدعوة اليها . بل لقد أصبح من واجب المرء أن يسعى ليرتقي ويتقدم في مناصب الدولة أو الأعمال الحرة كما هي الحالة تماما في نظام « رأس المالية » أو الكابيتالسم . وبناء عليه قد صار البلاشفة اليوم يدفعون الأجور بمقتضى كمية العمل الذي ينتجه العامل ونوعه . فكلما كان العمل أكبر ونوعه أجود كان الأجر عليه أعظم - والمناصب الخطيرة التي تحتمل التبعات الكبيرة تقرر لها أجور كبيرة بخلاف ما كانت الحالة عليه منذ بضع سنوات . وليس ذلك فقط بل ان الحكومة تشجع اليوم النبوغ بعرض الجوائز المالية الكبيرة . وأصحاب الأمر والنهي هنالك لايحجمون عن عمل كل مامن شأنه أن يزيد الانتاج ويحسنه ويجعل النظام الاقتصادي أمتن وأرسخ . والذي يزور روسيا اليوم يرى الحوانيت والمخازن والمطاعم والقهوات والمصايف وغير هذه من المنشآت تسعى جهدها لاجتذاب طائفة الاغنياء والوجهاء والاعيان دون غيرهم من أهل الطبقات الوسطى أو الفقيرة . مع أن عملا مثل هذا كان الى عهد قريب يحسب تمرداً وخروجا على التعاليم البولشفية كلها

فنرى مما تقدم أن النظام البولشفي قد وصل الى حالة يرجى أن تستقر الى مدة طويلة . ومن دواعي الارتياح ان نظام الاسرة الذي كان في أول عهد البولشفية قد تداعى الى السقوط هو اليوم أدعى الى البقاء والثبات . ونظام الاجتماع بوجه الاجمال هو أرسخ دعائم وأقرب الى المعقول والمقبول وهذا مما يزيد في الرجاء بأن تتوطد الحالة في بلاد البلاشفة



[خلاصة كتاب نشر في مجلة ريدرز دايجست . بقلم والتر بتكن]

يقول علماء النفس إن العواطف والمشاعر تشبه المواد المنفجرة وإن انفجارها أمر مألوف نشاهد آثاره كل يوم من أيام الحياة ولا سيما عندما يستفزنا الغضب فلا نستطيع امتلاك عواطفنا أو كبح جماحها . ومن العواطف والمشاعر ما هو حسن ومنها ما هو مضر . والمقياس الوحيد الذي به يمكننا أن نميز بين النافع والضار منها هو درجة استرخاء العضلات . فاذا أدت احداها الى استرخاء العضلات استرخاء تاما كانت نافعة . واذا أدت الى قبضها كانت ضارة . وعليه فالبكاء في ساعة الحزن نافع لانه يطلق العنان لبعض الاعضاء لتسترخي . ولكننا نعلم أن كتمان الدمع في حالة الحزن الشديد قد يؤدي الى أعظم الاخطار

ولعل أشد الضرر يقع على الجهاز الهضمي . فالغضب الشديد أو الانفعال الزائد يحدث شبه

التهاب فى الحلق ويجعل المعدة تتقلص وتنكمش بحيث تعجز عن القيام بوظيفة الهضم ، بل لقد يمتد الأثر الى الامعاء فيمنعها من تأدية عملها فيفضى ذلك الى الامساك والقروح والتهاب الزائدة الدودية وغنى عن البيان أن أمثال هـذه المضار لا تنشأ عن انفجار العواطف مرة واحدة ، بل تنشأ عن انفجارها مرات متوالية وعلى أثر استمرار الحزن والاستياء والانزعاج مدة طويلة

ويقول الاطباء إن قروح المعدة الناشئة عن الانفعالات المتواصلة يمكن شفاؤها بسهولة بزوال تلك الانفعالات وباطلاق العنان للعضلات لتمعن فى الاسترخاء . والشواهد على صحة هذا القول كثيرة جدا . ويعتقد الاستاذ سليفان من أطباء جامعة يابل أن الانفعالات المزعجة هى سبب ثلاثة أرباع حوادث التهـاب القولون المصحوب بالتقرح . وتعليل ذلك أن الانفعالات المزعجة تهيج الجهاز الهضمى تهيجاً شديداً حتى انه يأكل بعضه لانه لا يجد ما يأكله ويهضمه ، فيؤدى ذلك الى التقرح . وقد روى الاطباء حوادث تم فيها الشفاء من قروح الجهاز الهضمى على أثر زوال أسباب الانفعال والحزن مع أن جميع وسائل المعالجة أخفقت

والمهم هو أن نعرف ما هى الانفعالات التى هى نافعة للجسم وما هى المواقف التى تؤدى الى استرخاء العضلات واستراحتها . فالحياة ذات الانفعالات المتزنة هى خير بكثير من الحياة ذات القوى العقلية البارزة . ولو خير العاقل بين القدرة على امتلاك العواطف والقدرة على حل المعضلات العلمية لاختار الاولى بلا شك

إن من الناس من هو على الرغم من نفسه سريع الانفعال فلشفاء مثل هذا الرجل من سرعة الانفعال يجب ترويضه على أمرين : أولهما جعله يزاول عملا من الاعمال التى تصرف أفكاره عن ذلك الانفعال . وثانيهما تعويده أن يستجمع أفكاره ويحصرها فى أمر من الامور بصبر وهدوء . ولا شك أن من أهم طرق صرف الافكار عما يستوجب الانفعال أن يضطجع الرجل على مقعد أو متكأ ويتمطى ويتمدد كأنه يريد الاستراحة من عناء كبير . ثم ينهض بعد قليل لاستنشاق الهواء النقى ويأتى من الحركات ما يساعده على إرخاء عضلات جسمه واراحتها . واذا كان نظره مجهداً فليبتعد عن كل مادة فيها نيكوتين أو أى شىء آخر يهيج أعصاب البصر، وليبتعد عن النور الساطع فانه يبهر النظر ويتعبه . واذا شعرت السيدة فى أثناء قيامها بشؤونها المنزلية بشىء من التعب فليس من الضرورى أن يكون هذا التعب نتيجة اجهاد القوى الجسمية بل قد يكون نتيجة الحالة الجوية أو نتيجة انحباس الهواء أو نتيجة الاستمرار فى العمل بلا انقطاع أو نتيجة الجلوس خطأ وعلى غير وجه صحى أو ما الى ذلك من الاسباب . ومن أوضح الادلة على ذلك أن الذين يشتغلون على الآلة الكاتبة مثلا اذا لم يكن مقعدهم من تلك الآلة مريحاً وطبيعيا فانهم يرتكبون اغلاطاً كثيرة . وهـذه الحقيقة قد هدت الكثيرين من أصحاب المصانع فى أوربا وأمريكا الى استنباط الوسائل المختلفة لابعاد الملل والتعب عن العمال مع ضمان حسن الانتاج . من ذلك طريقة جرى عليها صاحب احد

المعامل فى أمريكا وهى ارغام كل عامل على الاستراحة والتمطى والتمدد بضع دقائق فى فترات معينة من أوقات العمل . وقد ادى هذا النظام الى زيادة الانتاج . وكان فى ولاية بنسلفانيا الاميركية معمل للنسيج ما كان احد من العمال يستمر فيه سوى بضعة أيام ثم يخرج منه . وكان الكثيرون من العمال يشكون التهاب الاعصاب والصداع المستمر والماليخوليا . فحار صاحب المعمل فى أمره وأخيراً عزم على القيام بتجربة غريبة وهى أن يرغم العمال على الانقطاع عن العمل مدة عشر دقائق كل ساعتين من الزمن على أن يقوموا فى أثناء هذه المدة بأية رياضة تؤدى الى استرخاء العضلات واراحتها . فكانت النتيجة بعد زمن قصير أن زالت الاعراض التى كان أولئك العمال يشكون منها وزاد الانتاج وتحسنت الاحوال من كل وجه . وليس ذلك فقط بل صار العمال يحبون العمل ويحافظون على المواعيد بكل دقة ولا يميل أحد منهم الى ترك عمله

ومما يجدر بالذكر أن طائفة كبيرة من أشد الانفعالات التى تطرأ علينا انما تنشأ عن الخوف . وأشد أنواع الخوف فتكا بالانسان واضعافاً لقواه المعنوية هو الخوف من شىء مجهول ! فالرجل الذى يخاف من شىء لا يعلم ما هو يصبح عرضة لانفعال شديد الاثر . ولا يزول هذا الانفعال الا اذا انجلى سبب الخوف واتضح

وهذه الحقيقة توجب علينا أن نسأل أنفسنا عندما نتوقع أمراً يخيفنا ونحن لا ندرى ما هو : « ترى مم نخاف وما هو هذا الشىء الذى نخشاه ؟ » فاذا أمكننا أن نجيب عن هذا السؤال جوابا مقنعا زال الجانب الاكبر من انفعالنا . وفى الحقيقة أن نفس محاولتنا معرفة سبب الخوف تؤدى الى استرخاء العضلات والى زوال الاضطراب والانفعال

ثم اننا متى عرفنا ذلك السبب أمكننا أن نتلافى أسباب الخوف وأن نفكر فى وضع خطة جديدة للعمل . وهذه الخطة نفسها تنفخ فينا روح الشجاعة والاقدام وتؤدى الى اراحة العضلات فتسترخى بعد انكماشها بسبب الانفعال

فاذا واجهتك المشاكل فلا تدع لليأس مجالا بل ضع نظاما منطقياً لمعالجتها . قسم وقتك مثلا الى فترات وعالج فى كل فترة منها وجهاً من الوجوه المشكلة لانك اذا حاولت معالجة وجوهها كلها دفعة واحدة وفى فترة واحدة فأنت تحمل نفسك ما لا طاقة لك به . وهذا يزيد فى همومك وفى انفعالاتك . وقد قال أحد الانجليز : « إذا حملت نفسك هم حل جميع مشاكلك زدت فى همومك هما جديداً . واذ حملت نفسك حل جانب منها فقد حللتها جميعا »

ومما يجدر بالذكر أن الموسيقى تساعد على ازالة الانفعالات المزعجة مساعدة قوية . والتجارب الدالة على صحة هذا القول كثيرة متوافرة . وليس الشخص المعرض للانفعالات هو وحده الذى تخفف الموسيقى حدة انفعاله ، بل ان الشخص الاعتيادى أيضا يستفيد من الموسيقى فانها تجعل عضلاته تسترخى وتستريح . وهذا يؤدى طبعاً الى زيادة الانتاج والى النفع العام

شعب لا يعرف السحر

[خلاصة مقالة نشرت في رسالة الاخبار العلمية . بقلم السيدة اميلي ديفيز]

من عادة المتمدنين أنهم يتهمون جميع الشعوب المتوحشة بالسحر ويقولون إنها مصدره والتربة الخصبة التي ينبت فيها . والحقيقة ان الايمان بالسحر عقيدة شائعة لا تخلو منها أمة من الامم المتمدنة أو المتوحشة

ترى ماهي هذه العقيدة ؟

هي الايمان بأن في الطبيعة — أو فيما وراء الطبيعة — قوى خارقة يستطيع الساحر أن يستخدمها لينفع بها نفسه أو غيره . واستخدام السحر يكون بطرق شتى وعلى وجوه مختلفة . فمن اتخاذ رمز معين ، الى اختيار رقم معلوم ، الى اقتناء تعويذة أو تميمة ، الى غير ذلك من الامور الدالة على تأصل عقيدة السحر في النفوس . فاذا أردنا أن نهرب من السحر لم نجد مكاناً يخلو منه . بل لعل السحر أكثر انتشاراً بين المتمدنين منه بين المتوحشين

على أن هنالك شعباً — لعله الوحيد في العالم — لا يعرف السحر وليس للسحر أو للتعاويذ أثر فيه . وهذا الشعب هو شعب « نيجريتو » من سكان جزيرة لوزون (من جزائر الفيلبين) وجميع أفراد هذا الشعب أقزام ولونهم أسمر داكن كلون الشوكولاته وهم متوحشون وليس للمدنية أثر بينهم ويسكنون في بيوت هي أشبه شيء بأوجرة الكلاب ويأكلون كل ما يعثرون عليه من نبات أو ما يصطادونه من حيوان ، ولكنهم لا يعرفون التعاويذ أو التمائم وليس للسحر أثر بينهم على الاطلاق

ويقول الاستاذ كوبر الاميركي وهو من كبار علماء الانتروبولوجيا إن شعب « النيجريتو » هذا فريد في نوعه وانه موضوع دهشة العلماء اذ ليس في العالم كله شعب آخر خال من عقيدة السحر خلواً تاماً . والغريب أن جميع شعوب جزائر الفيلبين المشار اليها مغرقة في الاعتقادات السحرية وللسحر أثر ظاهر في كل عمل من أعمالها أو قول من أقوالها . ولقد ينتفض أحد أفرادها من مكانه مذعوراً اذا سقطت ورقة من الشجرة وأطارتها الريح لانه يرى في ذلك رمزاً الى كارثة عظيمة — الامر الذي يدل على عظمة تأصل السحر في نفوس القوم . أما شعب « النيجريتو » — وهو من شعوب تلك الجزائر عينها — فلا أثر للسحر في عقائده . فهو يرى سقوط ورق الشجر وعواء الذئب في الليل وخسوف القمر وحوادث المرضى وما الى ذلك ، أموراً عادية ليس لها مغزى خاص ولا علاقة لها بالسحر . بل هو لا يؤمن بالحظ والنحس ولا يحاول تعليل الحوادث الا بأنها وقائع بسيطة ليس لها أي ارتباط بأية قوة غير منظورة . فاذا مات أحدهم فالموت شيء عادي . واذا

مرض فالمرض شيء عادي . واذا سقط وانكسرت ذراعه فكل ذلك من الامور الطبيعية المألوفة . واما الحظ ، واما النحس ، واما الشؤم ، واما القصص الخرافية ــ فكل ذلك أوهام فى أوهام وشعب النيجريتو أبعد النـاس عنها . وقد تركوا لغيرهم ــ من المتمدنين وغير المتمدنين ــ كل ماله علاقة بالسحر والعرافة والشعوذة

ويعتقد الكثيرون من علماء الانتروبولوجيا أن هذا الشعب الغريب هو بقية سلالة الانسان الذى كان يسكن الكهوف قبيل فجر المدنية أى منذ نحو ثلاثين أو أربعين الف سنة. ولا يخفى أن سكان الكهوف قد تركوا لنا على جدران كهوفهم رموزاً وتصاوير كثيرة كان العلماء حتى الآن يعتقدون أنها رموز وتمائم وتعاويذ ، مما يدل على أن اولئك الشعوب المغرقة فى الهمجية كانت تؤمن بالسحر والارواح ــ ولا سيما الشريرة منها ــ أما الآن بعد العثور على شعب النيجريتو فقد صار من الممكن القول بأن الرموز التى كان سكان الكهوف ينقشونها أو يرسمونها على جدران الكهوف ليست دليلا على ايمان الناس بالسحر والخرافات والارواح ، بل هي رسوم ورموز مجردة من كل مغزى . ومع ذلك فان سكان الكهوف لم يكونوا مجردين من مبادىء العلم تجرداً تاماً . فالدلائل متوافرة على انهم كانوا يستعملون بعض الاعشاب والحشائش مثلا للتداوى . وانهم كانوا يعرفون وظائف الاعضاء ، ويصنعون لانفسهم آلات وأدوات وقواطع حجرية . الى غير ذلك من الدلالات البسيطة فى شكلها البعيدة فى مرماها

ثم أن من العقائد الشائعة بين الكثيرين أن العلوم الحديثة كلها نشأت من السحر بشكل من الاشكال . فمعرفة خصائص الحشائش مثلا نشأت من التجارب السحرية التى كان يقوم بها السحرة والمشعوذون فى العصور الغابرة . وعلم الفلك نشأ من علم التنجيم ــ اذا صح أن يسمى التنجيم علماً ــ والكيمياء هى وليدة علم السيمياء ، وهلم جرا من العلوم الكثيرة التى يعتقد البعض أنها وليدة السحر والعرافة والشعوذة . على أن النظرية الاصح هى أن العلوم الصحيحة لم تنشأ عن السحر ولا علاقة لها به . وهذه النظرية يسلم بها جميع علماء الانتروبولوجيا . فعلم الفلك فى نظرهم لم ينشأ عن التنجيم . والكيمياء ليست وليدة السيمياء . والعلم هو مجموعة الاختبارات والمعلومات التى اكتسبها الانسان بمرور الزمن . نعم إن جانباً كبيراً من تلك الاختبارات خطأ أو بعيد عن الحقائق ، ولكن عقل الانسان وهو فى حالة الارتقاء يشبه غربالا تغربل به الحقائق فيعرف الصحيح من الفاسد . فالعالم النباتى يخطىء فى بعض النظريات ولـكن الاختبار يغربل تلك النظريات ويمحصها بحيث ينجلى صحيحها من فاسدها

تقدم العلم والعالم

الحياة الزوجية السعيدة

يعتقد بعض علماء النفس ان الزوجة السعيدة هى التى لا يكون زوجها من رجال الاجتماع البارزين بل يكون رجلا رزيناً هادئاً لا يكثر من ارتياد الملاهى وأندية الرقص ولا تتجه اليه الانظار كثيراً فى المجتمعات العامة . والظاهر ان الرجال البارزين فى الاجتماع إما أن يقضوا أكثر أوقاتهم بعيدين عن بيوتهم وأعضاء أسرهم أو ان الغرور يتملكهم بعض الشىء ، وفى كلتا الحالتين تكون معيشتهم الزوجية بعيدة عن شروط السعادة والهناءة

علاج جديد لمرض السكر

يؤخذ مما جاء فى مجلة رسالة الاخبار العلمية الاميركية ان بعض علماء الكيمياء الاميركيين ممن يشتغلون فى معامل شركة « بل » التليفون قد وفقوا الى وسيلة كيميائية يستخرجون بها الفيتامين « ب » بحالة بلورية من قشر الارز وان الدكتور مارتن فورهاوس من كبار أطباء مدينة نيويورك قد شرع يعالج المصابين بمرض الديابيطس أو البول السكرى بهذا الفيتامين . والنتائج التى قد توصل اليها حتى الآن باهرة جداً . ويحتمل أن يحدث هذا الاكتشاف انقلابا خطيراً فى معالجة المرض المذكور . ولا يخفى ان نقص الفيتامين « ب » هو سبب حمى « البرى برى » المنتشرة فى البلاد الشرقية التى تكثر من أكل الرز « الملمع »

اكتشاف أثري نفيس

أعلن الدكتور « ونلوك » مدير متحف المتروبوليتان الفنى ان ادارة المتحف تلقت بعض قطع من الآجر المصرى القديم مرسلة من بلدة قنتير بمديرية الشرقية بمصر ، وبعد فحصها اتضح لها ان بلدة قنتير المذكورة هى مدينة رمسيس الثانى الوارد ذكرها فى التوراة ، فقد ورد على قطع الآجر المشار اليها أسماء سيتى الاول ورعمسيس الثانى ومير نفتاح وغيرهم من الفراعنة الذين حكموا مصر ، من الدولة الثانية عشرة الى الدولة الرابعة عشرة قبل الميلاد ، وهى الدول التى ورد ذكر حوادثها فى التوراة . ومن المحتمل كثيراً جداً أن تكون قطع الآجر المذكورة مأخوذة من نفس قصر فرعون

ومما يجدر بالذكر أن بلدة قنتير المذكورة واقعة عند حدود بلاد جاسان التى تقول التوراة إن يوسف الصديق أنزل أباه واخوته فيها

أبو شبت

أحسن طريقة لمعالجة لسعة « أبى شبت » هى أن تدهن المكان الملسوع بصبغة اليود وتعطى الملسوع كثيراً من السوائل الخالية من الكحول لان الكحول سم يقتل الملسوع فى الحال ثم يجب حقنه بمحلول سلفات المغنزيوم (أى الملح الانجليزى) واعطاؤه مسكنا للألم لينام . أما الأطفال الذين يلسعهم أبو شبت فقلما ينجع فيهم ترياق لان السم الذى يمتد فى أجسامهم ينشىء فيهم تشنجات لا يقدرون على احتمالها

في القرن الاول الميلاد

من أنباء المجلات العلمية الاميركية ان أحد علماء اللغة العبرانية في الولايات المتحدة (وهو الدكتور جاكوب كوابرج) قد فرغ الآن من درس تسع صفحات باللغة العبرانية بعد أن قضى في ذلك ثمانية عشر عاما اشتغل ليل نهار بدرسها وترجمتها. ويظهر ان هذه الصفحات نقلت في القرن العاشر عن الصفحات الاصلية التي كانت ترجع إلى القرن الاول للميلاد، فان فيها إشارات الى يوحنا المعمدان والى بولص الرسول وزيارته لمدينة دمشق. وقد ختمها الكاتب بتحذيره المؤمنين من أنطيوخس العاتي السوري و بنصحهم بالفرار منه اذا تيسر لهم ذلك. ويقول انه هو نفسه هرب الى إبالة دمشق

والصفحات التي نحن بصددها بالية لاتظهر عليها الكتابة بجلاء. فلا عجب اذا قضى الدكتور كوابرج ثمانية عشر عاما في فك طلاسمها

من آثار سنحاريب

كان سنحاريب من أشهر ملوك أشور إن لم يكن أشهرهم وقد عاش منذ أكثر من ألفين وسبعمائة سنة. وقد عثر العلماء المنقبون على لوح من حجر نقشت عليه باللغة المسمارية أخبار الغزوات والحروب التي قام بها ذلك الملك وكيف بنى سور مدينة سامرى (سر من رأى) وأحيا معالمها وزينها بالقصور الشاهقة والابنية الجميلة والحدائق الغناء. وعلى اللوح أيضاً ذكر المدن التي غزاها سنحاريب ودمرها وأحرقها وقتل أهلها وأسر غيرهم. وبعض الاخبار المدونة على اللوح المذكور لم يرد لها ذكر في كتب التاريخ.

أين نشأت الحياة

لا يزال مصدر الحياة لغزاً من الألغاز المستعصية على العلماء. فالذين يؤمنون بالله خالق قادر على كل شيء يقولون ان هذا الخالق أوجد الحياة على الكرة الارضية بقوله لها: «كوني» فكانت. أما العلماء — سواء منهم المؤمنون والملحدون — فلا يسلمون بهذه النظرية بل يقولون ان الحياة لا بد ان تكون قد ظهرت على الارض بطريقة أخرى لا تزال مجهولة. وقد حار داروين نفسه في تعليل مصدر الحياة مع انه قضى عمره في شرح تطور المخلوقات الحية وفي شرح النواميس التي جرى ذلك التطور بموجبها وختم كتابه «أصل الانواع» بما يدل على عدم معرفته كيف ظهرت الحياة على الارض. وكانت آخر النظريات العلمية في هذا الشأن تقول ان الحياة جاءت من الكائنات العلوية ووصلت الى الارض مع الرجم والنيازك بدليل انهم وجدوا في كثير منها آثار بكتيريا. على أن الكثيرين من العلماء يرتابون في هذه النظرية بحجة ان الرجم والنيازك تصل الى الارض مصهورة من شدة الحرارة الناشئة عن اختراقها طبقات الجو. وقد قام حديثاً بعض العلماء بتجارب واسعة النطاق لامتحان النظرية المذكورة فثبت لهم ان النظرية لا تستند الى شيء من الحقيقة. والمجال لا يتسع لشرح تلك التجارب لانها فنية دقيقة

شفاء اللكن

اللكن ثقل في اللسان يحول دون النطق بالالفاظ بطلاقة. وقد قرأنا في مجلة العلم الانجليزية ان بعضهم قام بتجربة غريبة أفضت

الى شفاء الالكن وهى جعل المصاب يحبو (أى يمشى على يديه ورجليه) عندما يريد الكلام فتحل بذلك عقدة لسانه . وقد جرب بعض الاطباء هذه الطريقة فى أربعة وعشرين مصابا فكان جميعهم يستطيع الكلام بطلاقة لسان فى أثناء الحبو

ولا يمكن تعليل هذه الظاهرة الغريبة ومن المحتمل أن يكون الالكن ناشئا عن ضغط دموى ، تشنج فى بعض أجزاء الدماغ أو يكون ضربا من التشنج ناشئا عن عامل وقتى منبه لخلايا العصب . وقد يكون هذا العامل المنبه نتيجة تمدد وقتى فى مجارى الدم الدقيقة فى الدماغ . فعندما يحبو الالكن على يديه وقدميه يخف ضغط الدم فى دماغه ويقف التشنج وينصرف الدم الذى أدى الى تمدد المجارى الدموية الدقيقة فيستطيع الالكن أن يتكلم بطلاقة لسان

آثار مابين النهرين

من الآثار القديمة التى عثر عليها المنقبون خرائب فندق أو ناد عند موقع مدينة دره على ضفاف الفرات يرجع الى القرن الثانى للميلاد .

ويظهر ان قوافل التجار القادمة من دره وتدمر وعنات كانت تستخدم هذا الفندق أو النادى للنزول فيه لتتمتع بالراحة وببعض وسائل التسلية . ولا تزال جدران هذا النادى قائمة وعليها نقوش ورموز تمثل آلهة القوم فى ذلك العهد

وقد عثر المنقبون أيضاً بين خرائب مدينة درة المذكورة على آثار مجمع (كنيس) يهودى يرجع الى أواسط القرن الثالث بعد الميلاد . وعثروا أيضا على صور ورسوم تمثل بعض حوادث العهد القديم ومن ضمنها حادثة الملكة استر مع الملك احشويروش

أكبر منطاد في العالم

تبنى ألمانيا اليوم أكبر منطاد من طراز جراف تسبلن سيكون طوله ١٨٣ قدما وسعته ستة ملايين وثلاثة أرباع المليون من الاقدام المكعبة وستراعى فى صنعه الاشياء التى أثبتت اخبار منطاد جراف تسبلن فائدتها

الامراض في بلاد الحبشة

تدل تقارير القناصل الاجانب فى عاصمة بلاد الحبشة على ان الامراض منتشرة فى تلك البلاد انتشاراً رائعا . فحمى التيفوس والحمى الراجعة والجدرى والبرص والامراض الزهرية على اختلاف أنواعها منتشرة بين الاحباش ويقال ان نحو تسعين فى المائة من الاحباش البالغين مصابون بالامراض الزهرية

ومن الامراض الكثيرة الانتشار أيضا فى تلك البلاد حمى الملاريا والسل والتهاب الرئة والزبو والتهاب اللوزتين القيحى والدسنطاريا وغيرها . ولعل الامراض الوحيدة التى ليست منتشرة فى بلاد الحبشة هى الكوليرا والطاعون والحمى الصفراء ومرض النوم . أما بقية الامراض التى يعرفها الطب فكثيرة الانتشار هناك

التقويم الحبشي

بلاد الحبشة البلاد الوحيدة التى تستعمل تقويما ذا ثلاثة عشر شهراً فى العام . وتبدأ السنة الحبشية فى ١١ سبتمبر إلا فى السنوات التى تسبق السنة الكبيسة إذ تبدأ فى ١٢ سبتمبر . وكل شهر من أشهر السنة الحبشية هو ثلاثون

يوما ما عدا الشهر الثالث عشر فانه خمسة أيام فقط (وفى السنة الكبيسة يكون ستة أيام) . وهــذا التقويم قديم جداً ويظهر ان قدماء المصريين هم الذين استنبطوه واعتمدوا عليه ثم زال بزوال الامم التى كانت تستعمله ولـكنه بقى على حاله عند الاحباش

الجراحة منذ الفي سنة

كان هنود ألاسكا يعرفون الجراحة منذ ألفى سنة كما يؤخذ من الاكتشافات التى وفق اليها علماء المعهد السمثسونى فى جزيرة كودياك فقد عثروا على جماجم فيها آثار تدل دلالة قاطعة على عمليات جراحية كان يجريها القوم فى تلك العصور البعيدة

وأغرب من ذلك العملية الجراحية المعروفة بالتربان أى بثقب الجمجمة وقد كان سكان أوربا وهنود بيرو بأمريكا يمارسونها قبل ذلك بكثير

الامراض العقلية والضائقة المالية

لما اجتاحت الضائقة المالية الاخيرة جميع أنحاء العالم أخذ بعض الاطباء فى أوربا واميركا يراقبون تأثير تلك الضائقة فى الصحة بوجه الاجمال . وفى الحقيقة ان بعضهم زعم ان تلك الضائقة أثرت فى القوى العقلية تأثيراً سيئاً ، بدليل احصاءات مستشفيات المجاذيب ، فاننا اذا أخذنا مستشفيات المجاذيب بولاية نيويورك مثلا - وهى نموذج لمستشفيات الامراض العقلية فى العالم كله - وجدنا ان عدد المجاذيب فيها زاد من ٦٣٠٠ مجنون فى سنة ١٩١٢ الى اثنى عشر ألفا فى سنة ١٩٣٤ وهى كما ترى زيادة هائلة . على ان فريقا من الاطباء يعتقدون ان هذه الزيادة لا علاقة لها بالضائقة المالية على الاطلاق ، بدليل ان الزيادة لا تشمل أشخاصاً لهم علاقة بالشؤون المالية أو الاقتصادية بل أشخاصا بلغ منهم تصلب الشرايين مبلغا كبيرا . وسبب زيادة تصلب الشرايين راجع الى تحسن الوسائل الصحية فان تحسنها قد أدى الى زيادة متوسط العمر . فبعد أن كان ذلك المتوسط ٤٥ سنة زاد زيادة محسوسة وطالت الاعمار حتى أخذت الشرايين تتصلب وتصلب الشرايين متى امتد الى الدماغ أضعفه وأدى الى ضعف القوى العقلية

كم وجبة فى اليوم ؟

كان جنود الفرس قديما لا يتناولون الطعام إلا مرتين فى كل أربع وعشرين ساعة . على ان الناس بوجه الاجمال يأكلون ثلاث مرات فى اليوم - صباحا وظهراً ومساء - وقد قام بعض أصحاب المعامل فى أمريكا بتجربة جديدة وهى جعل العمال يتناولون خمس وجبات من الطعام من دون زيادة مجموع كمية الطعام فى كل أربع وعشرين ساعة . وبعبارة أخرى ان زيادة عدد الوجبات لا تعنى زيادة كمية الطعام ، فبدلا من أن يتناول الشخص ثلاث وجبات كبيرة يتناول خمس وجبات صغيرة يسهل على المعدة هضمها

أسنان الانسان في المستقبل

يقول بعض أطباء الاسنان ان الانسان سيفقد أسنانه بمرور الزمن . وفى الحقيقة ان الانسان قد فقد بتطوره أسنانا كثيرة . فعدد أسنان ذوات الثدى بوجه الاجمال ثمان وأربعون سنا . فقد الانسان منها ست عشرة سنا فبقيت اثنتان وثلاثون سنا . وهذه الاسنان آخذة فى

الزوال تدريجيا بسبب الامراض المختلفة من تسوس وبيوريا وغيرها . على ان هذا الزوال سيستغرق بالضرورة أحقابا طويلة لأن التطور يمتد ويستغرق المئات من الاجيال ، ويصعب على المرء ان يتصور كيف يمكن مضغ الطعام وهضمه بدون أسنان . ولكن ناموس التطور قاس لا يقف عائق في سبيله

حرب الغازات

يقول علماء الكيمياء انه ليس هنالك وسائل فعالة للوقاية من الغازات فان الكمامات الحالية لا تقي وقاية تامة ، وهي فضلا عن كونها غير سهلة التداول لا تصلح كل كمامة منها إلا لنوع واحد من الغازات . والظاهر ان كبار القواد الحربيين يعتقدون ان وطأة شرور الحروب في المستقبل ستكون أشد على سكان المدن غير المحاربين منها على الجيوش في ميادين القتال . لأن الجيوش مستعدة لاتقاء الغازات ، وأما سكان المدن - وبينهم الاطفال والعجائز والنساء - فليس من السهل تعليمهم طرق الوقاية . فضلا عن ان المراد من مهاجمة المدن هو إضعاف القوة المعنوية وإثارة السكان على حكومتهم

ويرى قادة الجيوش ان خير طريقة لوقاية السكان غير المحاربين من الغارات الجوية هي التهديد بالانتقام بمهاجمة مدن العدو بطريق الجو

هل الشمس تعقم ماء البحر

يعتقد الكثيرون أن أشعة الشمس تقتل جميع الميكروبات التي توجد في ماء البحر، وعليه فالاستحمام بهذا الماء مفيد جداً للصحة . على أن المباحث العلمية التي قام بها بعض العلماء حديثا في أوربا واميركا تدل على أن أشعة الشمس لا تأثير لها في ماء البحر على عمق ثلاثة أمتار وأنها اذا كانت تقتل البكتريا التي على سطح البحر فان تأثيرها سطحي ، بدليل انهم وجدوا على عمق ثلاثة أمتار من ماء البحر مجاميع كبيرة من البكتيريا تتوالد بكثرة هائلة ولكنها لا ترتفع الى سطح البحر لان الشمس تفنيها

من علم الانسان النسج

في الاساطير اليونانية القديمة أن « اراكني » وهي فتاة ليدية ماهرة في فن النسيج تجرأت على الالهة « اثينا » وتحدتها بانها اذا جرت بينهما مباراة في النسج فانها (اي اراكني) تنتصر عليها ، فغضبت عليها « اثينا » ومسختها عنكبوتة . وقد سميت طائفة العناكب والعقارب بعدها « الاراكنيات » ويظهر ان الانسان في الحقيقة تعلم فن النسج من العنكبوت ، وان أول شيء نسجه هو مصايد لصيد السمك - والعنكبوت ينسج كما لا يخفى مصايد لاقتناص الذباب . والارجح ان الانسان تعلم نسج المصايد في العصر الحجري

الافاعي السامة

في احصاء لدى مصلحة الصحة الاميركية أن الافاعي لسعت ٢٣٧٦ شخصاً في الولايات المتحدة في السنة الماضية . ولكن اكثر اللسعات كانت من الافاعي غير السامة . ومن حسن حظ الانسان ان الافاعي السامة أقل بكثير من الانواع غير السامة . ويقول الفلاحون الذين يشتغلون في الغيطان في اميركا - وفي غير اميركا أيضا - انه كلما قلت الافاعي في الغيطان كثرت الجرذ والفيران والعكس بالعكس لان الزواحف تلتهم الحيوانات القارضة وتفتك بها

كتب جديدة

محمد

للدكتور محمد حسين هيكل بك

طبع بمطبعة دار الكتب . صفحاته ٦٠٠

هذه هي الطبعة الثانية من كتاب « محمد » للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل بك . وقد طبع في المرة الاولى عشرة آلاف نفدت في ثلاثة أشهر . ومعنى هذا أن الكتاب صادف اقبالا من القراء اذا قيس بنسبة الراغبين في القراءة في الشرق العربي عد نجاحا باهراً ورواجا ممتازاً

ومع اعجابنا بهذا النجاح ، فليست تعنينا الكمية ، ولكن يعنينا أن رواج كتاب عن عظيم من عظماء الشرق بقلم كاتب من كتاب الشرق يدل على يقظة فكرية في تقدير البحوث الجديدة التي تتناول حياة هؤلاء العظماء . فقد كنا ومازلنا مصابين بتقدير كل ماهو اجنبي حتى كاد الاعجاب بعظماء الغرب وكبار كتابه ينسينا مجد عظمائنا وجهود كتابنا . فاذا صادف الدكتور هيكل هذا النجاح في كتابه ، فذلك يبعث على الاطمئنان بان في الشرق قراء يمجدون من يستحق التمجيد ، ويقدرون من يستحق التقدير

وقد أقدم هيكل بك على الطبعة الثانية بالحاح من الكثيرين الذين فاتهم أن يطلعوا على الاولى ولكنه أبى الا أن يقدمه في ثوب جديد في طبعه وحجمه . أما الطبع ، فقد ضاعف العناية به ، فطبعه طبعا أنيقا في دار الكتب المصرية ، وأما الحجم ، فقد زاد فيه أكثر من مائة صفحة ، أكمل فيها بعض فصوله ، وناقش فيها أهم المآخذ التي وجهها اليه بعض ناقديه في الطبعة الاولى . ومع هذه العناية والزيادة ، لم يزد ثمنه ، رغبة في تسهيل قراءته ، وتعميم نفعه . وكل من يعرف جهود هيكل ، وتضحيته بوقته وراحته في خدمة النهضة الفكرية ، فانه بلاشك يعتقد ان هذا الكاتب لم يخلق لنفسه ، وانما خلق لقرائه

مرافعات

بقلم الأستاذ حسن الجداوى

طبع بمطبعة حجازى بالقاهرة . صفحاته ١٨٢

المرافعة ضرب من الخطابة ، بل هي اسمى ضروب الخطابة ، لانها تستدعي - فضلا عن سرعة الخاطر وقوة التأثير - يقظة فكرية وحنكة قانونية ، وبلاغة منطقية ، وملكة مؤاتية ، وافرة الثروة ، بارعة في الاقناع ، حكيمة في الهجوم والدفاع

ولقد كانت وظيفة الخطابة - ولا زالت - الدفاع عن الرأي ، واثارة الشعور ، والحض على الاقتناع بمبدأ من المبادىء ، وايقاظ الوجدان ، واعداده لقبول مايريده الخطيب . ولذلك كان اعتمادها على لباقة اللسان ، ووفرة الادلة ، وهما ما يحتاج اليه المترافع ، سواء أكان محامياً أم وكيل نيابة . فالمترافع خطيب ، والخطيب في اسمى صفاته مترافع . ومن هنا كانت الصلة بين الادب والمرافعة ، بل الصلة بين الادب والقانون

فانت تقرأ فى كتاب الاستاذ الجداوى أدبا وقانونا ، أو قل أدبا قانونيا يعتمد على سلامة المنطق وحسن الاداء . فقد تيرفى كتابه طائفة من المرافعات التاريخية التى حدثت فى فرنسا ، واحتدمت معركة المرافعة فيها بين « الاتهام » وهو وكيل النيابة و « الدفاع » وهو المحامى ، وترجم باسلوبه الفصيح ما قاله المترافعان ، فاطلع قراء العربية على بلاغة الفرنسيين وهم اساتذة العالم فى المرافعة ، وكيف تمتزج الملكة الادبية بالعقل القانونى ، فتنشأ عنهما روح رياضية عالية تهيمن فى ساحة القضاء ، فتجلى فيها الحقيقة أمام القاضى

ولا مشاحة فى أن من فضائل المرافعة انها تدعم المبادىء الانسانية الرفيعة ، وتحصن العدالة ، وتدفع دون الحق ، وتهتك ستار الباطل . فهى حاجة من خير حاجات المجتمع ، ولهذا ترى فى القضايا التى حواها كتاب الاستاذ الجداوى كيف خدمت المرافعة هذه المبادىء فانتصرت لحرية الرأى وحرية الصحافة وحرية الدفاع ، وعالجت بعض المشاكل الاجتماعية حتى ردت الحق الى نصابه . .

واذا علم القارىء أن المرافعات التى اختارها المؤلف هى لطائفة من خيرة رجال النيابة والمحاماة فى فرنسا ، وأن الذوق الفرنسى وثيق الصلة بالذوق الشرقى ، امكن أن يقدر ما للكتاب الاستاذ الجداوى من فائدة للمحامى والاديب على السواء

فاذا كان هذا الكتاب مما ينبغى للمحامى أن يطالعه فانه كذلك مما يلذ للاديب أن يستوعبه . ويقف فيه على هذا الامتزاج الممتع بين خيال الاديب وعقل القانونى

جزيرة العرب فى القرن العشرين

تأليف الشيخ حافظ وهبه

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

عدد صفحاته ٤٣٦

أصدق وصف لهذا الكتاب انه من اجمع الكتب التى تناولت التاريخ الجغرافى والسياسى لجزيرة العرب . وهو يمتاز فى قسمه السياسى بأنه اختص بحوادث القرن العشرين باسهاب وتحقيق مدعم بالوثائق الرسمية

ومؤلف هذا الكتاب الشيخ حافظ وهبة ، من خيرة الواقفين على حوادث هذه الجزيرة فى هذا القرن ، لانه عاش فيها ، وشاهد معظمها ، واتصل برجالها وقد هيأته كفايته العلمية ، وحنكته واطلاعه لمنصب الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية بلندن . وله عناية بالتاريخ ، وخاصة ما يتصل بالشؤون العربية وقد رأى خدمة للعرب وتاريخ العرب أن يضع هذا الكتاب الذى ضمنه أهم الحوادث التى وقعت بين سنتى ١٩١٥ و١٩٣٤ وما يعرفه من معلوماته الخاصة فى الانقلابات الخطيرة التى حدثت فى هذه المدة

وقد تناول فى فصول قيمة : الحجاز ، وعسير ، ونجداً والاحساء ، والكويت ، وامارة البحرين ، فبحث موقعها واجزاءها ومناخها ، وسكانها وطبيعة أرضها . وأشهر مدنها ، وحاصلاتها ، واعقب ذلك بخلاصة تاريخية لكل اقليم من هذه الاقاليم

ثم تناول العادات والاخلاق فى بلاد العرب والحكومات العربية ، والثورة العربية ، والمشكلة العربية اليهودية ، والعرب والاتراك ، وتكلم عن آل سعود وتاريخهم بافاضة ،

وتحدث عن حياة الملك عبد العزيز الشخصية وأعماله الاصلاحية

فخرج من هذه البحوث كلها بمؤلف ضخم موضح بالخرائط والرسوم . والصور الفوتوغرافية للاماكن والاشخاص فى مختلف أنحاء الجزيرة . وقد عنيت لجنة التأليف والترجمة والنشر بهذا الكتاب فطبعته على ورق جيد .

ونحن ننقل هنا شيئا مما كتبه عن « العلوم والمعارف فى جزيرة العرب » : « اذا استثنينا بيوت بعض علماء نجد والاحساء ، فاننا نستطيع أن نقول : ان بلاد العرب كانت خلواً من المدارس بمعناها المعروف ، فالاتراك لم يتركوا أثراً يذكر أثناء حكمهم فى بلاد العرب من هذه الناحية ، فكل مجهوداتهم انحصرت فى انشاء بعض مدارس ابتدائية صغيرة لم يكن الاقبال عليها يذكر لما كان يحوطها من الشبهات. ففى اقليم الاحساء الواسع لم يؤسس الا مدرسة صغيرة بعد اعلان الدستور العثمانى . وكذلك الحال فى اليمن والحجاز . ولذا فالامية تكاد تكون سائدة فى جزيرة العرب . وربما كانت أول محاولة لتثقيف العقول والقضاء على شىء من الامية كانت من جانب السيد محمد على زينل رضا فى الحجاز ، فانه فى سنة ١٣٢٦ هـ وما بعدها قام بانشاء مدرستين احداهما فى جدة والاخرى فى مكة . . . »

البدائع

بقلم الدكتور زكى مبارك

جزءان . طبعا بمطبعة المكتبة المحمودية بميدان الازهر صفحاتهما ٢١٥ و ٢١٦

من اثنتين وعشرين سنة مضت بدأ زكى مبارك يكتب هذه الفصول . أى بدأها منذ بدأت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ فكان لها دوى حسن فى أوساط الادباء . وقد تابع هذه الفصول فى جريدة الافكار ، وجال فيها وصال ، فنجح وانتصر ، وغنم من التقدير وظفر . حتى اذا اكتمل له من هذه الفصول طائفة حسنة جمعها فى كتاب سماه « البدائع » فصادف رواجا واقبالا من القراء ، فنفدت الطبعة الاولى

وها هى ذى الطبعة الثانية ، وهى تمتاز عن سابقتها باضافة فصول جديدة وحذف فصول أخرى لم يرها اهلا للنشر فى هذه الطبعة ، وقد عنى هذه المرة بطبع الكتاب فى جزءين يحوى كل منهما بحوثا ادبية ، ودراسات علمية ، ومقالات تاريخية واجتماعية ووجدانية ، ومناقشات نقدية وقد قال الدكتور زكى فى مقدمته :

« فى هذا الكتاب صورنا الحياة كما عرفناها بالعقل والقلب والوجدان ، فلم يأسرنا أحد من أهل المشرق أو المغرب ، فان رأى القارىء اطياعاً لما قرأنا فى الآداب العربية والفرنسية ، فليعلم أن ذلك لم يقع الا طوعاً لتجاوب العقول والقلوب »

الادب العربى

تأليف الاساتذة : خليل تقى الدين .

وفؤاد البستانى . وواصف البارودى

طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت صفحاته ٤٥٢

هو الجزء الثانى من هذا الكتاب النفيس الذى قام بتأليفه نخبة من اساتذة الادب العربى بمدرستى المعلمين والمعلمات ببيروت . وضعوه وفقا لمنهاج فرق البكالوريا اللبنانية . وقد كلفتهم بوضعه مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة بلبنان

ويحتوى الكتاب على خلاصة وافية عن ٩٣

أديباً من أدباء العربية . أولهم بشار بن برد وآخرهم ابن الاثير وقد لخص المؤلفون تاريخ كل من هؤلاء الادباء ، واختاروا له شيئاً من شعره ونثره ، واعتمدوا فى ذلك على أصح النصوص ، وانتقوا من الشعر والنثر احسنه وأسلسه مما يليق بالناشئة التى وضع لها هذا الكتاب

تاريخ العراق

بين احتلالين

تأليف المحامى عباس العزاوى

طبع فى مطبعة بغداد صفحاته ٦٤٤

اهدى الينا الاستاذ عباس العزاوى المحامى ببغداد نسخة من الجزء الاول من هذا المؤلف النفيس وفيه بحث مسهب عن بلاد العراق يبدأ باوائل المغول وحكومتهم فى العراق فى عهد هولاكو واخلافه الى آخر عهدهم فيه والكتاب تاريخ نفيس لملوك المغول منذ احتلال هولاكو لمدينة بغداد سنة ٦٥٦ الهجرية (١٢٥٨ المسيحية) الى سنة ٨٤٤ الهجرية وهى السنة التى زالت فيها سلطة المغول من ايران واذربيجان والعراق

والكتاب مبوب تبويبا حسناً وموضح بالصور الجيلة ومذيل بفهرست فى فصول الكتاب وبفهرست للمراجع التى اعتمد عليها المؤلف وبفهرست آخر فى بيان الأمكنة والبقاع التى ورد ذكرها فى الكتاب ثم بفهرست فى بيان الشعوب والقبائل والبيوت والنحل التى أشار اليها المؤلف والكتاب ذخيرة نفيسة لأدق انباء العراق فى عهد الحكم المغولى فنشكر للمؤلف همته ونرجو ألا يطول بنا عهد انتظار الجزء الثانى من مؤلفه

دائرة المعارف الاسلامية

الجزء الرابع من المجلد الثانى

طبعته لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية بشارع البستان بميدان الفلكى بالقاهرة

وهذا جهد حميد من الجهود التى تبذلها لجنة الشبان الاربعة فى ترجمة هذه الدائرة ، وهى اوسع مرجع عن الحضارة الاسلامية عكف على تأليفه نخبة من كبار المستشرقين فى أوربا ولاشك أن ترجمة مرجع كبير كهذه الدائرة يحتاج الى صبر ومثابرة طويلة ، وعناية خاصة. وقد توافرت هذه الصفات فى هؤلاء الشبان الذين تخرجوا فى الجامعة المصرية . فاصدروا حتى الآن الجزء الرابع من المجلد الثانى ، وهو الرابع عشر من هذه الاجزاء المتتابعة التى يصدرونها

ويبتدىء هذا الجزء بكلمة «اشرف» وينتهى عند مادة «اصول» . وقد جاء فيه الكلام على «الاشرف» و «الاشعرى» و «الاشمونى» و «آشى» وهى أقصى بقاع سومطره. و«أشير» و «أصحاب الكهف» و «أصحاب الرأى» و «الاسطخرى» و «اصفهان» وهلم جرا

الافصاح

فى فقه اللغة

تأليف الاستاذين عبد الفتاح الصعيدى

وحسين يوسف موسى

طبع فى مطبعة دار الكتب المصرية . عدد صفحاته ٧٣٦

هو معجم نفيس أخرجه لنا عالمان فاضلان يشف عن تضلعهما من اللغة العربية ، وقد سدا بهذا المعجم فراغا كبيراً طالما شعر به الطلبة والادباء . وقد استخلصاه من ذلك المعجم

القديم الذى ليس لطالب اللغة العربية غنى عنه وهو « المخصص » لابن سيده . فالمعجم الذى بين ايدينا تراث نفيس سيرحب به الادباء لأنه « يختصر لهم طريق التنقيب عن المفردات التى تكثر فى اللغات الافرنجية وتقل نظائرها فى الفصيح المطروق من اللغة العربية »

وقد قضى المؤلفان عدة سنوات فى انجاز مؤلفهما هذا بقراءة معجم المخصص ومعارضة ابوابه والاضافة اليه من الكتب التى تشبهه . واذا اضفنا هذا المجهود العظيم الى المجهود الذى نرجو أن يبذله مجمع اللغة العربية جاز لنا ان نعلل النفس بنهوض اللغة من كبوتها وتبوئها المكانة اللائقة بها

ان معجمات اللغة العربية كثيرة ولكن سوادها مضطرب مرتبك لا يستوفى شروط المعجمات الراقية . فالمؤلف الذى ابرزه اليوم الاستاذان عبد الفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى، هو من أنفع المعجمات التى يتداولها الادباء فى هذا العصر . فنشكر لهما غيرتهما على اللغة وما بذلاه فى سبيل ابراز مؤلفهما النفيس

دمشق الشام

The Oasis of Damascus:

للاستاذ الن طاور . أستاذ فى العلوم

طبع على نفقة الجامعة الاميركية ببيروت . صفحاته ٥١

هذا كتيب باللغة الانجليزية وضعه الاستاذ طاور وبسط فيه موقف دمشق الجغرافى وما يربطها من طرق المواصلات التجارية مع ذكر الطرق التى كانت تصل دمشق قديماً بأكثر أنحاء الشرق من أرامية ورومانية وصليبية وحثية . وقد أورد المؤلف لمعة عن مياه دمشق وذكر السهول التى ترويها تلك المياه والحدائق المحيطة بدمشق والاراضى الزراعية وغير الزراعية فيها والنظم الزراعية التى يمتاز بها الدمشقيون . وذيل المؤلف كتيبه بذكر المراجع التى اعتمد عليها . وحبذا لو عنى الكتاب بمثل هـــذه البحوث المفيدة عن البلدان المهمة التى لها ماض مجيد ، ولها أهمية خاصة فى العصر الحديث إذن لوفروا على الباحثين كثيراً من الوقت والمجهود

الاسلام الصحيح

تأليف الاستاذ محمد اسعاف النشاشيبى . طبع بمطبعة العرب بالقدس . صفحاته ٣٠٧

الاسلام ـ ككل الاديان المنزلة ـ هو المثل الاعلى فى هذه الدنيا ، وقد وفاه كتاب الله عز وجل حقه فلم يدع فيه شيئاً إلا أحصاه ، ثم ظهرت الشيع والفرق الدينية المختلفة والمذاهب الاربعة وكثرت التفاسير ، واجتهد المجتهدون فى فهم آيات الذكر الحكيم فبلغ منهم من بلغ ذروة الاجتهاد الدينى وسقط منهم من سقط صرعى فى طريق الوصول الى الحكمة الالهية والشرائع الربانية

وقد ألف الاستاذ الكبير محمد اسعاف النشاشيبى عضو المجمع العلمى العربى كتابه « الاسلام الصحيح . بحث وتحقيق » ليجلى الغامض من أمور الدين والدنيا أمام المسلمين ، فوفق فى سعيه الكريم توفيقاً نهنئه عليه ، وقد بدأ كتابه بمقدمة فى روح الاسلام ، ثم أتبعها بفصل فى الوهابية وآخر فى الزيدية وثالث فى زيد بن على ورابع فى البيعة ، ثم استمر على هذا المنوال حتى وصل الى باب التفسير والعقل فأجاد وأفاد وحق لسفره أن يعد فى طليعة الكتب الاسلامية السمينة التى لا غنى عنها لكل مسلم يود أن يفهم دينه فهماً صحيحاً

بين الهلال وقرائه

البهق

(القاهرة ــ مصر) س . م

أصبت بمرض البهق في رجلي اليمنى ولم يفدني علاج الطبيب الاخصائي بل زادني سوءاً . فهل تعرفون دواء لهذا المرض المخجل ؟

(الهلال) البهق بياض رقيق في ظاهر البشرة يشبه البرص وليس برصا . ونظن انكم تستفيدون من استعمال صبغة اليود مرة في اليوم . وننصحكم أيضاً باستعمال التركيب الآتي بمقدار عشر نقط في نصف كأس ماء ثلاث مرات في اليوم أي مرة بعد كل وجبة من الطعام

١٠ جرامات من محلول فولر

٢٠ جراما من صبغة جوز القيء

واذا كان المريض مصابا من قبل بالزهري وجبت معالجة الزهري أولا

النوم بعد الظهر

(القاهرة ــ مصر) ومنه

هل من ضرر من القيلولة صيفا وشتاء وهل صحيح ما يقال من انها تنشيء تجاعيد في جلد الوجه وتستعجل الشيخوخة ؟

(الهلال) لا ضرر منها ولا تنشيء تجاعيد في البشرة ولا تستعجل الشيخوخة

عند العطاس

(الاسكندرية ــ مصر) احمد سلام

جرت العادة عندما يعطس انسان أن يقال له : « يرحمكم الله » ويظهر ان مثل هذه العادة شائعة عند جميع الاوربيين أيضاً . فما تعليل ذلك ؟

(الهلال) كان الاقدمون يعتقدون أن العطاس دليل على خروج قوى حيوية من جسم الانسان ولذلك وجب أن يقال للعاطس يرحمكم الله أو ما في معناه .

والحقيقة أن العطاس هو من تدابير الطبيعة الحكيمة لمنع الهوام أو المواد المؤذية من دخول مجاري الهواء والرئتين . فانه عندما تمس أية مادة عصبا من الاعصاب الكائنة في غشاء الانف من الداخل ينبه هذا العصب مركز الاعصاب في الدماغ وهو الذي يتحكم في عضلات الصدر . فيأمر هذا المركز العضلات بالانقباض وينتج عن ذلك الانقباض العطاس وتطرد المادة الدخيلة

الانباء بالزلازل

(الاسكندرية ــ مصر) ومنه

قرأت في بعض الصحف أن في وسع بعض العلماء الانباء بالزلازل قبل وقوعها فهل هذا صحيح . واذا كان صحيحا أفلا يساعد ذلك على تخفيف ويلات الزلازل ؟

(الهلال) قرأنا عن مسألة الانباء بالزلازل قبل وقوعها أشياء كثيرة لم يثبت العلم شيئا منها . فبعضهم يزعم أن الجو يتغير قبيل حدوث الزلزلة وأن بعض الطيور والحيوانات ولا سيما القطط والكلاب تشعر بدنو الزلزلة فتبدي حركات وأصواتا معينة . وكل ذلك كلام لم يثبته العلم الصحيح حتى الآن . ومما لا بد من التنبيه عليه ان أي رجل يتصدى للانباء بقرب وقوع زلزلة يجب أن يعين موعد تلك الزلزلة ومكان وقوعها بالضبط والا لم تكن لنبوءته قيمة على الاطلاق اذ لا يمر يوم الا وتحدث فيه عدة زلازل على سطح الكرة الارضية أو في قيعان البحار . وقد سجلت آلة رصد الزلازل بجامعة اكسفورد أكثر من سبعة آلاف زلزلة وقعت في سنة ١٩٣٤ في جميع انحاء الكرة الارضية أو نحو عشرين زلزالا في اليوم تختلف في شدتها وطول مدتها ، ومنها ١٧٨ زلزلة شديدة (أو نحو زلزلة في كل يومين) فاذا علمت انه لا يمر يوم من دون حدوث زلزلة تحتم على من ينبيء بقرب وقوع الزلزلة أن يعين على الاقل مكان وقوعها ودرجة شدتها

العصر الجليدي

(الاسكندرية - مصر) ومنه

متى كان العصر الجليدي ، وهل كان الجليد يومئذ منتشرا على وجه الارض كلها ؟

(الهلال) بدأ العصر الجليدي الاخير منذ عشرات الالوف من السنين وانتهى منذ نحو عشرين الف سنة . على أن بعض العلماء يقولون انه لم ينته حتى الآن بالمعنى الصحيح اذ لا يزال الجليد يغطي نحو ستة ملايين ميل مربع من سطح الكرة الارضية . وقد كان الجليد في أواسط العصر الجليدي يكسو وجه الكرة الارضية كلها . وليس ما يمنع تجدد ذلك العصر في المستقبل مادام سببه على ما يقول العلماء مرور سدم كثيفة بين الارض والشمس تحول دون وصول اشعة هذه الى الارض وتظل متكاثفة بينهما احقابا طويلة . وقانا الله ذلك المصير

معالجة الادمان

(القاهرة - مصر) حمادة عبد السلام

ألا توجد طريقة فعالة لمعالجة الذين يدمنون المخدرات لشفائهم منها شفاء تاماً ؟

(الهلال) هنالك عدة طرق لمعالجة ادمان المخدرات يعرفها الأطباء الاخصائيون ولكنها ليست ناجحة تماماً وفي مقدمتها معالجة المدمن بحقنه بخلاصة البلوكاربين (Pilocarpine) والجابوراندي والاول من مشتقات نبات البلادونا المعروف بست الحسن. والثاني من النباتات المعروفة في اميركا الجنوبية . وقد كان الأطباء يعالجون الادمان بهذين النباتين منذ زمن بعيد ولكن النتائج لم تكن تبعث دائماً على الارتياح الى أن تمكن الاطباء حديثا من تحسين وسائل العلاج فأصبحت النتائج مرضية . وقد قرأنا في أحد التقارير الطبية الرسمية أن نسبة النجاح بفضل المعالجة بالنباتين المذكورين قد ارتفعت الآن الى ٦٥ في المائة . وفي ذلك ما يبعث على الارتياح

وفي اعتقادنا أن أنجع وسيلة للشفاء من المخدرات هي تشديد عقوبة الذين يتاجرون بها . فأقصى العقوبة في مصر اليوم هي السجن مدة خمس سنوات، وهي عقوبة لا تكفي لردع أولئك المجرمين الذين يجمعون عشرات الالوف بل مئات الالوف من الجنيهات من تجارتهم المحرمة . وقد قال لنا أحدهم ان العامل البسيط قد يؤمن على حياته بمبلغ الف جنيه لمدة خمس وعشرين سنة . أي انه يرضى بأن ينتظر خمسا وعشرين سنة على أمل أن يقبض مبلغ الف جنيه . أفلا يرضى تاجر المخدرات بأن يضيع خمس سنوات من عمره اذا كان يضمن لنفسه عدة آلاف من الجنيهات ؟ فالطريقة الوحيدة للقضاء على تجارة المخدرات هو قانون كالقانون الصيني أو الياباني الذي يقضي بشنق من يتاجر بالمخدرات . وفي الحقيقة أننا لا نفهم كيف يحكم القانون بالموت على من يقتل فرداً ولا يحكم بالموت على من يقتل أمة بأسرها . وتجار المخدرات انما يقتلون الشعب كله ؟

الفيتامينات

(القاهرة - مصر) ومنه

كم هي الفيتامينات المعروفة ؟ وهل عثر العلماء على فيتامين جديد ؟ وهل ينتظر أن يعثر العلماء على فيتامينات جديدة في المستقبل ؟

(الهلال) الفيتامينات المعروفة حتى الآن هي المرموز اليها بالحروف السبعة الاولى وهي (ا) و (ب) و (ج) و (د) و (هـ) و (و) و(ز) ويقال ان النوعين (هـ) و (و) هما فرعا نوع آخر. وقد اكتشف العلماء منذ بضعة أشهر نوعا جديداً سموه « كولين » (Choline) ولم يرمزوا اليه بأحد حروف الهجاء وهذا الفيتامين يوجد في اللحم ومخ البيض والخميرة . وهو ضروري لانتظام وظيفة الكبد ونقصانه يؤدي الى تضخم الكبد واجتماع الشحم حوله

الحرير الصناعي

(بيروت - لبنان) أحد القراء

من أول من صنع الحرير الصناعي ومتى كان ذلك؟

(الهلال) أول من صنع الحرير الصناعي عالم فرنسي في سنة ١٨٧٦ . وكانت أمراض دودة الحرير تهدد انتاج الحرير بالفناء . والحرير الصناعي عبارة عن

مادة نتروسليولوئيدية تمر في أنابيب دقيقة جداً تحت ضغط عال فتصبح خيوطا دقيقة تعالج فيما بعد بطريقة كيماوية فتصبح شبيهة بالحرير الطبيعي

البقول

(بيروت ــ لبنان) ومنه

لي ولد يكره معظم أنواع البقول ولا سيما السبانخ ويحب اللحوم على أنواعها وصحته على خير ما يرام . فهل اترك له الحرية ليأكل ما يشاء أم أرغمه على تناول البقول ؟

(الهلال) دعوا الطبيعة تأخذ مجراها فهي تختار للولد ما ينفعه وما يسهل هضمه وتهمل ما لا ينفعه . ومن المستحيل وضع قاعدة عامة للتفضيل بين اللحوم والبقول لان الاجسام تختلف باختلاف تركيبها فاذا كان ينقصها أي عنصر من عناصر الطبيعة فان الطبيعة نفسها تدفع الانسان نحو أصناف معينة من الغذاء وتجعله يميل عن غيرها . أما اشارتكم الى السبانخ فدليل على انتشار الاعتقاد القائل ان في السبانخ كثيراً من عنصر الحديد الذي يحتاج اليه الجسم . ولا شك أن هذا الاعتقاد صحيح الى حد ما ولكن هناك مواد أخرى كثيرة يتوافر فيها الحديد . فضلا عن أن الغذاء يجب أن لا يقتصر على الحديد فقط بل على مواد أخرى يحتاج اليها الجسم ولا يستطيع أن يعيش بدونها وفي مقدمتها النحاس ، فقد ثبت الآن أن نقص النحاس ــ كنقص الحديد ــ يؤدي الى فقر الدم . أما اللحوم التي يميل اليها ولدكم فهي مصدر نحو ستين في المائة من الحديد الذي في الجسم حالة ان السبانخ هو مصدر ٢٥ في المائة من ذلك العنصر

الاهرام

(بيروت ــ لبنان) ومنه

أصحيح ما يقال من ان قدماء المصريين بنوا الاهرام لغرض غير معروف تماماً ؟

(الهلال) لا نعرف موضوعا كتب عنه المؤرخون اكثر مما كتبوا عن موضوع الاهرام . وقد ذهبوا في تعليل بنائها مذاهب شتى لا يتسع لها هذا المجال . ومن المحتمل ان يكون الذين بنوها قد قصدوا ببنائها اموراً لا تزال مكتومة عنا الى الآن ولكن الظاهر لنا من امرها انها كانت قبوراً للملوك ويعتقد بعض المؤرخين انه ليس وراء الاهرام سر من الاسرار المزعومة

الحرب في المستقبل

(القدس ــ فلسطين) احد المشتركين

المعروف ان الحروب ــ ماعدا حروب الدفاع ــ هي للفتح والاستعمار ، وان الغرض الذي يرمي اليه الغزاة هو ضمان وسائل المعيشة في المستقبل . أفلا يستطيع العلم ان يضمن تلك الوسائل فينقذ الشعوب من الفناء بواسطة الجوع ، فتنتفي بذلك حروب المستقبل ؟

(الهلال) لا شك ان العلم سيوفق الى سد حاجات الانسان من مأكول ومشروب وملبوس . ولكن الانسان شديد الطامع فهو لا يكتفي بما يسد رمقه فقط بل يطلب دائما المزيد . ولهذا لا نعتقد ان الحروب ستبطل في المستقبل على نقيض ما يعتقده السر جيمس جينز كبير علماء الفلك في الوقت الحاضر فانه يعتقد ان العلم سيبطل الحروب في المستقبل

دماغ الانسان

(القدس ــ فلسطين) ومنه

اذا كان جسم الانسان يتطور كما يقول علماء النشوء فهل يختلف هذا الجسم اليوم عما كان عليه منذ الوف السنين ؟

(الهلال) نعم يختلف اختلافاً كبيراً في جميع جزئياته وان كان شرح ذلك الاختلاف يقتضي المجلدات الضخمة . ومما يجدر بالذكر ان دماغ الانسان اليوم هو أصغر حجما مما كان منذ نحو عشرين الف سنة ولكن قامته اكثر انتصابا

شلل الاطفال

(القدس ــ فلسطين) ومنه

أصحيح ان شلل الاطفال يعالج الآن بتلقيحه بلقاح خاص ؟

(الهلال) نعم ولكن النتائج لا تزال بعيدة عما يبعث على الارتياح . وفي الحقيقة ان بعض أنواع

اللقاح مضرة اكثر منها نافعة ، ومع ذلك فالاطباء يواصلون التجارب لاكتشاف اللقاح الناجع

معالجة الحروق

(الموصل — العراق) حسن الماشطي

ما هي أفضل طريقة لمعالجة الحروق الاعتيادية ؟

(الهلال) هنالك طرق كثيرة جرت عليها بعض الامهات عند معالجة الحرق الذي يصاب به الطفل . واكثر تلك الطرق مضرة . ومنها دهن المكان المحروق بالزيت أو الشحم أو الزبدة او ما الى ذلك . ولعل أحسن طريقة هي اعطاء المصاب مخدراً وازالة الجلد المحروق وغسله بمحلول حامض التنيك بنسبة ٥ في المائة ثم بمحلول نترات الفضة بنسبة ١٠ في المائة ثم يربط المكان المحروق بضمادة نظيفة فلا يمر يومان أو ثلاثة حتى تتكون على المكان المحروق شبه قشرة سوداء . ثم ينمو جلد جديد

الشعراء في مصر

(كيمنارا — كوبا) الياس الخوري أبي كرم

من هو أمير الشعراء بالمملكة المصرية بعد وفاة المرحوم احمد شوقي بك ومن هو شاعر النيل بعد وفاة المرحوم حافظ ابراهيم ؟

(الهلال) لا نستطيع أن نخلع الالقاب على الشعراء العائشين اليوم في مصر وكلهم بليغ وكلهم مجيد ولكل منهم مزية شعرية خاصة . على ان الالقاب بدعة قد تستساغ في غير الفنون

تفسير آية

(كيمنارا — كوبا) ومنه

كيف توفقون بين قول يوحنا أحد الحواريين في الاصحاح الاول من انجيله بان الله لم يره أحد قط ، وقول موسى في سفر الخروج (٣٣ : ١١) « وظهر الرب لموسى » الخ ؟

(الهلال) الاله في اعتقاد جميع الاديان المنزلة غير منظور . أما آية سفر الخروج فمعناها ان موسى أرى شيئاً اعتبره رمزاً الى الله ولم يكن هو الله عينه

طول العمر

(بيسان — فلسطين) م . ن . عاشور

هل هناك فرق بين الجنسين الابيض والاسود من جهة طول العمر فقد عرفت رجلا أسود عاش مائة وخمسا وسبعين سنة وكان يريد قبل وفاته ان يتزوج ؟

(الهلال) لا فرق بين البيض والسود من جهة طول العمر ولكن أسباب المعيشة تختلف بين الجنسين وتؤثر في طول العمر وقصره . أما قولكم انكم عرفتم رجلا عاش مائة وخمسا وسبعين سنة فلا نظنه يستند الى دليل ثابت . والارجح انكم سمعتموه من الرجل نفسه . والحقيقة ان القول بان فلانا عاش مائة وعشرين سنة وغيره بلغ المائة والخمسين ، من الاقوال التي لا يمكن اقامة الدليل عليها لان العلم والتاريخ الصحيح لم يثبتا حتى الآن أن أحداً جاوز المائة والخامسة عشرة

المريخ

(بغداد — العراق) احد قراء الهلال

هل المريخ حقيقة قابل للسكن كما يزعم بعض الفلكيين ؟ ولماذا ؟

(الهلال) نعم هو قابل لوجود الحياة فيه لان شروط الحياة فيه (كما نعرفها على هذه الارض) شديدة الشبه بشروط الحياة على كرتنا الارضية . ولا نعتقد ان الخالق أوجد ملايين الاجرام العلوية لكي تسبح في الفضاء الى الابد من دون أن تتمتع بها المخلوقات الحية

الكهرباء

(نقرة السلمان — العراق) صبحي نصيف

هل الكهرباء معدن أم نبات فان بعض الناس يقولون انه معدن وبعضهم ينكر ذلك ؟

(الهلال) الكهرباء مادة معدنية صمغية تجذب التبن اذا حكت . وكلمة كهربا معربة « كاه ربا » بالفارسية ومعناه جاذب التبن . ويوجد هذا الصمغ في بعض طبقات الارض الترابية

الشباب والطبقة المثقفة في نظام المجتمع المصري

بقلم الدكتور بهي الدين بك بركات
وزير المعارف الأسبق

لكل مملكة من الممالك الاوربية طابع خاص ، يميزها عن سواها . فمن يزور انجلترا ، ومدنها ، ومزارعها ، يرى مجموعة منسجمة ، تتدرج من أعلى طبقة ، حتى تصل الى الطبقة الاخيرة ، من غير أن يجد الانسان ثلمة غريبة عن المجموع . وكذلك الحال اذا زار الانسان فرنسا أو إيطاليا أو ألمانيا ، بل انه لكذلك في تركيا الحاضرة وفي لبنان وسورية . أما في مصر فاننا نجد للبلاد طابعين أو ثلاثة لا يكاد يجد الانسان ما يصل بينهما ، أو اذا وجد فلن تكون أداة الاتصال مصرية بل أجنبية . فمن يقدم الى القاهرة تبهر انظاره مبانيها الضخمة ، وحركة تجارتها القوية ، ونشاطها الجم ، فهى تشبه أعظم مدن أوربا تقدماً وحركة ونظاماً . ولكن اذا انتقل الانسان الى بلاد الريف ، إذن لارتعدت الفرائص من هول ما يرى من مستنقعات هي بؤرة لأخبث الامراض وأشدها فتكا بالانسان والحيوان ، وبجانب تلك المستنقعات ترى الاكواخ والعشش الحقيرة ، هي مسكن الفلاح ومأواه من البرد والحر

ثم ادخل منازل الطبقة العالية في القاهرة ، وأجل الطرف فيما تراه من بذخ في العيش وفراش وثير وترتيب يحاكي آخر ما وصلت اليه المدنية الاوربية الحديثة في المأكل والمعيشة والملبس ، وقارن تلك الحال بما تشاهده في الريف بين صغار الفلاحين من عيشة رثة دنيئة لا تفرق بين الانسان والحيوان ، وغذاء لا يكاد يقوم بأود الانسان ، بل ربما كان في قيمته وفي العناية به أقل مما يقدمه هذا الفلاح لدابته أو ماشيته

ثم انظر الى شيء من حياة المجتمع الروحية ، فبينما نجد طبقة من الناس مركزها في الصدر لا تأنس لغير التقاليد الشرقية والادب العربي ، وتنظر بعين الحسرة والازدراء الى هؤلاء المتفرنجين الذين فتنتهم المدنية الاوربية وغرهم زخرفها فنسوا عوائدهم و بلادهم وتعاليم دينهم ، اذا بك تجد طبقة أخرى لا تقنع بالتهذيب الشرقي ولا تعتمد في بحوثها ودراستها بل ولا في لهوها على شيء من الادب أو العلم أو التقاليد الشرقية ، فهى أوربية بحتة في جميع مظاهرها وطرق تفهمها للأمور

قد يقال إن هذا الفارق بين الطبقات موجود في نفس أوربا فكيف بنا نراه عجباً في مصر ؟! دفاع قد يبدو في ظاهره جميلا ، ولكنه يزول بشيء من التدقيق ، إذ أن الصلة بين هذه الطبقات متصلة في أوربا بينما هي منقطعة تمام الانقطاع في مصر

فطبقة الصناع الانجليز هم الذين يشيدون المدن الانجليزية ، وهم الذين يقومون بأعمال البناء والتأثيث في المنازل والفنادق وغيرها. وطبقة المهندسين من الانجليز، هم الذين يضعون تصميمات ما تخرجه المدنية الانجليزية ، من مؤسسات ضخمة ، وأعمال عظيمة

كذلك تجد طبقة الطهاة والمربيات والمعلمات من الانجليز هم الذين يقومون بتثقيف وتربية وتعليم الطبقة العالية . فاذا ما شاهدت رياشاً فخماً أو أثاثاً جميلا فيد الصانع الانجليزي هي التي صنعته وعقل الفنان الانجليزي هو الذي ابتكره أو تصرف فيه

كذلك ان شئت ثقافة فمهما اختلف الرأي ومهما تعددت المذاهب ومهما تشعبت أنواع الثقافة فانك تجد أساسها جميعاً في اللغة الانجليزية . فمؤلفاتها ومجلاتها وبحوث علمائها كفيلة بأن تفتح أمام كل شخص من البحوث والمعلومات ما هو في حاجة اليه

أما في مصر فالأجنبي هو حلقة الاتصال بين الطبقة العليا والطبقة الصغرى. ولذلك لا تجد في البلاد الانسجام الضروري لجعلها وحدة صحيحة . فالمباني الضخمة في المدينة ، والمنازل الجميلة فيها هي من صنع المهندسين الاوربيين . والاثاث في المنازل ، والازياء في الملابس ، والاقمشة التي نلبسها ، وأدوات الزينة التي نستعملها ، كلها من عمل الاجانب

حقاً لقد قامت نهضة حديثة في العشرين سنة الماضية لتمصير جانب من تلك الصناعات ، والمعرض الحاضر خير شاهد عليها ، ولكنها لا تزال نسبة قليلة لما تحتاج اليه البلاد . وما تم منها لا يزال مقتبساً في جملته بل وفي كثير من تفاصيله عن اوربا

كذلك انظر الى حركتنا الثقافية والعلمية تجدها لاتزال أجنبية . فمن يجهل لغة أجنبية لا يستطيع أن يلم بما يجب معرفته لمهندس أو طبيب أو معلم أو محام على جانب من الكفاءة . بل إن الثقافة العامة لا تزال مقصورة على من يعرفون اللغات الاجنبية . فلا يوجد في اللغة العربية مؤلفات تعطينا صورة كاملة من حركة الفلسفة في العالم ، ولا تواريخ تطوراتها . وليس في اللغة العربية مؤلفات تهدينا الى تطور المدنية الحديثة ، أو القديمة ، بل ولا يوجد فيها من المراجع ، ما يكفينا لدراسة التاريخ المصري ومعرفة آخر الاكتشافات التي يصل اليها علماء الآثار في مصر نفسها

لذلك نجد الفارق عظيما بين طبقتى الامة ولا نجد مايصلهما ببعضهما . وإني لا أزال اذكر وأنا صبي كيف أن الجدال كان يحتـدم حول تقدير الاستاذ الشيخ محمد عبده ، وهل يعتبر زنديقاً أو فاسقاً ، لانه يطلب تدريس الحساب والجغرافيا في الازهر ويعارض في كرامات الاولياء ، وكيف تألف فريق من علماء الأزهر لتزييف خطته ، وانكار بدعته

كانت تلك المناقشات تشتد وتحتدم والناس يرسلون أولادهم أفواجا للمدارس يتعلمون تلك العلوم ويتربون على نظام خاص ويدرسون اللغات الاجنبية لتفتح أمامهم باب المهن التى يصبون اليها، سواء أ كانت طباً أم هندسة أم حقوقا أم غير ذلك . ولـكنهم كانوا على حد تعبير الشيخ علي يوسف ينتقلون هم الى العلم دون أن ينقلوه الى البلاد

واني لا إخالني فى حاجة الى الافاضة فيما لتلك الحال من نتيجة وخيمة على البلاد لأنها لا تجعلها جسما واحداً وتضعف من قوتها ، وتقلل من حيويتها ، وتذهب بانسجامها ، لذلك كان حتما علينا أن نفتح لشبابنا الباب ، ونهيء لهم السبيل ، بل أن ندفعهم دفعاً ، لسد تلك الحلقة المفقودة ، حتى تصير البلاد جسما واحداً ، صلبا ، إذا أصاب طرفاً منه ضرر ، تألم له باقى الجسم

بهي الدين بركات

مسئولية الشباب

بقلم سعادة محمد طلعت حرب باشا

فى الحياة المصرية الاقتصادية أعمال كثيرة وعظيمة ، تنتظر الشباب وهمة الشباب وعزيمة الشباب واخلاص الشباب . وكلما تقدم عصر الزمن ظهرت أهمية هذه الاعمال وضوحاً ، وازدادت مسئولية الشباب قيمة وخطورة

فاما ايقاظ العزم واستعمال الحزم . واما الرجولة والخشونة . واما الشعور بالمسئولية وأداء الواجب . واما مصر وصناعات مصر ومنشآت مصر ـ فكل أولئك كان عنه الشباب مسئولا

اننا لانزال فى أول الشوط . وسيضطلع الشباب حتما بما بقى منه وهو لا شك طويل وعسير . فليعدوا له ما استطاعوا من الثقة والصبر والاعتماد على النفس . وليخزنوا عليهم ألسنتهم لكيلا يشغلهم الكلام عن العمل ـ « ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا »

محمد طلعت حرب

الاتحاد الروحي والعلمي

بين شباب مصر وسورية

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

اختص الزعيم السوري الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر عدد « الشباب » بخطبته الشائقة التي ألقاها في حفل أقامه بمنزله لاعضاء البعثة العراقية للطلاب التي زارت مصر ، وحضرها طائفة كبيرة من الوزراء والعلماء والادباء والصحافيين . وقد دعا الزعيم السوري فيها الى وجوب توحيد الثقافة بين شباب مصر وسورية ، بل بين شباب جميع الاقطار العربية

سيدى وزير العروبة واخوانى شباب العرب :

أريد أن أشتكى اليكم طعنة نجلاء أصابتني فى الصميم من أحد اخوانى الاعزاء ، فقد نشر الاستاذ تيسير ظبيان فى جريدته « الجزيرة » الدمشقية منذ حين صورة لى من السنين الخوالى ، وسأل القراء أن يحزروا صاحبها، فبعضهم أصاب وبعضهم أخطأ . وهذا كله لا يهمني . وانما الذى يهمني ويقض مضجعى هو قول الاستاذ ظبيان في نشره الجواب عن الاستفتاء : «إن الصورة صورتي لما كنت شاباً» ! كبرت كلمة تخرج من فمه ! أفيريد أن يقول الآن انى أصبحت شيخاً ؟ أما يدرى أننى ما قبلت قط لغيرى أن تكون السنون مقياساً لعمره فكيف أقبلها لنفسى ؟ الشباب أو الشيخوخة ليسا هما دورة الارض على محورها أو حول الشمس ، وانما هما ما انطوت عليه روح المرء من نشاط أو فتور ، من ارادة أو تردد ، من عزيمة أو خور . واذا تضاربت الشيخوخة والشباب من جهة والاعمار من جهة أخرى بحيث لا يمكن التوفيق بينهما ، فخير لى الف مرة أن أكون شاباً في الثمانين من أن أكون شيخاً في العشرين

براعم الشجر وبراعم البشر

متى غرست بيدك في حديقتك غريسة يهمك شأنها فخامرك الشك فى أمرها بعد حين ، فأصبحت لا تدرى أعلقت ودب فيها دبيب الحياة أم انقطع منها الرجاء ، فما عليك إلا أن تنتظر ظهور البراعم عليها ، فهى التى تحمل في حجيراتها الغضة الطرية الناعمة البرهان الحسى

على الحياة . تقول لك هذه البراعم : لقد صار لغريستك جذور تمتص من الارض عناصر النمو ، وساق تجرى فيها سوائل التغذية وأوراق حافلة بالكلوروفيل لمبادلة الهواء المحيط أسباب التنفس

هذه براعم الشجر الدالة على دبيب الحياة . فليت شعرى ماهى براعم البشر ؟ هل للمجتمع البشرى إذا جمدت حركته وخمدت أنفاسه واصفر لونه وذوت أطرافه براعم يستأنس بهما المتاعون على حياته المتلهفون لشفائه ؟

إن براعم المجتمع التى تستمد نضرتها من جعبة الحياة البشرية جيلا بعد جيل هي الشباب. فهو يحوي سر الآباء والجدود ، ويحمل في جوانبه الشعور الحي والعاطفة الملتهبة والنشاط المندفع والحركة الدائمة . وكم من جمعية بشرية كاد التاريخ يحكم عليها بالاعدام لولا شبابها الناهض وهو براعمها الطرية النامية ، فقد ذكر التاريخ أن الامة الالمانية التى كانت أعجوبة الدهر في بداءة هذا القرن ، كانت فى بداءة القرن الماضى في سبات عميق ما اشبهه بسبات التشتية في الزحافات ، لكن ما انقضت ليالى الشتاء المظلمة الباردة حتى أشرقت شمس الربيع بحرارتها ونورها وجمالها فاخضل الربيع وظهرت على الغريسة الجرمانية براعم الحياة بحللها السندسية

والآن فاسمعوا كيف حدث ذلك : قال المؤرخون الذين ذكروا تلك الحقبة من التاريخ الجرماني : ان الشباب الذى تجلى في التلاميذ الجرمانيين سئم الطريقة الشائنة التى كانت تسوى بها شئون البلاد السياسية ، فشمر عن ساعد الجد ليعيد الى الوطن آماله ويحقق أمانيه

الوحدة الجرمانية

وكان في مقدمة مطالب التلاميذ يوم جمعوا شملهم وقاموا قومتهم تحقيق الوحدة الجرمانية التى كانت تهتز لها قلوبهم ونشر ألوية الحرية التى تليق بالشجاعة التي تحلى بها آباؤهم وجدودهم ، فسلموا مقاليد أمورهم لرجل منهم اسمه « أرنت » هو واضع أناشيدهم ومؤلف أغانيهم ، ونفروا مع هذا الزعيم أشد نفرة من الدلال الذى كان يعامل به الاجنبي في بلادهم ، وكان لهم زعيم آخر يدعى « الاب يان » وهو من الطراز الجرماني القديم ، وقد أوجد لهم الطريقة الرياضية (تورنن) التى اشتهرت بمؤسساتها في طول البلاد وعرضها وقد بناها على تقديم المثل العملية المحسوسة في تقوية العضلات والعدو مسافات شاسعة وتدريب الجسم وترويضه كأنه أهل للدخول فى حلبة السباق « الاولمبي » وحض على الاعتدال في المأكل والمشرب وجعل شعاره الفتوة والحرية والانشراح ولباسه ثوباً نقياً خالياً من النمش والادران

ثم ان التلاميذ ألفوا اتحاداً فيما بينهم ليضم جميع التلاميذ في الجامعات الألمانية اطلقوا عليه اسم « بورشن شافت » كان الأساس العملي الروحي الذي قامت عليه الوحدة الالمانية والثقافة الجرمانية فيما بعد

بعض الشبه

ولعمري ان في هذه الفترة التاريخية التي هبت في بلاد الالمان في ابان الاضطراب العالمي الذي أحدثه نابليون لشيئاً من الشبه فيما يحدث في العالم العربي الآن في ابان هذه الهزة العنيفة التي احدثها الوثنى في الشرق والغرب ، فكأني بالشباب المصرى أو التلاميذ المصريين و بالشباب السورى أو التلاميذ السوريين قد ضاقوا ذرعا بالاعمال الوطنية السياسية الهادئة من مقابلات ومذاكرات واحتجاجات واقامة حفلات ونصب مآتم والسير في الاعراس أو في الجنائز ، واحسوا بعفونة الركود فطلبوا الهواء الطلق والشمس المشرقة

لقد هب الشباب المصرى والشباب السورى في وسط هذه الغفلة المستحوذة فدارت دورة الحياة من جديد في القطرين الشقيقين

وفي برقيات هذا الصباح أن المسيو دي مارتل المندوب السامي الفرنسي في سورية قال في حديثه لمندوب جريدة « الانترانسيجن » البارسية : « إن الشبه بين اضطرابات القاهرة واضطرابات دمشق بارز جداً ، فالحركة في كليهما قام بها الطلبة وشبان المدارس »

نعم لقد ظهرت البراعم على ساق الفريسة فتحولت من عود يابس الى فسيلة مورقة ، و بقى عليكم يا طلاب الجامعات في العالم العربي أن تعملوا في هذا القرن ما عمله التلاميذ الجرمانيون في القرن الماضي قبلكم ، فتؤلفوا اتحاداً فيما بينكم يضم جميع التلاميذ في العالم العربي و يكون الاساس العلمي الروحي للاتحاد العربي المنشود

الشباب هو سر الامة والجعبة التي تحوى الميراث من الآباء والجدود ، وهذه الجعبة هي أمانة في أعناقكم ورأس مال لكم تظهر ميزاتكم به وتتجلى مواهبكم على قدر ماتحسنون استخدامه والتصرف فيه

الميراث حق معترف به وتبديده سهل لا يحتاج الى عناء ، ولكن الفضل كل الفضل هو في الاحتفاظ به وأنمائه ليكون وسيلة للارتقاء وذخيرة للابناء والاحفاد

عبد الرحمن شهبندر

شباب الشرق العربي
هم روح النهضة الحديثة

بقلم أحد وزراء الدولة السورية

يحتاج تقدم البلاد وتقدم شعوبها سياسياً وعلمياً وأدبياً إلى شجاعة واندفاع وتضحية قلما تكون في غير الشباب . ولا شك ان نظرات الكهول والشيوخ الصائبة وآراءهم الناضجة لها في نجاح الاعمال العامة تأثير أي تأثير . لكن هذه النظرات وهذه الآراء ليست كل شيء . فرب عمل مفيد جداً لا يأتيه الا المقدام الذي ركب هواه ولم يصغ الى العقل الذي يعقل الناس عن العمل . وها كم الاعمال الوطنية مثلا فهي قلما تقوم على غير سواعد الشباب لان التضحية من مستلزمات هذه الاعمال . والتضحية لا تحتاج الى تفكير عميق ، وهي أقرب الى أذهان الشبان الذين لا يبالون بالعواقب منها الى عقول الشيوخ الذين يحسبون لكل حادث حسابه . والشاب متى عزم على بلوغ غايته هزأ بكل الصعاب التي قد تعترضه ، أما المسن فتراه يفكر في كل العقبات وفي كل النتائج ، وربما تخيلها مجسمة مكبرة فاذا بها تثنيه عن العمل . ومن العبث الادعاء بأن صاحب العقيدة الوطنية يتحمل كل الرزايا في سبيل عقيدته مهما تكن سنه ومهما تكن أوضاعه الشخصية . والمسن لا يجود بماله على الناس قبل ان يفكر بمستقبل أولاده ، ولا يضحي بمنصبه أو عمله خشية أملاق في آخر عمره ، ولا يتنازل عن ألقابه لانه اعتاد أن يعيش بها وجيها مكرماً ، ولا يتحمل شظف العيش لان جسمه لا يقوى على ذلك ، ولا يخاطر بحياته لان الشيخوخة تجعله أحرص الناس عليها ، ولا يميل الى التحول أو التطور لانه يعيش بذكريات ماضيه العذاب دون ان يقيم كبير وزن لباسمات الاماني في المستقبل القريب أو البعيد . وكل ذلك لان الفكر في الشيوخ يغلب على الحس وعلى الارادة في كثير من الاحيان

اما الشبان فن امزجتهم الغالبة أن يكونوا حساسين مقاديم أي طموحين متهورين . وهم لا يعيشون بماضيهم بل بمستقبلهم . ولا يضر بارادتهم فرط التفكير في الامور لانهم لا يتمثلون العالم في دماغهم ، ولا يتصورونه صوراً شتى ولا يشكلونه اشكالا لا تحصى ، ولا يعيشون غارقين في تأملاتهم التي لا نهاية لها كالمفرطين في التفكير من العلماء والفلاسفة . ولذلك تراهم اذا ما انشرحت صدورهم لعقيدة سياسية مثلا لا يرون نصب أعينهم غيرها ، ويسيرون اليها قدماً دون أن يثنيهم عنها ثان كالتفكير في دواعي الاقدام وفي دواعي الاحجام مما قد يفسد عليهم أمرهم

ويتضح من هذه المقدمة ان نهضة الشعوب في جميع مناحي الحياة انما تكون من عمل الشباب

فى الاعم من الحالات . وقد أخطأ من ظن ان النهضة الحديثة فى الشرق العربى قامت على غير سواعد الشباب . ففى السياسة هم الذين ثاروا مع شبان الترك على السلطان عبد الحميد فدكوا عرشه وأطلقوا الشعب من قيوده وأعلنوا الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ م . لكنهم أيقنوا بعد ذلك أن الاتحاديين القابضين على شئون الدولة العثمانية مصممون على تتريك الشعوب التى تتألف منها تلك الدولة ورأوا هؤلاء الاتحاديين يتجاهلون كيان العرب ويحاربون لغة القرآن فلا يعترفون بها فى الحكومة ولا فى المحاكم ولا فى المدارس الرسمية ، ورأوهم يستأثرون بجميع وظائف الحكومة المهمة ويضغطون على حرية الكلام والاجتماع والصحافة . ويتهمون بالخيانة العظمى كل من دعا إلى منح البلاد العربية حقوقها المشروعة .. عندئذ هب شباب العرب هبة الغيورين على قومهم ولغتهم ، فألفوا جمعيات سرية تعمل فى سبيل الحصول على تلك الحقوق وأنشأوا المنتدى الادبى فى الاستانة ونظموا المؤتمر العربى فى باريز ، حتى اذا أعلنت الحرب الكبرى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) وجعل الترك ينفذون خطتهم الجهنمية بتقتيل المثقفين من شباب العرب على الشبهات ، وبتشريد أسرهم الكريمة رجالا ونساء وأطفالا فى مجاهل الاناضول ، وبفرض اللغة التركية على الناس فرضا فى مراسلاتهم واعلاناتهم ومدارسهم ، لم يعد بعدئذ مجال للصبر ، فكان الشباب أول من ثار فى وجه الظلام وقابل العدوان بمثله ، وكانت الثورة العربية الكبرى فى الحجاز وعلى رأسها اشبال الحسين الهاشمى . ومهما قال بعض الجهلاء فى هذه الثورة المباركة فانها بلا أدنى ريب قد أوجدت للعرب كيانا معترفا به (بعد أن كانوا عثمانيين ليس غير) كما انها حفظت لغة الضاد من أن يقضى عليها الترك بالقوة شأنهم اليوم فى البلدان العربية التى لبثت تابعة لهم كماردين وطرسوس واذنا وغيرها من الثغور الشامية حيث يعاقب الترك من يتكلمون بالعربية ويحتمون عليهم أن يتكلموا بالتركية وأن لا يراسلوا الناس الا بها

ولما نكث الحلفاء بوعودهم بعد الحرب الكبرى كان شبان العرب فى طليعة من كافحوهم وما برحوا يكافحونهم بشتى الوسائل التى يعتقدون بأنها تضمن للبلاد حريتها السليبة . ولم يكن شبان مصر فى هذا الصدد دون غيرهم من شبان الاقطار السائرة فى الشرق العربى . فقد رأيناهم يحملون مشاعل الوطنية الوهاجة، ويقبسونها من جذوة أفئدتهم المتقدة ويغذونها بأجسامهم الغضة ويسقونها دماءهم الطهورة القانية . وهكذا اثبت شبابنا فى مختلف الاقطار العربية فى أهم الحوادث الوطنية انهم السباقون الى تلبية نداء الوطن يدفعهم الايمان الوطنى الراسخ وأمانى الاستقلال العذاب . ولو عددنا من سجنوا من شبابنا أو جرحوا أو استشهدوا فى سبيل أوطانهم لالفينا عددهم هو الا كبر .

وربما كان قادة الحركات الوطنية من غير الشباب فى كثير من الاحيان . وقد تكون القيادة العليا فى يد الكهول والشيوخ لانهم يكونون ممن ثقفتهم التجارب وحنكتهم الاحداث ، لكن جنود الوطن البواسل الذابين عن حوزته بارادتهم الحديدية وأجسامهم القوية هم الشباب دائماً

هذا فى النهضة السياسية. أما النهضة الادبية، فاننا لو تدبرناها لوجدنا أيضا ان الشبان هم أبطالها الا قليلا. ذلك اننا لو أعدنا إلى الخاطر أسماء أدباء العربية منذ فجر نهضتنا الحديثة الى يوم الناس هذا لالفينا معظمهم نبغوا وهم دون الثلاثين أو دون الاربعين من عمرهم، ولا علم لى بشاعر من شعراء عصرنا الحاضر نبغ فى شبابه ثم حلق كثيراً فى شيخوخته الا أمير الشعراء احمد شوقى بك فى مصر والفيلسوف الزهاوى فى العراق. ولا شك ان شاعر الاقطار العربية خليل بك مطران هو فى هذا العداد وان شغل نفسه باشغال شتى وحمل فى قلبه هموم كل قصاده. أما الأدباء الناثرون الذين نضجت أقلامهم بعد أن قطعوا سن الشباب فهم عدد كبير. وأما العلماء والفلاسفة فمعظمهم من غير الشبان لان سنى الشباب أقصر من ان يصير الشاب فيها عالما أو فيلسوفا مهما جد واجتهد. وقد كان اجدادنا لا يسمون العالم عالما الا اذا درس كل العلوم المتعارفة وألف فيها، ولذلك تجد لديهم فقهاء ومتصوفة الفوا فى الزراعة أو الكيمياء أو غيرها من العلوم المادية. أما اليوم فالاختصاص (او الاخصاء) ضرورى لكل من يريد ان يكون عالما، ومعناه أن الانسان مهما تثقف بمختلف العلوم فهو لا يكون عالما الا بجزء يسير منها. وهو قلما يدرك مرتبة العالمية ما لم يتجاوز سن الشباب. وربما افنى عمره بتتبع فرع من فروع العلوم الحديثة دون ان يستقصيه. وأعرف عالما بالحشرات سلخ عشرين سنة فى دراسة مغمدة الأجنحة ولما ينته بعد. وهو لن ينتهى منها قبل ان يدرج فى لحده مهما مد الله فى عمره.

ومن المعروف ان لكل قاعدة شواذ. فأوغست كانت واضع الفلسفة المادية أو الوضعية ألف مجلداته الستة وهو فى سن الشباب وبعضهم اخترعوا مخترعات هامة قبل ان يتجاوزوا تلك السن.

والخلاصة ان الشبان يكونون جنود النهضات فى الاعم ويكون الكهول والشيوخ قوادها. اما فى الشرق العربى ففى كثير من الاحيان رأينا الشباب جنوداً وقادة معا، ولا سيما عند فقد الزعامة او عند تخاذل الزعماء. ولا يحمد فى الامور السياسية خاصة ان يتجاوز الشبان حدود جنود الوطن البواسل فان تعديهم تلك الحدود واشتغالهم بسياسة البلاد الكبرى ربما ولد اضراراً لا تحمد مغبتها. ولله در الرصافى شاعر العراق. فلقدسمعت منه قصيدة كان ألقاها علينا فى دمشق فى حضرة الملك الهمام فيصل بن الحسين حفظت منها البيت الآتى، وهو:

وهدى التجارب فى الشيوخ وانما أمل البلاد يكون فى شبانها

الشبيبة والشباب

بقلم الأستاذ محمد فريد وجدى

الشبيبة دور خطير من أدوار الحياة الانسانية ، فيه يتقرر مصير الانسان أدبيا ومادياً ، وبه يتحتم ما له سعيداً أو شقياً ، وعليه يتوقف وجوده نبلها أو زريا

اننا لنظلم عهد الشبيبة لو أطلقنا هذا الحكم اطلاقا ، فان كثيراً من الخلال التى تطغى على غيرها فى عهد الشبيبة ، ويكون لها الاثر الحتم فى حياة الفرد الى حد بعيد ، تكون مفطورة عليها النفس أو اكسبها إياها سوء التربية فى عهد الطفولة . أو دفعتها فيه الظروف القاهرة ، فلا بد من حسبان حصة هذه الاحوال فى الكلام عن تبعات الصفات النفسية التى تتولد أو تثور فى عهد الشبيبة

دور الشبيبة عند أبقراط وأرسطو يبتدىء من سن الحلم الى الخامسة والثلاثين . فقد قالا ان الانسان يستمر فى النماء الى تلك السن ، ثم يأخذ فى الانحطاط تدريجياً . وهذا صحيح فى حالة عدم وجود أمراض . فاذا وجد شىء من ذلك أسرع الهرم الى الانسان . فما أكثر الهرمى فى الخامسة والثلاثين بل فى العشرين . وهنا لا يجوز أن ننسى الهرم الذى تولده جرثومة وراثية عن أحد الابوين

الجسم متى بلغ دور الشبيبة تكتسب جميع أنسجته قوة ونماء حيويا يبقيان فيها مدة تختلف طولا وقصراً بقدر درجتهما من الشدة والضعف ــ وهذا التفاوت يتعلق أمره بالوراثة وباختلاف الاجناس أيضاً . وعلى نسبة تناقص التنبه الحيوى للانسجة الجسمية تدلف الشيخوخة الى صاحبها

أقوى علل التحطم الشيخوخى تستقر فى الجسد فى دور الشبيبة ، وتبدأ عملها فيه ، ويجمعها كلها علتان رئيسيتان : الافراط فى التغذى والافراط فى الميل الجنسى . فاذا وفق الشاب لتلطيف هذين الافراطين باتباع تدبير غذائى صحى ، وبايثار الاعتدال فى الناحية الاخرى لم تترب فى كيانه تلك العلل التحطيمية ، فيتبع فى دور الشيخوخة طريقاً طبيعياً يكون حافظا فيه جميع صفاته الحيوية وبطول وجوده على الارض صحيحاً نافعاً

كان بعض العلماء يعتقدون بوجود قدر محدود من القوة الحيوية فى كل جسم لا يمكن زيادتها ولا تجديدها فيه بموت بعد استنفادها . ولكن البحوث التجريبية دلت على غير هــذا . فانه قد ثبت أن الخالق وضع فى كل جسم أداتين معدتين لحفظ القوة الحيوية وتجديدها وهما : القناة الهضمية والرئتان . فبتدبير التغذى واستنشاق الهواء النقى تبقى القوة الحيوية قادرة على امداد الجسم لبقاء بشرط ألا يكون الافراط فى عهد الشبيبة قد جعلها غير صالحات للعمل فى عهد الشيخوخة

مدى تأثير التربية فى تقويم الشبيبة

الشاب وهو خارج من دور الطفولة ومن حالة الضعف الملازم لها يحف به عالم من ذكريات بريئة من الندم ، وآمال غير مشوبة بالمخاوف ، تؤثر فيه ميول لا يتوهم أنها قد تكون موبقة

يشعر الشاب أنه متمتع بمزايا الحياة كاملة ، ويعتبر كل فكرة تطوف برأسه اكتشافا جديداً بل يخيل اليه أن كل نفس يتنفسه غذاء مسكر يوسع صدره ويثير حواسه ويخفق قلبه

يحس أنه قد انقلب شخصاً غير الذى كان عليه بالامس ، فان التغيرات الفيزيولوجية التى طرأت عليه تحدث فيه انقلاباً ذريعاً تسقط معه جميع شهواته وميوله وعاداته الطفلية ويحل محله سواها من ضرب آخر لم يكن يعهده ، فيميل للاندفاع فى سبيل إشباعها بقوة غاشمة

هنا تظهر ثمرات التربية ، وتتجلى عناية الابوين بفلذة كبدهما وهو فى دور الطفولة

أغرسا فيه حياء يصلح أن يكون له شكيمة دون غشيان النقائص ؟ أبثا فيه علو همة ترعه عن اقتراف الخسائس ؟ أعوداه على الاعتدال فى المطالب ؟ أمرساه على التغلب على أهوائه ؟ أربيا فيه إرادة يسيطر بها على شهواته ؟ أعلماه احترام حقوق الغير ؟ أأفهماه أن للوجود الانسانى نظما يجب الخضوع لها ؟ أدرباه على تقديس الحق وتحقير الباطل ؟ أحببا اليه الايثار وكرها اليه الاثرة ؟ أكشفا له عن حقيقة الرجولة ورسما له معالم البطولة ؟ أأيقظا فى نفسه عواطف الوطنية ؟ أنميا فيها غريزة الحياة الاجتماعية ؟ أنقشا فيها فضيلة أداء الواجب لذاته ؟ أمرناه على تقدير الجمال المعنوى فى كل قول وعمل ؟ — على جواب هذه المسائل اثباتاً أو نفيا قوة أو ضعفا ، تتوقف حالة الشبيبة استقامة وعوجاً ، خصباً وجدباً ، بل نفعا وضرا

على أننا لسنا بخياليين حتى نزعم أن أمة من الامم الارضية تجرى على هذا السمت الا كمل فى تربية أطفالها . وانما هى تقترب منه أو تبعد عنه على حسب ثقافتها العامة وعوامل البيئة التى تعيش فيها . وتأثير التيارات الادبية العالمية مما لا محيص من التأثر بها على أى وجه كان

ولسنا أيضا بمغالين فى تقدير فعل التربية حتى نتصور أن تربية على هذا الطراز تكفى فى انشاء شبيبة منزهة عن الرعونات البشرية . . ولكننا نزعم أن للتربية أثراً خطيراً فى حياة الانسان لا يجوز التغابى عنه : انها تقوى فيه العواطف الشريفة التى يكون قد فطر عليها وتنبه الميول الكريمة التى تقبل التنبيه فيه ان صادفت وسائل حكيمة وتقوم الغرائز الجبلية التى تخضع للتقويم الى حد ما

وهى على كل حال تنشىء فيه حافزاً على الاعتدال فى مطالبه الجسمية التى من طبيعتها أن تطغى طغيانا تضعف معه جميع شكائم التربية عن كبتها . فلا أقول إن هذا الحافز ينجح فى مهمته لدى كل شخص ، ولكنى أقول إنه يقوم مقام الواعظ المحتج فى كل تارة من تارات تلك الثورة المشتعلة

(البقية على صفحة ٧٣٠)

عبقرية الشباب

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

إذا كانت هناك حصة من العبقرية يشترك فيها جميع الناس فتلك هي حصة الشباب

كل شاب عبقرى على نحو من الأنحاء . وكل عبقرى شاب على معنى من أرفع معانى الشباب ، لأن الشباب والعبقرية يتشابهان فى خصال كثيرة : يتشابهان فى فيض الحياة وغزارة الشعور وغنى الروح وثقة الخلود ، فكل شاب عنده من الحياة والشعور والثروة الروحية واليقين بالدوام وبعد الفناء ماليس يلازمه وهو في ادبار الكهولة أو عجز الشيخوخة ، وكل شاب يملك الاريحية التي لا تضن بالعطاء ، لان الضنانة لا تكون مع الشعور بالوفر والزيادة والاقبال

وكل عبقرى عنده من فيض الحياة ما يربي على حاجته ويتناول حاجات الالوف من الناس ، ومن هنا اشتغال العبقريين بالاصلاح والانارة والتثقيف والتجميل ، ومن هنا عملهم لما بعد الحياة أو عملهم للخلود لانهم يعيشون في أعمار تتجاوز أعمار الافراد

ويتشابه الشباب والعبقرية فى طول الرجاء ، لان الشاب والعبقرى يعملان عمل الراجين وان بدرت منهما أقوال اليائسين ، وقد ييئسان ولكنه يأس قوة واستعداد وليس بيأس ضعف وتسليم ، ويظل الشاب يرجو بعد كل خيبة وينخدع فى آمال الحياة بعد كل لحظة ويغالب العوائق بعد كل اخفاق وهزيمة ، ثم يتغير هذا بعد الكهولة فيقل الرجاء ويكثر الحذر وتقل الثقة بالدنيا ويكثر الخوف من الموت ، وتلك هي علامات الفناء . وكذلك العبقرى يعرف الناس والدنيا ويعمل لهم ولها كأنه لا يعرفهم ولا يعرفها . كما قال المعرى :

وأعجب مني كيف أخطىء دائما ... على أنني من أعرف الناس بالناس

لان المعول هنا على غزارة النفس لا على المعرفة . فليس جهل العبقرى بالناس هو الذى يدعوه الى حسن الظن بمصيرهم والمثابرة على اصلاحهم وتثقيفهم ، وليس علم الانسان العادى هو الذى يدعوه الى سوء الظن بهم ويصرفه عن واجب الاصلاح والتثقيف . كلا ! ان العبقرى يصلحهم لانه غنى النفس يهدى من غناه وفيض حياته كما يهدى الشباب ، وان الانسان العادي لن يصلحهم لانه لن يملك ذلك الغنى ولا ذلك الفيض ، ولكنه يتلقى صدقات الشعور من غيره ولا يعطى الآخرين هذه الصدقات

فاذا رأيت العبقرى في علاجه لشؤون الناس والدنيا ، رأيت الشـاب في رجائه وغروره وانخداعه ، لانه شاب في الحقيقة بما عنده من ذخيرة الحياة

ان الطبيعة تغنى الشباب بقوتها ورجائها ، لان الشباب هو العمر الذى تخلق فيـه الحياة حياة أخرى وتزيد ثروتها من الابناء والاعقاب والاجيال

وإن الطبيعة تغني العبقرية بقوتها ورجائها ، لان العبقرية هي القدرة التي تخلق بها الحياة حياة أخرى في عالم المستقبل الخالد ، أو عالم الفكر والروح والاحساس

فالعبقرية والشبيبة خالقتان ، ومن هنا تتشابهان وتتقاربان ، فتكون الشبيبة نفحة من العبقرية ينالها كل انسان ، وتـكون العبقرية نفحة من الشباب لا ينالها الا المخلدون

وما من شيخ الا تراه يتمثل بهذا البيت أو بما في معناه :

أواه لو علم الشبا ب وآه لو قدر المشيب

فهل ترى يتغير الشيخ كثيراً لو نال ما تمناه ؟ هل يعمل الشيخ كما يعمل الشيوخ العارفون لو نال قدرة الشباب ! وهل يفكر الشاب كما يفكر الشيوخ لو نال خبرة السنين ؟

أما أنهما يتغيران بعض التغيير فذلك ما لا شك فيه ، واما انهما يتغيران كما يتصوران فذلك هو الخطأ في التقدير . لان الشيخ لو ملك قدرة الشباب يعمل كما يعمل الفتى لا كما يعمل الشيخ ، وينخدع كما ينخدع الفتى لا كما ينخدع الشيخ ، ولا تبقى له تجاربه مع العجز كما تبقى من الاقتدار ـ ذلك أن الشاب ينخدع لفرط الرجاء أضعاف ما ينخدع لفرط الجهل وقلة التجارب ومراس الايام

ينخدع لفرط الحيوية لا لقلة المعرفة والحنكة ، وقد صدق أرسطو فى قوله إن الرجاء هو علة الخديعة ، لان الرجل الذى لا يرجو الغنى ولا يطمع فيه ولا يشغل نفسـه بتحصيله لن يخدعه الدجال ولو مهر في الاحتيال ، ولن يجوز عليه ما يزعمه دعاة الـكيمياء وكاشفو الكنوز واللاعبون بالاحلام والاوهام ولو جاز على أذكى الاذكياء

والشيخ نفسه ينخدع في حالة الرجاء والعطف كما ينخدع الفتى الصغير في مقتبل السنين فابنه يبدد ماله ويخدعه مائة مرة وهو لا يزال يعطيه ثم يعطيه ، ويعاود الرجاء فى صلاحه ولا يمل هذا الرجاء ،ولو قامت في وجهه كل تجارب الدهور ووصايا الحكماء ، وربما ضن بالدرهم الواحد على غير فتـاه لانه لا يرجوه ولا يعطف عليـه . وما تغيرت تجاربه ولا مواضيه في الحالتين ولـكنما تغير رجاؤه وعطفه فعاد الى خديعة الشباب

فمعظم الخديعة اذن من الرجاء والثقة لا من الجهل وحداثة الأيام ، ولهذا يكون العبقرى شاباً أبداً لانه يعنى باصلاح الناس وافهامهم غير ما يفهمون ، ولو نظر اليهم بغير شباب العبقرية الخالد لاستكثر عليهم جهد ساعة وتركهم كما يتركهم غيره حيث هم سادرون

يقول ستيفنسون الكاتب الانجليزى الاريب : « اذا هز الشيخ رأسه وقال للفتى الناشىء . هكذا يابنى كنت أظن حينما كنت في مثل عمرك » فليس جواباً صالحاً في اعتقادى أن يعود الفتى فيقول له : « سيدي الموقر الجليل . نعم ،وهكذا فيما أحسب سأظن انا حين أكون فى مثل عمرك ! »

لكن الواقع أن الجوابين على حد واحد من الصدق والصواب

نعم هما على حد واحد من الصواب لانك اذا قلت للشاب إن جميع الشبان والشيوخ فى ابان شبابهم يفكرون مثل تفكيره و يعتقدون مثل اعتقاده فذلك هو الدليل على انه يفكر كما ينبغى ويمشى على سنن جميع الناس

او ذلك هو الدليل على أنه مصيب من وجهة نظر الشباب ، وليس من الجائز له ان يخالف القياس . فقد يكون الفتوة صواب غير صواب الشيخوخة ،وقد يكون الجميل في عهد من عهود العمر غير جميل فى سائر العهود

وقد يلام الفتى الذي يغفل نصيحة الشيوخ كل الاغفال ولايستفيد بالتجارب الصالحة التى تجيئه من هذه الطريق . ولكن يلام مثله ـ وأشد من لومه ـ ذلك الشيخ الذى يغفل دوافع الشباب كل الاغفال ويريد من الفتيان أن يعملوا فى مقتبل العمر كأنهم شيوخ

وما عذر الشيخ في هذه الحالة اذا اعتذر الشبان بجهل الفتوة ودفعة الحياة؟

فالرجاء والحيوية الفياضة والنفس الوثابة هي صواب الشباب أو هي عبقرية الشباب : نطلبها ونغتبط بها حينما وجدناها في الناشئة العاملين ، وقد نطلب منهم الصواب على اطلاقه كما نطلبه من سائر الاسنان والاعمار ، ولكننا لانطلبه فيهم على حساب عبقرية الشباب أى على حساب الرجاء والحيوية والهمة الوثابة الى المزيد ، فاذا لم يكن بد من هذا أو من ذاك فلندع الصواب إذن وحسبنا منهم عبقرية الشباب

عباس محمود العقاد

مشاكل الشباب وكيف تعالج

بقلم الأستاذ احمد امين

المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

من أكبر مظاهر المدنية الحديثة عنايتها بمظاهر الطبيعة، وتحليلها ودرسها درساً عميقاً، ومعالجتها على أسس علمية، سواء في ذلك طبيعة الكون وطبيعة المجتمع وطبيعة الانسان — فهي تؤمن إيماناً قوياً بنظرية « الاسباب » فمهما حدث في الكون فلا بد له من سبب معقول، ولا يحدث شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تسقط ورقة من أوراق الشجر ولا يهب نسيم ولا تموج موجة الا بسبب. وغاية الامر أن بعض الاسباب عرفناها وفهمناها، و بعضها لم نعرفها ولم نفهمها. ونحن سائرون الى معرفتها وفهمها

ومما اتجهوا له اتجاهاً بديعاً نفسية الاطفال ونفسية الشبان. فالانسان ككل كائنات العالم لا ينفعل ولا يتأثر ولا يؤثر إلا بسبب، وهذا السبب يمكن فهمه اذا دققنا النظر ودرسنا الانسان على أنه جزء من طبيعة الكون خاضع لقوانينها سائر على منهاجها

اذا بكى الطفل فلا بد من سبب لبكائه، واذا مرض فلا بد من سبب لمرضه، وكذلك اذا انفعل أي انفعال، أو ساء سلوكه أو حسن، واذا صدق أو كذب، واذا كان هادئاً رزيناً، واذا كان مرحاً لعوباً، فعالم النفس يستطيع أن يعلل ذلك تعليلا معقولا — واذا كان كذلك أمكن تربية الطفل على هذا المنهج الدقيق، فان أنت أسلمت طفلاً لعالم ماهر في دراسة النفوس، وقلت اني أريده على نمط كذا أمكنه أن يخرجه لك كما تريده، كما يستطيع الصائغ أن يخرج لك السبيكة من الذهب على النحو الذي تريده — واذا هو لم ينجح في ذلك كل النجاح فلأنه لم يبلغ من الخبرة مبلغ الصائغ، ولان علم النفس لم يتقدم تقدم فن الصياغة. نعم ان للوراثة دخلا كبيراً في اعداد الطفل وتحديد مواهبه، ولكن عملها كعمل الطبيعة في اعداد الذهب ثم يصوغها الصائغ كما شاء، وليس يستعصى على المربي شيء إلا لجهله ببعض قوانين من يربيه

واذا ثبت ذلك فالتربية التي لا يكون أساسها معرفة قوانين النفس مقضى عليها بالفشل

واذا كانت التربية حسبما اتفق خرج الطفل أيضاً حسبما اتفق . وأهم فارق بين الطفل الشرقي والطفل الاوربي أن الثاني دخل العلم الى حد كبير في تربيته فأصلح من جسمه ومن نفسه ولم يدخل العلم في تربية الاول الا بقدر قليل

بالامس كنت أقرأ حكاية لطيفة تدل على هذه العناية ، ذهبت أم انجليزية الى طبيب وعالم من علماء النفس وقصت عليه أن ابنها وهو في الثامنة من عمره أذكى طفل في الفصل في مدرسته ، وخير ولد في بيته ، ولكن اذا جن الليل صرخ وبكى واذا نام قام فزعاً ومشى وهو نائم وترنح في مشيته وتخيل أنه يسقط على الارض فيصرخ ، ونحاول أن نفهمه أنه نائم في سريره فلا تفلح ، واذا حكت له في نهاره ما كان منه في ليله ضحك واستغرب ، ولكنه يعود في ليله الى هذه الحالة المفزعة !

فحصه الطبيب النفسي فوجد جسمه سليما من كل مرض ، وصحته على أحسن حال ومنظره في غاية الجمال ، ففكر ثم فكر ، ثم سأل الام : من الذي ربى الولد في صغره ومن كان ينيمه ؟ فقالت انها كانت تسافر مع أبي الطفل وتتركه عند جدته . فسأل الجدة : كيف كانت تنيمه ؟ قالت كانت تغنيه أغنية معروفة مجمعها فوجد فيها عنفا وفيها ريحاً عاصفة تهز الارجوحة ، وقالت انها كانت تخبط على الارض برجلها وقت الغناء لينام . فعلم الطبيب أن هذا هو السبب في فزع الطفل ليلا ، وعالجه بأن تغنيه وقت النوم أغنية لطيفة عذبة سارة وتكررها في لطف ورقة حتى ينام . وقد نجح الطبيب في ذلك فذهب عنه الخوف ونام في طمأنينة وأمن

وكم مثل هذه الحالات تعرض لاطفالنا ولا نعيرها التفاتاً لاننا لا نؤمن أن لكل شيء سبباً يمكن ان يعلم

***

كذلك الشأن في شباننا ، كل ظاهرة نستحسنها أو نستهجنها فيهم لها سبب نفسي يجب أن ندرسه . والنصائح وحدها لا تغني ، لان الاسباب اذا ظلت باقية نتجت عنها هذه الظواهر لا محالة رغم النصائح والارشادات ، ويكون مثلنا مثل من يحارب الجيش الغازي بالدعوات ، أو الامراض الفتاكة بالرقى والتعويذات — انما ننجح يوم نحلل هذه الظواهر الى عواملها الاولية واسبابها الخفية ثم نضع العلاج لكل منها بما يناسبه

ومن غريب الأمر أن من أكبر مشاكلنا مشكلة الشباب ، ومع هذا لا نجد بحثاً علمياً عميقا وضع في هذه المشكلة . انما نقتصر على شيئين : الشكوى والنصائح وهما لا يغنيان ،

يشكو الأب في بيته من الشباب ويشكو المدرس في مدرسته من الشباب وتشكو الجامعات من الشباب ، ويشكو أصحاب الاعمال وأرباب الاموال من الشباب ، وتشكو الامة كأمة من الشباب - وتتعدد الشكاوى وتتنوع ولكن لا تبحث ، ولا تلمس الوقائع ولا يستفيض الحديث ويكتفى بالنصح

فأمامنا الآن مشكلة الحب . هل يسمح للشاب ان يحب ؟ وهل فى الامكان نفسيا واجتماعيا ألا يحب ؟ وما الحدود التى يجب أن نحد في الحب ؟ وما طرق الوقاية من الغلو فيه ؟ لا شيء عندنا من البحوث في ذلك إلا شكوى الآباء والامهات ورجال الدين والاخلاق . إنما نريد بحوثا صريحة جريئة نحلل فيها الحالة النفسية للشبان والحالة الاجتماعية للامة ثم يوضع العلاج بعد ذلك لا قبله

ولدينا مشكلة السياسة والشبان . هل من الواجب أن يشتغل الشبان بالسياسة والى أى حد ؟ وهل يتصلون بالاحزاب أو لا يتصلون ؟ وهل يتعارض واجبهم العلمى والواجب السياسى ؟ واذا تعارضا فما الموقف ؟ مسائل نواجهها كل يوم ولا باحث ، وإنما الامر فوضى من جميع النواحى ، ترك الأمر فيها للشبان يفعلون ما يشاءون من غير بحث ، وكل ما يفعله الكتاب والادباء هو الملق ، فالشبان بنوا ، والشبان أسسوا ، والشبان هم عماد الامة ، ونحو ذلك من الالفاظ المعسولة ، وهذا حق الى حد ما ، ولكن هناك نغمة أخرى يجب أن توقع بجانب النغمة الاولى حتى يتم التوازن ، وهى نغمة اشعارهم بالواجب ، وذلك لا يكون الا بعد بحث عميق ومصارحة الشبان بالحقائق في غير مواربة ولا مجاملة

ولدينا مشكلة الشباب العاطل . وقد اقتصرنا فيها على النصح للشبان أن ينزلوا ميادين العمل ، ولكن لم نبحث جدياً سبب العطل من الناحية النفسية ومن الناحية الاجتماعية ومن الناحية الخلقية وكيف يمكن التغلب على البطالة

ثم الشبان أنفسهم واقعون فى أشد الازمات ينشدون مثلا أعلى غامضاً غير محدود ، ويسلكون لهذا الغامض مسالك غامضة ، فلو سألت أكثر الشبان عن حالهم وجدتهم ساخطين ، ثم اذا سألتهم عن سبب سخطهم لم يجيبوا اجابة صريحة واضحة . فهم يضطربون بين ما هم عليه وهو لا يرضيهم وبين أملهم في الحياة وهو بعيد عنهم ، وهم يضطربون بين قديم رأوا عليه آباءهم وطالبوهم به وحديث يرونه في السينما وفي الطبقات العالية وفي الجالية الاوربية ، وهم يضطربون بين علم وسياسة ، وحب وواجب وارضاء أهل وارضاء أصدقاء ، وكل ما فعلناه أننا

تركناهم فى أزماتهم يحلونها بانفسهم من غير ان نقدم اليهم أية عناية ـ وقدعودهم الآباء والمعلمون والقادة ألا يصارحوهم ، فلا الشاب يجد من هؤلاء رحابة صدر في أن يبثه آلامه ويفتح له قلبه ويشرح له أزماته، ولا الآباء والمعلمون شجعوهم على مثل هذا ، فكان من ذلك حاجز متين بين الابن وأبيه والطالب ومربيه ، يحمل عبئه وحده ، من غير أن يسعفه من هو اكثر منه تجربة . ولذلك كثرت الضحايا لأن الأزمات فوق مقدور الشبان وهم وحدهم الذين يحاولون حلها بأنفسهم أو بأمثالهم من أصدقائهم

***

لا يمكن أن نتقدم في فهم مشاكل الشباب ووضع العلاج الصحيح لها إلا بأمور ثلاثة :

(الاول) توافر جماعة من الاخصائيين في علمي النفس والاجتماع على دراسة نفسية الشباب و بيئاتهم دراسة علمية عميقة تمتحن فيها الاعراض، ويرجع فيها الى الاسباب، وتمتحن التجارب ، و يوضع فيها العلاج على أسس هذه الدراسة . وما لم نفعل هذا فكل علاج نضعه يكون سطحيا ، ويكون شأنه شأن طبيب متسرع يكتفي بالمظهر الخارجي ويكتب تذكرته بناء على ذلك ، فيكون المريض عرضة لخطر كبير ـ ونحن الى الآن لم نكون علماء من هذه الناحية ، فعندنا علماء نفس واجتماع ولكنهم عالمون بما في الكتب من نظريات وقد يكون لهم فيها آراء . ولكن الذى نتمناه درجة وراء هذا وهو علماء قد درسوا هذه النظريات ثم كان لهم معمل لتطبيق هذه النظريات على اطفالنا وشباننا ، يمتحنون ويجربون ويرصدون النتائج ويضعون الاحصائيات ، ولهم رأي شخصي بعد كل ذلك في حالتنا نحن ووسطنا نحن لا في الحالات الاوربية والاوساط الاوربية . والى ان يكون هذا نظل متخبطين في طرق العلاج نكتفي بموضوعات انشائية ونصائح أدبية ووصفات اشبه ما تكون بالوصفات البلدية

(الثانى) وجود عيادات للازمات النفسية تشبه عيادات أطباء الجسم ، يشرف عليها اخصائيون في النفس والاجتماع ،فقيمة النفس ليست أقل من قيمة الجسم ، وامراض النفس قد تصل الى حد أخطر من أمراض الجسم ـ والشبان في هذا الطور محتاجون أشد الاحتياج الى خبراء يعرفون سر أزماتهم وكيفية دوائهم

وقد عنى بعض الاخصائيين فى أوربا بهذه الناحية وقصوا علينا حوادث كثيرة أنقذوا بها الشبان من مشاكل بعرضهم عليهم أنفسهم حتى في حالات يصح ان نعدها نحن حالات ترف . قال أحدهم جاءتني فتاة تستشيرنى ، وقالت أن امها محبة للفنون الجميلة من موسيقى

وتصوير ، وهي تقضي كل أوقات فراغها في ذلك ، وأباها رجل عمل يصرف اوقاته في ادارة متجره وأعماله . وزادت الفتاة أنها ورثت من أمها حب الموسيقى ، وورثت من أبيها حب ادارة العمل ، وهي مضطربة أشد الاضطراب بين الوراثتين ، فهي يوما تحب أن تلبث في بيتها تعزف على آلات الموسيقى ، ويوما تكره ذلك كل الكره وتريد أن تخرج تدبر عملا اجتماعياً ، فهي لا تستقر على حال . فامتحن هذا الاخصائي أى ميليها أقوى ووصف لها علاجها

وهكذا مئات من هذه الحوادث تحكى وتعالج ، ونحن لا نعنى بهذه الناحية أية عناية

(الثالث) ما أشرت اليه من قبل وهو أن هناك هوة سحيقة بين أولى الامر والشبان ، بين المعلمين والطلبة ، وبين الآباء والشبان . ولست أقصد أن بين هؤلاء جفاء في المعاملة ، وانما أقصد أن الشاب لا يفتح نفسه لمعلمه وأبيه ، والمعلم والاب لا يفتحان نفوسهما للشاب فاذا تحدثوا جميعا فحديث عام يتصل بالدنيا العامة ، والدنيا التافهة ، وبجوار ذلك خزانة مغلقة يكتمها الشاب عن أستاذه وأبيه ، وانما يفتحها لخاصة أصدقائه — في هذه الخزانة حب وغرام وفيها خطط سياسية ، وفيها أزمات نفسية ، وعلى الجملة ففيها أخطر شيء في حياة الشاب ، وهو لا يفتحها لمن هو أكثر منه تجربة وأرق منه عقلا ، وأعرف منه بالايام واحداثها ، لا يفتحها لعالم نفسى ولا لطبيب روحي ، ولا لمعلم ولا أب ، وانما يفتحها لشاب مثله لم تعركه الايام ولم تعلمه الحوادث فيشير عليه بالرأى الفائل والفكرة الصبيانية

وتبعة هذا الجفاء ووجود هذه الهوة لا تقع على الشباب وحدهم ، بل لا بد أن يتقدم الآباء والاساتذة والمعلمون خطوات في ذلك ، ويشعروا الشبان أنهم يقدرون ظروفهم وحدة شبابهم ، وانهم لهم ناصحون لا مسيطرون ، وانهم يسوسونهم سياسة الطبيب لمريضه ، لا سياسة الضابط لجنوده

وبعد . فلا بد من إيجاد هذه الانواع الثلاثة من العلاج ، والاسراع بها ، وإلا استفحل الداء وعز الدواء

احمد امين

زوابع الشباب المصري تهب من شتى النواحي

بقلم الدكتور أمير بقطر

العوامل التى تؤثر فى الشباب المصرى متعددة النواحى . متشعبة الأصول والفروع . فمنها ماهو خاص محلى ، ومنها ما هو عام كونى ، ومنها ما هو قومى ، ومنها ما هو أممى . وبعض هذه العوامل دائم ، كامن فى الطبيعة الانسانية فى هذا الطور من الحياة ، والبعض الآخر وقتى زائل ، نشأ عن حالة خاصة يبقى ببقائها ، ويزول بزوالها

على أنه مع تدخل هذه العوامل بعضها ببعض ، وعدم امكان فصل طائفة منها عن الاخرى فصلا تاماً ، فاننا تسهيلا للبحث سنرجعها الى مصادر ثلاثة : اقتصادية ، واجتماعية ، ومدرسية

أولا — العوامل الاقتصادية

من أهم اسباب الفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار بين الطلبة المصريين ، عدم وضوح الطريق وعدم جلاء الفرص من استمرارهم فى الدراسة . فطلبة المدارس الثانوية لايدرون ما يكون مصيرهم فى نهاية هذه المرحلة . فاذا ما أتيح لهم ، واذا ما قدر لهم النجاح ، أن يلتحقوا باحدى الكليات العليا ، فانهم يرون سماء المستقبل فى معظم هذه الكليات ملبداً بالغيوم ، لا ينبىء بالحياة الاقتصادية التى كانوا يحلمون بها . واذا سدت فى وجوههم المسالك الى تلك الكليات ، لم يبق أمامهم إلا التوظف بالبكالوريا ، وهذا أضحى فى الايام الاخيرة أعسر من دخول الجمل فى ثقب إبرة . فمصالح الحكومة موصدة الابواب ، وغيرها ملك للاوربيين فى الغالب ، وهؤلاء يؤثرون غير المصريين ، ويأبون بكل صراحة وجرأة قبول الوطنيين ، والحكومة المصرية تنقصها القوة والحزم والتشريع . فلا تستطيع التدخل فى شئون المصالح الاجنبية ، ولا حول لها على التوسل اليها بأية حال من الاحوال ، طالما كانت هذه المصالح تستظل برعاية الامتيازات

ويلاحظ المطلعون على حركات الشباب المصرى ، المتتبعون خطواته فى السنوات الاخيرة ، أنه كلما وضح الطريق وانجلى الفرص من الدراسة فى كلية من الكليات ، أو معهد من المعاهد ، كان الطلبة فيه أقل عرضة للاضطراب وعدم الاستقرار ، وأقل ميلا للفوضى وأخف حدة والين عريكة وأضعف شكيمة وأشد خضوعاً للنظام وأندر خروجاً على القوانين وأكثر نزوعاً للدرس والتحصيل

مثال ذلك أن كلا من مدرستى البوليس والحربية لا يزال منهلا عذباً سائغاً للواردين ، ولا يزال النظام الحاضر فيما يختص بهما يغدق سحائب نعمته على طلبتهما بعد اتمام دروسهم . فالوظيفة مضمونة والمرتب محدد ، والترقية دورية ، والنجوم والرتب والاوسمة والازرار الذهبية البراقة ، والبدل الرسمية الملتصقة بالجسم وشرائطها الحمراء أو لونها الكاكى والسيف المدلى على الجانب . أو المسدس المدسوس فى علبته الجلدية السمينة — كلها ملازمة لهؤلاء الطلبة فى نهاية تلك المرحلة المدرسية وكلها تبشر بمستقبل سعيد مرسومة خطته محاط بسياج من الضمان الاقتصادى وما يتبعه من احترام شخصى وعزة نفس وحسن بزة وجمال طامة . فهل من الغريب إذاً ألا نسمع عن طلبة هاتين المدرستين شيئاً فى إبان المظاهرات والاضطرابات ؟

وكذلك كلية الطب ، فانها برغم كثرة خريجيها والتزاحم والتنافس بينهم ، لا يزال طريق المستقبل فيها أكثر وضوحا منه فى كليات الحقوق والزراعة والتجارة مثلا ، ولا تزال الدراسة فيها أكثر جلاء فى أغراضها والاهداف التى ترمى اليها منها فى غيرها من الكليات . فالطبيب الحديث أقل عرضة للتنافس والبؤس من المحامى الحديث فضلا عن أن الشاب الذى يتم الدراسة فى كلية الطب يعلم أنه على حداثة سنه يتمتع بلقب دكتور ويحظى باحترام الجمهور بمجرد ذكر هذا اللقب وإن عدم كل ميزة سواه ، فى حين أن زميله المشتغل بالقانون لا يلقب الا « بالاستاذ » تلك الكلمة العامة الغامضة التى هى متاع مشاع تمنحه الديموقراطية لكل من يهواه من عباد الله المخلصين وغير المخلصين وفى حين أن زميله خريج مدرسة الهندسة يشترك معه فى لقب « باشمهندس » الكثيرون من غير حملة الشهادات أو من حملة الشهادات الأولية من مقدمى الفعلة ومساعدى المقاول الى صغار الموظفين فى مصلحة المساحة . وأكثر من ذلك أن بقية الزملاء ممن أتموا دروسهم فى كليات التجارة والزراعة والاداب ومعهد التربية لا القاب لهم ولا ضمان لمستقبلهم المالى

فكم من طالب يلتحق بكلية الحقوق ، فلا يكاد يفرغ من رحابها الملتوية حتى تتكشف له الحياة القانونية عن جمهور مغلول الايدى ، جشع يريد أن يأخذ باليد الواحدة ولايعطى بالاخرى ، يساوم ويماطل ، ويراوغ ولا يرحم . وبالاختصار تتكشف له الحياة القانونية عن معركة يتسلط فيها القديم على الجديد . والالحن على الالكن ، والاشجع على الاجبن ، فيتمثل أمام عينيه عدالة قانونية لا عدالة اقتصادية فيها ولا مساواة

وكم من شاب التحق بكلية الزراعة أو التجارة محاولا أن ينتزع منها فى النهاية يقينا يعينه على خوض معركة الحياة . ولكنه بعد نيل الدبلوم لا ينتزع غير الحيرة والمضض . فتضيع تلك الآمال التى كان يتنسمها طوال السنين

ومجمل القول أن المعهد الذى يعلم طلبته أنهم يستطيعون فى النهاية شق الزحام فى معترك

الحياة ، يكون فى الغالب مهبط العمل والنشاط والجد والسكينة ، أو يكون على الاقل أقل عرضة للاضطراب والارتباك وعدم الاستقرار نسبياً عن سواه . ويعزى هـذا الى وجود ما يسميه علماء النفس الدافع « drive » أو المغرى « motivation » أو الباعث

والمسألة العظمى التى تواجه رجال التربية الآن أكثر من سواها هى التوفيق بين الجهد والزمن والمال الذى ينفقه الطالب وذووه فى دور العلم ، والحالة الاقتصادية التى يؤول اليها بعد انتهاء دور التلمذة . فقد صرح وزير المانيا سنة ١٩٣٢ أن عدد خريجى الجامعات الالمانية الذين لا عمل لهم أو الذين يتقلدون أعمالا لا تتناسب ودراستهم العلمية يبلغ مائة الف طالب ونيفاً

وقد فطنت الدول الى خطر التعليم الكلاسيكى النظرى وما يؤدى اليه من مضاعفة الجيوش من ذوى الياقات البيضاء فانشأت المدارس العملية من زراعية وصناعية وتجارية ، ومع ذلك فان خريجى مثل هذه المدارس فى بعض البلدان يسعون وراء الوظائف الكتابية لسهولتها . وضمان مرتباتها ، كما يفعل خريجو مدارسنا الزراعية والتجارية فى مصر . وقد أدهشنى ماسمعت منذ سنتين من دكتور بول منرو من كبار رجال التربية أن دولة من أصغر دول أوربا أنشأت سنة ١٩١٣ عدداً يذكر من المعاهد الصناعية والزراعية للتخفيف من وطأة المعاهد النظرية ، غير أن هذه قد ماتت جميعها نظراً لعدم الاقبال عليها . ولم يبق الا المعاهد التى تعنى بتربية أدبية كلاسيكية محضة . رغم أن هذه الدولة الصغيرة لا تخلو فيها سوى وظيفتين حكوميتين كل عام

وهذه شيكوسلوفاكيا وتعد اليوم فى مصاف دول الارض من الناحية الاقتصادية . ومع ذلك فان ٩٠ ٪ من خريجى معاهدها يسعون وراء الاعمال الحكومية كما يفعل طلبتنا فى مصر

وهذه امبراطورية الصين المترامية الاطراف . وجد أولو الشأن فيها أن الاساليب الزراعية متأخرة فيها ، فارسلوا البعثات الى الخارج بالالوف كل عام . وقد دهش الطلبة الصينيون الذين التحقوا بكليات الزراعة الاميركية عند ما وجدوا الفرخة الاميركية تبيض فى المتوسط من ٢٥٠ الى ٢٨٠ بيضة فى العام الواحد ، يقابلها ٥٠ بيضة تبيضها الفرخة الصينية . فدبت فى نفوسهم الحماسة للعمل ولكنهم ما كادوا يعودون الى أوطانهم حتى هدأت فيهم هـذه الثورة النفسية وسعوا وراء الوظائف الحكومية الكتابية . والعقدة المراد حلها فى الصين اليوم هى كيف يستطاع رفع مستوى التعليم هناك بانشاء المدارس الثانوية والعالية والحالة الاقتصادية يرثى لها ، إذ أن متوسط ما ينفقه الصينى على طعامه ثمانية ريالات مصرية سنوياً وعلى ملابسه ثمانية غروش مصرية فى العام . وهذه عين العقدة التى نواجهها فى مصر — نستطيع أن نقول بناء على ما سبق أن من أكبر العوامل التى يعزى اليها السبب فى حالة الطلبة النفسية اليوم فى مصر ، هو العامل الاقتصادى . وهذا يعزز نظرية كارل ماركس الذى صرح فى منتصف القرن التاسع عشر أن طرق العيش الاقتصادية المادية هى المحور الذى عليه تدور مسالك المرء وحياته السياسية والاجتماعية والروحية « النفسانية »

ثانيا – العوامل الاجتماعية

من المسائل التى لا سبيل الى اخفائها ، والتى لم يعد الكلام فيها سراً من الاسرار ، ان العالم يسير فى طريقه نحو الاشتراكية ، ليس كما رآها كارل ماركس ، بل بأوسع معانيها . فما الضرائب الثقيلة التى ينوء تحت عبئها الافراد ، حتى تستنفد الجانب الاكبر من ثرواتهم ، سوى مظهر من مظاهر الاشتراكية التى تعتنقها كبريات الدول من حيث لايدرى السواد الاعظم من أبنائها . ولاشك أن هذا النوع من الاشتراكية لا يرمى الا الى نشر الديموقراطية الاجتماعية ، والا كثار من عدد الطبقة المتوسطة ، والاقلال من أبناء الطبقتين الفقيرة والارستقراطية . فلا عجب إذا تطلعت عيون الشباب الى حكوماتهم مطالبة إياها بتحسين حالتهم الاقتصادية . ولعل ماقاله أخيراً بنيامين كريميه(١) من أكبر النقاد الفرنسيين هو عين الصواب ، إذ صرح بما يأتى : « كانت المسألة العظمى التى شغلت الاذهان بين سنتى ١٩١٨ و ١٩٣٠ علاقة الفرد بالكون . أما من سنة ١٩٣٠ الى اليوم فانها انتقلت إلى علاقة الفرد بالدولة ! وقد بالغ الشبان فى التوسع فى هذا المبدأ حتى أصبح الكثيرون منهم يؤثرون أن يصدأوا بالبطالة ، على أن يبلوا بالعمل فى غير ما يتفق مع مقدار تربيتهم العلمية

ونتج عن هذه الموجة الجديدة حالة لا تخرج عن كونها طبيعية ، وهى نضال بين الحكومة والشباب . ففى اليابان لا يقل عدد الطلبة الذين يودعون فى غياهب السجون عن الف فى كل عام . ولا غرابة إذا علمنا أن لكل معهد هناك مراقبين هما بمثابة شرطيين يتجسسان بين الطلاب منعاً لتسرب الآراء الاجتماعية الخطرة بين أبناء المستقبل

وهناك عامل اجتماعى آخر لا يقل عن العامل السابق وهو سرعة التغيير فى حياتنا اليومية . لقد قضت انجلترا خمسة أجيال تناضل فى سبيل الدستور ، فى حين أننا ظفرنا به – أو كدنا – فى سنوات قليلة . وليس هذا من الغرابة فى شىء فاننا بعد ان أخذنا فى جدتنا الاخيرة عن أوربا ، ما تكاد تظهر « بدعة » أو « مودة » هناك حتى تصل الينا فنلتهمها كما نلتهم الطعام بعد صوم طويل . وقد قيل ان « مودة » القبعات عند السيدات تدور دورتها حول الكرة الارضية فى ستة شهور ، وتطوى فى زوايا النسيان بعد عام واحد اذ تستبدل بسواها . وإذا تمشينا مع علماء الاجتماع علمنا أن عمر الانسان من ٢٠٠ الى ٣٠٠ الف سنة . وان هذا الانسان لم يشعر أنه فى عالم الوجود الا منذ عشرة آلاف سنة . ولم يحى حياة عقلية الا منذ ٥ آلاف سنة أو أكثر قليلا . ولم ينجز أعمالا تستحق الذكر الا منذ الفى سنة ، ولكن معظم هذه الاعمال لم يتم إلا فى خلال مائتى سنة مضت أى ان الانسان قد بدأ يعيش حقيقة فى السنوات الاخيرة أى أنه فى المهد

وجل ما نفهمه من هذا القول أن التغير فى الآراء وأساليب العيش وطرق التفكير يجرى

(١) Benjamin Cremieux

بسرعة البرق وهذا ما حدا بأحد فلاسفة هذا العصر أن يكتب كتاباً سماه تربية دائمة التغيير لمدنية دائمة التغيير (١)

ولا يخفى أن التجديد أو التغيير لازم للتقدم ، غير أن التجديد فى ذاته لا يتأتى عنه التقدم حتما لانه لا هو بالحسن ولا هو بالقبيح . والجيل الجديد (الشباب) من عادته أن يقاوم القديم . بيد أن هذه المقاومة ليست مقياس التقدم . فالتقدم يحدث حينما يتحدى أنصار الجديد أنصار القديم . فيعدل من آرائهم ثم ينتصر عليها أخيراً . وعامل التجديد السريع فى مصر من أقوى العواصف التى تهز شجرة الشباب المصرى

ولكن لا يفوتنا أن الكبر والشيخوخة كثيراً ما يكونان عقبة فى سبيل التقدم الذى ينشده الشباب بواسطة الآراء الجديدة التى تصطدم وعاداتنا الاجتماعية السائدة . وهذا ما يتعرض له شباننا اليوم من تشبث الأسرة والمدرسة والحكومة . فتثور نفوس هؤلاء الشبان ويختل توازنهم النفسانى . قال دزرائيلى الوزير البريطانى الشهير : « إن الكثير من الآراء والمعتقدات والعادات السائدة ملك لطبقة من الناس فى طريقهم الى الهاوية (القبر) وإن الكبار من عادتهم أن يكرهوا كل تغيير فى حياة رزقوا خلال شبابهم فيها شيئاً من النجاح » . وقال أرنولد : « إن الناس بطبيعتهم يحبون الارستقراطية متى كانوا من طبقة الارستقراط ، ويمقتونها متى زالت عنهم » . ولا نستطيع أن ننكر أن بعض الشعور الذى يبدو من شباننا أحياناً قد ينظر اليه شيوخنا بعين الاجلال والتقدير بعض الزمن . كما اتضح منذ سنة ١٩١٩ الى اليوم . وهذا لايخرج عن القول بأن الآباء قد يرجمون الانبياء بالحجارة ، والابناء يضعون على قبورهم أكاليل الزهور . وقال ليب (Liebe) الالمانى سنة ١٨٧٠ : « ان بسمرك يعلن اليوم جهراً بالمبادئ التى لاجلها ذقنا مرارة الاضطهاد والنفى والسجن منذ ٥٠ عاماً » . ولا نستطيع أن ننكر أيضاً أن الوزارة النسيمية أطنبت فى بلاغ رسمى فى عمل من أعمال الطلبة كانت أمرت أن يرموا لاجله بالرصاص قبل ذلك بأيام قلائل

غير انى لا أحبذ عمل الشباب أو المجددين بغير قيد ولا شرط لانى أعتقد أن كثيراً من أعمال هؤلاء هو الطيش بعينه . ومن المجددين من يهزأ بكل فكرة أو عادة قديمة لمجرد كونها قديمة . ويرحب بكل بدعة جديدة لمجرد كونها جديدة . ولعل من أبدع ما قرأت فى هذا الشان هى فقرة من خطبة رئيس لاحدى الجامعات فى أميركا . جاء فيها : « لقد أصبح الطعن فى القديم زياً يتزياه زعماء الجديد حتى أصبح أعز مالدينا من إيمان وثقافة وتقاليد سامية فى نظر هؤلاء رجعية لاتحتمل وأصبح هؤلاء يحتقرون ناموس الاخلاق والاداب العامة كما يستخفون بجدول الضرب والوصايا العشر . ومن أجمل ماقرأت من النصائح مقال وجهه كاتب الى الطلبة الصينيين العائدين الى بلادهم

(١) William Kilpatrick "Changing Education for a Changing Civilization"

من اوربا قال لهم فيها : « . . . والقوا يا أبنائى فى جوف البحر كل ماحملتموه من العادات الغريبة مما لا يتفق ومبادىء بلادكم السامية . . . وغربلوا الحنطة قبل طحنها . . . »

الا أن التفريق بين الصالح من هذه الاراء الغربية وغير الصالح ليس بالامر الهين . فالشاب المصرى يعتنق فلسفة الحياة الغربية كما يعتنق فلسفة الاتوموبيل والتليفون والسينما الناطق والصور العارية والمجلات الاسبوعية الخليعة . وليس ثمـة حكيم يستطيع أن يضع الحد الفاصل بين الضار والنافع منها . فهلا نعذر الشاب اذا ماجره هذا التيار الجارف إلى حيث لا يدرى هو ولا ندرى نحن ؟ ومن الجهة الاخرى — هلا نعذره إذا أطلقنا له العنان ، وتوقعنا منه أن يكبح جماح ذاته بذاته والشاب فى مقتبل العمر تطغى عليه عاطفة حب الظهور (Self-Assertion) التى لا يعرف لها حد ؟

ثالثا — العوامل المدرسية

ليس من المرغوب فيه الاسترسال فى هذه النقطة ، فقد نشرنا عنها فى غير « الهلال » الشىء الكثير . غير أننا نوجز العبارة فنقول :

(١) ان المدرسة المصرية (والكلام هنا عن الابتدائية والثانوية) لا تزال وسائل الثقافة فيها تغلب عليها الفطرة والبداوة . فكتب المطالعة مثلا أشد اتصالا بالصحراء منها بمدنية المحيط الاطلسى ، فى حين أن الشاب لا يرى فى الاولى سوى حلقة من حلقات التاريخ ولا ينظر اليها الا كما ينظر الى السراب ، غير أنه يحس بالثانية فى ملبسه وطعامه ، فى دور الملاهى التى يغشاها والصحف التى يقرأها ، فى طرق المواصلات ووسائل التسلية ، فى الاثاث ومعدات الحياة الحديثة والدروس الاجتماعية لا تتصل بالعصر الحاضر اتصالا مباشراً ، فلا تضع على بساط البحث أمام عيون الطلبة المسائل الهامة التى تشغل بال العالم اليوم ، ولا تشرح لهم المشاكل الخاصة التى يتعرض لها الشاب فى سبيله ، كمسائل الجنسية والاسرة والزواج والطلاق . ولا تحاول أن توقفهم على حقيقة الموجات الاجتماعية التى طفت على بعض أنحاء العالم أخيراً كالنازية والفاشستية والشيوعية ، كانه لا وجود لها فى العالم

وبالاختصار أن المدرسة المصرية فى نظامها الحاضر لا تحسب حسابا بأن العالم (ونحن منه) فى عصر انتقال من الزراعى للصناعى ، ومن الادب الى العلم ، ومن الاتوقراطية إلى الديموقراطية ، ومن الفردية الى الاشتراكية ومن العمل اليدوى الى الآلى ، ومن الايمان بالقدر الى الانسانية وتقرير المصير للفرد والجماعات ، ومن مبادىء الاخفاء والمراءاة إلى الافصاح بالحقيقة والمصارحة بوقائع الحال

(٢) يقول بروفسر جاكس رئيس كلية منشستر فى جامعة اكسفورد : ان كثيراً من مدارس العالم ما تزال التربية فيها حدباء (lop sided) أى غير كاملة فى استدارتها (not all-round) ومعنى ذلك أنها تربى عقل الطالب على حساب جسمه أو العكس وتهذب ذاكرته على حساب وجدانه ، ومنطقه على حساب ذوقه السليم ، وقواه الكلامية على حساب العملية . ألا ينطبق هذا على مدارسنا تمام

الانطباق ؟ ألا ترى هذه التربية الحدباء فى شباننا وأبناء المستقبل بادية للعيان ؟

(٣) أن مدرستنا المصرية لاتربى فى الطالب روح الولاء والحب الذى يوجد عادة بين التلاميذ والمعاهد التى ينتمون اليها . وذلك لأنها لا تنزل الى مستوى الطلبة ووالديهم ولا تتصل بأسرهم ولا تعطف عليهم ولا تشعرهم أنها وجدت لخدمتهم وخدمة الجمهور وخدمة تلك الوحدة من الامة أو الجماعة أو المدينة أو الحى . ولاعجب إذا تبع كل عاصفة من عواصف الشباب اعتداء على حرمة المدرسة. ولا غرابة اذا بدأ الطلبة فى ثورة العنف بتحطيم نوافذ مدرستهم وتكسير أبوابها وتقليع أشجارها واتلاف اجهزتها وسجلاتها

✡ ✡ ✡

هذه العوامل جميعها هى التى تبلورت قطراتها عن ذلك المنشور الزجاجى الذى ما كادت تقع عليه أشعة الجيل الحاضر حتى انبعثت منه الوان قوس قزح متراصة بعضها بجانب بعض مبتدئة بالاحمر البولشفي السوفيت وممتدة للاسود للفاشيزم فى ايطاليا والابيض لبقايا الارستقراط القيصريين فى روسيا للاسمر فى النازى فى المانيا للاخضر لاوتوقراط شرقي أوربا للازرق فى جماعة الارهاب فى فرنسا وأخيراً للازرق بين حماة الديموقراطية فى مصر

امير بقطر

✡ حاشى لى أن أضيع ربيع شبابى فى الكسل والفراغ . ففى هذه السن يجب ان أزرع بزور المستقبل وأتعهدها بكل عناية لكى تزهر فى الكهولة وتحمل ثمرها فى الشيخوخة — (هلهاوس)

✡ أنفق شبابك فيما ينشىء لك الذكريات الطيبة فيستريح ضميرك عند ما ينطوى عهد ذلك الشباب ولا تتناوبك الآهات والاحزان . انك ما دمت فى طور الشباب تظن أن الشباب باق الى الابد . ولكن لا بد لكل نهار من مساء ، واليوم الذى يعبر لا سبيل الى عودته . فانتهز الفرصة قبل فواتها وخذ الاهبة لتضمن لك حياة طويلة سعيدة — (رالى)

✡ ان الشباب الطائش يقفز كالارنب فوق أشواك النصيحة الخالصة — (شكسبير)

✡ من أنفق ايام شبابه فى الفساد والخلاعة كان كأنه يرهن نفسه للمرض والشقاء ، وكلاهما دائن قاس يتقاضى دينه بأقصى الشدة — والشباب اجل أطوار الحياة . والصداقة التى ننسج خيوطها فيه هى أدنى أنواع الصداقة وأحبها الى القلب — (ويليس)

✡ فى صباح الحياة تكون الحواس والمشاعر دقيقة ويكون الشاب سريع التأثر والانفعال لان النشاط يدب فى كل عضو من أعضاء الجسم ولان العواطف تملأ نفوسنا وتشملها . على أن الاحكام التى نصدرها على الاشياء فى تلك السن كثيراً ما تكون بعيدة عن الصواب — (برك)

نصائح كهل للشباب

بقلم الأستاذ فكري أباظه

كهل ؟ !

أنا كهل ؟ ! . . .

هكذا أمرني محرر « الهلال » . وهكذا وضع لي العنوان . وهكذا فرض على من عندياته « أنني كهل » ! . . . ثم طلب الى ان انصح الشباب . . .

وليس المجال مجال مناقشة في تاريخ مولدى ، وحقيقة سني ، فهذا ما سوف يكشفه التاريخ ويعلمه الناس يوماً ما . فلنمر على هذه الاهانة مراً سريعاً ، ولنؤد واجبنا للمجلة وقرائها، فنحن من الكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس . . .

هذا لا يمنع بتاتاً أنني مررت بتجارب عدة . وأنني جزت طرقا وعرة . وغابات الشباب كلها هول وكلها فزع . كما أن كلها لذة وكلها جمال . . .

ولكن الموضوع يتطلب جرأة وشجاعة ومغامرة لانه موضوع افشاء وافضاء . ومثلي جدير وهو ينصح الشباب أن يلعب هذا الدور الوعظي الارشادي، فأنا كفء لهذا حقاً ، أي أنني كفء لأن أدمر نفسي لمصلحة الآخرين . . .

في المدرسة ! . .

كنت تلميذاً « شقياً » شهدت المدارس الابتدائية والثانوية والعالية حوادثي ومآسي . ففصلت من المدرسة الابتدائية اسبوعين متواليين لأنني تغيظت من « الرز » الذي بلا سمن فاقتحمت المطبخ و « دلقت » جميع « الحلل » الكبرى التي تحتوى العدس واللحم والخضار والرز فتسببت في أن يظل ٥٠٠ تلميذ بلا غداء ذلك اليوم ! . . . ورفتتني المدرسة السعيدية اسبوعين ثم عاقبني المستر « شارمن » بالحبس يوماً واسبوعياً وشهرياً حتى تصدر أوامر أخرى، فظللت أحتجز نفسي تنفيذاً للامر ثلاثة شهور لانني أضربت عن دفع أجرة الترام ثلاث سنوات متواليات ! . . . وفي مدرسة الحقوق فصلت نهائياً لانني كنت ضمن

المضربين عن استقبال المغفور له السلطان حسين العظيم الى أن صدر أمره الكريم بالعفو عني ! . . .

لست أنصح الطلبة بأن يحذوا حذوي وأن ينسجوا على منوالي وانما وددت أن أقول إن « الطيبة » المتناهية لا تدل على نجاح ! يجب أن يكون الطالب مرحاً ذا حوادث تافهة كهذه الحوادث ، فان المران على الخضوع والاستسلام فى عهد التلمذة يربى الجبن والضعف والانكماش والانزواء ، فلا يكون هذا الصنف من الطلبة في الحياة العملية شيئاً مذ كوراً . . . يجب أن تبرز الشخصية بأى شكل كان أثناء الدراسة . فالبروز فى ميدان الدروس وحده لا يكفى لتكوين شخصية الحاضر والمستقبل . لذلك أنصح بأن يرسم الطالب فى خطته وبرنامجه أن يكون رياضياً معروفاً ــ أو خطيباً معروفاً ــ أوموسيقياً معروفاً ــ أو كاتباً معروفاً ــ أو «عفريتاً» معروفاً ، فسيجد فيما بعد أن بروزه في هذا الميدان يجدي عليه في عالم العمل وعالم الكفاح . . .

وأحمد الله أنى كنت دائماً من الاوائل فى الفصل . فلم أرسب ــ رغم حوادثي ــ في الامتحانات حتى تخرجت إلا مرة واحدة فى الشهادة الابتدائية ، ويالها من شهادة في ذلك الزمان ! . . .

وأسلوبى في العناية بواجبي الدراسى أنني كنت أصغى اصغاء تاماً للمدرسين فاعوض ما يلزمنى من كمية المراجعة والحفظ في البيت . وكثير من التلامذة « يسرحون » أثناء القاء الدروس . وهذا خطر كبير ! . . .

الحب فى عهد التلمذة

لست ظالما ولا متجنياً . ولا أود أن أكون ظالما ولا متجنياً . . .

كانت « التقاليد » في أيامنا أكلا وشرباً ولعب كرة وتشخيصاً . . . لم نكن نعرف « الحب » ونحن طلبة لأن « فن الحب » إذ ذاك لم يكن قد انتشر انتشاره الذريع هذه الأيام . . .

فأنا أعتذر سلفاً للمغرمين المحبين الولهانين من الطلبة . لأن جو اليوم غير جو الامس .

ولكنى أريد مع ذلك أن أبدى رأيى فى الموضوع

الحياة العملية حياة كفاح عنيف حول الرزق . فالرزق لم يصبح من السهولة بمكان . كأيام زمان . وتكاد تجمع الدوائر الحكومية الرسمية . والشركات والمتاجر الأهلية . على

أن « الشهادة العليا » هي جواز العمل . فقد كثر طلاب العمل فماذا تفعل الحكومات والشركات ؟؟ لابد أنها تفضل حاملي الشهادات العليا . لذلك يشعر الطلبة الذين لم يتموا دراساتهم العليا بالمرارة الأليمة حين « يتلقحون » في البيوت أو في القهوات بلا عمل ! إذاً ليضع كل طالب نصب عينيه أن يحصل على شهادة عليا و بدونها ـ هذه الايام ـ لا يساوى شيئاً في السوق . . .

و « ميكروب الحب » يتسلل الى قلوب الطلبة والطالبات قبل غيرهم لأن قلوبهم لاتزال طرية لينة من الصنف « الخام » فهى ذات استعداد عظيم لالتقاط الميكروب الغرامى المدوخ، هى كهرباء تسرى من قلب لقلب ـ ومن نفس لنفس ـ ومن بدن لبدن . . .

وحب التلامذة والتلميذات حب برىء شريف عفيف يبدأ بسرعة البرق وينتهى الى خطبة والى اجراءات زواج . وتصور بالله عليك طالباً في السعيدية أوالجيزة الثانوية أو الليسيه . يحب طالبة في الكلية أو الاميرة فوزية أو الميرد دى ديه . ثم يتمكن الحب البرىء الجميل بينه وبينها ، و بينه و بين شهادته العليا ثمان سنوات على أقل تقدير ـ ماذا تكون نهايته وماذا تكون نهايتها غير الانشغال بالحب واجراءاته ومخاطباته وخطاباته ومواعيده وآلامه وفتوغرافياته ؟! ماذا تكون نهايته غير ترك الدرس الى غير الدرس، والمدرسة الى غير المدرسة ، والشهادة العليا الى العطلة والى البوار والى الاضمحلال ـ فى عالم الرجال . . .

نهاية شهدتها في كثير من البيوت . وتفادى الحب الذى من هذا القبيل أمر سهل . ونصيحتى أن يربي الشاب فى نفسه ملكة التخلص والانسحاب عند ما يدق قلبه أول دقة ! والمسئلة مسئلة « جبازية » طالما جربتها وأفلحت لانها مسئلة تمرين ! ولا أزال أحمل الآباء ـ وبالاخص الامهات ـ المسئولية العظمى فهم يلعبون دوراً لا يليق فى هذه الحالات فيتسامحون و يصهينون ، و يتغافلون ، حتى يتمكن الحب بين الفتى الذى لا يساوى شيئاً ، والفتاة التى لا تساوى شيئاً فيقبلوا مرغمين « الزواج الا كراهى » الذى لا يمكن أن يعيش طويلا كما برهنت الحوادث والحكايات . . .

فى عالم الهلس

من العبث أن أنصح الشباب بأن يقاطع « الهلس » ، هذه هى النصائح النظرية التى كان يلقيها الوعاظ في القرون الوسطى لا فى عصر الحركة الذى نعيش فيه . من طبيعة الشاب

أن « يهلس » وأنت لا تستطيع أن تقاوم الطبيعة ولا أن تعالج الطبيعة ، إنما نرمي الى تنظيم « الهلس » والى مقاومة أخطاره ليس إلا . . .

والشاب إذا التفت للأندية الرياضية والى الرياضة وجد لذة جسمية ونفسية ووجد متاعا روحياً فيغنيه عن هذا « الهلس » الخطر نوعاً ما . لذلك أنصح بادىء ذي بدء بالاشتراك فى الأندية الرياضية والانتظام يومياً في ملاعبها وميادينها وأوساطها ففي ذلك الامن والخير الكثير . . .

ولكن لنفرض بعد هذا أن نصيحتي لم تتبع وأن الشاب ضعيف أمام أهوائه الجامحة فماذا تكون النصيحة الثانية ؟ أني ألمح مع الأسف الشديد أن صحة شبابنا متداعية مضعضعة وهنانة . فالذين يشربون الخمر منهم يشربون باسراف ! والذين يسهرون منهم يسهرون باسراف ! والذين «يهلسون» منهم يهلسون باسراف ! ولست أريد أن اتوغل في التفاصيل ، فأمراض « الهلس » امراض « délicates » من الوجهة الطبية اي انها تلتقط بسرعة البرق وليس لها دواء ! ! ليس لها دواء ! ! فاسمعوا نذيري الرهيب فقد درست الموضوع درساً وافياً والقيت عنه محاضرة طويلة وقرأت عنه كثيراً ، والشاب ليست عنده وسائل العلاج الكاملة ولا « فلوس » العلاج الكاملة ، والمرض وان كمن واختفى وتوارى فهو جاثم الى الابد !

إذاً يجب على كل شاب ان يدرس تمام الدرس وسائل الوقاية من « الهلس » ويجب ان لا يهمل فى الاستعداد والتسلح بها ، فحرام ان تذوى الاغصان وهى في اوج جمالها واعتدالها وانتعاشها فتتعوج وتذوى وتتقوص لمجرد الاهمال . . .

فى عالم السياسة

لن يظفر الشباب بخبير مثلى تلاطم مع السياسة وارتطم بها طول حياته . فخذوا نصيحتي واقبلوها على العين والرأس بدون تردد و بدون مناقشة . . .

ليقم الطلبة في الازمات الحاسمة كما قاموا فتكللت رءوسهم بتيجان المجد والفخار ! ولكني هنا اتكلم عن الشبان بعد تخرجهم من المدارس . فأنصحهم نصيحة حاسمة حازمة بأن لا يلتحقوا « بالاحزاب السياسية » وان يحتفظوا بحريتهم واستقلالهم حتى يكتملوا رجالا ذوى خطر وذوي شأن فيختاروا الطريق . . .

وطننا وطن تعس كثير التقلبات وكثير المفاجآت . فمن اراد ان يقتحم ميدان السياسة

فيجب أن يكون من الناحيتين المادية والمعنوية ذا ثروة مادية ومعنوية لا تؤثر عليهما المفاجآت فتقضي عليه قضاء مبرماً وهو في مقتبل العمر . و « الحزبية » في نظري رق وعبودية فقد يلتحق الواحد منا بحزب ثم يرى انَّ حزبه قد اختط خطة لا توافق عقيدته ولا خطته . فاما ان يقبل هـذا « النفاق » فيعيش معذباً واما ان يؤثر الالتحاق بحزب آخر وهنـا يفقد كرامته وشخصيته مهما كانت الاسباب . . .

الهدف

يجب أن يحدد كل شاب « هدفه » في الحياة ! يجب ان يرسم لنفسه خطة وبداية ونهاية يعمل للوصول اليها فتملك كل تفكيره ومشاعره واتجاهاته حتى يحقق أمنيته . . .

والتفرغ « لهدف واحد » ينجح دائما نجاحاً باهراً . اما التطلع « لاهداف عدة » فنهايته الفشل الحتم ! وألاحظ ان كثيرين من الشبان يتطلعون لاهداف عدة فيشغلهم الهدف الاول عن الثاني ويشغلهم الثاني عن الأول ، ويشغلهم الرابع عن الخامس والخامس عن الرابع وهكذا . . . وتكون النتيجة فشلاً في جميع الاهداف . . .

***

هذه بعض ملاحظات ونصائح اغترفتها اغترافا من خضم الدنيا ذات العجيج والضجيج وهي هدية متواضعة اقبلوها من « كهل » ايها الشبان . .

فكري اباظه المحامي

☆ الشباب هو ربيع الحياة البهيج حين يسري الطرب في مجاري الدم وينشد كل ما في الطبيعة أناشيد الفرح والسرور داعياً ايانا إلى الاشتراك في عيد الحياة (ريجواي)

☆ الشباب هو الفرصة السانحة لكل فتى ليقوم بعمل من الاعمال التي ترفعه الى مصاف الأبطال (مونجبر)

☆ الشباب هو الزمن الذي يشيد فيه المرء صرح أخلاقه وعاداته وآماله . فما من ساعة من ساعاته الا وهي ملأى بالاحتمالات الكثيرة . وما من دقيقة من دقائقه الا وتمر الى غير عودة (رسكن)

☆ الشباب هو عهد الآمال والزمن الذي يجب فيه على المرء أن يبذل كل ما عنده من جهد ونشاط ، لا لخير نفسه فقط بل لخير شعبه أجمع (ويلميز)

بحث وتحليل

نفسية الشاب المصري

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

« .. ان الحالة النفسية للشاب يجب أن ينظر اليها من نواح ثلاث : الناحية الجثمانية ، والناحية الفكرية ، والناحية الروحية . فان هذا هو ثالوث التربية المشهور . وليس من شك في أن المادة الاولية لشبابنا (أى الاطفال) لا يقلون ذكاء ولا استعداداً عن أطفال أي قطر من أقطار العالم . فاذا كان هناك قصور في حالة الشاب المصري ، فيجب أن نرجع أمره لصانعين . . »

ليس من السهل على باحث أن يلم فى مقال واحد بأمور الشباب من جميع طبقات الامة ، على فرض أن هنالك شخصاً له دراية وخبرة بأحوال الشباب فى مختلف نواحى الحياة . فهنالك شباب الريف ، الذى يكد ويكدح ليستنبت خيرات الارض ، وحالته النفسية تحتاج بلا شك الى بحث دقيق عميق . وهنالك الشباب العامل فى المصانع وفى النقل وفى مختلف الحرف ، وهذا قد ازداد أمره خطراً وأهمية منذ بدأت النهضة الصناعية فى هذا القطر . ولابد لبحث أموره من دراسة واسعة لميادين العمل التى يشتغل فيها . وهنالك الشباب الذى يطلب العلم ، وهو الذى يحتل من الامة مكانا خاصا ، وسنجعل هذا المقال قاصراً على وصف أحواله ، والتأمل فيها بصراحة واخلاص وانصاف . وليس قصرنا هذا المقال على الشباب الذى يطلب العلم راجعا الى انه أرقى طبقات الشباب أو انفعها ، بل لان هذا البحث يجب أن يقتصر على وصف الحالة النفسية لذلك الفريق من شبابنا الذى يستطيع الكاتب أن يقول فيه شيئا مؤسسا على الخبرة

من الناس من يرى أن شبابنا الذى يطلب العلم هم خير عناصر الامة ، وهم الذين يصلح الوطن بهم ، ويفسد بفسادهم ، ومستقبله مرتبط بمستقبلهم . . ومنهم من لا يرى فى طلاب العلم هؤلاء سوى جماعة من الطفيليين ، الذين لا يريدون أن يجدوا فى طلب الرزق من عرق الجبين او يحتالوا على العيش بذكائهم وخبرتهم . بل جل همهم أن يجلسوا فى ديوان من دواوين الدولة حيث يعيشون بما يتناولونه من كدح غيرهم . فهم عالة على المجدين العاملين من أبناء الامة . . .

كلنا قد سمع هاتين النغمتين ، ولا شك أن فى كل منهما جانبا صحيحا . اذ لا شك فى أن الشباب المثقف هو عماد الامة الاكبر ، ومرشدها فى شدائدها . وهو لسانها الناطق ، وفكرها

المدبر . على الاقل هكذا يجب أن يكون الشباب المتعلم . كذلك ليس من شك فى أن عدداً غير قليل من الذين طلبوا العلم ، قد تبوأوا مقاعد فى دور الحكومة ، دون أن يؤدوا للامة عملا ، أو تنتفع بعلمهم وخبرتهم . فهؤلاء بلا ريب طفيليون يعيشون عالة على المجدين المنتجين من ابناء الامة . ولكن ليس الاصل فى المتعلمين أن يكونوا طفيليين . حقيقة انهم لا يشتغلون بانتاج المزروعات والمصنوعات بصفة مباشرة . ولكنهم يؤدون للامة خدمات أجل وأعظم برفعهم لواء العلم ، وبتدبير حياتها الثقافية ، والارتفاع بها الى منزلة اجتماعية محترمة ، والتفرغ لادارة شئونها السياسية والعمرانية ، وغير هذا من نواحى الحياة التى هى أرقى جوانب العيش وأسماها . فهم بلاريب أداة الترقى والتقدم ، ومن غيرها يحل بالبلد الجمود ويهوى الى الحضيض

ومن المهم جداً ونحن فى فاتحة هذا المقال أن نجيب عن سؤال خطير هو بمثابة الاساس الذى يجب أن يبنى عليه الموضوع كله . وهذا السؤال هو : ما الوظيفة التى يؤديها الشباب المثقف للامة ، والتى يجب أن تعده للقيام بها ؟ ... ليس الشباب مجرد طائفة من الامة نريد أن ننشر فيهم العلم حبا فى نشر العلم ، من غير أن يكون نصب أعيننا غرض واضح نرمى اليه بهذا التثقيف والتهذيب . وهذه النقطة موضع خلاف بين القائمين بالتعليم العالى

ولا بد لنا أن نقرر هنا وجهة نظرنا فى هذا الأمر وهى أن للتعليم العالى غاية وهى اعداد الشباب لقيادة الامة وارشادها ، أى ينبغى أن يعد الشباب للوظيفة التى يجب أن يؤديها . والتى من أجلها وجد ، ومتى اتفقنا على هذه النقطة سهل علينا أن نمضى فى بحثنا هذا

فالشباب الذى نريد أن نصفه ههنا هم أولئك الفتيان الذين نعدهم لخدمة الامة المصرية ، والذين لايكفى فيهم أن يكونوا مرآة صادقة تنعكس فيهم صورة قومهم ، بل يجب أن يكونوا أرقى وأذكى وأشرف من سائر الامة لكى يستطيعوا اصلاحها . ولهذا كان لا بد للتعليم العالى ، الذى تنفق عليه الامة تلك الاموال الطائلة ، أن يكون وسيلة لاعداد المصلحين القادرين على هداية الامة وارشادها . إن هذه الحقيقة ليست واضحة لعقول الكثرة العظمى من شبابنا ، ومن الاسف انها ليست أيضاً واضحة فى عقول كثير من القائمين بالتعليم العالى ، ومع ذلك فهى حقيقة لاشك فيها ، فليس تثقيف الشباب سوى وسيلة لاعداده للخدمة العليا للامة

فهل تدل نفسية شبابنا على انه كفء للاضطلاع بهذا العبء الهائل الشريف ؟ .. اننا سنحاول فى هذا المقال أن نجيب عن هذا السؤال . وسنبدأ بوصف حالة الشباب كما نعرفها فى ظاهراتها المختلفة ، ثم نحاول بعد ذلك أن ننظر فى الظروف التى شكلتها وكونتها

ان الحالة النفسية للشبان يجب أن ينظر اليها من نواح ثلاث : الناحية الجثمانية ، والناحية الفكرية ، والناحية الروحية . فان هذا هو ثالوث التربية المشهور . وليس من شك فى أن المادة الاولية لشبابنا (أى الاطفال المصريين) لا يقلون ذكاء ولا استعدادا عن اطفال أى قطر

من أقطار العالم . فاذا كان هنالك قصور فى حالة الشاب المصرى ، فيجب ان نرجع أمره الى الصانعين الذين القيت فى ايديهم المادة الاولية ، فلم يحسنوا الصنع والانتاج . فلننظر اذن فى حالة شبابنا من هذه النواحى الثلاث :

الناحية الجثمانية

لقد يجول بنفس معترض أن الناحية الجسدية ليست من الحالة النفسية فى شىء ، واننا قد اقحمناها فى موضوعنا اقحاما ، بل وأسرفنا حيث قدمناها على جميع الاعتبارات الاخرى . والحقيقة أن الاستعداد الجسدى هو الاساس الذى يقوم عليه بناء العقل والروح ، ومن غيره يتقوض البناء وينهار . واذا كنا نشك فى اهمية الاستعداد الجثمانى فما علينا الا أن نتذكر مسائل خطيرة كثيرا ما نتحدث عنها ، مثل الروح الرياضية ، والقوة المعنوية ، والعادات غير الصحية من تدخين وسهر ولهو واسراف على الروح والجسد ، فاذا ذكرنا هذا كله فانه يستحيل علينا أن ننكر ان الناحية الجسدية هى الركن الركين للحالة النفسية

ان شباب الجامعة لايصل اليها إلا بعد أن يقضى أعواما طوالا فى محاولة الوصول اليها . وقليل من الاساتذة من يكلف نفسه سؤال عدد كبير من تلاميذه عن حالتهم الصحية ، وعما إذا اعتادوا بعض العادات مثل التدخين ، وعن المسكن الذى يعيشون فيه وعن الغذاء الذى يتناولونه وما شاكل ذلك من الامور . قليل من الاساتذة من اهتم بسؤال الطلبة عن هذا ، ولكن القليلين الذين اهتموا بهذا الامر والذين راقبوا الطلبة عن كثب فى رحلاتهم وسياحاتهم ، قد أدهشهم أن رأوا وراء المظهر الصحى الخداع ، الذى يبدو على محيا الطلبة عامة ، حقيقة لايمكن أن يطمئن اليها من يهمه أمرهم . ان الشباب هو زمن القوة الضخمة الشديدة ، التى تفرق منها الامراض ، وتهرب منها العلل والاسقام وتستطيع أن تضطلع بالاعباء الثقال ، فلا تزداد معها الا شدة وقوة ، تلك حال الشباب فى كل بلد وفى كل جيل يدرك معنى التربية ومعنى اعداد النشء للحياة . وليس من شك فى أن بين شبابنا أفراداً افذاذاً يعدون مثالا صالحا للشباب القوى المتين ، ولكن ليس من شك أيضاً فى أن الكثرة الهائلة من شبابنا ضعفاء مرضى برغم مظهر الصحة ، وحالتهم الجسدية تبعث على الالم ، ويصعب على المرء أن يتصور كيف يستطيع انسان أن يشق لنفسه فى الحياة طريقا بمثل هذا الجسم السقيم الضعيف! اننا للاسف لانمتحن الطلبة امتحانا جسديا ، لنعلم أيهم يستطيع أن يقوم بمجهود جسدى عنيف ، ولانبلوهم لنعلم أيهم يمارس ألعاباً يقوى بها جسده ويزهو بها صحته وتعلمه الجلد وضبط النفس واحتمال المكاره ، لسنا نسألهم عن شىء من هذا ، ولذلك نراهم قد اهملوا جسدهم اهمالا شائنا بل لقد أخذ اكثرهم يؤذى جسمه بمختلف العادات الشنيعة من سهر وتدخين ولهو فاسد . وبسبب هذا كله أخذ شبابنا ينظر الى الرياضة كأنها

احتكار قاصر على طائفة محدودة من الشباب قد استأثرت بالرياضة البدنية من دون الشبان جميعاً. وهؤلاء قد اخذهم الزهو ومال بأعطافهم التيه والخيلاء، ظناً منهم انهم فريق ممتاز يجب ان يكرم ويسترضى وتبذل من اجله التضحيات المادية (من ملابس تشترى ومضارب وادوات للعب). وبعض التضحيات الأدبية كالتسامح فى تطبيق قوانين المعاهد العلمية ولوائحها

وما بين هؤلاء المزهوين المدللين ، الذين لايستنكفون ان يلبسوا الثياب التى يشتريها لهم غيرهم ، وما بين الطائفة الكبرى من الشباب الذين قصروا فى امر الرياضة اشنع تقصير ، قد قبرت الروح الرياضية وقضى عليها القضاء المبرم فلم يبق لها بين شبابنا اثر حقيقى

ولو انى خيرت فى عمل اصلح به شبابنا دون أن يكلف الطلبة او الدولة شيئاً لطلبت أمرين: الاول ان يقضى على تلك العادة المزرية التى تقضى بان يدلل الطالب الرياضى وتبذل له الثياب والأدوات وانواع المغريات من مال غيره . والأمر الثانى ان أقصر التعليم العالى على الذين يستطيعون أن يثبتوا أنهم فى حالة من الصحة والقوة تمكنهم من القيام ببعض الاعمال الرياضية المعقولة . فاذا قيل لى : انك تريد بهذا أن تربى جيشا لا طلابا ، اجبت : كلا ، بل نريد أن نربى قادة للامة سيضطلعون باثقل الاعباء وهم احوج الناس الى قوة جسم وجلد واحتمال للشدائد ، فوق ما رزقه عامة الناس . ومن بعد أن تصبح الروح الرياضية راسخة فى نفوس الجميع لا أرانى بحاجة لان انصح بعلاج لما قد يتعرض له الطلبة من عادات قبيحة متلفة للصحة ، فان الرياضة كفيلة بأن تحول دون تمكن أمثال تلك العادات

الناحية الفكرية

يصل الطالب الى الجامعة متسلحا بشهادة الدراسة الثانوية أو ما يعادلها . والشروط الواجب توافرها لنيل تلك الشهادة ، شروط قد سهلت جداً ورقت جداً بحيث أصبح من الصعب أن نتصور أن كائنا من كان لا يستطيع تحقيقها . واذا كان التعليم العالى هو الوسيلة لاعداد الذين سيتولون قيادة الامة ، فمن البديهى أن عددا كبيراً من الذين يجتازون ذلك الامتحان لايصلحون لدخول الجامعة . ومع ذلك فقد اكتظت دور التعليم العالى بجماهير لا تصلح له ولا يصلح لها . والنتيجة المحزنة حقا هى أن جهود الأساتذة قد وزعت وشردت بين عدد هائل ، ولهذا لم تكن دائما مثمرة الثمرة المرجوة !

وأكبر مايلاقيه القائمون بالتعليم العالى من العناء هو أن يبذروا فى نفوس الطلبة روح حب العلم ، والرغبة فيه رغبة صادقة ، والولع بالبحث العلمى بحيث يصبح شغفاً وعاطفة قوية فى النفس . واذا لم تنجح فى خلق هذه الروح العلمية فمن العبث التحدث عن تعليم عال . وايجاد مثل هذه الروح هو المقياس الذى يجب أن نقيس به مبلغ نجاحنا فى تثقيف شبابنا ، وبهذا المقياس

لا يمكن لنا أن نزعم أننا نجحنا نجاحاً باهراً . فالكثرة العظمى من شبابنا تعمل لأجل (المرور) فى الامتحان، وأكثرهم يسألك عن كتاب فيه كل (المقرر) . وعبثاً تفهمه أن العلم لا يعرف شيئاً اسمه مقرر ، وأن ليس هنالك كتاب واحد يشتمل على العلم كله

لقد يكون هذا كله أو أكثره أثراً من آثار التعليم ، أو سوء التعليم ، الثانوى .. ولكن يحول دون اصلاح الحال بين جدران الجامعة ، وجود هذا العدد الهائل ، الذى يستحيل معه التفرغ لاصلاح الافراد . فان أساس التعليم الجامعى هو الاتصال الشخصى المتين بين الطالب والاستاذ . وقد تهدم هذا الركن الأساسى يوم كلف الاستاذ أن يجمع المئات من الطلبة للدرس فى فصل واحد ! . . . اننا لسنا صريحين مع أنفسنا ، فاما أن يكون هذا العدد الهائل كله صالحا للتعليم العالى ، فيجب أن تخلق له جامعة جديدة أو جامعتان . أو أنه لايصلح لهذا التعليم ، فيجب أن نصرفه عنه . والقسوة فى هذا هى الرأفة بعينها . أما الحالة التى نعانيها اليوم فقد ضاع فيها المظهر الأكبر للتعليم العالى ، وضاعت الفرصة التى يمكن فيها تكوين نفسية الطالب من الناحية الفكرية وبث الروح الجامعية فيه

الناحية الروحية

اننا فى الجامعة لا نتعمد اصلاح الناحية الروحية فى الشباب . ولكن المفهوم أن تربية الروح تأتى ضمنا ومن غير تكلف إذا كان التعليم العلمى والفكرى صالحا ، قد انبعث فيه الروح الجامعية كاملة غير منقوصة . ومن الممكن ان يكون الاتصال العلمى بين الاستاذ والطالب وسيلة من وسائل التربية الروحية . وفى الأحوال القليلة التى تيسر فيها مثل هذا الاتصال استطاع الطلبة بكثير من النجاح أن يكتسبوا شخصية واضحة لا تغمرها شخصية الاستاذ ، وصحة نظر الى الاشياء ، ونظرة جدية فى الحياة ، وتولدت لديهم فكرة السعى وراء تكميل النفس واعلاء شأنها . ومن الجائز أن شابا ممتازا قد يصل الى هذا كله من تلقاء نفسه ، ولكن ترك الطالب لنفسه كثيرا ما يجعل من الصعب عليه أن ينتقل من مرتبة الشباب الى مرتبة الرجولة . ولهذا فاننا كثيرا ما نرى فى أخلاق شبابنا كثيراً من الصبيانيات مثل حب المراء والجدل ، والاندفاع من غير تفكير ، وعدم المقدرة على الحكم على الاشياء ، والعجز عن ضبط النفس ، والاستهتار ، والفوضى فى المجتمعات واللجان ، وحب العبث غير الجدى والنكات فى كل لحظة . وكل هذا من عيوب الصبى التى يجب أن يقومها المران والنظام الشديد والقدوة الصالحة

ومن الأسف ان مئات الشباب يتركون معاهد العلم وفيهم جميع تلك الصفات ، فيدخلون ميدان الحياة من غير العدة الروحية اللازمة . وذلك لأن فرصة الاصلاح فى التعليم العالى أقل بكثير مما ينبغى بسبب ازدحام المعاهد ذلك الازدحام الهائل . وبالرغم مما عليه شبابنا من قصور

فكرى وروحي لا شك فيه ، فانك تستطيع ان تلمس الغرور فى نفوس الكثير منهم . فترى بينهم مؤلفين يخرجون كتبا وهم بعد عاجزون عن التفكير الصحيح ، وقد ساعدهم فى غرورهم هذا انتشار الصحف الرخيصة ، التى تفتح أعمدتها لكل من يخط حرفا ، فبات من الشاق على مثل هؤلاء الشبان ان يعرفوا لنفوسهم مكانها ولجهودهم قدرها . وربما قضى الشاب منهم وقتا غير قليل فى مثل هذا العمل الذى يدفعه اليه اعجابه بنفسه ، بينما تراه عاجزاً عن تركيز فكره لدراسة موضوع علمى عميق . مما يكلف بدراسته فى حياته الجامعية

ومن النواحى الروحية الخطيرة التى لا بد من النظر فيها عند شبابنا مسألة الدين ، ودرجة تمسك شبابنا بالمبادىء الدينية . فهل عامة الشباب متدينون أم شاكون ، أم غير متدينين أم غير مكترثين ؟ ... ليست الاجابة على مثل هذا السؤال بالأمر السهل ، فان كثيرين من شبابنا ليسوا صريحين مع أنفسهم ، وليس من السهل استجوابهم فى هذا الأمر . ومع ذلك فان هذا الموضوع على جانب غير قليل من الخطورة ، فان الروح الدينية المتينة معناها نظرة جدية فى الحياة والغاية منها ، والتفكير فى الناس وفى معاملتهم . وغير هذا من الأمور ذات الأهمية العظيمة . والظاهر ان أكثر شبابنا لا يزال متحمسا للدين ، ويعلن تمسكه به بكل قوة . ولكن الايمان الصحيح المتين ، والتفكير الدينى الهادىء العميق ، هذا وأمثاله أمور بعيدة عن نفسية شبابنا . فان أكبر ما يعوزهم هو بالضبط تلك الروح الجدية والخلق الهادىء العميق الذى يكتسبه المرء من الايمان

ولقد كان من مظاهر الحياة الجامعية أمران لا بد من ذكرهما : الاول ازدياد الاتصال بين الاساتذة والطلبة . والثانى شىء من الاختلاط فى دور العلم بين أبنائنا وبناتنا . فأما الامر الاول فكثيراً ما نسمع شكوى بأن فريقا كبيراً من شبابنا قد أساءوا فهم الصلة بين الاستاذ والطالب ، ودفعهم تبسط الاساتذة الى شىء كثير من عدم الاكتراث وقلة التوقير . ومع الاعتراف بأن هذه الشكوى ليست بلا أساس تستند اليه ، فاننا مع ذلك نقرر بكل تأكيد ان الفريق من الشباب الذى ينطبق عليه هذا الوصف فريق قليل جداً . ولو ان دور العلم فتحت للذين يصلحون لها وتصلح لهم لما كان لهذا الفريق وجود بين جدران الجامعة وأمثالها من معاهد العلم العالى . أما الامر الثانى فكثيراً ما نسمع شكوى بأن عدداً كبيراً من شبابنا قد أثبت عجزه عن تقدير الظروف الجديدة الدقيقة ، التى سمح فيها للفتاة المصرية ان تغشى دور العلم وان تنال حظها من التعليم العالى . وبالرغم من ان هذه الشكوى قد لا تخلو من صحة ، فان الكثرة العظمى من شبابنا لن يلبثوا حتى يعتادوا هذه الحالة الجديدة ، ويسلكوا المسلك الملائم لها . وليس من شك فى ان الفريق المشكو منه فى هذه الحال هو نفس الفريق الذى يشكى منه دائما لانه غريب فى معاهد العلم ، ولم يكن له ان يدخلها أو يقيم فيها

وهنالك ناحية أخرى لنفسية شبابنا تختلف نوعا عن النواحي التي ذكرناها ، وهي ان شبابنا اليوم يواجه أزمة خطيرة لم يكن يواجهها من قبل . وهذه هي أزمة البحث عن مورد للكسب بعد ترك معاهد العلم . فلقد أصبح جميع شبابنا يعلمون حق العلم ان موارد الرزق قليلة ، وان سبل العيش قد ضاقت . وانهم ان يمموا دور الحكومة باحثين عن « وظيفة » فسيجدونها قد اكتظت الى أقصى درجات الازدحام ، وانه على فرض وجود أمكنة قليلة ، فانها لن يحظى بها سوى (المحاسيب) . أما الحياة الحرة التي تليق بهم وبدراستهم فقد نافسهم عليها هؤلاء الاجانب الذين تبوأوا جميع المناصب في الاعمال التجارية والمالية وقاطعوا المصرى مقاطعة شديدة

هذه المشكلة التي يواجهها شبابنا اليوم هي الناحية النفسية الوحيدة التي تحمله على شيء غير قليل من التفكير الجدى وسط ما ألفه من العبث الكثير واللهو واللعب . ومن الممكن لشبابنا ان يعالج هذه المشكلة بأن يرقى بنفسه وبتعليمه الى مستوى عال جداً بحيث يضطر بتفوقه ونبوغه أصحاب الاعمال الى تفضيله واستخدامه . ولكن هذا الطريق شاق عسير ، وشبابنا يطلب الطريق السهلة اليسيرة . . ومع ذلك فاننا نحن قد خلقنا هذه المشكلة الى حد ما يوم قررنا ان تحتشد دور العلم بتلك الجماهير الهائلة التي يستحيل تعليمها تعليما صحيحا بسبب كثرتها . ثم أخرجناها الى سوق الحياة قاصرة قصوراً واضحا عن المستوى الذى يجب ان تصل اليه . . . ولقد أسرفنا اسرافا شديداً في أن ملأنا السوق بعدد هائل من طالبي الوظائف ، ثم نعجب بعد ذلك أن ليس في الميدان وظائف كافية لهم جميعاً .

ومع ذلك فان مشكلة المتعلمين العاطلين في مصر ليست أشد تعقيداً ولا أكثر صعوبة من مشكلة العاطلين من غير المتعلمين . وهي في الحقيقة جزء من مشكلة ازدحام مصر بالسكان في عصرنا هذا ازدحاما شديداً خطراً . فبالرغم من ان لدينا متعلمين عاطلين قد ألفت لجان لمعالجة حالهم ، فان في البلد عاطلين من طوائف أخرى لم تؤلف لهم لجان ولم يهتم بشئونهم أحد . فلدينا عمال عاطلون في مختلف نواحي الحياة ، وآخرون يشتغلون من غير انتظام . والريف المصرى ممتلىء بأناس يعيشون فيه دون ان تكون بالريف حاجة لعددهم الهائل ، ولئن كانت مرتبات المتعلمين قد نقصت - بسبب كثرتهم وتزاحمهم وتدافعهم - فكذلك قد نقصت أجور العمال نقصاً فاحشاً ، وأجور الفلاحين نقصا مزريا

هذه بعض النواحي لنفسية شبابنا لم نرد بسردها سوى محاولة اظهار حقيقة الحال عسى ان نتعاون جميعا على السير في طريق العلاج والاصلاح

محمد عوض محمد

شيخ يبكي شبابه

بقلم الأستاذ حسين شفيق المصري

تذكر بعد أن شاب الشبابا — فأنَّ وقد دعاه فما أجابا
وشاقته الأوانس والحميا — فود من التشوق لو تصابى
وعاوده هواه فكاد لولا — وقارُ الشيب يوسعه عتابا
ولولا أن يقال دَهاه مس — تخولط ما تأبيت الخضابا
ومن ظن الشباب صبيغ شعر — فان الصقر قد أمسى غرابا
ومن يكتم حساب سنيه يوما — فصفحة وجهه تبدي الحسابا
ولست بمضحك مني الغواني — إذا أفسدن بالسُّخر الدعابا
ففيم تلابس الأهواء نفسي — خرجت من الحياة ولا مآبا
بقاء الشيخ في الدنيا فناء — ولو ملك النواصي والرقابا
وهل بعد الشباب له حياة — وقد لاقى المنية حين شابا

***

أيا حزَنا عليَّ ولست أنسى — ليالىَ كنت أحسوها شرابا
ينادمني غضيض الطرف صاح — ذكيٌّ يستبيك اذا تغابى
يميل بكأسه يسقيك منها — صفاء بعد أن رشف الحبابا
فلا أدري أ كانت من رحيق — كنفح الطيب أم كانت رضابا
سُحرت وهل شرابك غير سحر — وضوء الشمس بين يديك ذابا
حنانك أبق من عقلي قليلا — لأعلم حين تسألني الجوابا

***

فما أبقى الزمان على إلا هواجسَ تجعل البقيا عذابا
إذا متعت نفسي قبل شيخ يضل ومزقوا جلدى سبابا
فان دافعتها غزلوا شكوكا نحاك وألبسونيها ثيابا
وقالوا لم يتب ورعاً وزهدا ولكن لم ينل أرباً فتابا
ولو عاد الشباب وعدت ألهو وأقصف ما رأوا في اللهو عابا
ومن كان الشباب له شفيعاً يقولوا حين يخطىء قد أصابا
فان كبر الفتى وعلاه شيب لحوه ولم يلج للشر بابا
فمن ظن المهابة في انزوائي فليس السجن إلا أن أهابا
تخذت بياض رأسي لي حداداً على عمر الشباب فوا شبابا

حسين شفيق المصرى



الشباب وتذوق الفن

(بقية المنشور على صفحة ٦٥٠)

يعرف ما هو الغناء ، ويشعر بتناسب الأوضاع وتجاوب الالوان فيما يحيط به من مظاهر الخليقة ، ولما يعلم الكلمات والالفاظ التى يعبر بها عن كل هذه المشاعر . فهو قد أدرك وجود الجمال عن طريق الاحساس، فلا ينقصه بعدئذ الا ادراكه عن طريق العقل والمنطق وهو عمل المدرسة والكتب . على أن مجرد الشعور بوجود الجمال فى المخلوقات والاشياء طفرة كبرى فى التكوين الروحى للطفل . فما الجمال الا المظهر الخارجي والثوب البادى للنواميس العليا ، ففى ادراك وجوده ادراك خفى مبهم لعظمة تلك القوانين التى تنظم الوجود . وهذا الادراك للجمال هو كل شرف الانسان وفضله ، وهو وحده الذى يميز الانسان عن سائر الحيوان . فلو شعرت الحيوانات يوماً بالجمال لما لبثت حيوانات دقيقة واحدة

تلك كلمتى للشباب القيها فى مطلع الربيع عسى أن تصيب من أنفسهم أرضا صالحة فى مطلع ربيعهم

توفيق الحكيم

حيرة الشباب وحكمة الشيوخ

بين كارليل الشاب ، وجيتى الشيخ

بقلم الأستاذ على أدهم

الشباب هو ربيع الحياة وعصرها النضير . تتراءى لنا الدنيا خلاله مسفرة زاهية كالحلم اللامع الوضيء يزدهينا رونقه ويملأ نفوسنا بالمرح ويفعمها بالأمل . وفى الشباب ظل من الابدية ونفحة من الخلود تقوي فينا الثقة بالنفس ، وتهون علينا احتمال ما يتصدى طريقنا من العقاب ، وتدفعنا الى ركوب الاخطار واقتحام المجاهل ، وفى الشباب لايحد الطموح ولا تنتهى الرغائب ويمتد أمامنا المستقبل منبسط الافياء حافلا بالاحتمالات ويخيل الينا أننا نستطيع مسابقة الايام ومسايرة حركة التقدم . وهذه الغرارة البريئة تقربنا من الطبيعة وتذهلنا عن آلام الحياة وغير الدهر، فلا نفكر فى الفناء وسطوته ولا فى الموت ورحاه الدائرة . ولكن ان كان الشباب هو عصر الآمال الزاهرة والاحلام الحسان والطموح الوثاب فهو كذلك عصر يقظة المدارك وتفتح الملكات . وفيه يبدأ الانسان يفكر تفكيراً جديا فى علاقاته بالكون ويحاول أن يتعرف أسرار الحياة الملغزة وغوامضها المستبهمة ومصيره وغايته . وقد يضل فى تيه التفكير ويفدحه العجز عن ادراك خفايا الكون وحل مشكلاته ، وتشتبه عليه الطرق وتتنكر له المعالم ويخيم على نفسه الشك فتسلب الدنيا فى نظره من جمالها وتأفل طوالعها وتخور عزيمته ويحتازه اليأس المضيض . وفى هذه الازمة العسراء والموقف الضنك قد يستفيد الشباب من حكمة الشيوخ وتجاربهم ويرى فيها مايرد عليه عازب ثقته بنفسه ويعيده الى الحياة والجهاد فى صورة جديدة بالتأمل

> شاب وشيخ كلاهما يخالف صاحبه في النزعة والمزاج والعقيدة والوسط ونوع الفن الذي يزاوله كل منهما . ولكن الاول معجب بالثاني ، مخلص لآرائه متأثر به . فما السر في هذا الاعجاب وهذا التأثر بين شاب وشيخ حالهما كما ترى ؟ ذلك ما تقرأه في هذه المقال . وقد عني فيه الكاتب بتحليل شخصية كل منهما والعوامل التى جمعت بينهما على الرغم مما كان بينهما من تباين

وقد تجلى هذا الموقف من كل شاب فى مطالع شبابه ، خليقة بالدرس واستخلاص العبرة ، فى علاقة الكاتب الكبير كارلايل فى مقتبل شبابه بجيتى كبير شعراء الألمان فى شيخوخته . فقد كان كارلايل كسائر الشبان يبعثه توفز الشعور ويقظة النفس الى محاولة رفع النقاب عن الحقيقة الخالدة وحل لغزها الابدى ليضع لحياته أساساً مستقراً ويجد لنفسه غاية يتجه

اليها ويصمد لها . وكان يجهل استعداداته ولايدرى غايته لانه لم يكن قد اختبر بعد قدرته . ووهنت عقيدته وفقد اليقين وأخذ يسائل نفسه : من هو؟ ومن أين أتى ؟ وهل يدمن التفكير فى ذلك ثم يقبل على العمل أو يعمل أولا ويستمد من العمل فلسفة حياته ؟ هذه المسائل كانت تشغل باله وتنفى عنه الراحة والطمأنينة كما تشغل بال كل مفكر شاب دائم التفكير فى نفسه والتأمل فيما حوله . وهى من الاهمية عند امثال هؤلاء الشبان بحيث يرون ضرورة علاجها على وجه من الوجوه قبل التوفر على أى عمل

وقد شك كارلايل فى نفسه وقدرته وأخذ شكه يقوى وتتوشج اغراسه وتمتد فروعه حتى شمل كل شىء وتراءت له الدنيا مية شوهاء ، وراغ الى فكرة الخلاص من الحياة لولا أن ادركته وهو يتخبط فى هذه الحيرة العمياء حكمة جيتى فنقلته من اغوارها المظلمة ودياجيرها المتراكبة الى آفاق مشمسة ضاحية . وكان جيتى قد عالج هذه الحالة ووصفها وصفاً دقيقاً فى احزان ورتر وعرف منشأها واعراضها ودواءها . وسببها النزوع الى غير المحدود الكامن فى نفس الانسان وصراعه مع المحدود الذى يحدق بنا ويعترض سبيلنا . وليس غريبا ان يغلبنا الملل ويهزمنا اليأس عندما نرى ان آمالنا المحلقة لاسبيل الى تحقيقها فى نطاق الواقع الضيق ومجاله المحدود ، ولكن لاخلاص من الشك الا بالعمل وهذا هو الدرس الخالد الذى تعلمه حكيم شلسى من حكيم ويمار

واعجاب كارلايل بجيتى من اعاجيب الادب ونواصع صفحاته وشائق قصصه . فقد كانت ظروف حياتهما مختلفة كل الاختلاف وبينهما الكثير من تباين الشخصية وتنافر المزاج . فقد كان جيتى قبل كل شىء رجل بلاط وسيداً بارزاً فى المجتمع ، وكان كارلايل شابا ريفيا فقير الابوين شاذاً عزوفاً عن الناس يأنس بالوحدة ويستريح الى الخلوات . وكان جيتى فى أوج الشهرة وقمة المجد وهدأة الشيخوخة . وكان كارلايل فى ريعان الشباب وفورة ثورته خامل الذكر مجهول القدر . وكان جيتى شاعراً خالقاً . وكارلايل ناثرا لايجيد التغنى بالشعر ولا يحسن خلق الشخصيات الروائية . تغلب عليه النزعة الانتقادية والنظرة التاريخية . وكان جيتى وثنى النزعة مدرسى الثقافة على حين كانت الوراثة الدينية البيوريتانية شديدة التغلغل قوية الاثر فى نفس كارلايل . وكان جيتى بطبيعته أولمبيا يقيم فى الاعالى ويسكن الفراديس . أما كارلايل فكان بمزاجه الحزين ونفسه القلقة من أهل الجحيم المتسعر والهوايا الغائرة . ولست احسب تفسيرنا لتلك العلاقة بميل النقيض الى نقيضه كافيا . فانما سر هذا الاعجاب العميق والتقدير الرفيع هو عناية كليهما باعظم الفنون المعروفة وأجلها خطراً وهو فن الحياة والدرس الذى تلقاه كارلايل عن جيتى ، هو خلاصة الآراء الاخلاقية التى انتهى اليها جيتى فى شيخوخته وتعلق بها كارلايل فى بوادر حياته الادبية وظل مخلصا لها طوال حياته مقدراً من أجلها حسن صنيع جيتى مثنيا عليه فى كتبه وفصوله ورسائله واحاديثه . ولقد وصف جيتى تلميذه الشاب بانه « قوة اخلاقية ذات شأن » وقد صدق حدسه فقد اثر كارلايل فى الادب الانجليزى تأثيرا

بعيداً واطلع الانجليز من كتابات جيتى وشلر ورختر ونوفاليس على آفاق واسعة وعوالم جديدة وكان قوة عظيمة فى ايقاظ الشعور الدينى والاحساس الاخلاقى لامن جهة التقاليد والعقيدة وانما من ناحية تأمل النفس وتجربة الحياة

وقد تعلم كارلايل فى شبابه اللغة اللاتينية والفرنسية وتوسع فى الاطلاع عليهما ، وفى سنة ١٨١٩ وهو فى الثالثة والعشرين من عمره أخذ يدرس الايطاليــة والالمانية . وكانت رغبته فى دراسـة الالمانية لها بواعث كثيرة . فقد سمع باسم جيتى فى طفولته وظل هذا الاسم يدوى فى نفسه دويا غامضاً وزاد فى توجيه التفاته اليـه وعنايته به اطلاعه على كتاب مدام دى ستايل عن المانيا . وقد حضه صديق من أصدقائه الواقفين على حالته النفسية على دراسة الفكر الالمانى لانه سيجد فيه طلبته . وتقدم فى دراسة الالمانية تقدما وحياً حتى استطاع فى سنة ١٨٢٠ أن يعلن انه قد كشفت له سماء لم يرها من قبل واهتدى الى أرض ليس له بها سابق عهد . وفى سنة ١٨٢٣ عرف بعد مدى عبقرية جيتى وفرط اعتلائها وشرع يترجم روايته العظيمة « ولهلم ميستر »

وقد استمر اعجابه بجيتى ملازما له طول حياته وان كان قد انتابه فى خلال تطوره نوبات من الضعف وظلال خفيفة من الشك . ففى أثناء ترجمته لولهلم ميستر كان يقول انه كان يود لو أن جيتى كتبها بطريقة أخرى . وقال انه فى بعض الاحايين يجثو على قدميه ويعبد جيتى وفى أوقات أخرى يود أن يطرده من حجرته . ووصف مرة نفس رواية « ولهلم ميستر » بأنها « أكوام مركومة من التراب والقش والريش ولـكن هنا وهناك درة يتيمة » . وكان يقول عن جيتى انه عقل كبير راجح ولـكنه كثير العيوب والمتناقضات. وفى سنة ١٨٢٨ أثناء تبادل الرسائل بينهما طلب الى أخيه « جون » أن يمر فى طريقه بويمار ويرى أى نوع من الرجال جيتى لانه من أمره فى لبس . وفى سنة ١٨٣٦ لما قرأ محادثاته مع اكرمان خاب ظنه وقال عنه إن كثيراً من معاييره للاشياء والاشخاص خاطئة . وفى السنة التالية كتب يقول : « لقد فرق الدهر بيننا ولـكن ذكراه ستظل فى نفسى ناضرة فينانة لانه أنقذنى من الهلاك المحتوم » . أذكر ذلك لابين ان اعجاب كارلايل بجيتى لم يكن اعجابا مطلقا ولا حبا أعمى وانما كان اعجابا مشوبا بعرفان الجميل والحرص على رعاية العهد لانه أدى اليه خدمة كبيرة وخيراً عميا يضاف الى ذلك بطبيعة الحال اعترافه بعبقرية جيتى واكباره لملكاته الادبية وقدرته الفنية . وقد عبر كارلايل عن تقديره لهذا الجميل فى مناسبات شتى . ففى سنة ١٨٢٧ كتب اليه ضمن رسالة : « ان انقاذى من الهاوية وهدايتى من الظلمة الحالكة ومعرفتى لنفسى وتبصيرى بواجباتى ووقوفى على غايتى ــ كل ذلك انما استمددته من كتبك ، ولك أكثر مما لأى انسان آخر أتوجه على الدوام بشكرى واجلالى وشعور التلميذ نحو استاذه بل شعور الابن نحو أبيه الروحى » وفى سنة ١٨٣٢ كتب الى أخيه جون يقول : « انى لا أفتأ أشكر الله الذى قيض لى رجالا من طراز رختر وشلر وجيتى وبخاصة الاخير لانه كان الجميل الهادى » وفى سنة ١٨٦٦ كتب فى ذكرياته : « أما ماضمر

نفسى من السرور وعرفان الجميل فلا تُرك لكل روح تقية صالحة تقديره . فقد أصبحت وأنا الفقير المجهول الذى لا يبسم له أمل ولا ترفه عنه تعلة مستقلا عن الدنيا غنيا عنها . وقد شعرت إذ ذاك وما أزال أشعر أنى مدين لجيتى فى هذا الصدد فقد تسلق قبلى الطريق الوعر » . وصرح لغير واحد من خاصة أصدقائه انه لولا ان أدركه جيتى فى أزمته لكان وضع حداً لحياته . ومقالاته عن الادب الالمانى وعن جيتى خاصة كلها تؤيد ذلك . ومراسلاته لاصدقائه كلها حض على دراسة جيتى والاغتراف من ينبوعه والاسترشاد بحكمته ، وقد ظل الى آخر حياته وأحب الكتب الى نفسه الكتاب المقدس ومؤلفات شكسبير وجيتى

وقد رأى بعض من كتبوا عنه انه تأثر بالفيلسوف فخت أكثر مما تأثر بجيتى . ولكنى أشك فى صحة هذا الرأى لان المعروف عن كارلايل انه كان يضيق ذرعا بالدراسة الفلسفية المستفيضة ولا صبر له على التفكير المجرد وبحوث ما وراء الطبيعة لانه كان كثير العناية بالاشخاص والحوادث وكان اشتغاله بهما أكثر من اشتغاله بالافكار والنظريات والجانب الفنى فى نفسه أرجح بكثير من الجانب النظرى والنظرة الاخلاقية عنده أقوى من النظرة الفلسفية وقد اقتصر من فلسفة فخت على كتبه السهلة التناول التى توجه بها فخت الى عامة الشعب . وهذه قرأها كارلايل فى شغف وعناية وقدرها وأعجب بها واقتبس بعض أفكارها فى كتبه ولكنها لم تؤثر فى تفكيره بوجه عام تأثيراً عظيما كتأثير جيتى

وكان الشك قد غمر نفس كارلايل وتمشى فى عقيدته فأسقمه ذلك وأتلف صحته وظل الى آخر حياته يعانى عقابيل تلك الأزمة ، وقد علل بعض مترجمى حياته فساد صحته بنقص التغذية فى طفولته ، والبعض عزاها الى شدة اكبابه على الدرس واجهاد عينيه فى الاطلاع . ولكنه هو نفسه كان يعزو عسر الهضم الذى لازمه طول حياته ونغص عليه عيشته الى الحيرة التى تغشت نفسه فى ذلك الوقت والمعارك الروحية الحامية التى خاض غمارها والثورات النفسية العنيفة التى اصطلى بنارها . وقد كتب عن ذلك فى ذكرياته يقول : « ان صحة الجسم كانت كل ما فقدته فى هذه المعركة الرهيبة التى خرجت منها ظافراً » . وقد أوجدت كتابات جيتى عنده الشك فى المعجزات وقوى ذلك الشك اطلاعه على فلسفة هيوم . ومن غريب الحوادث ان هذا المتحمس الدينى والواعظ الاخلاقى قد وجد الخلاص فى رواية عن جماعة من الممثلين المتنقلين والممثلات

وقد كان جيتى روحا شاملة واسعة الاحاطة فى صميمها الشعر . وكانت حكمته ثمرة حياة حافلة وحصاد تجربة منوعة كثيرة الجوانب . وقد اكتسب كارلايل فى غضون ترجمته لكتبه ودراسته لمؤلفاته الكثير من كلماته وتعابيره ، كحديثه عن السر المكشوف ورأيه فى أن التجربة خير معلم وأن كان ثمن الدرس غاليا وان الجمال أسمى من الخير . ولكن هذه أشياء كان يتخذها كارلايل حلية لاسلوبه . ونحن نريد ان نلم ببعض الوصايا والحكم التى اتخذها قاعدة لحياته وأساسا لتعاليمه وظل

يبشر بها ورفع صوته عاليا بالدعوة اليها حتى طواه الموت واسكت نأمته

وقد كانت رواية «ولهلم ميستر» هي المنجم الذى استغله كارلايل واستخرج منه حكمته. وعندما يقرأ الانسان هذه الرواية تخالجه أول وهلة الدهشة لاعجاب كارلايل بها. والواقع انه استخلص من هذه الرواية العناصر التى تلائم شخصيته وتحل مشكلاته وتفتح عينيه على الحياة الصالحة. وقد أصاب فيها حكمة جيتى الاساسية، وهى أن الانسان سيد نفسه وفى وسعه أن يصوغها على مشيئته، وان الحياة الاخلاقية إن هى إلا جهاد مستمر وتطور دائم، وان طريق الخلاص هو العمل فهو الذى يطلق الانسان من الاسر ويحل عقال استعداداته ومواهبه. ورأى كارلايل ان اكبر درس يتعلمه من ولهلم بطل الرواية هو ان الانسان عليه أن يحدد وظيفته ويطرد الاوهام ويثابر على العمل. ولم تغب عن عينه البصيرة وذوقه الناقد عيوب الرواية ونواحى ضعفها وخلوها من المشاهد الحية واقفارها من روح الفكاهة المستعذبة. وكانت تستهويه منها شذرات منتثرة وفصول قائمة بذاتها فيها اشارات موحية فى جلاء غرائب الحياة وعلاج مشكلاتها ودراسة عالية لفن الحياة

وقد ورد فى هذه الرواية: «ان الخطة المثلى هى ان أعمل الواجب القريب منى»، وجاء فيها: «ما أغنى وما أوفر أهمية الواجب القريب منى»، وبها: «إن الشك مهما يكن نوعه فانه لا يزول الا بالعمل»، وعاد جيتى فأكد ذلك فيها بقوله: «دع هذا الذى يتحسس طريقه فى الظلام والضوء المرتجف ويدعو ويبتهل لاقبال الفجر، يستمسك بهذه الوصية ويحرص عليها أشد الحرص، وهى أن يعمل الواجب القريب منه، فاذا قام بذلك اصبح الواجب الذى يتلوه أوضح طريقا وأبين مظهراً». وقد كانت فكرة الواجب عند جيتى حكمة عملية تسيطر على اكثر أعماله ودوائر نشاطه. وقد وجد الخلاص فى العمل المستمر سواء فى العلوم والفنون والاداب وفى واجباته الرسمية فى ويمار. وكان فى أوقات صفائه يشكر الله لتنوع تفكيره الذى مكنه من أن يقسم يومه الى اقسام عدة ويجعل منه ابدية مختصرة. وعندما كان يطغى عليه الحزن ـ كالحزن الذى تولاه عقب موت صديقه شيلر ـ كان يعترف بمرارة بضرورة عمل ما بين يديه دون ان يفكر فيما هو ابعد من ذلك. ولما فجع فى ابنه الوحيد لم يتوقف عن العمل يوما واحداً. وهكذا فى كل الظروف كانت نصيحته ان نرقب الطريق ونعمل، والعمل يحمل فى طيه مثوبته. أليس هو أنماء لقوى الانسان الى أقصى حدود استعداداته وخير ضمان لخلود ذكره؟

وكان موقف كارلايل مخالفا تمام المخالفة لموقف جيتى. فقد درج كارلايل فى ظلال عقيدة بليت واخلقت جدتها ولكنه كان ولوعا بها شديد الحنين اليها. وكان غارقا فى تفكير مؤلم يبحث عن الخلاص ويلتمس شاطىء النجاة ونور الهداية حتى وقف على عمق حكمة جيتى فى قوله: «اعمل الواجب القريب منك»، وهى عند جيتى سياسة عملية حكيمة اكثر مما هى حكمة نظرية وفكرة

دينية . وقد صارت هذه الكلمة البسيطة في ظاهرها انجيل العمل عند كارلايل يحتذيه ويبشر به حتى قال عنه تندال : « لم يتكلم أحد عن الواجب ومقتضياته والعمل وجلاله بمثل ماتكلم به هذا الرجل » وهناك فارق كبير بين فهم كل من جيتى وكارلايل لفكرة الواجب . فقد كان جيتى يرى الواجب حكمة عملية تعينه على استجاشة قواه وانماء مواهبه وتسنمه أعلى مراتب الثقافة . أما عند كارلايل فقد أخذت الفكرة لوناً دينياً وكان فى قيامه بالواجب كأنه يستمع الى صوت مقبل من العالم غير المنظور . انظر الى قوله فى مقالة « الخصائص » وهى من أروع كتاباته : « هنا فى هذه الدنيا انما نحن جنود نحارب فى أرض غريبة ولا نفهم خطة القتال وليس بنا من حاجة الى فهمها مادمنا نرى جيدا واجبنا القريب منا . فدعنا نقم به كجنود فى خضوع وشجاعة وسرور ينم على البطولة »

ولم يكن غرضه من وراء اداء الواجب تحصيل العلوم وتوسيع افق الثقافة وانما كان تعميق اعتقاد راسخ فى نفسه وهو أن كل شيء فى هذه الدنيا تسيطر عليه القوة والحكمة والحب

والنظرية الثانية الهامة التى تعلمها كارلايل من جيتى هى نظرية الاحترام فى مظاهره الثلاثة : الاحترام لمن هو « أسمى منا » والاحترام لمن هم حولنا والاحترام لمن هم دوننا . وقد تفرع من نظرية الاحترام هذه رأى كارلايل فى الابطال وعبادة البطولة لان هذه العبادة قائمة على احترام من كان اسمى منا . وفكرة الاحترام لمن هو دوننا قوت فى نفسه عنصر المسيحية وجعلته يقول بعبادة الحزن وا كبار الالم والشقاء

وتعلم منه كذلك نظرية الاستسلام وانكار الذات . ومعناها عندها قصر الجهود على ناحية معينة وحصرها فى أضيق نطاق ممكن ، لان توجيه الجهود فى منحه واحدة معناه التغلب على الاهواء والنوازع والخلاص من أسر الرغبات والارتفاع من الانانية الى حب التضحية ، وهو من قوة التأثير على الحياة بحيث أن جيتى عده بعد العمل أهم مبدأ من مبادىء الحياة . وكان انكار الذات عند جيتى يبدو فى مظهر تجرد الرجل الذى ينشد الثقافة من الاهواء وتخلصه من القيود . أما كارلايل فقد فسره تفسيراً يلتئم مع حياته الروحية ونشأته القاسية ونزعته الرواقية وما كابد فى حياته من البأساء والفاقة

وتعلم كارلايل من جيتى اشياء أخرى كثيرة لا يتسع المقام لتفصيلها . وأقف منها عند هذا الحد وارجو أن يجد القارىء فى تأمل العلاقة بين هذين الرجلين الكبيرين عبرة صالحة ودرسا نافعاً

على ادهم

☆ ما أظلم هذه الدنيا وأشد كآبتها إذا خلت من الشبان . وما آلمها وأشد حيرتها اذا خلت من الشيب (كولريدج)

☆ رأى الشيخ خير من جلد الشباب (على بن ابى طالب)

جنون الشباب

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

« .. واذا كان الشيخ يرجع البصر الى الماضي حيث انطوى معظم حياته ويقتصد في الذماء الباقي من نفسه ، في وجل الشحيح وتوجسه ، فان حياة الفتى منبسطة أمامه في مستقبل مديد كأنها لا آخر لها ، فهو يبذر فيها جزافاً بغير حساب ، ويلقي بها في مهاب الريح غير هياب .. »

لكل طور من اطوار العمر صفته المميزة . ولا يعرف السعادة من اختل التوافق بين روحه وسنه

والشباب يخرج الى الدنيا وكل شيء حواليه جديد عنده . واحساسه لما يزل مرهفا لم يتبلد بعد من تواتر الاشياء عليه وتكرارها . فهو متعطش للحياة متفتح القلب لها كبير الظن بها

ويمضي الفتى قدما ، فلا يطوى بعض الشوط من أشواطه حتى تعرض له هنا وهناك أشياء تختلف عما الفه وعما كان ينتظر

فقد كان وهو طفل يندمج مع لداته من الاطفال مستغرقين فيما بينهم جميعا من التشابه بنين وبنات لافارق فى المزاج والجنس . ونحن فى الواقع وقتئذ كوريقات الشجر فى مستهل الربيع تتشابه لونا وشكلا ، فاذا تقدم الربيع تعينت الفوارق واختلفت السمات ، كما يؤذن سن المراهقة فينا باختلاف الطبائع وتشعب الطرائق . مثلنا فى ذلك مثل أقطار الدائرة كلما امتدت اتسعت بينها الشقة

فاذا بالفتى يلتقى بالآخر فلا يلبث كل منهما طويلا حتى يلمس من أخيه فوارق فى اثرفوارق ينكرها بادىء بدء ، ثم لايجد بدأ من احتمالها . ويصطدم بحواجز بين نفسيهما فيعالج كل من ناحيته تخطيها حاجزا بعد حاجز . وتزعجه الفينة بعد الفينة بادرة نابية لم يكن يتوقعها ، فهو لا يمشى فى مطمئن سهل بل فى حزون غير مستوية . ومع ذلك كله فلا غنى له عن هذه الصحبة لان الانسان اجتماعى بالطبع وبالضرورة

وتأتى بعد هذا ، بل الاصح قبل هذا فى الاهمية وأدق من هذا وأعقد ، مشكلة الجنس . ولئن كان بين مشاكل الحياة ما عوق منه بعض المحظوظين فوقفوا على جنباتها موقف النظارة ، فان مشكلة الجنس مشكلة الناس اجمعين . والعجيب انه مع هذه المشاركة العامة فان التقاليد تمنع التعرض لبحثها صراحة ، وتترك الفتى منا ليحل المشكلة لنفسه بنفسه ، ولاشك فى

أن أقوى البواعث التى تحرك عجلة الحياة اثنان : الجوع ، والحب ، وهما الكفيلان بحفظ الفرد وبقاء النوع . وقد توفرت الحكومات على درس المشكلة الاقتصادية ونظمت اعانة العاطلين واعالة الزمنى العاجزين تأمينا للناس من شر الجوع ، الا الشهوات الجنسية ، فهى على الرغم من انها طبيعية ، مكبوحة بحكم القانون والعرف . وهى لهذا أشد توغلا فى الفكر وانطباعا فى الوعى . ثم ان نهمة الجوع يمكن اشباعها دون عدوان على الغير . أما نهمة الجنس فوضوعها انسان آخر يكون غايتها التى ليس وراءها غاية ، وهذا الآخر لايمكن تسخيره لتوفير متعة لايكون له نصيب فيها دون القضاء على شخصيته . فلابد من التبادل والتجاوب ، وهنا تقع فواجع الحب . ولقد أجمل مجنون ليلى وصف هذه الحلقة المفرغة فى قوله :

جننا بليلى ، وهى جنت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

فان اتفق هذا التجاوب حينا ، فهو لايدوم فى كل حين . والشباب فى فسحة العمر مؤمن بالدوام ، بخلاف الشيخ يقنع بلذة الساعة لأن عمره ساعات ثم إن الشباب ينظر الى الشىء كأنه الوحيد من جنسه وكأنه لا وجود لنظائره وأشباهه . وكأن هذه الفرصة هى الاولى والاخيرة . ومن هنا كان لفقده الشىء وقع يزلزل نفسه وتتداعى له حياته وكانت خيبة أمله فى شىء مرة معناها عنده خيبة أمله نهائيا فى كل شىء

والى هذا وذاك يقوم فى نفس الفتى المهذب ذلك العراك الذى ابتدعته المدنية فيما ابتدعت من اسباب الحروب . فقد بدأ المصلحين ودعاة التربية الخلقية فيها قسمة الانسان الى جسد وروح ، الى سفلى وعلوى ، وهذا الانقسام — ككل انقسام — يجعل الطرفين متعارضين متناجزين ، ويجعل الانسان ساحة قتال لحرب سجال لامسالمة فيها ولا مهادنة أبد الدهر . والحياة بوجهيها ليست الا كلا واحداً . ولا طائل من وراء هذه المثنوية الا اضعاف الجانبين الروحانى والجسدى ، فيصبح هذا كالطيف مبتوت الصلة بالحياة والحقيقة ، وينحط ذاك الى حضيض البهيمية ، والأوجب الاصلح أن يتخلل الروحى كثافة المادى فيكسبها لطافة ، وأن يدعم المادى بعدته وعتاده حياتنا الروحية

وكما تنبت الزهرة العاطرة من عروقها المطمورة فى التربة الصالحة ، فكذلك الحب — وهو أجمل شىء فى الحياة ، لانه أصلها وبه تحقيقها — يرجع منشؤه الى منابت الجنس الجسدية

ولكن الانسان تناول هذا الشىء الذى به يساهم فى قدرة الخلق الالهية وجعل منه سراً مكتوما وعيبا مستورا ورجسا من عمل الشيطان ، يأتيه من يأتيه لمجرد المتعة الشخصية . والافهو يحتقره ويخمده . وبينما يسرى فى الطبيعة كلها جمال الجنس حيث الوان الازهار الخلابة تجذب الهوام لنقل اللقاح وحيث زخرف الريش وترجيع التغاريد فى الطير يجذبان اناثه الى ذكوره يظل الفتى من عاطفته الجنسية فى تنافر ونزاع مبرح

كذلك يأتى فى الشباب دور الحياة العملية وهذا بدوره انتقال خطير أولا لقلة التعادل بين أمانى الفتى وامكانه ، بين أغراضه ووسائله . وكيف التعادل بين غير المحدود والمحدود ؟

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما ، اتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

ثم لانه قبل ذلك فى حداثة السن كان يتطلع الى العالم كموضوع للاستطلاع والنظر، ولذا كان يبدو له حسن الطلعة شائق المجتلى حتى اذا تجاوز النظر الى الطلب انكشف الستر وبطل السحر. فاذا الافعى وراء الزهرة ، والدودة فى جوف الثمرة ، واذا السعادة سراب والنجاح يتعارض مع الاستقامة والكرامة . واذا به يشعر انه على وجه الارض غريب عنها تنتابه وساوس الوحدة والوحشة

فلقد يخيل الى ذى الخلق الكريم فى غرارة شبابه أن العلائق بين الناس وما قد يؤدى اليه بينهم من واشجة نسب ومصاهرة ، هى فى قرارها ولبابها رائدها الكمال والاعتبارات المعنوية والمثل العليا ، أى أن هذه العلائق الماسة المتلاحمة تقوم على التشابه فى المزاج أو العاطفة أو الملكة الذهنية وما الى ذلك . ولكنه واجد بالخبرة فيما بعد أن وشائج الرحم فى المصاهرات انما تمت الى الواقعيات دون المعنويات ولا تستند على شيء مثل استنادها على المصالح المادية وقلما يكون لها أساس يسندها غير هذا . ثم لايلبث هذا الحكم أن يتعدى من الخصوص الى العموم ،فيبين له أن مقياس المرء فى المجتمع تابع للوظيفة التى يتقلدها أو الجنسية أو المكانة العائلية ، أى انه غير منظور الى المرء فى ذاته ، وانما هو بما يسند اليه من منصب وما يضاف عليه من رتبة .فالمعول فى تقديره على البطاقة الملصقة كشأن السلع المعروضة . والأدهى من ذلك مايرونه ويلمسونه من نصيب العظيم من محبة أهل زمانه ! فان الناس بمقدار ما يشعرون للرجل فى طوايا سرائرهم من التجلة والاكبار العميق ، لايحملون له فى الحقيقة أطيب الحب وأصدقه ، ولايزالون فى أنفسهم يغالبون الحسد وشهوة الانتقام لكرامتهم من هذا المستعلى بمواهبه عليهم شاء أو لم يشأ ، حتى تحين الفرصة يوماً للتجنى عليه ، فيخفون مبادرين ، لينفسوا عن حقدهم وينفثوا سمهم مسرفين ، فى صورة العدول النزهاء الناقمين على الشطط المتنصفين للحق . وعلى العكس من ذلك عطفهم على كل صغير النفس مسكين ، لأنه بخلوه من مواضع الاعجاب يبعثهم على الالتفات الى نفسهم بعين الرضى والاستغراق فى نشوة الاعجاب بها . فهم هنالك خدام مصالحهم وهنا عباد ذواتهم

وكلما بدت للفتى حقيقة من الحقائق الدنيوية وناحية من خسة البشرية ، عزت عليه أحلام الصبا ومثله العليا ، فيأخذ يغالط نفسه ويزيف على حسه ايثاراً للوهم الرفيع على الواقع الوضيع، حتى يهاض من الشباب جناحه وتفل حدته وتفتر حرارته . وليس من شك فى أن جهل الشباب

لأساليب الحياة يجرعه الغصة فى اثر الغصة ويفوت عليه الفرصة بعد الفرصة . ولكنها بعد لاسوأ أمارة فى الفتى من الفتيان من الناحيتين الذهنية والخلقية ، أن يكون فى هذه السن الباكرة خبيراً بالحياة ، موطناً نفسه على اصطناع أساليبها ملائماً بين طبعه ومطالبها . فان دخوله الحياة بهذه الأهبة ومواتاة طبعه واستعداد ملكته لها ، لينم على طبيعة سوقيــة تخالط الخسيس كالمندمجة منه فى معــدنها وتتمرغ فى الحمأ المسنون كأنه طينتها . أما الفتى الغرير الذى لا ينى يدهش لمسالك الناس وفساد طويتهم ويلتاث عليه أمرهم ويحتار فى معاملتهم فذلك شاهد منه على طينة حرة وعرق زكى

بيد أن الشباب على كل ما يلقاه من العنت واخلاف المظنة لا يعرى من وارف الأمل عوده ولا ينضب من الرجاء معينه ولا يبرح محتفظاً بابتهاجه ومراحه . وذلك لأنه بحداثته قريب من مصدر الحياة يتلقى عنه مدداً بعيد مد . بخلاف الشيوخ الذين طووا المراحل من العمر فقد أبعد ما بينهم وبين الينبوع ، فهيهات يبلغهم من فيضه على طول الشقة وانسداد القنوات الا النزر القليل . ونحن فى تسنمنا ربوة العمر قلما يحضرنا فى المرتقى خاطر الردى لأن شبحه قابع فى الناحية الاخرى . فاذا علت بنا السن وتجاوزنا القمة إلى المنحدر تراءى لنا الموت وازداد كل يوم مثولا للعيان ، وكنا لا نعرفه قبلها إلا بالرواية والسماع . فلا غرو وقتئذ أن يسرى منه البرد إلى حبة نفوسنا ، ويجمــد الدم الفوار الذى كان يغلى فى عروقنا ، وتتطامن غلواء الصبا وتخمد شرته ونحس بالحيوية تغيض فينا فنودع ثوران النفس المتوفزة الحية إلى ركدة نسميها تعقلا . والعقل باعتراف من وضعوا اللغة مشتق من العقال . واذا كان الشيخ يرجع البصر إلى الماضى حيث انطوى معظم حياته ويقتصد فى الذماء الباقى من نفسه فى وجل الشحيح وتوجسه ، فان حياة الفتى منبسطة أمامه فى مستقبل مديد كأنما لا آخر لها فهو يبذر فيها جزافاً بغير حساب ويلقى بها فى مهاب الريح غير هياب

ولا مراء فى أن مطلب الأحياء جميعهم هو السعادة . ولكن الفتى لا يقنع بالسعادة رخيصة معروضة تبيح نفسها لكل طالب بل ينشدها فى تحقيق المثل الأعلى متصاماً عن دعوة العقل متعامياً عن شواهد الخطر

وأروع تمثيل لهذا فى أساطير الأولين أسطورة ايكاروس عند اليونان الاقدمين . فقــد زعموا أنه كان « لديدالوس » قدرة خارقة فى الصناعة قربه من أجلها الملك « مينوس » صاحب كريت . ولأمر ما فقد حظوته عنده ، فأمر بحبسه ، ولكن هذا الداهية الصناع لم يسقط فى يده وهــدته الحيلة إلى أن يصنع له ولولده « ايكاروس » أجنحة من الريش لحامها من الشمع يطيران بها عن الجزيرة . وبذل الوالد النصح لولده أن يلزم القصد ولا يعلو حتى يشارف الشمس . ولكن الفتى فى نشوة المطار علا مصعداً عارجاً إلى عنان السماء ، فأذابت وقدة

الشمس لحام جناحيه ، فخذلاه ، وهوى إيكاروس من عل متردياً فى طباق الهواء المرتعد لهول سقطته ، فارتمى على صخرة فى البحر صريعاً ، وريشه المتهدل تداعبه غوارب الموج الطامى . وقد التفت حول جثمانه الغض الأروع عرائس الماء . يذرفن عليه العبرات . وينثرن على قبره الرجراج أزهار البحر الناصعة وأضغاث الطحلب الوارس ، وهن يندبنه ، ويشعن بين شعاب المرجان نعيه الشجى

ونحن اذا استعرضنا ما يواجه الشباب من المشاكل والازمات سواء منها النفسية والاجتماعية من جميع الوجوه لم نستغرب منه ان يثور ثورانه وأن يجن جنونه . وله العذر كل العذر إذا هو أعياه بعد طول المعالجة حل عقدة مستعصية فاستل من جنونه مثل سيف الاسكندر فقطعها . والمشاهد فى الأمم الحية طول الاناة والصبر ، وأنها تصطنع العقل . فاذا فشل العقل فلا معدى لها عن التحرر من عقاله ، وتجربة ما فى طبيعة الانسان من القوى المجنونة ، فاما الصدر واما القبر

عبد الرحمن صدقى



في الخضاب

رأيت خضاب المرء عند مشيبه — حداداً على شرخ الشبيبة يلبس

وإلا فما يغزو امرؤ بخضابه — أيطمع أن يخفى شباب مدلس

وكيف بأن يخفى المشيب لخاضب — وكل ثلاث صبحه يتنفس

وهبه يوارى شيبه أين ماؤه — وأين أديم للشبيبة أملس ؟

(ابن الرومى)

الشباب في جامعة باريس

بقلم الدكتور زكي مبارك

اثر الشباب في حياة المدائن وفضله في تطور الاذواق ـ الحي اللاتيني عصبة امم حقيقية ـ حياة الطلبة في جامعة باريس ـ الطلاب الفقراء وصبرهم في البأساء ـ الحب في حياة الشباب ـ غضبة الله على الحب ـ النساء في الحي اللاتيني ـ سخرية الطلاب من الاساتذة ـ ملامح من حياة الشباب

ليت محرر الهلال يعلم ما ألقى من الانس وأنا أكتب هـذا المقال ، فلست أبخل عليه بألف دينار جزاء وفاقا على أن دعاني للتحليق في الآفاق الشعرية ساعة من زمان

وإلا فأى بهجة فى الدنيا أروع وأمتع من الحديث عن حياة الشباب فى الجامعات الفرنسية أو الانجليزية أو الالمانية ؟ ان حياة الشباب هناك دنيا من المجد والحب . وهل بعد المجـد والحب أمل يسمو اليه عقل رزين ، أو قلب طروب !

ان الشباب فى تلك الجامعات يحيا حياة يقظة متوثبة لا يحدها ترمت ولا يصدها جمود ، وهو فى كل مكان مبعث الحيوية ومصدر الشعر والخيال ، وليس من الاسراف أن نحكم بأن شباب الجامعات هم زينة المدائن وأصل ما فيها من حياة العقل والوجدان ، فاليهم المرجع فى تطور الفنون والاذواق وحول مغامراتهم ومخاطراتهم تنظم القصائد وتنشأ الاساطير والاقاصيص

لا تسألوا المدائن عن أحداثها السياسية أو الاجتماعية . ولكن اسألوا الارض كيف ضجت بمن مشى فوقها من أصحاب العزائم الفتية والآمال الصحاح ، وفى الآمال لو فطنتم صحة واعتلال ، والشاب الجامعى هو الذى يجمع بين سذاجة الاطفال وحصافة الكهول ، هو عالم من الحب والمجد لا يصحو ولا يغفو إلا وفى رأسه وقلبه كنوز من رزانة الحقيقة وطيش الخيال

إى والله ، ذلك شباب الجسم والعقل والوجدان ، هى بسمة العمر كله ، وليس قبلها غير الغفلة ولا بعدها غير العبوس

والمحروم من نعيم المتع الروحية والذوقية والعقلية هو المخلوق الذى حرمته المقادير من معاقرة الحياة فى جامعة باريس أو برلين ، إن الذى حرم من ذلك الرحيق لا يفهم من الدنيا إلا توافه الاخبار ومرجوح الاسانيد ، هو مخلوق يتلهى بما يقرأ وما يسمع ، وليس له من « ليلى » حظ ولا نصيب

فالى الله عز شأنه أقدم آيات الشكران على سكرات العيش التى عرفتها فى جامعة باريس

أما بعد فقد كان الغرض من هـذا المقال وصف حياة الشباب فى الجامعات الغربية ، ولكن الغرب آفاق طوال عراض ، وأنا لم أعرف من الغرب غير فرنسا . ولم أعرف من جامعات فرنسا غير جامعة باريس ، فلا تلوموني ان اكتفيت بوصف حياة الشباب هناك

على أن الذى يصف الشباب فى جامعة باريس يستطيع أن يزعم أنه أطاف بحياة الشباب فى الجامعات الغربية ، فقد كانت باريس ولا تزال مطمح الأنظار ، وكان من تقاليد الشباب فى الغرب كله أن يزوروا معاهد باريس ، وأن يتذوقوا ألوان العيش فى الحى اللاتينى ، وأن يسمروا مع الفتيان فى مونبارناس

وجامعة باريس تمتاز بين جامعات العالم بكثرة من يفد اليها من الشبان الاجانب : ففيها طوائف من كل أمة ، وفيها من كل أرض أخلاق وطباع

والحى اللاتينى فى باريس خليق بأن يسمى بالحى العالمى : ففى كل بيت عصبة أمم صغيرة ، وفى كل مكتب من مكاتب البريد فى ذلك الحى تتمثل عظمة اتحاد البريد ، ويرى السعاة مئات الاشكال من الطوابع والخطوط . فالدنيا تفترق كيف تشاء ، ولكنها تتجمع هناك . ومن الذى عاش فى باريس ثم لا يذكر اختلاف الوجوه والملامح فى قهوة السورس وقهوة الدوم والروتوند والكوبول؟

هى امم مختلفة الامزجة والمشارب والمنازع تجمعها سفينة باريس ، كما جمعتها فى غابر الزمان سفينة نوح . فلا يظن القارىء أننا نبعد عن الحق حين نحكم بأن حياة الشباب فى جامعة باريس هى نموذج لحياتهم فى غير باريس . باريس هى الكعبة واليها يتوجه أهل الغرب خاشعين

⁂

ولكن كيف يحيا الطالب فى جامعة باريس ؟

يفد الطالب على تلك المدينة وهو حى القلب والاحساس : فلا يكاد يدخل الجامعة حتى يتبين انه فى قلعة حصينة الابراج . ثم يتلفت ذات اليمين وذات الشمال فلا يرى غير تماثيل العظماء : عظماء العقل والروح . فاذا دخل الدرس هاله ما يرى وما يسمع ، وانهالت عليه الآمال والمخاوف ،واطمأن الى انه يواجه أصعب ميادين النضال . وما ظن القارىء بجو علمى يتنفس فيه تونلا ومورنيه ؟

قد أنسى كل شىء فى دنياى . ولكننى لن انسى محاضرات مورنيه عن القرن الثامن عشر . ولن انسى محاضرات تونلا عن الصلات بين الأدب الفرنسى والادب الالمانى . وتونلا هـذا استاذ عظيم يخلف الشاب من اجل درسه ألف ميعاد من المواعيد الغرامية ، وكم شغلتنى دروسه عن مواعيد كنت فيها موصول العهد بصواحبات فينوس ، عليها رضوان الحب . ولم أكن وحـدى فى ذلك المترك : فقد كان لى أمثال من الشبان تلهيهم محاضرات الاساتذة عن مراتع الظباء فى مونبارناس . واعيذك ايها القارىء أن تسخر من هـذه البدوات . فقد عشنا فى باريس بين رحيقين : رحيق

الدرس ورحيق الحب . ولا اكتمك ان رحيق الدرس كان اشهى وامتع . ولك أن تقول فى قلبى ما تشاء ، فانما اصدق . والصدق احب الى قلبى من البحث عن مواقع هواك

ان الشاب فى جامعة باريس يعدو الى الدرس عدواً . وله عند كل استاذ ديون . وليس بالسان من عاش فى باريس ولم يعلق قلبه بدروس السوربون

ان اسم السوربون وحده خليق بالعشق . وما ظنكم بمعهد تدخلونه فتجدون نحو خمسين من الاساتذة يتكلمون فى وقت واحد ، ثم تكون لكم الحرية المطلقة فى استماع ما تشاءون من نفيس المحاضرات ؟ وما أذكر أنى فارقت باريس مرة إلا بعد وداع السوربون ، ولكن أى وداع ؟ انه ليقع فى لوعة دونها لوعة أبى العلاء حين فارق بغداد . وما زلت علم الله أشعر بمثل وقدة الجمر فى كبدى كلما تذكرت حسرتى يوم نجحت فى الامتحان الاخير . فقد كان ذلك النجاح مؤذناً بالفراق وكنت أود أن لا أموت حين أموت الا وأنا استمع الى الدرس فى السوربون

افهم هذا جيداً أيها القارىء ، وصدقنى حين أؤكد لك أن الشبان فى الجامعات الغربية يحبون دروسهم حب المجانين ، فان سمعت أنهم يلهون ويلعبون فاعلم أن ألعابهم وملاهيهم ليست شيئاً بالقياس الى غرامهم بالدروس

فان كنت فى ريب من ذلك فاسمع هذا الحديث :

طلاب جامعة باريس يعدون بالالوف ، أتراهم جميعاً من الاغنياء ؟ هيهات !

فى جامعة باريس طلبة فقراء يكتفون بالخبز القفار ، ويسكنون فى حجرات ضيقة مظلمة تسمى « الكابين » ، وهؤلاء لا ينتظر أن تكون لهم ميادين غرامية ، فأين يسكبون دم الشباب ؟ انهم يسكبونه فى الدرس وتحت ظل المصباح . ولا ازال أذكر مع الشوق الليالى المأزومة التى قضيتها محروماً من أنس الحب . وكانت رحمها الله من ليالى الاعياد

وأى ليلة أطيب من ليلة يقضيها الشاب فى الدرس حتى تضج عيناه ؟

تلك والله ليالى الشبان المخلصين الذين لا يستهويهم من باريس غير علم باريس . ومن الخطأ الفاحش ان يظن ان اهل باريس لا يعرفون الا فى مونمارتر ومونبارناس . ان الباريسى الصميم لا يعرف الملاهى إلا لماما . وهو لا يسقط الا حين يحب . والحب قدر محتوم لا ينجو منه شريف ولا وضيع

فان اردتم ان تتمثلوا طلبة الجامعة فى باريس فاذكروا الكدح الدائم والجد الموصول واعرفوا ان الطالب هناك ليس الا جندياً فى الميدان . ولا باس من الاعتراف بان فيهم من يكسل ومن يخيب : فذلك قانون الحياة يؤتى الفضل من يشاء وينزع الفضل ممن يشاء

أعيذكم ، ياقرائى الاكرمين ، أن تظنوا أن الشبان فى الجامعات الغربية يعيشون جميعاً عيشة

الترف واللين ، وكيف وفيهم من ينساه أهله لضيق ذات اليد فيظل يقتات الاسى والحزن ، ولا يعزيه فى بلواه غير الدرس والكتاب ، ولا يملك غير الصراخ بمثل هذا الشعر الحزين فى خطاب باريس :

يا جنة الخلد كيف يشقى ... فى ظلك النازح الغريب
الناس من لهوهم نشاوى ... ودمعه دافق صبيب
يقتات أشجانه وحيداً ... فلا صديق ولا قريب
أقصى أمانيه حين يمسى ... أن يهجع الخفق والوجيب

وفيهم من يمرض فلا يجد من يعوده ، ثم يصارع العلة فتصرعه وهو فى غرفته بعيداً عن الاهل والاحباب ، فيستقبل الموت وليس بجانبه من يغمض عينيه ، ثم لا يعرف خبره الا بعد أيام . وكم فى ميدان العلم من شهداء !

أيها القراء

أعفونى من الكلام فى هذا الموضوع المحزن ، واسمحوا لى بالانتقال الى باب آخر من حياة الشبان فى تلك البلاد

* * *

دخلت باريس أول مرة فى شباب الربيع سنة ١٩٢٧ وخرجت منها بعد أداء الامتحان فى شباب الربيع أيضاً سنة ١٩٣١ فياحسرة القلب الذى يلقى باريس فى الربيع ، ثم يفارقها فى الربيع ! ومن عجائب المصادفات انى دخلتها يوم عيد ، وخرجت منها يوم عيد ، ولعل هذا هو السبب فى تلك اللوعة التى يشهدها من يقرأ كتاب « ذكريات باريس » فان أحس القارىء فى هذا المقال غرابة فليتذكر أننى واجهت الحياة فى جامعة باريس بعين العاشق وقلب المشوق ، وكنت قبل أن أصل إلى هناك قد تمثلت فى ذهنى ألواناً من الحياة ، وكنت أحسب أن الشاب يحتاج إلى تصون كبير حتى يستطيع الانقطاع للدرس ، فلما دخلت الجامعة رأيت الجد هو الاغلب . ورأيت اللهو من الفضلات التى لا يتقحمها غير العاجزين

ومع هذا فلا بد من الاعتراف بخطر الحب وما يجر على الشباب من أسباب البلاء . والمعروف أن الحى اللاتينى لا يغشاه من الغانيات غير صاحبات الاذواق ، وأن الشاب لا يدفع غير قلبه فى سبيل الحب ، وقد يتفضل على محبوبته بهدية صغيرة لا ترهق كيسه الأجوف المليل

وهنا يبدأ نبل الشباب ، فانهم يتواصون بالبر والكتمان ، فيكون من نصيب أحدهم أن ينفق ومن نصيب الآخر أن يحب . واليكم هذا المثال :

كان لى صديق مصرى يتعلم فى باريس ، وكنا رفيقين ، ثم بدا له أن يرحل الى جامعة مونبلييه ، لان المعيشة هناك خفيفة الاعباء ، وبعد مديدة كتب الى انه أحب فتاة أسيلة الخد مشرقة الجبين .

ولكنها عرجاء ، وسألنى عن رأيى فى ذلك . كأنى كنت خبيراً فنياً أعرف دقائق الجمال ، وأتمتع بحق الوصال ، فكتبت اليه أذكره بحكاية الجارية الحسناء التى عرضت على هرون الرشيد فنظر اليها مقبلة ومدبرة ثم قال : « ما أجملك لولا عرج خفيف ! » فقالت : « إنه عيب لايظهر عند حاجتك يا أمير المؤمنين ! »

وبعد أشهر كتب الى يشكو الافلاس . ويذكر انه لايجد ما يصلح به حاله مع رفيقته العرجاء ، ويرجونى أن أغيثه بمائة فرنك ، فكتبت اليه أنى مأزوم وأنه يستطيع أن يقترض من مواطنيه فى مونبلييه ، أو من المنزل الذى يسكن فيه ، فجاءنى جوابه فى اليوم التالى وفيه هذه الكلمات :

« الطلبة المصريون يبغضوننى لأنى موفق فى الحب ، وأما البيت الذى أقيم فيه فهو خاو على عروشه . فأنقذنى بمائة فرنك أحفظ لك فى قلبى منزلة لاتمحوها السنون »

ونظرت فرأيتنى أملك مائتى فرنك ، فأسعفته بمائة واستبقيت مائة . وقررت الا كتفاء بالغداء والاستغناء عن العشاء

ولكن كيف أروض نفسى على ذلك ؟ ان شوارع باريس تظل من السادسة الى الثامنة مرتعاً للآكلين ، والناس هناك يستحبون أن يتناولوا الطعام على قارعة الطريق . فاذا يصنع الجائع وهو يرى الناس يلتهمون العشاء ؟!

صممت على قضاء تلك الساعات فى التنزه على شواطىء السين بعيداً عن المطاعم والقهوات . ومع ذلك كنت أشعر بقسوة الجوع فأهتف :

« لعنة الله على الحب . وغضبة الله على المحبين »

وكان درساً انتفعت به بعض الانتفاع . فما أذكر أنى واسيت عاشقا بعد ذلك ، غير صديق واحد يقيم فى القاهرة . والعشاق جميعاً لئام لا يردون الحقوق !

✡ ✡ ✡

ولكن لا تظنوا أن الهوى المحرم الذى يقع فيه طلاب الجامعة فى باريس أو غير باريس يمر دائما بسلام . وكيف وفيه أوحال ومزالق يتردى فيها أبصر الناس ؟ وقد اتفق لى مرة أن أحاول اقتناء كل ما كتب عن فتنة النساء فى الحى اللاتينى فرأيت ذلك فوق ما أطيق ، وما ظنكم ببقعة لا يمر بها عابر سبيل الا كتب عنها شيئاً وقال فى وصفها أشياء ؟ وأدق ما اطلعت عليه كتيب ألفه طالب فى جامعة باريس ونشره فى سنة ١٨٦٠ وعنوان هذا الكتيب « الطلبة ونساء الحى اللاتينى » Les étudiants et les femme du Quartier Latin وهو كتيب مزعج لانه يصور عنف المرابين فى ذلك الحى ويبين ما يتعرض له الشبان من ألوان الفساد . وانتهى الى مصارحة القارىء بأن الطالب يفد على الحى وهو يؤمن بكل ما هو جميل ، وكل ما هو نبيل ، وكل ما هو عظيم ، وقلبه

مملوء بأرق العواطف وأشرف الآمال . ولكنه بعد شهرين يسقط فى الهاوية : هاوية الفضيحة والشقاء

والطلبة فى باريس يعانون مختلف الآلام : ففيهم من يبيع ملابسه ليشترى كتاباً أو كتابين ، ومنهم من يبيع كتبه كلها ثم ينفق ثمنها فى ساعة حب أو رقص . ولعل هذه الاشياء يقع مثلها فى سائر الجامعات . ولعلها تقع فى القاهرة ، ولكنكم لا تعلمون

٭٭٭

فى السوربون مكتبة كبيرة جدا . والمراجعة فيها سهلة ميسورة . ولكن ما فيها من الكتب لايكفى المتعطشين فى جميع الاحيان . ومن أجل ذلك تجدون من الشبان من « يشترك » فى المكاتب فيدفع مبلغاً من السنتيمات أو الفرنكات عن كل كتاب يقرأه ثم يرده . وتجدون من بينهم من يقضى ساعات فى المكاتب وهو واقف يقرأ من كل كتاب صفحة أو صفحتين أو يلتهم فصلا أو فصلين . وكانت تلك عادتى فى أيام الافلاس وكان أصحابى يسألون عنى هناك إن عز عليهم أن يجدونى فى البيت أو فى السوربون

٭٭٭

أما الشيطنة فى معاملة الاساتذة فحدث عنها ولا حرج . فلكل استاذ ألف صورة هزلية تمثل من شمائله مايريد أولئك الشياطين . وحين يجلس الاستاذ ينقسم الطلبة إلى فريق يستمع الدرس وفريق يرسم ملامحه على القرطاس . ويندر أن يسلم أستاذ من سفاهة أولئك الشبان . ومن الغريب أن صور الاساتذة تباع فى بعض المكاتب بثمن مقبول وهي صور جريئة تدل على فهم أصحابها للادب وبراعتهم فى الفنون

٭٭٭

وأكثر الشبان فى جامعة باريس من أتباع الحزب الملكى لان هذا الحزب يظهر غيرة شديدة على الوطن والاخلاق . وهم يدافعون عن مبادئهم بالعصى والمسدسات . وتبلغ بهم الحماسة الى حمل مجموعات من جريدة الاكسيون فرانسيز ليبيعها فى المقاهي والطرقات

والويل كل الويل لمن يجادل أولئك الشبان فهم يعرفون كيف تكون وسائل الاقناع !

ثم ماذا ؟ لم يبق الا الاشارة الى أيام الامتحان وهى عندهم مواسم جهاد . ومن الشبان من يحلق شعره بالموسى ليحبس نفسه بين الدفتر والكتاب ثم يظل أجرد الرأس لا يصلح للسهرات حتى يقضى مأربه من الفوز المنشود . وتلك عادة لا يعرفها من الشبان الا الافلون

وأيام الدرس أيام جهاد ، والعاقبة للصابرين

زكى مبارك

لماذا يفشل الشباب فى الحياة

مركب النقص وأثره فى حياة الشباب

بقلم الدكتور محمد زكى شافعى

نسمع فى العصر الحاضر شكوى عامة من فشل الشباب فى مناحى الحياة المختلفة . وكثيراً ما نوجه اللوم الى الشباب نفسه فنصب عليه جام غضبنا ، ونؤنبه تأنيباً مراً ، ونتهمه بخور العزيمة وفتور الهمة ، مع اننا لودققنا وتحرينا أسباب الفشل على ضوء مباحث علم النفس الحديث ، لوجدنا ان معظم اسباب الفشل لا يد للشباب فيها ، وان منشأها يرجع الى زمن لم يكونوا هم بلغوا من الادراك درجة تحملهم مسئولية الفشل فى شبابهم ، وان المسئولية معظمها تقع فى ذلك الزمن على كاهل والديهم ومربيهم ، وان الفشل يرجع الى نقص خلقى لم يعالجه اولئك فى الوقت المناسب

كيف تتكون الاخلاق

هناك عاملان هامان يعملان على تكوين الاخلاق : عامل الوراثة ، وعامل البيئة - وعامل الوراثة يشمل الغرائز والمزاج العصبى

فالغرائز هى المواد الخام التى تكون الاخلاق ، ومظهرها العواطف المختلفة . والمزاج العصبى عبارة عن حساسية عصبية قياطة يرثها الانسان من اسلافه . وهذه الحساسية ليست مرضاً عصبياً كما يظن البعض ، ويمكن توجيهها الى خير الانسان

وأما البيئة فعملها فى الاخلاق ينصب على التربية بالاتجاه وبالقدوة وبالتجارب التى يتعرض لها العقل

وباتحاد الغرائز مع البيئة يتعين ويتحدد نوع الخلق ، وبسيطرة المزاج العصبى على الخلق اذا لم تحسن سياسته يرتبط التفكير بالعواطف . فيصبح صاحب هذا الخلق ، سريع التأثر متقلباً متهوراً خيالياً

ومن الغرائز المهمة غرائز الجنس والخوف والكدر والأمومة والتسلط والاعتداد بالنفس والاستحواذ وحب الاستطلاع والخنوع أو الاستسلام . وكل غريزة من هذه الغرائز مشحونة بقوة عاطفية لابد من أن تظهر فى شكل عواطف . وهذه العواطف اذا علقت بشىء أو فكرة أو حادثة أو انسان فى محيطها تألف منها ومن هذا الشىء أو الفكرة أو الحادثة أو الانسان مجموعة نفسية أو وحدة نفسية . ومن مجموع هذه الوحدات يتألف العقل أو النفس

وهذه الوحدات ثلاثة أنواع : احساسات وميول ومركبات . والفرق بينهما ان الاحساسات يستسيغها الشخص ويقرها عقله الواعى ويمتاز بها الشخص ، كالوطنية فهى احساس يتألف من التفكير فى الوطن وكل العواطف التى تعلق بهذا التفكير من حب وحماس وغيرهما ، وكالدين الذى يتألف من التفكير فى المولى عز وجل وما يعلق بهذا التفكير من عواطف كالحب أو الخوف . وأما الميول فانها وان كانت مقبولة لدى الانسان ويقرها فانه يفعل ذلك ذاتياً كالميل الى الشرف والتحفز للدفاع عنه بمجرد المحاولة للتعدى عليه ، بينما المركبات هى عبارة عن وحدات نفسية مكونة من عواطف عالقة بشخص أو شىء أو حادث لا يقره الشخص ولا يقبله عقله الواعى إما بسبب مؤلم أو كريه ، كما فى حادث اعتداء جنسى أو حادث جرح للكبرياء . وأغلب هذه المركبات يكبتها الانسان فى عقله الباطن ، وهى اساس الامراض العصبية النفسية لأنها ككل المجموعات النفسية تسعى الى مخرج بينما العقل الواعى لا يرضى عن خروجها من مكمنها فى العقل الباطن، فينشأ عن ذلك اما ان تستمر مكبوتة أو تخرج بشكل شاذ أو يستمر العراك بينها وبين العقل الواعى ، وكل هذه الاحوال غير طبيعية، وأما اذا وعاها العقل على حقيقتها فلا ينشأ عنها أى مرض . وكل محاولة لمعالجة الامراض العصبية ترمى الى هذا المنحى

فمن هذا نفهم ان الخلق مظهر للاحساسات والميول بحالتها الطبيعية ، وأما المركبات فهى أساس شذوذ الاخلاق . ومن هذه المركبات بل أهمها « مركب النقص »

مركب النقص

ويدرك القارىء أهمية هذا المركب من ان اكثر من نصف متاعب الحياة العصرية يرجع الى تأليف هذا المركب لا سيما عند الشابات والشبان

فاذا رجعنا بسير نمو القوى النفسية وتقدمها الى وقت ميلاد الانسان وتتبعناها حتى سن الشباب لوجدنا ان الطفل يولد عاجزاً تمام العجز عن القيام لنفسه بأى عمل من الاعمال ، أى أنه يولد عالة على سواه فى كل شىء ، فى التغذية والسكن والحماية والمرافقة . ولشعوره بذلك يترك هذا العجز بعض الاثر فى عقله . وكلما كبر الطفل نما عقله وتملص من هذا العجز وضعف شعوره به وقل اعتماده على الغير فى السير مع المجتمع . ولكن الانسان ابطأ المخلوقات فى القاء عبء هذا العجز أو عدم الكفاية للاستقلال الذاتى . ولذلك كان الأثر بالشعور بعدم الكفاية أو بالنقص اعمق وأبقى فى عقل الانسان ، وكلما اسرع فى التخلص أو الافلات من هذه الحالة كان ذلك أدعى الى عدم تعمق هذا الاثر الذى له فعل عظيم فى تكييف حياة الانسان الاجتماعية

واذا طال دور الحاجة الى الغير الى زمن الرجولة أو الانوثة الكاملة بسبب الوضع الشاذ الذى يوضع فيه الطفل أو بسبب نوع التربية التى يتلقاها فان هذا يولد شعوراً

بالنقص أى بالحاجة الى الغير . وهذا الشعور يكبته العقل الواعى فلا يلحظه الانسان نفسه بينما كل اخلاقه واعماله تشف عنه . فقد نشاهد شباناً وشابات لا يمكن ان يستقلوا بأنفسهم بعمل من الاعمال ، كما نرى البعض يتأثرون بسرعة بما يسمعون من خطباء أو بما يقرأون فى الصحف ويسلمون بكل ما جاء بها . بينما نرى آخرين لا يثبتون على حالة واحدة ، فعواطفهم واخلاقهم غير مستقرة ، وهؤلاء إذا تزوجوا كانوا أكثر الناس تعرضاً لسرعة الافتراق . فنظرة سطحية لاخلاق وأعمال أولئك نستشف منها أنهم مصابون بمركب النقص أى أنهم أناس ينقصهم شىء ، ولذلك هم فى حاجة الى التعويض عن هذا النقص او الى من يرعاهم . وقد يعلل هذا بزوغ نجم الطغاة فى العصر الحاضر حيث الجو الفكرى ممهد لسيطرتهم وتسلطهم على رعية افرادها ينقصهم الاستقلال النفسانى أى الاعتماد على النفس

وقد يفسر ذلك أيضاً فشل الحكومات الديمقراطية والطغيان عليها لتنصل الكثيرين من تحمل عبء المسئوليات الاجتماعية أو الفشل فى تحملها بسبب اصابتهم بمركب النقص

اسباب مركب النقص

قد يخلق الانسان وبه نقص طبيعى كقصر أو طول غير عادى فى قامته أو لون غير مألوف فى الجلد أو الشعر ، أو تشويه جثمانى كانحناء فى الظهر أو كبر فى الاثداء أو غلظ فى الشفاه أو فى العجز ، أو فى الشكل بان يكون للرجل شكل الأنثى وبالعكس ، فاذا شعر بذلك أو عير به فقد يدعوه هذا إلى الشعور بالنقص . وهذا النوع من مركب النقص لا يكون مكبوتاً غالباً وقد تنجم عنه الكراهية للجنس والى العزلة والخوف

ومن أسباب مركب النقص ذات الاهمية العظمى تدليل الاطفال والافراط فى اجابة مطالبهم ومعاملتهم كما تعامل الدمى ، لأن ذلك يؤدى بهم الى الشعور بأنه لا يوجد على وجه الارض غيرهم وأنهم أقطاب الدنيا لأنهم فى بيوتهم هم الملوك بل الطغاة ، اذا بكى الطفل هرول كل من فى البيت لاسترضائه واذا طلب ومنع بسبب من الاسباب فثار طار الجميع لاجابة طلبه لاطفاء هذه الثورة . والنتيجة الحتمية لذلك أنه إذا شب طفل كهذا ودخل الحياة الاجتماعية كان مسلحاً بلا شىء للكفاح أسوة بزملائه فى المجتمع ، فاذا صادفته عقبة أو صعوبة عجز عن تخطيها

فهذا الشاب المدلل اذا دخل معترك الحياة فاما أن يجدها سهلة أى سمناً وعسلا لما أعده له أبواه من وسائل المتعة والحياة الرغدة لغناهم أو لأى سبب آخر فانه قد لا يشعر بالنقص . وأما اذا أقدم على المجتمع بدون هذه المزايا فانه فى أى عمل من الاعمال إذا لم يكن فيه قبلة الانظار وموضع الرعاية والتقدير بحق أو بغير حق ، نم مركب النقص فيه عن نفسه حيث يظهر فيه بمظهر الشعور بالظلم والحط من الكرامة وعدم تقدير الكفاية ، فيكون امثال هذا اما طبقة

من المتذمرين المستديمين أو الذين يستنكفون هذه الحالة فيتركون اعمالهم ويصبحون عالة على المجتمع كما كانوا وهم أطفال، أى يصيرون طفيليين. وهذا الموقف أسهل مواقف الحياة حيث يجدون فيه المهرب من مصاعب المجتمع ومتاعبه التى تحتاج الى متانة خلقية، سواء من الرجال أو الاناث. وبين هؤلاء تجد المدمنين على الخمور والمواد المخدرة والمتطفلين على موائد الوارثين والاغنياء والبارزين فى سهراتهم والمتصدرين مجتمعاتهم

وبالاختصار هؤلاء أناس تأخروا لنقصهم حيث تقدم غيرهم الذين اقتحموا الصفوف الامامية، وبقى اولئك فى مؤخرة المجتمع وليتهم بقوا حيث أوجدوا أنفسهم بل نجدهم معلقين فى ذنب المجتمع محسوبين عليه. والمسئولون عن حالتهم المزرية هم الذين تولوا تربيتهم وما أحسنوا بل باءوا بخيبة عظيمة

ومن أسباب مركب النقص المعاملة الشاذة لطفل مكروه أو غير مرغوب فيه لأى سبب من الأسباب، كأن يكون ابن زوج أو زوجة أو ابناً عاشراً أو ابنة عاشرة لعائلة رقيقة الحال. فليس من شك ان البيئة التى يتربى فيها أمثال هؤلاء الاطفال تولد فيهم مركب نقص بسبب سوء التقدير ورديء المعاملة فتضل نظرتهم للحياة ويصبحون أعداء المجتمع لأنهم يعتقدون أن كل أعضائه أعداؤهم وأنه لا مكان لهم تحت الشمس. وذلك لعدم اعطائهم الفرصة للتمتع بأهم عنصر لغذاء النفس الا وهو الحب، تلك العاطفة التى تربط بنى الانسان ببعضهم وتحدو بهم الى التآخى والتزامل، وهذه العقيدة قد تدفع أولئك الى العصيان والتمرد والاجرام

ومن أسباب مركب النقص أيضاً شعور الانسان ان منبته وضيع، وقد لا تظهر آثار هذا المركب فى الطفل اذا عنى بتربيته، ولكنه اذا وصل الى سن الشباب قد تلمح هذه الآثار فى تصرفاته. ويختلف ذلك باختلاف المثل العليا التى يضعها نصب عينيه كل شاب. فمن كان مثله الاعلى المال شعر بالضعة فى حضرة الاغنياء، وكذلك فى أحوال الشبان الذين تصبو نفوسهم الى الحسب أو الجاه العريض أو العلم الغزير. وهذا النقص قد يجد منفذاً زائفا فى التعالى الكاذب ليظهر صاحبه بمظهر غير المظهر الذى ينم عنه منبته، كما نشاهد ذلك فى المتطفلين على موائد العلم الذين يحشرون بعض الكلمات الأجنبية فى أحاديثهم ليظهروا بانهم نالوا قسطاً وافراً من الثقافة، أو الذين يسرفون فى الولائم وهم فى حاجة قصوى لما ينفقونه عليها لكى يقال عنهم إنهم ممولون. وقد يتخذ مظاهر هذا النقص حب التحكم والتسيطر على الغير والتشدد فى المعاملة ليظهروا بانهم من بيوت مجد ونبل، ومن بين اصحاب هذا النقص ينشأ الذين لا مبادىء لهم والذين يضحون بكل مرتخص وغال لتعويض هذا النقص

ومن مسببات هذا النقص أيضاً الشعور بضعة النفس أو الاذلال لذنب أو جريمة ارتكبت أو لخيبة فى خطبة أو حب أو لفشل فى الحصول على بغية أو مأرب أو لخسارة مالية وهذا

النقص لا يتولد الا عند الذين يغالون فى تقدير شخصياتهم أو الذين ربوا على أن يفهموا أنهم كاملون أو ربوا تربية دينية من مقتضاها التهويل فى الذنوب والمبالغة فى أنواع التفكير ، مع ان كل الاديان مجمعة على أن الله غفور رحيم ويقبل توبة من تاب وأناب ، ووسعت رحمته كل شيء

العلاج

ان بعض الناس يلجأون الى معالجة مركب النقص بما هو شر منه ، كأن يدارى صاحب العاهة أو التشويه حالته بما هو ادعى الى السخرية .كما يشاهد فى حالة القصير بأن يمشى الخيلاء وفى يده عصا أطول منه ، أو ينمى شواربه الى طول غير مألوف أو يجنح الى ظلم الغير والمشاكسة مع أنه لو أراد التخلص حقيقة من مركبه للجأ إلى الطريق القويم وهو السعى إلى الرفع من كفايته فى عمله فيرتفع قدره وينال احترام الناس له ، وكذلك الحال فى باقى أنواع النقص التى من هذا القبيل

وأما الشاب المدلل فليس أمامه الا مواجهة الحياة متذرعا بالشجاعة والتصميم على التغلب على الصعاب ، وبكفايته وتعاونه مع بنى جنسه يجعل من نفسه انسانا نافعاً يفيد ويستفيد ، ويطرح ظهرياً حب الذات ، وكذلك الشاب المنبوذ الذى تأصلت نقيصة بغض بنى الانسان فى نفسه إذا تقدم بالحب والصداقة لزملائه وتذرع باحترام النفس خلص نفسه من مركبه

وهكذا باقى المركبات اذا حللت وردت إلى أصلها وعلقت العواطف بشيء لا تأنفه النفس أو صعدت فان أصحابها يبرءون منها ، وخاصة إذا عرفوا أسبابها تضاءلت أمامهم وأصبحت لا شيء مطلقاً

وأما الوقاية منها فمرجعها إلى الآباء والمربين . فليتقوا الله فى عقول اكبادهم ولا يتلفوها بما ينفثون فيها من سموم

الدكتور محمد زكى شافعى

✲ اعمل ما دمت فى الشباب ، فليس للحياة الا ربيع واحد

(بوتان)

✲ أحب النفوس الطامحة بمرام قوى ثابت ، واهوى الارواح البسيطة التى لا تقبل طبيعتها التركيب ولا يدخل على جوهرها الانقسام

(جبران خليل جبران)

تطور الشباب في مختلف العصور

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

الشباب في العصر القديم – اثر الفروسة في تكوين الشبيبة الاسلامية – تطور عقلية الشباب في عصر الاحياء – الشباب في القرنين السادس عشر والسابع عشر – اشتعال حركات الشباب في القرن الثامن عشر – أثر الشباب في الحركات السياسية والاجتماعية الكبرى في العصر الحديث

يقدم الينا شباب العصر القديم صورتين متباينتين: إحداهما زاهية زاهرة، والأخرى قاتمة محزنة. ذلك ان الشباب كباقى طوائف المجتمع كان ينقسم فى تلك العصور الى مجتمعين، مجتمع النبلاء والسادة، ومجتمع الشعب والرقيق. وكان أبناء النبلاء والسادة ينعمون بكل أسباب الحياة الناعمة المرحة، وكل مظاهر السيادة والتكريم، ويستأثرون بكل الارزاق والوظائف العامة ولا سيما قيادة الجيوش، ويمرحون فى ميادين الرياضة والحب. لهم كل المغانم وعليهم أقل المغارم. وأما شباب الشعب فعليه يقع عبء الحرب والدفاع، وعليه أن يقتنع من الحياة بما يقوم بأوده، وعليه أن يلى دائما كل التكاليف والاعباء العامة، وأما شباب الرقيق فلم يكن شيئا مذكورا، بل لم يكن يملك حق الحياة لنفسه اذ كان للسادة عليه حق الحياة والموت

وقد استمرت هذه التفرقة الحادة بين طبقات المجتمع خلال العصور الوسطى، وزادتها نظم الاقطاع قوة وحدة. ويقدم الينا شباب العصور الوسطى أغرب الصور وأزهرها، ونلاحظ أن التفرقة بين السادة والرقيق كانت لا تزال أبرز خواص المجتمع، بيد ان شباب الرقيق وهو عصب هذه الطائفة من المجتمع، استطاع خلال العصور الوسطى أن يغنم بعض الحقوق والمنح وأن يرتفع نوعا من الوجهة الانسانية، وأن ينعم بقليل من متاع هذه الحياة

وكما ان نظم الاقطاع كانت تبسط كل سلطانها وآثارها السياسية والعسكرية على مجتمع العصور الوسطى، فكذلك كانت تبسط كل سلطانها وآثارها الاجتماعية، وليس من ريب فى ان شباب العصور الوسطى يرجع فى كثير من تكوينه العقلى والاخلاقى والاجتماعى الى مؤثرات هذه النظم القوية الأثيلة. ذلك ان الفروسة (Chevalerie) كانت فى تلك العصور مرجع النبل ومنبعه وموئله، وكان المجتمع الرفيع مجتمع الفرسان، وكان شباب الفروسة كل شىء فى الدولة وفى الحياة العامة، ويلاحظ ان هذه الشبيبة التى تغمرها روح الفروسة هى التى

ضطلعت فيا بعد بأعظم أعباء الحروب الصليبية وكانت تحدوها نفس المطامع الدنيوية ونفس الروح الخاطرة التى تحدو شباب السادة فى كل عصر ، والواقع ان كثيراً من قادة الحملات الصليبية كانوا شبابا فى زهرة العمر ، بيد أنا نلاحظ من جهة أخرى الآثار العكسية التى ترتبت على تغلغل آثار الفروسة فى نفس الشبيبة فى تلك العصور . ذلك ان الشباب كان يومئذ بعيداً عن تذوق الحياة العقلية الرفيعة ، وعن الشغف بأنواع الدراسة والثقافة الممتازة ، أجل لم يكن الشباب يومئذ يعنى بأن يكون له ثروة عقلية أو علمية ، اذ كانت الخلال والخواص العسكرية هى أعز مطامعه وأمانيه ، وكانت الثروات العقلية والعلمية يومئذ وقفا على مجتمع الشيوخ ومعظمهم من الرهبان الذين يعيشون بعيداً عن صخب الحياة الزاهرة فى أقبية الاديار النائية التى كانت يومئذ مستودع العلوم والعرفان

على اننا نستطيع أن نستثنى الامم الاسلامية من هذا التعميم ، فقد كانت المجتمعات الاسلامية الزاهرة فى مصر والاندلس والمغرب بعيدة عن التأثر بروح الاقطاع وآثاره ، أجل كان للفروسة آثارها فى تكوين الشبيبة الاسلامية خلال العصور الوسطى ، بل كانت فروسة الاندلس أزهر فروسة فى تلك العصور ، وكانت تطبع فروسة النصرانية بكثير من خلالها وشمائلها ، ولكن الشبيبة الاسلامية كانت تتذوق الحياة العقلية ، وكانت تخص الدراسات الرفيعة بكثير من نشاطها واهتمامها وهى فى هذا تمتاز عن شبيبة النصرانية التى كانت تحملها روح الفروسة بعيداً عن مهاد الدرس والتثقيف والعرفان

ومنذ فجر الاحياء تخف آثار الاقطاع والفروسة ، وتتطور عقلية الشباب فى ميدان الطموح والمثل العليا ، ويرى الشباب فى الحياة العقلية ، كما يرى فى الحياة العسكرية ، أمنية تخلق بالطموح الرفيع ، بل نرى الشباب فى طليعة حركة الاحياء الرائعة (Renaissance) يقود كثيراً من نواحيها الزاهرة . ويكفى أن نعلم ان دانتى أول زعيم للاحياء قد تفتحت عبقريته الشعرية قبل أن يبلغ العشرين ، وان بوكاشيو زعيم الادب المنثور فى عصر الاحياء بلغ ذروة القوة والروعة قبل أن يبلغ الاربعين ، وان عالم الاحياء بيكودى ميراندولا كان آية عصره فى العلوم والفلسفة وهو دون الخامسة والعشرين (١) بيد انه يجب ألا نعتقد ان شباب الاحياء كان منقطعا الى التفكير والدرس ، فقد كان ثمة دائما ذلك المجتمع الفتى المرح الذى ينظر الى الحياة كأنها لهو ولعب فقط ، ذلك المجتمع الذى وصفه لنا مكيافيللى السياسى الفيلسوف فى كتابه « تاريخ فيرنتزا » فى قوله : « لقد كانوا أكثر حرية من آبائهم وأجدادهم فى الملبس والحياة ، وكانوا ينفقون أكثر منهم فى أنواع أخرى من الافراط ، ويستنفدون أوقاتهم وأموالهم فى اللعب والصيد والنساء ،

(١) دانتى الجيرى عميد الشعر الايطالى (١٢٦٥ – ١٣٢١) وبوكاشيو عميد النثر الايطالى فى عصر الاحياء (١٣١٣ – ٧٥) وبيكودي ميراندولا (١٤٦٣ – ٩٤)

وكان كل همهم أن يبدوا فى حلل أنيقة ، وأن يتحدثوا بذكاء ودعابة ـ هذا بينما كان يعتبر أعقل الناس من كان أمهرهم فى جرح الآخرين ، وهكذا كان مجتمع الشباب الطروب اللاعب يتبوأ مكانه دائما ، بيد أنا نلاحظ ان التفكير الرفيع كان من خلال الشباب وخواصه فى عصر الاحياء

* * *

ولم تتح للشباب فى القرنين السادس عشر والسابع عشر فرص بارزة للتأثير فى سير الحركات والتطورات العامة . ذلك ان النظم والمجتمعات الاوربية كانت يومئذ تسـير نحو حالة من الاستقرار العام . وكانت أوربا تجوز أحداثا دينية وسياسية وعسكرية عنيفة ، مثل حركة الاصلاح الدينى (البروتستانتية) وحرب الثلاثين وحروب لويس الرابع عشر ، وكان الطغيان الملوكى والعسكرى يبسط سلطانه القوى الشامل على المجتمع فلا يجد الشباب متنفسا لارائه وحركاته وثوراته

بيد ان القرن الثامن عشر شهد تطوراً عميقا فى عقلية الشباب ، وكان متنفسا رائعا لاعظم حركاته . وكانت كتابات فولتير ومونتسكيو وروسو وديدرو وزملائه كتاب الموسوعة تنفث فى الشباب الفرنسى روحا جديدا وعقلية جديدة ، وتبث فيه عزما يضطرم الى تحطيم النظم والحياة القديمة ، وكانت هذه الروح الفتية المضطرمة قوام تلك الثورة التحريرية الكبرى التى قوضت أسس المجتمع القديم ، ودكت صروح الطغيان ، وأودت بالملوكية والحق الالهى ، ونفثت فى الانسانية روحا قويا من الحرية والكرامة . أجل كان للشباب أعظم قسط فى اضرام نار الثورة الفرنسية وفى قيادتها وتوجيهها . وكان أول زعيم حقيقى للثورة وأول من قاد الشعب الى الباستيل فتى دون الثلاثين هو كاميل ديمولان . وكان دانتون وروبسبيير ومعظم أعضاء المؤتمر الوطنى فتيانا فى زهرة العمر . وكانت شرلوت كرداى أجمل وأعظم قاتلة ثورية فتاة فى ريعان الصبا . وانى بحثت فى نواحى الثورة الفرنسية وفى أدوارها ألفيت للشباب النصيب الأوفى ، بل يبدو أثر الشباب واضطرامه جليا فى عنف مثلها وروعة وسائلها . وقد كان هـذا الاضطرام الفتى ذاته من عوامل انهيار مثل الثورة بسرعة وقيام الطغيان العسكرى الذى استأثر بتراثها وقواها ودفعها الى وجهة أخرى . بيد انا نلمس هنا أيضا أثر الشباب قويا بارزاً ، فقد كان بونابرت وزملاؤه زعماء الحركة الجديدة وقادتها فتيانا فى زهرة العمر تحدوهم مثل الشباب وآماله وتحملهم عزائمه الوثابة وعبقريته الفياضة

* * *

وقد كان للشباب فى عصرنا أكبر الاثر فى معظم الحركات السياسية والاجتماعية الكبرى التى غيرت مصاير النظم والاوضاع السياسية والاجتماعية فى أوربا عقب الحرب الكبرى . ففى روسيا البلشفية ، وفى ايطاليا الفاشستية ، وفى المانيا الهتلرية وفى تركيا الكمالية ، يضطلع الشباب

بأعظم عبء فى توطيد دعائم النظم الجديدة ، بعد ان اضطلع بأعظم عبء فى تنظيم الحركات العنيفة او السلبية التى مهدت لقيامها . ويسيطر الشباب اليوم بقواته وصفوفه المتراصة على مصاير هذه النظم السياسية والاجتماعية التى هزت أسس المجتمع الاوربى القديم الى الاعماق ، وبثت فيه روحا وعقلية جديدتين ، واذا كان مما يبعث على الاسف ان هذه النظم الجديدة تقوم على مبادىء الطغيان المطلق وتضحية الحريات والحقوق العامة فى سبيل الفكرة المذهبية والحزبية أو فى سبيل الزعامة السياسية الطاغية ، فانه يمكن أن يقال من جهة أخرى انها تبث فى الشباب روحا جديدا من العزم والجد والخلال الحسنة . بيد أنه يلاحظ ان الشباب ينظم فى ظل هذه النظم الطاغية تنظيما عسكريا مشربا بروح قومية متعصبة ، وان خلق هذه الروح المضطرمة فى الشباب يهدد مصاير السلام بأعظم الاخطار . وأمامنا مثل الفاشستية التى انتهت بتنظيم الاعتداء المسلح على الحبشة باسم الامانى القومية ، ومثل الاشتراكية الوطنية الالمانية التى حشدت صفوف الشباب لتلقيها فى أول فرصة الى حيث ترنو بأمانيها السياسية والعسكرية . وأمامنا مثل الشيبية الروسية التى نشأت فى أحضان الثورة البلشفية ، وغدت كتلة ثورية هائلة تهدد بمبادئها وآرائها نظم العالم القديم كلها

وهل نحن بحاجة لأن نقول ان حركات الشباب لم تقتصر على أوربا والمجتمعات الاوربية ، وانها كما اضطرمت فى الغرب تضطرم فى الشرق؟ ان معظم الامم الشرقية ولا سيما الامم المغلوبة تجيش اليوم بحركات الشباب المتوثب الظامئ الى الحريات المسلوبة ، الطامح الى حياة الكرامة والعزة القومية ، وقد شهدنا من تطورات هذه الفورات الفتية الكريمة فى العهد الاخير ، ومن آثارها فى مصر وسوريا ما يثير ذروة الاعجاب ، وما يحمل على الاعتقاد بأن شباب الشرق يعتزم أن يحمل المستقبل بيديه ، وان يخوض حياة الكفاح المجيد فى سبيل الحياة الحرة الكريمة

وأخيراً نستطيع ان نقول ان حركات الشباب فى عصرنا تبلغ اليوم ذروة قوتها وأهميتها ، وان مصاير العالم فى المستقبل القريب تتوقف الى أعظم حد على تطور هذه الفورات الفتية المضطرمة

محمد عبدالله عنان



شباب الفتى وشباب الفتاة

أيهما أطول عمرًا

بقلم الدكتور محمد مبارك

فى الشاب : خفة روح . وفرح ومرح وسرور وابتهاج وانشراح ، وآمال واحلام وحركة دائمة . زهو وافتخار . مقدرة ومغامرات ومجازفات

وفى الشاب : صحة وقوة وفتوة . تقاطيع بمرة منسجمة . جبهة ساطعة وعيون براقة . اسنان بيضاء ناصعة ليست صناعية . وفم رائحته طبيعية . ووجه مكتمل ذو شارب مخطوط ولحية غير كثيفة . صوت قوي واضح وصدر عريض متسع . واطراف معتدلة ملتفة عبلة عضلاتها ظاهرة تكسوها بشرة سليمة ناضرة

فى الشابة : خفر وحياء وتيه ودلال وعجب وعواطف وفرح و . . و . . . الى آخر ما فى الشاب من صفات

وفى الشابة : نضارة ونعومة وطراوة وحلاوة وفتنة وسحر . شعر مرسل ، لا بالقصير ولا بالطويل ، وفرق كأنه فلق الصبح من شدة البياض فى شدة السواد ، ووجه صبوح مشرق . وجبين كأنه الهلال الناصع الواضح . وحواجب مخططة . لا كثيفة ولا مهوشة . وعيون ناعسة غضة فى الشباب المبكر ، واحياناً ساحرة ملتهبة مفترسة فى الشباب المتأخر . وانف دقيق معتدل شفاف وشفاه حمراء طرية لا مقشرة ولا مشققة . وفم عطر مرصع باسنان لؤلؤية وجسم ملتف هو مثال لما ابدعه المثالون والمصورون

> سبب الشباب – الفرق بين شباب الفتى وشباب الفتاة – كيف يحافظ الانسان على شبابه

تلك صورة وصفية لناحية من الشباب الذى اعده شبابا كاملا . والشباب امر نسبى ككل الصفات المعنوية فى هذا العالم وله درجات بعضها فوق بعض ، فاذا سقط شعر الراس فى الشاب وصار راسه أصلع وكثف الشعر داخل اذنه وانفه واستعمل النظارات او الاسنان الصناعية وكبر كرشه أو فقد جزءاً من شهيته أو أصابه إمساك أو اصطنع الراحة وآثر العقل والحكمة فى أعماله دون اللهو والعاطفة أو اكثر من استشارة الأطباء وأحس بالتراخى يتملك عضلاته وترهل جسمه وقل خصبه ، فهو رجل لا شاب

وإذا حملت السيدة جملة مرات ونام ثديها من الرضاعة بعد أن كان ناهداً وتشققت عضلات بطنها وجلدها وصارت « مرهرطة » ساقطة مكرمشة وصارت تحس بالبرد أكثر من ذى قبل فاستعملت الملابس الصوفية بدل الحريرية وصارت تزكم كلما استحمت وأخذت النوم عادة فهى امرأة لا شابة مهما كانت سنها

سبب الشباب

اذا عرفت الشباب كما صورته لك وأردت أن تعرف سبب فورته فى الجسم قلت لك إن سببه هو الغدد الصماء اللاقنوية التى تفرز افرازاً داخلياً فتبدى الشباب أولا بنهضتها لأن الطفولة تحكمها غدة واحدة لا قنوية هى التيموس التى تقع بين الرقبة وأعلى الصدر وهى تحكم النوعين الذكر والانثى . ولها تأثير منوم على باقى الغدد اللاقنوية فى الطفولة . فاذا جاوزها الحى الى دور الشباب ضعفت غدة التيموس وضمرت وتيقظت الغدد الاخرى وزاد افرازها وخصوصا الغدد الجنسية فى النوعين وهى الخصيتان فى الذكر والمبيضان فى الانثى . تصحو هذه الغدد وتكبر وتصب افرازها فى الدم فتسرى فيه وتلهب الجسم بسيالها الداخلية ، فتكون تلك الحركة التى صورتها لك آنفاً ، ويبتدىء البلوغ فى الشاب بالحلم ، وفى الانثى بظهور الحيض ، ولهذه الظواهر فى الجسم والنفس تأثير مفرح ومنشط

والغدد الصماء فى الجسم الانسانى نحو عشر ، وهى المعروفة فى الحيوانات بالحلويات تتفق فى الذكر والانثى فى الاغلبية وتختلف فى الغدد التى تميز الجنس وهى :

الغدة النخامية وتستوى فوق قاعدة الجمجمة وتحت المخ وهى واحدة . والغدة الدرقية فى الرقبة تحت الحنجرة بأصبع وهى واحدة . والغدد جارة الدرقية وهى أربع وراء كل فص من فصى الغدة الدرقية اثنتان . وغدة التيموس واحدة وتقع فى اعلى الحيزوم المقدم بين الرقبة والصدر . والبنكرياس . والغدة فوق الكلية وهما اثنتان فوق كل كلية واحدة . والخصيتان فى الذكر ، والمبيضان فى الانثى ، وبعض غدد أخرى لم تعرف فائدتها الى اليوم

هذا هو المعروف اصطلاحاً لكن هناك رأياً يقول إن كل احشاء الجسم وأعضائه لها افرازات داخلية كالطحال والكبد والقلب والعضلات وغيرها ، ولكن ذلك لا يهمنا فى موضوعنا

ويدهش المرء حين يعلم ان هذه الغدد فى الجسم هى التى تضبط نظامه ، بل هى التى تشكله فى نوعه وفى أدوار حياته ! حتى كنت وانا طالب تعروني الدهشة ، بل كنت لا أكاد أصدق أن الغدد الصماء وهى لا تزيد عن رطل واحد فى جسم الانسان يكون لها كل هذا العمل والتأثير . وكانت نتائج هذه البحوث جديدة أى انه لم تستخلص خلاصاتها جميعاً وتعرض فى السوق كما هو حاصل الآن . اما اليوم فقد عرفت فوائد أغلبها بالضبط ، والامراض التى تنشأ عن اختلال

وظيفتها ضعفا وقوة . وعولجت هذه الامراض بتلك الخلاصات ، فليس هناك شك فى تأثيرها . فما دامت هذه الغدد تقوم بوظيفتها على الوجه الاكمل فالشباب شباب . وكلما اختلت وظيفتها بكبر السن أو المرض ، نقص الشباب شيئاً حتى ينتهى . وللوراثة دخل كبير فى تكوين هذه الغدد وتأثيرها فالانسان يرث عن أبويه فيما يرث تكوين غدده فيكون شبابه قويا طويلا او ضعيفا قصيراً ، ثم يدخل فى دور الشيخوخة ، وكل واحدة من هذه الغدد لاتعمل عملا واحداً . وقد تساعد الواحدة الاخرى وقد تكون مضادة لها حتى تتعادل وتتكافأ القوى الجسمية والعقلية

الفرق بين شباب الشبان والشابات

وشباب البنات يبتدىء مبكراً قليلا عن شباب الاولاد وينتهى كذلك مبكرا لان غددها الصماء تتنبه مبكرا فى سن الرابعة عشرة فى المتوسط ثم تبتدىء فى الهبوط حوالى الثلاثين . أما الاولاد فيبتدىء شبابهم حوالى الخامسة عشرة ثم يبتدىء فى الرجولة حوالى الخامسة والثلاثين وقد يستمر شبابه طويلا بعد ذلك الى الخامسة والاربعين

والشباب فى الشبان أطول من شباب الشابات ـ هذه سنة طبيعية . ولا يمكن التسوية بينهما لأن بنيهما أولا مختلفة ، وذلك راجع الى نوع وكمية الافرازات الداخلية ، وثانيا لان المرأة عادة أرهف حسا وأشد عاطفة من الرجل لان غددها الصماء تشتغل بسرعة تزيد عن سرعة الغدد الصماء فى الرجل . ولذلك تستنفد قوتها بسرعة الا اذا كان فيها نوع ما من الرجولة فعندئذ تكون أعصابها اقوى وشبابها أطول . وكل انثى فيها نوع ما من الرجولة كما أن فى كل رجل نوعا ما من الانوثة . والنادر النادر من يستكمل الرجولة جميعها أو الانوثة جميعها

والشاب اذا طالت عزبته طال شبابه اذا كان معتدلا فى معيشته . أما الشابة اذا طالت عزبتها فى بلادنا اضمحل شبابها اذا لم يأت لها الخطيب الكفء فى الوقت المناسب ، وخصوصا اذا كانت كشابات بيوتنا لاتحسن عملا تتسلى به من رياضة أو سباحة أوشغل منتج . لكل همها فى الصباح المرآة والتواليت وكل مناها مساء أن تذهب الى دور السينما فترى الروايات المغرية المهيجة وتغذى بذلك خيالها وعواطفها المكبوتة فتذبل بل قد تمزق

وأحسن الزواج ما كان فى سن العشرين ولايصح أن يتأخر للشابة عن الخامسة والعشرين . أما الشاب فأحسن زواجه ما كان فى سن الثلاثين مراعاة للظروف الحاضرة من تعليم وغيره ولا يصح أن يتأخر عن الخامسة والثلاثين

اذا تزوج الشاب كان هو وطبيعته ولابد أن تهدأ نزوة شبابه قريبا أو بعيداً . أما الشابة اذا تزوجت كانت فى الحمل والولادة كالاكسبريس فكل سنة تأتى بمولود جديد ، فلاتمضى عليها بضع سنوات حتى ترى فيها الصورة الوصفية التى قدمتها لك فى المرأة . وبصفتى طبيباً أقرر أن كل سنة

تقضيها الشابة فى الحمل والولادة والرضاعة تستنفد من قوتها مقدار ماتنفقه عادة فى سنتين . هذا اذا كان الحمل طبيعيا لم تحصل فيه مضاعفات مرضية ، فاذا حصلت وهى كثيرة الحدوث فى هذه الايام للاسف ، لضعف بنية السيدات وعدم ممارستهن أى نوع من الرياضة حتى ولا الاعمال المنزلية التى كانت تشدد عزائم امهاتنا وتساعدهن على تحمل أعباء الحمل والولادة والرضاعة . فاذا حصلت هذه المضاعفات فلا يقل المجهود الذى يصرف فيها عن خمس سنوات من سنى حياتها العادية . فالسيدة التى تتزوج فى سن العشرين مثلا وتمكث عشر سنوات وهى متزوجة وتكون عاقلة فتأتى فى هذه العشر السنوات بخمسة أطفال أى بمعدل طفل كل سنتين تكون فى سن الثلاثين كأنها فى سن الاربعين . ولذلك يذهب شبابها بسرعة اكثر من الرجل . فكم تكون سنها اذن اذا حصلت لها مضاعفات على فرض انها نجت منها ! ؟

كيف يحافظ الانسان على شبابه

الشباب خزان هائل من القوى الحيوية كخزان أسوان ان لم تجد لها مصرفا فستحطم نفسها بنفسها . وأحسن مصرف لقوة الشباب هو التعليم للجنسين جميعا ، تعليم العلم والحرف والصنائع، لان هذا زمنه وفيه معداته . فاذا انصرف الشاب عن التعليم ولم يجد له فيه رغبة فاحسن مايصرف فيه وقته الالعاب الرياضية والموسيقى والرحلات (لمن أستطاع) والمطالعات اللذيذة المفيدة فى الكتب والمجلات وهى بحمد الله كثيرة فى مصر الآن ورخيصة

واذا انصرفت الشابة عن العلم ولم تجد زواجا ولا عملا منتجا فامامها الالعاب الرياضية وعمل البيوت وهو متنوع وكثير ، ولا تعدم ان تخلق لها رغبة فى احدها فان لم تعمل فلا تتخذ التوالت وامكنة اللهو عملاء بل يجب أن يكون ذلك بمقدار ، وباقى الوقت تصرفه فى المشى والفسح الخلوية وفى المتنزهات العامة . وأنا أنصحها الا تصطنع الجلوس على الكراسى والشلت كشابات الطبقة المتوسطة عندنا ، وتعد لذلك عدتها للتسلية من موقد وابو فروة فى الشتاء واللب والفول السودانى فى الصيف ، لان ذلك يسمن الجسم ويرهله ويجعله غير قابل للحركة السهلة . والعالم الآن لا ينام ولا يجلس ولكنه يجرى بعجلات بل يطير بطيارات وأجنحة . ولن نرتق الا اذا سابق شاباتنا شابات العالم الغربى فى كل ما يفيد لا فيما لا يفيد

وعلى الشباب وفيه كل العناصر الحيوية أن يتلمس السرور اينما وجده ويكون طروبا مرحا لا حزينا ولا مكتئبا ولا يعطى الحوادث المحزنة الا قدراً يسيرا من وقته، وبعد ذلك يهضمها بعقله كما يهضم اكلة ثقيلة وتنتهى ، ولا ينسج من خيوطها حبالا يأخذ باسبابها فهى طويلة وليس العالم مسيرا وفق رغباته بل يجب ان يرضى بحوادثه كما هى فينتهز منها المفرح فيفرح ويأخذ منه باكبر حظ ويهضم المحزن حتى يتلاشى . والشابات غير قادرات على هضم الحوادث المحزنة كالشبان

وخصوصا فى بلادنا لغلبة الجهل بل هن يصطنعن الحزن ويتسلين به وبئست السلوى . وهذا ولاشك عامل مهم فى هد كيان شبابهن . ويجب ان يتوسط الانسان فى الاكل المتنوع حتى يحفظ شبابه سليما فمن طبيعة الشباب النهم كما قدمت ، فان أمكنه ان يعتدل طال شبابه وتمتع به . ويجب أن يكثر الانسان من الحركة بقدر الامكان اذا لم يستطع مزاولة الالعاب الرياضية فان الحركة بركة . والاستحمام بالماء البارد مفيد وخصوصا فى البحر فهو منعش ومنشط ويزيل السمانة ويمنع كثيرا من النزلات الانفيه والصدرية ويفتح الشهية المغلقة . وأحسن الاعمال للشباب فى أوقات الفراغ هى الاعمال الزراعية وفلاحة البساتين ، ففيها يجد كل انسان متعة ولذة وحركة هينة لامضنية كما يحصل فى الالعاب الرياضية ، وهى اكثر ماتوافق الشباب المتقدم لا الشباب الحامى الفوار المبتدىء . ويحفظ الشباب النوم مبكرا واليقظة مبكرا وهدوء البال وعدم المراهنات والميسر والخمر والاعتدال فى التدخين ان لم يمكن الاستغناء عنه بتاتا والاعتدال فى الجنسيات

شبين الكوم محمد مبارك

اذا دام للمرء السواد ولم تدم
غضارته ظن السواد خضابا
فكيف يظن الشيخ ان خضابه
يظن سواداً أو يخال شبابا

ابن الرومى



لو رجعت الى الشباب
أماني وأحلام لأربعة من الشيوخ

« ألا ليت الشباب يعود يوما » . .

هذه امنية كل شيخ زايل عهد الشباب ، وغادر مغانيه العامرة بالقوة والفتوة والمرح والبهجة . ولكن اماني الشيوخ واحلامهم في العودة الى هذا العهد قد تختلف باختلاف آرائهم في الحياة ، واغراضهم منها . ولذلك رأينا ان نستفتي طائفة من خيرة الشيوخ ، وهم الاستاذ محمد حافظ رمضان بك ، والاستاذ عبد القادر حمزة ، والدكتور روبرت مكلانهن واللواء محمد فاضل باشا ، فيما يودون تحقيقه لو عادوا الى الشباب ، فافضى كل منهم بما يلي

أمنية محمد حافظ رمضان بك

« . . واذا كنت قد وضعت هذا الدستور الاخلاقي ،
فلا بد انني كنت أولى باعتناقه واتباعه لو رجعت الشباب . . »

منذ خمس سنوات وأنا أشتغل فى تكوين الشباب تكويناً صحيحاً ، واعداده لينشأ أهلا لتأدية رسالته فى الحياة على وجهها الصحيح . ولا شك أنى اذا رجعت الى الشباب لا تسألنى لجعلت همى متجهاً نحو الدستور الخلقى الذى وضعته للشباب الذى أراه معقد الآمال فى تحقيق المطامح الوطنية . وهذه المبادىء قد تناولتها عشر كلمات هى :

أولا — أد الواجب ودع ما يكون

ثانياً — الأقدار ليست فى يدك ولكن قيامك بواجبك يجعل المقادير فى عونك

ثالثاً — احترم الحق وابحث عن الحقيقة

رابعاً — اجهر بالحقائق تحرر الدنيا من الاكاذيب المتفق عليها

خامساً — تفريطك فى جزء من حقك تفريط فى مفهوم الحق نفسه

سادساً — بقدر ايمانك يكون أثرك فى الحياة

سابعاً — آمن بأغراض الحياة العليا يحمك ايمانك من الخطايا

ثامناً — وطنك أولا ثم العالم

تاسعاً - للحياة مدخل واحد ومخرج واحد فاذا حررت فكرك ووجدانك من الأوهام غزوت الحياة وغزوت الموت

عاشراً - خير لك أن تموت مؤمناً بقداسة الواجب الذى تؤديه فى الحياة من أن تعيش كافراً بتراث الانسانية

فثلا ترى فى الكلمة الاولى مهمة كل انسان فى الحياة . وفى اعتقادى أن أداء الواجب هو أول غاية فى الحياة وأسماها . وأنك تجد كذلك أن الأقدار وان لم تكن طوع الانسان إلا أن القيام بالواجب يجعل الضمير مرتاحاً والنفس مطمئنة

كذلك ترى من عيوب الهيئة الاجتماعية عدم احترام الحق وعدم البحث عن الحقيقة . وقد كان هذا العيب من أخطر العيوب فى الهيئات الاجتماعية ، حتى إن مفكرى الازمان السابقة وضعوا لها حكما بالغة كقول الامام الغزالى : « اعرف الرجال بالحق . ولا تعرف الحق بالرجال »

كذلك تجد أن العالم مقيد بما يسمونه الاكاذيب المتفق عليها ، ولقد ذكر الفيلسوف الانجليزى « بيكون » أنواعاً كثيرة من الاكاذيب المتفق عليها . فنها (أوهام العامة) ويقصد بها الأوهام والخزعبلات التى تطبع برأس الانسان وليس لها أساس منطقى . فرجل يؤمن بالفأل الحسن ويتطير من الفأل السيء ، وقد ينجح مرة فتدفعه أوهامه الكاذبة الى أن الفأل سبب النجاح . ولو أنه بحث عن آلاف المرات التى خاب فيها فأله لطهرت نفسه من هذا الوهم ولصح استنتاجه وظهر له وجه الحق . ومنها ما يسميه (أوهام السوق) ومصدرها أوهام يرثها الانسان عن جنسه وأسلافه . وأوهام تأتى للانسان من قبل اللغة . « فطلعت الشمس وغربت الشمس » كلام عند العالم غير حقيقى لأن الشمس لا تطلع ولا تغرب ، ولكن الوهم والجهل جعلا من اللغة أداة التضليل . وكذلك (رابع المستحيلات) استعمال خطأ أيضاً لأنه جامع غير مانع فالمستحيلات كثيرة ، وهو من أوهام أحد الشعراء . ومنها مايسميه (أوهام المسرح) وسماها كذلك لأن كل فيلسوف ومفكر وسياسى فى نظام تفكيره وفيما يضع من الكتب والمؤلفات قد يمثل بها وعلى مسرحها الأفكار التى فى رأسه وليست الأفكار الحقيقية التى فى العالم . ولا يمكن ان يتخلص العالم من مثل هذه الاكاذيب إلا إذا جهر الناس بالحقائق ، لذلك كانت الكلمة الرابعة من الدستور الاخلاقى « للبازى » الجهر بالحقائق

وهكذا إذا تمشيت مع الكلمات العشر السابقة تجد أنها تؤدى الى التقويم الخلقى فى الشباب وتجعلهم يؤمنون بقداسة الواجب الذى يؤدونه فى الحياة . وأن ذلك خير الف مرة من أن يعيشوا كافرين بتراث الانسانية

واذا كنت قد وضعت للشباب هذا الدستور الأخلاقى فلا بد أننى كنت أولى باعتناقه

واتباعه لو رجعت الى الشباب . واذا كانت تجاريب الحياة قد مكنتنى من أن أضع مثل هذا البرنامج فلا ريب أنى معتنق له ولو لم أعد الى الشباب مرة أخرى ، ذلك لأن الشباب نوعان: شباب العمر ،وشباب النفس،فقد يبلغ الانسان سنا لا يعد فيها شاباً فى قياس العمر ، ولكنه مع ذلك شاب بنفسه وبخلقه . ولو انى قد جعلت هذا البرنامج للشباب ، فانما هو فى الواقع برنامج لكل نفس طيبة تريد أن تؤدى واجبها فى الحياة سواء بلغ صاحبها سن الشباب أو الكهولة

حافظ رمضان

أمنية الاستاذ عبد القادر حمزة

« . . فاذا تحقق لدى وأنا شاب أن أقوم بتأسيس هذه الشركة التعاونية للصحافة ايقنت أن سيرها سيكون متزنا لاطفرة فيه . . »

لو رجعت الى الشباب ، فلا أشك فى أن اتجاهى فى الحياة سيكون منصرفاً الى الحياة العملية الحرة ، وأكون صحفياً لحماً ودماً ، وأعنى بذلك أنى أكرس حياتى كلها للصحافة

وأول ما افكر فيه أن أقوم بتأسيس نوع جديد من الصحافة ، يقوم على فكرة التعاون والشركات ، فاغلب أنواع الصحف لدينا الآن قائمة على مجهود الافراد. واشتد بذلك التنافس بين الصحف الى درجة تجاوزت بها الحد الذى كان يجب أن تقف عنده مع التطور الطبيعى لحياتنا العامة . ويمكن أن تدرك مبلغ الفارق بين اطراد التقدم فى الصحافة بمصر والتطور الاجتماعى فيها ، اذا قيست مصر فى هذه الناحية بفرنسا مثلا . فالجرائد فى فرنسا ـ وهى بلاد تعدادها حوالى ثمانية وثلاثين مليوناً ، وأهلها كلهم متعلمون ولها من المستعمرات ما يقرب من نحو عشر الكرة الارضية ـ أغلبها ما يزال فى ست صفحات أو ثمانى صفحات . وليس فيها الا جريدة واحدة أو اثنتان فى اثنى عشرة صفحة أو ست عشرة صفحة . مع أن هذه الجرائد من بينها ما يطبع مليوناً أو أكثر من مليون من النسخ ، وليس فيها جريدة يقل عدد المطبوع منها عن مئات الالوف . ومع ان الصحف المصرية تزيد فى الحجم عن الصحف الفرنسية ، وهى تماثلها فى التصوير وتعطى من المادة الاخبارية والمادة العلمية مثلها تماماً ، مع هذا كله فالفرق شاسع بينهما فى التوزيع

فاذا ما تحقق لدى وأنا شاب ان اقوم بتأسيس هذه الشركة التعاونية للصحافة ، أيقنت أن سيرها سيكون متزناً لاطفرة فيه ، وانها ستكون فى مأمن من مثيرات التنافس الشديد فتتمشى بذلك مع التطور الطبيعى لحياتنا العامة

أما الغاية التى اتوجه اليها فى هذا العمل الصحفى فهى توخى افادة الجمهور وتثقيفه والنهوض به الى مستوى أرقى فى التفكير . ولا أعنى كثيراً بناحية التسلية والاغراء إلا بالقدر الذى يتيسر به للجمهور أن يقبل على ضروب الثقافة بسهولة وشغف . أو بمعنى آخر سيكون المبدأ الاساسى هو التثقيف ، وتكون التسلية امراً ثانوياً بالقياس اليه . ومن رأيى ان مهمة الصحافة الرشيدة ان تكون بمثابة مدرسة عامة للشعوب تمدها باحدث ضروب المعارف واصدقها سواء فى ذلك السياسة والأدب والعلوم والفنون

واتوخى فى هيئة تحريرها ان تكون كلها من الشباب ، ما عدا التحرير السياسى فأختار له رجالا بين الشباب والكهولة . اما الشيوخ فلا يكون لهم عمل عندى . والتعليل فى ذلك ظاهر ، فالشباب من اوفق العناصر التى يتمثل فيها النشاط والسرعة والمخاطرة والقدرة على التنفيذ والنزوع الى التجديد . واختيار الرجال للتحرير السياسى ملحوظ فيه ان المسائل السياسية تحتاج فى علاجها الى الاتزان وبعد النظر والتفكير فى العواقب والربط بين المقدمات والنتائج . هذا مع سعة الخبرة وفهم الحياة ، وقد لا تتوافر كل هذه الصفات فى الشباب الناشىء

ولو كانت تواتينى الظروف لجعلت اعتمادى فى الشؤون الاخبارية على الفتيات لانهن اقدر على استخلاص الاخبار من اخوانهن الشبان . على شرط ان تكون الفتيات على حسن استعداد للقيام بهذه الشؤون من ناحية ، وان يكون العرف مستعدا كذلك لقبول امر كهذا . وسيكون القسم الخاص بالسيدات موكولا اليهن كذلك

اما الادب فتجب العناية به ، لانه جانب كبير من جوانب الحياة . والصحافة اذا خلت من هذه الناحية اصبحت جافة ، كما ان الانسان الذى يغفل الاهتمام بها تضعف فيه حرارة العاطفة وانتباه الشعور وقوة الطبع التى تتوقف عليها سعادة الانسان وراحته او شقاؤه ومتاعبه

وكل هذا فيما اعتقد كفيل ان يبنى لى وانا شاب مجداً صحافيا

عبد القادر حمزة

أمنية الدكتور روبرت مكلانهن

« . . وفي اعتقادي أنه على قدر ما يوهب الانسان من قوة الشباب وعلى قدر ما يحسن الانتفاع بها يكون تقدمه في الحياة وارتقاؤه سلم المجد . . »

لو عدت شاباً لكان أول ما يعنينى أن أتبين ميولى واستعدادى الذاتى على الوجه الصحيح ، سواء أكنت فى ذلك قادرًا على استخدام هذا الاستعداد أم غير قادر عليه . وأعمل بعد ذلك لتوجيه مجرى حياتى بما يتفق وإنماء هذه المواهب على قدر الاستطاعة . ويستوى

عندى أن اكون مشتغلا بالعلوم أو التاريخ او الادب أو الزراعة او الصناعة أو أى نوع آخر من ضروب المعارف والحرف، مادمت قادراً على العناية بميولى الخاصة أنميها وأشبعها ولو من غير الطريق الذى ارتزق منه. حتى لا يكون السعى وراء الرزق والاكتساب حائلا دون تثقيف نفسى الثقافة التامة التى تطبعنى بالطابع الذى أحب أن أكون عليه

ولست أعنى بهذا أنى اعيش لنفسى وحدها، بل على العكس من ذلك أجعل حياتى للغير، فاشارك الناس أفراحهم واحزانهم، واواسيهم واضحى فى سبيلهم بمجهوداتى المادية والادبية اذا دعا داعى الانسانية الى ذلك. على ان اكون فى كل ذلك متزنا حكيماً فى جميع تصرفاتى، لانى اعتقد ان البذل بسخاء فى سبيل اسعاد الغير والعمل على مصلحتهم من اجدى الامور النبيلة التى تهيء للانسان ان يتخلص من الانانية البغيضة وحب النفس. ولأكن صديقا للكبير والصغير، لجميع الناس فى اى مركز ومن اى طبقة كانوا. ولا تكون بهذا كل حياتى منصرفة الى تحقيق مطامعى الخاصة

ولا اغفل بحال من الاحوال عن المحافظة، بكل حرص ويقظة، على اعز ما يملك الانسان فى حياته، واعنى به قوة الجسم والعقل والروح. فلن اسيء استعمال هذه القوة والانتفاع بها. فابتعد وسع طاقتى عن المغريات والمفاتن التى تحرمنى النوم الكامل والرياضة الصحيحة والعناية بسلامة البدن. لانه اذا تهدمت خلايا الجسم واعصابه تحت تلك المؤثرات ضعفت بذلك قوة العقل والروح. وفى اعتقادى انه على قدر مايوهب الانسان من قوة الشباب، وعلى قدر مايحسن الانتفاع بها يكون تقدمه فى الحياة وارتقاؤه سلم المجد. ومن اجدى وسائل الانتفاع بهذه القوة ان ينظر الانسان الى حياة الناس، الفائزين منهم وغير الفائزين، ليستمد من هذا النظر عظة وعبرة

ويتجه تفكيرى دائما الى فترة العمر ما بين الخمسين والستين، لاحدد لنفسى الغاية التى يجب ان اصل اليها فى هذا العهد. لاستطيع بهذا التحديد ان احكم الاتصال بين شبابى وشيخوختى. فلا اتعثر فى الطريق، بل اسير الى الامام دائماً واسع الرجاء قوى الامل

وبهذا يبدو لى انى اكون قد ارضيت نفسى وارضيت الناس وارضيت خالقى

ويقينى انه لا يعصم الانسان فى حياته من الزلل، ولا يقود الى طريق الحق والصواب، إلا امر واحد وهو «ان يكون حكيما». والكشف عن حد الحكمة متيسر لكل فرد لو كان حر التفكير سليم الاعتقاد قوى الايمان بالله مخلصا نقى الضمير صحيح العزم

وانا بعد كل هذا بعناية الله وهدايته لابد واصل الى غايتى من الحياة

الدكتور روبرت مكلانهن

أمنية اللواء محمد فاضل باشا

«.. لقد شاهدت في حياتي العسكرية حوادث سلك أصحابها مسلكا شريفا ، وشقوا لهم في الحياة طريقا معبداً ، فلماذا لا أختار الجندية اذا قدر لي أن أعود الى الشباب..»

لو رجعت شاباً ما اتخذت لي حرفة غير الجندية كما كنت ، فلقد أغرمت بها قبل أن ألبس بردها وأغرمت بها وأنا أرتديه ولا زلت مغرماً بها بعد أن قضيت شبابي وكهولتي أحمل علمها خفاقاً فوق رأسي . أما لماذا هذا الغرام بالجندية وهي على ما يزعم جاهلوها مسرح للاستبداد و... المغلطة في السلم وميدان للهمجية والوحشية في الحرب ؟فجوابي عن هذا الزعم قول القائل :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

أما التعريف الحق للجندية فانها مسرح الرياضتين الروحية والبدنية وهي مثل كل فن يحذقه المجد المجتهد ويفشل فيه الكسلان الغبي . أما الأول فيسمو بروحه الى مراتب أهل النهى فتذلل أمامه العقبات في هذه الحياة ويبدو جسمه في أتم تكوين . والعقل السليم في الجسم السليم

أما الثاني فينحدر الى وهدة الشقاء روحه ويتدهور جسمه الى الاعتلال

ويجب أن تتوافر في الجندي الشاب خصال خمس : الصدق والأخلاص والاعتماد على النفس والشجاعة الأدبية والاقدام

فاما الصدق فهو أول واجبات الجندي لأن أعمال الجندية تجرى على عجل وبحساب دقيق . وقد تهزم فرقة في حرب من جراء كذبة انتحلها جندي ولو عن غير قصد سيء

وأما الأخلاص فانه لما كان أظهر واجبات الجندي خوض المعامع حيث تباع النفوس بيع السماح ، فقد كان لزاماً أن يكون الجندي البائع حياته فدية لوطنه أو لمبدئه مخلصاً فاذا لم يكن فهو بلا شك مجنون ، إذ لا معنى في أن يقدم إنسان عاقل على تضحية نفسه وهو غير مخلص

وأما الاعتماد على النفس فهذا لابد منه للجندي الذي يريد أن يسمو بروحه على مسرح الرياضة الروحية ، وماحك جلدك مثل ظفرك . والشجاعة الادبية كذلك من لزوميات الجندي يحمل عليها قبل أن يحمل علم فرقته ، وهي مظهر كل الخلال السابقة ، بل هي أظهر مظاهر الانسانية الحرة . والاقدام خلة يحيا الجندي ويموت عليها . ولقد امتاز القواد في كل حروبهم بالاقدام على الاخطار دون تردد . فبالاقدام اكتسب نابوليون كل حروبه التي انتصر فيها ، وبالاقدام شق مصطفى كمال طريقه الى المجد بين جيوش الحلفاء

هذه هي الخصال التي يتحلى بها الجندي ولقد شهدت في حياتي العسكرية حوادث سلك أصحابها مسلكا شريفا وشقوا لهم في الحياة طريقا معبدا . فلماذا لا أختار الجندية إذا قدر لي أن اعود الى الشباب؟

محمد فاضل

نوابغ الشباب ونوابغ الشيوخ

بقلم الأستاذ أمين الغريب

قال دزرائيلي السياسي الانكليزي : « إن المرء لا يعرفه النوابغ » . والحق أن النبوغ شعاع ينبثق من النفس في أي وقت أراد ، غير مقيد بزمان ولا مكان . وإذا تجاوزنا النبوغ إلى الطبقات العامة في الحياة اليومية نرى شيوخاً محتفظين بنضارة الشباب . وشباناً في ربيع أيامهم كأنهم طاعنون في السن . وكذلك النبوغ يظهر في ابن ست سنين كما قد يظهر في ابن تسعين أو مائة . وقد جمع الكاتب هنا طائفة ممن نبغوا من الشباب والشيوخ ، مبتدئاً بالعقد الاول ومنتهياً بالعقد العاشر

نوابغ الشباب

☆ في السادسة من العمر نبغ كليرو الرياضي الفرنسي فكان يعرف كل قواعد الحساب . وفي سن ١٢ انشأ رسالة في التعاريج الهندسية غير مسبوق اليها دهش لها المجمع العلمي في باريس

☆ في سن التاسعة وقف هنيبال أمام الآلهة في الهيكل القرطجني وأغلظ يمين البغض الابدي لرومية وصار فيما بعد أعدى أعداء الرومان وأشدهم خطراً . وفي هذه السن انشأ الموسيقي الايطالي « باجنيني » أبلغ أناشيده . وكتب « بلفا » الارلندي أغنية « هفوة العاشق » التي استحقت أن تنشدها فستريس على أكبر مسارح باريس

☆ في السادسة عشرة أظهر الفيلسوف الانكليزي باكون ما في مذاهب ارسطاطاليس الفلسفية من اعوجاج . وهو القائل : « ان قليلا من العلم يبعد عن الله وكثيراً منه يقرب اليه »

☆ في سن السابعة عشرة بكى جوليوس قيصر روميه أمام تمثال اسكندر المكدوني لان اسكندر كان قد ملك نصف العالم في هذه السن . أما قيصر فلم يكن قد فعل شيئاً . وفي هذه السن كان واشنطون ارفن الامريكي يطرب قراء جريدة كرونيكل في لندن بكتاباته الفخمة . وفاز الشاعر الفرنسي هالي بالجائزة الاولى من المجمع العلمي الفرنسي على تأليفه « هرميون »

☆ في سن الثامنة عشرة ارتقت فكتوريا عرش انكلترا . وجاءها الوزير الاول يريد أن تكتب الى عمتها رسالة تعزية فأخذت القلم وكتبت : « سيدتي الملكة » فنبهها الوزير الى أنها هي الملكة فلا يجوز أن تدعو سواها بهذا اللقب . فأجابت : « لا أريد ان أكون أول من يكسر قلبها »

☆ وفي الثامنة عشرة الف مندلسون الموسيقي أنشودة « حلم ليلة نصف الصيف » وكان باخ الموسيقي الاول في المانيا . ونقش ميكال انجلو الرسام الايطالي « معركة السنطور » وظهرت مناقب

المصور دافنشي حتى اعترف له معلمه فيروشيا بأنها أفضل من أعماله هو

☆ في التاسعة عشرة اقتحم الملك شارل الثاني عشر الاسوجي روسيا بعشرة آلاف رجل وهزم خمسين الف جندي يقودهم بطرس الاكبر في نرفا . وكان جورج واشنطون محرر الولايات المتحدة قائد جيش انكليزي . ورسم ولكي الانكليزي صورة معرض بتلبي التي كان أشخاصها المئة والاربعون أجمل مشهد تصويري في ذلك العصر

☆ في سن العشرين كان تنتوريتو أشهر مصور في ايطاليا . واكتشف غليليو ناموس رقاص الساعة المتدلي . وكان لافيات الفرنسي قائد جيش في حرب الاستقلال الامريكي . وصرخ جاريسون صرخته العالية في سبيل تحرير العبيد . وفي سن العشرين توفي طرفة بن العبد بعد ما علق قصيدته الشهيرة بين المعلقات السبع على البيت الحرام

☆ في الحادية والعشرين كان اسكندر المكدوني راكباً على رأس جيشه العظيم في سهول تسالية . وفي هذه السن انخرط ولبرفورس في مجلس النواب البريطاني . وابتدأ تاسو الايطالي منظومته الشهيرة « أورشليم المفتداة » وقضى عشر سنوات حتى أتمها

☆ في الثانية والعشرين كان كونداي الفرنسي أشهر قائد في عصره . وكتب كمبل تأليفه «مسرات الرجاء» الذي بنيت شهرته الشعرية عليه . ومات جان كيت المعدود ثاني شاعر في انكلترا بعد شكسبير . وأوصى بان ينقش على قبره : « هنا يرقد الذي كتب اسمه على لوح الوجود بماء »

☆ في سن الثالثة والعشرين أكمل ميكال انجلو أبدع تماثيله على الاطلاق (بيتي) واكتشف اسحق نيوتن بواسطة التفاحة التي سقطت قربه ناموس الجاذبية

وفي هذه السن التي يسحب الشبان فيها ذيول الغرور والخيلاء انصرف بسكال الفرنسي عن الرياضيات القاسية بعد ما اكتشف قواعد اقليدوس بدون استعانة بكتاب وهو في سن ١٢ وكتب أحسن فصل هندسي الى ذلك العهد في التحدب والتقور في سن ١٦

☆ في الرابعة والعشرين كان وليم بيت رئيس وزارة انكلترا . وكتب رسكن عن المصورين خمسة مجلدات صيرته أشهر ناقد في بلاد الانكليز . واشتهر شريدان الكاتب وبيرون الشاعر الانكليزيان وروسيني الموسيقي الايطالي اشتهارا عظيماً

☆ في الخامسة والعشرين كان اشيلوس أشهر شاعر في اليونان . وفاز دون جان النمسوي في معركة ليبانتو البحرية . وباشر عبد القادر الجزائري جهاده المجيد ١٥ سنة ضد فرنسا

☆ في السادسة والعشرين كان مرك انطونيو بطل رومية . وهنيبال قائداً لجيوش قرطجنة يروع الرومان ترويعاً جعل قولهم : « هنيبال امام أسوارنا » يجري مع الاجيال كالامثال عند اشتداد الخطر . وكتب ديكنس الانكليزي أحسن رواياته . واخترع هاو الامريكي آلة الخياطة (الماكنة)

☆ في الثامنة والعشرين رسم رافائيل الايطالي (مادونا) أبدع رسومه . ونظم لامرتين

الفرنسي (تأملاته الشعرية) وابتدأ راسين الفرنسي ينظم كل سنة واحدة من رواياته الخالدة

☆ في التاسعة والعشرين انتصر سيبيون الافريقي على هنيبال في معركة زاما . ومات شلي الانكليزي بعد ما أغنى العالم بمواهبه الشعرية . واخترع يوسف ودجوود طريقة اصطناع الخزف الصيني المعروف باسمه . واخترع واط الاسكتلاندي طريقة استخدام البخار المزدوج

☆ في سن الثلاثين أتم جوليوس قيصر أعظم فتوحاته . وانشأ لوتيروس الالماني المذهب البروتستاني في القرن السادس عشر . وجعل شرلمان نفسه امبراطوراً على فرنسا والمانيا . وانشأ هوراس غريلي جريدة تريبيون في نيويورك فكان بها أعظم الصحافيين في عصره . وهو القائل : « كل ما يسمح الله بحدوثه على هذه الارض لا امتنع عن نشره في هذه الجريدة » ونظم كورنايل الفرنسي رواية السيد الخالدة . واخترع مركوني الايطالي التلغراف اللاسلكي

☆ في الحادية والثلاثين اكتشف شمبوليون الفرنسي حروف الهجاء الهيروغليفية واكتشف جنر الانكليزي لقاح الجدري . وشاد لسكوت الفرنسي قصر اللوفر في باريس

☆ في الثانية والثلاثين أثبت كلايف سلطة انكلترا على الهند . ونشر شيلر كتاب حرب الثلاثين سنة ، فكان أحسن تاريخ في المانيا . ونظم الكولونل روجي دي ليل نشيد المرسلييز الفرنسي الذي هز مهد الحرية فيما بعد لكل شعب مظلوم في العالم

☆ في الثالثة والثلاثين كان بونابرت امبراطوراً لفرنسا فانشأ قانونه الباقي الى اليوم أساس قوانين العالم الحديثة . وانشأ بنك فرنسا والجامعة الفرنسية ونظام المالية الجديد . واخترع جورج ستيفنسون الانكليزي القطار الحديدي . وقبض توماس أديسون الامريكي على زمام الكهرباء لخدمة البشر . وابتاع شكسبير أحسن منزل في قريته من ريع رواياته

☆ في الرابعة والثلاثين ارتقت كاترينا الثانية عرش روسيا وباشرت حروبها الفائزة ضد الاتراك وعززت العلم والحضارة ونالت من المؤرخين لقب « سميراميس الشمال »

☆ في الخامسة والثلاثين وقف بطرس الاكبر قيصر روسيا في باريس أمام تمثال ريشليو الوزير الفرنسي وصاح به : « اني أعطي نصف ملكي لرجل مثلك يعلمني كيف أحكم النصف الآخر »

☆ في السادسة والثلاثين قتل الفيلسوف العربي عبد الله بن المقفع بعد ما انشأ كتب الادب الصغير ورسالة الاخلاق والادب الكبير أو الدرة اليتيمة وترجم كتاب « كليلة ودمنة » الذي ضاع أصله الهندي وتناقله الافرنج عن هذه الترجمة العربية النادرة المثال . وزهد أبو العلاء المعري في الدنيا وكان أعمى منذ سن الثالثة فنظم اللزوميات

☆ في السابعة والثلاثين كان لوكولوس القائد الروماني العظيم يحارب متريدات ملك اسيا وعدو رومية اللدود . وهو الذي اشتهر بجودة طعامه حتى يؤثر عنه تنبيه قارس لطاهيه يوماً إذ كان الاكل على غير ذوقه : « ألم تكن عالماً أن لوكولوس يتعشى الليلة عند لوكولوس ؟ »

☆ فى الثامنة والثلاثين ابتدأ لويس بستور الفرنسى سلسلة اكتشافاته للجراثيم فاحدث انقلاباً عظيماً فى الطب

☆ فى الاربعين خاض يوليس غرانت الامريكي غمار الحرب الاهلية بين شمال الولايات المتحدة وجنوبها وصار القائد العام للشماليين وهو أول من قاد مليون جندى فى التاريخ الى ساحة القتال . وفى الاربعين انتصر نلسون أمير البحر الانجليزى على الاسطول الفرنسى فى معركة أبى قير

☆ فى الثانية والاربعين دوخ قيصر الرومانى غالية (فرنسا القديمة) . وجاد راسين على المسرح الفرنسى بأميرة رواياته على الاطلاق « أثالى »

☆ فى الثالثة والاربعين لم يكن والتر سكوت الانكليزى كاتباً معروفا . فترا كمت عليه الديون وعمد الى وفائها بكتابة أعظم سلسلة روائية عرفها الاوربيون . وفى هذه السن انشأ فنيلون الفرنسى كتاب تليماك المشهور بأنه أعظم الكتب الفرنسية قيمة وحكمة

☆ فى السابعة والاربعين انتصر نلسون أمير البحر الانكليزى فى معركة الطرف الاغر ولقى حتفه فيها

☆ فى سن الخمسين قاد ابراهيم باشا المصرى جيوشه الظافرة ضد السلطة العثمانية حتى قونية. وفاز خالد بن الوليد على الاعجام فى معركة «يوم السلاسل» وفتح لنفسه أبواب تاريخه المجيد كاعظم قائد عربى ومن أعاظم قادة التاريخ على الاطلاق

أولئك هم شبان الامس ، ونجاحهم الباهر قبل أن تبلغ شمسهم ظهر الحياة

نوابغ الشيوخ

والآن دونك أيها القارىء رهطا آخر من الذين نقشوا أسماءهم المجيدة على صفحات التاريخ بعد ما جنحت شمسهم فى العمر نحو الغروب ، أى بعد سن الخمسين :

☆ فى الثانية والخمسين اكتشف كولمبس العالم الجديد الذى دعى أمريكا فيما بعد . ونظم بسمرك الحكومات الالمانية فى دولة واحدة . وقاوم صلاح الدين الايوبى هجمات الافرنج المتحالفين لانقاذ اورشليم من يده فى الحرب الصليبية الثالثة

☆ فى الثالثة والخمسين انتخب ريمون بوانكارى رئيساً لجمهورية فرنسا فادار شؤونها فى اخطر الاعوام على كيانها وهى أعوام الحرب العالمية

وكان بلابك فى هذه السن لما دعاه مجلس النواب البريطانى لقيادة أسطول انكلترا . فانزل «مكنسة» البحار عن رأس اسطول هولندا التى كانت رمز السيادة البحرية وجعل انكلترا سيدة البحار

☆ فى الرابعة والخمسين كان كرومويل « حامى انكلترا » . ودخل يهوذا بنيامين الامريكى مدرسة الحقوق وعكف على درس الشريعة وفاز بالشهادة ثم صار نقيب المحامين الانكليز

☆ فى السابعة والخمسين كتب سرفنتس الاسبانى رواية دونكيشوت . ونظم ملتون الشاعر الانكليزى الاعمى « الفردوس المفقود » ووضع هندل الموسيقى لحن « المسيح »

☆ فى الثامنة والخمسين كتب دفوى الانكليزى رواية « روبنصون كروزى » ، وباشر ميكال أنجلو رسم « الدينونة الاخيرة » وا كمله بعد عشر سنوات

☆ فى سن الستين باشر الفيلسوف الالمانى « كانت » تأليفه العظيم «الانتقاد على العقل» . وكتب الشاعر الانكليزى شوسر « قصص كنتر برى » . وباشر أندرو كرنجى الامريكى توزيع ثروته الطائلة على انشاء معاهد العلم قائلا : إنه يتعب فى توزيعها المفيد أكثر من تعبه فى جمعها

☆ وفى الحادية والستين أغرق جورج ديوى أمير البحر الامريكى أسطول أسبانيا فى الفيلبين ورفع الولايات المتحدة الى مستوى الدول العظمى . ورسم دافنشى لايطاليا صورة لاجوكوندا وقضى أربع سنوات حتى وضع على شفتيها الابتسامة الغريبة المجهولة أهى للفرح أم للحزن . وهى اليوم فى متحف اللوفر الباريسى

☆ فى الثالثة والستين نظم لافونتين الشاعر الفرنسى قصصه الخالدة . وكان المارشال فوش الفرنسى فى السابعة والستين لما ألقت دول الحلفاء حظها بين يديه فى الحرب العالمية فقاد جيوشها الى النصر النهائى . وقتل ايتو السياسى اليابانى الذى صير اليابان دولة حديثة فى التاسعة والستين

☆ فى سن السبعين يذكر جميع الناس قصة الشيخ الهرم السبعينى الذى شكا الى الطبيب ألماً فى رأسه ، فاجابه : هذا من السبعين . وفى ظهره : وهذا من السبعين . وفى صدره : وهذا من السبعين . وفى رجليه : وهذا من السبعين . فحنق الشيخ المريض وشتمه قائلا : انك دجال جاهل . فأجاب الطبيب : وهذا أيضاً من السبعين !

مع أن دانتى الايطالى نظم قصيدته « الجحيم » وهو فى السبعين . ولونفلو الامريكى نظم « دى سنكتوت» وهو فى السبعين . وبوسان الفرنسى أكمل صورة « الطوفان » وهو فى السبعين . وفى هذه السن كانت الفلكية الشهيرة ماريا متشل تعلم الدروس العالية فى كلية فاسار الامريكية . وانتصر القائد الالمانى فون مولتكى فى معركة سيدان التى أسقطت نبوليون الثالث عن عرش فرنسا . وانتصر الامير محمد على باشا المصرى على الاتراك . وظلت ساره برنار الفرنسية تمثل دور ابن نبوليون وهو فى سن ١٧ حتى ماتت فى التاسعة والستين

☆ وفى الثانية والسبعين كتب غليليو الايطالى أحاديثه الصحيحة والمدهشة عن دوران الارض . وأدار كليمنصو شؤون فرنسا رئيساً لوزارتها أثناء الحرب العالمية ودعى « ابا الانتصار »

☆ فى الثامنة والسبعين أكمل ميكال أنجلو القبة العليا فى كاندرائية مار بطرس رومية ، وهى عنوان مجده الهندسى ، جعلته يهتف عند تمامها مسحوراً بصنع يده البديع : « لقد رفعت البانثيون

فى الجو ، لان قبة الكنيسة العظمى تشبه ذلك الهيكل الوثنى الذى كرسه الاقدمون لمجموع آلهتهم . وعن هذا نشأت فى باريس تسمية البناية التى جعلها الفرنسيون مدفناً لعظمائهم

✡ لم تكن سن الثمانين مستحبة عند العرب بدليل قول زهير بن أبى سلمى صاحب الحوليات فى معلقته الشهيرة :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وقول لبيد :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

مع أن سوفوكليس اليونانى نظم فى الثمانين أعظم رواياته الخالدة . وهى « أوديب الملك » . وباشر كاتو الرومانى درس اللغة اليونانية ليستطيع مجاوبة « محاته » اثناء الجدال . ونشر فولتير الفرنسى أهم ردوده على ناقديه . وأكمل جوت الالمانى رواية « فوست » ، ونظم هولمز الامريكى الابيات التالى تعريبها : « لا تحسبوا شيخاً هرماً ذلك الذى يبقى دماغه متسلطاً على الماضى محدقاً فى الآتى ، فان من يحمل فى نفسه علامات الصيف الابدى عبثاً تتقلب الفصول السنوية عليه

وفى الثمانين كان بالسترينا الايطالى يطرب بأنغامه نفوس السامعين كما فى الاربعين . ووليم هرشل يرصد النجوم بنظر أحد من نظر ابن عشرين . وكان تيارس رئيساً على جمهورية فرنسا . وسقط ادوارد كوك المحامى الانكليزى عن حصانه فانقلب الجواد عليه وعاش برغم ذلك سنة كاملة هيأ بها كل مؤلفاته للطبع

✡ وفى الحادية والثمانين كان دزرائيلى رئيساً لوزارة انكلترا

✡ وفى الثالثة والثمانين كتب اسحق نيوتن مكتشف ناموس الجاذبية المقدمة البديعة لكتابه الفلكى (برنسيبا) . واستقال بولوك القانونى الانكليزى من رياسة نقابة المحامين ، وفاز القائد النمسوى رادتزكى فوزه الاكبر فى معركة نوفارا . واحتل البندقية بعد قتال عنيف مدة ٣ أشهر . وعين حاكما على الولايات المقتطعة من ايطاليا ولم يستقل من هذه الاعمال الشاقة حتى بلغ السابعة والتسعين . واستقال مازاريك من رياسة جمهورية بولندا فى الخامسة والثمانين

✡ فى سن التسعين كتب تيوفراستوس الفيلسوف اليونانى كتاب « أخلاق الناس » وفى الحادية والتسعين كان البارون لفراى رئيس قضاة ارلندا حاد الذهن واللسان كالشبان

✡ وفى الرابعة والتسعين كان رونداولو حاكم البندقية قائداً أعمى للجيوش التى حاصرت القسطنطينية فاستولى عليها عنوة ، وانتخب امبراطوراً لعرشها فابى مكتفياً بالعودة الى حكم البندقية حتى مات فى السابعة والتسعين

امين الغريب

لا مراء فى أن الشباب جميل ، وأنه أجمل فصول الحياة ، وأن العمر جرد منه كالعام غاب ربيعه والروض صوح نبته ، والدوح حص زهره ، والورد كتمت أنفاسه ، وانقطع نشره . ولا ريب فى أن اللهفة عليه من الطفولة والشيخوخة معاً قوية آسرة ، وأن خيال الطفل دوماً مصوره ممتد اليه ، وأن خيال الشيخ أبداً ذا كره مرتد اليه

ولكن لم كان الشباب مميزاً هذا التمييز موموقا هذه المقة مذكوراً هذه الذكرى ، ولم يصبو اليه الناس هذه الصبوة ويفردونه بحبهم هذا الافراد حتى قال قائلهم :

ليت الحوادث باعتنى الذى أخذت ... منى بحلمى الذى أعطت وتجريبى

فما الحداثة عن حلم بمانعة ... قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

ذلك بأن المرء مولع بالكمال كاره للنقص . والشباب ــ كما نعلم ــ الحد الذى تنتهى عنده الطبيعة من التكوين وتكف عن الخلق وتعجز عن الابداع . وهو السمو الذى يبدأ من عنده الانحدار والكمال الذى يليه النقص والقدرة التى يلحقها العجز . فكمال الجسم وكمال الروح وكمال العقل ــ ثمرات العمر الثلاث ــ واقعة فى الشباب محبوسة عليه . وعبثاً تطلب الثمر ــ كما يقول أحد الكتاب ــ فى خريف الحياة ، اذا لم تنعقد براعمه فى شباب العمر



يبدأ الجسم خلية أولى مبهمة فى أصيص الحياة ، ثم ما يزال ينمو ويتعقد ويتميز الى أن يخرج بشراً سوياً سالم الخلقة والتكوين . ولكن السلامة لا تعنى الكمال ، والاستواء لا يدل على انتهاء التكوين والابداع ، فهو جسم ــ على كل حال ــ يميزه ضعف المنة وقلة الحيلة وغموض القصد وابهام الغاية ونقص البداهة ، فالطفل إذ يولد ، يولد ضعيف الخلق متخاذل الاعضاء مخزل الجسم . ثم ما ينفك الخلق الضعيف يتأيد والاعضاء المتخاذلة تنمو وتشتد يوماً وراء يوم وعاماً بعد عام حتى تصل غايتها المرسومة من النمو وكفايتها المقدرة من القوة . فانتصاب القامة وضلاعة الجسم وكمال النمو وتوثق الاعضاء واكتناز العضل وفيض الصحة ووفور النشاط وغلواء القوة ، كلها تسير فى ركاب الشباب ، وكلها تغدو معه حين يغدو ، وتخلف الجسم يعود شيئاً فشيئاً الى مثل حاله الاولى . اذ هو كتلة جامدة لا نفع فيها ولا غناء

نعم ، قد يخيل الينا أن بعض هذه الصفات قد يساير الحياة ويواكبها مرحلة أخرى أو مرحلتين

ولكن هذا - في المؤكد - من فيض النشاط ووفرة الشباب ، وإن شئت فقل هو الشباب بعينه يمتد ويتطاول وراء أمده المحدود وأفقه المفروض

وفي شباب الجسم يكون شباب الروح . هنا تتفتح العواطف وتتفق الميول وتستعلن المبادىء ويزكو الخلق وتنسجم الروح ويشرق الامل وتتعالى المثل

فالشباب - كما نعلم - هو الزمن الذي يبلغ فيه النمو الجنسي وما يلازمه بالضرورة من عواطف وميول وأهواء ، غايته ومنتهاه . ومعلوم أن هذا الدور أصلح أدوار الحياة للانتاج وادامة النسل واضمنها لدوام البقاء وحفظ الجنس . لهذا كانت العواطف الجنسية التي تصحب غريزة الجنس - من قريب أو بعيد - أشد ما تكون نماء وأقوى ما تكون أثراً في هـذا الدور ، كعاطفة الحب وعاطفة الابوة وعاطفة الامومة وعاطفة الحنو والشفقة وما اليها

ولما كان الفن - بجملته - من أدب وموسيقى ونحت وتصوير ورقص في أول وسائل الترفيه عن عواطف الجنس ابان اشتدادها وسورتها ، كانت بواعث الفن والمغريات عليه أقوى ما تكون في دور الشباب الذي هو بلا نزاع مصطرع هذه العواطف وميدانها الذي تجول فيه وتصول

قد تقول أن الفن - كما هو ملحوظ مشاهد - لا يتقيد من العمر بالشباب ، إذ نحن نرى الابداع الفني والانتاج الادبي يتمان في شباب العمر وقوعهما في دور الاكتهال والشيخوخة ، وهذا بالطبع حق ولا سبيل لانكاره . ولكن لا شك في أن الفن يصطنع من أجل الفن ويكون وسيلة النفس في الترفيه عن العواطف ، وتقليل جيشانها والتخفيف من سورتها لا يأتي الا في شباب العمر ، وما جاء منه في دور الكهولة والشيخوخة هو من قبيل التحرف وبقوة الاستمرار وضرورة المهنة .

ومن هنا كان الفن الملهم القوي المبرأ من الصنعة أو الجهد الزائد على القدرة يجيء في دور الشباب ، وكان الفن الذي يدل على الاستاذية ومطاولة العاطفة ومزاولة المهنة وطول المران يجيء فيما يجيء وراء الشباب من العمر . على ان هذا لا يعني ان الفن يتبع تبعاً مطلقاً أدوار الحياة ، فيكون أبداً شاباً في شباب الفنان مكتهلا في كهولته شائخاً في شيخوخته ، اذ من المؤكد أن من رجال الفن من تسير معه بعض خصائص الشباب ، كاتقاد الحس وفورة الشعور وجدة العاطفة ، الى زمن الاكتهال أو الشيخوخة ، فيتسم - من ذلك - فنه بسمة الانطباع والقوة والحياة التي تكون لادب الشباب في غالب أمره

أما المبادىء القويمة والمثل العليا فنصيب الشباب منها هو النصيب الاوفر وحظه منها هو الحظ الاوفى . والاستقراء يدلنا على أن الرسالات العظيمة والمبادىء الكبيرة ومثل الحياة العليا كانت ولم تزل ثمار الشباب ونتاج الفتوة . ولا تكون الرسالات العظيمة والمبادىء القويمة - اجمالا - من خصائص الكهولة أو الشيخوخة ، لان الخروج على العرف الدارج ومخاصمة الجمهور واكتساح الجمود

والثورة على القديم البالى تحتاج الى اعصاب قوية لم ترثها الايام ولم يرهقها العمل ولم يوهنها اختيار السير فى ألين المسالك وأهون السبل

والمثل العليا ــ كذلك ــ والمبادئ السامية والرسالات الخالدة لا تحتمل المواربة والمداجاة والتلطف فى العرض أوالمخاتلة ، ولا تحتمل الابهام والغمغمة وعدم الابانة . ولما كان الشباب بجملته مبرأ من هذه الخصال . وكان الصدق والجرأة أخلص مزاياه . كان اضطلاعه بعبئها وتحمله لاذى المجاهرة بها والدعوة اليها بلا جمجمة ولا استحياء ، خلة وسجية من سجاياه

والمنى الباسمة والآمال المشرقة المتبلجة بعيدة البعد كله عن واقعية الكهول وجمود الشيوخ وحذرهم . أما الشباب الذى لم يغله الحذر ولم ترزنه الخبرة وضعف الخيال فله عالم الاحلام ودولة المنى والآمال . والشباب ــ بما فيه من ثقة بالمستقبل وتطلع دائم الى الامام ــ دعاية صامتة ودعوة عملية للتفاؤل والاستبشار تضفيان على الحياة حلة قشيبة من الامل السعيد والايمان الوطيد

وقد تقول : اليس أولى بالشبان وادعى لاسعادهم أن يقللوا من التأميل ويقتصدوا فى الاحلام ويقبلوا على متع الحياة كما يتفق لهم الاقبال عليها ؟

ونجيب أولا بأن مثل هذه الحالة التى ينتهى فيها الشاب الى الانقطاع بالمرة عن التأميل ونفى الاحلام من عالم الشعور ، حالة لاتستقيم ولا تتفق مع الشباب السليم . ولايقوى عليها خياله الواسع وحيويته الفائضة ورجولته الجائشة المتدفقة ــ ثم اننا نعتقد أن المرء يتيسر له من سعادة الواقع مع السعى السليم والتطلع الى المستقبل الذى لا يقطع المرء من حياته الحاضرة ، أكثر مما يتيسر له حينما ينقطع عن ماضيه وآتيه ليكب على الحاضر وحده يرضع فيه اللذة ويترشف النعيم على الطريقة الخيامية

والشباب فترة الاحساس القوى والشعور الفتى الذى لم يثلمه التكرار ولم يضعفه الاستمرار أو يبلده القــدم . والسعادة بمجملها هى التعبير الصادق المعتدل عن نداء العاطفة وحاجة الغريزة ورغبة الشعور الى الانطلاق والحرية . والشاب يعيش فى عالم الحس والشعور والعاطفة وما يذكيها ويثيرها من غرائز قبل ان يعيش فى عوالم الشك والتحليل والريبة

والشباب دور العمل والسعى وليس للنظر الفلسفى وتأمل الحوادث من بعيد ، دون العمل ، مجال فى الحياة مع الشباب السليم . ولا يرضى الشاب أن يكون المشاهد لرواية الحياة الذى يتحصن بالحذر وينعم بسلامة البعد عن أسباب الخطر ، انما يرضيه أن يؤلف رواية الحياة كأقوى ما يكون التأليف ولا يهمه بعدها آب بالسلامة لم آب مثخنا بالجراح والكلوم

ولا مساغ للريب بأن «العمل» من أولى جالبات السعادة ، أوهو ــ كما يقول ديورنت ــ نصف السعادة ، إذ أن المؤكد أن المرء يزداد حباً للحياة واستمتاعاً بها كلما قل تأمله فى المصير النهائى

للاشياء ، وكلما كان فى شدة اندفاعه فى ناحية الهدف المقصود ما يشدهه عن التفطن الى ما يملأ افق النظر ويكظه بمرأى القبح ومشاهد الدناءة

وقد يخطىء الشاب التقدير وقد يشر ، وقد تجمح به المنى وتغرر به الآمال ، وقد ينال مناه أو بعضها أو قد لا ينال . ولكن الشباب مع ذلك يظل أبد الدهر أنشودة الدهر وتاج العمر ولحن الخلود

ولسنا نظلم الشيخوخة أو الكهولة اذ نزعم أن الشباب هو الدور الذى تعصف فيه عواطف النخوة والاريحية والاستباق إلى التضحية برءوس الشبان ، وأنه هو الدور — لا غيره — الذى تزكو فيه الاخلاق وتعلو النفوس حيث يمكن الزكاء والعلو ، وأنه دور الترفع واجتواء الابتذال ودور التقزز من الدناءة والصغار ، وأنه كذلك الدور الذى يعمر فيه الايمان القلوب ويملأ الصدور . وإذا رأيت هذه الصفات أو بعضها واضحة ملموسة فى دور الكهولة أو الشيخوخة ، فهى انما استمرار لما كان منها فى الشباب ليس غير . وقد تتقرى جميع الشخصيات التاريخية أو المعاصرة فيعييك أتم الاعياء ويعجزك أتم العجز أن تصيب أمثلة تزيد فى العد على أصابع اليد ، انقلبت فيها الكهولة أو الشيخوخة على الشباب وخرجت على حكم القيود الاخلاقية التى قيد الشباب بها نفسه طواعية واختياراً

وكما يقع كمال الجسم وكمال الروح فى دور الشباب يقع فيه كذلك كمال العقل . فالثابت علمياً أن الذكاء يقف عن النمو والزيادة عند وقوف الشبيبة . أما ما يجىء مع الكهولة والشيخوخة من علم واختراع واكتشاف فهو انما استغلال للذكاء وانتفاع به ، وليس سببه زيادة فى الذكاء وإرباء فى النمو الفكرى على عهد الشباب . وفى اعتقادنا لو كان الشباب يطول طول الكهولة أو الشيخوخة لجاء بكل عجيبة فى ميادين العلم والاختراع . ولكن الواقع أنه مايكاد الذكاء يصل أوجه فى عهد الشباب حتى يشرع المرء يقطع الجانب المتاوح من الطريق وراء هضبة الحياة ، ومن هنا كان نصيب الكهولة والشيخوخة من حظ الاستغلال لملكات الفكر أوفر وأدوم من حظ الشباب . ومع ذلك فالذى تم من العلم والاختراع والاكتشاف على يدى الشباب — برغم قصر مداه وذهاب معظمه فى سبيل الاستعداد — هو شىء لا يستحيى الشباب أن يفاخر به الشيخوخة ويطاول الكهولة ، على طول ما يستغلان كفايات العقل والذكاء

وخلاصة الامر أن الشباب يبدو لنا جيلا لانه الدور الذى يدنو فيه المرء من الكمال جهد الدنو فى تكوينه الجسمى والفكرى والروحى ، إذ فيه يبلغ الجسم نهاية الامكان فى تمام النمو وصحة التكوين، وفيه — كذلك — يصل الذكاء الانسانى والاكتهال الفكرى أوجهما الاعلى ومداهما الابعد . ثم فيه يبلغ المرء غاية الامد فى قوة العقيدة وسلامة المبدأ وسمو الخلق ووفور الصدق

أديب عباسي

دنيا الشباب

بقلم الأستاذ احمد محرم

لاذكرها مجد ، ولا أنا مقصرُ ... دنيا يقال لها الشباب المدبر
مخضرة الأكناف ، دانية الجنى ... يَسقى خمائلها النعيم الممطرُ
نشوى تكادُ الخمر من أنفاسها ... وشعاع رونقها المحببِ تعصر
كل الثمار جنيتُ من ريحانها ... وعجبت ـ ما الريحان مما يثمر
تفتنُّ صادحةٌ فتطرب قينةٌ ... ويضجُّ مزمارٌ ، ويهتف مِزهر
رقت حواشيها ، ورفرفَ حولها ... زمنٌ حواشيه أرقُّ وأنضر
ضحكت حوادثه ، فأبدعَ مُشرق ... من حسنها الزاهي ، وراعَ منوّرٌ
دنيا أرى معنى الحياةِ مفسرًا ... فيها ، إذا جهل الحياةَ مفسر
العالم المشهور عند ضلاله ... وأضل منه الفيلسوف الأشهر
سأل الشيوخُ البيض : ما اسم كتابها؟ ... قل للشيوخ هو (الكتاب الأخضر)
وانظر الى عنوانهِ ورموزهِ ... فالدهر يشرب والحوادث تسكر
دنيا الشباب ، وما الشباب بهين ... ماذا صنعت بشيق يتذكر؟
كيف انقضيت وكنت ملكا واسعا ... يعلو السماك سريره والمنبر ؟
لولا مشاغبة الحوادث ما رمىَ ... بك من صروف الدهر رام منكر
ولقد ملكت فنلت في جاهِ الصبى ... ما نال كسرى ذو الجنود و (قيصر)
مضت الكتائب والسرايا وانطوت ... بيض القواضب والعتاق الضمر
وهوى البناء ، فكل حصن خاشع ... بعد الطماح ، وكل قصرٍ مقفرُ
دنيا الشباب ، وما الشباب بمنصف ... وعذرته من ظالم لا يُعذَر
أعطى الكثير من المطالب والمنى ... ولما استرد على الخصاصة أكثر

لم يبق لي مما ملكت بقية | يحيا العديم بها ، ويرضى المعسر
وأرب عارية ودين مرهق | لولاهما لمضيت لا أتنظر
إني لتخدعني حياة كلها | كذب ، وعيش ما يطاق مزور
أنكرت نفسي ، وامتريت ، إخالني | غيري يمثّل من دمى ويصوّر
وأقول : أين دمي ، وهل أبقى البلى | لي قطرة منه تصان وتذخر ؟
ورّدته أحداث تظل ظماؤها | حول الموارد عكفاً ما تصدر
أفنينه ، وتظن من ظمأ الى | عبني — ذلكم البلاء الأكبر
مهلا ، لكن الويل ، ما تبغين بي ؟ | جف المعين ، وغاض ذاك الكوثر
دنيا الشباب ، عذرته في غدره | وظلمته ما كان ممن يغدر
رمت الخطوب به ، فراح مولهاً | ومضى يروع بالفراق ويذعر
ولقد حضرت بلاءه وبكاءه | لما أحيط به ، فبئس المحضر
ولي يقول : أأنت ويحك تاركي ؟ | وأقول : ويحي — هل تعود فأصبر ؟
هذي رسالة يسيل حنينه | فيها ، فيوشك أن تذوب الأسطر
ضحك المشيب لها ، فقلت أشامت ؟ | أم أنت يا جارَ المنية تمكر ؟
كم زفرة ما تستفيق جوانحي | مما جنى بركانها المتفجرُ
لما فضضت كتابها ارتجفت يدي | وجرى دمي متدفقاً يتسعر
دنيا الشباب ، طواك ذو جبرية | تطوى الحياة على يديه وتنشر
لا أنت راجعة ، ولا أنا خالد | ولئن جزعتُ لقد دنا ما أحذر
أصبحت غرق ، في جوانب زاخر | تهوى الشعوب بقاعه والأعصرُ
لا تطلبي سبب النجاة على يدي | رمت العواصف بي ، وطاحَ المعبر
ولئن غُلبت لذاك غير بديعة | أي الرجال على الحوادث ينصر ؟
خفض الجناح الجامح الطاغي القوي | ورمى السلاحَ الطامحُ المتنمر

أحمد محرم

قصة تمثيلية في فصل واحد

شاب مفتون

بقلم الدكتور احمد ضيف

تمثل هذه القصة ناحية هامة من نواحي حياتنا الاجتماعية ، وتصور نفسية بعض الشبان المتعلمين باوربا ، وكيف تفتنهم المدنية الغربية ويقعون ضحية الحب ، فينسون كل شيء ماعداه ، ويزدرون وطنهم ، ويجحدون حقه عليهم . وقد كتبها الدكتور احمد ضيف في حوار تمثيلي طريف

المنظر الاول

[الدكتور محمود مع والده شهاوى بك في منزلهما بشارع الهرم جالسين في حجرة واسعة ذات أثاث جميل وهى تطل على الحديقة]

الدكتور محمود ـ . . . ولكن هذه مسألة شخصية لانها تتعلق بزواجي وأنت تعرف ان مسألة الزواج مسألة احساس نفسي لا يمكن أن يحكم فيها انسان آخر

شهاوى بك ـ هذا صحيح لكنى أكثر منك تجربة وربما كنت أعلم منك بأحوالك النفسية ، فأنا أعلم بالتجارب العديدة أنك تميل إلى التغيير في كل شيء ولا تثبت على رأى واحد

الدكتور محمود ـ هذا رأى لا أوافقك عليه

شهاوى بك ـ كيف ؟ ! ألا تذكر انك في أول الامر بعد أن انتهيت من دراستك في التعليم الثانوى أخذت تلح علي في أن تذهب إلى مدرسة الحقوق لتكون محاميا وصرت تبين لى أن هـذا الميل مبنى على رغبة صادقة في نفسك ؟ ! ولم تلبث ان رجعت عن رأيك وعدلت إلى دراسة الطب ؟

الدكتور محمود ـ كان ذلك فيما مضى ، أما الآن فقد كبرت سنى وأصبحت عالما بواجبى

شهاوى بك ـ تظن ذلك ! ولكنك لا تزال في طيش الشباب

الدكتور محمود ـ وماذا تريد الآن ؟ !

شهاوى بك ـ أريد أن يهديك الله الى الصواب ، وأن تطرد من رأسك هذه الآراء المقيمة وتتزوج سعاد بنت خالتك التى تحبك وزيادة على ذلك فان لها ثروة لا يستهان بها

الدكتور محمود ـ ليست المرأة سلعة تباع و تشترى

شهاوى بك ـ (يا سلام على التعليم والمتعلمين) على الافكار والآراء الحديثة

الدكتور محمود ـ دعنا من هذا الكلام الآن فانى انتظر صديقى جمالى

المنظر الثانى

[يدخل الاستاذ جمالى وزوجته الاوربية والدكتور محمود جالس ينتظرهما]

مدام جمالى (تمد يدها إلى محمود قائلة) : اشكرك يا دكتور على هذه الدعوة فانى لم أر هذا المنظر الساحر قبل الآن ، ولاهذه الاهرام المرتفعة التى تطل على النيل وعلى مدينة القاهرة العتيدة

ثم نظرت الى زوجها وقالت :

— اتذكر يا حسن ذلك المنظر البديع الذى رأيناه فى طريقنا ، ذلك البدوى الراعى الحافى القدمين المغبر الوجه وهو يسوق قطيعا من الغنم والغبار يغطيه ويغطى قطيعه وهو يغنى وراء أغنامه ؟ ؟ ان هذا الجمال لا يوجد إلا فى بلادكم وانها لصورة من صور الطبيعة الفاتنة !

الاستاذ جمالى — لقد قلت انك ستسرين بهذه النزهة لانى أعرف ذوقك الشعرى الخيالى

مدام جمالى — هذا صحيح فانى أحب كل شىء جميل

الاستاذ جمالى — وقد تحبين غير الجميل أيضاً !

مدام جمالى — غير الجميل لا يحب

الاستاذ جمالى (مازحا) — اذن كيف تحبينني ؟ !

الدكتور محمود — لانك جميل

مدام جمالى — لا . لا . لا احب ان اتهم فى ذوقى

الاستاذ جمالى — اشكرك على صراحتك

مدام جمالى — اسمح لى أن اقول لك انى لم أر حتى الآن رجلا جميلا بمعنى الكلمة ولكنى كثيراً ما رأيت فيكم خفة روح وأدبا عظيما

الدكتور محمود — اذن ليس فى المصريين جميل فى نظرك . انا احتج على ذلك

مدام جمالى — قلت للآن لم أر رجلا جميلا بمعنى الكلمة ، ولا انكر ان فى مصر من هو اجمل من الاوربيين

الاستاذ جمالى — وما رأيك فى محمود ؟ !

مدام جمالى — أنا أحب اخلاقه الجدية . ولكنه كثير التفكير مبتئس النفس دائما . والظاهر ان هذا الخلق خلق معروف فى الشرقيين . وكنت أظن ان جمال بلادكم يجعل نفوسكم دائما مسرورة

الدكتور محمود — هذا صحيح فانى دائما منقبض الصدر ، يائس

مدام جمالى — لماذا ؟ ! وهل الحياة تستحق كل هذه العناية ؟

الاستاذ جمالى — فلسفة السيدات . . . ! ولكنها فلسفة جميلة

مدام جمالى (الى محمود) — سر مع الدنيا كما تسير واغمض عينيك اذا عبست فى وجهك

الاستاذ جمالى — يا سلام !

مدام جمالى ــ وهل مثلي يا دكتور يلقى عليك مثل هذه النصائح !؟ لا أخفى عليك وأنت طبيب انك مريض . وهذا المرض النفسى من أشد الامراض خطراً

الدكتور محمود (منادياً الخادم) ــ يا على . يا على : هيئ لنا الشاى . ثم يلتفت الى مدام جمالى ويقول : أعرف انى مريض

مدام جمالى ــ مرضك خيالى

الدكتور محمود ــ آه انا من الذين ذكرهم الدكتور جراسيه فى كتابه (انصاف المجانين)

مدام جمالى ــ أوه . انك تذهب بعيداً

الدكتور محمود ــ أنا اعيش برغم أنفى

مدام جمالى ــ اذن فانت بطل قصة موليير (الطبيب برغم أنفه) . هل تريد أن تغير وجه الارض بهذه الافكار ؟ وهل تظن ان بغض الحياة من الحكمة فى شيء ؟!

الاستاذ جمالى ــ ومع ذلك فماذا ينقصك ؟ ! أبوك غنى وليس له سواك . وانت شاب متعلم والمستقبل يبسم فى وجهك وأنت ذكى . فماذا تريد ؟

الدكتور محمود ــ هذا صحيح ولكن . . .

مدام جمالى ــ أنت مخطىء أو مريض . ان هذا يقضى على آمالك . ويصير بقاءك غير نافع

الدكتور محمود ــ انا لا أريد ان اعيش هنا

مدام جمالي ــ آه . الفكرة الخالدة فى نفوس الشبان الطائشين ــ تنظر الى محمود وتقول :

ــ عفواً . لماذا ! ؟ وهل تجد افضل من هذا البلد الجميل ؟

الدكتور محمود ــ جميل !.. هذه الاقذار التى نراها أمامنا فى كل مكان وهذا الخمول والكسل وهذا الاستسلام للذل والهوان .. هذا بلد لا تجد الصعاليك أخصب منه ليعيشوا فيه . !

مدام جمالى ــ ولكن برغم كل ذلك مصر بلد جميل له تاريخ مجيد وجو بديع وعيش رغد ألا ترى يا محمود جمال هذا المزيج من مدنية الشرق القديمة وحضارة العصور الحديثة ؟

الدكتور محمود ــ انك ترين يا سيدتى بالعين التى يرى بها السائحون الاجانب ، وهو ان جمال مصر فى تلك الاكوام والمنازل العالية والاقذار المتراكمة والاشكال المختلفة

مدام جمالى ــ هذا ليس خطأ بلادكم وانما هى اخطاؤكم انتم أيها المتعلمون وخطأ حكوماتكم

الدكتور محمود ــ لهذا كله أريد ان اعود الى فرنسا واعيش هناك

مدام جمالى ــ من العيب ان تتخلى عن واجبك ، بل عليك أن تؤدى ما عليك لبلدك

الدكتور محمود (ينادى الخادم) ــ يا على . يا على : الشاى

على ــ تفضل يا بك (ينصرفون الى حجرة الشاى)

المنظر الثالث

[يدخل شهاوي بك الحجرة]

شهاوى بك (يحدث نفسه) ـ عجيب هذا ! لقد أصبحنا فى زمان ليس للاب أى سلطة على ابنه . غريب والله ! فقد نسى كل شيء ولا يريد أن يسمع كلة واحدة منى

(يدخل الخادم ومعه رسائل البريد فيسلمها الى شهاوى بك فينظر فيها فيرى ظرفا مكتوباً بالفرنسية فيقول : هاهى ترسل اليه خطاباً . وينظر الى الخادم ويقول له : اعط هذا الجواب لسيدك محمود ويخرج ثم يدخل محمود)

المنظر الرابع

[محمود جالس جلسة تفكير فيدخل عليه الخادم ويناوله الجرائد والرسائل فيفتح احدى الرسائل ويقرأها مسمعا نفسه]

« صديقى محمود

« منذ تركت فرنسا أى منذ شهرين تقريباً وأنا لم أقرأ لك غير ثلاث رسائل ، على حين أنى كتبت اليك أكثر من ثمانية ، وبينما اكتب اليك الرسالة التاسعة جاءنى صاحب البريد ببطاقتك الاخيرة وبها صورة تمثل جزءاً من جزر النيل الجميلة وجزءاً من مدينة القاهرة البديعة ، فانسيت ما كنت عليه من هم كما أنى انسيت ما كنت أريد ان اكتبه اليك ، ووقفت لحظة أمتع النظر فى أشجار النخيل الباسقة ، ذات القوام المعتدل وهى باسطة فروعها الى السماء كأنما تطلب شيئاً من الله

« كم وددت ياعزيزى محمود أن أكون معك متأبطة ذراعك ناظرة الى مياه النيل الجارية العذبة ، والى وجهك الاسمر الجميل الجذاب ، والى عيونك السوداء الفاتنة ، كما كنا نسير فى غابة بولونيا تحت فروع الاشجار ، فأشعر بأنى املأ قلبك وتملأ أنت فكرى وعواطفى واحساسى

« ما كان أسعدنى بهذه اللحظات . لقد انتهت هذه الايام ومضت ، هل ترى تعود ؟ انى أرى الفريد دوموسيه مصيبا حين يعيب على دانتى الايطالى رأيه فى أن ذكرى السعادة ، الماضية فى أوقات البؤس من أسباب الشقاء . بل هى فى رأيى ورأى ذلك الشاعر الفرنسى من وسائل السعادة ، فانى أذكر الآن أوقات اجتماعى بك وأتذوق حلاوة تلك الايام ، وأنا الآن وحيدة فريدة بائسة فأشعر بتلك السعادة الماضية وأحياناً أجدنى ثملة وأنا ارى خيالك وانت ترتشف شفتى وامتص أناملك . وسأكون سعيدة أبداً بذكرى تلك الايام . لقد ملأت كل حياتى يامحمود . وما ألذ حياة يملؤها الحب الصادق ! فان لحظة من لحظات الغرام لأشهى من كل لحظات الحياة وأوقات العمر ، ترى هل تفكر فى حبيبتك مدلين كما تفكر هى فيك ؟ انى لا أعهدك قاسى القلب . آه حبيبى محمود ! كفى . فأنت أعلم بما فى فؤادى . أتركك الآن منتظرة منك رسالة طويلة وأنا كلى لك

« حبيبتك مدلين »

المنظر الخامس

[يقف محمود مضطربا والرسالة بيده ينظر اليها فيدخل عليه والده فجأة]

شهاوى بك — جاءتك رسالة من فرنسا الدكتور محمود — نعم !

شهاوى بك — أراك مضطربا . لماذا ؟

الدكتور محمود — لا شيء سوى أنى اليوم مضطرب المعدة

شهاوى بك — يمكن ياحضرات الاطباء قد كشفتم لنا معدة حب !

الدكتور محمود — اضطراب معوى

شهاوى بك — اعلم أنك وصلت الى نهاية الضعف وأن النصح لايجديك ومع هذا يجب أن أنصحك

الدكتور محمود — فى أى شيء ؟

شهاوى بك — فى هذا الجنون أنا لا أفهم أن رجلا متعلما يريد أن يلقى بنفسه فى الهلاك

الدكتور — أما حياتى فليس لاحد أن يتصرف فيها

شهاوى بك — ما شاء الله ! هذه نتيجة تربية الاولاد وحبهم والتعلق بهم . هذا هو الجحود والعقوق من ولد مثلك أحبه أبوه ووقف كل حياته عليه وأصبحت أمه البائسة المسكينة تبكى لبعده ومع ذلك تريد أن تقضى علينا

الدكتور — أنا لا أريد ان أقضى عليكم ، ولكنكم أنتم تريدون أن تقضوا على

شهاوى بك — تظن أن الذى يرشدك الى الخير يريد أن يقضى عليك ؟

الدكتور — تظن أنك إذا وقفت فى سبيل رغبتى لسعدتنى ؟

شهاوى بك — ها ها ها ها (وهو فى حالة عصبية) إذا كان كل ما عملناه فى حياتنا لك وإذا كانت كل تربيتك الماضية وكل ما تعلمته الغرض منه الوصول الى امرأة فياخيبة الامل !

الدكتور — لا يمكننى أن أرجع عن عزمى

شهاوى بك — ألا تخجل من هذا الكلام ؟

الدكتور — لا بد من السفر الى فرنسا وترك هذا البلد الذى لا يمكننى أن أعيش فيه

شهاوى بك — ولا تنظر الى شرف أبيك ! لقد اتفقت مع خالتك وزوجها على أن تتزوج سعاد

الدكتور — سعاد ؟ من يجبرنى على ذلك ؟ (يخرج شهاوى بك فى حالة تأثر)

المنظر السادس

[يدخل الاستاذ جالى ويتحدث مع الدكتور محمود]

الاستاذ — أريد ان انصحك نصح أخ مخلص الدكتور — أنا لا أحتاج إلى نصيحة

الاستاذ — إذا كنت من الذين لايقبلون النصح أو يعتقدون دائماً أنهم على صواب فانت اذن ...

الدكتور ــ مجنون !

الاستاذ ــ مجنون ! لا أدرى . بل ربما تكون من أفضل العقلاء ولكن على كل حال عقلك غير عقول الناس الدكتور ــ دعنا من كلام المحامين !

الاستاذ ــ ودعنا أيضاً من العناد . أنا أرى انك تريد أن تتعس والديك ببعدك عنهم

الدكتور ــ أنا أفكر فى نفسى قبل كل شىء . ألست أنت كذلك وكل انسان مثلى ؟ تريد أن أقضى على حياتى لارضى والدى ووالدتى ؟

الاستاذ ــ هم يريدون لك الخير لا القضاء عليك

الدكتور ــ الخير فيما أريد ! الاستاذ ــ وإذا كانت الحقيقة غير ذلك !

الدكتور ــ اذن تكون حقيقة كاذبة . أو تكون هى الحقيقة التى تعرفونها أنتم . أما الحقيقة عندى فهى واضحة . أنا أرى سعادتى فى الذهاب الى فرنسا وفى الزواج بمدلين

الاستاذ ــ لكن هذه العواطف خيالات لا حقائق ، بل هذه أزمة نفسية تمر وتنتهى

الدكتور ــ ماتسميه أنت خيال هو حقيقة ، لان هذا الخيال هو الذى يسود النفوس والعالم . وإذا كنت يا متر جمالى جريئاً لدرجة أنك تسمى الشعور والعواطف خيالا فما هى الحقائق ؟!

الاستاذ ــ الحقائق هى العقل

الدكتور ــ وإذا كانت العواطف والشعور أوهاماً وخيالا فالحياة كلها أوهام وخيال

الاستاذ ــ وهو كذلك فان الحياة كلها أوهام وخيال

الدكتور ــ افرض انى فى أوهام وجنون فاذا أمكنك أن تنقذنى من هذا الجنون فافعل

الاستاذ ــ فاذا كنت لاتقبل النصيحة ؟ الدكتور ــ فدعنى وأمرى

الاستاذ ــ ولكن اسمح لى أقول لك إنى جربت ذلك قبلك ثم تبين لى أن هذا أوهام وطيش

الدكتور ــ لانك لم تصدقهم ! الاستاذ ــ أى نعم

الدكتور ــ لماذا يا متر ؟ الاستاذ ــ لاننى كنت فى حالة جنون

الدكتور ــ وأنا الآن فى حالة جنون أيضاً الاستاذ ــ إذن

الدكتور ــ أرح نفسك (يخرج جمالى ويتركه)

المنظر السابع

[يدخل شهاوي بك على محمود فيجد محموداً واقفاً]

شهاوى بك ــ على أى شىء عزمت يا محمود؟ محمود ــ لا أزال على رأيى

شهاوى بك ــ إذن لا أبوك له قيمة عندك ولا أمك لها احترام فى نفسك ؟

محمود ــ المسألة ليست مسألة قيمة واحترام ، بل مسألة عواطف

شهاوى بك ـ عواطف ! ما هذه العواطف ؟ هذا جحود وعقوق وجهل . تقول إنك متعلم وتعرف كل شيء . نسيت يا محمود كل شيء ونسيت أباك وأمك وفضلت عليهما فتاة . كم تعبنا فيك يامحمود ، وكنا نقول : اذا كبر محمود يعيش معنا ونستريح نحن من عناء الحياة (ينظر محمود الى أبيه ولا يجيب) أيرضيك أني أعد خالتك وزوجها زواجك وأقدم لهم هدية الزواج ثم يظهر بعد ذلك أني رجل لا قيمة لي (يخرج شهاوى بك ويتركه)

المنظر الثامن

[محمود وحده يجيء ويروح في الحجرة وهو متأثر يخاطب نفسه قائلا] :

ـ هل أترك مدلين وأنساها ؟ وهل هذا ممكن ؟ هذه الفتاة الجميلة التي عاشرتها طويلا واخلصت لها واخلصت لى واحببتها واحبتنى وواعدتها وواعدتنى . على ان يكون حبنا أبدياً لا تؤثر فيه الحوادث إيا كانت . آه وما العمل ! ؟ أأخون عهدها ؟ واذا كان ابى يتمسك بشرفه ألا اتمسك انا بشرفى أيضاً ؟ ما اجمل تلك الليلة التى كنت معها فى حجرتى امام موقد النار واللهيب الاحمر يتصاعد فى الظلمة ، ونحن نتجاذب الحديث وأعانقها وتعانقنى واقبلها وتقبلنى ، وقد قالت لى : احقاً يا محمود انى اكون زوجة لك ؟ ان هذا اليوم الذى اضع فيه خاتم الخطبة فى أصبعى منقوشاً عليه اسمك ، ليكون اسعد أيامى (يضع يده على جبينه ويقف هنيهة ساكتا ثم يقول) : ولكن أمى المسكينة ستكون ضحية حبنا . أمى التى تحبنى وتبذل كل حياتها لى . أمى التى عندما رأتنى قادما من سفرى ارتمت بين احضانى . وقالت : محمود كنت انتظر هذا اليوم فقط لأراك

المنظر التاسع

(تدخل السيدة علية هانم على ابنها محمود وهو واقف مضطرب فتقول) :

علية هانم ـ محمود انتهى يا ابنى ستتركنا وتترك أمك وتنسى كل حبها لك ؟ أهكذا يكون البر بالوالدين ؟ ! وهل هذا اليوم الذى كنت أنتظره منك يا قاسى القلب ؟ يامسكين تلعب بك فتاة وتجعلك تنسى كل أسرتك ؟ وتنظر اليه وتقول : أنظر الى يا محمود . أنظر الى أمك التى تريد أن تمحوها من ذاكرتك الى الأبد . سعاد طريحة الفراش عندما بلغها انك رجعت عن رأيك وتريد أن تعود الى فرنسا بدونها . رحماك يابنى لهذه الفتاة الصغيرة الطيبة القلب التى تقول الآن : ما أتعس حظى ، أحبه ولايحبنى . ومع ذلك فهى تريد أن تعيش معك بدون أن تحبها . ومع يأسها تقول : اذا لم يرد أن يتزوجنى فأنا أريد أن أراه قبل سفره ثم أموت بعد ذلك . الوداع . الوداع . (تهم بالخروج)

يدخل شهاوى بك (مضطربا) ـ دعيه اتركيه . انتهى لا نراه ولا يرانا . اتركيه لهذه الفتاة

محمود (يرتمى على أمه . قائلا) ـ . . لا . لا . أنا لا أترككم سأبقى معكم . وأتزوج سعاد

علية هانم (تصرخ مرتمية عليه) ـ ابنى ابنى أنت ابنى (ويتعانقان)

احمد ضيف

الشبابُ ومصيرُ المجتمع

الى أين يسير بنا الشبابُ

بقلم الاستاذ سليم عبد الاحد

ليس بين أطوار الحياة ما هو أدعى الى الاهتمام من طور الشباب . فهو الزمن الذى تشاد فيه الأخلاق وتوضع فيه أسس الحياة . وعلى تصرف المرء فى هذا الدور يتوقف نجاحه أو اخفاقه . فاما أن يشيد فيه صرح مستقبله أو أن يهدمه

وقد درج الناس على اعتقاد أن الشباب هو زمن الطيش والنزق ، وأن الشاب مجرد من الحنكة والاختبار ، وهما الصفتان اللتان لايكسبهما المرء إلا بمرور الزمن . والحق أن الشباب هو الزمن الذى تنطبع فيه النفس بالمؤثرات ويكسب فيه المرء من الاختبار مالا يتسنى له كسبه فى أى دور آخر من أدوار حياته . فاذا وصل الى دور الكهولة رأى أمامه مجموعة من الاختبارات يسير بموجبها ويستنير بها فى معالجة مشكلات الحياة . ومن الخطأ الاعتقاد أن الشيخوخة تزيده حنكة واختباراً فكل ما تفعله هو انها تكسر حدة الشباب وتحمل المرء على التريث والتأنى قبل الاقدام على عظائم الامور . وفى تراجم العظماء الدليل القاطع على أن عظمة الانسان تبدأ منذ حداثته ، وان آثار النبوغ تظهر منذ الطفولة . وفى الحقيقة أن الشباب ليس بمانع من الحكمة والنضج . وقد قال المتنبي :

وما الحداثة من حلم بمانعة   قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

ولقد يصح القول بوجه الاجمال بأن الحكمة من مميزات الكهولة والشيخوخة . ولكن إرسال هذا القول على عواهنه لايتفق والواقع . فان تطور الانسان متجه الى التبكير فى انضاج القوى العقلية . وقد كانت هذه القوى لا تنضج فيما مضى إلا اذا جاوز الانسان العقد الثالث من عمره وكان الشاب يظل يطلب العلم فى المدارس الى أوائل سن الكهولة . أما اليوم فقد ينال حاجته من العلم ويخرج من المدارس حاملا شهادته العلمية العالية وهو لايزال فتى يافعاً . واذا ظل التطور مطرداً فى مجراه على هذا المنوال فسيجىء زمن تنضج فيه القوى العقلية فى الانسان وهو بعد فى العقد الاول من حياته . والارجح أن ذلك سيكون فى عصر السوبرمان كما سيجىء

نشاط الشباب وحكمة الشيوخ

ومما لابد من الاشارة اليه أن نظام الاجتماع يقوم على عاملين أساسيين لايمكن الفصل

بينهما وهما نشاط الشباب وحكمة الشيوخ . وليس للاجتماع أمل فى الرقى اذا هو استند الى عامل واحد فقط منهما . فحركة الرقى تحتاج الى نشاط يدفع الى الامام على الدوام . ولكن هذا الدفع لايفضى الى رقى حقيقى إلا اذا اقترن بالحكمة

ترى لماذا جعلت الطبيعة النشاط للشباب والحكمة للشيوخ ؟ وهل لهذه القسمة مغزى خاص؟

الجواب عن ذلك أن نظام الاجتماع هو القاضى بذلك . وناموس النمو والتطور يحتمه فالنشاط انما يبدو فى سن الحداثة ويستمر الى أوائل سن الكهولة . ولو ظل مستمراً الى سن الشيخوخة لخلد الانسان على الارض وانتفى الموت . وهو مالا تريده الطبيعة . فالموت من مستلزمات الحياة . وأول منذر بالموت هو خمود النشاط وفتور الحركة . فتى وصل المرء الى هذا الدور من أدوار حياته ظهرت فيه بوادر الاختبار ، وتجمعت لديه من عبر الماضى ما يجعله رجلا حكيما يزن الامور بميزان العقل . ويقدر لكل شىء نتيجته . ذلك لأن الاختبار يعلمه أن لكل معلول علة ، وأن لكل خطوة يخطوها عاقبة لا يمكن الاغضاء عنها . وهذا التقدير الذى ينبه على الاختبار هو الحكمة بعينها . وهى مزية الشيخوخة . فاذا ظهرت فى سن الشباب فهى الذكاء والمهارة ، لان الحكمة مبنية على الاختبار والاختبار لايتاح إلا بمرور الزمن وبوصول المرء الى سن الشيخوخة

ومما يجدر بالذكر ان اعمال المرء على ثلاثة أنواع : فمنها ما يحتاج الى النشاط . ومنها ما يحتاج الى الحكمة ومنها ما يحتاج الى كليهما على حد سوى أو على حد متفاوت . فقد تكلف الجندى القيام بأعمال يكون معها أشبه شىء بآلة صماء . وهذه الاعمال لاتحتاج إلا الى النشاط . وقد تكلف المرء عملا لايحتاج معه الى شىء من النشاط الجسمى ولكنه يحتاج الى النشاط العقلى اى الى الحكمة . وأمثلة ذلك كثيرة لا تخفى على القارىء . على أن أكثر أعمال الحياة تحتاج الى كلا النشاط الجسمى والنشاط العقلى . أى الى همة الشباب وحكمة الشيوخ ، وعلى هذين النوعين من النشاط يتوقف رقى الاجتماع

وغنى عن البيان أن المرء اذا جاوز سناً معينة عاد لايصلح لبعض الاعمال وهذه هى الحكمة فى أن المرء لا يقبل فى سلك الجندية اذا جاوز سناً محدودة . وأكثر الاعمال التى هى مصدر الرزق موكولة الى أهل النشاط من الشبان . على أن طائفة منها موكولة أيضا الى الذين جاوزوا سناً معينة ولا يعهد فيها الى من لم يصل بعد الى تلك السن . ففى بعض البلاد لايولى المرء القضاء إلا اذا نضج وجاوز سن الشباب . وبعض الامم العريقة فى النظم النيابية تحرص على أن يكون لها ندوة تسمى مجلس الشيوخ ويكون أعضاؤها ممن جاوزوا سن الكهولة وأشرفوا على الشيخوخة ، ذلك لان الاعتقاد السائد هو أن الانسان يكون فى طور الشباب متصفاً بالنزق

والاندفاع ، حالة أنه اذا بلغ الكهولة أو قارب الشيخوخة انكسرت حدة نزقه وصار أكثر تقديراً لعواقب الامور

النضج الباكر

قلنا فيما تقدم إن تطور الانسان متجه الى التبكير فى انضاج القوى العقلية . وفى الحقيقة أن هذا التبكير ليس مقصوراً على الانسان فقط بل يشترك فيه النبات والحيوان أيضا . فبعض النباتات كانت تنضج فيما مضى فى مدة معينة من الزمن . وأما الآن فانها تنضج فى مدة أقل بفضل تقدم الوسائل العلمية وتطور العوامل الطبيعية . وما يصدق على النبات يصدق على الحيوان أيضا . وهذا دليل آخر من دلائل الرقى . أما التبكير فى نضج الانسان فيكاد يكون عاماً فى هذه الازمنة . ولعلماء البيولوجيا فيه آراء ليس هذا مكان الكلام عليها . وهذا النضج هو فى الظاهر أسرع تبكيراً فى البلاد الحارة منه فى البلاد الباردة . بدليل أن الفتاة فى الاقاليم الحارة تبلغ وتنضج قبل الفتاة فى الاقاليم الباردة . ومع ذلك فان النشاط يضعف كلما تقدمنا نحو الاقاليم الحارة . فهل من مستلزمات التبكير فى النضج نقص النشاط

هذا هو الواقع فى الظاهر ، وفى الحقيقة أن التبكير فى النضج ليس مقصوراً على البلاد الحارة فقط بل يشمل البلاد الباردة أيضا ، لانه من مستلزمات ناموس التطور ، وناموس التطور ليس مقصوراً على بلاد دون أخرى بل هو عام شامل

انظر الى طلاب العلم فى مصر مثلا . فقد كان طلبة الطب منذ مائة سنة رجالا كبار السن وأما اليوم فهم شبان تختلف اعمارهم من ثمانية عشر عاما الى خمسة وعشرين عاما وقلما تزيد سنهم على ذلك . ومثلهم طلبة سائر العلوم والفنون . وفى ذلك دليل قاطع على أن من مميزات هذا العصر التبكير فى نضج القوى العقلية - لا فى مصر وحدها بل فى جميع انحاء العالم أيضا . وفى الحقيقة انك اذا نظرت الآن الى صغار الطلبة وتلاميذ المدارس الابتدائية رأيتهم يدرسون من العلوم ما لم يكن آباؤهم وأجدادهم يدرسونه إلا فى المدارس العالية . فعلى أى شىء يدل هذا ان لم يكن على التبكير فى نضج القوى العقلية ؟

أضف الى ذلك ان التلميذ يخرج اليوم من المدرسة حاملا شهاداته المدرسية وهو ما يزال فتى يافعاً ويبدأ بمعارك الحياة قبل أن يجاوز العشرين أو الخامسة والعشرين من سنه على الاكثر . وهو يبدأ يشعر بالتبعات التى يلقيها عليه الاجتماع فى الزمن الذى كان فيه الشاب فى العصور الماضية لا يزال راتعاً فى كنف والديه غير مكترث لمطالب الحياة ومقتضياتها . واذا كان لهذا الانقلاب أى مغزى فهو الدلالة على اتجاه الاجتماع نحو عصر السوبرمان كما سيجىء الكلام

عصر السوبرمان

ولا مشاحة فى أن التبكير فى النضج قد زاد عمر الانسان ، ليس بالمعنى الفسيولوجى أو البيولوجى فقط بل بالمعنى الادبى أيضا . وتفصيل ذلك أن المرء اليوم يكسب من العلم والاختبار فى بضع سنوات مالم يكن يوفق الى اكتسابه إلا بمرور السنين الطوال . فالفتى اليافع اليوم يعرف من العلوم مالم يكن يلم به إلا الشيوخ فى العصور الماضية. والفلسفة والعلوم والمعارف التى اشتهر بها سقراط وافلاطون وارسطوطاليس لا تزيد على مايعرفه طالب العلم الاعتيادى فى هذا الزمن

ومع أنه لم يشتهر أحد من الفلاسفة الأقدمين إلا فى أواسط سن الكهولة أو اوائل سن الشيخوخة فان الذين يبلغون اليوم منزلتهم من العلم والفلسفة من الشبان هم كثيرون جداً لا يقعون تحت الحصر وما ذلك إلا مرحلة من المراحل المؤدية الى عصر السوبرمان

ترى ماهو هذا العصر وماذا يراد به ؟

المراد بعصر السوبرمان هو الزمن الذى تبلغ فيه القوى العقلية مستوى عالياً ويتسلط فيه الانسان على جميع قوى الطبيعة ويسخرها لارادته كما يشاء . وتطور الاجتماع سائر لا محالة نحو ذلك المستوى . بل إن ذلك المستوى هو هدف الرقى - ولا يتسنى الوصول اليه إلا باطراد نمو القوى العقلية واستمرار تبكيرها فى النضج . وغنى عن البيان أن عقل الطفل والحدث فى عصر السوبرمان لن يقل عن عقل الرجل الحكيم الكهل فى هذا العصر بل قد يفوقه

ان مطالب الحياة كثيرة متشعبة ، وهى لاتفتأ تزيد مع الزمن . وكلما زادت وتشعبت عظمت حيلة الانسان فى معالجتها . والاحتيال على معالجتها فى مقدمة العوامل المؤدية الى رقى العقل البشرى واتجاهه نحو الهدف « السوبرمانى » . لذلك يجب أن لا نيأس من كثرة تلك المطالب وتشعبها . فان ذلك مما يحفزنا الى السير بعزم شديد ويدفعنا الى الامام

ومما لاشك فيه أن مستقبل العالم هو للشبان . وقد أدرك زعماء الشعوب فى الوقت الحاضر هذه الحقيقة . فأخذوا يعتمدون على الشبان ويعدونهم للمستقبل.وانك اذا نظرت اليوم الى اوربا بوجه الاجمال - والى ايطاليا والمانيا بوجه خاص - رأيت معسكرات الشبان منتشرة فى كل مكان،ورأيت فى تلك المعسكرات نفوساً وثابة تشعر بماهى عليه من قوة وتدرك مالها من سلطان وما عليها من تبعات بازاء الاجيال المقبلة وهى تعلم أن مجد الاوطان لايشاد إلا على مناكب الشبان ، وأن العصر الذى كان هؤلاء يقصون فيه عن تبعات الحكم بحجة أن الحكمة وقف على الشيوخ فقط قد انقضى وزال . فأصبح القول الفصل اليوم للشباب . واذا كان للشباب نزوته ونزقه ، فان له من النشاط ماهو سر حياة الاجتماع . واذا زال النشاط من الاجتماع أصبح آسناً راكداً . وليس لحكمة الشيوخ إذ ذاك قدرة على نفخ الحياة فى جسم الاجتماع

ومما يجدر بالذكر ان العلماء الذين يبحثون فى وسائل اطالة العمر واقصاء الشيخوخة - وفى مقدمتهم شتيناخ وفورونوف - يبذلون اليوم جهود الجبابرة لتعجيل عصر السوبرمان ، ليس بمحاولة اطالة عمر الانسان ، بل بمحاولة إذكاء شعلة النشاط والعبقرية فيه منذ الطفولة . و ذلك بوسائل فسيولوجية ليس هـذا مجال الكلام عليها . وهم يعتقدون انهم باذكائهم تلك الشعلة يساعدون على تنشئة جيل من الاطفال والاحداث تبلغ فيهم القوى العقلية درجة عالية و يتناسل منهم أشخاص تكون منهم نواة لجيل السوبرمان . وفى هذا الجيل لايكون الحكم والسلطان والسؤدد إلا للشبان . أما الشيوخ فلهم الحرمة والرعاية اللاتقتان بالسن فقط . ولا ينتظر منهم نصح ولا ارشاد وانما لهم أن يقضوا مابقى لهم من أيام الحياة فى راحة وسكينة

ان الشبان فى جميع انحاء العالم قد استيقظوا اليوم فجأة وأخذوا يشعرون بما عليهم من تبعة ويدركون مايتطلبه منهم الاجتماع . فهم فى الهند والصين واليابان واميركا والمانيا وايطاليا ومصر وسوريا ،بل فى جميع أنحاء العالم المحور الذى تدور عليه حركة الاجتماع . وليس النشاط مقصوراً على الشبان الذين خرجوا من معاهد العلم فقط بل هو يتناول بوجه خاص طلبة المدارس فى جميع الانحاء . نعم إن بعض المفكرين يرون فى اهتمام الطلبة بالشؤون السياسية خروجاً عن الحدود التى رسمتها الطبيعة للشباب . ولكن ناموس بقاء الاصلح كفيل باصلاح كل خطأ يرتكبه الشبان وبتوجيه خطواتهم فى السبيل القويم . واذا كان من مساوىء اندفاع الشبان انهم يعالجون بعض المشاكل بالنزق والطيش فان سير التطور لا بد أن يفضى الى ما فيه خير الاجتماع

إن يقظة الشباب هى الآن فى أولها ولا يعلم الى أين تنتهى إلا الله . ولكن مما لا شك فيه أنها لخير الاجتماع . نعم إن هذه اليقظة كثيرا ما تصحبها مظاهر العنف والشدة . ولكنها مظاهر زائلة لابد أن ترسب كما يرسب الثفل فى أسفل الكاس بعد رجها . والاجتماع سائر الى هدفه الاسمى وهو تنشئة جيل من السوبرمان سيكون فيه الاطفال والاحداث والشبان أوفر حكمة وأسمى عقلا من شيوخ هذا العصر . ومما يدعو الى أشد الاسف أن يقظة الشبان فى هذا الزمن لاتخلو من آثار الفوضى والاضطراب . وهذا مايجعلنا ننظر الى حركة الشباب بشىء من الوجل والارتياب . ولكن لكل انقلاب اجتماعى مخاطر فى بدء الامر ثم تستتب السكينة ويعود النظام

فاذا علم الشبان ما يفرضه نظام العمران عليهم من الواجبات وما تنتظره منهم الاجيال المقبلة لم يحجموا عن بذل التضحيات التى قد يتطلبها منهم سير المدنية وتطورها

وليس هذا مجال الكلام على مختلف النظم والاساليب التى رسمتها بعض الحكومات للتحكم فى مصير الشبان . ولكن جميعها تقصد الى تنظيم قوى الشباب والاستعانة بها على ترقية مستوى الاجتماع . ترى الى أين تدفعنا تلك القوة وما هو مصيرنا معها ؟

سؤال سوف تجيب عنه الاجيال القادمة

سليم عبد الاحد

شباب الأزهر

بقلم فضيلة الأستاذ محمد عرفه

وكيل كلية الشريعة سابقا بالازهر

لقد نال شباب الازهر نصيبهم من التطور كما نالت الحياة المصرية نصيبها من التطور ، وكان لا يقدر أحد أن يسرع شباب الازهر الى التطور هذا الاسراع

فمنذ أربعين سنة قام حكيم الشرق الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده بدعوة الازهريين الى الاصلاح فلقى فى سبيل ذلك عنتا ونصبا

أما الآن فقد دخل فيه من العلوم والانظمة اكثر مما كان يقدره له المصلحون

دخلت فى الازهر علوم لم تكن ، وانظمة لم تكن ، واتسعت دائرة ثقافته ، وأصبح يرى من الوجود أوسع مما كان يراه قبل ، ويرى للوجود صورة غير التى كان يراها قبل . ومهما تكن هذه الصورة فهى قريبة أو مثل الصورة التى يراها رجال التعليم فى العالم

هذا الاتساع فى التصور ، وهذا الفهم للوجود قربا ما بين شباب الازهر واصحاب الثقافة المدنية التى انشئت بجانبهم ، وجعلتهم أقرب الى الامتزاج بأمتهم وبكل مايحيط بهم

هذا التطور لم يكن خيراً كله كشكل ما فى الحياة بل كان مشوباً بهنات جعلت بعض الناس يرى ان هذا الاصلاح صير من شباب الازهر من يشبهون ابناء المدارس المدنية ، وانى على ما فى نهضة شباب الازهر من خير لى نفس طلعة ، لا تصل الى غاية إلا تطلعت لما وراءها ، ولا تنال من خير الا طمحت للاستزادة منه

لذلك أرجو أن يستزيد شباب الازهر من خير ماهم فيه ، وأن ينظروا الى الامد البعيد والغاية القصوى ، ولا يقنعوا بما دون النجوم

أحب أن يستزيدوا من العلم وان يتسلحوا به ، فالعلم قوة بل هو أعظم قوة فى الوجود ، فيكونوا فى وسط الكتاب أقوى الكتاب والمنشئين ، ومع المؤرخين أعلم المؤرخين ، ومع رجال الاجتماع أنفذ رجال الاجتماع بصراً ، ومع الفقهاء ورجال التشريع أعظم رجال الفقه والتشريع ، ويكونوا فى كل ناحية من نواحى العلم هم المعتلى ذروتها ، والبالغى نهايتها

واحب أن يتدرعوا بدروع الاخلاق . فالاخلاق دروع حصينة ، وأن يستعينوا على خوض غمار الحياة بالصبر والعزم ، والاقدام والحزم ، وأن يتساموا الى معالى الامور والى عظائمها وانما طلبنا اليهم أن يبلغوا الغاية فى كل فن ، وأن يستولوا على الأمد فى كل سباق لأنا نريد

لهم أن يكونوا قادة فى امتهم والنفوس لا تقر بالقيادة الا لمن رأت منه مواهب اعلى من مواهبها وبهرها ما تجده فيه من علم وخلق

وليعلم شباب الازهر أن موقفهم الذى أوجدهم فيه القدر الآن أصعب من موقف اسلافهم ، وانه يقتضى من الجهود أضعاف مابذله اسلافهم . فقد كان اسلافهم هم قادة الفكر فى زمنهم لا ثقافة فى البلد الا ثقافتهم ولا علم الا علمهم ، فكان الشعب يرد موارد علمهم ، ولا يعرف غير موردهم موارد ولاغير مشرعهم مشارع . أما الآن فقدتعددت الثقافات وتنوعت المشارب ،ولن يرد الشعب الا اعذبها موردا ، واصفاها مشربا

فى مصر ثقافات مدنية وأخرى لادينية . فلتجاهد الثقافة الدينية وسط هذه الثقافات ولتجعل عدتها البيان فلن يكسب القلوب الا أحسن هذه الثقافات بيانا واقواها برهانا

احب أن يعلم شباب الازهر ان واجبهم فى الحياة اسمى وانبل واجب . فاذا كان واجب الطبيب أن يصح الابدان وواجب المهندس أن يقيم القناطر والجسور وواجب الزارع أن يخصب الارض ، فواجبهم - على نبل هـــذه الواجبات - فوقها نبلا وهو ان يحيوا نفوس أمم الشرق وذلك باحياء الاخلاق فيها . وذلك باحياء الدين وعمارتها باليقين

ان امم الشرق قد ونت فتخلفت وان امم الغرب قد جدت فتقدمت وانه قد احتكت المدنية الغربية بالشرق فأخذ أسوأ ما فيها من دعارة وتهتك واباحية والحاد وانغماس فى الشهوات الجسدية ، وترك خير ما فيها من جد وعمل وسعى واصلاح وتقدم وابتكار

هذه الرذائل فى الغرب يغمرها ما عندهم من فضائل وهى لا تحلل من الغرب بقدر ما تحلل من الشرق ، لان الغرب جسمه قوى حصين . والشرق جسمه ضعيف متداع . والميكروبات الفتاكة لاتحال الجسم القوى ذا الحصانة ، ويضعف الجسم الضعيف عن مقاومتها فتضعفه وتبليه

فواجب شباب الازهر أن يوقظوا هذه الامم من سباتها ويقيموها من رقدتها ويباعدوا بينها وبين ما ارتكست فيه من شهوات واباحية والحاد

انه لايضطلع بهذا الأمر العظيم الا كل رجل عظيم وانه يحتاج الى الصبر ، فاصبروا كما صبر أولو العزم من الرسل ،ويحتاج الى ارادة قوية فصبوا فى ارادتكم عنصر الحديد . ويحتاج الى التجرد من الشهوات الدنيئة والمطامع الفانية والكراهة للجاه الزائف والعرض الباطل ، فكونوا سماويين علويين اطهارا ابرارا روحانيين اجسامهم فى الارض ونفوسهم فى السماء ، بل كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون

اقول لكم ذلك وأنا أعلم انكم بشر لاجسادكم مطالب . ولابنائكم وازواجكم تكاليف شاقة فى الحياة ربما صرفتكم عن الغرض الاسمى ، ولكنى أعلم أيضاً أن المتسلح بالعلم والخلق المتين يغنم

له خالقه وعلمه ومعرفته بحاجات العصر وتطور الزمن ماشاء الله من ابواب الرزق من حيث ينتفع وينفع دينه وامته ولغته

قد كنت أعلم من أمر الازهر أن أهله لايحترمون الا العلم وانهم لا يكبرون الرجل الا لغزارة علمه وعمق فكره ولا يجلون الواحد منهم الا بمقدار نفعه للناس . فاصبح بعض اهله يعظمون الرجل لما له ولضياعه ولو لم يكن فيه نفع للناس ، وضاعت قيمة الفضائل

فأرجعوا للفضائل العلمية والخلقية قيمتها وأنزلوها حيث أنزلها الله والانبياء والفلاسفة المصلحون . وضعوا المال فى منزلته غير مغالى فيه فرب رجل مملوءة خزائنه منه لا يزن عند الله جناح بعوضة . وان المرء ما عاش لايعدم قوتا وما مات لا يعدم قبرا

اجعلوا لكم فى الحياة غرضا واجعلوه اسمى الاغراض وانبلها . فالغرض يهديكم فى طرقها المدلهمة . وشرف الغرض يرفع نفوسكم فى أعينكم ويعلى أقداركم عندكم . والمرء اذا عظمت نفسه فى عينه عظمت فى أعين الناس . ولا تسيروا فى الحياة بدون غاية ولا تجعلوا غايتكم الخسيس الفانى فان المرء اذا عاش بدون غاية ضل فى طرق الحياة واذا ضؤلت غايته ضؤلت نفسه فى عينه واذا هانت عليه كانت على الناس اهون . واعلموا أن كثيراً من الناس يلتمسون رفعة أنفسهم من طريق الدس على الناس والوقيعة بهم ويبذلون فى عرقلة العاملين وتقييد الناهضين ما لو بذلوه فى تهذيب انفسهم وتنمية مواهبهم لكانوا أعظم الفلاسفة وأقوى المصلحين . فعافوا هذه السبيل وانبذوها والتمسوا رفعة انفسكم من طريق صلاحها ومن طريق اصلاح الناس محمد عرفه

واجب الشباب

بقلم الدكتور فؤاد سلطان

فى حياتنا الاقتصادية اليوم مجال واسع للشباب يستطيع أن يساهم بجهوده وقوته وعزيمته فيه، وبقدر ما يكون استعداد الشباب للحياة وفهمها على حقيقتها يكون حظه من النجاح والتوفيق فيها

وإنى لأذكر حديثاً جرى لى مع بعض رجال الاعمال فى مصر أخذوا فيه على شبابنا عدم قيامهم باعباء وظائفهم وتحملهم للمسئولية الملقاة على عاتقهم كما ينبغى أن يكون عليه القيام بالواجب . وان كنت أنا شخصياً لا اسلم بهذه التهمة على علاتها فى حق الشباب ولكننى أود من الشباب بصفة عامة أن يبرهنوا لهؤلاء المتشائمين انهم رجال عمل وانهم أهل لكل ما يضطلعون به من مهام فؤاد سلطان

الشيبة والشباب

(بقية المنشور على صفحة ٦١٧)

تأثير افراطات الشيبة فى حياة الانسان

قال العلماء إن هوادم الحياة الانسانية تتولد فى الجسم بسبب افراطات الشيبة . فلا يجوز والحالة هذه اهمال البحث فى هذا الموضوع لان الحياة أثمن من أن تضحى فى سبيل افراطات يمكن تعديلها بالتربية من ناحية الابوين أو بالارعواء عنها من ناحية الشخص نفسه

وقد أسلفنا أن هذه الافراطات تنحصر فى أمر التغذى والميل الجنسى . فاذا كان هذا الاخير لا سلطان للابوين عليه إلا من طريق غير مباشر فان لهما مطلق السلطان على الامر الاول وهو التغذى . ولعله شر الامرين وأبعدهما أثراً فى إبادة الحياة قبل نهايتها الطبيعية

لست أريد هنا أن أتكلم فى مسألة التغذى باللحوم وفعلها الشنيع فى البنية على الكبار والصغار معا . فهذا مالا نفع فيه فى هذا الدور من الثقافة الانسانية

ولكنى أتكلم على أوهام الآباء والامهات فى أمر تغذية أطفالهم . فان معظمهم يعتقدون أن بنية الاطفال تقوم على مقدار ما يتعاطونه من المواد المغذية . لا على مقدار ما يستطيعون هضمه منها وما تحتمله معداتهم . لذلك ترى العامة ومن لابصر لهم من الخاصة يحملون أطفالهم على الافراط فى التغذى . ويحتالون عليهم فى ذلك بكل حيلة منذ طفولتهم . فاذا قدرت لهم النجاة من النزلات المعدية والمعوية نشأوا ميالين للافراط ، فيكثرون من طلب الطعام حتى تكاد لا تراهم خالى الايدى من شيء منه . فاذا بلغ الطفل العاشرة كان مقدار ما يأكله مساويا لمقدار ما يأكله انسان ناضج فاذا جاوز هذا الدور الى سن الحلم اندفع وراء مشتهياته الغذائية لا يعرف لها حداً يقف عنده فاذا بلغ الاربعين أو زاد عليها بدأ يشعر باعراض الافراط تنتابه فيعالجها بحمية ناقصة . وببعض المركبات الدوائية . فاذا وجد بارقة من راحة وقتية عاود ما اعتاده من الافراط أو ما أوجب تسممه من الاغذية الحيوانية . فوقع فى شر مما لاقاه أولا . وهلم جرا حتى لا تفيده المعالجة

لو كان ضرر الافراط والتأثر بسموم الاغذية يقف عند هذا الحد لهان أمره . ولكنه يتعدى إفلاس القناة الهضمية الى توليد أمراض عضالة لا يرجى لها شفاء : كتصلب الشرايين من كثرة ما تسرب اليها من أملاح اللحوم والبقول . وكالآلام الروماتيزمية الحاصلة من ترسب تلك الاملاح فى العضلات والمفاصل . وكاعياء الكبد والبنكرياس والكليتين والقلب والاعصاب من كثرة ماحملت من أعباء التخزين والتطهير والتصفية والحركة فيصبح التركيب الجثماني الذى كان إلى سن الخامسة والثلاثين منتظما مواتيا يوم صاحبه بشيبة دائمة ، يصبح عرضة للاختلال

هل يمكن اطالة دور الشبيبة

هذا سؤال ردده الباحثون فى الحياة منذ خلق الله العلم الى اليوم . ويدهش أن كائنا مثل الانسان فى ثروته الادبية ومكانته من القوى العقلية ، لا يعيش حاصلا على كمال مواهبه أكثر من عشرين سنة ثم يعتريها الذبول التدريجى — لهى مسألة تقتضى اطالة الروية . فهل حد الخالق الحكيم لهذا التركيب الدقيق العالى ألا يبقى فى أكمل حالاته الا هذه المدة الوجيزة . أم هى اخطاء يوجبها الطيش على أهله فيوقعون أنفسهم فى الشيخوخة قبل حلول وقتها ؟

قال الدكتور (نواريه) فى كتابه صناعة اطالة الحياة : « ان عالما واسع الاطلاع هو (روجير بيكون) زعم أن الانسان الخالد بطبيعته يستطيع أن يعيش الف سنة اذا علم كيف يقتصد ذخره من القوى الحيوية . ونحن مع عدم موافقته على هذا الزعم نعترف بأن حياتنا لا تبلغ المدى الطبيعى المقدر لحياة الانسان . فنحن نموت فى منتصف مدتها المقررة »

نقول : يفهم من هذا الكلام أن هنالك مدى طبيعيا للحياة يفوق المدى الذى تبلغه اليوم عادة . وأن الانسان هو الذى يتعجل باخطائه الهرم والموت . فما هو هذا المدى وعلى أية قاعدة بناه العلماء ؟

قال العلامة الطبيعى (فلورنس) : « ان الانسان يعيش قدر خمسة أضعاف المدة التى يبلغ فيها نموه . وبما انه يبلغ غاية نموه فى العشرين فهو مستعد لان يعيش مائة سنة »

فعقب عليه الدكتور (جاستون دورفيل) فى كتابه صناعة اطالة الحياة بقوله : « عندى ان هذه الارقام قليلة فان الانسان يبلغ غاية نموه فى الخامسة والعشرين ، فهو مستأهل لان يعيش مائة وعشرين سنة ، ولكن نظراً لضروب الضعف التى أورثها علينا آباؤنا بسوء معيشتهم يمكننا أن نحدد الحياة الانسانية الى مائة عام . فما أبعدنا عن لحاق هذا الشأو ! ولماذا نحن بعداء عنه ؟ لاننا نقتل أنفسنا »

نقول : ان فيزيولوجيين آخرين زادوا على هذا التقدير ، فجعلوا المدى الطبيعى للحياة مائتى سنة بانين ذلك على أن كل حيوان يعيش ثمانية أضعاف المدة التى يبلغ فيها غاية نموه (لا خمسة أضعافها فقط) وبما أن الانسان يبلغ غاية نموه فى الخامسة والعشرين فهو يعيش نحو مائتى سنة

ولكن العلامة البكتريولوجى المشهور (متشنيكوف) رفع مدى الحياة الى ثلثمائة سنة . وأيده فى ذلك الفيلسوف (جان فينو) فى كتابه (فلسفة التعمير) . ويؤيدهما أنه قد شوهد ناس بلغوا المائتين وزادوا عليهما . وزاد هذا الأخير فقال : لقد شوهد ان من الناس من عمر الف سنة وقد قرأ الناس فى هذا العهد كثيراً من انباء المعمرين الذين جاوزوا المائة والخمسين

هل من طريقة عملية لبلوغ هذه الامنية ؟

يقول أعلام الفيزيولوجيا : نعم . وأحسن جواب رأيناه هو ما قاله العلامة الدكتور (جاستون دورفيل) فى كتابه صناعة اطالة الحياة وهو :

« ان سر الحياة السعيدة موجود فى الحياة الطبيعية الصحيحة . فلنقترب من الطبيعة لنرى عود الاتزان العقلى الجميل الينا مصحوبا بالسكينة التى يمتاز بها الرجل القوى . فالحياة الطويلة التى يتطلبها كل كائن سليم الفطرة بالغريزة هي جزاء كل من يوفق ميوله على مقتضى الطبيعة

« اليس مما يلفت النظر أن الامم التى عرفت كيف تفتح الارض كانت عائشة معيشة طبيعية ساذجة ؟ » الى أن قال :

« الحياة حرب مستمرة بين خلايا أجسامنا والميكروبات من جهة ، وبين تلك الخلايا وسموم الاغذية من جهة أخرى ، فصناعة اطالة الحياة يمكن ايجازها فى هذه العبارة : لاجل أن يعيش الانسان عمراً طويلا يجب عليه الا يسلم نفسه للقتل

« يقول الاطباء الذين عاصروا العلامة باستور : يموت الجسد المنهوك بتأثير الميكروبات فيه ، فلنعرف كيف نبيد تلك الميكروبات تطل حياتنا — ولكن كيف نقتل تلك الميكروبات ؟ يجيبوننا : تقتلونها بتعاطى المطهرات . ولكن هذه المطهرات كما تبيد الميكروبات تبيد الخلايا الجسمية أيضاً

« فلا سبيل والحالة هذه لاتقاء الهرم الباكر الا الاعتناء بالجسم ، والحصول على هذه النتيجة لا يستدعى تعاطى العلاجات ولكن يكفى فيه ما يأتى :

« أولا — التغذى بحيث تكون الاغذية المعوضة على قدر الاجزاء المتحللة

« ثانياً — تصريف المتحصلات الدائرة تصريفاً موافقاً

« فمسألة اطالة الحياة ترتكز على هذه القاعدة وهي : معرفة سر التغذية وسر التصريف . فاذا عرف الانسان كيف يأكل وكيف يشرب من ناحية وكيف يتنفس من ناحية أخرى ثم كيف لا يتسمم ببقايا الاحتراقات الخلوية من ناحية ثالثة عرف كيف يعيش أمداً طويلا »

ثم قال الدكتور جاستون دورفيل عن الشيخوخة :

« ان الشيخوخة هى نتيجة الاعتراك بين الانسجة العضوية وبين التسمم . وبناء على هذا اذا أردنا أن تبقى أعضاؤنا غضة وجب علينا أن ندفع فعل هذا التسمم عن أعضائنا بكل وسيلة

« وقد جربت ذلك فى نفسى فان بيدى اليمنى ناحية متصلبة اصابتنى من جرح حدث لى وأنا اشرح جثة فرأيت انى كلما احدثت فى جسمى تسمما سواء بأكل اللحم والبقول أو بالافراط فى العمل ازداد ذلك التصلب ومنعنى من تحريك يدى . فاذا اخذت الراحة الضرورية واكتفيت بأكل الفواكه والنباتات الغضة واللبن الحامض فلا يمضى اكثر من اربع وعشرين ساعة حتى يرتخى ذلك التصلب وأتمكن من تحريك يدى — من هنا علمت أن تصلب الجسم هو نتيجة التسمم الغذائى والشيخوخة ليست شيئا غير هذا التصلب . فن علم كيف يحمى نفسه من هذا التسمم تجنب ضعف الشيخوخة لا محالة »

محمد فريد وجدى

الرابطة الثقافية بين الأقطار العربية

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

« .. ما هى الفكرة التي يعقلها المصرى في القاهرة ، ولا يتأتى ان يعقلها العراقى في بغداد ، والشامى في دمشق ، والحجازى في مكة ، وسائر الناطقين بالعربية من طرابلس الى مراكش وما وراءهما من الاقطار الافريقية ؟ ان كان هناك شيء من هذا القبيل فعلة الاختلاف فيه هو اختلاف التعليم والمعيشة .. »

الأقاويل في أصل المصريين القدماء لا تتفق . فمن قائل أنهم هبطوا الى مصر مع النيل من بلاد اليمن أو العدوة التي تقابلها ، ومن قائل أنهم أثيوبيون في الأصل البعيد أو في أصل بعض الدول التى أدركها التاريخ ، ومن قائل أنهم جاءوا من العراق الجنوبي واخترقوا الصحراء الى البحر الاحمر ، وثبت من الكشوف الحفرية أن بعض الحلى والدبابيس وجدت في مصر وفى العراق الشمالى على نمط واحد قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ، ولا يعرف على التحقيق هل كان أجداد المصريين في تلك الاصقاع ثم جاءوا إلى مصر، أو أن فاتحاً من الفاتحين المصريين ذهب الى تلك الاصقاع وحمل معه ما حمل من تلك المصنوعات المصرية

وهنالك من يقول ان المصريين من أصل أوروبي ، ومن يقول انهم من افريقية الغربية حيث يقيم أجداد البربر السابقون — والفصل في هذه الخلافات عسير

ولكن الأمر الذى لا خلاف فيه أن الملكة الثقافية بين مصر واليمن والسودان والجزيرة العربية والعراق الجنوبي والعراق الشمالى ، وما بين مصر وهذه الاقطار هى فى اللباب ملكة واحدة أو ملكة متقاربة .. فالفكرة أو العقيدة التى تنشأ في مصر لا تلقى صعوبة في فهمها واستحضارها باليمن أو سورية أو العراق

فليس هنالك اختلاف فى طبيعة التفكير والتصور كالاختلاف الذى يكون بين الهندى والمغولى ، أو بين أمم السلاف وأمم السكسون ، أو بين الهنود الحمر والبيض ، وانما تتقارب المدارك والمعقولات بين الامم التى تشملها الآن الرقعة العربية كأنها من أصل واحد أو كأنها

لا فرق بينها و بين الامم التى تحدرت من أصل واحد

ولهذا تجانست شرائع أخناتون وموسى وحمورابي في الزمن القديم ، وليس من المهم أن نعرف المصدر السابق والمصدر المسبوق فى ابتداء هذه الشرائع المتجانسة ، وانما المهم أن نعرف أن المدارك والمعقولات واحدة بين هذه الامم . حتى يوم كانت على عداء مستحكم وتفرقة في اللغات والحضارات ، فأما اليوم فهى من باب أولى أقرب الى وحدة الثقافة و وحدة الجوار

اليوم يتكلم العراق واليمن والسودان ومصر وسورية بلغة واحدة ، و يدينون بعقيدة واحدة هى العقيدة الاسلامية ، ومن كان منهم لا يدين بهذه العقيدة فهو قد خدم الثقافة العربية كما خدمها المسلمون ، والشواهد على ذلك كثيرة من أعمال اليازجي والبستانى و زيدان وغيرهم

ما هى الفكرة التى يعقلها المصرى فى القاهرة ولا يتأتى أن يعقلها العراقي في بغداد والشامي فى دمشق والحجازى في مكة وسائر الناطقين بالعربية من طرابلس الى مراكش وما وراءها من الاقطار الافريقية ؟ ــ ان كان هناك شىء من هذا القبيل فعلة الاختلاف فيه هو اختلاف التعليم والمعيشة وليس اختلاف الملكة والمزاج الأصيل

ومن ثم نستطيع أن نقرر الوحدة الثقافية بين هذه الاقطار ولا حاجة بنا الى انتظار الفصل بين علماء الاجناس في حجم الرءوس ولون الشعور وما حفظته الارض من بقايا الحلى والفخار

وفى اعتقادنا أن هذه الوحدة الثقافية قابلة للتقدم والاتساع والتمكين لانها لم تبلغ بعد مداها ولم تزل في أوائل خطواتها . ولكنها ستبلغ هذا المدى عند ما يتحقق لها أمران :

أولها : التقارب فى درجة التعليم وطبقة الحضارة

والثاني : وحدة المعاملات الاقتصادية وما يدخل فى اطوائها من الصلات التى تجري مجراها

فمن أبناء هذه الاقطار من لا يقرأ شيئاً بعد مخطوطات القرن التاسع أو القرن العاشر . فالزمن عنده قد وقف منذ الف سنة او تزيد ــ هؤلاء شركاؤنا في المكان وفي اللغة ، ولكنهم في الزمان بيننا و بينهم أبعد مما يكون بين المشرقين والمغربين . ومناط الرجاء في هذا الصدد أن وسائل الوحدة موجودة وعوامل الوحدة موجودة ، وستأتى الوحدة الكاملة إذن مع الزمن

أما وحدة المعاملات فهى حتى اليوم لم تبلغ ما يحق لها ان تبلغه من التوثيق والتنظيم ، ولو كانت كما ينبغي لوجب ان اقرأ الكتاب البغدادى وانا في القاهرة بالسهولة التى يقرأه بها المقيم في بغداد ، ولوجب أن تنعقد الصلة بين الكاتبين والقارئين في كل مكان عربى كأنهم من اقليم واحد وكأنهم يدينون بشريعة واحدة ونظام واحد في المعاملات

هكذا يحدث بين قراء اللغة الانجليزية او الروسية او الجرمانية ، فالمؤلف الانجليزي يحاسب شركة واحدة على الكتاب الذي يقرأ في انجلترا واستراليا والهند وافريقية الجنوبية، والمعاملات الثقافية في الروسيا او الامم الجرمانية لا تحتاج الى الوساطات والتعقيدات التي يحتاج اليها الكاتب العربي للاتصال بقرائه في كل مكان ، ولكن الرقعة العربية ليست على ما ينبغي من انتظام هذه الصلات الثقافية في باب المعاملات ، وهي اشبه شيء بمكان واحد له حدود مشتركة ولكنها مقطوعة بالحواجز والسدود والمخاوف والعقبات ، فالحدود تجمعها في حيز واحد والعقبات تحول بين جانب منها وجانب ، فلا يتقاربان إلا بعد جهد جهيد

إذن لابد لنا من التقارب في درجة التعليم والحضارة ، ولا بد لنا كذلك من تنظيم الوحدة الثقافية فيا يرجع الى المعاملات الاقتصادية

فأما التقارب في درجة التعليم والحضارة فسبيله الاكثار من مؤتمرات الثقافة في عواصم العربية بين آونة وأخرى ، يقترن هذا بالتعاون بين جميع الامم العربية على تبادل المعلمين والاخصائيين وأصحاب الفنون والصناعات حسبما يكون لديها من الحاجة أو من الاستعداد والقدرة

وأما وحدة المعاملات فسبيلها إقامة الشركات الكبرى التي تعامل القاهرة كما تعامل مراكش وصنعاء ، وتتكفل للكاتب أن يتصل بالقارىء الذي يفهمه ، وللقارىء أن يتصل بالكاتب الذي يعنيه ، فلا يكون للموضوع الثقافي عشرة آلاف قارىء وأنت تكتب فيه ولا تتصل إلا بألف منهم أو ألفين ، بعد توسيط خمسة أو ستة من أصحاب المكتبات والموزعين

كنت في القطار العائد من دمشق الى لبنان فاجتمعنا في ديوان واحد أربعة من المشتغلين بالقراءة والدراسة ، وواحد منا محام متفرنج يقول لنا بعد أن تعارفنا واخذنا نبحث في موضوع الكتاب الفرنسي الذي كان يقرأ فيه : وماذا في العربية مما يستحق القراءة ؟ تلك لغة مقضي عليها بالفناء وليست هي بأقوى على البقاء من لغة الرومان الاقدمين ، وقد كانت لهم دولة وصولة ونشأت على أعقابهم أمم دخلت لغتهم في لغاتها ثم بادت اللاتينية من عالم اللغات الحية واصبحت لا تعرف إلا في المعاجم وعلى ألسنة الفقهاء

هذا كلام يائس نرجو ان يكون واهما في تقديره ، وانما طريق البقاء للغة العربية ان تصبح لغة الثقافة — لا لغة الحديث الدارج فحسب — بين عشرات الملايين ، وستصبح كذلك يوم تنتظم بين ابنائها صلة الثقافة العامة وصلة المعاملات الثقافية ، وهذه وتلك من الممكنات الميسرات

عباس محمود العقاد

الموسوعة العربية

هل يمكن تحقيقها ؟

للمستشرق الأستاذ كارلو ا. نللينو

العلامة الكبير الاستاذ كارلو ا. نللينو من مشاهير المستشرقين، وهو عضو مجمع اللغة العربية الملكي وأستاذ الدراسات الشرقية في جامعة رومة ، وأحد الاعضاء البارزين في لجنة دائرة المعارف الايطالية التي تعد من اعظم المشروعات العلمية في الوقت الحاضر . ولما كان حديث الاوساط العلمية يدور الآن حول حاجة اللغة العربية إلى وضع موسوعة للعلوم والفنون . فقد رأينا أن نأخذ رأيه في هذا المشروع ، فبعث الينا بالكلمة التالية

مشروع الموسوعة العربية من المشروعات الهامة التي يحتاج اليها الناطقون بالضاد . ولا سبيل الى إنكار مالها من عظيم الفائدة ، غير أن مشروعاً جليل الشأن كهذا المشروع ليس من السهل الآن تحقيقه ، لكثرة الصعوبات التي تعترضه . وعندى أن البدء بوضع معجم لغوى ـ كما فعلت وزارة المعارف ـ يجب الاهتمام به . وقد يكون في وضعه تذليل لبعض الصعوبات التي تقوم في سبيل إنشاء الموسوعة

فلو علمت كيف تعالج صعوبات جمة في إخراج دائرة المعارف الايطالية في ست وثلاثين مجلداً ، يشترك فيها الف وخمسمائة عالم ، لتمثل لك عظم الجهود التي يتطلبها هذا المشروع

والواقع أن الثقافة الاسلامية كانت غنية جد الغنى في العصور الماضية ، ولكنها لا تقاس الآن بالثقافة الحاضرة . والذى يعنى به واضعو الموسوعات أن تكون في الغالب صورة صحيحة لأحدث المعارف والاتجاهات الحديثة . وقد بعد العهد بين الثقافة الاسلامية القديمة و بين ثقافة العصر الحاضر . لهذا قد يكون من العسير ظهور موسوعة عربية تتفق والاتجاهات الحديثة فى الآراء والافكار والأساليب

هذا الى ان التمسك بالعرف في كل اقليم من الاقاليم الاسلامية جعل هناك اختلافاً كبيراً بين كثير من الالفاظ ومدلولاتها . وهذا الاختلاف يحتاج الى التغلب عليه ومحوه بتوحيد الاصطلاحات فى هذه الاقاليم ، ووضع معجم لغوى يكون مرجعاً لجميع الناطقين باللغة العربية حتى تكون الموسوعة موسوعة عربية عامة وافية

أما الاعتماد على ترجمة إحدى دوائر المعارف الاجنبية فهو عمل لا يفي بالمقصود ، فليس يكفي أن تنقل المعلومات الى اللغة العربية لتصبح ثقافة اسلامية . فهنـاك معلومات ينبغي ايجازها ، ومعلومات لا يصح إهمالها ، ومعلومات أخرى يكون اختيارها بالنسبة الى الاجانب اختياراً موفقاً ، ولكنها بالنسبة الى أبناء العروبة يكون اختيارها غير موفق . ولابد من اضافة معلومات أغفلتها الموسوعات الاخرى . ولا يمكن أن نغفل بحال الصعوبات الماليـة وكثرة النفقات التى يستلزمها التصنيف وشراء المراجع والمؤلفات الحديثة والطبع

الموسوعة الايطالية

ولأجل أن تقف تمام الوقوف على المجهودات التى يتطلبها مشروع الموسوعة العربية أذكر لك طرفاً من الجهود التي نبذلها في وضع دائرة المعارف الايطالية

فأول عمل قمنا به أن بدأنا بجمع المواد واستخراجها ، ثم قارنا بعضها ببعض ، فوجدنا أن هناك نقصاً في الموسوعات التي ظهرت الى الآن ، وربما كان هذا النقص ناشئاً عن تأخر ظهورها ، أو لأن هناك اصطلاحات جديدة انبعثت بدافع التطور السريع فى العلوم والفنون ، أو لسهو جاء في تلك الموسوعات . أو لأنها لم تعتبر أموراً ايطالية

ثم حذفنا ما ظهر أنه قليل الفائدة وأضفنا من المواد ما اعتبرناه عظيم القيمة في الوقت الحاضر . وقسمنا بعد ذلك هذه المواد الى أنواع العلوم ، وقدرنا حساب الصفحات التى تلزم لكل مادة . لان البرنامج الذى حددناه لحجم الموسوعة أن تكون فى ستة وثلاثين مجلداً من القطع الكبير وكل مجلد فى الف صفحة . فوزعنا المواد على الصفحات بحسب هذا البرنامج وقد استغرق هذا العمل سنة ونصف سنة

ثم وزعنا العمل على الاخصائيين فسألنا كل اخصائى أن يمدنا ببحوثه في مادته . وأكثر القائمين بذلك ايطاليون ، والاجانب قليلون . وفى المواد الانجليزية اشترك بعض العلماء الايطاليين مع اخوانهم الانجليز . وقد دعونا بعض الالمان والفرنسيين والروسيين

ووضعنا نظاماً يكفل اخراج أربع مجلدات في السنة ، على أن يكون لكل ثلاثة أشهر مجلد . ويستغرق وضع الموسوعة على هذا النسق تسع سنوات

وقد لاحظنا وجهاً من وجوه النقص في الموسوعات من جهة الفنون الجميلة . فعدد الصور غير كاف ، والصور الملونة نسبتها ضئيلة . فعالجنا هذا النقص بالاكثار من عدد الصور ما أمكن

ووجهنا عناية خاصة الى الصور الملونة . وألفنا لجنة من مشاهير الفنانين للاضطلاع بهذه المهمة

وأنشئت مطبعة كبيرة خاصة بهذا العمل . واختير مكان تأسيسها « بميلانو » مع أن ادارة التحرير في « رومه » ووصلنا بين المدينتين بمحطة تليفونية خاصة

وفي كل مساء يسافر أحد الموظفين لنقل الاصول من « رومه » الى المطبعة . ولولا هذا ما أمكن صدور الاجزاء منتظمة في مواعيدها المحددة . وسينتهى العمل منها بعد سنتين

وقد صرف عليها الى الآن عشرون مليوناً من الليرات الايطالية . وعدد المشتركين فيها ثلاثون الفاً

وقد تبرع لهذا المشروع صاحب « تراكاني » وهو من كبار التجار الايطاليين في المنسوجات بنحو ستة ملايين من الليرات ، وقد اضطررنا الى شراء كتب كثيرة من جميع اللغات ، وطائفة ضخمة من المعاجم ، ومؤلفات كثيرة العدد في الرياضيات

وعهدنا الى ثلاثة من كبار العلماء الايطاليين في وضع المواد الاسلامية والعربية . واستدعينا عالما اسلامياً رابعاً للفنون الاسلامية الجميلة لعدم وجود اخصائيين من الطليان في هذا الموضوع واللغة التركية وآدابها وتاريخها عالمان . وعالم آخر لآداب الفرس وتاريخهم قبل الاسلام ، واثنان لما بعد الاسلام . وقد احتجنا الى طلب المساعدة من بعض العلماء غير الايطاليين في المواد التاريخية والجغرافية البحتة

وتعمل طائفة كبيرة من العلماء في تاريخ اليهود وآدابهم لا سيما فيما يخص تاريخ اليهود قبل الميلاد . أما بعد الميلاد فقد قام به أربعة

وثمة أقسام أخرى للغات السامية والهندية وآسيا الوسطى وتاريخ آداب الامم الصينية واليابانية وهلم جرا . ويشترك في تحريرها مئات من العلماء

هذا بعض ما نبذله في وضع دائرة المعارف الايطالية وأتمنى في ختام حديثي أن يتيسر لمصر أن تتغلب على الصعاب التي تقف أمامها في تحقيق الموسوعة العربية كي تحفظ تراث الثقافة العربية للجيل الحاضر والاجيال القادمة

كارلو . ا . نللينو



مترنيخ وعصبة الأمم

سياسة أكبر داهية عرفته أوربا

كان البرنس مترنيخ كبير وزراء النمسا اعظم دكتاتور عرفته اوربا في القرن التاسع عشر. ومع انه تسبب في عقد الزواج بين نابليون بونابرت والبرنسيس ماري لويز ، فقد كان اكبر اعداء نابليون . واليه يرجع الفضل في انشاء المحالفة المقدسة التي كانت اول عصبة امم عرفتها اوربا . وفي هذه المقالة وصف لسياسة ذلك الداهية

لقد تصدى الكثيرون من المؤرخين لنقد سياسة الكونت مترنيخ . ومع اختلاف آرائهم فيه أجمع كلهم على أنه كان أعظم سياسي أنجبته أوربا فى عصر نبوليون . ولولا شدة تمسكه بالسلطة المطلقة لأسدى إلى أوربا خيراً عميماً

وفى مقدمة الذين نقدوه روبير دى تراز الكاتب الفرنسى المعروف . وقد بسط سياسته وما انطوت عليه من مقاصد وأغراض . وكان من أعظم أمانيه انشاء عصبة أمم أوربية لا للدفاع عن السلام بوجه الاجيال بل لتأييد عرش الامبراطورية النمسوية

كان مترنيخ — على ما يقول روبير دى تراز — روح المحالفة التى انشئت لمقاومة نبوليون ، بل الدماغ المفكر لجميع الدول الناقمة عليه . وبعد أن سقط نبوليون شرع مترنيخ يقيم على انقاض أوربة صرح السلام ، ويسعى لتأييد ذلك السلام بانشاء عصبة أمم باسم « المحالفة المقدسة » لتشرف على اوربا وتراقب سياستها . وكان مترنيخ يرمى من وراء ذلك إلى غرض آخر وهو أن يقيم نفسه وصيا على الدول . وقد قال عنه القيصر نيقولا « انه مفتاح سياسة أوربا المتصرف بها » . وكان الجميع يحترمونه ويخشونه . ولم يتمتع احد من رجال السياسة فى أوربا فى القرن التاسع عشر بما تمتع به ذلك الداهية من شهرة وسلطان

وفى الحقيقة أن مترنيخ كان الى شرف المحتد نبيلا مهذبا سليم الذوق بعيد النظر صبوراً مقداما ذا عزم يفل الحديد . وكان يدرك من أسرار السياسة ما لا يدركه غيره . وبالاختصار ان ذلك الداهية كانت قد استجمعت له أموره واجتمعت فيه خلاصة الصفات التى تخول الانسان الزعامة على اقرانه

اضف الى ذلك انه كان ذا حظوة عند النساء . فكن يتسابقن الى مجلسه ويترامين عليه . ولم يستول على قلبه منهن سوى ثلاث وهن : كارولين مورات ، والدوقة دايراتنبس ، والبرنسيس بجراسيون . وقد تعرف بالاولين يوم كان سفيراً لدولته فى باريس وكانتا تمدانه بكثير من الانباء التى لم يكن

يتسنى لغيرها الوقوف عليها . أما ثالثتهن ـ وكانت تلقب بالملك العارى (L'ange nu) فكانت بمنزلة جاسوسة رسمية له مدة أربع عشرة سنة . وكان يحبها حبا صحيحا . وقد ذكر التاريخ اسماء نساء أخر كان يستخدمهن جاسوسات وفى مقدمتهن البرلسيس دى ليفان ، وكانت هي أيضا من اللواتي وقعن فى حبال غرامه

أما المال فكان لمترنيخ منه نصيب وافر ، وقد كانت موارد الدولة بل موارد أوربا كلها تحت مطلق تصرفه . وكان يملك من القصور والصروح والتحف النادرة والحجارة الكريمة ما لا يملكه أحد غيره من رجال السياسة . ولذلك كانت الحفلات والمآدب التى يقيمها رمزاً إلى العظمة ودليلا على ما كان يتمتع به من جاه وثراء

فرجل كهذا اجتمعت له الثروة والعظمة والفطنة والحصافة والحسب والجاه ، لم يكن كثيراً عليه أن يصبح دكتاتور أوربا وزعيم رجال السياسة فيها . ولم يكن يخلو من آثار الغرور ، فقد كان يزعم نفسه معصوماً عن الخطأ وقد صرح بذلك جهاراً . وكثيراً ما قال لمحدثيه : « ان الخطأ لم يقرب منى قط » ولما وقعت الثورة فى بلاد اليونان صاح : « لقد أثبتت الحوادث أن العالم كله كان على خطأ وأنى كنت على صواب » . ومن يتصفح مذكرات هذا السياسى يجد بين سطورها آثار الكبرياء والغرور . فقد شحنها غمزاً ولمزاً لجميع رجال السياسة فى عصره ، وانتقاداً شديداً لسياستهم ، وتسفيهاً لآرائهم . وكان يحتقر نفس وزراء دولته ويصفهم بضعف الرأى وقصر النظر ، ومع ذلك ما كان يجد بأساً من تعيينهم فى مناصبهم مادامت السلطة العليا فى يده ، وما دام هو المهيمن على شؤون الدولة

الامبراطورية المقدسة

بعد أن وقع نوجوت السياسى النمسوى معاهدة لونفيل ـ وبعد موقعتى اوسترلتز وفاجرام ـ لم يجد مترنيخ بدأ من أن يتولى بنفسه زمام الحكم ، وكانت النمسا قد ضعفت بسبب الحروب البونابرتية وأدركها الوهن وكادت صفحة ماضيها تطوى وتندثر . فتمكن مترنيخ من انهاضها ونفض غبار الذلة عنها ، إلا أنه لم يستطع اعادتها إلى ما كانت عليه من مجد وعظمة . ورأى بثاقب بصره أن ينقح آراءه بشأن الدولة ويجعلها اكثر مرونة . فقال ان المحافظة على الحدود الجغرافية ليست فى شيء من بعد السياسة . فخارطة النمسا يجب أن تكون « مرنة » تقبل التنقيح حيث يجب التنقيح ، وعليه تنزل عن بلاد الفلاندر لبعدها عن الحدود . وعاد لا يفكر فى احياء الامبراطورية المقدسة القديمة لان تلك الامبراطورية كانت تقوم على فكرة هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة . ثم ضم إلى النمسا بضع مقاطعات ورسخ سلطان هابسبرج على المانيا التى كانت الفوضى تسودها . وفى الحقيقة أن قوة النمسا عادت فاشتدت فى يده وبلغت مكانة سامية . ذلك لان اليأس لم يكن يجد إلى قلب مترنيخ سبيلا ، ولا كان للاحزان أى تأثير فى نفسه ، مع أنه فجع فى الكثيرين من أهله

وذوى قرباه . أضف إلى ذلك أن نشاطه لم يكن يعرف حداً ، وقواه العقلية لم تكن تعرف معنى الوهن . وفى الحقيقة أن شعور ذلك الرجل بواجبه نحو بلاده كان يفوق كل شعور آخر . بل لقد كان يجد فى انجازه الواجب أكبر لذة نفسية . لذلك كان كثير التفاؤل ، وقد حققت الحوادث أكثر أمانيه . ومع أن الحوادث تتابعت والمصائب توالت ، فقد ظل هو هو لا يتغير ولا تخور عزيمته ، ألم ينهزم نبوليون ويخرج منفيا من فرنسا مرتين ؟ . ألم تتوال المصائب على أسرة بوربون فكانت تسترجع عرشها ثم تفقده ؟. ألم يقض لويس الثامن عشر نحبه ويهرب شارل العاشر ثم لويس فيليب من باريس ؟ ألم ينتحر كاستاريه ويقض كاننج نحبه ويخلف جورج الرابع على عرش انجلترا جورج الثالث ثم جاءت الملكة فكتوريا ؟ . ألم يخلف نيقولا الاول اسكندر الثانى ؟. ألم يتوال الملوك على العروش ويتتابع رجال السياسة وتتلاحق الثورات وتجرف العرشين الاسبانى والايطالى ؟ . ألم تصبح أميركا الجنوبية مجموعة جمهوريات وتنهض اليونان للمطالبة باستقلالها وتحمل بولونيا والبلجيك علم الثورة ؟ . لقد وقع ذلك كله ، ومترنيخ هو هو كصخرة لا تؤثر فيه الرياح ؛ يرقب ما يقع حوله ويبسم لعاديات الزمان

لقد ظل ذلك الداهية خمسين عاماً يتقلد زمام الوصاية على أوربا ، ويتحكم فى مصيرها ويدرس نفسية الشعوب فى الحرب والسلم — فى ساحات القتال وفى مؤتمرات الصلح — فى بيوت العامة وفى قصور الملوك — فى أقوال البسطاء وفى خطب المفكرين — ثم كان يدرس نفسية الافراد والجماهير . وقد تسنى له فى خلال ذلك أن يتعرف بكل كبير وصغير ، وبكل عاهل وأمير . ولم يكن أحد يدنو منه إلا ويشعر بعظمته ، ويدرك أنه واقف فى حضرة رجل ليس كالرجال العاديين

والغريب فى أمر هذا الرجل أن غروره لم يكن يعرف حداً . فكان يحاول أن يظهر عظيماً أمام كل انسان . ولهذا لم يكن يتقاعد عن لبس بزته المزركشة وعن تحلية صدره بالانواط والمداليات ، لكى يشعر كل من ينظر اليه بأنه فى حضرة أعظم رجال السياسة مقاما . على أنه كان الى جانب غروره شديد الكياسة ناعم الملمس لا يسمع أحداً اهانة ، ولا يوجه اليه كلاما فى غير موضعه . ولذلك لم يكن له أعداء كثيرون . بل أن نفس أعدائه ومنافسيه كانوا اذا اجتمعوا به وناقشوه أصبحوا أصدقاء له معجبين بطلاوة حديثه

وغنى عن البيان أن نابوليون كان عدوه الاكبر . وقد تمكن مترنيخ من اذلاله وارغامه على التنزل عن عرشه مرتين . وكان انتصاره عليه تاما ، ولم يكن يهمه أن نبوليون كان صهر امبراطوره . على أن عداءه لنبوليون لم يكن يمانع له من الاعجاب به وبخططه الحربية الباهرة . فضلا عن أنه ما كان لينسى الايام التى قضاها فى باريس سفيراً لدولته ، يوم كان يدرس نفسية نبوليون عن كثب ويخترق بفكره وثاقب بصره روح ذلك النابغة الحربى العظيم

أما سلوكه بازاء اسكندر الاول الذى كان حليف امبراطوره فكان يختلف عن سلوكه بازاء نبوليون فقد كان يحسبه من أصحاب الاوهام والخيالات ، ولا يخفى رأيه فيه عن أحد . وكان ذلك العاهل يعرف رأى مترنيخ فيه . ولذلك كان يكرهه ويقول عنه : « انه لا يحب أحداً » وفى الحقيقة أن مترنيخ بقدر ما كان يحترم نبوليون ويخشاه كان يحتقر القيصر اسكندر ، والقيصر اسكندر يشعر بنفوره منه . وفى اثناء انعقاد مؤتمر فينا نفد صبر اسكندر من كثرة احتقار ذلك السياسى له ، فتفوه بعبارات مهينة له ثم طلبه الى المبارزة . ولكن الخلاف بينهما سوى وتحامى القيصر بعد ذلك ان يجتمع بمترنيخ وامتنع عن الذهاب إلى المآدب التى كان يقيمها . ولم يكن ذلك فى مصلحة القيصر فقد اظهر للملأ ضعفه . اما مترنيخ فأصبح منذ ذلك اليوم يكره القيصر اسكندر كرهاً شديداً ويقاوم كل آرائه ومشروعاته . وليس ذلك فقط بل ظل يتصدى له فى كل كبيرة وصغيرة ويقنعه بضعف سياسته وخرق سياسة وزرائه حتى اضطر هذا اخيراً إلى الاستسلام له فى كل شىء ومجاراته على كل ما يطلبه

السلامة الاجماعية ومبادىء عصبة الامم

ويمكننا تلخيص سياسة مترنيخ فى تلك الادوار العصيبة بقولنا انه كان يعتبر نفسه مقاما من قبل العناية الربانية وصيا على خارطة اوربا كما رسمها رجال السياسة على اثر سقوط نبوليون سنة ١٨١٥ . وليس ذلك فقط بل كان يعتبر نفسه الشخص الوحيد الذى يحق له ان يتكلم باسم أوربا جمعاء . وان يفسر نصوص معاهدات السلام . ولتحقيق هذه الغاية بذل كل ما فى وسعه لربط الدول معا وتأليف عصبة منها يكون هو دكتاتورها المطلق ويشرف عليها اشرافا تاما . وكان وهو يمارس تلك السلطة يلاين رجال السياسة الذين ينوبون عن دولهم ويتظاهر باستشارتهم فى كل كبيرة وصغيرة وهو فى الحقيقة لايفعل الا ما يراه ولا ينفذ شيئا من الآراء التى يبسطونها . وقد اعرب عن رأيه فى تلك العصبة بقوله : « ان الدول تبدى ميلا الى التقارب والتآلف . وهذا الميل يدفعها إلى التآزر لتكون منها وحدة اجتماعية . . . وان انشاء العلائق بين الدول على اساس الاحترام والضمان المتبادلين هو اساس السياسة القويمة »

وفى الحقيقة ان من المبادىء التى كان مترنيخ يبشر بها ويدافع عنها ضرورة احترام المعاهدات والمحافظة على الحقوق المكتسبة والسعى لجعل الدول تتحد لضمان السلامة الاجماعية . وهذه المبادىء هى كما ترى نفس المبادىء التى تقوم عليها عصبة الامم الحاضرة

وقد كتب مترنيخ فى ذلك يقول : « لم تبق فى أوربا بعد اليوم دولة منعزلة . . . فلكل دولة مصالح خاصة ومصالح مشتركة مع غيرها » وبعبارة اخرى ان اتحاد الدول اصبح منذ ذلك اليوم أمراً واقعا . وكان مترنيخ يقول أن ريشليو ومازاران وتليران وكانتج ساروا على سياسة قومية

خاصة اذ لم تكن تهمهم الا مصالح بلادهم الخاصة وأما هو فقد جرى على سياسة دولية اساسها تعاون الدول وتآزرها على كل ما فيه مصلحتها المشتركة . على أن هذه السياسة ما كانت لتغير عقيدته فى النظام الملكى . فقد كان يقول : « ان الملوك لازمون للعالم نافعون له ، وفى امكانهم أن يتفاهموا ويتفقوا ويتعاونوا لانهم أكفاء متعادلون . وبهذا يسهل انشاء « عصبة دول » منهم وهذه العصبة لازمة لسلام العالم . وبعبارة أخرى ان فى النظام الملكى راحة أوربا وسلامتها »

أضف الى ذلك أن الثورة الفرنسية كانت قد افضت الى نتيجة محتومة ، وهى توحيد دول أوربا وربطها برباط واحد . وكانت تلك الثورة ترمى الى تحرير جميع الشعوب ووضعها على مستوى واحد . لانها متى اصبحت على مستوى واحد أصبح تعاونها مضمونا . فالثورة إذا نجحت أفضت الى تآخى الشعوب بفضل صيرورتها متكافئة متعادلة . وإذا لم تنجح افضت الى تآزر الدول المقاومة لها . ففى كلتا الحالتين كانت اوربا سائرة نحو تأسيس اتحاد جديد تنضم اليه دولها وتكون خير ضمان للسلام والنظام . ولا شك أن هذه الفكرة هى التى أوحت الى مترنيخ بمشروع « المحالفة المقدسة »

على ان مترنيخ لم يكن يرمى بتلك المحالفة الى تحسين حالة اوربا أو ترقية مستوى الاجتماع بل كان يرمى الى غرض آخر وهو منع أية دولة من الدول من التعرض للمواثيق والمعاهدات التى وقعتها وقطعت بها على نفسها عهداً بأن لا تتعرض لخارطة أوربا الحديثة أو للحدود التى اتفقت عليها . وبعبارة أخرى — ان مترنيخ أراد ان يرغم دول أوربا على الدخول فى معاهدة تضمن بموجبها كل دولة منها سلامة غيرها ضمانا متبادلا تحت ستار الرغبة فى المحافظة على سلام أوربا وطمأنينتها ، مع المحافظة على الحالة الراهنة كما هى بلا انتقاد ولا اعتراض . ولم يكن مترنيخ يرمى الى جعل ذلك التحالف سياسيا وعسكريا فقط بل « بوليسيا » أيضا ، أى انه كان يريد ان يجعل الدول الداخلة فى ذلك التحالف بمنزلة قوة بوليسية للمحافظة على أمن أوربا وسلامتها — فى الداخل والخارج

ولا بد من التنبيه هنا على ان مترنيخ شهد من مآسى الثورات والفتن ما كره اليه سلطة الجماهير . لذلك لم يكن يؤمن بالمبدأ القائل ان الامة مصدر السلطات ، بل كان يكرهه ويحتقر المتمسكين به ، ويقول ان مقاليد الحكم يجب ان تسلم الى ذوى الكفايات والقدرة والحنكة ، لا الى زعماء العامة الذين تجرفهم تيارات الاهواء والنزوات . وبعبارة اخرى ان السياسة يجب ان تقتصر على الخاصة فقط . وثورات العامة يجب سحقها بالقوة والا سادت الفوضى موضع النظام

ولنرجع الى السياسة التى قامت عليها المحالفة المقدسة سنة ١٨١٥ فنقول انها هى التى ضمنت تعاون الدول على منع الحروب وحفظ السلام ردحا من الزمن . وبذلك صينت حدود أوربا الجغرافية وتسنى ترميم ما أحدثته حروب نبوليون مدة خمس وعشرين سنة من خراب ودمار . وافضت الى تحسين العلائق بين الدول وحفظ الموازنة بينها

المحالفة المقدسة

ترى ما هي المحالفة المقدسة ؟

هي محالفة أنشئت بموجب معاهدة وقعها اسكندر الاول قيصر روسيا ، وفرنسوا الاول امبراطور النمسا ، وفردريك وليم الثالث ملك بروسيا فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٨١٥

ولم تنشر نصوص هذه المعاهدة الا فى سنة ١٨١٦ وقد جاء فيها ما يأتى :

« ان العلائق المتبادلة بين الدول ستؤسس من الآن فصاعداً على الحقائق السامية التى تقوم عليها تعاليم الديانة المسيحية ... وان مبادىء العدل والبر والسلام ... يجب أن تسود مجالس الملوك والامراء وترشد خطواتهم . . . وان الملوك الثلاثة المرتبطين بهذه المعاهدة يجب أن يظلوا متحدين برباط الاخاء الذى لا ينفصم ... وأن يتشاوروا ويتعاونوا فى كل الاحوال وفى جميع ظروف المكان والزمان ... وأن يعتبروا أنفسهم آباء لرعيتهم ... وأن يجعلوا جميع أفراد رعاياهم يعتبرون أنفسهم بمنزلة أسرة واحدة »

وفى المادة الاخيرة من هذه المعاهدة دعوة موجهة الى جميع الدول التى تقبل مبادىء المحالفة أن تنضم اليها وتوقع معاهدتها

هذه خلاصة المبادىء التى قامت عليها . ومن غريب ما رواه بعض المؤرخين ان الفضل الحقيقى فى عقدها لا يرجع الى مترنيخ كما يزعم الكثيرون ، بل الى البارونة فون كرودنر الروسية الاصل (وكانت سيدة محاطة بالاسرار) وفى الحقيقة أن بعض المؤرخين عزا الى مترنيخ انه لم يكن فى الاصل ميالا الى عقد تلك المحالفة لانها كانت تقضى بوضع روسيا والمانيا على مستوى معادل لمستوى الامبراطورية النمسوية وهو ما لم يكن مترنيخ يريده . ولذلك وصف المعاهدة بعد توقيعها بأنها « هذيان واضح » ، ولكنه عاد فرضى عنها فيما بعد . والارجح ان القيصر اسكندر الاول كان أشد الملوك تلهفاً الى عقدها . وقد سعى اليها مدفوعاً بما كان مجبولا عليه من المبادىء الدينية . ولا شك أنه كان مخلصا فى ترويج الدعوة لها . اما حليفاه فردريك وليم وفرنسوا الاول فلم يكونا ميالين الى عقدها فى اول الامر . والارجح أن احجام الامبراطور فرنسوا عن توقيع المعاهدة الخاصة بها نشأ عن خوفه من عدم ارتياح وزيره مترنيخ اليها . وقد قال فى تسويغ موقفه : « اذا كانت هذه المعاهدة تبحث فى الشؤون السياسية وجب ان احيلها على وزير الدولة . واذا كانت تبحث فى الشؤون الدينية وجب ان احيلها على رجال الدين »

ومع ذلك فان اكثر ملوك أوربا انضموا الى تلك المعاهدة بمرور الزمن . ولم يشذ عن ذلك سوى الوصى على عرش بريطانيا العظمى وسلطان تركيا والحبر الرومانى . فاما الوصى على عرش بريطانيا فقد اعتذر عن عدم توقيعه المعاهدة بقوله ان الدستور البريطانى يقتضى ان يوقع

المعاهدات ، مع الملك ، وزير مسئول . على انه اعرب عن موافقته على المبادىء التى تنطوى عليها ووعد بالسير بموجبها . واما سلطان تركيا فكان سبب امتناعه عن توقيع المعاهدة جليا واضحا . وأما البابا فقد قال انه لم يكن يستطيع ان يوقع معاهدة عليها توقيع « الهراطقة » (الملكين) الخارجين على الكنيسة الرومانيه المنشقين عنها

وبمرور الزمن اصبحت المحالفة المقدسة رمزاً الى تآزر الدول الاوربية وتعاونها على اثر الحروب البولونية . وقد ظلت قائمة ردحا من الزمن . ولفهم تاريخ اوربا فى ذلك العصر فهما صحيحا يجب التمييز بين المحالفة المقدسة والمحالفة الحماسية (ويسميها بعضهم الرباعية او العظمى) وقد انشئت الاخيرة لاغراض محدودة معينة حالة ان المحالفة المقدسة كانت لخدمة مبادىء عامة تضم دول اوربا وتربطها برباط التعاون

ولا جدال فى ان مبادىء المحالفة المقدسة أثرت تأثيراً كبيراً فى سياسة الدول فى القرن التاسع عشر . وكان نيقولا الاول قيصر روسيا من اشد المتمسكين بها لانه كان شديد الايمان بنظرية حقوق الملوك المقدسة . وقد أثرت تلك المبادىء فى معاهدة برلين التى عقدت سنة ١٨٣٣ بين روسيا وبروسيا والنمسا . وفى اخماد ثورة النمسا وفى حوادث اخرى كثيرة وقعت فى اوربا وكان لها اكبر الاثر . على ان اثرها كان اشد وضوحاً فى الدعوة الى اول مؤتمر دولى للسلام عقدته الدول وهو مؤتمر لاهاى الذى عقد فى ختام القرن التاسع عشر اى سنة ١٨٩٩

استدراك

نشرنا فى عدد ابريل الخاص بالشباب مقالة للاستاذ الكبير أمين الخولى المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية . وقد وقع خطا فى العنوان ، صحته « الشباب البطل فى حياة الرسول العربى » . وفى صفحة ٧٦٩ من هذا العدد (مايو) عنوان « الشباب والمشيب كالمطرقة والسندال » وصحته (السندان) بالنون . ولذا لزم التنويه

الفيلسوف الشاعر

جميل صدقي الزهاوي

توفي فيلسوف العراق وشاعرها الكبير الاستاذ جميل صدقي الزهاوي في مارس الماضي . وكان الهلال قد أعد عدداً خاصاً عن الشباب ، فلم يتسن لنا أن نكتب كلمة عن هذا النابغة الجليل قياماً بواجبنا نحوه ، فقد كان الفقيد من رجال النهضة الفكرية الحديثة في الشرق ، وله آثار تشهد بما له من سعة الافق ، ونضج الفكر ، وسمو الخيال ، ورقة العاطفة . فلذلك رأينا هنا أن ننشر هذه الكلمة تحية لهذا الراحل ، وتجديداً لذكره ، واعترافاً بما له من حق العناية والتقدير

قد يخيل الى المرء أول وهلة أن نزعات التجديد لا تقوم الا على أكتاف الشبان ورجال الجيل الحديث ، وهذا صحيح الى حد بعيد ، ولكنه لا يصدق دائماً فقد كان جميل صدقي الزهاوي من حملة أعلام النهضة الادبية الحديثة مع انه كان شيخا هرما بلغ من السن عتيا . وكانت نزعته الى التجديد في الاجتماع سبب حنق بعض رجال السياسة وأهل المقامات العالية عليه وقد اتهموه بالالحاد . على أن الكثيرين ممن عرفوا الزهاوي وعاشروه ينكرون ذلك ويقولون أن هذا الشاعر لم يكن ملحداً ، وانما كان كثير التشاؤم والتململ لا يرى في نظام الاجتماع أثراً للعدل ولا يشعر بالطمأنينة الى عالم ليست فيه رفعة القدر مكافأة على الفضيلة ، ولا الانحطاط عقابا على الرذيلة . وانما أمر الانسان فيه موكول الى الاقدار

ولد جميل صدقي الزهاوي في بغداد في منتصف القرن الغابر يوم كان العراق تابعا للسلطنة العثمانية . وتلقى علومه الابتدائية في بغداد . واذ كان على شيء من اليسار قصد الى الاستانة حيث درس اللغة التركية واتقنها وتلقى العلوم العالية فيها . وبدا منذ شبابه نبوغه في الادب وميله الى علوم الاجتماع . وقد تولى منصب التدريس في مدرسة الحقوق السلطانية بالاستانة فتخرج على يديه الكثيرون من نوابغ الاتراك . وكان ثقة في شؤون القانون المدني الشرعي . ولا يزال الباقون على قيد الحياة من الطلبة الذين تخرجوا على يديه يذكرون له مباحثه القانونية الممتعة

ولما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ انتخب صاحب الترجمة ممثلا لبغداد في مجلس المبعوثان التركي . فأبلى فيه بلاء حسناً . ولم تكن مهام السياسة لتقعده عن مزاولة الادب فظل يكتب وينشيء وينظم في جميع السنوات العصيبة التي مر بها الشرق الادنى عامة — والعراق خاصة — منذ سقوط سلطنة الاتراك الى اليوم الذي استقل فيه العراق الاستقلال التام . ولعله لم يتسن

لشاعر عراقي غير الرصافي أن ينتج ما نتجه — لا في عالم القريض فقط — بل في عالم الأدب بوجه الاجمال . ومؤلفاته ودواوينه اصدق شاهد على ذلك . وهي في مختلف علوم الادب والاجتماع والطبيعة . وله رسالتان شائقتان في الجاذبية الطبيعية والدفع العام . وكتابه في تحرير المرأة أشهر من أن يذكر ولاشك أن تماديه في حرية الفكر وفيما بسطه من الآراء بشأن المرأة ووجوب تحريرها أثار عليه غضب الكثيرين من أبناء وطنه . بل ان ما كان يبسطه من تلك الآراء في مجلس المبعوثان وفي مجلس الاعيان العراقي احفظ عليه رجال السلطة

على أن ما كان البعض يعزونه اليه من الالحاد يرجع الى كثرة تشاؤمه وشدة نقمته على النظام الاجتماعي اذ كان لا يرى من خلاله الا آثار الظلم وعدم الانصاف . ولهذا كان كثير الشكوى والتذمر ضيق الصدر بمن ينتحل لنظام الاجتماع اعذاراً واهية

وكان الزهاوي يميل الى البساطة في كل شيء ويتجنب كل ما يشف عن العظمة والغطرسة ، وكان بيته رمزاً الى بساطة عيشته . وكانت حديقة منزله على صغر مساحتها ، دليلا على حسن ذوقه وشدة ميله الى الطبيعة . وفي الحقيقة أنه لم يكن من المتصوفة ولا كان يسترشيئا من الاسرار الغامضة . فقد كان يبسط آراءه لجلسائه واصدقائه بكل صراحة ولا يعبأ بانتقاد يوجه اليه . وكان شديد الانفعال ينتقل من الغضب الى الفرح في طرفة عين ويقول ان الحياة أقصر من أن يضيعها المرء فيما يسوءه

ولعل شدة غضب الزهاوي على النظام الاجتماعي كان يرجع — بعض الشيء — الى تراكم العلل عليه وتمكنها من جسمه النحيل منذ عهد شبابه الى حين وفاته . وعليه فلم يكن ذلك الغضب بالامر المستغرب ، وفي سير الادباء في الشرق والغرب أمثلة كثيرة يبدو لنا فيها الشاعر أو الناثر شديد الحنق على الاجتماع بسبب علة لازمته طول عمره . والمرء شديد الانفعال في مثل هذه الاحوال اذ يرى نفسه رازحا تحت ثقل الآلام حالة ان غيره ممن ليس أجدر منه بنعم الحياة يتمتع بها بما لذ وطاب ويسير في الارض مرحاً وعليه تجد شعره ضربا من الفلسفة الاجتماعية لا تقرأ بين سطورها الا آثار النقمة والتشاؤم ، ولا تشعر الا بما يشف عن غضب على الاجتماع . كيف لا وقد ادركته علة في النخاع الشوكي وهو في منتصف العقد الثالث من عمره فتبعتها علل أخرى لم يكن الشلل الا بعضها . ولهذا كان يسير دائما راكبا وبرفقته خادمه الامين فاذا ترجل توكأ عليه حتى يصل الى مجلسه

ومما يدل على تغلغل الروح العصرية في صدره انه كان شديد الولع بمشاهدة الصور المتحركة (السينما) مع ان غيره ممن نشأوا في غير هذا الجيل ، يميلون بالطبع إلى المحافظة على القديم ، وتنبو نفوسهم عن كل مستحدث . اما الزهاوي فقد كان على خلاف ذلك يحب السينما ، حتى انه حين ثقلت وطأة الداء عليه كان في طريقه إلى السينما ليشاهد احدى الروايات المصرية ،

ذلك لانه كان معجباً بكل ما هو مصرى من أدب وفن وتمثيل وغناء . وقد جاء إلى مصر سنة ١٩٢٤ ليطبع رباعيات عمر الخيام وكان قد ترجمها نظما عن الفارسية ولكن حالت أسباب دون نشرها

اما المعجبون بأدبه من ابناء الضاد فمنتشرون فى جميع البلاد التى يتكلم اهلها العربية بل فى جميع البلاد الاجنبية التى فيها جاليات عربية . وكان له فى بغداد تلاميذ وأتباع مخلصون لا يفارقون مجلسه ، وكان فى اخريات اعوامه يتردد الى قهوة معروفة فى بغداد فيلتف حوله تلاميذه ومريدوه ويستمعون الى رواياته الشائقة واحاديثه الممتعة ونوادره المضحكة لايقاطعونه ولا يجرءون على معارضته

وفى الحقيقة أن الزهاوى كان راوية لا يبارى . فكان صدره يعى من الاخبار والنكات والحوادث ما تضيق دونه المجلدات . وكان له فى الرواية اسلوب خاص يأخذ بمجامع سامعيه . لذلك لم يكن يسمع لاحد صوت فى مجلسه

ولا يستطيع الناقد المنصف ان يصف التأثير الذى سوف يكون للزهاوى فى الادب العربى فلم ينقض بعد زمن يكفى للحكم على ذلك التأثير . ولكن الامر الذى لا يختلف فيه اثنان هو ان الزهاوى كان فيلسوفا حكيما اكثر منه أى شىء آخر

وفلسفته توهم المرء انه كان ينظر الى العالم « بنظارة » سوداء فلا يرى حوله الا كل مايشف عن الحلك والظلام . وقد علمنا سر نقمته على الاجتماع . فاكثر الشعراء الذين كانوا مبتلين بالامراض المستعصية كانوا ناقمين على الاجتماع ، بل لعل الحقيقة هى أن الذين يصابون عادة بالامراض المستعصية من اصحاب الاحساس الدقيق ينقلبون شعراء يعجب العالم بشعرهم ويتأثر بشكواهم وانينهم

وبعد فوفاة الزهاوى خسارة فادحة للادب العربى . عزى الله الامة العربية جمعاء فيه



مناظر ومشاهد

من الثورة الفرنسية الكبرى

بقلم الأستاذ حسن الشريف

ليس من الميسور أن يأتي مؤرخ على تاريخ الثورة الفرنسية الكبرى في مقال واحد ولا في سلسلة مقالات . ولكن الكاتب هنا وفق الى عرض أسباب تلك الثورة وكثير من حوادثها عرضاً يكاد يكون سينمائياً ممتعاً ، يخرج منه القارىء بفكرة ناضجة عن ذلك الحادث العظيم الذى هز فرنسا واوربا ، وروع العالم بأسره . ولا تزال آثاره باقية في أنظمة الحكم حتى اليوم

كمي ديمولان

لعل أحب رجال الثورة الفرنسية الكبرى الى قلوب الأجيال التى أعقبتها ، بل الى قلوب الناس حتى اليوم ، هو الشاب كمي ديمولان

ولئن أخذ التاريخ على هذا الشاب أنه كان أول الدعاة الى حكم الارهاب وإراقة الدماء ، والى تثبيت قوائم الجمهورية فوق جبال من الجثث والأشلاء ، فقد وجب أن يعرف له المؤرخون أنه كان أيضاً أول من هالته فظائع عهد الارهاب ، وأول من راجع نفسه واعترف بخطئه . فأرسل صيحة داوية ــ ولو بعد فوات الوقت ــ تدعو اخوانه إلى الرحمة وأخذ الناس بالرفق وفى حدود القانون

ولئن تقدم كمي ديمولان الى التاريخ كما يتقدم زملاؤه ، ويداه تقطران من دم عشرات الالوف من الأبرياء الذين راحو ضحية تطرفه وغلوائه ، فانه يتقدم أيضاً حاملا رأسه المقطوع مكفراً به عما جنت يداه ، وحاملا حسن القصد وصدق التوبة شفيعين له فيما اجترح من الاوزار

كان الفتى كمي ديمولان يهيء نفسه للاشتغال بالمحاماة ، وقد أولع بفصاحة سيسيرون وبلاغة ديموستين، فاستظهر خطبهما ومقالاتهما ، وتأثر مزاجه العصبي بما حوته تلك الخطب والمقالات من التغنى بالحرية والاشادة بفضائل الجمهوريات ، فلم تأت سنة ١٧٨٨ حتى كانت الآراء المتطرفة فى أنظمة الحكم قد تغلبت فى تفكيره على كل رأى ، وجعلته يكتب الى أصدقائه : « أنا أحد الجمهوريين الصادقين الذين يتعذر أن يوجد منهم عشرة فى كل باريس »

والواقع فى ذلك العصر أنه إذا لم يكن فى فرنسا من يفكر فى الجمهورية تفكيراً جدياً ، أو يتصورها أمراً ممكنا ، فان النفوس كانت متذمرة من الحاكمين ومن أساليب الحكم ، تواقة الى

اصلاحات تكفل وضع حد للعبث الناشب فى شؤون الدولة ، وتضمن المساواة فى فرض الضرائب وتوزيع العدالة بين الناس

ولقد كان لسلوك الملك المتوفى لويس الخامس عشر أسوأ الاثر فى سمعة الملكية . فلقد ابهظ ذلك الملك كاهل الشعب بشتى صنوف الضرائب ، ومكن لمعشوقاته من ولاية الامر ، وأطلق أيدى خلصائه فى مال الدولة وأملاك الافراد ، ولم يغادر الدنيا قبل أن يشتد برعيته العسر وتبلغ روحها الحلقوم ، فكان طبيعياً أن يؤدى كل ذلك الى ثورة الخواطر وقلق النفوس ، والى جعل تلك الحالة موضوع بحث الباحثين وتفكير المفكرين

وانتشرت يومئذ تعاليم فولتير وروسو ومونتسكيو وغيرهم من فلاسفة القرن الثامن عشر ، فكان من أول آثارها ان نبذ الشعب الفكرة القائلة بأن الملك اشعاع من نور الله أوظل الله على الارض . وبذلك فقدت الملكية أقوى دعائمها ، وأضحت مثاراً للجدل والمناقشات بعد أن كانت عقيدة لاترقى اليها الشكوك . وفعلت تلك التعاليم فعلها فى النفوس ، فحررت العقول من الاوهام وجرأت الالسنة والاقلام على كل سلطة ومقام ، حتى إذا اعتلى لويس السادس عشر العرش ألفى نفسه إزاء الحالة التى جملته يقول قالته المشهورة : « الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون »

كان لويس السادس عشر برغم طيب فطرته ونبل نزعته وميله الى ما فيه خير شعبه ، ملكا ضعيف الرأى كثير التردد ، لا يعرف الحزم فيما يتطلب الحزم ولا اللين فى ما يقتضى اللين . ولقد أحس الحاجة الملحة إلى اجراء اصلاحات عاجلة فى الاداة الحكومية وادرك مدى تململ الامة من استبداد طائفة الحكام بشئونها ، فاراد أن يشرك الشعب معه فى حركة الاصلاح المنشودة ، فدعا الشعب إلى انتخاب نواب يتولون مع الهيئة التنفيذية علاج الحالة التى وصلت اليها البلاد وتقرير العلاقات التى ينبغى ان تقوم بين الحاكين والمحكومين

وفى اوائل ابريل سنة ١٧٨٩ انعقد مجلس الامة ممثلا لطبقات الشعب الثلاث : الاكليروس والنبلاء والعامة . فكان الابتهاج بانعقاده عظيماً ، واستقبل الباريسيون موكب اعضائه بأفخم مظاهر العطف وأبلغ عبارات الترحيب واستبشر الناس خيراً واطمأنوا إلى المستقبل وتبدت روح التفاؤل على كل وجه وفى كل مكان . ولكن الملك الضعيف الرأى الكثير التردد لم يلبث أن آنس خطراً على سلطته من اشتراك الامة فيها فأخذ بنصيحة مستشاريه من انصار الحكم المطلق وعطل اعمال المجلس وأوصد ابوابه فى وجوه الاعضاء

الرغاء

ثقل وقع الصدمة على نفس الامة ، فهاجت الخواطر واضطربت الافكار وثارت العاصمة ثورة عنيفة يصفها كمى ديمولان فى كتاب منه إلى أبيه يقول فيه : « ان باريس تغلى غليانا حتى لبر

الملك فلايحييه أحد فاذا ظهر المسيو بايى رئيس المجلس انطلقت الاكف مصفقة له والالسنة هاتفة: لتحى الامة ولتحى سلطة الامة . . . ولقد انضم الحرس الوطنى الى الشعب وشاطره ميوله الوطنية وانى لارى خلل هذا الدخان وميض النار التى سوف يندلع لهيبها. فالنفوس ثائرة، والشعب المتحركة من الرأى العام متحفزة وكل البوادر تنذر بحركة عنيفة لا يمكن تقدير مداها الآن . . . ولقد شاهدت الجماهير امس تجلد سيدة جلداً قاسياً لأن بعضهم سمعها تسب الوزير نيكر . وحدث قبل ذلك ان اندس احد جواسيس السلطة بين بعض الوطنيين المتجمهرين، فما ان شعروا به وعرفوه حتى اخذوه وجردوه من ثيابه واغرقوه فى حوض ماء ثم انتشلوه منه وجعلوا يرجمونه بالحجارة ويضربونه بالعصى ثم فقأوا احدى عينيه واخرجوها من محجرها، ولبثوا يعذبونه طوال خمس ساعات حتى فارق الحياة »

وكان الوزير نيكر محبوبا من الشعب لما عرفه فيه من حضه الملك على الاخذ بأسباب الاصلاح وسعيه المتواصل فى الترفيه عن الممول الرازح تحت اعباء الضرائب الثقال . ولكن مشروعات هذا الوزير كانت تلقى مقاومة شديدة من الملك المتأثر بنصائح بطانته ومستشاريه

والواقع ان لويس السادس عشر فى تردده لم يوفق إلى ارضاء احد . فلقد كان يميل حيناً إلى الحزب المتطرف المنادى بالاصلاح ، فيغضب انصار الاستبداد والحكم المطلق ، ثم لا يلبث أن يميل إلى هؤلاء فينفر المتطرفين. ولقد ظن وقتاً ما ان دعوة مجلس الامة إلى الاجتماع للتشاور فى مصالح الشعب ستهدىء الحالة المضطربة وتسكن النفوس الثائرة فعمل بنصح الوزير واشرك الامة فى سياسة شئون الدولة فلما لم تهدأ الحالة ولم تسكن النفوس بالقدر الذى كان يرجوه صب جام غضبه على نيكر واقاله من منصبه فجاءت هذه الاقالة بمثابة النار تلقى على الهشيم، اذ رأت فيها الامة اهانة لها واستفزازاً لعواطفها وتحدياً لرغباتها فقامت القيامة واضطرب حبل الامن وانفك عقال الجماهير وخرج الامر من ايدى السلطات واضحت الشوارع مسرحا للفوضى والفتن ومظاهر الغضب والاستياء

ولقد رأينا فى الفقرات التى اقتطفناها من كتاب كمى ديمولان إلى ابيه كيف كان الشعور العام متحفزاً يلهبه اصغر حادث، فلما اشيع نبأ اقالة الوزير الشعبى المحبوب سرى هذا النبأ فى الناس سريان الكهرباء فاحتشدت الجماهير فى فناء القصر المعروف باسم « الباليه رويال» تستمع الى الخطباء، واندفع الخطباء الى المنصات يثيرون الهمم ويوغرون الصدور . وكان الشاب كمى ديمولان فى طليعة المتحمسين يترصد الاخبار وينتقل من مكان الى مكان ثائر النفس قلق الخاطر شديد الطيرة ، ينشر القلق بين الناس ويبث الثورة فى النفوس ، فلما بلغ قصر « الباليه رويال » اعتلى احدى المنصات وأهاب بالجماهير المحتشدة صائحاً :

« أيها المواطنون . انى عائد الآن من فرساى وقد أقيل وزيركم نيكر ، وان اقالته لهى النذير

بأن جميع الوطنيين فى هذا البلد سيلقون حتفهم عما قريب . فلقد علمت من اصدق مصادر العلم أن الطغاة سيجردون عليكم الليلة جميع الجنود السويسريين والالمانيين الذين استقدموهم ليذبحوكم . وليس أمامكم متسع من الوقت تضيعونه فى الكلام فهلموا الى سلاحكم ودافعوا عن أرواحكم ولنحمل شارات نجعلها شعاراً نتعارف به . الى السلاح أيها المواطنون فقد دقت ساعة العمل . ولنجعل شارة التعارف بيننا خضراء فالخضرة لون الامل ، وهأنذا أدعوكم الى الجهاد فى سبيل الحرية وانقاذ الوطن » ثم تناول غدارة وصاح : « انهم لن يقبضوا علىّ حياً وسأعرف كيف أموت ميتة مجيدة واعلموا أن ليس ثم غير مصيبة واحدة تستطيع ان تحل بى وهى أن أرى فرنسا مسترقة مستعبدة » وأخرج شريطا من قماش أخضر علقه فى قبعته ولوح بيده قائلا : « هلموا أيها الاخوان الى تلبية نداء الوطن فقد جد الجد ودعا داعى الفداء »

ودوى التصفيق فى أرجاء الفناء وأحاط الناس بالشاب وتلقوه بين أذرعهم معانقين مقبلين . ثم حذوا حذوه ووضع بعضهم على قبعاتهم أشرطة خضراء ، ومن لم يجد استعاض عنها بورق اخضر انتزعه من أغصان الاشجار . وتخاطفت الجماهير كشوفاً كان كل فرد يدون اسمه فيها متطوعاً باسم « جندى الوطن » فكان هذا التطوع الاجماعى بمثابة تعبئة عامة . ثم دقت نواقيس الكنائس والمعابد ايذاناً بالخطر ، ونشرت الاعلام فوق الدور ، وأقيمت المتاريس فى الطرقات وخرج الاهالى بالبنادق والسيوف والفؤوس والهراوات ووقفوا وراء المتاريس ينتظرون ظهور العدو . واستحالت باريس مابين عشية وضحاها مجالا للشغب والفتنة والاضطراب . ولما لم تجد تلك الاقوام عدوا تنازله ، ولت وجهها شطر قلعة الباستيل ، وهناك قبضوا على حاكم السجن المسيو ده لوناى وقطعوا رأسه وحملوه على رمح وطافوا به شوارع المدينة هاتفين متحمسين ، ثم عادوا فقطعوا رءوس زملاء الحاكم ومرءوسيه وعلقوها فوق أعمدة المصابيح بعد ان مثلوا بأجسامهم شر تمثيل ، وحملوا على القلعة نفسها فاطلقوا سجناءها ودكوا أسوارها وأزالوا معالمها وجعلوها أثراً بعد عين

ونبه ذكر كمى ديمولان وذاع صيته بين الثوار وآنسوا فيه من المواهب والصفات ما يهيئه لان يكون زعيماً . وآنس الشاب فى نفسه اقتداراً على قيادة الرأى واستعداداً للزعامة . فأخذ يصدر نشرة دورية باسم « فرنسا الحرة » كان ينشر فيها أقذع المطاعن على الحكومة الملكية والنبلاء الذين يؤيدونها فى أسلوب حاد عنيف استهوى القراء ، فراجت النشرة أيما رواج وأقبل الناس على مطالعتها أكبر اقبال ، وشجعه هذا النجاح على الاسترسال فأصدر نشرة أخرى باسم « المصباح » كان يدعو فيها الى الثورة ويحض الشعب على الانتقام لنفسه من الطغاة والمستبدين ، ويبشر بالحكم الجمهورى ، الذى يجعل من الفرنسيين أخوة متحابين ويجعل من فرنسا بلداً متحداً يرفل فى ظلال السلام وتخفق فوقه أعلام الحرية وتسوده مبادىء الحق والعدل والمساواة »

وانضم كمى الى نادى « الكردليين » Club des Cordeliers (١) وكان هذا النادى وكراً من أوكار الثورة يضم جمعية شعبية من الثوار المتهورين شعارهم : « الحرية والاخاء والمساواة » ووسيلتهم الى تحقيق هذه المعانى عنف الحملة على الملكية والنبلاء وحض الشعب على اللجوء الى الوسائل الشديدة لاستخلاص حقوقه من براثن الطغاة ، جمعية قوامها اخلاط من الناس لا شيء يجمع بينهم سوى الاغراق فى التهور والامعان فى التطرف يتصدرها الزعيم « ماراه » الذى كان يسمى نفسه صديق الشعب ، والزعيم الآخر دانتون أشهر خطباء الثوريين فى ذلك العهد

ولقد ألفى كمى ديمولان فى هذه البيئة تربة صالحة لبذر بذور آرائه فيما يجب أن تكون عليه الجمهورية المرجوة وابواقا قوية تردد تلك الآراء بين الجماهير فى الطرقات والمشارب والمجتمعات فعكف على الخطابة يلهب بها الهمم ، وعلى الكتابة فى الصحف يشحذ بها العزائم حتى تمكنت النزعات الثورية من النفوس ، وسادت فكرة الجمهورية فى العقول وبات الملك والملكية عدوين للشعب بغيضين اليه وأضحت باريس فوق بركان يهدد بالويل العظيم

النار

ولنطو مع القارىء ثلاث سنين فليس فى وسعنا أن نأتى على الثورة الفرنسية كلها فى هذا المقال وحسبنا أن نقول إن الملك لويس السادس عشر ظل يتخبط فى معالجة الامور بتراخيه المعروف وتردده المألوف ، فكان تارة يجنح الى الشدة فى غير موضعها ويجنح أخرى الى التسامح والتفريط حيث يجب أن تؤخذ الأمور بالحزم والحلول الحاسمة . وكان آخر ما لجأ اليه ان استوزر بعض رجال من حزب الجيروند (٢) آنس ميل الثوار اليهم وثقة الشعب بهم ، ظناً منه ان اشراكهم فى ولاية الامر يهدىء الحالة ، أو يضع حداً لهياج النفوس ، ولكنه أخطأ الحساب وأساء التقدير اذ لم يكن فى وسع هؤلاء الوزراء أن ينزلوا عن مبادئهم من غير أن يفقدوا نفوذهم فى الشعب ولا أن يتخلوا عن الشعب وهو الذى آزرهم ورفعهم إلى مناصب الحكم . ففى جلسة من جلسات المجلس استشاط الملك غيظا من سلوك الوزراء الجيرونديين فأقال ثلاثة منهم بعد ان أهانهم أمام زملائهم ورماهم بالوقاحة والتحزب الدنىء

ولقد كان لاقالة هؤلاء الوزراء من الوقع على نفس الشعب ما كان لاقالة الوزير نيكر قبل

---

(١) نفت الثورة على جميع مظاهر الدين فى فرنسا وأغلق الثوار الاديرة بعد ان أعدموا اكثر الرهبان وشتتوا الباقين منهم، ثم عادوا فاحتلوا تلك الاديرة . وكان كل حزب يتسمى باسم الدير الذى اتخذه ناديا يجتمع فيه فالكردليون نسبة الى دير القسس الفرانسيسكان Cordeliers الذين كان كل منهم يربط فى وسطه حبلا بهيئة حزام . واليعاقبة نسبة الى دير الآباء اليعاقبة

(٢) الجيرونديون فى الاصل نواب اقليم الجيروند ثم صاروا هم الحزب الذى كان فى أول عهد الثورة أشد الاحزاب تطرفا ثم عادوا فمالوا الى الاعتدال وحل اليعاقبة محلهم فى التطرف

ثلاث سنين . ولكن بدلاً من أن تسير الجماهير الى قلعة الباستيل ، سارت هـذه المرة قاصدة مقر الملك فى قصر التويلرى

هجمت الجماهير وعددها يزيد على الستين الفاً على القصر تحمل عريضة تلتمس بها من الملك اعادة الوزراء الجيرونديين ، فاقتحمت أسوار الحديقة والابواب ووصلت الى غرف الملك والملكة صاخبة صاخبة تحطم كل ماتصادفه فى طريقها من الرياش والتحف والمرايا . وألفت ماری انطوانيت نفسها محاطة بالأوشاب والرعاع وحثالات القوم وقد وضعوا على رأسها قلنسوة حمراء (والقلنسوة الحمراء عندهم رمز الثورة) ووضعوا مثلها على رأس الملك ورأس ولى العهد الصغير . وكان لويس السادس عشر ينظر الى هذه الاعمال باهتاً مستسلماً . وقد استمرت الجماهير تخرب وتدمر وتسرق ما تصل اليه أيديها وترفع قبضاتها فى وجه الملك والملكة مهددة شاتمة حتى أقبل محافظ باريس وبعض الزعماء الجيرونديين واستطاعوا أن يصرفوا الناس عن القصر . وانا لنقرأ فى ذلك كتاباً من زوجة الزعيم دانتون الى احدى صديقاتها تقول فيه : « اكتب اليك وأنا أسمع دوى الرصاص وقصف المدافع ولا تمضى لحظة الا ويفد علينا أفراد من الشعب يوزعون ما غنموه من القصر حتى أدوات الزينة الخاصة بالملكة وأوانيها الفضية وملابسها الداخلية . . . ان الحالة جد خطيرة ولكن النصر مكتوب للشعب وسينتهى كل شىء على ما يرام »

وأصدر الملك فى اليوم التالى نطقاً سامياً قال فيه : « ان الملك لم يقابل تهديد الثائرين وشتائمهم إلا بالحلم الذى يمليه عليه تعلقه بالشعب وحرصه على سلامة الرعية . واذا كان الملك يجهل الى أى حد ستواصل الجماهير مجهودها فى الانقضاض على النظام فانه يصارح الامة بأن أعمال العنف بالغة ما بلغت لن تحمله على ابرام أمر يعتقد أنه مخالف لمصلحة البلاد . وأن الملك فى هذا السبيل ليعرض ، غير آسف ، أمنه وسلامته لكل خطر بل إنه ليضحى حتى بحقوقه الشخصية التى يشترك فيها مع كل فرد عادى والتى كان ينبغى أن يحافظ عليها القانون كما يحافظ على حقوق سائر الافراد . ولكن ليكن معلوماً أن على الملك ، وهو الممثل الاعلى للامة الفرنسية ، واجبات قاسية يجب أن ينهض بها مهما كانت الظروف والاحوال ، وأنه اذا رضى أن يتسامح فيما يمس شخصه فهو لا يستطيع ولن يستطيع أن يتسامح فى تلك الواجبات »

ولقد كان المأمول أن يحدث هذا النطق السامى الهادىء الرزين أثره فى تهدئة الحال ولكن ما للعقل والاتزان وللثورات الشعبية . وما الذى تستطيعه الحكمة والاناة حيال الجماعات اذا انفك عقالها وركبت رأسها واندفعت جامحة فى طريق الغواية والضلال ؟

لم تمض على تلك الحوادث ثلاثة أسابيع حتى هبت العاصفة الكبرى . وكان سبب هبوبها ان رفض الملك توقيع مرسوم بالقبض على الجنرال لافاييت الذى كان الثوريون يعتبرونه خصماً لهم

فما أن اذيع نبأ الرفض حتى دقت أجراس الكنائس مرة أخرى إيذانا بالخطر العام فهرعت الجماهير الى حمل السلاح وتدفقت من البيوت الى الشوارع والطرقات ، وانتشر الزعماء بين الناس يخطبون قائلين ان ساعة الجهاد قد دقت فاما النصر التام واما الموت الزؤام . وأضيئت المنازل فى جميع الاحياء وارتفعت الاصوات بنشيد المارسليز وطافت المظاهرات أرجاء المدينة وتجمعت كلها عند قصر التويلرى تريد التنكيل بالملك وزوجته وأولاده

وكان ما كان من فرار أفراد الاسرة المالكة خفية تحت جنح الظلام ، والقبض عليها فى بلدة فارن ، واعادتها الى العاصمة تحت حراسة الجماهير ، ومحاكمة الملك والحكم عليه بالاعدام

وحدث بعد ذلك ما حدث من المذابح التى اشتهرت باسم مذابح شهر سبتمبر ، والتى أراقت فيها الجماهير دماء عشرات الالوف من المسجونين والنبلاء والقسس والنساء والاطفال مما يضيق المقام عن سرده فنضطر الى تخطيه مكتفين بالتنويه إلى أنه كان لكمى ديمولان وزميله دانتون الباع الطويل فى كل تلك المآسى الدامية ، حتى ليحملهما التاريخ أوزارها بحق . فلقد قادا الجموع إلى القصر وأشارا بالفتك برجال الحرس وأوحيا إلى الحكومة العرفية بوجوب محاكمة الملك واعدامه ، ولكمى فى ذلك قولته المشهورة : « إن اعدام هذا الملك لا ينقص الامة فرداً » ، ولقد اشتركا فى حض الشعب على قتل الابرياء بدعوى أنهم أعداء الثورة ، وساهما بنصيب وافر فى وضع أسس حكم الارهاب ، وبث الرعب والهلع فى النفوس وانشاء المحكمة الثورية بقوانينها الاستثنائية وقضاتها الوحشى ، وفى افتتاح ذلك العهد الفظيع الذى أجمع المؤرخون على تسميته عهد الفزع والارهاب La Terreur والذى كان جنة أصابت فرنسا فافقدتها صوابها واحساسها وصيرت قادتها وزعماءها وحوشاً ضارية تلغ الدماء وتستحليها وتطرب لمناظر القتل وازهاق الارواح واستباحة الحرمات وزج الناس ألوفا فى السجون واعدامهم ألوفا بين جدران الخنادق وفوق المقاصل وفى الطرقات

ولقد ظن العقلاء أن اعدام لويس السادس عشر سيروى تعطش الزعماء إلى الدم أو يضع حداً لتلك الفواجع البشعة ، ولكن خابت الظنون وظهر أن هذه الضحية العزيزة لم تكن الا بداية ضحايا العهد الاسود وفاتحة الشناعات التى انقضى عليها اليوم قرن ونصف قرن وما تزال تبعث الهلع والتقزز إلى نفوس المؤرخين وقارئى التاريخ

قبض الثوار على أزمة الدولة وقامت الحكومة العرفية بولاية الحكم . ولكن الحكم ليس بالشىء الميسور على رجال لم يمارسوه من قبل ولا خبرة لديهم تؤهلهم له ، فكان طبيعياً وقد هدموا النظام القديم بالعنف والقوة ، أن يحاولوا اقامة نظام جديد وسط الاضطراب والفوضى . واذا كان من السهل على المعارضة أن تستغل مصائب الشعب ومتاعبه لترجع أسبابها إلى الحكومة القائمة ، فقد تغيرت الحال بعد أن تولت المعارضة الحكم بنفسها ، وآن لها أن تباشر الاصلاح الذى كانت ترمى

الحكومة السابقة بالقصور عنه . ولما كانت الحكومة العرفية أعجز من سابقتها عن القيام بحركة الاصلاح وتخفيف الضائقة العامة فقد رأت أن تصرف نظر الشعب عن عجزها وأن توجهه إلى أشياء أخرى تلهيه بها عن نقدها والتنديد برجالها

ووجد روبسبيير الحل فقال : « إن مبدأ الحكومة الديمقراطية هو العدل ، ولكن لابد لها من الاستقرار قبل كل شيء ، ولا سبيل إلى الاستقرار إلا بالقضاء على خصومها »

إذن فقد وجب أن يصبح الارهاب اداة للحكم في يد الحكومة العرفية ، وما دامت هذه الحكومة عاجزة عن تحسين أحوال الامة ، فلا اقل من أن ترجع أسباب سوء تلك الاحوال إلى أناس وهيئات تخارجم فتقذف بهم إلى الشعب ليصب عليهم نقمته متوهماً أنه باستئصال هؤلاء الناس والهيئات انما يستأصل أسباب ويلاته ومصائبه . لذلك رأينا الحكومة العرفية تضحى بالملك وزوجته مارى انطوانيت ثم تتبعهما ببعض الرءوس الكبيرة ، فاذا ما أعوزتها الضحايا اتهمت الجيرونديين بالاعتدال ، ومعنى الاعتدال العداء للثورة ، وقدمتهم للمحاكمة وقذفت بهم إلى ساحة الاعدام

الجحيم

أوعز روبسبيير إلى كمي ديمولان أن يبدأ الحملة على الجيرونديين . فأخذ كمي يتهمهم في رسائله ونشراته بأنهم رجعيون ويقرر ان الرجعية هي أصل الداء ومبعث البلاء ، وأنه لولا الرجعيون لسعد الشعب وعم الخير البلاد . وسرعان ما أضحى الجيرونديون – وهم متطرفو الامس الذين الهبوا فتنة سنة ١٧٩٢ – رجعيين أعداء للثورة يجب اعدامهم لتخليص الامة من شرورهم . وانهال عليهم كمي ديمولان بلسانه الذرب وقلمه النارى فزق وطنيتهم وجرح ماضيهم وحذر من حاضرهم وتوقع كل الشر من مستقبلهم وصيرهم هدفاً لسخط الناس وبغض الجماعات ومازال بهم حتى استصدر من الحكومة العرفية قراراً بالقبض عليهم تمهيداً لمحاكمتهم . وهكذا بدأت الثورة تلتهم أولادها وتصبح كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله

وصدر حكم المحكمة الثورية باعدام الاثنين والعشرين جيرونديا ، ومعهم ثلاثة وسبعون من أنصارهم بدون أن توجه الى واحد منهم تهمة جدية أو ينهض على واحد منهم دليل صحيح . وفي ذلك يقول المؤرخ الوزير تير : « كانت قضية الجيرونديين أولى القضايا الحزبية التى تعمد فيها الاقوياء ألا يسمعوا صوت الضعفاء واستحال على الضعفاء أن يسمعوا الاقوياء صوتهم »

واذ صدر هذا الحكم المدهش أدرك كمي ديمولان وصاحبه دانتون خطر تطرفهما وشعرا بثقل تلك المسئولية على ضميريهما فخرج كمي من قاعة الجلسة مشدوهاً يردد في غير وعي : « رباه رباه أنا الذى قتلت هؤلاء المساكين ، فليس لى أن ابقى بعد اليوم فى هذا المكان »

ومذ تخلص روبسبيير من مزاحميه الجيرونديين ، خلا له الجو وأراد أن يطلق يده فى مرافق الامة وأرواح الناس . فاشار بتكوين هيئة تتركز فى يدها كل السلطات لتأخذ على عاتقها انقاذ البلاد من المصاعب التى تعانيها . وتألفت هذه الهيئة باسم «لجنة الانقاذ العام» وسنت لنفسها دستوراً حسبنا أن نذكر المادة الاولى منه ليعلم القارىء مدى سلطانها وسعة اختصاصها وهذا نصها : « للجنة أن تسن من التشريعات وأن تتخذ من الاجراءات ما تقتضيه الظروف الطارئة أو الاحتمالات المتوقعة وأن تعمل بالوسائل العرفية كل ما تراه مفيداً لصالح الدولة والبلاد »

وتزعم روبسبيير لجنة الانقاذ العام وجهزها بجيش مؤلف من ستة آلاف من الرعاع والاوشاب وحثالة الأقوام تستعين به على تنفيذ قراراتها ، واختار قضاة المحكمة الثورية ومحلفيها من بين أناس يعهد فيهم الائتمار بأمره والخضوع لاشارته . ثم استصدر من اللجنة تشريعاً سماه « قانون المشبوهين » يسمح له بأن يسجن ويحاكم ويعدم كل من يريد التخلص منهم والى القارىء نص المادة الاولى من ذلك القانون :

يعتبر مشبوهاً ذا خطر على أمن الدولة وسلامتها :

أولا : كل من يثبط همم الشعب فى الاجتماعات العامة بخطب أو تصريحات مضادة للمبادىء التى قامت عليها الثورة

ثانياً : كل من يعمد فى أحاديثه الخاصة الى التصبيح الى مصائب الامة وآلامها بغية تسوىء سمعة الثورة فى أذهان الناس ، أو يتعمد نشر الاشاعات المقلقة للخواطر عن سوء سير الاحوال ، أو يتصنع الاسف على ما وصلت اليه بعض الأمور العامة

ثالثاً : كل من يغير سلوكه وآراءه طبقاً لتغير الاحوال

رابعاً : كل من يبدى الاشفاق على تاجر أو زارع أو منتج حاكمته الثورة لتعمده رفع أثمان منتجاته أو عدم تخفيض هذه الأثمان الى الحد الذى يقتضيه العسر العام

خامساً : كل من تشدق بكلمات الحرية والجمهورية والمساواة والاخاء ثم ظهر أنه يتردد فى السر أو فى العلن على الملكيين والخاصة والمعتدلين أو أن له بهم علاقة من أى نوع

سادساً : كل من لم يستبشر خيراً بدستور الجمهورية الجديد أو أعلن توقعه عدم نجاحه أو عدم صلاحه للبقاء

سابعاً : كل من لم يفعل شيئاً لتأييد مبادىء الثورة حتى ولو لم يكن قد فعل شيئاً لمحاربتها

وهكذا اثنتا عشرة مادة من هذا التشريع المدهش العجيب

وانطلق عهد الارهاب ينشر رداءه الاسود على فرنسا بأسرها . فلم يكن لجيش لجنة الانقاذ من عمل سوى القبض على المشبوهين حتى غصت بهم السجون . فلما اترعت وفاضت صاروا يملأون بهم

المدارس والاديرة والمصحات ودور الحكومة والقصور القديمة بعد أن يخلوها من ساكنيها . واشتد الكرب بالبلاد وفدح الخطب وعم العسر وتدهورت قيمة العملة واضطرت اللجنة إلى تحديد أسعار حاجات المعيشة وفرض حد أعلى لثمن كل شيء . وبارت التجارة اذ لم يعد فيها كسب التجار فتكدست المنتجات عند المنتجين وفرضت عليهم السلطات ضرائب مبهظة جعلت كلا منهم يقتصر فى الانتاج على ما يكفى شخصه وأسرته . وهكذا فشل كل علاج حاولته الحكومة لمداواة الحالة أو تدارك بعض مضاعفاتها حتى أحكام الاعدام التى انصبت على كثير من التجار والمنتجين . وكان الخبز يوزع على الاهالى تحت اشراف البوليس ، فكان الناس يتجمعون أمام الخابز وتدور بينهم المعارك والمشاجرات ليتقدم كل منهم سواه حتى اضطر البوليس الى تنظيمهم صفوفا طويلة بترتيب المبكرين فى الحضور ، فكان من نتائج ذلك أن صار كثير من الاهالى يقضون الليل أمام المخابز ليحظوا بالاولية فى الصباح فاذا وصل المتأخرون تجددت المعارك واختل النظام . فلما ضاقت الحيل بالحكومة أصدر أولو الامر قراراً مضحكا ليست له من نوعه سابقة ولا لاحقة ، وهذا القرار يقضى بأن تكون الاولية لآخر من يصل . . . ومع ذلك لم يفلح هذا النظام المقلوب فى منع المشاغبات والفوضى والاضطراب

واصدرت الحكومة قراراً بالغاء جميع الاديان وحل كل الهيئات الدينية واغلاق الاديرة والكنائس والمعابد واعدام القسس والرهبان ، واحلال « دين العقل » رسميا محل الاديان السائدة . وفى ذلك يقول أحد ظرفاء المؤرخين : « إن الحكومة الثورية اختارت لفرنسا دين العقل بعد أن ابعدت العقل عن جميع أعمالها وتصرفاتها »

وكانت السجون تملأ بالمعتقلين ليلا لتخلو منهم صباحا اذ يقادون بالعشرات وبالمئات الى ساحة الاعدام بعد محاكمات صورية قصيرة لا يسمح فيها للمتهم بالدفاع عن نفسه دفاعا كاملا صريحاً ولا يتسع فيها الوقت أمام القضاة لقراءة الاوراق ، بل ولا للتحقق من شخصية المتهمين . فكثيراً ما كانت الاسماء تتشابه على الشرطة فيأخذون البرىء بدلا من المتهم فيحكم عليه بالاعدام ، حتى لقد حدث أن جىء بشابين يحملان اسمين متشابهين ولما لم تهتد المحكمة بعد تحقيق سطحى سريع إلى أيهما المطلوب حكمت على الاثنين بالاعدام حتى لا يفلت المجرم من يد . . . العدالة . . ! ولعمرى ما أغرب كلمة العدالة فى هذا المقام ! بل لقد حدث ماهو أعجب وأغرب اذ قبضت المحكمة على محام وحكمت عليه بالاعدام بدعوى انه ترافع عن أحد المتهمين فدافع عنه دفاعا حاراً لا يصدر عن وطنى مخلص للثورة مؤمن بمبادئها الجليلة . . .

انقلبت الثورة اذن من جهاد فى سبيل الحرية إلى طغيان منظم ساد فيه الظلم وضاع الحق وانتشر الذعر وذهب الامن واختفت معالم الحرية وارتفع لواء البطش وصارت الكلمة للاقوياء

والقوة للمتطرفين والغلاة والمتجرين بعواطف الشعب وسذاجة الدهماء ، واستحالت فرنسا جحيماً وقوده الارواح والاجساد وزبانيته قادة الرأى والزعماء

ولقد ثقلت تلك الحال على نفس ديمولان وصاحبه دانتون حتى لم يعودا يطيقان الصبر عليها فأخذا يدعوان الى التسامح ويحملان أولى الامر على الرحمة أو يعتزلان الحياة العامة وينسلان أيديهما من أوزارها مكفرين بالتوبة الصادقة عما أسلفا من الآثام فأخذ كمى ديمولان يندد بالمظالم والظالمين ويرسل الصيحة تلو الصيحة يحذر بها المتطرفين من مغبة الاسترسال فى سياسة البطش والتنكيل ، ويشهر باحكام المحكمة الثورية ويقول : « لقدأصبح من النادر بل من الحوادث الشاذة التى تهتم الصحف بنشرها وينقل السلف خبرها الى الخلف أن يموت فى هذا البلد أحد الكبراء ميتة طبيعية اذ الكل يموتون بسكين المقصلة » ثم أخـذ ينادى بوجوب تأليف لجنة قضائية تتولى النظر فى شكاوى المائتى الف معتقل الذين تضمهم جـدران السجون لتتحقق اداناتهم أو براءتهم بالوسائل التى يرضاها العدل ويقرها القانون

ولقد أحدثت هذه الصيحات أثرها الطيب فى نفوس الناس اذ كانت تعبر تعبيراً صادقاً عن رأى الشعب الذى بات يتقزز وينفر من تلك الشناعات ، فكان الجمهور الباريسى يتخطف اعداد صحيفة ديمولان وكانت الاقاليم تستورد منها كميات كبيرة حتى لقد طبع من أحدها يوماً عشرة آلاف نسخة نفـدت ولم تنفد طلبات الطالبين وذلك رقم ما كان لصحفى أن يحلم بكسر منه فى ذلك العهد

بيد أن لجنة الانقاذ والحكومة العرفية لم تكونا لترتيا فى آراء ديمولان رأى الامة فيهما فلقد هاجت هذه الآراء سخط المتطرفين وايقظت غضب أنصار الارهاب حتى قال له روبسبيير يوما وهو يبتسم : « حذار يا كمى فانك تداعب الموت عن قرب » . ولم يلبث الزعيم هيبير أن اتهم كمى بالجنوح الى الملكية تحت ستار من الاعتدال وبأنه ضالع مع أعداء الثورة من الاشراف والنبلاء . وهبت الريح على الشاب عاصفة من الحكومة العرفية ولجنة الانقاذ فلم يعرف لفرط سذاجته أو لفرط حسن ظنه بالناس كيف يدفعها ، وتوهم أن المسألة مسألة عدل وقانون وحقائق فأخذ يدافع عن نفسه وعن نزعته وآرائه وهو لا يدرى أنه بذلك انما يغذى النار التى تريد أن تلتهمه . ووقف صديقه روبسبيير ليدافع عنه ولكنه ما كاد ينطق ببضع كلمات حتى آنس الامتعاض من جميع الاعضاء فخشى أن تقتلعه الريح هو الآخر فادار الدفة بسرعة فى لباقة ومهارة وأخـذ يتحدث عن كمى فى لهجة المشفق المترفق ويقول : « ان كمى ديمولان فتى مدلل يشفع حسن باطنه فى سوء ظاهره ، ومن الواجب أن نضع حداً لطيشه وانزلاقه على أن نبقى على شخصه ،غير ناسين ما أداه للثورة من الخدمات . وأرى أن تأمر الحكومة بتعطيل صحيفته وباعدام الاعداد التى صدرت منها »

ولم يحلق كمى هذه اللهجة من صاحبه أو لم يفهم غرضه منها فهب غاضباً وقال: « أيها الرفاق ، احرقوا صحيفتى اذا شئتم ولكن اعلموا أن الاحراق ليس رداً على الحقائق التى تحتويها » . ورأى روبسبير فى هذه الصيحة المنكرة جرحاً لكرامته فتخلى عن زميله فجأة وقال : « مادام هذا الفتى يرفض رحمتنا فلنأخذه بعدالتنا ولتراجع الحكومة اعداد صحيفته ولتحاكمه على ما فيها »

يا مضرمى النار اصبحتم لها حطباً

واستصدر روبسبير من الحكومة العرفية قرار اتهام ضد كمى ديمولان ودانتون ومن لف لفهما من الزعماء المعتدلين امثال فيليبو ولاكروا وفابر ديجلانتين وهيرو وويسترمان . وفى اليوم الاخير من شهر مارس سنة ١٧٩٤ قبض على هؤلاء جميعاً وأودعوا السجن بتهمة الاعتدال . . . والاعتدال فى ذلك العهد الاسود هو الخيانة الكبرى للثورة ولقضية البلاد

بدأت النار تأكل مضرميها ، وبدأ أولئك الرجال يدركون المدى الذى وصل اليه غلوهم وتطرفهم ، ويؤمنون بأن اطلاق غرائز الشعب الوحشية من عقال الانظمة والتقاليد طيش لا يمكن أن ينتهى إلى غير هذه النتيجة المحزنة . وبأن عشرات الالوف الذين اعدموا انما ذهبوا ضحية طغيان وضعوا أساسه بأيديهم فعاد اليوم ليجرفهم . فأخذ كمى يكتب الى زوجته : « كنت أحسب أن اسمى يظل رمزاً من رموز الثورة وعنواناً من عناوينها ، ولكن الطغاة يأبون إلا أن يجردونى من هذا الشرف ويمزقوا صحيفتى من كتاب الثورة ويجعلوا منى عدوا لها . كنت أحلم بجمهورية عادلة كريمة يحبها كل الناس ويتفيأون ظلالها الرطبة الوارفة ولكنى اذ كنت أدعو إلى هذه الجمهورية لم أكن أعرف أن الناس قساة وغلاظ إلى هذا الحد . . . »

أما دانتون فكان يسأل من حوله كالمشدوه : « ماهذا ؟ هل عادت الملكية حتى نقاد اليوم الى المحاكمة ؟ ألا أننى لاسأل المغفرة من الله والناس »

ورفع النائب المقرر سانجوست تقريره عن القضية الى الحكومة العرفية فقوبلت تلاوته بالتصفيق من الجميع ، وصدرت التعليمات السرية إلى المحكمة الثورية باقتضاب الاجراءات والاسراع فيها وقدم المتهمون اليها بغير تهمة واضحة ، حتى لقد حار النائب العام فوكييه تانفيل فى تكييف الجريمة التى يطلب من المحلفين ادانة هؤلاء المتهمين بها فاكتفى بأن يلقى عليهم السؤال الآتى :

« لقد اكتشفت مؤامرة هائلة غرضها مناهضة الثورة واعادة الحكم الملكى وهدم سلطة الامة والغاء الجمهورية ، فهل اشترك المتهمون الماثلون امامكم فى هذه المؤامرة ؟ »

واكتظت غرفة المحكمة بالجمهور حتى ضاقت به فملأ الناس الردهات الموصلة اليها وأفنية البناء والساحات المحيطة به وقد اجتمع هذا الجمع الحاشد ليشهد كيف تحاكم الثورة أولئك الذين قاموا بها . وكان لدانتون صوت عال اذا أطلقه تجاوز أرجاء المحكمة وبلغ مسامع الجماهير الواقفة عند

الشاطيء الآخر لنهر السين . فكان يهدر ويزمجر فى الجلسة كأسد حبس فى قفص ، حتى اذا غضب أرسل الصيحة تدوى كالرعد فيغضب الرئيس ويدق الجرس ليسكته فلا يسكت ، فينتهره الرئيس قائلا : « ألاتسمع صوت الجرس؟ » فيشمخ بأنفه ويجيب : « إن رجلا يدافع عن حياته ليهزأ بجرسك يا سيدى . . . مكنونى من الكلام كما أريد وأنا كفيل بدحض هذه التهم من أساسها ولو كان الشعب الفرنسى كما عهدته وعند حسن ظنى به ، فانا واثق من أنى سأقيم الدعوى غداً على الطغاة الذين يتهموننى اليوم ، ولكننى فى هذه الحالة سوف أكون أكرم منهم نفساً لانى سألتمس منكم العفو عنهم »

ولقد كان لهذه العزة والشجاعة أوقع الاثر فى نفوس القضاة والمحلفين ، حتى لقد بكى أحد هؤلاء المحلفين ، فلما سئل فى ذلك قال : « وكيف لا أبكى وأنا أرانى مكرها على الحكم باعدام رجل مثل هذا ؟ » وتحرج موقف النائب العام وقد أحس تردد القضاة ، وأدرك مدى عطف المحلفين والجمهور على المتهمين فطلب رفع الجلسة للاستراحة ، وهرع إلى لجنة الانقاذ ليشاورها فى الامر فاشاروا عليه هناك بأن يتجنب جهد الطاقة مناقشة المتهمين وبان يختصر المرافعات ما أمكن اختصارها ، فاذا لم تنجح هذه الوسائل فعليه أن ينتزع من المحلفين اقراراً بان « الهيئة قد تنورت » وبذلك تنتهى المحاكمة ويصدر الحكم .

وأعيدت الجلسة وتجدد الصراع بين الاتهام والمتهمين وطلب دانتون مواجهته بشهود الاثبات أو سماع شهادة شهود النفى ، فلما لم تجب المحكمة طلبه أخذ يفند التهم المعزوة اليه تفنيداً لا يدع مجالا للشك فى بطلانها وبراءته منها . وعاد النائب العام فوكييه تانفيل فتحرج مركزه ، وأبصر صروح الدعوى تنهار والقضية تتسرب من بين أصابعه فالتجأ مرة أخرى الى لجنة الانقاذ يستعين بارشاداتها أو يستمد منها أدلة يدعم بها دعواه . ولبثت اللجنة تتشاور وتتداول الرأى حتى اهتدى سانجوست الى الدليل المقنع الحاسم الذى لا يحوم حوله شك فقال : « إن استماتة المتهمين فى الدفاع عن أنفسهم لهى ثورة على العدالة والقانون ودليل على أنهم مجرمون حقاً اذ لو كانوا أبرياء لفوضوا أمرهم إلى القضاء ، وانتظروا حكمه العادل مطمئنين » . واقتنعت اللجنة بهذا الدليل المدهش وأصدرت بناء عليه قراراً يخول المحكمة حق اقصاء المتهمين عن غرفة الجلسة « اذا صدر عنهم ما يفيد قلة اكتراثهم لهيبة القضاء أو أحدثوا شغباً لا يتفق والاحترام الواجب له »

وجاء هذا القرار كالقوت للنائب العام فما أن تسلمه حتى تلاه على هيئة المحكمة وطلب اقصاء المتهمين جميعاً عن القاعة . فاحتج دانتون وصاح : « اننا نشهد الشعب الحاضر هنا على انا لم نوجه الى المحكمة أى اهانة ولم نفعل مايستوجب حرماننا حق الدفاع عن أنفسنا . وكل ما تريده هو أن يسمح لنا بمواجهة شهود الاثبات لنناقشهم » فقال الرئيس : « ان المحكمة هى التى تقدر أقوالكم وتتبين مبلغ مافيها من خروج على النظام » فاعترض دانتون وكان كالبعير الهائج : « انكم لم تسمعوا

شاهداً من شهود النفى ولم تواجهونا بشاهد من شهود الاثبات ولم تطلعونا على محاضر التحقيق حتى نعرف منها ما شهدوا به علينا أو لنا فاى نوع من أنواع العدالة هذا الذى تطبقونه الآن » وصاح زميله لاكروا : « ليست هذه محاكمة وانما هى مهزلة سافلة فخير لكم أن توفروا علينا وعلى أنفسكم هذا التمثيل وتصدروا حكمكم بما تشاءون » وكان كمى ديمولان قد أعد دفاعا مكتوباً فى أوراق كثيرة فمزق هذه الاوراق وكورها فى يده وضرب بها رأس النائب العام وصاح : « كفى مجوناً أيها المجرمون » وجذب دانتون بعض أصحابه من أيديهم وهم بالخروج فسأله الرئيس الى أين فاجاب : « إلى المقصلة يا وغد »

وصدر الحكم فور الساعة باعدام المتهمين الخمسة عشر فاقتيدوا فى عربتين الى ساحة الاعدام . ولما مر الموكب تحت نوافذ بيت روبسبيير أشار كمى بيده وقال : « إن قاتلينا لن يعمروا بعدنا طويلا » وكانت قولته هـذه نبوءة صادقة لم يمض عليها طويل زمن حتى تحققت . وأراد كمى أن يعانق أصدقاءه أمام المقصلة ويسبقهم إلى الموت فحال الحراس بينه وبينهم فانتهرهم دانتون قائلا : « وهل تحولون دون رءوسنا أن تتعانق بعد أن تقطع وتوضع فى السلة ؟ »

ونفذ الحكم فيهم الواحد بعد الآخر حتى اذا جاء دور كمى ديمولان تساقطت الدموع من عينيه وقال : « حرام أن يموت أول رسول من رسل الثورة مثل هذه الميتة الشنعاء »

وكانت جموع الشعب تحف بآلة الاعدام بين مبتهج شامت يهتف بالثورة ويمجد الارهاب ، ومحزون آسف يكتم عواطفه خشية أن تقوده الى الاعدام

وهكذا قدر على الذين أضرموا النار أن يكونوا لها حطباً وعلى الذين قطعوا الجسر أن يجرفهم الطوفان . ولقد ظل الطوفان يعلو ويندفع ويأخذ فى طريقه كل من يصادفه حتى ليبتلع الرجعيين والمعتدلين ثم يعود فيبتلع المتطرفين واليعاقبة وعلى رأسهم روبسبيير وفوكييه تانفيل وسانجوست وكوتون ثم يعود فيبتلع قضاة المحكمة الثورية ومحكميها وجلاديها ومعهم الدكتور جيوتان مخترع المقصلة الذى سميت باسمه « الجيوتين »

ولعل أعجب مايدعو الى التامل والاعتبار فى تلك الثورة الفرنسية الكبرى أنها بدأت بفظائعها ومنكراتها لتخلص فرنسا من حكم الفرد الذى كان اسمه الملك لويس السادس عشر ، وانتهت بعد كل هذه الفظائع والمنكرات إلى خضوع فرنسا لحكم الفرد الذى صار اسمه القنصل بونابرت ثم الامبراطور نابليون

حسن الشريف

الشباب وروح القوة

بقلم الأستاذ ابراهيم المصري

يخضع الشباب للعاطفة، وينزل مختاراً على حكم الهوى، ويستسلم للغرائز، ويرحب بالشهوات، ويمجد النزوة العارضة، ويقدس الحاضر ولا يحفل بالمستقبل، ويظل دائم التفتح للحياة كزهرة خالدة الظمأ تود أن تعيش فى ندى الصباح أبدا!

ولكن هذه الرغبة المجنونة فى الحياة، هذا الاستخفاف المشرق بعواقب الامور، هذا الطيش المتدفق كالسيل، هذا الاقدام الاهوج الباعث على الابتسام، هذه الجرأة العجيبة فى تحدى الموت، هذه الارادة الطاغية فى معرفة كل شيء واحتضان كل شيء والتمتع بكل شيء، هذه الاشياء كلها هى القوة... هى القوة العاملة الباسلة التى اوجدت الحياة وما تزال تضرم فيها نار الجمال والحرية

الشيخ يقدر الف مرة قبل أن يقدم على العمل مرة، وبين التقدير والعمل قد تفتر الحماسة ويتضاءل الأمل، وتتراكم العقبات، ويضيع الايمان ثم يموت فى النهاية العمل نفسه

والشباب يعمل فى الغالب بلا روية وبدون تقدير طويل، ولكنه يعمل، يعمل لأنه يجد فى العمل لذة، ولأن هذه اللذة تكتفى بنفسها، ولأن نشوة الحركة هى طبيعة الحياة ممثلة فى كيان الشاب أبلغ وأتم تمثيل

فالشيخ يتردد لأن الحياة طحنته، فاصبح لا يجد فى العمل والحركة أية لذة

ويتردد أيضاً لانه يخشى الألم ويخشى الخيبة ويخشى تبديل النظام القائم ويخشى ثورة الافكار وثورة العقائد وثورة التقاليد

ويتردد أيضاً لانه يقدس الماضى ويحرص عليه كل الحرص ويخاف أن هو قام بعمل حاسم يحطم هذا الماضى الا يستطيع - لعجزه عن فهم الحاضر وضعف ايمانه بالمستقبل - أن يحل الجديد محل القديم البالى

أما الشباب فحديث عهد بالحياة، ولذلك يبدو له كل شيء فيها جديداً

هو انسان بجنح حر لا يرزح تحت وطأة

كنا نود أن ننشر هذا المقال الطريف فى عدد ابريل الماضى الخاص بالشباب، لولا انه وصلنا بعد انتهائنا من طبعه. لذلك آثرنا نشره فى هذا العدد. واذا كنا ننشره بعد مرور وقته، فان الحديث عن الشباب دائماً ممتع، واستئنافه مما تتمناه النفوس. وقد تناول فيه الاستاذ ابراهيم المصرى ناحية هامة من طبيعة الشباب وهى روح القوة فيه، فحللها وعرضها عرضاً جيداً

الماضى ولا يسبح فى جنة الاجداد ولا يدع روحه تتعفن فى طينة السلف الصالح ولا تفارق قدمه الارض الا انضرب فى عرض السماء ان استطاعت الى السماء سبيلا !

ثم هو لايفهم الألم . وهل يفهم العنصر الجامح معنى الألم ؟ وهل يحسه وهل يخشاه ؟ انه هو الذى ينزل الالم بالغير ، أما ذاته فتؤدى واجب القوة ولا تعرف غير هذا الواجب ، تلك هى روح الطبيعة وتلك هى روح الشباب !

ومع ذلك ففى الشباب عاطفة واحساس . وروحه ليست كروح الطبيعة قاسية عمياء ، لذلك نحبه . نحبه لانه قوى كالطبيعة ، وطيب ساذج غافل فى نفس الوقت كانسان ! . . .

وما دام عنصر الانسانية مقترنا بقوته ، ففى وسعنا أن نصقل هذه القوة ونروضها وننظمها ونتجه بها الوجهة العاملة الخالقة التى ننشدها

ويالها من قوة تلك التى يمكن أن نستخرجها من صدور شبابنا لو عرفنا كيف نربيهم وكيف نخاطبهم وكيف نعين لهم اهدافهم وندفعهم لعظائم الامور

ولكن من المحال أن نستطيع اعداد الشباب للاعمال الخطيرة ، ومطالبتهم بجهود متصلة جبارة ، الا اذا جعلنا قوتهم الشبيهة بقوة الطبيعة « العامة » تسود النقائص الابدية المنطوية عليها الطبيعة « الخاصة » أى طبيعة الانسان

انهم أقوياء كالعناصر ، كالنور والماء والهواء ، غير أن الضعف كامن فى صفتهم الانسانية وفى العادات والاخلاق التى اكتسبوها من مجتمع دا كد آسن عليل

فجراثيم هذا الضعف هى التى يجب أن نستأصلها من نفوسهم ليتمكنوا من التسامى بقوتهم والتغلب على ضعفهم الذاتى والقضاء على مواطن الضعف فى مجتمعهم وفى الامة التى سيوكل اليهم أمرها فى المستقبل القريب

وهكذا نجد قوتهم غاية تسعى وراءها ومادة عليها أن تعالجها بدل أن تحترق وتذوب وتفنى فى نفسها !

ولرب معترض متشائم يقول : ولكن شبابنا طبع على المجون ويكاد يقتله اللهو وتذهب بنضرة حيويته الشهوات

وانا أقول ان مجتمعنا هو المسئول عن ذلك لا الشباب . مجتمعنا هو المسئول بمختلف ألوانه وشتى مناحيه ومتعدد نزعاته

أغانينا مخنثة مرذولة تشيع فى النفس الذلة والحسرة والموت
وأدبنا فى جملته مخنث مرذول يعنى بالتأنق الشكلى ، والحلاوة اللفظية دون الفكر
واخلاقنا مخنثة مرذولة قوامها المجون وطابعها الاستخفاف وعدم الاكتراث

وذوقنا نفسه مخنث مرذول يميل الى الرخاوة ويستمرىء النعومة و يستطيب كل ما هو رقيق حالم فاتر مريض

أجل . إن أجيال العبودية التى نثور عليها اليوم ماتزال ترهق كواهلنا وتنحرف بروح القوة الغالبة عند بعض شبابنا وتدفعهم على الرغم منهم لانفاقها فى أوضع الميول والشهوات . ولكن شبابنا المصرى مصاب فى ماضيه ، مصاب فى حاضره ، مصاب فى أسرته وبيته ، مهدد بالعطلة والتشرد فى مستقبله ، فهو مضطر والحالة هذه ان ينفس عن صدره فى موجات مروعة من التمتع المادى الرخيص واللهو الاناقى الفاجع . وما دمنا لم نحسن توجيه قوته والانتفاع بها فلا يجب أن نلومه ان هو استخدمها احيانا فى امتاع شهواته وغرائزه

والواقع ان قادتنا اهملوا الشباب ، وباعدوا بينه وبين الاشتغال الجدى بالمسائل العامة ، ولم يخطر لهم فى الماضى ان من الممكن تنظيم حركاته ، وأن هذه الحركات قد تعزز مطالب الامة ، وتقيها شر الجمود واليأس ، وتخلقها بين عشية وضحاها خلقا جديداً

اهملوا حركات الشباب بينا أصداء هذه الحركات كانت تتجاوب فى أفق العالم وتخلق على مرأى من العالم دولا كايطاليا والمانيا وروسيا وأنظمة سياسية واجتماعية وثقافية قلبت الاوضاع الشائعة وبدلت مجرى التاريخ

ولكن شبابنا برغم ضعفه الذاتى ـ والضعف الكائن فى مجتمعه ـ لم يحفل بالقادة ولم ينتظرهم ولم يتمهل لتلقى الامر منهم ، بل هب من تلقاء نفسه واضطلع بالجهد كله وحده واخترق الحواجز وتقدم الصفوف وفرض ارادته على الجميع فرضا فكانت الكلمة له لانه عرف كيف يتحرك وكيف يعمل وكيف يموت !

هذه القوة التى بهر بها الشباب المصرى انظار العالم هى التى يجب أن نرعاها ونذود عنها ونتسامى بها ما استطعنا ونكافح فى ضوئها لتبديل اخلاقنا وعاداتنا وميولنا واذواقنا وطبعها بطابع القوة وتغذية الجميع بها من نساء واطفال وكهول وشيوخ وشباب

ولا يمكن أن تنهض روح القوة هذه إلا على قواعد ثلاث :

فكرة رئيسية مثالية تعتنق كدين ويبشر بها فى البيوت والمجتمعات وتسدد كل الجهود اليها ويستهان فى سبيلها بأثمن نعم الحياة

واخلاق عالية قويمة متينة متأهبة على الدوام للذهاب الى اقصى حدود التضحية لتحقيق تلك الفكرة المبتغاة

وجماعات عملية منظمة وخطط عملية مرسومة واضحة تعين السبل وتحدد الاهداف ويستهدى بها الشعب وتتحرك بمقتضاها جماعات الشباب

على هذه القواعد الثلاث قامت حركة هتلر، وحركة موسولينى، وحركة الانقلاب الروسى وكان الشباب هم قوام هذه الحركات جميعا

فعظمة روما ومجدها وامبراطوريتها هى الفكرة الرئيسية المثالية فى حركة موسولينى، وسيادة العنصر الآرى مقترنة بارادة التحرر من معاهدة فرساى هى الفكرة الرئيسية المثالية فى حركة هتلر، والانتقاض على النظام الرأسمالى وتحقيق معنى المساواة الاقتصادية هى الفكرة الرئيسية المثالية فى حركة لينين

ولقد عرف الزعماء فى كل من ايطاليا والمانيا وروسيا كيف يخاطبون روح القوة الكامنة فى صدور الشباب، وكيف يضرمون نارها فى أفئدة الشعب كله، وكيف يرسمون له الخطط ويعينون المعالم وينظمون الجماعات ويدفعون بالامة وشبابها آخر الأمر لتحقيق تلك الفكرة المثالية العليا

ونحن قد عرفنا ولاشك غايتنا الرئيسية أو فكرتنا المثالية ألا وهى الاستقلال التام. ولكن هل هذه الغاية، هل هذه الفكرة قد تغلغلت حقا فى افئدتنا، وخالطت حقا دماءنا، وامتزجت حقا بمشاعرنا واحساساتنا، واستحالت فى نفوس المصريين والمصريات جميعا الى دين يهون فى سبيله الموت والاستشهاد؟

كلا. وا أسفاه!

ان أغلبية من استشهدوا فى حركاتنا الوطنية كانوا من الطلبة الابطال ومن العمال المتواضعين الامجاد ومن أبناء الشعب

هؤلاء هم الذين آمنوا بدين الاستقلال حق الايمان، وهؤلاء هم الذين ماتوا وعلى شفاههم ابتسامة الفرح والمجد والخلود

أما بقية الطبقات فما تزال حريصة على مصالحها، مترددة فى ايمانها، متشككة فى صحته، محجمة عن التضحية من أجله. ولذلك وجب علينا أن نضاعف نشاطنا فى الدعوة لغايتنا الرئيسية وفى الاشادة بهذه الغاية وتقديسها حتى يشمل الايمان العميق بها طبقات الشعب كلها وحتى يتقدم الشعب كله للعمل والتضحية متى آذنت الساعة ودق ناقوس الجهاد

هذه اولى القواعد التى أشرنا اليها

أما القاعدة الثانية وهى الاخلاق الصلبة المتينة، فما احوجنا الى التبشير بها ومواصلة الدعاية لها، واقامة جماعات الشباب على اساسها وتبسيطها وتركيزها وغرسها فى قلب كل مصرية ومصرى

ما أحوجنا الى دعوة الشعب كله وفى طليعته الشباب لعبادة الفضائل القائمة على القوة: فضائل العظمة والكبرياء والانفة والشمم واحتقار الجبن والجبناء والنذالة والانذال والخيانة والخونة

ما أحوج الفرد المصرى الى أن يكون متكبراً فى عاطفته ، فظيعا فى اجبار الغير على احترامه، قاسيا الى حد الوحشية فى الدفاع عن حقه ، ينطلق فى الارض وملؤه الشعور بأنه يحمل فى رأسه وبين جنبيه عظمته الخلقية التى لا تهزم . وآمال بلاده التى لابد أن يرغم العالم على الاعتراف بها ان طوعا وان كرها !

هذه الفضائل ، هذه التعاليم ينبغي أن تبسط كما قلت وتركز فى شبه وصايا وتطبع فى ملايين الكراسات وتوزعها جماعات الشباب فى كل مجتمع وكل ناد وكل مدرسة وكل بيت

تلك هى الوسيلة الثانية لاضرام روح القوة فى كيان الشعب

وأما القاعدة الثالثة وهى وضع الخطط وتأليف هيئات الشباب ، فليس من شأنى هنا التحدث فيها . وما علينا الا أن ندرس اشباهها فى ايطاليا والمانيا وروسيا كى نحسن تنظيمها ونوجهها الوجهة العملية التى نريد

وعلينا أن نفهم قبل كل شيء أن روح القوة هذه هى من روح الشباب، وأن معظم الحركات والتنظيمات ، بل معظم مشروعات التجديد والتحرير والاصلاح ، انما قامت فى ايطاليا والمانيا وروسيا على اكتاف الشباب . والى القارىء فقرة من كتاب للدكتور فرانك رالف عنوانه « العالم الجديد » تدل ابلغ الدلالة على صحة ما تقدم ولاسيما ان كاتبها يعتبر ثقة فى الموضوع وحجة فيما يتعلق بشتى الانقلابات التى وقعت أخيراً فى أوربا

قال فرانك رالف :

« ان الاصلاح الزراعى فى ايطاليا ، وايجاد أراض جديدة صالحة للزراعة ، وتطهير وتجميل المناطق الموبوءة ، وخلق مدن جديدة كمدينة ليتوريا ، واستغلال أقصى ما تعطيه الارض من القمح لاطعام اكبر عدد ممكن من السكان ، كل هذا كان مستحيل التحقيق بدون تنظيمات الشباب ، بل ان زحف الفاشست على روما كان نفسه عملا من أعمال الشباب

« وكذلك الامر فى المانيا فلولا جماعات الشباب لما قامت لهتلر قائمة ، ولما تكونت « جبهة العمل » و « جمعية القوة بواسطة الفرح » و « جمعية المساعدات الشتوية » والنظام النازى بأسره»

« أما فى روسيا فالشباب هم عصارة الامة وعصبها ، هم الذين اعتمدت الحكومة على نشاطهم واخلاصهم وجهودهم فى انشاء مصانع السيارات ومصانع المحركات والطائرات والآلات الزراعية ، هم الذين روجوا الدعوة وساهموا فى خلق الاوساط الصناعية العظيمة فى روسيا البيضاء واوكرانيا والقوقاز الشمالى وآسيا الوسطى والاورال وسيبريا الشرقية والغربية مما اضطر ستالين الى القول بأن روسيا الجديدة هى هبة الشباب »

وعليه فمعظم هذه الحركات والنهضات اضطلع بها الشباب القوى على أساس مبدأ عبادة القوة . ولكن من واجبنا أن نلاحظ أن عبادة القوة فى نظر موسولينى وهتلر معناها فى النهاية

تمجيد الديكتاتورية ، وفناء الفرد فى شخص الدكتاتور ، والقضاء على الحرية الشخصية ، وتحقيق المطامع الاستعمارية ، وتغليب عنصر على عنصر وجنس على جنس

فهل هذه هى القوة التى تنشدها ؟

كلا . ان القوة التى ادعو اليها واعتقد انها تتفق ومزاجنا وتاريخنا وعبقريتنا ليست هى قوة موسولينى وهتلر التى تغلب جنسا على جنس وأمة على أمة فى سبيل خلق شعب ممتاز وطبقة ممتازة تنبع منها وتنصب فيها اجمل واغزر عناصر الحياة

ليست هى القوة النازية أو الفاشستية الهازئة بالمحبة ، الساخرة بالرحمة ، الخاضعة لاصحاب رءوس الاموال ، المستبدة بالطبقات العاملة ، الساعية لخنق الديموقراطية والحرية

القوة التى انشدها هي قوة الاحتفاظ بوجودنا والاستمتاع بما لنا من حق فى الحياة كجميع الناس

هى قوة تكوين أمة تشعر فعلا بأنها حرة وتدرك فعلا انها مصدر السلطات ولا يسمح شرفها وكبرياؤها لأى كان من أفرادها بالتحكم فيها والاستبداد بها وفرض الديكتاتورية عليها بالغاً ما بلغ من الكفاية والعبقرية

هى قوة تكوين أمة تثور على استبداد الحاكم واستبداد الموظف واستبداد صاحب المال ، ولا تسلم لهم بخنق الفلاح واضطهاد العامل ونشر جرائم الانانية الجنائية بين سواد الشعب

القوة التى انشدها هى حب الحياة الى حد الجنون ، واخضاع مختلف عناصرها واستغلال كل ممكناتها بحيث يصبح الانسان الملك المتوج عليها ، ولكن لا لمصلحة فرد واحد أو طبقة واحدة ، بل لمصلحة الجميع فى ظل الحرية للوطن وفى ظل المساواة الاقتصادية والاجتماعية التامة لجميع أبناء هذا الوطن

القوة التى انشدها هى قوة تسخير الحضارة لخدمة المصريين بلا فارق ، هى قوة استطاعة كل مصرى أن يتحرر من مطالبه المادية ، وأن يتمتع بحقه المقدس فى العمل ، وحقه المقدس فى الثقافة ، كى يتمكن لا من الانتفاع بروائع الحضارة فحسب ، بل من ابلاغ قواه العقلية اوجها الاعظم فى سبيل تغذية هذه الحضارة وانمائها

فالى هذه القوة السامية يجب ان تتجه نهضتنا وفى هذه القوة السامية يجب أن تندمج قوة شبابنا ان كنا نطمع فى مستقبل رائع خليق بشعب عظيم

ابراهيم المصري

الشّباب والمشيب كالمطرقة والسّندان

بقلم الأستاذ عبد الرحمن شكري

المفتش بوزارة المعارف

> كان لعدد « الشباب » الممتاز الذي صدر أول ابريل أثر حسن في الاوساط العلمية والادبية ، وقد صادف نشاطاً واقبالا بين الشباب والشيوخ ، فبعث الينا الاستاذ الكبير عبد الرحمن شكرى على أثر اطلاعه على هذا العدد بهذه الكلمة الممتعة التي شبه فيها الشباب بالمطرقة والمشيب بالسندان ، واوضح هذه الفكرة التي ترمي الى تعاون القوتين : قوة الشباب ، وقوة الشيوخ في بناء المجتمع وقيام الحضارات

من التشبيهات الدائمة التي تتخذ وسيلة لبيان ما بين الشباب والمشيب من صفات التعاون وصلاته ، أن يقال في المشيب : انه بمنزلة العقل الذي يفكر ، وفي الشباب : انه بمنزلة القلب الذي يشعر أو اليد التي تعمل . ولكني لا أفضل هذا التشبيه لان للقلب أثراً كبيراً في تعيين الافكار سواء اكان المرء شابا أم أشيب. وعقل المشيب لايختلف عن عقل الشباب في تجاربه فحسب ، وهي مؤسسة على احساس سابق ، بل يختلف عن عقل الشباب أيضاً من أجل ان احساس الاشيب يصبح مختلفا عن احساس الشاب والمرء مسوق باحساسه الحاضر أكثر مما هو مسوق بفكره أو خبرته المؤسسة على احساس سابق . فأثر المشيب في الشباب يكون من طريق احساس الاشيب على الاقل قدر ما يكون من طريق تفكيره ، وتفكيره متأثر باحساسه . ومن أجل ذلك كان الاشيب الخبير بالامور اذا أراد أن يزين أمراً للشباب زينه له بما يرضي شعوره وان كان الاشيب يعرض الامر على نفسه عرضا آخر لاختلاف احساس الشباب والمشيب في الامر

ولكن هناك تشبيها آخر يجمع بين صفة التعاون بين المشيب والشباب و بين صفة المقابلة والاختلاف ، وهو أن يشبه الشباب بالمطرقة والمشيب بالسندان . والامر الذي يراد تدبيره وتشكيله بينهما كالقطعة من الحديد توضع بين المطرقة والسندان . فقوة الشباب قوة المطرقة الوثابة التي وراءها قوة العضد المفتول واليد المرنة والنشاط . وقوة المشيب هي قوة السندان في رسوخه وارتكازه على الارض

على أن كل تشبيه له وجه أو أوجه من النقص والا ما كان يعد تشبيها ، لان التشبيه انما هو تماثل في أمر واحد او أمور محدودة . وقد ينتقد هذا التشبيه من أجل أن قوة الحداد وفكره وهما وراء قوة المطرقة ، كأنما يجعلان الفكر وراء قوة الشباب وحدها ، ولم ينظر الى موقع العاطفة بين قوتي المشيب والشباب . ولكن يصح ان يرد هذا النقد بان فكر الحداد يستخدم المطرقة والسندان معا ، فلكل منهما نصيب منه كما ان لكل من المشيب والشباب نصيبا من الفكر تختلف مقتضياته في الحالتين

ويرد نقد اهمال العاطفة عند الاستشهاد بالتشبيه ، فيقال : ان الحداد يستخدم قطعة المعدن المنصهرة على السندان أو يصهر المطرقة اذا اقتضى عمله ذلك ، فلكل منهما نصيب من الحرارة والتفكير منه وان اختلف مظهر كل منهما في الحالتين . وكذلك للشباب والمشيب نصيب من الاحساس والتفكير وان اختلف مظهر كل منهما . وينبغي عند تدبر هذا التشبيه ان لا ننظر الى التقاء المطرقة والسندان كأنه التقاء نضال وعداء، ولا الى وقعات المطرقة على السندان كأنها ضربات قتال ، بل ينبغي أن ننظر الى التقائهما وهو مظهر تعاون والى وقعات المطرقة على السندان كأنها مصافحة التعاون في العمل ، فان المطرقة لم تلتق بالسندان كي ترققه أو تهشمه أو تنال منه حتى بعد التقائهما كأنما هو التقاء عداء ، بل تلتقي به كي يتعاونا في تشكيل قطعة الحديد التي بينهما كما ان تعاون الشباب والمشيب بشكل الامور التي يتعاونان في تشكيلها من امور الحضارة والعمران . واذا لم يكن السندان هوت المطرقة الى الارض . واذا وضعت الحديدة على غير السندان لم تتمكن المطرقة منها تماما فتخطئه في تشكيلها وربما افلتت منها وطارت بعيدة عنها . وكذلك الحال في أمر تشكيل الشباب لامور الحضارة فاذا لم يشكلها على قوة المشيب الراسخة طاشت أعماله وطاحت أمور الحضارة والعمران منه . والحداد هو العامل المشترك كما يقولون وهو مثل العوامل الاجتماعية التي تستخدم قوتي الشباب والمشيب معا بطريقتين مختلفتين . ويمكن تتبع هذا التشبيه الى مدى ابعد فنقول ان المطرقة وهي متحركة مطيحة لاجزاء من المعدن قد تكون آلة اسراف وتبذير اذا أسيء استعمالها ، وهي تراد للتشكيل والتدوير ، أما السندان فهو لا يطيح شيئاً من المعدن بل يصونه ويحتفظ به لوقت الحاجة

ومثل هذا مشاهد بين الشباب والمشيب . فالمشيب يقدم للشباب الثروة المادية والفكرية التي جمعها وهو يعبها ويصونها فيأتي الشباب ، فاما ان يستخدمها استخداما حسنا

واما أن يبذرها ويتلفها . والحضارات العمرانية لا تقوم فحسب على صيانة الثروة المادية والفكرية كما يصونها المشيب بل تقوم أيضاً على تصريفها وتوزيعها واستخدامها استخداما حسناً كما يصرفها الشباب اذا أصاب أو كما تفعل الريح عندما تنقل البذر الى مكان لا نبات فيه فيصبح كثير النبات ، أو كما فعلت طرق النقل والمواصلات قديما وحديثاً من نشر الحضارات والافكار أو كما يفعل تصريف الاموال في الاسواق من ترويج التجارة ، فاذا كان في الاسواق عامل جمع وصيانة للاموال من غير عامل تصريفها فيها ركدت التجارة ، وكذلك الحضارات والنهضات الفكرية اذا بطل فيها التصريف والتوزيع ركدت ، ولكن التصريف والتوزيع يستدعي الجمع والوعي والصيانة للثروة المادية والفكرية كما يفعل المشيب ، وهذا دليل قاطع على أنه لا بقاء لحضارة ولا ازدهار لها اذا لم تتعاون قوة المشيب وهي قوة الجمع والوعي والصيانة وقوة الشباب وهي قوة التصريف والتجديد والاستعمال

وفي الشباب صفة الاجتماع والمعاشرة اكثر مما في المشيب الذي يبدأ يتطلب العزلة أو تتطلبه هي قهراً ، والشباب أخف وأسرع فكراً وعملا ، ومن أجل هذا كله تتحكم في صفات الشباب سرعة عدوى الخلق وهي قد تدفعه الى ما ليس في طبعه ولا في خلقه المعتاد وقد تظهره بمظهر يعد غريباً في نظر من يعرفه . وهذه الصفات تشبه (صفات الجمهور) أي الصفات التي تنشأ أو تقوى في أفراد الجمهور عندما يتكون (الجمهور) فتتشكل طباع أفراده شكلا جديداً وتقوى فيها صفات لم تكن معهودة فيها من قبل أو كانت خافية . والجماهير من الشبان أسرع في هذا التغير وأبعد مدى من الجماهير من الشيب لهذه الاسباب . ولكنك اذا بحثت حتى في هذه الناحية من نواحي الشباب وجدت للمشيب أثراً في انماء هذه الظاهرة من حيث أثره في احساس الشباب وفكره . وقد يكون عمل المشيب هنا خافياً كعمل الكهرباء الخافية . وقد يكون واضحاً مادياً كما تؤثر أحماض البطارية الكهربائية أو أجزاء البطارية الاخرى في إحداث التيار الكهربائي

فنرى ان من الصواب ألا يفضل المشيب ولا الشباب في قيام الحضارات لانها لا تقوم إلا بهما معاً

عبد الرحمن شكري

أثر الشباب في الأدب

بقلم الأستاذ نظمي خليل

« .. وكما أن في الشباب فتوة ونشاطا ، فقد سرت في الادب هذه الفتوة ، وانبث هذا النشاط ، اذ ولى عصر الجمود ، عصر الصالونات وأصبح الاديب اليوم لا يطيق الجلوس في غرفة محتبسة الهواء تفوح منها رائحة الخمر والتدخين . وأخذ يحس بدافع داخلي يغريه بالصحراء ، والبحار ، والحقول والاقطار النائية . . . »

شباب الأمة كشباب الفرد هو زهرتها النضرة وثمرتها المرتجاة ! وهو الجزء الحساس في جسمها والصوت الداوي الذي يفصح عن امانيها !!

وأدب اية أمة هو الصورة الصادقة التي تنعكس عليها أفكارها ، والكتاب المنشور الذي يتحدث عن ماضيها ومستقبلها !!

لذلك كان بين الشباب والادب أواصر قرابة وروابط ألفة ومحبة . وقديماً قيل « الحب والجمال هما والدا الادب ، فهل هناك قلب أشد خفقا بالحب من قلب الشباب ؟ وهل هناك شعور ادق احساساً بالجمال من شعور الشباب ؟ . فاذا عرضنا اليوم للحديث عن أثر الشباب في الأدب فاننا لا نعرض لموضوع غريب عنا . بل يكفي أن نستمع الى ما تصفق به قلوبنا وتتمايل منه جوانبنا ، فنعرف أي أدب أدبنا . وأي طابع يطبعه ؟

وليس من شك في أننا سنجد هذا الادب قد نبت في تربة واحدة هي قلب الشباب وتغذى بغذاء واحد هو دم الشباب . وأينع تحت مؤثر واحد هو حرارة الشباب وحب الشباب !!

فأدب الشباب أدب عالمي لا يخضع لبيئة خاصة ولا لزمان معين لان مصدره واحد هو قلب الشباب والشباب واحد في جميع الامم

والامم العربية التي تدين بدين واحد هو الاسلام وتتحدث بلغة واحدة هي العربية والتي تتقارب اليوم وتتعاطف مدفوعة بروح واحدة هي روح الوحدة والاخاء وتكافح عدواً واحداً هو الاستعمار ، شبابها اليوم متجاذب متآخ ، وأدب شبابها متماثل متشابه . فالشعور بالمجد القديم والعمل على ارجاعه وبعثه من جديد ، والثورة المشبوبة ضد الاستعمار هي ما تضطرم به قلوب الشباب اليوم وهي التي تسري في أدبهم سواء في مصر أم في تونس أم في العراق

لذلك نرى عنصرا جديداً يغذي أدبنا الحديث هو عنصر الوطنية وليس هذا العنصر غريبا

عن الشباب بل هو متأصل فيه تأصل الحب . فما الوطنية الا حب فى معنى اسمى وأشمل إذ هى حب للمجموع او للوطن

وهناك عنصر آخر بجانب عنصر الوطنية هذا العنصر الجديد هو الانانية . وليس هذا العنصر ضاراً بالادب بل هو على النقيض لازم له فهو يبعث فيه القوة . وأعنى بالانانية الشعور غير العادى بالكرامة الشخصية او الاعتداد بالنفس . شعور الفرد بوجوده فى هذا العالم الذى يمرح فيه

ومن أجل ذلك نجد شبابنا الادباء كثيراً ما يضيقون بالناس وينفرون من المجتمع . وعلى ذلك نلمس فى ادبهم شدة فى الشعور هى نتيجة لحدة فى مزاجهم . ومن شأن هذه الحدة أن تكسب الادب القوة والتأثير وهما من ابرز خصائص الادب الحى

وكما أن فى الشباب فتوة ونشاطاً فقد سرت فى الادب هذه الفتوة وانبعث هذا النشاط . اذ ولى عصر الجمود ، عصر الصالونات ، واصبح الاديب اليوم لا يطيق الجلوس فى غرفة محتبسة الهواء تفوح منها رائحة الخمر والتدخين وأخذ يحس بدافع داخلى يغريه بالصحراء والحقول والبحار والاقطار النائية واصبح يجد فى الصحراء غذاء لشعوره ومأوى صالحا لقلبه المعنى . واصبحت امواج البحر التى تدلف نحته وسنابل القمح التى ترنو اليه مباهج فتنته ومواطن سحره واعجابه

لقد أخذ أدباؤنا اليوم يضيقون بحياتهم المحصورة الضيقة فهرعوا ـ أو أخذوا يهرعون ـ الى حياة أوسع وأغنى فى كنف الطبيعة ، يتمتعون بأزهارها وأجوائها ويستمعون الى اصواتها ، وموسيقى مياهها . هم كلفون إذن بهذه المظاهر الطبيعية الفتانة وهم يحبون أن يفنوا فيها أو تفنى هى فيهم

لذلك نخال ـ إذا أفصحوا ـ أن الطبيعة كلها تفصح ، ونظن اذا أنشدوا ـ أن العالم كله ينشد ! !

أجل لقد أفصحوا لنا عن أنغام الطبيعة المسموعة ولكن للطبيعة أنغاماً صامتة وهذا ما لم يصلوا اليه وربما كانت هذه الأنغام الصامتة أعذب وأكثر موسيقى من تلك الأسجاع المسموعة

أراد الشباب أن يحيا حياة طبيعية ساذجة فكان لنا أدب صادق يفيض سحراً وجمالا فقد أخذ من السماء الصافية لونه ومن الازهار العبقة أريجه ومن الفجاج الواسعة خياله ومن الجبال الوعرة صلابته ومن الوديان سهولته ومن مياه البحر المتلاطمة غوره وقوته ! !

هذا الأدب الجديد شبيه فى روحه ـ وان اختلف فى شكله ـ بالأدب العربى القديم ، شبيه به فى صدق احساسه وصدق تعبيره . فقد عاش الشاعر البدوى القديم تحت سماء سافرة وفوق رمال منبسطة فاعانته هذه الطبيعة الشاعرة على قرض الشعر ، بل ألهمته إياه الهاماً ففاض به

قلبه وتدفق به لسانه ، وهذا ما نجد صداه فى أدب الشباب اليوم فهو أدب صادق فى حسه مخلص فى ترجمته . وأعنى بالاخلاص هنا اخلاص الأديب الى حسه وشعوره هو فينقل الينا رجع هذا الحس أو هذا الشعور . وليس من الضرورى أن يكون ما ينقله الينا صحيحاً أو غير صحيح لأن الفن تعبير عن حالة الفنان وليس تمثيلا لحقيقة معينة فقد يرى الشاعر وهو فى دور المحب الوامق البحر يبسم له فى فرحه ويسمع الرياح تهمس باسم حبيبته ويرى النجوم تنظر اليه بعين راضية محبة

وقد يرى نفس الشاعر فى دور المحزون نفس البحر يتجهم له ويقسو عليه ويسمع الرياح تسخر من تأوهاته ويرى النجوم تنظر اليه بعين الازدراء والمقت المر ! !

كان من أثر هذا النشاط الذى بعثه الشباب فى الأدب أن تعددت ألوانه ، فلم يبق الشعر على بحوره القديمة ولم تعد القافية ضرورة لابد منها كما كان فى الماضى، بل أخذت تتزحزح عن مكانتها ومن يدرى فقد تتلاشى يوما أمام سلطان « الشعر المرسل »

ولم يقتصر التجديد على الشكل بل تعداه الى الموضوع فبرزت « القصة » كأداة قوية للتعبير ثم الحوار التمثيلى - فى شكل فنى جديد ثم القصص التمثيلية

كل هذه مواد جديدة تغذى بها أدبنا الحديث ولا يزال يرسل جذوره الى اعماقها يمتص عصارتها الكامنة

***

ومن هنا أتساءل من أين جاء الشباب بهذه المواد ؟ هل ألهموا هذا الشعور الهاماً أم أن الثقافة الغربية هى التى وجهتهم فى هذا الطريق ؟

انا لانقعد طويلا عند جواب هذا السؤال ، فانه مما لاشك فيه أن الثقافة الغربية التى تحتل اليوم المكان الأول فى ثقافة شبابنا قد ساعدت كثيراً فى بناء هذا المجد الجديد !

***

وجملة القول إن أدبنا اليوم أدب « انتقال » بين « الكلاسيك » أو الأتباعى وبين « الرومانتيك » أو الابتداعى ، وان هذه النهضة الأدبية التى ظهرت آثارها منذ عشرين عاما والتى لم تستكمل نضجها بعد لهى شبيهة بتلك الحركة التى عرفت فى أوربا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر والتى تسمى بحركة « الرومانتسزم » Romanticism أو الثورة ضد العرف والقديم والرجوع الى الطبيعة حيث العناية الالهية قد أوجدتها منذ الأزل ! !

نظمي خليل

السحر فى مختلف العصور

لمحة من تاريخه وأطواره

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

يعتبر السحر فى عصرنا، عصر العلم والنور، أثراً من آثار العصور الغابرة، وبقية ذاهبة من المدنيات القديمة المتأخرة. وليس للسحر فى عصرنا مكان فى المجتمعات المتمدنة المستنيرة وان كان مايزال يحتل مكانه بين الطبقات الدنيا والجاهلة، وفى المجتمعات الساذجة. بيد أن السحر فى العصور القديمة كان يتبوأ أعظم مكانة، وكان يعتبر هبة الافهام الرفيعة وملاذ الاسرار والقوى الخفية، وكان للسحرة الذين ينكرهم عصرنا وتلفظهم مجتمعاتنا المستنيرة فى كثير من المجتمعات القديمة، الكلمة العليا فى شئون الدولة والمجتمع، وكان يغمر السحر والسحرة فى هاتيك العصور والمجتمعات نوع من الخفاء المروع يرتفع بهما الى ما فوق البشر

وللسحر تاريخه كأى العلوم أو الفنون، ولدينا عن تاريخه واطواره تراث ضخم. والظاهر أن تاريخ السحر يرجع الى أقدم عصور الخليقة، ذلك ان الذهن الانسانى يتأثر بالظواهر والخوارق الطبيعية منذ أقدم العصور. ويلتمس السبيل لفهمها والاستفادة منها فى تنظيم حياته وسلامته والسحر مبعثه ومظهره الخارق والمجهول. وقد كان للسحر فى المدنيات القديمة فى الصين والهند وفى فارس وبابل ومصر اكبر مقام وأعظم أثر وكان السحرة أصحاب السلطان والنفوذ فى تلك الدول القديمة يوجهون الملوك والأمراء والقادة، ويلجأ هؤلاء اليهم فى العظائم والشدائد والمحن، يستمدون منهم النصح والعون، ويعتمدون عليهم فى تعرف الغامض والخفى واكتشاف المستقبل والمجهول. وكان السحرة فى تلك العصور ينضوون تحت لواء الدين ويمتزج السحر بالاساطير الدينية وكان أقطاب الكهنة هم غالبا أقطاب السحرة. ثم أخذت أهمية السحر تتضاءل على كر العصور باضمحلال هذه المدنيات الغابرة. وفقد السحرة مكانتهم القديمة ولم يلبثوا ان غدوا موضع الريب ثم غدوا موضع الاضطهاد والمطاردة وبذا دالت دولة السحر التى استمرت عصوراً طويلة فى ظل المدنيات والدول القديمة

وكان السحر ذائعاً عند العرب قبل الاسلام. وقد أخذوه عن الفرس والاشوريين والمصريين وغيرهم من الامم القديمة المجاورة التى ازدهر فيها السحر وكان يتخذ لديهم صوراً مختلفة كالعرافة والكهانة ومعرفة أسرار الطلاسم وتسخير القوى الخارقة وكان للسحرة والكهنة مكانتهم ونفوذهم فى مجتمعات الجزيرة فى تلك العصور. فلما جاء الاسلام فقد السحر مكانته كفن

من فنون الخفاء والغيب وقد أشار القرآن الى السحر فى غير موضع ولم ينكره الاسلام كفن أو علم قائم . ولكنه لم يقره ولم يقر وسائله ومزاعمه فى تسخير القوى الخارقة . ويضع ابن خلدون السحر بين العلوم ويعرفه بأنه « علم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات فى عالم العناصر أما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية والاول هو السحر والثانى هو الطلسمات » ويعلل لنا تحريم الاسلام للسحر فى قوله : « لما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر لما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب أو غيره كانت كتبها كالمفقود بين الناس الا ما وجد فى كتب الامم الاقدمين » ثم يفيض ابن خلدون بعد ذلك فى شرح السحر وانواعه ومراتبه فى فصل بديع نكتفى بالاحالة عليه (١)

على أن السحر تطور فى بعض مظاهره القديمة واتخذت هذه المظاهر صوراً علمية مشروعة فمن ذلك التنجيم والفلك وتحويل الاجسام النوعية وقد كانت هذه الفنون من قبل تعتبر من صميم السحر او تمت اليه بأعظم صلة . ولكنها ازدهرت فى الدول الاسلامية كعلوم مشروعة مستقلة ونبغ فيها جمهرة من أكابر العلماء واضحى الفلك بالاخص من أجل العلوم الرياضية وأما تحويل الاجسام النوعية أو صناعة السيمياء ، وهى تقوم بالاخص على تحويل المعادن والاجسام المنحطة الى معدن نفيس كالذهب او الفضة فقد كانت فناجليلا أخذ المسلمون فى ميدانه بأعظم قسط ولاسيما فى الاندلس

وعلى أى حال فقد كان السحر ذائعا فى المجتمعات الاسلامية ولا سيما تلك التى لم تنضج حضارتها . وكان وسيلة ذائعة لمعرفة الغيب أو اكتشاف الكنوز وشفاء الأمراض كما كان وسيلة لتحقيق المزاعم والغايات الشريرة وكان السحر دائما من أعمال الخفاء المحرمة وكان السحرة فى الغالب موضع الروع والريب . بيد أن مطاردة السحر والسحرة لم تتخذ فى ظل الحكومات الاسلامية تلك الصور المروعة التى اتخذتها فى ظل الحكومات النصرانية فى العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث

وقد نبغ فى دراسة السحر واسراره وملاحمه عدة من العلماء المسلمين مثل ابى معشر البلخى وجابر بن حيان من أهل المشرق ومسلمة بن احمد المجريطى من أهل الاندلس . بيد أن هؤلاء كانوا فى الواقع علماء نبغوا فى التنجيم والفلك والسيمياء ووضعوا فيها مصنفات جامعة تمتاز بطابعها العلمى

• • •

وقد رأينا أن السحر فقد مكانته الرفيعة بانقراض المدنيات القديمة التى ازدهر فيها ولكنه

(١) مقدمة ابن خلدون (بولاق) ص ٤١٤ وما بعدها

لبث خلال العصور الوسطى محتفظا بسلطانه القوى على طبقات المجتمع كلها ينفث خفاءه وروعته فى اذهان الكافة والخاصة معا بيد انه يتخذ خلال العصور الوسطى صوره البغيضة ويغدو من القوى الشريرة التي يخشى شرها وبأسها ويغدو السحرة من العناصر الممقوتة التى يخصها المجتمع ببغضه ومطاردته ، ويعتبرها خطراً على أمنه وسلامته وتكثر المطاردات الدموية المروعة التى تثيرها تهمة السحر وتدفع بالسحرة الى أشنع الوان العذاب والموت

وهنا ينعت السحر « بالاسود » والسحر الاسود يرمى الى تحقيق النيات الخبيثة والغايات الشريرة بخلاف السحر الابيض الذى يتعلق باعمال الخير ويرجع ذلك الى الاعتقاد السائد فى العصور الوسطى بأن هناك أرواح خير وأرواح شر . وقوام السحر الاسود كما عرف فى تلك العصور هو التدنيس والتوجه الى الارواح الخبيثة والتوسل الى الشيطان بتدنيس الشعائر الدينية وانتهاك الحرم ويعرف لنا ابن خلدون السحر الاسود بما يماثل هذا المعنى فى قوله : « ورياضة السحر كلها انما تكون بالتوجيه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بانواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهى لذلك وجهة الى غير الله وسجود له . والوجهة الى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفراً والكفر من مواده وأسبابه كما رأيت » (١) وإذن فقد كان الطابع الاسود يغلب على السحر فى المجتمعات الاسلامية بيد أن حركة السحر الاسود التى اجتاحت المجتمعات النصرانية فى العصور الوسطى كانت حركة خاصة تمتاز بروعة وسائلها وغاياتها وكانت حركة منظمة لها دعاة فى معظم الاقطار . وقد ذاعت فى فرنسا فى أوائل القرن الخامس عشر بنوع خاص وتزعمها سيد وقائد كبير هو الماريشال دى رتز الذى ارتد عن دينه وحاول أن يتوسل الى محالفة الشيطان باروع الوسائل كتعذيب الاطفال وقتلهم قربانا وتدنيس الشعائر الدينية واقامة القداس الاسود وارتكاب أشنع الحرم وقد اشتدت الكنيسة فى مطاردة هذه الحركة وحوكم الماريشال واعدم ولكن الحركة لم تخمد بسرعة بل لبثت زهاء قرن تجتاح المجتمعات الاوربية وتفتك مبادئها ورسومها الخبيثة بعقول الكافة والخاصة معاً

وفى أوائل القرن السادس عشر هبت على المجتمعات الاوربية ريح شاملة من الدعوة الى الخفاء وظهر السحرة فى كل مكان وذاعت مزاعمهم ووسائلهم ذيوعا كبيراً ونشطت السلطات الدينية والمدنية فى مختلف الدول لمطاردتهم . وكان السحر يعتبر فى ذلك العصر جريمة شنيعة يعاقب عليها بأروع العقوبات بالتعذيب والاعدام والحرق والمصادرة . ومما يروى للدلالة على اشتداد السلطات فى مطاردة هذه الحركة الخطيرة . أنه أحرق فى مدينة جنيف سنة ١٥١٥ خمسمائة ساحر واحرق فى بامبرج ستمائة وفى فورتمبورج ثمانمائة . وقضى برلمان تولوز باحراق اربعمائة فى حكم واحد . ويقدر جان بودان مؤرخ السحر بان عدد السحرة فى ذلك العصر كان يبلغ زهاء مليونين

(١) المقدمة ص ٤١٥

ونلاحظ أن « السحر الاسود » كان أيضاً موضع الريب والمطاردة فى المجتمعات الاسلامية. وكان يعاقب عليه غالباً بالقتل لانه كان يعتبر بوسائله وغاياته كفراً وردة عقابهما القتل

والظاهر ان هذه الحركة لم تكن حركة عرضية مبعثها شغف الخفاء فقط وانما كانت حركة منظمة ترعاها من وراء ستار شخصيات وقوى خفية ، وترمى الى غايات بعيدة المدى. ويرى بعض الباحثين ان مبعثها تعاليم « الكابالا » اليهودية وهى التعاليم العبرية فى شؤون الخفاء ومدارك الغيب ، وانها كانت ترمى الى تحطيم العقائد النصرانية ، وان هذه غاية قديمة تعمل لها اليهودية بكل ماوسعت ، ويستدلون على ذلك بأن اليهود كانوا أقطاب السحر فى العصور الوسطى ، وان التعاليم اليهودية هى التى كانت تغذى حركة السحر والخفاء ،وفى القرن السادس عشر استطاع العلامة اليهودى اسحاق لوريا ان يصوغ من التعاليم الكابالية منهاجا عمليا لدراسة السحر والاتصال بعالم الغيب وشعوذة الارقام والملاحم ،وكانت تهمة السحر الاسود تنسب دائما الى اليهود فى تلك العصور ، بل مازالت تنسب اليهم فى عصرنا فى بعض المجتمعات الاوربية المتعصبة

وفى أواخر القرن السادس عشر هدأت حركة السحر الاسود نوعا واستحالت الى مغامرات فردية . وكان لمحاكم التحقيق الشهيرة (التفتيش) فضل كبير فى مطاردة هذه الحركة وتمزيقها لان السحر كان يعتبر كفراً يعاقب عليه بأروع صنوف العقاب . وفى القرن السابع عشر نشطت الحركة مدى حين فى فرنسا فى عهد لويس الرابع عشر وانتهت بقضايا السحرة الشهيرة التى لحقت وصمتها عدة من السادة والاكابر ، ولبثت تبدو بعد ذلك فى حركات متقطعة فى بعض أرجاء القارة حتى جاء عصر النور والعرفان فقضى على فلولها وبقاياها

بيد أن شغف السحر لم ينفق تماما حتى فى عصرنا فما زالت الاذهان الساذجة وبعض النفوس المكلومة أو اليائسة حتى فى أرقى البيئات والمجتمعات تلتجىء الى السحر وتلتمس فيه عزاء وبرءا واكتشافا للغيب والمجهول وما زلنا نرى صنوفا من اعمال الخفاء والشعوذة تقوم غالبا على الخديعة والغش واحيانا على ظواهر يعسر فهمها . وما زال الخفاء بما فيه من روعة وشغف بالخارق والمجهول يستثير طلعة الكافة دائما والخاصة فى كثير من الاحيان

محمد عبد الله عنان



أقدم مخطوط تاريخي
عن الفتوحات العربية في آسيا الوسطى

بقلم العلامة كراتشكوفسكي وقرينته السيدة فيرا

في صيف سنة ١٩٣٣ عثر في أطلال قلعة موغ عند مصب جدول كوم في آسيا الوسطى على عدة وثائق عربية بينها مخطوط من جلد نخره السوس . وبعد جهد طويل أمكن العلامة كراتشكوفسكي هو وقرينته أن يجلاه ويثبتا تاريخه وعلاقته بالفتوحات العربية . وقد احتفل المستشرقون الروس وغيرهم أخيراً بتكريمه لمرور ثلاثين سنة على خدماته العظيمة للغة العربية وتاريخها وآدابها ، فرأينا نشر هذا المقال . وهو تلخيص لما كتبه عن هذا المخطوط هو وقرينته السيدة كراتشكوفسكي العالمة الشهيرة بحل الخطوط القديمة

ان من أهم العوامل التى ساعدت فى درس هذا المخطوط أسماء الاعلام المذكورة فيه . فقبل وصول المخطوط الينا أخبرنى من رآه بانه قد ذكر فيه اسم طرخون . فهذا الاسم كان سببا فى توجيه الفكر الى تاريخ فتوحات العرب فى آسيا الوسطى اذ كان الملك السغدى طرخون هو الذى عقد الصلح مع أمير العرب قتيبة سنة ٩٠ الهجرية (٧٠٨ ـ ٧٠٩)

ولما وصلنا المخطوط وجدنا كلمة ابى طرخون بدل ابن طرخون. فلم ندر فى بادىء الامر أنأخذه باء المثنى أو ضمير المتكلم . إلا أن تكرار ضمير المثنى فى الوثيقة جعلنا نعتقد أن الياء هي ضمير المثنى أيضا . على أن هذا الاسم وحده لم يكن كافيا لتحديد تاريخ المخطوط ومكانه ، فعاوننا على ذلك وجود اسم آخر هو « ديواستى » ، وهـذا الاسم مذكور فى الوثائق السغدية . ومنها يفهم أن ـ ديواستى ـ كان يتناول ويرسل جميع الرسائل الموجودة ، اذ كان معاصراً للملك طرخون ، أما تحديد زمان هذا المخطوط ، فقد ساعدنا عليه اسم ثالث هو جراح وهو اسم نادر عند العرب ونظراً لعبث السوس فى المخطوط ، لم نتمكن من حل كنية الجراح الا بعد درس دقيق للمصادر التاريخية التى دلت على أن عامل خراسان اذ ذاك كان الجراح بن عبد الله الذى جعله الخليفة عمر بن عبد العزيز عاملا على مقاطعة خراسان وحكم هذا الخليفة من سنة ٩٩ ـ ١٠١ هـ (٧١٧ ـ ٧٢٠ م) وقد تمكنا من تعيين تاريخ المخطوط بالتدقيق عندما علمنا بان الجراح قد عزل فى شهر رمضان سنة ١٠٠ الهجرية فيكون زمن اقامة الجراح عاملا على خراسان سنة وخمسة أشهر فقط حين أرسل اليـه بهذه الرسالة . ولهذا يمكن حصر تاريخ المخطوط فى سنة واحدة أعنى فى سـنة ٩٩ ـ ١٠٠ (لا بعد شهر نيسان

سنة ٧١٩ ولا قبل ابتداء سنة ٧١٨) وبفضل تحديد التاريخ والبيئة تمكنا من حل الاسم الرابع المذكور في الرق . ويظهر أن هذا الاسم قد ادخل في الرسالة على عجل وقد نخره السوس حتى أصبح من الصعب قراءته . واذا تمكنا من قراءة اسم سليمان فاننا لم تمكن من قراءة الكنية إلا بمساعدة المصادر التاريخية التي حفظت لحسن الحظ اسم سليمان بن السارى وكيل بيت المال في سمرقند في زمن الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز الذى كانت له علاقة بديواشتى كاتب هذه الرسالة بعد عدة سنوات

ولعل في الرسالة غير هذه الاسماء الأربعة . اذ ان في آخر الرسالة كلمة « أهل » فلا أدرى أهي بمعنى « الرهط » أم « السكان » . الا انه لم يبق بعد كلمة أهل إلا ط مسبوقة على مايظهر بالميم . ولا يمكننا أن نجزم بأن هذه الكلمة اسم علم أو موصوف كما انه لا يوجد في الاماكن المنخورة غير هذه الاسماء التي ذكرناها . على أن نص الرسالة يسمح لنا ان نستغنى عنها . وعبثاً حاولنا قراءة بعض كلمات قد خفيت تماماً

وقد يكون من المهم عند تحليل الوثائق عامة درس المصادر المعاصرة لها إلا أنه — وا أسفاه — ليس لوثيقتنا هذه مصدر تاريخي معاصر ، كما يظهر من تحليل الخط . على أن توحيد نظام الدواوين والادارة في القرن الأول للهجرة في جميع نواحي الخلافة ، هيأ مصدراً لرسالتنا هذه . وهو المصدر الوحيد المحفوظ من أول عهد الخلافة ، أعنى به البابيروس العربي في مصر . والذى له علاقة بخدمة العامل قره بن شريك في سنة ٩٠ — ٩٦ هـ وهو وان تناول عهداً قريباً من عهد رسالتنا ، إلا أنه لم يساعدنا على تحليل عبارات التحية والسلام المستعملة عادة في ذلك العهد ، والتي لا قيمة لها في درس المخطوط وخلاصة الوثائق التاريخية

واننا لا نعد تحليل هذا المخطوط نهائياً لصعوبة تحليله نظراً لتلفه ، ولربما وفق غيرنا من المدققين الى ما لم نقدر عليه

أن اسماء الاعلام الموجودة في الرسالة ساعدت على تحليل المناسبات التاريخية أيضاً . فاذا اهملنا الاسم الخامس المفروض أصبنا من الناحية العربية اسمين ومن السغدية اسمين

وأكثر المعلومات التاريخية الموجودة لدينا هي عن الامير الجراح بن عبد الله الذى كان من مشاهير القواد ، والذى تولى عدة مناصب ادارية أكثرها في الاقاليم التي على الحدود

وكان قد اتفق أنه عين عاملا على خراسان بعد موت قتيبة بن مسلم حيث اضطر العرب الى التقهقر في فتوحاتهم أحيانا ، فتمكن من المحافظة على المناطق المفتوحة بل أراد أن يوسع نطاق نفوذ العرب إلى نهر سيحون فلم ينجح . وأما أسباب الخلاف الذى نشب بينه وبين الخليفة فكانت داخلية سياسية يدل عليها ما تبادلوه من الرسائل

ومما يدلنا على روح سياسته علاقته مع شخص آخر هو سليمان بن أبى السرى المذكور في

الرسالة . وقد كان هذا مولى من قبيلة عوفة . والارجح انه ليس عربي الاصل بل من أهالي البلاد ، ولا سيما اذا عددناه من أقرباء ابي السري من مروه

ونجده في سمرقند في سنة ١٠١ هـ في وظيفة مبهمة ، الا أنها ذات شأن ، اذ يرسل له الخليفة تعليمات مفصلة عن تنظيم الخانات والبريد

وقد عين سليمان في سنة ١٠٢ هـ وكيلا لجمع الخراج في بلاد السغد ، وعهد اليه العامل الجديد سعيد الحرشي في سنة ١٠٤ هـ في أن يحاصر بعض قصور السغد . وعند المحاصرة وقع صاحب هذه الرسالة ديواستي أسيراً في يده كما نرى فيما بعد . وقد عين سليمان بعد ذلك بقليـــل أميراً لمقاطعتي قش ونسف . وقد ذكره الطبري وكيلا للخراج آخر مرة سنة ١١٠ هـ

أما كلمة طرخون فكانت تستعمل لاسماء الاعلام فقط . واسم طرخون اعجمي في لغة السغد كما يظهر . وبطلنا طرخون هذا أبلى بلاء حسنا في تاريخ فتوحات العرب في آسيا الصغرى . فتسميه العرب تارة ملك السغد ، وطوراً ملك سمرقند . أما المصادر الصينية فتدل على انه برز إلى الميدان بعد سنة ٦٩٦ . وقاتل كتيبة سنة ٨٨ هـ عند فتح بخارى . أما المفاوضة لعقد العهد فيجب أن تنسب لسنة ٩٠ هـ حسب شهادة الطبرى . ولقد كانت هذه المعاهدة سبباً لهلاكه ، وبيان ذلك أن قتيبة كان قد أرسل أخاه عبد الرحمن الى سمرقند بعد ابرام المعاهدة بسنة لقبض الجزية . فبعد أن قبضها قام أعوان طرخون عليه فقتلوه . وقال اليعقوبى ان خلفته « غورك » قتله . وغورك هذا لعب أيضاً دوراً لا تقل أهميته عن دور طرخون

وأما ديواستي فلم نتمكن من معرفة شيء عنه ، وجل ما وصلنا اليه أنه كان يسمي نفسه « مولى » كما في الرسالة ، وهذا يدل على انه كان يعترف بسيادة العرب . أما المدائني فيسميه في الغالب دهقانا أو دهقان سمرقند وقيل له أيضاً « ملك الابغر » المجهول . فهذا يدل على أن ديواستي لم يكن دهقانا عاديا بل اقطاعيا كبيراً . ثم ان الوثائق السغدية والمصادر العربية تشير الى انه كان لديواستي لقب شبيه بلقب غورك ، مما يجعلنا نفرض أنه كان في بلاد السغد ملكان في وقت واحد . وهذا أمر صعب جداً . الا أننا نرجو أن نجد حلا مرضياً لهذا الامر بعد تحليل كل الوثائق السغدية

والحوادث التي لها علاقة بذكر ديواستي في المصدر العربي كانت قبل موته مباشرة وبعد كتابة هذه الرسالة بثلاث سنوات

لقد تمكن الجراح أن يضمن في آسيا الوسطى سيادة العرب زمناً معلوماً إلا أنه اضر بمكانتهم تعدد العمال بعد قتيبة . لذلك اضطر العرب ان يستعملوا القسوة فعينوا سعيد الاحرش الامير المشهور بعنفه وبمحاربة الخوارج فقام بحملات تأديبية على السغديين . فتحصن في قصر الابغر مع أهل بنجكنته ومضى ربيع سنة ٧٢٢ في قمع الثورات ولكن سليمان حاصر ديواستي ، وحمله على

الاسلام ضامنا له الامان ، فلما أسلم واستسلم قتله سعيد الحرشي . وأرسل رأسه إلى العراق للعامل عمر بن خبيرة . أما يده اليسرى فارسلها الى سليمان ابن السرى . وعزل سعيد فى السنة نفسها

ولموقع القصر أهمية كبيرة فى تفسير هذه الرسالة ويحتمل أن يكون هذا القصر وقصر مبمرغ الذى بقربه مقرىملوك السغد قديما، كما تثبت ذلك شهادة المدائنى، اذ يقول ان جيش ديواستى توجه من بنجكنته الى الابغر . غير انه من الغريب أن يتوجه ديواستى إلى الغرب لملاقاة العرب فى الوقت الذى يهاجر فيه أكثر السغديين الى الشرق . وعليه فليس لدينا دليل لمتابعة المؤلف فى ادعائه ان هذا القصر هو الابغر . غير ان القصر الذى فحصته البعثة والذى وجدت فيه اللقيا موقعه الى الشرق من بنجكنته . ومن الادلة القاطعة على ذلك أن موقع هذا القصر عند مصب جدول كوم فى نهر زروشان . والجدول متصل بقرية كوم وعندها وقع القتال

وبعدما انجلت لنا حقيقة الادوار التى قام بها أشخاص الرسالة فان النص لا يحتاج الى تعليقات طويلة بل الى بعض التدقيق :

أول العبارة فى الرسالة « باسم الله » وهى تدل على أن ديواستى يعترف بأنه مسلم ولدينا أدلة على علاقة هذا الامر بسياسة عمر بن عبد العزيز الذى عرض الاسلام فى أول عهد خلافته على كل ممثلى البيوت المالكة التى على الحدود . فلقى عرضه هذا نجاحا فى آسيا الوسطى فضلا عن الهند ولربما كان هذا خطوة سياسية أو على الأصح ديبلوماسية . فغورك أعلن اسلامه وأرسل بعثته الى عمر بن عبد العزيز يؤكد له نياته السليمة . ومما يستحق الذكر أن غورك هذا أرسل فى السنة ذاتها خطابه المعروف الى ملك الصين للثورة على الاسلام . وهذا يدل على أن اسلام غورك لم يكن إلا لغاية سياسية . أما اسلام آسيا الوسطى الحقيقى فقد تم فى عهد الخليفة المعتصم بعد مئة سنة ونيف ولاشك أن ديواستى كان مسلماً سياسة وقد كان فى ديوانه كاتب مطلع على أساليب الكتابة الاسلامية فيرتبها حسب اللازم . ومما يدل على طول باعه فى ذلك عبارته « احمد اليك الله » ففى البابيروس الرسمى لا نجد كلمة اليك لأن البابيروس بخلاف رسالتنا هذه كان يوجه الى حكام سياسيين نصارى . غير أن هذه الرسالة المكتوبة بالعربية لا تدل على أن اللغة العربية كانت اذ ذاك منتشرة رسمياً فى خراسان فنحن نعلم من كلام الجهشيارى انهم كانوا يستعملون الفارسية أو بالاحرى الفهلوية

ويسمى ديواستى نفسه « مولى » الامير وكانت هذه الكلمة تعنى زمن الخلافة الاعاجم أو العبيد الذين كانوا فى ذمة قبيلة او أحد من العرب وكان عددهم كبيراً جداً وازداد بفتوحات العرب فى المقاطعات التى كانت على الحدود خاصة وقد بين المستشرقون — وفيهم غولدزيهر وولهاوزن وجب — كيف كان للموالى شأن عظيم فى تيسير فتوحات العرب اذا تشيعوا لهم . ولم يكن لقب « مولى » محتقراً فى ذلك العهد . ولما استعمله ديواستى فى رسالته أراد أن يدل على انه حليف العرب

أما كلمة « بريد » في الرسالة فهي عادية اذ أن البريد كان معروفا على زمن الامويين . وكان تأسيسه وتنظيمه يجريان حسب سير الفتوحات العربية . وقد أبدى عمر اهتماماً عظيماً لتوطيد البريد وتحسينه ودليل ذلك ما كتبه الى سليمان المذكور في الرسالة في سمرقند وهذا ما يحملنا نفرض ان البريد نظم نهائياً في بلاد السغديين حوالي ذلك الزمن . ولاندري أبعثت الرسالة أم لا فان بعثت فما معنى بقائها في أوراق الكاتب ، وفحص الرسالة يدل على انها كانت قد أعدت للارسال فما هي بصورة للاصل ولعل ديواستي علم بعد كتابتها بعزل الجراح فعدل عن ارسالها

وقد كان اخضاع بلاد السغد على يد قتيبة بعدما اخضع سمرقند سنة ٩٣ هـ (٧١١ — ٧١٢) ولم يكن هذا الاخضاع نهائياً اذ اضطر العرب أن يبقوا جيشاً كبيراً مرابطاً في سمرقند وكش والمخافر التي كانت تمتد اذ ذاك الى بخارى . وقد أوقف موت قتيبة فتوحات العرب ربع جيل تقريباً . بل نرى ان العرب كانوا يجنحون أحياناً الى التقهقر . ولم تحل مسألة السيادة في آسيا الوسطى اهي للشرق أم للغرب اهي للصين أم للعرب ولم تحلها البيوت المالكة المحلية التي بقيت مترددة . فاذا كان عهد طرخون المناصر للعرب قصيرا . فعهد غورك الطويل يصور لنا ذلك التردد السائد اذ ذاك بين الاشراف . كذلك سياسة ديواستي لم تكن ثابتة وان اعترف بسيادة العرب سنة ١٠٠ هـ ذلك انه قطع العلاقة معهم سنة ١٠٣ . فرسالتنا هذه تصور لنا جليا ذلك العهد العصيب في تاريخ آسيا الوسطى بعد أربع سنوات من وفاة قتيبة ويمكن الاعتماد عليها اكثر من المصادر الاخبارية

ولم تنحصر أهمية الرسالة في هذا بل لها أهمية منطقية :

ان المصادر التاريخية العربية عن الفتوحات في آسيا الوسطى كثيرة وقد درسها علماء كثيرون مشهورون بطرق مختلفة مستقلين عن بعضهم كالعلامة بارتولد وولهاوزن . وللعلامة جب تأليف خاص عن عهد الفتوحات ولقد رتب كل المصادر المعلومة عن هذا العهد العلامة كايتاني بطريقة دانية القطوف . وتجمع هؤلاء العلماء المذكورين ماعدا كايتاني صفة واحدة وهي الشك في صحة ما ترويه المصادر التاريخية العربية وخصوصاً تاريخ الطبري الذي يستند اجمالا الى المدائني

الا أن رسالتنا هذه تجعلنا نسلم بصحة المصادر الروائية بمقدار وتثبت لنا رواية المدائني عن ديواستي وحسبنا أن نقول انه يذكر اسم ديواستي هكذا — « ديواستش » بصيغته السغدية كما تذكرها الوثائق السغدية التي عثروا عليها . وحسبنا أن نزيد أن اسم قرية كوم التي التقى فيها العرب بديواستي حفظ لنا اسم القرية والنهر لوم للآن حيث وجدت هذه الوثائق . وهكذا تحملنا الرسالة ان لا نبالغ في الارتياب من صحة المصادر التاريخية العربية

ثم ان لهذه الرسالة اهمية أخرى تلحق بالخطوط العربية اذ ان خط الرسالة فريد في نوعه

لنينغراد في ٣ اذار سنة ١٩٣٦ (ترجمة) كلثوم عودة

فاسيليفا

حكمة القلب

صدقَ الحبُّ الذى ألقاكَ في　　　ناظرِى سحرًا وفي قلبي غليلا
لا يروغ الطبعُ عما يصطفى　　　ولو استطاع الى الخلد وصولا
لا تغالطْ حكمةَ القلبِ الوفي　　　إنَّ رأىَ العقلِ لم يُغن فتيلا
أنا مغلوبٌ على أمرى فما　　　لىَ بالسخط وبالعتب يدانِ
ويكَ لو خُيِّرتُ فى محياي ما　　　فرَّ منى يوم أحببتُ جنانى
يا خليًّا لاهيًا عما جَنى　　　صرعتْ خمرةُ عينيكَ الوقارْ
طرفك الوسنان أهدانى الضنى　　　وربى الجفنانِ قلبي بانكسار
بأبي أنت مسيئاً محسناً　　　فتصرفْ قد ملكتَ الاختيار
واجعلِ الكونَ بعينى حُلماً　　　أتمتعْ بأمانيَّ الحسانِ
فأرَى في ثوبك الدنيا كما　　　أجتلى فى الشكل مرآةَ المعانى
أى سرٍ يا منى النفس لديكْ　　　لم يدعْ للروح عنه مذهبا
لا أرى لى وجهةً إلا إليكْ　　　سائلِ الأقدارَ من ذا اوجبا
هو شيءٌ كامنٌ فى ناظريكْ　　　سدل الغيبُ عليه حُجُبا
في مَدَى حسنكَ لما نجما　　　حار معقولى ولم يجر لسانى
بالله من ظالمٍ قد هزما　　　بصيال الليثِ ذا قلبٍ جبانِ
برئتْ من كل نقصٍ حكمةٌ　　　أنبتتْ حسنكَ في عينى ربيعا
لك فى المكر بنا معرفةٌ　　　توقظُ الجرحَ وتأسوه سريعا
أيها العابث زدنى ألما　　　إننى استعذبتُ في الحب هوانى
كلما عزَّ دوائى بسما　　　ثغرك الفتّانُ عطفاً فشفانى

حمص

رفيق فاخوري

من أوراق البردى

سنوهى

قصة مصرية كتبت منذ ٣٨٠٠ سنة

هى قصة بطل مصري قديم يدعى « سنوهى » من رجال بلاط الملك امنمحت الاول ، وقد ضرب المثل فى الوفاء وحب الوطن ، وفر من مصر هاربا من وجه الثورة بعد وفاته فاستبدل أهلا بأهل ووطناً بوطن . واغتنى وأثرى ، وارتقى الى المناصب العالية حتى جعله ملك الرومان الجديد قائد جيوشه . ولكن وفاءه حفزه للعودة الى وطنه مصر فضحى بما كان فيه من هناء ونعيم ورجع الى بلاده . وهذه القصة مكتوبة على ورق البردي بقلم هذا البطل نفسه . وقد وضعنا تفسيراً بين قوسين لبعض العبارات التى وردت فيها والتزمنا الترجمة الحرفية

« فى السنة الثلاثين ، فى اليوم التاسع ، من الشهر الثالث للفيضان (هاتور) ، دخل الملك « امنمحت » افقه (أى مات وهو « امنمحت الأول » مؤسس الاسرة الثانية عشرة) وصعدت روحه الى السماء واقترنت هناك بالشمس . وامتزجت بروح خالقها (فى عقيدة القدماء أن الروح تسبح بعد موت الشخص فى السماء . فان كان صاحبها ملكا فتمتزج بالشمس « الاله رع » وتصبح ثانيا قطعة منها بعد أن انفصلت عنها لانهم يحسبون الملوك من سلالة الشمس) وقد صمت الكون ، وامتلأت القلوب حزنا ، وأغلق البابان العظيمان (فى القصر الملكى) وجلس رجال البلاط ورءوسهم منكسة على ركبهم وعم الناس الأسى

« وكان جلالته قد أرسل جيشا الى أرض « تيميحو » (قبيلة من البدو كانت فى غرب الدلتا) يقوده ولده الأكبر « سيزوستريس الأول » وكان فى طريق العودة غانما بالاسرى من أهل « تيحينو » (قبيلة أخرى من البدو اللوبيين) ، وجميع انواع الماشية التى يخطئها العد

« وأرسل رجال القصر الملكى الى الحدود الغربية من يخبر ابن الملك بالحادث المشئوم الذى وقع . فقابله الرسول فى الطريق ، وكان الوقت مساء فلم يتلكأ لحظة واحدة . بل كر الصقر (أى الملك الجديد سيزوستريس) طائراً بخدمه ، ولم يذع الخبر بين جنده . غير أن رسالة أخرى كانت قد وصلت الى أولاد الملك (أشقاء سيزوستريس) الذين كانوا معه فى الجيش . وقد دعى أحدهم لتولى الملك دون أخيه الاكبر . وأقول انى سمعت صوته وهو يجاهر بذلك اذ كنت قريبا منه

« وعند ذلك اضطرب قلبي وخارت قواى وارتعدت فرائصى فأسرعت فى العدو ابحث عن مخبأ ، حتى جعلت نفسى بين شجيرتين لأخلى الطريق لمن يبحث عنى

« ووجهت نفسى شطر الجنوب ، لا بقصد الذهاب الى القصر ، اذ كنت أحسب حسابا للثورة التى ستنشب . وكنت أخشى على حياتى من الضياع . وعبرت مياه « معانى » قريبا من الجميز ووصلت الى جزيرة سنفرو ، وثويت هناك فى بقعة من الارض ، وقمت منها مبكراً . فلما كان الصباح قابلت رجلا اعترض طريقى ، فارتجف منى وخاف . وجاء وقت طعام المساء ، فقصدت « مدينة الثور » (مكان غير معروف لنا والظاهر أن « سنوهى » اتخذ من هروبه هذا طريق الصحراء الغربية متجها الى مكان مدينة القاهرة الآن) . فعبرت على صندل لم يكن به دفة ولكن الريح الغربية ساعدت فى دفعه الى الشرق حتى وصلت المحجر فى بقعة « سيدة الجبل الاحمر » (أما السيدة فيقصد بها المعبودة التى كانت تعبد هناك . وأما الجبل الاحمر فهو لا يزال فى شرق القاهرة معروفا بهذا الاسم الى اليوم) ثم اتخذت طريقى الى الشمال حتى وصلت « سور الأمير » الذى أعد لصد الاسيويين . ولبثت مختبئاً فى الحشائش خشية أن يرانى الخفير الذى يحرس السور

« وتابعت السير فى المساء ، فوصلت وقت الفجر الى بين وحططت فى جزيرة « قم ور » (فى بحيرة التمساح . وهى على مقربة قرية تعرف الآن بالمغفر) واذا بى أسقط هناك من الظمأ . وقد كدت أختنق حتى قلت لنفسى : « هذا مذاق الموت » . ثم شددت على قلبى ، وتمالكت نفسى ، إذ سمعت صوت أجراس الماشية وأصوات البدو ، فعرفنى الشيخ الذى بينهم وقدم الى ماء وغلى لى لبنا . وذهبت معه الى قبيلته فأكرموا مثواى

« وأسلمتنى الارض الى الارض ، حتى انتهى بى الترحال من « بيبلوس » الى قرب « قديمى » (شمال بيروت) فمكثت هناك نصف عام . وعندئذ أخذنى « نشى بن عامو » أمير ريتينو العليا (سوريا) وقال لى : « انك ستنتفع عندى إذ تعرف اللغة المصرية » . قال ذلك اذ علم من المصريين القاطنين معه شمائلى وحكمتى

« ثم قال لى : « ما الذى أتى بك الى هنا ؟ هل وقع فى بلادك حادث ؟ » فأجبته : « إن الملك « سحتب ايب رع » (هو الاسم الملكى لأمنمحعت الأول) قد مات ولا يدرى أحد ماذا تم بعد موته » . ثم قلت ثانيا مضللا : « انى أتيت من بعثة فى بلاد « تيمحيو » وقد بلغتنى وشاية جعلت قلبى يرتجف ، حتى خيل إلى انه قد فارق جسدى ، فحملنى بعيداً الى هذه الطريق القفر . ومع ذلك فما وشى أحد بى . ولا ذر أحد فى وجهى . ولم أسمع كلمة تشيننى . ولم يسمع اسمى فى فم الجلاد . وانا لا أدرى ما الذى قذف بى الى هذه الارض ، ولكنها ارادة الله » . عندئذ قال لى : « كيف تعيش بغير ذلك الملك الطيب الذى صار الخوف منه يدب فى جميع الارض ، كما تخيف « سخمت » (إلاهة لها رأس أسد) فى سنة الطاعون »

« فقلت مجيبا له : « لأن ابنه قد دخل الى القصر ، وورث مكان أبيه ، وقد أصبح الملك الذى لانظير له، والذى لايعلو عليه أحد ، رب الكفاءة ، السديد الرأى ، المصيب فى اسداء الاوامر »

وقد أفاض « سنوهى » فى ذكر الملك الجديد والتمدح بسيرته وعمله وقدرته

وبعد ان ختم مدحه بالتنويه الى أن ذلك الملك المصرى قد خلق ليسحق البدو ، ومنهم محدثه ، استطرد يقول لمحدثه :

« أرسل اليه ، أأجعله يعلم اسمك . لا تعب فى حق جلالته . انه لا يألو جهداً لأن يراعى أرضا تتحالف معه »

« عندئذ قال لى : « وحقا ان مصر لسعيدة لأن ملكها يتقدم بها . ولكن أنظر انك هنا ، وستسكن معى ، وانى سأعاملك بالخير »

« وقد جعلنى رئيساً على أولاده ، وزوجنى من كبرى بناته . وخيرنى فيما أرغب فيه من مملكته فاخترت أحسن البقع ، أرضاً عظيمة تدعى « ميعا » تقع بقرب حدود المملكة المجاورة له . وجعلنى حاكما على قبيلة من خير قبائل مملكته . وكان الخبز يصنع لى لطعام يومى والخمر لشرابى ، واللحم المطبوخ ، والطير المشوى . عدا ما كان يجلب من صيد الصحراء ، مما كان الرجال يصطادونه ويضعونه أمامى . عدا حاجة كلابى . وكان اللبن يجهز لى بمختلف الانواع

« قضيت فى ذلك سنين طويلة . وكبر أولادى ، وأصبحوا رجالا أقوياء . صار لكل واحد منهم قبيلة خاصة يرأسها ، وكانت الرسل التى تذهب شمالا وجنوبا من الوطن ، واليه تنزل عندى . فأعطيت الماء للظمآن وأرشدت الضال الى السبيل وانجدت المغتصب من قاطع الطريق . وعندما كان البدو يبدءون بالتمرد ، ويقاومون رؤساء الارض ، كنت أحبط حركاتهم . وقد جعلنى أمير « ريتينو » قائداً لجيشه مدة من السنين وكان الأمير يقدرنى ، ويحبنى ، وكان يتحدث بشجاعتى

« وجاء من « ريتينو » رجل قوى طلب أن يبارزنى فى معسكرى وكان بطلا لا يضارع ، أخضع أهل « ريتينو » جميعاً ، وتحدانى للنزال . وقد عزم أن يسلبنى . وتآمر مع رجال قبيلته على اغتصاب ماشيتى . فتحدث الامير معى . واجبته بانى لا أعرف هذا الشخص ، وأصدقك انه لا صلة لى به . حقا اننى كعجل الماشية الغريب فى القطيع يهاجمه صغير ثيران الابقار . ويقاومه العجل ذو القرون الطويلة . انى أجنبى غريب مبغوض هنا . وحالى كحال البدو فى الدلتا (وكان البدو مبغوضين فى مصر على الاطلاق ، حتى ان المصريين أحيانا يدعونهم بالكلاب الضالة . وتحديد « سنوهى » مكانهم بالدلتا لانهم كانوا يشغلون جزءاً كبيرا فى غرب مديرية البحيرة وشرق قناة السويس) أما اذا كان هذا الرجل عجلا ويعشق القتال ، فانى انا الآخر عجل قاتل . انا لا اخافه فأترضاه

« ووترت قوسى فى المساء ، وأرهفت سهامى ، وجهزت خنجرى ، ونظفت أسلحتى . وعند

الفجر أقبل الرجل. وكان قد استدعى جميع أتباعه، وجمع نصف القبائل، كأنهم تواطئوا على هذا القتال. تحرقت القلوب من أجلى، وتهامست زوجات الرجال، وكان كل قلب يتأوه بسببى، قائلين: «أليس هناك من الأبطال من ينازله غيرى؟»

«عندئذ كان ترسه وفأسه والاسهم ملء ذراعه. فلما جرد أسلحته خيبت سهامه. فكانت تمر الى جانبى طائشة وعندما اقتربنا هم بى، فأصبته. ورشقت سهمى فى عنقه فصرخ، وسقط على أنفه. وقد طرحته على الارض بفأسه. ورفعت وأنا فوق ظهره صوتى بالانتصار. فجلجل كل أسيوى. ودعوت أنا للاله «منتو» (إله الحرب عند المصريين القدماء) واجتمع أتباعه يبكونه. واذا بالأمير «نننى بن عامو» يضمنى الى صدره

«وأخيراً استوليت على أملاكه وغنمت ماشيته. وما كان يضمره لى قد فعلته به. أخذت كل ما كان فى خيمته واغتصبت معسكره. ومن ثم صرت عظيماً، واسع الغنى كثير القطعان»

وبعد أن ختم «سنوهى» قصة انتصاره على ذلك العدو، انتقل فجأة لى التعبير عن لوعة فى نفسه يخفيها، ويبوح بسر يعذب ضميره. فكتب هذا الشعر، الذى كله رمز وضع بمهارة فائقة:

«لقد فر هارب مرة لسبب
«والآن أمرى ذاع فى الوطن
«ومرة قد تخاذل بسبب الجوع
«والآن انا أعطى الخبز لجارى
«ومرة هجر رجل وطنه من أجل العرى
«والآن أنا أزهو فى ملابس الكتان
«ومرة احتاج رجل الى رسول، فاندفع هو نفسه
«والآن يتوفر لدى الخدم
«بيتى جميل ومسكنى متسع
«وأنا فى القصر مذكور»

واستطرد يقول نثراً:

«آه ياالهى. كائناً من تكون. يامن هيأت هذا المهرب. كن بى رحيماً. وأعدنى الى وطنى، ربما كنت تعذبنى، لأرى المكان الذى يسكن فيه قلبى. أى أمر أعظم من أن يدفن جسدى فى الأرض التى ولدت فيها. أقدم الى معونتى، لعل الخير يحصل لى. لعل الاله يمنحنى الرحمة. لكى يجعل الخاتمة حسنة لذلك الذى طالت حسرته. وأن يعطف قلبه على ذلك الذى أرغمه على العيش خارج وطنه. هل الاله بالعدل يواسى اليوم؟ اذن هل يصغى الى صلاة شخص بعيد؟

«آه. ليت ملك مصر يشفق على. حتى أعيش بعطفه. هل تسمح لى سيدة الأرض (الملكة)

التى هى فى قصره أن أسألها ما رغبتها ؟ هل أسمع طلبات أطفالها

« آه . ياليت جسمي يعود صغيراً . إذ الآن حل بى الكبر ، وتملكنى الضعف . عيناى ثقيلتان . ذراعاى ضعيفتان . وساقاى قد بطلت حركاتهما . قلبى متعب . والموت يقترب منى . هل يأخذوننى الى مدائن الابدية ؟ (أى مقابر مصر) هل تنعم على بالأبدية ؟ (أى تبنى له قبراً بجوار قبرها . وسيدته هذه هى الملكة « نفرو »)

« الآن قد بلغ جلالة الملك - خبر هذه الحال التى أنا فيها (ولم يصرح صاحب هذه القصة « سنوهى » بحقيقة هذا الرسول الذى يقوم بوصل ما بينه وبين مصر ، ولم ينوه باسمه أيضاً) وقد أرسل الملك الى بالهدايا الملكية لكى يسر بها قلب ذلك الخادم الماثل هنا حيث أصبح أمير بلد اجنبى »

وهنا ذكر « سنوهى » الأمر الملكى الذى صدر بشأنه ، جاعلا عنوانه :

« صورة من الامر الملكى الذى أرسل الى الخادم الماثل هناك بشأن عودته الى مصر » واستهله هكذا :

« حوريس (اله القوة عندهم) حياة المواليد الاهنا التاج ، حياة المواليد ملك مصر العليا والسفلى خوبر كارع بن الشمس سنوسترس الحى الى أبد الآبدين

« أمر ملكى الى الخادم « سنوهى » : اعلم أن هذا الامر من الملك قد أحضر اليك لينصحك بالآتى : انك قد جبت البلاد الأجنبية وانتقلت من قدمى الى ريتنو واسلمتك الأرض الى الأرض ، كل ذلك بدافع من محض قلبك انت . ماذا كنت صنعت حتى تجازى بمثل هذا ؟ إنك لم تأت عيباً حتى كان كلامك يلام ، ولم تتحدث بالعيب فى مجلس البلاط حتى كانت عبارتك تؤخذ عليك ، وهذا الظن وحده قد حمل قلبك هكذا بعيداً . ولكن سماءك (أى ملكتك والوصف بالسماء للملوك شائع عند المصريين القدماء) الساكنة فى القصر لا تزال اليوم ناعمة متمتعة بنعم الحياة وبان لها قسطها فى الحكم على الأرض . وأطفالها فى مجلس الشورى . وا: ستعيش طويلا على الخير الذى سيمنحونه اياك ، انك ستحيا على هباتهم ، عد ثانياً الى مصر حتى ترى الوطن الذى نشأت فيه لكى تلثم الأرض عند العمودين العظيمين (أى باب القصر) وتندمج برجال البلاط

« واليوم قد بدأت فى الكبر وفقدت شبابك ، وغدوت تفكر فى يوم الدفن . يوم العبور الى الشرف (يعدون الموت الفوز الاكبر حيث ينعم الميت بالحياة الجميلة فى العالم الآخر) »

وهنا يصف الامر الملكى ما يصنع للميت من شئون التحنيط ، والعطور والافاويه ، وطقوس الجناز ، وأناشيد الديانة ، وغير ذلك من الاحوال المتبعة عند موت العظماء ، من ساعة الموت حتى الدفن ، واعداد القبر البديع التام البناء والنقش تحبيباً لسنوهى بالعودة الى



صورة خيالية لعملية التحنيط عند قدماء المصريين وترى الطبيب الاخصائي وهو يلف الجثة بالكفن واللفائف يعاونه في ذلك شريك له . وقد وقف بجواره احد الرؤساء . كما ترى الكاهن وهو يتلو الطقوس وينشر البخور المقدس

وطنه . ليفوز بالدفن فى أرض الوطن ـ وقد ختم الكلام بقوله : « عندئذ لن تموت خارج وطنك ولن يدفنك الاسيويون، لن يضعوك فى جلد شاة، ولتفكر فى جثتك ولتعد»

ويقص « سنوهى » بعد ذلك قائلا :

« ان هذا الأمر قد وصلنى حينما كنت فى وسط عشيرتى ، وقد قرىء علىّ فألقيت بنفسى على بطنى ولمست التراب ووضعته على رأسى ، وطفت حول معسكرى طروبا قائلا : « كيف يحظى بهذا خادم ضل قلبه فساقه الى أرض الجهالة ، انه لحسن حقاً ذلك الذى ينتشلنى من الموت . انه سيسمح لى أن أختم حياتى فى وطنى »

وبعد ذلك استطرد « سنوهى » بأن وضع عنوانا جديداً ، نصه : « صورة من اعلان هذا الأمر » كتب تحته عبارات طويلة ، بدأها بالدعاء للملك ، بمناجاة عدد كبير من الآلهة ، لتمنحه الحياة الأبدية وتهبه العطايا

ثم قال بعد ذلك عبارات تدل على شجاعة الملك وقوة بطشه ، وخشية الشعوب منه وعقب عليها بالتنويه ببعض الشخصيات فى أرض « ريتينو » مقدما اياها الى جلالة الملك على انها تدين بطاعته وقال :

« هذا الهروب الذى وقع من الخادم الماثل هناك . انى لم أضع خطته ، ولم يكن يدور بخلدى انى لا أعلم ماذا أقصانى عن مكانى . انه كان حلماً كما يرى رجل من الدلتا نفسه فجأة فى الفنتين . انى لم أخف ولم يخفنى أحد ، لم أسمع أى عبارة شائنة . لم يسمع اسمى فى فم الجلاد ، وانما هو الشعور وحده ، اذ وجدت جسمى يرتعد وقدمى ترتجفان ، وقادنى قلبى واذا الاله الذى هيأ ذلك الهروب يقصينى بعيداً و مع ذلك فلم أكن متعديا حدود واجبى من قبل ورجل (مثلى) يعرف

أرضه (بدى) خائفا لأن « رع » قد بث الخوف منك فى الأرض ، والفزع منك فى كل أمة أجنبية . وإذ كنت فى الوطن أو فى هذا المكان فانك أنت أبداً الذى تظلم الافق (ربما يقصد الى انه القادر على أن يجعل يومهم مساء) والشمس تشرق عند سرورك ، والماء فى النهر يشرب حينما تريد والهواء فى الجو يستنشق حينما تأمر

« وقد اضطررت أن أقضى يوماً فى « ميا » ، حيث سلمت أملاكى لاولادى ليكون ابنى الاكبر أمينا على قبيلتى ، وتكون فى يده كل أملاكى ، وعبيدى ، وكل ماشيتى ، وفاكهتى ، وكل شجرة جميلة لى

« وعندئذ تحرك الخادم المائل هناك الى الجنوب ونزلت عند ممرات حوريس (مكان على حدود مصر على فرع النيل البلوزى) وقد أرسل المراقب هناك المنوط بالحراسة رسالة الى الوطن ليحمل لهم الخبر . وأوفد جلالته ناظراً أميناً من فلاحى الأملاك الاميرية . ومعه مراكب محملة بالهدايا الملكية الى البدو الذين صحبونى وقادونى الى ممرات حوريس . ودعوت كل واحد منهم باسمه (يقصد الى انه قدمهم الى الموظفين المصريين)

« وكان كل طاه فى عمله . فسرت وأبحرت . واجتمع الرجال والتفوا حولى حتى وصلت مدينة فاتحة الأرضين (اسم العاصمة فى ذلك الحين وتقع فى مكان بلدة اللشت الحالية) وعند بزوغ الفجر جاءوا ينادوننى ، وكانوا عشرة رجال حضروا وعشرة ذهبوا وقادونى الى القصر

« وهنا لمست الأرض بجبهتى بين تماثيل أبى الهول ووقف الأبناء الملكيون عند باب السراى واستقبلونى وتقدمنى رجال البلاط الذين يقدمون (الزوار) فى الطريق الى الغرفة الخاصة فوجدت جلالته على العرش العظيم فى الباب الذهبى فلما سجدت على بطنى خانتنى ذاكرتى فى حضرته ، وكنت كرجل قد حمل الى الظلام ، وطار لبى وارتعد جسمى ، ولم يصبح قلبى بعد فى جسدى ، ولم أدر أحى أنا أم ميت

« عند ذلك قال جلالته لأحد رجال البلاط : « ارفعه واجعله يخاطبنى » ثم قال جلالته لى : « أنظر انك قد عدت بعد أن جبت الأراضى الأجنبية ، وحل بك الكبر وبلغت الشيخوخة ، ليس امراً هيناً أن تطرح جسمك على الأرض والا يدفنك الهمجيون بعد ولكن لا تصمت . لا تصمت . تكلم فان اسمك قد نطق به (أى استقبلت بالترحيب)

« فأجبت اجابة الخائف : ماذا يقول سيدى عنى ؟ لتعلم اننى فى حضرتك . وأن حضرتك هى الحياة ، ولتفعل جلالتك ما يطيب لك

« حينئذ دعى الأبناء الملكيون وقال جلالته للملكة : « انظرى هذا هو « سنوهى » الذى عاد كآسيوى ، مخلوق بدوى » . فصاحت صيحة عالية ولغط الأبناء الملكيون معاً ثم قالوا لجلالته : « ليس هو بحقيقه يامولانا الملك » . فأجابهم جلالته : « انه هو نفسه » ، وقالوا : « انه هرب من خشيتك

وترك الأرض من فزعه منك ولكن وجهاً رأى جلالتك لن يهاجر مرة أخرى ، وعيناً شاهدتك لن تخاف »

« واذا بجلالته قد أجاب : « انه لن يخاف ، وان يفزع . سيكون ضمن رجال البلاط وأضعه فى وسط رجال القصر . اذهب الى غرفة الزينة لتصنع لك »

« وهكذا عندما غادرت الغرفة الخاصة أعطانى الأبناء الملكيون أيديهم . وذهبنا الى العمودين العظيمين . ووضعت فى بيت ابن ملك كان مؤثثاً برياش فاخر وكان به مغسل وكان مفعما بالذخائر النفيسة ، والجلباب من الكتان الملكى . والمر والزيت الملكى الجيد . والوصفاء الذين يحبهم كانوا فى كل غرفة . وكان كل رجل منهمكا فى عمله . وازيلت السنون عن جسدى (يقصد الى انه غسل الماضى باستحمامه) وحلقت لحيتى وسرح لى شعرى وارتديت أحسن الكتان . وتعطرت بأطيب العطور . ونمت على فراشى تاركا الرمل لأولئك الذين سيظلون فوقه (أى الاسيويين الذين اعتادوا أن يناموا على الرمل) وزيت الخشب لذلك الذى اعتاد أن يدهن به نفسه

« وقد أعطيت بيتاً كالذى يملكه الوصيف وقام ببنائه كثير من الفنانين وكانت كل أخشابه جديدة

« وكان الطعام يحضر الى من القصر ثلاث أو أربع مرات فى اليوم فضلا عما كان الأبناء الملكيون يعطونه إياى بلا انقطاع

« وقد بنى لى هرم من الحجارة ضمن حدود الاهرامات ــ التى أقيمت حول قبر الملك ــ وقام ببنائه رئيس المعماريين . وزخرفه النقاش وحفر فيه كبير المثالين . واشتغل فيه كبار بناتى الجبانة (ويقصد بذلك أن نفس الصناع الذين يشتغلون فى أهرام الملك قد اشتغلوا فى هرمه هو) وكل الأشياء الشائقة التى توضع فى القبر قد جلبت جميعاً ووهبت كاهناً للجناز وصنعت لى حديقة القبر ، كما يصنع تماما لرئيس البلاط . وتمثالى قد حلى بالذهب وكان غطاؤه من الذهب الرقيق وجلالته هو الذى أمر بصنعه . وليس ثم من رجل وضيع يصنع له مثل هذا

« وهكذا عشت مكافأ من الملك ، حتى يحين يوم وفاتى »

احمد يوسف
بالمتحف المصرى

✿ كن مخلصاً لاحلام الشباب (شيلر)

✿ لكل طور من أطوار الحياة اخطاره وتجاربه . الا أن الشباب أكثر تلك الاطوار اخطاراً، فهو الزمن الذى تنشأ فيه العادات وتتأصل فى النفس . بل هو ينبوع الميول والاتجاهات المختلفة . وفى خلال هذا الطور يتخذ الانسان صفة معنوية ثابتة ويلبس الثوب الذى يظل يكسوه الى نهاية العمر (هاوز)

وستمنستر أبي

بقلم الاستاذ فخري ابو السعود

« وستمنستر أبي من أفخم الكنائس بانجلترا . وهي كالبانثيون بفرنسا ، يدفن فيها كبار الرجال في تلك البلاد . وقد زارها الشاعر فأوحت اليه بهذه القصيدة العامرة »

هنا مَنسكٌ للطائفين ومعبد ... ومثوى لأرباب الخلود ومرقد
تلاقى جلالُ الدينِ والملْكُ ها هنا ... فتمّا بهما الصرحُ المعلّى المُمرّدُ
هنا حَرَمُ الخُلْد الذي عمّ ذكرُه ... فَمَلْحودُهُ في عالم الذكر يُولَد
حوَى مجدَ هذا الملْك منذ بزوغه ... وما زال يُنميهِ قديماً ويُتلِد
سِجلٌ لأحقاب العصور التى مضت ... تجمّعَ فيهِ شملُها المتبدِّدُ
مِنَ العُصُرِ الخالي ومن ذكرياتهِ ... عليه حجابٌ حائل اللون أربد
إذا انطلقتْ فيه النواقيس خلتها ... صدى العُصُرِ الخالى به يتردد
ترِنُّ عليه رهبةٌ حيث أنتحى ... أصوّب فيه مقلةً أو أصعّد
فؤاديَ فيه بين ماضٍ وحاضرٍ ... وبين المنايا والحياة مُشَرّد
يُجاور قبرٌ فيه قبراً ويلتقي ... به جلمدٌ ضخم البناء وجلمد
ويَشْخص تمثالٌ وتنظرُ صورةٌ ... ويُقْبِل بعد البهو بهوٌ ممدّد
تحُوم أملاكُ السماء بسقفه ... وفى كل ركنٍ منه لَيْثٌ مجسَّد
وتَمضي محاريب يوشي متونَها ... تهاويلُ قد دارتْ عليها وعسجد
فتأتى سراديب عوابسُ لفّها ... غياهب لا يجلو دجاهنَّ فرقد
كأني أرى تلك الشخوصَ مريغةً ... خطاباً لوانّ الدهرَ بالنطق يسعِد
ولكن عليها رُقيةُ الموتِ لا فمٌ ... تفرّى بما يَبغي، ولا اختلجتْ يد
هنا يَرقد الصيد الألى شيّدوا الحمى ... يَضمهم هذا البناء المشيّد
هنا يهجع الملك الذى كان باسمه ... تحلُّ جليلات الامور وتعقد

وقائد جيش أرهب الخصم بأسه … وعز به للقوم ملك موطد
ورب بيان كم روى سحره النهى … وما زال بين الناس يروى وينشد
وحبر إليه الدين قد فاء برهة … وللحق والأديان ما كان يرصد
جفوا هاهنا ما كان بالأمس شغلهم … فلم يعنهم جد الشؤون ولا الدد
فلم يهف رب التاج يوماً لتاجه … حنيناً ولا شاق الكمي المهند
ورب القوافي غافل عن طروسه … وذو الدين أتقى منه أمس وأزهد
ثووا في الثرى وانفض عنهم دعاتهم … وكف عداة عن أذاهم وحسد
هنا يلتقى الصحاب من كل حقبة … يجمعهم بعد التفرق ملحد
طوى بينهم بعد القصور وإنما … يفرقهم صرف من الموت أبعد
هنا يخلد الاحرار من كل بلدة … إذا كان إنسان على الأرض يخلد
هنا ذكريات منهم وبقية … ولكنه لا شيء للموت يصمد
وما الذكر للانسان بعد وفاته … حياة ، ولكن مأتم متجدد
يشيد بنو الدنيا به وعظاته … بها صمم عمن يذم ويحمد
إذا أغمض الجفن الحمام فقد طوى … صحيفة ماض ما يرجاه موعد
وبت حبال الحمد والذم واستوى … علاء وخفض - كان قبل - وسؤدد
وسيان مجهول من الجند في الثرى … وآخر مشهود الوقائع مفرد
لعمرك ما تغنى الورود نثيرة … ولا النصب العالى ولا الذكر يسرد
متى غيبتني حفرة وصفائح … وروح عني تابعون وعود
فمن مبلغي من جانب القبر أنني … أمجد في أسفاركم وأخلد ؟؟
ألا إنها أسباب دنيا يسنها … بنوها ولم يدر الثوى الموسد
يسن بنو الدنيا الحياة لمقتد … بحي يحيى او بفان يمجد
ولكنما مجد الفتى مجده الذي … تسمع اذناه وعيناه تشهد

فخرى ابو السعود
المدرس بالعباسية الثانوية بالاسكندرية

لندن سنة ١٩٣٢

مرض اجتماعي قديم
هل يقدر للمجتمع الشفاء من بلائه ؟

قد يدهش القارىء اذا قيل له ان جميع الاديان القديمة - ما عدا اليهودية - كانت تجيز البغاء وتشجع عليه ، أو على الأقل تتسامح بانتشاره ، وكانت له علاقة وثيقة باكثر تلك الاديان . وفى الحقيقة ان الديانة اليهودية نفسها ، مع عدم تشجيعها عليه ، كانت تتسامح بوجوده وقد قيدته شريعة اللاويين بقيود صريحة . ففى مقدمة سفر اللاويين نهى صريح لليهود عن الانغماس فى الشرور التى كانت منتشرة فى مصر وبلاد كنعان . وكانت مصر وكنعان وفينيقية وأشور وبلاد الكلدان وفارس وغيرها تقيم الشعائر الدينية الممزوجة بجميع ضروب الخلاعة والفساد . وكانت عبادة ايزيس ومولك والبعل وعشتاروت ومليتة وغير هذه من أحط ضروب الخلاعة واقبحها بل ان المعابد الخاصة بتلك الآلهة لم تكن سوى مسارح لاحط ضروب الشعائر الشهوانية التى كان القوم يمارسونها باسم الدين . وأنكى من ذلك أن الديانة البابلية كانت توجب على بعض الفتيات ممارسة البغاء اكراماً للالاهة « مليتة » بل لقد كانت تلك الديانة فى بعض أدوارها توجب على كل امرأة - على الاقل نظريا - أن تمارس البغاء باعتبار انه من الشعائر الدينية . ومما يدعو الى الاسف أن الناس فى بعض أنحاء الهند لا يزالون ينظرون الى البغاء هذه النظرة ويعتبرونه من الفروض الدينية . أما الصين ، فمع قدم حضارتها ، كانت تختلف بهذا الاعتبار عن سائر الشعوب القديمة

> ليس البغاء من أمراض الاجتماع الحديثة بل هو مرض قديم يرجع الى عصور الحضارة الغابرة . وقد وصفه شكسبير بأنه أقدم المهن التى عرفها الاجتماع بعد حفر القبور . وقد عنيت الحكومات بمكافحته ووضعت مصر مشروعاً لالغائه . وفى هذا المقال تاريخ نشوئه والاطوار التى مر بها منذ أقدم عصور الحضارة الى الآن

ولنرجع الى الامة اليهودية فى أوائل نشوئها وبعد خروجها من مصر . فقد كانت محاطة بشعوب وثنية تمارس البغاء وتقدسه . ولما نزلت الشريعة الموسوية كان فى مقدمة الاغراض التى قصدت اليها حفظ الديانة اليهودية وصيانة الشعب اليهودى من المفاسد التى كانت متفشية حوله . على أن تلك الشريعة لم تأنس من نفسها القدرة على ابطال البغاء فلم تحرمه تحريماً صريحاً ، بل قضت بحصره بين الاجنبيات ونهت الآباء اليهود عن تحريض بناتهم عليه كما نهت كل فتاة اسرائيلية عن احتراف تلك الحرفة الشائنة . ولكن الغريب أن هذه الشريعة لم تفرض عقابا على

من يعصى نواهيها فى ذلك الشأن الا بنات الكهنة ، فقد كانت تقضى باحراقهن ولهذا الاستثناء مغزى خاص فان موسى كان يعرف أن بنات الكهنة بين الشعوب الوثنية كن موقوفات على البغاء

وكذلك فرضت الشريعة الموسوية عقوبات شديدة على كل من الفتاة المخطوبة والمرأة المتزوجة فى حالة خروجهما على العفاف ، فكانت توجب قتلهما. مع انها لم تكن شديدة الوطأة على البغاء بوجه الاجمال ما دام محصوراً بين الاجنبيات

وهنالك دلائل كثيرة على أن البغاء كان متفشيا فى فلسطين حتى فى أقدم العصور اليهودية يوم كان الناس شديدى التمسك بالطهارة والعفاف. وكان محظوراً على النساء اللواتى يحترفن البغاء أن يدخلن مدينة أورشليم أو أن يقربن من أماكن العبادة فيها . ولذلك كن يجلسن على قوارع الطرق الموصلة الى المدينة . والارجح أنهن كن يرتدين ثيابا خاصة ولاسيما فى عهد اليونان والرومان

فى العصر اليونانى

وإذا انتقلنا من فلسطين الى بلاد اليونان رأينا القوم ينظرون الى البغاء نظرة جديدة . فقد سن صولون الحكيم قوانين غرضها صيانة النظام والآداب والاخلاق . وأدرك ذلك الشارع العظيم انه ليس من المتيسر القضاء على البغاء فرأى على الاقل أن يقيده بقيود ثقيلة : فقضى بانشاء بيوت خاصة توضع تحت اشراف الحكومة وتحصر فى أحياء معينة من المدن. وكان البغايا يرغمن على لبس ثياب معينة ويحظر عليهن الاشتراك فى الشعائر الدينية

ومما يدعو الى الاسف أن هذه القوانين على عظم ما كان لها من القيمة لم تكن تنفذ بالدقة الواجبة. ولم ينقض ذلك القرن حتى اهملت اهمالا تاما. ولكن أعيد العمل بها بعد غزوة الفرس لبلاد الاغريق ، فان الفرس سنوا لها قوانين جديدة مشددة فوضعوا البغاء تحت اشراف رجال الشرطة ، وفرضوا على النساء اللواتى يمارسنه عقوبات شديدة فى أحوال معينة . ولكن مرور الزمن أثبت للقوم صعوبة العمل بتلك القوانين ، لا سيما أن اللواتى كن يحترفن تلك الحرفة كن طبقات مختلفة . فكان لنساء الطبقة العليا منهن نفوذ عظيم اذ كن يفعلن ما يحلو لهن ولا يكترثن للقانون . وليس ذلك فقط بل ان بعضهن كن يصبحن حظايا للعظماء ويتعرضن لشؤون البلاد الادارية والسياسية ولا يجرؤ أحد على ردعهن . وقد اشتهرت منهن امرأة تدعى « فرينة » (Phryné) قيل انها ذهبت بثروة الكثيرين من أهالى أثينا . وأخيراً وجه بعضهم اليها تهما مختلفة . فتصدّى رجل يقال له هبريد (Hypéride) للدفاع عنها أمام مجلس الاريوباغ . وكان هذا المجلس على وشك ان يحكم عليها بالموت فما كان من « هبريد » الا أن نزع عنها ثيابها فبهر جمالها أنظار القوم فلم يستطيعوا أن يحكموا عليها . ومنذ ذلك اليوم قويت سلطة أولئك النسوة وصار نفوذهن لا يقاوم . وكان لذلك اثر سىء ، فان النساء العفيفات رأين ما آل إلى محترفات البغاء من سلطان ، فخلعت الكثيرات منهن ثوب العفاف . وكاد ذلك يقضى على البقية الباقية من

الآداب . وليس ذلك فقط بل أدرك بعض اليونانيين ما قد يعود عليهم من الكسب المادي واستقواء النفوذ اذا هم استغلوا النساء الساقطات . فانشأوا لهن بيوتا خاصة وضعوها تحت رعايتهم وجمعوا منها الثروات العظيمة وكانوا يدفعون للدولة أتاوة معينة

واشتهرت مدينة كورنثوس بكثرة ما انتشر فيها من بيوت البغاء . وأنشىء فيها معبد خاص باسم « افروديت » - وهي في أساطير القوم الزهرة أو الاهة الشهوات - وعينوا لذلك المعبد كاهنات يمارسن فيه البغاء باسم الدين . وكان أكثر المترددين اليه من التوتية الذين كانوا يغشون كورنثوس من كل حدب وصوب ، ولذلك أصبحت تلك المدينة رمزاً الى أحط ضروب الرذائل

في العصر الروماني

أما الرومان فكانوا أشد غيرة على العرض والآداب من اليونان . وفي الحقيقة انهم جمعوا بين أنفة اليهود وغيرتهم على الآداب من جهة ، وحب اليونان للمحافظة على القانون في أول أمرهم من جهة أخرى . أضف الى ذلك انهم كانوا بطبيعتهم شديدي المحافظة على قوانين الآداب العامة في أوائل عهدهم ، وان هم سقطوا وانحطوا فيما بعد . ومما يدل على شدة غيرتهم على الآداب انهم انشاوا نظام الكاهنات العذارى لخدمة المعابد . وعليه كانت نظرتهم الى البغاء تختلف عن نظرة غيرهم من الشعوب اليه . فقد كانوا يحسبونه عاراً كبيراً وينظرون الى كل من له به اية علاقة نظرة امتهان واحتقار . وليس ذلك فقط بل كانوا يحتقرون كل انسان يتردد على بيوت البغاء . ولا شك انهم الامة الوحيدة التي كانت تبدي مثل تلك الغيرة على الآداب . ولهذا كان الفرق بينهم وبين اليونان عظيماً ، وقد ظلت هذه الغيرة تميزهم من غيرهم من الشعوب الى أواخر أيام الجمهورية

وليس معنى ذلك ان البغاء لم يكن منتشرا بين الرومان ، ولكنه كان مقيدا بقيود شديدة . فهم أول من ابتدع نظام تسجيل بيوت البغاء الذي لايزال يعمل به في جميع البلاد المتمدنة الى هذا اليوم . وكان هذا النظام يقضي على كل من تريد احتراف تلك الحرفة ان تسجل اسمها في أماكن خاصة واقعة تحت اشراف رجال الشرطة ، وأن تحصل على رخصة خاصة وتدفع اتاوة معينة وعلى صبغ شعرها أو لبس شعر عارية . وكانت تحرم جميع حقوقها المدنية والسياسية والاجتماعية وتوصم وصمة لا تمحى فيما بعد

على أن هذه القيود - كجميع القيود الشبيهة بها - استرخت بمرور الزمن واسترخت على أثرها الآداب فانتشر الفساد ولم يبق في الوسع وقف تياره الجارف . وعجزت القوانين والتقاليد عن ارجاع الآداب الى سالف نقاوتها . وزاد الطين بلة ان أمعن الرومان في الترف وأسباب اللهو فزادوا انغماسا في شهواتهم . وحاول بعض المصلحين صد تيار الفساد بسن قوانين جديدة ، ولاح في أول الأمر أن النضال بين العفاف والرذيلة سينتهي بانتصار الاول وبعودة الرومان

الى الآداب الرائعة التى كانت من مفاخر أسلافهم . وفى الحقيقة ان القوانين الجديدة كانت شديدة الوطأة على سماسرة الفساد تفرض عليهم أشد العقوبات ، الا ان اليقظة كانت إلى حين ، فان الرومان عادوا بعد قليل فسقطوا فى هوة الرذيلة وانغمسوا فى جميع ضروب الفساد حتى لم يكن لهم فى ذلك مثيل بين المتقدمين أو المتأخرين

فى عصر المسيحية

ولا شك أن أعظم انقلاب طرأ على البغاء جاء عن طريق المسيحية . فقد كان موقف هذه الديانة بإزاء محترفات تلك المهنة أدعى الى الرأفة بهن والشفقة عليهن . ففى عصر الامبراطور ثيودوسيوس الاكبر (من سنة ٣٧٩ إلى ٣٩٥ بعد الميلاد) صدر قانون بالغاء الضرائب التى كانت تجبى من البغاء منذ عهد الجمهورية باعتبار انها عار على الدولة . وكان فى مقدمة الساعين الى اصدار ذلك القانون رجل من كبار الاغنياء يدعى فلورنتيوس . قيل انه عرض على الامبراطور ثيودوسيوس أن يعيض خزانة الدولة من ماله الخاص ما تخسره بالغاء تلك الضريبة وفى ايام انستاسيوس الاول (سنة ٤٩١ إلى ٥١٨ بعد الميلاد) صدر قانون بالغاء تلك الضريبة نهائيا وباحراق جميع السجلات الرسمية الخاصة بها . ولما جاء يوستنيانوس فى القرن السادس قام باصلاحات أخرى فى هذا السبيل بقصد ارجاع الحقوق المدنية والاجتماعية لمحترفات البغاء ومساعدتهن على التوبة والرجوع الى احضان الاجتماع . وقد اتهم بعض المؤرخين ذلك الامبراطور بانه لم يقم بما قام به الا رغبة منه فى تزوج ثيودورا التى اشتهرت يومئذ بانغماسها فى الخلاعة والفساد . والارجح أنه كان لثيودورا هذه يد فى التغييرات التى أحدثها يوستنيانوس ، ولكن الامبراطور نفسه لم يكن يخلو من عاطفة نبيلة . وقد اقترن بثيودورا فكانت سيرتها بعد زواجها خير قدوة للزوجة الصالحة . واليها يعزى ذلك العمل العظيم الذى قام به زوجها وهو انشاء ملاجىء خاصة فى القسطنطينية لانقاذ الساقطات والعناية بهن . ومع ان تلك الملاجىء لم تدم طويلا فقد كان انشاؤها نقطة انقلاب عظيم وبدء طور جديد من اطوار معاملة أولئك البائسات اللواتى لم يكن أحد ينظر اليهن نظرة عطف أو اشفاق . وفى ذلك الوقت سنت الحكومة الرومانية عدة قوانين تتفق فى روحها وتعاليم المسيحية وتفرض أشد العقوبات على السماسرة الذين كانوا يحرضون النساء على الفساد . ولا حاجة الى القول أن الكنيسة المسيحية فى أول عهدها كانت شديدة التمسك بآداب الفضيلة والعفاف . والارجح ان هذا ما حمل بعض الولاة الرومان الذين اضطهدوا المسيحية ان يعذبوا المسيحيين بارغام بناتهم على البغاء . وكان ذلك الاضطهاد موجبا لفخر المسيحيين ولازدياد تشبثهم بالعفاف . وقد اعترف آلاريك (ملك القوط الغربيين الذى غزا روما) بشدة تمسك المسيحيين بالفضيلة وبأنهم ما كانوا يحجمون عن الاستشهاد

فى سبيلها . ولذلك أصدر الاوامر المشددة الى جنوده بأن يحترموا النساء المسيحيات ولا يمسوهن بأذى . وجميع المؤرخين المسيحيين يسجلون له هذه المأثرة بالشكر

على أن الكنيسة المسيحية مع شدة دعوتها إلى العفاف وايصائها بالفضيلة، لم تكن تنظر إلى النساء الساقطات نظرة النفور ، بل كانت بالعكس تدعوهن الى التوبة وتحرض الناس على الرأفة بهن . بل ان بعض آباء الكنيسة الاولين (وفى مقدمتهم القديس اغسطينوس) اعترفوا بأن البغاء شر لابد منه ،وبان ازالته بتاتا قد تفضى الى انتشار الرذيلة على وجه أشد ضرراً بالاجتماع . وقد حاول شرلمان أن يبطله ويقضى عليه ، ولكنه اخفق لانه هو نفسه كان منغمساً فى شر أنواع الخلاعة والتهتك

عصر الفتوة

على أن ظهور الفتوة (الفروسية او الشيفالرى) فى بلاد الغرب كان مؤذناً ببدء طور من أطوار الاصلاح . فقد كانت الفتوة توجب احترام المرأة وممارسة جميع الفضائل والابتعاد عن الرذائل . فهبت على اوربا عاصفة من عواصف مقاومة الرذيلة واشتدت حماسة أهل الغرب وغيرتهم على الآداب . ولم تشهد اوربا عصراً مثل ذلك العصر اشتدت فيه الغيرة على الفضيلة وروح الكره للفساد ، وزاد الناس ثورة على الخلاعة روح التعصب الدينى التى بثتها فى الناس الحروب الصليبية ، ونشطت الكنيسة إذ ذاك نشاطاً عجيبا لمقاومة البغاء وارسال البعثات الدينية لتبشير الساقطات وانقاذهن من مهاوى الرذيلة ، وانشئت الملاجىء والديورة وجمعت الاموال لأجل ذلك . وأصدر البابا انوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦) منشوراً صرح فيه بأن من أعمال البر والرحمة أن يتزوج الرجل امرأة من محترفات البغاء . وأصدر غريغوريوس التاسع أمراً بعدم منع النساء الساقطات من التردد الى الكنائس وأماكن التبشير . وكان يشجع الشبان على انقاذهن بالاقتران بهن أو بتحريضهن على دخول الديورة

ومع كل ذلك انتشر البغاء فى العصور المتوسطة انتشاراً رائعا . فلم يكن الحكام والولاة يتسامحون به فقط بل كانوا ينظمونه بقوانين خاصة ويستغلونه . وفى الحقيقة ان بعض دول الغرب رأت فيه مورداً ماليا لايستهان به . فنظمته تنظيما دقيقاً وسنت له القوانين . فكان النساء فى فرنسا مثلا يرغمن على لبس شارة خاصة ويحظر عليهن لبس الحلى والثياب الغالية والتردد إلى مواضع معينة من المدينة . وكثرت بيوت البغاء فى طولون وآفينيون ومونبليه . وكانت أولى هذه المدن تستغله وتقتسم الدخل منه مناصفة بينها وبين مدرستها الجامعة . أما فى المدينتين الاخيرتين فكان البغاء احتكاراً للبلدية وكانت هذه تمنح حق استغلاله للافراد . وكان النساء فى آفينيون يرغمن على عرض انفسهن على الاطباء الخصوصيين مرة كل أسبوع . الا أن لويس التاسع أصدر فى سنة ١٢٥٤ أمراً بنفى سماسرة الفساد ومحترفات البغاء ومديرى بيوتهن . ولم ينفذ هذا الأمر

الا مدة قصيرة إذ الغي بعد سنتين . ولكن بقي القانون شديد الوطأة على السماسرة الى نهاية القرن الرابع عشر . وكانت محترفات البغاء في بعض أنحاء فرنسا يدفعن اتاوة للموالى الاقطاعيين وكذلك كانت الحال في المانيا في خلال العصور المتوسطة كلها . فكانت بيوت البغاء فيها كثيرة الانتشار . على أن دخولها كان مقصوراً على فئة معينةمن الناس ولم يكن يباح للرجال المتزوجين ولا لليهود ولا لرجال الدين . وكانت ابوابها توصد في أيام الاحاد والاعياد الدينية

وأصدر فريدريك الثاني في القرن الثالث عشر قانونا غريبا خاصا بالبغاء يقضي بمعاقبة كل من يتعدى على امرأة بغي بقطع رأسه ، وبمعاقبة كل بغي تقدم شكوى كاذبة بقطع رأسها ، وبمعاقبة من يمتنع عن مساعدتها عند وقوع الاعتداء عليها بغرامة باهظة ، وبعقوبات أخرى لايتسع لها هذا المجال . وفي جميعها آثار روح الفتوة أو الفروسية التي كانت منتشرة يومئذ في جميع أنحاء أوربا . ومن أغرب ما ذكره المؤرخون أن آداب الضيافة في ذلك العصر كانت تقضي على المضيف بوضع بيوت البغاء تحت أمره . وعليه فلما زار الملك سيجسموند (الذي أصبح فيما بعد امبراطوراً على المانيا) مدينة بيرن سنة ١٤١٤ ومدينة اولم سنة ١٤٣٤وضعت هاتان المدينتان جميع ما فيها من بيوت البغاء تحت أمره ، مما استوجب رضاه التام

ولم تكن الحالة في اسبانيا وايطاليا تختلف كثيراً عنها في فرنسا والمانيا . فكان البغاء فيهما مقيداً بقيود كثيرة فيما يتعلق بالملبس والاقامة وارتياد الاماكن العامة والتحريض على الفساد

عصر الاصلاح

وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر طرأ انقلاب عظيم مرجعه الى عاملين مهمين أولهما انتشار الامراض والخوف من عدم التمكن من التحكم فيها . وثانيهما حدوث الاصلاح الديني . فاما العامل الاول فمع انه كان معروفا منذ أقدم عصور الاجتماع ، الا انه لم يصل إلى حد تهديد النظام الاجتماعي الا في القرن الخامس عشر . وكان الناس قبل ذلك لا يكترثون للامراض الزهرية . وقد زعم بعضهم انها انتقلت الى اوربا من جزائر الهند الغربية بعد عودة كولمبوس ، وهو وهم لا يستند إلى الحقيقة ، وعلى كل فان انتشار تلك الامراض وظهور حركة الاصلاح أحدثا تأثيرا عظيما في الرأى الاوربي العام . فقام قومة واحدة لمكافحة البغاء . فما انتصف القرن السادس عشر حتى كانت جميع بيوت البغاء في المانيا وفرنسا وايطاليا وانجلترا قد اوصدت

وقد ذكر بعض المؤرخين أن ايصاد تلك البيوت عقبته ظاهرة غريبة وهي تعدد حوادث قتل الاطفال وانشاء ملاجيء للقطاء في عدة مدن واقامة مستشفيات لمعالجة المصابين بالامراض السرية . على أن الحكومات ازدادت شدة في مكافحة البغاء فاصدرت حكومة باريس في سنة ١٦٣٥ قانونا يقضي على كل من يتاجر « بالرقيق الابيض » أو تكون له اية علاقة ببيوت البغاء بالسجن والاشغال الشاقة المؤبدة . أما النساء والبنات اللواتي كن يحترفن البغاء فكن يعاقبن

بالجلد وبحلق رءوسهن وبالنفي من دون محاكمة . ومع أن لويس الرابع عشر حاول تخفيف وطأة ذلك القانون فقد بقي سيفاً معلقاً فوق رقاب الذين كانت توجه اليهم هذه التهمة

العصور الحديثة

والمجال لايتسع للكلام على جميع المساعي التي بذلتها اوربا في العصور المتوسطة لمكافحة البغاء . وغني عن البيان أن جميع المساعي فشلت بسبب التقلبات التي كانت ـ ولاتزال ـ تطرأ على عقول الناس في نظرتهم الى هذا الشر العظيم . فمن تشجيع عليه الى اباحته الى التسامح فيه الى تحريمه الى العودة الى اباحته ثم الى تحريمه الى آخر ذلك من التقلبات التي كانت نتيجتها انتشار هذا الشر انتشاراً يصعب اليوم مكافحته أو التغلب عليه . وفي الحقيقة أن سماسرة الفساد يستغلون اليوم تلك المهنة التي هي أحط عمل زاوله الانسان . وقد نظموا تجارتهم المحرمة المسماة بتجارة الرقيق الابيض . وانتشرت فروع هذه التجارة في جميع انحاء العالم حتى عم الفساد وبدأ الاجتماع يشعر بثقل وطأة هذا الشر وبالحاجة الماسة الى القضاء عليه

وهذه الحالة هي التي حرضت الدول على عقد أول مؤتمر للرقيق الابيض ، وهو المؤتمر الذي عقد في لندن سنة ١٨٩٩ . وفي سنة ١٩٠٢ عقد مؤتمر دولي آخر لهذا الغرض في مدينة باريس . وأفضى هذا المؤتمر الى عقد الاتفاق المعروف بمعاهدة سنة ١٩٠٤ . وقد وقعتها اثنتا عشرة دولة من دول أوربا ماعدا النمسا ، ووعدت بموجبها أن تتعاون على مراقبة البلاد التي يؤتى منها بالرقيق الابيض والموانىء التي يجتازها ذلك الرقيق بقصد اتخاذ الاحتياطات اللازمة ومساعدة النساء اللواتي يرغبن في الفرار من أيدي السماسرة الذين يريدون استغلالهن . وفي سنة ١٩١٠ دخلت الولايات المتحدة أيضا ميدان الكفاح فسنت «قانون المتاجرة بالرقيق الابيض » وهو يقضي بانزال أشد العقوبات بالذين يستوردون النساء الى الولايات المتحدة لاغراض منافية للآداب . وفي تلك السنة عينها وقعت ثلاث عشرة دولة من دول أوربا اتفاق باريس الخاص بمكافحة تجارة الرقيق الابيض . وقد أخذت كل دولة من تلك الدول على عاتقها أن تعاقب بمنتهى الشدة كل من يحرض امرأة أو فتاة على الاعمال المنافية للآداب

وعلى أثر الحرب العظمى الماضية تولت عصبة الامم معالجة هذه المشكلة بمقتضى «المادة ٢٣ من دستور العصبة » وهذا الدستور يخول العصبة سلطة تنفيذ جميع المعاهدات الخاصة بالرقيق الابيض . وفي سنة ١٩٢١ عقدت العصبة مؤتمرا دولياً في جنيف حضره مندوبون عن أربع وثلاثين دولة وفي هذا المؤتمر تقرر استبدال قولهم : « الرقيق الابيض » بقولهم : « المتاجرة بالنساء والاولاد » وتم الاتفاق على تعيين لجنة استشارية تقدم اليها الدول تقارير سنوية عن تلك التجارة عن الوسائل المستعملة لمكافحتها . ولا تزال هذه اللجنة قائمة وهي تبذل المساعي الحميدة لمقاومة البغاء

قصة الشهر

المجتمع

بقلم الشاعر الانجليزي روبرتسن

هل المال في هذا العصر سيد كل شيء، وهل نفوذه يتغلغل في العقائد ويسيطر حتى على العواطف ، ويجتاح المواهب والكفاءات أمامه ؟ . وهل صاحب المال يستطيع أن يشتري الشهرة والجاه ويخضع المجتمع لرغائبه ؟ — تلك هي الاغراض التي تدور حولها هذه القصة الطريفة التي تقرأ خلاصتها في هذه الصفحات

... في الساعة الحادية عشرة من يوم ١٣ مايو عام ١٨٦٥ كان مستر « توم » يطرقان باب المحامي المشهور والكاتب « كود » وابنه وصديقهما مستر « سيدني داريل » الاجتماعي المعروف . فيسرع الخادم إلى الباب الاستقبال ريثما يستيقظ ويقودهم إلى غرفة سيده من نومه ويطول بالثلاثة الانتظار ويظهر القلق على الابن فيضيق برائحة الخمر التي تملأ جو الغرفة ويشتد ضيقه عندما يعلم أن مستر «سيدني» ما يزال في الحمام يغتسل ، تاركا من سعوا اليه في توظيفه لم يهرع لاستقبالهم

ثم يأتي أخيراً مستر سيدني ويعتذر لضيوفه عن تأخره . ويقوم مستر « توم » بدور التعارف بينهم ثم يأخذون في حديث طويل نعرف منه أن مستر كود وهو رجل من طبقة الفلاحين الا أنه من كبار الاغنياء لديه أكداس مكدسة من الذهب والفضة ، يريد أن يشق بهذا المال طريقاً لابنه في الحياة بأن يكون عضواً في مجلس العموم وقد رأى أن الطريق المؤدي الى هـذا هو اصدار جريدة يومية كي يعرف أمره وينبه اسمه بين الناس . وهو من أجل هذا قد لجأ الى مستر سيدني صاحب المقالات المشهورة والآراء التجديدية في السياسة والادب والاجتماع ليشرف على هذه الجريدة . فيبتهج مستر سيدني بهذا المشروع الجليل الذي طالما فكر فيه وتمنى تحقيقه ، ولكن المال لم يسعفه . فبقي المشروع فكرة مختمرة في ذهنه تتوثب الى النفاذ . ويقترح سيدني أن يكون اسم الجريدة «زلزال الصباح» فيوافق الكل على هذا الاسم . فهو اسم عجيب جذاب له وقع في الآذان عندما يصيح به الباعة كل صباح . ثم ينصرف مستر توم والاب ويتركان «كود» الابن يشاور سيدني في شئون الجريدة وأغراضها الاساسية ، وهي تهذيب الجمهور أدبياً واجتماعياً وفلسفياً وسياسياً

وعلميا وفلكيا وجيولوجيا ، تستفيد منها الزوجة فى مطهاها والام فى عملها والتاجر فى متجره والفلاح فى حقله والعامل فى مصنعه ! !

ويدور بين الاثنين حديث ممتع جميل تظهر فيه سذاجة الفلاح وبساطته وتهافت الفتى الجاهل على الدخول فى المجتمع اعتماداً على ماله وارتكانا الى ثروته :

سيدنى (يملأ غليونه) : هل معك غليون ؟

كود : (مخرجاً صندوقاً فاخراً) انى استعمل السجاير دائما

سيدنى : هل تشرب البيرة ؟

كود : لا اشربها فى الصباح أبداً . اسمع يا سيدنى . ان عصرنا هذا كما تعرف عصر عملى وقد وقفت على سر الحياة وهو المال . فالمال هو بغية العالم و . . .

سيدنى : ولكن أتستطيع أن تحيا حياة عملية ؟

كود : إنى أسعى لهذا . لقد جمعت كثيراً من النقود . وسأعمل على الدخول فى مجلس العموم بهذا المال ، وأن يكون لى أحسن قصر بهذا المال ، وأخلص أصدقاء بهذا المال ، وأجمل زوجة بهذا المال ، وأنجب أطفال بهذا المال . . .

سيدنى : انك تريد أن تقول انك بالمال تستطيع أن تشترى كل شىء

كود : تماما . الحياة ما هى الا مساومة !

سيدنى : ولكن الشرف والحب والطاعة والأصدقاء . . .

كود : استطيع أن اشترى كل هذه بأى ثمن

سيدنى : حتى الحب

كود : الزواج ما هو إلا شركة احتكار بين الطرفين . هو عقد مدنى كأى شركة أخرى

سيدنى : والشرف والفروسية

كود : الشرف ما هو الا افلاس أما الفروسية فلا أعرفها ولست فى حاجة اليها

سيدنى : حسنا . أن عقيدتك هذه غريبة عنى لا يمكننى اعتناقها

كود : المال يغير كل شىء . انى أريد أن أكون معروفا بين الاحزاب وفى الاوساط الراقية

سيدنى : تريد أن تدخل المجتمع ؟

كود : هذا ما ابغى تماما ألم يكن لديك مال فى يوم من الايام ؟

سيدنى : نعم كان لى

كود : وماذا صنعت به ؟

سيدنى : صرفته

كود : أرى عندك كثيراً من البنادق

سيدني : اني مغرم بالقنص

كود : والشخوص . . .

سيدني : اني مغرم بصيد السمك

كود : والكتب

سيدني : اني أحب القراءة

كود : لماذا أراك تحب كل شيء

سيدني (ناظراً اليه) : لا . ليس كل شيء (يخرج سيدني لمقابلة زائر آخر ثم يعود)

كود : انك تعرف كثيرين من الناس في الاندية والمجتمعات ؟

سيدني : نعم

كود : لدى أكوام مكدسة من المال . أي اني أملك مالا تملك . وتملك مالا أملك

سيدني : نعم

كود : سأكتب اليك صكا بمبلغ كبير كما تحب

(يقف سيدني ساخطا)

سيدني : لن استطيع أن أتفاهم معك بعد الآن . فأصدقائي هم أصدقائي وليسوا سلعا تجارية اني آسف اذ لا أستطيع مساعدتك . فيمكنك بما لديك من رجاحة ومال وخلق أن تجمع حولك عصبة من الاصدقاء

كود : اذن أنت ترفض

سيدني : كل الرفض !

كود (وحيداً) : لن أكون « كود » ان لم أنفذ مديتي هذه في لحمه

* * *

يخرج كود ساخطا وينصرف سدني إلى التفكير في أمر حبه الذي شغله في تلك الايام الاخيرة حتى أنساه كل شيء . فيذهب الى دار حبيبته (مود) ويدور بينهما حديث طويل فيه دعابة وتسلية وفيه ألم ولوعة . فسيدني يحب هذه الفتاة ويريد أن يتزوجها ولكنه فقير ، والفتاة تحبه وترتضيه زوجا لها ولكن عمتها تمنع هـذا الزواج لا لشيء إلا أن سيدني فقير يعيش من الكتابة في الصحف والمجلات

ثم يبقى العاشقان ساعة لا يتكلمان انتقلت فيها روحاهما عن هذا العالم الارضي وذهبتا تحلقان في السماء تنشدان أناشيد الحب الابدي

واذ هما في هذا الذهول وقد غفلا ، حتى عن وجودهما ، تدخل عمة مود فتهب الاخيرة

مذعورة ويتراجع سيدني إلى الوراء فتدرك تلك السيدة مصدر هذا الاضطراب وتفهم كل شيء

☆☆☆

خرج كود من منزل سيدني وفي نفسه موجدة عليه يمصر فكره عله يهتدي إلى حيلة للايقاع به بعد أن خاب أمله فيه، وفشل مشروعه العظيم. وأخيراً خطر له أن يكيد لسيدني في حبه، فنراه في منزل «ليدي بتارمجانت» عمة مود يعرض عليها ثروته ويطلب إليها يد ابنة أخيها، فترحب به السيدة وتجيبه الى طلبه طمعا في ماله، ثم ينصرف كود فرحا وتبقى العمة تحاسب ابنة أخيها على تصرفها الاخير مع سيدني وتنبئها بهذا الزواج المفاجيء

ليدي: ان لي معك كلاما يامود، لقد قضيت ذلك الاسبوع الاخير في عمل مناف للآداب مع ذلك الكاتب الشاب!

مود: أي كاتب شاب تعنين؟

ليدي: أرجو ألا تماطلي في الكلام. انك تعرفين من أعني ... داريل!

مود: مستر داريل تربطه بي صلة القرابة وهو ابن المرحوم السير برسي داريل وشقيق (البارون) الحالي

ليدي: لقد أضاع مستر داريل كل أمواله في سبيل أخيه المبذر — أرجو أن تذكري هذا

مود: اني أذكره ولا أنساه. ان ضياع كل أملاكه في سبيل اصلاح أخيه وانقاذ أسرته وحفظ كرامة اسمها لعمل ...

ليدي: عظيم. ولكنه لا يملك الآن شروى نقير الا ما يكتسبه من الكتابة في الصحف، وهو مبلغ زهيد لا يكفي رجلا يريد أن يكون أسرة إنك ابنة أخي. وواجبي يحتم عليّ أن أسعى في زواجك. وسأعمل على هذا. فلا تردي لي أمراً، أرى رجلا في يدي الآن. انه غني جداً. هو مستر كود

مود: انه اسم معروف!

ليدي: ولكن كيسه غير معروف. ان دخله السنوي يربى على ثمانية آلاف جنيه. وقد طلب يدك اليوم فأرجو ألا ترفضي طلبه

مود: انه فلاح غليظ الطبع

ليدي: انه غني جداً. فعندما يصبح زوجا لك يمكنك أن تهذبيه من جديد

مود: ولكني أمقته وأضيق به

ليدي: وما شأنك به. انك لا يمكن أن تحبي رجلا قبل أن تتزوجيه

مود: اني أكرهه

ليدي: يا لك من فتاة حمقاء. كيف تلفظين هذا الكلام عن شاب مهذب غني

مود : مهذب !

ليدى : نعم . أو على الأقل سيكون مهذبا

مود : انه سيبقى كما هو

ليدى : المال يستطيع أن يفعل كل شيء

مود : أيستطيع أن يجعلني أحب الرجل الذى اكره

ليدى : نعم — انى أعجب كيف تفضلين عليه رجلا يعيش من كد ذهنه يوما بعد يوم

مود : انى أرحب بالفقر والاضطهاد، أرحب بكل شيء الا حريتي. لن أكسو نفسى على حساب رجل احتقره . ولن أحيا حياة كلها ملق وكذب

✡ ✡ ✡

ولكن (مود) لا تمضى فى عزمها هذا فلا تلبث — تحت تأثير السعادة المادية التى وضعتها لهـا عمتها — أن ترضى بمستر كود زوجا لها . فيسر الرجل المسكين بهذا الانتصار العظيم الذى أعلاه على خصمه ، ويدفعه الغرور الى منازلة غريمه فى الانتخابات أيضا عن دائرة (سبرنج ميد) وهى دائرة أسرة دارل . وقد كان المرشح لها شقيق سيدنى الذى توفى هو وابنه فجأة ، فانتقلت أملاك الأسرة ولقبها الى مستر سيدنى الذى تقدم الى جمهور الناخبين يطلب ثقتهم ، وهناك يعرض لنا مشهد من أروع المشاهد التمثيلية ، وموقف من أغرب المواقف المسرحية بل قل أغربها . فبينا كود ومود يتحدثان فى أمر حبهما وزواجهما ، اذا بسيدنى يخطب جمهور الناخبين فتأتى خطبته رداً مفحما للاسئلة التى تدور بين كود ومود :

مود : سأكون زوجة أمينة وسأحمل اسمك ولكن يجب أن تفهم أن ارتباطنا معا قائم على المنفعة والراحة

كود : الراحة ؟ ! !

مود : نعم . أى أن الحب ليس له شأن فيه

كود : يالعجب ! كيف أن ترونى تقف بى عند هذا ؟ !

مود : ان الحب الذي يجب على المرأة أن تحفظه للرجل الذى تنتخبه . .

سيدنى : (يخاطب الجمهور فى الخارج) يا ناخبي (سبرنج ميد)

مود : كلانا يجهل الآخر

سيدنى : (فى الخارج) لست فى حاجة الى أن أخبركم من أنا ؟

(هتاف . تضطرب مود)

مود : نكاد نكون غريبين

سيدنى : (فى الخارج) لا ! ولا المبادىء التى نشأت عليها

كود : ان اسم كود رمز للثروة على الاقل

سيدنى : (فى الخارج) انى داريل وآرائى السياسية هى آراء أسرة داريل (هتاف)

كود : (فى نفسه) ان هذا لا يحتمل . (الى مود) ولاننا غريبان . .

سيدنى : لست غريبا (هتاف) لقد نشأت بينكم . أرى وجوها بينكم تذكرنى بطفولتى . ان الوحدة السياسية التى تربط أسرتى بمقاطعة « سبرنج ميد » لا تقوم فقط على الاحترام او مجرد الشعور المتبادل بل تقوم على الحب العميق (هتاف)

كود : عززتى . اتكرهين أن تكونى لى ؟

سيدنى : ماذا؟ اذا كنا متمتعين بثقتكم فلماذا تعطونها للآخرين ؟

مود : (مغلوبة على أمرها) مستر كود انى . . .

كود : ياعزيزتى الوحيدة مود

سيدنى : من يقاومنى ؟

توم (فى الخارج) لا أحد

سيدنى : ماهو ؟

توم (فى الخارج) ليس كثيراً !!

سيدنى : انى لا أعرف آراء ذلك الرجل السياسية (ضحك) ولا آراء أسرته (ضحك عال) لقد حاولت هذا ولكنى لم أهتد

كود : انى لا استطيع البقاء هنا (فقد أغمى عليها)

سيدنى : (فى الخارج) انى انتظر واثقا من النتيجة التى ستجعلنى فوق هامات المنتخبين

✡ ✡ ✡

وفى المنظر الاخير ترى سيدنى ومود وقد وقفا يتعاتبان فى أسلوب مؤثر حزين . واذ هما فى ذلك الموقف الوداعى الاليم تدخل عليهما ليدى (بتارمجانت) منبئة سيدنى بنجاحه فى الانتخاب ، مفضية اليه بحبها وعطفها قائلة : « كنت أحبك دائما . ولكنى اعترف انى لم أظهر هذا الحب »

ثم تقدم اليه (مود) وهى تقول : « انك لن تتزوجى رجلا لم تحبيه » فتجيبها مود : « ولكن . . . ولكن . . . مستر . . . كو . . . د . . . » فتجيبها عمتها : « وماذا يكون مستر كود على الارض ؟!! لقد كنت أسخر فقط من تلك الطبقات التى تحاول دائما أن ترتبط بنا »

✡ ✡ ✡

ثم تقبل جماهير الناخبين هاتفة بحياة مستر سيدنى وعروسه الجديدة !!

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

هل الصحة فى تحسن ؟

[خلاصة مقالة بقلم الدكتور دبلن
نشرت فى رسالة الاخبار العلمية]

فى أوائل السنة الماضية تنبأ كاتب هذه السطور بأن صحة الناس فى جميع البلدان ستكون بوجه الاجمال فى تحسن ، وبأن الامراض — حتى الوافدة منها — ستكون أخف وطأة منها فى كل سنة مضت ، وذلك بفضل تقدم علم الطب وارتقاء معرفة الناس بالشؤون الصحية

وما تنبأنا به فى أوائل السنة الماضية يصدق على هذه السنة أيضاً فان جميع القرائن تدل على أن الصحة ستظل بوجه الاجمال فى تحسن مستمر . ومع ذلك فان هذه النبوءة مقيدة بشرطين — أولهما الحالة الجوية ، وهذه يصعب التكهن بها ومعرفتها بوجه التحقيق ، وثانيهما تطورات الامراض الوافدة كمرض الحمى الاسبانيولية التى تفشت فى أواخر سنة ١٩١٨ وأوائل سنة ١٩١٩ ثم عادت الى الظهور سنة ١٩٢٠ وغنى عن البيان أن العالم لم يشهد قط قبل تلك الوافدة أو بعدها مرضاً أودى مثلها بحياة الملايين من البشر ، مع أن العالم لم يخل قط من الوافدات بين آن وآخر ، ولا شك أنه اذا عادت تلك الوافدة لا قدر الله أو ظهرت وافدة أخرى مثلها فى الشدة فستذهب بحياة الملايين . ولهذا يجب علينا أن نحسب حسابها مهما زعم البعض أن تفشى مثل تلك الوافدة أمر بعيد الاحتمال

واذا ضربنا صفحاً عن هذا الامر البعيد الاحتمال لم يبق ثمة — على ما يؤكده لنا الاطباء والخبيرون بالشؤون الصحية — أى خطر يستحق الذكر . ولايخفى أن بعض الوافدات التى كان الناس يرتعدون من ذكرها فى الازمنة السالفة — كالتيفوئيد والجدرى والحصبة والحمى القرمزية والسعال الديكى والدفتيريا وغيرها — لم يبق لها اليوم الشأن الذى كان لها قديماً ، لان الطب قد تمكن من التحكم فيها . وانه لمن ابعد الامور أن تعود اليوم فتصبح خطراً على الاجتماع أو تلقى الرعب فى قلوب الاطباء كما كانت تفعل قديماً

والمظنون أيضاً أن مرض السل سيظل يتناقص بحيث تهبط نسبة الوفيات منه الى أربعين فى كل مائة الف من السكان أو الى ما دون هذه النسبة ، وذلك قبل انقضاء السنوات الخمس التالية . وقد كانت هذه النسبة منذ خمس عشرة سنة مائة وأربعة عشر فى كل مائة الف من سكان العالم ، فهبطت فى سنة ١٩٣٤ الى ٥٦٫٦ فى كل مائة الف ، أى الى أقل من نصف ما كانت عليه فى سنة ١٩٢٠ فاذا استمر التحسن سائراً على هذا المنوال ، فالارجح أنه لن تنقضى سنة ١٩٤٠ حتى تكون نسبة الوفيات بداء السل قد هبطت الى أقل من اربعين فى كل مائة الف من السكان

وغنى عن البيان أنه ليس ثمة أى ضمان على صحة ما نتنبأ به من هذا القبيل . وأشد الجهود التى يبذلها العلماء فى مكافحة الامراض الوافدة موجهة الى الاحتفاظ بنسبة النجاح فى ذلك الكفاح . وما من عالم يشير بوقف تلك الجهود أو تخفيفها . فالسل مثلا لا يزال يلقى الرعب فى القلوب ويودى بحياة الالوف . ومع عظم الجهود التى قد بذلها الاطباء ولا يزالون يبذلونها ، ومع عظم النجاح الذى قد أوتوه ، لايزال هذا الداء من أهم أسباب الوفيات فى أوائل الكهولة . نعم ان نسبة الوفيات به قد نقصت نقصاً محسوساً ، ولكن الطب يطمع فى تحسين أعظم وببذل الجهود المتواصلة فى سبيل التغلب على ذلك الداء العضال

ان النجاح الذى قد أوتيه العلم فى مكافحة طائفة كبيرة من الامراض هو مدعاة للفخر يشجعنا على النظر إلى المستقبل وقلوبنا مفعمة آمالا . فالسرطان وأمراض القلب ونزف الدماغ والتهاب الكلى المزمن وغير هذه من الامراض لا تزال تشغل بال الاطباء . ولكن التقدم فى وسائل معالجتها محسوس جداً وقد أفضى إلى تناقص نسبة الوفيات بها . ومما يجدر بالذكر أن نحو نصف عـدد الوفيات فى العالم ناشىء عن الامراض الاربعة المذكورة مضافاً اليها الوفيات الناشئة عن حوادث طارئة . على أن الوفيات الناشئة عن هذه الحوادث لا تزيد على ٤٫٨ فى المائة من مجموع الوفيات وكل ما يرجوه الاطباء هو أن يستمر التحسن الذى نحن فيه وأن تستمر نسبة الوفيات فى تناقص فاذا استمرت كذلك فالامل وطيد باستمرار التحسن

ولا يعزب عن البال أن العالم خارج اليوم من وهدة الضائقة المالية التى سقط فيها منذ سنة ١٩٢٩ . والملايين من الناس آخذون فى تحسين أحوالهم المالية والاقتصادية . ولا شك أن هذا التحسين سيؤدى الى تحسين الصحة والى نقص نسبة الوفيات ، لان الجماعات التى تبذل الجهود فى سبيل مكافحة الامراض لن يعرقل جهودها نقص المال والاضطرار الى الاقتصاد . ولقد صدق من قال ان فى وسع الانسان اليوم أن يشترى الصحة . فالاموال التى تنفق فى سبيل تحسين الصحة العامة لا يمكن أن تذهب ضياعاً بل لا بد من أن تعود باكبر الربح

هجيج المستعمرين الواهية

[خلاصة مقالة نشرت في
مجلة هاربرز للاستاذ بيفر]

ما من أحد إلا وقد سمع عن حاجة ايطاليا الى المستعمرات . ويقول الايطاليون إن حاجتهم هذه تدفعهم الى الغزو والقتال . ومع أن الانجليز يعترفون لهم بحاجتهم هذه إلا أنهم لا يسوغون لهم الالتجاء الى الحرب . ولم يحاول أحد حتى الآن أن يشرح حقيقة التوسع الاستعماري وهل في العالم دولة تحتاج حقيقة الى مثل ذلك التوسع

لنفرض جدلا أن عدد السكان في بعض البلدان هو أكبر من أن تستطيع تلك البلدان اعالته بسبب قلة مواردها . فما علاج ذلك وكيف يستعاض عن شح تلك الموارد ؟

ان أول جواب يخطر بالبال هو التوسع بالفتوح والغزوات ، وللتوسع ثلاثة أغراض : أولها ان تستولي الدولة على بلاد غير مأهولة لترسل اليها ما يزيد من سكانها . وثانيها أن تستولي على بلاد لم يستغل أحد مواردها الغنية فتحولها أسواقا لسلعها ومصنوعاتها . وثالثها أن تستولي على بلاد غنية بمواردها بقصد استغلالها

ولننظر الآن الى الغرض الاول من هذه الاغراض وقد تذرعت به ايطاليا في محاربتها الحبشة في الوقت الحاضر . فقد بذلت منذ خمسين سنة الى الآن مجهودات كبيرة لانشاء امبراطورية شبيهة بالامبراطورة الرومانية القديمة ولتخفيف الازدحام المتزايد في بلادها . ومع أنها شرعت في حروبها الاستعمارية منذ سنة ١٨٨٠ فانه لما نشبت الحرب العظمى الماضية لم يكن عدد الايطاليين في مستعمرات ايطاليا الافريقية كلها يزيد على ثمانية آلاف نفس مع أن في ولاية نيويورك وحدها خمسين ضعف ذلك العدد أي نحو أربعمائة الف ايطالي

ولننظر الى ألمانيا أيضاً فقد تحدت سيادة بريطانيا العظمى البحرية في الحرب العظمى الماضية وأرادت التوسع وضم المستعمرات الجديدة الى بلادها . ومع أن مساحة مستعمراتها في افريقا فقط لم تكن تنقص عند بدء تلك الحرب عن مليون ونصف مليون كيلو متر مربع ، فان مجموع عدد الالمان في تلك المستعمرات لم يكن يزيد على اثنين وعشرين الفاً ، ومجموع عدد الالمان في جميع المستعمرات الالمانية الاخرى لا يزيد على أربعة وعشرين الفا ، مع ان في منهاتان وحدها الواقعة عند مدخل مدينة نيويورك أكثر من ذلك العدد

ومن الدول التي تطلب التوسع الاستعماري اليابان الفتية وقد حاربت روسيا سنة ١٩٠٥ وسفكت دماء ثلثمائة الف من رجالها في سبيل الحصول على منشوريا . وهي الآن تتحدى روسيا والولايات المتحدة وتستفز غضبهما بمحاولة الاستيلاء على الصين بحجة ان سكانها يزدادون نحو مليون

نفس كل عام وانها فى حاجة الى مستعمرات ترسل اليها أولئك الزائدين . ومع ذلك ففى خلال ثلث القرن الاخير أى منذ استيلائها على منشوريا الى الآن لم يزد عدد اليابانيين الذين استوطنوا تلك البلاد على مئتى الف نفس — أى أقل من عدد الرجال الذين أريقت دماؤهم فى سبيل الاستيلاء على تلك البلاد ، مع أن فى مدينة كاليفورنيا وحدها ما لا يقل عن نصف ذلك العدد

فترى مما تقدم ان ادعاء الحاجة الى المستعمرات بسبب زيادة السكان انما هو حجة واهية لا يقصد بها الا استفزاز الشعور القومى واستنهاض حماسة الشعب . ومن أغرب الحقائق التى يؤيدها الاختبار أن الناس لا يهاجرون عادة الى المستعمرات التى تفتحها دولتهم بل الى بلاد غيرهم . وقد كانت الانحاء الوحيدة الصالحة للفتح والاستعمار فى خلال المائة السنة الماضية واقعة فى آسيا وأفريقا فقط . على أن الاجزاء غير المزدحمة منها بالسكان (كالصين والهند) لا تصلح للجنس الابيض . ترى كم من الايطاليين يستطيعون أن يستوطنوا افريقا الشرقية ويحتملوا الجو والعوامل الطبيعية فيها ؟

الحق أولى أن يقال — انه ما من شعب أوربى مهما ازدحمت به بلاده يستطيع تخفيف ذلك الازدحام بارسال ما يزيد منه الى المستعمرات ، وان كانت له جميع مستعمرات العالم

ومما يجدر بالذكر أن أشد الامم شكوى من ازدياد عدد أفرادها هى أشدها عملا لتحقيق تلك الزيادة . فقد قضى موسولينى السنوات الاخيرة يحرض الشعب الايطالى على الاكثار من النسل . فلما أثمرت دعوته راح يتلمس المستعمرات ليرسل اليها من يزيد من السكان

أما الاستيلاء على المستعمرات لجعلها أسواقاً للصادرات فأحسن مثل عليه هو مستعمرات بريطانيا العظمى وهي أكبر مستعمرات الدول وأغناها وفى مقدمتها الهند وعدد سكانها نحو ثلثمائة وخمسين مليوناً . وهذه المستعمرة ليست اليوم سوقاً للبضائع والمصنوعات الانجليزية بل للصادرات اليابانية . ومثلها شبه جزيرة ملقة فانها مع كونها مستعمرة بريطانية ليست سوقاً للصادرات البريطانية بل للصادرات اليابانية . ثم أن جميع المستعمرات الالمانية القديمة قد أصبحت اليوم من أملاك بريطانيا العظمى . ومع ذلك فان البضائع اليابانية رائجة فيها رواجاً عظيماً بخلاف البضائع الانجليزية

وما يصدق على المستعمرات البريطانية يصدق أيضاً على مستعمرات الدول الاخرى . فجاوة وسومطرة مثلا مستعمرتان هولنديتان ، ومع ذلك فان السلع اليابانية رائجة فيهما أكثر من السلع الهولندية أو من سلع أية دولة أخرى أوربية

وقد يبسم السعد لايطاليا فيتاح لها اخضاع الحبشة والاستيلاء عليها ولكن الحبشة لن تكون سوقاً للبضائع الايطالية بل لغيرها . وهذا دليل على ان الاستيلاء على المستعمرات ليس ضماناً على التمتع بمزايا اقتصادية . فالبضائع لا تروج بالضرورة فى المستعمرات الخاضعة للبلاد التى تصدر تلك البضائع بل هي تروج بمقتضى نواميس اقتصادية ، وليس لجنسية الاسواق علاقة برواجها أو كسادها

أما الغرض الثالث من أغراض الاستعمار أى الاستيلاء على المستعمرات لاستغلال مواردها

فهو أقرب تلك الأغراض الى الحقيقة . ولا يخفى أن احتكار بعض المواد الأولية كالفحم والحديد والزيت والمطاط والمعادن النافعة وغيرها من أهم العوامل الاقتصادية التى تؤثر فى النظم التجارية . وتلك المواد لازمة للتجارة كل اللزوم . والاستيلاء على أية مستعمرة يخول الدول المسئولة حق احتكار الموارد الموجودة فى تلك المستعمرة . على أن هذا الاحتكار كثيراً مايؤدى الى الاحتكاك بين الدول ، وقد تعمد بعضها الى الثأر من الدولة المحتكرة . مثال ذلك أن بريطانيا العظمى تملك مستعمرة ملقة وهى أكبر مورد للمطاط فى العالم . وقد كان فى امكانها أن تحتكر ذلك المطاط . ولكنها اضطرت الى الاتفاق مع الولايات المتحدة التى هى أشد الدول استهلاكا للمطاط

وعليه فان جميع المستعمرات التى قد يتسنى لايطاليا أن تستولى عليها لن تنفع الشعب الايطالى إلا قليلا جداً . والثمن الذى تحاول اليابان أن تبذله للاستيلاء على الصين لا يساوى الصفقة ، بل قد يؤدى الى افلاس اليابان ، والفتح الاستعمارى قد لا يحقق الغرض الذى يرمى اليه . بل قد تعود فائدته على دولة أجنبية أكثر ادراكا للنواميس الاقتصادية وأوفر نشاطا فى ميادينها

يقولون إن هنالك خطراً عظيما من نشوب الحروب الكبيرة بسبب المستعمرات . فان بعض الدول قد اتخمت من كثرة تلك المستعمرات ، حالة أن غيرها لا تملك منها شيئاً يذكر وهى فى أشد الحاجة اليها . وفى مقدمة الطائفة الثانية من الدول المانيا وايطاليا واليابان . وستسعى هذه الدول لتحقيق الموازنة بينها وبين الطائفة الأولى ويخشى أن يؤدى هذا الى الحرب

والحقيقة أن مطامع الدول لاحد لها مهما اغتنت وكثرت مستعمراتها لا تفتر لها عزيمة ولا تكف عن طلب المزيد . فبريطانيا العظمى هى أغنى الدول اليوم بالمستعمرات ومع ذلك فانها لو سنحت لها الفرصة للاستيلاء على مستعمرات جديدة لم تحجم عن وضع يدها عليها . ولو أتيح لالمانيا وايطاليا واليابان أن يستولين على جميع مستعمرات بريطانيا العظمى وأكثر ما كففن عن طلب المزيد

وما دامت مطامع الدول باقية على ما هى عليه فلن تكف الدول عن الاستزادة من السلاح ومن عقد المحالفات الهجومية والدفاعية . وسيبقى شبح الحرب ماثلا للابصار الى الابد . ولكن الحرب لا تجدى اليوم نفعاً ولا هى فى مصلحة الغالب ولا المغلوب . ولا شك أن من أكبر أسباب الضائقة المالية الآخذة اليوم بخناق دول الغرب افلات الاسواق التجارية من يدها وحلول غيرها فيها محلها ، وأسباب هذا التطور اقتصادية محضة كان يجب البحث عنها والعمل على تلافيها لا محاولة حلها بقوة السيف والمدفع . وإذا أريد فتح أسواق جديدة فيجب أن يكون ذلك بالطرق السلمية وبتنقيح نظمنا المالية ونظرياتنا الاقتصادية وبتشييد صرح تجارتنا على أسس أقوى ودعائم أثبت . بهذه الطريقة وحدها يمكننا أن نتلافى أسباب الحروب ونستغنى عن الحجج الواهية التى نتذرع بها لتسويغ حروب الفتح والاستعمار

الجنون والاجتماع

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة
ليترارى دايجست لكاتب امريكى]

وقفت ذات يوم منذ عدة سنوات مركبة أمام باب أحد المستشفيات الاميركية وعليها صندوق خشبي كبير داخله رجل موثق وفى أحد جوانب الصندوق ثقب صغير يتنفس منه الرجل

وما كادت المركبة تقف حتى فتح باب المستشفى وخرج منه الطبيب المراقب . فلما رأى الصندوق وداخله الرجـل صرخ فى الذين جاءوا به : « افتحوا الصندوق حالا فما هكذا يعامل المرضى ! » فقال له أحدهم : « ولكنه خطر يا سيدى وقد عاش موثقاً إلى شجرة هـذه الثلاثة الاعوام الاخيرة . لقد مات جميع أهله ولم يبق من يعتنى به »

فشرع الطبيب فى كسر الصندوق فى الحال . وما كاد ذلك البائس يرى نور الشمس حتى صاح مخاطباً الطبيب : « أملك الله الرحمة يا سيدى ؟ »

ان هذه الحادثة تمثل لنا نفسية الجمهور بازاء المجانين . وقد أخذت هذه النفسية تتغير لحسن الحظ، ولكن لا يزال مجال العمل واسعاً ، والحاجة تدعو الى بذل جهود كثيرة لجعل الاجتماع ينظر إلى الجنون بغير النظرة التى قد اعتاد أن ينظر بها اليه

ترى كم من الناس يعلم مثلا أن قليلا جداً من المجانين هم خطر على من حواليهم؟ وكم منهم يعلم أن علاقة الجنون بالوراثة ليست أقوى من علاقة أى مرض آخر بها ؟ واذا أمكننا اقناع الجمهور بأن الجنون ليس بوجه الاجمال مرضا وراثياً أصبحت نظرتنا اليه تختلف عما هى الآن

ويظهر أن الجمهور يعتقد أن الجنون آخذ فى الانتشار بسرعة هائلة بين جميع الطبقات. ولكن هذا الاعتقاد ــ كغيره من الاعتقادات المتعلقة بالجنون ــ خطأ لا يستند إلى دليل . وغاية ما يمكن أن يقال فى هذا الشأن ان تقدم علم الطب والوسـائل الصحية قد أفضى إلى زيادة متوسط عمر الانسان . فبعد أن كان عدد الذين يبلغون سن الخمسين قليلا جداً نسبياً منذ بدء القرن الحاضر ، زاد ذلك العدد بزيادة متوسط العمر . ولما كان مرض الجنون يصيب المتقدمين فى السن أكثر مما يصيب غيرهم فليس عجباً أن يزيد عدد المجانين زيادة نسبية

وبعبارة أخرى ان الجنون هو من أمراض البالغين والمتقدمين فى السن . ونسبة هؤلاء البالغين والمتقدمين فى السن قد زادت فى ربع القرن الاخير زيادة محسوسة . فليس عجيباً أن ترى زيادة طفيفة فى نسبة الذين يصابون بالأمراض العقلية على اختلاف أنواعها

وما يصدق على الأمراض العقلية يصدق على بعض الأمراض الاخرى التى تصيب البالغين

والمتقدمين فى السن وفى مقدمتها مرض السرطان . فانه مع تقدم علم الطب وتحسن وسائل المعالجة قد زاد عدد المصابين بالسرطان زيادة محسوسة

وربما كان هنالك تعليل آخر لهذه الزيادة وهى ضبط وسائل الاحصاء وزيادة ثقة الناس بالمستشفيات بحيث صاروا يقبلون عليها بعد أن كانوا يتحاشونها ويكتمون أمراضهم ، وفى الحقيقة ان استعدادات المستشفيات فى جميع أنحاء العالم قد ارتقت وتقدمت ، ووسائل المعالجة قد تحسنت . فزاد الاقبال على تلك المستشفيات . وأوهمت هذه الزيادة الناس ان عدد المجانين فى العالم قد زاد . مع أن الزيادة انما هي مظهر من مظاهر الزيادة فى متوسط عمر الانسان

وقد كان لابد من مرور السنين الطوال حتى تفوز المستشفيات بثقة الجماهير . وما كانت هذه الثقة ممكنة حتى أواخر القرون الوسطى وأوائل العصور الحديثة اذ كان الاطباء يعاملون المجانين بمنتهى القسوة ، ويظهرون فى معالجتهم كل وحشية وهمجية ، ويعتقدون أن فى المجانين أرواحاً نجسة وشياطين ووحوشاً . لذلك كان الاطباء يقسون فى معالجتهم لاخراج تلك الشياطين والارواح منهم وبعبارة أخرى ان نظرة القوم الى المجانين ما كانت تختلف عن نظرة الناس اليهم فى العصور المظلمة ولذلك كانوا يقيدونهم فى أحوال كثيرة بالسلاسل

ولا يزال الكثيرون من الناس يتوهمون أن الجنون مرض غير قابل للشفاء ، مع أن جميع التقارير الطبية وسجلات المستشفيات تناقض ذلك الاعتقاد وتثبت أن الجنون قابل للشفاء . ويؤخذ من تلك التقارير والسجلات ومن أصدق الانباء أن متوسط عدد الذين يدخلون مستشفيات الامراض العقلية وينالون الشفاء التام لا يقل عن أربعين فى المائة ، وان نتيجة المعالجة فى بعض تلك المستشفيات تفوق المنتظر ، لأن نحو ستين فى المائة من الذين يدخلونها ينالون الشفاء التام . ومنهم من يشفون بعد مكثهم فى تلك المستشفيات بضعة أسابيع . ومنهم من يشفون بعد مكثهم بضعة أشهر . ومنهم من تستغرق معالجتهم بضع سنوات . أما الذين لا يرجى شفاؤهم أبداً فعددهم قليل بالنسبة الى غيرهم ، وهم طائفة قائمة برأسها

ومما يجدر بالذكر أن الوسائل الحديثة لمعالجة المصابين بالامراض العقلية يرجع الفضل فيها إلى رجل امريكى يسمى كليفورد بيرس كان من متخرجى جامعة يايل وقد أصيب بضعف فى قواه العقلية فأدخل فى أحد مستشفيات المجاذيب ثم نقل من هنالك إلى مستشفى آخر . ومن هذا المستشفى الى مستشفى ثالث ، وكان يعامل فى جميع تلك المستشفيات بقسوة متناهية ، فقد وضع فى أحدها فى غرفة تشبه كل الشبه ثلاجة وقيد فى مستشفى آخر بالسلاسل وألبس فى مستشفى ثالث قبص المجانين . ولقى فى جميع تلك المستشفيات اصناف العذاب . ولحسن حظه نال الشفاء التام وخرج من تلك المستشفيات وهو مصمم تصميماً تاماً على أن يقف حياته وهمته على تحسين وسائل العناية بالمجانين والمصابين بالامراض العقلية على اختلاف أنواعها . وقد أصاب نجاحا هائلا . واليه يرجع

الفضل إلى ما هي عليه المستشفيات اليوم من حسن وسائل المعالجة وطرق العناية بالمصابين بالامراض العقلية — ليس في أمريكا فقط بل في جميع أنحاء العالم

وفي الحقيقة أن ما عمله ذلك المصلح العظيم كان عملا مجيداً جداً . واصلاح مستشفيات المجاذيب في العالم كله لم يبدأ الا منذ نحو ربع قرن أي منذ بدأ بيرس بحملته التي أراد بهـا اصلاح حال المجاذيب واستجلاب عطف الاجتماع عليهم . وقد بدىء منذ عهد قريب بدرس ذلك النوع من الجنون الذي يسمى « ديمنتيا بريكوكس » أي الجنون العادي الذي يصيب البالغين أو المتقدمين في السن وهو بلا شك أشيع أنواع الجنون في العالم وأسهلها علاجاً وأبعثها على الامل . ومن دواعي الاسف أن هذا النوع وحده يحمل العالم خسارة هائلة في المال والوقت والنشاط . ولقـد قال شيشرون الخطيب منذ اكثر من الفي سنة : « ان أمراض العقل هي أكثر عدداً من أمراض الجسم، ومع ذلك فان الاجتماع لم يعن بها إلا منذ عهد قريب جداً

ان الجنون مرض كسائر الامراض واكثر أنواعه قابلة للشفاء والذين يشفون منه سنوياً يحصون بالالوف . وليس بين المجانين من هم خطر على الاجتماع الا عدد قليل جداً كما أن هـذا المرض ليس وراثياً دائماً بل ان علاقته بالوراثة ليست أقوى من علاقة أي مرض آخر بالوراثة . وليس المجانين هم الذين يجب حسبانهم خطراً على الاجتماع بل الاجتماع هو خطر عليهم لانه لاينظر اليهم النظرة الصحيحة بل يقسو عليهم قسوة لا مسوغ لها على الاطلاق

ما نصيبك من المصائب؟

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة بوبيولار ميكانيكس لمحرر بوبيولار ميكانيكس]

في الاحصاء الرسمي لحوادث سنة ١٩٣٤ في الولايات المتحدة أن عدد الذين قتلوا بمختلف الاسباب في تلك السنة بلغ مائة الف شخص وعدد الذين أصيبوا بعاهات دائمة بلغ ثلثمائة وسبعين الفاً ، وعدد الذين أصيبوا اصابات وقتية زاد على تسعة ملايين وثلاثة أرباع المليون . فما نصيبك ، والحالة هذه ، من تلك المصائب ؟ وإلى أي حد تظن أنك في أمان . سواء أكنت في بيتك أم في طريقك أم في محل عملك ؟ وما هي الاحتياطات التي تستطيع اتخاذها لكي تضمن لنفسك الامان ؟

لقد قام العلماء بمباحث كثيرة ثبتت لهم منها حقائق مدهشة . ليست خاصة بالولايات المتحدة فقط بل تشمل جميع أنحاء العالم المتمدن . فمن تلك الحقائق أنك أبعد عن الخطر إذ تسوق أوتوموبيلك في نصف الليل منك وأنت تسوقه في الصباح عند ما تذهب إلى محل عملك . وأنك أبعد عن الخطر إذ تسوق أوتوموبيلك في شارع مزدحم ، منك وانت تسوقه في شارع خال نسبياً من المارة . وأنك

أكثر تعرضاً للسقوط من سريرك أو عن كرسيك وأنت فى غرفتك منك وأنت فى غرفة حمامك، حيث يمكن أن تنزحلق على قطعة من الصابون . وأنك أكثر تعرضاً للموت غرقاً على شواطىء الاستحمام منك للموت بغرق السفينة التى أنت فيها ، أو بصدام السكة الحديدية التى تقلك أو بسقوط الطيارة التى تحملك . وأن خطر الموت فى معمل أو فى منجم تحت الارض أقل منه فى الغيط فوق سطح الارض

وقد بذل العلماء جهوداً عظيمة لزيادة عنصر الامن والسلامة واستنبطوا وسائل كثيرة لوقاية الانسان فى كل ساعة من ساعات حياته . وسواء أكنت فى بيتك أم فى غيطك أم على سفر فان هنالك اخصائيين يراقبونك ويستنبطون مختلف الوسائل لوقايتك . إلا أن علماء النفس يقولون إن نقطة الضعف فيما يبذله المرء لأبعاد الخطر عن نفسه هى عامل طبيعى فيه ونعنى به الاهمال . فالاهمال هو سبب أكثر المصائب التى تحل بالانسان . أى ان النكبات التى تحل به فى بيته أو محل عمله أو فى طريقه ليست فى الغالب ناشئة عن خلل ميكانيكى فى الآلات التى يستعملها بل عن اهماله

فمقدار الطمأنينة التى تتمتع بها يتوقف فى الاكثر على مبلغ احتياطك وانتباهك لما يحيط بك من العوامل . نعم انه يتوقف أيضاً على نوع عملك وعلى المكان الذى تقيم به . ولكن العامل الاهم فى ضمان سلامتك هو مقدار احتياطك وانتباهك لما يقع حولك

ولا شك أن الموقع الجغرافى أيضاً من العوامل المهمة فبعض البلاد هى فى مناطق بركانية تكثر فيها الزلازل . وهذا عامل مهم فى تحديد مقدار السلامة التى يحق لك أن تتمتع بها ، ومع ذلك فهو ليس أهم من عامل الحرص والاكتراث ، أى أن الاهمال هو أشد العوامل

وكذلك القول فى بعض المهن فانها أشد خطراً من غيرها . فالذين يشتغلون فى معامل المواد الكيماوية أو المواد المنفجرة هم أكثر تعرضاً للخطر من الذين يشتغلون فى معامل النسيج . ومع ذلك فالاهمال هو أعظم العوامل التى تعرض حياتهم للخطر

ويؤخذ من المباحث التى قام بها العلماء ومن الاحصاءات التى جمعوها أن نسبة خطر الموت هى واحد من الف ومائتين . ونسبة خطر الاصابة بعاهة دائمة هى واحد من ثلثمائة وثلاثين . ونسبة التعرض لاصابة بسيطة هى واحد من اثنى عشر

وقد بلغ عدد القتلى بالاوتوموبيلات فى سنة ١٩٣٤ فى الولايات المتحدة ستة وثلاثين الفا . وعدد الذين قتلوا فى بيوتهم باصابات مختلفة ٣٤٥٠٠ وعدد الذين قتلوا بالالعاب الرياضية ١٧٥٠٠ وعدد الذين قتلوا فى أثناء قيامهم بأعمالهم ستة عشر الفا . وفى هذا دليل على أن الانسان فى أثناء قيامه بعمله يكون أقل تعرضاً للخطر منه عند ما يطلق لنفسه عنان أوتوموبيله بلا حرص ولا انتباه . ومع أن مهندسى الاوتوموبيلات قد استنبطوا عدة وسائل لزيادة السلامة فان المرء لا يزال معرضاً لخطر الموت بالاوتوموبيل بنسبة واحد الى ثلاثة آلاف وأربعمائة . وأعظم مناطق الخطر هى

الطرق المفتوحة حيث تقع أكثر الاصابات ويلى تلك الطرق تقاطع الشوارع حيث يقع نحو ربع حوادث الوفيات بالاوتوموبيلات . وأشد الأوقات خطراً هي بين الساعة السابعة والساعة التاسعة مساء . وإذا كنت سائراً في الطرق فنسبة تعرضك لخطر الموت بالاوتوموبيل هي واحد من ستة عشر الفاً وهذا أكبر دليل على عاقبة الاهمال — سواء أكان منك أم من سائقي الاوتوموبيلات — وتكاد معظم الحوادث التي تصدم فيها الاوتوموبيلات المشاة تقع عند نقط تقاطع الشوارع

وعند ما تكون في منزلك تكون معرضاً للاصابات القاتلة بنسبة واحد الى ٣٥٢٦ وفي الحقيقة أنه مع كثرة الاستنباطات التي يراد منها تقليل عامل الخطر وتوفير عامل السلامة لا يزال البيت من أعظم مناطق الخطر ، والاصابات التي تقع فيه وتنتهي بالموت هي في ازدياد مستمر . ومن جملتها السقوط من نافذة أو من قمة سلم أو عن سطح البيت . والاحتراق بسبب الاهمال وعدم الانتباه . ومما يدعو الى الدهشة أن أكثر الحوادث المميتة التي من هذا القبيل (ما عدا حوادث الاحتراق) تقع في غرف النوم . وتليها الاصابات التي تقع على سلالم البيت ثم في غرفة الاستحمام . أما حوادث الاحتراق التي تنتهي بالموت فمعظمها تقع في المطبخ ثم في غرفة الجلوس فغرفة النوم . ومع كثرة الاختراعات المراد منها توفير السلامة لا تزال غرفة النوم موضع خطر عظيم والمرء معرض فيها لجميع أنواع الاصابات

أما الالعاب الرياضية فالسباحة أشدها خطراً على الانسان . وأشد الخطر في شواطىء الاستحمام العامة . ويبلغ عدد الذين يغرقون كل عام عشرات الالوف . ولا شك أن أكثر حوادث الغرق هي نتيجة الاهمال وعدم الاحتياط

ومهما تكن العوامل التي تسبب الخطر — وهي كثيرة متنوعة — فان أعظمها عامل الاهمال . وقد قتل هذا العامل من البشر أكثر ممن قتلتهم الحروب والامراض والزلازل . فاذا أردت أن تعرف نصيبك من الخطر أو من السلامة فابحث عن مقدار ما أنت متصف به من الاهمال أو من الحرص والاحتياط . فعلى قدر حرصك تكون بمنجاة من خطر الموت . نعم أن هنالك حالات لا ينفع معها الحرص لانها تأخذ الانسان فجأة فتورده موارد الهلكة ، كالزلازل مثلا . ولكن هذه الحوادث ليست هي الكثيرة بل القلة . وانك وأنت مهمل لاشد تعرضاً لخطر الموت — ولو كنت في بيتك — منك وأنت متنبه محتاط — ولو كنت في أشد مواطن الخطر — وجميع الاحصاءات تدل على أن ضحايا الاهمال في هذا العالم — سواء أكان بين المتمدنين أم المتوحشين — أكثر عدداً من ضحايا أي عامل آخر من عوامل الخطر . وخير هدية يقدمها الوالدون الى أولادهم هي أن يغرسوا في نفوسهم حب الحرص والاحتياط والابتعاد عن الاهمال ، فالاهمال عدو الانسان بل عدو الاجتماع بوجه الاجمال

أكذوبة تاريخية

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة سايانس
نيوز لتر. بقلم الاستاذ جيمس ستكلي]

منذ نحو مائة سنة كان الناس فى أوربا وأميركا يلغطون بحكاية غريبة قد أصبحت حديث جميع المجتمعات . وخلاصتها أن العلم قد أثبت وجود أشخاص ذوى أجنحة فى القمر . وقد شاعت هذه الحكاية يومئذ بين أفراد جميع الطبقات ، فما كان يجتمع اثنان أو ثلاثة معا الا ومحور حديثهم «سكان القمر» ، ويظهر أن بعضهم استغل شهرة رجل من كبار علماء الفلك ، وهو السر جون هرشل ، فأذاع عن لسانه تلك الاكذوبة التى أصبحت من أشهر الاكاذيب التاريخية وقد جازت يومئذ على أكثر العلماء

وتفصيل ذلك أن جريدة « نيويورك صن » وكانت من أكبر الصحف الامريكية ومن أهمها فى ذلك العهد ــ ظهرت ذات يوم من أيام شهر أغسطس سنة ١٩٣٠ وعلى الصفحة الاولى من صفحاتها حكاية غريبة بعنوانات ضخمة عن « الاكتشاف الفلكى العظيم الذى وفق اليه السرجون هرشل العالم الفلكي الشهير والدكتور فى القانون وعضو المجمع الفلكى فى رأس الرجاء الصالح »

بمثل هذا العنوان الطويل صدرت تلك الجريدة حكايتها الخرافية التى جازت على عقول قرائها بل على عقول جميع الناس فى ذلك العهد، وقد نقل طائفة كبيرة من الصحف خلاصة تلك الاكذوبة. واليك ما قاله جريدة « نيويورك صن » بشأنها :

« يسرنا أن ننقل اليوم الى شعبنا بل الى جميع الشعوب المتمدنة خبر الاكتشافات الفلكية الاخيرة التى وفق اليها عالم من أكبر علماء الفلك فى هذا العصر والتى سترفع قدر الجيل الحاضر فى نظر الاجيال المقبلة وتخلد له المجد على ممر العصور . وقد قال أحد شعرائنا المجيدين : « إن الافلاك هى إرث العقل الانسانى وإن الانسان انما يستطيع تقرير سلطانه عليها بفضل قوة عقله » . واليوم نرى قول ذلك الشاعر قد انتقل من عالم الخيال الى عالم الحقيقة . فقد أثبتت الاكتشافات العلمية التى نحن بصددها أن الانسان ــ بفضل قواه العقلية ــ هو سيد جميع المخلوقات الحية ، لا على هذه الكرة الارضية فقط بل فى سائر الاكوان العلوية أيضاً »

هذه هى المقدمة التى مهدت بها الجريدة الى روايتها الخيالية التى نشرتها فى ستة أجزاء (أعداد) متوالية . وقد انتقلت منها الى الكلام على الاكتشاف نفسه فقالت : « إن السرجون هرشل كان قد اكتشف طريقة لصنع أكبر مرقب (تلسكوب) فى العالم يقوم على مبدأ علمى مزعوم يقتضى غمر الشبح المراد رؤيته بفيض من النور الصناعى ، فكأنك تعتبر الشبح المطبوع على عدسة التلسكوب هو الشيء نفسه لا شبحه ، وهذا الشيء يمكن تكبيره باطلاق سيل من النور الصناعى عليه وعلى

العدسة نفسها . فيؤدى ذلك الى تكبير الشيء تكبيراً عظيما جداً بحيث تظهر الاشباح للعين جلية واضحة مهما كانت بعيدة وصغيرة »

ولا حاجة الى القول أن هذه النظرية سخافة من السخافات التى لا يسلم بها عالم ، فان اطلاق سيل من النور الصناعى على الشبح المطبوع على العدسة يحول دون رؤيته بجلاء كما أن اطلاق النور الصناعى على ستار السينما يحول دون رؤية الصور والمشاهد . وهذا هو السبب فى أنهم عند عرض الصور السينماتوغرافية يطفئون الانوار

ومع ذلك فقد جازت هذه السخافة على عقول الكثيرين من العلماء فى ذلك العهد ممن لم يحملوا أنفسهم عناء تمحيص تلك السخافة لاعتقادهم أنها صادرة من رجل عالم كالسرجون هرشل ، وعليها بنى تلسكوبه العظيم الذى استطاع بواسطته رؤية كل ما فى القمر من انسان وحيوان ونبات ، بل استطاع رؤية الاشياء التى لا يزيد حجمها على حجم جوزة اعتيادية ! أما الحيوانات التى رآها — بحسب رواية النيويورك صن — فكثيرة متنوعة ومن ضمنها الخراف والوعل والجواميس . وفوقها كلها « انسان القمر » وهو غريب الشكل يختلف عن انسان الكرة الارضية بكونه كثير الشعر وذا جناحين وشكله يشابه شكل وطواط هائل الحجم ، ولذلك سماه المكتشف على زعم الجريدة « الانسان الوطواط » وكانت الدلائل تدل على أن هذا الانسان مخلوق عاقل ذكى الفؤاد يسكن فى بيوت ذات هندسة جميلة وله معابد شامخة

وقد أحدثت هذه الرواية دهشة عظيمة فى كل مكان وصدقها حتى العلماء . وأعادت جريدة « النيويورك صن » طبعها على حدة فى شكل نبذة بيع منها فى شهر واحد ستون الف نسخة ، وترجمت الى معظم لغات المتمدنين فى ذلك العصر وراجت رواجاً لم يلقه أى كتاب آخر ، فلم ينقض العام حتى كان ذلك الخبر قد عم العالم المتمدن كله ! وساعد على انتشاره نسبة الاكتشاف الى السرجون هرشل كما تقدم . على أن السرجون نفسه لم يكن يدرى بشيء مما جرى لانه كان قد ذهب بتلسكوبه العظيم الى أفريقا الجنوبية لرصد الافلاك وما كان ذلك ليتسنى له فى انجلترا حيث الاضبة (جمع ضباب) وسحب الغيوم قلما تنجاب عن كبد السماء . ولما كانت وسائل الاتصال بين أجزاء العالم المختلفة ضئيلة ولم يكن الراديو والتلفون والتلغراف وغير هـذه الوسائل قد اخترعت بعد ، فان السر جون هرشل لم يسمع بخبر الاكتشاف الذى نسبته اليه جريدة « نيويورك صن » ولا علم كيف شوهت سمعته ، فبقى الناس يصدقون تلك الاكذوبة زمنا طويلا . ولكن اتضح فيما بعد أن مصدر الاكذوبة رجل يدعى « رتشارد ادمس لوك » وقد أصبح بعد ذلك رئيس تحرير جريدة «صن» . ويقال ان عالما فلكيا فرنسيا يدعى نيكولا نيكوليت — وكان قد نزح الى الولايات المتحدة — ساعد رتشارد أدمس لوك المذكور على استنباط تلك الاكذوبة وترويجها لانه كان معادياً لفلكى فرنسى يدعى فرنسوا أراجو من أصدقاء السرجون هرشل ومن المعجبين به

النظم الدراسية وقيمتها العلمية

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
مودرن تنكر بقلم ديمريك جنكنز]

كان التحصيل العالى فى الأزمنة الماضية غرضاً سامياً . ولكن بعض النفعيين أدركوا أن فى وسعهم استغلاله والانتفاع به . فاستنبطوا له الالقاب والدرجات العلمية ووضعوا له نظما ونجحوا فى حمل العالم كله على الشعور بحاجة الاجتماع الى المدارس العالية . ومنذ ذلك الحين بدىء بوضع التعليم على أساس تجارى ، ورسخ الاعتقاد فى اذهان الجماهير بأن هذا هو التعليم الحقيقى وقد جرت الامور مجرى حسنا ردحا من الدهر إلى أن استيقظ الشبان من غفلتهم وأخذوا يسألون أنفسهم : « ترى هل يساوى التعليم فى المدارس الكلية والجامعة الثمن الذى يبذل من أجله ؟ » واذا لم يجدوا لهذا السؤال سوى جواب واحد سلبي أخذوا يفكرون فى انقاذه من الهوة التى هوى اليها وارجاعه الى المكان اللائق به

وفى الحقيقة أن الطالب المفكر يرغب اليوم أشد الرغبة فى اطلاق التعليم من القيود التى هو مقيد بها . وشعاره وجوب مواصلة الرقى عن طريق النشاط الفردى . وهو يطلب اطلاق حرية البحث والتجارب مع الاستنارة بالآراء التقليدية السائرة على أن يكون له حق الحكم وحرية الرأى

ولقد يأنف البعض من القول بأن نظام التعليم فى الكليات لا يساوى الثمن الذى يبذل فى سبيله . ففى مثل هذا القول من التطرف ما فيه . وفى الحقيقة أن الانتقاد يجب أن يوجه الى الطرق التى تدار بها بعض المدارس فقد أصبح بعضها عالة على المجتمع

يخرج الطالب من الكلية ليبدأ الجهاد فى سبيل الحياة وهو فرح جد فرح بمغادرة المدرسة ونظمها البالية ، مع انه ليس ثمة مايفرحه فى الحقيقة لا سيما انه كلما تقدم لطلب وظيفة أو عمل رأى الالوف من اخوانه المتعلمين ينافسونه على تلك الوظيفة أو ذلك العمل . فيعود يتذكر انه حشا رأسه فى أيام الدراسة بمعلومات قلما تفيده فى معترك الحياة . ويدرك حق الادراك انه ليس له أمل كبير بالنجاح لأن تعليمه كان ميكانيكياً . وإذا استطاع أى عمل فانه انما يقوم به ميكانيكياً وعلى الاسلوب الذى تلقنه . فاذا اختار مهنة التعليم مثلا جرى على النظام الذى تلقاه فى أيام دراسته . فأضاف بذلك مقداراً جديداً الى الفوضى المحدقة بمهنة التعليم . وكذلك القول اذا اختار أية خطة أخرى فى الحياة

وغنى عن البيان أن الشاب لا يلام اذا هو سعى بعد اتمام دراسته الى استرجاع ما انفقه على

تلك الدراسة . فهو يعتبر التحصيل ضرباً من ضروب استثمار المال . على أن العاقل يعلم تماماً أن العلم غاية لا واسطة ، وأن الشاب الذى ينفق ماله ووقته فى التحصيل لا يفعل ذلك بقصد الارتزاق مما تعلمه ، فليس ذلك مما يشرف العلم والعلماء . ومع ذلك فانك اذا فحصت نيات ملايين الطلبة الذين يتلقون العلم اليوم فى المدارس ثبت لك انهم يدرسون بقصد الاستعانة بشهاداتهم العلمية فيما بعد على اكتساب الرزق

ان غاية التحصيل يجب أن تكون أسمى من ذلك بكثير أى أن تكون ترقية النشاط الفردى وتقوية ملكة البحث والاستقرار لا الحصول على شهادة علمية أو لقب علمى . ومن منا ينكر أن مئات الألوف من الطلبة يجتازون الامتحانات ويحصلون على الشهادات والرتب والالقاب العلمية لانهم يحسنون الغش فى الامتحانات ويتجنبون عين الرقيب . وبعد حصولهم على تلك الشهادات يدخلون معترك الحياة منتظرين من المجتمع أن يسهل لهم سبل الارتزاق . فاذا لم يوفقوا الى ذلك نقموا على الاجتماع وشهروا به وبنظمه

فاذا كانت هذه هى غاية التعليم فما أحطها من غاية ، انها عدو كل رقى عقلى . لان تلك الغاية يجب أن تكون صقل القوى العقلية والادبية ورفع مستوى الادراك . والاسئلة التى يجب أن نسألها كلما وقف أمامنا رجل متعلم هى : « ما الذى يستطيع عمله ؟ وفيم يفكر ؟ وما قيمة عمله وتفكيره بالنسبة الى الاجتماع ؟ » ومن دواعى الاسف اننا بدلا من أن نسأل هذه الاسئلة نسأل : « فى أية مدرسة كان ؟ وما هى الالقاب العلمية التى هو حاصل عليها ؟ وما هى الالعاب الرياضية التى يحسنها ؟ »

أضف الى ماتقدم أن التعليم الدراسى قد أصبح مادياً فى كل شىء . وقد تطرقت اليه المنافسة فحطته الى الدرك الاسفل . وكان من أثر هذه المنافسة أن المدارس خفضت مستوى المؤهلات المطلوبة من طالبي الدخول لتجتذب كل منها اكبر عدد ممكن من الطلاب . وبدلا من أن تتعاون جميعاً على رفع مستوى العلم أصبحت تتنافس على اقتناص الطلبة ، وفى ذلك أقوى دليل على أن أساليبها قد أصبحت تجارية محضة ، وعلى أن غايتها قد صارت مادية . وليس ذلك فقط بل أن لبعض المدارس سماسرة يجولون بين الاسر لحمل الآباء على ارسال أولادهم اليها . وهذا ما حمل الكثيرين من الكتاب على انتقاد نظم التحصيل فى العصر الحاضر ، وفى مقدمتهم ابتون سنكلر الكاتب الامريكى وبرنارد شو الكاتب الانجليزى . وقد وصف ثانيهما المدارس الكلية بقوله : « أنها مظهر من مظاهر جهل الجنس البشرى » . ومثل ذلك أيضاً وصفها « منكن » المفكر الامريكى المشهور حتى ان طلبة المدارس فى أمريكا ينظرون اليه اليوم نظرة تقدير واعجاب . وكذلك فعل برتراند رسل الفيلسوف العظيم وله فى نظم التعليم نظريات واقتراحات لايتسع لها هذا المجال . ووصف جون ديوى أساليب الكليات الحاضرة وصفاً يجعلنا نعتبر تلك الكليات عالة على الاجتماع

القتل فى سبيل الرحمة

[مقالة نشرت في مجلة هيلث
ديجيست بقلم رئيس تحريرها]

قد تزور عليلا يعانى آلام المرض ويتقلب على فراش الاوجاع فتسمعه يشكو ويئن ويتمنى لو أن الله يرحمه فيقبض روحه وينقذه مما هو فيه من آلام . بل لقد يطلب ذلك المريض من طبيبه أن يعطيه جرعة سم قاتلة تريحه من آلامه . والناس بازاء مثل هذا الطلب فريقان — يزعم أحدهما أن للطبيب حق قتل المريض الذى يعانى الآلام المبرحة ولا يرجى شفاؤه . وينكر أحدهما ذلك الحق بحجة أنه لا يجوز للانسان أن يقتل نفساً حرم الله قتلها ، مهما كان الداعى الى ذلك

والفريق الاول يقول انه إذا كان علم الطب قد قطع كل أمل من شفاء رجل مريض وكان هذا المريض يعانى آلاماً لا تطاق فلماذا لا يراح من عذاباته ، ولماذا لا يؤذن للطبيب باخماد أنفاسه شفقة عليه كما نفعل بالحيوان اذ نقتله إذا أخفقت كل حيلة فى معالجته

أما الفريق الثانى فيقول ان الحياة مع الآلام خير من الموت

ومما يجدر بالذكر ان الاطباء ليسوا هم الذين يطلبون أن يكون لهم حق قتل المريض الذى يعانى الآلام المبرحة ولا يرجى شفاؤه . بل الذين يطلبون ذلك هم الافراد الذين ليس لهم علاقة بمهنة الطب ولا تربطهم صلة نسب أو قرابة بالعليل . نعم ان هنالك أفراداً من الاطباء يوافقون على الفكرة فى حد ذاتها . ولكنهم عندما يدعون لمعالجة عليل لا يرجى شفاؤه يشعرون بالتبعة الملقاة على عاتقهم ولا يجرؤون على تنفيذ تلك الفكرة لانهم ليسوا مغرورين بأنفسهم وبمدى السلطة التى يخولها اياهم علم الطب . ولا يمكن ان يخطر ببالهم أن لهم على أرواح العباد سلطان الموت والحياة

وفى الحقيقة أن الطبيب الامين لشرف مهنته لا يجهل أنه — ككل انسان آخر فى هذه الحياة — عرضة للخطأ . فضلا عن أنه لا يمكن ان يخلو من عاطفة الرحمة والشفقة ، ولذلك لا يمكن أن يتحمل تلك التبعة الخطيرة — تبعة اخماد جذوة الحياة الموقدة فى نفس كل مخلوق حى . وهو يدرك ما فى استعمال سلطة القتل ، ولو فى أحوال نادرة ، من أخطار عظيمة

ومن العبث الاحتجاج بأن المريض الذى لا يرجى شفاؤه انما يعانى آلاماً مبرحة تجعل الحياة عبئا ثقيلا ، ليس عليه فقط بل على اهله أيضا . فمثل هذا الاحتجاج لا يقام له وزن على الاطلاق . فان طائفة كبيرة من اعظم عظماء التاريخ الذين كان لهم تأثير فى الاجتماع كانوا مصابين بأمراض غير قابلة للشفاء ، وكان بعضهم يعانى الآلام المبرحة باستمرار

فكارليل أعظم كتاب انجلترا الاجتماعيين كان مصابا بمرض لا يرجى شفاؤه ومع ذلك ادت كتبه ومؤلفاته إلى تغيير تاريخ أمم كثيرة . وكان الشاعر الكسندر بوب من أعظم شعراء عصره وقد ترك وراءه آثاراً أدبية ذات قيمة عظيمة . ومع ذلك كان مصاباً بمرض جعله مقعداً طول حياته . ومنذ عهد غير بعيد كان الدكتور ترودو الامريكى مصاباً بمرض السل ، فأرسل الى إحدى جهات الريف ليقضى البقية الباقية من حياته ، ولم يكن أحد يرجو له الشفاء . ولو أن الاطباء قتلوه ليريحوه من آلامه لهلك مئات الالوف من المسلولين ولم يسمعوا بطريقة علاجه ، وفى الحقيقة انه حير وأخجل جميع الاطباء الذين كانوا قد قطعوا الامل من شفائه ، وأثبت لهم أن حكمهم عليه لم يكن الا عن جهل ، وأن زعمهم أن مرضه غير قابل للشفاء كان لجهلهم نواميس الطبيعة التى يذل جهود الجبابرة فى سبيل اماطة اللثام عنها — لا لخير نفسه فقط بل لخير البشر بوجه الاجمال

والمجال لا يتسع لذكر أسماء العظماء الذين أفادوا الاجتماع وأحسنوا الى البشرية مع أنهم كانوا مصابين بأمراض لا يرجى لهم منها الشفاء . ويحضرنا من اسمائهم — عدا الذين ذكرناهم — شتاينميز وكان من أعظم المخترعين الكهربائيين . وبابسون العالم الاقتصادى الذى تنبأ بضائقة سنة ١٩٢٩ المالية . « وروبرت ريا » الذى لا يزال إلى الآن أكبر ثقة فى الشؤون المالية التجارية فى أمريكا . أمثال هؤلاء كثيرون وهم مع ثقل وطأة الاوجاع عليهم وصدور حكم الطب بأن أمراضهم غير قابلة للشفاء خدموا الانسانية باكتشافاتهم ومباحثهم أجل الخدمات . وفى الحقيقة أن تراجم هؤلاء الابطال تثبت لنا أن الشجاعة الادبية للانسان كثيراً ماتكون أثمن فى نظر الاجتماع من صحته وراحته

قيل ان السر والتر سكوت الكاتب الانجليزى العظيم كان مصاباً بمرض مزمن لا يرجى له منه الشفاء . ومع ذلك قضى معظم أيامه فى الكتابة والتأليف — لا ليجمع لنفسه ثروة بل ليفى الديون التى كانت قد تراكمت عليه فى شبابه . وقد تمكن من ايفائها ولكنه مات معدماً حر الضمير . وما كان يخشى إلا أن يموت قبل ايفاء تلك الديون

ولننظر الآن فى وجه آخر من وجوه قتل المريض الذى لا يرجى شفاؤه . لقد شهد العالم منذ عشرين عاماً حرباً هائلة ذهب ضحيتها الملايين من القتلى فضلا عن مئات الالوف من الجرحى والمشوهين الذين لا يرجى شفاؤهم . ولا حاجة الى القول أن هؤلاء البؤساء لما اصيبوا فى الحرب بالجروح كانوا يعانون آلاماً لا تطاق وكان الاطباء يعلمون انهم قد قضى عليهم إلى الابد ، ولو كان القتل الذى يراد به الرحمة جائزاً لقضى على أولئك الالوف من الرجال ولقتلهم الاطباء وانقذوهم من آلامهم وهم بعد فى ميادين القتال . ومع ذلك لم يجرؤ طبيب أن يتحمل تبعة ازهاق روح أحدهم . فنجا أولئك البائسون من الموت ، ولا شك أن الكثيرين منهم أفادوا ولا يزالون يفيدون الاجتماع

تقدم العلم والعالم

فحص الدم قبل الزواج

أصدرت ولاية كونكتيكوت الاميركية قانونا يقضى على كل من يريد الزواج أن يتقدم هو وخطيبته الى أى معمل من المعامل الكيمياوية المعترف بها لفحص دمهما فحصا كيمياويا بطريقة «كاهن» أو «واسرمان» للحصول على شهادة رسمية بانهما خاليان من الامراض الزهرية التى تحول دون الزواج. وليست ولاية كونكتيكوت أول ولاية امريكية أصدرت هذا القانون فقد سبقتها الى ذلك ولايات ويسكونسن واوريجون ونورث دا كوتا والآباما وويكومنج ولويزيانا ونورث كارولينا. وقد عادت الولاية الاخيرة فألغت ذلك القانون فى أواسط السنة الماضية

أصل القمح

الارجح أن القمح هو أول شىء زرعه الانسان ليتغذى به. ولاشك انه كان ينمو فى أول عهد الحضارة بحالة برية، ولم يكن العلماء قد وفقوا الى العثور عليه نابتاً بهذه الحالة. على أن الاخبار الواردة من روسيا تقول إن بعض علماء النبات الروس الذين يعملون فى منطقة جبل اراراط بارمينيا السوفياتية عثروا حديثاً عند سفح الجبل (الذى تقول التقاليد أن فلك نوح استقر عليه) على عدة أصناف من القمح البرى فشرعوا فى درسه واتخذوا الاحتياطات اللازمة لمنع الاهالى من استغلال تلك المنطقة للزراعة ريثما يفرغون من درس مسألة القمح

الانتحار فى اميركا

تدل الاحصاءات على أن حوادث الانتحار فى أمريكا تزيد على مثلها فى أوربا وتعادل ثمانية عشر ضعف حوادث الانتحار فى انجلترا. واكثر تلك الحوادث تقع بين الرجال الذين تختلف أعمارهم من ٢٥ الى ٤٥ سنة

امبراطورية المغول

يقول علماء التاريخ أن اكبر امبراطورية عرفها العالم قديماً لم تكن امبراطورية اسكندر المقدونى ولا الامبراطورية الرومانية بل الامبراطورية المغولية. فقد كانت مساحتها أكبر من مساحة اية مملكة أخرى فى العصور الماضية. واتسع سلطان المغول الى أقصى الحدود فى عهد السلطان قبلاى خان

جائزة نوبل

فى أواخر السنة الماضية منحت جائزة نوبل عن الكيمياء للاستاذ جوليو وزوجته لاكتشافهما طريقة صناعية لاحداث النشاط الراديومى فى بعض المواد ولايجاد عناصر جديدة تمتاز بذلك النشاط أو الاشعاع. وفى ذلك الوقت عينه نال الاستاذ تشاديك جائزة نوبل عن علم الطبيعة لاكتشافه النوترون - أحد أركان الجوهر الفرد - وكان هذا الاستاذ عند اكتشافه النوترون من أساتذة معمل كفنديش بانجلترا، وهو اليوم أستاذ علم الطبيعة بجامعة ليفربول، وما يزال فى مقتبل حياته. وكذلك الاستاذ جوليو وزوجته

مصير الانسان

يعتقد الدكتور مكلستر رئيس الاتحاد الاميركى الطبي أن مصير الانسان فى المستقبل يتوقف الى حد بعيد على نوع الغذاء الذى يتناوله، فشكله الخارجي وطول قامته وانتصابها وحجم رأسه وأعضاء جسمه - كل ذلك يتوقف على نوع الغذاء الذي يتناوله الانسان. ولذلك يصح القول بان العلم سيتمكن فى المستقبل القريب من التحكم فى مصير مظهر الانسان بتحكمه فى نوع الغذاء الذى سيعتاده البشر

مرض الجوع

هو عكس مرض الديابيطس تماما، وكان الاطباء حتى عهد قريب يعالجونه بعملية جراحية بازالة جزء كبير من البنكرياس وهى عملية شديدة الخطر. أما الآن فقد صار فى الامكان معالجته بالانسولين بحقنه بكمية كبيرة منه. وهذه أول مرة يكتشف فيها الطب علاجا واحداً لمرضين متضادين

رسائل بابلية قديمة

ألقى المستر الكسندر الاستاذ بجامعة يايل خطبة فى النادى السامى بتلك الجامعة أورد بها ترجمة بعض الرسائل البابلية التى تمكن من قراءتها بعد درس شاق. ومن جملتها رسالة كتبتها سيدة بابلية الى أهلها وضمنتها تفاصيل «شرائها» امرأة تريد تقديمها زوجة ثانية (ضرة) لزوجها. وهى تقول فى هذه الرسالة إنه اذا أحب زوجها هذه الضرة الى حد ان أهملها هى (اى الزوجة الاصلية كاتبة الرسالة) او حاول تطليقها فانها تأخذ اذ ذاك جميع ممتلكات الضرة من ثابتة ومنقولة. اما اذا ارادت بسبب غيرتها من الضرة ان تطلق من زوجها فلا يحق لها ان تأخذ اى شيء. واليك ترجمة رسالة أخرى يظهر ان سيدة تسمى «تاريش ماتوم» كتبتها الى رجل يقال له «كوبوتوم»، وطلبت فيها منه نقوداً. قالت: «من تاريش ماتوم إلى كوبوتوم.. ألتمس منك أن ترسل الى شاقلا من الفضة. وقد كتبت لك قبل هذا عشر مرات فلم أتلق منك جوابا مع انى لا أملك ما اشترى به وجبة من الطعام. فباسم «بابيل ساك» أرسل لى شاقلا»

وهذه الرسالة مذيلة بحاشية موجهة الى رجل آخر هو وكيل الرجل المرسلة اليه الرسالة، وقد رجت الكاتبة منه بكلمات معسولة أن يبذل جهده لدى كوبوتوم ليرسل اليها النقود المطلوبة. وهذا دليل على أن الاغنياء فى بابل لم يكونوا عادة يعرفون القراءة والكتابة. بل كانوا يستأجرون كتبة ليتولوا عنهم كتابة الرسائل والرد عليها

التوائم بين القردة

المعروف بين القردة أن الانثى تضع عادة مولوداً واحداً كما تفعل المرأة. ولكن علماء الحيوان يقولون إن هنالك حوادث نادرة وضعت فيها انثى القرد مولودين توءمين. ويتخذ علماء النشوء ذلك دليلا على وجود علاقة بيولوجية بين الانسان والقرد

نقص الفيتامين

تدل التجارب الطبية الحديثة على أن نقص الفيتامين هو احدى العلل التى تؤدى الى ضعف الأعصاب. فكثيرون من الناس الذين يصابون باضطراب الأعصاب وبخمول وتقاعد عن الحركة هم عادة ضحية نقص الفيتامينات بوجه الاجمال

النساء والطب

تدل الاحصاءات الالمانية على أن نحو عشرين فى المائة من طلبة الطب وطب الاسنان فى المانيا فى الوقت الحاضر هم من النساء . وفى النمسا أيضا يكثر اقبال الجنس اللطيف على تينك المهنتين . أما فى الولايات المتحدة فان عدد طالبات الطب وطب الاسنان لا يزيد على ٧ فى المائة من عدد الطلبة الذكور ، وهذه النسبة على أقلها فى ايطاليا وفرنسا . ويؤخذ من هذه الظاهرة أن النساء فى البلاد اللاتينية أقل اقبالا على مهنتى الطب وطب الاسنان منهن فى البلاد السكسونية

الفئران وداء الصرع

يظهر أن الفئران لاتسلم من داء الصرع وان هذا الداء ينتقل بالوراثة بين بعض انواعها ولذلك شرع بعض الاطباء فى مراقبة طائفة منها ودرس الاحوال التى تصاب فيها بنوبات الصرع لعله يتسنى الاهتداء إلى طريقة يمكن بها التغلب على هذا الداء . ويقال ان الفئران المصابة به قد تموت فجأة عندما تتغير بيئتها تغييراً فجائيا أو تسمع صوتا قويا كصوت اطلاق عيار نارى مثلا . وفى بعض أنحاء الهند نوع من الفئران شديد التعرض لداء الصرع

وعلى ذكر هذا الداء نقول ان علماء الحيوان يعلمون بانتشار داء الصرع بين القردة

افراز الكليتين

يظهر أن الكليتين تفرزان مادة لم تكن معروفة من قبل ، من خصائصها أن تعجل تناقص الملح من الدم ومن مختلف انسجة الجسم ، وقد ثبت انه اذا حقنت بعض الحيوانات بهذه المادة نشأ عن ذلك تناقص فى ضغط الدم . فاذا حقن الحيوان على أثر ذلك بالملح عاد ضغط الدم الى حالته

لوقف الرعاف

من الناس من هم مصابون بالرعاف أى بنزف الدم من الأنف . ومنهم من يصعب وقف رعافهم الا بمشقة عظيمة . ويؤخذ من بعض التجارب ان الحقن بسم الافعى يبطل الرعاف فى الحال . لذلك تسعى المعامل الكيماوية الآن الى تعميم استعمال هذا الحقن بتسهيل صنعه وترخيص ثمنه

الفواكه القديمة

لم يكن اليونان الاقدمون يعرفون فاكهة الموز الا فى القرن الرابع قبل الميلاد ، فان اسكندر المقدونى لما عاد من غزوة الهند احضر معه شجيرات من هذه الفاكهة وزرعها فى بلاده . ولم يكن البرتقال معروفاً فى أوربا الى أن ادخله العرب اسبانيا . وكان الرومان يجهلون فاكهة الكريز الى أن ادخلها لوكلوس الى بلادهم . وقد ادخل الاسبان فاكهة الفريز الى أميركا فى القرن الخامس عشر

مرض الكلب

يقول العارفون بغرائز الكلاب ان انتشار داء الكلب يكون على أعظمه عند بدء فصل الصيف ، وان شهر يونيو هو الشهر الذى يشتد فيه ميل الكلاب الى العض . ويظهر أن انتشار الكلب يتوقف على انواع سلالات الكلاب فبعض تلك السلالات اكثر تعرضا للكلب من غيرها . ويقول علماء الحيوان أن ترويض الكلاب يحول دون ظهور داء الكلب فيها

بشرى للعاقر

من أنباء الجمعية الكيمياوية الأمريكية انه قد تم عزل الفيتامين الخامس (المرسوم بحرف E) وهو الفيتامين الذى لا تستطيع الانثى أن تحمل أو تلد بدونه . والفضل فى عزله لثلاثة علماء من جامعة كاليفورنيا وهم الدكاترة ايفانس وامرسون وايمرسن . ويظهر ان هذا الفيتامين هو ضرب من ضروب الكحول العليا المركبة تتألف كل دقيقة من دقائقه من ٢٩ جوهراً (جزيئاً) من الكربون و ٥٠ جوهراً من الايدرجين و ٢ من جواهر الاوكسجين ويظهر أن قوة هذا الفيتامين على الاخصاب كبيرة جداً الى حد أن حقن بعض الحيوانات العاقرة بثلاثة مليجرامات منها تجعلها تحمل وتلد

والتجارب تدل على أن لهذا الفيتامين تأثيراً عظيماً فى النساء العواقر أيضاً . والعلماء الذين أشرنا اليهم يواصلون مباحثهم المفيدة فى هذا الموضوع ويعتقدون انهم سينتصرون على العقم انتصاراً حاسما

معجونات الاسنان

كانت المعجونات التى تستعمل للاسنان منذ ما ئةسنة تصنع من مواد قاعدتهـــا العسل والمشروبات الحلوة يضاف اليها مواد لزجة . وكان هنالك ضرب من الصابون الخاص بالاسنان يباع فى أوربا وأميركا حتى أواخر القرن الماضى

التليفون في بلاد الحبشة

ليس التليفون كثير الشيوع فى بلاد الحبشة اذ لا يزيد عدد التليفونات الموجودة هنالك على خمسمائة فقط ماعدا التليفونات المستعملة فى الدوائر الحكومية

فوائد

ه كان المظنون عند الاطباء حتى عهد قريب ان مرض السل والسرطان متناقضان لا يمكن أن يجتمعا فى شخص واحد وان كل من يصاب باحدهما لا يمكن أن يصاب بالآخر . على أن العلم والاختبار قد اثبتا الآن أن من الممكن أن يصاب الانسان بكليهما بالتتابع أو معا . بل قد يصاب العضو الواحد من الجسم بكليهما فى آن واحد

ه ظهرت فى أسواق انجلترا منذ عهد قريب شفرات غريبة للحلاقه مصنوعة من الزجاج . ويقال انها تفضل شفرات الحلاقة المعدنية من وجوه كثيرة . وهى ليست سهلة القصم كما قد يتبادر الى الذهن

ه المعروف أن متوسط دماغ الرجل هو أثقل من متوسط دماغ المرأة ومع ذلك فان دماغ المرأة هو أثقل من دماغ الرجل اذا راعينا ثقل جسم كل منها

ه يقال ان كل اختراع مهم فى العصور الحديثة وكان أساسه الحديد والصلب هو اختراع انجليزى

ه تدل المباحث الاجتماعية على أن الشعوب الهمجية لا تقسم اليوم الى ساعات ولا تعرف تجزئته الى أجزاء . فكل ذلك من عمل الشعوب المتمدنة

ه الهليوم هو أخف انواع الغازات التى تصلح لصناعة المناطد المسيرة والولايات المتحدة تملك أعظم مصادر هذا الغاز . وقد جاء فى الانباء العلمية الاخيرة انهم عثروا على مصدر جديد لهذا الغاز على الساحل الشرقى من بلاد السويد

كتب جديدة

من حديث الشعر والنثر

للدكتور طه حسين بك

طبع بمطبعة الصاوي بالقاهرة صفحاته ٣١٢

لا يزال الدكتور طه حسين منتجاً . . .

كذلك أراد له علمه وأدبه ونشاطه الوافر ، حتى لقد أصبح الانتاج الغزير له عادة ، والعمل المستمر له سليقة . فهو دائماً شاغل مشغول : شاغل لقراء العربية بتتبع آثاره والتمتع بأدبه ، ومشغول بهذا الواجب الذي فرضه على نفسه من تثقيف الشبيبة ، وخدمة النهضة الحديثة من خير الوجوه التي يمكن أن تخدم بها اللغة العربية ويخدم بهـــا الشرق العربي عن طريق هذه النهضة

وقد كان من ذلك أحاديث في الشعر والنثر ألقاها في محاضرات الى الناس ، بعضها في قاعة الجمعية الجغرافية ، وبعضها في مسرح حديقة الأزبكيـــة . وبعضها الآخر في قاعة يورت بالجامعة الأمريكية . والمحاضرات مهما بلغ عدد سامعيها فانها لا تستغني في تعميم فائدتها عن النشر والنشر في الصحف مهما كثر عدد قارئيها لا يغني عن حفظ هذه المحاضرات مجموعة لمن لم يسمعها أو يقرأها في صحيفة ، وللاجيال القادمة التي من حقها أن تعرف طه حسين وتستوعب انتاجه . لهذا ولالحاح الأصدقاء والطلاب ، جمع الدكتور طه هذه المحاضرات الثماني في كتاب خاص . وهو يشمل : « الأدب العربي ومقامه بين الآداب الكبرى » . و « النثر في القرنين الثاني والثالث » . وهذا الموضوع ألقاه في ثلاث محاضرات . و « الحياة الأدبية في القرن الثالث » . وقد ألقاه في أربع محاضرات تناول فيها : « أبا تمام وشعره » ، و « البحتري وشعره » ، و « ابن الرومي وشعره » ، و « ابن المعتز وشعره »

ومما قاله في إحدى هذه المحاضرات عن البحتري :

« هل كان شعر البحتري كله ، كهذا الشعر يخدع بالالفاظ وجمالها وحسن اختيارها وبعض هذه الانواع البديعية اللفظية ؟ أم هل كان للبحتري شعر آخر لا يخلو من تعمق يؤثر في النفوس لانه لا يمس نفس البحتري وحده ، بل يمس النفس الانسانية في جميع العصور وفي جميع الظروف التي قال البحتري فيها الشعر ؟

« الواقع أيها السادة أن شعر البحتري إن كان قد غلب عليه الجمال اللفظي الخداع ، وهذه المعاني التي يحسها الناس في غير مشقة ولا كلفة ، والتي لا بقاء لها ولا ثبات ، فقد وفق البحتري الى شعر آخر تتغير العصور والظروف وهو باق خالد لانه يصور خلاصة الحياة . وأريد أن أضرب مثلا من هذا الشعر قصيدته التي مدح بها المتوكل . . . »

سكان هذا الكوكب

بقلم الدكتور محمد عوض محمد
الأستاذ المساعد بكلية الآداب

طبع لجنة التأليف والنشر بالقاهرة
صفحاته ٢٩٧

من الكتب ما يتناول موضوعاً خاصاً لا يهم إلا طائفة معينة من القراء . ومن الكتب ما يهم غير طائفة واحدة ولكنه لا يشمل الطوائف كلها فى الاهتمام به . ومن الكتب ما يهم الجمهور بجميع طوائفه ومذاهبه واختلاف أممه . وعلى قدر هذا الاهتمام تكون قيمة الكتاب ومكانته فى عالم التأليف . ولا ريب أن خير الكتب ما شملت فائدته جميع القراء وكان موضوعه يهم النفس الانسانية فى كل بيئة وفى كل أمة وفى كل عصر

وكتاب « سكان هذا الكوكب » من هذا النوع العام الجليل المتشعب الاغراض لانه يتناول سكان المعمورة من النواحى التاريخية والجغرافية والبيولوجية والاوجنية والصحية وكل ما يتصل بهم فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية

وقد قسمه المؤلف الى أربعة أبواب تحدث فيها عن نشأة النوع البشرى وتكوين الاجناس، وعن الوطن الاول للنوع البشرى ، والوطن الثانى ، وانتشار السكان . وقواعد توزيعهم وما يدخل تحت هذه القواعد من دراسة الانسان وبيئته وعلاقة الظاهرات الطبيعية فى توزيع السكان والأقاليم الطبيعية والحرف المختلفة . ثم النواحى الاجتماعية فى نمو السكان ، وحالة السكان فى بعض الاقاليم وما يدخل تحت هذين البحثين من دراسات فصول

وقد سبق للهلال أن نشر شيئاً من الفصل الأول من هذا الكتاب ، واطلع القراء فيه على عناية الدكتور محمد عوض ببحثه فى هذا الفصل ، وفى غيره من الفصول التى نشرها فى الهلال ، فحسبنا ذلك تعريفاً به . فالدكتور عوض غنى بهذه الثروة العلمية التى تظهر آثارها فى كثير من الصحف والمجلات ، ثم هو غنى بثروة أخرى - ثروة أدبية طالما شغل بها الأدباء وشاكسهم فى غير موضوع من الموضوعات الادبية . فهو عالم جغرافى ، ومع ذلك فنزعاته تتفق ونزعات الاديب ، وليس أسلوبه بالجاف السمج كأسلوب العلماء ، بل هو طريف ، ممتع منافس لسلاسة الأدباء ، كما هو منافس لعمق العلماء .

الشوقيات ـ الجزء الثالث

لأمير الشعراء المرحوم احمد شوقى بك
طبعته مكتبة النهضة المصرية بشارع المدابغ بالقاهرة
صفحاته ٢٠٢

هذا أثر نفيس من آثار أمير الشعراء احمد شوقى يصدر بعد وفاته . وقد كان رحمه الله بدأ باصدار شوقياته الجديدة ، وأتم فى حياته منها جزءين . ولم يطبع ما بقى من هذا الديوان ، فقام نجلاه الفاضلان حسين وعلى شوقى بطبع هذا الجزء ، وطبع رواياته التى ألفها فى أخريات حياته ولم يكن أتم طبعها

وهذا الجزء يشمل المراثى التى نظمها أمير الشعراء ، واختار منها هذه المجموعة لنشرها فى الديوان . وقد اشتملت على ٥٩ مرثية بدئت بمرثية المرحوم سليمان باشا أباظه التى يقول فى مطلعها :

من ظن بعدك أن يقول رثاء
فليرث من هذا الورى من شاء

وقد امتاز هذا الجزء بذكر تاريخ الحادث الذى قيلت فيه القصيدة، والظروف التى دفعت الشاعر الى نظمها . وكنا نود أن تكون هذه الميزة موجودة فى الجزءين السابقين، فلعل الأستاذ حسين شوقى وشقيقه يلاحظان ذلك فى الطبعة الثانية

وبعد فان ما قام به نجلا هـذا الشاعر العظيم من الاهتمام بطبع آثار والدهما يعد وفاء كبيراً له، وخدمة جليلة للغة العربية والأدب العربى

البرجماتزم ـ أو ـ مذهب الذرائع

تأليف الأستاذ يعقوب فام

طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

صفحاته ٣٠٨

تعنى لجنة التأليف والترجمة والنشر باصدار سلسلة فلسفية من الكتب الحديثة، الغرض منها نشر النظريات الفلسفية المفيدة، وتقريب الجمهور من الفلسفة أو تقريب الفلسفة من الجمهور بتيسير معلوماتها وتسهيل نظرياتها، وعرضها فى أسلوب مشوق يستهوى القراء. وهو غرض لاشك حميد. وهذا الكتاب الذى نحن بصدده أحد هذه الكتب. وقد تناول فيه الأستاذ يعقوب فام ـ أستاذ التربية من جامعة ييل بأمريكا ـ البرجماتزم وهى نظرية امريكية تتناول القضايا الفلسفية بطريقة عملية. وتمتاز هذه الفلسفة باتصالها بالحياة، ومعالجتها للنظم الطبيعية والاجتماعية من الناحية التى تصل ما بين النظريات والعمليات

وقد مهد المؤلف لهذا البحث بدراسة معنى الفلسفة وشرح وظيفة كل من الفلسفة والعلم، وتكلم عن القضايا الفلسفية، وقضايا المعرفة. ثم عرض لفلسفة البرجماتزم ففصل الكلام عنها فى عشرة فصول

وقد توخى المؤلف فى كتابه طريقة التشويق وكتبه بعبارة سلسة واضحة لا تكلف فيها ولا تعقيد

دائرة المعارف الاسلامية

الجزء الخامس من المجلد الثانى

طبع بمطبعة دائرة المعارف الاسلامية بالقاهرة

صفحاته ٢٧٩ ـ ٣٥٠

أصدرت لجنة دائرة المعارف الاسلامية الجزء الخامس من المجلد الثانى. ويبتدىء هذا الجزء بمادة (أصول) وينتهى بمادة أفعى. وقد احتوى كثيراً من المواد التاريخية والجغرافية والملية والأدبية. وقد جاء فى مادة أفريقية، ويذهب فليشر (Fleischer Kleinpre Schriten) ج ١ ص ٢٢٩ الى أن أفريقية بالتخفيف أضبط من افريقية بتشديد الياء. وهى الصيغة التى استعملت بعد ذلك. وافريقية هو الاسم الذى أطلقه العرب على الجزء الشرقى من بلاد البربر أما الجزء الغربى فاحتفظ باسم المغرب. ولفظ أفريقية تحريف للفظ اللاتينى Africa أفريكا الذى نظموا شئونه بعد تخريبهم قرطاجنة، وشملت هذه التسمية بعد ذلك بلاد البربر. ثم أطلقت آخر الأمر على جميع القارة. وقد ذكر لهذا الاسم عدة اشتقاقات عجيبة، فيروى البكرى أن بعضهم يقول إن هذا الاسم معناه (ملكة السماء) ويقول البعض الآخر إن هذا الاسم مشتق من أفريقش بن أبرهة الرائش وابتنى مدينة أفريقية (المسعودى طبعة باريس، ج ٣

ص ٢٢٤) ويذهب آخرون الى ان هذا الاسم اشتق من افريق وهو ابن ابراهيم من زوجته الثانية قطورا . . . »

حل مجلس النواب

La Dissdution de la Chambre des Députés

لمؤلفه الدكتور يوسف هيكل

الدكتور فى الحقوق

طبع بباريس . عدد صفحاته ١٦٤

هو مؤلف نفيس باللغة الفرنسية أهداه الينا الدكتور يوسف هيكل خريج جامعات فرنسا وانجلترا وقد بحث فيه بحثاً مسهباً فى حل مجلس النواب الفرنسى من الوجهة الدستورية . وتناول البحث حق ذلك الحل كما نص عليه دستور سنة ١٨٧٥ وما تقدم تقرير ذلك الحق من مناقشات بين الاحزاب السياسية الفرنسية ، ثم الشروط التى تسوغ الحل وأهمها وجوب موافقة مجلس الشيوخ وصدور أمر الحل بمقتضى مرسوم من رئيس الجمهورية يوقعه معه وزير مسئول ، ثم الضمانات المنصوص عليها لمنع العبث بحق الحل ، والقيود الموضوعة على سلطة رئيس الجمهورية بعد حل المجلس وقبل انعقاد المجلس الجديد . ثم النتائج السياسية والقضائية التى تترتب على استعمال ذلك الحق

وانتقل المؤلف بعد ذلك الى ايراد لمحة تاريخية عن ممارسة هذا الحق منذ قرره دستور سنة ١٨٧٥ والاحوال التى أساء فيها المرشال مكماهون استعمال ذلك الحق سنة ١٨٧٧ . ثم بحث المؤلف فى ضرورة جعل حق الحل سهل التنفيذ مع بيان الصعاب التى تنشأ عن اشتراط موافقة مجلس الشيوخ . وايضاح الفوائد السياسية التى تنجم عن استعمال ذلك الحق ، ومن جملتها معالجة تفرق الاكثرية ، واتقاء النضال بين مجلسى النواب والشيوخ ، والتخلص من مجلس ليس فيه أية أكثرية ومن المساوىء التى تكثر عند اقتراب انتهاء الفصل التشريعى والتمكن من استشارة الامة بشأن المشاكل الخطيرة

وقد بسط المؤلف آراءه بصراحة وجلاء ، وأردفها ببيان المؤلفات والمصادر التى رجع اليها . فنثنى على همته وعلى الخدمة الادبية العظيمة التى أداها بمؤلفه للنظام الدستورى

دليل السياحة

Tourisme - Guide Europeen

طبع فى باريس — عدد صفحاته ٣٠٣

هو كتاب جميل الطبع محلى بالصور البديعة طبعته جمعية تنشيط السياحة الكائن مركزها بشارع الشانزليزيه بباريس . وهذا الكتاب مطبوع طبعاً متقناً ومصدر بمقدمة تاريخية نفيسة عن مصر منذ أيام الفراعنة ، وما كانت تتمتع به من مجد عظيم ومدنية هى باعتراف الجميع أقدم المدنيات الغابرة واعظمها شأناً . ويلى ذلك بحث ممتع فى الدول والعصور التى مرت على مصر بعد الفراعنة الى عهد جلالة الملك فؤاد الأول حامى السياحة وناصرها الاكبر ، والذى له عليها الايادى البيضاء وهذه المقدمة بقلم سفير مصر فى فرنسا صاحب المعالى فخرى باشا . ويلى ذلك فصول موضحة بالصور الجميلة المأخوذة عن أبدع المناظر الأثرية المصرية كالاهرام وأبى الهول ومعابد ادفو والكرنك وجزيرة أنس الوجود

أما الفصول الاخرى فهى تتناول مختلف شؤون السياحة فى فرنسا وسويسرا وألمانيا والنمسا واسبانيا وايطاليا وبريطانيا العظمى واليونان وهولندا وبلاد البلقان وغيرها . مع

ايراد جميع البيانات والمعلومات التى يحتاج اليها السائح فى طوافه بالبلدان المذكورة

الحب والدسيسة

تأليف فريدريك شيلر

ترجمها الاستاذ حسن افندى صادق

طبعت فى مطبعة الاعتماد بمصر . عدد صفحاتها ١٦٨

هى رواية طريفة من وضع فريدريك شيلر الشاعر الالمانى المشهور ترجمها الى اللغة العربية الاديب حسن افندى صادق ترجمة متقنة بلغة سلسة ، وهى مطبوعة طبعاً جيداً على ورق صقيل

وغنى عن القول ان هذه الرواية من أحسن ما كتبه فريدريك شيلر ومن أبلغ ما دبجته براعته . وقد أحسن المترجم صنعاً بنقلها الى اللغة العربية فانها تحفة نفيسة تزدان بها المكاتب . فنشكر له خدمته وعنايته

أنظمة التعليم

وضعه احمد سامح الخالدى س. ع.

طبع بمطبعة بيت المقدس . عدد صفحاته ٢٠٠

هو الجزء الثانى من كتاب وضعه الاستاذ الخالدى مدير الكلية العربية بمدينة القدس وأستاذ التربية فيها . وقد بسط فيه نظم التعليم فى مصر وايطاليا والولايات المتحدة من ابتدائى وثانوى وعال ، وذكر أنواع المدارس فى البلدان المذكورة من علمية وصناعية وزراعية وهندسية وغيرها ، وأتى على مزايا كل نوع منها ، وما تشترطه من شروط على طلابها ، وأورد طائفة كبيرة من المعلومات التى لاغنى للمشتغل بمسائل التعليم عنها . وهى خدمة حميدة قام بها المؤلف فى سبيل نشر التعليم

جسر حربى

هو كتيب باللغة الانجليزية أصدرته دائرة الآثار القديمة بحكومة العراق . وهو تاريخ موجز لجسر حربى أو جسر المستنصر موضح بالتصاوير الكثيرة مع بيان الكتابات والنقوش الكثيرة التى ترى على الجسر المذكور

فنشكر لدائرة الآثار العراقية حرصها على هذا الأثر النفيس

كتب أخرى

● (ديوان الجواهرى) ديوان طريف بقلم ناظمه الاديب محمد مهدى الجواهرى

وقد احتوى الديوان على قصائد ممتعة ، وقطع طريفة تدل على ملكة مؤاتية فى نظم القريض . طبع بمطبعة القرى بالنجف بالعراق . صفحاته ٣١٣

● (المحادثة التكوينية للمدارس الابتدائية) تأليف الاستاذ عبد اللطيف بدوى المدرس بالمدارس الاميرية . وقد وضعه وفق منهاج وزارة المعارف الجديد

● (رسائل اخوان الصفا) بحث تاريخى فى هذه الرسائل ، وعقائد الاسماعيلية فيها تأليف الدكتور حسين الهمدانى أستاذ الآداب العربية والفارسية بكلية م.ث.ب بسورت بالهند

● (البخت الذهبى) وهو المجموعة الاولى من نظم الاديب عامر محمد بحيرى بكلية الآداب بالجامعة المصرية . طبع بمطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بالقاهرة

بين الهلال وقرائه

الانسان والمكروبات

(أسيوط — مصر) خليل الديرى

قرأت في خطبة للسر جيمس جينز أن الانسان سوف ينقرض في المستقبل لأن المكروبات تعمل على افنائه. فما رأيكم في هذه النبوءة ؟

(الهلال) لقد اطلعنا على الكثير من آراء السر جيمس جينز والذى نعرف عنه انه يعتقد ان الحياة حرب بين الانسان والقوى المحيطة به — ومن جملتها المكروبات — فاما أن يغلب عليها أو ان تتغلب عليه وتفنيه وهى نظرية معقولة

الذهب من البحر

(أسيوط — مصر) ومنه

هل يستطاع استخراج الذهب من ماء البحر . واذا كان ذلك ممكنا فلماذا لا تعمل الدول على زيادة الذهب في خزائنها من ماء البحار ؟

(الهلال) استخراج الذهب من ماء البحر ممكن نظريا ولكن لم يتمكن أحد من استخراجه بطريقة عملية حتى الآن . ومتى تمكن الانسان من استخراجه بطريقة عملية سيرخص الذهب بحيث لا يرى الانسان فائدة من ادخاره

ال التعريف

(كوراسو — جزائر الانتيل) عقل المصرى

هل ال التعريف حرف ام كلمة ؟

(الهلال) هي حرف وهو أحد الاقسام الثلاثة للكلمة فالكلمة ثلاثة أقسام : اسم ، وفعل ، وحرف وتسمى أداة التعريف . ومن مميزات الحروف انها لا معنى لها بنفسها بل لابد لها من الدخول على غيرها ليتم بها معناها (وقد اتاني سؤال في هذا الموضوع من الاستاذ اميل سعد بكوراسو أيضاً)

الجراثيم في أعالي الجو

(بغداد — العراق) احد القراء

هل توجد جراثيم او مكروبات فى اعالى الجو ؟

(الهلال) الارجح ان طبقات الجو القريبة من المدن لا تخلو من المكروبات . ولكن اذا ارتفعنا الى علو عشرة كيلومترات لم يبق لتلك المكروبات اثر على الاطلاق

لون البشرة

(القاهرة — مصر) درية احمد

قرأت في احدى المجلات الطبية أن أحد الاطباء يفكر في صنع لقاح لتغيير لون بشرة الانسان من الاسمر الى الابيض فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) سمعنا الشيء الكثير عن جهود العلماء في هذا السبيل ولكننا لم نسمع بان احدهم افلح . وعلى كل فان تحقيق هذه الفكرة ممكن من الوجه النظرى وان كان قد تعذر حتى الآن من الوجه العملى . على أننا قرأنا في احدى المجلات العلمية التى يوثق بها أن أحد الاطباء وفق الى صنع لقاح يعيد الشعر الابيض الى لونه الاسود الاصلى . فاذا أمكن تغيير لون الشعر فلا نرى لماذا يتعذر تغيير لون البشرة . وعلى كل فان تحقيق هذه الامنية سيستغرق السنين الطوال

نجم بيت لحم

(القدس — فلسطين) ناصر عبود

في الانجيل أن جماعة من المجوس اهتدوا الى المذود الذى وضع فيه المسيح عندما ولد بواسطة نجم سار أمامهم حتى وقف فوق ذلك المكان . فهل في علم الفلك ما يؤيد هذه الرواية ؟

(الهلال) اذا أريد اثبات هذه الرواية بنصها الحرفي لم يكن ذلك من السهل لأن العلم لا يؤيدها . نعم ان بعض علماء الفلك يعتقدون أن ذلك النجم كان

من النوع المعروف «بالنوفا» (أي النجم الجديد) وانه كان يتألق تألقاً عديداً بسبب انفجاره ولكن ليس ثمة أي دليل في تاريخ الفلك يثبت ذلك ، وقد سعى علماء الهيئة لمراجعة النجوم الجديدة (النوفا) التي ظهرت منذ ألفي سنة الى الآن فلم يوفقوا الى ذلك . ولكن الاستاذ وليم هنري مارتون مدير متحف التاريخ الطبيعي بمدينة نيويورك يقول ان السيارات زحل والمشتري والمريخ اقتربت بعضها من بعض سنة ٨ قبل الميلاد حتى كانت تبدو في الجو كأنها كوكب واحد شديد اللمعان وأنها ظلت على هذه الحال مدة طويلة . فمن المحتمل أن تكون هي نجم بيت لحم الذي نحن بصدده

مص الاصابع

(بروزتيل — الولايات المتحدة) اسبرحنا

هل عادة مص الاصابع مضرة للاطفال ولماذا ؟

(الهلال) هي مضرة للاطفال لانه لا يمكن ضمان نظافة الاصابع لاسيما أن الاوساخ تتجمع بسهولة تحت أظفار الطفل

الدودة الوحيدة

(بروزتيل — الولايات المتحدة) ومنه

كيف يستطيع الانسان أن يتخلص من الدودة الوحيدة ؟

(الهلال) طريقة ذلك بسيطة جداً يستطيع ان يصفها لك أي طبيب وقوامها أن يصوم المصاب بالدودة نحو أربع وعشرين ساعة لا يتناول في خلالها سوى اللبن ثم يتناول دواء فيه مخدر (ايثير أو كلوروفورم) ويتناول بعد ذلك مسهلا (من الزئبق أو زيت الخروع) فتخرج الدودة

ولا يلتجأ الى هذه المعالجة الا بعد أن تكون الدودة قد « نضجت » واكتمل نموها . وعلامة نضجها خروج قطع منها من وقت الى وقت . واذا لم تسفر طريقة هذه المعالجة عن النجاح وجب العودة اليها بعد بضعة أسابيع . وعلى كل يحسن بكم دائما الرجوع الى الطبيب واستشارته

الافاعي

(طبريا — فلسطين) فريد كرام

هل صحيح ان روائح بعض المواد كحامض الفينيك أو القطران تفيد في طرد الافاعي ؟

(الهلال) هنالك نحو الفي نوع من الافاعي في العالم . ومن هذه الانواع نحو ستمائة سامة والباقي غير سام . والمعروف أن أكثرها تبعد عن رائحة الدخان والنوشادر وبعضها يكره رائحة الفينيك ولكن الافاعي لا تخاف شيئاً كخوفها من النار فهي اذا أبصرتها عن بعد أو شمت رائحتها هربت منها

محمد عبده وحافظ ابراهيم

(كاميترا اوريئت — كوبا) الياس الخوري أبي كرم

يلقب معظم المؤرخين فقيد الشرق المرحوم محمد عبده بالامام . فهل كان اماما في الفقه أو في اللغة ؟ وما هي أبلغ قصيدة نظمها المرحوم حافظ ابراهيم ؟

(الهلال) كان المرحوم محمد عبده اماما في الفقه الاسلامي فيلسوفاً مصلحاً شديد الغيرة على الشرق بوجه عام والاسلام بوجه خاص . وكان الى ذلك اماما في اللغة أيضا له أسلوب يدل على رسوخ كعبه وسمو مداركه . أما المرحوم حافظ ابراهيم فلكل قصيدة من قصائده آية في فن القريض . وليس من السهل تفضيل قصيدة منها على غيرها

العقل

(صافيتا — حكومة اللاذقية) محمود مصطفى احمد

ماهي مادة العقل ، وهل العقل مركز الذاكرة والحواس الخمس ؟

(الهلال) ليس العقل مادة بل هو نشاط خلايا الدماغ ونتيجة حركاتها . والدماغ (لا العقل) هو مركز الذاكرة والحواس الخمس وهي النظر والسمع والشم والذوق واللمس

تفرق كلمة الشرق

(الموصل — العراق) ابن الحائر

لاشك أن تفرق كلمة الشرق قد كان من أهم أسباب

انحطاط الشرقيين وضعفهم فما سبب هذا التفرق وهل في الامكان تلافيه ؟

(الهلال) هنالك أسباب اجتماعية تسبب ذلك التفرق . ولا يتسع هذا المجال للكلام عليها . ومن أشد دواعي الارتياح أن الشرقيين قد استيقظوا اليوم وأخذوا يدركون الاخطار التي يتعرضون لها بسبب تفرق كلمتهم . وهذا تعليل ما نراه من تآزرهم اليوم وعطف بعضهم على البعض . والرجاء وطيد بأن يقوى تآزرهم فيدرك الغرب أن للشرق مثل ماله من الحقوق ، وأن من حقه أن يشترك في ترقية الحضارة ورفع مستواها والاستفادة مما ينجم عن تطور الاجتماع

الترمومتر

(دمشق ــ الشام) مصطفى الدالي

متى بديء باستعمال الترمومتر أو ميزان الحرارة ؟

(الهلال) بديء بذلك في القرن السادس عشر . وقد كان الترمومتر في أول الامر خشناً لا يقيس درجة الحرارة بالضبط . وبمرور الزمن أتقن صنعه بحيث صار يمكن الاعتماد عليه

الحديد النقي

(دمشق ــ الشام) ومنه

هل يمكن انتاج حديد نقي نقاوة مطلقة ؟

(الهلال) ليس ذلك ممكناً في الوقت الحاضر وليس لدينا وسائل لانتاج حديد نقي تماماً . ولو كان ذلك ممكنا لرأينا خواص ذلك الصنف من الحديد تختلف كل الاختلاف عن خواص الحديد أو الصلب الاعتيادي

الزلازل

(حمص ــ سوريا) أحد القراء

قرأت في إحدى المجلات العلمية الموثوق بصحة أخبارها أن المهندسين في الولايات المتحدة وفقوا الى نوع من هندسة البناء لاتؤثر فيه الزلازل . فما رأيكم في هذا القول ؟

(الهلال) أما القول بأن نوع الهندسة الذي وفقوا اليه أو تلك البناء لاتؤثر فيه الزلازل على الاطلاق فلا يمكن التسليم به على علاته . وانما الثابت بالاختبار أن هندسة البناء الجديدة تصلح لمقاومة الزلازل الى حد بعيد . والارجح أن الابنية التي تشاد اليوم في الولايات المتحدة تستطيع مقاومة أقوى الزلازل التي حدثت في العصور الحديثة . ولكن ما أدرانا أنه لن تقع غداً ــ لا قدر الله ــ زلزلة أقوى من أية زلزلة وقعت في التاريخ فلا تبقي ولا تذر

مادة تحمير الشفاه

(حمص ــ سوريا) ومنه

هل في استعمال المادة التي تحمر الشفاه خطر صحي ؟

(الهلال) نعم فان بعض الالتهابات الجلدية التي تصيب الشفاه تنشأ عن استعمال تلك المادة

الحية ذات الاجراس

(الخرطوم ــ السودان) أحد المشتركين

هل صحيح أن الحية المعروفة بذات الاجراس يسمع لها صوت قوي عند ما تزحف ؟

(الهلال) للحية ذات الاجراس صوت ولكنه لا يسمع دائماً فان الحية تحدث هذا الصوت أو لاتحدثه كما تشاء

الجو والراديو

(الاسكندرية ــ مصر) بكر السروجي

نسمع في هذه الايام أزيزاً مستمراً في الراديو يحول دون سماعنا ما تذيعه المحطات الاجنبية البعيدة بجلاء فما سبب ذلك ؟

(الهلال) الارجح أن نشاط الكلف الشمسية في هذا العام سيحول دون سماع الاذاعات بجلاء تام وهذا لا ينطبق على الاذاعات المحلية وعلى اذاعات المحطات القريبة

فوائد اللفت

(الاسكندرية ــ مصر) ومنه

المعروف عند العامة أن للبقل المسمى اللفت فوائد

كثيرة فهل هذا صحيح وماهي أهم تلك الفوائد ؟

(الهلال) اعتقاد العامة بشأن اللفت في محله فان هذا البقل غني بمادة الايودين وهو نافع في معالجة التوطر (تضخم الغدة الدرقية) وبعض انواع الروماتزم . وفضلا عن ذلك فان اللفت ملين وماؤه مسهل وهو غني بالفيتامين

خسوف القمر

(طنطا ـ مصر) مشترك

متى يحصل الخسوف عادة وهل بينه وبين الكسوف فرق ؟

(الهلال) الخسوف خاص غالبا بالقمر والكسوف بالشمس . وقد يطلق الكسوف على كليهما في لغة ضعيفة . ولا يكون خسوف القمر الا عند ما يكون بدراً كاملا . وسببه وقوع الارض بينه وبين الشمس أما سبب الكسوف فهو مرور القمر بين الارض والشمس

البندقية والمدفع

(بونس ايرس ـ الارجنتين) خ . س

في أي مكان وزمان اخترعت البندقية ومن هو مخترعها ؟ وهل هي أقدم من المدفع ؟

(الهلال) الارجح أن مخترع البندقية مهندس حربي فرنسي يدعى فوبان رقي فيما بعد الى رتبة مارشال وتوفي سنة ١٧٠٧ وقد اخترع البندقية سنة ١٦٤٠ . وكانت المدافع معروفة قبل ذلك بزمن طويل وقيل ان المدفع استعمل اول مرة عند حصار القسطنطينية سنة ١٤٥٣

غاز الخردل

(بونس ايرس ـ الارجنتين) ومنه

ما هو غاز الخردل فقد تردد ذكره في الصحف كثيراً في هذه الايام وكيف يصنعونه من الخردل ؟

(الهلال) ليس لغاز الخردل أية علاقة بالخردل إذ لا يصنع منه وهو ليس غازاً في الحقيقة بل هو سائل طيار له رائحة تشبه رائحة الخردل ولذلك أطلق عليه الجنود الانجليز هذا الاسم عند ما فاجأهم به الالمان أول مرة في الحرب العظمى الماضية . وكان ذلك في معركة ايبر الشهيرة ولذلك سموه أيضاً « ايبريت » وكان الالمان يسمونه « سائل الصليب الاصفر » لانه كان يوضع في آنية معدنية محكمة السد وعليه شارة الصليب باللون الاصفر . أما اسم هذا « الغاز » العلمي فهو « ديكلورو ايثيل سلفيد » وهو نتاج التفاعل الكيماوي بين مادة الايثيلين ومونوكلوريد الكبريت

التمرين والاتقان

(بغداد ـ العراق) عبد الجليل الحسيني

المعروف أن التمرن على أي شيء يؤدي الى اتقان ذلك الشيء . على أننا نرى كثيرين من الناس يتمرنون على عمل من الاعمال ولا يتقنونه مهما طال زمن تمرنهم عليه . فما السر في ذلك ؟

(الهلال) السر في ذلك أنهم لا يتمرنون على عمل ماهو صواب بل يتمرنون على عمل ما هو خطأ فيرسخ فيهم ذلك الخطأ ولا يستطيعون الاقلاع عنه

نشأة العظماء

(بيروت ـ سوريا) أحد المشتركين

قرأت في كتاب ظهر اخيراً في اميركا عنوانه « أنا آسف ـ ولكنك مخطىء » ان سواد العظماء الذين خلد التاريخ أسماءهم لم ينشأوا من طبقة العامة كما يزعم أكثر الناس خطأ بل من طبقة الخاصة . فما رأيكم في هذه النظرية الغريبة ؟

(الهلال) ليست هذه نظرية كما تقولون بل هي حقيقة من الحقائق . ولو طالعتم سير العظماء من أقدم ازمنة التاريخ الى اليوم لادهشكم قلة عدد الذين نبغ منهم من العامة . واذا رجعتم الى معجم الاحياء الانجليزي او الاميركي (Who is Who ?) الذي يطبع كل سنة ويحتوي على أسماء أشهر الاعلام في انجلترا واميركا ادهشكم ما ترونه من أن العظماء الذين نشأوا من طبقة العامة ليسوا سوى نزر يسير بالنسبة الى الذين نشأوا من طبقة الخاصة ولعلهم لا يزيدون على العشرة . وعلى كل فمن المحتمل ان تزول الفوارق بين الطبقات الاجتماعية في المستقبل ويصبح الناس كلهم طبقة واحدة ومن هذه الطبقة ينشأ العظماء

مزيتان ظاهرتان
في تاريخ الملك فؤاد

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

« .. ذاك حظ نادر في حظوظ الناجحين . وذاك عقل نادر في عقول المالكين ، اجتمعا معاً في الملك فؤاد ، فكان تاريخه قبل الملك توفيقا كله في التمهيد اليه ، وكان تاريخه بعد الملك توفيقا نادراً يدبره عقل نادر .. »

امتاز تاريخ صاحب الجلالة الملك الراحل احمد فؤاد الاول بمزيتين ظاهرتين كل الظهور هما : قدرته العقلية الكبيرة ، وحظه النادر فيما يتعلق بشؤون الملك والولاية

فلا نبالغ اذا قلنا إن القدرة العقلية التى امتاز بها الملك الراحل كانت تضارع اكبر قوة ظهرت فى الاسرة العلوية ، بغير استثناء جدها العظيم محمد على الكبير

وقد تبينت هذه القدرة الراجحة في أمور كثيرة : تبينت في اختيار الملك فؤاد لرجاله وأعوانه ، وتبينت في عرفانه الوثيق لمواقع الاقدام ومواقع الاحجام ، أو الفرص التى يجب فيها العمل والفرص التى يجب فيها السكون ، وتبينت في تقدير خطواته ومراحله خطوة بعد خطوة ومرحلة بعد مرحلة ، لا يتعجل ولا يبطىء ولا ينسى غايته في طوال الايام التى تتعاقب فيها الحوادث بما في الحسبان وما ليس في الحسبان ، وتبينت في علاجه للازمات كل أزمة بما يلائمها من الوسائل ويلائم الرجال العاملين فيها أو العناصر المشتركة في تكوينها ، وتبينت فى أساليب تدبيره لما يقرر سلطانه ويحقق غايته في المستقبل القريب ثم المستقبل البعيد ، وإن الاساليب التى كان يعمد اليها لاجتذاب الجيل المقبل اليه ، والنطاق الواسع الذى تناولته تلك الاساليب في دوائر التعليم والرياضة والمجتمع والسياسة ، لهى أساليب عقل نفاذ محيط بما حوله ، عارف بما جرى للعواهل والشعوب من قبله ، وكل أسلوب منها بمقدار يدل على نظر ثاقب واستاذية بارعة فى علاج الامور

وقد كان أناس يزعمون أن الملك فؤاداً كان يمضى مع نفوذ هذا . ويتأثر بدسيسة ذاك .

وهم فيما زعموا مخطئون بل جد مخطئين . لأن هؤلاء الذين كانوا يذكرونهم بأسمائهم لم يكونوا مع الملك فؤاد إلا كالتلاميذ المقتدين الذين يتدربون على يديه و يستفيدون ، وأقصى ما يذهبون اليه أن يفهموا بعض المرامى البعيدة التى كان يرمى اليها الاستاذ الكبير ، وإن ما يحيط به هو فى يوم واحد لا يحيطون به هم في سنين

والفضل في هذه القدرة العقلية البالغة هو قبل كل شيء فضل الملكة المطبوعة والفطرة الموزونة . ثم يضاف اليها تعليم جيد ، ودراسة واسعة ، وتجربة سياسية وافية ، تارة في مصر ، وتارة في تركيا وتارة في ايطاليا والنمسا ، وهى تجربة شملت البيئات الشعبية كما شملت بيئات الملك والامارة ، وانتفعت بمعارف العسكريين كما انتفعت بمعارف الوزراء

***

أما حظ الملك فؤاد فهو أحسن الحظوظ فى شئون الملك والولاية بين البارزين من أسلافه الكبار فى الاسرة المحمدية العلوية

فهو أحسن حظاً من محمد على الكبير ، لان جده العظيم أخطأه التوفيق فى أواخر أيامه حتى عكس عليه ما أصابه من التوفيق في أيامه الاولى ، فانقلبت عليه انتصاراته ثم آل به الاخفاق الى النزول عن الامارة وهو في قيد الحياة

وهو أحسن حظاً من جده ابراهيم ، لان ابراهيم كان قصير الاجل في الحكم كثير المتاعب في ذلك الاجل القصير

وهو أحسن حظاً من أبيه اسماعيل ، لما أصاب اسماعيل من الازمات في أيام الامارة ، وما أصابه بعد ذلك من العزل والاقصاء

وهو أحسن حظاً من أخيه توفيق لانه منى بالثورة العرابية والاحتلال ، ومن ابن أخيه عباس لانه عزل في عنفوان أيامه ، ومن أخيه حسين كامل لانه تولى العرش ومات وهو فى ظل الحماية البريطانية

أما الملك فؤاد فقد كتب له ما لم يكتب لأحد من أسلافه ، فاصبح أول ملك معترف له بالاستقلال ، وأول صاحب جلالة في تاريخ مصر منذ مئات السنين

جاءه ذلك الحظ الجليل بغير تمهيد منه و بغير حسبان من أحد قبل حصوله

فما كان أحد يظن أو يرد له على خاطر قبل الحرب العظمى ان فؤاد بن اسماعيل سيرتقي عرش مصر في يوم من الايام ، على أى احتمال و بأى تقدير

لم يكن اكبر اعضاء الاسرة حتى ينتقل اليه العرش بعد ابيه

ولم يكن اكبر ابناء اسماعيل حتى ينتقل اليه العرش بعد أن تقرر نظام الوراثة الذي يحصر ولاية العهد في الاكبر فالاكبر من الابناء

ولما تولى الامارة أخوه محمد توفيق وله ولدان صالحان لولاية العهد من بعده أصبحت ولاية فؤاد للملك أمراً بعيداً عن كل تفكير

ثم آلت الامارة الى عباس الثانى ، واعلنت ولاية العهد لاكبر أبنائه ، ولم يبق من يتحدث بولاية أحد من أبناء اسماعيل الكبار إلا الذين سمعوا بالرؤيا المشهورة ، وهي الرؤيا التي فسرها المنجمون يومذاك بأن اسماعيل وثلاثة من ابنائه سيجلسون على عرش هذه البلاد

ولكنهم كانوا يتحدثون بها كما يتحدثون بالاحلام التى يتنادر بها الناس ، وظلت كذلك ضرباً من التنجيم حتى عزل عباس في اوائل الحرب وخلفه عمه حسين . فلاح للمتحدثين ان في الرؤيا شيئاً اكثر من اضغاث الاحلام واكاذيب المنجمين ، ولكنهم لم يعلموا من أين يتأدى الزمن الى تحقيق الرؤيا وولاية الامير فؤاد ؟ فبعد السلطان حسين ابنه الامير كمال الدين ، وليس فؤاد بالمرشح الوحيد في الاسرة المالكة بعد كمال الدين

ويشاء الحظ النادر ان يعتذر كمال الدين من ولاية العرش بعد ابيه ، وان يسند العرش الى الامير فؤاد فيتولى السلطنة وهو في نحو الخمسين

الى هنا هذا حظ نادر يقل نظيره في توفيقات النجاح ، ولكنه مع هذا لم يأت بأقصى ما عنده من التوفيقات التى امتاز بها هذا الحظ الغلاب

والا فمن يدرى علام كانت تستقر الحرب العظمى ؟

ومن يدري علام ينتهى نظام الوراثة ؟

ومن يدرى علام تنتهى القلاقل المصرية ؟

إن السلطان فؤاداً لم يرزق من الذرية غير كريمته الاميرة فوقية وهو اعزب لم يكن قد تزوج بعد زوجته الاولى ، واذا تزوج فالذرية سر من أسرار الغيب ، ونظام الوراثة كذلك سر من وراء حجاب

هنا تم التوفيق النادر بين توفيقات النجاح ، ورزق السلطان ولى عهده ونصيبها لوحيد من الابناء الذكور ، واصبح صاحب العظمة السلطان فؤاد صاحب الجلالة الملك فؤاد ،

ودانت له العقبات فما قامت أمامه عقبة الا زالت من الطريق ، وعاش حتى رأى ولى العهد المحبوب ينمو ويترعرع ويكبر ويبلغ مبلغ الرجال ، ويقترب من سن الملك فيطمئن عليه وتطمئن اليه البلاد

ذلك حظ نادر في حظوظ الناجحين

وذلك عقل نادر في عقول المالكين

اجتمعا معاً في الملك فؤاد ، فكان تاريخه قبل الملك توفيقاً كله فى التمهيد اليه ، وكان تاريخه بعد الملك توفيقاً نادراً يدبره عقل نادر . وبين لنا هذا التاريخ الغزير بمعانيه ان الكفاءة على اقواها والحظ على أتمه قد يلتقيان

عباس محمود العقاد



في أغسطس من العام الماضي ختمنا السنة الثالثة والاربعين من الهلال بعدد ممتاز عن « ابى الطيب المتنبي » . وكان الغرض من اصداره الاحتفال بتكريم ذكراه لمرور الف سنة على وفاته ، وانتهاز الفرصة لاحياء جانب من الادب العربي القديم جدير بالاحياء

وفي هذا العام اصدرنا عددين ممتازين هما : « الفن والجمال » وعدد « الشباب » فكان لهما أثر حسن في الاوساط العلمية والادبية ، واستحثنا ما لقيناه من تشجيع الى مضاعفة الجهود في خدمة الثقافة فى الشرق ، فرأينا أن نختتم هذا العام بعدد ممتاز عن شاعر عربي كبير هو «ابو نواس» لأنه كان على رأس الشعراء المجددين فى الادب العربي ، ولأن له نواحى ادبية وتاريخية واجتماعية تحتاج الى تمدد الدراسة والتحليل

وسيصدر هذا العدد الممتاز في اول اغسطس القادم مدبجاً باقلام طائفة ممتازة من الادباء والعلماء . على ان قلم التحرير يرحب بنشر ما يصدر اليه من البحوث القيمة التى قد يرسلها بعض القراء

الأخوة العربية

تقوم الآن على الآمال والأعمال

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

في الاسبوع الثالث من شهر اكتوبر سنة ١٩١٧ كان لي الشرف أن أحيي في هذا الفندق وفي نفس هذه القاعة باسمي واسم إخواني من رجال الجالية العربية في مصر، ضيف مصر الكريم المرحوم السيد طالب آل النقيب الزعيم العراقي المشهور، فكانت الحفلة شائقة تكلمنا فيها عن النهضة العربية والثقافة العربية والجامعة العربية، فما تجاوز صوتنا الجدران كثيراً للشكوك التي كانت يومئذ حائمة، ولقلة الاستعداد لجعل العروبة رابطة للنهوض، وكان في الافكار تبلبل واضطراب وفي الاسواق دعايات رائجة، ومعظم الناس يصرفون جهودهم في حل الموقف الحاضر غير حافلين بالمصير الدائم كأنهم يقولون اعمل لحاضرك كأنك تعيش فيه أبداً واهمل مستقبلك كانك لن تلاقيه غداً. ولو أننا أعددنا يومئذ عدتنا وانتهزنا فرصة الحرب انتهاز الاقوياء المحنكين والرجال المدربين ما تمتع الاجنبي ببلادنا طيلة هذه السنين المديدة

الحياة من أولها إلى آخرها هي في الحساب الدقيق فرصة سانحة فمن شغل بحاضرها عن آتيها، وعوّقتها عن دائمها حرم الجنة وباء بالخسران المبين

طلبت الاقطار العربية استقلالها فقدمت لها العهود والمواثيق، وما انتهت الحرب العالمية إلا ومصر تحت الحماية التي أعلنت في سنة ١٩١٤، وبريطانيا في سورية الى حدود طورس وفي العراق الى دير الزور، فظن الذين لا يثقون بالعرب أننا أمم يلعب بعقولنا الكلام المعسول كما تلعب الخمرة بعقول الامم الساذجة، ولكن ماذا جرى بعد ذلك؟ قامت مصر تنادي بالحقوق التي وعدتها يوم اعلنت الحماية المؤقتة فسمعنا المرحوم زعيم مصر الخالد ينادي بأعلى صوته من شرفة بيت

هذه كلمة بليغة في الاخوة العربية القاها زعيم سورية الكبير في الحفل الحافل الذي اقامته الجالية السورية بفندق الكونتنتال بالقاهرة تكريماً للنواب والاعيان العراقيين الذين زاروا مصر، وقد تفضل حضرته فخص بها الهلال

الباسل باشامطالباً بحق تقرير المصير على طريقة ويلسون ، فكهرب الجو وعلا الصياح ، فكان لى الشرف أن أنادى بأعلى صوتي في نفس المكان ايضاً مطالباً بحق تقرير المصير في بلادى وفي سائر بلاد العرب ، ثم جاءت لجنة الاستفتاء الأمريكية الى سورية فقررت ان الاكثرية المطلقة لا ترغب عن الاستقلال التام بديلا ، وكذلك كان حال العراق ، فلم يصغ الينا أحد، ولكن الذين سدوا آذانهم عن سماع صوت الحق على السنة الخلق عجزوا عن اخماد الحركات الدالة على الحياة ، فكانت اضطرابات وكانت عواصف ، وكانت ثورات لايعلم عديدها أحد

كل مولود حى يولد صارخاً ومتحركا ومضطرباً فمن الجهل بطبيعة الحياة أن تكم فمه وتوثق أطرافه وتخمد أنفاسه

وغير نكير أنه مر علينا زمن كدنا نظن فيه أن الشهداء الذين علقوا على المشانق باسم العروبة فى دمشق وبيروت ذهبت دماؤهم هدراً ، وأن للاقطار العربية الشقيقة من المتاعب المحلية والمشاغل الموضعية ما يحول دون التفافها حول هذه الرابطة الوثيقة ، ولولا وحى كان يهبط علينا من حين الى آخر من أفواه شعراء العروبة لظن ضعفاء الايمان منا أن هذه الفكرة اندثرت وأن الشهداء أصبحوا أطلالا بالية ، تدل على نظرية عتيقة كما تدل قبور الاقصر الضخمة على رأى الفراعنة فى الموت

ولكن العروبة ليست نظرية بائدة بل هى إيمان حى متحرك ناطق ، فنحن نعيش في مجتمع واحد ونتخاطب بلغة واحدة ونتغذى من ثقافة واحدة ويحيط بنا عدو واحد . ولا أدل على وحدتنا الطبيعية من التشابه التام فى ظواهرنا الاجتماعية والسياسية : فكلنا نشعر بعد آلام مبرحة بوجوب اتخاذ الوطنية رابطة للذين يعيشون على أرض الوطن . فشعارنا «الدين لله والوطن للجميع» ، وبوجوب تهذيب الفن والادب واحترام اللغة العربية واعطائها مكانتها. فننقم مثلا اذا ترجمت الافلام السينمائية الى اللغات الافرنجية ولم تترجم الى لغتنا في مثل هذا المكان ، وليس هذا لجهلنا اللغات الاوربية وانما لحرمة ميراثنا الغالى . وقد شعرت بمرارة ما بعدها مرارة لانني أردت أن اعزى العراق بوفاة فيصله ببرقية لاسلكية فلم تقبل الشركة وهى في مصر نص رسالتى بالعربية . وإن في مصر اليوم قضية تدعى قضية اللغة العربية فى المحاكم المختلطة . وقد سمعت ثناء عاطراً على معالى الهلالى بك وزير المعارف السابق لافتتاحه مؤتمر الجراحة الدولى بخطبة عربية. هكذا يفعل الترك بالتركية والايرانيون بالايرانية . ويدل درس مثل هذه الاقوام الناشئة ـ كما يدل التنافس الشديد بين اللغات الاوربية ولاسيما

الانكليزية والفرنسية — على أن التمسك بأهداب اللغة هو عنوان الوطنية المتأججة في الصدور. وفي عقيدتي أن الذي ينشر في العالم العربي رسالة عربية فنية قيمة يبني في وسط الامبراطورية العربية القادمة قصراً وعلى حدودها قلعة

و بدرت بادرة في تونس في الاشهر الاخيرة تدلنا على النهضة الصادقة فى هذا القطر الشقيق ، فقد قام الشبان التونسيون يحتجون بما في صدورهم من ايمان على القرار الاستعماري الظالم الذي يجعل تعلم الفرنسية شرطاً للدخول في الوظائف الحكومية . ورأينا الاستعمار يحارب اللغة الوطنية ويقطع أوصالها جهد الطاقة ليحل لغته محلها. وقاعدته أن اقطع صلة الحاضر بالماضي ليكون لك المستقبل جميعا ، أو اقطع صلة البنت بأمها وأبيها لتكون في بيتك جارية

ولو أخذت أتلو عليكم حديث التشابه في هذه الظواهر لضاق بي المقام. وحسبي أن أقول عنها إنها ظواهر أتت عفواً من تلقاء نفسها وان تشابهها هذا التشابه الطبيعي يجعلها من حيث التصنيف العلمي وحدة قائمة بذاتها شأن سائر الاصناف المبوبة وحدات مستقلة، ولكن مسألتنا ليست مسألة التشابه العفوي الذي يأتي من تلقاء نفسه ، وانما هي مسألة تنظيم هذا التشابه تنظيماً ارادياً قائما على التعاون فيما بيننا لاكساب هذه الوحدة الطبيعية رابطة اجتماعية وميثاقاً سياسيا. وهذا العمل على وجه التحقيق سيكون من قضايا القرن العشرين . فالطبيعة يا سادتي عمياء ومضلة و بطيئة ومسرفة وشأنها يطول ، ولكن العقل والارادة والعزيمة والصدق والاخلاص هي مواهب انسانية مدركة تستمد قوتها من وراء الطبيعة ونورها من اعماق السماء

وعلى ذكر هذه الرابطة الاجتماعية السياسية أريد أن أقول ليس فى منهاجنا ولا في مصلحتنا جميعاً ان تزول منا الميزات الموضعية الصالحة والخصائص الاقليمية النافعة ، ولا سيما ما تعلق منها بالفن والأدب وهما من أهم أسباب تهذيب النفس. فهذا شيء يعرف قيمته هواة الزهور وأصحاب الحدائق الغناء . فلا نريد أن نقصر حديقة العروبة على الورد مثلا بل نريد ان تكون فيها أطيب اجناس الورد والياسمين والنرجس والزنبق

ثم ان الارتقاء يقف و يذوي و ييبس في البيئة المتطابقة تطابقاً تاماً بحيث اذا نشأ المرء يكون ليس بين الاشباه والنظائر بل بين النسخ التي يطابق بعضها بعضاً فلا يكتسب من جاره شيئاً جديداً ، في حين ان التدرج يكون نشيطا متى كان بين الافراد شيء من الاختلاف

الطفيف الحافز الى المحاكاة والتبدل والاكتساب . ومتى أفسحنا المجال لالتقاء المزايا المتنوعة المتقاربة التقاء وجها لوجه نكون قد وضعنا أسس النشوء والتقدم : فالتشابه مع الاختلاف المتقارب ارتقاء وتدرج والانطباق التام ركود وتعفن ، وأما التنافر فهو تمزق وانتحار

لقد قلت مرة للمربية الفاضلة الآنسة اليس قندلفت لما طلبتها وزارة المعارف العراقية للتعليم في بغداد : انك ذاهبة الى العراق لتعلمي ولتربي ولتكوني قدوة حسنة ، فامامك طريقان لاثالث لهما : فاما أن تقولي إن دمك غير دم العراقيين وأدبك غير أدبهم وثقافتك غير ثقافتهم ومثالك الاعلى في الحياة يختلف عن مثلهم فتعيشي دخيلة فيهم و بعزلة عنهم فينظروا اليك شزراً ، واما أن تقولي أنتم مني وأنا منكم ، أنتم اخواني وأهلي وعشيرتي ، خيركم خيري وضركم ضري ، فتستفيدي الفائدة المرتجاة لك ، وأهم من ذلك جميعا أنك تفيدين وتصنعين المعروف الذي لن ينسى لك : ابسطي يدك فالمثل العملي في الاخلاق خير من العظات الرنانة البالغة على المنابر وفي المعابد والمنتديات ، والبذل أعظم برهان حسي على نية القلوب ، انقذونا أيها المعلمون والمعلمات والمربون والمربيات من التفرقة والبلبلة فنحن في هذه المدنية المادية المسلحة ضعفاء ، حتى لو اجتمعنا واتحدنا ووحدنا جبهتنا ، فما بالكم لو بقينا متفرقين ؟ وإن أعظم منشأة سلمية اخلاقية دولية في أوربا وهي جمعية الامم تراعي في أحكامها والخطط التي تختطها والنواصي التي توصي بها ، مصلحة الحراب المعلقة على رءوس البنادق ، اكثر مما تراعي المشاعر الروحية الزكية المتفجرة من الرءوس المرفوعة على الاعناق

لقد ارتكبنا في الماضي أخطاء لامفر منها وزلت أقدامنا فسقطنا في آبار عميقة ، ولكن الكبير يقاس بالخطأ والاخفاق كما يقاس بالنجاح والاصابة ، والكبراء هم الذين تنتقد أعمالهم وتحصى أخطاؤهم ، وأما الصعاليك فلا يلتفت اليهم ، ومن كان يخشى الاغلاط كثيراً ويرهب ارتكاب متن الشطط رهبة تشل حركته وتجعله في حكم المقعد فليقبع في داره وليسكن في سربه ، لأن اللحم والدم والاغلاط قد امتزجت في هذا البشر امتزاجاً لا انفكاك له منذ ما وقف على رجليه . وقد كانت بلادنا سورية في قديم الزمان ممراً للجيوش المتطاحنة من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال ، والآن قد عزمنا عزماً اكيداً على جعلها سوراً منيعاً دون هذا الخصام ، بل قررنا أن نحولها الى حديقة يلتقي فيها أبناء العروبة من أنحاء الارض ، وهذه دماؤنا سكبناها طوعاً واختياراً لنسقي بها شجرة الائتلاف والاتحاد

والآن وقد جزنا عصر الاخوة في الآلام من عذاب في السجون ولوعة في المنفى وحشرجة على سدد المشانق ودخلنا فى عصر الاخوة فى الآمال والاعمال من اعداد العدة لرفع مستوانا الاقتصادى والسياسى والثقافي فأطلب اليكم أن تصغوا هنية الى شاعر العراق الكبير المرحوم عبد المحسن الكاظمى يتلو عليكم مرة ثانية أبياتاً من القصيدة التى تلاها منذ نحو عشرين سنة فى هذه القاعة في مديح الزعيم المرحوم السيد طالب آل النقيب في الحفلة التى أشرت اليها ، وانكم لتجدون فيها اليوم من بعد هذا التحول العظيم فى الاخوة العربية معنى لم يجده كثير من المستمعين يومئذ

واذا كان يعوزني وجه الكاظمى الوضاء ولحيته البيضاء وعمته الناصعة وقامته المنتصبة فأرجو ألا يعوزني قلبه الشاعر الحى المتفجر لما قال :

مرحباً بالسنا العراقي يبدو ... منه فى مصر ما يقر العيونا
أيها القوم كلنا اليوم عُرْبٌ ... والى العرب يطمح العالمونا
بعضنا في الخطوب عون لبعض ... إن أردنا على الخطوب معينا
فعراقينا متى اشتد خطب ... رد سورينا الشدائد لينا
وكذاك النجدى إن ريع يوماً ... فالتهامى كان ركناً ركينا
أيها العرب بادروا واستردوا ... مجدكم من مخالب الغاصبينا
لايفرقكم اختلاف فانتم ... في سبيل الاوطان متفقونا
انظروا مواضع الخطى وتمشوا ... تأمنوا اليوم زلة الخاطئينا
فعظاة الايام أوضح من أن ... يتغاضى عن هديها العارفونا
ربما سرت الحوادث يوماً ... ثم عادت فأحزنتنا سنينا
ولكم ابكت الحوادث قوماً ... جهلوها وأضحكت آخرينا
فاذا كان في الخفيات شك ... فمن الشك ما يعود يقينا
إنما الشام والعراق ومصر ... أخوات وان تفرقن حينا
سينال الجميع بعد قليل ... ما رجاه لخيره الراجونا
فتعود البشرى لنا تلو بشرى ... نتغنى بذكرها طربينا

عبد الرحمن شهبندر

مظاهر الرقي في الأمم

بقلم الأستاذ أحمد أمين

كل أمة في حركة دائمة وتغير مستمر ، فهي لا تعرف القرار والثبات على حال ، غير أن هذا التغير قد يكون الى حال خير مما كانت عليه ، وقد يكون الى أسوأ ، فان كان الاول سميناه رقياً وتقدماً ونجاحاً ، وان كان الى أسوأ سميناه تدهوراً وتأخراً وانحطاطاً

غير أن حسبان التقدم والتأخر أو الرقي والانحطاط في منتهى الصعوبة لأسباب عديدة أهمها أمران :

الأول ـ أن كثيراً من المظاهر موضع خلاف هل هي أسباب رقي أو أسباب انحطاط أو هي ليست أسباب رقي ولا انحطاط . وقد يكون الشيء سبب رقي كالحرية والمساواة فاذا غلت فيه الامم وتجاوزت حدوده انقلب الى سبب انحطاط . وهذا يجعل حسبان التقدم والانحطاط عسيراً

والثاني ـ أن كل امة في الوقت الحاضر تتغير من نواح مختلفة تغيرات قد تعد بالمئات أو بالآلاف ، وهذه التغيرات متشابكة معقدة ، متجهة اتجاهات متعاكسة ، بعضها يعد تقدماً ورقياً وبعضها يعد تأخراً وانحطاطاً ، فعمليات الجمع والطرح لتعرف النتائج في منتهى الدقة والصعوبة ، بل العامل الواحد قد يسبب رقياً في ناحية وانحطاطاً في ناحية أخرى ، يسبب رقياً في الناحية الاقتصادية وانحطاطاً في الناحية الخلقية أو العكس ، رقياً في الناحية العلمية وضعفاً في الناحية الدينية أو العكس . فحسابه إذ ذاك يكون عسيراً والوصول الى تصفية نتائجه في غاية المشقة ، وهذا هو الشأن في عامل واحد فكيف يكون الشأن في آلاف العوامل والمؤثرات والاسباب ؟ ـ فلا كتف الآن بجزء صغير من الموضوع وهو الاجابة عن السؤال الآتي : ما أهم مظاهر الرقي في الامم ؟

لعل أهم ما يعد فاتحة لتقدم الامة وارهاصاً لنجاحها ورقيها تقارب أفرادها في العقلية والعاطفة وتوحدها في المثل الاعلى الذي تنشده واشتراكها في العادات والتقاليد وشعور كل فرد أنه جزء من أمة يعمل لنفسه ولها ولخيره وخيرها : ذلك أن الركن الاساسي في تكوين الامة هو وحدة المصالح ، ووحدة العواطف ووحدة اللغة الخ . فكلما أمعنت الامة في هذا التوحد

كانت أشد استحقاقاً لاسم الامة ، ومن أجل هذا حافظت الامم على أن يكون لكل منها قانون يعم جميع أفرادها وتعليم متحد في الاساس يتثقف به أبناؤها،ونظم عامة يخضع لها شعبها. وأهم غرض لذلك كله تدعيم هذه الوحدة ، فاذا كانت الامة منقسمة انقساماً كبيراً الى بدو وحضر ،أو تنازعتها الاديان المختلفة في شكل قوى واضح أو تقسمتها صنوف التعليم ، فمدارس فرنسية تتبع برامج فرنسا ومدارس انجليزية تتبع مناهج انجلترا ومدارس أهلية تتبع نظاما خاصاً،وتعليم ديني من أول الامر وتعليم مدني من أول الامر - أثر هذا كله في وحدتها وخالف بين نزعات أفرادها وأصبح تسميتها امة مجازاً لا حقيقة ، وعاق ذلك رقيها وتقدمها

قد تختلف الامة في ثقافة أفرادها - وهذا ما يحدث بين كل الامم الراقية - ولكن أسس الثقافة عندها واحدة والاختلاف في الكمية فقط لا في النوع كشأنها في اللباس ، كل رجل فيها من فلاح الى ملك يلبس ملبسا يتكون من « بنطلون وجاكتة » ولكن الاختلاف في نوع الصوف وجودة الصناعة واجادة الخياط. أما امم الشرق فالاختلاف في كل امة منها في الاسس ،تعليم ديني من أول أن يسلم الطفل للمكتب وتعليم مدني من يوم أن يسلم لروضة الاطفال وتعليم أجنبي من يوم أن يدخل مدرسة الفرير أو الجزويت ، فيخرج المتخرجون أنواعا مختلفة في مثلهم العليا وفي عاداتهم وتقاليدهم . وشأننا في هذا الاختلاف أيضا كشأننا في الملابس تختلف نوعاً لا صنفا فقط . فمعمم ومطربش ولابس جلبابا ولابس لباسا افرنجيا ، الى مالا يعد ولا يحصى ، ثم ما شئت من ضروب الاختلاف في العادات والتقاليد والمثل العليا مما لانجد له نظيراً في الامم الراقية . فالقرب الى توحد الامة في ذلك كله مظهر من مظاهر رقيها والبعد عن ذلك مظهر من مظاهر انحطاطها . وكما أن توحيد الله أرقى مظاهر الديانة ، وتوحيد الزواج وعدم التعدد ارقى مظاهر الاسرة ، فتوحيد الامة في كل ما ذكرنا أرقى مظهر لها ولعل هذا ما حدا بقادة الفكر في تركيا يوم عملوا على ترقية أمتهم أن يوحدوا زيهم ويوحدوا أسس تعليمهم ونظام مدارسهم ويوحدوا قوانينهم وجيشهم وكل شيء لهم

وشيء آخر من مظاهر الرقي في الامة ، أعني به انقسام الامة الى جماعات حسب تعدد الاعمال وتعدد الوظائف وقيام كل جماعة بوظيفتها ، على أن يكون الغرض الاخير لكل جماعة مصلحة الامة - لقد كانت الجماعة في حالة بداوتها وفي حالة عيشتها القبلية تتركز سلطتها في يد فرد واحد هو شيخ القبيلة ، فلما تكونت الامم وارتقت أخذت تتوسع الاعمال وتتعدد الوظائف ويتعدد القائمون بها. فبرلمان ومحاكم وجيش ورجال دين ورجال تعليم وصناع ونقابات

الخ . وكلما تقدمت الامة اتسعت أعمالها وتعددت وظائف القائمين بها ، وعهدت لخير رجالها تنظيمها وادارتها . وليس رقي الامة الذي نعني بكثرة الاعمال وتعدد القائمين بها فحسب ، بل أهم من ذلك تنظيم العلاقات بين الجماعات المختلفة العاملة حتى كأن الامة كلها آلة ميكانيكية وكل جماعة فيها تعمل وفقا لسير هذه الآلة حتى تنتظم كلها في عملها ، فليس كل جزء من الآلة يعمل عمله مستقلا وانما يعمل وفق سير الآلة كلها ، وليحقق الغرض الذي ترمي اليه كلها . وهذا ضرب آخر من ضروب التوحيد الذي أشرت اليه قبل ، فان الامة بذلك يكون لها أغراض معينة لا تتعارض ولا تتعاكس . والقوى العاملة على اختلاف أنواعها من قوى اقتصادية وأخلاقية وتعليمية واجتماعية تعمل متساندة متفاهمة لتحقيق هذه الاغراض . أما ان هي لم تتفاهم ولم تتساند ، هدم بعضها ما يبني الآخر ونقض بعضها ما غزل الآخر ، فضاعت قواها بين بناء وهدم وغزل ونقض ، وكانت كما قال الشاعر :

تهتز وهي مقبلة   فكأنما هي زائلة

ثم لكل ناحية من النواحي الاجتماعية مظهر واضح يدل على الرقي ، فمن الناحية السياسية مظهر الرقي تحقق العدل الاجتماعي وقربه من الكمال ، واكبر مظهر لذلك أن يحكم الشعب نفسه بنفسه فيختار المشرعين له والمنفذين لقوانينه ونظمه ، اختياراً تراعى فيه الحرية التامة ، وليس هذا فحسب بل يجب أيضا أن يفسح الطريق لكل فرد ليصل الى هذه الوظائف السياسية ما سمحت له مقدرته وكفايته ، أعني ألا يدخل عامل من العوامل في الرقي الى المراكز السياسية غير الكفاية وحسن الاستعداد ، فلا الغنى ولا الجاه ولا البيت الرفيع ولا المحسوبية مما يصح أن تكون عاملا من عوامل المناصب . فالامة الراقية حقا من الناحية السياسية هي التي سهلت الفرص لكل الناس على السواء ، وعدلت بينهم عدلا مطلقا وأزالت كل العقبات من طريق السباق حتى يكون الفائز فيه من أعدته الطبيعة والمران ليكون الفائز . وبمقدار قرب الامة من هذا المثل الاعلى وبعدها عنه يحكم عليها بالرقي السياسي أو الانحطاط السياسي . فان حكمها غيرها أو حكمت نفسها واستبدت بالحكم فيها طبقة خاصة تعتز بالنسب أو بالمال واعتز ذيولها بالمحسوبية لها فما ابعدها اذن عن مظاهر الرقي !

ومن ناحية « الثروة » ـ مظهر الرقي أن يتجه الافراد والحكومات بنظرهم في تحصيل الثروة وانفاقها الى الخير العام للامة ، فاذا انفق الفرد ثروته في تقوية نفسه وأسرته فهذا من مصلحة الامة ، واذا نظم حياته بماله تنظيما يدعو الى رقي نفسه وأسرته فعرف كيف يدخر

وكيف ينفق واذا انفق أنفق في تقوية بدنه وعقله و روحه وأسبغ على حياته وحياة أسرته القوة من جميع نواحيها فذلك في مصلحة الخير العام . ومثل هذا اذا خصص جزءا من فضل ماله لما يرى من وجوه النفع العام التى تلائم ذوقه وتتفق مع ميوله . أما اذا أنفق ثروته فيما يضعف نفسه وأسرته من انهماك فى نوع من انواع اللذائذ المنهكة للقوى المتلفة للمال من ميسر او ادمان مسكرات أو نحو ذلك ، فمظهر من مظاهر الانحطاط لانه يضعف بذلك نفسه واسرته ، وفي ذلك اضعاف للأمة لان الاسرة وحدة الامة ، وكذلك الشأن في ثروة الحكومة من حيث الدخل والخرج ،فاذا راعت فى فرض الضرائب مصلحة المجموع وراعت في وضع ميزانيتها ووجوه انفاقها مصلحة المجموع كذلك ، فذلك مظهر من مظاهر رقيها . اما ان هى راعت في ضرائبها مصلحة فئة من الناس وراعت في ميزانيتها طبقة من الطبقات وانفقت على المدن وضنت على الفلاح واسرفت في الكماليات وشحت في الضروريات و بالغت في توسيع الشوارع وغرس الاشجار قبل ان يجد الفلاح ماءه النقى الذى يشربه ومسكنه الصحي الذى يسكنه ونوره الذى يستنير به ، فمظهر من مظاهر الضعف والانحطاط . ولتنظيم الثروة أهمية كبرى لامن الناحية المالية فحسب بل إن أثرها يتعدى — تقريبا — كل مناحي الحياة ، فالثروة هى عماد رقى الصحة ورقى العقل ورقي الروح . والرقي فى تنظيمها يستتبع رقيا فى جميع هذه النواحي كما أن الانحطاط فيها يستتبع الانحطاط فى جميع هذه النواحي

وهناك نواح اخرى لا يتسع لعدها مقال ، ولكن يمكننا أن نجمل القول فيها وفيما ذكرنا قبل بأن «خير مقياس لرقى الامة أن تنظر الحكومات في تصرفاتها لمصلحة المجموع وأن تنظر الافراد فى تصرفاتها لمصلحة الامة »

هذا هو مظهر الرقي من الناحية المطلقة المجردة . وهناك مقياس لرقى الامة نفسها اعنى اننا اذا تساءلنا هل هذه الامة بعينها تسير نحو الرقي او نحو الانحطاط فبم نجيب ؟ اظن ان الاجابة عن ذلك سهلة وهى ان الامة — في كل ما ذكرنا — اذا كانت في يومها خيراً من أمسها وأقرب الى المثل الذى المعنا بوصفه فسائرة الى الرقى . واذا كانت في يومها شرا من امسها وكانت ابعد عن المثل الذى وصفنا فسائرة الى الانحطاط . وان كانت فى يومها خيرا من امسها فى بعض النواحى وشرا في البعض الآخر وجب ان نعمل عمليات دقيقة لتقويم الحسن والقبح وعمليات جمع وطرح دقيقة نعرف بها ما يتبقى بعد ذلك من ضعة او كمال ثم الحكم بعد ذلك حسب نتائج هذه العمليات

احمد امين



بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

مأساة شهيرة بين الشرق والغرب . تثير حوادثها وظروفها المؤثرة فى النفس ، شجناً وأسى ، وتحمل منها عبرة خالدة فى صحف التاريخ الاسلامى : تلك هى المأساة الاندلسية التى اختتمت بسقوط غرناطة ، وذهاب دولة الاسلام فى الاندلس ، وانهيار صرح المدنية الاسلامية فى الغرب

كان سقوط غرناطة الاندلس حدثاً عظيم الأثر فى علائق الشرق والغرب ، وكان خاتمة محزنة لماض مجيد باهر ، ولكنه كان خاتمة محتومة لم يك ثمة ريب فى وقوعها ، ولم يك ثمة سبيل إلى اجتنابها . ذلك لأن الاندلس كانت منذ القرن الثانى عشر – منذ عهد الطوائف – تسير الى فناء بطىء ، ولكنه محقق ، وكانت قواعدها الزاهرة تسقط تباعا فى يد اسبانيا النصرانية . وكانت الحياة الجديدة التى اسبغتها صولة المرابطين ، ثم الموحدين على الاندلس ، خلبا قصيرة المدى ، ثم سطعت مملكة غرناطة فى جنوب الاندلس مدى حين ، ولكنها كانت تعانى نفس الداء الذى أودى بالاندلس الكبرى ، داء الخلاف الابدى ، فلم تلبث ان عصفت بها ريح التفرق ، ومزقتها الحروب الاهلية ، واستطاع رجال ثاقبو النظر كابن الخطيب وابن خلدون ان يستشفوا من وراء هذا الشقاق القاتل ، خطر الفناء المحقق ، وان تنبأوا به قبل وقوعه بأكثر من قرن

ووقعت الخاتمة المحتومة ، وسقطت غرناطة الاندلس فى يد اسبانيا النصرانية فى ديسمبر سنة ١٤٩١ (صفر سنة ٨٩٧ هـ) ، وكان الامير الذى شاء القدر أن يقع ذلك الخطب فى عهده وعلى يديه ، هو السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان ابى الحسن النصرى . فهو آخر ملوك الاندلس ، وهو خاتمة ذلك الثبت الحافل من ملوك بنى الاحمر الذين أنشأوا مملكة غرناطة ، ولبثوا مدى قرنين يسهرون على مصائرها ، ويرعون حضارتها الزاهرة ، ويدفعون عنها خطر الفناء الداهم

وكان من المقرر ان يقيم ابو عبد الله بعد ذهاب ملكه وسلطانه فى جنوب الاندلس ، فى اقليم البشرات ، فى كنف ملك اسبانيا وتحت حمايته ، ولكنه لم يلبث أن عاف تلك الحياة الذليلة ، فغادر الوطن القديم فى غمر من الحسرات والاسى ، وجاز البحر بأهله وماله الى المغرب (سنة ١٤٩٣ م) ونزل أولا بمليلة ، ثم قصد الى فاس واستقر بها ، وتقدم الى ملكها السلطان محمد شيخ بنى وطاس الذين خلفوا بنى مرين فى ملك المغرب ، مستجيراً به ، مستظلا بلوائه ، معتذراً عما أصاب الاسلام على يده ، متبرئاً مما نسب اليه من إثم وتفريط فى حق الوطن والدين

وهذا الدفاع الشهير الذى يقدمه أبو عبد الله عن موقفه وتصرفه، قطعة رائعة من الفصاحة السياسية والبيان الساحر، وهو يدل فى روحه وقوته وروعته، على فداحة التبعة التى شعر أبو عبد الله انه يحملها امام الله والتاريخ، وأمام العالم الاسلامى كله، وامام الاجيال القادمة كلها، على ان هذا الامير المنكود لم يرد ان ينحدر الى غمر النسيان والعدم محكوما عليه دون أن يبسط للتاريخ قضيته ويبدى كلمته. فيحكم عليه فى ضوء اقواله ودفاعه

وقد كتب هذا الدفاع الشهير الفريد فى التاريخ الاسلامى، على لسان أبى عبد الله وزيره وكاتبه محمد بن عبد الله العربى العقيلى فى رسالة مستفيضة، قوية مؤثرة، موجهة الى ملك فاس وعنوانها: «الروض العاطر الانفاس فى التوسل الى المولى الامام سلطان فاس»

وقد كان العربى من أعلام البلاغة فى هذا العصر، وله آثار فى النظم والنثر كأنها لروعتها نفثات أخيرة لآداب الاندلس المحتضرة، وكان دفاع أبى عبد الله من أبدعها وأروعها

وقد نقل الينا المقرى مؤرخ الاندلس هذا الدفاع الشهير نصه فى مؤلفه الجامع «نفح الطيب» (١) ويستهله العربى بعد الديباجه بقصيدة رائعة هذا مطلعها:

مولى الملوك ملوك العرب والعجم — رعياً لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار انت لمن — جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلباً — وأفظع الخطب ما يأتى على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له — وهل مرد لحكم منه منحتم
وهى الليالى وقاك الله صولتها — تصول حتى على الآساد فى الأجم
كنا ملوكا لنا فى أرضنا دول — نمنا بها تحت أفنان من النعم
فأيقظتنا سهام للردى صيبت — يرمى بأفجع حتف من بهن رمى
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا — وأى ملك بظل الملك لم ينم

ومنها فى التوسل والتبرؤ والاعتذار وهو لب موضوعها:

وابسط لنا الخلق المرجو باسطه — واعطف ولا تنحرف واعذر ولا تلم
لا تأخذونا بأقوال الوشاة ولم — نذنب ولو كثرت أقوال ذى الوخم
فما أطقنا دفاعاً للقضاء ولا — أرادت انفسنا ما حل من نقم

وهى طويلة جداً، يمتدح فيها ملوك فاس، ويشيد بعلائقهم القديمة مع بنى الاحمر ملوك غرناطة. ويشير ابو عبد الله فى دفاعه المنثور. بعد ذلك الى حوادث الاندلس، ويعتذر عن نكبته، ويعترف بخطئه فى عبارات مؤثرة، نقتطف منها: «وما الذى يقوله من وجهه خجل،

(١) راجع «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب» (مصر) ج ٢ ص ٦١٧ — ٦٢٨، وأورده المقري أيضاً فى كتابه «أزهار الرياض» (تونس) ص ٦٢ — ٨٧

وفؤاده وجل ، وقضيته المقضية عن التنصل والاعتذار تجل ، بيد أنى أقول لكم ما أقوله لربى ، واجترائى عليه أكثر واجترامى اليه اكبر : اللهم لابرىء فاعتذر ، ولا قوى فانتصر ، لكنى مستقيل مستنيل ، مستغيث مستغفر ، وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء . . . ، بيد أنه يدفع عن نفسه تهم التفريط والزيغ والخيانة بقوة ويقول : « أفمثلى كان يفعل أمثالها ، ويحتمل من الاوزار المضاعفة أحمالها . ويهلك نفسه ويحبط أعمالها ، عياذاً بالله من خسران الدين ، وإيثار الجاحدين والمعتدين ، قد ضللت إذاً وما انا من المهتدين . وايم الله لو علمت شعرة فى فودى تميل الى تلك الجهة لقطعتها ، بل لقطفت ما تحت عمامتى من هامتى وقطعتها . غير ان الرعاع فى كل وقت وأوان ، للملك أعداء وعليه أحزاب وأعوان . . . ولقد قذفنا من الاباطيل بأحجار ، ورمينا بما لا يرمى به الكفار ، فضلا عن الفجار . . . أكثر المكثرون ، وجهد فى تعثيرنا المتعثرون ، ورمونا عن قوس واحدة ، ونظمونا فى سلك الملاحدة ، أكفراً أيضاً كفراً ، غفراً اللهم غفراً . . . وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ، ممن رام محقه ومحقنا ، فطاردنا فى سبيله عداة كانوا لنا غائظين ، فانفتق علينا فتق ، لم يمكنا له رتق ، وما كنا للغيب حافظين . . . »

ثم يقول ابو عبد الله : لئن كان مروعا مصير غرناطة ومصير ملكها وامجادها ، فانها لم تنفرد بين قواعد الاسلام بذلك المصير المحزن . ألم يقتحم التتار بغداد عروس الاسلام ، ومثوى الخلافة ، ومهد العلوم ، ويستبيحوا ذمارها وحرمها ، ويسحقوا الخلافة وكل معالمها ورسومها ؟ وماذا تستطيع غرناطة ويستطيع ملكها ازاء قدر محتوم وقضاء لا مرد له ؟ ، ويشير ابو عبد الله الى رفضه لما عرضه عليه ملك اسبانيا من الاقامة فى كنفه وتحت حمايته فيقول : « ولقد عرض علينا صاحب قشتاله مواضع معتبرة خير فيها ، واعطى من امانه ، المؤكد فيه خطه بايمانه ، مايقنع النفوس ويكفيها ، فلم نر ونحن من سلالة الاحمر ، مجاورة الصفر ، ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرانى الكفر ، ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاسعة ، وامنا من المطالب المشاغب حمة شر لنا لا سعة . . . ، ثم يشير ايضا الى انه تلقى دعوات كريمة من المشرق للذهاب والاقامة فيه ، ولكنه آثر الجوار الى المغرب ، دار آبائه من قبل ، ولم يرتض الانضواء الا لذلك الجناب (بنى مرين) الذى اوصى آباؤه وأجداده بالانضواء اليه وقت الخطر الداهم

ويختتم ابو عبد الله دفاعه برثاء مؤثر لملكه وقدره : « ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا ، عن أرض اورثها من شاء من عباده ، معقبا لهم ومديلا ، وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا ، سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا ، لم تستطع عن مورده صدورا ، وكان امر الله قدراً مقدوراً . . . »

* * *

هذه خلاصة للدفاع الشهير الذى تركه آخر ملوك الاندلس للخلف من بعده ، وهو دفاع حار مؤثر يذكرنا بتلك الاعتذارات الشهيرة (ابولوجيا) التى لجأ اليها الاقدمون فى ظروف مختلفة لتبرير بعض المواقف والآراء ، وفيه يقف ابو عبد الله موقف المذنب البرىء معا ، فهو لا يتنصل من جميع الاخطاء ، ولكنه يتنصل من تبعة ما حدث ، ويصور نفسه قبل كل شىء ضحية القدر ، ويدفع عن نفسه بالاخص تهم التفريط والخيانة والزيغ ، فالى اى حد تتفق هذه الصورة مع الحقيقة ومع منطق الحوادث والظروف التى وقعت فيها المأساة ؟ . كانت الاندلس تصير الى قدرها المحتوم قبل المأساة بعيد ، ولم يك ثمة شك فى مصير غرناطة بعد أن سقطت كل قواعدها الاخرى فى يد العدو القوى الظافر ، ولكن ليس من شك ايضا فى أن الاواخر من ملوك غرناطة يحملون كثيراً من التبعة فى التعجيل بوقوع المأساة ، فنحن نراهم يجنحون الى الدعة الخاملة ويتركون شئون الدفاع عن المملكة ، او ينساقون الى حروب اهلية يمزق فيها بعضهم بعضاً ، والعدو من ورائهم متربص متوثب يرقب الفرص ، وقد كان هذا شأن ابى عبد الله وابيه السلطان ابى الحسن ، وعمه ابى عبد الله المعروف « بالزغل » ، وهم أبطال المأساة الاخيرة ، كانت الحرب الاهلية تضطرم طوال الوقت بين الثلاثة ، وكان ابو عبد الله يستعدى ملك النصارى (فرديناند) على ابيه وعمه لكى ينتزع العرش لنفسه ، فلما ظفر بعرش غرناطة بمؤازرة فرديناند لم يكن سوى صنيعته وأسير وحيه ، وكان عمه (الزغل) قد بسط سلطانه على الانحاء الجنوبية ، فلم يحجم عن مهاجمته فى نفس الوقت الذى هاجمه فيه ملك النصارى لينتزع منه ما تحت يده ، وكان (الزغل) فى الواقع بطل المعركة الاخيرة ، وقد أبدى فى مقاومة العدو بسالة رائعة خلدتها سير العصر . ولم يشعر ابو عبد الله بفداحة خطئه الا عند ما تحول اليه فرديناند بجيشه الضخم ليحاصره فى غرناطة ، وكانت قوى غرناطة ومواردها قد بددت فى حروب اهلية عقيمة ، فلم يغن دفاعها شيئاً امام القوة القاهرة والقدر المحتوم ، وكانت المأساة وكانت الخاتمة

وبذا يحمل ابو عبد الله امام الله والتاريخ تبعة لا ريب فيها ، بيد انها ليست تبعة الخيانة او الجريمة المعمد ، بل هى تبعة الخطأ وقصر النظر وعدم التبصر فى العواقب

وقد عاش ابو عبد الله فى منفاه طويلا ليتجرع كأسه المرة الى الثمالة ، وتوفى بعد المأساة بنحو أربعين عاما فى سنة ٩٤٠ ﻫ (١٥٣٤ م) ، وشهد خلال هذه الحقبة الاثيمة جهود السياسة الاسبانية فى سحق الاسلام بالاندلس وسحق مدنيته وكل رسومه وآثاره ، وشهد يد المحو والفناء تعمل لاستئصال هذا الشعب الاندلسى النبيل التالد من ارضه التى لبث يرعاها مدى ثمانية قرون وينثر فى أرجائها من قبس عبقريته وروائع حضارته آيات خالدات

محمد عبد الله عنان

نظرات في الاجتماع والأدب

بقلم الأستاذ ابراهيم المصري

بين رجال السياسة ورجال الفكر — فوز المفكرين على السياسيين — هل فشلت النزعات المثالية — ادباء الغرب يخدعون الشرق — الحضارة اليوم واحدة

ليس شك في أن العالم تقدم في كل ميدان ما خلا ميدان السياسة ، فالعقلية التي كان يعالج بها ماكيافيلي في عصره مشاكل الدولة هي نفس العقلية التي تسيطر على معظم رجال السياسة اليوم والواقع أن صفوة المفكرين والادباء ورجال الفن وأقطاب العلم تحاول أن تجدد نظرتنا الى الحياة وغايتنا منها واسلوبنا فيها متجهة نحو تحقيق مثل اعلى يقوم على الرحمة والمحبة والتعاون وتضامن الجهود في سبيل المصالح الانسانية المشتركة . اما رجال السياسة فيعتقدون أن مثل هذا النوع من التجديد ان طبق على الاساليب السياسية فلا بد ان يخرج بها عن طبيعتها ويجعلها أقرب الى التصور الشعري المحض ويؤدي بها آخر الامر الى اضعاف الامة

فالمفكرون والادباء ومن اليهم يتساءلون : لماذا لا تكون اخلاق الفرد هي اخلاق الجماعة ؟ ولماذا لا يصلح قانون الفرد قانونا للجماعة ؟ ولماذا نجد في الفرد فضائل نستنكر العمل بها عندما نسعى لخدمة الجماعة ؟ . . .

نحن نقول للفرد: اجتهد في تهذيب نفسك والغير وحاول الصفح عمن اساء اليك وطهر شخصك من الاحقاد ولا تطمع في أموال الناس ولا تعتد على أحد ، وكن قدوة لسواك في حب الخير والعمل على نصرته ما استطعت . ولكننا نحتقر السياسي الذي يؤمن بهذه التعاليم ونطرده من ميدان الحكم

نحن نقول للفرد : لاتنافق . ولكننا نسمح للسياسي بالنفاق ، بل نحثه عليه ونعجب بمهارته فيه ونقيم صرح الدولة برمته على هذا النفاق !

يجيب الساسة على ماتقدم بأن الشر هو طريق الخير وان الطبيعة علمتنا ان السمكة الكبيرة تأكل الصغيرة، وان التاريخ ايضاً علمنا ان كل حضارة ازدهرت في هذا العالم انما قامت على « القوة » لتستطيع ان تنظم بعد ذلك « الحق » ، وان الغزوات الكبيرة والفتوحات العظيمة كان لا بد منها وكان لا مفر من استخدام شر غرائز الانسان لتحقيقها خدمة له ورقياً به وتمكيناً لعبقريته من استغلال مواهبه الكامنة واخضاع مختلف أقطار الدنيا لارادته وسلطانه . فبالقوة يغلب وبالقوة يأخذ وفي ظل القوة يحتفظ وينظم ويسن الشرائع ويضع القوانين ويبدع الفنون والعلوم والآداب ويتيح للفرد

المادى انماء شخصيته والتحلى بفضائل الرحمة والمحبـة التى يجب بأى حال من الاحوال ألا تطغى على رجل الدولة وتسمم سياسة الجماعة وتخرج بها عن دائرة القوة العسكرية فى حالة الرغبة فى التوسع ودائرة القوة الدبلوماسية وما يلازمها من نفاق وغدر

وعليه فالساسة يقولون انهم قوم عمليون ، وان المفكرين والادباء قوم مثاليون، وانه خير للعالم أن يظل كل فريق يعمل فى دائرة اختصاصه اقراراً لروح التناسق والنظام فى هيكل الامة

فوز المفكرين على السياسيين

ومع ذلك فقد فاز المفكرون والادباء على رجال السياسة بعض الفوز . وذلك بعـد الحرب الكبرى وعندما انشئت عصبة الامم التى لم يكن لها من غرض فى الحقيقة الا تطبيق الاخلاق الفردية المثالية على روح السياسة وتجريد هذه الروح من عنصر القوة الغاشمة وانزالها على حكم العقل والعاطفة معاً خدمة لمصالح الانسانية المشتركة

وكانت أوربا قد دفعت إلى الحرب من جراء سياسة المحالفات فارادت عصبة الامم ابدال المحالفات بالتحكيم فكان نصراً واضحاً للمفكرين المثاليين على رجال السياسة ورجال الحرب

غير أن عصبة الامم هذه هددت بالفشل مرات وهي توشك اليوم أن تحتضر وتموت . فهل يرجع فشلها إلى فساد التعاليم المثالية التى تنهض عليها أم إلى خطأ وسوء نية فى تطبيق هذه التعاليم؟

الواقع أن العصبة فشلت فى مواقف عدة لانهـا قررت من الناحية النظرية فقط وجوب سحق « القوة » وتركت هذه القوة فى الناحية العملية ترتع وتتضخم ممثلة فى التسلح الهائل الذى أقدمت عليه بعض الدول على مرأى ومسمع من الجميع

فكل دولة استطاعت أن تسرف فى التسلح تمكنت من تحدى العصبة وارهاب أعضائهـا وضربها فى الصميم والفوز باطماعها كما فعلت اليابان فى غزوها منشوريا وإيطاليا فى غزوها الحبشة

بل لقد حدث ما هو أنكى وأمر

حدث أن نظام العصبة نفسه اتخذته طائفة من الدول اداة للدفاع عن مصالحها الخاصة فى حالة وجود خطر يهدد هذه المصالح فقط ، كما فعلت بريطانيا فى النزاع الايطالى الحبشى . وحاولت دول أخرى عرقلة هذا النظام وخنقه وشل حركته دفاعا عن مصالحها هى الاخرى ، كما فعلت فرنسا فى النزاع الايطالى الحبشى نفسه . فكانت النتيجة أن العصبة لم تستطع منع الاعتداء فحسب بل ساعدت عليه ومكنت المعتدى منه وأتاحت له فرصة التمادى فيه

ومما لا يقبل الريب أن الرجل الوحيد الذى أدرك سر ضعف العصبة وصارح بهذا الضعف هو لتفينوف ـ أدرك أن من المحال أن تعيش العصبة وخلفها دول مدججة بالسلاح تهدد انظمتها وروحها وأعضاءها فى كل لحظة . فاقترح اتلاف السلاح دفعة واحدة اتلافا تاماً لتتحقق فكرة سحق

القوة من ناحيتها النظرية والعملية . ولكن الساسة المحترفين قابلوه بالضحك وهز الاكتاف لان في القضاء على السلاح قضاء على حياتهم وأرباحهم ومصر مهنتهم

هل فشلت النزعات المثالية

واذن فهل فشل العصبة فى حالتها الراهنة معناه فشل النزعات المثالية وفشل عقلية المفكرين والادباء متى طبقت على السياسة ؟

تناول الكاتب النمسوى الاشهر ستيفان زفايج هذا السؤال بالبحث والتحليل فى احدى مقالاته الاخيرة، فاستخلص منه رأياً شائقاً وان لم يكن طريفاً ، دافع عنه بحرارة وزعم انه خير علاج لازمة السياسة فى عصرنا وفى العصور المقبلة

يقول زفايج : إن كل سياسة يتولاها الآن سياسى محترف لا بد أن تقوم على الخوف والحذر وتتغذى من القوة والبطش وتعيش على النفاق والدس والغدر ، وان السياسة المثالية المنشودة يجب أن يضطلع بها المثاليون أى رجال الفكر والادب والفن . فهؤلاء يرسمون الخطط الرئيسية العامة المطبوعة بالطابع الانسانى وجماعة الاخصائيين فى فروع الصناعة والاقتصاد والمال ينفذون تلك الخطط ويعاونون رجال الفكر فى توزيع خيرات العالم على الجميع توزيعاً أساسه العدل والاخاء

ويعتقد الكاتب النمسوى أن الرئيس مازاريك هو مثل صالح من أمثلة رجال الفكر متى تولوا الحكم ، وأن العالم المتحضر حقاً خليق بان يحكم باشباهه

ثم يتحدث زفايج عن فضائل صفوة رجال الفكر والادب فيقول انهم اخلص الناس تفكيراً وأبعدهم عن الغرض وأشدهم عطفاً على الغير واعمقهم احساساً بالالم . ثم هم فوق هذا احرار لايتقيدون بالتقاليد السياسية والاجتماعية البالية التى تنخر رءوس الساسة المحترفين ، ولا يعرفون التعصب الوطنى والتعصب العنصرى والجنون الاستعمارى والائتمار بأوامر رجال الصناعات والمال

ومن السهل — فى رأى زفايج — على طائفة ارصدت حياتها لخدمة الثقافة والفكر لمصلحة الانسانية المشتركة .أن تتفق على حلول عامة يصعب أن يسلم بها أغلب الساسة الحاليين وكل من لاتعدو نظرته الضيقة افق بلاده ومحيطها المحدود

ثم يختم الكاتب حديثه بقوله : ان كثيراً من الساسة اجهزوا ويجهزون على كل تطور فى علاقات الشعوب وانظمتها ، وبينما يشاهد الباحث أن الفكر عند الادباء قد ارتفع وسما وطاول النزعات الدولية الانسانية ، نرى الساسة يدأبون فى معالجة شؤون العالم وفق نظريات بائدة تمليها عليهم حوادث التاريخ القديمة التى لا تمت الى حوادث هذا العصر الطارئة ومطالبه الجديدة بأية صلة

هذا هو رأى ستيفان زفايج وهو ليس بالطريف كما أسلفنا.فقد خطر لليونان قديما، وجاهر به أرنست رينان فى هذه الكلمات التى فاه بها منذ حوالى نصف قرن :

« يجب أن تعدل الطرائق السياسية التى يحكم بها العالم . يجب أن تزول روح التشكك والحذر والدسيسة المستولية على عقول الساسة والمعتبرة جزءاً جوهرياً من مهنتهم . ولكن الصراحة والنزاهة والحرية لن توجد إلا فى قلب العالم والفيلسوف والأديب والفنان . ومتى تعددت مشا كل المجتمع البشرى واحتياجاته وتعددت العلوم والمعارف تبعاً لهذا التطور فسوف تتسع دائرة الثقافة عند رجال العلم والأدب والفن وحينئذ تدق الساعة التى لابد لهم فيها من حكم العالم . ويكون هذا الانقلاب هو فاتحة العصر الذهبى المنشود . »

بهذه الروح النبيلة اهتدى ستيفان زفايج فى الدعوة التى يروج اليوم لها

ولقد عرضنا الفكرة على القارىء بعد أن مهدنا بكلمة تضيئها وتبين حالة الاضطراب التى دفعت اليها . وسواء ا كان نجاح هذه الفكرة ممكناً أم كان حلماً من الاحلام فهى دليل بالغ على حيرة أوربا وحيرة العالم وحاجة الانسانية الى شىء من الاخلاص والصدق فى معالجة شؤونها السياسية الحاضرة

ادباء اوربا يخرعون الشرق

كثيراً ما يتحدث كتاب أوربا عما يسمونه مشكلة الشرق والغرب وعن الحضارة الشرقية والحضارة الغربية ونزوع الاولى الى الدين وانصراف الثانية إلى العلم . كأنما الشرق لم ينتج ولن ينتج غير الانبياء والرسل وجماعة الزهاد والمتصوفة . وكأن القدر يأبى الا أن يجعله مستودع الشعر والايمان والحلم ، بل كأن ميوله الروحية لابد أن تقعد به عن الاخذ باسباب الحياة العملية ومجاراة الغرب فى تقدمه العلمى

هناك عشرات من مفكرى اوربا يرون فى الشرق هذا الرأى ويحبون فيه هذا اللون ويتخذونه ملجأ يهرعون اليه كلما سئمت نفوسهم عسف حضارتهم المادية وارادوا الرجوع بعقولهم وقلوبهم الى ينبوع الدين والتجرد وبساطة الحياة الفطرية الاولى

هم يطلبون الينا الا نحتفظ بجوهر ديننا وإيماننا فحسب ، بل أن نبقى أيضاً على عاداتنا البالية وتقاليدنا المتكرة وبدعنا الزرية ، لما فيها من غرابة وطلاوة وسذاجة تسترعى الاوربى وتأخذ بمجامع فؤاده ، اذ يمر بارضنا كسائح متجول يلتمس لذة الجديد الطارىء ويتناسى فرط العمل وفرط التفكير ، ومجموعة الصور والالوان المتشابهة التى الفها فى بلاده وا كتظ بها خياله واحساسه

يريدون أن تظل بلادنا بمثابة شاطىء أمين يستريحون فيه من عناء الفكر والعمل

يريدون أن نظل ادوات استمتاع لهم . يفتن كتابهم فى وصف حياتنا العجيبة ويتغنى شعراؤهم بجمال سمائنا وصفاء نيلنا وحلاوة العيش ورخائه بين ربوعنا

ولقد اتفق لى أن طالعت منذ أيام فى عدد قديم من صحيفة مصرية حديثاً لكاتب من ا كبر

كتاب فرنسا هو المسيو جول رومان . وكان قد هبط مصر منذ أشهر واعجب بها الاعجاب كله

قال الكاتب لمندوب تلك الصحيفة المصرى : « ان بلادكم الشرقية التى طالما علت نفسى بزيارتها والتمتع بغرائبها تكاد تصبح جزءاً من اوربا . فعليكم أن تحافظوا ما استطعتم على تقاليدكم وأن تبقوا على تلك القصور العتيقة المغلقة التى لم تعرف أدوات المتاع المصرى بعد ، والتى كان أصحابها يستلقون على المقاعد الوثيرة ويستغرقون فى التأمل وهم يدخنون النارجيلة ذات التفويف الصدفى البديع »

هذه هى الصورة التى تجتذب جول رومان فى الشرق والشرقيين . وأمثال جول رومان فى اوربا كثيرون فهو يطلب الينا أن نذود فى بيوتنا عن مظاهر الرخاوة والكسل ، وأن نقدم له ولاضرابه عند زيارتهم لبلادنا عادات واخلاق شعب لما يزل سابحاً فى الخيال قانعاً بالتأمل دون الحركة ، رازحاً تحت عبء الماضى فريسة لاستبداد الغزاة والمستعمرين . وجول رومان يحب فينا الجانب الشعرى وما يولده فى نفوسنا من توا كل وعدم اكتراث . وغيره من مفكرى اوربا يحبون فينا الجانب الدينى وما ينشأ عنه من بدع مستملحة واذكار وموالد واعراس شعبية فاتنة

لذلك هم قد اجمعوا على أن طابع الشرق هو التأمل والصوفية واللهو الساذج والضعف . وطابع الغرب هو الفكر والكبرياء والنضال والقوة . وان حضارتهم تنحدر من العلم الذى ينادى بالتجدد الدائم ، وحضارتنا تنحدر من الدين الذى يغرى بالجمود والهدم . . .

فهل هذا صحيح ؟ وهل هناك شىء لايزال يوجد اليوم يسمى شرقاً وغرباً وحضارة شرقية وأخرى غربية ؟

اكبر ظنى أن تلك خدعة كبيرة تروج لها اوربا بواسطة أدبائها رغبة فى استرضاء الاغلبيات الشرقية المحافظة والتزلف اليها واقناعها بصلاحية نظمها وابقائنا على ما نحن فيه من تأخر يمكنها من فرض سلطانها علينا والتحكم فى الجانب الاقتصادى من حياتنا الذى يهمها قبل سواه

وما ضر الاوربى ان يدافع عن تقاليدنا البالية ويعجب بها ويحرض المغفلين منا على الحرص عليها . مادام هذا الحرص قد يحول بيننا وبين النظر الى بلاده والاقتداء بها والسعى لمكافحتها والتحرر منها ؟

على أن تلك الدعاوى التى يتشدق بها بعض مفكرى الغرب لم تعد تجوز على غير البله المساكين

ان تقاليد الامة لن تكون صالحة ولن تكون حقاً رائعة وجياة الا اذا كانت هذه الامة حرة لم يشوه الاستبداد ماضيها ولم يخلف لها الظلم والطغيان عادات وأخلاق شعب ذليل مهزوم . فنى استطاعة أبعد كتاب اوربا صيتاً وابلغهم حجة وعبارة أن يحبوا مظاهر التأخر عندنا ويعجبوا بها ما شاء لهم رياؤهم وضجرهم ونفعيتهم . أما نحن فقد مجتها نفوسنا وتمردت عليها عقولنا وادركنا ما فيها من جرائيم عصور الاستبداد واعتزمنا التخلص منها والاقبال عليهم . نفكر كما يفكرون ونقدر احكام المادة كما يقدرون ونستخدم نفس اسلحة حضارتهم لانقاذ بلادنا من عبودية استعمارهم

الحضارة اليوم واحدة

لن يقف الشرق عند الحد الذى رسمته له عقول مفكرى اوربا . ان الحضارة اليوم واحدة . الحضارة اليوم عالمية وليست وقفاً على عنصر دون عنصر وشعب دون شعب . ومن المحال على أى فكر نزيه حر أن يعترف بوجود حضارتين متباينتين متطاحنتين تعمل احداها للتغلب على الاخرى، هناك أمم قوية وأمم ضعيفة . تريد الثانية التحرر من الأولى . وتريد الاولى استعباد الثانية فتجتهد فى فصلها واقصائها عن المدنية الشائعة ، وتسمى حضارتها حضارة شرقية لتخلق من هذه التسمية فوارق عنصرية تقليدية تحكم باستحالة تلاؤمها واندماجها فى الحضارة السائدة

أما الحقيقة التى يخشى مفكرو أوربا المصارحة بها فهى أن شعوب الشرق عافت تقاليدها واتجهت بخطى حثيثة نحو الاخذ بالحضارة القائمة التى يعلم الشرقيون حق العلم - برغم جهود المحافظين والرجعيين - انها اصبحت حضارة المستقبل ، وان ارتباط مصالح العالم الاقتصادية وسهولة المواصلات وسرعة التبادل الفكرى قد جعلت منها حضارة مشتركة لامفر للشعب الضعيف من اعتناقها

المسألة البسيطة الواضحة هى أن الحضارة الراهنة قائمة على الصناعة والعلم وان الشرق الذى كان يحيا الحياة الزراعية الفطرية قد افاق من غفلته وأخذ يسدد جهوده نحو الصناعة والعلم . ومتى اهتم شعب بالعلم والصناعة فقد خرج من سباته وحرر فكره ونفض عنه تقاليد الكسل وهبط من جو الخيال الى دائرة الواقع واحس ضرورة النشاط والانتاج وقبل فكرة الحضارة الراهنة

ونحن نتجه الآن فى هذا السبيل وكذلك الشرق كله . فلا حضارة شرقية وأخرى غربية بل حضارة صناعية قد غمرت معظم الشعوب . ولابد أن تطبق عليها جميعاً فى المستقبل انظمة اقتصادية وسياسية متشابهة. فلا يبقى بعد ذلك بين شعب وآخر الا اختلاف العاطفة والمزاج والعبقرية الشخصية

وعليه فنحن نتطلع اليوم الى أوربا ، لذلك يخافنا أدباؤها ويتملقون احط غرائزنا ويخلعون عليها افتن الالوان ويرغبون الينا أن نظل فى حظيرة شرقيتنا نستمسك بالماضى فى حين العالم يخطو أمامنا بقدمى جبار . ولكن رباء هم الصارخ بالغاً ما بلغ من السحر لن يحول بيننا وبين الحياة . فلقد طالما تغنوا بمفاتن تركيا القديمة التى كان (بيرلوتى) يمالئها على مفاسد نظامها ويدافع عن أبشع تقاليدها ويفتن فى تصويرها بمختلف الصور الشعرية الفاتنة . ولكن تركيا فطنت الى المكيدة وما كادت تفوز بالنصر وتبعث حتى أدركت انها بين أمرين : اما ان تعتنق الحضارة السائدة واما أن تستهدف للموت فاتجهت نحو الحقائق الواقعة واسرعت تباشر عملية الهدم والبناء

واذن فنحن نسير ، اراد الغرب أم لم يرد ، وطلائع جيوش الشرق الزاحفة قد لاحت فى الافق القريب تصرخ مطالبة بالحياة والحرية والا فعزمها الصادق الملتهب لا بد منزل باوربا شر صنوف الدمار

ابراهيم المصري

التمرد على العقل

بقلم الأستاذ علي أدهم

يتسم العصر الحديث بسمة طائفية غالبة ، تكاد تكون صاحبة السيادة الآن في كل ما يبدو من نزعات سياسية واجتماعية وادبية . وقد رجحت كفة الميول الهوجاء والتمرد على قوانين العقل وعدم المبالاة الا بارضاء تلك الميول . فهل هذه الثورة اللاعقلية أول ما ظهر في تاريخ الحياة الاجتماعية للأمم ، أو أن لها سوابق كانت على مثالها ؟ — هذا ما يعالجه الكاتب ، وقد تناول أيضا مدى هذه الثورة في العلوم

تغلب على العصر الحديث نزعة بادية فى تفكيره لائحة فى بعض نظمه السياسية وحركاته الاجتماعية، وهى نزعة التمرد على العقل وترجيح جانب الانسياق طوع الاهواء والميول على جانب التدبر والتأمل واصطناع الأناة وتقليب الأمور على وجوهها المختلفة وتقدير نتائجها المنظورة وعواقبها البعيدة . وهناك ظروف اقتصادية خاصة وأحوال سياسية وأسباب عالمية جعلت هذه النزعة شديدة البروز بعيدة الأثر فى عالم السياسة . وهذه النزعة وان بدت أول وهلة غريبة غير مألوفة لها سوابقها فى التاريخ . فليست هى أول خروج على العقل وانشقاق على سنته ومحاولة صدع اغلاله . وما زالت الثورات التى ترمى الى إزالة نفوذ العقل تظهر فى التاريخ وتختفى وتنتصر مرة وتنهزم أخرى . ففى تاريخ اليونان رفع الاورفيون علم الثورة وقاومهوا الهومريين أنصار العقل . وقد انتصرت الفلسفة اليونانية للعقل وأعلت كلمته فقررت المدرسة الأليائية أنه يلزم أن يفصل فى كل شىء بمقتضى العقل . ثم جاء سقراط الذى حكم عليه بالاعدام عام ٣٩٩ قبل الميلاد وكان يوصى بوضوح التفكير والفكر المنطقى ، ويرى إخضاع وجودنا لما يمليه العقل . وكانت الفضيلة فى رأيه لونا من المعرفة وضربا من العقل ، والجهل مصدر كل رذيلة . وعلى الايمان بالعقل قامت الديمقراطية اليونانية وتصور افلاطون الجمهورية التى يحكمها الفلاسفة . وكان أكثر المفكرين البارزين من عهد سقراط الى عهد مرقس أورلياس بن يحتكمون الى العقل ويتخذونه شريعة يتبعونها وكوكبا يستضيئون به . ولكن بعد عهد مرقس أورلياس كان أنصار الافلاطونية الجديدة من الخارجين على العقل ، وظل العقل ضعيف الجانب مطارداً حتى استنقذته الفلسفة المدرسية وطلائع نهضة إحياء العلوم . وقد أيدته فلسفة الاستنارة وجهد أمثال فولتير وروسو ومنتسكيو أن ينيروا كل ظلمة وأن يبددوا كل سحابة . وكان دعاة هذا العصر يرون الكون أشبه بآلة ضخمة فى وسع العقل أن يستكشف قوانينها ويكتنه أسرارها . وتابع العقل انتصاراته وظل يهتك من أسرار المجهول ستراً بعد ستر ويجلو من

ظلمته غيهبا أثر غيهب . واطرد التقدم الفنى والرقى الصناعى واستحدث العجيب من الاختراعات حتى تحقق الكثير مما كان يجول بالاحلام وتتناجى به الخواطر ، وتوطد بذلك سلطان العقل وظهر أنه فى مأمن من الشك وحرز حريز

اللاعقلية وعبادة الغريزة والقوة

وظل الأمر كذلك الى منتصف القرن التاسع عشر حيث أخذ التيار يتحول حتى أصبح التمرد على العقل سمة واضحة من سمات هذا العصر . فما كانت تزهى به الانسانية وتعتده مناط آمالها وتاج فخارها وركنها فى الملمات أصبح الآن دريئة للطعنات وهدفا للاحتقار ، وبدلا من اجلال العقل المستنير تعبد الآن الغريزة العمياء والدوافع الهوجاء ، وصار الركون الى الخرافة والاعتماد على الوهم مطلباً منشوداً وغاية مبتغاة لترميم النظام الاجتماعى وتنسيق البناء السياسى . ولا تؤمن الآن بعض الأمم بالديمقراطية وانما تصدق بقوة الشعور وصوت الغريزة ولا تبالى بعد ذلك أكان ما تمليه منطبقاً على العقل مطاوعا لاحكامه أم كان خارجا عليه مخالفاً لسنته . ويشك الآن فى مصير الديمقراطية واتساع نطاق المدنية وتقدم الاخاء الانسانى والوحدة العالمية

ومما يسترعى النظر أن أكثر الثورات التى حدثت فى العصور الاخيرة انما قامت فى ظلال العقل وكان كل ماتبغيه من الاصلاح يرمى الى توطيد سلطان العقل واعزاز أمره . وكانت الغاية التى تطمح اليها النفوس هى نشر المبادىء الديمقراطية والاشتراكية والعمل على تحقيقها واكبار الحرية والاستنارة . وأمثال هذه المبادىء قائمة على ضرب من التفاؤل بطبيعة الانسان والاعتقاد بان العقل يمكن أن يسود وأنه فى استطاعته ان ينظم العلاقة بين الناس على أساس متين وقواعد مقبولة وان كل ما يحيق بالانسانية من فادح الظلم وكل مايلم بها من فظيع الخطوب انما مصدره اهمال العقل . وباستعمال العقل يمكن استدراك كل عيب واستكمال كل نقص . وفى ضوء تلك الفكرة عقدت المعاهدات ونقحت القوانين وخال الناس أن العصر الذى يرتفع فيه شأن العقل ويعلو سلطانه قد لاحت بشائره وآن أوانه

ومن خصائص الثورة على العقل فى العصر الحديث انها تنزع الى طلب القوة لا الى طلب الخلاص كما كان يحدث عادة فى العصور القديمة . وأئمة هذا التمرد رجال من طراز فخت وكارلايل ونيتشه وشامبرلين وبرجسون ، فقد مهدت آراؤهم لظهور الهتلرية والفاشستية وما اليهما من المبادىء القائمة على احتقار الديمقراطية . وطلب القوة عند أمثال هؤلاء المفكرين أهم من طلب السعادة ، والحرب خير من السلم ، والارستقراطية أفضل من الديمقراطية ، وطلب المجد أنبل من طلب اللذة . وهم فى الاغلب لايؤمنون بفكرة الحق المجرد وانما يعتقدون أن ما يبغونه ويعملون

لتحقيقه هو الحق الصراح وغيره باطل وسفسطة يتسلى بها فى حلقات الدرس وتدبيج الرسائل

وفى طليعة المفكرين الذين ساعدت آراؤهم على احداث هذه الحالة جورج سوريل . وهو يعد من آباء الفاشستية . وهو يرى أن المؤثرات القوية المسيطرة على النهضات لاتعبأ بالعقل ولا الخروج على العقل ولا تفرق بين القسوة والرحمة ، ومن الحين الى الحين تنبعث قوى من اعماق لايصل اليها العقل الانسانى وهذه القوى تكتسح أمامها كل ماشيده الانسان . والتاريخ فى رأيه حركة انفجارية لامكان فيها للعقل . ومجهود الذهن البشرى الضئيل فى جلب النظام لايؤبه له ولا يعتد به . وهذه القوى الخفية الفعالة فى التاريخ لا تعبر عنها سوى الخرافة . وهذه الخرافة تصور هذا الذى يعمل ولا تنفد قوته ولا يحده تعبير ولا يحيط به وصف . وكل ماهو كائن وكل ما يكون من مثل عليا واديان ومجتمعات وقوانين كلها قائمة فى حمى هـــذه الاسطورة . وعلينا أن نعترف بسلطان الاسطورة ونمنحها المكان الذى نهبه العقل

وينزع نيتشه فى تفكيره هذا المنزع ويرى اطراح العقل الحاسب والتدبير المفكر ، ويزعم موسولينى أنه تلميذ لسوريل ونيتشه . والفاشستية قائمة على الايمان بالقوى غير العاقلة والارادة الخالقة ، وقيادة الرجل الذى لم يصل اليه بطريق الانتخاب وانما ظهر بطريقة محفوفة بالغموض والخفاء كأبطال الأساطير وهو الذى يسمو بأمته ويمكن لها فى نواحى المجد . وكل شىء عظيم فى الدنيا مصدره الدم والشعور والاحساس والغريزة

تلقاء ذلك يضؤل احترام العدالة والتجرد والنزاهة والسيطرة على الاهواء وامتلاك الغرائز وتبطل فكرة وحدة البشرية والاخاء الانسانى ويظهر التعصب الجنسى فى أبشع صـــورة كالصورة التى ظهر بها فى المانيا الحديثة

اللاعقلية فى العلوم

وفى أواخر القرن التاسع عشر تمشت اللاعقلية الى العلوم وقوى مركزها أخيراً فيها . وقليل من العلماء الآن من يميل الى الاعتقاد بأن عمليات الحياة وحركاتها عبارة عن آلية معقولة . والمادية كما كان يراها أمثال بخنر وهيكل أصبحت تقريبا من آثار الماضى . وعلم الحياة الآن يرى أن الطبيعة بها دافع مجهول غامض يتحدى كل تفسير عقلى . وكلما تقدم علم الحياة وضح له عجزه عن حصر الحياة فى صيغة مفهومة . ومثل ذلك فى مختلف مناحى العلوم . فقد كان المظنون مثلا أنه قد حدث فى الطبيعة تطور متسلسل الحلقات مستمر الاتصال صاعداً فى الترقى من الأدنى الى الاسمى ، ومن البسيط الى المعقد فالأكثر تعقيداً . ولكننا نعلم الآن أن هذا التطور يستهدف لمفاجآت غريبة ووثبات مباغتة . فبعض الانواع يقف تقدمها بلا سبب واضح كأن الطبيعة قد غيرت رأيها وعدلت عن خطتها . ومن ناحية أخرى نرى أشياء وقف نموها منذ

زمن ، يعاودها النمو والنضارة وكأنما كانت قد أهملتها الطبيعة الى حين

ولقد تغلغلت اللاعقلية حتى فى العلوم الدقيقة المضبوطة مثل الفلك والطبيعيات والكيمياء . ويصرح الآن العلماء بتصريحات تثلج صدور المتمردين على العقل . فان نفس قانون السببية يطرف به الآن طائف من الشك . ولقد عبر عن هذه الحالة العلامة أرنست ماخ بقوله : «عند ما نوفق فى فهم عملية من عمليات الطبيعة فغاية ما فى الامر هو أننا قد ألحقنا شيئاً غير مألوف ولا مفهوم بشىء مألوف غير مفهوم » والعالم الآن فى نظر علماء الفلك يعانى تمدداً وانقباضاً دون أن يعرف القانون الذى يتبعه ذلك أو علته

وكما يخذلنا العقل فى تأمل عظائم الكون وضخم مظاهره فانه كذلك لايسعفنا فى تفهم دقائقه وصغائره . وقد عبر عن ذلك بوانكاريه بقوله : « لو كان للانسان عينان لهما قوة الميكروسكوب لما أمكنه استكشاف قوانين الطبيعة لان هذه القوانين لاتحتمل الفحص البالغ منتهى الدقة . وهذه القوانين نافعة مادمنا ننظر اليها نظرة سطحية » والقوانين الطبيعية الآن ليست فى نظر العلماء سوى احتمالات

ولقد كانت الفلسفة سابقة للعلم فى ذلك . فقد وضع كتاب الفيلسوف « كانت » فى نقد العقل الصافى حداً للاعتقاد بسلطان العقل فى كل شىء . وفى مذاهب فخت وشوبنهاور وشلنج يبدو أن العقل جانب جزئى من جوانب الحياة وان الارادة والنوازع والميول هى أساس الحياة . ويمثل هذه الفلسفة أقوى تمثيل فى العصر الحديث برجسون ، فليس العقل عنده هو الباعث على الوجود الانسانى وانما هو الدافع الحيوى ، ومعلومات الانسان الهامة مصدرها البصيرة لا العقل

كذلك فى علم النفس الحديث ثورة وخروج على التفسير العقلى . وكبار علماء النفس يجمعون على انكار أن اعمال الانسان يسيطر عليها العقل . وقد أثبت فرويدويونج الدور الكبير الذى تلعبه فى حياتنا العقلية العوامل اللاعقلية . وقل أن يستطيع تفكيرنا السيطرة على تلك النوازع

وهكذا يظهر لنا أن العلوم الصحيحة والفلسفة وعلم النفس قد اضطرت جميعها الى ترك فكرة أن كل شىء فى الدنيا يمكن أن نفسره تفسيراً عقلياً

والافكار السياسية السائدة اليوم متمشية مع هذه الحالة مهما كانت رغبة القائمين بها وحجتهم فى الاعتماد على القوة والغريزة والاسطورة واضحة . ويبدو لنا من خلال ذلك علاقة الافكار السياسية فى أى عصر من العصور بالفكر الفلسفى مثل علاقة أفكار المستنيرين بالثورة الفرنسية وعهدها . فكذلك اللاعقلية الفلسفية العلية ظاهرة فى الفاشية والاشتراكية الوطنية

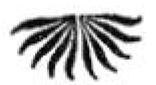
اللاعقلية والحضارة

ويقول أنصار اللاعقلية الحديثة ان الحضارة العقلية كانت سائرة فى طريق خاطىء وانها قد قضى عليها وأن العقل قد ذهب أوانه وطوى مجده، واننا الآن نستقبل عهد الاسطورة والغريزة والقوى الخالقة . ولكن المتمعن فى سير التاريخ سيكون على حذر من هذه الدعاوى العريضة لأن التاريخ ان كان قد أوضح لنا أن الانسان لم يكن خاضعاً الخضوع كله للعقل فقد أظهر لنا أيضا انه لم تقم حضارة دون أن يكون لها سندمن العقل . والاديان نفسها رغم انها قائمة على قوة اليقين والاعتقاد حاولت كثيراً أن تكتسب تأييد العقل . وتستثمر بجهوده . وقد حاول ذلك توما الاكوينى فى القرن الثالث عشر كما حاوله ابن رشد وغيره من فلاسفة الاسلام

واذا دققنا النظر وجدنا أن نفس المتمردين على العقل فى العصر الحديث ليسوا من أهل الاوهام والخزعبلات ولا من مفتونى المتصوفة . وليسوا شعراء مشوشى الذهن ولا قديسين مختلطى الافكار . وانما هم علماء راسخون وفلاسفة كبار وباحثون متعمقون ، اى انهم عقليون فى الصميم رغم تمردهم على العقل ، وما يبشرون به هو فى الحقيقة ليس نبذاً للعقل وانما هو محاولة لحصر التخوم التى يعتبر العقل فيها له قيمته وخطره . وقد ظهر واضحاً أن العقل لاتسرى أحكامه ولا تطرد سننه فى كل ناحية من نواحى البحث ، ولا مفر من استعمال أساليب أخرى فى بعض الاصقاع . ولا يزال العقل داخل حدوده المشروعة يعمل ويكد ويحرز الانتصارات المتتابعة . والذين يبشرون بقرب زوال العقل قد غرتهم الالفاظ والدعاوى السياسية . ومنذ قرن ونصف كانت الدعاوى السياسية ترتكز على ان حكم العقل المطلق قد بدأ فكذلك تقوم الدعاوى الآن على أن اللاعقلية قد بدأ عهدها

وهذا التمرد على العقل سينتهى بمهادنة بين العقلية واللاعقلية ، وهى تعلمنا أن لاننتظر من العقل كل شىء وأن نقدر اللاعقلية وحقائقها فى الطبيعة والنفس والفكر والعمل (١)

على ادهم



(١) أهم المصادر التى رجعت اليها عند كتابة هذا المقال هي : كتابات برتراند رسل ووبنيه ملر وليونارد ولف

أساليب المخاطبات السرية

عند الأقدمين وفي هذا العصر

غريزة حب الاستطلاع واثرها في المخاطبات السرية ـ اول من بحث علم الشفرة ـ الاساليب القديمة والحديثة ـ مفاتيح جلاء السر ـ حمام الزاجل في المخاطبات السرية ـ وسائل اخرى للتخاطب السرى

غريزة حب الاستطلاع

يقول علماء النفس ان حب الاستطلاع غريزة فى الانسان تظهر فيه منذ الطفولة وتنمو معه على مر السنين . وأصدق دليل على ذلك أنك اذا راقبت طفلا يلهو بدمية رأيته يقلبها بين يديه ليرى ماهي ومم تتألف ولأى شيء تصلح . وقد يدفعه حب الاستطلاع الى كسرها ليرى ما فى باطنها . فاذا كبر قليلا رأيت حب الاستطلاع فيه قد قوى فأصبح لا يقع نظره على شيء الا ويحاول تفكيكه ليرى سر تركيبه ، وكلما تقدم فى السن نما فيه هذا الميل وصار يسعى لمعرفة سر كل شيء ـ سر الشمس والقمر والنجوم والانهار والاشجار والجبال والاودية والمطر والثلج والرعد والبرق والريح وهلم جراً ، يريد اكتناه كل شيء يقع تحت حواسه وكل شيء يختلج به صدره

وبقدر ما يبدو عليه من دلائل حب الاستطلاع تراه متى كبر قليلا يميل الى كتمان ماله فيه منفعة خاصة ليستأثر بتلك المنفعة ولا يشرك فيها أحداً . ويبدو ذلك على أجلاه فى جلائل الاعمال التى يقوم بها بنفسه أو يتفق على القيام به مع غيره . وفى الحديث الشريف : « استعينوا على قضا حوائجكم بالكتمان »

اذا عرفت ذلك سهل عليك ادراك ماتعلقه الحكومات من الشأن على كتمان أسرارها ففى افشاء تلك الاسرار ما قد يسفر عن أعظم الاخطار . ولهذا عمدت تلك الحكومات منذ أقدم الازمنة إلى استنباط وسائل للتخاطب تضمن بها كتمان أسرارها ومنع الغير من الاطلاع عليها . وقد كثرت تلك الوسائل وتنوعت حتى نشأ منها ما يسميه الافرنجة علم « الشفرة » أو علم الكتابة السرية (١) . وهى ضرب من الكتابة لا يستطيع قراءتها وادراك حقيقة معناها إلا من كان عارفا بطريقة فك طلاسمها . ويقال

---

(١) الارجح ان ليس ثمة اية علاقة بين علم « الشفرة » وعلم الجفر . وفى كتب اللغة ان علم الجفر بفتح اوله واسكان ثانيه (ويسمى ايضا علم الحروف) هو علم يدعي اصحابه انهم يعرفون به الحوادث الى انقراض العالم

ان البابليين أول من استعمل الرموز السرية فى مخاطباتهم . وذكر بعض المؤرخين أن أهالى « لاقيديمونية » ببلاد اليونان استعملوا طريقة للمخاطبات السرية تعرف بطريقة « سيتال » . وذكر بوليبيوس أن اليونان كانوا يعرفون طرقا أخرى للمخاطبات السرية وأن الرومان أخذوا عنهم بعض تلك الطرق

أول من بحث علم الشفرة

ولعل أول من بحث فى علم الشفرة فى العصور الوسطى أحد رجال الدين فى المانيا يدعى يوحنا تريثيميوس فقد نشر فى سنة ١٥١٨ كتاباً يسمى بوليجرافيا أصبح فيما بعد مرجعاً لجميع الذين كتبوا والفوا فى هذا العلم . والارجح أن يوحنا المذكور هو الذى الف كتاب ستيجانوجرافيا (Steganographia) الذى طبع اولا فى ليون سنة ١٥٥١ ثم فى فرنكفورث سنه ١٦٠٦ . وممن ألفوا أيضاً فى هذا العلم رجل ايطالى يسمى جيوفانى ديللا بورتا وكان من كبار علماء الحساب وقد نشر كتابه باللاتينية سنة ١٥٦٣ . وجاء بعده رجل من علماء الفرنسيين يدعى بليز دى فيجنير فوضع كتاباً فى علم « الشفرة » بعنوان « بحث فى الكتابة السرية » (Traité des Chiffres) وقد طبع سنة ١٥٨٦ فى باريس

وشاعت بعد ذلك طرق المخاطبات السرية وتنوعت وجاء الفيلسوف با كون الانجليزى فاعتبرها جزءاً من علم الصرف والنحو . قيل ان با كون هذا هو المؤلف الحقيقى لجميع المنظومات المعزوة الى شكسبير شاعر الانجليز وانه قد أشار الى ذلك برموز سرية فى مقدمة مجموعة روايات شكسبير . ولم يستطع أحد فك طلاسم تلك الرموز إلا بعد موت كلا با كون وشكسبير بزمن طويل . ولا يزال الانجليز مقسومين فريقين فى هذا الصدد يزعم أحدهما أن شكسبير لم يكن رجلا متعلماً وان جميع المنظومات المعزوة اليه هي من نظم با كون (١) ويزعم الفريق الثانى أن هذه النظرية خرافة لا تستند إلى شيء من الحقيقة سوى رموز وطلاسم قد اختلفوا فى تأويلها ، ولكل من الفريقين حجج وبراهين ليس هذا مجال البحث فيها

وممن الفوا فى علم « الشفرة » فى ذلك العصر جون ويلكنز وكان اسقفاً على تشستر . فقد نشر فى سنة ١٦٤١ كتاباً غفلا بحث فيه بحثاً مستفيضاً فى تاريخ المخاطبات السرية ومختلف أساليبها . واشتهر فى أيامه الدكتور « جون واليس » أحد علماء الرياضات ، بالقدرة على فك طلاسم المخاطبات السرية على جميع أنواعها

ولا يسعنا أن نذكر هنا أسماء جميع الذين كتبوا والفوا فى هذا الفن ، وانما نذكر منهم ثلاثة

(١) زعم بعضهم ان با كون كان ابنا غير شرعي للملكة اليصابات من عشيقها اللورد ايسكس الذي اصبح فيا بعد من اكبر اعدائها

آخرين يعتبر ما الفوه خير ما يقال فى هذا الموضوع ، وهم وليم بلاين الانجليزى ، وفون مارتن وكاوبر الالمانيان . والاخير منهم ثقة فى هذا الفن وكتابه هو من خيرة الكتب التى ظهرت فى القرن التاسع عشر

الاساليب القديمة والحديثة

ولعل أبسط الاساليب القديمة هو الاسلوب الذى جرى عليه بعض كتاب العبرانيين ومنهم النبي ارمياء (انظر سفر أرمياء ٢٥ : ٢٦) وهذا الاسلوب يقوم على استعمال أحرف بدل أحرف أخرى متفق عليها . ذلك أن لكل حرف من حروف الهجاء رقماً ترتيبياً كما ترى فيما يأتى :

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣

ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	
١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	

و	لا	ى
٢٧	٢٨	٢٩

فاذا أراد أحد أن يبعث الى صديق له برسالة لا يريد أن يعلم غيره ما فيها فقد يتفق مع صديقه على استبدال كل حرف بالحرف الذى يليه أو يلى ما يليه فى الترتيب الهجائى . مثال ذلك اذا أراد أن يكتب كلمة « كتب » وهى مؤلفة من الحرف الثانى والعشرين فالحرف الثالث فالحرف الثانى ، فله أن يبدل بها الاحرف التى تليها (وهى الثالث والعشرون والرابع والثالث) فتصبح « لثة » وقد يعمد الكاتب الى الترتيب العكسى لحروف الهجاء أى أن تكون الياء هى الحرف الاول وأن تكون الالف هى الحرف التاسع والعشرون . وقد يتفق المرسل والمرسل اليه على ضروب أخرى من استبدال الحروف بغيرها . ويقال انه بناء على هذا الاستبدال استعمل النبى ارمياء فى الموضع الذى أشرنا اليه كلمة « شيشق » بدلا من كلمة « بابل » متبعاً الترتيب العكسى(١)

وقد جرى القائد يوليوس قيصر على مثل هذا الاسلوب فى الرسائل السرية التى كان يبعث بها إلى من براسلهم . فكان يستعمل بدل كل حرف الحرف الذى يليه — أو الذى يلى ما يليه — فى الترتيب الهجائى

وقد يتفق المرسل والمرسل اليه على استعمال رموز أو علامات أو أرقام أو كلمات بدلا من عبارات كاملة . وقد جرى جيوفانى ميكايل (سفير البندقية فى انجلترا فى أيام الملكة مارى) على هذا

(١) فى التوراة امثلة اخرى على استعمال هذه الاساليب السرية . وهى على ندرتها تدل على قدم عهد وسائل المخاطبات السرية

الاسلوب فى جميع تقاريره السرية ولم يستطع أحد فك طلاسم تلك الرموز الا منذ عهد غير بعيد. وكذلك جرى تشارلس الاول وزوجته على كتابة جميع رسائلهما بهذا الاسلوب . واحدى تلك الرسائل ليست سوى مجموعة أرقام مرتبة ترتيباً معقداً وقد تمكن الاستاذ هويتستون فى سنة ١٨٥٨ من فك طلاسمها بعد عناء شديد . والاستاذ هويتستون المذكور هو مستنبط آلة الكتابة السرية

والمعروف أيضاً أن جانباً كبيراً من رسائل الامبراطور شارلمان كتبت بالرموز السرية وكان الكردينال ولسى فى القرن السادس عشر يستعين بالرموز السرية على كتابة تقاريره وهو فى قصر أمير البندقية . وكذلك فعل السرتوماس سميث وهو سفير بباريس فى النصف الثانى من القرن السادس عشر . ولا شك أن علم الاختزال (ستينوجرافى) هو ضرب من الكتابة السرية

ويضيق بنا المقام لو أردنا شرح جميع وسائل المخاطبات السرية فهى لا تقع تحت حصر . وفى وسع كل اثنين أن يتفقا على رموز أو اشارات فى تخاطبهما يصعب على غيرهما أن يدرك كنهها إلا بعد عناء كبير . ويقال انه ما من طريقة من طرق المخاطبات السرية تستعصى على الخبير . وقد استنبط بعضهم آلات غريبة للمخاطبات السرية والمهم فى كل منها الاتفاق على « المفتاح » لجلاء السر

المفاتيح

« والمفاتيح » كثيرة يتعذر حصرها فى مقالة أو كتاب . فقد تكون رمزاً وقد تكون اسما وقد تكون صفحة من كتاب معين أو من قصيدة متفق عليها أو ما إلى ذلك . مثال هذا أن يختار الكاتب صفحة معينة من التوراة أو من أحد مؤلفات شكسبير أو غيرها ويعتبرها « مفتاحا » وبدلا من أن يكتب رسالته بالحروف الاعتيادية يكتبها بالارقام الدالة على ترتيب الحروف الهجائية كما هى واردة فى « المفتاح » أى فى الصفحة المتفق عليها

مثال ذلك : لنفرض أن « المفتاح » المتفق عليه هو صفحة من ديوان المتنبى تبدأ بما يلى :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لامر فيك تجديد
اما الاحبـة فالبيداء دونهم فليت دونك بيداً دونها بيد

فاذا جعلنا لكل حرف من أحرف هذه القصيدة رقماً ترتيبياً كان لنا منها ما يلى :

ع	ى	د	ب	أ	ى	ة	ح	ا	ل	ع	د	ت
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣
ت	ى	ا	ع	ى	د							
١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩							

الى آخر « المفتاح » وترى هنا أن بعض الاحرف تتكرر وان لها فى كل موضع رقماً ترتيبياً

معيناً. ولنفرض أن أحدهم أراد يكتب إلى صديق له رسالة سرية هذا نصها: «عدت الى البيت» فيستطيع أن يعبر عنها بالارقام الآتية:

١ – ٣ – ٨ – ٥ – ١١ – ٦ – ١٠ – ١١ – ٤ – ٦ – ٨

وعلى كل حال يجب أن يكون كلا المرسل والمرسل اليه متفقين على «المفتاح» أى على صفحة معينة من كتاب أو قصيدة من ديوان أو ما إلى ذلك. وهذه الطريقة من أسهل الطرق مأخذاً ومع ذلك فهى من أصعبها حلا. وقد جرى عليها الكثيرون ولا سيما فى أوقات الحروب والازمات العصيبة. الا أن المراقبة الشديدة التى تفرض عادة فى مثل تلك الاحوال قد تكون خطراً على المتخاطبين. ولذلك قد يعدلون عنها الى طرق أخرى سنشير اليها فيما بعد. بل لقد كان الاقدمون أنفسهم يدركون خطر تلك المراقبة. فكانوا يحاولون الافلات منها بالالتجاء الى وسائل أخرى للتخاطب كاستعمال حمام الزاجل (١) مثلا وهو ضرب من الحمام يعودونه الطيران الى جهات معينة بالرسالة التى يعلقونها بعنقه. فيذهب ثم يجيء بالجواب. واكثر الحكومات تفرض على الذين يربون هذا الحمام أو يقتنونه شروطاً معينة سواء أكان فى السلم أم فى الحرب

حمام الزاجل في المخاطبات السرية

واستخدام هذا الحمام للتخاطب قديم جداً يرجع الى ما قبل زمن الفرس واليونان بكثير. وقيل أن اليونان تعلموا طرق استخدامه من الفرس. وأول ما استعملوه فيه الالعاب الاولمبية فقد كانوا يذيعون أسماء الذين يفوزون فى تلك الالعاب بتطيير حمام الزاجل الى جميع المدن. وظل الحمام أهم وسيلة لاذاعة الاخبار التجارية والمالية وأخبار «البورصة» الى حين استنباط التلغراف فاستعيض به عنه. وفى أوائل القرن التاسع عشر انشأت الحكومة الهولندية نظاماً خاصاً لاستخدام الحمام فى المخاطبات العادية والعسكرية فى جزيرتى جاوى وسومطره. وكانت تلك الحكومة تستورد الحمام من بغداد وبلاد العجم ومن أنحاء أخرى من بلاد الشرق. وفى حرب السبعين استخدم الفرنسيون حمام الزاجل عند حصار باريس. فكان الباريسيون يزجلون الحمام ويبعثون معه بأخبارهم الى الجيوش الفرنسية. ومنذ تلك الحرب عاد الناس الى الاهتمام بتربية الحمام للاغراض العسكرية والبحرية والصحافية أيضا. وقد حاولت بعض الدول افساد استخدام الحمام بوسائل شتى: من ذلك أنهم يقيدون استيراده بقيود ثقيلة. وقد يربون الصقور والبزاة للانقضاض عليه فى أثناء طيرانه والفتك به ولا سيما فى ابان الحرب. وأول من استعمل الصقور لهذا الغرض جيش الالمان الذى حاصر باريس فى حرب السبعين. ولم يهتد الناس حتى الآن الى طريقة لمنع الصقور من ذلك الأذى

(١) تقول بعض الكتاب «الحمام الزاجل» خطأ والصواب حمام الزاجل بالاضافة من قولهم: زجل الحمام أى أرسله على بعد. ويسمى أيضاً حمام الزجال وحمام الرسل

الصينيين — وهم من أقدم الشعوب الذين استخدموا حمام الزاجل —اعتادوا أن يعلقوا بعنقه أجراسا تقرع بالاستمرار فتخيف الطيور الكاسرة وتطردها من طريقه

وفى الحرب العظمى الماضية أدى حمام الزاجل لجميع الجيوش المحاربة خدمات جليلة . الا أن شيوع وسائل المخاطبات التلغرافية والتلفونية واللاسلكية قد ضيق دائرة استخدام الحمام

وسائل اخرى للتخاطب

وقد استخدم الناس الكلاب وغيرها أيضاً فى مخاطباتهم السرية ، ولهم فى استخدامها طرق لا يتسع هذا المجال للاسهاب فيها ، ولكنها لا تخلو من الخطر ، فقد تقع تلك الحيوانات فى قبضة العدو فينكشف السر الذى يراد كتمانه ، وبخاصة فى زمن الحرب اذ يشدد العدو المراقبة على كل انسان وحيوان

ومما يجدر بالذكر أن الاقدمين استنبطوا طريقة للتخاطب بواسطة أشعة الشمس وسموا الآلة التى استخدموها لذلك هيليوجراف . واستخدم بعضهم ضرباً من المرايا لعكس أشعة الشمس على سبيل التخاطب . وتطورت هذه الطريقة فصاروا يستعملون فى الليل مصابيح الانوار . وكثيراً ما يستعمل الجواسيس هذه الطريقة فى الحرب ولا سيما على سواحل البحار . وسجلات الحروب ملأى باخبار الجواسيس الذين استخدموا هذه الطريقة فكانت سبب هلاكهم

أما اليوم — فى عصر الراديو — فقد تطورت تلك الطريقة تطوراً آخر ، فاستعيض عن التخاطب بنور الشمس وأنوار المصابيح بالتخاطب بأمواج الاثير . ولكن هذه الطريقة لا تخلو من خطر كما قد يتوهم البعض ، فن السهل «اقتناص» الرسائل التى ترسل على متن الاثير . بل كثيراً ما يشوه العدو تلك الرسائل قبل وصولها إلى المرسل اليه وذلك بتسليط أمواج الكهربائية الاثيرية عليها وافسادها

ومن طرق المخاطبات السرية استعمال الحبر المعروف بالحبر السرى وهو ضروب كثيرة ويسمى أيضاً الحبر السحرى (Encre sympathique) ومن مزايا هذا الحبر انك اذا كتبت به على الورق لم تظهر الكتابة الا اذا سخنت الورقة قليلا فان الكتابة التى عليها تظهر اذ ذاك للعيان . وقد تعالج الورقة بمواد كيمياوية بدلا من تسخينها . ومن أسهل طرق صنع الحبر السرى أن تذيب خمسة جرامات من كلورور الكوبالت فى مائة سنتجرام مكعب من الماء المقطر . فينشأ من ذلك محلول يضرب الى الحمرة . فاذا كتب المرء بهذا المحلول على ورقة بيضاء وتركها تنشف فان الكتابة عليها لا تظهر . فان سخنت الورقة قليلا ظهرت عليها الكتابة بلون أزرق جميل

الملك فؤاد الأول بالجامعة المصرية

بقلم الدكتور زكي مبارك

كان عندنا ملك عرف الناس جميعاً أنه غزير العلم ، قوى الارادة ، شريف الوجدان

ولكن أى ملك ؟ رجل لم ترفعه الظروف ، وانما رفعته همته ، وسمت به نفسه الى مقام الرفعة والشرف ، ومضت به العزيمة الى حيث تبوأ مركزه بين كبار الملوك

رأيت جلالة الملك فؤاد وجهاً لوجه مرتين ، ولذلك تفاصيل قد نسردها فى غير هذا الحديث .

ويهمنى اليوم ان أتحدث عن فضله على الجامعة المصرية ، وأبين كيف نهض بذلك المعهد الجليل

فكر المصريون أول مرة فى انشاء الجامعة المصرية سنة ١٩٠٦ وكان أول الداعين فيما قرأت وما سمعت مصطفى كامل باشا ، وكان أول مكتتب مصطفى بك الغمراوى ، وكان من أكبر المؤسسين سعد باشا زغلول وقاسم بك أمين ، وكان أول رئيس الامير احمد فؤاد، وأول سكرتير أحمدزكى باشا

وليس هذا مجال التاريخ ، والجامعة تاريخ ، ولكن لا بد من النص على أن الجامعة المصرية لم تنشأ إلا وفقاً لرغبة قومية أراد بها المصريون قهر الخطة الدنلوبية التى كانت تزعم أن مصر لا تحتاج الى التعليم العالى وانما تحتاج الى كتاتيب

والشبان الذين ولدوا أيام الحرب لا يفقهون هذا الكلام ، لانهم لم يروا الدنيا الا بعد ان تغلبت القومية وانتصر العلم على الجهل ، ولو تقدم بهم الزمن لعرفوا أنه كان فى مصر رجل اسمه لورد كرومر ، وكان ذلك الرجل يريد أن تظل مصر كالبقرة الحلوب تقدم طيب الغذاء ولا تعرف مصيرها بين مصائر الشعوب ، وكان يعاونه رجل اسمه دنلوب ، وكان انجليزياً يعرف ما يأخذ وما يدع ، ويفهم جيداً أن الجهل من أصلح الوسائل لبقاء الاحتلال

وخلاصة القول أن مصر فى سنة ١٩٠٦ كانت كلها ظلمات ، وكان الفلاحون لايزالون يذكرون المظالم التركية ، ويئنون من عهد السخرة والاعتساف ، وكان فيهم من يجهر بأن الانجليز أغنوهم من فقر ، وأعزوهم من ذل ، ورفعوهم من انحطاط

وفى تلك الظلمة القاتمة الحالكة ظهر مصطفى كامل ، واستطاع ذلك الشاب الغيور أن يجمع فلول المعارضة وأن يقيم حرباً على السياسة الانجليزية

وفى تلك الايام فكر المصريون فى انشاء الجامعة المصرية ، وهدتهم التجارب الى أنه لا بد من رأس عال تسند اليه رعاية ذلك المشروع الخطير ، فلم يروا غير صاحب السمو الامير احمد فؤاد

ومن هنا نفهم أن ذلك الرجل كان فى ذلك الوقت عنواناً للحرية الفكرية ، والنهضة القومية

والا فكيف ساغ لديه أن يعارض انجلترا فى وضح النهار وأن يقيم فى وجهها الاسداد ؟

كيف صح للامير احمد فؤاد أن ينضم الى صفوف الشعب وأن يؤيد حركة قومية تناوئها السياسة الانجليزية ؟

أعيذكم ان تظنوا أن وفائى للملك الذى فقدناه هو الذى يحملنى على التماس هذا التعليل . أعيذكم ان تظنوا ذلك . فقد عرفت من أوثق المصادر أن ذلك الرجل لم يكن لاهياً ولا لاعبا ، ولم تكن رياسته للجامعة المصرية رياسة تشريف . وانما كان يخدم نزعة أصيلة تفجرت عن قلبه النبيل

أقبل المصريون على الاكتتاب للجامعة المصريه . وأقيمت حفلة الافتتاح الرسمية بالقاعة الكبرى بمجلس شورى القوانين فى صباح يوم الاثنين (٢٧ ذو القعدة سنة ١٣٢٦ ﻫ ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ م)

أتعرفون أول خطيب فى ذلك الاحتفال ؟

هو ذلكم الرجل الشهم الامير أحمد فؤاد الذى قال فى خطبته الغراء :

« ونحن لا نجهل أن هذا العمل الكبير ستطرأ عليه تغيرات كثيرة قبل ان يأخذ شكله النهائى ، ولكننا لم ندخر وسعاً فى تثبيت قواعده ليكون البناء الآتى قائماً على أساس مكين . وافياً بما تدعو اليه الحاجة فى مستقبل الايام

« ولقد جاء اليوم الذى تقضى فيه الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العلمية المحضة فى نفس القاهرة . دون أن تتغرب فى ربوع العلم التى نالت بفضله مكانة عالية فى العمران

« وانى ابتهل اليه تعالى ان يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموما . ولشبيبتنا المصرية خصوصا ، اذ أننا لم نقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالى بسبيله الا لترقية هذه الشبيبة التى لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد . بل نرى أنه يتحتم عليها أيضا ان تتحلى بفضيلتى الصبر والاستمرار ، لانهما سر النجاح . ولا ريب عندنا فى أنها ستكسب هاتين الخلتين الحميدتين لتكون جديرة بتحقيق الآمال التى وضعها فيها مجلس ادارة الجامعة والامة بأسرها »

وقد رد صاحب السمو الخديو عباس على هذه الخطبة بخطبة جاء فيها قوله :

« وانى أشار كم يادولة الرئيس فى تلك النصائح الحكيمة التى ألقيتموها على الشبيبة المصرية وأنا على يقين بأنها ستواظب على العمل بما يضمن لها استحقاق ثقتى وثقة البلاد »

ولكم ان تتأملوا خطبة الاميرفؤاد . فان فعلتم فسترون أنه كان يرى بثاقب فكره أن الشباب المصرى يمتاز بالذكاء والنشاط والاجتهاد . ولكن ينقصه الصبر والاستمرار . وهما سر النجاح . وكان يرجو ان يكسب الشباب هاتين الخلتين الحميدتين ليكون جديراً بتحقيق الآمال التى وضعها فيه مجلس ادارة الجامعة والامة بأسرها

وأخشى ان أقول ان الدنيا ، دنيا الشباب فى مصر ، لم تتغير منذ ذلك العهد . فلا يزال شبان مصر أذكياء . ولكن يعوزهم الصبر . وتعوزهم المثابرة فى أكثر الاحيان

مضت الجامعة المصرية تشق طريقها بين الزوابع والاعاصير . ومضى الامير فؤاد يجد ويكدح بعزائم المجاهدين الصابرين . فذهب الى أوربا بنفسه يتخير لها كبار الاساتذة ويعقد بينها وبين الجامعات الأوربية وثيق الصلات

وقد استطاع برفقه ولطفه أن يبنى مكتبة الجامعة وأن يستهدى لها ألوف المجلدات ، وحملته الوطنية الصادقة على مراقبة المبعوثين من أبناء الجامعة المصرية ، فكان لكل مبعوث ملف يدون فيه الأمير كل كبيرة وصغيرة ويعرف به خطواته فى سبيل التحصيل ، وعند الدكتور منصور فهمى والدكتور احمد ضيف تفاصيل لهذه العناية تدل على ولع ذلك الأمير بالحرص على مستقبل الشباب

ثم ماذا ؟ هل تصدقون أن الملك فؤاداً كان يهمه كل شيء من أمر الجامعة المصرية ؟ هل تصدقون أن الاتفاق الذى تم بين مجلس الجامعة وبين الحكومة درسه جلالة الملك فؤاد بنفسه ؟ هل تصدقون ان مداولات مجلس الجامعة كانت تنقل اليه بحروفها ليطمئن على مصير الحياة العلمية ؟ هل تصدقون أن الشقاق الذى كان يقع فى هيئة التدريس كان يصل صداه الى آذان الملك العظيم ؟ هل تصدقون أن مجلس الجامعة كان يفكر دائماً فى أن هذا قد يغضب جلالة الملك ، وذاك يرضى جلالة الملك ؟ ثم ماذا ؟

وقف سعادة على الشمسى باشا يخطب فى حضرته فى ديسمبر سنة ١٩٢٨ فذكر أن الجامعة المصرية لم تكن الا ثمرة من ثمار النهضة القومية فلم يغضب الملك فؤاد لانه كان يحب أن يسند كل فضل الى أمته . وان يكون مقامه مقام الملك القادر لأمة ممتازة بالقدرة والجبروت

ثم أراد رحمه الله أن تكون مبانى الجامعة المصرية أعجوبة فى فخامة البناء ، وأن تكون القاعة الكبرى أفخم مكان فى هذه البلاد ، وظل يترقب افتتاحها للشهود ثم عاجله الموت . وا أسفاه !

فهل لصاحب الجلالة الملك فاروق الاول أن يسارع فيفتتح قاعة الاحتفالات فى الجامعة المصرية ليروى غليل والده العظيم الذى عاقه المرض عن شهود تلك القاعة الفيحاء ؟

أنا ارجو أن يتفضل جلالة الملك فاروق بافتتاح قاعة الجامعة المصرية فى حفلة رسمية ، فان تلك القاعة لم يوضع تصميمها الا باقتراح والده العظيم

أنا أرجو أن يكون خليفة أبيه فى رعاية الجامعة المصرية . أرجو ان تكون هذه الجامعة قبلة هواه كلما شاء ان يقضى ساعة بين القلم والكتاب

مولاى الملك فاروق

أنا استجدى عطفك على الجامعة المصرية . وأتمنى أن تكون منزلتك من مديرها منزلة الاسكندر الاكبر من ارسطاليس . حرسك الله يامولاى ورعاك

زكى مبارك

تيار الرأى العام

هل هناك رأى عام حقيقى

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

الانسان كالقرد يقلد . والتقليد ناموس طبيعى شامل الأحياء حتى الجماد . وله سبب طبيعى أيضا قد يلذ للقارىء شرحه فنشرحه ليكون القارىء على بصيرة فى تفهم شرحنا للرأى العام

قف أمام بركة من الماء وألق فى طرف منها قطعة من الخشب الهش بقدر الكف فتعوم طافياً . ثم ضع فى الطرف الآخر قطعة أخرى مثلها واضغطها فى الماء واتركها تعوم فتحدث موجة تنتشر فى سطح البركة . افعل ذلك كل هنيهة . هنيهات متساوية المدة قل كل ثانية ترتفع الخشبة وتهبط فتحدث فى المـــاء تموجات متواليات فى مرات متساوية ، أى ثوان ، حينئذ ترى الخشبة الأخرى تعلو وتسفل تبعاً للموجات التى تتوالى عندها صادرة من الخشبة الاولى . ترى أن الخشبتين تعلوان وتهبطان معاً . فكأن الثانية تقلد الاولى بتأثير هذه عليها

هذا مثل للتقليد فى الجماد . وهو يماثل جداً التقليد بين الأحياء ولا سيما العليا منها كالقرد وأشباه الانسان : الغورلا والشمبانزى والأوران أوتان والجابون – ثم الانسان . والمبدأ الاساسى واحد فى التقليدين ، لسبب طبيعى واحد نبسطه فيما يلى :

بين انسان وانسان كما بين قرد وقرد (كما بين الخشبتين فى المثل المذكور آنفاً) اتصال بصرى واتصال سمعى . وكلا الاتصالين تموج كتموج الماء . الاتصال البصرى تموج أثيرى (إلا اذا ثبت أن النور وكل تشعع كهرطيسى انما هو ذرات مادية منتشرة فيكون التموج كهرطيسيا ماديا) . والاتصال السمعى تموج هوائى . فاذا أتى الانسان (أو القرد) حركة تموج النور أمواجا عدة بفعل هذه الحركة مطابقة لها . وهذه الامواج تصدم مقلة شخص آخر فترج عصبه البصرى رجة تماثل موجة النور من حيث الحدة . فتنتقل الرجة الى مركز فى الدماغ مماثلة تلك الموجة أيضا . فيرتد فعل تلك الموجة الى العصب المحرك فتتحرك عضلات الجسم حركة تشابه حركة الشخص الأول . هذا اذا لم تكن قوة الارادة مسيطرة تمنع أو تتبع حسب رغبتها

هذه العملية تشابه عملية الراديو بجميع تفاصيلها تقريبا . كذلك اذا أصدر الشخص الأول صوتا أو نطقاً ينتقل الصوت أمواجاً هوائية فتصدم طبلة أذن الشخص الآخر ويحدث كما حدث فى حكاية انتقال الحركة بواسطة النور

ويمكن أن تعلل مسألة « توارد الافكار » (Telepathy) على هــذا النحو بانتقال الفكر بواسطة الجو الكهرطيسى الذى يصدره الدماغ المفكر فيصدم دماغ شخص آخر ويحدث فيه مثل ذلك الفكر . وهذا موضوع قائم بذاته يستوجب بحثاً مفصلا . وقد أعود اليه فى حين آخر

على هذا النحو يكون التقليد فى الاحياء . فاذا صفق مصفق لخطيب صفق الآخرون معه من غير حكم الارادة . واذا غنى شخص غنى معه الآخرون . واذا رقص راقص تمايل الآخرون معه . وقديهبون جميعاً للرقص اذا لم يكن ذلك مستهجناً فى آدابهم . واذا بكى باك بكى معــه الآخرون . واذا تثاءب تثاءبوا الى غير ذلك . يحدث هذا التقليد فى كثير من الأحوال حين تكون الأرادة على الحياد . وكثيراً ما تكون على الحياد اذا كان العقل مرتاباً أو مفاجئاً بظاهرة وليس له وقت للتعقل ، أو اذا كان الصواب خفياً

ضعف سلطان العقل والارادة

لدى تيار الرأى العام

فى قليل من ظواهر الحياة يكون للعقل حكم وللارادة سلطان . وفى كثير منها لايكون لها حكم ولا سلطان . لا حكم للعقل ولا سلطان للارادة إلا اذا كان ثمة وقت للتفكير والتأنى والتعليل والاستنتاج بحيث يصدر العقل حكمه وتصدر الارادة أمرها . وأما فى الاحوال المفاجئة وفى أوقات الحماسة أو الانفعال مهما كان سببه فيغلب التقليد على التعقل أى يغلب الانقياد للمؤثرات الخارجية . وحيث لا تعقل فلا أرادة . واذا كان الجهل سائداً فالتقليد يتمادى

اذا تجمهر جمهور من الناس لأمر كمظاهرة مثلا اشترك فيها كل من صادفها فى طريقه من غير نظر الى العواقب محمودة كانت أم غير محمودة . واذا تألب بضعة أفراد على فرد يتهمونه بفرية تجمع الجمهور حوله يشتركون معهم فى اتهامه من غير أن يتحققوا ان كانت التهمة صحيحة أو زورية . وقد ينكلون به وهو برىء والذين اتهموه مجرمون . كذلك اذا اجتمع فريق حول مستعطف وهم يرثون له ويتعطفون عليه تألب الجمع حوله يشتركون فى العطف عليه من غير أن يتحققوا أمره وقد يكون هو والقليلون المحيطون به يمثلون دور احتيال

واذا رأى فرد جماعة تنهزم أو تعدو نحو غرض عام يبتغيه أى انسان جرى معهم لاعتقاده بصواب عملهم من غير أن يتحقق ان كان عملهم صواباً أو ضلالا . مثلا اذا رأى جماعة يصيحون : « لص . لص » وهم يركضون فى جهة ركض معهم ليقينه أن اللص فى تلك الجهة . وقد يكون اللص قد زاغ فى جهة أخرى . فالفرد فى حالة جهله يستمد علمه من الجماعة وقد تكون الجماعة أجهل منه . يكفى أن يزعم فرد أن العدو فى تلك الناحية فيتبعه آخر وآخر الى أن يجتمع جمهور من الناس وراءه . وكلما كثر الجمهور اشتد اليقين بصحة الزعم

فى الثورة المصرية الاولى بعد الحرب العظمى أطلق طلق نارى بين المتظاهرين. فصاح أحدهم: « أرمنى اطلقه »، وجرى يتبع شخصا هاربا فجرى وراءه الجميع الى أن دخلوا فى حارة. فقال قائل: ان الخائن دخل هذا المنزل. فحوصر المنزل. والجمهور يعتقدون ان الارمنى الذى أطلق المسدس محتم فيه. وكادوا يحرقون المنزل لولا أن أتى عدد من الجنود وشتتوا الجمهور. ثم فحص المحقق جميع من فى المنزل فلم يجد ارمنياً. ولم يجد من سكانه إلا وطنيين وبينهم وطنى غريب الدار كان سبب فراره أولا خوفه من الطلق النارى، ولم يعد فى امكانه أن يفسر لمطارديه سبب هربه فلجأ الى تلك الدار. ولكن من كان يستطيع أن يقنع الجمهور أن مطاردته ليست فى طريقها السديد؟

ففى حالة الجهل يكون السلطان للتقليد. ومتى تسلط التقليد انهزم التعقل والذوق السليم والحكمة والعلم الاساسى. على هذا النحو ينتشر الزى حسناً كان أو رديئاً. ولا يفطن المقلدون لردائه إلا بعد أن ينكبوا بعواقبها الوخيمة. هكذا انتشر زى حلق الشوارب وتعرية سواعد السيدات، وقص شعر النساء، وتقصير الفساتين وتعرية رءوس الشبان، حتى فى أيام الحر المحرق، الى غير ذلك من الازياء المتعاقبة فى كل ردح من الزمان — تنتشر الازياء بفعل التقليد لا بحكم العقل وسلطان الارادة. لا يأتى حكم العقل إلا متأخراً ولا يأتى سلطان الارادة إلا بعده متأخراً أيضا. وقد تعجز عن كبح جماح التقليد اذا كان الزى أو العادة قد عم انتشارها، لأن حكم الرأى العام أقوى من حكم العقل لسببين:

الأول أنه يبدو للذهن أن الأمر لو لم يكن صواباً أو حقيقياً لما أجمع عليه جمهور الناس. وقد يقول المرء فى نفسه ما أنا أكثر فهماً أو علماً أو اختباراً من هؤلاء الناس جميعا. فيغلب عليه الشك فى حكمته أو علمه أو اختباره. واذا تألب الجمهور أو اجمعوا على أمر لذيوع سبب لهذا الامر قبل السبب الذائع كعقيدة يقينية من غير أن يبحث ان كان ذلك السبب صحيحاً، لاعتقاده بصحة شهادة التواتر. ولا يفطن أنه قد يكون منشأ ذاك التواتر كلمة قالها فرد خطأً أو اختلقها اختلاقا أو توهم معناها توهما فذاعت بين الجمهور مؤكدة

والثانى لانه يرى أن صوابه شذوذ بين اخطاء الجمهور فيحجم عن هذا الشذوذ مكرها. وعلى هذا النحو جرى القول المأثور: « العاقل بين المجانين مجنون وهم العاقلون »، وكان اذا شذت سيدة بأن وضعت قبعتها على جنب رأسها من قمته الى أسفل خدها وتركت الجنب الآخر عارياً عد عملها هذا شذوذاً. والآن ترى كثيراً من السيدات يفعلن هـــذا الشذوذ فأصبح زى اليوم « وموضته »

لم تنتشر الضلالات بين العوام إلا بسبب تأثير عقلية الجمهور على عقل الفرد. وهو تأثير عظيم جداً لا يتصوره القارىء. فالفرد يستمد معظم أفكاره وآرائه وأحكام عقله من عقلية

الجمهور . وقليلون هم المفكرون الذين يستقلون بافكارهم وأحكامهم ويعتمدون على تعقلهم .
والحكاية التالية تمثل لك هذه الحقيقة الاجتماعية خير تمثيل : كان معلم مدرسة أولية (كتاب) فى قرية على شيء من العلم والمعرفة والاخلاق النبيلة . فكان الاهالى يجلونه جداً ، ففى ذات يوم جاءه أحدهم وسأله باهتمام : أرجو منك يا سيدى أن تشرح لى فوائد الترمس . فاستغرب المعلم سؤاله وسأله : لماذا يهمك هذا الامر؟ فاجاب : لانى عكفت على تجارة الترمس ، وأود أن اروجها بالتبشير بفوائده

فضحك المعلم وقال : فكرة حسنة . ولكنى بكل أسف لا أعلم عن الترمس علماً ذا قيمة ربما كان النباتيون أو الاطباء أو الكيمياويون يفيدونك شيئاً ، أما أنا فلا !

— عجبا ياسيدى المعلم ! ماراجت تجارة الترمس فى هذه البلدة إلا لان أهلها رأوك تكثر من أكله فوثقوا أنه مفيد للصحة فجعلوا يتسابقون فى أكله . وكل يوم لهم حديث جديد عن فوائده للمعدة وللكبد وللقلب وللحمى وللاسنان حتى العيون حتى الدماغ حتى العقل حتى الذكاء - كل هذه تتغذى من الترمس - كل ذلك لانهم رأوا المعلم يأكله دائما . وقد انتشرت هذه العقيدة الى سائر القرى المجاورة وراجت تجارة الترمس . وهى الآن فرصة سانحة للتكسب منها . ولذلك جئتك اسألك عن فوائده الحقيقية

فقهقه المعلم وقال : حقاً اننى لا أدرى !

— اذاً لماذا تأكله ؟

— لانى كنت أدخن كثيراً والان أنا تائب عن التدخين فاستعضت عنه بأكل الترمس

وما انقضت بضعة أيام على هذا الحديث حتى سمع المعلم فى أحد مجالس أهل القرية أحاديث عجيبة غريبة عن فوائد الترمس . سمع أنه خير علاج لابطال عادة التدخين . ثم سمع أنه يقوم مقام التبغ فى السجاير فيشوى ويطحن ويضاف الى التبغ ، ويستعمل كالقهوة لعلاج السعال ، ويستعمل علاجاً لتقوية القلب ومرض السكر . ويستعمل دقيقه مغلياً كمادات للأورام حتى للعيون الملتهبة الرمداء ، الى غير ذلك من الترهات التى لا تخطر على بال . وعبثاً حاول المعلم أن يمحق هذه الضلالات من أذهان الجمهور لانهم صاروا يسندونها الى أساطين الطب القدماء والمحدثين ويروون الحوادث الغريبة العجيبة عن تأثير الترمس فى شفاء الامراض حتى كاد المعلم نفسه يصدق أخيراً تلك المزاعم . وربما اضطر أن يسلم ببعضها لئلا يرميه الجمهور بالجهل

فانظر كم كان تأثير عقلية الجمهور على عقل الفرد الجاهل . لايستطيع الفرد أن يقاوم تيار رأى الجمهور بل هو بالاحرى يرتاح الى الجرى مع التيار لأن فيه سلامته من خطر الجمود أو المقاومة . ان تيار العقلية الاجتماعية أقوى تيار ينساق فيه الفرد . وهو أقرب مصادر معلوماته وأسهل مورداً . فمعظم علم الفرد ومعارفه مستمدة من عقلية الجمهور ، أى الرأى العام

لو كانت عقلية الجمهور هى السلطة الوحيدة المسيطرة على المجتمع لكان مصير المجتمع التقهقر والانحطاط والفناء اخيراً . ولكن بين الجمهور افراداً غير قليلين يتروون ويتعقلون ويكتشفون اغلاط الرأى العام وما تؤدى اليه من الاخطار . على أن قليلين منهم يجرؤون أن يجاهروا بآرائهم الصائبة المخالفة لرأى الجمهور . وهم المصلحون الذين تدفعهم لذة حكمتهم الى المخاطرة لمقاومة الرأى العام التى تعرضهم لنقمته . وندر ان سلم أحد منهم من هذه النقمة ، ومعظمهم فدوا المجتمع بحياتهم لان المبدأ النبيل أو الفكر السديد الذى ضحوا بأنفسهم لاجله ساد بعدهم ومجد المجتمع ذكراهم لاجله

الديموقراطية لا تستند الى الرأى العام

يكفى ماتقدم بياناً لمنشأ الرأى العام وتفسيراً لمعناه . فنجملهما فيما يلى : منشأ الرأى العام « التقليد » . وكلما اتسعت دائرة التقليد قويت سلطة الرأى العام ، وخضع الفرد لهذه السلطة ، اذن لايكون الرأى العام دائما صائباً ، بل يغلب أن يكون خاطئا لان قوامه التقليد لا التعقل والتقليد تيار عنيف يجرف فى سبيله كل تعقل وارادة

إذن ، هنا يحضر الى ذهنك هذا السؤال : اذا كان الرأى العام خاطئاً فى غالب الاحوال فالديموقراطية التى هى أساس الحكم الذاتى غير صالحة للاجتماع . واذا كان رأى الفرد المتعقل أصوب وأصح فالحكم الفردى المطلق بل الاستبدادى اصـــوب واصح ، اليس الامر هكذا كنتيجة للشرح الآنف؟

والجواب : أنه لـكذلك . فلو كانت الديموقراطية قائمة على الرأى العام لكانت مصيبة على المجتمع . ولو كان مضمونا ان الحاكم الفرد صائب التعقل حسن النية لكان الحكم الفردى المطلق أصوب الاحكام . ولـكن لا الديموقراطية قائمة على الرأى العام ولا الحاكم المطلق يكون سديد الرأى صالح الارادة حسن القصد إلا نادراً

الحكم الذاتى ديموقراطى بالاسم . والرأى السائد فيه رأى الخاصة لا رأى الجمهور . فلا رأى عام فى الحكم الذاتى بل فيه رأى خاص بفئة أو فرد . حسبك أن تفطن لوجود الاضطراب فى الحكم الذاتى لـكى تذعن حالا أنه خلو من الرأى العام . الحكم الذاتى الديموقراطى يترنح على عواتق آراء عدة متنوعة ، ولـكنه يستتب على أكتاف اعلاها التى تجمع عدداً غالباً من الجمهور . مع ذلك لايعد رأى الاغلبية مثلا أعلى فى الرأى بل يحتمل جداً ان يكون خاطئا . ويحتمل جدا ان يكون رأى فرد واحد من ملايين الامة اصوب الآراء ، ولـكنه يغرق فى آراء الاكثرية لان ذلك الفرد لايستطيع ان يذيع براهين صحته على الجمهور ، ولان هناك اغراضاً شخصية تقتله

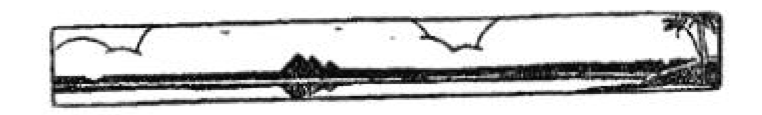
ثم هناك اعتبار آخر عظيم الشأن جدا وهو ان الرأى العام أو بالاحرى عقلية الجمهور تضعف لدى نزاع الاحزاب بل يضمحل الرأى العام (بالمعنى الذى شرحناه سابقا) فى حلبة هذا النزاع . وانما يقوم رأى فرد أو على الغالب رأى بعض أفراد ذوى مصالح شخصية تتفق مع مصالح جانب من الجمهور ، أو تتراءى انها تتفق معها فيكون أهل هذا الجانب معذورين فى الدعاية الى رأيهم . . وأما سائر الجمهور أو معظمه فينقاد الى هـذا الجانب بحكم التقليد الاعمى انقياداً للتيار . فزعيم الحزب الاقدر والاقوى هو الذى يجعل تياره أقوى وأعنف باستهوائه العدد الاوفر من الشعب . وكلما قوى التيار استقوى بما يجرفه معه

مع كل ذلك لايكون الرأى الخاص الغالب أصح الاراء وأوفقها لمصلحة الجمهور لان المصالح الشخصية متغلبة فيه . ولو كان الجمهور يهتدى الى أصوب الآراء وأنفعها ويفهمها لكان ثمة رأى عام حقيقى لا تقف عند تياره سعايات أصحاب المصالح الخاصة . ولو تسنى للجمهور هذا الفهم وذاك الاقتناع لصلحت حال مجتمعه سريعاً ولكان رقى ذلك المجتمع أعجل وأقرب الى المثل الاعلى . ولكن بكل أسف ليس الامر كذلك بل بالعكس لايسود إلا رأى ذوى المصالح الشخصية . وهذا المرض الاجتماعي عضال فى الامم الغبية أو القليلة العلم والتمدن وأخف وطأة فى الامم الراقية

وحاصل القول أنه ليس فى الحكم الديموقراطى رأى عام ، بل هناك رأى خاص وهو الذى يسير التيار ويقويه بما يجرفه معه . وان الرأى العام بكل معنى الكلمة أشد خطراً من هذا الرأى الخاص لان الدافع اليه التقليد لا التعقل


شبرا

نقولا الحداد



الملكية المصرية
والوصاية على العرش عند الفراعنة

كانت حكومة مصر فى فجر حياتها حكومة اوتوقراطية ، عمادها الكهنة الذين كانوا يدخلون فى الاذهان انهم يتلقون الامر عن الآلهة ، ويعكسونه على الشعب . فنظامهم المدنى والتشريعى ، تبعاً لزعمهم مستمد من الحكمة الالهية . وطاوعهم فى ذلك الشعب المصرى الذى كان يحسب كهنة الدين رسل الآلهة على الارض . فخولهم سلطة مطلقة واسعة النطاق ، ظلت ملازمة لهم حتى فى عهد الحكم الملكى ذاته ، اذ كان الملوك أنفسهم ، مع ما كان لهم من حرية فى الحكم ومن قوة فى السلطان ، يحترمون رأى الكهنة وينزلون عند ارادتهم فى كثير من الاحيان

ويعد الملك « مينا » أول ملك تولى عرش مصر فى التاريخ . بل هو أيضاً أقدم الملوك فى العالم طراً وكان بتوحيده للوجهين ومناداته بنفسه ملكا على مصر ، المؤسس الأول للمملكة المصرية


الملك « امنحتب الثالث » اوق عرشه يستقبل الوفود من رؤساء البلاد

وتاريخ هذه الملكية الاولى يرجع الى نحو سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد . أى أن مصر سبقت العالم أجمع إلى الحكم الملكى ، لانها نعمت به منذ نحو ٥١٣٠ عاماً . وكانت الشعوب جميعها فى ذلك الوقت غارقة فى الجهل والوحشية

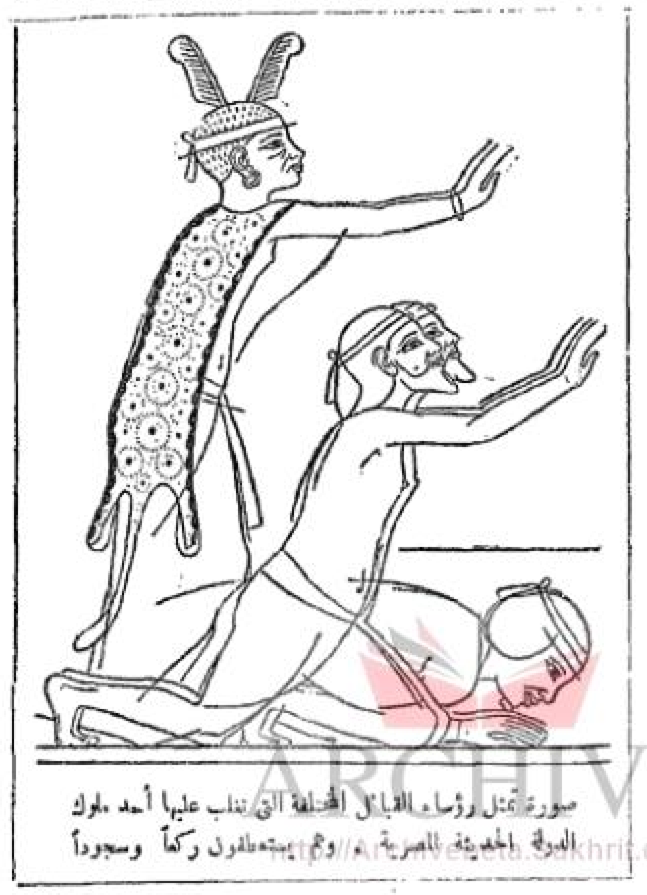
ودرجت مصر على الحكم الملكى بعد ذلك حتى سنة ٥٢٥ ق. م حين

غزاها الفرس واحتلوها ، فلم يبق فيها شأن للمملكة المصرية . وان كانت قد اعتورت مصر ، قبل الفرس حالات من التخاذل والاضطراب أدت بها أحيانا الى الضعف الواضح ، ويكفي تنويها بعهد غارة الهكسوس على البلاد ، ان المصريين القدماء قد قاوموا هذه الغارة بشدة ، واستمر النضال بين الفريقين سجالا . حتى انتهى أخيراً بطردهم . واستعاد المصريون استقلال بلادهم

ومع ذلك ففي أثناء غارات الهكسوس على مصر كانت المملكة مازالت قائمة في صورة مصغرة ،هي أولئك الملوك الوطنيون الذين كان لهم الجزء الاعلى من مصر.فكأن المملكة المصرية في تلك الاوقات قد رجعت إلى ما كانت عليه قبل عصر الاسرة الاولى الملكية من انقسام الوجهين ، البحرى والقبلى ، قبل أن يضمهما « مينا » . ولكن المملكة المصرية قد عادت بصورة قوية بارزة على يد الملك المصرى العظيم « أحمس الاول » المعروف باسم « اموزيس » . اذ تم على يديه طرد الهكسوس من البلاد ، وأعاد لمصر استقلالها وحريتها بتأسيسه الاسرة الثامنة عشرة ، التى كانت بحق مجد مصر الخالد وعنوان عظمتها . وقد بلغت مصر فى عهد أحد ملوك هذه الاسرة «تحوتمس الثالث» مبلغا عظيما من القوة وسعة الممتلكات ، حتى ضمت نحو نصف العالم المعروف وقتئذ . واتفق علماء الآثار على نعتها من أجل ذلك باسم الامبراطورية المصرية . وحافظت مصر على كيانها هذا طويلا ، حتى انحط بها ملوك ضعاف العزيمة وحكام شغلتهم عن شئون الدولة شواغل أخرى . الى أن جاء الملك العظيم « رعمسيس الثانى » فى الاسرة التاسعة عشرة ، فسار على نهج جده « تحوتمس الثالث » وأعاد لمصر مجدها السابق بحروبه الهائلة التى أوصل بها حدود المملكة المصرية شرقا الى حدود الفرس ، وشمالا إلى الاناضول وبعض سواحل أوربا ، وغربا إلى تونس ، وجنوبا إلى الشلال الرابع من السودان . وكانت هذه الحدود هى عين حدود مصر فى أيام جده تحوتمس المذكور



الامبراطور المصرى « رعمسيس الثانى » يهاجم فى عربته الحربية حصناً سورياً



صورة تمثل رؤساء القبائل المختلفة التي تغلب عليها أحد ملوك الدولة الحديثة المصرية ، وهم يستعطفون ركعاً وسجوداً

وبدأت مصر بعد عهد « رعمسيس الثاني » في عصر انحطاط . وان كان شأنها قد علا من بعده حينا يسيراً من الزمن ، في أيام الأسرة العشرين ، ثم حينما استردت قوتها شيئا ما في عصر الأسرة السادسة والعشرين ، على يد مؤسسها « بسمتيك الأول » . الى أن جاء فتح الفرس فانتهت الروح المصرية الصميمة ببداءة هذا الفتح وما تلاه من فتوح أخرى ، على يد الاغريق ، ثم الرومان ، ثم العرب

ومنذ عهد « مينا » مؤسس الملكية المصرية ، ورأس الأسرة الاولى ، كان كل من يلي الملك يدعو نفسه « ملك الوجه البحري والقبلي » ويسمى بلغتهم « نسوت — بيتي » ونسوت رمز الوجه القبلي وهي رسم نبات خاص ، وبيتي رمز البحري وهي نحلة العسل . وكانوا يضعون على قلانسهم فوق رؤوسهم رسم رأس العقاب « نخب » وهو رمز القبلي ، ورسم الحية رمز البحري

حق العرش

وكان حق العرش في أغلب تاريخ مصر القديم وراثيا يرثه الابن عن أبيه . وليس كل ابن يرث العرش إلا اذا كانت أمه تتصل بسلالة النسب الملكي . فان تعذر وجود الابن ، وارتقى إلى العرش أمير أو عظيم ، فيجب أن يتزوج بأميرة من الأسرة المالكة حتى يحفظ دم السلالة الملكية فيهما . والمصريون كانوا منذ مبدأ تاريخهم يعدون ملوكهم من سلالة الآلهة أو منحدرين عن الاله الا كبر « رع » أي الشمس . حتى إن كل ملك كان يسمى باسمين ، أحدهما ينسبه إلى الملك ، ويسبق بعبارة « نسوت — بيتي » والآخر ينسبه إلى الشمس « رع » ويسبق بعبارة « سا — رع » أي ابن الشمس

حفلات التتويج

وكان الملوك الفراعنة يعنون كثيراً باقامة حفلات لتتويجهم على عرش المملكة . والاهتمام بصبغها بالصبغة الدينية ، حتى يتأصل أثرها فى قلوب الشعب . ويصدر الملك بلاغا رسميا يعين فيه يوم الاحتفال الذى يختار فيه لنفسه الاسمين ، المنسوب إلى الملك والمنسوب الى الشمس . وكثيراً ما كان الملوك يكررون هذه الاحتفالات تكريما لذكرى ارتقاء الملك العرش . وتسمى هذه الاحتفالات بأعياد « سد » . ومن الملوك من كان يعنى فوق ذلك باقامة حفلات ذكرى للملوك السابقين له ، أو لآبائه

وكان الملك أو الفرعون فى التاريخ المصرى القديم يحاط غالبا بحاشية واتباع ، قريبين من الحرس الحربى ، يظهرون معه فى أغلب المواقف . وليس هذا لخشيته من بطش الشعب به ، أو حرصه على شىء ، ولكنه كان فى الواقع مظهراً من مظاهر العظمة والابهة . ومع ذلك فقد كان الملك يظهر فى صورته هذه بالقوة التامة له السلطة المطلقة . حتى لم يكن ليجسر على معارضته أحد من الناس

مسئولية الملك

وكانت كل شئون المملكة تعرض عليه فيقرها بنفسه . وكل شأن يجب أن يبت هو فيه فكانت مهمة الملك من أجل ذلك شاقة جداً . وكان مرهقاً بالعمل الدائم المستمر . حتى ان الجرائم فى بعض الاحيان كان يجب أن يحكم هو فيها

ولم يكن الذى يتولى الملك من المصريين القدماء بالشخصية الضئيلة . بل إن الذى يشغل وظيفة الملك يجب أن يكون على علم واسع وحنكة وحكمة ذا المام تام بالشئون الادارية والواجب الحكومى . وقد ألف أحد ملوك الاسرة الاولى منذ مبدأ عهد المملكة كتابا فى الطب والتشريح

ولما كان واجب العرش يتطلب من الملك جهداً مضنياً ، فقد اضطر الملوك الى اتخاذ الوزراء ليعاونوهم على ادارة أعباء المملكة الواسعة الاطراف ، والكثيرة الشئون . ولا ريب أن مملكة كبيرة كمصر فى تاريخها القديم كانت تصعب ادارتها على شخص واحد

ولكن الملك فى نفس الوقت كان يجب أن يبدو فى قوة وعدة . وكان يجب عليه أن يملأ مكانته جيداً ، ويحتفظ بكرامة نفسه ومركزه . فان غلطة من الغلطات الدبلوماسية ، وهو ضعيف مضطرب ، كانت تكفى لان تزعزع مركزه وتسقطه عن كرسيه . وسرعان ما كان يثب الوزير الذى يليه فى السلطة ، الى هذا الكرسى ، كما سجل التاريخ امثلة على ذلك

وكان بعض الملوك قد اعتاد أن يشرك ولى عهده فى الحكم معه منذ صغره . وقد استن هذه العادة ملوك الاسرة الثانية عشرة من عهد مؤسسها الملك « امنمحيت الاول » ، وسار عليها بعد ذلك كثير من ملوك الاسرات اللاحقة . وذلك لكى يتدرب ولى العهد على الادارة

ولكثرة مهام الملك ، وازدياد نمو المملكة اضطر الملوك أيضا إلى أن يخصوا أبناءهم ببعض

شئون المملكة . ومن ذلك ما حدث في عهد الأسرة الثالثة ، اذ عين الملك « سنفرو » ابنه المدعو « نفر ماعت » حامل الاختام ورئيس بيت العدل ، وابنه المدعو « رع حتب » رئيس كهنة « رع » في هليوبوليس . واستمر هذا في كل الاسرات التالية . ومنهم من أعطى ابنه حكم بلاد « كوش »

الوصاية على العرش

عرفت الوصاية في التاريخ المصرى القديم .ولسنا في الواقع ندرى كيف كان نظامها الدبلوماسى في عهدهم وان كنا ندرى أنها تفرض — طبعاً — على الملوك القاصرين

ويصعب تحديد حالات الوصاية في العهد الاول من الملكية المصرية . ولكن ربما كان الملك « بى الثانى » في الأسرة السادسة أول من فرضت عليه الوصاية . اذ علم أن هذا الملك ظل في الحكم ما يبلغ تسعين عاماً ونيفاً . ولا شك أنه يكون قد ارتقى العرش وهو صغير . ولما كان عهد ذلك الملك وتاريخه لا يزالان من الغموض بحيث يتعذر علينا الوقوف على حقيقة أحواله ، وان كان معبده وهرمه — أى قبره — قد اكتشفا الآن بجهة منطقة دهشور ، الا أنهما لم يضيفا بنقوشهما وكتاباتهما شيئاً ذا بال الى تاريخ ذلك الملك . ولا يبعد أن يكون الاوصياء قد نابوا عن بى الثانى في أول حكمه . فيكون بذلك أول تاريخ للوصاية على العرش

ويذكر التاريخ أن الملك « أمنحتب الثالث » قد ارتقى العرش وهو صغير . ولكن مبدأ عهد ذلك الملك لا يزال مجهولا بعض الشيء فلا يعلم إن كان الاوصياء قد نابوا عنه في الحكم أولا . وان كان ذلك متوقعاً

والحادثة الوحيدة التى يذكرها التاريخ صريحة كانت في عهد الملك « توت عنخ امون » . فان هذا الملك قد ولى الحكم وهو في الثانية عشرة ، ففرضت عليه الوصاية . وكان الوصى عليه ليس مجلسا مكونا من أفراد ، بل شخصا واحداً هو المدعو « آى » الذى كان قبل ذلك رئيس كهنة الملك « اخناتون » حمى « توت عنخ أمون »

غير انه لم يخلص « آى » في مهمته تلك فسرعان ماتطلع إلى العرش . وكان الملك الصغير في أثناء الوصاية ليس الا آلة بيد « آى » هذا يحركها كيف شاء . فكأنه الملك ذاته

ولا ندرى ان كان لموت « توت عنخ أمون » عاجلا وهو في سن الشباب الباكر علاقة بالنيات التى كان يبيتها « آى » ليقفز من ورائها الى نيل العرش أو هو قد مات الميتة الطبيعية . وان كان ماوضع في قبر توت عنخ من آثار قصره الخاص . على غير المألوف قديما ، قد يبرر شيئا من ذلك الظن

أحمد يوسف
بالمتحف المصرى

مشاهد من الثورة الفرنسية

نهاية الملكة ماري أنطوانيت

بقلم الأستاذ حسن الشريف

في الثالث عشر من شهر اغسطس سنة ١٧٩٢ قبضت الحكومة الثورية على لويس السادس عشر ملك فرنسا ، وعلى زوجته الملكة ماري انطوانيت ، وابنه ولي العهد ، وابنته دوقة انجوليم ، وشقيقته الاميرة اليزابيث واعتقلتهم جميعاً في سجن التامبل رهن التحقيق والمحاكمة

ومنذ أول ساعة لم تتورع السلطات الثورية عن أخس الوسائل لاضطهاد الملك وزوجته ولم تعفف عن أسفل التدابير لاذلالها والتنكيل بهما في انتظار اليوم الرهيب الذي يتسلق فيه كل منها سلم النطع ليلقى حتفه بسكين المقصلة . فلم تكد قدما الملكة تطأ أرض حجرتها في السجن حتى صرفوا الوصيفة التي اختارتها لملازمتها ، وأفضى اليها مندوب السلطة بأنه موكل في أن يعين لخدمتها رجالا يثق بهم ، ففهمت الملكة أنهم لن يمنحوها خداماً وانما سيبثون حولها عيونا وجواسيس ، فقالت : « شكراً لكم يا سيدي ، ولكني لن أكون في حاجة إلى من يخدمني » فجابهها المندوب الفظ قائلا : « اذن فستقومين بخدمة نفسك وتوفرين علينا مشقة اختيار الاشخاص »

ولقد أقاموا حولها الحراس يرصدون حركاتها وسكناتها آناء الليل وأطراف النهار فلا تفوتهم كلمة تفوهها أو عمل تأتيه ، بل يدونون كل ذلك في تقرير يومي يرفعونه إلى ولاة الامور . وفي هذا يقول المؤرخان جول وادمون ده جونكور : « كان الحراس يرقبون عينيها وشفتيها علهم يتصيدون من سكوتها ما ينم عن شيء في نفسها ، وكانوا يتعقبونها إلى حجرتها ويلازمونها طول النهار ، حتى اذا جن الليل وآوت إلى سريرها انتقلوا الى الغرفة المجاورة وتركوا الباب بين الحجرتين مفتوحا ليراقبوها وهي نائمة »

وكانت اذا نزلت إلى حديقة السجن لتشرف على رياضة طفليها السجينين ، اسمعها السجانون أغاني ثورية تتضمن فحش القول فيها وفي شرفها ، فتصبر على هذا الهوان حتى لا تحرم الطفلين نزهتهما اليومية . وكان الحراس يشعلون غلايينهم وينفخون دخان الطباق في وجهها ، فتمتعض من رائحته الكريهة ومن رائحة الخمر التي تنبعث من أفواههم وتدير وجهها عابسة مشمئزة ، فيضحكون من عبوسها ويسخرون من اشمئزازها ويحاولون ان يقلدوا حركاتها بشفاههم وأنوفهم ، ثم يجعلونها في وسطهم ويجعلون من أنفسهم دائرة متماسكين بالايدي ويرقصون رقصة هي أشبه الاشياء بالعربدة ويغنون أحط وأسفل ما ابدعته مخيلات الثوار من الاغنيات والاناشيد . ثم يجيء

بعض البنائين الذين كانوا يعملون فى ترميم سور هناك فيلوحون بمسطريناتهم أمام وجهها ويقولون لها : « حبذا لو استطعنا أن نهشم رأسك بهذا الحديد »

وصدرت أوامر السلطات للجنود والحراس بألا يكشفوا رءوسهم أمام الملكة تحية وبألا يخاطبوها بلقبها ولا يعيروا شخصها أى علامة من علامات الاحترام . فكانوا يدخلون غرفتها ويجلسون على الكراسى حول الموقد مادين أرجلهم ناحية النار مرسلين دخان غلايينهم حتى ليفسد جو الحجرة ويعقد فى سقفها طبقة تشبه السحاب

ويقول المؤرخان الشقيقان دى جونكور : « . . . لم تقف غلظة حكومة الثورة عند حد ، فلقد أقدمت على أمر لم يسمع بمثله وما نظن حكومة متوحشة أقدمت عليه من قبل ، اذ جعلت للملكة والاميرتين السجينتين مرحاضاً واحداً يشاركهن فيه الحراس والسجانون »

ويروى أحد شهود تلك المأساة أن الملكة مرضت ليلة فطلبت لعشائها مرقا . وبينما هى تتأهب لتناوله علمت أن المرأة تيزون جارتها فى السجن مريضة أيضاً فآثرتها على نفسها وأرسلت اليها المرق . فلما حاول بعض أهلها أن يجيئوها بمرق غيره أبى حكام السجن وباتت الملكة ليلتها مريضة جائعة

ولم تكن المرأة تيزون سجينة حقا وانما جعلوها إلى جانب مارى انطوانيت لتتحسس عليها فعرفت كيف تكتسب محبتها وسرعان ماصارت أمينة سرها وموضع ثقتها ، فكانت الملكة فى سلامة قلبها تفضى اليها ببعض أحوالها وباسماء أصدقائها الذى يعطفون عليها أو يدبرون تخليصها فتبادر الجاسوسة الى اطلاع السلطات على كل ما تقف عليه من هذا القبيل ، فتقبض السلطات على أولئك المخلصين وتقدمهم للمحاكمات فيحكم عليهم بالاعدام . ولقد أدركت تلك المرأة يوما مبلغ طيبة قلب الملكة ومدى صفاء سريرتها فأنبها ضميرها واشتد بها الندم فارتمت على قدمى مارى انطوانيت وصارت تمرغ جبينها فى التراب وتعترف لها بما فعلت وتسألها الصفح والمغفرة . ثم ثقلت على نفسها شناعة جريرتها فرضت ونقلوها الى أحد المستشفيات فكانت الملكة تهتم لاخبارها وتسأل عن حالتها وترسل اليها تحياتها كل يوم

ولقد أطاقت الملكة معيشة السجن صابرة طالما كان ولداها معها فكانت تجالسهما على المائدة وتتغفل الحراس فتلقنهما بعض الصلوات وتشرف على إنامتهما وتظل إلى جانبهما حتى يستغرقا فى النوم ثم تذهب فتتعشى مع الملك وتعود فتسهر بجانب سرير ابنها حتى تحين ساعة نومها

واتخذت التطريز تسلية تمضى فيها معظم ساعات النهار ولكن السلطات ضنت عليها حتى بهذا اللهو البرىء فحرموه عليها بحجة أنها انما تكاتب أعوانها فى الخارج برموز ترسمها على النسيج ، ومن ذلك اليوم لم تجد المسكينة ما تلهو به الا أن ترقع بياضات السرر وترفو ثياب زوجها وولديها

وكانت قد أوصت بعض الخائطات بصنع أقمصة لها فصنعنها على ما جرت عليه عادتهن وزينها كما ألفن بشعارها الخاص ورسمن التاج الملكى فوق الشعار . ولكن الحكومة لم ترض عن هذا وأكرهت الملكة على ان تنزع بيدها من النسيج تلك الرسوم التى تتنافى والنظام الجمهورى الجديد

وجلست الاسرة المالكة لتناول الطعام يوما واذا بجموع تصخب تحت النوافذ وتصيح طالبة رؤية الملك وزوجته ، فنهض الزوجان واقتربا من النافذة التى هرع أحد الحراس فازاح استارها ولم يكادا ينظران حتى وقفت الملكة شاخصة البصر ذاهلة كما لو أصابها شلل مفاجيء . فلقد رأت رأس صديقتها الاميرة لامبال مقطوعا والجماهير ترفعه اليها على رمح طويل وتهيب بها أن تلك صديقتك فعانقيها العناق الأخير . ثم استجمعت مارى انطوانيت قواها وأطلت من النافذة فابصرت رجالا يجرون جثة مقطوعة الرأس عارية الجسد مبقورة البطن هى جثة الاميرة لامبال

ومذ بدأت المحكمة الثورية تنظر فى قضية الملك فصلت لويس السادس عشر عن زوجته وأفراد أسرته فلم يعد من المتيسر له أن يتصل باحد منهم طوال المدة التى استغرقتها القضية . وفى ذات ليلة ارقت بنت الملك فسمعت امها تنتحب وتحاول ان تكتم نحيبها فاقتربت منها وسألتها ما خطبها فهدأت من روعها وزعمت ان نوبة عصبية خفيفة قد اعترتها ولن تلبث حتى تزول ، فعادت الفتاة الى فراشها تبكى لبكاء امها ولا تعرف السبب . تلك كانت الليلة التى حكم فيها باعدام الملك وقد نقلوا الخبر الى زوجته فتكتمته اشفاقا على ولديها الصغيرين

وفى الغد جاءوا بلويس السادس عشر ليتزود من أسرته بنظرة أخيرة قبل تنفيذ الحكم فيه . فاجتمعت الاسرة فى حجرة المائدة وعانق الملك زوجته واخته وولديه على مشهد من الجنود والحرس ، وأرادت مارى انطوانيت ان تسر اليه شيئا ولكن الحراس حالوا دون خلوتهما وقالوا ان التعليمات تقضى بان يجرى كل شيء علانية . وهكذا قدر على أولئك الوحوش ان يملأوا اعينهم بهذا المشهد المؤلم المرير ، آلم وأمر مشهد يمكن ان تراه عيون البشر ، مشهد ملك هو فى الوقت ذاته انسان وأب وزوج ، يودع امرأته وولديه ليذهب إلى ساحة الاعدام

وأحنى الجميع رءوسهم ووضع لويس السادس عشر يديه على رأسى طفليه وباركهما فى صلاة قصيرة واستحلفهما أن يغفرا لقاتليه ، لان الحقد والحفيظة ليسا من خلال النفوس الشريفة ، وعانق اخته وزوجته عناقا طويلا ختمه بقوله : « استودعكم الله واسأله لكم السعادة من بعدى والعزاء » ثم التفت الى الجنود وقال : « أنا تحت تصرفكم يا سادة » وهرع ولى العهد الصغير الى أبيه باكيا فاستوقفه الجند من تلابيبه وجزعت الملكة جزعاً شديداً وخرج الملك وهو يتمتم بين شفتيه كلاماً لم يتبينه أحد

وطلبت مارى انطوانيت من الحكومة أن تسمح لها بارتداء ملابس الحداد فأرسلت اليها ثوباً

من صوف أسود خشن وقفازين أسودين وقلنسوة من القلانس التى تلبسها نساء الشعب . وكان الغم والحزن والنصب والاعياء والسهر ، كل ذلك قد أذبل نضرة وجهها وذهب بتورد خديها ، ورسم الغضون حول محجريها ، وأشرب جفنيها حمرة ظاهرة أزرت بزرقة عينيها ففقدتا بريقهما الذى طالما خشعت له الابصار ، ونحل جسمها وضمر نحرها وساعداها وصدرها وعجف أنفها الجميل فبرز كقوس من عظم تغطيه طبقة من جلد رقيق ، ولم يبق من الغادة التى كانت حتى الأمس القريب سحراً للانظار والقلوب ، تفيض شباباً وجمالا وتوحى إلى النفوس فتنة وغراماً ، لم يبق منها سوى هذا الرسم العافى والاثر الدارس تعلوه روعة ملكية لم تتطاول اليها المحنة وهيبة طبيعية لم تنل منها ضربات الايام . وهكذا باتت مارى انطوانيت بعد عزها الطويل ومجدها الاثيل ، وبعد أن دللها الحظ وطاوعها الزمان ، أرملة محزونة القلب دامية الفؤاد ، رهينة سجن ضيق بارد مرطوب تجيل الطرف فيه وترهف السمع فلا تبصر قلباً مواسيا ولا تسمع كلمة معزية ، ثم تستعرض حاضرها ومستقبلها فلا تجد ما يهون عليها حياتها الالمة أو أملا تعيش من أجله سوى ولديها ومصير هذين الولدين العزيزين

ولكن هذا الامل الاخير الذى تتقوى به لا يطول . فلقد أصدرت الحكومة العرفية فى اليوم التالى ليوم اعدام الملك قراراً بفصل الابن عن أمه . ولقد استمعت المسكينة إلى تلاوة هذا القرار عليها أول الامر كما يستمع الانسان إلى دوى الصاعقة وهى تنقض على رأسه ، ثم ما لبثت أن فهمته وأدركت مغزاه ومداه حتى هبت كالنمرة تحوط ولدها بذراعيها وتصيح : « بل اقتلونى قبل أن تأخذوه » فأجابوها : « بل نقتله هو اذا لم تدعيه »

ولقد كتبت دوقة انجوليم ابنة الملك ذكرياتها عن ذلك اليوم الرهيب فقالت : « بلغ المصاب بوالدتى أشده يوم انتزعوا أخى الصغير من حضنها حتى كانت رؤيتها تقطع منى نياط القلب وتحبس الفاظ المؤاساة فى فى . ولقد كان هذا المصاب يهون بعض الشىء لو أنهم عهدوا بالطفل إلى رجل متعلم شريف يتولى تربيته ورعايته ، ولكن كم اشتد حزنها إذ علمت أن مربى ولى العهد لم يكن الا الخصاف سيمون الذى قيل لها انه سكير وفظ من غلاظ الدهماء . ولقد توسلت مراراً لكى ترى ابنها فلما ذهبت توسلاتها سدى كنا نصعد إلى أعلى برج السجن أحيانا ليتسنى لنا أن نلمحه من خلال احدى النوافذ وهو يلعب فى الجهة المقابلة . وكانت والدتى تمضى الساعات الطوال مصوبة نظرها ناحيته لتسعد باللحظة التى تلمحه فيها . . . »

ويظهر أن اعدام الملك وكل هذا العذاب الروحى والجسدى الذى كانت زوجته تعانيه من بعده لم يكسرا من شرة الزعيم المتوحش روبسبيير ولم يرويا ظمأه إلى الدم . فلقد وقف يخطب الحكومة العرفية ويتساءل : « هل اعدام الظالم المستبد لويس كابيه (١) هو كل القربان الذى

(١) « كابيه » كنية اجداد ملوك فرنسا . وكان الثوار يناودنه ويعبرون عنه باسمه وكنيته فقط ليتحاشوا ذكر كلمة « الملك » التى كانت بغيضة الى نفوسهم

نستطيع أن نقدمه إلى هيكل الحرية ؟ وهل لا يمكننا أن نقدم إلى هذا الهيكل المقدس قربانا آخر ؟ »

أما القربان الجديد الذي يشير اليه فهو رأس الملكة . وفى ذلك يقول : « إن اعدام هذه المرأة سيذكى فى القلوب احساس الحقد على الملوكية وسيكسب الروح الثورى قوة جديدة ، فينبغى أن نعتبره اجراء واجبا لا سبيل إلى تحاشيه »

وفى اليوم الاول من شهر أغسطس سنة ١٧٩٣ أصدرت لجنة الانقاذ العام المرسوم الآتى : « قررت اللجنة احالة المرأة مارى انطوانيت أرملة لويس كابيه إلى المحكمة المخصوصة ، ونقلها حالا إلى سجن الكونسيرجرى » . وعند منتصف الليل نفذت اللجنة قرارها فذهب مندوبوها وأيقظوا الملكة من نومها وأمروها بأن ترتدى ثيابها وتسير أمامهم إلى سجنها الجديد . ولقد حدث لها فى ذهولها من هذه المفاجاة أن اصطدم رأسها بأحد مصراعى الباب فسألها ضابط القوة : « هل آلمتك الصدمة يامولاتى ؟ » فاجابت وهى تبتسم تبسم اليأس : « إن آلامى يا سيدى باتت لا تقبل المزيد »

أما الصحف الثورية فكادت ترقص طربا لهذا القرار وأخذت تحمل على الملكة حملة سداها الافك ولحمتها الافتراء ، حتى لم تتورع عن اختلاق روايات وأقاويل تسوىء بها سمعتها وتوغر صدور الشعب عليها . فلقد كتبت احداها بلسان محررها تقول : « كنت هناك ساعة ذهبوا ليأخذوا اللعينة من سجنها فالصقت أذنى بالباب وسمعتها تقول والحقد ينهش قلبها : أهكذا يقضى على قبل أن أمتع عينى بمشهد هدم هذا البلد على رءوس الذين فيه وقبل أن أروى ظمئى من دمائكم أيها الفرنسيون ؟ » وما ذلك سوى مثل من أمثلة كثيرة مما كانت تلك الصحف المجرمة تكيله كل يوم للشعب الساذج المخدوع .

انتقلت الملكة الى سجن الكونسيرجرى وهناك عدمت كل شىء وافتقرت إلى كل شىء . وكأن الحكومة أبت إلا أن تمعن فى تعذيبها والتنكيل بها فامرت الحراس فكانوا يبيتون فى غرفتها ويصطلحون على سريرها ويقضون الوقت فى لعب الورق أوفى تبادل ممازحتهم بالفاظ تنبو عن الأدب وينفر منها الذوق ، ولم يألفها سمع امرأة مهذبة بله ملكة كمارى انطوانيت ، ويشعلون غلايينهم ويدخنون حتى يفسدوا جو الحجرة فتدمع عينا المسكينة ويدوخ رأسها من أثر الدخان . ولكن كبرياءها لا تطاوعها فى أن ترجو منهم الكف عن التدخين . ولقد حرموها النور فكانت تقضى السهرة والليل فى الظلام . وفى ذلك تقول الفتاة روزاليا التى كانت مكلفة بخدمتها فى السجن : « كنت اتباطأ فى انجاز عملى بحجرة الملكة وأتعمد الاطالة فيه لاطيل لها فرصة التمتع بنور المصباح وفرصة التحدث معى حتى لا تثقل عليها الوحدة وظلمة الليل »

وكانت الغرفة رطبة أكلت الرطوبة بياض جدرانها وانتشرت منها رائحة عفنة جعلت أحد

السجانين يشفق على السجينة منها ، فجاء باستار قديمة ثبتها بمسامير حول المواضع المتآكلة من الجدران لتمنع جهد الامكان انبعاث الرائحة الكريهة منها . ولكن هذه الرحمة التافهة كبرت على نفس الحكومة فارادت أن تعاقب السجان على جريمته المنكرة ، ولولا تمحله شتى المعاذير لكان جزاؤه الاعدام

ولقد ضنوا عليها بكل شيء حتى بالثياب فلم يسمحوا لها الا بثلاثة أقمصة اشترطوا لغسلها أن تلبسها مدة لا تقل عن عشرة أيام ، وبثوبين اثنين يجب أن يكفياها طيلة اقامتها فى السجن . وكانت هذه الملابس الخشنة البسيطة تتأثر برطوبة الحجرة فتتلف وتتمزق فتضطر تلك الغادة الانيقة الى احتمالها فوق جسدها الناعم الذى لم يمسه الا أغلى وأرق ما أخرجته أيدى الناسجين

وكان طبيعيا أن تتوعك صحة مارى انطوانيت وأن يذبل غصنها وينحل جسمها حتى لينكرها الذين عرفوها من قبل هيفاء ممشوقة القد غضة بضة تسر الناظرين . ولكم كانت النسوة اللاتى يختلفن إلى السجن لتموينه باللحوم والخضر أو لغسل ثياب المساجين أو لغير ذلك من الاسباب تأخذهن الروعة وهن يرين تلك الشابة ، سليلة أمجد البيوت وزوج أعظم الملوك تتقبل فى محنتها صنوف الاذى وشتى الآلام بكل هذا الصبر الجميل . ولكم أكبرن فى أعماق قلوبهن تلك البسمة الحزينة ترتسم على شفتيها من وقت لآخر فتكسب وجهها الشاحب عظمة وجلالا ، وتلك النظرة الهادئة الوديعة تنبعث من عينيها المنطفئتين فتنم عن طيبة واستسلام يملآن النفس روعة وخشوعا . لا بل لكم أثر هذا الوقار المحزون والنبل التاعس فى نفوس أولئك النسوة فكن يقبلن عليها مجازفات بحياتهن معرضات رقابهن للقطع ، هذه تهديها سلة من الخوخ قائلة : «كلى يامولاتى» وتلك تقدم اليها فاكهة أو عنبا أو كرزاً وهى تقول فى خوف واستحياء : «ما أجدر هذا بفم مليكتنا الجميلة» معبرات بهذا العطف النبيل عن حقيقة شعور الشعب المنكوب

ولقد حاول بعض الاوفياء أن يساعدوها على الهرب من سجن التامبل ثم من سجن الكونسيرجرى ، وكادت المحاولة الاولى تفلح لولا أن تعذر فى اللحظة الاخيرة تهريب الطفلين فأبت الام أن تنجو بنفسها وآثرت أن تشاطر ولديها المصير . وانا لنقرأ لها فى ذلك كتابا منها إلى صديقها جارجابس تقول فيه : «لم يكن مشروعنا سوى حلم لذيذ أعقبته اليقظة المريرة . فان مصير ابنى هو قائدى وهادى فى الحياة . ولن أستطيع مهما أغريت بالهناء الذى أصادفه بعد افلاتى من هذا المكان أن أنفصل عن ابنى وأتركه فريسة للطغاة . على أنى مع علمى بوجاهة الاسباب التى أبديتها لى ويقينى بان هذه الفرصة الطيبة لا تسنح مرة أخرى ، أظن ان لاسعادة لى فى الدنيا ولا راحة بال اذا أنا ابتعدت عن طفلى المحبوبين . لذلك أجدنى غير آسفة على شيء» . وكان مشروع الهرب من سجن الكونسيرجرى يقتضى قتل الحارسين اللذين يلازمان حجرتها أثناء نومهما . ولكن نفسها

الرحيمة أبت ان تذهب هاتان الروحان فداء لنجاتها وخلاصها وقالت: «خير لى أن تتم فى آية الله من أن اضحى ببريئين لا ذنب لهما الا تنفيذ اوامر الظالمين».

* * *

اختارت الحكومة العرفية المحلفين للجلوس فى المحكمة المخصوصة من بين الذين تثق بولائهم الاعمى للثورة وكراهيتهم للاسرة المالكة، واجرت عليهم الرواتب المغرية بالطاعة ونصبت المقصلة بالقرب منهم لتحدثهم بالمصير الذى يتهددهم اذا هم حادوا عن الغرض الذى جيء بهم من أجله. وكان عدد القضاة ستة عشر وعدد المحلفين ستين. وقد صرح الزعيم جوتييه فى نادى اليعاقبه بان الجميع من اجدر الثوار بالثقة فلا مجال للشك فى وطنيتهم ولا للريب فى الكلمة التى سوف تخرج من أفواههم

وتعين للمحاكمة يوم ١٥ اكتوبر وانتدبت المحكمة اثنين من أشهر المحامين فى باريس للدفاع عن المتهمة ولكنها لم تبلغهما قرار الندب الا عشية النظر فى القضية. وكان احدهما الاستاذ شوفو لاجارد غائباً فى الريف فلم يصل الا فى الصباح. ولما تسلما ملفات القضية الضخمة اوعزا إلى الملكة أن تطلب التاجيل ولو لثلاثة أيام ليتسنى لهما الاطلاع على الاوراق وتحضير الدفاع ولكن طلبها اهمل ولم يلتفت اليه. واضطر المحاميان الى قراءة ماتيسرت قراءته من الاوراق اثناء شهادة الشهود

وافتتحت الجلسة عند الساعة الثامنة من الصباح وظلت منعقدة طوال عشرين ساعة كاملة لم تتخللها هدنة ولا فترة راحة. وكانت الملكة قد جاءت فى ثياب الحداد منهوكة القوى مضعضعة القلب لفرط ما قاست من تباريح الآلام. ولكنها كانت حازمة رابطة الجاش بقدر ما تستطيع امرأة أن تحزم امرها وتضبط نفسها فى مثل هذا الموقف الرهيب. واذا كان بعض المؤرخين قد ذهب إلى انها بدت مضطربة الفكر مشتتة الذهن خائرة العزيمة. او ظهرت فى مظهر لا يتفق والعزة الملكية والعلو الذى يقتضيه مقامها الرفيع فما ذلك اذا صح – وهو ليس بصحيح – الا تقدير اناس ينطبق عليهم قول القائل: «كل من على البر عوام» اما الحقيقة التى ينطق بها شهود المحاكمة فتصيح بان مارى انطوانيت وقفت أمام قضاتها موقفاً طبيعياً لا تكلف فيه ولا تعمل. ودافعت عن نفسها دفاع امرأة مغلوبة على امرها تدفعها غريزة البقاء الى التشبث باهداب الحياة. فلم تحاول ان تستفز القضاة ولا ان تحقرهم. وانما جهدت لتلينهم وتقنعهم

قرئت عليها عريضة الاتهام وقد تضمنت التهم الاربع الآتية:

١ – انها بالاتفاق مع اشقاء زوجها والوزير الخائن كالون قد بددت اموال الدولة فى شرمانبدد فيه الاموال العامة وسربت الى اخيها امبراطور النمسا مبالغ طائلة من مال الفرنسيين لينفقها فى حروبه وبذلك افقرت خزانة الدولة

٢ ـ انها بالذات أو بواسطة عمالها من اعداء الثورة كانت على اتصال وثيق بخصوم الجمهورية ورؤساء الدول الاجنبية تطلعهم على خططنا الحربية ووسائل دفاعنا عن الوطن وتزودهم بالمعلومات التي تعاونهم على غزو بلادنا والقضاء على ثورتنا

٣ ـ انها بدسائسها وتلاعبها وبواسطة عمالها قد تآمرت على سلامة الوطن في الداخل وفي الخارج وبذلك أوقدت نار الحرب الاهلية في كثير من أراضي الجمهورية وسلحت بعض طوائف من الشعب ليقاتل البعض الآخر

٤ ـ انها رغبة في احباط الثورة الشعبية وفي أن تتكلل وسائلها في هذا السبيل بالنجاح ، قد تعمدت ودبرت ونظمت اجاعة الشعب ، فكان من جراء ذلك أن وقعت اضطرابات ومذابح سالت فيها الدماء وازهقت الارواح

وكان رئيس المحكمة نائباً من نواب الهيئة العرفية اسمه هيرمان اشتهر بقسوة القلب وتحجر العواطف ، حتى لقد كانت أحكام الاعدام تتساقط من بين شفتيه على عشرات المتهمين في القضية الواحدة وهو جامد الوجه لا ينبض فيه عرق ولا تتحرك عاطفة . وقد وصفه مؤرخ الثورة جورج لنيوتر فقال : « ان هيرمان كان في كرسي الرياسة كالغراب الاسود لا تنم صفحة وجهه عما يدور في نفسه ، وكان جموده الرهيب دليلا ناطقاً على فقدانه آدميته فقد كان كتمثال القصاص يهوى الموت من فمه وهو لا يشعر »

أما المدعي العام فوكييه تانفيل فقد كان نموذجاً كاملاً للموظف المطيع الذي أفقدته المطامع عواطفه البشرية فاصبح لا يرى النفع الا في خدمة الاقوياء ولا يتحرج في ارتكاب أبشع الجرائم في سبيل مرضاة الطغاة . ولقد وجد فيه روبسبيير اداته الصالحة للقضاء على خصومه ومزاحميه فسلطه عليهم فكان نقمة ينقزز منها الضمير البشري وتفزع لذكرها حواس الانسان

ولقد استمعت الملكة إلى عريضة الاتهام باهتة متعجبة . فلما أتمها الرئيس هيرمان أبى الا أن يتبرع فيضيف اليها تهمة من عندياته فقال : « هكذا ترين أيتها المرأة انك وزوجك انما أردتما أن تعتليا العرش فوق أكوام من جثث الوطنيين والمخلصين من أبناء الشعب » فهبت الملكة غاضبة وصاحت: « لقد كنا على العرش فعلا فلم تكن بنا حاجة لوسيلة نعتليه بها ، ولم نرد إلا سعادة هذا الشعب اذ لا هناء لنا إلا بهنائه »

وكان الجمهور المتكاتف في قاعة المحاكمة يتدافع ليشاهد المتهمة عن كثب ويطلب اليها أن تقف ليراها . فلما ضجرت من هذا الالحاح قالت والحزن يحبس الكلام في حلقها : « ألا يكتفي الجمهور بما أنا فيه حتى يريد أن يزيدني وصباً ؟ »

وجاء دور الشهود ـ شهود الاثبات طبعاً اذ ليس من المعقول أن يتقدم في مثل هذه القضية شاهد نفي فيعرض حياته للاعدام ـ فتعاقبوا أمام القضاة والمحلفين يدلي كل منهم بشهادة لا يمكن ،

لفرط سخفها وسذاجتها ، إلا أن تكون ملفقة أو ملقنة . فهذه خادمة من خادمات القصر اسمها رن ميلو تقرر فى بساطة مضحكة : أنها سمعت من الكونت دى كوانى فى ساعة لعبت فيها الخمر برأسه أن الملكة أعطت أخاها امبراطور النمسا مائتى مليون ذهباً ليحارب بها جيش الترك . ثم تستطرد فتقول : « ولقد علمت من كثيرين من رجال القصر (ولا تعين أحدهم ولا يطلب منها القضاة تعيينه) أن المتهمة اعتزمت يوماً قتل دوق اورليان شقيق الملك ، وأن زوجها علم ما اعتزمت ففتشها ووجد فى مشدها غدارتين فأمر بحبسها فى مخدعها خمسة عشر يوماً »

ولعمرى أى عاقل هذا الذى يتصور الكونت دى كوانى صديق الاسرة المالكة وهو يفضى إلى خادمة حقيرة بمثل هذا التصريح الخطير حتى ولو كان فى أشد حالات السكر وفقدان الصواب؟ وأى عاقل هذا الذى يتصور الملكة مارى انطوانيت تجىء السلاح فى ثيابها لتقتل أخا زوجها فى وسط القصر وبين رجال البلاط ثم يجىء الملك ويفتشها ويأمر بحبسها ؟ ولكن هذا السخف الصارخ لم يعدم سبيله إلى اقتناع القضاة والمحلفين فجعلوه من الاسباب التى بنوا عليها حكم الاعدام

ولعل أبشع ما حدث فى تلك المحاكمة بل لعل أبشع ما عرف من التلفيق فى تاريخ المحاكمات وفى أظلم العصور هو شهادة النائب هيبر . فلقد قرر هذا الرجل أنه كلف مع زملاء له من قبل الحكومة العرفية باستجواب ولى العهد الصغير فى سجن التامبل عما يعرفه من سيرة أمه وحياتها الداخلية الخاصة ، وأن الطفل أفضى اليه بأشياء ذكرها هيبر امام المحكمة ولكننا نجل القراء عن الاتيان بشىء منها فان من القراء سيدات وفتيات يجب أن تصان اسماعهن عن مثل هذا الكلام

يا للفضيحة ويا للهول ! طفل سجين بعيد عن أمه وذويه لم يكمل بعد الثامنة من عمره ، يذهب اليه المحققون فى شرذمة من الجند المدجج بالسلاح فيسقونه الخمر حتى يضل صوابه ، ثم يوجهون اليه اسئلة فى أمور لا يفهمها عقله الصغير ولا يحيط بمداها إدراكه المحدود ، فاذا أومأ برأسه حيرة أو أجاب بنعم على مالم يفهم ، اعتبروا ذلك منه اقراراً وسجلوه شهادة ، وذهبوا الى المحكمة الرهيبة يقررون أن الملكة داعرة فاجرة فيقضون على سمعتها الطيبة بعد أن يكونوا قد أعدوا كل شىء للقضاء على حياتها الغالية !!

تلك كانت أساليب روبسبيير زعيم الثورة وأساليب العدالة فى ذلك العهد المهين !

استمعت مارى انطوانيت إلى هذه الشناعات واجمة الكرامة شاخصة البصر ، فلما سألها الرئيس: لم لا تجيب عليها؟ قالت والاسى يهدج صوتها : واذا كنت لا أجيب فلان الطبيعة الانسانية تغنينى عن الجواب ، واذا صدقتم أن هذا الافك يصدر عن طفل فى حق أمه فاسألوا كل من هنا من الامهات".

عندئذ سرى فى جمهور النظارة تيار عطف واشفاق وجعل الدموع تتساقط من العيون وصيحات الحنان تتصعد من الصدور ، فهدر رئيس المحكمة وزمجر ودق الجرس وهدد الجمهور بشديد العقاب

وأحست الملكة ظمأ فطلبت قدحا من الماء فلما لم تجبها المحكمة الى ما طلبت ولم يجسر أحد النظارة على اسعافها به تطوع أحد الجنود فخرج وعاد بقدح الماء وقدمه الى الملكة فكان جزاؤه السجن على هذا الصنيع

وأخذ المحاميان يترافعان عن الملكة، ولكن ماذا عساهما أن يقولا فى ذلك الجو وفى مثل تلك الظروف؟ لقد قاما بواجبهما القانونى خير قيام وأديا مهمتهما بما يرضى الحق والضمير، ولكنها كانت مرافعة روعيت فيها شتى الاعتبارات التى كانت تهدد المحامين، ومع ذلك فلم ينجيا منها حتى صدر قرار لجنة الانقاذ العام بالقبض عليهما وأخذا من قاعة الجلسة إلى السجن بتهمة خيانة الجمهورية وممالأة أعداء الوطن

ثم سأل الرئيس الملكة إذا كان لديها شىء تقوله قبل النطق بالحكم، فقالت: «لقد سمعتم الشهود وتبينتم أن ليس فى القضية تهمة جدية يمكن أن احاسب عليها. فاذا كان قد بقى ما أقوله فهو أنى كنت زوجة لويس السادس عشر ومضطرة بحكم هذه الزوجية الى مماشاته فى جميع رغباته وتصرفاته»

وعند الساعة الرابعة من الصباح صدر حكم الاعدام باجماع الآراء، فاستمعت اليه الملكة ذاهلة ونهضت من كرسيها فى حركة آلية وسارت نحو الباب عالية الرأس لا تبصر شيئاً ولا تأبه لشىء

ولما بلغت حجرتها فى السجن أخذت تتأهب للموت فكتبت الى الأميرة اليزابيث شقيقة زوجها كتاباً صادره روبسبيير فلم يصل اليها، وقد وجد بعد اعدام الطاغية محفوظا بين أوراق أخرى فى قمطر خاص. وانى وان كنت أشعر أن الحديث قد طال لا أتمالك نفسى من اقتطاف فقرات من ذلك الكتاب الذى يفيض كرامة ونبلا وعلا بالدمع أعيننا رغم ما انقضى عليه من السنين:

«أوجه اليك أيتها الاخت المحبوبة كلماتى الاخيرة آملة أن تحمل اليك وداعى الحار. لقد حكموا على حكماً لا يشيننى، فالاعدام لا يشين الا المجرمين، حكموا على أن ألحق بأخيك الشهيد، وإنى وأنا بريئة طاهرة مثله أرجو أن أبدى من الشجاعة مثل ما أبدى فى لحظاته الاخيرة. وانى لاشعر الآن بالهدوء النفسى الذى يشعر به كل من كان أبيض الصفحة نقى السريرة لا يؤنبه ضميره على شىء. وان آسف فانما أسفى لفراق ولدى اللذين ما عشت كما تعلمين الا لهما ولك أيتها الاخت الطيبة الرحيمة التى أبيت الا أن تضحى بكل شىء لتشاطرينا مصيرنا الاليم

«... ولقد علمت من سياق المرافعات فى قضيتى أنهم أبعدوا ابنتى عنك. فيارحمة الله على هذه الطفلة المسكينة التى لا أجسر على مكاتبتها لعلمى أن ما أكتبه محال أن يصل اليها. على أنى أبارك ولدى العزيزين فى شخصك المحبوب، وأرجو متى كبرا أن يركنا اليك ليحظيا بكل ما عهدته

قبك من عطف وحب وحنان ، وأن يستذكرا دائما ما لم أنفك لحظة فى حياتى عن تلقينهما اياه ، وهو أن المبدأ الشريف وحسن القيام بالواجب هما أهم أسس الحياة

« . . . وإذا كان لى أمل فهو أن تتولى ابنتى رعاية أخيها الصغير وتزويده بالنصائح الصالحة والارشادات الطيبة فهى أكبر منه سنا وأكثر تجاريب . وأريد الا ينسى ابنى الوصية الاخيرة التى أوصاه بها أبوه وهو يودعه إذ قال : « لا تحاول الانتقام من قاتلى » فالله يعفو عمن يشاء ويحاسب من يشاء ، وليس من شاننا فى هذه الدنيا ان نقوم مقام الله فى عقاب المسيئين

« . . . ولقد علمت أن مسلك ابنى أحزنك (تشير الملكة هنا الى الاقوال التى زعم هيبير انه سمعها من ولى العهد) فسامحيه يا أختاه وفكرى فى سنه وفى أنه من السهل فى مثل هذه السن أن يضع الشريرون على لسان طفل ما يريدون أن يقوله . نعم سامحيه واذكرى انه الوديعة التى استودعتك اياها لتشمليها ببرك وحنانك ، وانى أموت واثقة أن ولدى سينعمان طويلا بحمايتك وشفقتك وجميل رعايتك (لم تكن المسكينة تتوقع ان أخت زوجها ستلحق بها الى المقصلة بعد أيام)

« والآن وداعا أيتها الاخت فلم يبق أمامى من الوقت الا ما يكفى لاستعد فيه لملاقاة الله ، وهأنذا أرسل اليك قبلاتى واوزع قلبى وعواطفى عليك وعلى الطفلين الغاليين فاذكرينى ولا تنسينى ووداعاً مرة اخرى وداعاً . فما امر الفراق وما اشده على نفس تعلم انها لن تنعم برؤية من تحب بعد اليوم ! »

وما وافت الساعة الثامنة من الصباح حتى كانت الملكة مارى انطوانيت ترتدى ثيابها لتذهب الى ساحة الاعدام ، وقد أبى الحراس أن يفارقوها لحظة لتبدل ثيابها الداخلية فاضطرت ان تبدلها تحت اعينهم المصوبة اليها وبين البسمات التى كانوا يتبادلونها ساخرين . ثم اركبوها موثقة اليدين مركبة المجرمين وهى عربة مسطحة واطئة ذات عجلتين يحيط بها درابزين ويجرها جوادان ، وساروا بها فى الشوارع بين سورين من الجنود يحولون دون الجماهير التى كانت تتدافع للدنو منها وهم بين هازىء شامت وباك حزين . فلما بلغت المركبة المقصلة صعدت الملكة درجاتها بخطوات هادئة رزينة متمالكة قواها وحواسها ، حتى اذا صدمت قدمها قدم الجلاد تبسمت معتذرة وقالت : « عفوا ياسيدى فلم اتعمد ذلك » ، ثم جثت على ركبتيها وهى تصلى وادخلت عنقها فى كوة المقصلة وجذب الجلاد اللولب فهوت السكين وسقط الراس فى السلة . وابصرت الجماهير يد الجلاد تهبط ثم ترتفع ممسكة راساً يقطر دماً وجفناه يختلجان

وهكذا ماتت مارى انطوانيت آخر ملكات فرنسا فسجلت بميتتها على صفحة الزمان صورة ناطقة تحدث الامم والاجيال بما تحدثت اليه نفوس الطغاة من زعماء الثورة الفرنسية فى العهد الاسود الذى يسمونه عهد الحرية والاخاء والمساواة

حسن الشريف

قوة الفكر

يكون الانسان كما يصنع نفسه

بقلم الأستاذ بولس مصوبع

« . . ما لشيء قيمة تجاه الشدائد قبل قوة التفكير التحليلي . وهذه القوة التي تقسم بها الأمور الى أجزائها ، وتستعرض أسبابها ونتائجها استعراضا هادئا ، وتعمل على فحص المسألة من جميع وجوهها ، هي أساس قدرتنا على تحكيم العقل ، ولاجل ذلك أعطينا قوة الفكر الواعي . ويمتاز الرجل النابه على الرجل غير النابه بنسبة قدرته على هذا التفكير . . »

من البديهي ان ميزة الانسان على الحيوان هي تلك القوة التي لا تقاوم ، قوة الفكر ، ويراد بقوة الفكر تلك القوة التي يهتدي بها الانسان الى المعرفة الصحيحة الحقيقية ، ويتسنى له أن يؤلف بينه وبين ما حوله

ولئن تكن هذه القوة المبدعة في حوزة جميع الناس ، فان من يستخدمها بفهم وادراك قليلون . ما من أحد يمكنه الا يفكر ، على اوسع معنى تحتمله التعبير ، ولكن قلما تجد من يفكر تفكيراً فعالا منتجاً . في حين أن لكل منا ان يفعل ذلك اذا عني باتخاذ الوسائل النافذة

ان الذين يحسنون التفكير لا يتفادون أضراراً كثيرة تأتي من التفكير السيء فحسب بل يجنون من ثمار تفكيرهم وممكناتهم الخير العميم . يلعب الفكر في حياتنا الدور الاكبر ، والناس يتفاوتون في الوقوف على سر الحياة والتمتع بأطايبها تفاوتهم في التفكير ، وأوكد محك للتفكير هو السرعة التي نسيطر بها على اية احوال أو ظروف غير عادية تطرأ علينا فنطبعها بطابع ارادتنا الخاصة . وبعبارة ابسط ـ أنضل قياس للتفكير السديد هو السهولة التي يتغلب الانسان بها على المصاعب ويبلغ المراد

ليس هناء العيش متعلقا بما يحيط بنا من الظروف وما يقع لنا من الحوادث بل هو منوط بالموقف الذي نقفه ازاء هذه الظروف والحوادث ، ويمكننا تعريف الموقف الفكري بأنه نظرتنا المعتادة الى الحياة والسبيل الذي نفكر به ونشعر نحو كل شيء . لكنه ليس حالة سطحية بل هو السبيل الذي به نفكر ونشعر في داخلنا نحو كل شيء

والموقف الذهني هو العامل الذي يعين ما ستقوم به جميع القوى والملكات العقلية ، واي اتجاه ستتخذ فيما تقوم به ، والى اي حد ستحسن القيام ، وللموقف الذهني ان يوجه كل النشاط

العقلى والفكرى والشخصى اما يمينا او شمالا ، اما الى النافع او الى الضار ، ولا يعينك شىء على اتخاذ الموقف الحسن مثل التفكير

لا يسوغ لنا ان نقدم بجهد جنونى على امتطاء متن الدواتق بغير استعداد ، فذلك شأن الاطفال او الحيوانات . اما نحن فلزام علينا ، أيا كان موقفنا ، الا نستخدم سوى القوى والافكار التى يرجى أن تأتينا بنتائج مرضية ، فيهمنا والحالة هذه ان نفكر قبل ان نعمل

ما لشىء قيمة تجاه الشدائد قبل قوة التفكير التحليلى . وهذه القوة التى نقسم بها الامور الى أجزائها ، ونستعرض اسبابها ونتائجها استعراضا هادئا ، ونعمل على فحص المسألة من جميع وجوهها ، هى أساس قدرتنا على تحكيم العقل ، ولاجل ذلك أعطينا قوة الفكر الواعى ، ويمتاز الرجل النابه على الرجل غير النابه بنسبة قدرته على هذا التفكير ، ففى قضاء ساعة واحدة فى هذا الاستعراض العقلى للموقف ادخار عدة ساعات الى حين يأتى دور العمل

ان لم نتمكن من التحليل فلا يسعنا الوصول الى حل المسائل التى نواجهها واصعب شىء لسوء الحظ على الانسان المتوسط ، هو ان يفكر . لا ان يفكر تفكيرا سديدا أو تفكيرا منطقيا ، ومحال ، بل ان يفكر فحسب . ان الانفعالات المبهمة والآراء الغامضة والتصورات المغمورة بالضباب ليست من التفكير فى شىء ولا تدل الا على كسل العقل . اما التفكير الفعال فيقوم بأن تدقق النظر فى الامور وتحلل ما لديك من التصورات المبهمة وترجعها الى حدودها الخاصة ولا تنقاد الى شىء سوى الواقع الثابت

ان المرء يفكر حقاً بسكينة وهدوء ، من غير اندفاع او انفعال ، ومن لا يمكنه ان يفعل ذلك ، أو أن يستدل على ما يريد دون أن يحتد ، فما هو بمفكر ، فرض نفسك على التفكير الهادىء

هب مثلا أنك استمعت أو قرأت بضعة خطابات سياسية ، فاجلس وفكر فيما قاله الخطباء فى الحقيقة ، تمييزا له عما قالوه فى الظاهر

ولكن لا يبرح من بالك ، من وجهة اخرى ، أن أحدا لا يمكنه أن يحسن التفكير ان لم يكن ذهنه عامراً بالخبرة والمعرفة ، فالعرفان قوة فى كل زمان وكل مقام . فاقرأ ولاحظ وتعلم من كل انسان ومن كل شىء ولا تفتأ تعمر ذهنك بشتى المعلومات

ان التفكير السديد يتطلب ان يخلو الذهن من مشاغل الاعمال اليومية العادية ، فاذا فكرت فى اعمالك اليومية وفى تنسيقها وتنظيمها على وجه حسن معين ، واتخذت القيام بها على هذا الوجه عادة فحينئذ تسهل عليك العادة القيام بتلك الاعمال « اتوماتيكيا » ، وفى أقصر وقت ويتسع لديك المجال للتفكير فى الامور غير العادية ويتيسر لك حل معضلاتها واتخاذ الموقف الناجح ازاءها

اما الذين لا يتخذون هذه العادة فيضيعون يوميا جانباً عظيما من وقتهم فى تقرير امور أو الندم على أمور كان الأولى الا تكلفهم تبصراً يذكر . ويستنفدون من النشاط الفكرى ، على واجبات يومية تافهة ، ما كان الأجدر بهم ادخاره لأمور اخرى اعظم شأناً ، وتجدهم لدى الشدائد حائرين فيكدون أذهانهم ويرهقون أعصابهم على غير هدى ولا يلقون الا الفشل

وليس لأحد أن يقول انه جاوز سن تكوين العادات ، فالسن لا تمنعه من ذلك وكل ما فى الامر أن تكوين العادة أسهل على الشباب منه على الشيوخ

ومما يقتضيه التفكير السليم صفاء الذهن ، وأعظم ما يحول دون صفاء الذهن الهم والخوف

أما الهم فسواد الناس غارقون فيه لسوء الحظ ، والكثيرون منهم لا يقتصر همهم على أمورهم الخاصة بل يمتد الى أمور كل من اتصلوا به . فتراهم يضطلعون بتبعة الخطة التى تتخذها أسرهم واصدقاؤهم ، ويحملون على عاتقهم الاغلاط التى تنتج من تلك الخطة ، فيصرفون وقتاً ثميناً فى التفكير ، لا فى حاضرهم الخاص ، بل فى مستقبل سواهم

ومعظمهم من المتشائمين الذين لا يرجى شفاؤهم ، فلا يألون ينظرون الى مختلف المواقف من أسوأ وجوهها . وهم . فوق ذلك ، لا يقنعون بما لديهم من هموم قد لا تخلو من حقيقة فيضيفون اليها همومهم الخاصة الوهمية

ومن دأبهم أن يغالوا فى قدر الأمور المكدرة فيجعلوا من الحبة قبة ويكثروا من همومهم ، والهموم اذا تكاثرت تدعو الى ثوران النفس وتفضى الى سوء الخلق . ويعزى هذا التفكير المعوج الى التكاسل العقلى والاحجام عن التفكير فى القيمة الحقيقية للحوادث وفى علاقاتها الحقيقية بعضها ببعض

ان الحياة لمن يتدبرها طويلة ، والعالم ميدان متسع الاطراف ، وما يقع لنا أو حوالينا من الاغلاط او الشدائد لا يستوجب الانفعال الذى يتحمله المهموم من أجلها . فانها ، وهو ينظر اليها فى حال وقوعها ، تظهر له جسيمة أو معقدة ، ولكن اذا مر بها مر الكرام ، ثبت الجنان ، ومضى فى سبيله صادق العزيمة لا ينقضى وقت طويل حتى يرى الخطأ تضاءل والعقدة انحلت الى حد مرض

فلا اغلاط الماضى ولا مخاوف المستقبل تستحق ان تثير اهتمامنا ، والخوف على العموم لا مبرر له ، فأكثر المخاوف ترتكز على أمور وهمية بحتة ، فكم من مرة استسلمنا للخوف من أمر توقعنا حدوثه ـ وفعل الخوف فينا فعله الذريع ـ ولم يحدث ؟ وكثير مما يبعث الخوف الى القلب الخائف لا يكون فى أعين سواه الا أمراً مبتذلا

فاقبض بحزم على زمام فكرك ولا تدع الخوف يتسرب الى قلبك . ان الخوف ان ساور قلب امرىء كان عائقا جدياً لنشاطه ، ومصدر هم وقلق ، ومصرفا ثابتاً للقوة والابتكار . فعليك

إذا ظل الخوف ملازماً لك ان تواجهه بجرأة وان تحلله وتكشف عن أصوله وتكتشف ما اذا كان له أساس

قل من المخاوف ما يعيش تحت ضوء البحث عن الوقائع العارية ، ولكن عليك والحالة هذه ان تصدق مع نفسك وتجرؤ على الضحك من نفسك من أجل ما اعتراك من الخشية ، فما لا شك فيه ان خشيانك المخاوف هو الذي يكسو هيكلها باللحم والدم ويجسمها

وثم امر آخر لابد منه للتفكير السليم وهو أن يكون الفكر مستقلا لا يتأثر من مختلف الافكار المنبثة اليه من العالم المحيط به . ومن الأوجه الغريبة لعقلية الانسان ان الفرد قد يكون مفكراً سليما ، منطقياً ، واذا اختلط مع من الناس أصبح عديم المنطق ، اصغ الى خطيب من خطباء الجماهير وهو يخطب ، والى خطيب سياسى قصد أن يحمل سامعيه على أمر يريده ، فلا هذا ولا ذلك يجرؤ أن يتكلم بهذا الاسلوب بعينه مع أحد الحضور على انفراد

ذلك لأن الفرد وهو يفكر بنفسه فى مستوى فكرى ارفع من مستوى الجماعة المؤلفة على العموم من افراد أكثرهم ذوو تفكير سطحى وعقليتهم دون المتوسط فيضطر الخطيب ، ليؤالف بينه وبين جمهور سامعيه ، ان ينحدر الى مستواهم الفكرى ويجاريهم فى عقليتهم

وكثيراً ما ينبذ ذو العقل الموزون منطقه وتوازنه اذا ما اندمج عضوا فى جماعة من الجماعات . وذلك لان الفرد مدفوع بالغريزة الى أن يحذو حذو غيره ويعمل كما يعمل سواه فيقتفى ، فى تفكيره ، اثر العادات والاصطلاحات التى سار عليها قومه وجمهور زملائه وخلانه ، كما انه باستناده الى رأى من حوله من مماثليه يتفادى عناء التفكير بنفسه

اضف الى ذلك أن أحدا لا يريد أن يكون بارزاً فى حشد من القوم ، لأنه يخشى أن يسىء الى اخوانه ببروزه عليهم أو أن يسيئوا اليه ، وهو على كل حال لا قبل له ، وهو فرد ، ان يحمل الجمع على الأخذ بالرأى الذى يجود به تفكيره ، وكل ما يجبه ، اذا شاء ان يفكر بنفسه ويبدى رأياً مخالفاً ، هو أن ينبذ القوم رأيه ويتجاهلوا وجوده

فالتقاليد والعادات والاصطلاحات جبابرة تبعث الهول والهلع فى القلوب فيخضع لها السواد صاغرا . نعم قد يكون من حسن الفطن ان نجارى قومنا أحيانا فيما لا خطر له ، ولكن هذا لا يسوغ لنا ان ننقاد كالخراف ونتبع اتباعاً اعمى كل العادات والاصطلاحات ، معقولة كانت أو سخيفة

إن الجمع المحشود ، كالفرد غير المفكر ، فريسة قريبة المأخذ لكل مرجف طائش ، والمفكر الذى يحفظ كرامة نفسه يعنى بألا يضيع فرديته فى الجموع ، فيظل متمسكا بقواه المنطقية ، سواء فى الجمع أو فى الخلوة . والاجدر ، فى اعتقادى ، ان يمتنع عن الانخراط فى سلك الجمعيات على انواعها ، ما استطاع الى ذلك سبيلا

إن البحث فى عقلية الجماهير يدعونى لالقاء نظرة اجمالية على العالم، فالعالم فى مجموعه سائر على غير ما يرضى العاقل . فهو ، فيما يختص بالسياسة والاقتصاد ، فى حالة اعوجاج اليم . أجل الطرف فى نظامنا الاقتصادى السائد وفى العواقب الهدامة الناجمة عن هذا النظام . فى جميع العالم المتمدن ، ثم حول الطرف الى العلاقات السياسية السقيمة فيما بين الدول ، والى تلك الحواجز التى تقيمها فيما بينها فى السلم ، والى الموقف البغيض الذى يقفه بعضها تجاه بعض ويدفعها الى الحرب ، والى الثروة التى تنفقها على معدات الهلاك والخراب الفظيعة الهائلة التى تباشر بها الحروب ، وقل بربك هل تعلو مدنيتنا كثيرا على همجية اسلافنا الاولين المتوحشين؟

أما من الوجهة النفسية فالحال حال تراخ وهبوط يؤسف لها أشد الأسف ! فالاضطراب شامل لجميع الطبقات . والجنس البشرى ، على ما يظهر ، غير مالك زمام الظروف ، فكلنا ، أفراداً وجماعات مندفعون للوقوف عن رضى موقف ضحايا للقضاء والقدر

على أن هذا الموقف خطأ فى خطأ اذ أن للفرد سلطاناً لأن يسود الظروف ويكون بنفسه حاضره ومستقبله . هذا هو ما قدر له وما قضى به عليه . ولكل أمة تدعى المدنية قدرة لأن تستفيد من الخبرة وتقف سداً منيعاً فى وجه معكرى السلام وذوى المطامع ، وتتعاون تعاوناً صادقا مع غيرها من الامم على ما فيه رفاهية العالم وجمال الحياة

من نكد الدنيا على حر الفكر أن يرى فى طبقات الناس عاليها ودانيها ، اعتقاداً مبهماً سائداً ، وهو أن الانسان عائش فى قبضة قوى خفية لاقبل له على مناهضتها ، وقد نتج من هذا الاعتقاد أن فقد الناس ، الا القليل منهم ، ارادتهم للعمل ، والبسالة اللازمة لمعالجة المصائب والتغلب عليها ، والعزم على الفوز

لست أجهل ما يواجه الانسان فى الحياة من متاعب ومصاعب حقيقية ، ولكن الوقائع المسببة لهذه المتاعب والمصاعب ليست قضاء مبرماً لابديل له ، بل هى أمر قابل للتغيير والزوال . فالذى يلزمنا والحالة هذه هو ثورة فكرية نقطع بها أوصال الماضى ونحطم السلاسل العقلية التى تقيدنا بها التقاليد والاصطلاحات والعادات ، ونواجه مسائلنا الحاضرة بعقول مفكرة وأذهان صافية لا يغشاها ما يرسخ فى الذهن من معتقدات سابقة

بولس مصوبع



أحلام اليقظة وقصور الهواء

بقلم الأستاذ أديب عباسي

الكثير من الاخلاقيين والباحثين فى شتى الظواهر العقلية من علماء النفس مجمعون ، أو كالمجمعين ، على أن شطراً غير يسير من وعى الفكر وجهد العقل يذهب هدراً فى سبيل القصور المشيدة والصروح الممردة تقام من الوهم وتبنى على الخيال ومخادعة الحس

وقد جرى الاصطلاح الحديث على تسمية هذه القصور الخيالية والصروح الوهمية « أحلام النهار » . وهى تسمية لا بأس بها ولاسيما متى علمنا أن هذه الاوهام تشارك الاحلام ـ فى أغلب الأمر ـ بجمال الصورة وصدق التعبير عن شهوات النفس المكبوتة ونزواتها المقيدة ثم بانطلاقها وحريتها وخروجها فى اكثر الاحيان على قواعد الاحتمال المنطقى والامكان الزمانى والمكانى . فعمل يوم يتم فى ساعة وجهد الدهر يقوم فى شهر والمسافات تتقلص وتمتد كأنه السحر . بيد انها تسمية غير دقيقة الدقة التى تتسم بها عادة مصطلحات العلم . والأصح والأصلح أن ندعوها « أحلام اليقظة » بدل أحلام النهار اذ لاسبيل هنا الى الحصر الزمنى باتباع هذه الاحلام بالنهار واضافتها اليه دون الليل . والواقع اننا ننشىء قصورنا وأحلامنا هذه فى يقظة من الحس ووعى الفكر فى الليل كالنهار ، متى تيسرت أسباب ذلك من فراغ من عمل أو عطلة من فكر . وهى بهذا الاعتبار ليست مظهراً شاذاً من مظاهر العقل انما هى مظهر خاص من مظاهر الخيال الطليق والتفكير الحر ، تمييزاً لهذه الاحلام عن الخيال المقيد والتفكير الموضوعى الذى يعمد فيه المرء الى موضوع بعينه من موضوعات البحث والنظر ويلتمس له أسباب الاحاطة والاستيعاب والتقصى من كل الوجوه الممكنة

فالفرق اذاً بين التفكير العادى الموجه وبين التفكير الحالم الذى لا توجيه فيه ولا قصد ، هو أن الأول تسيطر عليه قوى الارادة و تزجيه ازجاء فى سبيل معينة ونحو غاية مرسومة . وان الآخر يسرى على نسق غير معين ولا مرسوم من تداعى المعانى الحر . وهذا النسق الاخير من التفكير يشبه شبها كبيراً الافكار السائبة أو المرخاة (Rêverie) سوى أن الافكار السائبة تتوارد على غير قصد أو ارادة من المرء فيكون منها ـ والحالة هذه ـ الفكر الذى يبهج النفس ويسرها ويكون منها الخاطر الذى يزعجها ويسوؤها ويكون منها ـ كذلك ـ الفكر المحايد الذى لا يسر ولا يسوء بينما تلك ـ أى أحلام اليقظة ـ لا تلم بالمرء الا اذا قصد اليها قصداً . ومن هنا

تجيء - فى أغلب الأمر - كما يرغب الحالم أن تجىء، صوراً تشرح الخاطر المكدود و تزدهف اللب

يقول أصحابنا الذين اسلفنا من دعاة الاقتصاد والتوفير فى عمل الفكر وجهد الأعصاب : ان هذا النوع من التفكير الحر الطليق من كل قيد هو اسراف فى الوقت واهدار لجهد العقل فى غير طائل ولا محصول ، وإنه خير للمرء واجدى عليه لو يصرف فى التفكير الجاهد المثمر الزمن الذى يصرفه فى استدراج الاخيلة الزائفة والاحلام المسرفة وهى أخيلة واحلام لاتسمن ولا تغنى من جوع . ويقولون - كذلك - ان واجب الجد فى الحياة واطراح اللهو يقضى على المرء ان يصرف مدة العمر - وهى محدودة - وساع الحياة - وهى غير مردودة - فى العمل المثمر والجهد الاكيد الذى يفضى الى زيادة تزاد فى ثروة الناس المادية أو الفكرية

وإلى هنا لابأس بما يحتج به اصحابنا للتفكير الموجه والجهد المثمر ، ولكن على شرط أن يكون العقل البشرى قد بلغ حده الاعلى من الاكتمال والتطور واضحى آلة قادرة قدرة مطلقة على التفكير ، حتى لتستطيع أن تديره ما تشاء وكما تشاء اى عدد من الساعات والايام دون ان يعتوره الملل أو يصيبه الاعياء . الا انه مطلب عزيز على كل حال ، اذ المستحيل أو شبهه ان تتطالب من العقل البشرى - وهو آخر مظهر من مظاهر التطور - ان يكون آلة قائمة للتفكير لا تكل ولا تنى ، وقد يتسنى ذلك بعد الالوف والملايين من السنين وبعد سلسلة طويلة من الانتخاب والتهجين فى السلالات البشرية ، وعندها يقوم الجيل الذى يستطيع أفراده ان يفكروا التفكير الدائم الذى لا يفتره لهو من خيال أو يقطعه شرود من ذهن على نحو ما يتنبأ المتنبئون بالرجل الاكمل العتيد . نقول قد يكون ذلك أو شبهه بعد ملايين السنين وبعد العدد الذى لا يحصى من عمليات الانتخاب فى الاجيال البشرية ، ولكن الانسان بحالته الراهنة وبما انطوى عليه من غرائز آسرة واهواء قاسرة وبما لديه من عواطف مؤججة وميول معاندة وبما يحيط به من جد الحياة وهزلها وبما يكض خياله ويذكى شعوره من طائف الذكرى ومحرك الالم - انساننا هذا بحالته تلك يستحيل ان يكون اداة خالصة للتفكير كما يريد اصحابنا من مريدى الاستغلال المطلق الدائب لجميع كفايات العقل والخيال

ان هذا التفكير الجاد المتصل الذى يبتغيه اصحابنا يقتضى ان يتجرد المرء من ميول النفس وغرائزها ويستلزم فوق ذلك - ان يكون العقل - كما اسلفنا - اداة جبارة لا تهن من عمل ولا تكل من جهد . وقد يحتج بان هذا الشرط الاخير - مع تناسى الاستحالات الاخرى - شرط غير أساسى ولا محتوم اذ يستطيع اجمام العقل باراحته قليلا أو طويلا حسب حاجته الى الاستجمام والراحة . وهى وسيلة ممكنة لا شك ، ولكن امكانها يبطل قضيتهم من أساسها وهى وجوب شغال الفكر كل ساعات الوعى بالجد الذى لاينقطع والعمل الذى لا يفتر

وقد يقال ان الاستجمام الفكرى هذا قد يتم بتنويع عمل الفكر وتبديله لا بقطعه ، وتعطيله

وعليه فليس من اللازم ان يظل الفكر مشغولا بعمل واحد أمداً طويلا ، بل يستطاع شغله وقت يصيبه نصب اوكلال بعمل آخر يصرف عنه التعب ويبدد الملالة . وهذا ممكن أيضاً ، ويجرى حسب القواعد الاساسية لاجمام العقل والجسم ولكن امكانه يعيدنا الى مثل الوضع السابق من أن العقل لم يشتغل كل ساعات الوعى بالجد المدأب الذى لم ينقطع ، اذ لا بد فى العمل الذى يحل محل العمل المتعب ليصرف عن العقل بواعث السآمة والملل ان يحوى عناصر من عبث الخيال المترف المرفه ، ودور السيما والملاهى تستهدى دائما بهذه القاعدة فهى لا تستبدل للناس جد عملهم بجد من عندها بل تمزج لهم الجد بالهزل والخيال المترف اللاهى بالعبرة والدرس . وهكذا يصيب الخلى من ملل الفكر العبرة والدرس ويصيب المتعب المنهوك لذة الخيال المرح كما هو الشأن فى احلام اليقظة

هذا ولسنا ننكر ان العواقب التى يحذرنا منها دعاة الاقتصاد الفكرى هى عواقب قريبة الوقوع محتملة الحدوث لو كانت الاخيلة والاحلام التى يصفون دائمة الطروء على وعى الناس بحيث تزحم الحياة على جدها والعمل عن مكانه . ولكن مما لاريب فيه أن الجمهرة الكبرى من الناس لايعمدون الى هذا اللون من الوان الترفيه عن النفس باغراق الهموم ونسيان المشاكل والآلام إلا وقت تحزبهم حقائق الحياة وتضيق عليهم مآرب النجاة من قسوة الواقع وألم الحرمان وإلا حينما يتيسر لهم قسط من الفراغ وانقطاع العمل

وقد يخشى كذلك ان يفضى الجرم الى هذا اللون الحين من الوان الترفيه عن النفس الى اعتياد العقل الشرود والغياب والانسراح فى مهامه الخيال وتيه الاحلام حتى ليصعب رده وقسره على حياة الجد من جديد كالذى يصيب نفراً من الناس عكفوا على أحلام اليقظة هذه وفقدوا السيطرة على ارادتهم فانتهى أمرهم الى الخمود الفكرى او ماهو شر منه من حران العقل وشروده . وهو تحذير وجيه والخطر محتمل ، ولكنه على كل حال خطر نظرياً اكثر منه واقعياً . فالمشاهد الملحوظ أن العدد الاكبر من الناس يحلمون هذه الاحلام ويعترفون بها ويعبثون قليلا أوكثيرا ثم يعودون الى ما كانوا بسبيله من جد العمل حينما يزول الباعث على العبث واللهو من فراغ أو اعياء أو ألم . والخطر الحقيقى واقع على الذين لاعمل ولا فكر لهم البتة . وهؤلاء بين أمرين : اما أن يتلهوا باحلام اليقظة هذه على نحو ما أسلفنا او يفرغوا العقل من جميع أسباب الفكر والخيال ، فلا يطيف من طائف الفكر والخيال خير ولا شر . وأول الشرطين هين سهل الوقوع طبعاً اذ يجرى بحسب ما ركب فى الطبائع البشرية من السير فى أهون الطرق . أما الأمر الآخر فهو الاستحالة بعينها اذ يتعذر ان يخلى العقل من جميع أسباب الفكر والخيال ساعة واحدة من ساعات اليقظة . بل الأمر أضيق من ذلك على العقل وأشق . اذ لا تكاد تخلو ساعة من ساعات النوم نفسه من خيال يطرق ابواب الشعور ويلجها وان كان

يخيل الينا ان من ساعات النوم ما لا تمر به اخيلة ولا احلام فذلك من شدة الاستغراق فى النوم ليس غير

بيد اننا لاننكر ان نفراً من الناس - على أى حال - ينصرفون الى هذه الاحلام انصراف دوام ويقطعون أعمارهم وأفكارهم فى غير حاجة أو ضرورة . على أن هؤلاء قلة لا يعتد بها كل الاعتداد عند تقرير الحقائق العامة والقواعد الاساسية شأن كل غلو او اغراق فى اية ناحية من نواحي الحياة والفكر

هذا ويلطف من النتائج التى يفرضها ويقدرها مقاومو هذا اللون من الوان الاستجمام الفكرى أن معظم الناس يدركون أتم الادراك أن الاخيلة العابثة التى يتخيلون والقصور الشاهقة التى يبنون ليست الا من عمل الخيال - هذا على استثناء للصغار الذين تتزاحم الأخيلة والمشاهدات فى أخيلتهم فلا يعودون يميزون بينها ، ولا يفرقون بين ماهو واقع وما هو خيال وكم من فتاة اصرت على انها شهدت ابويها غداة زفافهما(١) ، وانها صحبتهما صحبة اكيدة مذ ارتبطا برباط الزواج . وكم من فتى - كذلك - جاء يلهث والعرق يتصبب من جبينه ، فالقى فى صيغة الجد والتأكيد انه رأى كيت وكيت من الوحوش ، وانه لولا اسراعه فى الهروب والنجاة لانتاشته بأنيابها وأظفارها . . . وهنا لابد من ملاحظة ، وهى أن على الوالدين والمربين فى مثل هذا الحال ألا يعمدوا الى تكذيب الصغار وتهويلهم وابداء الارتياب فيما يقصون ويصفون من حوادث داخلية نزلت عندهم منزلة الواقع ، فان فى ذلك من الاخطار والاخطاء التربوية مالا يخفى على أحد، وخير ما يصنعه الوالدون والمربون فى مثل هذا الاختلاط فى عقول الصغار أن يعمدوا الى الشرح والتعليل لا الى مجرد الانكار والتجهيل

لنا مما مر ان أحلام اليقظة هذه وقصور الخيال ظاهرة عقلية طبيعية ، فهى - لذلك - ليست من الاضرار كما توصف ، اذ هى فى الطفولة طور عادى ، وفى الرجولة وسيلة من وسائل اللهو البرىء والترفيه عن الشعور . لاسيما وان الفكر يحتاج فى ساعات فراغه الى ما يملأ هذا الفراغ ، وان المرء لابد عائد الى جد العمل حينما يستجم العقل ويزول الاعياء . أما الذين يتلكأون بالفكر والخيال عند حدود المنى والاحلام ويطيلون غيبة العقل عن أعمال الجد فهم قليل حقاً ولا يتخذ وجودهم دليلا الا على شذوذهم وهم بعد لو لم ينصرفوا الى هذه الاحلام العابثة لانصرفوا الى ما هو شر منها واخطر كتعاطى المسكرات وادمان المخدرات وخلاف هذه من وسائل تعطيل الحس واخماد الشعور

اديب عباسي

(١) هذا شيء سمعته من فتاة تصر عليه كل الاصرار

التجديد فى الأدب

بين المتطرفين والمحافظين

بقلم الاستاذ ادوار مرقص

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

كان الهلال قد نشر مقالين في التجديد في الأدب للأستاذين عبد العزيز البشرى وأمين الخولى ، وقد كان لهما أثر حسن في الاوساط الادبية وأرسل الكثيرون الينا معجبين بما تضمنه هذان المقالان من آراء . وقد جاءتنا من الاستاذ ادوار مرقص هذه الكلمة التي ننشرها فيما يلي

اطلعت فى احد اعداد الهلال الزاهر على ماكتبه الاستاذ عبد العزيز البشرى بعنوان «التجديد والمجددون» والاستاذ أمين الخولى بعنوان «... بل هى ثورات على علوم البلاغة» فرأيتهما على اختلافهما فى الاسلوب وتقسيم الموضوع متفقين فى جوهر البحث، وقوامه تخطئة المتطرفين فى مذهب القديم والمتطرفين فى مذهب الجديد من أدبنا العربى. وهو الامر الذى كنت وما زلت أنبه حملة الاقلام اليه منذ عشرين سنة أو اكثر. وجل ما أنويه فى مقالى هذا تأييد هذا المذهب المعتدل القويم مع ايراد شىء من التفصيل والتمثيل لمجمل النظريات التى أشار اليها الهلال. فان تلك النظريات المجملة على صوابها وسمو شأنها لا تشفى للقارىء غليلا بل تبقيه فى مجال حيرة من تقدير الامثلة للطرفين المستقبحين ومن رسم حدود وتخوم للخطة المثلى المعتدلة العادلة. والذى أنا ذاكره مأخوذ من كتابى «كفيل البيان والشعر» قلت :

«ان معايش الناس تختلف باختلاف أزمنتهم. وتختلف أذواقهم من بعض الوجوه باختلاف هذه المعايش. ومن ثم رأينا العرب لما استبحر عمرانهم فى صدر الدولة العباسية، وعرفوا من ترف المعيشة وطرقها ما لم يعرفه أسلافهم، واحتكوا بمظاهر جديدة من العمران والاجتماع ومصطلحاتهما، ومسالك دقيقة من السياسة والادارة، فتق هذا الطور الجديد لاذهان كبار مفكريهم معانى وتشبيهات حديثة ومنهجاً يخالف بمزية الاستقصاء فيه منهج من تقدمهم فى الجاهلية، ومن اتصل بها أو داناها فى صدر الاسلام، فظهر على شعر بشار بن برد وأبى نواس وأبى تمام والبحترى والمتنبى مسحة تلائم روح عصرهم، ولم يكن معهوداً مثلها فى شعر امرىء القيس والنابغة الذبيانى وزهير بن أبى سلمى المزنى، ولا فى شعر كعب بن زهير وحسان بن ثابت الانصارى وعبد الله بن رواحة بعدهم، ولا فى شعر الاخطل وجرير والفرزدق بعد هؤلاء. وانتبه علماء الشعر الى هذه المسحة وهم رواة القديم

من الشعر المعجبون المغرمون به، فانكروها وأنكروا البلاغة على أصحابها وكادوا يرمونهم بالعجمة. ولم يكونوا مصيبين فى اقامة النكير عليهم ولا على من جاء بعدهم من فحول الشعراء. فاذا وجدتهم يذمون تلك الاساليب الجديدة التى اقتضاها تحولهم الجديد — وعذرهم عدم امتزاج ذلك التغير الفجائى بنفوسهم — فهم غير مصيبين فى الحكم لان مراعاة الزمان والبيئة شيء لا محيص عنه

« ولو اقتصر حزب الاطلاق من أدبائنا اليوم على هذه المراعاة، لما وجدنا بأساً بها، بل لوجدناها ضربة لازب. فعندنا اليوم القطر الحديدية والبواخر والطيارات والسيارات عوض الابل والخيل. وعندنا تنافس الاوطان عوض تنافس القبائل والعشائر. وعندنا من مصطلحات المعيشة والدولة والعلم والفن ما لم يكن لأولئك الاسلاف عهد ببعضه

« وبناء على ذلك إذا جاء أديبنا كاتباً كان أم شاعراً بما يلائم هذا الطور الحديث، إذا تخلل تعابيره وجه اصطلاح علمى أو فنى أو سياسى يخالف ما وضع له أو نص عليه فى متن اللغة، اذا استعمل تشبيهاً أو تمثيلا يفهمه أبناء عصره ويعمل فى نفوسهم لانهم الفوا صورته الذهنية فى معيشتهم ومجتمعهم وان كان غريباً غير مفهوم عند أسلافهم القدماء، إذا استخدم فى كتاب يصنفه ترتيباً وتبويباً لفصوله ومباحثه وأسئلة وتمارين شتى على أثر كل فصل أو فصول يسيرة منه مما اختبر المتأخرون فائدته العظيمة ولم يكن المصنفون القدماء يعرفونه، إذا ترك عادة القدماء فى التغزل والنسيب بأوائل منظومات المديح والرثاء — قلنا اذا جاء أديبنا بهذه التعديلات وأمثالها فتألفت من مجموعها مسحة عصرية جديدة على ما ينثره وينظمه لم تكن معروفة عند المولدين، كما كان لاقلام المولدين أنفسهم مسحة جديدة بالنسبة الى أقلام من سبقهم مما تقدم منا بيانه، لم يجز للمنصف بيننا أن يقيم النكير على هذه التعديلات بل وجب عليه أن يقرها ويرحب بها باشاً مسروراً. ومن كان هذا شأنه فهو من حزب الاعتدال وهو فريق الحق والعقل والصواب. ومن أبى هذه المسحة الخفيفة فى أدبنا العربى مع ما يدعونا اليها من مقتضيات المكان والزمان، وانتقال أبناء اللغة العربية من طور الى طور، فهو من حزب التقيد والجمود بل من أهول الاعداء للغته وآداب لغته. وان حسب نفسه أكبر أنصارها. ومن تجاوز ما يقضى به طورنا الجديد من ذلك التعديل الخفيف الى ما يفوته شوطاً بعيداً، ومن تجاوز تلك الفروع والاغصان التى يمكننا ترتيبها وتشذيبها ومدها على ما يوافق ذوقنا وحاجتنا فلم يقنع بما ذكر بل أخذ المعول بيده وتصدى لجذع الشجرة نفسه فازاح طبقة أو طبقتين من قشوره، ثم احتفر ترابه حتى بلغ الجذور وأخذ يقطعها واحداً بعد واحد بحيث لا يبقى منها ما تقوم به حياة الشجرة وبضمن غذاءها ونماءها. وبعبارة أصرح: من لا يكتفى بالمسحة الجديدة الخفيفة بل ينبرى معتذراً بروح العصر، محتجاً بذوق أبناء العصر (وياليت مبدأه لم يأت عليه ظهر ولا عصر) للعبث بحق اللغة وقواعد اللغة وبيان اللغة غير عارف لها حرمة ولا حافظ

معها وداً ولا عهداً ، مورداً غوامض تشبيهات ومجازات لا يفهمها أنس ولا جن لانها أشبه الاشياء بهذيان محموم وخلط مجنون ، ويصيح بنا رافعاً رأسه تحدياً وتيهاً : « خذوه من يدى خيالا راقياً بل نعمة سابغة تزين أدبكم وتنير أذهانكم ولم يتمتع بمثالها أجدادكم » فيستقبله أنصاره وهم أجهل منه بتصفيق الاستحسان وهتاف الاعجاب . ثم يعرض على عيوننا وأسماعنا عبارات مفككة الاوصال متناكرة فى مفرداتها وجملها وقد قلبت للصرف والنحو ظهر المجن ، وسخرت بأوضاع اللغة حتى باستعمال الباء ومن وعن ، فيهز حزب الركاكة رأسه طرباً بل عجباً ويصرخ بملء شدقيه : « هكذا هكذا والا فلا لا .. لتكن النهضة الادبية الحقيقية والجرأة العصرية فى التخلص من قيود اللغة الثقيلة وبيانها القديم البالى ! ! » — من يفعل ذلك فهو من حزب الاطلاق والحرية أو حزب التجدد كما يسمى نفسه . وانما هو حزب الفوضى والركاكة كما يدفعه الحق فى جبهته . فقد جهل أو تجاهل ان البيان عند كل قوم — فى جملتهم الناطقون بالضاد — انما هو مبنى على الحق والجمال ، والحق والجمال لا يتغيران بتغير المكان والزمان والحال . وليس امام هذا الحزب الا أن يجحد هذه القاعدة الخالدة أو يجحد وجود حق وجمال فى شيء من آثار أسلافنا العرب . ولا يثبت له مدعاه إلا بأحد هذين الجحودين . وأما تمحله وتردده بين الجحودين واعتذاره بروح العصر فهو زور ونقد زائف فندناه وأخذنا عليه طريقه سلفاً حين بينا فى السطور السابقة مقدار التعديل الذى يقتضيه روح العصر عند انتقال الامة من طور إلى طور

« واذا كان حزب الجمود والتقييد الذى أسلفنا ذكره فالجاً للغة العربية يشلها عضواً فعضواً ثم يقضى عليها بالموت ولكن بعد مهلة من الزمان ، فان حزب الاطلاق وهو حزب الفوضى — التى يحسبها تجدداً — بمثابة السكتة القلبية لها يقتلها لساعتها إذا مكنه منها سائر أبنائها . والعياذ بالله »

ادوار مرقص

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

☆ قل لى ما هي الافكار التى تجول فى رءوس شبان هذا العصر ، أقل لك كيف تكون أخلاق الناس فى العصر القادم (برك)

☆ للشباب أجنحة تطير بصاحبها سريعاً فى بلاد الخيال ، فلا يرى أمامه الا الافراح والمسرات ولا يعلل نفسه الا بأطيب الامانى والتخيلات (بطلر)

☆ قد يظن الشاب نفسه حكيما كما يظن السكران نفسه صاحياً (تشسترفيلد)

☆ ان قوة الجماعة وسلامتها تتوقفان على الفضائل التى يتحلى بها شبانها (هاوز)

قصة الشهر

قابيل

رمز الشباب الثائر

عبرة هذه القصة التاريخية تتمثل في طبيعة الشباب وما يجنح اليه دائماً من حرية في الرأي والعمل، وثورة على التقاليد اذا قامت حائلا دون بغيته. فالفكرة فيها فكرة شاب يريد أن يفرض ارادته على سنن الحياة وانظمة البيئة، وهو يغالي في ذلك غير مبال الا بما يحقق رغائبه

حواء: اشرقت الشمس يا آدم

آدم: فلتشرق كما تشاء يا حواء!

حواء: ولكنك لم تنهض لترى البذور التي القيتها امس

آدم: مهلا يا حواء. اوه اسبقيني اليها، وسأوافيك عما قليل

حواء: اتريد ان تخدعني اليوم كما خدعتني امس؟. تقول اذهبي مع هابيل ريثما يذهب الندى ويجف الهواء، ثم تبقى حتى مغرب الشمس وأنت تتقلب وتتمطى وتتثاءب؟. كيف تتقي الجوع الذي يأكلنا مادمت تقضي النهار نائماً تحت ظلال الشجر؟

آدم: رفقاً بي يا حواء! فقد اجهدتني الايام واضنتني الليالي

حواء: هكذا أنت يا آدم!.. تنام ملء جفنيك وتشكو السهر، وتستلقي طول نهارك وتشكو التعب..

(ينهض آدم من نومه)

آدم: حرام عليك يا حواء!. ألا ترينني منذ طردت من الجنة وأنا اقضي الليل الساهر قائماً لله تكفيراً عما أتت يداي، وأمضي النهار الناصب اشق الارض الضنينة القاحلة؟

حواء: وهل أنت تقاسي من الالم والندم أكثر مما أقاسي؟ أم هل انت تحمل من الجهد والنصب اكثر مما أحمل؟ لو رأيتني وأنا أقدم القرابين والدموع تنهمر على وجهي جارية غزيرة، والزفرات تتعالى من قلبي حارة عميقة، لعرفت كيف تكون مرارة الاسى وحرارة الندم. ولو رأيتني أمس وأنا أشق الارض واجمع العشب وأسقي النبت، والشمس اللاهبة تسفعني لعرفت كيف تكون اللقمة القاسية والجرعة المريرة..!

آدم : هكذا فرض علينا يا حواء ! . . ولكن يا الهى الا يقف غضبك علينا عند هذا ؟ !

حواء : ويحك ! . . أهناك شيء بعد هذا ؟ !

آدم : قابيل يا حواء !

حواء : ابنى قابيل ! . .

آدم : يخيل الى ان ابليس يريده على أمر أدهى مما أرادنى عليه . ألم تسمعيه حين قال : « سأحطم الفأس واستل السكين » ؟

حواء : وأى شيء فى هذا ؟ . لقد شق عليه العمل فى الارض

آدم : بل لقد نفث الشيطان فى قلبه

حواء : لا يا آدم . انما هى كلمة طائشة

آدم : بل هى خطيئة أخرى . وسوف تبدى لك الايام أمرها . لقد بدأت خطيئتنا بفكرة طرأت دون عمد أو تقدير ، ولكنها لم تلبث أن صارت خاطراً يملأ الذهن فى اليقظة والنوم ، ثم كانت خطيئة حرمتنا الجنة الراضية والقت بنا إلى الحياة الشقية . وهكذا تبدأ الخطيئة وهكذا تنمو

حواء : لقد كانت من ورائنا حية توسوس لنا

آدم : ومن يدريك أن قابيل بمأمن من الحية ؟ . دعينى أقص عليك حلماً مروعاً رأيته منذ ليال : رأيت قابيل وهابيل يجريان معاً فوق أعشاب الارض ، ومع هابيل حمل ابيض سمين ، ومع أخيه حمل اسود اعجف . وبينما هما يجريان اعترضهما ظبى جميل رشيق ، ولكنه منكر الصوت ، كأنه صوت الحية الرجيمة !

وقال الظبى لقابيل : « انت أكبر من أخيك وأقوى ، فخذ منه الحمل السمين ودع له الحمل الهزيل » . ولم أر ما حدث بعد هذا ، ولكنى رأيت هابيل ملقى على الارض يئن ويتأوه ، ورأيت قابيل يجرى هنا وهناك ، ومن بين أصابعه تسيل قطرات من الدم . .

حواء : رحماك يا إلهى ! . . ان لم تكف الصلوات التى ارتلها فى قرارة نفسى آناء الليل وأطراف النهار ، فلتقبض هذا النفس المتردد فى صدرى ، ولتسفح هذا الدم المنساب فى عروقى . . ودع قابيل وهابيل أخوين متوادين متحابين

(تدخل عادة تحمل نسراً قتيلا)

عادة : انظرى يا أمى

حواء : ما هذا يا عادة ؟

عادة : نسر أخذته من قابيل

آدم : نسر ! . . ماله لا يتحرك ولا ينقض ؟ !(١)

(١) التقيض صوت النسر

عادة : لست أدرى ، فقد وضعته على الارض ودفعته بيدى فلم يجر ولم يزحف أو يسطو

حواء : مالجناحه يتحرك هكذا ؟ . ضع يدك عليه يا آدم تشعر ببرودته وصلابته . وما هذا ؟ . . ان فى صدره فجوة ترعف بالدم !

آدم : اتدرين ماهذا يا حواء ؟ . . هذا نسر مقتول !

حواء : نسر مقتول ! . . قتله قابيل !

آدم : ألم أقل لك ان ابليس يريده على خطيئة أخرى ؟

وتنصرف عادة

(يدخل قابيل)

آدم : ويحك يا بنى ! . اين لقيك ابليس ! ؟

قابيل : لقينى ابليس ! — آدم : ماذا نفث اللعين فى قلبك ؟

قابيل : نفث فى قلبى ! — حواء : أهذه بداية حلم أبيك ؟

قابيل : حلم أبى ! . . لست أفهم من حديثكما شيئا أفلا تفصحان ؟

آدم : اسمع يا بنى . ألم يأمرنا الخالق الا نبسط أيدينا بالاذى الى الطير والحيوان ؟

قابيل : أمر من يا أبى ؟

آدم : أمرنى قبل أن نطرد من الجنة . قال الخالق : « اياك وإيذاء الطير والحيوان فان لهـا كما لك انفاساً ودماء »

قابيل : وهل عصيت أمره يا أبى ؟

آدم : ألم تقتل النسر يا بنى ؟

قابيل : نعم قتلته . وهل على ان أأتمر بما أمرت انت به ؟

آدم : نعم يا بنى . ما احل لى أحل لك ، وما حرم على حرم عليك

حواء : لانك ولدنا

آدم : لانك خلقت من هذا الدم الذى دفق من صلب أبيك وترائب امك

قابيل : ما معنى هذا ؟

آدم : معنى هذا ان الله وقد صورك على مثال صورتى — وكان فى وسعه ان ينشئك خلقا آخر — انما يريد ان يسوى بينى وبينك فى كل شىء . انه لم يزدك ولم ينقصك عنى عضواً لانه يريدك ألا تعمل اكثر ولا اقل مما اعمل . تأمل يا بنى قليلا . لك كما لى عينان لئلا تتطلع الى افق اوسع أو أضيق مما اتطلع اليه ، ولك كما لى اذنان لئلا تستمع الى صوت أعلى او أخفت مما استمع اليه ، ولك كما لى فم واحد لئلا تمضغ من الطعام اكثر أو أقل مما أمضغ . لم يجعل الخالق أحدنا عملاقا مارداً

والآخر قزماً قميئا . لماذا ؟ لئلا يقوى احدنا على عمل ينوء به الآخر ، ولئلا ينفرد أحـدنا بلذة يقصر دونها الثاني . .

قابيل : ولكن ألا تجد فارقا بيني وبينك ؟ انت شيخ ، وأنا شاب

آدم : هذه يا بني ادوار العمر . وقد كنت يوما شاباً معتمل الظهر صلب الاجلاد ، وستصير انت يوما ما شيخاً فاني البنية متخاذل السواعد

قابيل : نعم العمر ادوار متعاقبة ولكل دور آراؤه واعماله . فانت الآن في شيخوختك لا تفكر كما كنت تفكر في رجولتك او شبابك

حواء : صدقت يا قابيل . فقد كان ابوك في شبابه جريئا نشيطا . اما الآن فيريد ان يضطجع تحت الشجر حتى آتيه بطعامه . .

قابيل : وكما ان اطوار الجسم تختلف من سن الى سن ، فكذلك العقل يتخذ نحوا خاصا في كل دور من أدوار العمر

آدم : فلنفكر كما نشاء ، ولنعمل ما نريد . ولكن علينا أن نأتمر بما أمرنا به ، وننتهي عما نهينا عنه

قابيل : إذا كنت لا أفكر في طفولتي كما أفكر في كهولتي ، فكيف يفرض على أمر واحد في كلتا الحالتين ؟

آدم : هذه الاوامر والنواهي فرضت علينا دائماً أبداً

قابيل : لا فرق بين مسن وناشيء ، ولا بين رجل وامرأة ؟

آدم : نعم . لا فرق بين آدم وزوجته حواء ، ولا بين قابيل وأخته ظلة ، ولا فرق بينك وبين ولدك اينوح . كلنا يجب أن يخضع لهذه القواعد المفروضة من يوم أن خلقنا الى يوم ان نفنى

قابيل : وكيف تنتظم الحياة وفق هذا ؟

آدم : بل كيف تنتظم الحياة إن لم تكن هكذا ؟ لقد مررت بأدوار العمر جميعها فوجدت بينها شيئاً مشتركا . وهو أننا لن نرضى ولن نطمئن إلا إذا خضعنا لما فرضه الخالق علينا

قابيل : إذا كان الامر كذلك فلم أتبرم وأتمرد حين أحمل الفأس التي فرض على حملها ، ولم ابتهج وأغتبط حين ألقي بها مخالفا ما أمرت به ؟

آدم : هكذا يزين ابليس المعاصي

قابيل : فلتكن هذه معصية ! وأنت هل تحيد عن الطريق المرسومة ؟

آدم : لماذا يابني ؟ أتراني أهمل الصلاة أو آتي محرما ؟

قابيل : لست أدري . ولكن إذا كنت تخضع لهذه الاوامر والنواهي فلماذا أراك دائماً أبداً تشكو العمل وتضيق بالحياة ؟

(يصمت ادم)

قابيل : يخيل إلى يا أبى أنا لن نرضى بالحياة ولن نطمئن اليها إلا إذا عصينا هذه القواعد

حواء : ويحك يا بنى ! انك تتكلم الآن كما كان يتكلم أبوك أمام الشجرة المحرمة

قابيل : يا أمي لقد بلغ أبى من الكبر عتيا ، فلم لا يحط الفأس عن كاهله ويأتى معى الى الغابة نصيد طيرها وحيوانها ؟

حواء : ألم يكفك يا قابيل ما قارف أبوك ، فجئت تغريه ان يأثم مرة أخرى ؟

قابيل : أما زلت تذكرين تلك التى تسمينها خطيئة ؟

حواء : وهل نسيتها يا قابيل ؟

قابيل : ولم لا أنساها ؟ ان الحاضر الذى أحياه ينسينى الماضى الذى عق

آدم : كيف ينسيك هذا الحاضر الشقى ذلك الماضى الرضى ؟

حواء : هل أنستك الجنة تلك اللقمة التى لا تجدها الا بعد العمل المضنى والصبر الطويل ؟

آدم : كيف تنسى الماضى وهو يمثل فى اذهاننا كلما حملنا الفأس فى الصباح الباكر ، وكلما ضربنا بها الارض فى الاصيل اللافح ، وكلما القينا بها متعبين فى الليل الداجى ؟

قابيل : نسيت الماضى بأن عشت فى الحاضر كما اريد . وجدت تلك الفأس تكدنى وتجهدنى فالقيتها وذهبت الى الغابة اقتل طيرها وحيوانها واطعم من ذلك اللحم الشهى . وبهذا لا آسى على الماضى ولا اضيق بالحاضر

آدم : عجبا لك يا بنى ! أتنسى خطيئتك الاولى تقارف خطيئة أخرى ؟

قابيل : لست أرى فى الامر خطيئة . نحن نشقى بالعمل فى الارض سعياً وراء لقمة نستطيع ان نأتى بها دون هذا الجهد العسير ، فلم لا نريح أنفسنا مما يكدها ويهدها ، ولم لا نأتى بهذه اللقمة من طريق ممهد ميسور ؟

آدم : هذه نفثة الشيطان فى صدرك يا بنى

حواء : يا إلهى ! لم سلطت علينا هذا العدو الرجيم

آدم : أما زلت يا إبليس توغر الصدور وتحيك الشباك ؟

قابيل : لست أعرف هذا الشيطان الذى تتحدثان عنه ولكنى «أفكر» فاوثر شيئا وأمقت شيئا

آدم : عند ما وسوس لى الشيطان أمام الشجرة المحرمة كنت اوهم نفسى بأنى «افكر» ولكنى عرفت فيما بعد أن هذا الذى نسميه «تفكيراً» ، ليس إلا نفثة الشيطان فى قلوبنا الضعيفة

حواء : عرفنا ذلك بعد ان طردنا من الجنة

قابيل : انى أبحث عن هذا الشيطان المزعوم فلا أجد له أثراً فى نفسى . ولست ارى الا ان الفأس تكدنى فالقيها ، والسكين تريحنى فاسنها

آدم : حين وقفت أمام شجرة الحنطة كان رأسي يتوهج بفكرة أقوى وأوضح من تلك التي تأخذ عليك نواحي عقلك . فهل تدرى أن هذه الفكرة تتراءى لي اليوم مظلمة منكرة ؟ وهل تدرى أنى اليوم أعجب كيف كنت أظن هذه النزوة الطائشة فكرة صائبة ؟

حواء : أخشى عليك يا بنى أن تندم على الفأس التي ألقيتها

قابيل : ربما تظهر لي الأيام المقبلة أنى أخطأت التفكير ، ولكن هل يمنعنى هذا عن التفكير قدر ما أستطيع ؟

آدم : صدقنى يابنى أن ليس هناك شئ اسمه التفكير ، وإنما هناك شئ اسمه الشيطان يستضعف الإنسان تارة فيوسوس له ، ويستقويه تارة فيحاذره ويخشاه

قابيل : وهل أنا ضعيف لين ؟

آدم : يخيل إلى ذلك

قابيل : لست أرى ذلك يا أبى . فإنى أندفع وسط الأشجار الكثيفة السامقة حيث أنقض على الطير الجارح والوحش الكاسر ، وأغمد هذه السكين في صدره فلا أدعه إلا وقد سفحت دمه وأهمدت جثته

آدم : أقصد ضعف القلب

قابيل : وهل قوى الجسم يكون ضعيف القلب ؟

آدم : يبدو لي ذلك . فعند ما كنت فارع القوام مشدود السواعد استضعف ابليس قلبي ونفذ إليه . ولما تهدم جسمي وتراخت أطرافي قوى قلبي فاستعصى على ابليس

قابيل : بل لقد كنت قوى القلب حين أكلت الثمرة المحرمة دون أن تخشى ما ينالك من عقاب أو عذاب . وأنت الآن ضعيف القلب لأنك تحرم نفسك ما تأهل به الحياة من متع خشية ما قد يصيبك من أذى أو سوء

حواء : كيف يكون قوياً من تفتنه نفثة الشيطان عن أمر الله ! وكيف يكون ضعيفا من يزع نفسه عن لذاتها تكفيراً عما سلف منه ، وامتثالا لما فرض عليه ؟

قابيل : إذا فرضنا المروق في كل من يلتمس الحياة الطيبة ، وفرضنا الطاعة في كل من يأخذ نفسه بالخضوع والاستكانة ، فلم لا أكون مارقا عاصيا ؟

آدم : ألا تطيب لك الحياة إلا إذا سفكت الدم ونهشت اللحم ؟

قابيل : وهل تطيب الحياة إذا أذويت في جسمي ، وأطفأت قلبي . وألغيت عقلي ؟

حواء : ما أطيب الحياة التي ترضى الخالق يا بنى !

قابيل : وهل تلك الفأس ترضيه ، وهذه السكين تغضبه . أيرضيه أن آكل من حشائش الأرض

كما تاكل الانعام السائبة ، ويغضبه ان أحيا قويا جريئاً مجازفا ! وما فائدتنا نحن من ذلك ؟ انك يا أبي لم تدع الفاس يوما واحداً منذ هبطت الى الارض . فاذا لقيت الا الكدح والضيق والتبرم ؟ أرى جسمك يضعف ويذوى ويشيخ ، وأرى قلبك يركد وينفر وينقبض ، وأرى عقلك يهن ويهرم ويضيق . أما انا فأرى أن كل يوم يمر بى يشد قواى وينميها ، ويشب عواطفى ويثيرها ، ويرهف أفكارى وينيرها . لماذا ؟ لانى لا أقضى أيامى متطلعا الى تلك الارض الغبراء حيث أرى اليوم ما رأيته بالامس وما أراه الغد ، ولا اقضى ليالى سجينا فى ذلك الكهف المظلم ارتل ما ارتله دائما ابداً من كلمات تافهة فارغة . وانما اجرى هنا وهناك ، تارة وسط اشجار الغابة واعشابها ، وتارة على ضفاف النهر الملىء بالاسماك والتماسيح ، وتارة ارتقى الجبل حتى ابلغ ذروته الذاهبة فى السماء . وبهذا صرت اعرف كل ما يحيط بى من شتى الاشجار وما تحمل من زهر وثمر . واعرف كل ما يجوس خلال هذه الاشجار من مختلف الحيوان والطير ، حتى السمك السابح فى اغوار الماء لم يفتنى أن انهش من لحمه الطرى . هبنى يا أبى قضيت العمر عبداً للناس ففيم يفكر هذا العقل وبم يشعر هذا القلب ، وكيف يتمتع هذا الجسم ؟. عندما كنت طفلا كنت أقف عند حافة الغابة دون ان انسل بين اشجارها خشية الوحوش والزواحف ، وكنت اقف على شاطىء النهر دون أن القى بنفسى بين لججه خشية التماسيح والاسماك الضخمة ، أما الآن فأنا قوى جرىء ، وبيدى هذه السكين التى يخشاها كل حيوان ، فلماذا ابقى طفلا يتوق إلى المتعة ويقف دونها محسورا ؟ . لا يا أبى انك حين تريدنى على أن ابقى إلى جانبك فى هذه البقعة الضيقة من الارض انما تريدنى على أمر كنت أطيقه مرغماً عندما كنت طفلا ضعيفاً خائفا ، ولكن أطيقه عندما أصير شيخاً فانيا محاذراً . أما ولى هذا الجسم المفتول ، وهذا العقل المتشوف فلا سبيل الى ذلك

(يدخل هابيل)

آدم : ابغرك يابنى ما أنت فيه من قوة ؟

هابيل : أضحى النهار ولم تنهضوا لرى الارض !

حواء : مهلا . .

هابيل : ماذا جد ؟ . مالك يا أبى حاسر الرأس مهموم الفؤاد ؟

حواء : لانى، يا هابيل

آدم : ألا ترى مابين يديك ؟ نسر مقتول !

هابيل : نسر مقتول ! . كيف قتل ؟ . من قتله ؟

آدم : أخوك قابيل

حواء : أخوك الذى القى الفأس واتخذ سكينا من الحجر الصلد

هابيل : ويحك يا أخى ! . . أتقتل حيوانا يجرى فيه ما يجرى فيك من دم ؟

قابيل : ولم لا أقتله ؟ . لم لا أقتله وانعم بلحمه الشهى ؟

هابيل : ماذا بك يا قابيل ؟ اهكذا يغويك الشيطان ؟

قابيل : لست أعرف هذا الشيطان الذى تذكره ويذكره ابى وأمى !

هابيل : اذاً ما الذى أضلك عن أمر الخالق ؟

قابيل : لست أدرى . ولكنى لا أفعل اكثر من أن أرضى ما يجيش بجسمى من قوى ، وما يجول برأسى من آراء ، وما يضطرب فى قلبى من مشاعر . لقد وجدت الفأس تذوى قواى وتحد بفكيرى فألقيتها ، وقد اعود اليها عندما أضعف عن عراك الوحش وسفح الدم

هابيل : الهى ! الا نعرف الخطيئة إلا بعد أن نقارفها ؟

قابيل : فلتكن هذه خطيئة . وهل فى وسعنا أن نحيا الحياة الطيبة دون أن نأثم ونذنب ؟

هابيل : عجباً . ! وهل فى وسعك أن تحيا الحياة الطيبة اذا حدت عن أمر الله ؟

قابيل : لو أخذت نفسى بالخضوع لما فرض على لقضيت العمر كله اشقى وأقسى

هابيل : كيف ذلك يا أخى ؟

قابيل : فكر معى ياهابيل ، ولا تغضب اذا صارحتك الامر . هذه أختى عادة حين ادنو الى وجهها الحلو الجميل ، وحين أصغى الى حديثها العذب المرح ، أحس أن الحياة التى نحياها فيها مشابه من الجنة التى يصفها ابى وأمى . وهذه أختك ظلة أضيق بها حين اراها تجلس الساعات الطويلة مكتئبة مهمومة : فاذا تحدثت فلتشكو أوصاب الحياة وآلامها . ولكن على مع هذا أن ادع لك عادة التى أحبها ، وان أجعل ظلة شريكة حياتى

هابيل : نعم هذا أمر الخالق

قابيل : ولكنى لن أخضع له . لانى لا أريد أن أحيا شقياً والسعادة فى يدى

هابيل : أنبيع رضاء الله بمتعة عارضة ؟

قابيل : هذا ما يقوله ابى وأمي . وهما من هذا يصدران عن عقيدة يثبتها فى قلوبهما مر السنين ويقوى دعائمها ضعف الهرم . وأنت كذلك تدافع عن هذه السنن المفروضة لانك تصيب من ورائها شيئاً لست أهلا له

آدم : الحلم يا حواء !

حواء : انى ! اقتل من الحيوان كيف تشاء ، ولكن دع عادة وظلة بعيدتين عن خطاياك

قابيل : ولكنى أريد أن اتزوج عادة

آدم : قابيل . . عادة أختك لا زوجتك

هابيل : وإذا تزوجت عادة فمن أتزوج ؟

قابيل : تزوج من تشاء . ولكنى لا أريد ان أشقى لتنعم أنت !

آدم : افعل يا بني ما بدا لك ، وعقابك يوم أن تلقى خالقك . أما أن تشرك ابنتى فيما تأتى من نكر أثيم فهذا مالا أبيحه لك

قابيل : ولكن عادة تريد أن تشاركنى هذا الاثم

هابيل : أغريتها . . .

قابيل : لم اغرها . وان لها عينا ترانى وتراك

هابيل : وماذا ترى ؟

قابيل : ترانى قوى البنية فارع القامة ، وتراك كأنك شيخ محنى الظهر من طول ماحملت الفأس

هابيل : امر الخالق قبل البنية والقامة

قابيل : ولكن عادة لا تريد أن تشقى

آدم : ومن يدريك أن هذا يشقيها ؟

قابيل : هي . .

حواء : قابيل . .

قابيل : فلأسار حكم الامر جميعا . لقد لقيتنى عادة وأنا آكل لحماً ، فناولتها بعضا منه فأكلته وقالت : « لم حرم الله علينا هذا اللحم الشهى ؟ » قلت : « كما حرم على أن أتزوج منك » فقالت : « إذا كنت قد أحللت لنفسك قتل الحيوان فلم لا تحل لها زواجك منى ؟ » . عند هذا عقدت العزم على أن أكون لها

آدم : ولكنى لا أبيح لكما هذا

هابيل : أتعدو على حق يا قابيل !

قابيل : ماذا ! أبى ، انت شيخ تقبل على الموت فكيف تريدنى على ان آخذ رأيك لأسير عليه خلال حياة طويلة ما زلت فى صدرها ! تقول هذه أوامر مفروضة . قل لى كيف اخضع لها وهي تبيح للضعيف ان ينعم ويهنأ ، وتفرض على القوى أن يشقى ويقاسى؟ . ان القواعد التى تعطى الخامل اجمل ما فى الحياة وتدع للجرىء قشورها والياقها يجب ان اثور عليها واحطمها . وان الذى يجوس خلال الغابة ليلقى كواسرها سعيا وراء قطعة من لحم ، لن يرضى ان ينغص عليه الحياة احد ولو كان اباه او اخاه . فتنح عن طريقى يا هابيل . . . (يغمد السكين فى صدر هابيل)

حواء : أبنى . . هابيل . .

آدم : هكذا ينتصر ابليس الرجيم (تطل عادة من وراء الشجر)

عادة : بل هكذا يثور الشاب القوى

عبد الحميد عبد الغنى

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

آداب الصحافة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة سكريبنر . بقلم باول هتشنسون]

تختلف آداب الصحافة باختلاف أمزجة البلاد التي تظهر فيها الصحف . ففي الولايات المتحدة مثلا يجوز للصحافي أن يخوض في وصف الجرائم وأن ينشر من تفصيلاتها ما قد يساعد المجرم على اتخاذ الاحتياط ، إذ قد تنشر الصحف أخباراً تدل على الجهود التي يبذلها البوليس لاكتشاف سر الجريمة وعلى اتجاه تلك الجهود . ولا شك أن إذاعة أخبار كهذه ليست في مصلحة العدالة ولا في مصلحة المتهم نفسه اذ كثيراً ما تستفز غضب الجمهور فيحكم عليه قبل أن يحكم عليه القضاء . وفي هذا من الفوضى ما فيه ، وقد يكون سببه رجال الأمن أنفسهم . والمعروف عن الصحف الاميركية أنها تستمد تفاصيل الجرائم من رجال البوليس أنفسهم . وكثيراً ما يتنافس هؤلاء في اعطاء الصحف بيانات ومعلومات عن جرائم هي موضوع لغط الجمهور ، ولا غاية لهم من ذلك الا أن تذكر الصحف أسماءهم وأعمالهم . على أن فيما تنشره تلك الصحف من الاخبار والتفاصيل ما يشبه الحكم على المتهم

وليس مثل هذا الامر جائزاً في انجلترا مثلا . فان المباحث التي يقوم بها البوليس هنالك والاخبار التي يتولى جمعها تبقى سراً دفيناً لا يجوز للصحف نشرها . فضلا عن ان الاعمال التي يقوم بها البوليس ترمي الى عدم اضاعة الوقت ، لان « الاجراءات » الطويلة المملة هي أكبر عون للمجرم على اخفاء معالم جريمته

ومما يجدر بالذكر أن جماعة من المحامين الاميركيين أرادوا منذ عهد قريب زيارة المحامين الانجليز بمدينة لندن زيارة رسمية وعقد مؤتمر معهم . واتفق أنه في اليوم الذي غادر فيه الاميركيون ميناء نيويورك وقعت في انجلترا جريمة هائلة أقامت الناس وأقعدتهم وكانت محور أحاديثهم . وما وصل المحامون الاميركيون الى ميناء سوثمبتون بانجلترا (وكان ذلك في يوم سبت) حتى كان رجال البوليس قد قبضوا على المتهم . وفي يومي الاثنين والثلثاء التاليين حوكم هذا المتهم

وفى عصر يوم الثلاثاء نفسه صدر عليه الحكم . وفى يوم الخميس استأنف المحكوم عليه الحكم وفى اليوم عينه صدر حكم محكمة الاستئناف . ولما عاد المحامون الاميركيون الى بلادهم فى آخر الاسبوع كان حكم الموت شنقاً قد نفذ فى المجرم

وليست العبرة فى هذا الحادث بالاسراع فى المحاكمة ، بل بعدم اضاعة الوقت سدى لان ذلك مما يساعد المجرم على اضاعة معالم الجريمة وعلى اتخاذ الاحتياطات التى تجعل مهمة البوليس شاقة . وهنالك غرض آخر من الاتجاه الى السرعة وهو عدم اتاحة الفرصة للصحف لتخوض فى تفاصيل الجرائم على وجه تضيع معه الحقيقة ، وللصحف آداب تردعها عن استغلال الجرائم لمدح بعض الرجال الذين لهم علاقة باستقصاء الجرائم ومطاردة مرتكبيها . وهى تمتنع عن نشر الاخبار أو الصور التى لا يراد منها سوى خدمة بعض الاشخاص . وليس ذلك فقط بل تمتنع بتاتاً عن نشر ماقد يعن لها من الآراء فى شأن أية جريمة من الجرائم لان ابداء الآراء انما هو من شأن القضاء فقط

ومما يدل على قدسية العدل فى نظر القوم أنه يجوز للقاضى الانجليزى أن يأمر بسجن أى صحافى ينشر أخباراً خاصة بجريمة من الجرائم . ومما يذكر من هذا القبيل أن جريمة قتل وقعت فى انجلترا منذ بضع سنوات وكانت ضحيتها فتاة تدعى مس كاى . واتهم البوليس رجلا يدعى ماهون وقبض عليه . ونشرت ثلاث صحف انجليزية خبراً مؤداه أن المتهم كان قد اتخذ اسما غير اسمه الحقيقى وأنه قدم الى القتيلة عدة هدايا موهماً اياها أنه سيتزوجها . ومع أن هـذا الخبر كان صحيحاً كما ثبت فيما بعد فقد حكم على تلك الصحف بغرامات مالية باهظة بحجة أن الخبر الذى نشرته قبل محاكمة المتهم أحفظ الجمهور عليه . وجاء فى ذلك الحكم تحذير شديد مع التهديد بسجن محرر الجريدة التى تعود الى نشر شىء من ذلك . وكذلك صدر الحكم بغرامة باهظة على جريدة أخرى نشرت حديثاً لاحد مخبريها مع أحد شهود الاثبات فى تلك القضية

ووقعت منذ عهد قريب جريمة أخرى فى انجلترا خلاصتها أن رجلا يدعى « راوز » خنق رجلا آخر ثم وضعه فى أوتوموبيله وأضرم النار فى الاوتوموبيل ليوهم رجال البوليس أن القتيل مات احتراقا . وبينما البوليس يستقصى أسرار الجريمة وقعت فى انجلترا جريمة أخرى شبيهة بها تماماً ، فنشرت احدى الصحف خبر هذه الجريمة من دون أى تعليق ولم تقل أكثر من أن البوليس عثر على فلان وقد احترق فى أوتوموبيله . والخبر على هـذه الصورة ليس فيه حرج ولكن عنوان الخبر كان هكذا : «جريمة أخرى يراد سترها باحراق الاوتوموبيل » ولا حاجة الى القول أن فى هذا العنوان تلميحا الى جناية « راوز » مما قد يؤثر فى حكم المحكمة ، وبناء عليه صدر حكم قاس على الجريدة التى نشرت ذلك العنوان

وصدر حكم على جريدة أخرى لانها نشرت صورة كتاب بعث به المتهم الى رجل آخر . وفى هذا الكتاب اثبات للتهمة الموجهة الى المتهم

والمجال يضيق بنا إذا أردنا ايراد الامثلة على آداب الصحافة فى أكثر بلاد العالم . ومما لا جدال فيه أن هنالك صحفاً كثيرة لا تراعى تلك الآداب وليس ثمة قيود تردعها عن نشر ما تريده من أنباء الجرائم بقصد السبق فى الاخبار . الا أن العرف والذوق والآداب الصحافية لمن أشد الروادع للصحف فى بعض البلاد المتمدنة . وهى التى تقيد الكتاب والمنشئين وتمنعهم من الكلام على أمور ليست من شأنهم بل من شأن السلطات القضائية

ومما يجدر بالذكر أن للقضاة فى المحاكم ــ حتى فى الولايات المتحدة ــ سلطاناً مطلقا لاينازعهم اياه احد . وقد اصدر اولئك القضاة احكاماً رادعة على من يخوضون فى أحاديث وقضايا معروضة على المحاكم ولم يقل فيها القضاء كلمته . على ان جمهور الكتاب يجب أن يشعروا بالواجب المفروض عليهم بازاء تلك القضايا وأن يكون لهم من آداب الصحافة رادع يردعهم إذ ليس من الكرامة فى شىء أن يتصدى لهم القضاء ويردعهم بأحكامه القاسية

مشكلة زواج المتعلمات

[خلاصه مقالة نشرت فى مجلة نيويورك
تايمس مجازين . بقلم باول بوبنو]

تدل الاحصاءات على أن عدد المواليد من الذكور يكاد يكون مساويا لعدد المواليد من الاناث ، ومع ذلك فمسألة الزواج مشكلة معقدة بسبب ندرة الازواج من الرجال وقلة عدد الذين يقدمون منهم على الزواج . وليست هذه المشكلة ناشئة عن عوامل بيولوجيــة . بل عن عوامل أخرى لا يتسع لها هذا المجال . مع أن هنالك عاملا بيولوجيا لا يمكن اغفاله . وهو اختلاف خلق الرجل عن خلق المرأة وزيادة عدد الذكور على عدد الاناث . وفى الحقيقة أن عدد النوابغ والعباقرة أكثر بين الرجال منه بين النساء . وكذلك عدد المجانين والمتوهين . وهــذا ثابت من الاحصاءات التى يمكن التعويل عليها ومن شهادة التاريخ . وهى دليل على زيادة تنوع القوى العقلية والادبية بين الذكور على ذلك التنوع بين الاناث . ولا يخفى أن ضعاف العقول والمجانين والمتوهين (وعددهم كما قلنا أكثر بين الرجال منه بين النساء) لا يدخلون فى حسابنا . وهذا وحده يكفى لتعقيد مشكلة الزواج . على أن أهم الاسباب الناشئة عنها هذه المشكلة هي الآتى بيانها :

(١) ميل الرجل الطبيعى الى الاقتران بامرأة دونه فى الذكاء والقوى العقلية بوجه الاجمال

(٢) ميل الرجل الى الاقتران بفتاة أصغر منه سناً

(٣) أن الكثيرات من الفتيات يتعلمن تعليما عالياً يصرف أفكارهن فى أحيان كثيرة عن الزواج

فهذه الاسباب الثلاثة عامة لا خاصة . أي أنها تنطبق على جميع البلاد المتمدنة بوجه الاجمال ولا تقتصر على بلاد معينة . وفي امكاننا أن ندركها بجلاء إذا تذكرنا أن مشكلة الزواج أشد بروزاً بين المتعلمين منها بين غير المتعلمين ، وأشد وطأة على الفتيات منها على الشبان . وتدل السجلات التي تحتفظ بها الكليات والجامعات في أوربا وأميركا على أن عدد خريجاتها اللواتي يمتن عازبات يختلف من الربع إلى النصف . وهذا دليل قاطع على أن اكبر الحيف واقع على الفتيات المتعلمات بل ان الضرر واقع على الاجتماع بوجه عام ، لان أولئك الفتيات الراقيات يجب أن يصبحن أمهات لخير الاجتماع ولكنهن يمتن ويا للاسف عازبات

وغني عن البيان أن اكثر خريجات المدارس الكلية والجامعة يسعين للعمل بعد خروجهن من مدارسهن . وأكثرهن يحترفن التعليم والتمريض ومهناً أخرى محصورة . وأمثال هذه المهن قلما يوجد فيها ذكور أعزاب . أما المهن التي يوجد فيها أعزاب وتكثر فيها الفتيات العازبات فقلما تكون ميداناً صالحاً للزواج لان الفتيات فيها هن منافسات للشبان فهن مضطرات إلى الوقوف معهم موقف الند للند وهو موقف لا يصلح لعقد صفقات الزواج !

ولا يخفى أن أكثر الشبان الذين يريدون أن يتزوجوا لا يميلون إلى الفتاة ذات الارادة القوية المحبة لنفسها المتمسكة بالسلطة المطلقة ، بل يفضلون عليها الفتاة التي تحسن التملق والاطراء ،فان ذلك يوافق هوى نفوسهم وغرورهم . وعليه فالفتاة المتعلمة التي تعمل في إدارة شركة من الشركات إذا دعاها أحد موظفي تلك الشركة الى العشاء ، فالارجح أن يتناول حديثها ذكرياتها المدرسية وما نالته من نجاح في عهد الدراسة ، فيصغي اليها الشاب على مضض وملل ، وبدلا من أن يكرر لها الدعوة فيما بعد يتجاهلها ويبتعد عنها بقدر الامكان فتكون تلك الفرصة الاولى والاخيرة ويضيع كل أمل لتلك الفتاة باقتناص ذلك الشاب

قابل بها فتاة بسيطة تشتغل في تلك الشركة عينها على الآلة الكاتبة ولا تتناول سوى أجر بسيط وهي من غير خريجات الكليات أو الجامعات . فقد يدعوها أحد موظفي الشركة لتناول الغداء أو العشاء فتقبل الدعوة شاكرة مغتبطة . وبدلا من وقر سمعه بحكايات عن نفسها وعما وقع ويقع لها تطلب منه أن يخبرها عن أعماله وسيرته الماضية . فيندفع في الحديث وهو يعتقد أنها مسرورة بما تسمعه منه . وتكون النتيجة أنه يقول لاصدقائه في اليوم التالي إنه لم ير قط في حياته فتاة أذكى منها . ولا تنقضي سحابة ذلك اليوم حتى يكون قد عزم في قرارة نفسه أن يتخذها شريكة الحياة

أضف الى ما تقدم أن الفتاة المتعلمة تشترط فيمن يتقدم لطلب يدها أن يجمع من الشباب وجمال الخلق والخلق والثروة مالم يهبه الله لمخلوق . وهي لكثرة ترددها على دور السينما ومطالعتها

الروايات تريد أن يكون طالب يدها محتكراً لجميع أوصاف البطولة النموذجية . ولا حاجة الى القول أن مثل ذلك الشاب قلما يكون له وجود الا فى مخيلة الكتاب الخياليين . ولو عقلت تلك الفتاة لخففت من غلوائها ومن الشروط الخيالية التى تشترطها فى طالب يدها . وفى الحقيقة أنها كلما تقدمت فى السن اضطرت الى تلطيف طلباتها . ومن دواعى الاسف أن بعض الفتيات يعملن بعكس ذلك كلما تقدمن فى السن ، فتكون النتيجة أنهن يدعن كل فرصة تضيع ، ويفقدن كل أمل بالزواج

ولعل مشكلة العمر من أعقد المشاكل التى تعترض الزواج . فتوسط عمر الشبان الذين يتزوجون هو نحو خمس وعشرين سنة ، ومتوسط عمر الشابات اثنتان وعشرون سنة . أما متوسط عمر الذين يتخرجون فى الكليات والمدارس الجامعة فيزيد على ذلك سنتين أو ثلاثاً لكل من الجنسين . وكلما مر الزمن اتسع مدى الفرق بين عمر الرجل وعمر المرأة . وذلك بدلالة الاحصاءات الموثوق بها . فهذه الاحصاءات تثبت أن الشاب الذى يناهز الخامسة والعشرين يتزوج عادة فتاة أصغر منه بثلاث سنوات . حالة أن الرجل الذى يتزوج وهو فى نحو الخامسة والثلاثين لا يتزوج الا فتاة أصغر منه بست سنوات أو سبع . أى أنه كلما زاد عمر الزوج كان الفرق بينه وبين زوجته أعظم

ومغزى ذلك ان الفتاة التى تكمل سياق دراستها فى الكلية او الجامعة ثم تخرج الى العالم بقصد العمل مدة بضع سنوات لتتمكن من ايفاء ما قد يكون تراكم عليها أو على اهلها من الدين أثناء دراستها ،على ان تفكر فى الزواج بعد ذلك تجد نفسها امام ظاهرة غريبة تعرف عند علماء الاقتصاد بناموس تناقص الانتفاع . ولا تجد فى الغالب رجلا من سنها يقدم على طلب يدها — وان كان الشذوذ عن هذه القاعدة كثيراً — فتضطر إلى قبول يد طالب أكبر منها بعدة سنوات . بل قد لا يتاح لها مثل هذا الطالب ايضاً

ومما لا جدال فيه ان الفتاة وهى فى العشرين من عمرها لها امل قوى بالزواج . فاذا بلغت الثلاثين من عمرها هبط ذلك الامل الى النصف . ولما كانت الفتيات المتعلمات قلما يخرجن من المدارس الجامعة الا وهن غير بعيدات عن سن الثلاثين فان أملهن بالزواج يصبح ضعيفا جداً ، فان اردن الزواج فلا مفر لهن من مواجهة الحقائق ومن التسليم بحكم الطبيعة بأن يقبلن الاقتران بمن هم اكبر منهن بعدة سنوات . وكلما تقدمن فى السن كان الفرق بينهن وبين بعولتهن اعظم

هل يجوز للطبيب ان يبوح بالسر ؟

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة اميركا . بقلم الدكتور والش]

لا مشاحة فى أن العالم ملآن بالمجرمين وفى ان الكثيرين منهم يضطرون على أثر ارتكاب جرائمهم الى الالتجاء الى الطبيب ليعالجهم مما قد يصابون به من جرح أو خدش أو رض أو ما إلى ذلك . وقد يضطرون إلى الاعتراف للطبيب عما يكونون قد ارتكبوه من جريمة . ففى هذه الحالة هل يتحتم على الطبيب أن يبوح بما يعلمه لرجال السلطة الذين يبحثون عن أولئك المجرمين

ان لهذا السؤال جوابين متناقضين : أحدهما أن الطبيب - ككل فرد آخر من أفراد الوطن - ملزم بمساعدة حكومته على منع الجرائم قبل وقوعها ، وعلى كشف المجرمين وإنزال ما تقتضيه العدالة بهم ، والآخر أن واجب المحافظة على سر المهنة يقضى على الطبيب بكتمان ما قد يطلع عليه من سر ، فليس استقصاء الجرائم والبحث عن المجرمين من شأنه بل من شأن حفظة الامن العام

وقد وقع جدال عظيم فى انجلترا منذ عهد قريب بين فريقين من الاطباء كان كل منهما يؤيد احدى وجهتى النظر المذكورتين . وانتهى الجدال بأن احتكم الفريقان إلى الجمعية الطبية البريطانية وهى السلطة العليا فى انجلترا فى مثل هذه الاحوال والمهيمنة على آداب مهنة الطب . وبعد أن درست هذه المسألة درساً مسهباً وناقشت فيها وقلبتها على وجوهها اصدرت فيها القرار الآتى وهو :

« اذا طلب رجال الشرطة الى أحد الاطباء أن يبوح لهم باسماء وعنوانات اشخاص قد التجأوا اليه لاصابة لحقت بهم فى أثناء ارتكابهم جناية معينة فعلى ذلك الطبيب أن يمتنع عن الادلاء بأى بيان لان ذلك مناقض لمبدأ كتمان سر المهنة وقد يترتب عليه اقامة الدعوى على الطبيب بدعوى افشائه سراً لا يملك حق افشائه »

ومما يجدر بالذكر أن ادارة الامن العام فى الولايات المتحدة كانت منذ عهد غير بعيد تطارد مجرماً خطيراً قد ارتكب عدة جنايات ، وتبذل كل ما فى وسعها للقبض عليه . وكانت تعلم أن المجرم مصاب بمرض معين لا بد أن يرغمه على الالتجاء إلى الاطباء . فارسلت اعلاناً بطريق البريد الى الاطباء ترجو به منهم مساعدتها فى القبض على ذلك المجرم لانزال العقاب به واراحة البلاد من شره . ونشرت الاعلان المذكور أيضاً فى « المجلة الطبية الاسبوعية » وهى مجلة توزع على الاطباء مجاناً فتصدى فريق من الاطباء لتسفيه عمل ادارة الامن العام بحجة أنها تغرى طائفة الاطباء بمخالفة آداب مهنتهم والعبث بالواجبات التى تحتمها عليهم . ولا يخفى أن آداب الطب منذ عهد بقراط الى اليوم تقضى بان يكتم الطبيب سر المرضى الذين يقصدون اليه وألا يبوح بشىء من ذلك إلا باذن

خاص منهم . وقد حاول رجال السلطة الاميركية اقناع الاطباء الذين انتقدوا ادارة الامن العام بوجاهة حجتهم، ولكن محاولتهم ذهبت أدراج الرياح . وقد وقع مثل هذا الحادث فى الولايات المتحدة فى أوائل عهد الاستعمار الاميركى . واضطرت الحكومة فى ذلك العهد الى سن قانون يحتم على الاطباء اذا دعوا لمعالجة جريح أو مصاب أن يستقصوا أسباب الجرح او الاصابة . فاذا اتضح ان ذلك وقع فى أثناء ارتكاب جناية وجب على الطبيب اطلاع أولياء الامور على ذلك لتمكينهم من القبض على المجرم

ومع ذلك فان هنالك حالات لا يجوز فيها للطبيب أن يتمسك بمبدأ سر المهنة . أو أن يمتنع عن ابداء المعلومات التى يطلبها منه حفظة الامن العام . مثال ذلك اذا كان الطبيب عضواً فى جمعية اجرامية فليس له حق التمسك بمبدأ سر المهنة بل هو مرغم بحكم القانون على الاعتراف بما يعلمه من أمر المجرمين الذين يعالجهم ويعاشرهم . واذا قبض عليه رجال الامن وطلبوا منه الادلاء بمعلوماته فليس له أن يحتج بأن سر المهنة يقضى عليه بالكتمان وبأنه لا يملك حق افشاء السر

ومما يجدر بالذكر أن بعض الاطباء والجراحين الذين يعبثون بشرف مهنتهم ولا يقيمون للكرامة وزناً،كثيراً ما يلجأون إلى وسائل مخجلة لمساعدة المجرمين على «الافلات» من يد العدالة . من ذلك أنهم قد يقومون بعمليات جراحية فى أنامل المجرم لازالة «بصمة» أصابعه وذلك بترقيع جلد الانامل بجلد يؤخذ من مكان آخر من الجسم . ففى مثل هذه الحالة يجوز ارغام الطبيب على الاعتراف بما يعلم والادلاء بما قد يؤدى الى اكتشاف المجرم . وليس له أن يرفض ذلك بحجة أن سر المهنة يقضى عليه بالكتمان . فان الذى يفعل ما يفعله هذا الطبيب لا يحق له ان يتذرع بما يفرضه سر المهنة

وفى الحقيقة ان الواجب المفروض على الطبيب بازاء المريض الذى يلجأ اليه هو كالواجب المفروض على المحامى فى مثل هذه الاحوال عينها . فقد يلجأ اليه متهم ويطلب منه الدفاع عنه ، ومن المعقول أن يبوح له بجميع تفصيلات التهمة الموجهة اليه وان يطلعه على كل شاردة وواردة تمكيناً له من الدفاع عنه . ففى مثل هذه الحالة لا يجوز للمحامى أن يفشى الاسرار التى قد يطلعه عليها المتهم . ومن دواعى الاسف أن بعض الاطباء يخلون بواجباتهم وبشرف المهنة ، وبدلا من أن يعملوا على مايشرفهم يعملون على تحقير أنفسهم . ولعل هذا ما يحدو بعض الحكومات على مطالبة الاطباء والمحامين بالادلاء بمعلوماتهم توصلا الى اكتشاف أسرار بعض الجرائم ، وان كان فى ذلك ما يخل بمقتضيات سر المهنة . ومما لا جدال فيه أن مبدأ سر المهنة مبدأ أدبى معترف به ولكن له شروطاً وأصولا يجب مراعاتها . وهذا المبدأ يقيد الطبيب والمحامى والكاهن على حد سوى . وما من حكومة مهما مستوى شعبها الادبى الا وتعرف قيمة ذلك المبدأ وتقدره حق قدره . بل هى لا تنتظر من أطبائها ومحاميها وكهنتها أن يخلوا بمقتضيات سر المهنة إلا فى أحوال معينة

كلنا مجرم

[خلاصة مقالة نشرت في رسالة الاخبار العلمية . بقلم الدكتور جون لند]

يخطىء من يزعم أن المجرم وحش غريب ذو عقل فاسد ونفس خبيثة مجردة من كل شعور أدبي . فالمجرم رجل كسائر الرجال في جسمه وفي تفاعل قواه النفسانية

ومن الامور التي يجهلها الكثيرون أننا جميعنا نبدأ الحياة ونحن مجرمون ، فما من طفل يولد إلا وفيه نزعة إلى الاجرام . وتفصيل ذلك انه يولد مجبولا على الانانية وحب الذات . فلا يعرف الا رغباته وأهواءه الخاصة . ولذلك يبكي ويصرخ ويصر على الحصول على كل مايقع عليه نظره غير مكترث لما يحل بغيره من جراء ذلك . ولولا ضعفه وعدم استطاعته ارتكاب أية جريمة ما أحجم عن قتل غيره في سبيل الحصول على ما يريده

وبمرور الزمن ينمو الطفل وهو معرض لعوامل كثيرة تمدنه وتلطف خشونته . فتنغرس في نفسه المبادىء الانسانية السامية التي قضى الاجتماع الوف السنين في ايصالها إلى الحد الذي قد وصلت اليه في الوقت الحاضر . والذي يغرس فيه تلك المبادىء هو والده والمشرفون على تربيته ومهذبوه واساتذته وجميع الذين يتصل بهم بوجه ما فهؤلاء يعلمونه ما يجب عليه أن يفعله وما يجب عليه أن يقلع عنه ويخططون له وجهة سلوكه

وفي أثناء الانتقال من طور الطفولة إلى طور النضج ينشأ على الميل الى الاجرام أو على الميل عنه . وفي الحقيقة أن الطفل ينشأ كما يريد مهذبوه ، فاما ملكا كريماً واما شيطاناً رجيما . ويؤخذ من المباحث الواسعة التي قام بها علماء البسيكولوجيا ومن درسهم نفسية المجرمين المعتادى الاجرام أن اندفاعهم في الشر وفي ارتكاب الجرائم لم ينشأ في الاصل عن سوء معاملة والديهم أو اخوتهم لهم فان مثل تلك المعاملة تلد في النفس البغض والحنق والحقد على كل من يعترضهم في سبيلهم

وهنالك طريقة أخرى ينشأ بها المرء على الميل الاجرامي ، وهذه الطريقة هي أن يتخذ لنفسه رمزاً إلى البطولة ويقتدى به ، فقد يريد أن يصبح بطلا في المصارعة أو الملاكمة أو الالعاب الرياضية أو ما إلى ذلك من الامور الحميدة . ولكنه قد يريد أيضاً أن يقتدى بابطال العصابات الذين يرتكبون مختلف الجنايات ويشهرون الحرب على الحكومة ويناصبون رجال الامن العداء مما قد يشاهدونه في الروايات السينماتوغرافية أو يقرأون عنه في بعض الروايات المبتذلة . فان مؤلفي تلك الروايات كثيراً ما يخطئون بتصويرهم المجرمين بصورة الابطال وان هم جعلوا الغلبة في الختام للعدل والنظام . أجل ان بعض الاحداث يتخذون الابطال في الخير والصلاح قدوة لهم . الا أن غيرهم ممن ينشأون في بيئة الفساد والاجرام يتخذون المجرمين السفاحين الثائرين على القانون قدوة لهم . وليس

غريباً أن ينشأ الطفل مجرماً اذا كان رمز بطولته لصاً سفاحا يرتكب شر أنواع الجرائم والموبقات . وهذه الحقيقة تلقى على الوالدين والقائمين بشؤون التربية تبعة عظيمة . فان الغصون اذا قومتها اعتدلت . ونفوس الاطفال أسهل تكيفا من نفوس البالغين . فيجب الاهتمام بها وتحبيب البر والخير اليها لكي تنشأ على المبادىء السامية وتبعد عن الاجرام

وليس من السهل تعيين النفوس التى سوف تنشأ على الخير والنفوس التى لا بد أن تنشأ على الميل الى الاجرام ، اذ ليس لدى العلم وسيلة لمعرفة ذلك . ولكن المباحث البسيكولوجية تؤكد لنا أن الطبيعة البشرية تتأثر كثيراً بالبيئة الاولى التى نشأت فيها ، وانها بازاء التجارب تهتدى بالعوامل التى أثرت فيها منذ الطفولة

وهذا يحدونا إلى هذا السؤال وهو : من هو المجرم الحقيقى ؟ هل هو مثلا من يسوق أوتومبيله بسرعة تزيد على الحد الذى يبيحه القانون ؟ أم هو الرجل الذى يشرب الجعة بعد الساعة التى يحددها العرف والنظام ؟ أم هو ذلك الضعيف العقل الذى يخطف ما تصل اليه يده وينطلق ؟

كلا . ليس المجرم أحد هؤلاء . انما المجرم هو ذلك الذى يخون الامانة عمداً . هو ذلك الذى يعبث بالامن العام وبطمأنينة الجمهور . هو ذلك الذى يستدين المال مع علمه بانه لن يستطيع ايفاءه . هو ذلك المحامى الذى يروج الخصومات لينتفع بها . هو ذلك الطبيب الذى يطيل معالجة العليل ليكسب المال . هو ذلك الموظف الذى يعيش فوق طاقته . هو ذلك الدلال الذى يروج المشروعات الخيالية . هو ذلك الذى يقبل الرشوة ويسكت عن اللص ويمتنع عن الشهادة ويرتكب الالوف من الاعمال التى يؤكد له ضميره أنها مخالفة للعرف والقانون ومبادىء العدل والشرف

اننا كلنا مجرمون أى أن فينا ميلا كامناً إلى الاجرام . ولكنه غشاء المدنية الكاذب يستر ذلك الميل ويحجبه عن الانظار . ألسنا جميعا نميل إلى رؤية مشاهد القسوة والدماء ؟ الا نتزاحم بالمناكب لتحضر حفلات الملاكمة والمبارزة ومصارعة الثيران وما الى ذلك من المشاهد التى ليست سوى بقية باقية من آثار الوحشية والهمجية ؟ فهل يرتاب أحد فى أن فينا ميلا كامنا إلى الاجرام ؟

ولقد يسأل سائل : أليس المجرم مخلوقا غير طبيعى ؟

الجواب عن ذلك بالنفى ، فان المجرم رجل كعامة الناس لا يختلف عنهم الا فى كيفية ارتكاب جريمته . ويمكننا أن نقسم المجرمين خمسة أنواع وهم :

(١) المجرم فى نظر القانون (٢) المجرم عرضاً (٣) المجرم العصبى (٤) المجرم الاعتيادى (٥) المجرم النفسانى

فاما المجرم فى نظر القانون فيختلف عن سائر أنواع المجرمين فى أنه لولا القانون لم يحسب مجرماً . وأحسن مثل على ذلك مهربو الخمور فى الولايات المتحدة فى زمن تحريم المسكرات . فقد كان تهريب الخمور والمتاجرة بها وتعاطيها من الامور التى يحرمها القانون . وعليه كان كل من

يحتسى كأساً من الجعة فى عهد ذلك القانون مجرماً . أما اليوم فلا يعتبر كذلك . فترى اذاً أن قانون التحريم هو الذى أوجد المجرمين فى ذلك العهد . وهؤلاء المجرمون هم من النوع الاول الذى أشرنا اليه

أما النوع الثانى فهو المجرم غير المعتاد ، اى الذى يرتكب مايرتكبه عرضاً واتفاقا وهو مدفوع بعوامل طارئة لاسلطة له على دفعها . ومن أمثال ذلك من يسرق رغيفا من الخبز ليسد به جوعه أو يقتل اللص الذى يهاجمه أو يرتكب ما الى ذلك من الجرائم التى لا يميل الى ارتكابها فى الاحوال العادية

وغنى عن البيان أن اكثر الذين يرتكبون جريمة القتل انما يرتكبونها عن غير تعمد أو سبق اصرار . واكثرهم يقفون بعد ارتكابهم جريمتهم وقفة حيرة وذهول . وفى الحقيقة ان بعض أولئك المجرمين هم من أحسن الناس خلقا وأطيبهم قلبا

أما الفريق الثالث من المجرمين فهم الذين تدفعهم الاضطرابات العصبية إلى ارتكاب مايرتكبون ، أمثال هؤلاء لا سلطان لهم على نفوسهم وعلى أعصابهم ،فهم يندفعون الى الاجرام مسيرين لامخيرين . ومن هذا القبيل الافراد الذين يسرقون كل ماتصل اليه ايديهم عن غير تعمد ويحرقون كل مايسهل احراقه وهم لا يدركون لذلك سببا

ويجب أن نضم الى هذه الفئة اللص المعتاد السرقة بسبب الضيق الذى عاناه او الذى لا تزال تعانيه أسرته . والولد الذى يسىء والده السكير معاملته . والتلميذ الذى يشدد استاذه الوطأة عليه لغير علة وجيهة . وأمثال هؤلاء الذين يحتقرون الاجتماع ونظم العمران ولا يرون فى القضاة والمحاكم ورجال الشرطة الا رمز الظلم او الاضطهاد الذى عانوه فى البيت او المدرسة او الشارع

اما النوع الرابع من المجرمين فهو المجرم الاعتيادى الذى نشأ منذ نعومة اظفاره على مخالفة القانون وتحدى السلطة والاعجاب بكبار المجرمين

والمجرم الخامس هو النفسانى الذى يرتكب ما يرتكبه بسبب ضعف عقلى أو نفسانى . وعدد أفراد هذه الفئة قليل لحسن الحظ ومن السهل تمييزهم عن غيرهم . مثال ذلك رجل من رجال الاعمال المعروفين يرتكب وهو فى السبعين من عمره جريمة السرقة ، فلا بد أن تكون جريمته نتيجة ضعف عقلى . وقد تجد جثة رجل قتيل مشوهة تشويها فظيعا . فهذا التشويه دليل فى الغالب على أن مرتكب الجريمة مصاب بمرض الصرع

القانون والاجتماع

[خلاصة مقالة نشرت في المانشستر
جارديان . بقلم الورد مكملان]

تجول فى مخيلة أكثر الناس أفكار وتصورات بشأن القانون العام لا تستند الى أساس صحيح ولا تقوم على شيء من الحقيقة . وما أكثر الذين يجهلون مزية القانون ومدى سلطانه والذين ليست عندهم فكرة صحيحة عنه

لقد كان الناس حتى عهد قريب يحترمون كل من له صلة بالقانون ويعتبرون الالمام به ضرورياً لمن يريد النجاح فى الحياة ، بل لكل من يريد أن يحترمه الناس ويعتبروه مهذباً . وبعبارة أخرى — لم يكن التهذيب يعتبر تاما إذا لم يشمل معرفة القانون . وقد كتب أحد علماء القرن الخامس عشر يقول : « ما من رجل يملك عقاراً فى هذه الايام إلا وهو ملم بدقائق القانون الماماً تاماً لان هذا الالمام يمكن المالك من الاحتفاظ بملكه والدفاع عنه . وليس ذلك فقط بل ما من امرأة تعتبر على قسط من التهذيب الا إذا كانت ذات المام بالقانون »

ومن الاوهام الشائعة بين الناس أن الخصومات من مستلزمات القانون . ولعمر الحق أنه مامن خطأ أعظم تفشياً من هذا الخطأ . وفى الحقيقة ان الخصومة ليست من مستلزمات القانون بل هى مظهر من مظاهر ضعف القانون أو اخفاقه . والدليل على ذلك أننا إذا فكرنا فى العلاقات التى بين الافراد — وهى علاقات فى حد القانون وتحصى بملايين الملايين — أدهشنا قلة عدد المعاملات التى تقوم بشأنها خصومات تصل الى المحاكم . وهذا يبين لنا أن الخصومة انما هى عرض من أعراض عدم التقيد بالقانون أو عدم فهمه فهما حقيقياً

أن نظام الاجتماع الحاضر ليس سوى آخر مظهر من مظاهر المدنية التى قامت على أنقاض الهمجية ونشأت من الفوضى على ممر العصور الطويلة وكان تطورها خاضعا لسلطان القانون . وغنى عن البيان أنه لولا هذا القانون ما كان يتسنى للاجتماع أن يبدى النشاط الذى أبداه فى أثناء تطوره . اذ لا يمر يوم من أيام حياتنا الا ونتمتع فيه بحماية القانون حماية تامة

وفى جميع البلاد المتمدنة لا بد من الاستعانة بجميع قوات الحكومة لتنفيذ القانون وإقراره ولجعله سارياً على الجميع . والقانون الذى هو ميزان العدل هو أيضا سيف مصلت فوق الرقاب ينزل على رأس كل من تحدثه نفسه بخرقه وعدم احترامه . ووراء القضاة والمحاكم التى تطبق القانون حفظة الامن ورجال الامر والنهى يرعون الاحكام ويشرفون على تنفيذها بكل دقة واعتناء

ولا يصدق هذا القول على القانون الجنائى فقط بل على القانون المدنى أيضاً . وكل حكم يصدره القاضى ولا يستطيع تنفيذه ليس جديرا بان يسمى حكماً . والقانون الذى ليس وراءه

سلطة تؤيده هو أقرب شيء الى الفوضى. وقد قال العالم هكسلي : « ان القانون هو مظهر ارادة الامة والامة تشعر فى باطنها بالقوة الكافية على تنفيذه » . ولاحاجة بنا الى تبيان الصعاب التى قد حالت دون اخضاع شعوب العالم المختلفة لسلطة قانون واحد فان أمزجة الشعوب وميولها وأذواقها تختلف اختلافا عظيما . ولذلك لم يكن بد من وجود خلاف بين القوانين فى الجزئيات وان كان الاساس الذى تقوم عليه واحداً وهو حفظ الامن العام والاشراف على علاقة الفرد بالفرد وعلاقته بالمجموع

قلنا إن القانون الذى ليست وراءه قوة تؤيده هو أقرب شيء الى الفوضى والاضطراب . والدلائل على ذلك كثيرة لا تحتاج الى سرد . وفى الواقع أن معظم الحروب التى تقع بين الدول انما تقع بينها لعجزها عن تنفيذ القانون الدولى الذى يجب أن تخضع له ، ولعدم وجود سلطة قوية وراء ذلك القانون تؤيده وترغم الدول على مراعاته والتقيد بنصوصه

وبعبارة أخرى — إذا أردنا منع الخصومات بين الشعوب كما قد منعناها من بين الافراد فلا بد من سن قانون دولى عام تخضع له جميع الدول وتكون وراءه قوة رادعة تؤيده . وفى الحقيقة أن هذه المشكلة من أكبر المشاكل التى تواجه علماء الاجتماع فى الوقت الحاضر . بل هى أكبر مشاكل الحضارة المقبلة . ولا عجب فان ضمان السلامة الاجتماعية هو أساس العمران وبدون تلك السلامة لا يرجى للحضارة تقدم أو ازدهار . وإذا كانت السلامة الاجتماعية مضمونة بين الافراد بفضل القانون والسلطة التى وراء القانون فلماذا لاتكون مضمونة بين الشعوب أيضاً بفضل قانون دولى عام تكون وراءه سلطة تقدر على ارغام تلك الشعوب على احترامها ؟

وغنى عن البيان أنه إذا تعرض الناس للقانون وحاولوا تعطيل اجراء العدل ، سواء كان بطريق الرشوة أو الارهاب أو المحاباة أو ما الى ذلك ، أصبح نظام الاجتماع كله مزعزعاً وأصبح الناس لا يأمنون على أرواحهم وأملاكهم . وكذلك القول إذا حاول البعض تعطيل القانون الدولى والحيلولة دون اجراء العدل بين الشعوب ، فان عاقبة ذلك وخيمة سيئة . وقد قال أحد كبار رجال السياسة فى الكلام على استقلال القضاء : « انى أعتقد ان استقلال القضاء هو أهم ضمان لحرية الفرد وحصوله على العدل . فاذا جعلنا القضاة تحت سلطة العوامل السياسية وأخضعناهم للمؤثرات التى لا علاقة لها باجراء العدل فقد قضينا على العدل قضاء مبرما . ومن دواعى الاسف أن هذا هو الواقع فى بعض البلاد حيث القضاة خاضعون للمؤثرات السياسية فليس لهم الاستقلال اللازم لضمان العدل »

ولا شك أن العدل مرتبط بالحرية ارتباطا وثيقا . وليس فى العالم ظلم أشد من سلب الفرد أو الشعب حريته . ولقد بذلت الامم المتمدنة كل ما فى وسعها للقضاء على الرق ولاطلاق الحرية للارقاء الا أن هنالك عبودية افظع وعبيداً أحوج إلى العطف ، تلك هى عبودية النفس والروح . واولئك العبيد هم المسلوبون كل إرادة ومشيئة

فتنة المرأة

[خلاصة مقالة نشرت في جريدة الديلي
تلغراف . بقلم السيدة مرجوري بوين]

ليس من الصعب على أى امرىء إذا نظر الى امرأة حسناء أن يدرك ما هى عليه من فتنة وجاذبية . ومع ذلك فن أصعب الامور أن نحدد تلك الفتنة أو الجاذبية . وهنالك فريق من القائلين بالمساواة بين الرجل والمرأة يزعمون أن المرأة لا تمتاز بالفتنة ولا بصفة أخرى من هذا القبيل

وهذا الموضوع قابل لجدل كبير . فالفريق الذى ينكر فتنة المرأة وجاذبيتها يقول ان مجموعة الصفات التى يقوم عليها جمال المرأة لا وجود لها فى الحقيقة الا فى مخيلة الشعراء والكتاب والمصورين وغير هؤلاء من رجال الفنون الجميلة الذين قد كانوا دائماً ولا يزالون يبذلون جهودهم لابراز صفات الجمال سواء فيما يصورونه أو ينحتونه أو يكتبونه أو ينظمونه . وبعبارة أخرى — ان الذين ينكرون ما فى المرأة من فتنة وجاذبية يقولون ان جميع الصفات المنسوبة الى المرأة انما هى من صنع أهل الفن وليس لها وجود حقيقى

على أن خصوم هذه النظرية وهم الكثرة يقولون ان آلة التصوير الفوتوغرافى التى لاتكذب ولا تعرف المحاباة هى أكبر حجة على ما للمرأة من فتنة وجاذبية . فاذا كان المصورون يسخرون ريشتهم لابراز صفات الجمال فى المرأة — وان كانت لا تمتاز بتلك الصفات — فان الآلة الفوتوغرافية لا تفعل مثل ذلك ولا تسخر نفسها إلا لابراز الصورة على حقيقتها . وهذه الصورة تشهد شهادة قاطعة بأن المرأة تمتاز بالفتنة والجاذبية

ولكن مما يدعو الى الاسف أن جانباً كبيراً من صفات المرأة قد أصبح عتيقاً بالياً . وهذا دليل على سرعة التطور وعلى أن الاذواق تختلف باختلاف الاجيال . فمنذ مائة سنة كانت المرأة التى تريد أن يراها الناس ذات فتنة ودلال تحاول أن تظهر بمظهر بطلات الروايات التى كتبها كبار الروائيين ، من حيث الثياب والهندام والزينة والحديث وآداب الجلوس والرياضة وغيرها . وكانت تتكلف صفات كثيرة ليست هى فى شىء منها من حيث الرقة والانفة والضعف والظهور بمظهر الحزن وكثرة التلون والانتقال من حال الى حال وإظهار الدلال وتصنع الابتسام والطهر والبراءة من كل مالا ينطبق على مقتضيات الحشمة والادب . وكان من مميزات الفتنة أيضا أن تظهر ناحلة القوام شاحبة الوجه ذابلة الاجفان مسترسلة الغدائر ترسل الآهة وراء الآهة وتئن أنيناً لطيفاً من وقت الى وقت وعيناها محلقتان فى الفضاء كانها تبحث عن شىء لا تعلمه

ثم مرت الايام وتغيرت الاحوال وإذا فتاة اليوم غير فتاة الامس ، وإذا آداب القرن العشرين غير آداب القرن التاسع عشر . ولم يقتصر التغيير على الازياء فقط بل تناول الاخلاق والعادات

أيضاً وصارت المظاهر التى تظهر بها المرأة اليوم شاذة مستغربة . فهى تدخن وتشرب المسكر وتقص شعرها وتلبس ثياب الرجال وتركب الدراجة وتنافس الرجل فى أعماله ورياضته وفى تردده إلى الأندية ، وتأتى أعمالا لو أتتها منذ مائة عام لقام عليها الناس واتهموها بالجنون أو بالشذوذ . أما اليوم فهى تسعى الى الشهرة بكل وسيلة ولا يهمها ما كانت عليه أمها أو جدتها فى القرن الغابر . وقد اعتدنا اليوم رؤية المرأة المترجلة فليس بعد من الممكن أن نصاب بأية صدمة عند ما نرى المرأة قد خرجت على تقاليد الأنوثة الماضية

على أن اللواتى يطلبن الشهرة عن طريق التشبه ببطلات السينما لسن الكثرة والحمد لله . وفى الحقيقة ان أكثر النساء يسعين الآن الى الظهور بمظهر الفتنة عن طريق آخر إذ يعلمن أن الطريق الذى كانت جداتهن يسلكنه لم يبق له اليوم الشأن الذى كان له قديماً . فهن يعرفن أن من الحرق أن يسترقن النظرات من وراء المروحة — كما كانت الفتاة تفعل فى القرن الغابر — أو ان يتصنعن الاغماء أو ان يتظاهرن بجهل الحقائق الجنسية أو أن يتكلفن الخجل أو ما إلى ذلك من الصفات التى كانت متفشية فى الجيل الغابر بين الفتيات وكانت تعتبر من دلائل فتنة المرأة وجاذبيتها

وفى الحقيقة ان الفتاة التى تتمسك اليوم بالتقاليد الغابرة تعتبر غريبة الاطوار أو مصابة بمرض من الأمراض النفسانية التى يجب أن يتولى أمرها الاطباء . ومن حسن الحظ أن علم البسيكولوجيا قد تقدم بخطى واسعة فى هذا العصر ، ومعرفة الامور النفسية قد تفشت بين أفراد الجنس اللطيف فلم يبق ثمة شك فى أن النساء يحجمن فى الغالب عن تكلف اظهار الانفعالات والعواطف التى كانت قديماً من صفاتهن الخاصة

وليس ذلك فقط بل لقد كانت المرأة حتى عهد قريب تطرب كما وصفها الكتاب والشعراء « باللغز الازلى » وكانت تبذل كل ما فى وسعها لتظهر بمظهر « اللغز » لزعمها ان ذلك من متممات فتنتها وجاذبيتها . أما اليوم فلا ترى من مصلحتها ان تظهر بمظهر اللغز الذى لا يدركه احد بل تفضل أن يفهمها الرجل وينزلها المنزلة التى تستحقها وتستطيع ان تظهر فيها مواهبها اظهاراً تاما

وههنا حقيقة تبدو لنا بكل جلاء وهى ان فتنة المرأة العصرية هى فى كونها تريد الابتعاد عن كل تصنع وتكلف وتفضل الظهور بمظهرها الطبيعى . وبعبارة أخرى انها لاترى فى المظاهر التى كانت تتكلفها فتاة القرن التاسع عشر أى دليل على الفتنة او الجاذبية ، بل ترى ذلك الدليل بارزاً من خلال اتصافها بالصفات الطبيعية وهى اللطف والحنان والدعة والنعومة مع شئ من جمال الوجه والملامح والمنظر الخارجى

ولا ريب فى ان الرجل يود أن يرى المرأة تتصف باللطف ورقة الطباع وحسن المجاملة وخفة الروح والظرف ولين العريكة . فهذه كلها صفات تقوم عليها فتنة المرأة ، وإذا أضفنا اليها صفات الاخلاص وانكار الذات واحترام الآخرين ومراعاة مصالحهم كانت تلك الفتنة أقرب إلى الكمال

الشخصية والنجاح

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة مودرن بسيكولوجيست . بقلم الاستاذ رجنلد مكنيث]

يقول علماء البسيكولوجيا ان نجاح الانسان واخفاقه فى الحياة يتوقفان على « شخصيته » اكثر من توقفهما على درجة ذكائه وخبرته ، وان الاختبار يأتينا كل يوم بأدلة جديدة على صحة هذا القول . وفى الحقيقة أن ذكاء الانسان ليس بالضرورة شرطاً للنجاح . فكم من أشخاص أذكياء ليس لهم من النجاح الا حظ ضئيل . بل ان منهم من لا حظ له منه على الاطلاق

وتتضح لنا هذه الحقيقة على أجلاها اذا فحصنا سجلات المدارس وتتبعنا أخبار تلاميذها وقابلناها بحالة اولئك التلاميذ بعد خروجهم من المدارس . بل تتضح لنا هذه الحقيقة فى معاهد العلم فان التلاميذ الاذكياء لا يصلحون بالضرورة لمهنة التعليم . فكم من تلميذ بدت عليه فى مدة التلمذة آثار النجابة والنبوغ ، فلما انتهت دراسته وعهد اليه فى مهنة التعليم أخفق ولم يحرز تلاميذه شيئاً من النجاح

وتدل المباحث الواسعة التى قام بها علماء البسيكولوجيا فى ميادين الاعمال المالية والاقتصادية والتجارية والصناعية والعمرانية على صدق هـذه الحقيقة وتؤيد القول بان العلاقة أوثق بين « شخصية » الانسان ونجاحه فى الحياة منها بين ذكائه وذلك النجاح . وليس معنى ذلك أن الذكاء ليس له أى أثر فى تحقيق النجاح . بل المعنى ان الشخصية أقوى أثراً منه

ومن المباحث التى أشرنا اليها ما قام به الاستاذ براندبرج العالم البسيكولوجى الشهير فقد جمع طائفة من البيانات الموثوق بها عن عدد كبير من طلبة المدارس العالية من حيث النجابة والذكاء ثم تتبع اولئك الطلبة إلى ما بعد خروجهم من مدارسهم ودخولهم ميادين الاعمال . وبعد خمسة أعوام من مزاولتهم الاعمال والمهن المختلفة قابل ما أحرزوه من النجاح بما كانوا يبدونه من النجابة والذكاء فى عهدهم الدراسى . وكان غرضه من ذلك أن يرى الى أى حد يوصل الذكاء الانسان إلى النجاح ، وهل اخفاقه فى الحياة ناشىء عن نقص ذكائه !

قام الاستاذ براندبرج بتلك المباحث الواسعة فثبت له منها ثبوتا قاطعا ان الفضل الاول فى النجاح يرجع إلى « الشخصية » ، وان تأثير الذكاء والاختبار ثانوى . وأما النسبة العددية لتأثير العوامل الثلاثة فهى : ٦٢ فى المائة للشخصية و١٦ فى المائة للذكاء و٢٢ فى المائة للاختبار

فترى من ذلك أن تأثير « الشخصية » فى نجاح الانسان يفوق تأثير كلا الذكاء والاختبار معا

وقد قام علماء آخرون بمباحث أخرى من هذا القبيل . فجمعوا طائفة كبيرة من المعلومات عن بضعة آلاف من الرجال الناجحين فى أعمالهم فى الولايات المتحدة . وبعد أن قسموهم ثلاثة أقسام

بحسب « شخصياتهم » ثبت لهم أن أصحاب « الشخصية » الموصوفة بالدرجة الاولى هم الذين أحرزوا النجاح الاكبر . وتبعهم أصحاب « شخصية » الدرجة الثانية فالدرجة الثالثة. وعند العودة إلى سجلاتهم المدرسية ومراجعة سيرهم اتضح أن تأثير الذكاء فى النجاح كان أقل من تأثير الاختبار. وتأثير الاختبار أقل من تأثير الشخصية . وكان ربح ذوى « الشخصيات » المحبوبة نحو ضعفى ربح ذوى الاختبار . وربح هؤلاء نحو ضعفى ربح ذوى الذكاء

وغنى عن البيان أن ما ذكرناه انما هو من باب التعميم فان هنالك حالات كان للذكاء فيها الفضل الاكبر فى النجاح . ولكن الحالات الفردية لا يصح القياس عليها . والقاعدة بوجه الاجمال هي التى ذكرناها وجعلنا الفضل الاكبر فيها « للشخصية » ومما يجدر بالذكر أن الكثيرين من الموظفين فى الدوائر الحكومية وفى ادارات الشركات يدهشون كلما رأوا غيرهم يرقون وتزاد أجورهم حالة كونهم يظلون على ماهم عليه بلا ترقية . وتزيد دهشتهم اذا تذكروا ان اقرانهم الذين فازوا بالترقية أو بزيادة الاجرة هم أقل منهم ذكاء ودراية . ولو تعمقوا فى البحث لعلموا أن سر نجاح أقرانهم هو « الشخصية » لا غير وأن الذكاء لم يكن له فى ذلك النجاح أى أثر يذكر

« فشخصيتك » اذن هي التى تجعلك ملائماً لعمل من الاعمال ولا تجعل غيرك — ممن قد يكون أوفر ذكاء منك — ملائماً لذلك العمل . واذا كانت الشخصية مقرونة أيضاً بالذكاء والاختبار كان النجاح مضموناً ولا شك . وقد وضع علماء السيكولوجيا طائفة من الاسئلة يمكن بالاجابة عنها معرفة نوع « الشخصية » وما يحتمل أن يكون لها من الاثر فى نجاح الانسان أو اخفاقه . ولا يتسع لنا المجال لايراد جميع تلك الاسئلة وانما نذكر بعضها على سبيل المثال

فمن تلك الاسئلة : كم لك من الاصدقاء الذين يمكنك ان تعتمد على اخلاصهم ؟ . والاساس الذى يقوم عليه هذا السؤال هو انه كلما كانت شخصية الانسان جذابة كان اصدقاؤه كثيرين . ومن تلك الاسئلة : أى نوع من الاعمال تفضله على غيره وهل تفضل القيام به وحدك أم مع آخرين ؟ وهل ترضى أن تقوم بأى عمل كلفت القيام به سواء أعجبك أم لم يعجبك. واذا لم تنجح فى القيام بعملك هل تعزو اخفاقك الى خطأ منك أم تميل الى القاء التبعة على غيرك ؟ وهل أنت ميال الى معاملة الجنس اللطيف اكثر من ميلك إلى معاملة الجنس الخشن ؟ وهل تفكر دائماً فى اصدقائك أم تحصر معظم تفكيرك فى نفسك وفى شؤونك الخاصة ؟ وهل أنت مائل الى الفرح والانشراح فى أثناء قيامك باعمالك أم أنت تقوم بها عابساً كالح الوجه ؟ وما هو نوع الافكار والتصورات التى تستولى على مخيلتك ؟

هذه الاسئلة — وأسئلة أخرى كثيرة — موضوعة بقصد الحصول على أجوبة عنها يستفاد منها الشىء الكثير عن « شخصية » الانسان وميوله وأخلاقه . فعلى هذه « الشخصية » يتوقف نجاح الانسان فى أعماله فى الحياة

تقدم العلم والعالم

أرز لبنان

أرز لبنان هو الشجر الذى اشتهر بجودة خشبه منذ أقدم الأزمنة . وقد ورد ذكره فى التوراة إذ قيل إن الملك حيرام ملك صور أرسل كثيراً من هذا الخشب الى الملك سليمان ليساعده فى بناء هيكل أورشليم الشهير . وقد كان جبل لبنان فى العصور الغابرة مكسواً بغابات الارز الكثيرة ، وأما اليوم فلم يبق من تلك الغابات سوى خمس فقط . واذا استمرت الحال على هذا المنوال فلن ينقضى زمن طويل حتى تنقرض هذه الغابات الخمس أيضا وهى الآن على الجانب الغربى من جبل لبنان وعلى ارتفاع نحو ستة آلاف قدم فوق سطح البحر

التصوير والنحت عند اليهود

الاعتقاد الشائع بين الجمهور أن الشريعة والتقاليد الموسوية تحرم استعمال التصاوير والتماثيل . وفى الوصايا العشر اشارة صريحة الى هذا التحريم . إلا أن الدكتور باول رومانوف من كبار علماء اليهود بالولايات المتحدة يقول إن اليهود هم أول من استعمل التصاوير لايضاح الحوادث والحقائق وإن يشوع بن جمالا هو الذى استنبط هذه الطريقة سنة ٦٤ الميلاد . ومنذ عهد قريب عثر علماء الآثار فى وادى الفرات على آثار هيكل يهودى فى مدينة دره ووجدوا على جدران ذلك الهيكل تصاوير تمثل بعض الحوادث المدونة فى التوراة

اعادة الذاكرة بالتنويم

من أغرب ما قرأناه فى احدى المجلات العلمية أن رجلا أصيب بفقد ذاكرته بسبب صدمة شديدة أصيب بها فى مؤخرة رأسه . وظل على هذه الحال مدة ثلاث سنوات الى أن هداه حظه ذات يوم الى طبيب يحسن التنويم المغناطيسى . فنومه وأعاد اليه ذاكرته . وهذا أول حادث من نوعه وقد حير نطس الاطباء وعلماء النفس لأن فقدان ذلك الرجل لذاكرته نشأ عن صدمة مادية ومع ذلك أمكن ازالة أثرها بالتنويم المغناطيسى

الرومان وسباق الخيل

كان الرومان يلهون بسباق الخيل منذ القرن الرابع قبل الميلاد . وفى الجزائر البريطانية آثار تدل على أن السباق كان شائعاً فى تلك البلاد فى العهد الرومانى

وقد كان سباق الخيل شائعا بين العرب منذ الجاهلية وقبل الاسلام بزمن طويل . إلا أنه لم يكن ضربا من المقامرة كما هو اليوم بل كان نوعا من اللهو لان الجياد العربية كانت وما تزال أفضل الجياد فى العالم

أعمار الطيور

يقول العارفون بغرائز الطيور إن أعمار الطيور تختلف باختلاف أجسامها ، فكلما كان الطير كبير الجسم كان أطول عمراً . وقلما تشذ الطيور عن هذه القاعدة

آثار سورية

عثرت بعثة الآثار الفرنسية فى سورية على آثار قصر يرجع الى القرن الثانى والعشرين قبل الميلاد وكان لاحد ملوك البلاد فى ذلك العهد. ويؤخذ من درس النقوش التى وجدت على جدرانه أن حمورابى ملك بابل غزا سوريا حوالى سنة ٢٢٠٠ قبل الميلاد وعاث فيها فساداً وأن جنوده أحرقت ذلك القصر. وقد عثر العلماء على تسع وستين غرفة من غرفه فضلا عن مطابخه وحماماته

الاسبستوس وأمراض الرئة

تدل التقارير الطبية على أن صناعة الاسبستوس هى من الصناعات الخطرة، وعلى أن الذين يزاولونها يتعرضون للامراض الصدرية ولا سيما لامراض الرئة. والاسبستوس مادة غير قابلة للاحتراق ينبعث منها غبار يضر الرئتين ويضعفهما

أصل الاسكتلنديين

يقول الاستاذ فوربز أحد العلماء الانجليز إن الاسكتلنديين جاءوا فى الاصل من اسبانيا بدليل ان المعابد القديمة التى ترجع الى نحو أربعة آلاف سنة مضت فى اسبانيا واسكتلندا متشابهة الطراز تحتوى حجارة مستديرة هائلة. ويظهر أن الاسبان الذين استوطنوا اسكوتلندا ذهبوا أولا الى جزيرة ارلندا وأقاموا بها حقبا ثم انتقلوا الى اسكوتلندا. والارجح انهم جاءوا فى الاصل من اشور وبابل عن طريق افريقا الشمالية فى العصور الخالية والدلائل على ذلك كثيرة لا يتسع المجال لشرحها

الجذام في البرازيل

أخذ الجذام ينتشر فى بعض انحاء البرازيل انتشاراً حمل حكومة تلك البلاد على اتخاذ أدق الاحتياطات لمنع انتشار ذلك الداء، وقد انشأت لهذا الغرض عدة مستوصفات وملاجئ لمنع الاتصال بين الاصحاء والمصابين من أفراد الاسرة الواحدة

ومما يجدر بالذكر أن أحد أطباء جزر الهند الشرقية التابعة لهولندا توصل الى شفاء بعض المصابين بالجذام بالاشعة التى فوق البنفسجية. والاطباء فى جميع انحاء العالم يراقبون هذه الطريقة ليتحققوا قيمتها من الوجه العلى ويروا هل فى الامكان تعميمها فى معالجة جميع حالات الجذام أو لا ؟

لطرد النعاس

من الناس من اذا جلس على كرسيه بضع دقائق استسلم الى النعاس. ومن طلبة المدارس من لا يكاد الاستاذ يشرع فى شرح الدرس لهم حتى يسقطوا فى سبات. وأكثرهم يعتقدون أن ما يصابون به من نعاس ينشأ عن عدم مقدرة الاستاذ على جعل شرح الدرس مثيراً لاهتمامهم. على أن العلم قد أثبت أن ما بهم من ميل الى النعاس ناشئ عن حالة جهازهم العصبي. ولا يخفى أن هنالك مادة تدعى «افيدرين» ومن خواصها انها تطرد النعاس. وقد وفق العلماء الآن الى اكتشاف مادة أقوى منها تطرد النعاس طرداً تاما وقد اطلقوا عليها اسم «بنزدرين» ويؤخذ من التجارب التى قاموا بها أن هذه المادة تفى بالغرض الذى وجدت من أجله وفاء تاما

تعقيم ضعاف العقول

يقول الاستاذ هلدزين من اساتذة جامعة لندن أن تعقيم ضعاف العقول لمنعهم من التناسل لايؤدى الى النتيجة المرغوبة من تقليل هذا الضعف من الناس فكثيراً مايلد أصحاء العقول أولاداً ضعاف العقول . وتدل الاحصاءات على أن ضعف القوى العقلية كثيراً ما يظهر جليا بين الذين يتزوجون ذوى قرباهم . وهذه الحقيقة يجب أن تقنع الرجل بانه ليس من الحكمة أن يتزوج ابنة عمه او ابنة خالته فان النسل الذى يجىء نتيجة هذا الزواج لايمكن أن يتمتع بقوى عقلية سليمة

اتساع الكون

لا يخفى أن احدى النظريات الفلكية التى يسلم باحتمال صحتها الكثيرون من علماء الفلك تقول بان الكون آخذ فى الاتساع كما تتسع كرة الفوتبول عند نفخها . وان بعض الاجرام الفلكية الواقعة عند أواخر حدود الكون تبتعد عن المركز مندفعة فى الفضاء بسرعة تبلغ أحيانا خمسة عشر الف ميل فى الثانية . على أن أحد علماء الفلك الامريكيين ـ وهو الدكتور زوبكى من أساتذة معهد كاليفورنيا ـ يشك فى صحة هذه النظرية وفى كون نظرية النسبية تؤيدها ويعتقد أن حجم الكون هو هو لايزيد ولا ينقص

الديابيطس فى أمريكا

تدل الاحصاءات على أن مرض الديابيطس اى البول السكرى أشد انتشارا فى الولايات المتحدة منه فى أى قطر آخر من أقطار العالم . وهو آخذ فى الانتشار هنالك بسرعة هائلة . ولا شك أن نظام المعيشة فيها يساعد على انتشار ذلك المرض . ويقال ان مرض السل يلى مرض الديابيطس فى كثرة الانتشار فى مدن الولايات المتحدة ولاسيما مدينة نيويورك حيث يكاد يكون المصابون بذينك المرضين متعادلين

أثر بابلى قديم

عثرت بعثة الآثار الامريكية بالقرب من خرائب مدينة « سر من راى » على لوح من الفخار موضوع ضمن علبة من الفخار وقد نقش عليه عقد (كونتراتو) يرجع تاريخه الى ثلاثة آلاف وتسعمائة سنة أى الى نحو سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح . وقد أرسل هذا الاثر القديم الى جامعة بابل لفك رموزه وقراءتها وسيستغرق ذلك ردحا من الزمن

فى فضاء الكون

ليس فى فضاء الكون مجرة واحدة بل عشرات الالوف من « المجرات » ولا تقل كل مجرة منها عن مجرة النظام الشمسى . وقد تمكن العلماء من تدوين أرصاد ٧٨٨٩ مجرة . ومنذ بضعة أشهر تمكن الدكتور شابلى مدير مرصد هارفارد من رصد مجرة جديدة أو (جزائر كونية) جديدة شديدة الشبه بمجرة النظام الشمسى ولكنها بعيدة جداً بحيث تصعب رؤيتها الا بتلسكوب قوى جداً

ويقول الدكتور شابلى ان جميع المجرات المعروفة لا تشغل من فضاء الكون سوى جزء واحد من مائة جزء منه . فتأمل فى سعة هذا الفضاء الذى لايستطيع عقل الانسان ادراك حدوده

كوبنهاجن ولندن

يظهر أن مدينتى كوبنهاجن ولندن سوف تصبحان مركزا دوليا لصناعة العقاقير الطبية والامصال والحقن على اختلاف أنواعها . وذلك بموجب القرار الذى أصدره المؤتمر الحادى عشر الدولى للتنظيم البيولوجى مع مؤتمر الصحة الدولى الواقع تحت اشراف عصبة الامم

وعليه فسيصبح المعهد الدنمركى مركزاً لتحضير المصل لطائفة كبيرة من الامراض كالدسنطاريا والدفتيريا والكزاز وغير هذه وستصبح لندن مركزاً دوليا لتحضير جميع انواع الفيتامين والانسولين وهورمونات الجنس الخ

انسان باكين

هو احدى الحلقات المفقودة ولعله جد الحلقة المفقودة المعروفة بانسان نياندرتال الذى سكن أوربا . ويقول الدكتور فيدنريخ العالم الانثروبولوجى الالمانى (ومدرس علم الانثروبولوجيا بجامعة شيكاجو سابقا) إن انسان باكين كان من أكلة لحوم البشر والدليل على ذلك أن بقايا هذا الانسان وجدت فى أحد كهوف الصين ووجدت معها بقايا أربعة وعشرين شخصا آخر أكثرهم من صغار الأولاد . والارجح انهم كانوا ضحايا ذلك الانسان . ولما كان قد ثبت أن الصين لم تكن يومئذ مأهولة بجنس آخر خلاف جنس « انسان باكين » فالارجح ان هذا الانسان كان يفتك بافراد جنسه ويستطيب بوجه خاص لحم الاولاد الصغار

فوائد

• ما من دولة تستعمل الراديو لنشر الدعوة كدولة السوفيات فلها سبع وستون محطة تنشر منها الدعوة باثنتين وستين لغة وكانت ايطاليا حتى عهد قريب تحرم على رعاياها استماع محطات الراديو السوفياتية وتعاقب كل من يخالف ذلك عقابا شديدا ثم عادت فالغت ذلك الحظر

• تدل الاحصاءات الامريكية على أن أربعين فى المائة من الذين يتخرجون فى كليات الطب فى الولايات المتحدة يصبحون اخصائيين فى أمراض معينة بعد مزاولتهم مهنتهم مدة لا تزيد على خمس سنوات

• ادخلت الارانب الى أوستراليا منذ أقل من مائة سنة لتربيتها بقصد اللهو بصيدها ولكنها تناسلت وتكاثرت الى حد ازعج أولياء الامور هنالك حتى صاروا يستأجرون الناس لصيدها واهلاكها

• يقول أحد أطباء الاسنان الانجليز إن سن الحلم قد تنبت فى الأولاد منذ السنة التاسعة من أعمارهم . وقد شاهد هذا الطبيب عدة أولاد بين التاسعة والحادية عشرة وسن الحلم تامة النمو فيهم

• كلما تقدم علم الطب وارتقت معرفة الناس بالشؤون الصحية نقصت نسبة وفيات الأطفال . وهذا سبب من أسباب زيادة متوسط عمر الانسان . وتدل الاحصاءات الرسمية على أن نسبة وفيات الأطفال هى على اعظمها بين الشعوب المنحطة فى المدنية . وفى الاحصاءات الاميركية أن تلك النسبة هى على أقلها بين البيض وعلى اكثرها بين الهنود

كتب جديدة

المدرسة والمجتمع في وادي النيل

School and Society in the Valley of the Nile

تأليف الدكتور امير بقطر

الاستاذ بالجامعة الاميركية

طبع بالمطبعة العصرية عدد صفحاته ٢٦٩

مؤلف هذا الكتاب معروف لدى قراء الهلال بمباحثه الواسعة ومقالاته الشائقة التي تتناول التعليم والمجتمع من شتى مناحيهما. والكتاب الذي بين أيدينا الآن هو مجموعة تاريخية عمرانية وضعها المؤلف باللغة الانجليزية وبسط بها حالة التعليم الحديثة في مصر من الوجهتين الاقتصادية والاجتماعية وشرح بها حاجات مصر بمقتضى نظريات التعليم الحديثة

وقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه أنه اعتمد فيما كتبه على مراجع ومؤلفات واحصاءات وقف عليها في مكاتب العالم المختلفة وفي مقدمتها دار الكتب الملكية بالقاهرة ومكتبة وزارة المعارف العمومية بمصر. والمكتبة الأهلية بباريس والمكتبة الملكية ببروكسل ومكتبة جامعة كولمبيا الاميركية والمكتبة العامة بنيويورك ومكتبة واشنطون ومكتبة جامعة مونتريل بكندا وغير هذه من الخزائن ومستودعات الكتب

ويكاد الشطر الأول من الكتاب يكون مقصوراً على خلاصة تاريخ مصر الحديث من الوجهات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والشطر الأخير منه مقصور على بسط الوجهة التعليمية. وكل من الشطرين مرتبط بالاخر. ويرى القارىء من خلاله تأثير العوامل السياسية والاقتصادية في نظم التعليم

وقد جعل المؤلف كتابه على أربعة أقسام فأورد في القسم الاول لمحة تاريخية عن مصر الحديثة في عهد محمد على باشا مؤسس الاسرة المالكة في مصر. وقد تكلم عن ذلك العاهل العظيم وعلى الاصلاحات الواسعة التي تمت على يديه ولا سيما في ميادين التعليم. ثم انتقل الى الكلام على حملة نبوليون وما تركته من آثار في البلاد. وعلى فترة الاسراف والتبذير وقيام المراقبة الثنائية على مصر من قبل الانجليز والفرنسيين. وانتقل المؤلف بعد ذلك الى الكلام عن مصر من عهد سمو الخديو عباس حلمي الثاني الى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول

أما الجزء الثاني من الكتاب فيشتمل على عدة فصول تبحث في حالة مصر من الوجهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وفي العوامل الزراعية والتجارية والدينية وفي حالة المسلمين والمسيحيين واليهود وعلاقة الاهالي بالاجانب وفي مختلف الطبقات التي يتألف منها الشعب المصري. وفي حالة المرأة والحجاب والزواج والامتيازات الاجنبية والنظم القضائية والاصلاحات وفي نهضة مصر الاخيرة بزعامة المرحوم سعد زغلول باشا

ويشتمل الجزء الثالث من الكتاب على

مباحث شتى فى حالة التعليم فى مصر منذ عهد محمد على باشا الى اليوم مع بيان مافى مصر من معاهد العلم المختلفة سواء منها الاميرية أو الاهلية أو الاجنبية . وموقف الفلاحين من التعليم ومساعى الحكومة فى هذه السبيل وما وصل اليه تعليم المرأة

ويشتمل الجزء الاخير على ملاحظات بشأن الموضوعات المختلفة التى طرقها المؤلف وكلها باسلوب واضح ، وعبارات بليغة ، وطريقة مشوقة تجتذب القارىء الى استيعاب كل ما يحويه الكتاب

والدكتور أمير بقطر من خيرة العاملين فى خدمة التربية الحديثة . فاذا أثنينا على كتابه فانما نكرر ثناء طالما فازت به كتاباته القيمة فى التربية ، وبحوثه النفيسة فى الاجتماع ، وفصوله المنتقاة فى شئون الثقافة والتعليم

عرض تاريخى للفلسفة والعلم

تأليف ا . وولف – وترجمة الاستاذ محمد عبد الواحد خلاف

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . صفحاته ١٤٩

« هذه الرسالة التى نقدمها للقراء أولى طائفة من الرسائل نشرت بالانجليزية فى كتاب واحد اسمه « خلاصة العلم الحديث » واختصت كل رسالة بموضوع واحد من موضوعات الثقافة العامة ، وعهد فى كتابة كل لاحد أعلام العلماء الثقات فى موضوعها

« وهذه الرسائل جميعاً تتناول خلاصة ما وصل اليه العلم الحديث بقدر ما يسمح به الحيز الضيق الذى حدد لكل رسالة . والرسالة التى ننشرها الان استعراض سريع لنشوء التفكير الانسانى وتطوره فى مدى الخمسة والعشرين قرناً الاخيرة من حياة البشر أو ما يزيد على ذلك قليلا »

هذه بعض فقرات من المقدمة التى وضعها الاستاذ خلاف لكتابه وهو بهذا يعطيك فكرة مجملة عن هذه الرسالة ، وأهميتها فى التاليف من حيث فائدتها للقراء على اختلاف طبقاتهم ، فهى خلاصة وافية عن الفلسفة والعلم قبل سقراط ، وفى العصر الذهبى للاغريق ، وعن المفكرين بعد ارسطو ، وفى العصور الوسطى والعصور الحديثة . وقد تناولت مذاهب الفلاسفة فى هذه العصور كلها بما فيها مذاهب الفلاسفة فى الاسلام . واحتوت هذه الخلاصة أيضا فصولا طريفة عن العلوم فى القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر

وقد دبج هذه الترجمة بقلمه البليغ الاستاذ الكبير محمد عبد الواحد خلاف مدير التعليم بالجمعية الخيرية الاسلامية . وطبعتها لجنة التاليف والترجمة والنشر طبعا متقنا

مقام ابراهيم

بقلم الاستاذ محمد اسعاف النشاشيبى

طبع بمطبعة بيت المقدس . صفحاته ٣١

الاستاذ محمد اسعاف النشاشيبى عالم وأديب كبير اشتهر بجزالة عبارته وعلو اسلوبه وسعة اطلاعه على اللغة والادب العربى شعراً ونثرا ، وله آثار نفيسة تشهد بذلك كله وبما له من فضل فى خدمة النهضة الحديثة بهذه الآثار التى نذكر فى مقدمتها كتاب « الاسلام الصحيح » الذى أصدره فى العام الماضى . وكان له أثر بليغ فى الاوساط العلمية والادبية

وهذا « مقام ابراهيم » خطبة قيمة كتبها بشعور صحيح ، وقلب مفعم بالفجيعة على

زعيم سورية البطل المجاهد ابراهيم هنانو . وقد ألقى هذه الخطبة في جمع حافل عقد لتأبين هذا الفقيد العظيم بدمشق ، فامتلك القلوب ببلاغته وأجرى العبرات بقوة تأثيره . ومما قاله في هذه الخطبة : «ان شكت الناس من الادواء ، فالابطال لايشكون ، وان وهن المرضى حين العلة ، فالابطال لايهنون ، فكان القوم أرواح لا أجسام ، وشكاة أو سقم لايغزو إلا الجسم وقد انساب الى ابراهيم صل سل شرقي فما روعه ، وسرى في الحي سل صل غربي فما فزعه . ولقد أقام حليف الصبر ، شديد البأس ، شجاع العزم يقاوم السلين (بكسر السين) ، ويكافح الصلين (بكسر الصاد) وهو يردد :

لي مدة لابد أبلغها
معلومة فاذا انقضت مت
لو ساورتني الاسد ضارية
لغلبتها ان لم يجيء الوقت

«ومات مردي التنين يوم جاء الاجل . وما كان لنفس ان تموت إلا باذن الله »

وللاستاذ النشاشيبي شخصية في اسلوبه تميزه عن غيره من الاساليب ، وهو اسلوب فصيح تكثر فيه الاشارات اللغوية والتضمينات الادبية والاقتباسات القرآنية

شهران في أوربا

بقلم الصحافي العجوز

طبع بالمطبعة العصرية بالقاهرة . صفحاته ٣١٥

في صيف العام الماضي قام الصحافي العجوز الاستاذ توفيق حبيب برحلة على الباخرة النيل من الاسكندرية الى جنوه ، ثم رحل من هذه المدينة الايطالية الشهيرة الى ميلانو ، ومنها الى لوكسمبورج مخترقا سويسرا ، ومن لوكسمبورج رحل الى بروكسل ثم الى باريس فجرينوبل فالى الريفييرا فرسيليا ، وعاد بسلامة الله وحفظه الى الاسكندرية ، بعد أن قطع هذه الدائرة الاهليجية في شهرين . وكان في خلال رحلته يبعث الى جريدة الاهرام الغراء بوصف ما شاهده من المدن والآثار القديمة ومعالم الحضارة الحديثة ، فاجتمع من هذا الوصف الطريف ، والكتابات الممتعة التي كان يتحف بها قراء هذه الجريدة ، طائفة شائقة جمعها في هذا الكتاب ، وسجلها فيه بما حوت من ذكريات تاريخية ونوادر اجتماعية وطرائف أدبية ، وزينها بصور المشاهد الطبيعية والاثار الرائعة والمناظر الجميلة . واسلوب الصحافي العجوز معروف بخفة روحه ، ولطافة ديباجته ، وغزارة مادته . فهو من الأساليب الخصبة التي يستفيد منها القارىء علماً وأدباً وفكاهة ومتعة

الجواد الطيار

بقلم الاستاذ كامل كيلاني

طبع بمطبعة حجازي بالقاهرة . صفحاته ٩٦

اصدر الاستاذ كامل كيلاني أخيراً هذه القصة الممتعة . وهي احدى القصص التي ينشرها تباعا من سلسلة مكتبة الجيب للاطفال . وقد اشتهر الاستاذ كامل بغزارة انتاجه ، وخدماته الجليلة التي يسديها الى المتأدبين . وقد عني بخدمة التربية الحديثة ، فاخذ من سنوات يصدر قصصاً طريفة للاطفال تتضمن علماً وأدباً وارشادات نافعة ، ومعلومات شائقة في اللغة والجغرافيا وقد لاقت هذه القصص رواجاً يغبط عليه الأديب المخلص لعمله المتقن لفنه . وكان من هذا الرواج أن انتشرت في مصر وغيرها من الاقطار العربية

وهذا (الجواد الطيار) احدى هذه القصص . وقد كتبها على طريقته باسلوب مشوق ، وفى قالب فنى مفيد ، فنهنىء الاستاذ كامل بهذا الجهد الجيد الذى نال من العارفين بفضله حسن التقدير

ابنة استريا

بقلم فيلبس أوبنهايم

ترجمة الاستاذ محمد عبدالفتاح ابراهيم

ترجم الضابط محمد عبد الفتاح ابراهيم هذه القصة التى نشرتها جريدة الاهرام تباعا . وهى قصة ممتعة حازت من قراء هذه الجريدة اعجاباً وتقديراً ولا سيما أن المترجم قد عنى بوضعها فى اسلوب شائق ، فامطره القراء برسائل يطلبون منه أن يجمعها فى كتاب خاص فجمعها فى جزءين ، صدر الجزء الثانى منهما أخيراً . والذين يعرفون المترجم يعلمون أنه من أدباء الشباب المجيدين الذين يتعشقون الادب . ويجاهدون فى سبيل خدمة النهضة الادبية جهاداً يستحق الثناء

الجمعة اليتيمة

بقلم الدكتور سعيد عبده

طبع بمطبعة عطايا بالقاهرة . صفحاته ٢٣٦

هى مجموعة قصص مصرية كتبها باسلوب طريف النطاسى القدير ، والاديب المجيد الدكتور سعيد عبده ، فقد عرف الدكتور سعيد ، على الرغم من مزاولته علما لا يمت الى الادب بصلة ، بميله الشديد الى الفن الادبى ، واستعداده الكبير فى القصص ، وله فى ذلك آثار نشرت فى عدد من الجرائد والمجلات وقد جمع هذه القصص ، وعنونها باسم احداها .

ووصف طريقته فى تأليفها بقوله :

«هذه مجموعة محاولات لعمل قصة مصرية طريقتى فيها طريقة الفلاح الجالس الى جدار كوخه فى ضوء القمر ، وبعد يوم زاخر بالمتاعب يعزف على الناى . . انه نغم واحد تقريبا يردده المسكين ، نغم ساذج متشابه قليل الدسم ، فقير الضوابط والموازين . ولكنه صادر من قلبه معبر عن ظمئه الروحى الى نبع مقدس مجهول يحاول الوصول اليه »

هذه هى طريقة الاستاذ فى هذه القصص ويبدو لك من اسلوبه خفة الروح ، وقوة التعبير . ولا شك ان الدكتور سعيد من خيرة الأدباء ، كما أنه من خيرة الاطباء

العدد السادس

من دائرة المعارف الاسلامية

ترجمة الاساتذة : ابراهيم خورشيد واحمد الشنتناوى ، وعباس محمود ، وعبد الحميد يونس

طبع بمطبعة دائرة المعارف الاسلامية بالقاهرة

وهذا هو العدد السادس من المجلد الثانى من هذه الدائرة القيمة التى وضعها باللغات الالمانية والانجليزية والفرنسية كبار المستشرقين وأخذ فى ترجمتها هؤلاء الشبان المثقفون . وهو جهد حميد يذكر لهم بالشكر . وهذا العدد يحوى فصلا واحداً طويلا عن مادة افغان ، وقد تناول التكوين الجيولوجى لهذه البلاد ، ووصف جبالها وانهارها ومناخها ، والتقسيم السياسى لها . كما يتناول السكان الذين يستوطنونها ولغاتهم وآدابهم . وغير ذلك مما يتعلق بحياة هذه البلاد التاريخية والجغرافية والاجتماعية

بين الهلال وقرائه

السرعة وبرودة الهواء

(بيروت ـ سورية) أحد المشتركين

عندما يركب الانسان الاوتوموبيل او الترام في يوم حار ينطلق به بسرعة يشعر بأن الهواء أبرد مما هو لو بقي لا يتحرك . فما سبب ذلك ؟

(الهلال) سبب ذلك أن الهواء الذي ينشأ من سرعة حركة الاوتوموبيل او الترام يبخر العرق (الذي يفرزه الجسم) بسرعة عظيمة ويمتص الحرارة بمثل تلك السرعة أيضاً

البروتونات والايلكترونات

(حيفا ـ فلسطين) ن . ن

ماهي البروتونات والايلكترونات فقد ذكرتموها كثيراً في أجزاء سابقة من الهلال ورأيناها أيضاً في مجلات علمية كثيرة ؟

(الهلال) البروتون هو أحد أركان الجوهر الفرد . اي انه الوحضة الكهربائية الموجبة التي تدور مع الايلكترون (أي الوحضة السلبية) حول نواة ذلك الجوهر ؛ والمعروف أن كتلة البروتون تعادل ١٨٤٥ ضعف كتلة الايلكترون . والبروتونات والايلكترونات تدور حول النواة كما تدور الكواكب في النظام الشمسي حول أمها الشمس . أما حجم الايلكترون فلا يعرف بالتمام ولكنه بالنسبة الى الجوهر الفرد كحبة رمل بالنسبة الى بيت كبير الحجم . وقاس بعض العلماء حجم الايلكترون فوجدوا قطره جزءاً واحداً من عشرة تريليونات من البوصة . والتريليون عبارة عن الرقم ١ والى يمينه اثناعشر صفراً . ومعنى ذلك ان عشرة آلاف ألف مليون ايلكترون تعادل بوصة واحدة في طولها

النجوم التي نستطيع رؤيتها

(البصرة ـ العراق) ي . خ . ع

كم نستطيع أن نرى من النجوم والاجرام الفلكية بالعين المجردة ؟

(الهلال) لا نستطيع أن نرى أكثر من نحو ستة آلاف جرم منها

معرفة الوقت بواسطة النجوم

(البصرة ـ العراق) ومنه

أصحيح أن الناس كانوا يستطيعون معرفة الوقت قبل اختراع الساعات بواسطة النجوم ؟

(الهلال) كانوا يستطيعون ذلك بواسطة النجوم ليلا وبواسطة مركز الشمس في قبة السماء نهاراً . وكان هنالك آلات اخرى ـ أهمها المزولة ـ لمعرفة الوقت وذلك من الظل الذي كان يقع على الارض في ساعات اشراق الشمس

سرعة الصوت

(نيويورك ـ الولايات المتحدة) أحد القراء

ما سرعة انتقال الصوت . وهل هي هي في الماء والهواء ام تختلف ؟ وهل للاحوال الجوية تأثير في تلك السرعة ؟

(الهلال) تختلف تلك السرعة في الماء عنها في الهواء فهي بمعدل ٤٧٨٠ قدماً في الاول و١٠٨٩ قدما في الثاني في الاحوال الجوية الاعتيادية وعند ما يكون الضغط الجوي اعتياديا

عمر الانسان

(نيويورك ـ الولايات المتحدة) ومنه

هل ثبت للعلماء منذ كم من الزمن ظهر الانسان على سطح الكرة الارضية ؟

(الهلال) لم يثبت ذلك بوجه التحقيق . على ان هنالك قرائن كثيرة تدل على أن الانسان وجد على هذه الارض منذ اكثر من مليون سنة ، ومن تلك القرائن آثار نار وأدوات من حجارة وعظا

مدفونة في طبقات من الارض تكونت وتحجرت منذ نحو مليون سنة

وزن الهواء

(سان باولو ـ البرازيل) ع . س

هل استطاع العلماء معرفة كمية الهواء المحيط بالكرة الارضية ؟

(الهلال) قد تمكن العلماء من وزن تلك الكمية بطريقة لا يسعنا شرحها في هذا المقام، فاتضح لهم أن ثقلها يعادل نحو ستين مليون مليون مليون طن . أو ما يعادل طبقة من الصخور تغطى قارة أوربا كلها وثخانتها (سمكها) نحو مائتين وأربعين متراً.

السراب

(سان باولو ـ البرازيل) ومنه

ما هو السراب وهل يمكن تمييزه من الماء ؟ !

(الهلال) في كتب اللغة السراب ماتراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض . وتعليله العلمي ان طبقة الماء الملاصقة للارض تسخن بفعل حرارة الشمس فتمتد الحرارة منها الى طبقة الهواء التي تليها فوقها . وهذه الطبقة الثانية تعكس أشعة الشمس كما تفعل المرآة وتعكس معها لون الجو الذي يشبه سطح الماء . والمسافرون في الصحارى كثيراً ما ينخدعون برؤية السراب فيحسبونه ماء . أما الخبيرون منهم بالأسفار فلا ينخدعون به ، اذ يعلمون أن الماء الحقيق تحوم على سواحله الطيور ولايتغير شكله أوحدوده، مع أنك إذا تفرست في السراب ملياً وجدت شكله وحدوده في تغير مستمر

وكثيراً ما استعير السراب للآمال الكاذبة . وفي القرآن الكريم : « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء »

النوم المغناطيسى

(القاهرة ـ مصر) توفيق راضي

هل النوم المغناطيسى يشبه النوم الاعتيادي من الوجهة الفسيولوجية ومن وجهة التاثير في الجسم ؟

(الهلال) النوم المغناطيسي يختلف عن النوم الطبيعى من كل وجه تقريباً الا ان النائم في كلتا الحالتين يكون فاقد الاحساس وقد أثبتت الاختبارات البسيكولوجية ان « امواج الدماغ » في حالة النوم المغناطيسى تختلف عنها في حالة النوم الاعتيادي وتشبهها في حالة اليقظة

ضغط الدم العالى

(القاهرة ـ مصر) ومنه

ماذا تنصحون شخصاً مصاباً بضغط الدم العالى وهو في نحو الستين من عمره ؟

تنصحه أولا بأن يستشير طبيباً اخصائياً ثم أن يتجنب الافراط في التغذية ، والتعب ، وأن يبتعد عن كل ما يسبب الحزن والغضب والانفعال وكثرة الهم . وأن يسير على نظام خاص في الغذاء . اما الاشخاص الذين يكون ضغط الدم فيهم عاليا بطبيعتهم فليس من الحكمة العمل على خفض الضغط فيهم الى ما دون الحد الاعتيادى . وقد قرأنا في احدى المجلات العلمية أن بعض حوادث ضغط الدم المستعصية يمكن معالجتها بعملية جراحية لا يتسع هذا المجال لشرحها

البطاطس والفيتامين

(بورسعيد ـ مصر) حنا سلامه

المعروف أن اكثر الغربيين ولا سيما الانجليز يكثرون من اكل البطاطس مطبوخة على وجوه شتى . فهل في هذه المادة الغذائية شيء من الفيتامينات المعروفة ؟

(الهلال) لا شك أن البطاطس من المواد الغذائية النافعة وهى غنية بالفيتامين « ج » ولا تكاد تقل عن عصير الطماطم بهذا الاعتبار

الزائدة الدودية

(بورسعيد ـ مصر) ومنه

هل الزائدة الدودية تصيب جميع الافراد على حد سوى أم هي خاصة بطائفة دون غيرها ؟

(الهلال) التهاب الزائدة الدودية مرض يصيب

جميع الناس تقريباً الا أنه أشد اصابة للاحداث والبالغين منه للشيوخ . والارجح أن الذكور أشد تعرضاً له من الاناث كما يؤخذ من الاحصاءات الطبية الموثوق بها . واذا امكن تدارك الشخص الذي يشكو من هذا المرض بعملية جراحية فلا خطر من تلك العملية على الاطلاق وانما الخطر من تأجيلها

التقويم الغريغوري

(اسيوط — مصر) نعيم ميخائيل

من وضع التقويم الغريغوري، وهل هو أفضل من التقاويم الاخرى المعروفة ؟

(الهلال) لا شك في أن التقويم الغريغوري هو افضل التقاويم المعروفة وقد سمي بالغريغوري لان البابا غريغوريوس الثالث عشر أمر في سنة ١٥٨٢ عالماً فلكياً يدعى كريستوفر كلافيوس بوضعه وذلك باصلاح التقويم الذي كان ساريا في ذلك العصر أي التقويم اليولياني (نسبة الى يوليوس قيصر) على أن التقويم الغريغوري ليس مضبوطاً بالمعنى العلمي الدقيق لانه يجعل اليوم نحو ٢٤ ثانية أطول مما هو الحقيقة ، ولكن هذه الزيادة ليست شيئا يستحق الذكر فلن تبلغ سوى نحو يوم واحد سنة ٤٦٠٠ (أي بعد ٢٦٦٤ سنة) وهذا الفرق ناشئ عن كون الارض تدور حول الشمس ٣٦٥ دورة في العام ونحو ٢٤٢١٩ جزءاً من مائة الف جزء من الدورة . ومنذ سنة ١٥٨٢ التي وضع فيها التقويم الغريغوري الى اليوم قد بلغ الفرق المتجمع نحو ثلاث ساعات فقط . فهو فرق لا يؤبه له للاغراض العملية

اما التقويم اليولياني فينسب الى يوليوس قيصر الذي امر سوسيجنيس العالم الفلكي في سنة ٤٥ قبل الميلاد بوضعه وكان أقل ضبطاً من التقويم الغريغوري الحاضر

الحيوانات والالوان

(اسيوط — مصر) ومنه

هل تستطيع الحيوانات أن تميز الالوان كما يميزها الانسان ؟

(الهلال) الارجح ان اكثر الحيوانات لا تستطيع تمييز الالوان بعضها من بعض كما يميزها الانسان . واكثرها لا يهتدي في اثناء سيره بلون الطريق بل برائحته

(اسيوط — مصر) ومنه

اذا كانت الحيوانات لا تستطيع تمييز الالوان بعضها عن بعض فلماذا يستعمل مصارعو الثيران وشاحاً احمر اللون ؟ أليس ذلك لان اللون الاحمر يهيج غضب الثور ؟

(الهلال) يقول الخبيرون بمصارعة الثيران انه ليس من الضروري استعمال وشاح احمر اللون لاستفزاز غضب الثور فقد يتأتى ذلك باستعمال وشاح من أي لون كان لان الذي يهيج غضب الثور هو رؤيته شيئا متماوجاً يتجه نحوه . فكأنه يحسبه جسما حياً سائراً نحوه ولا يهمه لونه على الاطلاق

الذكاء وقصر العمر

(البصرة — العراق) حسين النجيلي

من الاعتقادات الشائعة بين العامة أن الاولاد الذين يكونون ذوي ذكاء مفرط لا يعمرون طويلا . فهل يستند هذا الاعتقاد الى مبدأ علمي ؟

(الهلال) كلا . لا يستند الى مبدأ علمي اذ لم يثبت أن بين الذكاء وطول العمر أو قصره أية علاقة نعم أن بعض المشهورين بعلمهم يستنفدون جانبا كبيراً من قواهم العقلية في المباحث العلمية التي يقومون بها وهذا الاستنفاد قد يؤثر في صحتهم بوجه الاجمال الا أن أصحاب الذكاء الفطري والذكاء الخارق قلما يحتاجون الى اجهاد عقلي . وعليه فان صحتهم قلما تتأثر . أضف الى ذلك أن الكثيرين ممن ظهرت عليهم دلائل العبقرية في حداثتهم عمروا طويلا

اسطوانات الفونوغراف

(البصرة — العراق) ومنه

من أي شيء تصنع اسطوانات الفونوغراف ؟

(الهلال) تصنع من مواد مختلفة وأفضلها مادة صمغية تعرف بالكثيراء الصناعية وتشبه الكثيراء الطبيعية من عدة وجوه وتستخرج بتقطير الفحم

ماء للبحر

(الموصل ــ العراق) ك . ق

المعروف ان البواخر الكبيرة ــ كالباخرتين نورماندي الفرنسية وكوين ماري الانجليزية ــ تحمل الالوف من النوتية والركاب . فهل تحمل ما تحتاج اليه جميع أولئك الالوف من الماء والغذاء ؟

(الهلال) البواخر الكبيرة تحمل كل ما تحتاج اليه من ماء وغذاء . وهي تأخذ مؤونتها عادة من الموانىء التى تمر بها . واذا احتاجت الى ماء ففيها مرشحات لتقطير ماء البحر واستعماله للشرب

أقدم الحيوانات

(بيروت ــ لبنان) أحد المشتركين

المعروف عند علماء مذهب النشوء والارتقاء ان اقدم الحيوانات كانت حيوانات مائية ، فما هي اقدم الحيوانات التى عاشت على اليابسة ؟

(الهلال) الارجح انها ضرب من العقارب الشبيهة بالعقارب الاعتيادية وكان ذلك في العصر الجيولوجي المعروف بالسيلوري أى منذ أربعمائة مليون أو خمسمائة مليون سنة . وقد كانت العقارب في الاصل حيوانات مائية تعلمت بمرور الزمن أن تعيش على البر وبعد مرور الاحقاب اخذت تتوالد وتتحول من حيوانات مائية الى حيوانات برية

الكيلوسيكل

(بيروت ــ لبنان) ومنه

ما هو الكيلوسيكل في علم الراديو ؟

(الهلال) الكيلوسيكل كلمة مركبة من كلمتين وهما « كيلو » ومعناها الف . و « سيكل » ومعناها دائرة أو موجة كهربائية . فاذا قلنا مثلا ثلثمائة كيلوسيكل كان معنى ذلك ثلثمائة الف موجة من أمواج الكهربائية الجوية في الثانية الواحدة . ولا يخفى ان محطة راديو القاهرة هي ٦٢٠ كيلوسيكل أى ستمائة وعشرون الف موجة في الثانية الواحدة

قصاري الازهار

(السنبلاوين ــ مصر) قاريء

د قصاري الازهار مثقوبة دائما من اسفلها . فلماذا ؟

(الهلال) لكي يرشح منها الماء . الى الخارج فان جذور النباتات تحتاج الى التنفس كجميع المخلوقات الحية . فاذا بقيت غارقة في الماء فطس النبات ومات . لذلك يجب طرد الماء الى الخارج

ذاكرة الحيوانات

(ساو باولو) م . ج

نقرأ قصصاً مدهشة عن الحيوانات تدل على أن لها ذاكرة قوية . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) لا شك ان للحيوانات ذاكرة وهذه الذاكرة تكون قوية في العليا وضعيفة في الدنيا . فالكلب والجمل والحصان والفيل والقرد ذاكرة قوية تكاد تكون كذاكرة الانسان . وهنالك روايات كثيرة تروي عن قوة ذاكرة الكلب والفيل بوجه خاص حتى انهما يظلان يتذكران من يحسن أو يسيء اليهما زمناً طويلا . اما الحيوانات السفلى فذاكرتها قصيرة الاجل قلما تدوم سوى دقائق وساعات

هل الزهرة مأهولة

(كوبا ــ هافانا) أحد المشتركين

قرأت في احدى الصحف العلمية ان السيار المعروف بالزهرة (فينوس) قد يكون مأهولا لان شروط الحياة متوافرة فيه . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) ان شروط الحياة في الزهرة كثيرة الشبه بشروط الحياة على الارض ، ومثلها شروط الحياة في السيار المعروف بالمريخ . ولكن ليس لدينا أى دليل قاطع على وجود الحياة في أي جرم من الاجرام الفلكية غير الارض . واذا احتكمنا الى العقل صعب علينا ان ندرك لماذا يترك الخالق ملايين الاجرام العلوية قفراً بلقعاً ويخص كرتنا الارضية فقط بالحياة مع أن هذه الكرة ليست أفضل من الاجرام العلوية بوجه من الوجوه فلا هي اكبر ولا أقدم ولا اكثر استحقاقا لان تكون مقراً للحياة !

الحكومة النيابية

وعلاقتها بنهضات الأمم

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

« . . للحكومة النيابية علاقة لا شك فيها بالنهضات القومية ، وانما الثابت حتى الآن ان كل نهضة قومية في العصر الحديث تبعتها حكومة نيابية، وليس من الضرورى ان كل حكومة نيابية تتبعها نهضة قومية ، لان نهضات الامم تتوقف على اشياء كثيرة غير الحكومة والحكام.. »

وصفت الحكومة النيابيـة بصفات شتى ، أصدقها فيما نرى أنها الحكومة التمثيلية ، فمهما يكن من الشك في جميع الخصائص والمزايا الاخرى فان الخاصة التى لاشك فيها أن كل حكومة نيابية تمثل شعبها في أخلاقه ومصالحه الحاضرة وتربيته السياسية أصدق تمثيل مستطاع ، ما دام انتخابها حراً من القيود بريئاً من الارهاب والتزوير

وعلى هذا يكون النظام النيابى راقياً أو غير راق على حسب الشعب الذي هو قائم فيه . فالشعب المتقدم الناهض له حكومة متقدمة ناهضة ، وغير هذا الشعب انما تكون له حكومة على حسب حظه من العلم والثروة والمرافق العامة

ومناط الرقي المقصود في الكلام على النظم النيابية هما القدرة على التمييز والقـدرة على المجاهرة بالرأى الصريح

فالتمييز لازم للتفرقة بين الآراء والخطط التى تعرض على جمهور الشعب ليختار أحسنها ويتبع أحسن دعاتها

والصراحة لازمة للاعراب عن الرأى الحسن متى اقتنع به صاحبـه أو أصحابه ، ولازمة لسماعه متى جهر به الداعون اليه

ولا خير في حكومة نيابية بغير تمييز وبغير رأى صريح ، وانما هى سـبيل الاستعباد والفساد من طريق الجهل وكتمان الحقيقة

* * *

لقد كان للحكم النيابي مزاحم واحد في أوائل ظهوره وهو حق الحكم بوحي من الله ، أو هو الحق الذي كان يدعيه الملوك المستبدون ويفرضون بموجبه الطاعة العمياء على رعاياهم ، لانهم غير مسئولين عن أعمالهم حسنت أو ساءت إلا أمام الله !

أما الآن فهذا المزاحم لا خطر له ولا اهتمام بأمره ، وانما نشأ للحكم النيابي مزاحمان آخران هما نظام الحكم في رأى الفاشيين ، ونظام الحكم في رأى الشيوعيين ، وكلاهما يجوران على الحرية الفردية في سبيل ما يسميانه الامة أو الانسانية

فالفاشيون يقولون إن الحكم النيابي حكم خاطىء من أساسه ، لانه يزعم أن المجالس المنتخبة تمثل الامة ومصالحها وهذا غير صحيح . إذ الامة أجيال عديدة لا جيل واحد ، وهى ماض عريق وحاضر غامض ومستقبل حافل بالتصاريف والاحتمالات ، وليس من الجائز عقلاً أن تتمثل هذه الامة فى مجلس واحد ، أو أن يقطع تاريخها تقطيعاً متلاحقاً بين المجالس المتلاحقة

أما مصالح الامة فهناك فرق بين مصالح الامة الحقيقية وبين مصالحها كما يفهمها أفرادها أو أحزابها

مثال ذلك أنه اذا كان حب الخمر شائعاً في الامة فهي في قوانينها وأعمال حكومتها لا تحارب هذه الآفة ولا تتخذ الوسائل لمنعها واستئصالها تبعاً لميول أفرادها لا تبعاً للمصلحة القومية فى الحقيقة

واذا كان في القطر عشرون أو ثلاثون من الاغنياء الاقوياء لهم مصلحة متفقة فى رواج صنف من البضاعة واستطاعوا تحقيقها من طريق السيطرة على النواب والصحفيين ، فليس معنى ذلك أن مصلحة الامة في حاضرها فضلاً عن مصلحتها في مستقبلها هي التي تحققت في هذه الحال

فهناك فرق بين المصالح كما يفهمها الناس متفرقين أو مجتمعين ، وبين المصالح كما هي في الحقيقة

وهناك فرق بين الامة باعتبارها جمعاً من الناس وبين الامة باعتبارها بنية حية لها سليقة هادية يفهمها بالبداهة من خلقوا لتوجيه هذه السليقة ، ولا يفهمها الناخبون ولا طلاب الاصوات من الناخبين

والرد على هذه النظرية الفاشية من حيث علاقتها بالنظام النيابي يسير لا يحتاج الى اسهاب . لان النظر الى الامة بهذا الاعتبار أحرى أن يوجب علينا الحذر من تسليم مقاديرها

الى رجل واحد يقضي فيها قضاءه الذى لا يرد بكلمة نافذة تفصل في مقادير جميع الاجيال الى غير انتهاء . ومهما يكن من غلبة المصالح الموقوتة على أفراد الجماهير فغلبة المصالح الموقوتة على الحاكم بأمره جائزة جداً فيما يعهده بنو الانسان

أما الشيوعيون فرأيهم في الحكومات النيابية الموجودة أنها لا تمثل الامة بجملتها ولكنها تمثل طبقة واحدة من طبقاتها وهى أصحاب المال وأصحاب الاشراف بهذه الوسيلة على الرأى العام والموظفين والمجالس النيابية والناخبين ، سواء بوسائل السر والمراوغة أو بوسائل الجهر والسطوة . وحيثما كان المال كان النفوذ وكان تحيز الآداب والعقائد والصحافة والخطابة وكل أساليب التعبير التى تهيمن على الجماهير

هذا هو رأى الشيوعيين على الجملة ، ولكنه رأى لا يمكن أن يقدح فى النظام النيابي من أساسه ، لانهم يعترضون على الطبقة التى تتولى الحكم والسيطرة ولا يعترضون على نظام التمثيل لذاته ، فاذا فرضنا أن طبقة « الصعاليك » كما يسميهم الشيوعيون قبضت على عنان الحكومة ، فهل لها من وسيلة للاعراب عن رأيها واختيار وكلائها غير الوسيلة التمثيلية النيابية على نحو من الانحاء ؟

فالمذهبان المزاحمان للمذهب النيابي في الوقت الحاضر لا ينقضان هذا المذهب من أساسه ولا يخلفانه بما هو أولى باقناع الرجل الحديث

والى اليوم لم ينشأ المذهب المفصل المقنع الذى يخلف المذهب النيابى بجميع قواعده وتفصيلاته ، وان كان هذا لا يمنع أن الحكومات الصالحة تقوم حينا بعد حين على غير أساس من مذهب واحد بعينه أو من مذاهب متعددات ، كما قامت من قبل حكومات المستبدين العادلين ، أو المستبدين الذين قصدهم الشيخ محمد عبده رحمه الله حين قال : « لا يصلح الشرق الا بمستبد عادل »

والشيخ محمد عبده لم يكن يدعو الى الاستبداد على اطلاقه ، لانه يكرهه بطبعه ويكرهه باعتباره اماما مصلحاً من اكبر أئمة الاسلام ، ولكنه يدعو اليه كما تدعو الدساتير كلها الى الحد من بعض الحريات في بعض الاحوال . وقوام ذلك جميعه ما ورد في هذه الاسانيد الثلاثة من أسانيد القرآن الحكيم :

« وأمرهم شورى بينهم »

« واسألوا أهل الذكر »

« وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله »

فاذا لوحظت هذه الاسانيد ، أو هذه الاساطين الثلاث قامت عليها قواعد حكم نيابي صالح في جميع الشعوب وجميع الاوقات

والحكومة النيابية علاقة لا شك فيها بالنهضات القومية ، وانما الثابت حتى الآن أن كل نهضة قومية في العصر الحديث تتبعها حكومة نيابية ، وليس من الضروري أن كل حكومة نيابية تتبعها نهضة قومية . لان نهضات الامم تتوقف على أشياء كثيرة غير الحكومة والحكام ، فاذا توافرت هذه الاشياء ظهرت آثارها في نظام الحكومة كما تظهر في جميع النظم والمقاصد العامة والخاصة . وطلب الناس ما يلائمهم من الحكم الحر الرشيد

عباس محمود العقاد



العيون

رب خذلي من العيون بحقي ... وأجرني من ظالم ليس يبقي

قد توقيتها استطعت من الحب ... م ولكن ماذا يرد التوقي

وترفقت بالفؤاد ولكن ... غلبت لوعة الصبابة رفقي

لا تلمني على الهوى فغموض الـ ... حق عذر يرد كل محق

سل دموعي فهن ينبئن عما ... في ضميري ويعترفن بصدق

كيف لي بالنجاة من شرك الحب ... م سلبا والحب مالك رقي

قد تلقيت لوعتي من عيون ... علمتني درس الهوى بالتلقي

محمود سامي البارودي

السياسة والأخلاق

خطر المكيافللية فى العصر الحديث

بقلم الأستاذ على أدهم

لمكيافللى مكانة ممتازة فى التفكير السياسى لأنه فى كتابه المشهور « الامير » أول من أعلن فى صراحة وجرأة انفصال الأخلاق عن السياسة . وقد كان الكثيرون من الحكام والملوك فى مختلف العصور وشتى المواطن لا يراعون فى تنفيذ سياستهم شرائع الأخلاق ، ولا يترسمون قواعد الدين ، ولا يترددون فى ارتكاب الكبائر إذا كان فى اتيانها ما يوطد ملكهم ويقوى سلطانهم . ولكن أحداً قبل مكيافللى لم يجترىء على اعلان ذلك وتقريره وعرضه فى صورة مغرية وتنسيق بارع ومنطق حاسم . وقد كانت الأفكار فى العصور الوسطى متأثرة الى أبعد حد بالتفكير الدينى . وكان الذين يتناولون الكتابة فى المسائل السياسية يحاولون أن يستخلصوا قواعد الحكم وأصول السياسة من الكتب المقدسة . أما مكيافللى فقد جحد تعاليم الدين ونكر مبادىء الأخلاق وحرص على أن ينظر الى السياسة نظرة واقعية مجردة ، ووضع بذلك أساس فصل التفكير السياسى عن التفكير الدينى والتفكير الخلقى . وفى العصور الوسطى كانت الأهواء الفردية والنزوات العارضة والمآرب الشخصية فى تمرد دائم على الحكومات الماثلة ، مما أضعف مركزها وأضاع هيبتها . وكان مكيافللى يريد حكومة قوية بأى ثمن ، ولو ضحى فى سبيل ذلك بالاخلاق والدين ورفاهة الشعب وسعادة الفرد . ويظهر أنه لم ير سبيلا الى تحقيق ذلك غير الوسائل القاسية التى وصفها فى كتابه وجرت عليه السمعة السيئة والذكرى البغيضة . وكان يرى أن كل الوسائل تهون وتتضاءل الى جانب الغاية الكبيرة المبرورة التى تحسم الفوضى وتوطد مركز الحكومة . وقد رمى فى كتابه الى بيان القواعد المسيطرة على مقدرة الانسان فى تحقيق رغبته دون نظر الى الاخلاق والوسائل التى يحافظ بها

> « . . . اذا حرص العالم على بقاء الحضارة سليمة مصونة موقاة من عوامل الدمار ، فلا مفر من تطبيق السياسة المكيافللية والعمل للتوفيق بين السياسة والسمو الأخلاقى والإنسانية العالية ، وغريزة حفظ الذات . . . »

على المركز الذى يصل اليه فى عالم حافل بالغش والخداع والاهواء واسباب القوة ودواعى الكفاح . وليس اهماله للاخلاق عجيباً فقد كانت الاخلاق طريدة منبوذة فى الوسط الذى استمد منه تجاربه واستمل فيه مشاهداته . وكان غرضه الصريح طلب القوة لا طلب الخير والصلاح ، ولذا اقتصر على وصف طرائق الوصول الى القوة فى عالم كان يعجب بمثل سيزار بورجيا ، وكان يجلس فيه على كرسى البابوية البابا اسكندر بورجيا الغنى بجرائمه عن التعريف

والمعروف أن كتابه عن الامير كان المقصود منه انهاض ايطاليا من عثرتها ، ورأب الصدوع التى أحدثتها بها الحروب الداخلية والغزوات الخارجية . وقد اختلفت الآراء فى تفسير الاسلوب الذى سار عليه فى هذا الكتاب . ففسره البعض بأنه هجوم مستتر على مبادىء الطاغية الايطالى ، وان مكيافللى هجاء عظيم إذ كشف عن حيل الظالمين وفضح دسائسهم وما تنطوى عليه أساليبهم من شر مستطير وإثم واجرام . واعتبره البعض وطنياً سابقاً لأوانه من طراز ماتزينى وكافور . ولكن فهم مكيافللى يستلزم ان تنظر اليه باعتباره من أهل القرن السادس عشر . وقد كانت النزعة الغالبة على عصره نزعة استجاشة قوى الانسان جميعها واستثارة رواقده والمغامرة فى جميع التجارب . وكانت قد تولت دنيا قديمة واقبل عالم جديد يبتعث الطموح ويحرك الامل البعيد . وكان الأقوياء الطامحون يرون الدنيا وسيلة للحكم ، وطريقا الى المجد ، ولا يحفلون فيها بالآداب وقواعد السلوك ، وتنأى بهم هممهم الماضية عن الخضوع للتقاليد فهم يحاولون خلق كل شىء من جديد . وكان أغلب ساسة هذا العصر يرون الوسائل هينة الى جانب الغايات . وقد شاهد مكيافللى ذلك كله ، وأحس به احساساً عميقاً ، وادار فيه فكره طويلا ، وكتب بعد ذلك فلسفة هذه التجربة وسجل نتائج هذه المشاهدة

وكان مكيافللى بحكم اطلاعه وبحافز من مزاجه يرى المثل الاعلى للحياة فى حياة الاقدمين ، وهو أول من وجه الفكر الى الروح الحديثة المتجلية فى أمثال نيتشه وجيتى وابسن وغيرهم من اعلام الفكر الحديث . والقدماء فى رأيه كانوا يحبون النبل والمجد ويعجبون بقوة البنية ورجاحة العقل . ولكن عند ما تغلبت آداب المسيحية على الآداب الوثنية ، انتقل محور الاهتمام من الدنيا الى العالم الآخر . وسادت آداب ترمى الى احتقار الدنيا وتهوين أمرها وتحبذ التواضع وتحض على اصغار النفس وسحق كبريائها ، وتؤثر حياة التأمل والزهد على حياة العمل والجهاد . واذا كانت هذه الآداب تتطلب قوة فانما هى قوة على تحمل الالم والصبر على المكاره لا على العمل والكفاح . وقد كان من نتائج هذه الآداب ان ألقت الدنيا مقادتها الى قوم لا يبالون ما يصنعون ، لانهم أدركوا ان الناس قد راضهم الأمل فى الجنة على احتمال الاساءة والصبر على الهوان . ورأى مكيافللى هذا يتضمن ترجيحا صريحاً للآداب الوثنية على الآداب المسيحية

والفضيلة عند مكيافللي قوة فعالة ونشاط وثاب . وارتباط الارادة بالعمل له قيمة فى نفسه بغض النظر عن الغاية المبتغاة . والارادة هى أن نعمل ومن ثم الارتباط بين الارادة والقوة والفضيلة بمقتضى ذلك لاعلاقة بينها وبين الاخلاق والصلاح ، وانما هى متابعة الغرض بالطرق المؤدية اليه سواء أكانت الغاية خيرة أم شريرة

وليست الاعمال بالنيات فى رأى مكيافللي ، لأن الارادة عنده ليست مجرد حركة ذاتية داخلية ، وانما هو يقدرها بما يبدو من آثارها فى الواقع ، وبما لها من القدرة على تشكيله واحالته . وهو يقرر أن الانسان ليس قادرا على كل شيء لأن هناك مايسمى « الحظ » وكل عمل من اعمال الارادة يتوقف امضاؤه على الظروف المحيطة والفرص السانحة وهذه مدارها على الحظ . فالحظ هو بداية كل عمل . وليس فى وسع الارادة خلق الفرصة وكل ما فى مكنتها هو ان تستفيد منها عند حدوثها

وفضيلة الحاكم عنده هى الرجولة التامة والهمة القعساء والشدة التى لا تحجزها رهبة ولا يسمو اليها التردد والرأس المدبر واليد العاملة ، وواجب الحاكم هو النجاح والمحافظة على بقائه واكبر نقائص الحاكم عنده هو التردد وضعف الارادة

وعلينا ان نراعى عند تقدير كتاب الامير أن مكيافللي قد اهداه لامير من أسرة المديتشى . وكان يحرص فيه على اثبات بعد نظره السياسى لتلك الاسرة ، وتقديره للتقاليد التى قامت عليها سياستها ، وكيف تحافظ على قوتها وتستبقى نفوذها . وربما يكون هذا الاعتبار قد ساقه الى التورط فى بعض المبالغات ، ولكننا خلقاء أن نلمح فى ثنايا سطور الكتاب سوء اعتقاد الرجل فى الطبيعة الانسانية ، وعدم ايمانه بفكرة التقدم ، فالتاريخ فى نظره ميدان تلعب فيه المصادفات . وليست هناك قوانين مسيطرة عليه . فاذا أردت النجاح فساير الظروف واخترالبر والرحمة اذا شممت فيهما النجاح والعب دور الأسد ودور الثعلب عند اللزوم

ومكيافللي واضح فى تفكيره ودقيق ومقتصد فى أسلوبه . وهو يحلل الطبيعة الانسانية كالمشرح القدير فى هدوء ومنطق ملتحم الأجزاء لا تضله الأوهام ولا تميل به العواطف . وتوحى اليك كتابته صورة رجل يجمع الحقائق ويصفها صفاً ، وحقائقه لشدة وضوحها تكاد تكون بديهيات

وقد أثاركتابه السخط عليه ولكنه أحرزاعجاب عظماء عصره وحاز تقديرهم لانه يخاطبهم بلغة يحسنون فهمها ويدركون مغزاها ، وفيه تحذيرات نافعة لهم ومشاهدات موحية . وقد كان القرن السادس عشر هو عصر المكيافيللية الزاهر وكان أكثر حكامه من المطلعين على هذا الكتاب ، وقد عزا الهيجونوت تدبير مذبحة سنت برثلميو الى تأثر كاترين دى مدتشى بهذا الكتاب . ويروى أن ابنها هنرى الثالث كان يحمل على الدوام فى جيبه نسخة منه . وقد كان الكاردينال ريشيليو يحالف البروتستانت ضد النمسا الكاثوليكية ويعمل على سحق البروتستانت

على الزراية بها وقد أدى ذلك فى سنة ١٥٥٢ الى وضع كتبه فى قائمة الكتب المحرمة ووجه اليه الكثير من الاهاجى والمقذعات

وقد كثرت المؤلفات عن مكيافللى وما تزال آراؤه تثير خلافات شديدة وخصومات لا تنتهى . لأن علاقة السياسة بالاخلاق ليست بالمسألة القليلة الخطر . والبحث فيها يتطلب موقفاً خاصاً تلقاء طائفة من المسائل الجسام والمعضلات المعقدة . فهى تستلزم أن نعيد النظر فى التاريخ ونستقرى أطواره ونتتبع حركاته وأن نجيل الفكر فى النفس وننظر اليها نظرة فاحصة، وأن نتناول بالبحث وظيفة الحكومة ومهمتها ، ومدى مايمنح لها من سلطة ، وما يقدم لها من طاعة . وآراء المفكرين فى كل مسألة من هذه المسائل تختلف باختلاف المشكلات التى يوجهها اليها عصرهم لان الفلسفة السياسية تستمد من التجربة ، والآراء التى ينتهى اليها المفكرون السياسيون هى صدى تأثير الحوادث فى نفوسهم

وقد هاجمه فردريك الاكبر ورد عليه بكتاب « ضد مكيافللى » وحاول فيه تسفيه آرائه وتفنيد نظرياته . وقد يعجب الانسان لهذا الهجوم الغريب فقد كان الامراء قبل عهد فردريك من المعجبين بمكيافللى والمسترشدين بآرائه . وهو نفسه لما تسنم العرش بعد تأليفه هذا الكتاب سار على خطة مكيافللى . وقد يبدو لنا أن هذا التصرف من فردريك الاكبر امعان فى الدهاء ومحاولة لستر سياسته وتغطية خططه واخفاء مقاصده . ولكن الارجح أن التفسير المحتمل لذلك هو تغير الظروف السياسية فى أوربا فقد أصبح مركز الملك فى القرن السابع عشر مختلفا عن مركزه فى عصر احياء العلوم . ولم يكن غرض الملك حينذاك انتزاع السلطة من أمراء الاقطاعيات أو القضاء على الجمهوريات الصغيرة والحكومات المحلية . فقد كانت كل هذه العقبات قد ذللت وذهبت ريحها ، وكان العرش قد ثبتت قوائمه وشعر الملوك بحاجتهم الى اجتذاب قلوب الرعية وتأكيد صلات الولاء ليضمنوا مناصرتها فى الحرب ضد نظرائهم ، وليستمد الملك القوة من رخاء بلاده وتقدمها، وبذلك مهد السبيل لامراء القرن الثامن عشر المستنيرين وكانوا يشعرون بأنهم قادة لأممهم ومرشدون لها واوصياء على مصالحها . وبذلك أصبح المثل الاعلى للامير مخالفاً للامير كما رسمه مكيافللى . وليس غريباً بعد ذلك أن يقول فردريك الاكبر عن نفسه انه أول خادم للحكومة وان يقول عن كتاب الأمير « إنه كتاب رجل يريد ان يكون معلما اللصوص والسفاكين »

والفيلسوف الالمانى هجل وهو من كبار المفكرين السياسيين فى القرن التاسع عشر يؤيد مكيافللى ، ويقبل أكثر آرائه ، وينكر وجود خلاف بين السياسة والاخلاق . ويقول إن الحكومة هى تحقيق الفكرة الاخلاقية وأنها غاية فى نفسها وليس لها واجب أكثر من المحافظة على كيانها . وهو يرى أن القانون الدولى ليس تعاقداً حقيقياً والحكومات غير مقيدة به والخلافات

داخل فرنسا . وكان أول نقد وجه الى مكيافللي من جانب الكنيسة لابدائه ملاحظات منطوية الكبيرة التى تنجم بين الحكومات لا يفصل فيها سوى الحرب . والحرب فى نفسها ليست خيراً ولا شراً وانما هى شيء طبيعي

ويرى المؤرخ الالمانى تريتشكه أن مزية مكيافللي هى أنه أطلق الحكومة من سلطة الكنيسة . وهو يذهب الى أن محافظة الحكومة على قوتها عمل منقطع النظير فى الجلال والروعة . ولكيلا تناقض الحكومة نفسها يلزم أن تكون غايتها أدبية . وكل حكم ادبى للمؤرخ يلزم أن يقوم على أساس افتراض أن الحكومة مضطرة الى المحافظة على كيانها فى الداخل والخارج . وأسمى مصير للانسان هو التضامن معها فى هذا العمل . والحكومة أسمى من الأفراد الذين تتكون منهم . وهى موجودة لتحقيق أغراض أسمى من السعادة الانسانية ، ولا تستطيع مباشرة وظيفتها إلا اذا كانت قوية ، وهى القائمة على التقاليد والوصية على الاجيال التى لم تولد بعد ، وهى غير مدينة بالولاء لاية سلطة خارجية . ولا تستطيع محكمة ان تفصل بين الحكومات . والمعاهدات ان هى إلا قيود اختيارية . ويلزم أن تكون الحكومة متأهبة للحرب على الدوام وهى شيء يسمو بالأمم عندما تلجأ اليه لنيل المجد أو لغاية قومية . وليست الحرب شراً لا مناص منه ، وانما هى آلة سياسية ومدرسة قومية وهى الدواء لمرضى الامم . والتعلق بالمثل الأعلى يطلب الحرب والمادية هى التى تأباها وتنفر منها . والكفاح هو قانون الحياة واحلام السلام دليل الجيل الراكد المنحل . والامل فى ازالة الحرب أمل لا معنى له وخارج على سنن الاخلاق . لان اختفاء الحرب يجعل الأرض معبداً عظيما للانانية . وكان تريتشكه يرمى بذلك الى تقوية المانيا كما كان مكيافللي يرمى بآرائه الى تقوية ايطاليا

وفكرة تمجيد الحكومة على نمط مكيافللي وهجل وتريتشكه تؤدى لا محالة الى فكرة اعلاء شأن الحرب . والحضارة الراهنة تعانى الآن مشكلة التوفيق بين السياسة والأخلاق . ويتساءل المفكرون الآن عن المصير اذا لم تستطع الاخلاق أن تكبح شهوات السياسة وتلطف من حدتها وتقلم أظفارها . واليأس من ذلك أو الاسترسال فيه مع الأمل مرتبط أشد ارتباط بنظرتنا للطبيعة الانسانية والفروق فى المذاهب السياسية تبين لنا مدى الخلافات البعيدة فى النظر الى النفس . فاذا رأينا مع مكيافللي ان الانسان مطبوع على الشر وأنه أقرب الى الحيوانات منه الى الملائكة فسنأخذ بنظرية السلطة الاوتوقراطية وننتصر للحكم المطلق ، والذين يحسنون الظن بالانسان سيشيرون بالتعاون . وقد كان كانت ، وهو من كبار الفلاسفة يقول انه يعجب بالسماء ذات النجوم خارج النفس وبالقانون الادبى داخلها . وكان أدمند بيرك يرى أن المجتمع قائم على أسس أخلاقية وبنى ستيورت مل طلبه للحرية الشخصية على ايمانه بالاخلاق وقدرة الانسان وقابليته للرقي الروحي

ومن السهل أن ندرك أن آراء ما كيافللى عن النفس الانسانية غير مدعمة بالبراهين المقنعة، وانما هى أشبه بملاحظات صادقة فيما يختص بأهل عصره . والنظريات التى تقوم على أن الانسان طالح كل الطلاح أو صالح الصلاح كله كانت تنتهى فى الأغلب الى فلسفة مبتورة مشوهة لان الحقائق اكثر تنوعا وأشد تعقيداً مما تقدر مثل هذه الفلسفة . وبمقدار تقديرنا لملابسات الحقائق واختلافاتها يكون توفيقنا فى الوصول الى القواعد الاخلاقية . ولا خلاف فى أن ما قرره مكيافللى يتجاوب مع ملاحظاته ومشاهداته وما أنسه فى الرجال الذين خالطهم ولكنه لم ير إلا جزءاً محصوراً من الحقيقة . وليست مسألة الرغبة فى القوة هى المفتاح الوحيد للطبيعة الانسانية . وحقيقة ان التاريخ طافح بالكفاح والتقاتل ولكنه لا يخلو كذلك من آثار التعاون المشترك كما أوضح كروبتكين . ولم يتصور ما كيافللى السياسة إلا على أنها دسائس ومؤامرات لنيل القوة، فهو مثل الكثيرين من الغارقين فى الواقعية ينتهى بهم الافراط فى النظر الى الواقع الى عـــدم فهم حقيقة الواقع . وقد رأى مكيافللى بعض مظاهر الواقع بوضوح تام ولكن أقاليم شاسعة من التجارب الانسانية كانت من وراء علمه . وقد زاده ايمانه بمسألة المصادفة بعداً عن تقدير أسباب الظواهر التاريخية لاننا اذا آمنا بأن المصادفة هى أقوى عامل فى التاريخ فقد ضعف بذلك اعتقادنا بقوة ارتباط السبب بالمسبب فى حوادثه . ولسنا نستطيع أن نستعمق فى فهم الظواهر مالم نعرف بواعثها وأسبابها . وقد تنقص التـــاريخ دقة قوانين العلوم ولكن المصادفة ليست هى العامل الوحيد المسير للتاريخ . وقد بالغ مكيافللى فى تقدير قيمة الفرد . وحقيقة أن الفرد قد يغير وجه التاريخ ولكن العصر فرصة العظيم اكثر مما هو من خلقه . ولم يقدر مكيافللى قوة الدوافع الادبية، والانسان فى رأيه غير متطور وليس فى وسعه أن يسمو فوق مابه من حيوانية

وقد كان بسمارك من أنصار سياسة القوة والمخادعة، وقد جنت المانيا المر من ثمار سياسته فى معاهدة فرساى . وقد تمثل فى نابليون كل ما كان يحلم به مكيافللى، فكانت النتيجة أن أوربا وجدت نفسها مضطرة الى محاربته وابعاده، وليست قوة الدوافع الأدبية فى المدى البعيد بأوهى من قوة الحديد والنار . ومسألة ان الغاية تبرر الواسطة لا يلتفت عند تقريرها الى أن الواسطة قد تتدخل فى الغاية وتحيلها عن طبيعتها

وهناك مسألة خاصة لم يمسها مكيافللى وهى مسألة التفريق بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية . فقد حلت الحكومات النيابية المسئولة محل نزوة الحاكم المطلق عند أغلب الامم الراقية . ويلطف من قوة السلطة التنفيذية الآن أن الحكام مثل الرعية خاضعون لسلطان القانون ويمكن استبدالهم بالطرق الدستورية وحيث الرأى العام يقظ والصحافة حرة يكون من العسير اتباع نصائح مكيافللى فى شؤون الدولة الداخلية، فليس هناك اذن فاصل بين السياسة

والاخلاق . واذا وصل حزب من الاحزاب الى الحكم بالوسائل المكيافللية فسرعان ما ينكشف أمره ويفقد نفوذه

أما فى العلائق الدولية فلا يزال من الصعب نقض آراء مكيافللى . ولو اتبعت أمة مبادىء الاخلاق على حين أن غيرها من الامم لا يزال يأبى الانسلاخ من انانيته، لانحدرت الى السقوط وفقدت مكانتها . والحكومات لاجل المحافظة على كيانها تلجأ الى طرق يتعفف عنها الافراد . والفرق واضح فى السياسة الدولية بين السياسة والاخلاق وهذه هى منطقة الخطر الشديد فى الاحوال العالمية الحاضرة . وقد أصبحت الاسلحة التى بيد الامم الراغبة فى الحرب لا تؤدى الا الى نتيجة واحدة وهى تحطيم الحضارة وجعلها أثراً بعد عين . وقد أخذت الامم تدرك هذا الخطر وتتمثل صوره الرهيبة وتفكر تفكيرا جدياً فى تلافيه . وهذا هو الاساس الذى قامت عليه فكرة عصبة الامم . وهو عمل جزئى بدائى . ولكن ظواهر الاحوال تدل على أن الأمم ستزداد حاجتها اليه وستفتقده عندما يتهددها الخطر وتحف بها الصعاب . ومتابعة السياسة المكيافيلية الآن هادم للحضارة ومضيع لجهود الاجيال السابقة وعاصف بانتاجات الفنون وثمرات العلوم . فاذا حرص العالم على بقاء الحضارة سليمة مصونة موقاة من عوامل الدمار فلا مفر من تطليق السياسة المكيافيلية والعمل للتوفيق بين السياسة والسمو الاخلاق والانسانية العالية وغريزة حفظ الذات التى تلعب دورا هاما وراء حوادث التاريخ وصوره ستنتحى بالعالم هذه الناحيه . وقد كان آخر فصل من فصول التقدم السياسى هو فكرة القومية والوطن ولكن اتساع الثقافة وترامى المعرفة ورقى العلم سيجعل الوطن الجسر الذى يربط الفرد بالاسرة الانسانية . وقد يكون من الخطأ الاستنامة الى الاحلام والاسترسال مع الاوهام لان القوى الهادمة الشريرة ساهرة لا يغمض لها جفن ولا يلقى لها سلاح ولكن التجارب المرة جديرة بأن تعلم الامم أن الامانة خير سياسة وان أحسن فرصة للتفاهم هى الثقة المتبادلة والتعاون المستنير

على ادهم



هل الثقافة خطر على الأدب

وهل في وسع الأديب أن يستغني عن العلم

بقلم الأستاذ ابراهيم المصري

يفرق الغربيون بين الادب والعلم . فالادب عندهم دراسة الحياة من طريق الاحساس بها والتفكير المجرد فيها ، والعلم دراسة الحياة من طريق التجارب العلمية المطبقة على الواقع المحسوس . فكل مظهر للاحساس والتفكير المجرد يعتبر أدباً . وعلى هذا فالشعر والقصص والنقد والبحوث الاجتماعية والتاريخية والفلسفية تسمى أدباً ، وبحث الظواهر المادية على أساس الملاحظة والتجربة والاستقراء يسمى علماً

ولقد كان الادب الاوربى فيما مضى لا يحفل بالعلم وأبحاثه ونتائجه ، وكان الاديب ينظر إلى الطبيعة فيستملح جمالها الظاهرى وهو لا يدرى من سر هذا الجمال شيئاً . وكان ينظر فى النفس البشرية وخفاياها ومعضلاتها نظرة الملاحظ الذى لا يستند إلى أى كشف علمى والذى لا يهتدى الا بخياله وتصوره فقط . فلما تقدمت الحركة العلمية فى القرن التاسع عشر وازدهرت العلوم الطبيعية أحس الادباء ولا سيما القصصيون أن من واجبهم الانتفاع بهذه الحقائق الجديدة التى كشف عنها العلم . فاخذوا يطالعون آخر ما اهتدى اليه العلماء فى مختلف مناحى الحياة ويسترشدون به فى وضع القصص على نحو ما فعل جوستاف فلوبير وأميل زولا وبول بورجيه وأضرابهم

ومنذ ذلك الوقت وسلطان العلم يحتل أذهان أدباء أوربا والثقافة العلمية تسيطر على معظم اتجاههم الادبى

فالعقلية العلمية والمكتشفات العلمية ملحوظة الاثر فى الفن القصصى الحديث والنقد الادبى وحتى فى الشعر . بل ان اهتمام أدباء أوربا بدراسة الحركات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية يرجع فى الأصل الى تأثر الادب فى القرن الماضى بروح العلم وطرائقه التى سرعان ما شملت فروع الثقافة جميعاً وارغمت الادباء على التحرر من ربقة الخيال المطلق وعلى التطلع الى كل ما هو واقع محسوس

ولكن المشكل الذى أريد أن أعرض له فى هذا المقال هو : هل الثقافة العلمية أصبحت شرطا لازما من شروط الانتاج الادبى ؟ وهل ينتفع الأدب من تغذيته بالثقافة والعلم ؟ وهل الاهتداء بالنظريات العلمية يعطل ملكات الابتداع والخلق ؟ وهل فى وسع الاديب المعاصر الموهوب ان يستغنى عن العلم ويطرحه جانبا ويعتمد على مواهبه فقط ؟

ان الادب كسائر الفنون ينبع من الغريزة قبل العقل . وهو شعور قوى بالحياة أكثر منه معرفة عاقلة بها . وقد يكون الاديب على جهل تام بعلل الظواهر الطبيعية وأسبابها التى يعرفها العالم . ثم يكون فى مقدوره أن يحس تلك الظواهر احساسا عميقا ويرسم لنا منها صورة صادقة

والحقيقة ان الاديب الكبير يؤدى ماقد خفى عنا من صور وألوان الظواهر الطبيعية المحيطة بنا والعالم يجمع ملاحظاته الخاصة وملاحظات الاديب وصوره المتعلقة بتلك الظواهر ثم يرتبها وينظمها ويحددها ويستخلص منها نظريات عامة تهدى المفكر والفيلسوف فى دراستهما الحياة والانسان

والعلوم التجريبية كما نعرفها اليوم ولا سيما فى ميدان السيكولوجيا لم تكن قد اكتشفت بعد فى عهد الملكة اليصابات . ولكن هذا لم يمنع شكسبير — وهو مثال الاديب الموهوب — أن يحلل فى رواية « عطيل » أعراض الغيرة الشهوية ، وفى رواية « هملت » أعراض السوداء الحالمة الحزينة الناجمة عن الانحلال العصبى ، وفى رواية « مكبث » ما يصيب المجرم من هلع وتبكيت يدفعان به لمراكمة الجرائم بعضها فوق بعض رغبة فى المقاومة والتماسا للشجاعة وتخلصا من صوت الضمير

هذه الاعراض أو الظواهر الطبيعية التى صورها شكسبير تصويراً حيا عماده الاحساس القوى والنظرة الصادقة الى الحياة ، اعترف العلم الحديث بصحتها . وان من يطالع كتاب المؤرخ الفرنسى هيبوليت تاين عن الادب الانجليزى ، وكتاب العلامة أرنست دوبريه عن عصر شكسبير ، يرى أن الرجلين يحاولان تفسير تحاليل شكسبير وملاحظاته تفسيراً علميا وتطبيقها على نظريات فى السيكولوجيا والفزيولوجيا علمية محضة

فشكسبير بغريزته المتوقدة والهامه العاصف الذى يمزق حجب الاشياء وينفذ تواً الى صميمها يرى ما قد لا يراه العلم فيسبقه فى ابراز عاطفة خفية أو احساس شاذ أو تفاعل عجيب من تفاعلات النفس البشرية . وهكذا تكشف العبقرية فى لحظة عما يتهالك العلماء على الوصول اليه فى سنين

وعلام نضرب المثل بشكسبير وقد حدث فى عصرنا هذا أن قصص الروائى الروسى دستويفسكى أمثال « الجريمة والعقاب » و « الشياطين » و « الابله » و « كارامازوف » قد استعان بها علم النفس الحديث فى تقرير أعراض نفسية مرضية جديدة لم يكن قد أضافها بعد الى قائمته

ومن جهة أخرى فنظرية العقل الباطن والاحساسات الشاذة المكبوتة فى طواياه ومطاردة المجتمع لها وظهورها المفاجىء بعد وقت طويل ، ونظرية توزع العواطف وتقلبها وتحللها الدائم وعدم استقرارها ، والنظرية القائلة بأن الشخصية الانسانية لا وحدة لها ، ونظرية الغيرة الشهوية الدفينة التى يشعر بها الطفل من نحو أبيه بالنسبة لامه والتى تولد فيه نزعة التمرد على الابوة والكره لها ، جميع هذه النظريات السيكولوجية التى قسمها العلامة « فرويد » ونظمها وحددها فى مذهب خاص يحمل اسمه ، احس بها دستويفسكى وصور نتائجها العملية وأعراضها اليومية فى أبطال قصصه قبل أن يكون للعلامة فرويد وجود

ولقد أفضى الامر بفرويد الى أنه أصبح يتطوع لكتابة مقدمات قصص دستويفسكى يشرح لنا بواسطتها ما نجهله من أخلاق أبطال الروائى ، ويتخذ من شخصيات هؤلاء الابطال أمثلة لنظرياته

وهذه هي فائدة العلم

انه يبرز الى نور العقل الساطع ما يكن فى تضاعيف الغريزة الادبية المبتكرة من حقائق مشوشة مستورة

ولكن ما الذى يفهم مما تقدم ؟

هل معناه أن الجهل فى الاديب هو منار العبقرية ، وان الثقافة العلمية معطلة لمواهب الابتكار ، وأن الاديب يجب ألا يأخذ من هذه الثقافة بقسط ، وأن الموهبة الفطرية وحدها كافية لابداع العمل الأدبى العظيم ؟

كلا . وانما هناك غرام بالثقافة الواسعة وهناك عبودية للعلم

هناك أديب عبقرى وأديب متوسط أو عادى

الاول يقبل على الثقافة أيا كان لونها ، علمية كانت أم اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية ، ينقع بها غلته ويطفىء شهوة المعرفة المستحوذة عليه ولا يخشى العلم ولا يستعبد له ولا يقيم فنه الادبى على نظرياته وان فعل فمع الاحتفاظ بشخصيته واضافة الجديد الى ما اهتدى اليه العلم

والعبقرى انسان كامل الحرية بعيد مرمى النظر ، كبير الثقة بالنفس ، يتصل بالطبيعة الكبرى أكثر مما يتصل بعقول الناس . فالعلم فى نظره وسيلة لا غاية . ومتى تعارضت تقريراته ومنزع العبقرى الوحشى المستقل ، وخلاصة ملاحظاته وتجاريبه ، لم يتردد فى تطهير عقله منها والتحرر التام من مؤثراتها . وكيف نطلب ممن يشعر فى نفسه بقوة ابتكار هائلة أن يخضع لمجموعة آراء ونظريات وتقريرات اتفق عليها من هم دونه ذكاء وجرأة ؟

أما الاديب المتوسط أو العادى فيهرع الى الثقافة العلمية ونظرياتها كملجأ يقيه شر العثار فيقيم عليها أعماله ويتغنى بها ويستعبد لها كما وقع لكثيرين من متوسطى كتاب القصة فى أوربا الذين جعلوا من حوادث قصصهم وأبطالها صوراً تطبيقية لنظريات « فرويد » و « يونج » و « دوبريه » وغيرهم من علماء النفس ، فظنوا أنهم بذلك يخدمون الحقيقة العامية ، فى حين أن هذه الحقيقة لا تخدم فى الادب الا من طريق الثقافة المقرونة بالحرية المطلقة فى التفكير والاحساس والملاحظة والاداء

واذن فالاديب الذى يهدى العلم هو العبقرى أو النابغ والذى يهتدى به هو العادي أو المتوسط

وعلى كل فالجاهل لا يهدى أحداً . ومن واجب ادبائنا أن يفهموا أنه إذا كانت عبودية الادب للثقافة العلمية ضارة بالادب ، فالتجرد من عناصر الثقافة كائنا ما كان لونهـا أشد ضرراً بالادب والفكر معا

إن قيمة الانسان هى فى بحثه عن حقيقة نفسه

وقيمة الاديب هى فى عثوره على هذه الحقيقة وقدرته على التعبير عنها

ومن المحال أن يتم ذلك بدون معرفة حقائق الغير وتلك هى الثقافة بمعناها الواسع

ولقد أدرك ذلك كبار المفكرين والادباء فكانوا أكثر الناس ثقافة واغزرهم اطلاعاً واجمعهم لشتى المناقضات التى تلازم العقل الخارق الفذ : أى الاستقلال فى الرأى مع التواضع للعلم والاعتداد بالنفس مع التأهب لسماع آراء الغير والشعور بكبرياء النبوغ مع الاحساس الدائم بنقص قوى العقل . ولذلك أمعنوا فى التثقف امعانا مروعا

ان ذهن فولتير كان دائرة معارف حية

وعقل نيتشه وسع الثقافات جميعا

وأدراك تولستوى الساذج البسيط فى ظاهره حمل من مخلفات الفكر البشرى ما قد تزرح تحته عقول كتاب الشرق جميعا

أما دستويفسكى فمن يطالع خطاباته لزوجه ويلحظ أسماء الكتب التى يطلب أن ترسلها اليه ، لابد أن يتملكه العجب وتستولى عليه الدهشة حيال هذا الجشع الثقافى المطرد الى مالا نهاية

وأكبر ظنى أن طموح العبقرية للالمام بكل شىء وامتلاك كل شىء والتعبير ان أمكن عن كل شىء ، هو الذى يبعث فيها ذلك الضرب من جنون الثقافة الذى تفتن به وتبهت له

على أن جنون الثقافة هذا هو بمثابة لهو ملكى تباشره العبقرية فى كثير من الحب وشىء غير قليل من عدم الاكتراث . هو عارض من أعراضها . عارض قد يحدث فيها تأثيراً كبيراً ، ولكن جوهرها — برغم هذا التأثير — يظل حياً بنفسه مستقلا بخصائصه تنبع منه القوى لتصب فيه

وصفوة القول ان ليس من الضرورى أن يكون الاديب عالما ليستطيع ابتكار أدب مصطبغ بصبغة العلم ، أى بصبغة الملاحظة والتجربة والحقيقة والصدق

ولكن الاقبال على دراسة العلم ومختلف فروع الثقافة من شأنه أن يطهر عقل كل أديب من جراثيم الخيال الزائف ، ويدنيه من الحقائق الواقعة ، ويحكم الصلة بينه وبين الحياة الدنيا ، ويوسع دائرة تفكيره ، ويفتح لمواهبه آفاقا جديدة ، ويضعه تجاه مشاكل عصره ، ويرغمه على الحياة فى هذا العصر ، ويصقل ملكاته ويشحذها ، ويساعده فى النهاية على اكتشاف نفسه وتوكيد شخصيته المستقلة

والمهم أن يفهم الاديب ان كلمة « ثقافة » معناها الحرية — الحرية فى البحث والتشكك والجدل والمراجعة والاقتناع ، وأن هذه الحرية هى التى يجب أن تسود عقله تجاه شتى ألوان الثقافة كى لا يستعبد لها ولا يطبع انتاجه الادبى بلون معين من ألوانها

ومتى كان قوى الخلق ، قوى الارادة ، قوى الشخصية ، فلن تلحق الثقافة بملكاته الفنية أي أذى بل على النقيض ترويها وتنعشها وتزهرها كما حدث لفولتير ونيتشه وتلستوى ودستويفسكي وغيرهم من كبار رجال الادب والفكر

وليست العبرة فى أن يكون كل أديب تولستوى أو فولتير، بل العبرة كل العبرة فى ان يروض كل أديب نفسه على الحرية ويغرس كل أديب فى احساسه نزعة الاستقلال ثم يقدم على التثقف غير هياب

ومهما كانت درجة مواهبه بل مهما كان متوسطا أو عاديا فلا بد أن يبدع إذ ذاك عملا مستقلا طريفاً يغذيه الفكر وتضيئه المعرفة وتمده الثقافة بروحها المتزنة العاقلة التى هى خلاصة أجيال طويلة من جهاد البشرية !

ابراهيم المصري



في أغسطس من العام الماضى ختمنا السنة الثالثة والاربعين من الهلال بعدد ممتاز عن « ابي الطيب المتنبي » . وكان الغرض من اصداره الاحتفال بتكريم ذكراه لمرور الف سنة على وفاته ، وانتهاز الفرصة لاحياء جانب من الادب العربى القديم جدير بالاحياء

وفي هذا العام اصدرنا عددين ممتازين هما : « الفن والجمال » وعدد « الشباب » فكان لهما أثر حسن فى الاوساط العلمية والادبية ، واستحثنا ما لقيناه من تشجيع الى مضاعفة الجهود في خدمة الثقافة في الشرق ، فرأينا أن نختتم هذا العام بعدد ممتاز عن شاعر عربي كبير هو « ابو نواس » لأنه كان على رأس الشعراء المجددين في الادب العربى ، ولأن له نواحي ادبية وتاريخية واجتماعية تحتاج الى تعدد الدراسة والتحليل

وسيصدر هذا العدد الممتاز في اول اغسطس القادم مدبجاً باقلام طائفة ممتازة من الادباء والعلماء . على ان قلم التحرير يرحب بنشر ما يصدر اليه من البحوث القيمة التى قد يرسلها بعض القراء

الحياة النيابية

قصيدة تاريخية للمرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوي

في يوم السبت ٦ رجب سنة ١٢٧٩ الهجرية ، افتتح اول مجلس نيابي في مصر باسم المجلس الأهلي ، وقد انشأه المغفور له الخديو اسماعيل ، فأهدى رفاعه بك رافع الطهطاوي الى سموه هذه القصيدة التي ننشرها هنا للذكرى والتاريخ ، فقد مضى عليها الآن ٧٦ سنة وهي تعطي فكرة عن الروح السياسية والادبية في ذلك العصر

شادى المسرة قد شدا — وأجاد حسن الابتدا
والبشر أعلن منشدا — شورى تصادف مولدا

مذهب

بأبى الفدا شمس الهدى — كنز العطا بحر الندى
الدهر جاد واسعدا — وأعز مصر وايدا

دور

يا حسن عيد وافتتاح — شورى بها الاصلاح لاح
عنوان انواع الفلاح — فى مصر صار مخلدا

دور

فالسعد يهتف لا عجب — تنظيم شورى فى رجب
عن مصر ما كان احتجب — فى شهره السامى بدا

دور

قمر أنار بعصره — رسمت طلائع نصره

وزهت مطالع عصره بيديع ما قد جددا

دور

من مثله أحيا الوطن وأجار أعلى ما يظن
وبه ارتقى أهل الفطن وسما الجهاد تعضدا

دور

من مثلنا بين الدول وهلال نظم الملك هل
فى المجلس الأعلى الأجل اذ بالنظام تقلدا

دور

الدهر صافى والزمان ووفى بما وعد الأوان
والسعد عنا ترجمان هذا العزيز الامجدا

دور

لا زال يبلغ فى المرام مجدا أثيلا لا يسام
عيداً جليلا كل عام أبداً يعود كما بدا

دور

بلغه يا رب العباد وبنيه أرباب الرشاد
أوج السعادة والمراد فى ظله طول المدى

دور

واجعله للدين القويم ركناً مشيداً يستديم
وأدم به النفع العميم واحفظ بقاه سرمدا

رفاعه رافع الطهطاوى

اللجان الأدبية وأثرها في النهضة الحديثة

بقلم الدكتور زكى مبارك

الغرض الأصيل من تكوين اللجان هو تحقيق فكرة التعاون والانتفاع بما عند الموهوبين من الأفكار والآراء ، ولا يتم الغرض من تأليف اللجان إلا اذا روعى فيها تخير العناصر القوية التى تملك من الفكر والمنطق وبعد النظر ما يضمن السداد لما تشير به فى نظام الأعمال

وتقارير اللجان ينظر اليها فى البلاد المتحضرة كما ينظر الى الوثائق والأسانيد ، لأنها نماذج من جهود الممتازين فى درس ما يندبون له من مختلف الشؤون ، ولا يكاد باحث أوربى أو أمريكى يعرض لمسألة حيوية إلا رأيناه يشير الى تقارير اللجان الأدبية والاجتماعيـــة فى الهيئات البرلمانية

واللجان فى الأصل صورة من صور الشورى ، وقد تمثلها الأقدمون فى نماذج من الحوار أشهرها أحاديث أفلاطون . وتمثلها العرب فى صورة جذابة يوم قام احد كتابهم ودبج تلك الوثيقة البارعة التى سماها مشاورة المهدى لأهل بيته ، وهى من أجل ماحوى كتاب العقد الفريد

ثم تطور نظام اللجان حتى صار على نحو مانراه فى أنظمة العصر الحديث

ونريد أن نعرض فى هذا البحث لحظ مصر من هذا النظام فنقول :

لم يفت مصر أن تنتفع بنظام اللجان فى شؤونها الأدبية والصناعية والاقتصادية ، نفى كل مصلحة لجنة تدرس ما يعرض عليها درساً يختلف قوة وضعفاً باختلاف تكوينها ، واللجنة كالفرد فيها قوة وضعف ، فاللجنة القوية هى التى تؤلف من رجال أقوياء تخصصوا فيما انتدبوا له ، واللجنة الضعيفة هى التى تؤلف من رجال لم تؤهلهم عقولهم ولا ألقابهم لفهم مايوكل اليهم درسه من الاعمال

وأول ما نشير اليه من مظاهر الضعف فى تكوين اللجان هو فكرة التشريف ، ومعنى ذلك أن اللجنة لايراعى فى تأليفها أن تستمد قوتها من عقول أعضائها ، وانما ينظر الى مراكز الأعضاء فى الهيئة الاجتماعية ، فكل انسان بعد صيته فى هذا البلد ، صالح لأن يكون عضواً فى جميع اللجان ، مع أن شهرته فى الاغلب ترجع الى ناحية واحدة من النواحى العقليـــة أو الاجتماعية أو الاقتصادية

وينشأ عن ذلك أن يصبح الرجل عضواً فى عشرين لجنة ، مع أن الاشتراك فى لجنة واحدة كاف لان يستنفد من الرجل المخلص جميع أوقات الفراغ ، ولكم أن تتصوروا أثر ذلك فى

أعمال للجان ، لكم أن تتصوروا مبلغ الارتباك فى أعمال لجنة ينقصها التجانس والانسجام ، ويعوز أعضاءها الوقت وصفاء البال

ان مصر لاتملك مجموعة نفيسة من اعمال اللجان على نحو ماتملك الامم التى تؤثر هذا النظام، وانما تجتمع اللجان وتنفض ولا تخلف وراءها غير تقارير هزيلة كتبها رجال مشغولون لينظر فيها رجال مشغولون ، وبين شواغل الكاتبين وشواغل القارئين والمراجعين تضيع حقائق كانت خليقة بالدرس والتمحيص

ولكن من أين ينبع الشر فى هذه القضية ؟

ان الصراحة واجبة فى هذا المجال ، فهل ترانا نملك من الجرأة ما نكشف به عن أصول هذا الفساد؟

اسمع أيها القارىء

إن فى بعض الرءوس نزعة غريبة هى أصل هـــذا البلاء ، وتلك النزعة تصدر عن الزهد المطلق فى تشجيع أهل الفكر والرأى ، وتستطيع أن تحكم بدون تردد بأن هذا البلد لايظهر فيه رجل ظهوراً قوياً إلا إن مكنته سواعده من السيطرة على بعض الميادين ، ولا يمكن أبداً أن يكون الفكر والرأى مما يبحث عنه الباحثون ، ومن النادر أن يخطر ببال أحد من الرؤساء أن يتلمس المواهب المستورة عند مرءوسيه فيدعوهم لاظهار ما عندهم من الآراء ويعتمد عليهم فى تكوين اللجان

ان الناس عندنا يفرون فراراً من بعض الواجبات ، وأظهر ماعرفوا به من السمات هو تجاهل أقدار الرجال ، فافرض شخصيتك على الناس ان شئت أن ينصفوك ، واحذر كل الحذر من الاعتماد على انصاف اخوانك ورؤسائك ، فالنجم أقرب اليك من الظفر بانصافهم المرموق

مالى ولهذا ؟ أنا أقول إن اللجان لاتؤلف إلا من المشهورين الذين شبعوا من التشريف ، وهى لاتؤلف منهم للحاجة اليهم ، وانما يختارون من بين الناس ، لان التفكير فى سواهم قد يرفع بعض الخاملين ، وهذا خير لايفكر فيه إلا من أشرب قلبه حب العدل والانصاف

هل سمعتم باسم السيد فلان ؟ انه يدعى الى كل لجنة . وهو لايدعى لفضله فقط ، وانما يدعى لأن اسمه يخطر على البال بدون عناء ، ويدعى لأن دعوته لاتزيده تشريفا الى تشريف ، ولا تفرض على الدولة اسماً جديداً قد يكون فيه الخطر على بعض الاسماء

لقد سمعتم ، ولا ريب ، صراخ الكتاب الذين تقدموا للمباراة الادبية ، فهل تعرفون بعض أسباب ذلك الصراخ ؟

لقد فكرت الحكومة الماضية فى اختيار لجان التحكيم فلم يقع بصرها الثاقب إلا على رجال طبقت شهرتهم الارض ، وهذا حسن ، ولكن من حسنه أتى القبح ، فان فريقاً من أعضاء

تلك اللجان لم يجدوا من الوقت ما يمكنهم من انجاز ما انتدبوا له ، وكانت النتيجة ان أهملت بعض الموضوعات اهمالا تاما ، وأسقطت من حساب المباراة ، وكان ما سمعتم من اللغط والضجيج

ما الذى يوجب أن يكون فلان باشا الاقتصادى أو فلان بك السياسى من الاسماء التى تفرض فرضا فى مثل هذه الشؤون ؟

لا تنكر فضل أحد من الباشوات أو البكوات ، ولكن حدثونا كيف يتسع وقت أمثال هؤلاء لمراجعة ألف صفحة فى أسبوعين . وهل أبقت المشاكل المالية فراغاً فى ذهن الاقتصادى حتى يستطيع الحكم فى مئات من الرسائل كتبت عن البطالة ومشكلة العاطلين ؟ وهل من الحق أن السياسى يستطيع أن يفر من الشواغل السياسية ليخلو أسبوعا أو أسبوعين للنظر فى شؤون أدبية واجتماعية عرض لها نحو مائتين من المتبارين ؟

والمباراة الادبية التى أشرنا اليها آنفا كانت فرصة لكشف الاخطاء التى تقع فيها عند تكوين اللجان ، انكم تعرفون أن الحكم فى أعمال المتبارين كان يتطلب سرعة الانجاز ، ومع ذلك رأيتم أن أحد المشهورين كان عضواً فى ثلاث لجان ، مع أنه رجل مشغول ، فمن أين ينبع الشر فى هذه القضية أيها الناس ؟

ان الذين يؤلفون اللجان لا يفكرون إلا قليلا فى اختيار الاعضاء ، والمسألة كما قلنا تقوم على أساس التشريف ، وإلا فهل أقفر هذا البلد من المواهب فلم يبق فيه غير عشرين شخصا نرى أسماءهم تبرز فى كل فرصة وفى كل مجال ؟

ومن الغريب أن هذا المرض أزمن واستعصى على العلاج ، وساعد على استفحاله تسامح الناقدين ، ولو كان عندنا أقلام تتعقب أمثال هذه الشؤون لاستطاعت أن تكتب فى لمزها مئات الاقاصيص

هل تصدقون أن بعض اللجان الادبية تؤلف من ناس بعيدين كل البعد عن الميادين التى تفكر فى اصلاحها تلك اللجان ؟ أعطونى الفرصة لذكر الاسماء . لا ، ان ذلك لن يستطاع فى « مجلة الهلال » ، ولكن لا بأس فقد وصلت بهذه الاشارة الى بعض ما أريد

أترونى أبالغ فى سوء الظن؟ إن قلتم ذلك فأنا أؤكد أنه إن ألفت فى الغد لجنة لمراقبة الاشرطة السينمائية ، فسيدعى اليها ناس لا يشهدون السينما فى العمر كله إلا مرة أو مرتين ، وإن ألفت لجنة لاصلاح الموسيقى فسيدعى اليها ناس لم يروا بأعينهم غير الارغول

أعطونى الفرصة لذكر الاسماء ، لأترك كلمة « الغد » وأحدثكم عما وقع بالامس !

انما أقول « الغد » ليجرى القول مجرى الافتراض وتجوز الحيلة على محرر « الهلال » !

ثم ماذا ؟ يجب فى كل لجنة أن تؤلف من رجال لهم صفة رسمية ، فأعضاء اللجان

فى الأغلب موظفون ، ولا يختار من غير الموظفين إلا من كانت له صلة سابقة بالحكومة ، ويحسن أن يكون من البكوات أو الباشوات ، وهذه الظاهرة تفسر جانباً من العقلية التى تنظم اللجان

ومعنى هذا أن الطابع الرسمى هو الطابع المقبول ، أما الذين تقوم على سواعدهم الحياة الادبية ، ويمدون الجمهور كله بالفكر والرأى عن طريق القلم ، فهم مبعدون عن اللجان الادبية ماداموا غير موظفين

أعترف أنه يقع أحيانا أن تدعو الحكومة بعض الصحفيين عند تكوين اللجان ، ولكن من هم الصحفيون الذين تدعوهم الحكومة فى بعض الاحيان ؟

انها تدعو بعض رؤساء التحرير لغرض خاص ، فهى لا تفكر فى الانتفاع بما عندهم من رأى ، وانما تتطلع الى منفعة يدركها اللبيب

ومعنى هذا أيضا أن الحكومة لاتفكر فى أديب إلا إن عرف كيف يضر وكيف ينفع ، أما الرأى المحض فهو آخر ما يخطر بالبال

ثم ماذا ؟ اسمعوا وعوا . واذا وعيتم فانتفعوا

هل تصدقون أن اللجان الادبية ليست فى الاغلب إلا قوة وهمية ؟

ان اللجان تؤلف بعد أن ترسم لها الوسيلة ويرسم لها الغرض ، فهى تلف وتدور حول محور مرسوم ، وليس لها أن تحيد عما أشار به صاحب الغرض الاصيل

هل تذكرون كم مرة ألفت اللجان لاصلاح مناهج التعليم ؟ عودوا الى أخبار تلك اللجان فان فعلتم فسترون الاشخاص لم يتغيروا ، ومع ذلك كانت تتغير المناهج من وضع الى وضع ، وفقا لرغبة الوزير الجديد

فما معنى هذا ؟ أتظنون أن التجارب كانت السبب فى تغيير الاوضاع ؟ وكيف ؟ هل تسمح الدنيا بأن تتغير الآراء بمثل هذه السرعة وهى متصلة بدرس طبائع التلاميذ ؟

ان السبب فى هذا يرجع الى أن اللجان ليست فى أكثر الأحيان إلا وسيلة لتنفيذ ما يريد هذا الوزير أو ذاك ، أما الاصلاح الحق فهو حلم من الاحلام ، وغرض قلما ينال

وبعد فقد طوينا كثيراً من التفاصيل لا يسمح بسردها المجال ، ويكفى أن نكون دللنا من يعنيهم الامر على مافى تكوين اللجان الادبية من نقائص وعيوب ، ونحن على ثقة من أن هذه الاشارات ستؤتى ثمارها بعد حين

زكي مبارك

الوزارة والوزراء

في عهد الفراعنة

بقلم الاستاذ احمد يوسف

سبقت مصر الامم جميعاً منذ القدم الى انشاء الوزارة وكانت وظيفة الوزراء حمل اعباء الحكم عن الملك والقيام بالسلطة التنفيذية فى البلاد ، وتنظيم شئون الدولة وادارتها ورعاية الأمن بين السكان

وكان يمثل الوزارة فى بادىء الامر شخصاً واحداً . واستمرت الحال على ذلك من عهد الاسرة الاولى حتى الاسرة الثامنة عشرة . وفى عهد هذه الاسرة اقتضت حاجة الدولة اتخاذ وزيرين فى المملكة يختص أحدهما بالوجه البحرى ، والآخر بالوجة القبلى ، وكان مقر الأول هليوبوليس وتمتد سلطته من شمال الوجه البحرى الى اسيوط ومقر الثانى طيبة ، وتمتد سلطته من اسيوط حتى حدود مصر الجنوبية . وكان لهذا الاخير الحق فى أن ينوب عن فرعون فى شئون المملكة عند غيابه

وسلطة الوزير فى ذلك الوقت كانت تلى سلطة الملك مباشرة . وهذه السلطة تجعله المتصرف فى شئون البلاد ، او الحاكم المطلق بعد الملك ، لا رقيب عليه فيما يفعل الا ضميره الخاص . وهيهات أن يكون للحاكم الاوتوقراطى ضمير

غير أن المصريين القدماء كانوا متدينين يحرصون كل الحرص على الاكثار من عمل الخير . إذ كان الدين متغلغلا فى نفوسهم ، متمكنا من قلوبهم . يخشون غضب الآلهة . فيعملون على ارضائها فاستتب بينهم الامن وكفل لهم القانون الطمأنينة ، وبذلك تمكنت السلطة التنفيذية من تأدية واجبها ، فى ظل النظام والقانون

أما الشعب فقد كانت الامور فيه تسير فى نظام تام ، ولا تحتاج فى تصريفها الى عناء كبير

وكان الوزير ينوب عن الملك عند تغيبه فى الحروب والغزوات وفى رئاسة الأعياد الدينية والحفلات الكبرى وله الاحترام والهيبة فى قلوب الشعب

مجلس الوزراء

لم يكن هناك مجلس الوزراء كما نفهمه الآن . ولكن المجلس كان يعقد من الملك والوزير .

وأمين الدولة أو رئيس بيت المال ، ورئيس المحفوظات ، وحافظ بيتى الذهب والفضة . وكانت مهمة هذا الشخص حفظ مستندات الدولة وأسرارها ، ومراقبة الصادر والوارد ، والنظر فى مالية الدولة ودخلها ومصروفها ، وتقدير موارد الثروة ، ومراقبة موارد الغلال

وقد يضاف الى المجلس حسب الحاجة ، شخصيات أخرى ، كرئيس الجيش ، ومدير الاعمال أو رئيس المهندسين

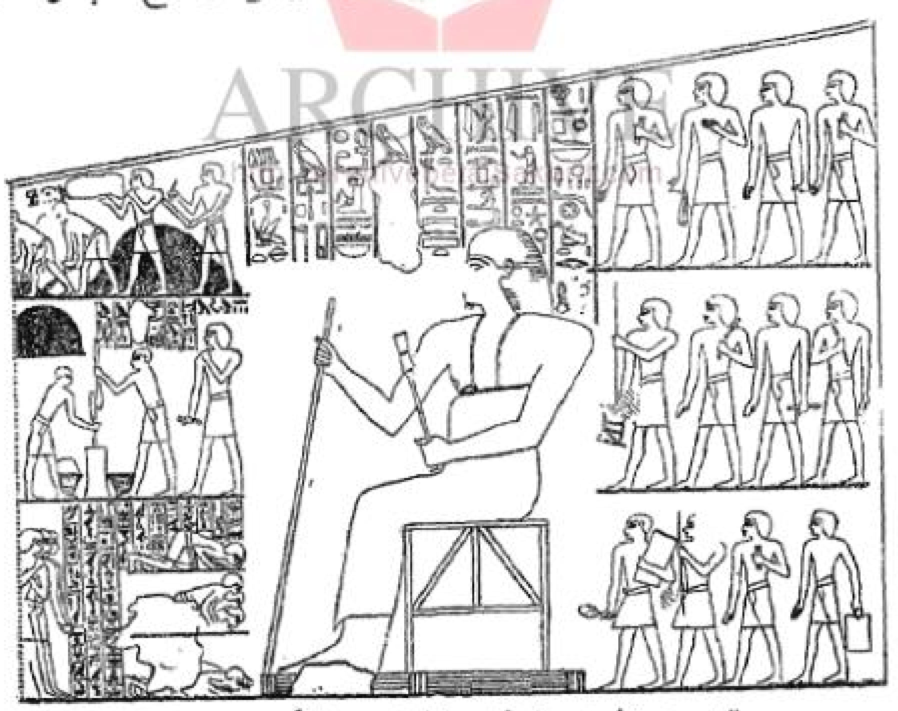
ملابس الوزير

وكان الوزير يتميز من الناس بلباس خاص يتألف من رداء طويل سميك يشبه العباءة ، يشده الى كتفه بشريط يلتف حول العنق . وكان يضع فوق رأسه قلنسوة من الشعر المستعار . وكان يحمل غالباً خاتم الدولة حول عنقه

اعمال الوزير

أما اعماله فقد كانت كثيرة عظيمة ، فهو المسئول عن كل شىء فى الدولة

وقد حفظت لنا مقبرة احد وزراء الاسرة الثامنة عشرة ، ويدعى « رخمارع » ، بعض اعمال



الوزير « رخما رع » فى الاسرة الثامنة عشرة جالساً يتسلم محصول الحبوب . وخلفه الكتبة والموظفون . والصورة عن مقبرته بطيبة

الوزراء فى العهد الفرعونى . وان كان الكثير من تلك الاعمال لا يزال خافياً علينا

وأهم تلك الاعمال (١) المراقبة العامة (٢) تعيين اربعة مقررين ليقرروا احوال المديريات ثلاث مرات فى العام ، ويقدموا المستندات لذلك (٣) تسلم تقارير رجال المناطق او مفتشى الاقسام ، والاطلاع على قوائم التعداد التى يقدمونها (٤) التفتيش على حدود الاقسام والاقطاعيات وبحث حالة الفيضان ، والترع ، واصدار الاوامر الزراعية (٥) مراقبة احوال بذر البذور الجديدة ، وقطع الاشجار (٦) جباية الضرائب ومراقبتها (٧) النظر فى شكاوى الحكام المحليين (٨) النظر فى السرقات بالمديريات والمشاجرات العامة (٩) إرسال الأوامر الملكية الى المقاطعات كما يبعث بالرسائل العامة (١٠) تعيين من يختص بحمل الرسائل فى القصر (١١) مراقبة تفتيش حرس الملك الخاص . وإيفاد البعثات الملكية الى الجهات المختلفة (١٢) ترقية القضاة ، وتعيين حارس المحكمة . وهذه الاعمال وغيرها تدل على خطورة المسئولية الملقاة على عاتق الوزير فى ذلك الحين

عمل الوزير اليومى

كان يبدأ عمله اليومى فى الصباح بمقابلة فرعون ، الملك ، فيتحدث معه فى الشئون الخاصة ويعرض عليه الاقتراحات الادارية . ثم ينتقل الى قاعة الرياسة فيقابل رجال الحكومة وينظر فيما يعرضونه عليه من المسائل ويناقشهم فيها حسب مواد قانون الدولة . ثم يعرضها بعد ذلك على الملك ، ويتلقى امره فيها . فيعتمدها الملك قبل البدء فى تنفيذها

ثم يذهب بعد ذلك الى العدالة حيث تعرض عليه بعض الشكاوى المقدمة من الاهالى . والوزير فى ذلك يعتبر مرجعاً قضائياً عالياً . واذا نظرت احدى القضايا فى المحكمة ، ثم آل الامر اخيراً الى عرضها عليه ، فيعتبر رأيه فيها كهيئة استئنافية تصدر حكمها مؤيداً او ملغياً الحكم الابتدائى

وكانت المحاكم فى مصر قديما قائمة على أساس قوى من العدالة والانصاف . تتبع نصوص القانون ، وهذه النصوص مرتبة فى اربعين ملفاً كانت توضع دائما أمام الوزير عندما يجلس فى فصل القضايا . ويصدر احكامه حسب ما تسمح به نصوصها . ولم يكن يصدر الامر فى الاحكام حسب الاهواء او الاغراض . بل تبعا للشرائع المرسومة

ويكفى ان يرد فى عبارات الملوك المصريين القدماء ما معناه : « ان الوزير يجب ان يهيء نفسه لمنصبه الرفيع . وليس ذلك المنصب المتعة ونيل الغايات ، ولكنه يقوم على العدل والانصاف . فان الله يأمر بالعدل ولا يرضى بالتحيز »

احمد يوسف
بالمتحف المصري

الاستهداف

ظاهرة مرضية غريبة الأطوار

بقلم الدكتور احمد محمد كمال

إن الحواس الخمس فى بنى الانسان والحيوان تستهدف لضروب من العلل والآفات والاضرابات منشؤها زيادة الحساسية وسرعة التأثر وقوة الانفعال ، بمعنى أن طعام أكثرية الناس يؤذى الأقلين ويسممهم . والرائحة الذكية التى تنعش قد تضر النزر اليسير من خلق الله . والمشاهد البديعة التى تسر قد تكون قذى فى بعض العيون ، والريش الناعم الذى تستلينه بنات حواء يلهب أجسام بعضهن

تسمى هذه الظاهرة « الاستهداف الذاتى » وليست فى عرف الطب والأطباء ظاهرة عرضية ينكب بها التعساء مرة ثم تزول . ولكنها استعداد فى تكوين الجسم لم يصل العلم الى معرفة كنهه وتعليله . وغاية ما عرف عنه أن هناك نوعين منه : الاول وراثى ينتقل من الآباء الى الابناء وفق قانون مندل للوراثة ، ويغلب على المصاب به أن يشكو من الحمى والسعال المزمن مع ضيق الصدر . والمستهدفون له يتأثرون بالمواد الزلالية على اختلاف أنواعها . والنوع الثانى لا علاقة له بالوراثة مطلقاً . ويتأثر المصابون به بأنواع المركبات غير العضوية كالعقاقير والمستحضرات الكيمياوية

ومن المقرر أن ٩٠ ٪ من بنى الانسان يتشابهم الوان منها تختلف باختلاف المزاج والتكوين الجسمانى وطبيعة البيئة والوراثة وميزات الجنس

فمن ذلك أن الاستاذ بيكار صاحب البالون الذى انطلق به كالسهم يخترق أجواز الفضاء لدراسة طبقات الجو ، صرح بأنه يحتمل تقلبات الجو وتغيراته مهما كانت قاسية ، ولا يحتمل استنشاق هواء فيه أثر من دخان التبغ بحيث أنه يغمى عليه إذا دخل غرفة يدخن فيها البعض السجائر

ويشبه ذلك أن الكابتن (بوب) أحد أبطال اكتشاف المناطق القطبية يتوعك وتتراخى عضلاته وتعتريه نوبات كنوبات الحمى حين نزوله الى الأرض ووضع رجليه عليها

واغرب من ذلك ما ذكره الطبيب الايطالى ڤالبريانوس فى مذكراته التى نشرت سنة ١٦٧٨ قال: « هناك أقوام لاحصر لهم تؤذيهم روائح الورود وعبق الزهر ، ومن بينهم نفر من عظماء الرجال

ومشاهيرهم . ولما كنت فى روما رأيت الكردينال (كارافا) يعتزل الحياة الاجتماعية فى موسم الورد هارباً فى قصر الكوربنال حيث يحرسه جنود أشداء يمنعون دخول أى شخص بالغاً ما بلغ من ارتفاع المكانة يحمل وردة فى صدره أو باقة فى يده »

وكتب الطبيب السويسرى دى ريك فى القرن السابع عشر عن نفسه يقول :

« منذ ثلاث عشرة سنة ينتابنى نوع من الرشح يسيل منه أنفى وتدمع له عيناى ولا ينقطع الرشح والدمع إلا بانتهاء هذا الموسم . والى جانب ذلك تعترينى آلام مبرحة فى الاسنان والاذنين واللثة . وقد تحيرت فى تعليل ذلك ، ولا أعلم أن عالماً أو طبيباً أماط اللثام عن السبب فى ذلك وخاصة أن تاريخ الطب يسجل بعض حالات مشابهة »

وحدث أن رهطاً كبيراً من العمال فى أحد مصانع (المربة) كانت تنتابهم حالة مرضية كلما اشتغلوا بتحضير (مربة النارنج) فقررت ادارة المصنع الامتناع عن صنع هذه المربة لان رائحة النارنج تؤثر فى أعصابهم تأثير السم الزعاف

ووجد صانعو الحبر أن الجنس الابيض يتأثر أفراده حال صنع الحبر الاخضر والبنى، فاستخدموا الزنوج مكانهم . ونشرت الجرائد الامريكية نبأ غريباً فحواه أن رجلا أصيب بمرض جلدى خبيث، قرر الاطباء أنه تسبب من ولعه بجمع الصور من الجرائد والمجلات المطبوعة بحبر ذى لون خاص ، ولوحظ أن المرض الجلدى انحصر فى يديه ووجهه وعينيه ، إذ كان فى بعض الاحيان يدركه النعاس وهو يطالع الصحف فتسقط من بين يديه وتغطى وجهه . ومن هذا القبيل أن سيدة أصيبت بمرض جلدى فى رأسها اتضح أنه تسبب من وضع مشطها فوق المجلات التى اعتاد زوجها قراءتها فعلقت ذرات من الحبر المطبوعة به فى أسنان المشط ومنها الى جلد الرأس

وعلى الرغم من انتشار نوع من أنواع الكولونيا فى بريطانيا ، اشتكت غير سيدة من التهاب فى الوجه والعنق والصدر نتيجة التعطر به ، وقد اتضح أن هذه الكولونيا تحتوى زيت البيرجوت الذى لا تحتمله بشرة بعض الناس ، وللاطعمة وتأثيرها فى الصحة علاقة كبيرة بذيوع بعض الامراض كالنزلات المعوية الحادة والاضطرابات المعدية والتسمم العام والقىء والاسهال أو الامساك

مثال ذلك أن روكفلر الكبير ساءت صحته نتيجة اعتياده تناول أصناف خاصة من الطعام ، فدبر له أطباؤه برنامجاً غذائياً ألزموه باتباعه وأنذروه سوء العاقبة إذا هو أهمله . فانصاع لرأيهم . فطالت حياته حتى نيف على التسعين . ولعلنا إذا التفتنا قليلا الى ما نأكله ويأكله سوانا من ألوان الطعام ، تحققنا أن الاجسام تقبل بعضها وتجيد هضمه والاستفادة منه ، بينما يؤذيها البعض الآخر

وظاهرة الاستهداف ، تفسر لنا عللا مستعصية وحالات مفاجئة قد تنتهى بالوفاة (من أكلة جبرى أو شربة ماء معدنى) خصوصاً الامراض الجلدية المنفشية على صورة طفح فى الوجه وبثور هنا وهناك . كذلك تفسر لنا السر فى كراهية الكثيرين لالوان خاصة من الطعام هدتهم التجربة الى ضرورة الاعراض عنها . . وبها يفسر الميل أو العزوف عن العطور وصور الجمال . فلعل العلم يكشف لنا سرها حتى يمكننا أن نعالجها ونستفيد منها

احمد محمد كمال
مدير قسم الشئون الصحية بوزارة الصحة

الطيارة

طيـــارة تعلو على السـ حب اذا الخطب ادلهم
كأنها البركان قد تناثرت منـــه الحمم
لتحصد الأرواح والز رع فما ترعى الذمم
لا فرق بين يافع تردبه أو شيخ هـرم
كم كنت يا طيار قد ما تخدم العلم وكم
كشفت عن آثار بلـ دان تعالت فى القـدم
خاطرت بالروح ورحـ ت بالثلوج تصطدم
حتى بلغت القطب بعـــ ـد أن نبت عنـــه الهمم
فكنت خير خادم للعلم بل هادى الامم
فما الذى غير ما كنت عليـه من شمم
اطاعة القـائد وهـ و الآمر الناهى الأصم
أم رغبة الحاكم أن يبنى قصورا من رمم
اذ فاته ما كان مسـ طوراً بمنثور الحكم
ان ينم العاتى فللر حمن عين لم تنم

ابراهيم زيدان

من نقد القدماء

بين ابن الأثير ، وابن أبي الحديد

ثار خلاف بين الصديقين الجليلين الدكتور طه حسين والاستاذ احمد أمين حول النقد في السنوات الاخيرة ؛ فكان حديث الأوساط الادبية في مصر ، لأن الصديقين عاشا عمراً طويلا بعيدين عن النضال والخلاف — وذلك ما كان يأسف عليه كثير من المتعشقين لادبهما ، لأن في نضالهما نمواً للادب ، وفي خلافهما ثروة تاريخية . وقد أحببنا بهذه المناسبة ان نطلع القراء على نوع من النقد القديم تناوله عز الدين بن أبي الحديد لكتاب المثل السائر لابن الأثير ، وقد وضعه في كتاب سماه « الفلك الدائر على المثل السائر » وهو من الكتب النادرة التي يقوم بتلخيصها الاستاذ اسعاف النشاشيبي . ونحن ننشر منه المقدمة التالية

وقفت على كتاب نصير الدين بن محمد الموصلي المعروف بابن الأثير المسمى « كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » فوجدت فيه المحمود والمقبول ، والمردود والمرذول . أما المحمود منه فانشاؤه وصناعته . فانه لا بأس به بذلك الا في الاقل النادر . وأما المردود فيه فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه ، فانه لم يأت في ذلك في الاكثر الاغلب بما يلتفت اليه ، فحداني على تتبعه ومناقضته في هذه المواضع النظرية امور منها ازراؤه على الفضلاء ، وغضه منهم ، فان في ذلك ما يدعو الى الغيرة عليهم والانتصار لهم .

ومنها افراطه في الاعجاب بنفسه والتبجح برأيه والتقريظ لمعرفته وصناعته وهذا عيب قبيح يحبط عمل الانسان ويوجب المقت من الله والعباد

ومنها أن جماعة من أكابر الموصل قد حسن ظنهم في هذا الكتاب جداً ، وتعصبوا له حتى فضلوه على اكثر الكتب المصنفة في هذا الفن ، وأوصلوا منه نسخاً معدودة الى مدينة السلام ، واشاعوه وتداوله كثير من أهلها . فاعترضت عليه بهذا الكتاب وتقدمت به الى الخزانة (الشريفة المقدسة النبوية الامامية المستنصرية) . وكان أكثر قصدي في ذلك أن يعلم مصنف هذا الكتاب ورؤساء بلدته . أن من أصاغر خدم هذه الدولة الشريفة . ولا أعني نفسي ، فالعجب مبيد ، ولا أنبه على فضل كثير من اذا رشق أصمى ، واذا نكأ أدمى ، وان دار السلام وحضرة الامام ما خلت كما ترعم المواصلة ممن اذا سوبق جلى ، واذا يوسر فاز بالقدح المعلى ، واذا خطب خضعت لبراعته المنابر ، واذا كتب سجدت ليراعته الدوابل ، واذا شاء علم الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل ، وان في الاغفال المغمورين من رعاياها من لو هدر نقرت له الشقاشق ، ولو جرد حسام قلمه لقال الملك لاسيف أغرب فأنت طالق . فكيف بسدنة كعبتها ، والحافين بشريف سدتها

وهذا الكتاب وقع لى فى غرة ذى الحجة من سنة ٦٣٣ فتصفحته أولا أولا ضمن الاشغال الديوانية التى انا بصددها ، فكان مجموع مطالعتى له واعتراضى عليه ١٥ يوماً ، ولم أعاود النظر فيه دفعة ثانية وربما يسنح لى عند المعاودة نكت أخرى وان وقع ذلك ألحقتها

وقد سميت هذا الكتاب « الفلك الدائر على المثل السائر » لانه شاع من كلامهم وكثر فى استعمالهم أن يقولوا لما باد ودثر قد دار عليه الفلك

قال الموصلى : « نسأل الله أن يبلغ بنا من الحمد ما هو أهله »

أقول : انه أول ما تكلم سأل أمراً يستحيل عقلا لانه تعالى لا نهاية لما هو أهله من المحامد ، ويستحيل أن يبلغ بنا الى ذلك لان القوة المتناهية لا تقوى على أمور غير متناهية . وليس لظان أن يظن ان هذا القول يجري مجرى قول الناس (الحمد لله كما هو أهله) فان ذلك الكلام مجمل لا يتضمن سؤالا ، ولا يقتضى دعاءه تعالى ان يجعلنا حامدين حمداً لا بداية له ولا نهاية

قال الموصلى : « وان يعلمنا من البيان ما تقصر عنه مزية النطق وفضله »

أقول : وهذا أيضاً سؤال أمر مستحيل لان النطق هو كمال الصورة الانسانية ان أخذ على تفسير التعليم الطبيعى ، والفصل المميز إن أخذ على تفسير التعليم المنطقى ، وعلى التفسيرين فيه يكون الانسان انسانا ، فيستحيل أن يفضله البيان فى مرتبة وفضيلة لان الفرع لا يفضل الاصل الذى لولاه لما كان

قال الموصلى : « وان يوفقنا للصلاة على رسوله محمد الذى هو افصح من نطق بالضاد ، ونسخ بهداية شريعته كل هاد »

أقول : فى هذا الكلام عيب ظاهر ، وذلك انه عطف الفعل وهو نسخ على الاسم وهو أفصح ، ألا ترى انه قبيح أن يقال : زيد أفصح القوم وضرب زيد . والوجه أن يقال : الذى هو أفصح من نطق بالضاد والمنسوخ بهداه شريعة كل هاد

قال الموصلى : « ولا أدعى فيما ألفته فضيلة الاحسان ، ولا السلامة من سبق اللسان» ثم قال بعد سطر واحد : « واذا تركت الهدى قلت إن هذا الكتاب بديع فى اغرابه ، وليس له صاحب من الكتب فيقال انه متعدد من بين أصحابه »

أقول : وهل يدعى أحد فضيلة الاحسان بأبلغ من هذا الكلام ، وقد قال قبل هذا التواضع بثلاثة أسطر .. « ان الله هدانى لابتدع أشياء لم تكن من قبلى مبتدعة ، ومنحنى درجة الاجتهاد التى لا تكون أقوالها تابعة وانما تكون متبعة » فمن يزعم أن الله هداه فى هذا الفن الى ابتداع أشياء لم يسبق بها ، ورزقه فيها بلوغ درجة الاجتهاد التى يتبعها الناس ولا تكون تابعة لاحد منهم ، كيف يقول لا أدعى فيما ألفته فضيلة الاحسان

قال الموصلى : «موضوع النحو هو اللفظ من جهة الدلالة على المعنى من طريق الوضع اللغوى ،

وموضوع علم البيان هو اللفظ والمعنى من جهة الحسن والقبح » ثم قال : « صاحب هذا العلم هو والنحوى يشتركان فى النظر فى دلالة الالفاظ على المعنى من جهة وتلك دلالة عامة ، وصاحب علم البيان ينظر فى فضيلة تلك الدلالة وهى دلالة خاصة »

أقول : أما موضوع علم النحو فغير ما ذكر بل الذى ذكره موضوع علم اللغة ، لان اللغوى هو الذى ينظر فى الالفاظ من حيث كانت دلالة بالوضع اللغوى على المعانى . وأما موضوع علم النحو فهو الالفاظ من جهة تغيرات تلحق أواخرها أو تلحقها أنفسها على قول من جعل التصريف جزءاً من النحو ولم يجعله علماً مفرداً

قال الموصلى : « وصناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر الى آلات كثيرة . وقد قيل ان كل ذى علم يسوغ أن ينسب نفسه اليه . فلان النحوى وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ أن يقال فلان الكاتب لما يفتقر اليه من الخوض فى كل فن »

أقول : هذا الكلام من ابهات الكتاب وتزويقاتهم ، ولا يعول عليه محصل ، وهذه الفنون التى يذكرها الكتاب ويزعمون أن الكتابة مفتقرة اليها ان أرادوا بها ضرورته لها ، فهذا باطل ، لان خطباء العرب ما كانت تعرفها وان أرادوا انها متممة ومكملة فهذا حق ولكن عدمها لا يقتضى سلب اسم الكتابة مع ان كل ما يحتاج اليه الكاتب يحتاج اليه الشاعر وزيادة

نادرتان

• قيل لفيلوس :

— لماذا اخترت زوجتك دميمة وانت جميل ؟

فاجاب :

— لقد اخترت من الشر أقله

• عندما اقترب الجلاد من اجربين ام الامبراطور نيرون وبيده السيف ليقتلها تنفيذاً لارادة ابنها وقفت امامه وبسطت ذراعيها وقالت :

— اضرب فى البطن الذى حمل ذلك الوحش

إحياء الأعلام العربية
التاريخية والجغرافية

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

كان من بين المشروعات - أو الاماني - التي رأى مجمع اللغة الملكي في دورته الاخيرة أن يضطلع بها ، العمل على تحقيق الاعلام التاريخية والجغرافية العربية ، وتهذيبها ، وبعث أصولها واوضاعها الصحيحة ، ليعم استعمالها في مناهج الدراسة وفي الكتب الحديثة بطريقة سليمة منظمة ، وبذا يمكن القضاء على الفوضى التي تسود استعمال هذه الاعلام وصياغتها في عصرنا

وهذه أمنية نرجو ان يوفق مجمع اللغة الى اخراجها وتحقيقها بصورة عملية مرضية

والحقيقة اننا وصلنا فيما يتعلق بهذه الاعلام التاريخية والجغرافية الى حالة تدعو الى الرثاء ، فلا نحن استطعنا ان نستخرج الاعلام الاسلامية القديمة من مصادرها الصحيحة ، وان نستعملها في مواضعها للدلالة على الاشخاص أو الأماكن في مؤلفاتنا العصرية مقابل الاسماء والصيغ الحديثة ، ولا نحن استطعنا أن ننشيء لنا في هذا الباب تراثاً خاصا متناسقاً سواء بالتعريب أو الاقتباس ، وانما الامر فوضى بيننا تختلف أوضاعه وتقاليده باختلاف الذوق في الاقتباس والتعريب ، واختلاف اللغة التي يقتبس منها أو يعرب عنها ، واختلاف النطق في جميع الاحوال

فالذين تعلموا منا الانكليزية او تلقوا بها دراستهم ، يؤثرون الصيغ الانكليزية لجميع الاعلام التاريخية والجغرافية ، وبذا تتخذ على السنتهم صيغة انكليزية محضة قد تبعد في كثير من الاحوال عن اوضاعها القومية ، والذين تعلموا الفرنسية او درسوا بها يؤثرون الصيغ الفرنسية . وهكذا ، وفي جميع الأحوال تضيع المعالم الاصلية لكثير من الاعلام ، وتصل أحياناً الى حالة من التجهيل بالنسبة لأوضاعها الأصلية . وقد نشأ عن هذه الفوضى العامة ، انك لا تكاد تجد مؤلفين ، أو أثرين في موضوع تاريخي أو جغرافي واحد ، يتفقان فيما يذكران من أعلام وأسماء

ومما يدعو الى الأسف بنوع خاص ان التراث الاسلامي من الاعلام - وللعربية في ذلك تراث حافل - لا يكاد يمثل في كثير من المؤلفات المتداولة ، سواء بسبب جهل المؤلفين لها ، أو لأنهم يؤثرون رنين الاعلام الافرنجية المحرفة حرصاً على أن تبدو كتبهم في صور محدثة ، وكثيراً ما يلجأون الى تعريب الاعلام الاسلامية من مصادر افرنجية فتخرج مشوهة محرفة ، ولو أنهم عنوا بمراجعة بعض المصادر العربية المعتبرة لاستطاعوا أن يجتنبوا تلك الاخطاء الشائنة ، التي تغص بها الكتب الدراسية ، وتجرى على ألسنة الطلبة مجرى الاعلام الصحيحة

فاذا كان مجمع اللغة الملكى يعتزم حقاً أن يعنى بانقاذ اللغة العربية من هذه الفوضى ، واستخراج الاعلام التاريخية والجغرافية الصحيحة من مصادرها المنسية ، فانه يسدى بذلك للآداب العربية يدا جلى

***

وقد وضع مجمع اللغة لتحقيق المشروع بعض قواعد للسير عليها نذكر منها ما يأتى :

أولا – جميع المعربات القديمة من أسماء البلدان والممالك والأشخاص التاريخيين التى ذكرت فى كتب العرب يحافظ عليها كما نطق بها قديما . ويجوز أن تذكر الأسماء الحديثة التى شاعت بين قوسين . واذا اختلف العرب فى نطقين رجح أوثقهما

ثانيا – أسماء البلدان والاعلام الاجنبية التى اشتهرت حديثاً بنطق خاص وصيغة خاصة مثل باريس والانكليز وانكلترا والنمسا وفرنسا وغيرها تبقى كما اشتهرت به نطقا وكتابة

ثالثاً – الأسماء الاجنبية النصرانية تكتب كما عربها نصارى الشرق ، فيقال بطرس لبيتر ، وبولص لبول ، ويعقوب لجاكوب . . . الخ

واما فيما يتعلق بالأعلام الأجنبية الحديثة فيرى مجمع اللغة فى شأنها ما يأتى :

أولا – يكتب اللفظ الافرنجى بحسب نطقه فى الافرنجية ومعه اللفظ الافرنجى بالحروف اللاتينية بين قوسين فى البحوث والكتب العلمية حسب ما يقرر فى شأن كتابة الأصوات اللاتينية التى لا نظير لها فى العربية

ثانيا – تكتب الاعلام بحسب النطق بها فى لغتها الاصلية كما ينطق بها وليس كما تكتب

وهذه قواعد حسنة فى مجموعها ، ولا سيما ما تعلق فيها بالاعلام القديمة ، الاسلامية والمعربة التى يجب أن يكون تحقيقها أساس المشروع كله

والواقع انا نستطيع ، فيما يتعلق بالاعلام الجغرافية والتاريخية ، ان نقول إن العرب وفقوا أعظم توفيق فى نقل هذه الأعلام وتعريبها وصياغتها ، وقد شملت جهودهم فى ذلك العالم القديم كله من شرق آسيا الى غربها واواسطها وجنوبها ، وشمال افريقية وشرقها ، وأمم البحر الأبيض وجزائره كلها ، وغرب أوربا وأواسطها ، وقد استوعب الجغرافيون العرب منذ القرن الثالث للهجرة كل معالم العالم القديم ، وعرفوا أممه ومدنه وبحاره وجباله وكل مسمياته ، ويكفى أن ننوه هنا بجهود بعض أقطاب الجغرافيين المسلمين مثل الاصطخرى والمسعودى والبكرى والادريسى وياقوت والعمرى ، وجهود بعض أقطاب الرواد والرحل المسلمين مثل ابن حوقل ، وابن جبير وابن بطوطة وغيرهم ، لنذكر أهمية التراث الجغرافى الذى نستطيع أن نسترشد به فى تحقيق الاعلام الجغرافية الخاصة بالعالم القديم

ثم يجب أن نذكر الى جانب ذلك أننا نملك تراثاً تاريخياً ضخما يشمل جميع العالم القديم كله ،

ولقد استوعب المؤرخون تاريخ الامم والمدنيات القديمة كلها، ونقلوا الينا اعلام بعض العصور والمدنيات القديمة معربة منسقة، وعربت معظم الأعلام المقدسة فى القرآن أبدع تعريب، واستمرت جهود المؤرخين المسلمين فى تتبع الأحداث العالمية، وتدوين تواريخ الامم الاسلامية، وكثير من الامم الأجنبية، حتى وضعت الفتوحات التركية للامم العربية والاسلامية فى القرن السادس عشر حدا لذلك المجهود الباهر، والى أوائل القرن السادس عشر نستطيع أن نتتبع معظم الأعلام الجغرافية والتاريخية الاجنبية فى الكتب العربية، معربة أدق تعريب

وقد كان نشاط الجغرافيين والمؤرخين المسلمين موفقا بالاخص حيثما يلتقى الشرق والغرب فى ميادين الحرب أو السياسة، ففى تاريخ الاندلس، وفى الفتوحات الاسلامية فى جزائر البحر الأبيض وثغوره، وفى تاريخ الحروب الصليبية، نجد أبدع أمثلة للاعلام المعربة من أصولها اللاتينية أو الفرنجية أو القشتالية، وهذه الاعلام المعربة ما زالت فى صيغها العربية أضبط وأدق من صيغها فى بعض اللغات الاوربية الحية. ونرى أن نقدم هنا بعض نماذج من هذه الاعلام المعربة ليرى القارىء مبلغ الدقة فى اخراجها:

أعلام تاريخية معربة

اليون	Leon	فيمى	Euphemios
نيقفور	Nicephorus	رجار	Roger
تيدوس	Theodosius	السيد الكنبيطور	Cid il Campeador
نسطاس	Anastasius	الدوج	Doge
القوط	Goths	ارمانوس	Romanus
رذريق أو لذريق	Roderigo	بردويل	Baldwin
الاذفنش (الفونس)	Alfonso	كندفرى	Godfrey
قارله	Karl	بيمنت	Boehmund
شانجه	Sancho	مرى	Amury

أعلام جغرافية عربية أو معربة

الجزيرة	Algeciras	شقر	Segura
المنكب	Almunecar	غاليس	Gaul
عمورية	Amorium	اشبونه	Lisbon
اشتوريش	Asturias	انكبردية أو بلاد النبرد	Lombardy

البشكنس (بلاد)	Bascons	لوذون	Lyon
بردال	Bordeaux	فينيقية	Phœnix
قلورية	Calabria	طليطلة	Toledo
قصريانة	Castrogiovani	البندقية	Venezia (Venedig)

هذه نماذج منوعة من الاعلام التاريخية والجغرافية العربية أو المعربة تتعلق بعصور وأمم مختلفة . ومنها نرى ان المؤرخين والجغرافيين المسلمين كانوا على جانب عظيم من الدقة والبراعة فى تعريب الأعلام الاجنبية وصوغها فى أثواب عربية متينة . على ان الكتاب المسلمين لم يقفوا عند التعريب والصياغة ، بل لقد استطاعوا فى أحيان كثيرة أن يترجموا معانى الاعلام اللاتينية أو غيرها الى أعلام عربية مطابقة ، وأن يحيوا أعلاماً قديمة أو يستحدثوا أعلاماً ترجع الى تماثل فى اللفظ أو المعنى أو حكمة تاريخية أو جغرافية معينة ، واليك بعض نماذج من هذه الاعلام :

البه والقلاع	Alava et Castella Vetula	صور	Tyre
مدينة الباب	Cuidad de la Peurta	جبل بللنفة	Villa Lunga
جبل الشارات	Sierra Morena	المجوس	Normans
جبل شلير	Sierra Nevada	باب الشزرى	Roncesvalles
مدينة الرها	Edessa	بلاط الشهداء (موقعة)	Tours et Poitiers

وقد يكون من الصعب أن نلح دائماً فى الاستعاضة بمثل هذه الاعلام المعربة عن الاعلام الاصلية لما بينهما من تفاوت بين ، بيد أن منها مايجب إثباته والتعويل عليه دائماً دون مقابلة الافرنجى ، وعلى أى حال فانه يجب فى رأينا ان نثبت الاعلام العربية فى البحوث العلمية دائماً سواء منها ما كان معرباً بطريق السبك والصياغة ، او ما كان معرباً بحسب المعنى ، ولا بأس من ان نثبت الى جانبها الاعلام الافرنجية اذا كان التفاوت بينهما كبيراً

ولقد كان لى شرف المساهمة فى هـــذا المجهود مدى اعوام طويلة ، وكان لى ايضا شرف المساهمة فى الدعوة الى تعميمه ، وقد حرصت دائما فى كتبى وبحوثى الاسلامية على تحقيق الاعلام العربية واثباتها كاصل يجب التعويل عليه ، مع اثبات مقابلها الافرنجى حيثما اقتضى الأمر

والآن وقد نشطت الى هذه الدعوة ، هيئة علمية رسمية ، هى مجمع اللغة الملكى ، فانا نرجو ان تكون الدعوة عملية مثمرة ، وان يعمل المجمع جادا على تحقيق مشروعه فى احياء الاعلام والمصطلحات العربية ، لكى تتبوأ مكانها فى بحوثنا وكتبنا ، ولا سيما الكتب الدراسية الثانوية والجامعية ، ولا ريب ان المجمع سيحظى فى ذلك بمؤازرة جميع الباحثين فى مصر والعالم العربى

محمد عبد الله عنان

الشفاء بالايحاء الذاتي

كيف تؤثر السريرة غير الواعية في الجسم

بقلم الأستاذ بولس مسعود

يقوم بعض النائمين ليلا يمشي ويخرج من غرفته دون أن يستيقظ ويذهب الى غرفة أخرى ، وقد يتم عملا لم يكن أتمه أمس ، ثم يعود ويرقد . وفي الصباح لا يدري ما فعل ، فما هو تعليل هذه الحال ، وبأي قوة استطاع هذا النائم أن يقوم بما يقوم به المستيقظون ، ثم ما هو تأثير هذه القوة في أعمال الانسان وجسمه وفي صحته ومرضه

كثيراً ما يقوم « الصومسمبولي » ليلا دون أن يستيقظ ويخرج من غرفته بعد أن يرتدي ملابسه ، وقد لا يرتديها ، ويهبط الدرج ويذهب الى غرفة أخرى ويتم عملا لم يكن قد أتمه أمس ، ثم يعود ويرقد ، وفي صباح الغد تأخذه الدهشة اذ يرى عمله قد تم ، غير عالم أنه هو الذي أتمه . فهذا يدل دلالة واضحة على أنه فعل ما فعل مدفوعا بقوة غير واعية ، وهذه القوة هي ما يسمى السريرة غير الواعية (L'Inconscient) أو العقل الباطن (Le Subconscient)

جميع أعضائنا الداخلية كالقلب والمعدة والكبد والكلى تعمل بدون انقطاع ليل نهار بغير ارادتنا ، وعلى غير علم منا . فهي تقوم بعملها تحت اشراف وقوة خفية تدعى السريرة غير الواعية ، ولا يقتصر اشراف هذه السريرة على نظامنا العضوي بل يشمل جميع الاعمال التي نقوم بها أياً كانت

ولهذه السريرة حافظة عجيبة تخزن ، على غير علم منا ، كل ما نرى وكل ما نسمع وكل ما نقرأ وكل ما يؤثر في حواسنا . وهي الى جوار ذلك سريعة التصديق تتقبل طائعة ما يلقى أو يوعز اليها ، ولما كانت هي التي تتولى ادارة جميع أعضائنا ، فينشأ عن ذلك أنها اذا اعتقدت ان العضو الفلاني يسير سيراً حسناً أو غير حسن فيسير هذا العضو سيرا حسناً أو غير حسن

لا تختلف السريرة غير الواعية في الواقع عن المخيلة ، والمخيلة قوة لا تضارع ، والتصور الذي ترسمه في الذهن لا بد من تحقيقه في الفعل ، فاذا تصورت أنه يمكنك فعل الشيء الفلاني ، وكان فعله ممكنا ، فانك فاعله بلا مراء مهما كان صعبا ، وبعكس ذلك اذا تصورت انه لا يمكنك فعله ، وكان فعله من أبسط الأمور ، تحولت لديك الحبة الى قبة وتعذر عليك القيام به

فلنفرض ان أمامنا لوح خشب مطروحا على الارض طوله ١٠ أمتار وعرضه ٢٠ أو ٢٥ سنتيمتراً ، فمن البديهي أن كلا منا يمكنه أن يسير عليه من طرف الى طرف دون أن تخرج قدمه عنه . ولكن لنغير الموقع ولنفرض أن هذا اللوح موضوع على ارتفاع ٤٠ مترا فوق الارض ،

فمن منا يمكنه أن يخطو متراً واحداً فى ذلك الطريق الضيق ؟ اذا حاولت المرور عليه وقتئذ فلا تخطو خطوتين حتى ترتعد فرائصك وتسقط على الارض برغم كل جهد ارادتك . ولم هذا الفارق العظيم فى الحالتين ؟ ذلك لأنك فى الحالة الأولى تتصور السير على اللوح سهلا ، وفى الحالة الثانية تتصوره غير ممكن ، ويلاحظ أنك مهما أجهدت ارادتك لتتقدم يظل تقدمك مستحيلا ما دمت تتصوره غير ممكن

ومن الامثلة الناطقة بقوة التصور أو الفكر ما يحدث لبعض السكيرين الذين يرغبون فى الاقلاع عن الشرب ، ولكن لا يمكنهم الانقطاع عنه ، سلهم يجيبوك بكل اخلاص انهم يودون أن ينقطعوا عن الشراب وانهم يكرهون المشروب ولكنهم مدفوعين للشرب بقوة لا ترد برغم ارادتهم وبرغم الضرر الذى يعلمون انه لاحقهم ، وهم فى الحقيقة صادقون فيما يقولون فانهم مرغمون على فعل ما يفعلون لا لسبب سوى أنهم يتصورون انه لا يمكنهم الانقطاع عنه ، كذلك قل عن بعض مدمنى التدخين

فالمخيلة اذاً لا الارادة هى القوة الرئيسية فينا ، وهى التى تدفعنا الى العمل ، فمن الخطأ الكبير أن نوصى الناس بتربية الارادة فى حين ان الواجب يقضى بتربية المخيلة ، ونحن الذين نفخر بما لنا من ارادة ونعتقد اننا نفعل ما نفعل بمطلق حريتنا لسنا فى الواقع إلا ألعوبة فى يد مخيلتنا ، وستظل المخيلة تسيرنا كما تشاء الى أن يتسنى لنا أن نملك قيادها

تشبه المخيلة أو السريرة غير الواعية والحالة هذه سيلا جارفا يجرف عنوة واقتداراً من يسوقه سوء حظه الى السقوط فيه برغم رغبته فى بلوغ الشاطىء ، ولكن فى وسعنا أن نحول مجرى هذا السيل القاهر وندبره على المصنع فتتحول قوته حينئذ الى حركة وحرارة وكهرباء

كذلك فى استطاعتنا أن نخضع السريرة غير الواعية ونحول قوتها الهائلة الى مصلحتنا ، ولكى يتم لنا ذلك يكفى أولا أن نعلم ان ذلك فى استطاعتنا ثم أن نعرف الطريقة المؤدية الى ذلك ، أما الطريقة فجد بسيطة وهى الطريقة التى ما برحنا نستعملها يومياً منذ الطفولة من غير قصد أو وعى أو علم منا ، وكان استعمالنا لها ضاراً بنا فى أغلب الاحيان وهى الايحاء الذاتى . والمطلوب هو أن نستبدل بالايحاء الذاتى غير الواعى الذى اعتدنا القيام به إيحاء ذاتياً واعياً ، فاذا قبل العقل الباطن هذا الايحاء وأوحى به الى نفسه رأينا الامر يتحقق بكل جزئياته . .

ليس يخاف على ان الناس يهزءون بمن يجرؤ على التعبير عن أفكار لم يعتادوا سماعها ، ومع ذلك فانى أجاهر ان عدداً غير قليــــل ممن هم مرضى حسياً أو أدبياً ليسوا بمرضى إلا لأنهم يتصورون انهم مرضى ، وكما ان الفكر هو سبب الكثير من أسقامنا ففى وسعه أن يكون مصدر شفاء لأمراضنا ، واليك واقعة من الوقائع الكثيرة الدالة على ذلك رواها كدبه فى كتابه (Ce que je dis) قال :

« كنت فى باريس أرأس جلسة (إيحاء ذاتى) فى منزل فى الدور الاول ، واذا بهم يدخلون على امرأة محمولة على مقعد نصف جسمها مشلول أتم الشلل منذ ١٥ شهراً ، ولم يكن فى استطاعتها أن تبدى أقل حركة بأعضائها المشلولة فبعد الجلسة على الفور قامت من مقعدها وأخذت تمشى مشية طبيعية وتحركت ذراعها المشلولة . كأنها لم تصب بشلل أبداً . وتعليل ذلك انه حصل لهذه المرأة على ما يظهر احتقان فى الدماغ قبل ١٥ شهراً ، وأحدث هذا الاحتقان فالجاً حقيقياً ؟ ولكن هذا الاحتقان زال شيئاً فشيئاً كما يحصل فى مثل هذه الحال ، ومن ثم أخذ شللها فى الزوال بنسبة ذلك حتى زال تماماً ، ولكن المرأة ظلت تفكر : « أنا مقعدة » فبقيت مقعدة كيوم وقوع الحادث ، الى أن جاءتنى وأوحيت اليها أن الشلل يزول مع زوال أسبابه »

وانى أعرف طبيباً دعى وهو فى فسحة خلوية لعيادة مريض قروى كان يئن من آلام مبرحة . ولم يكن لدى الطبيب أدوية ، لكنه لعلمه بفعل الايحاء ، حضر حبوباً من دقيق القمح العادى وقدمها الى العليل ، وأعطى تعليمات دقيقة عن كيفية استعمالها ، وقال انه يجب إعطاء العليل منها كل عشر دقائق وقيل للمريض ان الطبيب الذى يعالجه من مشاهير الاطباء . فايمانه بالطبيب وبالدواء أحدث تغييراً عجيباً فى حالته وقد أكد انه كان يشعر بفعل العلاج فى كل كيانه

وقد ذكر مارتن السيكولوجى الامريكى المعروف فى كتابه (Harmonies of good) الواقعة الآتية قال :

« قدم مسافران للبيات فى منزل كان أحد سكانه قد توفى بالكوليرا . وقد أعطى أحدهما ـ دون أن يعلم ـ الغرفة التى مات فيها المريض . فبات خير مبيت واستيقظ وهو بصحة جيدة ، أما الآخر فقد قيل له خطأ ان الغرفة التى يبيت فيها هى الغرفة التى مات فيها المريض فقضى الرجل الليل معذب الفكر ووجد فى الصباح مصاباً بالكوليرا ومات بها »

وكما ان الفكر يسبب المرض والموت فهو كذلك يشفى الامراض ولا تقتصر قوة الفكر على شفاء الامراض التى تسببت عن مجرد الفكر ، بل فى وسعها أن تشفى أمراضاً حقيقية عجزت عن شفائها الطرق الطبية ويأس منها الاطباء . ووقائع الشفاء الشاهدة بذلك الحاصلة على يد كويه أو باستعمال طريقته (فى الايحاء الذاتى) وحدها دون سواها ، لا تعد ولا تحصى أنظر كتابيه : "Ce que je dis" et "La maitrise de Soi"

واذا اتفق وتعذر على قوة الفكر شفاء علة ما ، فهى تحدث فى النظام العضوى تعويضاً يتسنى معه للمريض أن يعيش كأن ليس به مرض ، وقد أقام كويه شاهداً على ذلك ، الواقعة الآتية . قال :

« احضر لى فى شهر فبراير سنة ١٩١٣ صبى عمره ١٤ سنة وهو خارج من المستشفى ، فقد دخل المستشفى قبل شهرين للاستشفاء من التهاب فى باطن القلب (Endocardite) اعتبره الطبيب المعالج مؤدياً به الى الموت ، وكذلك كان رأى كبير الأطباء فى المستشفى . ولكن ظنهما

لم يصدق لحسن الحظ وبارح الصبي المستشفى وهو على حاله عند دخوله إياه

« وحين وقع نظرى عليه للمرة الاولى رثيت لحاله ، فانه دخل الى مكتبي بخطى بطيئة وأعلى جسمه منحن الى الامام وناهج النفس كالكلب اللاهث الذى يخرج آخر أنفاسه ، وقد اعتبرته أنا أيضاً مقضياً عليه لا يرجى منه ، ومع ذلك جعلته يحضر الجلسة ولاحظت أنه سريع التأثر ، فقلت له أن يعود فى غد اليوم الثانى ، فلما جاءنى ثانية دهشت لما رأيت من التغيير العظيم فى حاله ، فان خطاه أضحت أطول بكثير من قبل وأقل بطئاً ونفسه أصبح أقل تهيجاً

« وسار التحسن سيراً حثيثاً ، فبعد زيارته الأولى بثلاثة أسابيع أصبح قادراً على المشى على قدميه عدة كيلومترات ، واصبح يصعد ويهبط الدرج كسائر الناس ، وكثيراً ما كان يلهو بمطاردة الفراش أو يركب الدراجة مع أولاد جيله ، وقد تزوج أخيراً وأمسى رب عائلة وهو قائم بارتياح بمهام وظيفته

« غير أنه مع كل ذلك لم يكن قد شفى من علته ، فقد شبت الحرب واضطر ان يحضر أمام مجلس التجنيد مرتين ، وفى المرتين أجل طلبه للخدمة بسبب العلة التى كانت باقية فيه »

يتبين مما تقدم أن الفكر قوة مبدعة . وكل تصور يرتسم فى الذهن سواء أكان خيراً أم شرا ، ما له أن يتحقق فعلا على شرط أن يكون فى حيز الممكنات ، فكل مسعى فى الحياة تسعى اليه وفى اعتقادك أنك واصل اليه ، تبلغه حتما لأنك ستعمل كل ما يؤدى الى الحصول عليه ، وان أردت ن تربح وفكرت فى أنك غير قادر فمن المستحيل أن تربح . فليس من شىء يقعد الفرد مثل خور القلب ، وليس من شىء يحفز همته ويكتب له النجاح مثل فائق ثقته بقدرته الخاصة

فى مواقع الحياة لا يكلل الظفر دائما هامة الرجل القوى أو السريع ، بل يظفر عاجلا وآجلا من يفكر ان الظفر فى مقدوره . فان أنت لم تنجح كما تشتهى فذلك راجع على الغالب الى أنك لم تثق بنفسك الثقة الكافية ، فتركت الخوف من عدم النجاح يستولى عليك . ليس صحيحاً ان السنين هى التى تجعل المرء شيخاً ، وانما الشيخ هو من يفكر أنه أصبح شيخاً ، فثم أناس ما زالوا شباباً وهم فى الثمانين من عمرهم بينما ترى غيرهم أمسوا شيوخاً وهم لما يتجاوزوا سن الأربعين . قد يبدو لك من الغرابة بمكان ان يؤكد بعضهم أنهم يزدادون قوى كلما تقدموا فى السن ، فى حين أن ذلك لا ينافى الواقع فى شىء ، ولى من خبرتى الشخصية ما يؤيد ذلك

يكفى المرء ليتمكن من ضبط النفس مادياً وأدبياً ان يفكر فى ذلك ويعيد ذلك الى ذهنه مراراً وتكراراً من غير جهد ، فاعتقادك أنك ضابط لنفسك يؤول بك رويدا رويدا الى أن تصبح ضابطاً لها

يحسن بنا تجنب كلمة « بودى » لأنها تجر وراءها دائما « ولكننى لا أقدر » تحاش أنواع

التعبير الآتي بيانها : « صعب ، مستحيل ، لا أقدر ، ذلك فوق طاقتي ، لا يمكنني الامتناع عن ... » وما أشبه ، لأنك ان استعملتها فكرت فيها ، وان فكرت فيها أصبحت حقيقة راهنة بحيث يضحي أبسط الامور أمرا مستحيلا

يجدر بنا أن نعتبر سهلا كل أمر اجراؤه ممكن ، فان عرض القيام بأمر وترآى لك مستحيلا فدعه ؛ اما ان ترآى ممكنا فقل لنفسك في الحال : « هذا سهل » فان اعتبرته سهلا أصبح سهلا وصرفت على القيام به القوة المطلوبة لا اكثر ، اما اذا اعتبرته شاقاً فانك تبعثر قواك وتصرف منها عشر مرات وعشرين مرة اكثر مما يلزم ويؤول الامر بك سريعاً الى الاعياء

ان تخف من مرض تقع فيه ، وهذا ما يعلل كثرة الذين يذهبون ضحايا الامراض الوافدة

ان تستسلم لفكرة أنك مريض تمرض ، وان تفكر ان المرض شارع في الزوال والشفاء آت يتم الشفاء

اذا منيت بأوجاع فلا تستكن لها ، بل اعمل على ازالتها ولا تقل : « سأحاول أن أزيل ذلك » بل اقلع عن موقف الشك وقل : « ذلك يزول »

اذا لحقك سقم فلا تكثر من الشكوى ، ولا تسترسل في وصف ما ألم بك لكل سائل

لا تمض وقتك في البحث عما قد يكون فيك من ادواء ، فانك ان لم يكن فيك أمراض حقيقية ، قد تخلق لنفسك أمراضاً وهمية

لا ترث لحال شخص تجده مريضاً فانك بذلك تسيء اليه

وأخيراً لا تنتظر ، لمن قضى عمره يتعالج على غير جدوى من مرض اعتراه ، أن يجد الشفاء في الحال حينما يكل أمره الى السريرة غير الواعية ، فلا يأتي الايحاء الذاتي الا بما هو طبيعي أي بتحسين تدريجي يتحول مع الزمن الى شفاء تام ان كان الشفاء في حيز الامور الممكنة

بولس مصوبع



سند الديموقراطية

الزمام بيد الأقلية

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

هل الرأي العام له وجود وهل لأكثرية الأمة رأي ، وهل هي التي تحكم أم أن الحكم بيد الاقلية ؟ - اسئلة قد تبدو غريبة لدى القارىء ، ولكن الاستاذ نقولا الحداد يجيبك عنها في بحثه الاجتماعي شارحاً أوجه النظر في هـذا الموضوع ، مبينا العيوب التي تشوب الديمقراطية الحاضرة أو الديمقراطية النظرية . وقد تحدث عن القواعد التي ينبغي توافرها لتربية روح الديمقراطية الصحيحة في الشعب ، والفوائد التي تجنيها الامة من وراء هذه التربية

معنى لفظ ديموقراطية باليونانية حكم الشعب . ومفاده أن إدارة مصالح الشعب مستمدة من الشعب نفسه . أي أن الشعب ينتخب الهيئات التي تتولى تدبير شؤونه جميعا

وهذا النظام يستلزم :

١ - أن يكون لكل فرد بالغ حق الاقتراع في انتخاب ممثلي الأمة الذين يتولون إدارة الشؤون أو تعيين مديري الشؤون

٢ - أن يكون لكل فرد حق الترشيح لعضوية الهيئة النيابية

٣ - أن لكل فرد حق الثقافة التي تؤهله لذينك الحقين

ولا موجب للتبسط في هذه النقط الثلاث التي لا يجهل أحد أهميتها . وانما روح النظام الديمقراطي هو الأمر المهم في موضوعنا هذا . فما هي ؟

لايخفى أن شؤون الامة مختلفة . وكثير منها يعارض بعضها بعضا . ولهذا تختلف وجوه الصواب فيها . وبالتالي تختلف الآراء في تقرير الاصوب منها . والسائد هو رأي فريق دون فريق آخر . ومن هذه الحقيقة الناصعة يتضح لك وهم القول « بالرأي العام » . ولا يبقى عندك شك بأن الرأي العام لا وجود له بتاتاً . بل الموجود فعلا هو « رأي الاكثرية » ، كما شرحناه في مقال سابق . ولعل هذا مايعنيه القائلون بالرأي العام . (وقد لايكون رأي الاكثرية سائداً كما سنشرحه فيما يلي) :

ربما صح القول « بالرأي العام » في التقاليد المتوارثة من عهود قديمة كالطقوس الدينية والعادات الرسمية ، كبطالة أول الاسبوع أوسادسه مثلا ، وبطالة الأعياد ، وكسنة الزواج والطلاق، وتقليد الجنائز ، الى غير ذلك من النظم التي شب كل فرد وهو شاعر بأنها أجزاء من نظام

حياته . فاجماع الجمهور على تقلد هذه التقاليد يعتبر « عقيدة عامة » وهذه العبارة ترادف « الرأى العام » . فاذا ظهر من يريد نقض أى تقليد منها أو تعديله عد شاذاً أو خارجاً على حكم « الرأى العام » اللهم إلا اذا صادف النقض أو التعديل هوى فى نفوس جانب من الجمهور ، فحينئذ يخرج ذلك التقليد من حكم الرأى العام ويصبح قضية للمناقشة والاستفتاء والتقرير بحسب رأى الاكثرية

ويحتمل كثيراً أن تنشىء تقلبات الاحوال قضية عامة يجمع عليها الجمهور بلا استثناء ، كقضية « الاستقلال التام » فى مصر مثلا . فهى قضية كل فرد من أفراد الامة . ولهذا ينضوى جمهور الامة تحت راية الوفد المصرى الذى يجاهد لاجل الاستقلال . ومثلها قضية « البلاد للبلديين » كقولك مصر للمصريين ، وسوريا للسوريين ، وفلسطين للفلسطينيين ، وأميركا للاميركيين الخ فهى اليوم قضية كل فرد فى كل أمة على الاطلاق

ففى مثل هذه الاحوال يكون الرأى عاما لانه عقيدة عامة تشتمل على أمنية واحدة لكل فرد . على ان الرأى العام بهذا المعنى لا يعنينا ولا نعنيه ، لانه ليس سنداً للحكم الديموقراطى وحده ، بل هو سند كل نوع من أنواع الحكم حتى الحكم الفردى المطلق والحكم الديكتاتورى الاستبدادى . وانما الذى يعنينا فى النظام الديموقراطى هو الرأى الذى يقره الجانب الاكبر من الشعب فى القضايا أو المسائل التى تختلف وجوه الصواب فيها باختلاف نظر الافراد اليها ، ثم يقر « رأى الاكثرية » فيها . فما هو رأى الاكثرية ، وهل الرأى المقر هو « رأى الاكثرية » حقيقة ؟

ما هو رأى الاكثرية

اذا لم يمكن الحصول على « رأى عام » فى القضايا الاجتماعية الناشئة أى غير التقليدية ، فهل يمكن الحصول على رأى أكثرية ؟ وبعبارة أخرى : هل ما تقره الهيئات النيابية هو رأى أكثرية الشعب فعلا ؟

١ - لو كان جميع أفراد الشعب متثقفين ثقافة عالية ، أو لو كانوا فى درجة واحدة من الثقافة عالية أو متوسطة ، لامكن أن يكون استفتاء الشعب فى المسائل العامة مؤدياً الى رأى الاكثرية فعلا . ولكن هذا الفرض بعيد الاحتمال حتى فى الامم الراقية لانه يتعذر أو يستحيل تثقيف جميع افراد الامة تثقيفاً عالياً أو متوسطاً على مستوى واحد ، بحيث يؤهل كل فرد للحكم الصائب فى المسائل العامة ، كما أن دستور الديموقراطية يخولهم الحق بهذا الحكم سواء كان صائباً أو خاطئاً . ففى كل أمة راقية ، كثيراً أو قليلا ، يتفاوت الافراد فى المعارف والاهليات والتفكير . وأوسعهم علماً واختباراً وأسماهم تفكيراً ، يكونون أقوى نفوذاً واستهواء لعامة الشعب . ولذلك

ينقاد معظم العامة أو كلهم الى هؤلاء الممتازين بالمعرفة والتفكير وقوة الاستهواء مهما كانوا قلالا . فاذا كان ثمة خلاف فى احدى القضايا أو المسائل فانما يكون هذا الخلاف مقصوراً على طبقة أولئك الممتازين فقط . والفريق الذى يكون منهم أقدر على الاستهواء أو على استهواء لجانب الاكبر من العامة ، هو الذى يفوز بتقرير رأيه . فاذن ، مايبدو لنا فى هذه الحال « رأى كثرية » هو بالحقيقة « رأى أقلية »

٢ - بحسب النظام النيابى الشائع الآن يكون على الغالب الرأى رأى أكثرية ممثلى الامة نواباً وشيوخاً (اذا كان كل فرد يستعمل حقه بابداء الرأى) . ولكنه ليس أكثرية الامة بتاتا . لان معظم القضايا التى وضعت لدى المجلس النيابى لم تكن قضايا مبسوطة لدى الامة حين انتخبت ممثليها . فالامة تنتخب ممثليها لاجل البت فى قضايا رئيسية كبيرة حسب رغبة أكثريتها (ان كانت الاكثرية مستقلة الرأى والتفكير لا منقادة) وتترك لممثليها الحرية فى البت بالقضايا الصغرى التى تنشأ بعد ذلك . ففى هذه القضايا لا يعتبر قرار البارلمان رأى أكثرية الامة فعلا . فقد يكون رأى أقلية ضئيلة أو لا يكون رأى أحد منها . بل هو رأى فرد أو افراد أخصاء . زد على ذلك أن قرار البرلمان فى هذه القضايا الصغرى قد لايكون رأى أكثرية للاعتبارات التى وردت فى (١) وللاعتبارات سترد فيما يلى :

٣ - ذلك من حيث تفاوت الافراد فى المعرفة وسداد الرأى واستقامة التفكير . ولكن هناك اعتبارات أخرى تضعضع رأى الاكثرية . ومهما تفاوت مساس المصالح بالافراد ، فقد تكون القضية المعروضة على بساط المناقشة والاقتراع فى الهيئة النيابية أو للاستقصاء العام لا تهم إلا فريقا صغيراً من الناس ، ولا مصلحة فيها البتة لفريق آخر . ففى هذه الحالة يتنازع وجهيهما أو يتجاذب جانبيها حزبان من الاقلية التى يهمها الامر وينقاد البقية لهما انقياداً . ويحتمل جدا أن يفشل الجانب الذى يهمه الامر وله مصلحة فيه بالرغم من أن مصلحته لاتضر بالمجموع وان كانت لا تهم المجموع

قد يكون المعارض فى القضية شخصاً واحداً أو أشخاصاً معدودين . وقد تكون معارضتهم لغرض نفسانى أو استبدادى أو للمعاكسة بغية الانتفاع بها من وجه آخر ، أو للمساومة على قضية بقضية . فاذا كان هذا الشخص نافذ الكلمة قوى الشكيمة بارع المنطق ، استطاع أن يستميل الاكثرية اليه فتقترع معه وله من غير أن تهتم فيما اذا كان الرأى سديداً أو غير سديد . فترى هنا أن « رأى اقلية الاقلية » قائم بالفعل مقام « رأى الاكثرية » المفروض

٤ - ومن الاعتبارات التى ترجح الحكم لرأى الاقلية قلة النزاهة فى سواد الامة بحيث يساوم على الاصوات مساومة تنبذ بها مصالح الجمهور ظهريا وتبرز الى الامام مصالح الافراد والنفعيين . وحينئذ يكون قرار الاقلية النفعية قائماً مقام رأى الاكثرية الشرعى

يحدث هذا كثيراً وبشكل فاضح فى البلاد التى تستفحل فيها الرأسمالية كالولايات المتحدة الاميركية مثلا حيث تلعب الفلوس ادوارا عظيمة الشأن، ليس فى الانتخابات فقط بل على الاكثر فى الاقتراعات البرلمانية (الكونجرسية) أيضاً. اذكر أنه لما كنت فى الولايات المتحدة قرر الكونجرس فى مقاطعة كولومبيا جواز المراهنة فى سباق الخيل بالرغم من رغبة الشعب فى تحريمها. وذلك لان فلوس شركة السباق لعبت دورها الى أن رجحت الكفة نحوها. فترى أنه فى مثل هذه الاحوال أقل الاقلية تقوم مقام الاكثرية، وأن هذه الاقلية لم تكن ممثلة رأى الشعب الاغلب كما هو مفروض فى الحكم النيابى الديموقراطى

٥ - من الاعتبارات الاخرى التى يغلب فيها قرار الاقلية هو ان يكون فى يد حزب أو فرد أو بعض أفراد سلطة تنفيذية كسلطة البوليس أو سلطة الجيش مثلا. هذه السلطة التنفيذية مهما كانت بيد افراد قليلين أو ضعفاء الميول، فهى قوة نظامية تسيطر بقوة النظام على الجمهور الذى لايجمعه نظام. النظام فى الحياة الاجتماعية هو مجتمع قوى الافراد. فالقابض على زمامه قابض على زمام القوة الفعلية، وبها يسير الافراد كما يشاء

الاقلية القابضة على هذه السلطة النظامية تعمد الى الارهاب أو الارغام فى كسب أكثرية الاصوات. أو انها تقبض على زمام الحكم بالقوة ويصبح زعيمها دكتاتوراً. ترى مثل هذا فى البلاد الصغيرة الضعيفة الثقافة والاخلاق، حيث يتنازع السلطة أفراد، أو يستقل بها فرد واحد والجمهور ينقاد انقياد الغنم

فى جميع الجمهوريات اللاتينية فى أميركا الجنوبية يندر أن يتم انتخاب قانونى. وندر ان قامت حكومة شرعية على أساس انتخاب قانونى. وانما تقوم هناك الثورة مقام الانتخاب، والسلاح مقام الاصوات. فالحزب الغالب فى القتال يقبض على زمام الحكم. وبمثل هذه الطريقة قبض الدوتشى الفاشستى على أعنة السلطة فى ايطاليا

فى بلاد كهذه لايعد الحكم ديموقراطيا (ملكيا كان أو جمهوريا) بالمعنى الصحيح، وانما هو حكم اقلية اتاحت لها ظروف خاصة ان تحكم عنوة باسم اكثرية زائفة.

الديموقراطية الزائفة

يستفاد من كل ماتقدم أن الديموقراطية لاتزال حتى اليوم أقرب الى النظرية منها الى العملية الفعلية. لانه مهما كانت السلطة فيها مستمدة من قوة الشعب، فانما هى «حكم أكثرية» قانوناً، وحكم أقلية تلك الاكثرية فعلا. ومجمل أسباب هذا العيب فى الديموقراطية هو أن العقل الاجتماعى لم ينضج بعد النضج الكافى للحصول على رأى الاكثرية بلا تشويه ولاشائبة.

وأهم شوائبه الآن :

أولا ـ أن الثقافة القوية الصحيحة غير شاملة شمولا مطلقا لجميع أفراد الشعب بحيث تترقى مداركهم وتصح أحكامهم وآراؤهم

ثانيا ـ بسبب ضعف الثقافة العامة بقيت الاخلاق ضعيفة . لان الاخلاق القويمة وليدة العلم الصحيح

لهذين السببين نرى فى الامم ، حتى فى أرقاها ، درجات فى الثقافة وفى الاخلاق . وبين طرفى الدرجات فرق كبير فى الامم المنحطة وأقله فى الامم الراقية . وانما فى كلا الامرين تكون الفئة العليا ثقافة وأخلاقا قليلة جدا ، هيهات أن تستطيع التأثير فى الرأى العام . وحيثما تكن الثقافة اعم والاخلاق أقوى تكن نتيجة الانتخاب وصول أكثر الافراد جدارة الى كراسى النيابة لتمثيل الامة ، والقرار الذى تصدره الهيئة النيابية أقرب الى رأى الأكثرية ، ولكنه لا يكون رأيها تماما . لان رأى الأكثرية هو المثل الاعلى الذى قلما ينال

وبالرغم من تقدم العقل الاجتماعى فى النضج نرى فى المجتمع قوة هائلة تقاوم سؤدد الرأى العام أو بالاحرى رأى الاكثرية الحقيقى وهى قوة الرأسمالية . فهذه القوة لا تزال الى الآن مستفحلة فى كل مكان حتى فى أقوى البلاد ديموقراطية . وهى التى تقاوم نضج العقل الاجتماعى نفسه . فهى تقتل العرفان بارهاق سواد العوام فى الكدح والعمل وحرمانهم تثقيف أولادهم . وتقاوم الرقى الاخلاقى بزج الطبقة العاملة فى حمأة الرذائل وفى بحر الجهل المطبق بسبب الفقر المدقع . فهذه القوة المبتلى بها المجتمع هى العامل الأقوى فى السيطرة على الرأى العام ، وإذن هى منشأ فساد الديموقراطية وانحطاطها الى اليوم بسبب ماتتشوه به من الشوائب ، وهى السبب فى بطء نضج العقل الاجتماعى نفسه لما بينها وبينه من التنازع

كلا العقل الاجتماعى والرأسمالية يتنازعان البقاء أو التفوق أو النفوذ . واليوم هما فى أشد تنازعهما . والظاهر لنا حتى الآن أن الغلبة ستكون عاجلا أو آجلا للعقل الاجتماعى . نرى العقل الاجتماعى ينشط بالثقافة نشاطا شديداً . ولسوف يدك حصون الرأسمالية ويستقل وحده فى تدبير شؤون المجتمع حسب النظام الاجتماعى الطبيعى . وهذا النظام يقضى بأن يكون أفراد الشعب خليات (Cells) متلاحمة متضامنة متعاونة فى جسم الامة الحى . وأن تكون الامم بنوبتها خليات متلاحمة متضامنة متعاونة فى جسم الانسانية العام . متى نضج العقل الاجتماعى الى حد الشعور بهذا النظام الوثيق والايمان به استتب حكم الاكثرية الفعلى أو الراجح . وحينئذ ينضج دمل الرأسمالية الذى هو منشأ فساد الديموقراطية وينزف صديده ويطهر جسم المجتمع من سمومه

قواعد تربية روح الديموقراطية

فاذاً الحصول على القرار الاقرب لرأى الاكثرية يستلزم تربية الامة وتأهيلها للحصول على المبادىء الآتية التى تستقر فيها روح الديموقراطية :

١ - نشر أعظم مايستطاع من التعليم والثقافة العلمية والفنية الحديثة على جميع أنواعها ، ومتى كثر عدد المثقفين قوى نضج العقل الاجتماعى . وكلما نضج هذا استطاع التغلب على العوامل المفسدة لروح الديموقراطية والمسممة لجسمها ، وبالتالى تضعف مقدرة المتزعمين السيئى القصد على استهواء الجمهور ، ويبطل استغلالهم لجهل الامة ، ويقل الخطر من تلاعب الافراد بمصالح الجماعة

٢ - العناية الشديدة بالتربية الاخلاقية لتقوية الادب النفسى فى جميع الافراد ، وبها يقوى نضج العقل الاجتماعى ، حتى اذا سمت الاخلاق واستقوت النزاهة فى النفوس انحلت تلقاءها قوة النفعيين الذين يحاولون أن يستغلوا ضعف أخلاق الجمهور لمصلحتهم الشخصية

٣ - طبع العقيدة الوطنية فى نفوس الناشئة ، أو بعبارة أخرى غرس الوطنية الصادقة فى القلوب ، حتى اذا تمكنت هذه الوطنية فى نفوس أفراد الامة كانت كنظام غير منظور كامن فى الصدور يقابل النظام الحكومى الذى يقبض زمامه فرد أو أفراد رسميون . وحينئذ يستحيل أو يتعذر على كل ذى سلطة رسمية تنفيذية أن يستخدمها لسحق قوة الشعب ، لان الشعب ينهض حينذاك من تلقاء نفسه نهضة واحدة بقوة تلك الوطنية الصادقة ذات النظام المستتر فى نفوس الامة - ينهض من غير تدريب أو تواطؤ لحماية نفسه . لان الوطنية الصادقة نفسها تدربه لمقاومة افتئات ذلك المتسلط بقوة النظام الرسمى

لا نعنى بالوطنية الصادقة ما طبعه الساسة مطايا الرأسماليين فى أذهان جماهير الامم من انها التعصب الاعمى للجنسية ضد كل جنسية أخرى كالفاشستية والنازية ونحوها . بل نعنى بالوطنية الصادقة استيقان أفراد الامة جميعاً أن القوانين الصادرة من لدن الهيئة النيابية ، مهما كانت الهيئة التى أصدرتها أقلية فعلا وأكثرية وهماً ، يجب أن تكون محترمة حرصاً على الامن العام وعلى سلامة الامة من مصيبة الفوضى . وانه لاسبيل لتنقيح القوانين التى تتراءى غير عادلة إلا عن طريق النظام الديموقراطى نفسه ، أى بواسطة الهيئة النيابية فقط . هذا ما يجب أن تتربى عليه الناشئة من معنى الوطنية

٤ - لكى تكون الديموقراطية بركة ونعمة للجنس البشرى كله وتكون الامة فى مأمن من غوائل فسادها ، يجب أن تتربى ناشئة كل أمة على « عقيدة الشعوبية » أى أن جميع الامم اخوات متسلسلة من جدة أمم واحدة ، وانها كلها متساوية فى حقوق الحياة الاجتماعية ومقومات الحياة

الاقتصادية المستخرجة من الطبيعة ، وأن السلام لايقوم إلا على الاعتقاد العام بهذه العقيدة

هذه هى المبادىء الاولية التى يجب أن تربى عليها ناشئة كل أمة ، حتى اذا جعلت برنامجا عاماً للتربية تعتمد عليه كل أمة ، استقرت الديموقراطية الشعبية والديموقراطية الشعوبية أيضا فتظهر آثارها فى الامور التالية :

أولا - يتقارب أفراد الامة كل التقارب فى تصوراتهم وتفكيرهم ومبادئهم وأخلاقهم حتى يصبحوا كأنهم جميعا نسخ متعددة لنموذج واحد وبذلك يستقوى العقل الاجتماعى

ثانيا - أن هذا التقارب يسهل جدا التآم الافراد فى كتلة واحدة متماسكة الاجزاء بحيث يتعذر على الصدمات تفكيكها

ثالثا - ان هذا التكتل الاجتماعى يجمع قوى الامة فى وحدة قوة عظيمة تستطيع مقاومة الصدمات الداخلية أو الخارجية والاجتماعية أو الطبيعية - المحاولة تفتيتها

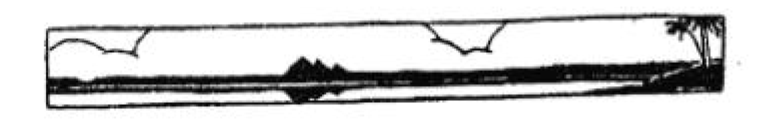
رابعاً - ان هذه الآثار تظهر أيضا فى علائق الامم بعضها ببعض اذا كان ذلك البرنامج الديموقراطى برنامج جميع الامم على السواء ، فبه تتقارب تصورات الأمم وتفكيراتها ومبادئها وأخلاقها وتعاضدها على السلم العام

وبعد ، فلابد أن يلوح لقارىء هذا المقال أن يسأل : اذا كان الحكم الديموقراطى لا يزال الى الآن مشوبا بالعيوب والفساد ، فهو بالظاهر ديموقراطى زائف ، وبالحقيقة هو حكم فرد او افراد ، أفلا يكون الحكم الملكى المطلق أفضل من الحكم النيابى ومن الحكم الجمهورى أيضا ؟

والجواب فى نفس المقال : فى المقال تشريح للحكم مهما كان نوعه : ملكيا كان أو جمهوريا ، مطلقا او مقيداً ، فالحكم الملكى المطلق لا يختلف عن الحكم الدكتاتورى الذى اشرنا اليه فى صلب المقال ، وعيوبهما هى هى فى الحالين

والحكم الدستورى النيابى لا يختلف عن الحكم الجمهورى . وعيوبه كعيوبه ، فصلاحية الحكم لا تتوقف على نوعه ، بل على رقى الامة فى الثقافة والاخلاق ، ولا سيما فى مراكز هذا الحكم ومصادر قوته ، سواءاً كانت هذه القوة ديكتاتورية ام نيابية بالفعل . ومتى كانت الاخلاق قويمة والثقافة عالية سقط كل حكم استبدادى سواء كان ملكياً او جمهورياً

نقولا الحداد شبر



مصرع الزعيم ماراه
وقضية شارلوت كورديه

بقلم الأستاذ حسن الشريف

صديق الشعب

رجل قصير القامة ضامر الجسم أصفر البشرة مشوه الوجه بالبثور ، أقرب الى القذارة منه إلى سوء الهندام ، يلبس سترة خضراء مرقعة تعددت فيها ألوان الخضرة ، ويعصب رأسه بخرقة كالمنديل تجعله أشبه الناس بقطاع الطريق . سليط اللسان خشن الطبع كثير الاعتزاز بنفسه شديد الاحتقار لسواه ، ذلك كان « جان بول ماراه » الزعيم الثورى الذى يلقبه المؤرخون بخزى الثورة الكبرى وعارها ولو أنصفوا لقالوا خزى الانسانية وعار بنى الانسان

لم يكن بالرجل الجاهل فلقد حصل كثيراً وتفقه كثيراً واستظهر معظم لغات أوروبا ، ومارس الطبيعة والكيمياء ، والف رسائل فى النار والنور والكهرباء شهرت اسمه ورفعت ذكره ، ودرس الطب وامتهنه فكان له فيه بعض الشأن ، ولقد بسمت له الحياة الناعمة حيناً اذ وفق بطبه إلى شفاء حسناء من نبيلات فرنسا كان كبار الاطباء قد حاروا فى علاجها ويئسوا من شفائها، فكافأته الحسناء بمالها وجمالها ، ووهبته جسمها الذى انتزعه من براثن الموت . وهكذا أصبح المسخ المحظوظ رجلا مذكوراً وعاشقاً محسوداً

بيد أن هذه الفطرة الشريرة المتأججة المضطربة ما كانت لتسكن الى حياة العلم ولا إلى حياة اللهو والترف ، فما شبت الثورة الفرنسية الكبرى حتى آنس فى هيجانها البيئة التى يصلح لها فانغمس فيها حتى ذؤابته ، ولم يمض طويل زمن حتى صار علماً يقسم الناس باسمه وزعيماً تخفق القلوب لذكره وصحفياً تتلقف الجماهير مقالاته كما لو كانت وحياً منزلا من السماء

ولم يكن ماراه ينظر إلى الثورة من حيث كان غيره ينظرون اليها . فلقد كان يرى أن النزاع القائم بين الطبقات الثلاث المؤلفة للشعب وهى النبلاء والاكليروس والعامة ، نزاع غير منتج مادام لا ينتهى إلى اعدام الاولى والثانية . وأن نزول الطبقات الممتازة عن امتيازاتها للعامة منحة غير كافية مادامت لا تؤدى إلى محو الفوارق بين كل الطبقات . وان الحرية التى تمنح للفقير العائل لا تفيده شيئاً اذا هى لم تسو بين الجميع بحيث لا يكون فى الدنيا فقراء وأغنياء

تلك كانت آراء ماراء فى الثورة وتلك هي الآراء التي من أجلها هجر الطب والطبيعة والكيمياء وامتهن الصحافة والخطابة واحترف تهييج الخواطر واثارة الاحقاد ، وانبث بين الدهماء والصعاليك والشعب المتحركة من الرأى العام يصور لهم حياتهم بؤساً وجحيماً وعيشهم شقاء وسعيراً ، ونصب شخصه حامياً للفقراء عضداً للضعفاء مطلقاً على نفسه وصحيفته هـذا الاسم المغرى الجـذاب : « صديق الشعب »

واذا كان الرجل شريراً فظاً قاسى القلب بفطرته ، فقد زادته حرارة الجهاد ومرارة النضال شروراً وفظاظة وقسوة حتى صيرته وحشاً تهيج المقاومة دمه وتثير العوائق غرائزه وتشحذ الخصومة أنيابه وأظفاره . وكان كلما لج فى التحزب لج فى عداء الناس وبغضهم فبات هو الآخر يرى الدم بين اللحى والقلانس ولا يعرف عقوبة لمن يظنهم خونة أو متآمرين أو خصوماً للثورة أو مفرطين فى واجباتهم الوطنية غير الموت ، الموت السريع العاجل بلا تمهل فى المحاكمات ولا تمحل للظروف المخففة ولا تريث فى سماع الشهود ولا تمكث فى التنفيذ . كان يستنزل فى صحيفته سيف المجلس العرفى الوطنى والمحكمة الثورية على كل من يتوهم فيهم اللين فى المبدأ أو النفور من الارهاب أو الانحراف عن شريعة الثورة ، فاذا انقضى يوم لم تحز فيه سكين المقصلة عشرات الرؤوس انهال على الحكومة مؤاخذة وتنديداً وأهاب برجالها : « حتام هذا التفريط فى سلطة الامة ، وإلام هذا التنوم فى اداء حق الوطن ؟ بماذا أفسر قعودكم عن الانتقام للشعب من مرهقيه يارسل الحرية ويا مصابيح الثورة ويا أعلام الحق والعدل والمساواة ؟ أترحمون أعناق الملكيين وقد وضعوا تحت أقدامهم عنق فرانسا ، أم تضنون بدماء النبلاء وقد استنزفوا فى أمعائهم دم الوطن ، أم نزلتم عن رسالتكم وانكرتم مهمتكم فأنتم واعداؤنا سواء ؟ ان فى فرنسا ثلثمائة الف خائن يجب قطع رقابهم ولسوف تقطع رقابهم على مر الايام فما ضركم لو عجلتم بهم دفعة واحدة لتطهروا الجمهورية من جراثيم الخيانة ونعيش من بعدهم قوما صالحين ؟ »

ولقد ابتلى الرجل بمرض جلدى أقعده فى داره عن الذهاب الى المجلس العرفى وجعله دائم الحك فى جسمه حتى لا يطيق عليه الثياب . فكان يمضى اليوم فى حوض ماء مشبع ببعض المراهم والمساحيق وقد نصب على حافتى الحوض لوحا من الخشب يضع فوقه أوراقه ومحبرته وأقلامه فيحرر وهو على هذا الحال صحيفته ويكتب خطبه ورسائله . وصدق من قال ان كل ذى عاهة جبار . فلقد كان هذا المعتوه جباراً بكل ماتحتمله الكلمة من المعانى يرى الخونة والخيانة والاجرام والمجرمين فى كل شخص وفى كل مكان فيرسل الصيحة داوية تبعث الرعب والقلق فى نفوس الحاكمين والمحكومين ويبدون فى كل عدد من أعداد جريدته قائمة طويلة باسماء من يرميهم بالاجرام فى حق الوطن أو بالتآمر على سلامة الدولة أو بممالأة أعداء الثورة ، ويطلب من الحكومة اعدامهم فى مقالات كتبت باسلوب حاد قاطع ينم على نفس شرهة ظامئة تريد الدم وتطرب لرؤيته مراقا فوق المفاصل والنطوع

وكانت الحكومة العرفية تأخذ دعاواه قضايا مسلماً بها ، فما يكاد « صديق الشعب » يطلع على الناس حاوياً أسماء الخونة والمشبوهين حتى تبادر السلطات إلى استصدار مراسيم القبض تمهيداً لاعتقالهم وتقديمهم للمحاكمة والحكم عليهم بالاعدام . وهكذا استحال هذا الطبيب العالم رسولا للقمع ورمزاً للارهاب يكتب فيقطر قلمه الموت وينشر فتنشر صحيفته الذعر والهلع ، ويبيت كل وهو لايدرى ما ستطلع عليه به شمس الغد من جراء اتهامات هذا الوحش الوالغ فى الدماء

بيد أن السياسة فى ذلك العصر لم تكن لتدر على أصحابها ما تدره عليهم فى هذه الايام من مناصب وأرزاق . لذلك عرف ماراه الفقر مذ عرف الزعامة وعانى الضيق مذ عانى السياسة . وكاد يعدم القوت اليومى لولا أن تداركه الحظ بامرأة موسرة اسمها سيمون ايفرار لا أدرى ماذا أعجبها منه حتى أحبته وعاشرته فى الخنا معاشرة الازواج ، فكانت تقوم على خدمته وتتولى الانفاق عليه وتحوطه بمعطف ما كان أحوجه اليه فى تلك الايام الشداد . ولكن لا عجب ، فما يعدم رجل ناحية من نواحى الرجولة تجتذب المرأة أو تستهويها أو تفتنها ولو الى حين . ولقد كان ماراه عظيما ولعل نظمه الشريرة المسيئة الدامية هى التى أعجبت صاحبته فيه

ولقد استشرى خطره وتفاقم شره حتى خاف المعتدلون مغبة استرساله فى التهريج والشعوذة والدعوة إلى سفك الدماء ، فاجمعوا أن يتخلصوا منه البلاد . ولقد حدث أن اشتدت المجاعة بالشعب حينا فكتب ماراه فى صحيفته يحض الاهالى على قتل التجار ونهب المتاجر واستباحة مال الاغنياء منهم حتى يخفضوا أسعار حاجات المعيشة ، فلبت الدهماء دعوته ونشبت فى باريس اضطرابات شهر فبراير سنة ١٧٩٣ التى ازهقت فيها الارواح وأهدرت الدماء وسلبت الاموال وخربت المتاجر والحوانيت، فهب المعتدلون من نواب مقاطعة الجيروندة وحملوا ماراه تبعة تلك المأساة الفظيعة وطلبوا محاكمته عليها فكان لهم ما أرادوا . بيد أن قضاة المحكمة الثورية كانوا من غلاة اليعاقبة المتطرفين الذين يرون رأى صاحبهم فى قيمة الحياة البشرية ويذهبون مذهبه فى وجوب أن تكون الثورة كاملة شاملة قوية حاسمة . فما أن سمعوا دفاعه الحار عن نفسه وأبصروا العبرات تنهمر من عينيه وهو يصيح : « ما أنا بالمجرم أيها المواطنون وانما أنا رسول الحرية خشى الخونة أن اكشف عن نياتهم للامة فأتوا بى إلى هنا لا كون فى الشهداء » ، حتى صدر قرارهم ببراءته فانصرف من موقف الاتهام ظافراً منصوراً . وحمل الشعب « صديقه » فوق الاعناق وسار به فى موكب حاشد هاتف بين تهليل المهللين وتكبير المكبرين وعاد الى مقعده فى المجلس العرفى الوطنى أعز شأنا وأرفع ذكراً وأشد خطراً

ولم يغفر ماراه لخصومه الجيروندبين اقدامهم على اتهامه بل أسرها لهم ضغينة لا يمحوها غير الموت فتحالف على التخلص منهم مع بعض رفاقه من أعلام التطرف والارهاب أمثال روبسبيير

وسانجوست وأبير ودانتون وكمي ديمولان . ومن ذلك الحين جعل يكيل الجيرونديين المطاعن هيلا وهيلمانا فيرميهم تارة بالخور واليأس والدعوة إلى الهزيمة ويرميهم أخرى بالرجعة فى الرأى والندم على ما كان منهم أول عهدهم بالثورة . ثم يلج فى العداء ويشتط حتى ليتهمهم بالميل إلى عودة الملوكية والاخذ بأسباب التمهيد لها ، ويصيح فى صحيفته « صديق الشعب » ويصيح معه أبير فى صحيفة أخرى اسمها « الاب دوشين » ويردد صياحهما كمي ديمولان فى صحيفة « المصباح » محذرين الشعب من « أولئك الذين يتظاهرون أمامه بالوطنية والاخلاص ، وهم يضمرون الخيانة ويدبرون له النكال »

وكان طبيعيا أن تحدث هذه الحملة أثرها فى ذلك الجو المشبع بالريب والشكوك وأن يأخذ المجلس العرفي الوطنى بتلك الترهات تحت تأثير دانتون وروبسبيير من ناحية وتحت تأثير القائد هنريو ومدافع جيشه المصوبة نحو دار المجلس من ناحية أخرى . فكان ما كان من محاكمة نواب الجيروندة والحكم عليهم جميعا بالاعدام . فنفذ الحكم فى بعضهم وفر البعض الآخر يلتمسون النجاة فى ريف فرنسا حتى استقر بهم الطواف فى مدينة كايان من أعمال أقاليم نورمانديا . وهناك أخذوا فى تأليف جيش صغير يقاومون به بطش أعدائهم واتخذوا من دار البلدية ناديا يلقون فيه الخطب ويحضون الشعب على المقاومة والزحف على باريس لتخليصها من شرور القتلة والسفاحين

القاتلة

كانت تعيش فى مدينة كايان اذ ذاك فتاة فى الثانية والعشرين من عمرها اسمها «ماريه» واشتهرت باسم شارلوت كورديه ، يدل مظهرها الهادىء الوديع على نفس طاهرة رحيمة تمقت العنف وتحنو على الضعف وتنشر الانس والبشر والبهجة فى كل مكان تحل فيه

كانت جميلة حلوة الشمائل جذابة لا يضن عليها عارفوها بالحب والود والتقدير . وقد استظهرت مؤلفات جدها الاعلى كورناى وتشبعت بروح أبطال رواياته ، وقرأت روسو وتأثرت بالانسانية التى تفيض من كتبه وبالتعاليم الديمقراطية السمحة التى تشع منها . ودرست بلوتارك وأعجبت بالابطال الذين أورد سيرهم فى مصنفاته ، وأحست فى قرارة نفسها حافزاً يحفزها إلى الاقتداء بهم . ولكن انى لها وهى القروية المحدودة محيط النشاط وأفق العمل ، أن تجد ميدانا تحقق فيه مثلا من تلك المثل العليا التى تداعب عقلها وتفتن فؤادها وتغريها بان تكون هي الاخرى بطلة تستحق تقدير الوطن واعجاب التاريخ ؟

كانت تعتزل الناس وتسبح فى بحر تأملاتها وتوازن بين نفسها وجان دارك فتثور للضعة التى تكتنف حياتها والخمول الذى يحيط باسمها وتتساءل مهمومة : هل كانت جان دراك الا فتاة مثلى تدرعت بالشجاعة وصدق الارادة فشقت لنفسها طريقا الى الخلود ؟

وكان تتبع سير الشؤون السياسية فى وطنها وقد شبت على المبادىء الشعبية الحقة فاشربت روحها بغض الظلم ومقت الاستبداد ومالت بكليتها إلى الثورة الناشبة فى البلاد تؤيد مبادئها السامية وأغراضها الشريفة ولكنها تستنكر أعمال العنف ووسائل القمع وتتمنى لو أدى الثوار رسالتهم وأتموا مهمتهم لحققوا للشعب اكبر قسط من الحرية فى غير ما سفك للدماء ولا إثارة للاحقاد

فلما اخلفت الايام ظنها وخيبت رجاءها وانقلبت الثورة من جهاد فى سبيل الحرية والاخاء والمساواة الى طغيان عام ساد فيه الظلم وضاع الحق وانمحت معالم العدل وارتفع لواء البطش، كبر على نفس الفتاة أن يضحى وطنها مسرحا للفوضى وتحكم الاقوياء فى رقاب الضعفاء، وعز عليها أن تستحيل الجمهورية العادلة السمحة الكريمة، التى طالما تمنتها ودعت اليها، جحيما وقوده المهج والارواح، وزبانيته قادة الرأى والزعماء، وأحست فى اعماق روحها حقداً على هؤلاء الطغاة الذين أفسدوا تلك الثورة الشريفة وحولوها عن أغراضها ومبادئها بعد أن صبغوها بالدم وأثقلوها بالجثث والاشلاء. ولقد كانت على وشك اليأس من صلاح الحال لولا أنها كانت لا تزال تؤمل خيرا فى المعتدلين من رجال الجيروندة وترجو أن يسيطروا على الموقف وينقذوا الوطن من شرور اليعاقبة والمتطرفين الذين عرفوا باسم « الجبليين » (١)

ولقد ابثت الفتاة ترقب سير الحوادث وتتبع أطوار النضال الناشب بين الجيرونديين واليعاقبة وتعلل نفسها بفوز سياسة الحكمة والاعتدال على تلك السياسة الظالمة الفاتكة التى كان يحمل لواءها ماراه وروبسبيير. فلما انتهى اليها نبأ هزيمة الجيرونديين والحكم عليهم بالاعدام ثارت نفسها وهاجت عواطفها وأظلمت الدنيا فى عينيها ولم تعد ترى فى الرجال القابضين على أزمة الحكم سوى عصابة من القتلة يسخرون الثورة فى أغراضهم ويستحلون باسم الوطنية ما الوطنية منه براء

عندئذ تذكرت أبطال بلوتاركس وكورناى، وتحرك فى أغوار صدرها ذلك الحافز الذى يدفعها الى طلب المجد والبطولة من طريق التضحية والاستشهاد، ورأت الفرصة سانحة لتأتى عملا يجعلها بين الخالدين فى ذاكرة الاجيال، فآلت لتنتقمن لوطنها من كبير الطغاة ولتجعلن نهايته عبرة للظالمين. ومن ذلك اليوم استقرت فى ذهنها فكرة قتل الزعيم ماراه. وإذا كان ماراه منيعاً فى عزلته فستقتحم منعته بحسن الحيلة، وإذا كان قوياً بأعوانه فستغلب قوته بلطف الوسيلة. واذا كان دمه غالياً فستدفع ثمنه من دمها الغالى، ومهما كلفها الامر أو قام فى طريقها من الصعاب فهى ستفعل ما يتمناه الكثيرون ولا يجسر عليه أحد، وستسير الى الوحش فى عرينه لتؤدى فريضة قتله بالنفس المطمئنة التى تؤدى بها فريضة الصلاة. وبعد ذلك يكون المجد، وبعد ذلك يأتى الخلود

(١) الجبليون Les Montagnards أطلق عليهم هذا الاسم لاختيارهم المقاعد الخلفية العليا فى المجلس العرفي الوطنى على يسار منصة الرئيس وكلهم من اليعاقبة أصحاب سياسة القمع والارهاب

فتباركها أرواح الضحايا الذين أزهقوا وتباركها أرواح الاحياء الذين أنقذوا ، وتباركها السلالات والذرارى أبد الآبدين ودهر الداهرين.

الجريمة

هاهى شارلوت فى باريس تسرح أشجانها فى المتنزهات العامة وتختلف الى سوق السلاح لتنتقى سكيناً فيقع اختيارها على خنجر ذى نصل طويل ، وتتردد على المجلس العرفى الوطنى عسى أن تعثر فيه بماراه فتضربه وهو على مقعده بين النواب ولكنها تفتقده فلا تجده ، وتستعلم فتعلم ان الرجل مريض لايبرح داره وأن له من رفيقته وأختها وبعض الخدم حراساً لا يدعون غريباً يدخل عليه، وتحاول ان تختبر الامر بنفسها وتذهب الى دار ماراه وتلتمس مقابلته للافضاء اليه بأمر ذى بال ، فيقال لها ان الزعيم مريض لا يستقبل أحداً ولا يظن انه سوف يستقبل من هنا إلى وقت بعيد

ولكنها لا تيأس بل تعمد الى الحيلة فتكتب اليه كتاباً تقول فيه : « أيها المواطن . انى آتية اليك من كايان ، وان ما اعلمه من حبك لوطنك يحملنى على الظن بأنك تتشوف الى معرفة ما هو واقع من الحوادث المؤلمة فى تلك الناحية من نواحى الجمهورية، وبأنك ستتكرم باستقبالى ، وستمنحنى من وقتك برهة تصغى الى فيها ، فان ما سأفضى اليك به جد خطير وقد يتيح لك أن تقوم بخدمة كبيرة للوطن »

وفى الامسية تقصد الفتاة مرة ثانية الى عرين الوحش فتتلقاها المرأة سمون إيفرار برفض جديد. ولكن شارلوت تلح وتلحف فما تزداد المرأة إلا رفضاً وإصراراً، ويحتدم الجدل بين الاثنتين ويرتفع صوتهما حتى ليسمعه ماراه. فيستعلم ما الخبر فيقال له انها الفتاة صاحبة الكتاب الذى وصله فى الصباح تأبى ان تنصرف أو تقابله ، فيتحرك فى نفسه حب الاستطلاع ويود أن يتلقى منها معلومات قد تفيده فيأذن لها فى الدخول

وتدخل شارلوت فتراه غائصاً فى حوضه الى ما فوق الثديين، وقد غطى كتفيه بمئزر خفيف ونصب اللوح الخشبى على حافتى الحوض وأكب على الكتابة ومن حوله الاقلام والمحابر والاوراق

ويأذن للفتاة فتجلس على مقعد بجانبه وينصرف عنها برهة ريثما يتم تسويد الورقة التى كانت أمامه ، ثم يرفع رأسه ويتفرس فيها ملياً ويسألها : « ما الذى جاء بك أيتها المواطنة ؟ » فتقص عليه أن ثمانية عشر من نواب المجلس العرفى الوطنى قد لجأوا الى كايان وأخذوا يستثيرون حمية الشعب ويجهزون جيشا ليسيروا به على باريس ، وأن الاقبال على التطوع يدعو الى القلق وأنها اذ آنست خطراً على الحكومة الثورية بادرت بالمجىء لتنبه اولى الامر ليتخذوا للطوارىء أهبتها قبل ان يستفحل الشر ويستعصى العلاج

ويسألها أسماء أولئك النواب القائمين بتلك الحركة فتملى عليه أسماءهم فيدونها بيده على ورقة ثم

يضع القلم وينظر الى وجهها ويبتسم ابتسامة شيطانية ويهز رأسه ويقول : « فهمت . وسأرسلهم جميعا الى المقصلة عما قريب »

عندئذ انبعث من عيني الفتاة بريق خاطف ،وخفق قلبها خفقانا شديداً ،وأجالت الطرف فيما حولها وصوبت نظراتها الى الوحش الدامي الذى يسطر حكم الموت على ثمانية عشر انسانا بهذا الهدوء العجيب . وانتصبت واقفة واستلت الخنجر من مشدها وفى سرعة كلمح بالبصر أهوت به على الرجل فاخترق منه الصدر والقلب ونفذ من اضلاع الظهر ، وصاحت كالمجنونة وهى تحملق فيه : « لن تقتل بعد اليوم أحداً »

استلقى ماراه على ظهره مستنداً الى حائط الحوض وصاح مناديا رفيقته : « الى يا صديقتى العزيزة .. أدركينى » وتفجر الدم غزيراً من الجرح حتى صبغ الماء بلونه القانى. . وهرعت سيمون ايفرار ملبية النداء ،وهرع معها أحد عمال الجريدة ،فالفوا الرجل على هذا الحال . فانصرف العامل الى شد وثاق القاتلة بينما انصرفت المرأة الى انتزاع الخنجر من صدر الجريح محاولة أن تسد الثغرة بكفها . وكان أحد الاطباء يسكن المنزل وقد شاهد من النافذة المقابلة لحجرة ماراه كل ما جرى فهرول الى مكان الحادث وعاون على نقل الجريح الى سريره وقبل أن يشرع فى الاسعافات الاولية كان القلب قد كف عن النبض والمصاب قد مات

ولقد سرى نبأ الاعتداء الى الخارج كالبرق فتقاطر الناس الى الدار وأحاطت بها الجماهير صاخبة صاخبة . ثم توافد رجال السلطة وأخذوا يستجوبون القاتلة . فلم تتردد فى الاعتراف بكل شىء وقالت : « لقد رأيت الحرب الاهلية تكاد تنشب فى سائر ارجاء البلاد ، وأيقنت ان ماراه هو الذى يوقد نارها ويذكى سعيرها بما يجترحه من الآثام فآثرت أن أضحى به لانقذ الوطن» وسئلت هل حاولت الهرب فاجابت : « لا بل حاولت الانصراف ولكنهم استوقفونى عند الباب وكتفونى كما ترون »

وكان غمد السكين لا يزال فى مشدها فمد أحد ضباط الشرطة يده ليتناوله فأساءت به الظن أول وهلة وحسبت انه يريد ان يداعب نهديها . فاستلقت الى الوراء فى حركة عنيفة سريعة قطعت أوصال المشد وبدا صدرها عاريا . فانحنت الى الامام جاعلة رأسها بين ركبتيها وقالت : « أتوسل اليكم يا سادة أن تفكوا وثاق لاصلح ثيابى » وسئلت هل هى بكر ، فارسلت على السائل نظرة مقت واحتقار وقالت : « هل تشك فى ذلك أيها المأفون » وهذه تفاصيل قد يعتبرها البعض تافهة ولكنها تحدثنا عن رباطة جأش الفتاة فى موقفها الرهيب إذ لم يذهلها الهول ولم يذهب الرعب بصوابها فكانت يقظة متنبهة الى كل شىء

وانعقد المجلس العرفى الوطنى ليلا ووقف الرئيس ليتلو النبأ فقال فى خشوع : « أيها المواطنون يحزننى جد الحزن ان أبلغكم أن جناية بشعة قد ارتكبت فأودت بحياة أحد نواب الامة . نعم أيها

الاخوان ، ان ماراه قد قتل فى منزله ، وبذلك فقد الشعب صديقه الكبير وخسرت الامة خادماً من أصدق خدامها »

وتلقى الاعضاء النبأ فى صمت رائع ثم تعددت الاقتراحات وتنوعت المطالب ودارت المناقشة حول ما ينبغى لتكريم الزعيم الراحل ، ووافق المجلس بالاجماع على أن ينتقل بكامل هيئته ليشيع الجنازة ، وكلف الرسام دافيد برسم صورة تخلد ذكرى الشهيد ، وأصدر مرسوماً بان يحتفل بتشييع رفاته فى احتفال رسمى مهيب ، وبان تدفن بقاياه فى البانتيون مدفن العظماء ، وبان تحفر على لوح القبر العبارة الآتية : « هنا مثوى ماراه صديق الشعب الذى قتله أعداء الشعب فى الثالث عشر من شهر يوليو سنة ١٧٩٣ »

فى السجن

وسيقت شارلوت كورديه الى السجن بين عدد كبير من الحراس ، وفى وسط عاصفة من غضب الجماهير وهتافاتها العدائية ، وحاول بعض الدهماء افتراسها أو التنكيل بها حتى لم يستطع الجند ابعادهم عنها الا بجهد عنيف ، فلما بلغت باب السجن التفتت الى الذين حولها وقالت مبتسمة : « لقد أديت من الواجب قدر ما استطعت فعلى غيرى أن يتم الباقى »

ومذ أقفلت عليها الابواب التمست من رجال الحفظ قلماً وورقا وكتبت الى لجنة الامن العام هذا الكتاب العجيب الذى ينم على حالة عقلية مدهشة :

« أما وقد قدر لى أن أظل حية الى حين قريب فهل تسمحون أيها المواطنون بأن يصورنى أحد المصورين ؟ انى راغبة فى أن أترك هذا الاثر لاصدقائى وليس فيما أطلب شىء غريب . فكما أن الناس يحتفظون برسم الوطنيين المخلصين اعزازاً لذكراهم فان الفضول يدفعهم أيضاً الى الاحتفاظ برسم كبار المجرمين لتظل العظة المنبعثة من جريمتهم ماثلة فى الاذهان عبرة للمعتبرين . فاذا وافقتم وأجبتم ملتمسى فانى أرجو منكم ان تتفضلوا بان توفدوا الى رساماً من المتخصصين للرسم على الخزف ، كما أرجو أن تسمحوا لى بالمبيت وحدى فى حجرتى بالسجن حتى لاتزعجنى صحبة الحراس وانى لشاكرة لكم ما ستفعلونه فى هذا السبيل »

وأعجب من ذلك الكتاب الطويل الذى كتبته الى صديقها النائب باربارو والذى بدأت كتابته ليلة اعتقالها ثم أتمته عشية موتها وعقب صدور الحكم عليها بالاعدام ، فان فيه ما ينم على اغتباطها بفعلتها ورضائها عن نفسها واستهانتها بالموت الى حد يثير الاعجاب ، وان القارىء ليجد فيه دعابة ومرحا واستسلاما للقدر وحسن تقدير للاشياء ودقة ملاحظة للحوادث وفطنة الى الدقائق والتفاصيل مما لا يصدر مثله عن انسان متمتع بحريته وطمأنينته آمن على نفسه ومستقبله ، فما بالك

بفتاة قاتلة تعلم أنها سوف تلاقي حتفها متى أقبل الصباح ؟ وإذا كان المقام لا يسمح بايراد هذا الكتاب كاملا فلا أقل من ان اجتزىء منه ببعض فقرات :

« . . . قبيل سفري الى باريس كتبت الى والدي بأني مسافرة الى انجلترا وكنت أرمي من وراء ذلك الي تحقيق فكرة كانت تجول بخاطري ولم تساعدني الاحوال على تحقيقها . ذلك اني كنت أريد قتل ماراه فوق مقعده بالمجلس العرفي الوطني . آملة أن ينقض على النواب وجمهور النظارة فيمزقوني ويقضوا على حياتي فور الساعة فاموت مجهولة لا يعرف أحد حقيقة شخصي ، وبذلك أوفر على اهلي وأصدقائي مشاق التحقيق التي لا بد منها الى أن تتضح براءتهم إذا أمكن للبراءة ان تتضح لاعين امثال هؤلاء الناس

« . . . نعم لقد خشيت وقتا ما أن تتجه الشبه والظنون الى أبوي وبعض معارف ، ولكن يقيني ببراءتهم جعلني أقدم على مشروعي غير مبالية بشيء ، ومع ذلك فقد أبوا الا ان يفرضوا أن لي شركاء فجاءوا بفوشيه وسجنوه الى جانبي مع انه علم الله يجهل وجودي في هذا العالم . ولعمري ماذا أفعل والحكومة الثورية لا تقنع بامرأة مثلي غير ذات شأن تقدمها كفارة عن مقتل الزعيم العظيم

« معذرة وصفحاً يا بني الانسان ! فلئن صح ان ماراه كان عظيما لحقت اللعنة على النوع البشري الذي ينتسب اليه . ولكن ماراه لم يكن انسانا وانما كان وحشا ضاريا يهدد فرنسا بالخراب واني لاحمد الله على أنه لم يولد فرنسيا (١)

« لقد شاهدت بعيني حركة التطوع وسرني اقبال الشباب عليها ، ولكني أشفقت على هذا العدد الكبير من جنودنا البواسل ان يذهبوا للقضاء على رجل واحد قد يخطئونه أو قد يجر قتله الى قتل الكثيرين منهم ، فرأيت في ذلك شرفا كبيراً لا يستحقه ماراه وقلت في نفسي : ان في ذراع امرأة واحدة لكفاية

« . . . والحق اني لجأت في استدراجه لمقابلتي الى التغرير والاحتيال ، ولكني لا ألوم نفسي ، فكل الوسائل كانت شريفة في نظري للوصول الى غرضي الشريف . وان اعجب فعجبي لاولئك الجمهوريين الساذجين الذين يكادون لا يتصورون كيف ان امرأة تضحي بحياتها لانقاذ وطنها . وهم والله لو علموا ان الحياة اهون مما يتوهمون ، وأن الاجل مهما امتد بي لن يتيح لي مثل هذه الفرصة لاخدم بلادي ، لما رأوا في الامر شيئا يستحق الدهشة والاستغراب

« . . . وهأنذا أنعم منذ يومين بهدوء النفس وراحة الضمير لاني انما استمد سعادتي وهنائي من سعادة وطني وهنائه . وغداً عند الظهر أكون قد رحلت عن هذه الدنيا ، ولست أعلم الآن ما سوف يكون من أمري في اللحظات الاخيرة ، ولكن العبرة بالنهاية . وأرجو أن تكون نهايتي

(١) كان ماراه سويسري المولد

مشرفة مجيدة . لست أتصنع عدم المبالاة بموقفى ، ولكنى فى الحقيقة لا أرهب الموت ولم أتهيبه حتى هذه الساعة . ومن رأيى ان قيمة الحياة تقدر بقيمة الفائدة التى تعود منها ، فاذا كنت قد أفدت بلادى شيئاً فانى اموت راضية النفس قريرة العين »

ولا يفوتها أن تودع أباها الوداع الاخير فتكتب اليه :

« أرجو ان تغفر لي يا ابتاه فلقد تصرفت فى حياتى بلا اذن منك . ولكنى انتقمت لكثير من الضحايا وأنقذت كثيراً من الابرياء ، ولسوف يأتى اليوم الذى يقدر فيه الشعب عملى ويوقن انى خلصته من طاغية خطير

« وداعا يا أبى المحبوب ولا تحزن ولا تبتئس ، بل انسنى إذا استطعت أو فاغتبط لمصيرى فان حزنك على لا يتفق وسمو العمل الذى أتيته ، واذكر دائما قول جدى كورناى : « ليس الموت فوق النطع عاراً ، وانما العار فى الجريمة ، واعلم انى لم ارتكب جريمة وانما اتيت أمراً يمليه الواجب ويريده الوطن »

المحاكمة

فى السابع عشر من شهر يوليو سنة ١٧٩٣ قدمت شارلوت كورداى الى المحكمة الثورية . وبعد توجيه الاسئلة التمهيدية اليها سألتها المحكمة هل اختارت محامياً للدفاع عنها ؟ فأجابت : « لقد كتبت الى المحامى جوستاف دولسيه ليتولى الدفاع عنى فلم يصلنى منه جواب ، وأغلب ظنى أنه لم يأنس فى نفسه الشجاعة التى تجعله يحمل عبء هذا الموقف . على انى اعتقد ان وجود المحامى فى مثل هذه القضية مسألة شكلية لا تؤثر فى شىء فخير لنا جميعاً أن نتجنب الاطالة فى الاجراءات ما دام ليس فيها شىء مفيد »

وانتدبت لها المحكمة الاستاذ شوفو لاجارد الذى سبق لها ان انتدبته للدفاع عن الملكة مارى انطوانيت فقبل المهمة متذمراً ، وبدأ الرئيس مناقشة المتهمة :

س — من الذى اغراك بارتكاب هذه الجريمة ؟ — ج — جرائمه

س — ألم يحرضك احد ؟ — ج . حسبى من قبح سيرته وبشاعة سياسته أكبر محرض فلا أحتاج الى من يحرضنى ويغرينى

س — والى أى عهد يرجع تاريخ تفكيرك فى ارتكاب هذه الجريمة ؟

ج — الى يوم ٣١ مايو أى يوم القبض على نواب الامة الجيرونديين . فلقد رأيت إذ ذاك ان أهلك رجلا لانقذ مائة الف ففعلت . انى أشربت المبادىء الجمهورية من عهد بعيد وقبل شبوب الثورة ، ولم تعوزنى الشجاعة يوماً من الايام

س — وماذا تعنين بالشجاعة ؟

ج — الشجاعة التي تجعل الانسان يضحي بمصالحه الخاصة في سبيل مصلحة الوطن

س — كيف تريديننا على ان نصدق ان احداً لم يحرضك أو لم يفسد رأيك في ماراه وأنت ترين فيه أنه كان سبب جميع المصائب التي نزلت بفرنسا مع أنه لم ينفك يوماً عن فضح الخيانة واماطة اللثام عن وجوه الخائنين ؟

ج — ان اهل باريس هم وحدهم الذين يحسنون الظن بماراه . أما في سائر الاقاليم الاخرى فيعتقد الناس أنه وحش مفترس

س — وكيف تقولين انه وحش وهو الذي دفعته انسانيته الى استقبالك في داره عند ما علم انك مضطهدة وان لك مظلمة تريدين ان ترفعيها اليه ؟

ج — بل لقدكان يرجو أن ازوده بمعلومات تسهل له اعدام بعض الفرنسيين . على انني لا اعبأ بالانسانية التي اظهرها نحوي بعد ان تجلت وحشيته لجميع الناس

س — وإذا صح ان ما راه نقمة على الوطن وقد ازلتها ، فهل تظنين انك ازلت كل من عداه من النقم ؟

ج — قتل هذا يخيف الآخرين

وهنا يتدخل النائب العام في المناقشة ويقول : « ان ضربة السكين كانت من المهارة والاحكام بحيث لا تصدر الا عن خبرة قديمة او تجربة طويلة » فصاحت شارلوت قائلة : « تبا لهذا الوغد انه يظنني قاتلة ! »

ولعمري ان في هذه الصيحة وحدها ما ينم على مبلغ ايمان الفتاة بأنها لم ترتكب جريمة وانما أتت عملا انسانياً لا اثم فيه

وترافع المدعي العام مرافعة اغنته فيها بلاغة الحوادث عن بلاغة الكلام ووفر عليه اقتناع القضاة مشقة اقناعهم وانتهى الى ان طلب رأس المتهمة « ثمنا حقيراً للرأس الغالي الذي خسرته الجمهورية والحرية والبلاد »

أما مهمة الدفاع فكانت شاقة وعسيرة ، اذ لم يكن للمحامي ازاء اعتراف المتهمة بجريمتها وبسبق الاصرار على ارتكابها الا احد طريقين : أما أن يبرر الجريمة بالقدح في سيرة القتيل واظهاره وحشاً يستحق الموت وهذا دفاع لا تقبله المحكمة ويؤدي بصاحبه إلى المقصلة من أقرب سبيل ، واما أن يتمحل الاعذار للمتهمة ويتلمس لها الظروف المخففة بان يزعم أنها غير مسئولة لان قواها العقلية غير سليمة ، فيسيء إلى موكلته في حياتها ويسيء الى ذكراها بعد مماتها بدون أن تستفيد من هذه الاساءة شيئاً . لذلك قصر مرافعته على الكلمات الآتية :

« ياحضرات المحلفين . لقد اعترفت المتهمة باعتدائها الشنيع واعترفت بالظروف السيئة التي

أحاطت به ، وبالجملة فهى قد اعترفت بكل شىء اعترافاً كاملا حتى انها لم تحاول أن تبرىء نفسها من شىء . وانى لأرى فى ذلك الاعتراف الواضح وفى انكارها لذاتها إلى هذا الحد من الانكار دليل براءتها

« ان الهدوء الذى شهدتموها فيه ورباطة الجأش التى لم تخنها لحظة من اللحظات واستهانتهـا بموقفها وعدم احساسها بشىء من الندم حتى أمام الموت ، أن كل ذلك شىء لا يمكن أن يصدر عن طبيعة عادية ، ولايمكن فهمه أو تفسيره الا بثورة التعصب السياسى التى شبت فى نفسها فسلحت يدها بالخنجر ودفعتها إلى ارتكاب الجريمة . وانى لادع لكم هذا الاعتبار المعنوى لتزنوه بميزان العدالة ولتقدروه قدره عند الحكم عليها »

ولما انتهى من هذه المرافعة القصيرة اختلى المحلفون لتبادل الرأى وعادوا فقرروا بالاجماع أن المتهمة مذنبة فصدر حكم المحكمة عليها بالاعدام . وعندئذ ذهبت إلى محاميها وصافحته وقالت : « اشكر لك يا سيدى تلك الشجاعة التى دافعت بها عنى فهى جديرة بك وبى . ولقد كنت أود مكافأتك ولكن هؤلاء الناس صادروا مالى وصرت لا أملك شيئاً . على أنى سأقدم اليك دليلا على شكرى وتقديرى خيراً من المال . ذلك أنى أرجو أن تتولى عنى وفاء ما أنا مدينة به للسجن مقابل نفقاتى فيه »

ولقد قبل المحامى شوفو لاجاردهذا التكليف عن طيبة خاطر ودفع لادارة السجن ستة وثلاثين ذهباً

النهاية

اعيدت شارلوت إلى السجن ، واذ ابصرت السجان وامرأته قالت وهى تهش لهما : « كنت آمل أن نتناول طعام الغداء معاً ولكن معذرة فقد احتجزتنى المحكمة حتى فات الوقت » وكان الرسام هاور قد بدأ فى تصويرها وهى أمام القضاة ، واستأذن الحكومة فى أن يتم الصورة فى حجرة السجن فاذنت له ، وهكذا امضت شارلوت ساعاتها الاخيرة جالسة أمامه توصيه من وقت لآخر بالعناية بالرسم والتدقيق فيه

ودخل عليها الجلاد وقدم اليها القميص الاحمر ، رداء المحكوم عليهـم بالاعدام ، فابتدرته مبتسمة وقالت :

« هل حان الوقت يا سيدى ؟ حقاً أنكم لمتعجلون » ، وسارت وراءه حتى ركبت المركبة التى ستقلها إلى ساحة التنفيذ . وانطلقت المركبة بين صفوف حاشدة من الجماهير كانت تهتف بموتها وتصب اللعنات عليها وتتدافع نحوها لايذائها أو للفتك بها فلا يصدهم عنها الجنود والحراس الا بجهد عنيف . وكان المطر ينهمر من السماء طوفاناً والبرق يكاد يخطف الابصار ودوى الرعد والصواعق

يصم الآذان ، وهي واقفة فى مركبتها بين هياج الطبيعة وهياج الناس وسيمة الوجه رابطة الجأش حية مسبلة الجفنين كأنها عروس فى موكب الزفاف . ولقد أثر منظرها الهادىء وطلعتها الرائعة فى أحد النظارة فتعلق بالمركبة وأخذ يصيح كالمجنون : « والله انها لاعظم من بروتوس (١) فمن لى بميتة كميتتها ؟ » وكان هذا الرجل أحد نواب الامة وعضواً بالمجلس الوطنى ، فلم تضن عليه الحكومة الثورية بتحقيق أمنيته لحا كمته على تهمة تمجيد الجريمة وحكم عليه بالاعدام ومات الميتة التى تمناها

وكانت المركبة تسير ببطء لشدة الزحام حتى لقد انقضت ساعتان وهي لا تزال تشق طريقها الى الساحة ، فال الجلاد على أذن شارلوت وقال : « لعل طول المسير قد اضجرك » فضحكت وأجابت : « لا عبرة بطول الطريق ما دمنا سنصل ولا بد أن نصل » . ولما اقتربت المركبة من الميدان العام اشفق الجلاد عليها من رؤية المقصلة المنصوبة فى وسطه فوقف أمامها ليحول دون أن تراها ولكنها مدت عنقها من فوق كتفه وقالت : « دعنى انظر اليها يا سيدى واعذر فضولى فانى لم أرها قبل اليوم »

ونزلت من المركبة وتسلقت درجات النطع وحيت الجماهير بايماءة من رأسها وحاولت أن تتكلم ولكن المكلفين بالتنفيذ لم يمكنوها من الكلام ، فجثت على ركبتيها وأدخلت رأسها فى الكوة وأعمل الجلاد يده فى اللولب فهبط السكين وانفصل الرأس عن الجسد

وأدلى الجلاد يده إلى السلة وأخرج منها الرأس وأداره على الناس ليروه ، ثم لطمه بكفه لطمة قوية جعلت الاحمرار يعود الى خديها ، ولقد أوحت هذه الحادثة الى الشاعر العظيم اندريه شينيه قصيدة رائعة يقول فيها : « كانت أبية لا تحتمل الاهانة حية ولم تحتملها وهى ميتة » ولقد وجدت الحكومة الثورية فى هذا البيت من الشعر حيثيات كافية لارسال ناظمه الى الاعدام

حسن الشريف



(١) بروتوس قاتل يوليوس قيصر الرومانى

الشمول في العلم والخصوص في الأدب

بقلم الأستاذ أديب عباسي

اطراد النسق وعموم القانون وشمول البحث قواعد العلم الأساسية وعناصره المحتومة ، ونسبية الرأى وجزئية الصورة وخصوص الخبرة أبرز مزايا الادب والصقها به . والعلم لايكون علماً حتى تطرد قواعده ويعم تطبيقه وتنسق قضاياه ، والأدب بطبيعة مواده و خصائص تكوينه يتعصى على الشمول ويأبى الاطراد ووحدة النسق

فقواعد نيوتن فى سقوط الأجسام ، وقوانين دارون فى تطور الأحياء ودساتير فارادى فى الكهرباء ، لاتكون فى العلم ولا تحسب عليه اذا لم تطرد على دوام وتنسق عند كل حادث وتصدق فى كل تجربة ، وإلا فهو العلم الناقص الذى لم يتم بعد

أما فلسفة المعرى وصور شكسبير وحكمة المتنبى وأوصاف هومر وخيال دانتى واستهتار الخيام فليس بضائرها ولا بمخرجها من حضيرة الأدب مافيها من نسبية الحقائق وجزئية الفكر وخصوص الخبرة وخطأ التأويل . وقد توافق المعرى أو تخالفه فيما يرتأيه من رأى عابس فى الطبيعة البشرية ،وتقديره الشر والرياء والأنانية فى كل عمل من أعمال الناس ، ولكنك لست تستطيع أن تخرج من حضيرة الأدب واحدة من رباعياته هذه التى تطالعك حيثما تدبرت بتقديره السوء وقبح التكوين فى الطبيعة البشرية . كذلك قد يصدق المتنبى وقد لايصدق فى تلخيص الخبرة البشرية لك فى بيت من أبياته السائرة ، ولكنك فى الحالين من الصدق وعدمه لست بقادر على نفيه من مجال الأدب مهما بالغت فى النقد ولججت فى الخصومة وتحايلت على على الاقناع . وقل مثل هذا فيما ينصحك الخيام ويضاعف لك النصح من اعتكاف على الحاضر وانقطاع اليه عن ماضى الحياة والآتى منها تترشف اللذة وتنعم بما تيسره لك الساعة من وسائل النعمة . وهكذا فيما ترى خلافها من صور الأدب وصنوف الأدباء

وهذا العموم والشمول فى العلم ، وهذه الجزئية والنسبية فى الأدب لها اسسها الثابتة فى طبيعة العلم والأدب وفى طرائق الابداع العلمى والأدبى

فالذى يهيء الاطراد والعموم للعلم دون الأدب كون مادة العلم وموضوعه هما الطبيعة ودساتيرها المادية الثابتة وقوانينها الخالدة الشاملة ، وعليه فالكشف عن أحد هذه القوانين والتطبيق عليه انما هو كشف عن اطراد وعموم ثابتين ، لايحرفهما ولا يقلقلهما تغيير مكان التجربة أو زمانها . أما الأدب فمادته الطبيعة البشرية وما فيها من تقلب على النظر ومكر

بالمشاهدة وخفاء عن الحس مما ينذر وحده التجربة وثبات الموضوع . لهذا فالوصف الذى يصدق على زيد من الناس فى حال من أحواله النفسية الخاصة حرى ألا يصدق على عمرو ، وخبرة امرىء امرأ من الامور هى ابداً خلاف خبرة من عداه . وذلك لما يستحيل على مادة الادب - وهى الحياة - من الثبوت عند حال والتشـــابه فى العمل ، وهما عماد التجربة الكاملة وقوامها

ومما يميز العلم بالشمول والأدب بالجزئية ان العالم فى غالبية الاحوال يدرس الاشياء والحوادث متجرداً من ميوله واهوائه ومعتقداته ورغباته الخاصة ، فيجىء كشفه عن الحقيقة مجرداً من العامل الشخصى قريبا من الكمال . أما الاديب ، وان ادعى التبحر والاستقلال ، فهو انما يصف نفسه ويثبت جوانحه ويبث شكواه ويشرح آلامه ويدون أحلامه فى أكثر مايكتب ويصف ، كما أن يصف من عداه ويعالج الكشف عن خفايا نفوسهم ومخبآت قلوبهم والمستسر من شعورهم . وهكذا ، بدخول العامل الشخصى فى تفكير الاديب لايتسنى له أن يقف موقفاً منزهاً مشارفا من حوادث الحياة واشخاصها ، فتجىء صوره لهم مجزوءة أو ملونة بالوان من عنده

ويبعث على الخصوص فى الادب دون العلم - كذلك - كون الاديب لابد متأثر ببيئته الخاصة وظروفه الطارئة ، من جهة ، وبما انتقل اليه من أسلافه من عناصر وراثية مميزة ، من جهة ثانية ، فيجىء عمل الأديب ، تبعاً لذلك ، خاصاً وعليه طابع الأديب الخاص والصبغة المحلية

على أنه غير منكور أن من الادباء من يرتفع على القيد الزمانى والمكانى الى أمد بعيد فلا تقيده البيئة إلا بعض التقييد ، ومن هؤلاء نفر من فحولة الادب وعباقرة الخيال . ممن سموا بمواهبهم عن الضرورات المحلية والفوارق الجنسية . واذا كان يجدد الاعجاب ويضاعف التقدير للمعرى والمتنبى وشكسبير وخلافهم من عالمى الفن عند كل جيل وفى كل بيئة ، فذلك مما سموا بأدبهم عن اللون المحلى والصبغة الزمنية ، فجاء أخيراً معبراً أقرب التعبير عن طبائع البشر الاساسية ، دون الاهواء والميول الخاصة الغريبة . أما العلم فليس لعمل الوراثة أو البيئة أى أثر فى نوعيته

وأساس العلم التعاون وقيام اللاحق من العلماء باتمام عمل السابق من الاوائل والبناء على الأسس التى بنى . ومن هنا يجىء نصيب العلم من الكمال أوفر من نصيب الادب الذى يظل أبداً وبالطبع جهداً فردياً لاتعاون فيه ولا تواطؤ على مسائله وأساليبه والنهج فيه نهجاً خاصاً ، إلا مايكون من تأثر الادباء بعضهم ببعض ، شاعرين أو غير شاعرين . ومن هنا تعم قضايا العلم وتشمل ، وتظل فروض الادباء وصورهم وأفكارهم شخصية ، بعيدة عن الشمول

وفى الأدب تجوز ابعاض الحقائق ، إذ ليس سبيل الادب الاستقصاء ، ويجوز للاديب ،

قاصداً أو فى غير قصد ان يستغل ناحية خاصة من رأى أو نظرية علمية ويترك الناحية الاخرى فيجىء أدبه ، تبعاً لذلك جزئياً لاشمول فيه ، أما العلم فيتبرأ دائما من ابعاض الحقائق ، ولا يستطيع أن يسيغ الخطأ أو النقص فى النظرية العلمية مهما يكن طفيفاً . ويظل العلم فرضا وتقديراً الى أن تزول منه أجزاؤه الخاطئة ويكمل النقص

ويجعل الناس أقل تعصباً على النقص فى الفكرة الادبية ان الادب مادة وأسلوب . وكثيراً ما يغتفر النقص ، بل الخطأ والضلال ، للاديب ، لانه أبدع صورة بالغة الجمال منقطعة النظير . والشأن فى هذا كالشأن فى البناء الهندسى البارع ، من السخف والحماقة أن تعمد الى هدمه لمجرد خطأ هندسى بسيط فى بعض أجزائه

وسبب آخر فى هذا الفارق بين العلم والادب ، ان العالم يأخذ موضوعات بحثه أخذاً مجزءاً ، فيستطيع ، والحالة هذه أن يتمها على مهل وفى غير استقلال ، فلا يكون للانطباعات الاولى والخطأ المبكر أى أثر فى الصورة النهائية لعلمه . أما فى الادب فالامر على عكس ما فى العلم ، إذ يغلب على الاديب أن يتناول صورة مجملة بعيدة عن التجزىء ، وعلى مقدار عبقريته ونفاذ بصيرته يكون كمال الصور أو نقصها ، والغالب الاعم أن الاطار الاول للصور الادبية هو الذى يعطيها حدودها النهائية . وهذا سبب أن أوساط الادباء لا يستطيعون بدأبهم وجدهم أن يرتفعوا الى مصاف عباقرة الادب ، بعكس الكثير من أوساط العلماء الذين يستطيعون بجد العمل والدأب على التجربة أن يسموا الى مراتب كبار العبقرية . وهو السبب فى القلة الملحوظة فى عبقرية الادب بالقياس الى عبقرية العلم

والادب فى مجمل أمره غائى يقصد الى التوجيه أو التهذيب أو الدعاية لشأن من شؤون الحياة . وهذا كثيراً ما يجرى الادب غير مجرى الحقيقة ويحرفه عن جادة الصواب . وكم من حقيقة مسخت مسخاً أو طمس عليها فى صدور الادباء لاعتقاد هؤلاء ان الجهر بها كاملة تامة فى معرض الادب يثير النقمة ويفضى الى شر . والغريب الغريب أن عين مايخشى الاديب الجهر به من حقيقة أو رأى يستطيع العالم أن يجهر به بلا جمجمة ولا خوف . ولعل ذلك من أن الادب يصل الى الخاصة والعامة على السواء ، فى حين ان العلم يصل أول ما يصل الى الخاصة ، ولا يصل العامة حتى يكون قد أضحى للعالم مدد وعون من خاصة الناس وذوى الرأى المحترم فيهم فلا تقوم القيامة على العالم كما تقوم على الاديب . هذا ومقابل غائية الادب تقف لاغائية العلم وعدم نزوله على ارادة الامة أو الفرد . وحينما تدخل الغائية فى العلم يدنو من الفن . ومن هنا يحسب العلم التطبيقى أو العلم الذى يتخذ سبيلا لدعاية من الدعايات فناً

والأخطاء العلمية سريعة الظهور ، من الهين تشهيرها . ذلك أن مادة العلم ــ كما أسلفنا هى الطبيعة ، والطبيعة ثابتة مطردة ، وأسلوب العلم هو اسلوب المشاهدة والنقد والتطبيق ، وهى لا تحابى

ولا تلين ، هذا الى أن مجال المغالطة مع النقد والتجريب فى العلم مجال ضيق ، بعكس مافى الادب من سعة المجال للمغالطة والمنافحة عن الرأى ولو كان خاطئاً ، اعتماداً على مافى الطبيعة البشرية من التناقض وتعدد الوجوه والغموض واحتمال الاضداد

واخيراً يساعد على خصوص الادب وجزئيته دون العلم أن الاديب يصور الطبيعة البشرية فى درجة عليا من استفزاز العواطف وغليان الاهواء . والاديب ، فى مجمل أمره ، لايرضيه من الحب إلا الصور القوية المسرفة ، ولا من الحقد إلا كل دفين ، ولا من الغضب إلا كل عارم ، ولامن الشجاعة إلا مابلغ حدود التهور ، ولا من الميول إلا كل جامح شاذ ، ولا من الشخصيات إلاكل غال فى خلق مغرق فى فضيلة أو رذيلة . وهذا بالطبع يبتعد بالصور الادبية ، قليلا أو كثيرا ، عن صدر الحياة فى أعم أشكالها واقرب حالاتها ، إذ من المؤكد أن الصفات البشرية العامة تلخصها وتحددها الصفات المعتدلة ، دون الصفات المبالغة فى الصعود أو الهبوط

هذا ولسنا بهذه المقابلة نحط من قدر الادب أو نرفع من قدر العلم . ذلك أن جزئية الادب واكتفاءه بالايماء والتلميح والاجتزاء ، هى سرخلوده والمؤكد لجماله وقدرته على أسر العواطف والمشاعر . ونعتقد أنه لو رزق الادب من الشمول والتصريح مثل حظ العلم لأغنى بعض صوره عن باقيها ، ولا كتفى بالصورة الواحدة تجىء كاملة كالقاعدة أو المثال عن كل صورة عداها ، ولانقطع التنويع فى الأدب وقل من جراء ذلك انتاجه وتناقصت طرافته وبيت جدته

اديب عباسى

آفة الاخبار

تغاوت على عرضي عصائب جمة ولو شئت ما التفت علىّ غواتها(١)
هم استلدغوا رقش الافاعى ونبهوا عقارب ليل نائمات حماتها
وهم نقلوا عني الذى لم أقل به وما آفة الاخبار إلا رواتها

الشريف الرضى

(١) تغاوت تجمعت وتعاونت . والعصائب جمع عصابة

الخُرَافَة

أصلها وضرورة دراستها

بقلم الأستاذ نظمي خليل

«.. فدراسة الخرافة ضرورية الآن لسببين : الأول أنها تعيننا على فهم تطور الذوق الادبي عند الشعوب الفطيرة ، والوقوف على كثير من عاداتها واخلاقها . والثاني انها أخذت تبرز في ميدان التربية الحديثة كأداة قوية للتثقيف ..»

الخرافة هي أول ماعرف من الأدب . فهي أدب بدائي أوأول غنى بأبطاله ومردته ، وهي أدب يتصل بالغريزة له مكانته في طفولتنا البعيدة

وليس من شك أن كثيرا من الناس اليوم يضيقون بهذه القصص الخرافية بعد أن بعد عهدهم بالطفولة ، فلا يرون فيها أكثر من عبث صبيانى قد اخترعه أحمق ثرثار ليقتل به وقته الطويل ويختزل به حياته الخاملة الرتيبة . ولكن الخرافة أكثر من هذا اللغو العابث ، وأجل خطراً من هذه التسلية العابرة ، فان وراء تلك المعاني السطحية التي تسر الاطفال وبسطاء العقول ماهو جدير بالتفهم والدرس . وان هذه القصص التي يلهو بها أطفالنا اليوم كانت فيما مضى مسرح أذهان أجدادنا الاولين عندما كانت الجمعية البشرية في طور طفولتها . فهي في الحقيقة « البقايا المتحجرة » للافكار والعادات القديمة ، فقد حاولت الشعوب البدائية أن تجعل آراءها ومعتقداتها وعاداتها ونظم معيشتها ، في ثوب خيالي بديع وشكل قصصي رائع ، فنشأ من هذا ما يسمى اليوم بالخرافة أو القصص الشعبية أو الفولكلور «Folklore»

وان هذه المجلدات الضخمة الكثيرة التي تتحدث عن أساطير تلك الشعوب الاولى لهي تراث خالد وأدب غير مكتوب لأولئك السذج والبسطاء الذين عاشوا بفطرتهم قبل عصور التاريخ . والقارىء لهذه القصص يتبين شيئين متميزين

اولهما التشابه القوي في هذه القصص المتعددة مما يدل على أن العادات الاولى كالزواج والفتشزم Fetishism والطبو Tabu قد وجدت بدوافع متشابهة بالرغم من المؤثرات المحلية كالبيئة أو غيرها . فاننا نجد مثلا فكرة عامة في مجموع هذه القصص وهي « الروح المنفصلة » اي انفصال الروح وهي مركز الحياة من الجسم ، نجد هذا في القصص الهندية والروسية

والسكسونية والعربية والتتارية . ويجد هذه الفكرة بعينها فى القصة المصرية المسماة « بقصة الاخوين » . والشيء الثانى أن جراثيم القصص قد وجدت فى تلك الاساطير والخرافات . فما الدراما والقصة الحديثة إلا بعض بقايا هذه الخرافات القديمة . وما شكسبير و « ثكرى » وملتون ودكنز إلا حلقة من سلسلة طويلة تضم مئات القصاصين والشعراء قد انطمست وغابت فى ضباب العصور المتوالية . ومن المحتمل أن القصص الأولى كانت تقال أو تقص فى شعر غنائى جاف . وهناك ما يحملنا على الاعتقاد أن القصة الشعرية أقدم من القصة النثرية ، لأن الاولى يسهل حفظها وروايتها لاشتمالها على موسيقى الوزن الذى هو أقرب الاشياء الى الشعوب البدائية ، ولأن هؤلاء الاقوام الاولين كانوا ينشدون هذه الأناشيد وهم يرقصون على أنغام الصنوج وبأيديهم أغصان الزيتون والمشاعل

ومن هذه الاناشيد نشأ ما يسمى الآن بالاغانى الشعبية . وقد كان انتقال هذه القصص من شعب الى آخر عن طريق المهاجرة وأسرى الحروب والتزاوج والتجارة . وكلما تعمقنا فى دراسة علم الخرافة ازددنا ايمانا بهذه الفكرة ، وهى أنه لم يكن هناك مركز واحد لاختراع القصة بل عدة مراكز ، وان هذا الانتشار بالنقل أو بالاستعارة قد أخذ مجراه قبل العصور التاريخية . وهذا يدل أيضا على أن الشعوب البدائية التى عاشت بعيدة عن بعضها قد نهضت بهذه القصص والاغانى كما نهضت بطرق إيقاد النار وصنع أدوات الصوان

فاذا أردنا أن نعرف كيف نشأت تلك القصص الخرافية وجب أن نرجع الى الماضى البعيد فى ضوء تلك الشعوب البدائية الموجودة اليوم مادامت هذه القصص تلون أخلاق وعادات هؤلاء الاجداد

لقد كان شعور الرجل البدائى عن العالم الذى حوله شبيها بشعور الهمجى الذى لايزال يعيش فى مجاهل أفريقا واستراليا . فقد كان شعوراً بسلطان الطبيعة الخفى الذى يهدده فى كل مكان ، فهو شعور غير محدود ، ولكنه حقيقى مخيف . ثم أخذ يتطور حتى أدرك أن كل المظاهر الطبيعية تشتمل على طبيعة مثله . فأخذ يتحدث اليها ابتغاء مرضاتها أو يبتعد عنها خشية بأسها . فكل من الشجرة والحجر والتل والنهر له روحه الخاصة ، بينما الهواء قد امتلأ بالاشباح والمخلوقات الظاهرة والخفية . أى أن الرعب من الشيء الخفى كان يملأ قلبه . فكان أحيانا يتوهم الرعب فى تلك الشجرة فيعمل على ارضائها بأن يزينها بصنوف من العقود والحلى ويضيئها بأنواع من المشاعل ، وهذا هو لب الدين الحديث . فالدين فى الأصل خوف وشكر : خوف من الطبيعة العليا مهما كان مظهرها ، وشكر لهذه الطبيعة نفسها لانها حفظته مما يخيفه ويرعبه . وأعظم باعث للرعب هو الماء ، فان الانسان البدائى رأى فى دمدمة النهر سروره وفى زئير مياهه وتلاطم أمواجه غضبه وثورته . وقد راجت قديما تلك الخرافة وهى أن الانسان المنكود الذى مات غرقا فى

نهر أو فى بحر لم يمت ميتة طبيعية ، بل ان روحاً شريراً من أرواح الماء قد اجتذبه اليه وحبس انفاسه

وفى قصص جميع الشعوب شواهد كثيرة على الاعتقاد فى الارواح المائية . وان آلهة الانهار والبحار والينابيع التى اعتقد فيها الرومان وعبدوها ما تزال باقية الى الآن فى أشكال أخرى، فان كثيراً من الشعوب تقدس انهارها حتى الآن. فالهنود الحمر يعتقدون فى روح المسسبى ، ونهر الكنج مقدس فى الهند ، ومياه النيفا فى الروسيا تبارك سنويا فى حفلات رائعة . ولا زلنا نحن نحتفل بذكرى وفاء النيل كل عام

وعادة دفن الموتى فى قبور أو حفر قد ساعدت على بعث تلك الفكرة وهى أن هذه الامكنة قد سكنتها الارواح . ولهذا سرى الاعتقاد بأن المقابر مسارح الجنيات ومواطن المردة والشياطين. كذلك نبتت فكرة تلك الارواح الثائرة التى تهيم ليلا تطلب دم القاتل . وكثير من هذه الاساطير قد وصل الينا فى صور جديدة كأسطورة المتقذين النائمين الذين ينتظرون صوت بلادهم فى المقابر والكهوف التى نجدها فى أساطير الدنمارك قد أخذتها المسيحية فى تلك القصة المشهورة « النائمون السبعة فى أفسس » . فدراسة الخرافة ضرورية الآن لسببين : الاول انها تعيننا على فهم تطور الذوق الادبى عند الشعوب الفطيرة . والوقوف على كثير من عاداتها واخلاقها التى لاتزال تعيش عليها ، اما كما هى واما بعد تغيير يسير فى الشكل فقط كخرافة « الزار مثلا » . والسبب الثانى انها اخذت تبرز فى التربية الحديثة كاداة قوية للتثقيف لتوسع خيال الطفل بما تقدمه له من صور الابطال والشياطين ، فتنقله من هذا الجو الراكد الى الـلال الغامضة المظلمة والغابات العالية المتكاثفة والرياح الصافرة التى تموج بالارواح

نظمى خليل

---

٥ ان الرجل أنانى كثيراً ما يظلم المرأة فى حكمه عليها . وتبدو أنانيته فى علاقاته الغرامية على الخصوص . فانه يعد عيبا اندفاع المرأة فى سبيل إرضاء حواسها . ويعد جرماً تقصيرها فى سبيل إرضاء تلك الحواس . ويتهمها بأنها مريضة ضعيفة اذا بقيت بين الحالتين ، حالة الاندفاع وحالة الجمود

(رولينا)

التقاليد الدبلوماتيكية
وتطورها منذ العصور الوسطى إلى اليوم

مضى الزمن الذي كانت تستطيع فيه كل دولة أن تعمل لما فيه مصلحتها الخاصة فقط ، وإن كان فيه اجحاف بمصلحة غيرها ، وأصبحت العلاقات السياسية الآن تقوم على أسس التعاون الدولي . ولا يتحقق ذلك التعاون الا اذا روعيت مصالح الجميع على السواء . وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه التقاليد الدبلوماتيكية التي يتناولها هذا المقال منذ نشأت الى اليوم

« الديبلوماسي » كلمة يونانية مشتقة من كلمة « ديبلوما » ومعناها شهادة صادرة من الملك أو من رئيس الدولة ولها أصل محفوظ . وعليه فقد عرفوا «الديبلوماسي» بقولهم انها علم العلاقات الدولية التي يعهد فيها الى أشخاص معينين بمقتضى « ديبلومات» أو اوامر مكتوبة يصدرها الملك أو رئيس الدولة

ومن الناس من يحسب علم الديبلوماسي فرعاً من علم القانون الدولي . ولعل الاقرب الى المنطق أن نحسب القانون الدولي فرعاً من علم الديبلوماسي . وفي الحقيقة ان المبادىء التي تقوم عليها العلاقات بين الدول ليس وراءها قوة تدعمها سوى قوة اتفاق الدول . وهذا الاتفاق قائم على المفاوضات الديبلوماتيكية . أما ما يزعمه البعض من أن تلك المبادىء هي نظريات لا يمكن الاعتماد عليها ، فهو زعم باطل إذ أنها تقوم في الحقيقة على مصالح متبادلة فلا مندوحة عن مراعاتها . ولعل من أهم واجبات أساطين السياسة الدولية مراقبة تلك المبادىء والسهر على تنفيذها . نعم ان عليهم مهمة أشق وهي المحافظة على العلاقات الطيبة مع جميع الدول . ولكن مراعاة المبادىء الدولية باخلاص تام يجعل تلك المهمة سهلة . فالرجل السياسي هو أشبه بالمحامي لانه يدافع عن مصالح بلاده بقطع النظر عن مبادىء العدل والاستقامة . وهذا بخلاف ما ذهب اليه بعض الخياليين ، فقد زعم فردريك دي مرسلار العالم القانوني الذي اشتهر في أوائل القرن السابع عشر أن من أهم واجبات الرجل السياسي ان يحافظ على مصالح بلاده مع مراعاة مصالح الآخرين ، والسعي لتثبيت دعائم السلام(١) وذهب فرنسوا دي كاليير في سنة ١٧١٦ وقاتل في سنة ١٧٥٦ الى ان دول أوربا ليست سوى جمهورية واحدة ، وان من أهم واجبات رجال السياسة فيها المحافظة على مصالح الدول التي تتألف منها

التغييرات التي طرأت على الديبلوماسي

أما الآن فقد تطور الفن الديبلوماسي تطوراً عظيماً ، وطرأت عليه تغييرات جمة مرجعها الى

---

(١) راجع كتاب فريدريك دي مرسلار المعنون "Legatus" المطبوع سنة ١٦٢٦

عاملين رئيسيين : (أولهما) نشوء شعور جديد بوجوب تآزر الامم . وقد كانت الثورة الفرنسية سبب ذلك الشعور الذى ظهر جلياً فى المؤتمرات الدولية التى عقدت من سنة ١٨١٤ فصاعداً ، (وثانيهما) نشوء روح الديمقراطية نشوءاً تدريجيا

ولم يطرأ التغيير الذى نحن بصدده فجأة بل تطور بتطور كيان الدول . وغنى عن البيان أن فن الديبلوماسى مرتبط كل الارتباط بنظام الدولة وليس له أى نفوذ إلا اذا كان يستند إلى سلطة . ولا يمكن ان تكون له سلطة إلا اذا جرى على أساليب تؤيدها سلطة الملك أوالشعب. على أن التغييرات التى تطرأ على دساتير الدول من وقت الى وقت تقضى بتعديل الأساليب الديبلوماتيكية لجعلها أكثر ملاءمة لتلك التغييرات . وعليه فلا عجب إذا كان علماء القانون فى منتصف القرن التاسع عشر يعرفون الفن الديبلوماسى بقولهم أنه فن التوفيق بين مصالح الشعوب المتنافرة (١) وقد كانت جميع المؤتمرات الدولية التى عقدت منذ سنة ١٨١٥ الى هذا اليوم ترمى الى التوفيق بين تلك المصالح، وكانت المحالفة المقدسة التى عقدت سنة ١٨١٥ ترمى الى ذلك الغرض عينه

على أن العقلاء كانوا ينظرون دائماً الى أساليب رجال السياسة بعين الحذر والارتياب . ولما عجز أولئك الرجال عن منع الحرب العظمى الماضية ضعف إيمان الناس بهم وباساليبهم السياسية ، وتحول الحذر والارتياب الى كره ومقت عظيمين . وصار الرجل العادى يكيل لهم التهم ويعزو اليهم الرغبة فى إثارة الحروب لاتفاق مصالحهم مع مصالح صناع الاسلحة والذخائر

ولا يخفى أن الاشراف على السياسة الخارجية فى البلاد الديمقراطية هو من شأن نواب الشعب الذين بيدهم المقاليد المالية . على أن المفاوضات بين دولة ودولة يجب أن تجرى بهدوء وكتمان،ولاسيما إذا كانت تتعلق بشؤون السلام بين الدولتين . ومن البديهى أن إذاعة تلك المفاوضات قد تؤدى الى احفاظ القلوب واثارة الضغائن وخاصة اذا أخذت صحف كل دولة فى افشاء الاسرار بحجة الدفاع عن حقوق الشعب ومصالحه فان المجلس النيابى فى كل دولة ينبرى اذ ذاك لرفع الصوت عالياً بالشكوى والاعتراض ، وتكون النتيجة زيادة شقة الخلاف بين الدولتين . وقد شرح ميرابو خطيب الثورة الفرنسية هذه الحقيقة فى خطبة له القاها سنة ١٧٩٠ فى المجلس الوطنى الفرنسى . وأثبتت الحوادث التى وقعت بعد ذلك أن الذى زج أوربا جمعاء فى حروب الثورة الفرنسية لم يكن رجال السياسة فى فرنسا بل خطباء المجلس الوطنى فيها . والارجح أنه لو كانت مقاليد الامور بيد رجال السياسة المذكورين لنجت أوربا من تلك الحروب . وإذا كان الناس ينعون على رجال السياسة أنهم أخفقوا فى منع بعض الحروب فما أكثر الحروب التى أفلح هؤلاء فى منعها بحسن سياستهم وبكتمانهم كثيراً من الامور

(١) كتب الكونت دى جاردن فى سنة ١٨٥٣ يبحث فى وجوب خضوع جميع الشعوب الاوربية لقانون عام مشترك ، وقد عرف فن الديبلوماسى بقوله أنه فن التوفيق بين مصالح الشعوب ومطالبها المختلفة

السلك الديبلوماتيكي

وقد اقتضت السياسة الدولية منذ عهد بعيد أن يكون لكل دولة سفير أو رجل من أهل السلك الديبلوماتيكي لدى كل دولة أخرى تربطها بها الصلات السياسية والتجارية . ذلك لانه لا بد لكل وزير خارجية من رجال محنكين يعتمد عليهم فى الاشراف على العلاقات السياسية التى تربط الدولة بغيرها وفى موافاته بما يحتاج اليه من الانباء والمعلومات . وكثيراً ما يتوقف حسن العلاقات بين دولتين من الدول على « شخصية » سفيريهما ودماثة أخلاقهما وما يتمتعان به من صفات ومزايا . وفى الحقيقة أن تلك الاخلاق والصفات من أهم العوامل التى تؤثر فى علاقات الدول المتبادلة . ولا يخفى أن الملوك والامراء فى أوائل العصور الوسطى كانوا عند اختيارهم سفراءهم أو من ينوب عنهم لدى البلاد الاجنبية لا ينظرون الا الى شروط توافر الذكاء فيهم ، أى انهم ما كانوا يكترثون لحسبهم أو لنسبهم . وعليه فكثيراً ما كانوا يختارونهم من الكتبة أو الجنود أو المحامين أو التجار . ومما يجدر بالذكر أن لويس الحادى عشر اعتاد أن يوفد حلاقا يدعى « أوليفيه ليدايم » فى مهام سياسية . ولم تتخذ البعثات السياسية الرسمية شكلها الحاضر الا فى أوائل القرن الثامن عشر . وكانت آداب قصر فرساى نموذجاً يسير عليه رجال السياسة فى مهامهم . وهذه الآداب هى التى حملت الملوك والامراء منذ ذلك العهد على اختيار سفرائهم ومندوبيهم من بطانتهم وممن يلوذون بهم من أهل النبل والوجاهة . وقد أفضى ذلك الى نشوء طبقة معينة من السفراء والمفوضين من المشهود لهم بكرم المحتد

على أن بريطانيا العظمى لم تحذ حذو فرنسا فى هذا الشأن الا بعد انقضاء الحروب البونابرتية . فقد رأى الانجليز يومئذ وجوب تنشئة طائفة من أولاد الاعيان والنبلاء واعدادهم للحياة السياسية بايفادهم الى مختلف السفارات ملحقين بها . وعليه أعلن الوزير كاسلريه الانجليزى فى مستهل عام ١٨١٦ فى البرلمان الانجليزى ان الحكومة البريطانية تريد تنشئة طائفة من رجال السياسة وتدريبهم على الشؤون السياسية ، وأن الامير الوصى على عرش المملكة سيوفد من وقت الى آخر طبقا لمقتضيات الاحوال ملحقاً او ملحقين الى مختلف السفارات للتمرن على شؤون السياسة الدولية . ويعتبر هذا التصريح بدء عصر « الديبلوماسى الخارجية » فى بريطانيا العظمى كما يؤخذ من المستندات الرسمية المحفوظة لدى وزارة الخارجية البريطانية

لمحة تاريخية

ان تاريخ الاساليب الديبلوماتيكية ليس سوى تاريخ العلاقات الدولية نفسها . وفى الحقيقة ان الديبلوماسى الحديثة بدأت بنشوء البعثات السياسية الدائمة . ولعلنا لا نخطىء إذا قلنا ان ايطاليا اول

من أوفد البعثات السياسية الدائمة ، وان ذلك كان فى القرن الخامس عشر . نعم كان فى أوربا بعثات سياسية قبل ذلك الزمن ولكنها كانت خاصة توفد لشؤون معينة فاذا ما انجزتها عادت أدراجها . وكان أكثر الذين يوفدون فى تلك المهام من رجال الدين او ممن لهم كفاية خاصة فى المهمة التى هم موفدون من أجلها . وبعبارة أخرى ان اوربا لم تكن تعرف يومئذ البعثات الدبلوماتيكية الدائمة التى اصبحت فيما بعد « سفارات » او « مفوضيات » او ما الى ذلك . وكان السبق فى كل ذلك لايطاليا إذ كانت البلاد تتألف من عدة مقاطعات مستقلة تتصل بعضها ببعض بشؤون سياسية ومالية واقتصادية . وكثيراً ما اشتدت المنافسة بين تلك المقاطعات الى حد كان يخشى معه على السلم . ولهذا لم يكن بد من تحكيم دهاة السياسة بينها باستمرار

وتعتبر البندقية منشأ الدبلوماسى الحديثة . ولا شك ان أهالى البندقية تعلموا ذلك الفن من أساتذتهم أهل بيزنطة الذين كانت تربطهم بهم صلات كثيرة . ومما يجدر بالذكر أن حكومة البندقية سنت قوانين خاصة فى القرن الثالث عشر لتقييد مسلك سفرائها . من ذلك أنه كان يتحتم عليهم عند عودتهم الى بلادهم أن يردوا كل هبة أو هدية قد يكونون تلقوها من الحكومة الاجنبية ، وأن يقدموا الى حكومتهم حال وصولهم بياناً مكتوباً بنتيجة مهمتهم وما قاموا به فى مدة سفارتهم، والمطلعون على خفايا التاريخ يعلمون أن السجلات الحاوية لبيانات سفراء البندقية فى العصور الوسطى تشهد لأولئك السفراء بعلو الكعب فى الدبلوماسى الدولية

وقد اختلف المؤرخون فى تعيين الزمن الذى انتقلت فيه البعثات الدبلوماسية من موقتة الى دائمة . وفى السجلات الخاصة بامارة ميلان الايطالية أن دوق ميلان أعلن فى سنة ١٤٥٠ عن عزمه على ايفاد سفير دائم الى جنوى . وفى سنة ١٤٦٠ أوفد دوق سافوى أحد رجال الدين (وهو الكاهن فرتشللى) سفيراً دائماً الى كوريا . والارجح ان معظم الامارات والحكومات الايطالية نحت هذا النحو فى ذلك العصر . فأنشأت امارة ميلان فى سنة ١٤٩٥ سفارة دائمة فى فرنسا . وفى السنة التالية عينت امارة البندقية سفيراً دائماً لها لدى الامبراطور مكسيميليان وفى السنة التى عقبتها عينت البندقية سفيرين دائمين لها فى لندن . وفى سنة ١٤٩٧ عينت امارة فلورنسا سفيراً دائماً لها لدى الحكومة الفرنسية وآخر لدى الحكومة الانجليزية

أما خارج ايطاليا فكان السبق فيه لاسبانيا . ففى سنة ١٤٧٨ أوفدت هذه الحكومة الدكتور رودريجو دى بيوبلا سفيراً دائماً لها الى لندن . وظل هذا السفير فى منصبه نحو ثلاثة عشر عاماً أى الى سنة ١٥٠٠ وعليه فالسفارة الاسبانية هى أقدم سفارة أجنبية فى لندن لا تزال باقية الى الآن لأن السفارات الايطالية القديمة زالت بمرور الزمن وحلت محلها سفارة تمثل ايطاليا كلها باعتبارها دولة متحدة

وعقبت ذلك سفارات أخرى دائمة . ففى سنة ١٥١٩ تبادلت انجلترا وفرنسا السفراء ولكن نشوب الحرب بينهما أفضى الى اقفال السفارتين . ولم تفتحا بعد ذلك الا فى أيام الملكة اليصابات

السياسة الميكيافيلية

ومع أن مبدأ تعيين السفراء الدائمين كان شائعاً فى القرن السادس عشر فان الحكومات كانت تنظر الى السفراء الاجانب المقيمين لديها نظرة شك وارتياب لا سيما بعد انتشار مبادىء السياسة الميكيافيلية التى كانت تقوم على المكر والخديعة ولا تعترف بوجوب اخضاع العلاقات الدولية للآداب العالية كالصدق والاخلاص والاستقامة وهلم جرا . وفى الحقيقة ان المبادىء المكيافيلية أصبحت دستوراً عاماً لرجال السياسة فى ذلك العهد حتى قال السر هنرى واتون السياسى الانجليزى : « ان السفير رجل صادق توفده بلاده الى بلاد أخرى ليكذب هنالك لمصلحة وطنه » وقال بسمارك بعد ذلك بزمن : « ان السياسة هى أن تقول مالا تعنيه وأفضل طريقة لتضليل الغير هى ان تقول الصدق »

وقال فرنسوا دى كالير أحد سفراء لويس الرابع عشر : « ان للسفير مهمتين — أولاها أن يعنى بشؤون دولته والثانية ان يكتشف أسرار الدولة التى هو موفد اليها » وقال أيضاً : « إن على السفير ان يلم بكل ما يجرى فى البلاد التى هو سفير لديها وأن يعلم ما يجول فى رءوس رجال حكومتها وسياستها »

وقد كانت هذه الفكرة شائعة فى أوربا كلها . ولهذا أصدرت حكومة البندقية فى سنة ١٤٨١ قراراً مؤداه أنها تعاقب كل من يحدث سفيراً أجنبياً فى الشؤون السياسية عقاباً شديداً يتناول الغرامة والسجن . أما سلطان تركيا فقد فعل ما هو اشد من ذلك فانه ارتاب فى « جيروم لاسكى » سفير فردينان الثانى فسجنه فى غرفة مظلمة لا نافذة لها

الجماعة السياسية

أما الجماعة السياسية (ويعبر عنها المولدون والعامة بقولهم الهيئات السياسيه) فرجعها الى القرن الثامن عشر . وكلمة « كور ديبلوماتيك » "Corps Diplomatique" الشائعة بيننا اليوم هى من مستنبطات سيدة نمسوية نطقت بها عفواً فشاعت بعدها . والمجال لا يتسع للبحث فى منشأ كلمة « سفير » باللغات الاوربية . وانما نقول ان رجال السلك السياسى درجات تختلف باختلاف اعتبارات شتى . وقد تطورت القاب أولئك الرجال بمرور الزمن . ففى النصف الاخير من القرن الخامس عشر ، كان أولئك الساسة درجتين هما السفراء والوكلاء المعتمدون "Ambassadeurs et Agents" — والاولون أرقى مقاماً من الآخرين — وذلك تبعا لمقام الدولة الموفدة لهم أو التى هم

موفدون اليها . وفى أوائل القرن السادس عشر صار من المألوف لدى الدول العظمى ان توفد الى بلاد غيرها مندوبين من الدرجة الثانية . وذلك لعدة أسباب فى مقدمتها مسألة النفقات . ومسألة ترتيب « الاولوية » أو « الاسبقية » وتعيين من يتقدمون على غيرهم من مندوبى الدول المتساوية . ومسألة الترتيب هذه قد كانت من المشاكل المعقدة بل لقد أدت الى سفك الدماء . وقد تسنى حلها بالالتجاء الى الحروف الهجائية الاوربية . وعليه صارت بريطانيا العظمى لا تجد من العار أن يجىء اسمها بعد اسم فرنسا — تبعاً لترتيب الاحرف الهجائية التى يبدأ بها اسما هاتين الدولتين باللغات الاوربية . أما السفراء أنفسهم فيتوقف ترتيبهم على تاريخ تعيينهم بحيث ان أقدمهم فى منصبه هو عميدهم . على أنه مع الاتفاق على هذا الحل أخذت الدول تتجنب ايفاد السفراء بقدر الامكان وتستعيض عنهم بوكلاء أو بمن يليهم فى القدر

وقد ظلت التفرقة بين رتب الجماعة السياسية ظاهرة ظهوراً واضحاً الى أن أصبحت معترفا بها رسمياً فى القرن التاسع عشر . على أن الفرق بين السفراء والوكلاء المعتمدين هو نظرى أكثر منه عملياً . ومع ذلك نجد اليوم بين رجال السلك السياسى السفير فوق العادة (وكان يوفد فى الاصل فى مهمة غير عادية فتكون مهمته فوق مهمة السفير الاعتيادى) والوكيل المعتمد والمندوب المفوض والمقيم والمندوب السامى وأمثال هذه الالقاب . وأكثر سفراء الدول العظمى اليوم هم من طراز « المندوب فوق العادة والسفير المفوض » . ومما يجدر بالذكر أن بعض الحكومات الفقيرة كانت حتى عهد غير بعيد تخلع على بعض الافراد لقب وكيل أو مندوب أو ما الى ذلك لشدة حاجتها الى المال

أما القانون الدولى فقد جعل رجال السلك الديبلوماتيكى أربع مراتب وهى :

(١) السفير

(٢) المندوب فوق العادة والسفير المفوض

(٣) السفير المقيم

(٤) القائم بأعمال السفارة

امتيازات رجال السلك السياسى

ولرجال الجماعة السياسية أو السلك السياسى امتيازات عامة معترف بها فى القانون الدولى وهى وليد اتفاقات وتقاليد وعادات مرعية

ففى مقدمة تلك الامتيازات مبدأ الحصانة التى يتمتع بها السفير وأضرابه . فانه بحسب القانون الدولى لا يجوز مس السفير أو الموظفين التابعين له بسوء . ويعمل بهذا المبدأ حتى بعد قطع العلاقات السياسية بين الدولتين ونشوب الحرب بينهما . ولم يشذ عن هذا المبدأ سوى سلاطين الاتراك فانهم

جروا على عادة غريبة ، وهى أنهم كانوا اذا نشبت حرب بينهم وبين دولة أخرى عمدوا الى القبض على سفيرها وسجنوه

ومن تلك الامتيازات أنه لا يجوز لاية حكومة دخول أية سفارة أجنبية عندها أو مسها أو وضع اليد على سجلاتها وأسرارها

ومن تلك الامتيازات أيضا عدم جواز فرض المكوس والضرائب على أى فرد من أفراد السلك السياسى . وعدم جواز اقامة الدعوى عليه أو حجز امتعته أو ممتلكاته بسبب ما قد يكون عليه من الديون . وإذا ارتكب أية جناية لم يجز القبض عليه او محاكمته . وإذا اتهم بكونه يتآمر على سلامة الدولة التى هو موفد اليها فكل ما تستطيع هذه الدولة عمله هو ان تطرده من بلادها وإذا التجأ مجرم الى سفارة فلا يجوز لرجال السلطة ان يقتحموا دار السفارة لالقاء القبض عليه . فاذا أبى السفير تسليمه جاز للحكومة اتخاذ الوسائل المؤدية الى غرضها سواء أكان باستعمال المفاوضات السياسية أم باستعمال القوة

وفى أثناء الحرب العظمى الماضية نشأت عدة مشاكل معقدة عن مسألة الامتيازات التى يتمتع بها رجال السلك السياسى فى بلاد اجنبية محايدة . فمن حقوق هؤلاء الرجال ان يحصلوا على الانباء والمعلومات التى تفيد حكوماتهم وان يبثوا لها الدعوة (البروباجندا) بشرط عدم الاعتداء على المبادىء الديبلوماتيكية المعترف بها وعلى آداب الضيافة . فاذا حاول السفير انزال أى ضرر بمصالح الدولة الاجنبية التى هى فى حرب مع بلاده جاز للحكومة التى هو سفير لديها ان تطرده . ففى زمن الحرب العظمى الماضية كانت معامل الولايات المتحدة تصنع الذخائر والاسلحة لدول الحلفاء . فحاول السفير النمسوى فى واشنطن تنظيم اعتصاب عظيم يضم عمال تلك المعامل لمنعها من تقديم الاسلحة والذخائر للحلفاء . وفى الوقت نفسه علمت الحكومة الاميركية أن الملحقين البحرى والعسكرى بالسفارة الالمانية بواشنطن يدبران مؤامرة لنسف معامل الذخائر والاسلحة الاميركية ولاغراق السفن التى تحملها . فما كان من حكومة الولايات المتحدة إلا ان طلبت من حكومتى النمسا والمانيا استدعاء من ثبتت عليهم التهمة . ثم قبضت على أفراد العصابة الذين لم يكونوا يتمتعون بالامتيازات الديبلوماتيكية.ووقع مثل ذلك للكونت لكسبورج سفير المانيا ببونس ايرس . ولو لم تؤخذ الوسائل اللازمة لمعاقبة أولئك المتهمين لاصبح عملهم سابقة خطيرة لا يعلم غير الله ما يمكن ان تؤدى اليه

ان الاساليب الديبلوماتيكية قد أصبحت اليوم فناً قائما برأسه . وهى تستند الى عرف وتقاليد وآداب وافقت عليها الدول فادمجت اكثرها فى نصوص القانون الدولى وتركت ما بقى لتقدير رجال السلك الديبلوماتيكى انفسهم ولما يجب ان يتصفوا به من خلق سام وآداب رائعة وتقدير لعواقب الامور

من الأدب الروسي

ريا سيلفيا

للكاتب الروسي فاليري بروسوف

لم تكن ماريا ابنة (روفوس) الناسخ الشيخ تناهز العاشرة عندما اجتاحت روما قبائل القوط فأخذت سيول المارين تتدفق طول الليل . ولما أن أعوزهم المأوى ضربوا خيامهم فى العراء ثم تفرقوا بدداً يبحثون عن مكان يطمئنون اليه

بقيت المدينة خاوية مقفرة حتى جاءاليها (بلساريوس) فعادت اليها السكينة والهدوء ، وعاد روفوس إلى بيته يستأنف حياته من جديد ، فأخذت ماريا تقرأ الكتب المهجورة وتتفقد شوارع روما المقفرة والبقاع النائية الواقعة على جانبي نهر التيبر . وهناك وسط تلك الخرائب أخذت تحلم بمجد المدينة الخالدة وتعجب لبقايا تلك العظمة الدارسة والروعة الخابية فى الجدران المزركشة والمرمر المسنون والمقاعد الفخمة والمصابيح الثمينة وأحواض المرمر الفاخرة والتماثيل الجميلة المشوهة — فى بحار ذلك الصمت المخيم على تلك الغرف العظيمة كانت ماريا ترهف سمعها كأنها تنصت إلى أصوات آلاف الرجال الذين كانوا يهرعون إلى تلك الامكنة لسماع محاضرات فى الادب والفلسفة

فى ذلك الهدوء المخيم على ذلك المكان المقفر كانت ماريا تفكر وتحلم ثم تفكر وتحلم . لقد اعتادت أن تعيش فى أحلامها فوجدت فى تلك المدينة الخربة غذاء دسماً لخيالها . فكل ما سمعته من الشيوخ وكل ما قرأته فى الكتب قد امتزج بتفكيرها فى صورة غريبة مضطربة تمثل لها تلك العظمة الغابرة ، وأخذت تصور لها تاريخاً خاصاً عن روما الماضية وتفسر كل شيء كما يبدو لها ، فتقول إن هذا التمثال يمثل أغسطس الشاب، وماكان لها أن تقتنع ان هذا التمثال ان هو الا صورة قبيحة لبربري عاش منذ خمسين عاماً قد أجبر أحد صناع المقابر على أن يخلد ملامحه على قطعة من الرخام الرخيص

ثم تقنع نفسها أنها قرأت قصة صاحب هذا التمثال فى أحد كتب والدها ، فتخلق اسطورة اثر اسطورة وقصة بعد قصة وتعيش فى عالم أكثر حقيقة من عالم الكتب ، وذلك العالم الذى تأمن عليه والذى لفها فى أحضانه ! حتى إذا ما تعبت من التجوال وعضها الجوع عادت الى منزلها فتستقبلها والدتها بوجوم وتقطيب وتدفع اليها بقطعة من الخبز الناشف مع قليل من الجبن ، مضيفة إلى هذا بعض قوارص الكلم . فتلتهم ماريا ما يقدم لها ثم تأوى الى غرفتها لتحلم ثانية حتى تنام فتحلم فى نومها حتى الصباح ! وتبكي الماضي الذى لن يعود ، ثم تعيده من جديد فى أحلامها حياً جميلا

مرت الايام والشهور وروفوس يعمل ويشرب والام مشتغلة بأمور المنزل ، وبقيت ماريا سعيدة

فى عالم أحلامها تزداد بغضاً لما كان يجرى حولها . ثم أخـذت تتحدث إلى الصور والاشكال التى يصورها لها خيالها فى صور رجال أحياء . ثم تعود إلى بيتها وهى موقنة أنها قابلت الآلهة « فستا » أو الديكناتور « سلا » . ثم تفضى إلى والدها ببعض تلك الخيالات ، فلا ينكرها عليها اذ كانت كل قصة يسمعها منها توحى اليها بشعر جديد . أما الام فلا تكاد تسمع هـذه القصص العجيبة حتى يهجم عليها النوم فتبصق وتلعن ثم ترسم شارة الصليب على صـدرها وتهمس بالصلاة للعذراء الطاهرة !! لم تغير ماريا شيئاً فى أسلوب حياتها وعبثاً حاول والدها أن تساعده فى عمله ، وعبثاً حاولت أمها أن تشركها معها فى أمور المنزل ، فما كانت تصبخ لصياح أمها أو تأبه لتهديد والدها . وماذا يهمها من أمر الزجر والتهديد وقد امتلأ رأسها بالصور الجميلة التى يسكن اليها خيالها وهى جالسة الى أحد الاحواض فى حمامات « كرا كالا » أو مختبئة فى احدى الخمائل الـكثيفة على شاطىء التيبر القديم ؟!

ثم أتت ماريا إلى بقعة خربة قد علتها الاشواك والحشائش ، فحاولت أن تنفذ الى داخلها فلم تستطع لشدة الظلام ، فرجعت مذعورة خائفة وقضت ليلتها تفكر فى هذا الكشف الجديد !

وفى الصباح التالى ذهبت الى ذلك المكان ومعها مشعل ، فلما انسلت الى داخل القصر رأت أمامها غرفة فاخرة قد كسيت بالرمر وفى أعلاها صور رائعة جميلة وتماثيل من البرونز دقيقة الصنع كأنها مخلوقات حية . وقد نسجت العناكب خيوطها فى زواياها والخفافيش تحوم فى سقوفها . ولكن ماريا التى ذهلت بما رأت لم تر أمامها الا روما الغابرة قد عادت اليها الحياة قوية كاملة ، ثم ستولى عليها شعور غريب بأنها ستموت فى هذا القصر المطمور ولكنها لم ترتع لهـذا الشعور بل كانت فرحة لان تلق حتفها بين أطلال المجد العظيم عند قدمى أحد التماثيل الجميلة

عرفت ماريا كل أنواع الرسوم التى كانت تصور حياة الآلهة والابطال وكل أنواع التماثيل ، لا سيما ذلك التمثال الجميل لتلك الفتاة النائمة فى كهفها الصغير والى جانبها فتى فى لباس الحرب يتم وجهه على نبل وجمال رائعين وفوقهما سلة بها طفلان صغيران تسبح بهما فى النهر . تفرست ماريا فى وجه ذلك التمثال فتوهمت أن أحد فنانى العصر الغابر قد ألهم أن ماريا الفتاة الصغيرة ستظهر يوماً ما فى العالم فأوجد سورتها متنبئاً بظهورها فى ذلك القصر الخفى . ثم عادت الى بيتها وقصت على والدها قصة ذلك القصر المسحور فأخذ يشرح لها أغراض ذلك الفنان العظيم فقال : ان هذه يا ابنتى « ريا سلفيا » العذراء الطاهرة ابنة الملك « نيوميتر » أما الشاب فهو اله الحرب « مارس » فقد أحب هذه العذراء وأوى بها الى هذا الكهف المقدس وقد ولد لهما طفلان هما « رومولوس » و « ريموس » ثم أغرقت الام « ريا سلفيا » أما الطفلان فارضعتهما ذئبة وشبا حتى أصبحا المؤسسين للمدينة الخالدة ، ثم أخذ يقرأ لها بعضا من الشعر القديم

أما ماريا فلم تع من الشعر شيئاً بل أخذت تردد فى نفسها : « انها ريا سلفيا ! انها ريا سلفيا ! »

أصبحت ماريا بعد ذلك تصرف جل وقتها فى ذلك القصر ناظرة الى تمثالها المحبوب فكانت تستلق على أرضه الرطبة تشخص اليه وعلى ذلك الضوء الخابى الذى كان ينبعث من مشعلها الذابل كانت تنظر ساعات طويلة فى ملامح تلك العذراء الضامرة فى غارها المقدس . وكما تقدمت بها الأيام ازدادت ايماناً بأنها تشبهه ثم تمادت فى أحلامها حتى انها لم تعد تميز بين ماريا ابنة روفوس الناسخ الفقير وصاحبة هذا التمثال القديم . ثم أخذت تنادى نفسها ريا سلفيا . وبينما هى نائمة أمام ذلك التمثال اذ خطر لها ان اله الحرب سيظهر لها فى هذا الكهف المقدس وأنها ستحمل من عناقهما الطاهر الطفلين التوءمين رومولوس وريموس اللذين سيصبحان المؤسسين للمدينة الخالدة ولكن كان لا بد لها أن تدفع الثمن غالياً إذ ستغرق هى فى مياه التيبر . ولكن أيستطيع الموت ان يخيف ماريا فقد طالما رقدت أمام ذلك التمثال تحلم بذلك الاله ذى الوجه النبيل وعناقه السامى « المدمر » حتى إذا ما استيقظت لا تدرى إذا كانت فى حلم أم فى يقظة

وبينما هى ذاهلة بالتفكير فى إله الحرب إذا بصوت يوقظها من غفوتها ففتحت عينيها فلمحت شابا واقفا أمامها . لم يكن هذا الشاب مرتديا لباسا عسكريا بل كان لباسه خشنا مما يلبسه فقراء الرومان إلا أن وجهه كان يفيض نبلا وجمالا رائعا . حارت فى أمر هذا الرجل الذى وجد طريقه الى هذا القصر المسحور الذى لم تفكر أبداً أن أحداً يعرفه فسألته فى سذاجة : « لقد أتيت الىّ ... » فابتسم الشاب ابتسامة رقيقة وقال : « ولكن من أنت أيتها العذراء ... أجنية المكان ؟ »

فأجابته ماريا : « أنا ريا سلفيا عذراء طاهرة ابنة ملك « نيوميتر » وألست أنت اله الحرب مارس قد أتيت تبحث عنى » فاعترضها الشاب قائلا : « لا . لست إلها . انى مخلوق . فان اسمى « أجابت » ولم أكن أبحث عنك ولكن كل ما فى الامر هو انى مسرور لمقابلتك »

ثم دعت ماريا الشاب إلى الجلوس فجلس الى جانبها . وأخذا ينظران الواحد الى الآخر ، ولم يعرف أحدهما بماذا يبدأ كلامه . وأخيراً أشارت ماريا إلى التمثال وأخذت تشرح للشاب اسطورة تلك العذراء التعسة فقاطعها الشاب قائلا : « انى أعرف هذا ياريا ، ولكن الشيء الغريب هو أن وجه هذه الفتاة صاحبة التمثال يشبه وجهك تماماً » فأجابته ماريا : « انه أنا » وكان فى كلامها رنة الايمان الراسخ حتى ان الشاب اختلط عليه الامر ولم يجب بشيء . ولكن ماريا ألقت يدها على كتفه وقالت فى رقة ممزوجة بالخوف : « لا تنكر هذا . انك إله الحرب فى صورة بشر . لقد انتظرتك وقتاً طويلا لانى كنت أتوقع مجيئك . لست أخاف الموت . دعهم يغرقوننى فى نهر التيبر »

استمع الشاب إلى حديث ماريا ولكنه كان ذاهلا عن كل ما حوله . اذ لم يكن يتوقع أن يرى انساناً فى هذا القصر المطمور وأخيراً قال لها : « أيتها العذراء العزيزة انك مخطئة فى فهمك لى . لست أنا الذى تبحثين عنه . سأنبئك خبرى . ليس « أجابت » اسمى الحقيقى . انى قوطى الاصل ، واسمى الأصلى تيودات ولكنى مضطر الى اخفائه والا تعرضت للموت اذا افتضح أمرى . انى أحب رومة ،

أحب تاريخها وفنونها . أحب أن أعيش وأموت فى هذه المدينة الخالدة التى كانت مدينتنا يوماً ما

أنصتت ماريا إلى كلمات تيودات فى قلق وشك ، وبعد تفكير قليل قالت : « لماذا تخدعنى ، لماذا تريد أن تتخذ صورة القوطى ؟ انك اله فى نظر الناس حبيب فى نظرى . لا تسخر من عروسك المسكينة ريا سلفيا » فنظر اليها تيودات طويلا وظن أن بعقلها خبلا وقال فى نفسه : « مسكينة أيتها الفتاة لن أنتهز فرصة وحدتك هنا . ان هذا لا يليق بقوطى » وابتدأ يتحدث اليها كما يتحدث الى طفل صغير ، مطمئناً إياها أنه الاله مارس ، ثم مكثا زمناً فى ذلك الضوء الضعيف يتحدثان ويحلمان فى المستقبل الذى يجب أن يكون على أيدى ابنيهما التوءمين . ثم افترقا على أن يتلاقيا فى اليوم التالى

لم يخدع تيودات مارية ، فقد جاء فى اليوم التالى حيث وجدها تنتظره . فأخذت تحدثه عن الآلهة والابطال والاباطرة وتمزج القصص التى سمعتها من والدها بخيالاتهـا الجامحة وتيودات يطوقها بذراعيه معجباً بعينيها السوداوين ، ثم افترقا على أن يتقابلا فى اليوم التالى . ومنذ ذلك الوقت أصبح تيودات لا يستعذب الحياة إلا مع رياسلفيا التى بهره جمالها وسحره حديثها الشهى العذب

كان تيودات إذا ما خلا بنفسه اعتقد مخطأ مشاركته أوهام تلك الفتاة الساذجة وخيالاتها ، ولكنه كان اذا ما لقيها فى القصر المطمور أخذ بتلك الافكار التى تتسلط على ذهن فتاته ، وأخـذ يعتقد أنه من سلالة الآلهة وأن دماء اله الحرب تجرى فى عروقه

وفى أحد الابهاء الفخمة فى قصر نيرون الذهبى تم زواجهما على أناشيد المجد والقوة والعظمة ، وهما يحلمان بمستقبل رومة الذى سيشيده أبناها التوءمان

ولكن هذا الحلم السعيد قد تلاشى بجانب تلك القبل الضيقة ، واختفى فى جوها الحار الملتهب عالم الحقيقة وعالم الاحلام ! ! كانا لا يزالان يدعوان نفسيهما رياسلفيا والاله مارس ، ولكنهما أصبحا الآن عاشقين بشريين . أصبحا روحين سعيدين كآلاف المخلوقات التى تسعى فى هذا العالم والتى سيخلفها آلاف فى العصور التالية !

لم يحاول تيودات مقابلة ماريا خارج القصر . ولم تحاول هى أن تراه بعيداً عنه . بل عاشا معاً فى بيت نيرون الذهبى . لقد فكر ذلك الشاب القوطى النبيل أن يبحث عن والد الفتاة ليتزوج منها ولكنه توانى فى انجاز هذه الرغبة يوماً بعد يوم . فقد صعب عليه أن يهدم كيان سعادته ويبدد ذلك الحلم الذهبى الجميل . صعب عليه أن يستبدل تلك الابهاء الصامتة بمنازل الاحياء الصاخبة

اذ كان يقول وهو يراها تنسل كالخيال الرقيق تحت سدوف الليل : «دع هذه القصة الخيالية تستمر الى غده» ثم يذهب الى منزله ويأوى الى حجرته يحلم طول الليل بحبيبته ويعزى نفسه بسعادة الذكريات

انتظرت ماريا عودة تيودات حتى المساء ، ولكنه لم يعد . فعادت الى منزلها حزينة مضطربة ، لقد اختفى فجأة . وعبثاً كانت تنتظره ساعة إثر ساعة ويوماً بعد يوم . كانت تنتظره فى ألم شديد

ويأس قاتل . تبكي وتضرع بتلك الكلمات التى سمعتها من أمها وهى طفلة . ولكن ما من مجيب لدموعها وصلواتها . وكما لاحت لها تلك البسمات السماوية تعلو وجوه الآلهة فى محاريبها ، وكما سطعت تلك النقوش والصور الجميلة الرائعة ، أصبح ذلك البيت الذهبي خاوياً مكفهراً فى عينيها . لقد شعرت انها انتقلت فجأة من الفردوس السعيد الى غرفة التعذيب . الى موطن الرعب والوحدة والحزن الابدى والالم الذى لا ينتهى . كانت تذهب كل يوم بأمل جنونى الى ذلك المسكن المطمور ، ولكنها أصبحت الآن تشعر كأنهـا ذاهبة إلى جحيمها . فهناك كانت تنتظرها ساعات الترقب الفاشلة ، والذكريات الاليمة لسعادتها الغابرة ودموعها الغزيرة الهتانة المتجددة

شعرت ريا سلفيا الطاهرة التى اتصلت باله الحرب مارس بجنين يضطرب فى احشائها . أليس هذان هما التومان رومولوس وريموس الجديدان اللذان سيؤسسان رومة الجديدة ؟

لقد اطمأنت كثيراً لهذه البشرى . ان أحلامها آخذة فى التحقق . ستلد مؤسسى رومة ثم تنتظر بعد ذلك موتها فى مياه التيبر ... بينما كان تيودات يحاول النزول الى القصر المطمور اذ رآه أحد الحراس فاخذه الى الحاكم الذى مناه بالنجاة اذا كشف عن الكنوز المدفونة ، ولكنه كان عنيداً فلم يعترف بشىء فاذاقوه العذاب الواناً ولكنهم لم ينالوا منه اعترافا فازدادوا فى تعذيبه حتى لفظ نفسه الاخير . فلما سمعت ماريا بهذا النبأ سقطت على الارض تصرخ صراخاً مختبساً

مرضت ماريا مرضاً شديداً وفى أول مرضها وضعت قطعة لحم كان من الصعب تمييزها أهى ذكر أم انثى . أما الام فلوفلشيا فالبرغم من فظاظتها وغلظتها الماضية أخذت تعنى بها وهى نائمة فاقدة الاحساس ثم استدعت اليها قابلة وقسيساً . فلما عادت الى وعيها لم تؤنبها بل ضمتهـا الى صدرها وهى تبكى بكاء مراً . وعندما أبلت ماريا من مرضها قصت عليها أمها كل شىء ولكن الفتاة ظنت أن أمها تخدعها واعتقدت انها وضعت فى أثناء مرضها تومين لابد أن يكونا قد أخذا منها ووضعا فى سلة والقيا فى نهر التيبر ولكنها كانت تعرف أن ذئبة ستعثر عليهما وترضعهما وسيعيشان ليؤسسا رومة الجديدة !

ثم الح الضعف على ماريا حتى لم تعد تقوى على رفع رأسهـا أو تحريك شفتيها فظلت أياماً طوالا لا تسأل طعاما أو شرابا ولا تهمس بكلمة حتى اذا ماعاد اليها بعض قوتها واستطاعت أن تطوف بغرف المنزل أخذت تبحث فى خبايا روحها عن فكرة دفينة غامضة . . .

لم تعد تستعذب الحديث مع والدها أو تسر لسماع تلك الاشعار التى كان ينشدها لها

وفى ذات صباح بينما كان والدها بعيداً عن المنزل وأمها فى السوق اختفت ماريا عن المنزل فجأة . . . ! لم يشعر بها أحد ولم يرها أحد بعد ذلك . . .

. . . وبعد بضعة أيام كانت جثة تلك الفتاة المسكينة تتقاذفها مياه التيبر الى الشاطىء . . . ! !

اللغة السامية

أين موطنها وما هى أقسامها
ماذا يقول علماء اللغات اليوم

بقلم الدكتور فؤاد حسنين على

هى فرع من تلك الدوحة اللغوية العظيمة التى نطقت بها شعوب شبه الجزيرة العربية ومعظم سكان وادى النيل ، بما فى ذلك البلاد الحبشية والكثرة المطلقة من القبائل الأفريقية النازلة فيما بين خط عرض ١٦ من شمال خط الاستواء الى البحر الابيض المتوسط . أما الوطن الاصلى للغة السامية «الام» ، أو بعبارة أخرى للشعب السامى الاصلى فهو الجزيرة العربية (أرض العراق على رأى بعض العلماء . أو المنطقة المعروفة الآن بالبلاد القوقازية على رأى فريق آخر . ولم تستقر هذه القبائل منذ عرف التاريخ فى قطرها الاصلى ، بل دفعتها طبيعتها البدوية الى الحل والترحال، فهاجرت جماعات منها الى شرق أفريقيا واستوطنت بلاد الحبشة، ثم تلتها هجرة أخرى ونزلت بوادى النيل ، وأخذت بعد ذلك تتعدد الهجرات الى شمالى أفريقيا حتى ازدحم بها . ومع مرور الزمن تكونت بين هؤلاء السكان الافريقيين لغات تختلف لحد ما عن لغات أقطارهم الأسيوية التى نزحوا منها ، وقد أطلق علماء اللغات عليها اسم اللغات الحامية . ولما كان الفرق بينها وبين اخواتها الاسيوية كالفرق الذى نلحظه الآن مثلا بين اللهجة العربية المصرية وشقيقتها العراقية أو السورية ، أطلق اللغويون على هذه الأسرة الاسيوية الأفريقية اسم اللغات السامية الحامية . أما هذه التسمية فأنها لم تطلق عبثاً أو تخترع اختراعاً بل ترجع أصلا الى الاصحاح العاشر من سفر التكوين من الكتاب المقدس . وقد جاء فى هذا الاصحاح أن بنى نوح ثلاثة : سام وحام ويافث . ويحدثنا الاصحاح نفسه أن من ذرية هؤلاء تكونت الشعوب والقبائل . لكن اذا أردنا أن نتوخى الحقيقة فان هذه الاسماء هى أسماء للشعوب وليست للافراد كما يفهم أول وهلة . ومن الاشياء الاخرى التى لوحظت على هذا الاصحاح أنه لم تراع فيه عند الكلام عن الانساب الصلات العنصرية واللغوية والاجتماعية بقدر ما روعيت العوامل السياسية ، ولا أدل على ذلك مثلا من أنه ذكر سبأ وحويلة مرة من نسل حام (راجع الآيتين ٦ و ٧) وأخرى من نسل سام (راجع الآيات من ٢١ الى نهاية الاصحاح) وذكر فى الآية السادسة

الكنعانيين ضمن الحاميين علماً بأنهم ساميون . الى غير ذلك من الاشياء التى اهتدى اليها كثير من علماء اللاهوت فى ألمانيا

وقد ظلت هذه التسمية محفوظة بين طيات الكتاب المقدس حتى بعثها المستشرق « شلتزر » عام ١٧٨١ من مرقدها وأطلقها على مجموعة اللغات التى نحن بصددها الآن ، ومن ذلك الحين شاع استعمال هذا اللفظ بين اللغويين

هذا وقد قسم علماء الساميات هذه اللغات الى الاقسام الرئيسية الآتية :

شرقية : وهى عبارة عن اللغة الاكدية أو كما يطلق عليها قديماً المسمارية أوالبابلية الاشورية . وهى لغة القبائل العربية التى نزلت أرض ما بين النهرين . واذا استثنينا اللغة المصرية القديمة فانها أقدم اللغات السامية التى استطاعت أن توجد لنفسها شخصية مستقلة أما تاريخ نزوح هذه القبائل الى ارض دجلة والفرات فنستطيع أن نقول بوجه التقريب إنه كان حوالى الالف الرابع ق . م . مع ملاحظة أن هذه الهجرة لم تكن الأولى من نوعها الى تلك البلاد . وقد أخذت هذه الشعوب النازحة عن سكان البلاد الاصليين النقوش المسمارية التى استعملتها فى تدوين علومها وآدابها وقوانينها . وقد بقيت اللغة الاكدية حية بالرغم من زوال سلطان الاكاديين السياسى قروناً عدة الى أن قضت عليها كلغة حية شقيقتها الآرامية وذلك عند فتح الاسكندر أو قبيله

وغربية : وهى تنقسم الى شعبتين رئيسيتين : شمالية ، وجنوبية . والشمالية تشمل ما يأتى :

ا ـ الكنعانية . وهى لغة القبائل العربية التى هاجرت الى شمال الجزيرة واستوطنته وامتدت ممتلكاتها حتى بلغت شاطىء البحر الابيض المتوسط ، وكان ذلك حوالى الالف الثانى ق . م . وتشتمل هذه اللغة على اللهجات الآتية :

الكنعانية القديمة والموابية والعبرية ثم الفينيقية التى رحلت أيضاً مع الفينيقيين خارج وطنهم الاصلى الى مستعمراتهم ، ولكنها لم تتأصل إلا فى شمال أفريقيا « قرطاجنة » حيث تركت لنا اللغة التى تعرف بالبونية . وقد عاشت حتى القرن الخامس الميلادى رغما من قضاء الارامية على اللغة الفينيقية حوالى القرن الاول قبل الميلاد

ب ـ الارامية . وهى لغة القبائل العربية التى أخذت تنزح الى أرض بابل واشورعند ابتداء ضعف سلطان الاكاديين ، وقد كانت هجرتها تقريباً حوالى القرن الثانى عشر ق . م . وقد نمت لغتها وانتشرت حتى إنها أصبحت لغة الشرق الادنى . وهى تضم عدة لهجات أهمها : الارامية الغربية القديمة والارامية المصرية والتدمرية والنبطية . ومن أهم لهجاتها الشرقية اللغة السريانية ، وبعض لهجاتها لا يزال حياً حتى الآن ، فهى تتكلم فى طور عابدين فى أرض الجزيرة ، وبعض الجهات الواقعة شرق وشمال الموصل وفى جهات اخرى

والجنوبية . وهى تشمل :

ا - اللغة العربية وهى أهم اللغات السامية قاطبة وأغناها وقد حفظت لنا بعض نصوصها وصيغها النقوش الكثيرة التى وجدت فيما بين دمشق والعلا فى شمال الحجاز ، وأقدمها هو نقش النمارا بالقرب من دمشق ، وقد وجد على قبر ملك عربى ويرجع تاريخه الى عام ٣٢٨ م . والنقش الثانى الذى يليه وجد فى زبد بالقرب من حلب . وهو مكتوب بثلاث لغات : العربية والسريانية واليونانية . ويرجع تاريخه الى عام ٥١٢ م . والنقش الثالث وجد فى حران جنوب دمشق وهو مكتوب بالعربية واليونانية ويرجع تاريخه الى عام ٥٦٨ م . ونستطيع ان نميز بين لهجات عربية شمالية متعددة منها اللحيانية والثمودية والصفوية . وهذه اللهجات الثلاث هى أقربها الى العربية الفصحى ثم النبطية وهى خليط من الارامية والعربية . أما اللهجة الخامسة وهى أهم الجميع فهى اللهجة المكية التى نزل بها القرآن الكريم فأكسبها قوة وحياة سادت بهما على سائر اللهجات العربية اولا وبقية اللغات السامية ثانيا . وقد صاحبت هذه اللغة الجيوش الاسلامية فى فتوحاتها وحازت نصراً الى جانب نصرها اذ بينما كانت البلاد المهزومة تئد مدنياتها التى هرمت وتقاليدها التى نخرت حملت اللغة العربية على لغاتها فاردتها ، فنجدها فى مصر وشمال افريقا وبلاد الاندلس وصقلية ومالطة

ب - اللغة العربية الجنوبية أو المعينية السبئية . وهى لغة المدنيات العظيمة التى تكونت فى الممالك اليمنية الاربع ، أعنى المعينيين والقطبانيين والحضرميين والسبئيين . وقد عاشت اللغة العربية الجنوبية حتى القرن السادس الميلادى تقريبا

ج - الحبشية . وقد تسمى الجعزية أيضا وهى أقرب اللغات السامية الى العربية الجنوبية . وهى عبارة عن لغة القبائل التى هاجرت فى زمن قبل المسيحية من جنوب الجزيرة الى البلاد الحبشية واستعمرتها ، وقد أدخلت الى تلك البلاد كتابتها وثقافتها . ولكن لم يكتب لهذه اللغة الخلود بل اخذت فى الضعف والزوال ، ولم يأت القرن الثالث عشر تقريباً إلا وكانت قد حلت محلها اللغة الحبشية الحديثة ، ألا وهى الامهرية التى هى الآن لغة الامبراطورية وبجانبها توجد عدة لهجات أهمها التجرانية والتجرية والجوراجية ثم الهاررية

هذه هى خلاصة موجزة للغات السامية ذكرتها وأنا شديد الامل بمستقبلها الزاهر ، اذ كل يوم يطلع علينا علم اللغات بجديد ، فبعد أن ضم الى حظيرتها اللغة المصرية القديمة يزف اليها الآن لغة أخرى جديدة هى الاوجاريتية

دكتور فؤاد حسنين على

يا بدر

للاستاذ فخري أبو السعود

أحبكَ يا بدرَ السماوات ساهراً ... تنقلُ في الزرقاء وحدكَ ساريا
تُرَدِّدُ ألحاظ الأشعَّة في الدجى ... وقد بات كلُّ الحيِّ يا بدر غافيا
أحبك ما بين الغمائم دالفاً ... تغيبُ وتبدو بينهنَّ تواليا
توافيك منها غيْمةٌ بعد غيمة ... ترقّش منها بالضياء الحواشيا
وأهواك من خلف التلاع مطالعاً ... وفوق الوهاد الخُضر تسطع صافيا
وأهوى ضياء منك ينتظمُ الدُّنى ... ويشملُ من شُؤبوبه القلبَ راويا
وأهواه مبسوطاً على الزهر ساطعاً ... وأهواه رقراقا على اليمِّ جاريا
وأهواه ما بين الخمائل جائشاً ... يُدافِعُ عن أكتافهن الدياجيا
تنقل ما بين المحاسن هائماً ... وتُبدِي من الآيات ما كان خافيا
ضياؤكَ فتّانٌ وسيانِ حسنُهُ ... أضاء رءوساً أو أنار المغانيا
وسيان إن وافى بلاقعَ قفرةً ... من الارض أو جاء السهولَ الزواهيا
اذا ما غمرت الكون بالضوء ساكبا ... فاقبل في ضافي ضيائك كاسيا
حسبناه كونا غير ذيالك الذى ... يلوح لنا في لمعة الشمس ضاحيا
حسبناه كونا بالغرائب حافلا ... تطوف بنا الارواح فيه هوافيا
وتطلق فيه النفس ترتاد حُسنهُ ... تجوب خباياه وتغشى النواحيا
إذا ما رفعت الطرف نحوك لم أكد ... أصوِّبه عن حسن وجهك ثانيا
أظلُّ طويلا رامقا لك غابطا ... على موضع في علو قد بت راقيا
على موضع بين الغمائم والسنى ... حللت بعيداً عن أذى الكون نائيا
وتلهم نفسي رقةً وطهارةً ... وتشعرها العليا فتهوى المعاليا
ويقصر ما بيني وبينك من مدى ... ويقرب في عيني وان كان قاصيا

فخري ابو السعود

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

غريزة الاتجاه في الانسان

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
اميركان فوربستس . بقلم رستروم]

يقول علماء النفس إن الانسان ليست له غريزة الاتجاه . وقد ينكر الرجل الذى يقطن الصحراء أو الغابات هذا القول . ولكنه صحيح قد أثبته الاختبار . نعم ان ذلك الرجل يستطيع العودة فى آخر النهار الى كوخه سالماً ولا يضل الطريق ولكن الفضل فى ذلك ليس لغريزة الاتجاه — فان هذه الغريزة غير موجودة فيه — بل لحواسه التى يستطيع بها الرؤية والشم والسمع والذوق واللمس . ويعتقد بعض الناس أنهم يملكون غريزة الاتجاه فيطمئنون الى هذا الاعتقاد . الا أن العلم ينكر وجود هذه الغريزة انكاراً باتاً

ومن الممتع أن نتتبع التجارب التى قام بها العلماء لاثبات صحة ما يقولون . واليك خلاصة ذلك : فمذ عهد غير بعيد قام لفيف من علماء البسيكولوجيا بتجربة على أرض منبسطة مستوية . فجاءوا بعدة رجال كهول من سكان البلاد المجاورة ومن الخبيرين بطرقها وشعابها . وكانوا جميعا على قسط وافر من العلم وبعضهم من متخرجى الجامعات وكلهم يدعون بانهم حائزون لغريزة الاتجاه . واختير للتجربة يوم صحو لا أثر فيه للغيم أو الرياح ولا للحر أو البرد ، بحيث لا يمكن الاستعانة بأى عامل من العوامل الطبيعية على الاتجاه فى جهة معينة . وبعد توجيه أنظار جميعهم إلى نقطة معينة فى الافق ، ووقوفهم مواجهين لتلك النقطة ، عصبت عيونهم عصباً محكماً وقيل لهم أن يتجهوا نحو تلك النقطة . فسار بعضهم متئداً وبعضهم مسرعا وبعضهم را كضا وبعضهم را كبا دراجة وبعضهم سائقا اوتوموبيلا . وكانت النتيجة أن جميعهم — بلا استثناء — ساروا فى طريق لولبى دائر ، ولم يسر أحد منهم فى خط مستقيم مع أنهم كانوا جميعهم يعتقدون أنهم متجهون نحو هدفهم فى خط مستقيم

وأعيدت التجربة فى البحر . فجيء بعدد غفير من السباحين الماهرين وعصبت عيونهم عصبا محكما ، وقيل لهم أن يتجهوا نحو نقطة معينة فى الافق . وكان بعضهم يسبح وبعضهم يمخر الماء بقارب وما هي إلا بضع دقائق بعد بدء التجربة حتى ظهر أن خط سير الجميع كان لولبيا دائراً . ولم يشذ أحد عن ذلك

ترى ما هو سر هذه الظاهرة الغريبة ؟

الفذة صحبة الامراء. ودان بدين الحب والخمر، وفيها نظم أنفس فرائده، وكان شغله الشاغل فى الحياة الاستمتاع الأتم بها. فمهما ارتحنا إلى التحدث عن دعاباته البريئة أو المقبولة نسبياً، فن المحال أن نقوى على التخلص من دعاباته الفاجرة التى تمثل جل نوادره حتى المخترع منها فى «الف ليلة وليلة»، وما شاكلها. وإذا عد الاخلاقيون فى ذلك ما يشينه، فان مما يشرفه حقا تجرده التام عن النفاق، فهو صريح كل الصراحة بحيث أننا لا نتردد فى قبول شعره الدينى باعتباره مظهرا صادقاً لنفسيته فى أحوال خاصة، وبحيث أننا مهما أنكرنا تبذله فى دعابته لا نستطيع ان نتبين فى خشونته غير الظرف المستور. فهو بودلير الشرق الى حد كبير، وقد كان ذلك الشاعر الغربى المستهتر طيب القلب مثله، صريحاً غاية الصراحة. على أن خير مقارنة هى التى عقدها الاديب الانجليزى برتون Burton بين روتشستر Rochester وأبى نواس، وقد تناولها بتعليقاته الاديب الانجليزى إنجرامز فى مقدمة كتابه الجميل عن أبى نواس. ومهما يكن من شيء فلا ريب ان الادب المكشوف فى العربية اكثر خشونة من نظيره الاوربى، ودعاباته الجنسية ـ كالتى اكتظ بها شعر ابى نواس ـ ليست مما يتذوقه الاديب العصرى المثقف الذى اتصل طويلا بالادب الغربى وصقل ذوقه الاطلاع المهذب، كذلك يدخل بعض الهجاء فى باب الدعابة مثل هجائه أبان بن عبد الحميد اللاحقى بقصيدته النونية التى يقول فى مطلعها:

جالست يوماً (ابانا) لا در در (ابان)

وهو هجاء قوامه الذكاء والنكتة المستقصية، ولكن كل هذا غريب إلى حد كبير عن الذوق العصرى المثقف، وإن راعيناه احتراماً لتاريخ الادب اكثر من كونه متعة أدبية قويمة، إذ الواقع ان ادب التسلية الذى تنتسب اليه دعابات ابى نواس لا يمكن ان يعد ادباً عالياً لانه لا يشيع اسمى ما فى النفس البشرية ولا يتقدم بها الى الامام بل قد يرجع بها إلى الخلف. ولا يشفع له ما فيه من عنصر الذكاء. وفى هذا يقول بلا كوود وازبورن فى كتابهما «دراسة الشعر»: إنه وإن كان شعر الدعابة مما يشوق الخاطر والعاطفة، إلا انه لا يدخل فى باب الشعر الليريكى. وقد توجد الدعابة فى جميع ضروب الشعر ولكنها غالبة فى الشعر الفكاهى، ولا يمكن ان يعد هذا الشعر من النسق العالى، ومع هذا فان له مكانته فى ادبنا وهو جدير بان يخص به قسم معين من اقسام الشعر

ان المؤلفات الاوربية فى فلسفة الدعابة كثيرة، وفى دائرة المعارف البريطانية مقالة صالحة عنها، ولو جئنا نطبقها على شعر ابى نواس الفكاهى وعلى سيرته ودعاباته لوجدنا شاعرنا الكبير من اعلام الادب الفكاهى ـ بالرغم من حدود الشعر، وبالرغم من الشوائب التى اشرنا اليها ـ بقدر ماهو من امراء الفن الشعرى فى الماضى والحاضر. وقد اذاعت شركة فولشام W Foulshan مجموعة مختارة لستين قصيدة ومقطوعة من اجل النظم والنثر الفكاهى باللغة

خط مستقيم لم يكن له بد من الاستعانة بحواسه الخمس أو بواحدة منها فقط والا تاه وضل الطريق

ولا يخفى أن بعض كبار السياح الذين يرتادون المجاهل يعتقدون أن فى وسعهم التحكم فى خط سيرهم والتوجه فى جهة معلومة. ولكن الاختبار قد كذبهم المرة بعد المرة. فاذا لم يستعينوا باحدى حواسهم لم يستطيعوا الوصول الى الهدف الذى يقصدون اليه. ومثلهم جماعة الادلاء (جمع دليل) والمرشدين فانهم يعتقدون مخلصين أنهم يمتازون بغريزة لا توجد عند غيرهم، ونعنى بها غريزة الاتجاه. ولا شك أن ما يقدمونه من البراهين على صحة دعواهم لا يستند الى شىء من الحقيقة، فانهم أنما يستعينون باحدى حواسهم وهم لا يعلمون. وعندما يسيرون فى مجاهل لم يطرقوها من قبل يستعينون بالكثير من مظاهر الطبيعة وبموقع الشمس أو القمر أو بحركة الغيوم على معرفة الجهة التى هم سائرون فيها. ولا شك أن لحاسة البصر النصيب الاكبر. فهم يهتدون بها أكثر من اهتدائهم بأية حاسة أخرى. والمشهور عن الدليل أنه يسير وعيناه شاخصتان دائماً الى الامام، تنتقلان به من نقطة الى نقطة فى خط مستقيم. فاذا فقد هذه الحاسة لم يأمن الزلل. أما قدرة النحل أو بعض الطيور على الطيران فى خط مستقيم فرجعها الى احدى الحواس أو الى عامل غامض سيكشفه العلم

التعلل بالآمال

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة مودرن ثنكر بقلم روبرت ليد]

هنالك بعض علماء النفس يزعمون أن انهماك الانسان فى التعلل بالآمال المفرحة مضيعة للوقت مفسدة للاخلاق. ولا جدال فى أن الافراط فى ذلك التعلل مضر جداً لانه يضعف همة الانسان ويجعله يستسلم الى الاحلام الكاذبة، والاحلام كثيراً ما تناقض الحقائق. ومع ذلك فان المرء كثيراً ما يضطر الى استبدال الحقائق بالاحلام، ولا سيما عندما تصدم آماله وتبدو له الحقائق كما هى، فيضطر الى الاستعاضة عنها بالخيالات والتعلل بالامانى الخادعة. والغربيون يعبرون عن التعلل بالآمال بقولهم انها « احلام النهار »

وقد يكون من الامور المفرحة التى ترتاح اليها النفس أن يتعلل المرء بدنو فصل الربيع وهو يعانى صبارة الشتاء.. أو أن يتعلل بحرارة الشمس وهو يرتجف من شدة البرد، أو أن يتعلل، بطعام شهى وهو يشعر بشدة الجوع، فان مثل هذا التعلل لا يضر صاحبه، بل بالعكس قد يشجعه على احتمال ما هو فيه من عناء. وفى الحقيقة أن المرء قلما يتضايق من أحد فصول السنة الا ويخطر بباله فصل آخر فيعلل نفسه بقرب دنوه والتمتع به

ولايقتصر التعلل على تمنى انقضاء فصل وحلول فصل آخر محله، بل يمتد الى ما هو أبعد من

ذلك بكثير، أى الى تمنى زوال حالة وحلول أخرى محلها أدعى الى السعادة والهناءة . وفى الحقيقة انه مامن أحد الا وينفق جانباً من وقته فى التعلل بالاحلام لانه يجد فى تلك الاحلام، عزاء ينسيه مرارة ما هو فيه من مضايقات

ومن الصعب تقدير تأثير التعلل بالاحلام فى كتب الادب من نثر ونظم وروايات . فالابطال الذين يختارهم مؤلفو الروايات انما هم من استنباط المخيلة، وكل منهم وليد الاحلام والتصورات التى تمر بقريحة الكاتب . ولا يخفى مالا كثر الروايات الادبية من التأثير الحميد فى نفوس القراء . وهذه الحقيقة وحدها تكفى لاظهار ما للتعلل بالآمال من النفع الادبى . ومن ذا الذى يجرؤ على انكار ما لذلك من أثر فى جلب السعادة وابعاد الشقاء؟ والصفة الغالبة فى الشخص الذى يعلل نفسه بالاحلام هى أنه قلما يكون عبوساً متململا، بل يكون فرحاً طروبا ينظر إلى المستقبل بعين الاطمئنان والارتياح، وبعبارة أخرى — ان مثل هذا الرجل يزيد فى مسرات الحياة لانه يغض طرفه عن كل مايستفز الحزن ويبعث على الشقاء

واذا نظرت الى اكثر الروايات الخيالية وجدت أبطالها يعانون من المشاق والاهوال ما يثير الاسف . إلا أن القارىء يعلم أن وراء تلك المشاق والاهوال عهد سعادة وصفاء . وهو يعلل نفسه بدنو ذلك العهد . ولذلك نجد أن للتعلل بالآمال فائدة أخرى وهى تشديد عزائم الانسان واقصاء عوامل اليأس عنه . ولكم من رجل يشعر بدبيب اليأس فى نفسه، ثم يذهب الى احدى دور السينما حيث يشاهد رواية مؤثرة يعانى بطلها أشد الاهوال . وما هو الا قليل حتى تنقضى تلك الاهوال فينقلب اليأس رجاء وتشتد العزائم وتزول الاحزان

فلو لم يكن للتعلل بالاحلام غير هذه الفضيلة لكفى . ولهذا يدافع الكثيرون من علماء الاجتماع عن الروايات الخيالية الرخيصة (بشرط أن تكون خالية مما يخدش الآداب والفضائل) فان هذه الروايات تكون عادة فى متناول الطبقة المتوسطة من القراء، وهى أشد حاجة من طبقة الاغنياء الى ما يشدد عزائمها ويبعد عنها عوامل اليأس . ولعل هذا هو كل ما يمكن قوله فى الدفاع عن تلك الروايات

وما يصدق على الروايات الاعتيادية يصدق أيضا على الروايات السينماتوغرافية، فكثير منها مقوم للاخلاق مشدد للعزائم يبعد اليأس عن النفس . ولا شك ان الكثير منها تربى فى المرء روح الاثرة والانانية لانها تحفز النفس إلى التعلل بالآمال الخاصة بها . ولا يهمها ما يحل بغيرها . وفى الحقيقة ان الذى يتعلل بالاحلام يتصور نفسه وقد أصبح ذا ثروة وجاه وسلطان . ولا يهمه ما قد يحل بغيره . وهذا أهم انتقاد يوجه الى التعلل بالآمال . ولكن هنالك جانبا ربما قد خفى على بعض النقاد . وهو أن الذى يسلى نفسه بالاحلام — ولو كان بخيلا — يتصور نفسه وقد أصبح غنيا يغدق الاموال على صحبه وأهله . وعليه فقد تلطف الاحلام من حدة بخله وتعوده شيئا من الكرم والسخاء

المزاج والانتحار

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
مودرن ثنكر . بقلم روس بادكر]

يقول فريق من علماء النفس أن بين المزاج والانتحار علاقة كبيرة ، وان الذين يمتازون بتذوق الفنون الجميلة والميل اليها هم أكثر اقبالا على الانتحار من غيرهم . ويقول سيجموند فرويد كبير علماء النفس فى هذا الجيل إن الميل الى الانتحار غريزى فى الانسان الذى يتطلع دائما لمعرفة ما وراء الحيز المنظور . وقد قال أحد شعراء الانجليز :

« ان الانسان يجد الحياة ملأى بأسباب المسرات . فاذا نفدت تلك المسرات لم تبق للحياة فى نظره أية قيمة ، فيحاول اذ ذاك اخماد أنفاسه »

وقال كيتس شاعر العواطف الانجليزى :

« لقد ولعت بالموت واحببته ، وكثيراً ماداعبته ودعوته بألطف الاقوال وأعذب الانغام . وأنا اترقب الآن مجيئه اكثر مما كنت اترقبه فى أى وقت آخر »

ويزعم العالم ستيكل أن الرغبة فى الانتحار انما هى مظهر من مظاهر الرغبة فى قتل الغير . وهذه الرغبة غريزية فى الانسان ، وهو نتيجة لازمة لغريزة الدفاع عن النفس . وعليه فالميل الى الانتحار ليس خاصا بأصحاب الأمزجة الحساسة دون غيرهم

على أن الرأى الغالب بين علماء البسيكولوجيا هو أن هذا الميل أقوى عند أصحاب الامزجة الحساسة منه عند أصحاب الأمزجة العادية

كان نبوليون نابغة عبقريا فى الفن الحربى، والمشهورعنه انهكان من أصحاب الامزجة الحساسة ، أى أنه كان رقيق الاحساس . على أنه كان يجمع إلى رقة الاحساس قوة ارادة هائلة . ولهذا احتمل اعباء الحياة فى منفاه بجزيرة القديسة هيلانة . ولم ينتحر مع أنه كان يعلم يقينا بأنه مصاب بمرض لا شفاء له منه على الاطلاق وهو مرض السرطان . والمعروف أن فكرة الانتحار خطرت باله وهو فى ذلك المنفى السحيق . ولكنه كان دائما يثوب الى رشده ويرى فى الانتحار عاراً كبيراً لان واجب الانسان الاول هو أن يحيا لا أن يقتل غيره أو نفسه . وفى الحقيقة أن ارادة نبوليون القوية التى ظهرت فى صبره واحتماله أعباء الحياة ، كانت من أقوى الادلة على عظمته الخالدة . وعلماء الفسيولوجيا يؤولون هذه الارادة بقولهمان الغدة النخامية فى نبوليون كانت شديدة العمل

وقد ذكر بعض المؤرخين أن فكرة الانتحار لم تخطر ببال نبوليون فى جزيرة القديسة هيلانة فقط بل فى مكان آخر أيضا ، قبل نفيه بزمن طويل ، بل قبل أن يبلغ الشهرة التى بلغها فيما بعد ، فقد جاء فى احدى مذكراته اليومية ما يأتى :

« في ٢ مايو سنة ١٧٨٦ ـ أجد نفسي اليوم وحيداً حسب العادة مع أنني في وسط الشعب . وقد اعتكفت في غرفتي لأناجي نفسي واطلق العنان لليأس . ترى الى أين تتجه افكاري اليوم ، والى أية جهة تسير بي قدمي ؟ الى الموت . ولكن ما هذا الجنون الذي يدفعني الى اهلاك نفسي ؟ . بل ما الذي استطيع عمله في العالم ؟ انني لا بد أن أموت يوما ما . فلماذا لا أموت اليوم ؟ لو كنت رجلا في الستين من العمر لاحترمت شعور أصدقائي وامتنعت من الموت ، ولصبرت الى أن يدنو أجلي ويقبض الله روحي . ولكن لما كان الشقاء قد أحدق بي وانا لا أزال على عتبة الحياة ، ولا لذة لي في العالم ، فلماذا اطيل حياتي وهي قد أصبحت عبئا ثقيلا ، فلست أطمع في فرح أو لذة ، وكل ما حولي يسبب لي التعب والشقاء لان الذين أعيش بينهم الآن وسأعيش بينهم في المستقبل لايشبهونني في شيء ، ولاصلة بين طباعي وطباعهم على الاطلاق . فلست استطيع اذن أن أحيا الحياة ، التي تطيب لي او التي أطيقها . وهذا سبب شكواي المستمرة وعدم ارتياحي الى أي شيء »

هذا ما كتبه ذلك العبقري الذي وضع فيما بعد خطة معركة اوسترلتز في أقل من لمح البصر

وكان « جيته » شاعر الالمان الاكبر ذا افكار سوداوية وكثيراً ما كان يميل الى الانتحار . وقد كتب أحد مترجميه يقول عنه : « كانت فكرة الانتحار تجول في خاطره على الدوام ، حتى إنه كان يستحق الشنق لسماحه لتلك الفكرة أن تستولي عليه »

وفي الحقيقة أن جيته حاول الانتحار غير مرة

وأمثال « جيته » كثيرون بين أهل الادب والشعور الرقيق ولا سيما من اعلام الفنون الجميلة . والمجال اضيق من أن يلم بهم حصر ، ولكن قد يحجم القارىء عن التسليم بهذه النظرية (اى النظرية القائلة بان اهل الادب ومتذوق الفنون الجميلة اميل الى الانتحار من غيرهم) الى ان يقوم الدليل على صحة نظرية الفيلسوف فرويد ومؤداها ان في كل انسان غريزة باطنية تدفعه إلى طلب الموت والعودة الى الحالة التي تسبق مجيئه الى العالم والتي لا تشوبها حقيقة الوجود واحزانه ومساوئه . وهذه النظرية المعزوة إلى فرويد غريبة ، جداً والعلماء يستقصونها الآن ويفحصونها . ومن المحتمل ان الميول واتجاهات العقل الاولية التي سماها الفيلسوف ارسطوطاليس « النماذج الازلية » هي مظهر غرائز النفس التي تولد في الانسان ميلا قويا إلى وضع حد لانفاسه وللرجوع إلى حالة العدم او الفناء . ومن المحتمل ايضا ان الاحساس الرقيق الذي يمتاز به اهل الفنون الجميلة هو الذي يستفز فيهم الميل إلى الفناء وهو ميل يصعب دفعه والتغلب عليه اذا كان صاحبه ذا ارادة حديدية جبارة

ويعتقد جوستاف جيليه وغيره من علماء النفس أن عقل الانسان سيرتقي ويتقدم ويستجلي اسرار النفس بحيث يستطيع الانسان ـ بمحض ارادته وفي اقل من طرفة عين ـ أن ينتقل من حالة الشعور والوجدان الى حالة عدم الشعور . على أن هذا لن يتم على ما يزعم جوستاف جيليه الا بعد مرور الملايين من الاجيال . ومتى تحقق هذا انجلت لنا حقيقة تلك الغرائز الازلية

التنويم المغناطيسي

[خلاصه مقالة نشرت في مجلة ساينتفيك
اميركان . بقلم ج . ايستبروكس]

ترى ما هو التنويم المغناطيسي وكيف يمكننا أن نفهمه؟

ان أقرب شبه اليه هو المشي في النوم . فاذا قابلت رجلا يمشي في نومه وأخذت في محادثته من دون أن توقظه (وهو أمر ممكن أحياناً) فاعلم أن ذلك الرجل نائم نوماً مغناطيسياً وانك متصل بعقله الباطني وفي وسع العقل الباطني أن يتحكم في أعضاء الجسم وحركاته كما يتحكم العقل نفسه

ورب سائل يقول : كيف يمكننا أن نوقع على الانسان سباتاً مغناطيسياً بوسيلة صناعية ؟

لذلك طرق سهلة يعرفها المتمكنون من فن التنويم . ومن اسهلها أن يتكيء « الوسيط » على متكأ وينصت الى المنوم يخاطبه على وجه مخصوص ويصحب كلماته حركات معينة . فما هي الا دقائق معدودة حتى يستغرق الوسيط في سبات مغناطيسي . ويدل الاختبار على أن واحداً من كل خمسة أو ستة ينام بالسهولة ولا يجد المنوم صعوبة في استهوائه . ولا يحتاج المنوم الى قوة خاصة تنبعث من عينيه لتحقيق التنويم الا في حالات خاصة . وفي الحقيقة أن اكثر تجارب التنويم المغناطيسي تتم بطريقة بسيطة ولا يستعان فيها الا باسطوانة من اسطوانات الفونوغراف

وغني عن البيان أن العقل الباطني شديد الاحساس سهل الانفعال فهو يصدق كل ما يقال له . ويمتاز هذا العقل عندما يكون مستغرقاً في السبات المغناطيسي بكونه مسلوب الارادة محروماً قوة التمييز والادراك . فاذا قيل لصاحبه في حالة نومه أنه الاسكندر ذو القرنين صدق ذلك وأخذ يعمل أعمالا تنطبق على سيرة ذلك الرجل . واذا انكر عليه أحد أنه الاسكندر أصر على أنه هو هو ودافع عن شخصيته دفاعا شديداً . وقد اتفق لكاتب هذه السطور أنه حاول مرة أن يقنع شاباً نائماً بانه لم يشهد الحرب العظمى الماضية فأصر على القول بانه شهدها وخاض معامعها وأنه كان ضابطاً فيها برتبة « يوز باشى » ــ كابتن ــ مع أن عمره لما وضعت تلك الحرب أوزارها لم يكن يزيد على سبع سنوات ! . . .

ومن السهل ايهام النائم أوهاماً شتى . فقد تقول له مثلا إن في الغرفة التي هو فيها فيلا قرمزى اللون . فيصدق ذلك ويؤكده بل قد يشرع في وصف ذلك الفيل وصفاً دقيقاً كأنه يراه حقيقة . وكذلك اذا أوهمته أن لحناً موسيقياً يملأ الهواء ، أو أن رائحة كريهة قد انتشرت في الجو ، أو أن طعاماً شهي المذاق أمامه ، أو ما الى ذلك من الاوهام ، فانه يصدق جميع ذلك ويحاول اثباته . وقد توهمه أن الجو بارد فتصطك أسنانه . أو قد تقول له إن الحر شديد لا يطاق فيتململ من شدته . مع أن الجو في كلتا الحالتين قد يكون واحداً . بل لقد تفعل ما هو أشد من ذلك من قبيل احداث

الوهم فى نفسه . فقد توهمه أن جسمه فقد كل احساس فيصدقك ولا يشعر بأى ألم ولو وخزته بإبرة أو كويته بالنار . بل لقد تبتر اصبعه فلا يشعر بالالم . ومما يجدر بالذكر أن الاطباء الجراحيين كانوا قبل اكتشاف المواد المخدرة اذا أرادوا اجراء عملية جراحية كبتر عضو من أعضاء الجسم يعمدون الى تنويم المريض تنويماً مغناطيسياً لافقاده كل احساس

ومن أمثلة ايجاد الوهم فى نفس النائم انك قد تقول له انه مجرد من حاسة الشم فيصدقك حتى انك اذا أدنيت من أنفه أقوى أنواع « روح النشادر » لم يشعر به على الاطلاق . بل لقد تضع فى يده جمراً متقداً فلا يحس به . واذا كان الوسيط من النوع الجيد ـ علميا ـ فقد تستطيع أن تتحكم فى وظائف أعضاء جسمه . كأن تجعل نبضات قلبه تسرع أو تبطىء . وقد تستطيع أن ترفع درجة حرارة جسمه أو تخفضها كما تستطيع أن تؤثر فى عملية الهضم وما اليها

وليس ذلك فقط بل فى وسعك أن تأمر النائم بالقيام بعمل معين فى تاريخ معين ، مثال ذلك أن تقول له انه بعد مرور يوم أو شهر أو اكثر سيمثل أخوه أمامه فيجب أن يفعل كيت وكيت ففى الوقت المعين تماما يخيل اليه انه يرى أخاه واقفا أمامه محدقا نظره اليه . فيفعل اذ ذاك ما أوعز اليه والامثلة على هذه الظاهرة الغريبة كثيرة لا تحصى . وهى دليل على انك تستطيع احداث الوهم فى نفس النائم واستبقاء ذلك الوهم مدة معينة من الزمن ـ شهراً أو عاما أو اكثر

ومما يجدر بالذكر أن النائم يعلل كل ما يفعله تعليلا منطقيا فهو ينشد مثلا لحنا معينا لانه يسمع صفيراً بذلك اللحن ويقطب وجهه لانه يرى أو يسمع ما يستفز غضبه . وكل عمل يأتيه انما يأتيه باعتبار أن وراءه قوة دافعة ترغمه على اتيانه . فاذا قيل له مثلا أن يجلس فى مكان معين أسرع للجلوس فيه مقاوما بالقوة كل من يحاول منعه . واذا قيل له أن يتحرك فى اتجاه معين لم يستطع أحد أن يثنيه عن ذلك الاتجاه

والانسان فى حالة الخوف يشبه الانسان الواقع تحت تأثير التنويم المغناطيسى . وكل مؤثر يقع على أحد أعضاء حواسه الخمس يحدث الأثر الناشىء عن التنويم المغناطيسى تماما . فالطفل الذى يجد نفسه مثلا محصوراً فى زقاق ضيق لا منفذ له منه ويرى أمامه كلباً شرساً يقع فى الحال تحت تأثير الخوف ويظل طول عمره يخاف كل مكان موحش لا منفذ له لان هذا المكان يذكره بذلك الحادث المؤلم .

وقد روى الراوون أخباراً كثيرة عن استمرار تأثير الخوف فى الجنود حتى بعد انقضاء الحرب . من ذلك ان جندياً فى احدى المعارك كان ينصب مدفعه السريع ليطلقه على الاعداء واذا قذيفة من نوع « شرابنل » تنفجر حوله فتقتل جميع رفاقه ماعداه هو . وكانت النتيجة بعد ذلك انه كان كلما ذكروا أمامه كلمة « شرابنل » ترتعد فرائصه ويستولى عليه ذعر شديد

ولا بد لنا هنا من التنبيه على أن التنويم المغناطيسى سلاح خطر فى يد الذين لا يحسنون استعماله

العلم سيغيرنا

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
ناش . بقلم جيرالد هيرد]

يخيل الى معظمنا أن العلم يبحث في المادة والطبيعة فقط ، وأن النافع منه انما هو الذي يجلب لنا السعادة والرخاء ، فان لم يفعل ذلك كان ضاراً . وعليه فاذا استثمرنا العلم في زيادة الثروة والانتاج وتوفير وسائل الراحة وتحسين طرق الانتقال من مكان الى مكان ، كان ذلك العلم حقيقياً نافعاً والا فهو مهلك مدمر

والارجح أن اكثر الناس الذين يحبون السلام ويفضلونه على الحرب هم ممن يحبون العلم . فاذا دهمتهم الحرب انقلبوا على العلم بحجة انه لم يستطع منع الحرب ، وبحجة أنه قد زاد في شقاء الانسان باستنباط وسائل الدمار والهلاك . فمقذوفات المدافع والمواد المتفجرة والغازات السامة — جميع هذه هي من ثمار العلم ، ولكنها من ثماره المهلكة المدمرة . وفي الحقيقة أن العلم الصحيح والحرب لايتفقان . لان غاية العلم الاولى هي خير الانسان ، حالة أن الحرب لا يمكن أن تكون كذلك لانها عمل تدميري هدام . واذا كان الانسان قد سخر العلم لاستنباط وسائل التدمير والهلاك ، فليست تبعة ذلك على العلم نفسه بل على الانسان . واذا لم يقلع الانسان عن مطامحه ومطامعه فالارجح أن العلم سيقضي على الحضارة قضاء مبرماً بما سيستنبطه من وسائل الهلاك التي ليست وسائل الهلاك الحاضرة بجانبها سوى الاعيب اطفال

وهذه الصورة القاتمة التي تصورها لنا المخيلة عن العلم انما هي أحد جوانب الحقيقة لا كلها . بل هي الجانب الاضيق منها . أما الجانب الاكبر والاهم فيتناول ما سوف يحدثه العلم فينا من التغير والانقلاب ، لا في شكل الجسم فقط ، بل في الصفات والاخلاق . وبعبارة أخرى ليس من المعقول أن نتصور أن الانقلاب الذي سيحدثه العلم في المستقبل سيكون انقلاباً مادياً فقط ، بل سيكون انقلاباً معنوياً أيضاً يتناول كل ما في الانسان من مزايا وأخلاق . وفي الحقيقة أن القدرة على تغيير المادة والشكل المادي ليست أهم صفات العلم ، بل هي أمر ثانوي بالنسبة إلى القدرة على تغيير ما بنفوسنا . وتغيير ما بالنفس آخذ في الحدوث اليوم بل في كل دقيقة من دقائق حياتنا . والعلماء البعيدو النظر يدركون هذا التغير ويعلمون أنه سيكون بعيد الغور . وقد قال هكسلي ، وكان من أكبر علماء البيولوجيا في القرن التاسع عشر : « ان أعظم تغيير سيحدثه العلم في القرون المقبلة لن يكون خاصاً بالمادة ، بل بقوى الانسان العقلية والنفسية » وها نحن نرى اليوم تحقيق نبوءته ، فان علم البيولوجيا يحدث فينا انقلاباً عظيماً جداً . ولا شيء أدل على صدق هذ القول من أنك تستطيع اليوم أن تبعث القوى العقلية في الرجل الابله الخامل باعطائه خلاصة الغدة الدرقية ، أو بتنشيط تلك الغدة

فيه لتقوم بوظيفتها . وليس ذلك فقط بل ان في الوسع التأثير في قوانا العقلية والنفسية والمعنوية بتنشيط الغدد الصم فينا وحملها على القيام بوظائفها

أجل ـ إن بعض الأطباء يحذروننا من التلاعب بالغدد التي في داخلنا ، لأن ذلك لا يخلو من الخطر . ولكن ذلك « التلاعب » يمكن أن يتم عن طريق التغذية بحيث يمكن معه تلافي كل خطر . فقد وقف العلم على العلاقة بين الفيتامينات والغدد الصم بحيث صرنا نشعر اليوم كأننا كنا فيما مضى نجهل ـ بل ما نزال نجهل إلى الآن ـ شروط التغذية الصحيحة . بل كاننا نجهل ما يجب أن نأكل والكمية التي يجب أن نأكلها

إننا نعلم أن جانباً من الغدة المعروفة بالنخامية تفرز مادة هي مصدر ما يجيش في صدورنا من العواطف والمشاعر . وإن جانباً آخر منها يفرز مادة هي مصدر ما قد يكون فينا من تلك الصفة الغريبة التي نسميها حب الاستطلاع . ونعلم أيضاً أن كل جزء من جزئي الغدة المذكورة يتغذى بمواد كيمياوية مختلفة مستمدة من الاطعمة التي نأكلها . وبناء على هذه الحقيقة يمكننا أن نتناول من الاغذية ما يولد فينا العواطف والانفعالات والصفات المعينة . على أن معرفتنا لهذه الحقيقة لا تزال في دور تمهيدي . وسيزيدنا العلم في المستقبل معرفة لها والماماً بها بحيث نستطيع أن نتصرف بعواطفنا ونفسانيتنا طبقاً للاحوال التي نوجد فيها

وبعبارة أخرى أن العلم سيمكننا في المستقبل من التلاعب بعواطفنا . فاذا أردنا استفزاز تلك العواطف فكل ما علينا أن نعمله هو أن نأخذ قطرة أو قطرتين من مادة كيمياوية معينة كالمنغنيز مثلا (فان هذه المادة تستفز العواطف) وذلك بأن نضعها في القهوة أو الشاي صباحاً

ولا شك أن علمي البيولوجيا والكيمياء البيولوجية أيضاً ، هما من العلوم التي ستحدث فينا تغييراً عظيماً . فسيزيدان في قوانا المادية والمعنوية ويوسعان نظرتنا الى الحياة وبهذه الطريقة يغيران العالم المحيط بنا

وهنالك علمان آخران لا بد أن يؤثرا فينا في المستقبل تأثيراً بعيد الغور ، سواء أكان من الوجه المادي أم النفساني . وهذان العلمان هما علم البسيكولوجيا وعلم الاجتماع . ويظن العلماء أنهما سيحدثان في طباع الانسان وفي أخلاقه أعظم الاثر . فاما علم البسيكولوجيا أو علم النفس فلاحاجة الى شرح علاقته بالصفات والغرائز والاخلاق . وأما علم الاجتماع فعلاقته بالشيوعية والاشتراكية والفاشستية وغيرها ظاهرة ظهوراً تاماً . وجميع هذه النظم الاجتماعية قد أحدثت ، ولا تزال تحدث وسوف تحدث ، اكثر الانقلابات العمرانية

تقدم العلم والعالم

الخبز المبرد

قام بعض أصحاب المخابز الاميركية بتجارب بشأن الخبز لمعرفة تأثير تبريد الخبز . وقد أسفرت تلك التجارب عن نتائج تدعو الى الارتياح . فان جميع الذين ذاقوا الخبز المبرد بعد ثمانية أيام وجدوه أطيب طعماً وأحسن نكهة من الخبز الطازج . وقد أخذت بعض المخابز تصنع خبزاً ملوناً بالوان مختلفة لتمكين سيدة المنزل من أن تقدم الى ضيوفها الخبز الملائم للون فستانها

أكاليل الازهار للموتى

ليست عادة تشييع الموتى بأكاليل الازهار حديثة ، بل هي قديمة كانت شائعة بين قدماء المصريين ، وقد عثر المنقبون على آثار أكاليل كثيرة فى قبور المصريين وأكثرها مصنوع من أزهـــار النرجس والخزامى واللبلاب والزنابق والغار والخشخاش وغير هذه من الازهار التى كانت معروفة فى مصر

منطاد جراف تسبلن

هو المنطاد الالمانى الذى كان أكبر المناطيد المعروفة قبل صنع المنطاد « هندنبرج » . وقد بلغ عدد الرحلات التى قام بها جراف تسبلن اثنتين وستين رحلة لم يصب فى خلالها بأى عطل أو خلل يستحق الذكر

السيارات الحديثة

بلغ عدد السيارات الصغرى التى اكتشفها علماء الفلك فى ربع القرن الاخير (أى منذ سنة ۱۹۱۰) اكثر من ثلاثة آلاف سيار وقد تم اكتشاف معظمها فى مراصد الولايات المتحدة

محاجر سليمان

فى التوراة إشارة الى محاجر الملك سليمان وقد كانت عند سفح مدينة أورشليم ويسميها بعضهم المغاور القطنية لان حجارتها بيضاء ناصعة كالقطن

غرائب الحيوانات

فى احدى حدائق الحيوانات بافريقيا الجنوبية ثلاثة أشبال أبوها أسد وأمها نمرة ، وهذه سلالة غريبة من السباع ولعلها الوحيدة من نوعها

بشرى للذين يعانون آلام الاسنان

ذكرت عدة مجلات علمية أميركية أن الدكتور هارتمان أستاذ طب الاسنان بجامعة كولومبيا قد وفق الى صنع محلول جديد مركب من جزء واحد وربع جزء من الثيمول وجزء واحد من الكحول الايتيل وجزأين من ايتير السلفوريك . وهذا المحلول اذا بلت به مادة الدنتين التى تتألف منها الاسنان ، أزالت كل ألم عند ثقب السن بالمثقب الكهربائى فيتمكن طبيب الاسنان إذ ذاك من مواصلة

عمله بكل هدوء ، ومن دون ازعاج العليل . وليس من الحكمة أن يستعمل الانسان هذا المحلول بنفسه لانه لايصلح إلا لمعالجة السن بالمثقب الكهربائي

بشرى للمصابين بالذبحة الصدرية

الذبحة الصدرية من أشد الامراض فتكا بالانسان ومن أمولها آلاما . وضحاياها آخذون فى الازدياد فى جميع انحاء العالم . ولا يستطيع أحد أن يدرك هول الآلام الناشئة عنها إلا الذين يعانونها . وقد ذكرت المجلات الطبية الاخيرة أن الدكتور جون كرانتز من أطباء مدرسة الطب بمدينة ماريلاند ألقى حديثاً خطبة أمام المجمع الاميركى لتقدم العلوم ذكر فيها أن الطب قد وفق الى اكتشاف مادة كالكلوروفورم اذا استنشقها المصاب بالذبحة الصدرية زالت فى الحال جميع الآلام المبرحة التى يشعر بها . وهذه المادة هى تريكلوروثيلين Trichlorethylene) . ومما يفيد أيضا فى ازالة آلام الذبحة خلاصة البنكرياس المزالة منه مادة الانسولين . وقد جربها الكثيرون من الاطباء فأسفرت عن نجاح عظيم

فى العصور الجيولوجية

من النظريات الحديثة التى جاء بها بعض علماء الجيولوجيا ، أن قارتى أفريقا وأميركا الجنوبية كانتا منذ أكثر من مائتى مليون سنة متصلتين معا وتتألف منهما قارة واحدة ، بدليل أن الاحافير الحيوانية والنباتية القديمة متماثلة فى كلتا القارتين . وقد أرسل متحف جامعة هارفرد لعلم الحيوان بعثة الى جنوب البرازيل لجمع الاحافير التى ترجع الى نحو مليون سنة ، لمقابلتها باحافير القارة الافريقية التى ترجع الى مثل ذلك التاريخ اثباتاً للنظرية التى نحن بصددها

نشاط الحيات

يكون نشاط الحيات على أعظمه عند ما تكون درجة حرارة الجو بين السبعين والتسعين بمقياس فهرنهيت . ويهبط ذلك النشاط الى أدناه عند ماتهبط تلك الحرارة الى الدرجة الخمسين ، حتى يقال ان الحية قلما تستطيع الدفاع عن نفسها أو مهاجمة عدوها فى هذه الدرجة

ارجوان صور

كان الارجوان الذى اشتهرت من أجله مدينة صور قديما من أجمل الالوان وأبهاها . وكان يستعمل لصنع ثياب الملوك والحكام . ويستخرج من بعض الحيوانات البحرية ذات الاصداف بطريقة تقتضى نفقات كبيرة . وفى سنة ١٩٠٩ تمكن بعض علماء الكيمياء من استخراج الارجوان بطريقة صناعية رخيصة بحيث لا تزيد نفقات الرطل الواحد منه على عشرة قروش صاغ

فى الانتحار

تدل الاحصاءات على أن الجنس الابيض أكثر ميلا الى الانتحار من الجنس الاسود . وان عدد المنتحرين من الاولين يكاد يكون ضعفى عدد المنتحرين من الاجناس الملونة

ضحايا الملاريا

الملاريا من أشد الامراض فتكا بالانسان . ومع أن العلم قد اكتشف لها دواء ناجعاً ، فان عدد ضحاياها لايقل عن ثلاثة ملايين ونصف

مليون كل عام وأكثرهم من رعايا الامبراطورية البريطانية

العمى في العالم

فى احصاء لدى عصبة الامم أن عدد المصابين بالعمى فى العالم لايقل عن خمسة ملايين أعمى

من عقائد المصريين القدماء

كان المصريون القدماء يعتقدون أن مصر هى مركز الكون وجميع الافلاك العلوية

من آثار اليونان

عثر المنقبون فى مدينة أثينا على خرائب سوق أثينا العامة — وكانت تسمى آجورا — وقد ثبت انها كانت سنة ٣٠٠٠ قبل المسيح مقبرة عامة

وزن الكون

هل يعتقد القارىء أن فى الامكان معرفة وزن الكون كله ؟

يقول الاستاذ هاز العالم النمسوى إنه قد قام بمباحث علمية واسعة النطاق ثبت له منها أن وزن مجموع الكائنات هو الرقم ٢ والى يمينه تسعة واربعون صفراً من الاطنان ! . . . أما قطر الكون فيعادل من الكيلو مترات الرقم (١) والى يمينه خمسون صفرا فتأمل !

البصل في الجو الحار

ثبت من التجارب الزراعية أن البصل الذى ينمو فى جو حار تكون رائحته أقوى كثيراً من البصل الذى ينمو فى جو معتدل ، ويكون الزيت الطيار المسيل للدموع فيه قوياً جداً

مرض النوم

من أنباء وزارة الزراعة الاميركية أن تجارب واسعة النطاق تجرى اليوم لحقن الخيل والبهائم باللقاح الذى يمنع مرض النوم وذلك بقصد اكتشاف لقاح لحقن الاشخاص

آلات المصريين القدماء

ثبت الآن أن المصريين القدماء كانوا يصنعون كثيراً من الآلات التى كانوا يستعملونها من حديد الرجم والنيازك . ويرجع بعض تلك الآلات الى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد . وهذا دليل على ما بلغته الصناعة فى مصر من التقدم فى تلك العصور الخالية

غرائب مدينة نيويورك

من غرائب مدينة نيويورك أن فيها من الروس عدداً يعادل عدد سكان مدينة أوديسا ، ومن الالمان عدداً يساوى عدد سكان «مونستر» و «فيرزبرج» ومن الايطاليين عددا يزيد على عدد سكان البندقية ومسينا . ومن الزنوج بقدر ما فى مدينتى اتلانتا وسافانا باميركا ومن اليهود ما يزيد على جميع سكان فلسطين

الفيتامين « ج »

هو الفيتامين الذى يساعد على النمو وحفظ الصحة بوجه الاجمال وصحة الاسنان واللثة بوجه خاص . وهذا الفيتامين يوجد بكثرة فى الفاكهة والبقول ولا سيما التفاح والسبانخ واللفت والبصل . والعلماء يوصلون اليوم

التجارب الواسعة النطاق لا كتشاف طريقة يمكنهم بها حفظ هذا الفيتامين فى البقول والفواكه المحفوظة فى علب

وعلى ذكر هذا الفيتامين نقول إن المباحث الاخيرة تدل على أن بعض البقول الطازجة هى أغنى بهذا الفيتامين من عصير البرتقال

الطب عند الازتيك

يظهر أن علم الطب عند شعب الازتيك (شعب المكسيك قديما) كان قد بلغ درجة عالية من الرقى، حتى إن الرهبان الفرنسيسكان الذين دخلوا المكسيك قديما انشأوا هنالك مدرسة لتعليم الطب بنوها على ما كان الازتيك يعلمونه من شؤون الطب

مبيد باشلس السل

من أنباء معهد «ترودو» للباحث الخاصة بالسل بالولايات المتحدة أن الاستاذ ستينكن العالم البكتريولوجى قد اكتشف نوعا من البكتريا شديد الفتك بباشلس السل. والمعهد المشار اليه يقوم اليوم بعدة تجارب لاختبار خواص البكتريا المذكورة وطرق استيلادها واستعمالها فى مقاومة مرض السل. ولا بد من مرور الزمن قبل تحقق تأثير البكتريا المذكورة

لمقاومة شلل الاطفال

من أنباء معهد روكفلر للباحث الطبية بنيويورك أن الاطباء هنالك قد اكتشفوا طريقة لمنع شلل الاطفال وهى تقضى بغسل أنف الطفل بمحلول شب الصودا أو بحامض التنيك فيمتنع بذلك وصول جراثيم الشلل الى الدماغ أو السلسلة الفقرية عن طريق الأنف أما حقن الاطفال باللقاح المصنوع من جراثيم الشلل فلم تثبت فائدته حتى الآن، بل ثبت بالعكس أنه قد يؤدى الى عواقب وخيمة. وفريق كبير من الاطباء الاميركيين ينصحون بعدم استعماله

فوائد

• من الآثار القديمة التى عثر عليها المنقبون فى فلسطين تحف فخارية بين خرائب مدينة لخيش ترجع الى القرن السادس قبل الميلاد، وقد نقشت عليها عبارات دينية وردت فيها كلمة «يهوه» وهى من اسماء الله عند اليهود. وقد ورد هذا الاسم فى التوراة مراراً

• يقول العالمون بغرائز النحل أن ملكة النحل قد تضع نحو الف وخمسمائة بيضة فى اليوم وانها تستطيع مواصلة الوضع بهذا المعدل عدة أيام ثم تستريح قليلا وتعود فتواصل وضع البيض بذلك المعدل زمانا طويلا

• يبدأ النهار فى اصطلاح أهل هذا العصر بعد منتصف الليل فيقال الساعة الاولى والساعة الثانية والساعة الثالثة بعد منتصف الليل. أما المصريون القدماء فكانوا يحسبون بدء النهار من الفجر

• عثر المنقبون عن الآثار بالقرب من مدينة تفليس بالقوقاز على ٧٧ قطعة من النقود الفضية القديمة التى يرجع تاريخ سكها إلى القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد

• تدل التجارب العلمية على أن لزيت البرجموت خواص تماثل خواص حامض الكربوليك من حيث تأثيره فى باشلس التدرن أو السل. وقد شرعت بعض المعامل الكيمياوية فى صنع مطهر من هذا الزيت الذى قد شاع استعماله بين الكثيرين من الاطباء

كتب جديدة

القضايا الاجتماعية الكبرى

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم صفحاته ١٧١

« إن فى كل يوم قضية اجتماعية جديدة لطارىء اجتماعى جديد . ويغادر الفرد مكانه فيحل محله فرد آخر ، لكن المجتمع مستقر كالدوحة الباسقة أصلها ثابت وفروعها تتنازعها أهوية السماء »

كذلك تتعدد القضايا الاجتماعية بتعدد الايام والحوادث ، فهى كثيرة متنوعـــة ، ومشاكلها مختلفة معقدة ، تطلب اطالة البحث ، وتلمس الحل ، والعمل للاصلاح . ولكن هناك من هذه القضايا مايعد من أمهات المسائل الكبرى التى تحفز الكتاب الى العناية ببحثها ومعالجتها على أساس صحيح من هداية التجارب ، وسداد الاختبار ، واستقراء النظريات الاجتماعية الحديثة ، ودراسة تاريخ البيئة ، ومقارنة حاضرها بماضيها ، وتتبع تطورها فى الأدوار التى تمر بها ، والاحداث التى تعتورها ، حتى يكون الرأى حاسماً والعلاج مفيداً - وذلك مافعله الزعيم السورى الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر فى هذا الكتاب النفيس . فقد عالج فيه أهم المسائل الرئيسية التى تهم المجتمع الانسانى من حيث هو مجتمع عام ، وتهم المجتمع الشرقى أو الامم الشرقية بنوع خاص ، فتناول من المشاكل الاجتماعية ما يشغل الاذهان اليوم ، وما يكثر حوله الجدل والنقاش

تناول المدنية منذ فجر التاريخ الى اليوم ، وكيف كانت المغامرات من أسباب ارتقاء النوع البشرى ، وكيف انحطت المدنية الشرقية بالخمول ، والاستسلام للخيال ، وضعف روح المغامرة ، وتفريط العالم العربى وجوده ، ثم انتقل الى أسباب الاضطراب السياسى الموجود الآن فى الامم العربية ، فعزاها الى العلم بالشئون العامة الحاضرة ، وقارن بين قضايا المدنية الغربية الآن وقضايا المدنية الشرقية ، وأبان أن الأولى تخالف الثانية اجمالا ، وأن قضية القضايا الآن ومسألة المسائل فى الشرق هى قضية تحريره من نير الاجنبى

وقد قال فى ذلك : « واولى قضايانا - وهى اهمها على التحقيق - قضية تحريرنا من أيدى الاجنبى حتى لا تذهب مساعينا سدى وحتى لا تتنافر ذهنيتنا مع الاوضاع التى نحن فيها ، فنظرة سطحية الى الخريطة تدلنا على أن جل الاقطار العربية تحت النير الاجنبى اما بالحماية أو الاحتلال او بالالحاق المباشر . ومن حسن الحظ - وقد يكون فى بعض الاحوال من سوئه - ان الخطر الناتج عن زوال الاستقلال هو خطر بديهى ، الى حد انه طغى على سائر الاخطار حتى اصبحت الاقطار العربية لا تفكر الا فى حريتها ، مما جعل فكرة الاستقلال فيها شبيهة بما يسمى فى علم النفس بالفكرة الثابتة أو بالهوى »

وانتقل الى قضية المرأة والرجل ، وهى قضية متشعبة النواحى مترامية الاطراف ،

وقد عالجها المؤلف على ان المرأة شق الرجل ، وانهما جزءان متلازمان يكمل أحدهما الآخر. وتحدث عن الأسرة كيف بدأت وكيف تألفت ، وعن عادات بعض الأمم فى الرابطة الزوجية ، ثم تناول الاسرة الشيوعية وحملة الاشتراكية المتطرفة على الاسرة . وتابع دراسة القضايا الكبرى فى شئون أخرى يتصل بعضها بالسياسة وبعضها بانواع الحكم وبعضها بنهضات الامم التى نشأت عن الانقلابات الحديثة . فبحث فى فصول مسهبة ، أصل الدولة، ونشوء الاوضاع الحكومية ، وبناء الدولة ، والاسرة والدولة ، والمذاهب السياسية منذ افلاطون الى الفاشيستية والنازية اليوم . وأفضى برأيه السديد فى القواعد التى تقوم عليها الثورة الكمالية ، وقال إنها كانت ضرورة لنهضة الاتراك ، وإلا لبقوا حتى الآن يخنى الروس أمام معاهدة سفير . ورجا فى ختام هذا الفصل أن يكون ميل تركيا الحديثة الى قطع رابطتها بالعرب مظهراً اجتماعياً موقتاً

ومما قاله فى ذلك : « . . . ويشعر العالم العربى بشىء من الامتعاض وخيبة الامل لمحاولة تركيا الحديثة صرم حبال المجد ، التى تربطها بتاريخنا المشترك، ولكننا نرجو ان تكون هذه البوادر مظهرا اجتماعيا موقتا من مظاهر النفرة من الماضى القريب فقط ، واحتجاجاً صاخباً على الجمود العتيق البالى ، ذلك لأن الترك هم من صميم الشرقيين ولأن الامة الحية ذات التاريخ الحافل بالحوادث اهون عليها أن تنسلخ من بلادها من أن تنسلخ من دواعى مجدها وفخارها »

ومن فصول هذا الكتاب القيم التى تلى « النهضة التركية الكمالية » فصول ممتعة تحدث فيها عن أصلح اشكال الحكم فى العالم العربى ، وعن الوطنية ، والزعامة ، وصفات الزعيم ، والثورة ، والدين ، والثقافة الحاضرة ، وغير ذلك من البحوث الاجتماعية والاخلاقية والوطنية ، وقد كتبها بأسلوب العالم الاجتماعى المحقق الذى جمع الى سعة الاطلاع سداداً فى الرأى ، وحصافة فى الفكر ودقة فى الدرس ، واستيعابا لأوجه البحث . ولا عجب فالزعيم شهبندر جمع هذه الصفات كلها . وقل أن يجتمع لغيره ما جمعه من علم غزير ، وعقل قدير ، وملكة أدبية ، وزعامة وطنية ، وبراعة طبية ، فهو زعيم وأديب ، واجتماعى وطبيب

مذكراتي في نصف قرن

الجزء الثانى

بقلم سعادة احمد شفيق باشا

طبع بمطبعة مصر صفحاته ٤١٦

هذا هو الجزء الثانى من مذكرات العلامة احمد شفيق باشا ، وهو صورة واضحة للنصف الاول من حكم عباس أبرز فيه مؤلفه المفضال أهم الحوادث التى كان لها أثر بارز فى سياسة مصر وعلاقة الخديو عباس بالانجليز ، وهو سجل صادق للكفاح الطويل الوطنى فى ذلك العهد

وقد جمع الكتاب فصولاً ممتعة عن رحلات الخديو السابق فى أقاليم مصر ، وأوصافا دقيقة للحفلات التى كان يقيمها الشعب له ، وهى ترسم لنا صوراً من عادات الجيل الماضى وتقاليده فى مثل هذه المناسبات . ومما يزيد فى أهمية هذه المذكرات أن صاحبها اشترك فى كثير من الحوادث التى دونها فاستطاع أن يبرز هذه الحوادث كما رآها وكما أثرت فيه وكما تجاوب

صداها فى طول البلاد وعرضها فى اسلوب قصصى رائع . ولا شك أن سعادة المؤلف قد خدم تاريخ مصر الحديثة بهذه المذكرات ، بما كشف به عن خفايا الحوادث التى يحتاج الى الوقوف عليها كل من يريد أن يكتب تاريخ مصر على ضوء الحقيقة الناطقة والحوادث الصادقة التى لا يشوبها تمويه ، ولا يلابسها غموض أو زخرفة وابهام

الجواد الطيار

بقلم الاستاذ كامل كيلانى

طبع بمطبعة حجازى بالقاهرة صفحاته ٧٦

« عين الدموع

« لعلك تعجب من هــــذا العنوان ـ أيها الطفل العزيز ـ فان عين الماء لا تتالف من الدموع قط ولكن القدماء الذين كانوا يعيشون فى بلاد اليونان ـ منذ آلاف السنين ـ كانوا يطلقون هذا الاسم على احدى العيون الصافية التى تنبع فى سفح جبل صغير من جبال اليونان

« وانما اطلقوا عليها ذلك الاسم لان بعض أساطيرهم قد حدثتهم ان امرأة حسناء كانت جالسة فى تلك البقعة والى جانبها واحدها ، فأصابه سهم من سهام الصيد فقتل من فوره

« وزعمت الاسطورة ان تلك الام الحزينة جزعت على ولدها جزعا لا يوصف ، وبكت ليل نهار حتى تحولت دموعها الغزيرة عين ماء صافية ، فاطلق عليها سكان البقاع النائية « عين الدموع »

تلك نبذة من الفصل الاول من هذه القصة اللطيفة اهداها الاستاذ كامل كيلانى الى الاطفال من ضمن ما أهداه اليهم من القصص الممتعة التى اطلق عليها اسم « مكتبة الجيب للاطفال » وهذه النبذة تعطيك صورة واضحة لهذا الاسلوب السلس الذى يناسب الناشئين ، ويستثير فيهم بطرافته شهوة القراءة والاطلاع ، فيستفيدون بذلك علماً وأدباً ، وتتسع به مداركهم ، وتزداد على الايام ثروتهم اللغوية والادبية

وقد عنى المؤلف ان تكون قصص هذه المكتبة قصيرة لا تستوعب طويلا فى القراءة ، لانها موضوعة لتقرأ فى النزهة وفى اوقات الرياضة والفراغ . وكأن الاستاذ كيلانى أبى إلا أن يشغل وقت الاطفال بما يسرهم ويفيدهم دائماً ، فألف هذه القصص التى يسهل على التلميذ ان يحملها فى جيبه متى سار ، ويستمتع بقراءتها أينما كان ، وهو عمل يشكر عليه ، وخدمة للجيل الجديد تستوجب الاعجاب والتقدير

وراء البحار

للاستاذ محمد أمين حسونه

طبع بمطبعة الشمس صفحاته ١٩٩

مؤلف هــــذا الكتاب أديب شاب من الادباء الناهضين الذين امتازوا بسعة اطلاعهم ودقة تصويرهم وقدرتهم على الوصف فى اسلوب ممتع جميل . وهو من الادباء المتصلين بالثقافة الغربية الحديثة والمولعين بالرحلات والاسفار . وقد أصدر أخيرا هذا الكتاب النفيس فوصف فيه ما شاهده من البلاد والاماكن والآثار . ولعل المكتبة العربية فى حاجة شديدة الى مثل هـــذه المؤلفات الشائقة التى كتبت بأسلوب القصة الممتعة التى ينتقل فيها المؤلف من أثينا الى رومانيا ، ومن وقفة أمام الاكروبول الى

مساجد استامبول ، ويرسم لك بريشة المصور الماهر شعوره وخواطره التي جاشت بنفسه أمام تلك المشاهد الرائعة

ومن ذلك ما كتبه تحت عنوان « تأملات في بحيرة سناجون » :

« .. لماذا يهرع العشاق والشعراء والفنانون الى البحيرات ينعمون بساعات الصفاء في احضانها ، إن من لا يعرف مؤلفات روسو لا يستطيع ان يكرم وفادة الجمال على ضفاف جنيف ، ومن لم يقرأ تأملات لامارتين لا يحس بتلك العاطفة المبثوثة التي أذابها الشاعر على حافة بحيرة لوبرجيه ، بل ان من لم يتذوق جمال الادب الانجليزي قد لا تألف نفسه سحر « البحيرة الغربية » التي خلدها بيرون في « تشايلد هارولد » ، فهل تعود شهرة هذه البحيرات الى قرائح الشعراء أم الى جمال موقعها الطبيعي ، وما يكتنفه من الروابي والتلال والصخور المعلقة ، والى تلوين مياهها حتى لتراه ساعة أزرق صافيا ، وأخرى اسود قاتما »

وبهذا الاسلوب الذي يحملك في موجة من المتعة والسمو الروحي يقص المؤلف مشاهداته ، ولا ريب فهو أسلوب شاب أديب بارع

الزورق الحالم

ديوان جديد

للشاعر مختار الوكيل

طبع بالمطبعة المصرية — صفحاته ١٤٠

ناظم هذا الديوان أديب ناشيء ظهرت له آثار شعرية ممتعة في بعض الصحف ، تنم على استعداد قوي في الشعر ، وملكة أدبية مؤاتية . وقد جمع في هذا الديوان اثنتين واربعين قصيدة ، بعضها قصير وبعضها طويل . وهي تتناول كثيرا من الاغراض والخواطر الشابة التي يهيم بها شاب ناهض ، والتي تتمشى مع الروح الفتية المولعة بجمال الطبيعة وسحر الحياة . وهذه المجموعة اللطيفة أشبه بالحديقة المتعددة الالوان التي تمر فيها على كثير من الازهار الباسمة ، فهناك « هل يا ناي » وهي قصيدة رقيقة يناجي فيها هذه الأداة الموسيقية ، ويبثها خواطره وآماله ، وهناك الجدول الحالم ، والربيع الوفي ، والجمال الشاعر ، وليلة في الاهرام ، والزورق الحالم ، الى غيرها من القصائد والقطع . ومما قاله في قصيدة الزورق الحالم :

إلى الضفاف البعيدة   يا زورق الذهبي
اذهب بروحي السعيدة   لوكرها الابدي
على تخوم الوجود

الرحيل — رجل

كتابان للاديب محمود البدوي

طبعا بالمطبعة الرحمانية — صفحات كل منهما ٩٠

صاحب هذين الكتابين له ولع كبير بالقصة دفعه الى اصدار هاتين القصتين

والقصة الاولى « الرحيل » وصف حياة شاب عاشق بأسلوب مؤثر أما القصة الثانية أو الكتاب الثاني « رجل » فهو يحوي أربع قصص صغيرة الاولى قصة « رجل » التي اختار ان يعنون الكتاب باسمها ، والثانية « النجم البعيد » والثالثة « الاعمى » والرابعة « في الظلام »

وقد أجاد المؤلف في تأليف هذه القصص ، ووفق في محاولاته الاولية ، ونال من النجاح في بدايته ما يبشر بأنه اذا استمر على العناية بهذا الفن فسوف يصل الى درجة مرفوعة من الاجادة والابداع

بين الهلال وقرائه

الطيور والذاكرة

(سان باولو) م . ج

هل الطيور التي تهاجر من مكان الى مكان آخر في فصول السنة المختلفة تسترشد بذاكرتها ؟

(الهلال) كلا بل هي تسترشد بغريزتها . واكثر الطيور التي تهاجر من مكان الى مكان في بعض فصول السنة لا تعود الى مواطنها الاصلية فيما بعد . وعليه فهي لا تسترشد في طريق هجرتها بقوة ذاكرتها بل بقوة غريزية كامنة فيها

الحر والبرد والنشاط

(فاس ــ مراكش) مصطفى عبد القادر

اقبل الصيف بقيظه وحره اللذين لا يطاقان وصار الانسان يشعر بنقصان نشاطه . فما سبب هذا النقصان في الحر وزيادته في البرد ؟

(الهلال) لان الجو البارد يبرد جلد الجسم وهذا البرد يزيد في نشاط الدورة الدموية في جسم الاعضاء وكلما زادت الدورة الدموية واشتدت أمكن نقل الاوكسجين الى مختلف الاعضاء ولا سيما الدماغ فيزيد ذلك في نشاطنا وسهولة حركتنا

سبب الجوع

(ايدجان ــ ساحل العاج) قارىء

ما هو سبب الجوع وكيف يشعر به الانسان ؟

(الهلال) في غشاء المعدة مجموعة من الاعصاب متصلة بمراكز الاعصاب التي في السلسلة الفقرية وفي مؤخرة الدماغ . فعندما يكمل هضم الطعام ولا يبقى للمعدة عمل تعمله تبعث اعصاب الغشاء برسالة الى مراكز الاعصاب لانبائها بان عملية الهضم قد تمت وبانه يجب ارسال طعام جديد الى المعدة . وهذه « الرسالة » تتحول الى شعور بالجوع وتصل الى الدماغ فيحس هذا بوجوب العودة الى الاكل

الغذاء والعمر

(ايدجان ــ ساحل العاج) ومنه

هل لنوع الغذاء أي تأثير في اطالة عمر الانسان او تقصيره ؟

(الهلال) لا شك ان للغذاء تأثيراً محسوساً في اطالة العمر أو تقصيره . وتدل احدث التجارب العلمية على ان أفضل أنواع الغذاء التي تطيل عمر الانسان هي الانواع التي تكثر فيها مادة البروتايين والكالسيوم والفيتامين « ز » أو السابع . ويخطىء الذين يزعمون أن التغذي باللحوم يقصر العمر فان الحقيقة على خلاف ذلك

الولايات المتحدة

(نيويورك ــ الولايات المتحدة) نصر شحاته

يقال ان الولايات المتحدة تكتفي بما فيها من موارد ولا تحتاج الى شيء من المواد من الخارج في حالة الحرب فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) لا شك ان الولايات المتحدة هي أغنى بلاد العالم وأقدرها على الاستغناء عن موارد غيرها . ومع ذلك فانها لا تستطيع الاستغناء عن كل شيء . والارجح انها في حالة الحرب ستكون محتاجة الى بعض المواد المعدنية وخلافها وفي مقدمتها الانتيمون والمنغنيز والكروميوم والزئبق والميكا والنيكل والقصدير والتنجستن والصوف والمطاط والكافور والبن والبود والجوت والشيلان والحرير والجلود وغيرها

سم الكوبرا

(نيويورك ــ الولايات المتحدة) ومنه

ما فائدة سم الكوبرا في معالجة السرطان

(الهلال) فائدته تخفيف الآلام كما تفعل العقاقير المخدرة ، والفرق بينه وبين تلك العقاقير انه لا يؤدي الى انشاء عادة في الشخص الذي يتعاطى ذلك المخدر

ولا يقتصر استعمال سم الكوبرا على معالجة السرطان فقط ، بل يمكن استعماله في ازالة جميع الآلام العصبية القوية بشرط الاعتدال في استعمال ذلك السم

جبال الجليد

(القدس — فلسطين) شكري ابو خضرة

يقال ان في بحار الشمال الباردة جبالا من الجليد طافية على البحر ، فهل هذه الجبال او الركام هي ماء البحر متجمدا أم هي مادة أخرى ؟

(الهلال) ليست تلك الركام من ماء البحر المالح بل هي مكونة من ثلج طبيعي قد تجمد بشكل صخور هائلة وطفا على وجه البحر

طبقات الجو العالية

(القدس — فلسطين) ومنه

هل توجد جراثيم في طبقات الجو العالية ؟

(الهلال) الارجح أنه لا أثر للجراثيم في طبقات الجو التي يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف متر أو ما يقرب من ذلك لأن الجو هنالك لا يصلح لتوالد الجراثيم لأنها لا تجد هنالك ما تتغذى به . فضلا من ان شدة البرد في ذلك الارتفاع وقلة الاوكسجين من العوامل التي تجعل الحياة متعذرة

الراديو والتليفيزيون

(منين — سوريا) صباح الدين الداوودي

هل تم اختراع جهاز واحد للراديو والتليفيزيون ، أم لا يزال لكل منهما جهاز مستقل عن الآخر ؟

(الهلال) قرأنا في بعض المجلات العلمية أن بعض مصانع الراديو تمكنت من صنع جهاز واحد لكلا الراديو والتلفيزيون . والارجح أن مخترعي التلفيزيون سيهتمون بصنع جهاز للتلفيزيون يمكن وضعه في جهاز الراديو للانتفاع بكلا الاختراعين في وقت واحد

الاثير

(سليمانية — العراق) عثمان زكي مصطفى

ما هو الاثير ومن أي مادة هو وما هي خواصه ؟

(الهلال) الاثير مادة يفرض العلماء وجودها ويفرضون انها تملأ كل فراغ وعليها تنتقل امواج الراديو والنور والحرارة من مكان الى مكان . ولم يستطع أحد حتى الآن من اثبات وجود هذه المادة بوجه قاطع ، أو ان يقيسها أو يزنها . ويقول العالم اينشتين صاحب نظرية النسبية ان وجود هذه المادة أو عدم وجودها لا يؤثر في نظريته

المقاييس والالوان

(سليمانية — العراق) ومنه

هل المقاييس والالوان التي يراها احد الناس هي هي كما يراها غيره ؟

(الهلال) الارجح انها تختلف باختلاف الاشخاص ومع ذلك فليس ثمة ما يمنع ان تكون هي هي

المطر الصناعي

(كنجستون — جامايكا) فريد حنا

قرأت في احدى الصحف العربية التي تطبع في امريكا ان الاحاً بولندياً يزعم أن في استطاعته استدرار الامطار متى شاء . وقد قام بعدة تجارب أثبت بها صحة دعواه ، فكان يأتي بعدة زجاجات فيها مادة مجهولة يسكبها على الارض ، وما هي الا ساعات حتى تظهر السحب في الجو وتهطل الامطار فما رأيكم في هذا ؟

(الهلال) هو على الارجح حديث خرافة كخرافة الذين يقولون انه يمكن استنزال المطر باطلاق المدافع بشدة . وهم يستشهدون على ذلك بقولهم ان الامطار تهطل دائماً على اثر المعارك الحربية . وهو قول لا ينطبق على الحقيقة

لورنس في التاريخ

(كوماسي — ساحل الذهب) اسعد عبود

هل ترجم احد الكتاب الذي وضعه لويل توماس عن « لورنس في بلاد العرب » وما هو حكم التاريخ على الكولونل لورنس

(الهلال) لم نقف على ترجمة الكتاب الذي تشيرون اليه . ولا نظن انه قد مر زمن يكفي للحكم

على اعمال لورنس ومساعيه بشأن العرب . ولا شك ان هذا الرجل الذى كان من الالغاز السياسية كان يحب العرب حباً جماً ويتمنى قيام دولة عربية كبيرة تعيد مجد العرب وتعيضهم عما اصابهم من الشرور والمساوىء في الخمسة قرون الاخيرة

أبرد بلاد العالم

(القاهرة — مصر) خليل الملوانى

قرأت في احدى المجلات العلمية أن القطب الشمالى ليس أبرد بقاع العالم ، وان في روسيا مقاطعات أشد برداً من القطب فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) نعم هو صحيح فان أشد درجات البرد في القطب المتجمد الشمالى كما يؤخذ من تقارير الذين ارتادوا تلك الجهات لا تزيد على خمس وثمانين درجة (بقياس فهرنهيت) تحت الصفر حالة أن في سيبريا انحاء تهبط درجة البرد فيها الى التسعين تحت الصفر . وتبلغ درجة البرد في شمال كندا بالعالم الجديد ٦٦ تحت الصفر

الخبز والفيتامين

(القاهرة — مصر) ومنه

هل في الخبز شيء من الفيتامينات ، واذا كان فيه شيء منها فكيف يحتفظ به الخبز مع انه يمر بالفرن في حرارة قوية ؟

(الهلال) الخبز غني بالفيتامين « ب » . ومن حسن الحظ ان حرارة الفرن القوية لا تزيل هذا الفيتامين والا ازالت قيمة الخبز الغذائية . والخبز كما لا يخفى اقدم مادة غذائية عرفها الانسان . ومع أن أطعمة البشر تختلف باختلاف الشعوب والاجيال، فان جميعها تشترك في أكل الخبز الذى لم تتغير طريقة صنعه منذ أقدم الازمنة الى الآن

العملية القيصرية

(الاسكندرية — مصر) عبد السميع حمدى

يقول بعض الكتاب ان العملية الجراحية المعروفة بالقيصرية، والتي يعملها الجراحون لبعض النساء بقصد توليدهن انما سميت بالقيصرية نسبة الى يوليوس قيصر الذى تمت ولادة أمه له بفضل هذه العملية ، فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) قد أشار بعض المؤرخين الى هذا الزعم ولكنه لا يستند الى شيء من الحقيقة . والارجح ان العملية القيصرية كانت معروفة قبل زمن قيصر بكثير ، بل من المحتمل ان يوليوس قيصر نفسه سمي نسبة الى هذه العملية فان معنى سيزار « أو قيصر » باللغة الرومانية القديمة قطع أو شق . فيكون معنى « يوليوس قيصر » يوليوس الذى ولد بطريق شق البطن . وبعبارة أخرى ان يوليوس قيصر لم يكن أول من ولد بطريقة العملية المذكورة فلا يمكن ان تكون تلك الطريقة منسوبة اليه

ومما يجدر بالذكر ان القانون الروماني كان يحتم اتمام العملية القيصرية لكل امرأة تموت وهي حامل وذلك لاخراج الجنين منها . وجرت بعض دول اوربا في العصور الوسطى على هذا القانون فكانت تعاقب الطبيب الذي لا يحاول اخراج الجنين من الحامل عند وفاتها . وكانت حكومة البندقية في أوائل القرن الرابع عشر شديدة الوطأة على الاطباء الذين يقصرون عن اتمام ذلك الواجب

قيصريون

(الاسكندرية — مصر) ومنه

أصحيح انه كان للملكة كليوباطرا ابن يدعى قيصريون . ومن كان أبوه ؟

(الهلال) نعم كان لها ابن يسمى بهذا الاسم وقد ادعت انه ولدها من يوليوس قيصر عندما غزا مصر، وقد أصبح قيصريون فيما بعد ملكا على مصر باسم بطليموس الرابع عشر وكان يحكم البلاد هو وأمه معاً

تاريخ الملاكمة

(اسيوط — طنطا) ميلاد حنا

هل الملاكمة فن حديث من فنون الرياضة الجسمية أم هو قديم ؟

(الهلال) كانت الملاكمة معروفة عند الشعوب القديمة وقد وردت اشارة اليها في ديوان الالياذة

لهوميروس شاعر اليونان واشار اليها ايضاً فرجيل في ديوان « الاينادة »

التين الشوكي

(بيروت — لبنان) جورج ثابت

ما موطن التين الشوكي الاصلي ، وهل كان هذا التين معروفاً عند الاقدمين ؟

(الهلال) الارجح ان مواطن التين الشوكي الاصلي (ويعرف ايضاً بالتين الهندي) هو امريكا ، ومنها انتشر في أنحاء كثيرة من العالم ، ولا سيما استراليا ، وهناك نحو مائتين وخمسين نوعاً منه . وجميع هذه الانواع تنمو بسهولة في البلاد الرملية . وهو من خير ما تعالج به الدسنطاريا على خلاف الاعتقاد الشائع بين العامة بأن هذا التين يسبب الاسهال

ثروة الولايات المتحدة

(بيروت — لبنان) ومنه

ماهو سبب ثروة الولايات المتحدة ؟

(الهلال) معظم ثروة الولايات المتحدة من معادنها ومناجمها فهي نحو ثلثي تلك الثروة

لدغة الأفعى

(الموصل — العراق) الحسيني عبد الصمد

هل تلدغ الافاعي بعضها بعضاً وهل تؤثر فيها اللدغة ؟

(الهلال) نعم فقد روى بعض العارفين بطبائع الحيوان أن الافعى قد تلدغ افعى اخرى وتقتلها بسمها ولا سيما اذا كانت الافعيان من فصيلتين مختلفتين . ومما يجدر بالذكر ما قرأناه في تقرير عن حديقة حيوانات مدينة نيويورك من ان أفعى من نوع السكوبرا الافريقية لدغت كوبرا هندية فتوفيت هذه في الحال

العصر الحجري

(الموصل — العراق) ومنه

كثيراً ما نقرأ قول بعض الكتاب : « كان ذلك في العصر الحجري » . فما هو العصر الحجري ومتى كان ؟

(الهلال) المراد بالعصر الحجري هو العصر الذي كان الانسان يستعمل فيه آلات وأدوات وقواطع مصنوعة من الحجارة ، اذ لم يكن قد اكتشف طريقة لصنع تلك الادوات من المعادن . وليس من السهل تعيين ذلك الزمن ، ولكن علماء الانثروبولوجيا يعتقدون أن ذلك العصر انتهى منذ نحو ثمانية آلاف سنة . وأكثرهم يقسمون العصر الحجري الى ثلاثة أدوار وهي الدور الاول أو « الدبليوليثي » والدور الوسط أو « الباليوليثي » والدور الاخير أو « النيوليثي » والارجح أن الدور الاخير بدأ بعد العصر الجليدي أو منذ نحو خمسة عشر الف عام على الاقل

العصران البرونزي والحديدي

(الموصل — العراق) ومنه

هل يوجد في تاريخ الحضارة عصور أخرى غير العصر الحجري ، ومتى بدأت تلك العصور وانتهت ؟

(الهلال) هنالك العصر البرونزي وهو العصر الذي استعمل فيه الانسان آلات وأدوات من البرونز . وهذا العصر يمتد من نهاية العصر الحجري الى حوالى سنة الف قبل المسيح ويليه العصر الحديدي . وقد بدأ منذ نحو ثلاثة آلاف سنة ، ولا يعلم الا الله الى أي زمن سيمتد وهو أهم العصور التي تقدم ذكرها ، ولا شك أنه قد اثر في حضارة البشر تأثيراً عظيما

الصهيونية

(يافا — فلسطين) مينا خليل صالح

هل في الانجيل اشارات صريحة الى جمع شمل اليهود في فلسطين ؟ واذا كان الامر كذلك فلماذا نقاوم مشيئة الله بمقاومة الصهيونية ؟

(الهلال) ليس في الانجيل اشارات صريحة الى ذلك ، ولكن في العهد القديم (التوراة) نبوءات يستخلص منها اليهود ان الله سيجمع شملهم في فلسطين . على ان وجود نبوءات كهذه (سواء أكان تفسيرها كما يدعي اليهود أم لم يكن) ليس دليلا على وجوب تسليم فلسطين الى الصهيونية

وثبات عبقرية
في زهد أبي نواس

بقلم الأستاذ مصطفى عبد الرازق

لأبي نواس شعر في الزهد ، وللزهد في ديوان أبي نواس ـ المطبوع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٨٩٨ م ـ باب من أحد عشر باباً هي جملة الديوان

وباب الزهد في ديوان أبي نواس ، ليس من أكبر الابواب ولا من أجودها شعراً ، لكنه على ذلك لا يخلو من وثبات عبقرية ، لذلك الشاعر العبقري

وفي كتاب « أخبار أبي نواس » لابن منظور المصري :

« كان أبو العتاهية يقول : سبقني أبو نواس الى ثلاثة أبيات،وددت اني سبقته اليها بكل ماقلته ، فانه أشعر الناس فيها ، منها قوله :

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك اكبر

وقوله : من لم يكن لله متهماً لم يمس محتاجاً الى أحد

وقوله :

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

ثم قال : « قلت في الزهد ستة عشر الف بيت وددت أن أبا نواس له ثلثها بهذه الابيات » . . . والبيت الاخير لابي نواس من قصيدة له ، أولها :

ألا رب وجه في التراب عتيق ... ويارب حسن في التراب رقيق
ويارب حزم في التراب ونجدة ... ويارب رأى في التراب وثيق
فقل لقريب الدار انك راحل ... الى منزل نائي المحل سحيق
وما الناس الا هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

وكان المأمون يقول : لو سئلت الدنيا عن نفسها فنطقت لما وصفت نفسها كما وصفها أبو نواس في قوله :

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

ومن وثبات ابى نواس في الزهد قوله :

إنَّ مع اليوم فاعلمن غداً فانظر بماينقضى مجىء غده
ما ارتد طرف امرىء بلذته الا وشيء يموت من جسده

ومنها :

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس وان تمنعت بالحجاب والحرس
فما تزال سهام الموت نافذة في جنب مدرع منها ومترس
أراك ليس بوقاف ولا حذر كالحاطب الخابط الشجراء في الغلس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

ومنها : طوتك خطوب دهرك بعد نشر كذاك خطوبه نشراً وطيا
وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وشعر أبى نواس في الزهد يدور حول ذكر الموت وما بعد الموت من حساب وعقاب :

يامن أقام على خطيئته سدت عليك مذاهب الرشد
منتك نفسك أن تتوب غداً أو ما تخاف الموت دون غد
الموت ضيف فاستعد له قبل النزول بافضل العدد
واعمل لدار أنت جاعلها دار المقامة آخر الامد
يانفس موردك الصراط غداً فتأهبي من قبل أن تردى
ما حجتى يوم الحساب اذا شهدت علىَّ بما جنيت يدى

ويدور حول التذكير بقضاء الله وقدره واطلاعه على ما ظهر من أمر الناس وما استتر والحث على التوجه اليه وحده والطمع في عفوه مع الخوف من عقابه :

يا سائل الله فزت بالظفر وبالنوال المنى لا الكدر
فارغب الى الله لا الى بشر منتقل في البلى وفي الغير
وارغب الى الله لا الى جسد منتقل من صبا الى كبر
إنَّ الذى لا يخيب سائله جوهره غير جوهر البشر
مالك بالترهات مشتغلاً أفي يديك الامان من سقر

***

يا كبير الذنب عفو الـ ـه من ذنبك اكبر
اكبر الاشياء عن أصغر عفو الله أصغر
ليس للانسان إلا ما قضى الله وقدّر
ليس للمخلوق تدبـــير بل الله المـدبر

***

كل مستخف بسر فمن الله بمرأى
لا أرى شيئاً على الا ـه من الاشياء يخفى

***

اذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب
لهونا بعمر طال حتى ترادفت ذنوب على آثارهن ذنوب

ومن المعانى التى تدور في شعر أبى نواس في الزهد، الندم على ما كان منه من سرف وعلى ما فرط فى جنب الله . فمن قصيدته التى مطلعها :

جريت مع الصبا طلق الجموح وهان على مأثور القبيح

قوله :

ألم ترنى أبحت اللهو عينى وعض مراشف الظبى المليح
وأيقن رائدي أن سوف تنأى مسافة بين جسمانى وروحي

***

ما حجتى فيما أتيت وما قولى لربي بل وما عـذرى
ألا اكون قصدت رشدى أو أقبلت ما استدبرت من أمرى
يا سوأتا مما اكتسبت ويا أسفى على ما فات من عمرى

***

فانى قد شبعت من المعاصي ومن ادمانها وشبعن منى
ومن أسوا وأقبح من لبيب يرى متطرباً فى مثـل سنى

هذا هو شعر أبى نواس في الزهد وهو لا يخلو من نفحات ابداع على قلته وكثرة ما فيه من المعاني المطروقة . وقد شهد لابي نواس بالاجادة فيباب الزهد كبير شعراء الزهد أبو العتاهية

كا أسلفنا، وشهد الجاحظ لابى نواس فى بعض قصائده في الزهد . قال ميمون بن هارون : قال لى ابراهيم بن المنذر قال الجاحظ : لا أعرف من كلام الشعر كلاماً هو أوقع ولا أحسن من كلام أبي نواس :

أية نار قدح القادح ... وأى جد بلغ المازح
لله در الشيب من واعظ ... وناصح لوحذر الناصح
يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ... ومنهج الحق له واضح
فاسم بعينيك الى نسوة ... مهورهن العمل الصالح
لا يجتلى العذراء من خدرها ... إلا امرؤ ميزانه راجح
من اتقى الله فذاك الذي ... سيق اليه المتجر الرابح
فاغد فما في الدين اغلوطة ... ورح بما أنت له رائح

أما بعد فهل كان أبو نواس صاحب هذه الزهديات زاهداً ؟

يرى بعض من ترجموا لهذا الشاعر الكبير أنه فى شيخوخته انصرف عن لذات هـذا العالم ووجه فنه الشعرى وجهة الزهد ، بعـد أن كان متجها الى الخمر والغزل والمجون والى المدح والهجاء . ولا يعدم أصحاب هذا الرأى شواهد تؤيد رأيهم في بعض ما يروى المؤرخون من أخبار أبي نواس في آخر حياته وفي بعض ما روى من أشعاره . فمن شعره قوله :

انقضت شرتى فعفت الملاهى ... إذ رمى الشيب مفرقى بالدواهي
ونهتنى النهى فملت الى العذ ... ل واشفقت من مقالة ناه
أيها الغافل المقيم على السهـ ... و ولا عذر في المعاد لساه
لا بأعمالنـا نطيق خلاصـاً ... يوم تبدو السمات فوق الجباه
غير أنا على الاساءة والتفـ ... ريط نرجو لحسن عفو الاله

وفي ترجمة أبي نواس في كتاب تاريخ بغداد :

« . . . . قال حدثنا الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعى يقول : دخلنا على ابى نواس وهو يجود بنفسه فقلنا : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال :

تعاظمنى ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منةً وتكرما
ولولاك لم يغوى بابليس عابدٌ ... وكيف وقد أغوى صفيك آدما

. . . . حدثنا على بن محمد بن زكريا قال : دخلت على ابي نواس وهو يكيد بنفسه فقال : تكتب ؟ قلت : نعم . فانشأ يقول :

دب فى الفناء سفلا وعلواً ... وأراني أموت عضواً فعضواً
ذهبت شرتي بجدة نفسي ... وتذكرت طاعة الله نضوا
ليس من ساعة مضت بى الا ... نقصتنى بمرها بي جزوا
لهف نفسى على ليال وأيا ... م سلكتهن لعبا ولهوا
وأسأنا كل الاساءة يارب ... ب فصفحاً عنا إلهى وعفوا

. . . . (ج ٧ ص ٤٤٧ — ٤٤٨)

وروى البغدادى ايضاً عن محمد بن نافع قال :

« كان ابو نواس لى صديقاً فوقعت بيني و بينه هجرة فى آخر عمره ثم بلغني وفاته فتضاعف عليَّ الحزن،فبينا أنا بين النائم واليقظان اذا أنا به فقلت:أبانواس قال:لات حين كنية قلت : الحسن بن هانىء ؟ قال : نعم . قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بابيات قلتها هى تحت ثنى الوسادة . . فاتيت أهله فلما أحسوا بي أجهشوا بالبكاء فقلت لهم : هل قال أخي شعراً قبل موته ؟ قالوا : لا نعلم الا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندرى ما هو . فقلت : أتأذنون لى فأدخل ؟ قال فدخلت الى مرقده فاذا ثيابه لم تحرك بعد فرفعت وسادة فلم أر شيئا فرفعت أخرى فاذا برقعة فيها مكتوب :

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً ... فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى اليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم اني مسلم

. . . . » (ج ٧ ص ٤٤٩)

وقد يكون لاصحاب هذا الرأى في زهد أبى نواس وجه فان الحسن بن هانىء على مايروى المؤرخون كانت نشأته الاولى على أساس دينى ، فقد نشأ بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمى ، فلما حذق القرآن رمى اليه يعقوب بخاتمه وقال له : « اذهب فانت أقرأ أهل البصرة » وذلك كما في كتاب أخبار أبى نواس لابن منظور . ويقول البغدادى :

« ونشأ بالبصرة واختلف فى طلب الحديث فسمع من حماد بن زيد وعبد الواحد بن

زياد ومعتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وأزهر بن سعد السمان »

وأبو نواس معدود في رجال الحديث وان كان رأى أهل الجرح والتعديل فيه سيئاً. قال الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال :

« أبو نواس الشاعر المفلق هو الحسن بن هانيء شعره في الذروة ولكن فسقه ظاهر وتهتكه واضح . فليس بأهل أن يروى عنه ، له رواية عن حماد بن سلمة وغيره توفي سنة نيف وتسعين ومائة » (٣٠ ص ٣٨٤)

وليس بعجيب أن يكون الحسن بن هانيء قد نزع به نازع ديني من أساس تربيته الاولى بعد أن خفت حدة جماحه بذهاب الشباب

على أن من المترجمين لابي نواس من يروون من أشعاره وأخباره ما يهدم الرأى الاول ويسوغ القول بأن أبا نواس ظل متهتكا ماجناً حتى مات ، وأن معالجته للزهد في شعره انما كانت نوعاً من الافتنان أراد به أن يغلب شعراء الزهد كما غلب الشعراء في سائر الابواب

وفي كتاب أخبار أبي نواس لابن منظور :

« قال ابو مخلد الطائي : جاء ابو العتاهية الى عندى ، فقال لى : إن أبا نواس لا يخالفك ، وقد أحببت أن تسأله ألا يقول فى الزهد شيئاً فاني قد تركت له المديح والهجاء ، والخمر ، والرقيق ، وما فيه الشعراء ، وللزهد شوق . فبعثت الى أبي نواس ، فجاء الىّ وأخذنا في شأننا وأبو العتاهية لا يشرب النبيذ معنا ، فقلت لأبى نواس : ان ابا اسحاق من قد عرفت فى جلالته وتقدمه ، وقد أحب أنك لا تقول فى الزهد شيئاً . فوجم أبو نواس عند ذلك وقال : يا أبا مخلد ، قطعت على ما كنت أحب أن أبلغه من هذا ، ولقد كنت على عزم أن اقول فيه ما يتوب به كل خليع ، وقد فعلت ، ولا أخالف ابا اسحاق فيما رغب اليه » (ص ٦٩ — ٧١)

وفى كتاب شذرات الذهب لابن العماد :

« وقال الحصري في كتابه «قطب السرور» قال ابن نوبخت : توفي ابو نواس في منزل فسمعته يوم مات يترنم بشيء فسألته عنه فأنشدني :

باح لساني بمضمر السر وذاك أني أقول بالدهر
وليس بعد الممات منقلب وإنما الموت بيضة العمر

« والتفت الى من حوله فقال : لاتشربوا الخمر صرفاً فاني شربتها صرفاً فاحرقت كبدى

ثم طفى . انتهى . فانا لله وانا اليه راجعون » (ج ١ ص ٢، ٣)

وفي كتاب تاريخ بغداد عن سليم بن منصور قال :

« رأيت أبا نواس في مجلس أبي يبكي بكاء شديداً فقلت : إني لأرجو ألا يعذبك الله بعد هذا البكاء أبداً . فانشأ يقول :

لم أبك في مجلس منصور   شوقاً الى الجنة والحور
ولا من القبر وأهواله . . .   ولا من النفخة في الصور
لكن بكائي لبكا شادن   تقيه نفسي كل محذور

« ثم قال : أما ترى الأمرد الذي عن يمين أبيك ؟ إنما بكيت لبكائه »

ويروي المؤرخون من أمثال ذلك كثيراً مما يدل على أن أبا نواس حتى في ساعات إنابته كان لايخلو من نزوات مجون وفي بعض قصائده المروية في باب الزهد مايشعر بأن نظره حين أعجزه المشيب عن التمتع بالجمال الدنيوى كان يتسامى الى التماس متاع وجمال أيضاً :

فاسم بعينيك الى نسوة   مهورهن العمل الصالح

وليس من الميسور الترجيح بين الرأيين ، والقطع بأن أبا نواس تزهد في آخر حياته وأناب فكانت زهدياته صورة خالصة لعاطفة خالصة ، أو القطع بأن أبا نواس الذى أعدته الفطرة لينعم بالحياة وتنعم به الحياة ، قضى عمره كله مستغرقاً في دنياه لاهياً عن الآخرة لا يذكرها إلا عابثاً في بعض أحواله ومنافساً لشعراء الآخرة في بعض احواله

كان أبو نواس – على مافي كتاب ابن منظور – حسن الوجه رقيق اللون ابيض حلو الشمائل ناعم الجسم ، وكان في رأسه سماحة وتسفيط ، وكان ألثغ بالراء يجعلها غيناً وكان في حلقه بحة لا تفارقه . قال : « ولما شب أسلمته أمه الى براء يبرى عود البخور ، ثم كبر وتأدب وصحب أهل المسجد والمجان واشتهى الكلام فقعد الى أصحابه فتعلم منهم شيئاً من الكلام ثم دعاه ذلك الى الزندقة ثم مجن في شعره »

ومن كانت هذه صفته وصورة حياته فالشاك في أمر زهده في متاع الحياة معذور

واذا كان الشك في زهد أبي نواس وفي إقلاعه عن عبثه ومجونه قد جعل صاحب ميزان الاعتدال في نقد الرجال يهدر قيمة الرجل بين الرواة ، فان للفن وللنقد الفني ميزاناً غير ذلك الميزان ولم يفت الذهبي ذلك إذ قال إن شعره في الذروة . فزهد أبي نواس موضع للريب أما عظمته الشعرية فهي فوق الارتياب

مصطفى عبد الرازق

نفس ابن هانئ

بين عمر الخيام وأبي نواس

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

نفس أبي نواس نفس خليع مطبوع

والفرق بين الخليع المطبوع وغير المطبوع أن الاول قد يخترع المجانة والتهتك إن خلق في بيئة لا تعرفها ولا تستبيح الظهور بها . أما الخليع « غير المطبوع » فقد تمضي حياته كلها لا يذوق كأساً من الخمر ولا يقترف فاحشة ولا يخرج على العرف ان لم يجد من بيئته من يغريه وما يغريه ، فهو مقلد في الخلاعة منساق مع القدرة والغواية « الخارجية » وليس له من داخل نفسه دافع الى الغواية

> « .. نفس الخيام نفس الحائر القانط ونفس أبي نواس نفس الخليع الذي ولد خليعا بفطرته ، وزادته تربية الشرود والهيام خلاعة على خلاعته . وشتان المزاجان والعقلان والشعران .. »

وغريب عند بعض الناس أن يكون الشاعر الخليع محسناً في أبواب الزهد والحكمة والمواعظ الدينية أو الخلقية التي لا تصدر في ظنهم الا عن نفس صالحة وطبيعة متعالية على الشهوات . أما الحقيقة فليس في ذلك غرابة إلا في الظاهر والعنوان ، فمن شأن الخليع أحياناً أن يشعر بالوحشة التي تعقب اللذة ، وبالهبوط الذي يجيء بعد الاسراف في الشهوات واختلال الجسم من أثر ذلك الاسراف . وفي وسعنا أن نتحقق ذلك اذا نحن راقبنا أحوال السكارى المدمنين كلما شعروا بالوحشة والهبوط وتوهموا احتقار الناس اياهم واستياءهم منهم بسبب صحيح أو غير صحيح . فانهم في هذه الحالة يكثرون من الاعتذار وطلب الغفران واختلاق الاسباب التي تستوجب التشفع وتبكيت الضمير . وليست هذه حالة توبة وارعواء ولكنها حالة ضعف توهمهم أنهم محتقرون منبوذون بين الناس فيأخذون في دفع هذا الشعور بالتوسل والرجاء واستعادة ما فقدوه من الرعاية والتوقير بالمعاذير والشفاعات وذرائع الغفران ، ثم تزول هذه الوحشة فيعودون الى ما كانوا فيه غير حافلين بالملام أو التحقير

ويشبه هذا ما هو معهود في الحواضر المصرية بين أناس من محترفي الغناء والرقص وما اليهما من الصناعات التى كانت فيما مضى تلازم حياة السهر والمعاقرة ومخالفة العرف والادب المألوف ، فان أفراداً غير قليلين من هذه الفئة يقضون العام كله في تلك الحياة الخليعة ، حتى يحين الشهر أو الاسبوع الذى يحتفل فيه بمولد ولي من الاولياء أو شيخ من الشيوخ ، فاذا هم متنسكون متخشعون ملازمون لضريح الشيخ أو الولي ، يتبرعون بالغناء والقراءة لانهم « محسوبون » على صاحب الضريح يلتمسون بشفاعته النجاة والتكفير

وانما يلجأ هؤلاء الافراد الى « الحماية » النفسية على هذا النمط لان الخلاعة ضعفا هو أشبه الاشياء عند من يجهله بالتوبة وتبكيت الضمير ، ومن دأب هذا الضعف أن يدفع بصاحبه الى طلب « الحماية » من العالم المجهول ، إذا كان الخطر في ضعفهم غير ظاهر للعيان ولا بالغ درجة الخبل الذى يخلق لصاحبه الاخطار من الاشباح والرؤى والمسموعات ، ولذلك تتشابه « التوبة » المصطنعة وتلك التوبة الحقيقية المنشودة عند رجال الدين والاخلاق

ومع هذا تقرأ زهديات ابي نواس فلا تخطىء في كثير منها شعور اللذة الحسية أو النظرة الحسية الى متاع الحياة كقوله مثلا بعد المشيب :

لله در الشيب من واعظ وناصح لو حظى الناصح
يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح
فاسم بعينيك الى نسوة مهورهن العمل الصالح
لا يجتلى الحوراء في خدرها إلا امرؤ ميزانه راجح
من اتقى الله فذاك الذي سيق اليه المتجر الرابح

فهذا هو الرجل « الخليع » قد شاب ونظر بعد الشباب الى المتعة التى يسمو اليها من يشيبون وينتقلون الى الجنات ، وهو يقارن هنا بين متعتين احداها ولت ، والثانية لا تزال ميسورة لمن يشتريها بثمنها ، وهو المتجر الرابح متجر التقوى والصلاح

أو كقوله : أيا رب وجه في التراب عتيق ويارب حسن في التراب رقيق
ويارب حزم في التراب ونجدة ويارب رأى في التراب وثيق
أرى كل حي هالكا وابن هالك وذا حسب في العالمين عريق

ذلك هو شعور الآسف على الدنيا ومباهجها ومواطن الرجاء فيها ، وليس هو شعور المعرض عن الدنيا لانه مطبوع على الزهد ومتانة الايمان بما وراء الظواهر والمحسوسات

وقس على ما تقدم قصائد شتى من « زهدياته » التي يستغربها بعض قارئيه وهي أقرب ما تكون الى أصحاب ذلك المزاج

***

ومن الناس ـ وفيهم بعض النقاد الاوربيين ـ من يقارن بين خمريات أبي نواس وخمريات عمر الخيام لانهما كليهما مولعان بالخمر والمتعة بجمال الحسان

ذلك خطأ من أشد الاخطاء وابعدها عن فهم الشاعرين على السواء . فالخيام يطلب اللهو بالخمر والغزل لانه طلب ما هو أعلى من ذلك في دنياه فلم يجده ولم يخطر له رجاء في وجوده ، طلب الحقيقة وطلب أسرار الحياة وطلب النفاذ الى ما بعد الموت فلم يصل الى قرار مقنع مريح . فهو من ثم يطلب الخمر والغزل ليتسلى بهما عما هو أعز وأغلى ولكنه مفقود في دنياه

أما ابو نواس فالخمر والغزل هما الشيء الاعز والاغلى فيما يخصه ويتوق اليه ، وهو يعاقر الخمر وينشد المتعة الجسدية مع اطمئنانه الى الحقيقة التي يعتقدها والاسرار التي يؤمن بها والجنة التي ينتظرها بعد الممات ، لانه مسلم لم يتشكك في عالم الغيب ولم ير إلا ان العالم الآخر كائن موجود كهذا العالم المشهود ، وعلى الرغم من هذا هو يتخطى السر والايمان الى عالم اللذات والشهوات ، لانه شيء مطلوب لذاته على خلاف كل تحذير وتخويف ، واذا كان العالم الآخر شيئاً مطلوباً كذلك فانما هو مطلوب لانه يسمو فيه الى « نشوة » مهورهن العمل الصالح ، أي يسمو فيه الى متعة أعلى وأجمل من التي تفتنه هنا وتستغويه

نفس الخيام نفس الحائر القانط

ونفس أبي نواس نفس الخليع الذي ولد خليعاً بفطرته ، وزادته تربية الشرود والهيام خلاعة على خلاعته ، وشتان المزاجان والعقلان والشعران !

***

ويعزى الى ابي نواس اصلاح قيم في الشعر وجنوح الى التجديد فيه كاستهزائه بوصف الاطلال وما اليها من تلفيق الاستهلال . وهو اصلاح قيم كما قلنا ولكنه في مبعثه يرجع الى نفس « الخليع » كما يرجع اليها السيء والحسن من ملكاته وفنونه

فالخليع مطبوع على تحدي « العرف » والزراية « بالسلطة » المسموعة المطاعة . ويحلو له كثيراً أن يهزأ بما يوقره الناس ويستخف بما تعودوه وهابوه ، ولا سيما ما كان منه موسوماً

بالخشونة والجلافة ومحاكاة الخشنين والاجلاف، وان زراية ابي نواس بالاطلال وعادات العرب في الشعر لهي من نوع هذه « الشطارة » الماجنة أو من نوع التهكم الذي يتهكمه « ابن البلد » المعربد بابن الريف الساذج المتزمت في سمت الوقار والحياء، فهي نزوة من نزوات خلاعته تتمثل فيها ابن بغداد في عصر الترف والبذخ والشهوات يناجن على بدوى واقف عند طلل في الصحراء يبكيه ويحن الى معيشته في جواره

ومن معاكسات هذه الخلاعة او نزواتها ما يدفع الخليع الى المضحكات في تحديه للعرف والاجماع. ألا ترى الى بشار بن برد وهو يتحدى « الآدميين » فيقول في لهجة الغاضب الغيور :

ابليس اشرف من ابيكم آدم فتبينوا يا معشر الاشرار
النار عنصره وآدم طينة والطين لا يسمو سمو النار

فلمن يغضب بشار هذه الغضبة ؟ ومن أى معشر هو غير معشر أولئك « الاشرار » ؟ لا غضب هنا ولا رأى ولا جد ولا مقارنة ، وانما هنا خلاعة ينادى صاحبها فيها حتى يخلع نفسه عن الآدمية كلها لا عن قبيلة من القبائل أو بلد من البلدان

استحضر نفس الخليع المطبوع في هزله وجده وفيما يحب وما يكره وفيما يبدو من تقواه أو فجوره تستحضر نفس ابي نواس بحذافيرها وتفهمه في أدبه وشعره كما تفهمه في أخلاقه ومزاجه

عباس محمود العقاد

بنينا على كسرى سماء مدامة
مكللة حافاتها بنجوم
فلو رد فى كسرى بن ساسان روحه
إذن لاصطفانى دون كل نديم

« ابو نواس »

فن أبي نواس

مثال لطرب الفنان بفنه

بقلم الأستاذ عبد الرحمن شكري



ابو نواس كما تخيله جبران خليل جبران

منذ نحو خمس وثلاثين سنة كنت اقرأ مقامات بديع الزمان الهمذانى ، فرأيت فى واحدة منها قصيدة سينية منسوبة الى الحسن ابن هانىء يصف فيها كيف كان الادباء فى ذلك العصر يلجأون الى الاديرة للسمر والقصف ومعاقرة الدنان ، حيث لا رقيب من شرطة أو عسس وحيث الخمور غير محرمة بل كثيراً ما كان يصنعها رهبان الادىرة . وفى القصيدة يداعب ابن هانىء الرهبان وقد كشفت لى هذه القصيدة عن حياة غريبة ودلت على ناحية من نواحى المعيشة فى أيامه ورأيت أسلوب القصيدة سلسا له نغمة موسيقية خاصة فاشتريت ديوانه وقرأته

وعندى ان الصفة المميزة لشعره هى صفة فى الاسلوب ناشئة من طرب الفنان بفنه ، فهى صفة تنتقل من النفس الى اللفظ او إلى أية أداة أخرى اذا كان الفن غير فن الشعر وهى صفة تدرك أكثر مما توصف ، وتراها فى كل باب من أبواب الشعر حتى باب الزهد فان للفنان أيضاً طرباً بالزهد كطربه باللهو

واذا كان أبو تمام قد لقب أبا نواس بالاستاذ والحاذق فلأنه هو الذى فتح باباً توغل فيه إبو تمام وأعنى باب الصنعة البيانية ، وهو حاذق فيها لأنها كانت وليدة طرب الفن ، فكانت طبيعية غير نابية حتى لا يكاد القارىء يحسها الا اذا بحث عنها عامداً ، فهو فى فنه كالممثل الحاذق فى فنه ينسيك أنه يمثل كما ان المصور البارع ينسيك أدوات فنه من دهان وزيت حتى لتحسب أنك ترى جزءاً من الطبيعة والشاعر الحاذق أيضاً ينسيك صنعته البيانية مع اجادته فيها

وقد كان لابى تمام أيضا نصيب وافر من هذا الطرب الفنى ، الا أن أبا تمام كان يدفعه طرب الصياغة والصناعة البيانية أحياناً الى المغالاة فى أساليبه البيانية من استعارات وتشبيهات . وقد

أحس كثير من الشعراء بما أحس به أبو تمام وفطنوا الى ان الحسن بن هانى كان استاذاً للشعراء فى صنعته ، فكان منتهى ما يسمون اليه ان يحاكوا قصائده وان ينسجوا على منوالها كما فعلوا فى احتذاء قصيدته التى مطلعها : « حى الديار إذ الزمان زمان » ، والتى مطلعها : « يا دار ما فعلت بك الايام » ، والتى مطلعها : « أيها المنتاب من عفره » ، والتى مطلعها : « دع عنك لومى فان اللوم اغراء » ، والتى مطلعها : « حامل الهوى تعب » ، والتى مطلعها : « اجارة بيتينا أبوك غيور » ، وقد كان النقاد لا يقرون لشعراء المغرب ببلوغ منزلة المشارقة فى الاجادة ، حتى احتذى ابن دراج الاندلسى قصيدة ابى نواس التى مطلعها : « اجارة بيتينا ابوك غيور » ، وقد أجاد ابن دراج فى قصيدته كل اجادة عند وصفه وداعه لزوجه وابنه الصغير . وهى قصيدة قلما تطاول فى هذا الموضوع . وحبذا لو أتيح لديوانه من ينشره ! فان ابن دراج شاعر مغمور ومن يستطيع أن يجيد اجادته فى قصيدته الرائية يستطيع ان يجيد فى غيرها فلا بد ان له شعراً جيداً مغموراً . وقد احتذى البارودى أيضاً قصيدة أبى نواس الرائية . وكل هذا الاحتذاء فضل للشاعر الذى احتذاه الشعراء واعتراف منهم أنه استاذهم . ومن المشاهد ان الطرب الفنى الذى قدمه فى الشعر وجعله أستاذاً للشعراء لا يفارقه حتى فى زهده ، فترى له فى الزهد قصائد يكاد يتغنى بها أو تردد ترديد المستجيد لما فيها من طرب الفنان بفنه مثل قوله :

خل جنبيك لرام وامض عنه بسلام

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

الى أن قال : والبس الناس على الصحة منهم والسقام

أو قصيدته التى مطلعها : « يا بنى النقص والعبر »

ولعل طربه بفنه وهو طرب نفسانى هو الذى غطى على تأنقه اللفظى فى كثير من شعره حتى سارت أبيات كثيرة له مسير الاقوال التى يتمثل بها وقد ينسى اسم صاحبها . ومن أبياته التى يتمثل بها قوله :

وليس لله بمستكثر ان يجمع العالم فى واحد

يقال فى المدح وقد ورد أيضاً (ليس على الله بمستكثر) وهاتان الروايتان صحيحتان فى الوزن ولكن بعض الكتاب يخلطون ويكسرون البيت فيقولون (وليس على الله) ومن الابيات التى يتمثل بها أيضاً قوله :

يزيدك وجهه حسناً اذا ما زدته نظرا

وقوله : لا يرحم الله الا راحم الناس

وقوله : لاتتناهى النفس عن غيها ما لم يكن منها لها ناه

وقوله : فود بجدع الأنف لو ان ظهرها من الناس أعرى من سراة أديم

وقوله : مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

وقوله : دارت على فتية دار الزمان بهم فما يصيبهم إلا بما شاءوا

وهذا البيت الاخير يذكرنى قول جويتى الالمانى : « الحكمة هى ان يجعل الانسان ارادته فيما يريده له القدر حتى اذا أصابه القدر بشىء كان كأنما شاء أن يصيبه به القدر » وهذا فيه معنى الاسلام وروحه . ومن صفات الحسن بن هانىء فى شعره الجرأة والصراحة ، وقد رووا أن الخليفة أراد أن يحده حد معاقر الخمر لأنه أجاد فى وصفها اجادة لايجيد مثلها إلا المعاقر فقال ابو نواس : « وكيف عرفت يا امير المؤمنين انى أجدت وصفها وانت لم تذقها ؟ » وكأنما يريد ابن هانىء أن يورط الخليفة وقد كان ابن هانىء جريئاً على الله حين قال يدعو صديقاً لمعاقرة الخمر :

يا احمد المرتجى فى كل نائبة قم سيدى نعص جبار السموات

وقد قادته جرأته فى شعره الى السجن لهجائه عدنان

ومن جرأته هجاؤه الأمراء والوزراء ، كما هجا جعفر بن يحيى البرمكى ، وتظهر هذه الجرأة بمظهر التعزز واكرام النفس كما فى قوله وقد تكبر عليه ذو مال :

ومستعبد اخوانه بثرائه لبست له كبرا أبر على الكبر

الى أن قال : لقد زادنى تيها على الناس اننى أرانى أغناهم وان كنت ذا فقر

وقد يبلغ به اكرام النفس مبلغا يحس فيه الجفاء المستتر الذى يعبر عنه ألطف تعبير فى قوله :

لم ترض عنى وان قربت متكئى يا راضى الوجه عن ساخط الجود

بل استترت باظهار البشاشة لى والبشر مثل استتار النار فى العود

ولا ننسى أنه كان مثل غيره من الشعراء يستجدى بشعره وان كان الشعراء يرون لانفسهم حقاً فيما يصيبون من المال لادبهم وفطنتهم وبلاغتهم . ومجونه هو مظهر آخر من مظاهر هذه الجرأة المشاهدة فى شعره . ومما يؤسف له أن كثيراً من المجون الذى قاله فى مباذله خلد ، وهذا المجون هو أشبه بما تسمعه من المجون حتى فى مجالس الوجهاء والعظماء والادباء ، ولكنه لايؤخذ عليهم لأنه لاينشر . فكم من كبير يغرى بالقصص القذرة يسردها ويتمززها وبالنكات المجونية اللفظية والمعنوية يستحلى ترددها فى فمه ثم ينكر نسبتها اليه اذا اقتضى الامر انكارها . وقد اعتذر ابو نواس عن مجونه فى قوله :

عف ضميرى هازل لفظى وفى نظرى عرامه

ويقول ان مذهبه الحقيقى فى الحب الاستمتاع بالنظر . وربما كان هذا الاعتذار منه عند ماقارب الشيخوخة التى يصفها فى قوله :

أرانى مع الاحياء حيا واكثرى على الدهر ميت قد تخرمه الدهر

وله قصيدة يذم فيها عيشة البدو ويصف أثر الحضارة . وهو فى وصفه كاتب ديوان الخراج

فيها كأنما يصف شابا باريزيا بالغ فى التجمل والتطيب والتأنق . وهو فى القصيدة أيضا يعلل مذهبه فى بعض نواحى غزله . وهذه القصيدة تكشف لنا عن نواح من حياة القوم فى ذلك الزمن وأعنى القصيدة التى يقول فى مطلعها : «دع الرسم الذى دثرا» . ولكن من مجونه مالايصح ايداعه حيث يسهل أن يستعيره ويطلع عليه الشبان المراهقون ، لأن أثره فى سن المراهقة غير محمود . ومثله مثل كثير من دواوين العرب وكتبهم فان بها القليل أو الكثير مما ليس له قيمة تاريخية أو أية قيمة أخرى ولا يمكن الاستشهاد ببعضه

وربما شابه الحسن بن هانىء الشاعر الفرنسى بول فرلين . فكلاهما كان يكثر من معاقرة الخمر ، وهما شبيهان فى بعض نواحى غزلها وفى رقة الشعر وفى ندمهما وتوبتهما ، وان كانت توبة فرلين توبة متكررة أى توبة العائد وكلاهما قد سجن ، ولكن لكل مقارنة حداً

عبد الرحمن شكرى

• لما قال ابو نواس :

يقولون فى الشيب الوقار لأهله وشيبى بحمد الله غير وقار

امر الرشيد باحضاره . وقال له : « ويلك ! أتخالف الاسلام ؟ » قال ابونواس : « وماذاك يا امير المؤمنين ؟ » قال : « يقول رسول الله (ص) « لايشيب الرجل المؤمن شيبة فى الاسلام الا كانت له حجابا من النار » وتقول انت كذا وكذا . وما أظنك الا على غير دين الاسلام » فقال : « يا أمير المؤمنين . جعلنى الله فداك — فانى قلت بعده :

اذا كنت لا أنفك عن طاعة الهوى فان الهوى يرمى الفتى ببوار »

قال الرشيد : « أنت أعلم بخبث لسانك . . »

• قال ابو حاتم : « لولا ان العامة ابتذلت هذين البيتين — وهما لأبى نواس — لكتبتهما بماء الذهب :

ولو انى استزدتك فوق ما بى من البلوى لأعوزك المزيد
ولو عرضت على الموتى حياةٌ بعيش مثل عيشى لم يريدوا

ابن هانئ

الشاعر المجدّد

بقلم الأستاذ أحمد أمين

« .. كان ابو نواس مجدداً يدعو الى الحياة الواقعية في باب اللذائذ ، ويسير في كثير من الاحيان على نمط السابقين في باب المديح — وشأنه في ذلك شأنه في اللغة والاسلوب ايضاً ، فهو في باب اللذائذ يذوب رقة ، وينفر من الغريب ، ويترك نفسه على سجيتها لا تكلف ولا تصنع ، وهو في باب المديح جار على نمط القدماء »

شهد العصر العباسي الاول زعيمين من زعماء التجديد في الشعر : أولهما بشار بن برد وثانيهما أبو نواس

فأما بشار فأكبر ميزة له — استحق من أجلها أن يلقب بزعيم المحدثين — أنه كان فناناً بارعاً ، استطاع أن يصور بفنه الحياة الاجتماعية الجديدة في العصر العباسي تصويراً دقيقاً — فقد تغير نظام الحياة الاجتماعية عما كان عليه في الدولة الاموية في جميع مناحي الحياة : في اللهو وفي الجد ، وفي السياسة وفي العلم ، وفي النزعات المختلفة من عصبية عربية وميل الى الشعوبية وغير ذلك ، فكانت كل هذه النواحي تتطلب شاعراً ماهراً ينغمس فيها ويصورها ، ويغترف منها ويعرضها ، لا يكون مقلداً في شعره جاهلياً ولا أموياً ، لأن الحياة العباسية ليست جاهلية ولا أموية ، فوجدت في بشار لسانها الناطق وريشتها الماهرة ويدها الفنانة . فغزله لم يكن بدوياً متعففاً إنما كان حضرياً متهتكاً ، وفخره لم يكن بقبيلته انما كان بفارسيته ، وهجاؤه لم يكن كهجاء جرير والفرزدق والاخطل يعير بعضهم بعضاً بفعال القبائل ، انما كان يهجو بالرمي بالكفر والزندقة والقدح في الأعراض في فحش وشناعة ، وعلى الجملة فكان يجيد صياغة ما يتحدث به الناس وما يحبون وما يكرهون وما يعرفون وما ينكرون ، وكما أصبحت حياة الناس ناعمة رخوة أصبح شعر بشار في الكثير الغالب ناعماً رخواً يفهمه الرجال والنساء ، والاحرار والاماء ، ويتمثلون به في مواقفهم ، ويتغنون به في مجالسهم ،

و يشعرون أنه المعبر عن عواطفهم ، المغذي لمشاعرهم – إن أغرم الاصمعى وابو عمرو بن العلاء وأمثالها من العلماء بشعر الجاهلية و بشعر جرير والفرزدق والاخطل من الامويين ، للغته وغريبه ، فان الشعب أغرم بشعر بشار لانه صورة صادقة له ، يمثل حياته ويرسم آماله وآلامه

من أجل هذا كله كان بشار زعيم المجددين

المجدد الثانى

وجاء بعده أبونواس فسار على أثره وجدد ما فاته ، فان كان بشار يستحق لقب « المجدد الاول » فأن ابا نواس يستحق لقب « المجدد الثانى »

ولنعرض الآن فى ايجاز لضروب التجديد التى أتى بها ابونواس

رأى أبو نواس طائفة كثيرة من الشعراء لا يزالون يتبعون منهج الجاهلية في الشعر ، فيبدأون بالوقوف على الاطلال ، وبكاء النؤى والاحجار ، ولا أطلال في العراق ولا نؤى ولا احجار ، و يشمون الشيح والقيصوم ولا شيح ولا قيصوم – ويشعرون شعراً بدوياً ، وهم يعيشون عيشا حضرياً ، فيصفون الابل وسيرها ، والصحراء وأرضها ونبتها ، والصيد وضباعه وذئابه ، والجزور وما فعلوا به ، والخيام وطنبها وأوتادها ، ويعددون أسماء القبائل وفعالها – ولا شيء لهم فى الحقيقة من ذلك ، لا يصفون واقعا وانما يصفون خيالا ، ولا يعبرون تعبيراً صادقاً ولكن تقليداً وادعاء – فصرخ فيهم ابو نواس صرخة قوية ، يريد أن يردهم عن باطلهم ، ويصدهم عن تصنعهم ، ويطلب اليهم أن يصفوا أنفسهم ، ويشعروا في واقعهم ، فاذا لم يشموا عراراً فيجب ألا يذكروا العرار ، وانما يذكرون الورد والنرجس ، واذا كانوا لا يشربون الخمر ، فلا يصفون شرب الالبان ، واذا كانوا يأكلون لحوم الضان ، فلا يذكرون أكل الضب ، واذا كانوا لا ينتسبون الى قبائل فما معنى ذكر أسد وطىء وتميم وقيس – وقد أكثر من ذلك في قصائده ولا سيما الخمريات فقل أن تخلو قصيدة فيها من التنبيه على هذا المعنى

دع الاطلال تسفيها الجنوب وتبكى عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء ارضاً تخب بها النجيبة والنجيب
ولا تأخذ عن الاعراب لهواً ولا عيشا فعيشهم جديب
ذر الالبان يشربها أناس رقيق العيش عندهم غريب

بأرض نبتها عشر وطلح ... واكثر صيدها ضبع وذيب
إذا راب الحليب فبل عليه ... ولا تحرج فما في ذاك حوب
فاطيب منه صافية شمول ... يطوف بكأسها ساق أريب

عاج الشقي على رسم يسائله ... وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكي على طلل الماضين من أسد ... لا در درك قل لي : من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس ولفهما ... ليس الاعاريب عند الله من أحد
لا جف دمع الذي يبكي على حجر ... ولا صفا قلب من يصبو الى وتد
كم بين ناعت خمر في دساكرها ... وبين باك على نؤى ومنتضد

والديوان مملوء بالشواهد على هذا المعنى ، فهو يريد أن يكون الشعراء واقعيين ، يصفون حياتهم ، ويذكرون لذاتهم . ولا لذة عنده خير من الخمر . ولا ذكر أحلى عنده من ذكر الخمر - وهو فى هذا أسبق الشعراء الى هذه الدعوة فيما أعلم وأصرحهم . وان كانت دعوته لم تلق نجاحاً كبيراً ، فظل الشعراء بعده الى يومنا يصفون الاطلال ويتطعمون الفيافي على ظهور الابل ويستعذبون ذكر الجمل والهودج . وان ركبوا القطار والطيارة ، حتى ان أبا نواس لم يلتزم مذهبه دائما ووقع فيما حذر منه أحياناً فكان يقول مثلا :

اربع البلى ان الخشوع لباد ... عليك وانى لم أخنك ودادى

ويقول :

لمن دمن تزداد حسن رسوم ... على طول ما أقوت وطيب نسيم

ويقول :

ألا حي أطلال الرسوم الطواسما ... عفت غير سفع كالحمام جواثما

ابرز نواحيه فى التجديد

وعلى العموم فقد كان مجددا يدعو الى الحياة الواقعية فى باب اللذائذ ، ويسير في كثير من الأحيان على نمط السابقين في باب المديح - وشأنه في ذلك شأنه فى اللغة والاسلوب أيضاً . فهو فى باب اللذائذ يذوب رقة ، وينفر من الغريب ، ويترك نفسه على سجيتها لا تكلف ولا تصنع ، وهو في باب المديح جزل الاسلوب ، جار على نمط القدماء ،

مستعمل للغريب من الالفاظ ، والرصين من الاساليب ، كما ترى في قصيدته « أيها المنتاب من عفره »

ومن أهم ما أتى به أبونواس أنه فلسف اللذة كما فلسف ابو العتاهية الزهد ، لقد أوتي أبو نواس حساً مرهفا لادراك اللذة ، وشعوراً حساساً دقيقاً للاستمتاع بها ، ولساناً فنانا في التعبير عنها ، يلذ الخمر والغلمان و يلذ أن يسمع اسميهما . و يلذ أن يقول فيهما فأفاض في الحديث عنهما كما أفاض في الاستمتاع بهما . وأخذ يولد المعانى فيهما حتى كاد لا يدع معنى لقائل

قد شعر بشار في الخمر قبله ولكن ما وصل الينا من شعره فيها قليل . وهو فيه لا يكاد يخرج عما استنه قبله الاعشى والأخطل . وقال فيها مسلم بن الوليد فابدع بعض الابداع ولكن أحدا منهما لم يدان ما قال فيها ابو نواس . لقد أبدع في تصويرها وتشبيهها وفعلها في النفس ، كما أبدع في كل ما يتصل بها من نديم وساق وكأس وخمار ، وكما أبدع في وصف مجلسها وما فيه من ريحان وأزهار وطرب وغناء وجوار وغلمان

يشربها صرفا وممزوجة ، وفى السر والجهر ، وشربا متواصلا ومتقطعا ، ومطبوخة بالشمس وبالنار ، وفى الدور وفي البساتين ، وساقيه جارية أو غلام ، أو جارية فى زى غلام . و يشرب فى الارطال وفى الكؤوس المسجدية قد صورت عليها التصاوير . وهو في كل هذه يصف فيجيد الوصف و يظل وراء المعنى يولده و يقلبه على أشكاله المختلفة حتى يستنفده ، وما يفوته في قصيدة يتممه في أخرى حتى أوفى في ذلك على الغاية ، وخلف للشعراء بعده ثروة ظلوا ينفقون منها الى اليوم . و يطول بنا القول لو عددنا المعاني التى ابتكرها والمعانى التى أخذها من غيره فجملها و زينها ، وأخذها - كما يقولون - عباءة وأخرجها ديباجا

كذلك كان شأنه في الغزل بالمذكر بل هو منشىء هذا الباب وفاتحه على مصراعيه . فقد فشا حب الغلمان ، والحديث عن الغلمان في عصر أبى نواس اكثر مما كان في عصر بشار . وأفرط الناس فيه وتسرب الى قصور بعض الخلفاء حتى إن زبيدة رأت هذا الميل في الامين فاتخذت له سربا من الجوارى في زى الغلمان وأطلق عليهن « الغلاميات » فكان ابو نواس أصدق معبر عن هذا المرض الاجتماعى لتهتكه وفجوره . ولنشأته منذ صباه هذه النشأة . فتفنن ما شاء في وصف الغلمان وقدودهم وخدودهم . وكل ما يتصل بهم وكون من ذلك كله بابا فى غزل المذكر على نمط ما قال الشعراء قبله في غزل المؤنث . وأضاف الى ابواب الادب بابا جديدا لا يزال مفتوحا الى اليوم

فكاهته الحلوة

وشيء آخر كان لأبي نواس فيه الحظ الاوفر والقدح المعلى . وهو فكاهته الحلوة ونادرته العذبة ومجونه الفكه . فقد كان ينغمس – كما قلنا – في الملاهي والملذات وبعل منها وينهل ، وقد كان مع هذا صريحا الى اقصى حدود الصراحة . لايهاب أحدا ، ولا يرعى دينا . فيرسل نفسه على سجيتها ويصوغ من مجالسه وحياته وخلانه وندمانه شعرا لطيفاً يستخرج العجب ويثير الضحك . ويعمد الى من يعيبون عليه استهتاره والى المتزمتين من رجال الدين ورجال اللغة والى الثقلاء من أى صنف ، فيهجوهم ويتنادر عليهم ويلذعهم لذعا فاحشا مؤلماً في لغة سهلة سلسة يفهمها كل من سمعها ، وفي دعابة قاسية مضحكة

ومن أجل ذلك اشتهر أبو نواس بالفكاهة والمجون. وجرى أهل زمانه على مثاله فداعبوا مداعبته ومزحوا مزاحه . وأرادوا ذيوع نوادرهم وأن تقع من الناس موقعا حسنا فنسبوها اليه كما نسبوا الى « جحا » كل ما صنع بعده من جنس قصصه وملحه

أما بعد فقد وضع ابو نواس في الادب العربي أسسا ان لم ترض الاخلاق ، فقد أرضت فن الادب . وان كرهها رجال الدين ، فقد أحبها رجال الفن . على أن رجال الدين ورجال الاخلاق وان كرهوها من أبي نواس وشددوا النكير عليها ، فلم يمنعوا انفسهم من الانتفاع بها والاستفادة منها ، فقال الصوفية في الغزل الالهي ما قال ابو نواس في الغزل المادى ، ووصفوا خمرهم الروحية بما وصف به ابو نواس خمره الحسية ، وما قاله ابو نواس صراحة ، قالوه هم كناية ، فكان هو المشرع لهم ، وسالك الطريق قبلهم

احمد امين



المفتن أبو نواس

إذا طلبت الفن فعند أبي نواس

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشري

« .. أبو نواس شاعر كما هو انسان . وانك اذا طلبت الرجل المفتن الكامل وقد ملك الفن عليه كل مذاهبه ، وخالطه من جميع اقطاره وجري في اعراقه مجري دمه . انك اذا طلبت هذا المفتن التام ، فارجو أن تجده في هذا الشاعر ابي نواس .. »

ترى هل بلغ أبو نواس ما بلغ فى شعراء العربية ، وذهب له ما ذهب من ذكر وصيت لأنه قال فى مدح الرشيد :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه
لتخافك النطف التى لم تخلق ؟

او تراه اصاب هذا الحظ لأنه قال فى مدح الامين :

وإذا المطى بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام ؟

أو تراه حقا (ابن قوله) فى مدحته للعباس بن عبيد الله بن ابى جعفر المنصور :

لا تسدين الى عارفة حتى اقوم بشكر ما سلفا ؟

أو لعله قد دوى باسمه السهل والجبل لانه قال كيت وكيت . فأتى فى المديح والهجاء ، والرثاء ووصف الجياد والنجاء ، بألوان من المبالغات كثيراً ما كانت سبيل السيرورة ، ومبعث النباهة وسطوع الصيت ! — اللهم لا ! . وإذا ظن ان من متقدمى الشعراء من رفع بعض النقدة بمثل هذا انباسهم واقدارهم فثبت به ذكرهم على الايام ، فان ابا نواس لم يخلد به ، ولا كان قط مدينا له ، وإن كان قد جاء منه بما لم يتنه فيه كثير من اعلام البيان منتهاه !

الواقع ان ابا نواس كان من اولئك الافذاذ الذين يشح الزمان بهم ، فلا يتفضل بامثالهم إلا نطافا فى اثناء الحقب الطوال . ولعل كلمة « فلان نسيج وحده » التى ينفضها ابناء العرب على المرء إذا عز أكفاؤه ، لا تبلغ موضعها الحق من الجد والصدق والاشراق قدر ما تبلغ إذا اضيفت إلى هذا الرجل العظيم !

ابو نواس شاعر فحل ! يرفعه نقدة البيان إلى الذروة . ويسلكونه فى نظام جميع مع أشعر شعراء عصره ، وقد يؤثرونه على بعضهم ، ويرفعون منزلته عليهم . ما فى هذا شك ولا كان يوما فى مطرح الحوار بين أهل البصر بمنازع الكلام

اذن فابو نواس شاعر من أجل شعراء العصر العباسي الاول ، وقد احله عند كثرة الناس هذا المحل أنه مدح فلم يتخلف عن ابلغ المادحين ، ووصف فكان من أجود الواصفين . وضرب فى سائر فنون الشعر فما ونى فى شىء ولا قصر ، بل أرسل من سوابق القريض ما لا يتعلق بغباره ولا يسهل ترسم آثاره ، وماله لايبلغ هذه المنزلة فى الشعراء ، وهذه قصيدته فى مدح محمد الامين (يادار ما فعلت بك الايام) ، والتى جاء فيها :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم ... وأسمت سرح اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه ... فاذا عصارة كل ذاك أثام

• • •

واذا المطى بنا بلغن محمداً ... فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطىء الحصى ... فلها علينا حرمة وذمام
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الاوهام
ملك اذا علقت يداك بحبله ... لا يعتريك البؤس والاعدام

وهذه قصيدته التى يمدح بها العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور وأولها :

أيها المنتاب من عفره ... لست من ليلى ولا سمره
لا أذود الطير عن شجر ... قد بلوت المر من ثمره

وهذه مدحته فى الخصيب :

أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير

وتلك طواله وقصاره فى مدح الرشيد ، والامين ، والعباس بن عبيد الله ، والفضل بن الربيع ، وولديه العباس ومحمد ، والخصيب بن عبد الحميد ، وابراهيم بن عبيد الله الحجبي ، والحسين بن عيسى وغير هؤلاء كثير

ثم هذه مراثيه للرشيد ، والامين ، واستاذه والبة بن الحباب وسواهم

وهذه قصائده ومقطوعاته فى العتاب ، والزهد ، والطرد ، والغزل ، والوصف ، وغير أولئك مما تستهلك الالمامة به أضعاف القدر المقسوم لهذا المقال . دع أحاديث الخمر والمجون الآن فسينعطف عليها بعد الكلام

وبعد ، فقد انعقد عند جمهرة الناس هذا الحظ من الشاعرية لابى نواس بما يجول فى عامة شعره من كرائم المعانى ، وما تنقطع دون بعضه علائق القريض ، من معنى مبتكر يجرى فى لفظ شريف ، قد تبرج ديباجه ، وأحكمت صياغته وألحم نسجه . وكذلك مضى الحكم على شاعريته كما مضى على شاعرية لداته من متقدمى الشعراء فى ذلك العصر

وفى رأيى أن شاعرية أبى نواس لم تتجل فى حيث يظن هؤلاء . بل لعله إذا ما كان قد دخل عليها نقص ، أو تطرق اليها شىء من الوهن ، فمن هذه الناحية أصابه ما أصاب !

لقد كان ابو نواس رجلا موهوباً حقاً ، وعبقرياً حقاً . كذلك طبعه الله وعلى هذا طواه ، حتى لو جاهد نفسه على ألا يكون شاعراً ما استطاع مهما ألح فى الجهاد ، وهيهات أن يكون لامرىء بتغيير خلق الله يدان !

أبو نواس شاعر كما هو انسان . وانك اذا طلبت الرجل المفتن الكامل ، قد ملك الفن عليه كل مذاهبه ، وطالعه من جميع أقطاره ، وجرى فى أعراقه مجرى دمه ، واعتلج معتلج العواطف فى نفسه ، فامسى وهو لا يكاد يشعر إلا به ، ولايتذوق الاشياء إلا من حيث يذيقه . انك إذا طلبت هذا المفتن التام فارجو أن تجده فى هذا الشاعر ابى نواس

أبو نواس شاعر بأبلغ ما تدل عليه هذه الكلمة وأدقه وأجمعه وأكفاه . هو رجل مرهف الحس ، نافذ الشعور ، خصب الذهن ، صافى النفس ، جوهرى الطبع . وان شئت قلت إنه يكاد يكون فى أصل خلقه مجموعة معان لولا أن تجسد بعضها فاستحال لحماً وعظاما لسبح بكل خلقه فى مسابح الأرواح

هو رجل يشعرك مرسل شعره بأن نظره كان ينفذ الى صميم الأشياء ، بل لقد يشعرك بأن الاشياء كانت تلطف له وتشف ليتناول من صميمها ما يشاء ، وسرعان ما يتنفس بهذا الذى أدرك شعراً إذا ما كف عنه القلم أو حبس دونه اللسان !

فاذا أنت طلبت ابا نواس المفتن فاياك أن تطلبه فى قوله :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التى لم تخلق

ولا فى قوله :

وإذا المطى بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

ولا فى قوله :

لا تسدين الى عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا

لا تطلبه فى هذا ولا فى نظائره مما يتكثر به غيره من الشعراء ، فانى أقسم لك بشاعرية أبي نواس على أنها ما جلت عليه قط مخافة نطف المشركين للرشيد ! ولا كان صادق الحس إذ دعا ممدوحه الى ان لا يسدى اليه العارفة . فانه ما اجتمع لنظم القصيدة إلا لاستخراج الصلة ، واصطياد هذه (العارفة !) ولاحرم ظهور تلك الابل التى أبلغته الأمين ولا كانت نفسه لتطيب منها بقلوص واحد فى غير نفع مادى !

اللهم انه فى كل هذا الكلام لا يصدر عن طبع ، ولا يعتاج له حس ، ولا تترقرق به عاطفة ، إن هو الا التكلف فى اصطياد المعانى ، والصنعة فى خلق الاخيلة ، مباراة لشعراء العصر واستخراجا لاموال الممدوحين ، فبهذا كانت تستخرج منهم الأموال

كان أبو نواس فى جميع أسباب حياته شاعراً مفتنا اذ هو الى ذلك رجل مستهتر ، خلع مثانيه ، وتحال من كل ما يأخذ الناس به نفوسهم فى هذا المجتمع ، أو ما ندعوه نحن فى عصرنا

هذا (بالتقاليد). فاذا رأيته يصف الخمر ويغلو فى مدحها أشد الغلو. واذا رأيته يرسل القريض فى ألوان العبث، فلا يتحرج من قول ولا يتأثم من تنكر، ويبتذل فى هذا من نفسه للناس بما يضن به ادناهم مروءة على ذات نفسه مهما يكن فى سر من الناس — اذا رأيته كذلك فاعلم أنك فى شعر ابى نواس المفتن حقا والمرسل النفس حقا والمتضح الطبع حقا. اما اذا رأيته فى ذلك الذى أغلى اقدار غيره من الشعراء، من المديح وغير المديح، فاعلم ان الرجل قد خرج عن طبعه، واطرح شاعريته وراح يتكلف القريض تكلفا، حتى اذا اصاب به رزقا، اقبل على نفسه واعتنق شاعريته الحق. فلا يزال فى شأنه حتى ينفد زاده، ويرق عتاده، فلا يرى بدأ من أن ينقلب الى معالجة (المهنة) وهكذا.. قال أبو نواس فى إحدى مدائحه يصف الناقة:

ولقد تجوب بى الفلاة إذا   صام النهار وقالت العفر
شدنية رعت الحمى فأتت   ملء الحبال كأنها قصر
تثنى على الحاذين ذا خصل   تعماله الشزران والخطر
أما إذا رفعته شامذة   فتقول رنق فوقها نسر
أما إذا وضعته عارضة   فتقول أرخى فوقها ستر
وتسف أحياناً فتحسبها   مترسما يقتاده إثر
فاذا قصرت لها الزمام سما   فوق المقادم ملطم حر

وقال يصف النياق التى حملته إلى ممدوحه:

اليك ابن مستن البطاح رمت بنا   مقابلة بين الجديل وشدقم
مهارى إذا أشرعن حر مفازة   كرعن جميعاً فى إناء مقسم
نفخن اللغام الجعد ثم ضربنه   على كل خيشوم نبيل المخطم
حدابير ماينفك منحيث بركت   دم من أظل أو دم من مخدم

وقال غير هذا وهذا فى وصف النياق، ولكم وقف فى أشعاره بالديار، وبكى النؤى والأحجار، فنحا فى قريضه منحى العرب السابقين، وأتى بالجزل من اللفظ، واستكثر من الغريب، بحيث لو أضيف أكثر هذا إلى بعض شعراء الجاهلية، ما تفطن إلى مواضع الصنعة فيه من النقدة إلا قليل. ومع هذا كله فلم يكن به الشاعر المفتن، وإن شئت التعبير الأدق قلت إن أبا نواس لم يكن به أبا نواس، لأنه فيه حاك مترسم، لا يفضى بذات نفسه، ولا يترجم عن شىء من حسه. ومالى أجهد فى مذاهب التدليل، وهذا قول أبى نواس نفسه فى تهكمه وزرايته بهذا الضرب من الشعر أصدق دليل، قال:

قل لمن يبكى على رسم درس   واقفاً ما ضر لو كان جلس
تصف الربع ومن كان به   مثل سلمى ولبنى وخنس

اترك الربع وسلمى جانباً   واصطبح كرخية مثل القبس

لعله قد خرج لنا من كل ذلك أن أبا نواس إنما كان يجتمع اجتماعا لنظم هذا الشعر الفخم الذي يرفع به كثرة النقدة شاعريته ، وكان يلهب عصبه ، ويذيب ذهنه فى صنع الأخيلة واختلاق فنون المعانى ، ويذكى ذاكرته فى التماس ما عسى أن يكون جاز به من غريب اللفظ وبجفوه ، ليكتب له التقدم والتبريز على شعراء عصره . فشاكلة شعر الجاهلية ، فى عرف بعضهم كانت السبيل الى البراعة والتبريز

ولقد يدل هذا منه ومن غيره على كفاية كافية ، ولقد يدل على براعة فى نظم الشعر بارعة ، ولكنه لا يدل قط على ان مفتنا يترجم عن حسه هو ، أو بعبارة أخرى ، على ان عبقرية تلهم ومفتنا يستلهم ، أو على ان عبقرية تأمر ومفتنا لاسعى له إلا فى التدوين والتسجيل !

فاذا تطلعت إلى شاعرية أبى نواس ، فالتمسها فى مجانه ومباذله ، والتمسها فى كل ما يبعث شعوره من منظر بهيج ومقام يذكى الحس ويهيج

التمس شاعرية أبى نواس الحق حيث يصف آثار مجلس شراب :

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا   بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى   وأضغاث ريحان جنى ويابس
حبست بها صحبى وجددت عهدهم   وإنى على أمثال تلك لحابس
تدور علينا الراح فى عسجدية   حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها   مهى تدريها بالقسى الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبهم   وللماء ما دارت عليه القلانس

وفى قوله يصف الخمر وساقيها :

اذا عب فيهـا شارب القوم خلته   يقبل فى داج من الليـل كوكبا
ترى حيث ما كانت من البيت مشرقا   وما لم تكن فيه من البيت مغربا
يدير بها ساق أغن ترى له   على مستدار الاذن صدغا معقربا
سقاهم ومنانى بعينيـه منية   فكانت إلى قلبى ألذ وأطيبا

وحسبي هذا القدر من الاستشهاد ، وإلا هويت معه من التنكر الى قرار سحيق ، أسأل الله أن يغفر لى ويغفر له . ولقد ترى عامة شعره فى هذا سهلا ميسرا حتى كأنه حديث من الحديث ، وهذا الذى تنقطع دونه علائق القريض . على أن أئمة البيان قد عرفوا له هذا . وأجلوا به محله ورفعوه الى الذروة بين نظام الكلام

عبد العزيز البشرى

هل كان أبو نواس مجنوناً

عرض وتحليل

بقلم الدكتور محمد زكى شافعى بك

قبل أن نجيب عن هذا السؤال نقول : ماهو الجنون ؟ وبمعنى آخر : ماهو المرض العقلى ؟ المرض العقلى مرض عضوى ، أى أن منشأه تغير أو تلف فى الأنسجة قد ينتج عنه اضطراب القوى العقلية . وللوراثة دخل كبير فى احداثه

ولكن بعض الناس يلحظ عليهم شىء من الاضطراب العقلى وليسوا مجانين . فما الحكم على هؤلاء ؟ ان هؤلاء مصابون بأمراض عصبية وظيفية او ـ كما يسميها البعض ـ « امراض عصبية نفسية » منشؤها تنازع بين عواطف أو مركبات فى العقل الباطن ، فيضطر المركب أو العاطفة المكبوتة أو المغلوبة على امرها أن تظهر فى شكل عرض من الاعراض الذى يماثل عرض المرض العضوى ، ككبت الخوف عند الجندى وعدم السماح له بالظهور بمظهره الطبيعى وهو الهرب خوفا من القتل ، ولما كان لا بد من مخرج له فانه قد يظهر بشكل شلل فى الطرف السفلى للجندى وبذلك يمتنع الجندى عن الحرب . وهذا هو غاية الغايات للخوف . وهذا الشلل ليس عضويا فهو وظيفى لأن الانسجة العصبية سليمة وانما الذى تعطل هو الوظيفة فقط ، وهذا هو الفرق بين المرض العضوى والعصبى النفسانى

كما أن هناك مرضاً خلقياً يحدث بسبب كبت العواطف والمركبات أيضا ونميزه عن المرض النفسانى بأنه لاتوجد له أعراض جثمانية ، بل أعراضه خلقية أى يظهر بشكل اضطراب فى السلوك كالشذوذ الجنسى الذى ينشأ عن كبت الرغبة الجنسية الطبيعية كجلد عميرة أو نحوه

وللبيئة دخل كبير فى استحداث المرضين الأخيرين ، وتأثير الوراثة فيهما قليل جداً ، وتأثير البيئة شديد الفعل فى سن الطفولة وخصوصاً فى السنوات الخمس الاولى لأن المخ فى هذه السن يكون كصحيفة بيضاء لينة القوام يؤثر فيه كل ما حوله ، خصوصا ونحن نولد غير مدربين أو مكيفين لكفاح الحياة ، ولذلك كان لما يطبع على المخ فى الطفولة أفعل الأثر فى كل ادوار الحياة تجاه العالم نفسه وتجاه أنفسنا ، سواء كان من تفاؤل أو تشاؤم ، تساهل أو تعنت ، تعال أو اسفاف

ولنضرب للقارىء مثلا بغريزة الاعتداد بالنفس (الطموح) . فهذه الغريزة قد ينجم عنها ما يأتى اذا لم تنبعث عواطفها طبيعيا :

مرض عضوى وذلك بسبب دفعها صاحبها الى ارتياد مجاهل البلاد والآجام للشهرة أو للحصول على المال ، كأن يرتاد أواسط آسيا أو افريقية فيصاب بمرض عضوى بسبب رداءة الجو أو عدم صلاحية الغذاء أو الماء أو شدة الحر أو البرد

مرض عصبى نفسانى وذلك لكبت عواطف عالقة بفكرة خاطئة انبثت فى المخ فى زمن الطفولة (أى كبت مركب نفسانى) كأن يدعى والد أمام طفله بأنه رباه بحيث أصبح انموذجا ، فهذه الفكرة الخاطئة تحيطها عواطف الاعتداد بالنفس وحب الشهرة حتى ان هذا الطفل اذا مارس فنا كالتصوير مثلا يصبح وهو لا يطيق أى نقد بل يقابله بالتهيج وربما بالاعتداء بالقول أو بالفعل ، وهذا التهيج أساسه المركب المكبوت وهذه الحالة حالة مرض نفسانى

مرض خلقى نتيجة كبت غريزة الاعتداد بالنفس أو المركب الناجم عن العواطف المنبثة منها وتعلقه بالفكرة الخاطئة كما أسلفنا ، كأن يفهم الطفل أنه خلق لان يكون ذا سلطان على غيره. وهذا المرض قد يكون كالسادزم (أى عدم تنبه الغريزة الجنسية إلا بالتعذيب) أو القسوة الشديدة أو غلظ القلب الخارق للعادة

وقد ينجم عن ذلك مرض آخر (الجريمة أو الذنب) وذلك تلبية لمطامع هذه الغريزة المكبوتة فينحدر الشخص بخلقه الى مستوى منحط ويصبح مثله الأعلى سافلا فيقترف الآثام والجرائم كالسرقة أو الخيانة ، حتى خيانة الوطن والعياذ بالله ، إشباعا لجشعه

ولنسبر غور نفسية أبى نواس الآن لنرى هل ينطبق عليه أى مرض من هذه الامراض أو هل كان عاقلا ؟

ولنصل لذلك سيكون رائدنا فى التحليل سلوكه والاسقاط التاريخى أى استعراض تاريخ حالاته النفسية

لنبحث بيئة أبى نواس فى طفولته ، فلو صح أنه كان وليد عشق أبيه لأمه — كما يقول بعض الرواة — وأن أمه كانت مستهترة بالاخلاق ، أى أنه كان يعيش فى جو لا يمت للفضيلة بصلة ، فلا شك فى أن هذا الجو يؤثر فى مخه الابيض النقى ويجعله يأخذ عنه كل العناصر التى تؤلف خلقه فى مستقبل حياته ، ويجعله ينظر للحياة بالمنظار الذى كان ينظر به أبوه أو أمه فتكون مظاهر عواطفه ومشاعره متماثلة عند مصادفته لحوادث مشابهة للتى تركت طبعاتها بمخه . فابن الفاجرة قد لا يرى فى الفجر غضاضة عندما يشب ويخرج عن الطرق كما قد تكون المظاهر مضادة لذلك على خط مستقيم ، ولذلك قيل قديما إنه قد يخرج من ظهر الطالح صالح . والشواهد على ذلك عديدة. فأولاد المدمنين الخمر كثيرا ما ينشئون وهم يكرهون حتى رائحتها . فأبو نواس لو صح ما كتب عن

أمه يكون استهتاره ناشئاً عن بيئة طفولته غالبا، ويكون قد نسج على منوال ما كان يرى ويسمع ولم يرو مطلقا أن مرض الجنون كان فاشيا فى أسرته ولهذا أهميته كما أسلفنا وكما سترى

وفى السن التى تلى الطفولة قرأ القرآن الكريم . ولا شك ان حفظه للقرآن واستيعابه لحكمه الغالية وجدا مكانا خالياً فى صحيفة مخه فانطبعت آثار ذلك وظهرت نتائجه فى زهده فى شيخوخته وانتهاجه سبيل الرشاد

وفى يفعه عند ما أسلمته أمه الى عطار أو براء يبرى أعواد البخور ليحترف حرفة يتعيش منها كان فى عصر ازدهر فيه الادب وعلا شأن الادباء والشعراء واتصلوا بالخلفاء حيث كان يجزل لهم العطاء فضلا عن المكانة الرفيعة التى كان يتبوأها رب الحظوة والمنعم عليه . وفى سن اليفع وما بينها وبين العشرين من العمر تعمل النفس للبحث عن مثل أعلى أو غاية ليتم تكوينها فيتخيل الانسان هذه الغاية ويسعى ليتم بها نفسه لأنه يشعر بالنقص ولاسيما فيما يتعلق بالغريزة الجنسية ، فاذا لم يصل الى هذه الغاية فقد يتحول الى أغراض أخرى نافعة كالاعمال الاجتماعية أو غيرها أو قد يهوى الى الحضيض بما يلحقه من خور العزيمة وانحطاط النفس

فابو نواس فى العصر الذى وجد فيه كان مثله الاعلى فى هذه السن بلوغ أعلى المراتب فى الشعر ولذلك اشتهى الكلام وجلس الى أصحابه

ولكن فى الوقت نفسه كان يطغى على العصر ـ كما هو الحال فى عصور الترف فى كل الازمان ـ موجة الزندقة وتيار الفسق والاستهتار ، وابو نواس لاستعداده منذ طفولته ولتركيب جسمه وملاحته ، ولعل ذلك لتغلب الانوثة فيه على الذكورة ، أو لعل ذلك أيضا لنقص بعض افرازات الغدد الصماء كالخصتين . ولتلمذته لوالبة بن الحباب ـ اندمج فى وسط الزنادقة والفساق وأخذ عنهم الأدب والمجون فى وقت واحد ، فطغى ذلك على مثله الأعلى رغم اختلافه الى فطاحل الافاضل كأبى زيد وابن زياد والقطان والسمان

وابو نواس لظروفه السابقة معذور لخضوعه لوالبة لا للاسباب المتقدمة فقط بل لان غريزة الخضوع كانت متنبهة فيه أكثر من سواها ، لما كان يشاهده من خضوع النساء فى منزل أمه للرجال أو خضوع القيان فى ذلك لزمن للرجال وذيوع حوادث الحب وما يتبعها ، وكذلك لأنه وقع فى فخ والبة وهو فى السن التى يميل فيها الانسان لجنسه . فالطفل يحب نفسه ولذلك نجد حب الأثرة بارزا فى خلقه ، واليافع يحب زملاءه من جنسه ، والاولاد فى هذه السن يلعبون معا والبنات كذلك ، واما البالغون فيحبون الجنس المغاير لجنسهم . فابو نواس فى السن التى يحب فيها الانسان من هو من جنسه اقتنصه والبة فارتقف نمو غريزته الجنسية عند هذا الحد ، ولكن اذا كان ابو نواس وقع فى بيئة فاضلة تقية وهو فى الدور الاول أو حتى بعده مع وقوف نفسيته عند هذا الحد فقد كان يمكن التصعد بهذا الميل الشاذ الى الاشتراك مع الذكور مثله فى انشاء

الجمعيات أو تأسيس المنتديات الادبية أو الدينية أو غيرها ، وبذلك كان يمكن تنجيته من هذا الشذوذ . ولكن والبة وعصبته لم يكونوا ليرضوا عن شيء من هذا

وبطبيعة الحال ليكون المجال شاملا لكل أنواع الملاذ علمه والبة شرب الخمر وتأصلت عادته في نفسه . ولما وصل لدور الرجولة تفنن في معاقرتها وفي مدحها واستمر حتى سن متأخرة في كهولته متهتكا

وادمانه الخمر مرض وليس بجريمة وكان عقابه عليه خطأ بينا ، لأن شربه الخمر كان مدفوعا له بعامل نفساني باطني وهو تنازع المركبات أو العواطف الزائغة بعقله الباطن : هناك أصله الحقير ولذلك كان يتمسح بانتسابه لامراء اليمن أو للفرزدق أو لغيرهم . وهناك شذوذه الجنسي الذي معناه وقوف نمو الغريزة الجنسية الى سن البلوغ فقط وتنازع هذا مع ما كان يجب أن يكون عليه بانتقاله الى السن النفسانية التى فيها يميل الانسان الى أفراد الجنس الآخر ، فكان أقرب وسيلة واسهلها لتخليصه من هذه الحالات النفسية اللجوء الى الخمر بغير ارادته بل كان يدفع لها دفعاً ولو أنه القائل فيها :

وهي لدفع الهم والا حزان من خير علاج

وكذلك هو القائل بما ينم عما في باطن عقله :

لا تلمني على التى فتنتني وارتني القبيح غير قبيح
قهوة تترك الصحيح سقيما وتعير السقيم ثوب الصحيح

ولكن المرض في أواخر كهولته اضناه واضعف من ارادته التى هي أبرز ظاهرة للعقل الواعي فظهرت له واضحة غير مبرقعة عواطفه ومركباته الخاطئة فأفرج عنها

وكان لا يخفف من حالته النفسية إلا التصاعد أو التسامي ، فسما بعواطفه وصعد الى الزهد وتغير مثله الأعلى حيث أصبح عفو المولى عز وجل وغفرانه له ذنوبه

وابو نواس الذى كان ينكر البعث في قوله :

وليس بعد الممات مرتجع وانما الموت بيضة العقر

يقول فيما بعد :

سأسأل عن أمور كنت فيها فما عذرى هناك وما جوابي
بأية حجة احتج يوم الـ حساب اذا دعيت الى الحساب

من هذا يمكن أن نستنتج أن أبا نواس كان مريضا بمرض عصبي نفساني وآخر خلقي ، ولم يكن مريضا بمرض عقلي ، ويمكن أن نرجح شفاءه منه قبل وفاته

دكتور زكى شافعى



الحب فى حده الطبيعى ـ الحب عند أبى نواس ـ غزل ابى نواس بالمؤنث ـ ابو نواس فى مجالس أنس ـ ظرفه فى مجونه ـ مقارنة بين نديم الامين ونديم شارل الثانى

الحب فى حده الطبيعى

كل جنس مدفوع الى الجنس الآخر بدافع من تلك الحاجة الطبيعية الآمرة التى أودعها خالق النسم فى كل نسمة لبقاء الحياة وحفظ النوع . واذا كان أمر من الامور فى غنية عن البيان ، فذلك ما للعاطفة الجنسية على الأحياء من سلطان . ولا بدع فهى صاحبة الشأن الأول فى نظام الوجود ، وقد اقترنت منذ القدم بدوافع الانسان الشخصية ولابست أول مشاعره وشعائره الدينية

فهذه الغريزة عميقة أيما عمق ، وعامة كل العموم . وهى تشغل حيزاً كبيراً من اهتمام الانسان وإن يكن الكلام فيها قليلا والكتابة عنها أقل

وهى بعد مركبة القوى شتى العناصر ، يشترك فيها كياننا الحسى والعاطفى والروحى . وهذه العوامل فينا متواشجة متلابسة ، تتحول فيما بينها مؤثرة متأثرة . وقد يغلب أحدها فلا تدوم له الغلبة . على أن المغلوب لا يبرح على كل حال حى الجذوة كامن القوة

والصبى إذا أدرك سن المراهقة ، وشبت فيه العاطفة الجنسية وعذبته ، قد يتلفت كالحيوان المفترس يطلب فريسة يشبع بها هذا السعار الجنسى ويرفه من ضغطه الموبق . ولكن الحاجة الجسدية لا تلبث جسدية على حالها . فان كثافتها لتلطف وإن حواشيها لتتلون بألوان الطيف وتضفو على أعطافها أبراد الخيال والشعر . وذلك لأن المرء له الى كيانه العميق السفلى كيان رفيع علوى يقتضى التعاطف بين قلب وقلب والتوافق بين مزاج ومزاج ، والتجاذب الخفى بين الارواح مما يهون على العشاق تباريح الهوى ولوعة الحرمان ويجعل أنفسهم أطيب ماتكون بالبذل أو المفاداة وانكار الذات

على أنه لن يفتأ بين هذا الافق السماوى وذاك القرار الارضى صلة غير مقطوعة كالزهرة أصولها مطمورة فى حضيض التربة ، وكالتربة يتحلل من عناصرها الغليظة ماتزكو به الزهرة

فالشهوة هى التى يفنى فيها الحس وحده ، ويعرف صاحبها الشبع فى كل مرة كما يعرف الجائع الامتلاء بعد كل وجبة . فاذا ماترقى بها الانسان الى الحب كان شوقه دائماً - ولعله يتزايد لا تشبع نهمته ولا تفثأ غلته - كشوق ابن الرومى :

أعانقها - والنفس بعد مشوقة ... اليها - وهل بعد العناق تدان ؟
وألثم فاها - كى تزول حرارتى - ... فيشتد ما ألقى من الهيمان !
وما كان مقدار الذى بى من الجوى ... ليشفيه ما قد ترشف الشفتان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله ... سوى أن يرى الروحين تمتزجان

وهذه الصورة أصح مثال على الحب فى حده الطبيعى السليم . فليس فيه انكار الزهاد للجسد وانصرافهم عن ظاهر الحس ، وفيه مع هذا شوق المتصوفة الى ماوراء الحس وحنينهم الى الاتحاد بالروح والفناء فى المحبوب

الحب عند ابى نواس

وعلى غير هذا المثال كان صاحبنا ابو نواس . ولئن كانت حياته كلها مجونا ، فلأنه ما كان ليعرف من هذه الملذات الروحية شيئا ، وانما عاش عمره عبد حواسه

فالحب عنده خصر نحيل وردف ثقيل أو على حد تعبيرهم : خوط بان على دعص نقا . ومحبوبه دائما شادن ذو غنة ، بلون العاج ، كالبدر فى غرته ، يتثنى كالغصن فى مشيته ، وفى مقلتيه تكسر وفى كلامه فتور . ثم إن أبا نواس لايعرف من الحب غير قضاء الشهوة فى التو والساعة . وقد أشار الى هذا الشره فى أكثر أشعاره . فليس عند هذا الماجن غير الاشتهاء البهيمى يحركه الحسن ، سواء أكان فى تقاطيع الجسم أم فى رشاقة الحركة أم فى حلاوة اللحظ . حتى الكلام يقول فيه : « لولا فتور فى كلامك يشتهى »

وانك لتقرأ عن أبى نواس حذقه القرآن وتلقنه علوم الدين واقباله على الكلام والجدل وطلبه للحديث ونظره فى النحو وحفظه للغريب من الألفاظ وتفقهه فى اللغة واحاطته باخبار العرب وأيام غيرهم وروايته الشعر ودرسه معانيه وكثرة محفوظه من الاراجيز والقصائد والمقطوعات وشهادة أهل العلم والادب بما له من المنزلة فى العلم والادب فضلا عن إلمامك بالمهذب المختار من شعره الفحل ، ثم ترجع الى ترجمة حياته الخاصة والى ديوان شعره ، فلا تصدق إلا انك تطالع شخصين لايمت هذا لذلك بأدنى سبب من قرابة أو نسب

ماذا نقرأ ؟ نقرأ عن شهوة فاسدة ، وغريزة منتكسة ، لم تختص بها فترة دون أخرى ، بل

انتظمت من حياته أدوارها كلها ومراحلها حتى الأخيرة. واذا كان الناس قد اعتادوا التغنى بطهارة الصبا، فان أبا نواس لم يعرف الطهر فى صباه حتى لتحسبه ولد والرذيلة معه من بطن واحد، ولم يكتسبها من أهل زمنه فى أحضان البيئة العباسية المتحررة المستهترة

والغزل بالمذكر ينتظم حياة أبى نواس وشعره، متقداً صارخا لا تهدأ فورته ولا تخفت دعوته من البداية الى النهاية

غزله بالمؤنث

غير اننا نعدو الحق اذا لم نذكر الى جانب هذا شعراً غير قليل من جيده عالج الشاعر فيه الغزل بالمؤنث كما هو الطبيعى فى الحب والمألوف فى الغزل. ولكننا نعدو الحق أيضا اذا لم نقرر أنه فى تشبيبه بالنساء انما يعالج فنا من أبواب الشعر، فيفتن فيه بما طبع عليه - وهو الفنان المطبوع - من براعة التصوير وحسن النظم وعذوبة النغم:

وذات خد مورد فتانة المتجرد
تأمل الناس فيها محاسنا ليس تنفد
الحسن فى كل جزء منها معاد مردد
فبعضه فى انتهاء وبعضه يتولد
وكلما عدت فيه يكون بالعود احمد

ثم ان أبا نواس لاشك معتذر عن غزله بالمؤنث - ومن كان مثله لا بد له من الاعتذار - وعذره أنه انما كان يشبب بنوع من النساء ليست فيهن واحدة من الحرائر. وهذا يتفق مع تهتكه ومجونه فضلا عن أن لهن فوق ذلك فى مظهرهن مايتسق وذوقه فى الجمال المذكر. فكل نساء شعره من القيان والجوارى، لم يجملن لغير اللهو، ولاوجود لهن إلا به، ولايتفاضلن إلا باتقان أسبابه. فهن يتعرضن للرجال، ويعرضن لانظارهم وتحت حسهم من المحاسن والفنون مايختلهم عن عقولهم، ويغلب عليهم ثائرة الشهوات، فينطلق فيهم من عقاله الانسان الحيوان. وهذه لاغيرها هى غواية الجوارى والقيان لمن كان كالنواسى من الفساق والمجان

ولا يغيب عنا ظاهرة فى جوارى ذلكم العهد. فقد كن فى شكلهن وزيهن وفعلهن أقرب الى بنت اليوم «الرياضية»، كما يكنون عنها - فهن شاطرات، فارهات، مطمومات الشعر، مقرطقات متمنطقات، اشبه ما تكون أثوابهن بالزى الاخير إذ يلتزم الجسد من ضيقه التزاما حتى ليرسم للعين تقاطيعه المكورة، وينحسر من قصره عن السيقان ويبدى ربلاتها المنسوقة، فلا تسحب له صاحبته ذيلا، ولا تنازعها الريح من بنائقه فضلا. ولقد تخرج الجارية منهن متبرجة فى زينتها أيما تبرج، فى وشى منسوج بالذهب فى قباء وسراويل، ومحبسة ابريسمية على الرأس،

ومنطقة مفرقة على زرياب حرير عريض تغيب فى خصرها الهضيم ، وفى القدمين نعل مغشاة بديباج ، وفى يدها قضيب خيزران تعبث به . أليست هذه التى نصفها مثالا سابقا للفتاة الغربية التى ينعتها الفرنجة فى عصرنا هذا بالغلامة La Garçonne ، والتى هى أثر من آثار تطور الاخلاق والآداب بعد الحرب العظمى ؟ وانه لمن التوافق العجيب أيضا أن يكون هذا الاسم بعينه هو الذى يوسم به أولئك الجوارى فى عصر أبى نواس . فاسمع له يصفهن فى القصيدة التى يقول فيها متحرقاً : « عذبنى حب غلاميات » الخ

أما أساليبه معهن فهى أساليب شبابنا فى المعاكسة . فلا يزال يترصد للواحدة يرقبها فى حركاتها وسكناتها ، ويعمل الطرف نحوها ويلهج باطرائها ، ومن حيثما أقبلت فهو فى اثرها يبرمها ويضايقها :

أمشى الى جنبها أزاحمهـــا عمداً ، وما فى الطريق من ضيق

وهو تارة يضرع اليها ، وتارة يضحكها ، جاداً وهازلا ، حينا بعد حين . لا يرعوى مهما انتهرته ولا يرجع مهما سبته

فالحب عند شاعرنا ضرب من اللهو والعبث ، حتى ما كان منه مع « جنان » جارية الثقفى على الرغم مما يروى من شغفه بها وصدقه فى حبها . ويستدل من أبيات له فيها أن العبث هو الذى كان قد أغراه بها كما أغرى بغيرها من قبل ومن بعد :

صار جدا ما مزحت به رب جد جره لعب

ولقد أضحك أخا الثقفى تشبيب سمعه لأبى نواس بجنان ، وأردف مؤكداً : « جنان جارية أخى ، ولم تكن فى موضع عشق ولا عشرة . ولا كان مذهب أبى نواس النساء . ولكنه كان عبثاً منه » . والحق ان أبا نواس عاش ومات على شذوذه الجنسى

ولسنا فى حاجة الى شهادة الشهود وتدعيم الاسانيد بالاسانيد ، فله أشعار كثيرة فى ذم النساء ومدح الغلمان خرجت من التلميح الى التصريح . ولقد كان العصر كله عصر شذوذ جنسى . فكان الآباء يلقون من أبنائهم كل عنت وبلاء ، ويحتاطون دون افسادهم بكل ضروب الوقاء

ابو نواس في مجالس انسه

وكان أبو نواس واخوانه « عصابة السوء » يجتمعون فى منازل الخمر ودساكرها المبثوثة فى سواد المدينة بعيداً عن رقابة الشرطة حيث يقوم دهاقين الخمارين وجلهم من اليهود والمجوس والروم . ولقد يكون ملتقى أصحابنا أحيانا فى الخلاء وسط الحدائق الفيحاء وعند الجداول المطردة الرقراقة تحت اعراش الكرم بين ترجيع الاطيار وتطريب الناى والعود . أوفى دار أحدهم بعد أن يستعدوا لها بأطايب الطعام من لحم طير وأتابيعه ، وبالدنان من معتق الشراب ،

وبالآلات من مزمار وبربط وصنوج ، وبالمغنين والمسمعات ينشدونهم عليها تلاحين الموصلى وزلزل . وفى هذه المجالس يدور عليهم الساقى ، غرير الصبا ، متوجا باكاليل الريحان ، يحمل على راحته زجاجات البلور أو طاسات اللجين ، مترعة بالراح صرفا أو مشعشعة . وليس يمل ابو نواس من وصف مجالس الشراب ونعت الخمر وتعديد صنوفها وتفصيل صنعها والتغنى بالوانها من الكميت والاصهب والذهبى ، وكيف تهدى للشرب نكهة طيبة كنفح المسك ثم كيف تنصب من الابريق كالشهاب وتنزى فواقع حببها كالشرر عند المزج ، وهو يكنى عن مزاجها بتزويج ابنة العنب بماء المزن ومن هذا الزواج السعيد يتولد الفرح ، فاذا تحدث عن شاربها دعاه بخاطبها وأوصاه بألا يغليها المهر وافتخر باتلافه المال فيها والنشب :

طربت الى قطربل فأتيتها بألف من البيض الصحاح وعين
ثمانين ديناراً جيادا أعدها فاتلفتها حتى شربت بدين
رهنت قميصا سابرياً وجبة وبعت إزارا معلم الطرفين

وكل هذا عنده قليل فى مقابل جرعات من مدامة معتقة هى ترب الدهر فى القدم ، كأنما تقص قصة الامم ، تطرد الهموم والألم ، وتتمشى فى المفاصل كتمشى البرء فى السقم . وهم يطوون على هذه الحال من السكر يومهم وليلتهم ، وقد يطوون الاسبوع والشهر

ظرفه فى مجونه

ومن مجون أبى نواس ماهو ظريف بارع فى الظرف كالصورة التى يمثلها لنفسه ، كما يريده الخليفة ووزيره على أن يكون زاهدا متبتلا ، وهى صورة لايسع أشد الزهاد تزمتا إلا أن يبسم لخفة التهكم المتراءى بين سطورها فى خفاء ولطف :

لو ترانى ذكرت للحسن البصـ ـرى فى حسن سمته وقتاده
المسابيح فى ذراعى والمصـ ـحف فى لبتى مكان القلاده
واذا شئت أن ترى طرفة تعـ ـجب منها مليحة مستفاده
فادع بى - لاعدمت تقويم مثلى - وتفطن لموضع السجاده
تر أثرا من الصلاة بوجهى توقن النفس انها من عباده
لو رآها بعض المرائين يوماً لاشتراها بعدها للشهاده

ومثل هذه فى براعة الظرف وقدرة الفكاهة أبيات لاتملك نفسك معها من الضحك ، يهدد فيها ابليس ان لم يعنه على وصال حبيبته بالتزامه التقى وطاعة الله :

دعوت ابليس ثم قلت له فى خلوة والدموع تنحدر :
أما ترى كيف قد بليت ، وقد أقرح جفنى البكاء والسهر ؟

إن انت لم تلق لى المودة فى صدر حبيبى ، وانت مقتدر
لا قلت شعراً ، ولا سمعت غناء ولا جرى فى مفاصلى السكر
ولا أزال القرآن أدرسه أروح فى درسه وابتكر
وألزم الصوم والصلاة ، ولا أزال دهرى بالخير آتمر
فا مضت بعد ذاك ثالثة حتى أتانى الحبيب يعتذر

غير أن لابى نواس غير هذا مجوناً بارداً غثاً يخرج عن حد العقل والادب نضرب هنا عنه صفحاً

وبعد . فهذه حياة اللهو التى عاشها نديم الامين وشاعر البلاد فى عصر زاهر من عصور الدولة العباسية

بين نديم الامين ونديم شارل الثانى

ومن عجائب الاتفاق أن يحيا هذه الحياة بعينها ، شاعر فى القرن السابع عشر من الميلاد ، ينزع بالشبه اليه فى مجونه وخلاعته ، وفى منادمته لشارل الثانى ملك الانجليز بعد عودة الملكية وهذه الحقبة من تاريخ الانجليز قريبة الشبه جداً بالحياة الاجتماعية العباسية فى الآونة التى تقدمت بالقارىء صفتها . فكان التفكير الغالب هو الشك ، وكانت الدنيا ولمة ممدودة للحواس . ومن لم يذهب فى هذا الزمن أو ذاك مذهب أهله كان موضع النكير والسخر . فهو فى نظر الحضارة العباسية والشعر النواسى لما يزل على بداوة الاعراب الاجلاف ، وهو فى نظر أنصار عودة الملكية من الانجليز لذلك العهد خالفة من مخلفات أهل الجرود والتزمت من المتعصبة البيوريتان

وهذا الضريب الذى نشير اليه ، والذى كأنما شق وأبو نواس من نبعة واحدة ، هو الشاعر الانجليزى « جون ويلموت ارل اوف روتشستر » وقد كان منذ صباه الاول متوقداً ذكى الفؤاد شديد الكلف بالادب عاكفاً على درسه وتحصيله حتى تخرج فيه من جامعة اكسفورد وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره . وعلى أثر تخرجه سافر يصحبه مؤدب الى فرنسا وايطاليا . وبعد سنين أربع قفل راجعاً ، ولم يلبث أن سلك سبيله تواً الى بلاط شارل الثانى حيث كان له من مقتبل شبابه وجمال طلعته ولطف محاضرته وبادرته خير شفيع وكفيل بحسن القبول . واشترك متطوعاً فى حملة بحرية كانت موجهة الى هولندة ، فلم يك فى ميدان الشجاعة أقل سبقاً وتبريزاً منه فى ميادين الفجور والخلاعة ، وأحبه شارل الثانى حباً جماً وقد ساهم فى معظم وقائع الملك الغرامية وما أكثرها ! فبات نديمه المقرب وصاحب مقاصيره . ولم تقف غوايات روتشستر عند حد ، فقارف من المخزيات شرها وتمرغ فى حمأ مسنون من الفجور بأخش الوانه . وقد بدا له أن يخطب فتاة وارثة من أغنى الفتيات ضياعاً وابرعهن جمالا . فلما لم يلق طلبه القبول اختطفها

واعتقل من أجل ذلك زمنا فى سجن البرج . على انه أخلى سبيله بعدها وتم له الزواج منها .
وكان الشعراء فى زمنه يتقربون اليه ويهدونه شعرهم وهو يصطنعهم ويشملهم برعايته . ولكنه اذا نقم على أحد امرأ فان خطبه عسير . فانه ليتربص به كل دائرة ويعترضه فى كل لفتة ليناله بالاذاة ويصب عليه البلاء . وقد دفع ذات مرة عصبة من الاشرار فخرجوا على الشاعر (دريدن) فى درب من دروب لندن وأوجعوه ضربا . ولم يبال روتشستر معرة هذا الاعتداء بدليل اشارته اليه فى احدى أهاجيه . ثم انه كان معنيا بالمسرح . واليه يرجع الفضل فى تمثيل مسرحيات عدة لشعراء من المغمورين ، وفى اظهار ممثلة شهيرة كانت قبل ذلك بائعة برتقال بباب المسرح الملكى ، فاصبحت بعدها عشيقة الملك الذى أعجبه منها فوق كل شيء مجونها . فقد كانت (نل جوين) شابة هوجاء مفتونة ، وجريئة متهتكة ، تمزح وتغنى وترقص وتتقن عملها كعشيقة . ولم يظهر فى بلاط ملكى عشيقة أشد منها استهتارا وشططا

والى هذه الاباحية فى صفات روتشستر الخلقية ، صفات ادبية ممتازة ، على انها مسبوكة من معدنه ومطبوعة بطابع خلقه . كانت له على النظم ملكة مؤاتية وقريحة سمحة ، وكان على مجونه له أويقات من فيض الحنان تنفجر عن قصائد رقيقة فى الغزل . إلاأن قوته ومقدرته لا تظهران فى فن من فنون الشعر ظهورهما فى مطاعنه العنيفة وقوارصه المقذعة . على أن فى قصيدته « هجاء البشر » نقدا لمعايير الخلق والادب يعلو على الحزازة الشخصية ويدل على الفكر القوى والحكم النافذ دون أن تشوبها شائبة من هذا التجريد الشاحب المبتذل المألوف فى قصائد العبر والمواعظ . وللاسف ليست كذلك سائر أهاجيه ، فانها ـ كما قلنا ـ شديدة القذع والرفث ولم تسلم منها عشيقات الملك ولا الملك نفسه . ولا شك أن هذا الخطل يذكرنا باهاجى أبى نواس للامين . ولقد ظهرت حملة بذيئة على الملك فى قالب رواية مسرحية شعرية بعنوان « سدوم أرض قوم لوط » . والشواهد والقرائن كلها مجمعة على انها من وضع روتشستر على الرغم من انكاره لها . ومع هذا الذى فى شعر الشاعر الانجليزى من العنف والفحش ، فان ما فيه ـ وهو مثل الذى فى شعر النواسى ـ من ميزة النسق غير المتكلف ، ورشاقة اللفظ المتخير ، يجعل له قيمة فنية باقية على الدهر

وتمام العجب فى اتفاق حياة هذين الرجلين انهما ـ على مايؤكد بعض الرواة ـ ندما فى آخر أيامهما على ما اجترحاه من المعاصى ، ورجعا الى الله وأنابا وماتا على التوبة والايمان موتة الصالحين

لهف نفسى على ليال وأيا م تجاوزتهن لعبـــا ولهوا
قد أسأنا كل الاسـاءة فالـ ـلهم صفحاً عنا وغفراً وعفوا

عبد الرحمن صدقى

الجوانب الجدية في شعر أبي نواس

العبقريون جدهم جد وهزلهم جد

بقلم الدكتور زكي مبارك

«.. كان ابو نواس أيها القراء جاداً في كل شيء، جاداً في الجد، جاداً في المجون. اما جده فليس بشيء لانه لن يستطيع ان يقف في صفوف الجادين من معاصريه. لكنه كان في هزله فارسا لا يشق له غبار — كان جادا في هزله كل الجد لانه لم يكن يعبث..»

سيطلع قراء الهلال على جوانب من مجون أبي نواس. فليعرفوا أيضاً أن أبا نواس كان من أقطاب الجد الصراح، والفرق بين الجد والمجون ليس بعيداً كما يتوهم الاكثرون، فالحياة جدها جد وهزلها جد، والفرق بين اللفظتين يرجع إلى تمثيل حالتين من حالات الحياة. ونحن في الدنيا مسخرون لالوان من الطبائع فيها السواد والبياض والحلاوة والمرارة والجد والمجون. ونحن لا نعبث حين نشاء، وانما نعبث حين تشاء قوانين الوجود. فأبو نواس العابث الماجن هو شخص يجد أعنف الجد في تحقيق ما أرادت الحياة أن يكون، هو شخص مسكين وقفته الحياة في صف من صفوف الحرب ثم قالت له: دافع أيها الجندي الامين عن «ثغر» المجون

وقد عاش أبو نواس جنديا يحارب حتى سقط في الميدان، ميدان الفضيحة لا ميدان الشرف، لان «الثغر» الذي وقف يحميه لا يسمى صرعاه بالشهداء، فهذا المسكين الذي ضحى بحياته في سبيل الحياة لم يظفر بشيء من المجد، ولا بنصيب الجندي المجهول، وانما ظفر بنصيب الجندي «المتعوس» وللحياة قوانين منها قانون اسمه قانون الحرمان، وبفضل هذا القانون خلد ابو نواس

وكان أبو نواس في موقفه الحرج من أشجع الشجعان، فالدعوة إلى الفضيلة يستطيعها كل مخلوق، والتخلق بأخلاق الشرفاء لا يحتاج إلا الى قسط ضئيل من الرياء. أما الدعوة الى المجون فتحتاج الى جرأة فاتكة لا يتسلح بها إلا من أمدته الحياة بمدد من القوة النفسية

وكذلك كان أبو نواس، كان مثال الشجاعة والاقدام والجرأة في الدفاع عن «الثغر» المهدد بغارات الاتقياء، هو رجل وقفته الحياة للدفاع عن قانون منبوذ لا يجهر أحد بالدعوة اليه، ولا يستطيع مخلوق أن يصرح بأنه قانون، هو الافعوان الذي يتواصى الناس بقتله والاجهاز عليه، هو

الشيطان الذى أمر المؤمنون بلعنه فى أعقاب الصلوات ، هو الفاكهة المحرمة التى نهى عنها آدم وحواء

جد ابى نواس فى هزله

كان أبو نواس أيها القراء جاداً فى كل شىء ، جاداً فى الجد ، جاداً فى المجون . أما جده فليس بشىء لانه لن يستطيع أن يقف فى صفوف الجادين من معاصريه ، لكنه كان فى هزله فارساً لا يشق له غبار ، كان جاداً فى هزله كل الجد لانه لم يكن يعبث وانما كان يدافع عن مذهب ، ومذهبه مذهب خاطىء يمجه العقلاء ، ولكنه مذهب كان له فى نفس أبى نواس قواعد وأصول . والحياة لم تكن تعبث حين أفسحت المجال للافاعى والصلال ، وانما كانت لها غاية سيعرفها الناس بعد حين . ومذهب أبى نواس هو من الضلالات فى العرف والاصطلاح ولكن الحياة فرضته على الشاعر وقضت عليه بالدفاع عن ذلك المشرع الموبوء ، فلا تلوموه ولكن لوموا الطبيعة الساخرة التى جعلت المجون من ألوان الحياة — أترونى أدافع عن ابى نواس ؟ وعمن يدافع المحامون ؟ أيدافعون عن الاتقياء الصالحين الذين تلثم أيديهم فى ساحات القضاء ؟

انمن الحذلقة ومن الرياء الممقوت أن نتكلف الفضيلة بالطعن فى أبى نواس، هو رجل قالت له الحياة كن فكان، وهو لايسأل عما صنع الا فى رأى من يتوهمون أننا نملك تلوين الوجود كما نشاء . ومن نحن ؟ من نحن ومن أنتم أيها الناس ؟ نحن وأنتم ذرات صغيرة جداً فى هذا الوجود الهائل الذى يتعد فيه بعض الكواكب عن بعض بمسافات يقطعها القطار السريع فى مئات السنين أو ألوف السنين . ما نحن وانتم إلا فراش يحوم حول نور الوجود فنحترق بالالوف والملايين ويبقى الوجود أترون الفراش يهزل حين يحوم حول النور ليحترق ؟ انه يجد ولكنكم لاتعلمون. وكذلك كان أبو نواس يجد فى هزله كل الجد ، ولا يراه لاعباً إلا من يقيس الحقائق الحيوية بمقاييس الجهلاء

لماذا كان يهزل ؟

قد يقول ناس من خلق الله : أمن اجل هذه الفلسفة المضللة تكتب هذا المقال ؟

ان قالوا ذلك فانى انقلهم إلى بحث جديد : لماذا كان يهزل أبو نواس ؟

انه كان يهزل بفضل ماعانى من قسوة الجد فهو فى هزله يتمثل الجد بصورة مخيفة

كان أبو نواس من كبار العلماء ومن كبار الاذكياء وكان يتمنى أن يظفر بمكان مرموق فى دولة هرون الرشيد ،ولكن الحاقدين من معاصريه طوقوه بألوان من النمائم والوشايات وحالوا بينه وبين ما كان يشتهى من منازل المجد فأقبل على الصهباء يبثها شكواه من الزمن الخادع والرفاق اللئام . ومازال يمعن فى لهوه ومجونه حتى صح له أن يقول :

صيرتنى الوشاة نصب المشيريـ ... ـن وأحدونة بكل مكان

لم أجد خاليين فى السر إلا ... قلت مايخلوان الا بشانى

وهذه الوسوسة هي النصيب الذي ظفر به أبو نواس في عصره وهو الرجل الذي وصف بأنه كان أعرف الناس كيف تكلمت العرب والذي كان يود أبو يوسف الفقيه لو أخذ عنه أصول التشريع

قسوة الجد هي التي نقلت أبا نواس من حال الى حال . وأنتم تعلمون أن المجد في عصر ابي نواس كان ينحصر بالنسبة اليه في غاية واحدة هي الظفر بمنصب القضاء . وكان أبو نواس أعد نفسه لهذه الغاية التي يتسامى اليها العلماء ، ولكن قيل فيه انه شاعر يحسن وصف الصهباء وتلك حال تنافي وقار القضاء . وكذلك طرد الرجل من حظيرة المجد المرموق فتحول الى ماتعرفون . ابحثوا في جميع بقاع الارض فلن تجدوا العبث القوي الا عند المنهزمين من أصحاب العقول . ان الهزيمة هي التي تسن قواعد العبث والمجون ، أما النصر فهو يغري بالتقى والصلاح ، والتقى والصلاح لفظان لا معنى لهما ولا مدلول في أذهان اليائسين والمنهزمين من كبار الرجال

هل كان رجلا كبيرا

قد تقولون : وهل كان أبو نواس رجلا كبيراً ؟

ونجيب بأنه كان رجلا كبيراً جداً ولولا عظمة روحه ما استطاع أن يفرض ضلاله على الناس مئات السنين . وليس من القليل أن يكون الرجل اماماً في الغواية والضلال يترسم الناس خطواته من جيل الى جيل . ولكن أين الشاهد على صحة ما نقول في شعر أبي نواس ؟ اسمعوا ما يقول :

غدوت على اللذات منهتك الستر ... وأفضت بنات السر مني الى الجهر
وهان على الناس فيما أريده ... بما جئت فاستغنيت عن طلب العذر
رأيت الليالي مرصدات لمدتي ... فبادرت لذاتي مبادرة الدهر
رضيت من الدنيا بكأس وشادن ... تحير في تفضيله فطن الفكر
مدام ربت في حجر نوح يديرها ... على ثقيل الردف مضطمر الخصر
صحيح مريض الجفن مدن مباعد ... يميت ويحيي بالوصال وبالهجر
كأن ضياء الشمس نيط بوجهه ... وبدر الدجى بين الترائب والنحر
اذا مابدت ازرار جيب قميصه ... تطلع منها صورة القمر البدر
فاحسن من ركض الى حومة الوغى ... وأحسن عندي من خروج الى النحر
فلا خير في قوم تدور عليهمو ... كؤوس المنايا بالمثقفة السمر
تحياتهم في كل يوم وليلة ... ظبا المشرفيات المزيرة للقبر

فماذا ترون في هذه القطعة ؟ ان الشاعر يحدثكم أنه يغدو الى اللذات وهو منهتك الستر مفضوح الاسرار ويحدثكم بان الناس هانوا عليه فلم يعد يبالي لوم اللائمين وعذل الناصحين . ولكم أن

تسألوا : متى يستهين الرجل بأقدار الناس ولوم الناس ؟ انه لا يفعل ذلك الاحين ييأس من انصاف الناس. وكان أبو نواس فيما يظهر قد يئس من عدل معاصريه أقبح اليأس فلم يعد يهمه رضا الراضين وسخط الساخطين . وهذه الحالة النفسية هى التى أوحت اليه أجمل بيت فى الشعر العربى ، هى التى قذفت إلى روحه هذا البيت المتفرد بالروعة والجلال :

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

وما هو ذلك الشجر ؟ أهو الرفاق والأخدان ؟ أم هو الخليفة هرون الرشيد ؟ لم يحدثنا التاريخ الادبى عن « الشجر » الذى ذاق أبو نواس مرارة ثمره فزهد فى ذود الطير عنه ، لم يحدثنا التاريخ عن تلك الشجرة الملعونة التى نقلت أبا نواس من الهدى إلى الضلال ، ولكننا مع ذلك نعرف ما يريد أو بعض مايريد ، فذلك رجل أضفى على معاصريه ثياب الرفق فألقوا عليه أشواك العقوق

ارتياب ابى نواس

ثم ماذا ؟ كان أبو نواس فيما يظهر كثير الارتياب ، وأغلب الظن أنه كان لا يؤمن بالمعاد ، وإلا فكيف ساغ له أن يقول :

رأيت الليالي مرصدات لمدتى فبادرت لذاتى مبادرة الدهر

ولو كان الرجل يؤمن بأن الجنة تنتظره بما يشاء من الحور والولدان وأنهار الصهباء لاقلع عن الغواية فى سبيل ما يرجوه من نعيم الفراديس

وهل تأملتم الابيات الاخيرة فى هذه القطعة الاثيمة ؟ ان الرجل يسخر من المجد العسكرى كل السخرية ، هو لا يهمه أن يتقدم إلى صفوف القتال ، ولا يشوقه أن يتلقى تحية المشرفيات ، وفى سبيل من يقاتل ويستميت ؟ لقد تساقطت آماله ورقة ورقة ولم يبق أمامه الا أن يدوس على صحائف المجد مبددة فى سهول الخريف — أنا أرجح أن تكون هذه القطعة قيلت فى عشية من عشيات الحرب ، وأوقن بان الرجل قالها فى السخرية من المجاهدين

قلت لكم إن المجون كانت له فى نفس أبى نواس قواعد وأصول ، فاعرفوا الآن أن الرجل كان يؤمن بآداب الندماء وكان يزهو بنفسه فيقول :

انى وإن كنت ماجنا خرقا لا يخطر النسك لى على بال
لذو حياء وذو محافظة مبتاع حمد الرجال بالغالى
ما دنس المال عرض ذى شرف فان عرضى يصان بالمال

وهذه الابيات الجدية وقعت فى مطلع قصيدة خمرية

وكان أبو نواس يؤمن بانه أشرف نديم وأظرف نديم ويقول :

فلو رد فى كسرى بن ساسان روحه اذن لاصطفانى دون كل نديم

أترون هذا من كلام الهازلين ؟ . . وكان يوقن بانه بصير بمقاتل الاشياء . ويقول :

وانى لآتى الامر من حيث يتقى وتعلم قوسى حين أنزع من أرمى

وكان أبو نواس فى صحواته يحقد على الناس ويرى من الضياع أن يجبر فيهم قصائد المديح ويرى الخير فى ترجية العمر بالغزل والدعابة والمجون . ويقول :

يا مادح القوم اللئام وطالباً رفد الشحاح
اشغل قريضك بالنسيب وبالفكاهة والمزاح
حدثت وجوه ليس تأ لم غير أطراف الرماح
وأكف قوم ليس يقبط ماسها إلا المناحى
ما شئت من مال حمى يأوى الى عرض مباح

حظه المغبون

وكا أبو نواس فى غفوات سكره وغفلات صباه يصحو أحيانا فيتذكر حظه المغبون فى دنياه،ألم تقرأوا قصيدة «خيمة الناطور» ان كنتم نسيتم فانا أذكركم . هى القصيدة التى يقول فيها بعد أبيات :

وأصبحت ألحى السكر والسكر محسن ألا رب احسان على ثقيل
فاعطيت من أهوى الحديث كما بدا وذلت صعا كان غير ذلول
فغنى وقد وسدت يسراى خده ألا ربما طالبت غير منيل
كفى حزنا أن الجواد مقتر عليه ولا معروف عند بخيل
سابغى الغنى إما جليس خليفة يقوم سواه أو مخيف سبيل
بكل فتى لا يستطار جنانه اذا نوه الزحفان باسم قتيل
لنخمس مال الله من كل فاجر أخى بطنة للطيبات أكول
ألم تر أن المال عون على التقى وليس جواد معدم كبخيل

فماذا ترون فى هذه الابيات ؟ لقد قالها ذلك المفتون وهو سكران ، فافصحت عن ضميره كل الافصاح ،وماذا يريد أن يقول ؟ انه يحزن لمصير أهل الجود بين اللئام من أهل البخل ، ويقسم لينالن الغنى والثراء . ولكن كيف يثرى ذلك الصعلوك ؟ انه بين اثنتين : اما أن يجالس الخليفة واما أن يقطع الطريق ،وهو يحدثنا أن له عصابة من الفتيان الجرآء القلوب الذين لا يفزعون حين ينوه الزاحفون باخبار المصروعين فى القتال . ومن الذين يعاديهم ذلك الفاتك ؟ انه يعادى الفجرة اصحاب البطون . ثم يقول :

ألم تر أن المال عون على التقى وليس جواد معدم كبخيل

والتقى فى ذهن ابى نواس له معنى لا يعرفه الزاهدون ، التقى عند أبى نواس هو الاريحية فى

الافضال على الندماء . وكان الرجل يتمنى أن يكون موئلا يلوذ به أصحاب الارواح والاذواق والقلوب أن هذه الوثبة من أبى نواس وثبة اشتراكية لا يقدم عليها الشاعر وهو مازح ، انما يقدم عليها وهو ينوى الجد الصراح . . وأعيذكم أن تظنوا انه كان يلقى الكلام على عواهنه ، هيهات . فهو فيما اعتقد كان يحارب ناساً امتلأت بطونهم بالسحت حين عرفوا كيف ينفع النفاق

ولايبعد عندى أن يكون أبو نواس يعنى النساك من أهل زمانه ، فقد فاض شعره بالحديث عن النسك والسخرية من الناسكين . والنسك كما تعلمون كان فى بعض أحواله من وسائل الربح والثروة والجاه . ومثل أبى نواس فى صراحته لا يصلح لاكتساب المال عن ذلك الوجه الرقيع

جده فى زهدياته وخمرياته

لا تنتظروا أن أحدثكم عن زهديات أبى نواس ، فتلكم قصائد ومقطوعات قالها الرجل بعد أن عجز عن الجد وعن المجون ، والوقار من العاجزين يشبه أدب العبيد ولا يوضع فى الميزان ، وانما يجب أن ندقق النظر فيما اصطنع أبو نواس من المذاهب الجدية وهو فى عنفوان الفتوة ، وأ كاد أجزم بأن الحاحه فى وصف الصهباء كان صورة من صور الجد المرهق . فالرجل كان يتغنى بالخمر فى أمة تسميها أم الخبائث . وكان يتغنى بالجمال الممنوع فى ظل هرون الرشيد ، وهو خليفة كان يجب أن يقال فيه انه يغزو عاماً ويحج عاما . وحرص الخلفاء على الوقار حرص شديد وان كان يتفق أحياناً أن يكون من الادب المصنوع

فكيف تعللون اسراف أبى نواس فى وصف الشمول ؟ أترون ذلك كله من المجون ؟ قولوا ما شئتم . أما أنا فأعتقد أن الرجل كان يصدر فى ذلك عن وجدان ويبعد عندى أن يكون شغفه بوصف الخمر من أعمال العابثين

وأسارع فأقرر أن أبا نواس كان سيء السيرة ولكن لا إلى الحد الذى يصوره المأثور من أخباره الادبية ، فانى أوقن بأن انحيازه إلى الامين كان السبب فيما ساد من أخباره السيئات . وأنتم تعلمون أن الامين انهزم شر هزيمة ، وكانت هزيمته شفاء لصدور الحزب الغالب حزب المأمون ، وكان لابد لانصار المأمون أن يفهموا جمهور المسلمين أنه لم يغدر بأخيه وانما قتله فى سبيل الشرع والدين ، وما كان ذلك يتم لهم الا بتسويد صفحات من صاحبوا الامين ، فكان أبو نواس ضحية الافك السياسى القذر الذى اصطنعه أنصار المأمون

أما بعد فهذا مقال أردت به وجه الحق ، أردت به انصاف شاعر ضمخ لغة العرب بأنفاسه الشعرية ، فان اكن أصبت فذلك ما أرجوه ، وان اكن أخطأت فحسبى من الشرف أنى تورعت عن الطعن فى شاعر باسم الفضيلة والدين

زكى مبارك

الجوارى فى عصر أبى نواس
وأثرهن فى الأدب والمجتمع

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

كان عصر أبي نواس - وهو أواخر القرن الثانى من الهجرة - عصر الرشيد ، ويكفى أن نقول عصر الرشيد لنذكر ما بلغته الدولة العباسية فى تلك الفترة القصيرة من القوة ، والروعة والبهاء ، وما انتهى اليه المجتمع البغدادى يومئذ من ألوان النعماء والبذخ والترف

وكان الأدب يومئذ فى عنفوانه ، والأدب مرآة العصر ، وكان الشعر بالأخص ترجمانا صادقاً لذلك المجتمع الباهر المترف ، يبدو فى الوانه المزهرة القاتمة معا . ذلك أن المجتمع العباسى كان يجمع الى أسباب البهاء والروعة الظاهرة ، كثيرا من عوامل الفساد والانحلال الخفية التى صدعت من صرح الدولة العباسية فيما بعد ، ثم حملتها الى قدرها المحتوم ، فكما انا نرى الشعر فى هذا العصر يسمو بالجمال والخيال والفن الى ذرى الابداع والافتنان ، نراه أيضاً ينحدر الى الوان مثيرة من الرذيلة والانحلال والاغراء ، وربما لم يجتمع فى عصر من عصور الأدب العربى مثل ما اجتمع فى هذه الفترة القصيرة من كبار الشعراء الذين جمعوا فى شعرهم بين مظاهر السمو والانحلال معا . فكان الى جانب أبي نواس ، مسلم بن الوليد وابو العتاهية والحسين ابن الضحاك وغيرهم من فحول الشعراء الغزليين والغنائيين

وكان الجوارى عنصرا من أهم وأسطع عناصر المجتمع الرفيع يومئذ ، ولنذكر أولا أن كثيرا من الخلفاء العباسيين وفى مقدمتهم الرشيد نفسه ، وكذلك المأمون والمعتصم والواثق والمستعين ، كانوا من أبناء الجوارى ، وكان اقتناء الجوارى البارعات فى الحسن أو الغناء أو الأدب عنوان النعماء والبذخ ، تغص بهن قصور الخلفاء والوزراء والسادة ، ويؤتى بهن من مختلف الأمم ، ويلقن مختلف الثقافات الأدبية والفنية ، وتبلغ أثمانهن عشرات الألوف احيانا ، ويتنافس فى اقتنائهن الأكابر ، ويشاد بخواصهن وخلالهن فى كل مجتمع وناد

وكان هذا المزيج المتباين الذى تكونه جنسيات وخلال وثقافات مختلفة ، قوة اجتماعية خطيرة لها أثرها القوى فى تكييف الحياة الاجتماعية ، وفى تطور سير المجتمع الرفيع ، وتطور خلاله وأذواقه ، بل كان لها أثرها العميق فى سير التفكير والآداب والفنون كما سنرى

كان مجتمع الجوارى هو العنصر المثقف بين نساء العصر ، ذلك لأن الجوارى كن سلعة ووسيلة للكسب ، وكن يهذبن ويثقفن ويلقن مختلف الفنون والمهن ، فكانت هذه الثقافة

الاجتماعية الى جانب الشباب والجمال عاملا من أهم العوامل فى رفع الأثمان وتحقيق المغانم ، وكان الجوارى دون الحرائر . يتمتعن بحرية التنقل والسفور ، والاتصال بالمجتمع ، وتذوق الحياة الاجتماعية الملئية . فى القصور والابهاء والنوادى ، وبذا كن عنصرا حيا يؤثر باستمرار فى تطور المجتمع والحياة الاجتماعية

ونستطيع أن نتصور ما كان لمثل هذا العنصر الذكى الرشيق ، أعنى الجوارى ، من أثر فى التفكير والأدب ، إذ من كان شهود هذا المجتمع الأنيق من الرجال غير الشعراء والادباء والمثقفين من الأكابر والسادة ؟ وهؤلاء قادة التفكير فى المجتمع . ولقد كان الأدب العباسى يومئذ فى عنفوانه كما قدمنا ، وكان أكابر الشعراء يلازمون هذا المجتمع الساحر البهيج ، يستوحونه فيوحى اليهم بروائع المعانى والفكر ، وكان أبو نواس وزملاؤه من أكابر الشعراء الغنائيين ، هم الناظمون القصائد والمقطوعات الغنائية البديعة التى يغنيها أكابر القيان والتى كانت تملأ مجتمعات العصر مرحا وطربا

بل لقد كان لهؤلاء الجوارى البارعات أدب خاص نشأ على أيديهن وفى بيئتهن . فقد رأيت أن التثقف والتأدب كانا من خلال الجوارى البارعات ، وكان هذا الذوق الادبى الذى يزينه الجمال والفن والسحر النسوى ، تذكيه وتصقله خواص المجتمع الأنيق الباهر الذى يسطع فيه . وقد نبغ بعض أولئك الجوارى الساحرات فى الأدب والنظم نبوغا يذكر ، ومن هؤلاء عريب جارية المأمون ثم جارية أخيه المعتصم ثم الواثق ، وكانت من أعظم جوارى العصر جمالا وثقافة وأدبا ، ومؤنسة جارية المأمون أيضا ، وعنان جارية الناطفى ، ومتيم الهاشمية جارية على بن هشام ، ودنانير جارية يحى البرمكى ، ويفرد لنا صاحب الاغانى لأخبار أولئك الجوارى الأديبات فصولا طويلة ويورد لنا كثيراً من نظمهن . وكان ابو نواس يهوى جارية أدية لبعض الأكابر تدعى « جنان » ، وكان لها أثر كبير فى شعره ، وفيها نظم كثيراً من رائع مقطوعاته

بيد أنه يجب أن نلاحظ أن أدب الجوارى فى هذا العصر قد اتخذ لونا خاصا ، فهو أدب مرح ومسرة وطرب ، يميل الى المجون والدعابة ، ولا غرو فقد نشأ فى مجتمعات السرور والانس ، تغذيه أكواب الراح ، ونشوة الشراب ، وتذكيه الاهواء والعواطف المثيرة ، وقد نشأ ترجمانا لجوى الحب ونعيم الوصل وشجن الفراق . ويقدم الينا صاحب العقد الفريد نماذج ممتعة من هذا الادب الطروب الماجن الذى برعت فيه الجوارى والقيان فى هذا العصر ، نكتفى بالاحالة عليها

ونجد أثر هذا الروح المرح الماجن الذى بثه الجوارى فى مجتمع العصر ، بارزا فى أدب العصر نظمه ونثره ، وكما أن هذه البيئة الأنيقة الساحرة - أعنى بيئة الجوارى - قد أذكت بظرفها وسحرها ورقة شمائلها فى الشعر عبارة الجمال ، وسمو الخيال ، وروعة الوصف والغزل ، واستوحى

منها أبو نواس وزملاؤه كثيراً من المشاعر والمعانى السامية ، فكذلك كان لهذه البيئة المرحة الطروب التى تبدو فيها الحياة كأنها متاع دائم ، أثرها الواضح فى تطور الشعر يومئذ ، ذلك أن مجتمع الجوارى كان بطبيعته يتمتع بكثير من المواهب والخلال الفنية والغنائية والموسيقية ، فكان لهذه المواهب والخلال أثرها فى أذواق الشعراء ، وهم بطانة هذا المجتمع الفنى ، فا كثروا من القصائد والمقطوعات الغنائية كذلك كان مجتمع الجوارى تغلب عليه الوان المجون والخلاعة

ولقد كان مجتمع الجوارى برغم اثواب الثقافة والبهاء والسحر التى يتشح بها ، يحمل فى ثنياته كثيرا من عناصر الرذيلة والانحلال ، ذلك أن مثل هذا المجتمع لم يكن بطبيعة العناصر التى يتألف منها ، والاهواء التى يجنح اليها ، والغايات التى يتحراها ، فى مستوى رفيع من الوجهة الاخلاقية . ألم يكن الجوارى فى الواقع طبقة من انصاف الحرائر ، يرى فيهن الخلفاء والسادة والادباء والشعراء مخلوقات ممتعة مهمتها الاولى أن تحقق ملاذ الحس والعقل معا ؟ ولقد كان القصف والتهتك والخلاعة من خواص هذه الطبقة التى جمعت اخلاط الجنسيات والامم ، وكتب عليها أن تجوز غمار الشرق ، وان تجوس مختلف المجتمعات والدور متنقلة بين مختلف الملاك ، وأن تخضع لوضيع الاهواء والشهوات حيثما حلت ، وهذه ظروف واعتبارات لا يمكن أن تتفق مع مقتضيات الحياء والحشمة والعفاف التى يتمتع بها مجتمع الحرائر ، ولقد كان القيان يعتبرن برغم مواهبهن الفنية طبقة وضيعة خطرة على الخلق الفاضل

وإذ كان الادب ترجمان الحياة الاجتماعية ، وترجمان مشاعرها وعواطفها ، فانا نستطيع أن نقول ان الروح الادبية التى سرت الى مجتمع الجوارى والقيان فى العصر الذى نتحدث عنه ، أعنى أواخر القرن الثانى ، كانت روحا مادية وروح انحطاط ورذيلة . ولقد تأثر الادب العباسى فى ذلك العصر بتلك الروح أيما تأثر

بيد أنه يجب ألا ننسى من جهة أخرى ان تلك الروح الحرة المرحة الساخرة التى سادت أدب الجوارى هى سبب ما نلحظه فى هذا الادب من رقة وخفة روح وسحر ، كذلك يجب ألا ننسى أن هذه الخلال الرقيقة الساحرة التى امتاز بها مجتمع الجوارى ، كانت من الناحية الاخرى عاملا فى اذكاء الروح الشعرى ، وصقل مثل الجمال والظرف ، ورفع معيار الاناقة والتأدب والذوق الحسن ، وبث الخلال والشمائل الرقيقة ، ورفع معيار الحياة الاجتماعية بوجه عام ، ولقد كان بين أولئك الجوارى الرائعات من تذكرنا خلالها بارق مايمتاز به المجتمع الانيق فى عصرنا

والخلاصة أن هذا المجتمع الرشيق الساحر ـ مجتمع الجوارى ـ كانت له خلاله الباهرة القاتمة معا ، وكانت له فضائله ورذائله . وكان له أدبه الخاص . وكان له أثره القوى فى تطور المجتمع ، وفى تطور التفكير والآداب

محمد عبد الله عنان

بين شوقي وأبي نواس

بقلم الأستاذ كامل كيلاني

اعجاب شوقي بأبي نواس – تهافت الشاعرين على الحياة – النواسي لا يبالي النقد – بين الشاعرين في الخمريات والغزل – مراثي شوقي وابي نواس

ما احسب شوقي الشاعر – في جماع شعره – يمت بصلة وثيقة إلى النواسي الشاعر

ولقد يدهش الباحث المنصف حين يرى – في كثير من قصيد شوقي – محاكاة بارعة لفحول شعراء العربية أمثال: ابن زيدون والبحتري والشريف ومهيار والمتنبي ومن اليهم من الافذاذ، ويرى شاعرنا يجري مع هؤلاء في حلبة واحدة ويسابقهم مسابقة الند للند ويساير أسلوبه أساليبهم حتى ليخيل اليك انك ترى في مرآة شعره صوراً صادقة لهؤلاء الاعلام

فاذا تلمست صورة صادقة لابي نواس الشاعر في الشوقيات أضناك الجهد وأعجزك أن تظفر بطلبتك أو تستروح نسمة من شاعرية النواسي في جمهور مانقرأ من شعره الفذ

اعجاب شوقي بأبي نواس

وما ننكر على شوقي أنه احب النواسي وافتتن به في بدء حياته وأطلق على كرمتيه لقبه، ولكنا ننكر عمق الاثر الذي خلفه شعر النواسي في قصيد شوقي

ولو أطلق الشاعر شوقي على كرمتيه اسم البحتري أو ابن زيدون أو الشريف او مهيار مثلا لكان ذلك بما حاكاه من اشعارهم أولى واجدر

ولو أطلق على كرمتيه اسم ابن زيدون خاصة لانصف – بذلك – شاعريته وأرضى ضميره الادبي وبر بالحقيقة التي طالما جهر بها في احاديثه الممتعة. فقد احب شاعرنا وافتتن به وفضله على جميع شعراء العالم – من قدماء ومحدثين – على اختلاف بيئاتهم وأجناسهم ولغاتهم وازمانهم

ولم يفته ان يلمع إلى رأيه في تصدير ديوان ابن زيدون فقال:

انت في القول كله احسن الناس مذهبا
بأبي أنت هيكلا من فنون مركبا

شاعراً أم مصوراً كنت ، أم كنت مطربا
ترسل اللحن كله مبدعا فيه مغربا
أحسن الناس هاتفاً بالغوانى مشببا

وكان ــ فيما يحدثنى ــ لا يعدل به شاعراً من شعراء الدنيا قاطبة

فكيف تعلل هذه التسمية ؟ وكيف نشأت ؟ ولماذا أطلق شاعرنا على كرمتيه لقب ابن هانى ؟ الامر غاية فى اليسر :

فقد اصطحب الشاعران وتحابا منذ تعارفا أول مرة فى فجر حياة شوقى الادبية ، ولصق بكرمته ذلك اللقب منذ نشأتها ، وتناقلته الصحف ، وعرفه الناس ، فلم يستطع منه فكاكا ، ولم ير فيه بأساً ، بعد أن سار مسير الامثال ، فانتقل اللقب من كرمته فى المطرية إلى كرمته فى الجيزة ، ولازمه فى حياته وبعد موته

وقد أولع شوقى بالاشارة إلى ابن هانىء ومقارنته بنفسه فى بعض أوائل قصائده ، فقال يصف مرقصاً أقيم فى قصر عابدين عام ١٩٠٤ :

قم أبا نوا س انظر النشب
ما الخصيب ما الـ بحر ذو العبب
هل عهدته يمطر الذهب ؟

الى أن يقول :

هالة مدحة الـ شاعر الارب
زفها الى خير من خطب
فارسية بزت العرب
لم يجىء بها شاعر ذهب

وقد ذاعت هذه القصيدة وملأت الآفاق الادبية وعدها المتأدبون والنقاد ــ حينئذ ــ من روائع شوقى وآياته

ثم أشار اليه فى قصيده المرتجل الذى أنشده للامير ــ بعد عودته من الحج (١)

---

(١) قالوا : ان امير مصر ، أعجب بمعارضة شوقي للبوصيري في قصيدته التي اسماها « طراز البردة » بمناسبة حج الامير الى الاقطار الحجازية

وقد مر الامير على دار شاعره ــ بعد عودته من الحج ــ فاعجب بما رآه من بديع الزينة التي افتن فيها شوقي ليظهر احتفاءه بعودة سيده ، فقال له الامير :

« يا شوقى ! لقد أعجبتني قصيدتك ، كما اعجبتني زينتك »

فارتجل شوقى الابيات التالية :

فقال :

هذا ابن هاني نال ما قد نلت من … حسب تدل به على الاحساب
قد كان يسمى للرشيد ببابه … فسعى الرشيد اليه وهو ببابي

ثم أشار اليه مرة ثالثة ، فقال :

وأبي نواسي هذا الزمان … فمن للزمان بسمع الرشيد ؟

وهو بيت – كما يراه القارىء – رائع النسج ، فياض الشاعرية ، ملىء بالحسرة والألم وان كانت الحقيقة تأباه والتاريخ لا يؤيده ، وهو جدير أن يتمثل به شاعر مغبون لم ينل شيئاً مما يستحق، ولم يظفره زمنه ببعض ما هو أهل له من الحفاوة والتكريم . ولا كذلك شوقي فقد ظفر من الدنيا بأكثر مما ظفر به النواسي ولقي من حفاوة الامير أضعاف مالقي صاحبه . وقد سجن أبو نواس أكثر من مرة ولقي اعناتاً وجهداً حين أطال الرشيد حبسه – ذات مرة – عقاباً له على قصيدته التى هجا بها عدنان وافتخر فيها بقحطان وافتتحها بقوله :

لست بدار عفت وغيرها … ضربان من قطرها وحاصبها

وليس قول أبي نواس حين هم الخليفة بقتله – بغائب عن أذهان الطلبة بله المتأدبين ، فهو في محفوظاتهم الاولى ، وفيه يقول :

بك أستجير من الردى … متعوذاً من سطو باسك
وحيــاة رأسك لا أعو … د لمثلها وحياة راسك
من ذا يكون أبانوا … س إن قتلت أبا نواسك ؟

وقد كان أبو نواس واحداً من شعراء الرشيد والامين ، ولا كذلك شوقي فهو شاعر الامير الفرد ، وما بالقليل ذا اللقب ، كما يقول

وقد لقي أبو نواس من رعاية الامين أكثر مما لقي من رعاية الرشيد ، وما نظن القافية قد أنفذت حكمها في شوقي فاضطرته إلى اقحام اسم الرشيد – بدل الامين – فلعل له وجهة أخرى جديرة بالاحترام ، ولعله خص الرشيد بالذكر لحسن بصره بفنون الشعر ، وعمق تقديره لوجوه الاجادة ، وألمعيته في وزن الشاعرية وآيات الاحسان

زين الملوك العبد مر ببابي … كرما ، ورب الله طاف ببابي
يا ابنة القصور أتي طفتها … ما بك بعد اليوم من مرتاب
ما كنت أهلا للنوال وانما … نفحات أحمد فوق كل حساب
لما بلغت الـمـؤال لـيـلة صحبه … بعث الملوك يعظمون جنابي
بدران : بدر في السماء منور … وأخوه فوق الارض نور رحابي … الخ

تهافت الشاعرين على الحياة

على أن هناك أسباباً خطيرة أخرى تبرر الموازنة بين الرجلين، وان لم يكن هناك ما يبرر الموازنة بين الشاعرين

فان كلا الرجلين مؤمن عميق الايمان، متين العقيدة، غيور على الاسلام، وكليهما متهافت على الحياة متزود من لذائذها ومتعها، لا يحزنه شيء في الدنيا إلا عجزه عن انتهاب لذة الحياة

ولكن صاحبنا يستر مذهبه وقلما يسمح لنفسه أو لغيره أن يجهر بالمعصية. أما النواسي فيعلن مذهبه واضحاً جلياً لاخفاء فيه، ويقرر رأيه متحمساً له حماسة المعتقد الذي يبسط رسالته في الحياة ويؤديها أنشط ما يكون لتأديتها، وأقوى ما يكون ايماناً بصلاحيتها، فيقول:

لا تصحبن اللذات مكتتما واغد اليهن خالع الرسن

ويقول:

ألا فاسقني خمراً وقل لي: هي الخمر ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر

فاذا تصدى مشفق لنصحه، وزين له أن يترك الخمر بعد أن أعجزته الشيخوخة، ندد به النواسي، وتهكم ساخراً، وقال هازئاً من قصيدة بارعة:

قالوا: كبرت فقلت: ما كبرت يدي عن أن تسير إلى فمي بالكاس

ولقد كنت ألقى شوقي — في أواخر أيامه — كل ليلة تقريباً، فلا أكاد أفارقه حتى أجدني محزوناً لتهدم جسمه، متألماً لافاعيل الشيخوخة ببنيته، متمثلا عن غير قصد بقوله في زيدونيته الرائعة:

لم تبق مني يافؤاد بقية لصبابة، أو فضلة لعراك

كنا اذا صفقت نستبق الخطى ولشد شد العصبة الفتاك

فاليوم تبعث في حين تهزني ما يبعث الناقوس في النساك

ولقد كان شاعرنا في شيخوخته كلما تمثله رائيه ذكر قول البحتري في وصف اطلال ايوان كسرى اذ يقول:

لو تراه علمت أن الليالي أحدثت فيه مأتماً بعد عرس

* * *

قلنا: ان الشاعرين يتفقان في حسن العقيدة، وحرية العاطفة، ولكنهما يختلفان اختلافاً عظيماً في طرائق التعبير، فالنواسي صريح العبارة، ماجن اللفظ، متهتك الاسلوب في جمهرة شعره

أما شوقي فهو في جمهور شعره على النقيض من صاحبه، عف اللفظ طاهر الاسلوب، يوصي بالخلق، ويحمس للفضائل، لانه يؤمن ايماناً وثيقاً، أن الامم لا تنهض إلا على أمتن دعام من الاخلاق الفاضلة، وأقوى أسس من الدين

النواسي لا يبالي النقد

وكان من الطبيعي أن ترى أبا نواس مستهتراً جريئاً ، لا يبالي النقد ، ولا يجزع من الهجاء ، أما شاعرنا فقد كان – على نقيضه في هذه الخلة – فما رأيت شاعراً أو كاتباً ، أضيق ذرعا بالنقد – بله الهجاء – من شوقي

وكان يبلغ من ذلك انه لا يطيق أخف ملاحظة عليـه ، ولا يتسع صدره لاقل استدراك على شعره

ولو ألفت كتاباً في تعداد مناقبه ونحلته مزايا الخالدين وفضلته على شعراء الامم قاطبة – من قدماء ومحدثين – ثم المحت في ثنايا مدائحك بهفوة يسيرة لاحفظته عليك وأصبحت في عداد حاسديه وأعدائه . وكان يسهر ليله ولا ينام ، اذا قرأ نقـداً موجها اليه أو نمى اليه أن أحـد الناقدين يهم بلمز شعره

وقد كان خاصاؤه يخفون عنه الصحف التي تتعرض لنقده ولا يظهرونه إلا على مدائح المعجبين من منصفين ومأجورين

وما نذكر أننا قرأنا لشوقي – فيما قرأناه من شعره – بيتاً واحداً في هجاء كائن كان إلا منتصراً لمبدأ عام أو مقرراً لفكرة اصلاحية أو ناعيا على منحرف نقم منه او منددا بخطأ لا يرضاه

وقد أشاد شاعرنا بابن زيدون وأكبر فيه تورعه عن الهجاء – ونسي انه قد هجا ابن عبدوس أخبث هجاء – فقال شوقي متمدحا بهذا الخلق الكريم الذي توهمه في ابن زيدون :

وإذا الهجو هاجه لمساءاته أبى
ورآه رذيـلة لا تماشي التأدبا
ما رأى الناس شاعراً فاضـل الخلق طيبا
دس للعـاشقين في زنبق الشعر عقربا

أما هجاء النواسي فقد كان – على قلته – لا ذعا خبيثا

في الخمريات والغزل

بقيت هناك ملاحظات كثيرة لا تتسع لها هذه الالمامة العابرة ، فلنقتصر منها على واحـدة لانستطيع اغفالها مهما ضاق المقام

كان أظهر مزايا النواسي ابداعه في خمرياته وغزله وأظهر ما نراه في شعر شوقي تقصيره في هذين الفنين وتخلفه المتنادر فيهما

وقد تجاوز النواسي – في الخمر والغزل – غايات الاجادة وتخطى حدود الابداع وتفنن فيهما

ما شاءت له عبقريته وفنه، وأصبحت خمرياته ـ على الأخص ـ أ نبر آيات شاعريته وصارت مضرب الامثال فى كل العصور ، حتى خصه المعرى فى رسالة الغفران بالحكم على شراب الجنة ورآه فى هذا الباب فيصلا ترضى حكومته ولا يرد له رأى فقال :

« ولو جرع منه الحكمى (١) لحكم بأنه الفوز »

أما شوقى فقد تجلت شاعريته فى أكثر فنون الشعر بمقدار ما تجلى تقصيره ـ ولا نقول قصوره ـ فى هذين الفنين . وربما عجب النقاد من ذلك وقالوا : « اذا عذرنا شوقى فى تخلفه فى الغزل لم نجد مبرراً واحداً يسوغ تخلفه عن اللحاق بشأو النواسى فى وصف الخمر ، فقد فتن بها الشاعران فتنة واحدة وهاما بشربها مدى الحياة » . ولكن عذر شوقى فى ذلك واضح كما يراه القراء بعد قليل

مراثي شوقي وابي نواس

على أن شاعرنا قد أجاد فى الرثاء اجادة نادرة ـ فى سواد شعره ـ وأبدع فيه ابداعا لايمد له إلا تخلف النواسى فى هذا الباب

ولقد تجلى تقصير النواسى ـ ولا نقول قصوره كذلك ـ فى رثاء ولده حين قال :

لعمرك ما أبقى لنا الموت باقياً تقربه عينا غداة نؤوب
كأنى وترت الموت بابن أفاده على حين لاحت كبرة ومشيب

وكأنما حسب أنه قد أرضى فنه وحزنه عليه بهذين البيتين ، وظن أن تلك اللفتة الفنية الرخيصة كافية فى تصوير ألمه لفقد ولده العزيز عليه

وإن من يقرأ مراثى ابن الرومى فى أبنائه الثلاثة ليرى نفسه فى سعة من العذر اذا أسقط مراثى أبى نواس ولم يستجد منها إلا القليل النادر . ومن ذلك القليل النادر أبياته فى رثاء الامين ، التى يقول فيها :

طوى الموت ما بينى وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناشر

✡ ✡ ✡

أما عذر شوقى فى تخلفه فى الخمريات وعذر النواسى فى تقصيره فى الرثاء فهما واضحان للباحث المنصف وليس فيهما من خفاء

فقد شغل شوقى نفسه بأحداث الفناء وقضى حياته ـ على ما أصاب من نعمة ورخاء ـ معنى الخاطر مروع القلب بأهوال المنية وأصبح يرى فى مصرع كل صديق صورة مفزعة تمثل له مصرعه الوشيك وتقض مضجعه وتهيج بلابله حتى صدق فيه قول الشريف الرضى :

(١) الحكمي : لقب ابي نواس

من يكن زائري يجدني مقيما اتبع الفائتات بالرائحات
من ندامى على الهموم قعود يدعمون الاذقان بالراحات
كلما أنزفوا من الدمع مدة بهم دواعي الهموم بالعبرات

ولقد كانت الخمر تذهله عن همومه فترات ثم لا تلبث احداث الزمن ومصارع الألاف والخلصاء أن تشغله عن وصف الخمر والتفنن فيه

أما أبو نواس فقد كان — على النقيض من ذلك — لا يكاد يلتفت إلى الوراء ولا يعنيه إلا حاضره السعيد. وما كان الموت ليمر على خاطره إلا فترات قصيرة ثم تشغله الحياة الغرور ومتعها البراقة عن التفكير فيه . وما للتواسى والركون إلى اليأس واطالة الحزن على الموتى والاستسلام إلى هموم الحياة والبكاء على الاطلال والدمن وفي الراح سلوته ونعيمه وترياق آلامه وشفاء نفسه من ذكريات الفناء الالمية ؟ ألا تراه يقرر هـذا المذهب المرح فى أبلغ عبارة وأدق أسلوب ، حين يقول :

لا تبك للذاهبين فى الظعن ولا تقف بالمطى فى الدمن
وعج بنا نصطبح معتقة من كف ظبي يسقيكها فطن
تخبر عن طيبه محاسنه مكحل ناظريه بالفتن
ما أمت العين منه ناحية إلا أقامت منه على حسن

أو يقول :

اصدع نجى الهموم بالطرب وأنعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش فى غضارته لا تقف منها آثار معتقب

* * *

وانظر اليه فهو لا يكاد يذكر مجالسه وخلصاءه ، وينعم الفكر فى الاحباب والندمان الذين طوح بهم الدهر وأسلمهم إلى الفناء ، حتى يرى فى ابنة العنب غنيته وعزاءه عن كل ما فقد من متع الحياة

ولا ننسى — قبل أن نختم هذه اللمحة السريعة — أن نذكر القارىء بأن كلا الشاعرين من شعراء البلاط المقربين ، وأن كليهما على حظ كبير من الثقافة ، وكليهما فياض الشاعرية بصير بفنون الشعر ، وكليهما مرهف الحس بارع الخيال مفتون بروائع الحسن مأخوذ بسحر الجمال

كامل كيلاني

ابن هانئ

شاعر أبيقوري المزاج في عصر يغري بالأبيقورية

بقلم الاستاذ علي ادهم

« .. وشعر ابي نواس وثيقة منقطعة النظير في الادب العربي ، في الصراحة والجراءة ، وصدق التصوير .. وهو انموذج لأقصى ما انتهت اليه الابيقورية في عصر من ازهى عصور الحضارة الاسلامية.. »

كان لسقوط الدولة الاموية وانتقال الخلافة الى بنى العباس رجة شديدة وأثر بعيد فى العالم الاسلامى. وقد كان انتصار العباسيين فى وضعه الصحيح وتفسيره الصادق انتصاراً للفرس على العرب ، واستعادة لنفوذهم الضائع وسلطانهم المفقود . وقد لا يخلو من المبالغة اعتبار الفرس أن معركة الزاب كانت رداً على انتصار العرب عليهم فى القادسية . ولكن الثابت المعروف أنه منذ قيام الدولة العباسية بدأت سطوة العرب فى الزوال . وأخذ نجمهم فى الافول . وكانت سياسة الدولة الاموية فى صميمها قائمة على التشيع للعرب وتمجيد العنصر العربى والاستناد إلى العصبية واتخاذها أداة من أدوات السياسة وسبباً من أسباب القوة ، ولم يستطع حتى كبار الخلفاء الامويين ونوابغ ساستهم الاقلاع عن تلك السياسة الخطرة والخروج من حيزها الضيق وأن يستبدلوا منها سياسة أخرى تقوم على مزج العناصر المختلفة ومحو أثر الفوارق الجنسية . وكانت هذه السياسة من أقوى الاسباب التى جلبت عليهم الاهوال الشداد وأثارت عليهم النقمة فى نفوس الشعوب غير العربية وعجلت بسقوط دولتهم . وقد كان هذا التعصب للعرب يستدعى التعلق بعاداتهم والمحافظة على تقاليدهم وتعظيم مناقب الجاهلية والاعجاب بالبداوة حتى رسخ فى الاذهان واستقر فى النفوس أن التقاليد العربية هي المثل الاعلى الذى يجب احتذاؤه والاخذ به . فلما غلب الامويون على أمرهم وعلت كلمة الفرس استتبع ذلك الشك فى قيمة الآداب التى اقترنت بعلو سلطان العرب واستمسك الناس بها تشبهاً بهم ومجاراة لهم ، شأن الامم المغلوبة فى الاخذ بعادات الامم الغالبة ومحاكاة تقاليدها . وكان من أثر ذلك ان استرخت أواصر العصبيات وأخذت فى التفكك والانحلال وتولت أنفة البداوة وجهرت الشعوبية باذاعة مثالب العرب ونقائص الجاهلية وبعثت الدولة الجديدة الناهضة نشاطا مستحدثاً وأثارت هما كانت راقدة وأحيت آمالا كانت ذاوية فاستفاضت الاموال واتسع الثراء وحفلت الحياة بمظاهر الترف ومجالى

الاناقة . وتوافر الثروة مدعاة إلى الانغماس فى الرفاهة والاسراف فى طلب المتعة وانطلاق الشهوات من عقالها . وكثر التسرى تبعاً لذلك فكان من دواعي سقوط مكانة المرأة وانحلال الاسرة والنزوع الى التهتك . وراجت مجالس الشراب وارتفع شأن الغناء وترك الخلفاء الحرية للناس ينغمسون فيما يشاءون من اللهو والمتعة ما داموا لا يتصدون للسلطان ولا يخلعون الطاعة . والشعراء بطبيعتهم الحساسة ونفوسهم التراعة الى الفوضى والتحلل من قيود العرف أسبق الناس الى الانطلاق فى هذا الميدان وأشدهم اقبالا على اجتناء اللذة واهتصار المتع والمسرات . وقد كان الامويون يستعينون بالشعراء على تثبيت ملكهم وتأييد دعوتهم والنضح عن سياستهم واذاعة مدحهم لتعويلهم على العصبية . أما الدولة العباسية فكان لها من قوة أنصارها الفرس ما يغنيها عن التكثر بالشعراء والتقوى بهم

ولما ثبتت دولتهم أصبح المقصود من تقريب الشعراء الاستمتاع بالادب باعتباره مظهراً من مظاهر الجمال وزخرفا من زخارف الحضارة ولونا من ألوان المتعة . وكان الشعراء يحضرون المجالس التى يعقدها الخلفاء والوزراء للشراب والغناء ويقومون فيها مقام المحدث المسلى والنديم الفكه . واستدعى ذلك أن يكثر فى الشعراء أهل المجون والتهتك والخلاعة

وفى خلال ذلك نشطت الحركة الفكرية وازدهرت واتسعت آفاقها وأثارت مظاهر الحضارة المؤتلفة ومجالى الجمال خيال الشعراء وصقلت قرائحهم فخالجتهم احساسات لم يشعر بها الشعراء من قبل وطافت برءوسهم أخيلة جديدة وصور ذهنية غير معهودة . وقد نشأ أبونواس وترعرع ونضجت شاعريته فى هذا الجو الحافل . وكان هذا العصر مقدمة صالحة لانتاجه ومسرحاً مناسباً لظهوره . فلا غرابة ان كانت أشعاره أوضح صورة لهذا العصر اللامع الذى انتشت فيه الحضارة واتسعت الثقافة واتجهت فيه النفوس الى طلب المتعة

وشعر أبى نواس وثيقة منقطعة النظير فى الادب العربى ، فى الصراحة والجرأة وصدق التصوير ، فانه لم تجل بنفسه خطرة ولم تحدثه نفسه بريبة ولم تلم به نزوة أو تعرض له شهوة الا كشف عنها وترنم بها فى شعره واصفاً دبيبها بين جوانحه وتمشيها فى خواطره كانه كان يرى فى ذلك شفاء لنفسه المتطلعة المنهومة ومتنفساً لفنه . وهو من هذا الطراز من الناس الذى يدين بالمتعة ولا يؤمن فى الحياة بغير اللذة . وهو أنموذج لأقصى ما انتهت اليه الابيقورية فى عصر من أزهى عصور الحضارة الاسلامية . والحياة فى نظره فترة قصيرة ونهزة عارضة ، من الحماقة ألا نغتنمها قبل فوات وقتها . وهى ليست جديرة بأن يقضيها المرء فى طلب الغايات البعيدة وتحقيق المطالب العالية ، وليس فيها أعماق سحيقة تسترهب الناظر اليها ولا أبعاد فسيحة يضل فيها الفكر . فاذا علم أن بعض معاصريه يجهد ويفكر ويقف من الحياة موقف المتأمل مثل ابراهيم النظام عرض به من وراء لهوه وقذفه بمثل قوله :

فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

وقد توافرت له أسباب المتعة واجتمعت له دواعي اللهو والمجون حتى نال منها ماشاء كما قال في أحد اعترافاته :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم   واسمت سرح اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه   فاذا عصارة كل ذاك اثام

وشعره هو صدى مخاطراته في اقتناص اللذة واغتنام اللهو واعتراف يتقدم به إلى الاجيال التالية غير متردد ولا هياب وفي غير محاولة أن يبرر سلوكه أو أن يعتذر عن نفسه . وقد ساعدته نشأته على انماء خصائصه النفسية ومكنه عصره من الانطلاق طوع شهواته ، وكان من أول أمره مخاطراً لايعتز بحسب ينتمي اليه ولا يلوذ بمنصب كبير في الدولة يتوارى خلفه ، ولم يكن له سند في الحياة غير قدرته الشخصية ومزاياه الفنية . وكان جو بغداد ملائماً أشد الملاءمة لتفتح هذه الشخصية وبلوغها الى منتهى ما قدرته لها الطبيعة . وقد كان أبو نواس رجلا وسيماً معتدل القامة سليم البنية يقظ الحواس حاد الذكاء قوي البادرة يحسن الخروج من كل مأزق والتغلب على كل عقبة . ورجل له مثل هذه السرعة في الاحساس والتصور والعمل وهذا الانسجام بين القوى العقلية والقوى البدنية لا بد أن يصطدم بقوانين العرف المتبع والآداب المرعية ، وقد كان أبو نواس متحللا من قيود الاخلاق لا لانه ثائر عليها بل لانها ليست في دمه ولا في احساسه ولا حساب لها في مزاجه ، وقد حماه ذلك التردد والاحجام ووطأ له تحقيق اطماعه واشباع شهواته . وقد كان عنده من قوة النشاط ودقة الفهم وسعة الحيلة ما يمكنه من الاضطلاع بعمل كبير من أعمال الدولة . ولكنه آثر ان يعيش ملء حياته، والحياة عنده هي طلب المتعة قبل كل شيء . وكانت الحاسة الاخلاقية في نفسه كثيرة الرقود نادرة الاستيقاظ ، ولذا لم يخالجه ندم على ما فرط منه إلا عند ما وهنت قوته وأحس ضعف الشيخوخة ودنو الاجل . وهو من هذه الناحية يشبه المجرم المطبوع الذي لا يشعر بتبكيت الضمير ووخز الندم ويرتكب أفظع الجرائم وهو هادىء السرب وادع النفس . وقد كانت هذه الطبيعة اللاهية والحيوانية العارمة والشهوات الفائرة تبعثه في كل حين على أن يكون له انتصارات في عالم الحب والشهوة ، وفي هذا دليل على أن عاطفة حبه لم تكن مهذبة مصفاة ولا عميقة متوهجة . وفقدان هذه الرقة في الاحساس والعمق في الشعور اعانه على أن يعرض نفسه على قراء شعره عارياً دون أن يدرك ما في ذلك من الاساءة ، وجعله مخلصا في تصوير نفسه

وأبو نواس مع استخفافه بالعرف وخروجه على الآداب ليس بالجبار الذي يحاول هدم المجتمع وينصب لحربه ، فان الامر عنده أهون من ذلك، وانما هو يبحث عن المتعة ويسير اليها غير عابىء بشيء وهو يأخذ الدنيا كما هي ويتلقى نفسه كذلك من الطبيعة كما هي لا يحاول أن يرتق بها فتقاً أو يصلح بها معوجا وانما يتركها على سجيتها منقادة لميولها مسترسلة مع شهواتها ، وهل هو يرى فيها عيباً حتى

يسعى فى أصلاحه وهل هو يشعر بنقص حتى يعمل على استيفائه ؟ ان الشعور بالنقص مصدر تصور الكمال . اما ابو نواس فقد أبت له حيوانيته القوية وواقعيته الراسخة أن يشك فى نفسه أو يغير من خطته ، ولذا رسم نفسه فى كل ظلالها ومختلف مواقفها . ومن مزايا الرجل هذه الصراحة الفذة لان قاطع الطريق الذى يفاجىء الانسان خير من السفاك الذى يبدو فى مسوح الراهب ، أو الذى يتصنع الغيرة على الفضيلة وهو لا يؤمن بها فى طواية نفسه

ومن آراء شوبنهاور اننا اذا سلكنا فى الحياة أى طريق فاننا نظل غير قانعين به متطلعين الى سلوك طريق غيره . فالعابد الزاهد تمر به أوقات يسأم العبادة وعل الزهد ،ولكنه يكافح هذا الملل ويطارد وساوس شيطانه ويلقى فى ذلك الشدائد ويكابد الثورات العنيفة . كذلك الرجل السادر فى اهوائه الغارق فى شهواته تمر به أوقات تكل فيها الحواس وتفتر الحيوية فيمروه الملل ويتنابه التشاؤم والشعور بالهزيمة تلقاء الحياة ، فليس عجيبا أن يكون ابو نواس اللاهى الماجن ، هو القائل :

ألا كل حى هالك وابن هالك   وذو نسب فى الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت   له عن عدو فى ثياب صديق

وقد قرر علماء النفس أن حياة العفة الشديدة قد تنتهى بعد طول الكبت والاحتباس بنوازع جنسية غريبة وميول شاذة ، وذلك لأن الأهواء التى طال قمعها فى أعماق النفس حتى اهمل أمرها وسحب عليها النسيان اذياله ، تثور من مكامنها وتهب من رقادها وتطلب حقها فى الحياة . ولقد كان بعض الرهبان يتسلى بكتابة القصص الحافلة بالشهوة الثائرة لانهم يجدون فى ذلك — شعروا بذلك أو لم يشعروا — منفذا لميولهم المكبوتة وطريقة مأمونة لحفظ التوازن بين هذين العاملين اللذين يتلاعبان بالنفس ويحاول كل منهما ان يخضعها لنفسه وهما عامل الميل الى اللذة وعامل النزوع الى الزهد

وهنا تبدو لنا صفة اخلاقية هامة فى شعر ابى نواس . وذلك أن القوة الادبية للفن ليست فى قدرته على تصوير تجاربنا بل فى قدرته على تجاوز حدود تلك التجارب وتوسيع افقها . فلا غرابة اذا وجد الرجل العفيف متنفسا لجانب اللهو الراقد فى نفسه فى أمثال شعر ابى نواس وقصص بوكاشيو وروايات لورانس . ومزية هذا الأدب المكشوف انه يمكننا من ان نحتفظ بالتوازن فى نفوسنا بين عاملى اللذة والزهد دون أن نتعرض للاخطار الكامنة فى كليهما . وأمثال هذا الادب قد يجعلنا نعيش فى هدوء وسكينة داخل قيود الحضارة وتقاليد المجتمع

وقد كان شعور ابى نواس بالقوى الخفية فى الدنيا شعوراً ضعيفاً . ومعلوم ان الزهد والمتعة عاملان هامان فى الحياة . وبراعة فنان الحياة الماهر أو الذى يعلم كيف يعيش ، هى أن يمزج هذين العاملين لاننا لا نعرف حقائق الحياة الروحية الا اذا احسسنا حقائقها الطبيعية . ولهذا لا نستطيع فى كل موقف أن نعود الى شعر ابى نواس لانه ليس متسعا كالحياة

علي ادهم

أبو نواس
بين المعرى والخيام

بقلم الأستاذ سيد ابراهيم

لابى نواس شخصيتان : شخصية خرافية يتداولها سواد العامة ، وأخرى تاريخية يعرفها طوائف الخاصة ، وقلما اجتمعت هاتان الشخصيتان لغيره من الشعراء . فابو العلاء المعرى والمتنبى وابن الرومي والبحترى وأبو تمام وبشار بن برد ومن اليهم من نوابغ الشعر العربى وأفذاذه ، لا يكاد يعرفهم من الناس إلا من أولع بدراسة الادب العربى وتخصص فيه ، ولا كذلك أبو نواس الذى يتمتع بشهرة مستفيضة بين جمهرة العامة الى اليوم . ومن منا لم يسمع بابى نواس ونوادر أبى نواس على ألسنة العامة وأشباه العامة الذين كثيراً ما يضعونه هو وجحا فى صف واحد ، والذين كثيراً ما يجمعون بينهما فى مجلس هارون الرشيد يسابق كل منهما الآخر فى المفاكهة والتنادر وقلما يفرقون بين الرجلين ؟

ابو نواس بين شخصيته الخرافية والتاريخية
كيف يلتقى ابو نواس بالمعري والخيام ؟ -
الخيام يلتقى بابي نواس في النتيجة والاثر - **ايمان ابى نواس** - المعري بين صاحبيه - وصايا الشعراء الثلاثة

ولعل مصدر هذا ومبعثه أن أبا نواس كان ماجنا خرقا لا يخطر النسك له على بال ، قضى حياته متهاونا بالشرائع والاخلاق ملازما للهو والمجون بين الكاس والطاس والنساء

بمجالس فيها المزاهر والاوانس كالنجوم

فهو لا يكاد يخرج من حانة إلا الى حانة « واصلا بعرى الغبوق عرى الصبوح » لا يدع لذة يومه لغده ، داعيا الناس إلى الاقتداء به ما استطاع إلى ذلك سبيلا

وقد قضى أبو نواس فى ذلك صدر حياته حتى اذا ولى عهد الشباب ومضى زمن التصابى وأعقبهما عصر المشيب ، وأيقن أن لا مفر من الله إلا اليه ، طفق يتحسر على سالف غوايته وماضى عمايته متبتلا إلى الله

يسبح كيما يغفر الله ذنبه رويدك فى عهد الصبا ملء الطرس

كيف يلتقى ابو نواس بالمعرى والخيام

قضى أبو نواس شبابه شاعراً مستهتراً سكيراً عربيداً فى عصبة من قرنائه

وقحج تواصوا بترك البر بينهم تقول ذا شرهم بل ذاك بل هذ.

وليس هناك أحد يستطيع أن يصف أبا نواس غير أبى نواس نفسه حيث يقول :

طربت الى الصنج والمزهر ... وشرب المدامة بالاكبر
والقيت عنى ثياب الهدى ... وخضت بحوراً من المنكر
وأقبلت أسحب ذيل المجون ... وأمشى على القصف فى مئزر

وقوله :

غدوت على اللذات منهتك الستر ... وأفضت بنات السر منى الى الجهر
وهان على الناس فيما أرومه ... بما جئت فاستغنيت عن طلب العذر

وهنا يقرر مذهبه فى هذا ويبث فلسفته المجونية فى عبارة واضحة وأسلوب جلى فيقول :

رأيت الليالى مرصدات لمدتى ... فبادرت لذاتى مبادرة الدهر
رضيت من الدنيا بكأس وشادن ... تحير فى تفضيله فطن الفكر

وثم يلتقى بالخيام وأبى العلاء المعرى فى التنبه لفكرة الفناء العاجل والتأثر بها ولا عجب فى هذا فان فلسفة ثلاثتهم جميعا وآراءهم فى الحياة تصدر من نبعة واحدة وان اختلفت نتائجها وتباينت آثارها

الخيام يلتقى بأبى نواس فى النتيجة

على أن أبا نواس والخيام يلتقيان فى النتيجة والأثر ، فان فلسفتهما تتلخص فيما يلى : اذا كان الموت واقفا لنا بالمرصاد واذا كان النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير الى بلى ونفاد ، فما أجدرنا بالاسراع فى اقتناص فرص الحياة والاندفاع فى سبل الغواية والمرح .وقد اجمع كلاهما على هذا الرأى اجماعا ان لم يكن شاملا فيكاد ، فقال أبو نواس :

جريت مع الصبا طلق الجموح ... وهان على مأثور القبيح
وجدت ألذ عارية الليالى ... قران النغم بالوتر الفصيح
ومسمعة اذا ما شئت غنت ... « متى كان الخيام بذى طلوح »
تمتع من شباب ليس يبقى ... وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح
ألم ترنى أبحت الراح عرضى ... وعض مراشف الظبى المليح
وانى عالم أن سوف تنأى ... مسافة بين جثمانى وروحى

وقال ابن الخيام :

كنت فى حانة سألت عن الما ... ضين شيخا مستغرقا فى الشراب
قال دعهم واشرب فكم من أناس ... مثلنا قد مضوا لغير مآب

وقال :

اشرب الصهباء فى ظل الصبا ما زها ورد بتيجان الربى
واذا ساقى المنايا أوجبا شربة مضت ومرت معلما
فاحس جلداً خمرة الموت الزؤام

ايمان أبي نواس

ولكن أبا نواس كان مسلماً يؤمن بالبعث والجنة والنار وإن كان لم يمنعه ذلك الاعتقاد من أن يطلق لنفسه العنان فى غير حياء ولا خجل . وهو لم يقفه اعتقاده وايمانه فى ذلك عند الغاية التى وقف عندها ابن الخيام ، بل تخطاها إلى اعنف درجات اللذات الشاذة وضروبها المشروعة وغير المشروعة ، ولما لم يستطع أن يلائم بين عمله ودينه لجأ إلى حيلة طريفة ليلقى بها عن كاهله كل تبعة دينية كانت أم خلقية ، فابتدع له مذهبا يقرر فيه فى صراحة وثقة أن عفو الله وغفرانه أوسع من أن يضيقا بذنب مذنب أو اساءة مسيء ، وراح ينادى فى لهجة المستوثق المطمئن :

لا تحظر العفو إن كنت امرأ حرجا فان حظركه بالدين ازراء

ولم يقف عند هذا الحد بل راح يدعو الناس الى مبادرة اللذات واغتنام الفرص فى الحياة ويؤكد لهم انهم سيندمون على ترك ملذاتهم حين يتجلى عفو الله فى الآخرة فيقول :

تكثر ما استطعت من الخطايا فانك بالغ رباً غفورا
ستبصر ان قدمت عليه عفوا وتلقى سيداً ملكا كبيراً
تعض ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السرورا

ردا على الكأس انكما لا تدريان الكأس ما تجدى
خوفتمانى الله ربكما وكخيفتيه رجاؤه عندى
لا تعذلا فى الراح انكما فى غفلة عن كنه ما تسدى
لو نلتما ما نلت ما مزجت الا بدمعكما من الوجد
هاتا بمثل الراح معرفة بلطافة التأليف والود
ما مثل نعماها اذا اشتملت الا اشتمال فم على خد
ان كنتما لا تشربان معى خوف العقاب شربتها وحدى

المعرى بين صاحبيه

وجماع القول أن قصر الحياة وتوقع الموت بين لحظة وأخرى قد حفزا ابن الخيام وأبا نواس الى غاية على النقيض من غاية المعرى ، فاندفع الاولان يقولان مستوثقين : لابد من الاستمتاع بكل

لذة من لذات الحياة فى ساعاتنا القصيرة التى نحياها

واندفع المعري يقول :

وكيف أقضى ساعة بمسرة   وأعلم أن الموت من غرمائى

وثم رأينا أبا نواس المتدين المعتقد ـ ان صح ما عرفناه من حسن عقيدته ودينه ـ مثالا للخلاعة والمجون ، والتقى معه الخيام الشاك المرتاب

وانفرد المعرى باحتقار الحياة والزهد فيها ـ على سوء عقيدته ان صح ما يتهمه به معاصروه ومؤرخوه ـ فاصبح فى حياته مثال الناسك المتقشف الورع ، وصار المتدين سكيراً مدمناً للخمر ما جناً شهوانياً يفعل الشر ويرجو من الله الغفران ويطمع فى الجنة ، بينا نرى المرتاب المتهم بالزندقة يصنع الخير للخير وحده غير طامع فى الجنة ولا راغب فى الثواب

اليس هو القائل :

توخى جيلا واصنعيه لنفسه   ولا تحكمى ان الاله به يجزى

ورأيناه متغالياً فى الزهد فى طعامه يقصر نفسه على لون واحد طوال حياته لا يقرب الحر زاهداً فى الزواج الذى أقرته الشريعة والعرف ، عازفا عن كل ضروب اللذات وأفانين النعيم طائعاً مختاراً زاهداً فى كل ألوان الحياة الناعمة ثم يتخذ من ذلك مذهبا مستوثقا راضياً فيقول :

اذا كان علم الناس ليس بنافع   ولا دافع فالخسر للعلماء
قضى الله فينا بالذى هو كائن   فتم وضاعت حكمة الحكماء
وهل يأبق الانسان من ملك ربه   فيخرج من أرض له وسماء
سنتبع آثار الذين تحملوا   على ساقة : من أعبد وإماء
لقد طال فى هذا الانام تحجبى   فيالرواء قوبلوا بظماء
وهل أعظم الا غصون وريقة   وهل ماؤها الا جنى دماء
نهاب أموراً ثم نركب هولها   على عنت ، من صاغرين قماء
أفيقوا أفيقوا يا غواة . فانما   دياناتكم مكر من القدماء
أرادوا بها جمع الحطام فادركوا   وبادوا وماتت سنة اللؤماء
يقولون ان الدهر قد حان موته   ولم يبق فى الايام غير ذماء
وقد كذبوا ما يعرفون انقضاءه   فلا تسمعوا من كاذب الزعماء
وكيف أقضى ساعة بمسرة   وأعلم أن الموت من غرمائى
وهذا الدهر بشر بالمنايا   فلم فرحت ببشر أم بشر

أعن باكياً لج فى حزنه وسل ضاحك القوم مم ابتهج

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
يحطمنا ريب الزمان كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وصايا الشعراء الثلاثة

ولعل خير مانختم به هذه الكلمة ان نثبت وصية ابى نواس لحافر قبره ونتبعها وصية الخيام ثم نتبعهما وصية أبى العلاء أيضا، فتجد أن كلا من الثلاثة مصر على مذهبه الذى اختطه لنفسه فى حياته وموته جميعا

فترى أبا نواس يقول :

خليلى بالله لا تحفرا لى القبر الا بقطربل
خلال المعاصر بين الكروم ولا تدنيانى من السنبل
لعلى اسمع فى حفرتى اذا عصرت ضجة الارجل

وكذلك تجد الخيام يقول :

رو قبل الموت من برد الشمول عودى اليابس من قبل الذبول
واذا ما مت فاجعلها غسولى وبأفياء العناقيد احتفر
لى وكفنى بأوراق الثمار

على حين تجد أبا العلاء الزاهد فى الحياة البعيد عن الناس يوصى حافر قبره أن يتخير له موضعا من الارض لم يحفر به أحد قبراً ، فهو يؤثر العزلة فى حياته ومماته جميعا فيقول :

وددت وفاتى فى مهمه به لا مع ليس بالمعلم
أموت به واحداً مفرداً وأدفن فى الارض لم تظلم
وأبعد عن قائل لا سلمت وآخر قال ألا يا اسلم
أحاذر ان تجعلوا مضجعى الى كافر خان أو مسلم
اذا قال ضايقنى فى المحل قلت أساءوا ولم أعلم

سيد ابراهيم
الخطاط

الدعابة في شعر أبي نواس

بقلم الدكتور أحمد زكي أبو شادي

« . . ان ابا نواس بسليقته شاعر مفطور على الدعابة ، ولئن جاءت دعابته ماجنة في اغلب الاحايين الى درجة لا تسمح بتداولها فانها مع ذلك لا تشف الا عن نفس صافية كريمة تنشد متع الحياة . . »

من نوادر الدوتشي أنه يأبى مصادرة شعر سالوستري Carlo Alberto Salustri بالرغم مما فيه من سخرية لاذعة تتناوله كما تتناول الفاشية ، وذلك لاكباره فن هـــذا الشاعر الايطالى المبدع . وقد صدرت أخيراً الطبعة الثالثة من ديوانه (أحلام وأساطير Sogni et Fiabe) تحت اسمه المستعار تريلوسا Trilussa فنفدت عن آخرها سريعاً لافتتان الشعب الايطالى بأدبه ، وإن أعز الشعب موسوليني والفاشية . ويروى عن الزعيم الايطالى أنه قال مرة للكاتب الشهير اميل لدويج في شأن هذا الشاعر : « إن لمزه قارس ، ولكنه مليح النكتة الى درجة جعلتني أمتنع عن مصادرة شعره » . ومن عادة هذا الشاعر الساخر أن يضع نكاته اللاذعة على ألسنة الحيوانات ، وقد حشد في مكتبه الكثير من الحيوانات المحنطة الممثلة لأساطيره .

وهذا نظير موقفنا من شعر أبي نواس الساخر . ان السخرية والمجون والدعابة والفكاهة تكاد تكون جميعها من المترادفات في شعر أبي نواس ، ومعظمها تلونه العاطفة الجنسية المنحطة ، ولكنه بالرغم من تدليه يحتفظ بمكانة فنية خاصة . ومن أجل هذه المكانة الفنية نغفر له شذوذه ونقرأه قراءة خاصة ونرفض مصادرته . واذا كانت لسالوستري مثالية فكرية يرمى اليها من وراء دعاباته الساخرة فان هذه المثالية نتيجة تفاعله مع بيئته الغائرة الكدود . واذا لم تكن لأبي نواس سوى غاية المتعة من أدبه كما لم يكن له في حياته سوى نظرة المتعة الكاملة ، فان هذا رد فعل طبيعي لبيئة البوهيمية من ناحية ولبذخ القصر ومرحه من ناحية أخرى

ولو كان أبو نواس سلك مسلك ابن العلاف في مداعباته السياسية المستترة وراء الحيوانات كما فعل ابن العلاف في تعريضه بالخليفة المقتدر في رثائه الهر ، مكنياً به عن الوزير ابن الفرات أيام محنته لكان قد أتحف الشعر العربي بروائع لا تقل عن نفائس ما أهداه سالوستري الى الشعر الايطالى السياسى

ولكن أبا نواس لم يكن له شأن بالسياسة، اللهم إلا سياسة الفن والمتعة، وعليها يقوم إغراقه فى المجون إلى حد دخوله المسجد وهو ثمل، حيث يروى أنه انصرف من بعض المواخير سكران فمر بمسجد وقد حضرت الصلاة، فدخل فقام فى الصف الاول فقرأ الامام: «قل يا أيها الكافرون»، فقال أبو نواس من خلفه: «لبيك»! فلما قضيت الصلاة لببوه وساقوه متهما بالزندقة الى الرشيد، فلم تنجه الا سعة حيلته

إن دعابة أبى نواس ومفارقاته ومجونه وفكاهاته قوامها ذكاؤه المفرط وخفة روحه. وإذا كان الذوق العصرى المثقف لا يحتمل الاقتباس من معظمها لاصطباغها بالصبغة الاباحية التى كان يجيزها أدب عصره كمجونه مع عنان ودعابته مع شيخه عبد الواحد بن زياد مثلا، فان لدينا الى جانبها دعابات أخرى بريئة أو على الاقل لم تلوث بالجنسيات

وقد اجتمع أبو نواس مع العباس بن الاحنف والحسين الخليع وشاعر آخر لعله مسلم بن الوليد ومعهم فتى يقال له يحي بن المعلى لحضروا الصلاة، فقام يصلى بهم فنسى الحمد لله وقرأ قل هو الله أحد، ثم ارتج عليه فى نصفها فقال أبو نواس:

أكثر يحي غلطاً فى قل هو الله أحـــد

وقال العباس: قام طويلا ساهياً حتى اذا أعيى سجد

وقال الآخر: يزحر فى محرابه زحير حبلى بولد

وقال الرابع: كأنما لسانه شد بحبل من مسد!

ومن هذه الدعابات البريئة ما ذكره ابراهيم بن محمد الكرخى، قال: أرسل الى سليمان بن أ، سهل بن نوبخت: إن أبا نواس عندنا، فصر الينا، فانى أحسبك لا تراه بعد اليوم. فلم ألبث أن جاء أبو نواس. فدخل وعليه دراعة وشى كوفى، وقلنسوة ما رأيت أحسن منها. واذا العلة قد بلغت به، فهو فى آخر رمقه، فلم يجد أوسع من الموضع الذى أنا فيه، فجلس الى جانبى، فقلت له: يا أبا على! ما رأيتك لبست مثل هذا إلا اليوم، فقال لى: أتعرف قصته؟ قلت: لا والله، وما هى؟ قال: أمر الرشيد الكسائى أن يختلف الى محمد بعد ما ولاه العهد، وأمره أن يلزمه، وأن يحضرنى اذا حضر، لأنشد محمداً الشعر النادر، وأحدثه الغريب. فكنت أفعل، وكان خادم من قبل الرشيد موكلا بمحمد. فجرى بين الخادم وبين محمد يوماً كلام وأنا حاضر، فقال محمد: يا أبا نواس! أهج هذا الخادم ابن الفاعلة! فقلت: نعم يا سيدى، وقلت فى نفسى: قد وقعت فى بلية: إن هجوت الخادم خفت أن يغتابنى عند الرشيد فيقتلنى، وإن لم أفعل خفت محمداً ان يقتلنى. فانصرفت على أن أهجو الخادم، فلم أرجع أياماً، فما علمت الا والكسائى قد وافانى، فقال لى: ويلك! إن محمداً الأمين يتهددك بالقتل إن لم تهج الخادم! فقلت: يا أبا الحسن! ما يحتال لى فى هذا غيرك. فقال: أنا صائر اليه ومصلح

بين الخادم وبينه ، فاذا فعلت أخبرته أنى لقيتك الساعـة منصرفاً من دار العباس بن موسى الهادى ، وأنك عند خروجك من عندنا لقيك فاخذك أسيراً ، فمضى بك الى منزله ، فلم يدعك إلا فى هذا اليوم ، فانه سيبعث اليك فيحضرك ، فلا تبرح من منزلك . ثم مضى الكسائى فاصلح بينه وبين الخادم . وأخبره بما قال لى . فبعث الى محمد فصرت اليه ، وقلت له مثل ما قال الكسائى ثم قلت له : وبلغنى أنك تهددنى بالقتل ، فقال : نعم ، فلما بلغك أنى تهددتك بالقتل ما قلت فى ذلك ؟ فحضرنى على المكان :

بك أستجير من الردى وأعوذ من سطوات باسك
وحيـاة راسك لا أعو د لمثلها ، وحياة راسك !
فاذا قتلت أبا نوا سك من يكون أبا نواسك

فتبسم ثم قال : لا يكون . . . يا غلام ! إذهب الى فلان الخادم ، فقل له : ابعث بالتخت الذى بعثت به البارحة سيدتى أم جعفر . فذهب الغلام فجاء بالتخت فدفعه الى وانصرف ، فكان فيه ثياب وشى هـذا أحدها ، والآخر احتجت الى ثمنه فبعته ، وقطعت هـذه الدراعة والقلنسوة ، واحتجت الى أن رهنت الدراعة ، فلما بلغت من العلة الى ما ترى قلت : أنعم نفسى بلبس هذه الدراعة ، فافتككتها ولبستها . . . وفارقته فى ذلك اليوم ، فما رأيته بعده

ومما قاله فى هذا المعنى وعاتب الامين به :

قل للخليفة اننى حسبى أراك بكل ناس
من ذا يكون أبا نوا سك إن حبست أبا نواس ؟
أقصيتـه ونسيته ولعهده بك غير ناس
قد كنت آمل غير ذا لو كنت تنصف فى القياس
إن أنت لم ترفع به رأساً هديت فنصف راسى !

فلما سمع العتابى ذلك ، قال له : يا ابن كذا ، ما أحسن نصف رأس خليفة يرفع ! فقال أبو نواس : جعلنى الله فداك يا أبا عمرو ، لا تنبهن على ذنبى فتهلكنى . ثم قال له العتابى : هذا عندى من الشعر الذى لا يخاطب به الخلفاء ، ولا يخاطب به إلا من لا أستحسن ذكره ، فان عليه أمائر الفسق والتخانث

• • •

لقد عد ابو نواس دائماً من أعلام الشعراء ، واستوى فى هذا التقدير العرب والمستعربون ، ولكنه اشتهر لدى الجمهور بظرفه ودعاباته ، واخترعت حول سيرته نوادر مضحكة وأقاصيص كثيرة وفكاهات شتى على مثال ما عرف عن Howleglass أو Joe Miller عند الغربيين .
وكان ابو نواس فارسى الدم من ناحية والدته ، ومع أنه نشأ نشأة وضيعة فقد أبلغته مواهبه

الفذة صحبة الامراء. ودان بدين الحب والخمر، وفيها نظم أنفس فرائده، وكان شغله الشاغل فى الحياة الاستمتاع الآثم بها. فمهما ارتحنا إلى التحدث عن دعاباته البريئة أو المقبولة نسبياً، فمن المحال أن نقوى على التخلص من دعاباته الفاجرة التى تمثل جل نوادره حتى المخترع منها فى «الف ليلة وليلة»، وما شاكلها. وإذا عد الاخلاقيون فى ذلك ما يشينه، فان مما يشرفه حقا تجرده التام عن النفاق، فهو صريح كل الصراحة بحيث أننا لا نتردد فى قبول شعره الدينى باعتباره مظهرا صادقاً لنفسيته فى أحوال خاصة، وبحيث أننا مهما أنكرنا تبذله فى دعابته لا نستطيع ان نتبين فى خشونته غير الظرف المستور. فهو بودلير الشرق الى حد كبير، وقد كان ذلك الشاعر الغربى المستهتر طيب القلب مثله، صريحاً غاية الصراحة. على أن خير مقارنة هى التى عقدها الأديب الانجليزى برتون Burton بين روتشستر Rochester وأبى نواس، وقد تناولها بتعليقاته الاديب الانجليزى إنجرامز فى مقدمة كتابه الجيل عن أبى نواس. ومهما يكن من شيء فلا ريب ان الادب المكشوف فى العربية اكثر خشونة من نظيره الاوربى، ودعاباته الجنسية ـ كالتى اكتظ بها شعر ابى نواس ـ ليست مما يتذوقه الاديب العصرى المثقف الذى اتصل طويلا بالادب الغربى وصقل ذوقه الاطلاع المهذب، كذلك يدخل بعض الهجاء فى باب الدعابة مثل هجائه أبان بن عبد الحميد اللاحقى بقصيدته النونية التى يقول فى مطلعها:

جالست يوماً (اباناً) لا در در (ابان)

وهو هجاء قوامه الذكاء والنكتة المستقصية، ولكن كل هذا غريب إلى حد كبير عن الذوق العصرى المثقف، وإن راعيناه احتراماً لتاريخ الادب اكثر من كونه متعة أدبية قويمة، إذ الواقع ان ادب التسلية الذى تنتسب اليه دعابات ابى نواس لا يمكن ان يعد ادباً عالياً لانه لا يشيع اسمى ما فى النفس البشرية ولا يتقدم بها الى الامام بل قد يرجع بها إلى الخلف. ولا يشفع له ما فيه من عنصر الذكاء. وفى هذا يقول بلاكوود وازبورن فى كتابهما «دراسة الشعر»: إنه وإن كان شعر الدعابة مما يشوق الخاطر والعاطفة، إلا انه لا يدخل فى باب الشعر الليريكى. وقد توجد الدعابة فى جميع ضروب الشعر ولكنها غالبة فى الشعر الفكاهى، ولا يمكن ان يعد هذا الشعر من النسق العالى، ومع هذا فان له مكانته فى ادبنا وهو جدير بان يخص به قسم معين من اقسام الشعر

ان المؤلفات الاوربية فى فلسفة الدعابة كثيرة، وفى دائرة المعارف البريطانية مقالة صالحة عنها، ولو جئنا نطبقها على شعر ابى نواس الفكاهى وعلى سيرته ودعاباته لوجدنا شاعرنا الكبير من اعلام الادب الفكاهى ـ بالرغم من حدود الشعر، وبالرغم من الشوائب التى اشرنا اليها ـ بقدر ماهو من امراء الفن الشعرى فى الماضى والحاضر. وقد اذاعت شركة فوولشام W Foulshan مجموعة مختارة لستين قصيدة ومقطوعة من اجل النظم والنثر الفكاهى باللغة

الانجليزية . وبالرغم من تباين الاذواق فلنا بحق ان نقول ان شاعر العربية لم يكن فى دعابته اقل فطنة ولا براعة من انداده الغربيين

ولقد اشتهر ابو نواس بدعابته ، وهى مرآة نفسه الصريحة الصافية ومرآة بيئته التى عكسها لنا عقله الباطن فى غير مواربة ، ولكن ليس من الانصاف لشاعرنا أن نزن شاعريته بمقياس دعابته وحدها وإن امتزجت بالكثير من شعره وعلى الاخص بخمرياته واخوانياته وغزله وهجائه ، فان له خوالد من اسمى الشعر الانسانى والوصفى وإن جاء فى باب الخمريات وما شاكلها ، حتى قال أبو شعيب القلال (وكان عالما شاعرا) عندما أنشده الجاحظ سينية ابى نواس :

ودار ندامى عطلوها وادلجوا بها أثر منهم جديد ودارس

« يا ابا عثمان : هذا شعر لو نقر لطن ! » . . .

ومجمل القول أن ابا نواس بسليقته شاعر مفطور على الدعابة ، ولئن جاءت دعابته ماجنة فى اغلب الاحايين الى درجة لا تسمح بتداولها ، فانها مع ذلك لا تشف إلا عن نفس صافية كريمة تنشد متع الحياة فى تهالك ابيقورى لا يلوثه لؤم ، وان عابه التدلى الجنسى الذى كان من الوان التظرف فى عهده . وهذه الدعابة بما فيها من عناصر الذكاء والتناول الفنى البديع والرشاقة النظمية ترغمنا على ان نحلها محلا من الاعتبار فى التاريخ الأدبى ، وإن لم يكن لها اى خطر فيما عداه

احمد زكى ابو شادي



المناقضة فى شعر أبى نواس

بين ابن هانئ وشعراء عصره

بقلم الأستاذ الشيخ محمد عرفه

المناقضة فى الشعر - أن ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول ، والاسم منه النقيضة والجمع النقائض ، فدارها على الأبطال ، كأن يفتخر الشاعر بنفسه أو بقبيلته فيأتى الشاعر الآخر فيفسد على الشاعر الأول ما قال ويهجوه أو يهجو قبيلته ويبين مثالبها

ومثال ذلك ما يروى أن جريراً والفرزدق خرجا من العراق طالبي الرصافة لهشام بن عبد الملك ، وقد مدحاه فتلفتت ناقة الفرزدق فضربها بالسوط وقال :

علام تلفتين وأنت تحتى   وخير الناس كلهم أمامى
متى تردى الرصافة تستريحى   من الأنساع والدبر الدوامى

فناقضه جرير بقوله :

تلفت أنهـــا تحت ابن قين   الى الكيرين والفأس الكهام
متى ترد الرصافة تخز فيهـــا   كخزيك فى المواسم كل عام

والاسباب المولدة للمناقضة بين الشعراء كثيرة : منها المنافسة بين الشاعر والشاعر ، فتجدهما يتنازعان الشرف ، فاذا فخر أحدهما بنفسه أو قبيلته نازعه الآخر ذلك الفخر كما حكيناه عن جرير والفرزدق . ومنها اظهار القدرة على الشعر كما يروى ان جريراً والفرزدق والأخطل اجتمعوا فى مجلس عبد الملك فاحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار وقال لهم : « ليقل كل منكم بيتاً فى مدح نفسه فايكم غلب فله الكيس ، فبدر الفرزدق فقال :

أنا القطران والشعراء جربى   وفى القطران للجربى شفاء

فقال الأخطل :

فان تك زق زاملة فانى   أنا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير :

أنا الموت الذى يأتى عليكم   فليس لهـــارب منى نجاء

فقال : « خذ الكيس فلعمرى ان الموت يأتى على كل شىء »

ومنها الخلافات الدينية فكنت ترى هذا الشاعر عباسياً مثلا يرى أن الحق فى الخلافة للعباس وأولاده وأنه لا حق فيها للعلويين ، فيقول :

انى يكون وليس ذاك بكائن　　لبنى البنات وراثة الاعمام

فيناقضه الاخر لانه شيعى يرى الخلافة فى على وأولاده فيقول :

لم لا يكون وان ذاك لكائن　　لبنى البنات وراثة الاعمام
للبنت نصف خالص من ماله　　والعم متروك بغير سهام
ما الطليق والسهام وانما　　صلى الطليق مخافة الصمصام

وقد تكون دواعى المناقضة غير ذلك

وقد ناقض أبو نواس شعراء عصره لمثل العلل التى قدمناها ، وكان فيه ما يغرى شعراء عصره بان يناقضوه ويغريه بأن يناقضهم

كان أبو نواس من العجم ومن موالى الحكميين باليمن ، وكان بعض المشهورين من الاعجام فى العصر العباسى يهربون من انسابهم فى العجم ويدعون لهم نسباً فى العرب لأن العرب كانوا هم الفاتحين ولهم دالة الفاتح وعزته والمغلوب مولع بالتشبه بالغالب

وكان أبو نواس من هؤلاء العجم الذين يريدون أن يكون لهم نسب فى العرب وقد خلط فى دعوته وتنقل فى الانساب ووضع نسبه حيث أراد، فادعى أنه من ولد عبيد الله بن زياد من بنى تيم اللات ، ثم هرب من ذلك وادعى النزارية وانتسب للفرزدق ، ثم انقلب على النزارية وادعى اليمنية وكان اذا ادعى للنزارية هجا اليمنية وأفحش فى الهجاء، واذا ادعى لليمنية هجا النزارية وأفحش فى هجائها واعتذر الى من هجاهم ، وكان فى كل ذلك يهيج شعراء القبائل التى يهجوها فيعارضونه ويناقضونه . فما هجا به النزارية قوله من قصيدة :

واهج نزاراً وافر جلدتها　　وهتك الستر عن مثالبها

وقد هجا خندف وأسدا بقصيدته التى أولها :

ألم تربع على الطلل الطماس　　عفاه كل اسحم ذى ارتجاس

فعارضه الحكم بن قنبر بقصيدة أولها :

دع الأطلال عنك أبا نواس　　عفاها كل اسحم ذى ارتجاس

وكان ابو نواس شعوبياً يبغض العرب وأساليبهم فى الحياة ويحب العجم ويتعاجم فى شعره وقد قال لى فى ذلك :

عاج الشقى على رسم يسائله　　وعجت اسأل عن خمارة البلد
يبكى على طلل الماضين من اسد　　لادر درك قل لى من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس ولفهما　　ليس الاعاريب عند الله من أحد
لاجف دمع الذى يبكى على حجر　　ولاصفا قلب من يصبو الى وتد
كم بين ناعت خمر فى دساكرها　　وبين باك على نؤى ومنتقد

وقال:

فاسقنيها وغن صو تاً لك الخير اعجما
ليس فى نعت دمنة لا ولا زجر اشأما

فهجاه الرقاشى بقوله:

نبطى فاذا قيل له أنت مولى حكم قال أجل
هو مولى الله إذ كان به لاحقا فالله أعلى وأجل
واضعاً نسبته حيث اشتهى فاذا ما رابه ريب رحل

فرد عليه ابو نواس بقوله:

قل للرقاشى اذا جئته لومت يا أحمق لم أهجكا
لأننى أكرم عرضى ولا أقرنه يوما الى عرضكا
ان تهجنى تهج فتى ماجدا لا يرفع الطرف الى مثلكا
دونك عرضى فاهجه راشدا لا تدنس الأعراض من هجوكا

وكان ماجنا خليعاً متبطلا داعياً الى التبطل والمجون، وكان ذلك يغرى أهل الجد بمناقضته فمن دعائه الى التبطل قوله:

دع عنك ماجدوا به وتبطل واذا لقيت أخا الحقيقة فاهزل
لا تركبن من الذنوب صغيرها واعمد اذا قارفتهــا للانبل
وخطيئة تحلو على مستامها يأتيك آخرها بطعم الأول
ليست من اللاتى يقول لها الفتى عند التذكر ليتنى لم أفعل
حللت لا حرجا على حرامها ولربما حللت غير محلل

وقوله:

جريت مع الصبا طلق الجموح وهان على مأثور القبيح

وقد ناقض أبو نواس نفسه فى كل ماقاله فى هذا الباب بقوله:

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللحظ حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك أثام

وكان كثير الدعابة فى شعره يسخر من غيره من الشعراء. وكان لا بد لهؤلاء الشعراء ان يثأروا لأنفسهم، وان ينقضوا قوله. وأخباره مع عنان جارية الناطفى فى ذلك كثيرة، ولولا أنها أشعار فاسق ماجن ليس من خير للاخلاق فى ذكرها لأوردنا منها طرفا

والذى تقفنا عليه دراسة مناقضات أبى نواس أنه كان خليعاً ماجناً مستهتراً شعوبياً يكره العرب وينتقصها، شهوانياً حاد الشهوة معطياً هواه زمامه يرتع به فى كل مرتع ويرد به كل مورد

وهو بلا شك يمثل ناحية من نواحى العصر العباسى ويمثل طوراً بدأت تتطور اليه الحياة العربية . ولا أقول إنه يمثل العصر كله لئلا أقع فى التناقض . فان أبا العتاهية كان فى هذا العصر أيضاً وشعره زاهد عفيف جاد محتشم مؤمن تقى ، فلو جرينا على قاعدة ان الشاعر يمثل عصره لكان العصر العباسى فى القرن الثانى عصر عفة وزهد واحتشام أيضاً فنخرج بالنقيضين وهما ان القرن الثانى قرن تهتك وفسوق ، وان القرن الثانى قرن عفة وزهد واحتشام . ومن بدائه العقول ان النقيضين لا يجتمعان ، فلنقتصد ولا نسرف ولنكتف بأن أبا نواس يمثل ناحية من القرن الثانى ومبدأ حياة كان الزمن يتمخض بها

ان القرن الثانى قد قوى فيه العنصر الفارسى . وأخذ يزاحم العنصر العربى فى مناصب الدولة ، وقد بدأت قوته لأن سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية كان له فيهما النصيب الأوفر ، فعرفت الدولة العباسية لهم حقهم فولتهم المناصب وشعروا بقوتهم لأنهم ثاروا ونجحت ثورتهم تقلدوا المناصب الكبيرة فى الدولة فكان منهم الوزراء والقواد والكتاب وزاحموا العرب فى كل مكان بمنكب ضخم وقوة قاهرة ، فكان من الطبيعى أن يكون فى هذا العصر حزب كبير يحب الفرس ويكره العرب ويذم مذاهب هؤلاء فى الحياة ويمدح مذاهب الأولين فيها ، وكرهوا كل ما هو عربى لأنه عربى . وكان أبو نواس يمثل هذا الحزب الفارسى أصدق تمثيل فذم العرب وعيشها ومنهجها فى الحياة حتى طريقتها فى شعرها من وصف الديار وبكاء الاطلال ، ونظن أنه ما تنقل بنسبه فى القبائل العربية الا ليهجو القبائل الأخرى ، وقد تنقل فيها جميعها ، وهجاها جميعها . وفعل ذلك ليحمل هجاءه اياها محمل التعصب لقبيلة عربية ضد قبيلة عربية ، ولا يحمل على انه تعصب من الأمة الفارسية ضد الأمة العربية ، وقد تمكن بهذا الدهاء السياسى ان يهجوها جميعها ، وان نحملها على رواية هجائه حتى انه هجا نزارا التى منها قريش والهاشميون والعباسيون خلفاء هذا الزمان ، وليست عندنا المصادر اللازمة ولا الوقت الكافى لنعلم أكان ذلك منه ارضاء لعاطفته الشخصية . أم كان تنفيذاً لمؤامرة سرية لثلب العرب والحط منهم ليسهل للعنصر الفارسى ان يرقى الى ما يطمح اليه من الاستبداد بالملك والسلطان . وسننقل لك جملة صالحة من هذه القصيدة التى هجا بها نزارا لنعلم الضغينة التى كان يحملها لنزار والعرب والحيلة التى تمكن بها من هجائها والوسيلة التى توسل بها لارضاء الخليفة عن هذا الاقذاع، ولكنها لم تجز عليه لحبسه فيها وأولها :

ايست بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبها

يقول فيها :

فاخر بقحطان غير مكتئب لحاتم الجود من مناقبها
ولا ترى فارساً كفارسها ان زلت الهام عن مناكبها
عمرو وقيس والاشتران وزيـــد الخيل أسد لدى ملاعبها

أحبب قريشاً لحب أحمدها ... واعرف لها الجزل من مواهبها
ان قريشا اذا هى انتسبت ... كان لها الشطر من مناسبها
ان فاخرتنا فلا افتخار لها ... الا التجارات من مكاسبها
وانها ان ذكرت مكرمة ... جاءت تجاراتها بغالبها
واهج نزارا وافر جلدتها ... وهتك الستر عن مثالبها
هل يغسلن عن نسائهم ... ما أفرغ الاسد فى كعائبها
أما تميم فغير داحضة ... ما سلسل العبد فى شواربها
أول مجد له وآخره ... ان ذكر المجد قوس حاجبها
وقيس عيلان لا أريد لها ... من المخازى سوى محاربها

ومن جهة أخرى نرى ان الدولة الاسلامية قد فرغت فى هذا العصر من أمر الفتوحات ومن المشاغل الخارجية ، وقد فتح الله عليها ملك الاكاسرة والقياصرة وأورثها أرضهم وزروعهم وممالكهم فبدأت تنغمس افراد منها فى النعم ، ويدب اليها الترف ، وما يتبعه من شهوات ، والحزب الفارسى الناقم على الدولة القائمة كان له دخل كبير فى تعجيل الانغماس فى الترف الى هذه الدولة فقد كان من تلك الدولة الفارسية القديمة وقد كانت هذه الدولة قطعت أدوار الامم وبلغت شيخوختها وهرمها وفيها عوامل الضعف والفناء التى تصيب الامم فى أدبارها ، ففيها الترف والانغماس فى النعيم ، وفيها التفنن فى الشهوات واللذائذ وقد كان هذا الحزب لا يسوءه ان ينتشر الترف فى العنصر العربى ، بل وربما عمل لذلك لانه يعلم أن الانغماس فى الترف والشهوات البدنية أكبر عامل فى انحلال الدول وضعف الامم وخراب الممالك ، وهذا مما يساعد على ما يصبو اليه من نقل الحكم الى العنصر الفارسى وكان ابو نواس يمثل هذه الناحية

كان يقابل هذا الحزب الماجن الخليع الشعوبى جمهرة كبيرة فى هذا العصر ، فيها الفقهاء والمحدثون والعباد والزهاد وطبقات العامة ، بل كان فيها من الشعراء أنفسهم كأبى العتاهية فهو فى شعره يميل الى الجد والخلق الكريم والزهد ومكارم الشيم ونبيل الصفات ، وكان كثيراً ما يلوم أبا نواس على استهتاره ومجونه ، ولما أكثر على أبى نواس فى العذل قال له أبو نواس :

لا تنثنى الأنفس عن غيها ... ما لم يكن منها لها زاجر

ومع ذلك فأبو نواس لم يبلغ هذا المبلغ الذى تمثله الحكايات المذكورة فى كتب الادب فاننا نعتقد ان شخصية ابى نواس كشخصية جحا نحلها الناس كثيراً من الاخبار والنوادر والاشعار

محمد عرفة



بقلم الأستاذ طاهر أحمد الطناحي

التصوير اليدوى نوع من التصوير الشعرى ، والمصور شاعر ، ما دامت الفنون الجميلة تنبع من نبع واحد هو الحياة ، وترمى إلى غاية واحدة هى الجمال . لكن الشعر أوسع مجالا للخيال من سائر الفنون ، والشاعر أقدر على التعبير عن خوالج نفسه ، لان دائرته أرحب من تلك الدائرة التى يعمل فيها المصور على لوحته ، ليرسم حالة من حالات النفس ، أو صورة واحدة من صور الحس . أما الشاعر ، فاذا عجز فى بيت أو بيتين عن التعبير عن الصورة كاملة استطاع ان يعطيكها فى ابيات أخرى

تلك حقيقة لا مجال للشك فيها . وهى ترينا كيف يتبارى الفنانون من الشعراء والمصورين فى مختلف العصور فى قوة التعبير ، وبلاغة الاداء ، وصدق الشعور ، وسمو الخيال

متى وجد التصوير الشعرى

وقد وجد التصوير فى الشعر منذ وجد الشعر ، لكنه تطور من الضعف الى القوة ، ومن البساطة الى التركيب تبعاً لتطور الحياة الاجتماعية ، وتعدد صورها ، وتباين ألوانها ، وكثرة ما خالطها من انواع الترف ، وما ابتكره الذهن البشرى مما لم يكن معهودا فى سابق الاجيال

وجد التصوير فى الشعر الجاهلى قبل أن توجد الحضارة الاسلامية ، وقبل ان يوجد أبو نواس . فوصف الجاهليون الديار والاطلال ، وصوروا الابل والخيل وأوابد الوحوش ، وجوارح الطير ، وافتنوا فى تصويرها . وصوروا حياة البادية من خيام وفلاة وانواء ورياح وسهل وجبل . لكن هذا التصوير كان كحياتهم بسيطا ، إلا ما ندر من اقوال الشعراء الذين اقتربوا من الفرس او خالطوهم فى جاهليتهم . فلما انتقلت الدولة العربية من غضاضة البداوة الى غضارة الحضارة ، ورأى الشعراء من ألوان العيش وصور المجتمع ما لم يكن لهم به عهد فى الدولة الاموية ولا فى صدر الاسلام وعصر الجاهلية ، اخذوا يفتنون فى فنون الكلام ، بل كرهوا ان ينسجوا على منوال من سبقهم ووجدوا فى حرية القول متسعاً للتصوير الجديد وابتكار الاخيلة وتوليد المعانى . وكان فى رأس هؤلاء أبو نواس . فقال فى الخروج على طريقة السابقين :

مالى بدار خلت من اهلها شغل   ولا شجانى لها شخص ولا طلل
ولا رسوم ولا أبكى لمنزلة   للأهل عنها وللجيران منتقل
ولاقطعت على حرف مذكرة   فى مرفقيها إذا استعرضتها فتل
بيداء مقفرة يوماً فأنعتها   ولاسرى بى فاحكيه بها جمل

إلى ان يقول :

لا الحزن منى برأى العين اعرفه   وليس يعرفنى سهل ولا جبل
لا انعت الروض إلا ما رأيت به   قصرا منيفاً عليه النخل مشتمل

أثر الفرس فى التصوير

وكان الفضل فى الخروج على هذه الطريقة للفرس الذين كانت لهم الغلبة فى ذلك الوقت على العنصر العربى . ولقد كان التصوير احد الفنون البارزة فى الحضارة الفارسية . وقد تغلغل فى كل شىء من حياتهم الاجتماعية والادبية ، بل الدينية ايضاً . وظهرت آثاره فى حياة الدولة العباسية وما استخدمته من رياش واثاث ودبار ومتاع ، فليس غريبا ان يتأثر ابو نواس بهذه البيئة الفنية ، وقسمعه ينوه بالتصوير الفارسى فى قوله :

تدور علينا الكأس فى عسجدية   حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها   مهى تدريها بالقسى الفوارس
فللخمر مازرت عليه جيوبها   وللماء ما دارت عليه القلانس

انواع التصوير الشعرى

والتصوير الشعرى أصعب أبواب الادب . وهو أنواع : تصوير المرئيات ، وتصوير الحالات النفسية ، وتصوير معانى الاشياء ، وتصوير الحوادث . وكل منها إما ان يكون بسيطاً أو مركباً . وأضعف الانواع التصوير البسيط للمرئيات كقول أبى نواس يصف الخمر :

حمراء صفراء عند المزج تحسبها   كالدر طوقها نظم من الحبب

ويضيق المقام بنا لو عددنا هذه الانواع فى شعر أبى نواس . ونقول بالاجمال إنه أتى فى تصوير الخمر بكل ما يخطر لشاعر على بال . ولكننا نلاحظ أنه فى جميع وصفه وتصويره للخمر اذا استثنينا الحالات والحوادث التى قيلت فيها ـ ليست مبتكرة ، وان أبا نواس سار فيها على نهج من سبقه . على الرغم من ذمه فى شعره للتقليد ، فقد سبقه الى وصفها وتصوير مناقبها الخليفة الوليد بن اليزيد ، ومن قبله عدى بن زيد والاعشى والاخطل . بل يقول الرواة ان أبا نواس سلخ اكثر تصويره للخمر من اشعار هـــذا الخليفة ومن معاصره حسين الضحاك . غير أننا

لا نغمط أبا نواس حقه فى هذا المجال . فقد كان خصباً فياضاً إلى حد لم يعرف لشاعر غيره . وأتى فى تصوير الخمر ووصفها بآلاف الابيات ، وإن تكررت فيها الصور المتشابهة

وثبات فى تصوير الخمر

ولأبى نواس وثبات فى تصوير حبه للخمر ، وهيامه بها هياماً لم يسبقه الى تصويره أحد من قبله حيث يقول :

ما زلت أستل روح الدن فى لطف واستقى دمه من جوف مجروح
حتى انثنيت ولى روحان فى جسد والدن منطرح جسما بلا روح

فأى تصوير لهذه الحالة أبرع من هذا التصوير الذى وسعه البيتان على إيجازهما ؟

وأى ريشة مبدعة تصور هذا المدمن الهائم الذى تشبث بالدن يعب منه الشراب عباً ويمتص دمه فلا يترك فيه قطرة ، ويستل روحه ، ويضيفها الى روحه ، فيصبح جسداً بروحين والدن رفاتاً بالياً لا أثر فيه للحياة . وهل يستطيع مصور أن يصور جسداً بروحين ؟ .. لا أدرى ...!

ولست بسبيل خمرياته حتى أسهب فيها ولكنى أقول فى معرض التصوير ان نبوغ أبى نواس فى هذا النوع يبدو جليا فى صدق احساسه وشمول عاطفته والمامه فى نقل الحوادث واستيعابه للمعانى والاحوال بلباقة وخفة تنسيك تكرار الصور المماثلة وتعدد الاشكال المتشابهة

بين أبى نواس وابن الرومى

وقد اشتهر ابن الرومى فى هذا الباب (التصوير) باستيعابه للمعانى واستيفائه لها وتعقبه لاحوال الاشياء حتى تأتى الصورة كاملة . وابن الرومى قد ولد وفاة بعد ابى نواس بنحو ٢٦ سنة ، واشاد الرواة والادباء بدقة تصويره ، ولا سيما فى هذه الأبيات التى يصور فيها خبازاً يقوم بعمله :

ما أنس لا أنس خبازاً مررت به يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتهـا فى كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة فى لجة البحر يرمى فيه بالحجر

فاتى ابن الرومى فى هذا التصوير المركب بمنظرين : أحدهما الخباز وهو يتناول قطعة العجين فيدحوها حتى تصير رقاقة مستديرة وثانيهما منظر الماء وقد ألقى فيه بحجر فحدثت فيه دوائر . ومن هذين المنظرين أعطانا ابن الرومى صورة هذه الحادثة كاملة بما فيها من حركة سريعة

لكن ابا نواس قد سبق ابن الرومى الى التصوير المركب بما يستأثر فيه وحده بالاعجاب الكبير . وذلك حين يقول فى تصوير أحد البخلاء :

رغيف سعيد عنده عدل نفسه يقلبه طوراً وطوراً يلاعبه
ويخرجه من كمه فيشمه ويجلسه فى حجره ويخاطبه
وإن جاءه المسكين يطلب فضله فقد ثكلته أمه وأقاربه
يكر عليه السوط من كل جانب وتكسر رجلاه وينتف شاربه

ففى هذه الابيات الأربعة كوميديا ذات ستة مناظر : منظر « سعيد » وهو يقلب رغيفه تقليب الحريص المعجب الذى يقلب جوهرة ثمينة . ثم منظره وهو يلاعبه ويناغيه مناغاة الأم لطفلها الوحيد . والمنظر الثالث وهو يخرجه من كمه بين لحظة واخرى ليشمه فقط لا ليأكله لأنه يبخل به حتى على نفسه . والمنظر الرابع وهو يجلسه فى حجره ويحدثه ويناجيه مناجاة المحب الواله ، والمنظر الخامس ثورته كما يثور المجنون حين يأتى المسكين يطلب لقمة منه ، والمنظر السادس وهو يكر عليه بالسوط ويلاحقه فى الطريق حتى يكسر رجله . ولا يكتفى بذلك بل ينتف شاربه أيضا . . !

ما هذا ؟ . . أليست هذه براعة التصوير ؟ . .

ويقول ابو نواس فى هذا النوع من التصوير المركب ، وهو أعلى انواع التصوير :

رأيت « الفضل » مكتئبا يناغى الخبز والسمكا
فأسبل طرفه لما رآنى قادما وبكى
فلما ان حلفت له بانى صائم ضحكا

وليتمثل القارىء هذا « الفضل » الذى مر به ابو نواس ، وهذا « الخباز » الذى مر به ابن الرومى ، وليقارن بين حالتى كل منهما ، ثم بين موضوعى الصورتين . فيرى ان الصورة او الصور التى رسمها النواسى ادق واصعب من الصورة التى رسمها ابن الرومى . فابو نواس صور حالتى الفضل الحسية والنفسية ، ورسمهما مزيجا واحدا فى شكل تهكمى غريب يعجز الرسام عن رسمه . أما ابن الرومى فقد صور حالة حسية واحدة ، استعان فيها بالتشبيه بشىء آخر . ولولا هذا التشبيه بلجة البحر يرمى فيه بالحجر لما وضحت الصورة

التصوير فى الطرديات

وللتصوير فى طرديات أبى نواس المقام الأول . والطرديات هى أشعاره التى نظمها فى الصيد ووصف أدواته وحيواناته كالكلاب ، والبزاة ، والقسى ، والسهام والطرائد . وقد أجاد فى صورها بما يجعله فى الصف الأول بين شعراء الجاهلية الذين امتازوا فى هذا النوع

فانت تقرأ له تصويره لكلب الصيد ، فلا تشك ان هذا الكلب الذى حوى هذه الصفات الكاملة ، والذى سعد أهله من كده ، وسعدت جدودهم بجده ، والذى كل خير عندهم من عنده ،

والذى يظل مولاه له كعبده ـ تقول لا تشك فى أن هذا الكلاب كان خير كلاب العالم طرا

التصوير الغزلى

ولم يخل باب من ابواب الشعر التى طرقها ابو نواس من التصوير البديع . ففى مدائحه ومراثيه بل عتابياته وزهدياته الوان من التصوير تفوق فى الكثير منها على غيره من الشعراء . دع غزل المؤنث والمذكر ، فقد كثر فيه التصوير . ونذكر من تصويره فى غزل المؤنث قوله ، وهو من التصوير المركب :

وعاشقين التف خـــداهما عند التثام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير ان يأثما كأنما كانا على موعد
لولا دفاع الناس إياهما لما استفاقا آخر المسند
قالا كلانا ساتر وجهه مما يلى جانبـــه باليد
نفعل فى المسجد مالم يكن يفعله الابرار فى المسجد

ذلك تصوير لا يخطر الا على بال شاعر عبقرى يسمو به الخيال ، فبأى من الصور المبتكرة ما يملك اللب ويستحث النفس الى الاعجاب . ومن أين عرف المحب انه سيكون مع حبيبه فى هذه اللحظة يقبلان الحجر الاسود بالكعبة وأى مصادفة هذه التى جمعتهما فى هذا الوضع الجميل الذى يشتهيه العاشقون لولا خيال ابى نواس ، وتصوير ابى نواس ؟ !

ومن التصوير الذى ينسجم مع تصوير الافلام الحديث ما نظمه ابو نواس فى هذه الحادثة التى وقعت بينه وبين حبيبته جنان ، فقال :

كتبت على فص لخاتمها من مل محبوباً فلا رقدا
فكتبت فى فص ليبلغها من نام لم يعقل كمن سهدا
فمحته ، واكتتبت ليبلغنى لانام من يهوى ولا هجدا
فمحوته ، ثم اكتتبت : انا والله اول ميت كمدا
فمحته، واكتتبت تعارضنى والله لا كلمته ابدا

أليست هذه عدة صور تحتاج إلى عدة لوحات بل تحتاج الى « فلم » طويل ؟ . .

إن أبا نواس كان مصوراً ماهراً ، استطاع ان يرسم بقلمه فى بساطة ودقة صوراً كاملة ، لحياته فى الجد واللهو ، وللبيئة التى عاش فيها ، وللعصر الذى ظهر فيه . وكانت ابرز صفة فيه جرأته الفنية ، وحريته فى التصوير ، وهى حرية كان ينشدها الفنانون فى ذلك العصر ، كما ينشدها الآن الفنانون فى العصر الحديث

طاهر احمد الطناحي

أبو نواس بين الأمين والمأمون

اتصال أبي نواس بالخليفة – بدء العلاقة بينهما – الأمين وأبو نواس يتباريان في شرب الخمر – الفتنة بين الأمين والمأمون

ما كاد أبو نواس يتخرج في علوم الدين ويذيع صيته في بلاد العرب حتى شعر بأن البصرة والكوفة اللتين نشأ بهما لاتتسعان لمثل من كان في منزلته . فعزم على النزوح الى بغداد التي كانت يومئذ قبلة العرب والفرس وكعبة طلاب العلم والادب واللهو والخلاعة والمجون وسائر ضروب اللذات . ولا نعلم الزمن الذي وصل فيه أبو نواس الى تلك المدينة على وجه التحقيق . والارجح انه قدمها في أواخر خلافة المهدي أو أوائل خلافة الرشيد أي حوالي سنة ١٧٠ الهجرية . ولم يكن عمر بغداد يزيد يومئذ على خمس وعشرين سنة ، فقد وضع المنصور أساسها سنة ١٤٥ الهجرية فاصبحت بعد زمن وجيز كعبة العلماء والادباء والاغنياء ورجال السياسة والقضاء . وكان للفرس أكبر الفضل فيما كان فيها من مجامع للانس واللهو والمجون ، ومن مواخير وحانات سرية داخل المدينة وفي ضواحيها . وفي تلك البؤر كان ابو نواس يقضي أيامه في شرب الخمر والمجون

ويصعب على الكاتب ان يصور معيشة الناس في بغداد في ذلك العصر . فقد كان اثر الفرس بادياً في كل شيء – في المآكل والملابس والمآدب والمجتمعات والعادات وفنون اللهو والطرب . بل في نظام الجيش وطرازه وزيه وسلاحه ، وفي هندسة البيوت والمباني والحدائق وهلم جراً . وقد صبغ قصر الخليفة نفسه بصبغة فارسية فكان يموج بالجواري والغلمان من اهل العجم

اتصال أبي نواس بالخليفة

قلنا ان أبا نواس نزح الى بغداد في أواخر خلافة المنصور او أوائل خلافة الرشيد وكانت شهرته قد سبقته الى هنالك اذ كان القوم قد سمعوا به وبما كان قد أحرزه من قصب السبق في مختلف العلوم والفنون . وأكثر المترجمين على أنه لم يتصل بالخليفة عند وصوله الى بغداد (سواء أكان هو المهدي ام الرشيد) بل اتصل بأولاد المهدي وكان ينادمهم حتى انه لم يكن يرى مع احد من الناس غيرهم . فلما ولي هرون الرشيد الخلافة اتخذ ابا نواس شاعراً له وقربه اليه لان ابا نواس كان اكبر شاعر عرف في ذلك الحين . واليك خلاصة ماذكره أبو نواس عن اول اتصاله بالرشيد . قال :

« كان اول اتصالى بالخلفاء ان الرشيد قال ذات ليلة لهرثمة بن أعين : « اطلب لى رجلا يصلح للحديث والسمر » فخرج هرثمة فسأل . فدله بعض الناس على فادخلنى عليه . فسألنى الرشيد عن اسمى واسم ابى فاخبرته . ثم قال لى : يا حسن أرقت فى هذه الليلة . فانشدته ابياتاً اعجبته وأمر لى من اجلها بمال . وكان ذلك سبب اتصالى به »

وانما حصل ابو نواس على مكانته عند الرشيد لانه كان إذا بكر اليه سأل خواص اهل بيته عما يكون فى نفسه او يكون جرى له فى ذلك الوقت . ثم ينشده اشعاراً لطيفة فى مطابقة ذلك فيطيب بها نفساً . وكان يفعل ذلك فى ساعات سرور الرشيد أو ساعات حزنه فيزيد فى سروره او يروح عنه

ومع ذلك ما كان الرشيد ليرضى عنه دائماً لانه كان ماجناً وسكيراً الى الدرجة القصوى . وقد امر بسجنه غير مرة وكان فى كل مرة يعفو عنه . ولكن ابا نواس قضى فى المرة الاخيرة فى السجن زمناً طويلا راسفا فى الاصفاد حتى توفى الرشيد وولى الخلافة بعده ابنه الامين . وفى ذات يوم غنت امامه احدى جوارى القصر ابياتاً نظمها أبو نواس يستعطف بها الامين . فلما فرغت من غنائها قال لها الامين : « لمن هذه الابيات ؟ » قالت : « لابى نواس » قال : « فماذا فعل ؟ » قالت : « انه محبوس » فامر بأن تكسر قيوده . فخرج ابو نواس من السجن . ومن ذلك اليوم توثقت العلاقة بينه وبين الامين وأصبح نديمه

بدء العلاقة بينهما

وليست هذه بدء العلاقة بين الامين وابى نواس ، فقد بدأت بينهما قبل ذلك بزمن . وتفصيل ذلك أنه لما قدم ابو نواس بغداد ورغب فى التقرب من الرشيد لم يتمكن من ذلك فى اول الامر لان الرشيد مع ميله الى اللهو والطرب كان يكره من ابى نواس اغراقه فى المجون . فولى أبو نواس وجهه شطر الامين ولى عهد الرشيد وكان اذ ذاك غلاما يافعاً . فعلقه وأولع به . وكان الكسائى يقوم على تهذيبه . فطلب اليه ابو نواس ان يأذن له فى تقبيله وان يحتال له على ذلك . فابى الكسائى مخافة ان يبلغ الخبر هرون الرشيد . فالح أبو نواس عليه وتهدده بأن يهجوه ان هو لم يأذن له فيما أراد . فاتفق معه الكسائى على ان يغيب اياماً ثم يحضر كأنه قادم من غيبة فيسلم على الكسائى ويعانقه ثم يلوى على الامين فيسلم عليه ويعانقه . وبذلك يتم له ما يريد . فرضى أبونواس بذلك وفيه قال :

قد احدث الناس ظرفا يعلو على كل ظرف
كانوا إذا ما تلاقوا تصافحوا بالا كف
فاحدثوا اليوم رشف الـ خدود والرشف يشفى

على ان ابن طاهر وغيره من مترجمي ابي نواس أنكروا هـذه الرواية بحجة أن ابناء الخلفاء ما كانوا يعانقون أحداً من الرعية . وانكارهم هذا لا يستند الى دليل قاطع . وعليه فان الحادث الذي رويناه يعتبر بدء اتصال ابي نواس بالامين . وقد توثقت العلاقة بينهما بمرور الزمن وزادها توثقاً ما بين الاثنين من التشابه في الميول والاهواء وما اشتهر عنهما من الاندفاع في المجون . لذلك اصبح الأمين لا يطيب له عيش الا بصحبة ابي نواس ومنادمته ، فقربه اليه . وقد ذكر اكثر المؤرخين ان الامين كان خليعا منذ نعومة اظفاره فكان يجمع الجواري في بيته ولا يكترث لشيء حتى قال عنه ابن الاثير : « لم نجد ما يستحسن ذكره للامين »

وكان ابراهيم المهدي المغني المشهور في ذلك العصر لا يفارق مجلسه ، قيل انه دخل على الامين في صباح يوم فلم ينتظر الامين حتى يحييه ، بل قال له : « اخرج عودك وغن » فاخرج ابراهيم العود وغنى الابيات التي مطلعها :

وكاس شربت على لذة   وأخرى تداويت منها بها

فاستوى الامين جالساً وطرب طربا شديداً وقال : « احسنت ياعم ، وأحييت لي طربا » ودعا برطل من الخمر فشربه على الريق ! ...

وهذا الحادث يصور لك مشهداً من مشاهد حياة ذلك الفتى الخليع

الامين وأبو نواس
يتباريان في شرب الخمر

ومما ذكره ابن منظور في كتابه « أخبار أبي نواس » ان الامين اصطبح يوماً مع ندمائه وأبو نواس عنده فقال : « نريد أن نشرب اليوم كلنا لننظر أينا اجود شربا . ولأجود القوم شربا حكمه » فلم يزالوا يشربون الى نصف الليل ثم هوم القوم سكراً (اي نعسوا) وبقي الامين وأبونواس وكوثر يشربون . ثم نام الامين وكوثر وبقي أبو نواس وحده . فلما لم يجد له مساعداً أغفى غفوة ثم انتبه ووضع الشراب بين يديه . ثم قام الى الندماء يحركهم واحداً واحداً ليشربوا معه . فوجدهم موتى لا حراك بهم . فقال ليس لي الا محمد (يريد الامين) فجاء الى مرقده وصاح به : « ياسيدي يا أمير المؤمنين ، ليس هذا من الانصاف . نحن نشرب وانت نائم ؟ » فانتبه الامين وقعد يشرب معه وهو يقول له : « ويلك . ألست من الناس ؟ لا تنام مع ما قد شربت ؟ » فقال أبو نواس : « ياسيدي . أليست لذة الشراب تقوم مقام لذة النوم ؟ » فشربا باقي ليلتهما . ثم أراد الامين ان ينام بعد ان سكر فقال أبو نواس : « على رسلك » ثم أنشده أبياتا نفحه الامين من أجلها الف درهم ومثلها من اجل ما شرب

موقف ابى نواس
فى الفتنة بين الامين والمأمون

ولما كثر احتجاب الامين عن الرعية بسبب انصرافه الى اللهو والشرب قال له اسماعيل بن صبيح وكان كاتب سره : « يا أمير المؤمنين . ان قوادك وجندك وعامة رعيتك قد خبثت نفوسهم وساءت ظنونهم وكبر عندهم ما يرون من احتجابك عنهم ، فلو جلست لهم ساعة من نهار فدخلوا عليك فان فى ذلك تسكيناً لهم ومراجعة لآمالهم » فجلس فى مجلسه واذن للناس عامة . فدخلوا على مراتبهم ومنازلهم . وقام الخطباء فخطبوا والشعراء فانشدوا . فلم يكن أحد منهم يتعدى الى الاطناب والتطويل إلا أمر بالسكوت ومنع من القول . وكان فيمن قام أبو نواس فقال : « يا أمير المؤمنين هؤلاء الشعراء أهل حجر ومدر ، وابل وبقر ، قد جفت الفاظهم وغلظت معانيهم ، ليس لهم بصر بمدح الخلفاء ونشر مكارمهم . فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لى فى انشاده فليفعل » . فاذن له فأنشده قصيدة من خمرياته . فقال له الامين : « ألم انهك عن شرب الخمر ؟ » قال : « بلى يا امير المؤمنين . والله ما شربتها منذ نهيتنى عنها ومنعتنى من شربها » .

أما منع الامين لابى نواس من شرب الخمر فسببه قيام الفتنة بين الامين وأخيه المأمون . وكان أولهما من أهل السنة يناصره العرب ، والثانى من أهل الشيعة يناصره الفرس من أجل أمه . ومع ان أبا نواس كان يكره العرب ويحتقرهم ويعطف على الفرس الا أنه كان مع الامين على المأمون لان حياة السكر والخلاعة والمجون كانت تجمع بين الاثنين . وفوق ذلك كان الشيعة يتشددون فى الحكم على من يشرب الخمر ويقولون بأنه لا أمل للسكير فى عفو الله وغفرانه . وهو مذهب ما كان ليروق أبا نواس الذى كان يعتقد أن الحياة فرصة يجدر بالمرء اغتنامها والتمتع بلذاتها ، فلايدع شيئاً يحول بين نفسه وبينها . وكان يعتقد أنه مهما عظم ذنب المرء فان عفو الله أكبر وأعظم وفى ذلك يقول :

يا كبير الذنب عفو الله ه من ذنبك أكبر
أكبر الاشياء عن أصـ ـغر عفو الله اصغر

فرجل هذه عقيدته فى الحياة وفى وجوب اغتنام فرص لذاتها ، وهذا مبلغ امله فى عفو الله وغفرانه ما كان ليطمئن الى الشيعة أو يعطف على أنصارها . ومن ثمة انحيازه الى الامين ومناصرته اياه على المأمون

(...)

الجانب الفلسفي في حياة ابن هانئ

فلسفة اللذة وأثرها في شاعر الأمين

بقلم الأستاذ خليل شيبوب

بيئة ابي نواس الفلسفية — نظرات في ديوان ابي نواس — رأى ابي نواس في الدنيا — هل تزندق ابو نواس

لعلنا نظلم أبا نواس إذا ذهبنا نستقرىء فى شعره بعض مذاهب الفلسفة التى نلم بها الماما فى شعر المتنبي ، وغموض فيها خوضاً فى شعر المعرى . ذلك أن المتنبي والمعرى كانا كثيرى الجد صاحبي رأى وتفكير . راعهما سر الحياة وسر الموت فطاف الاول بهما طوافا ووقف الثانى عليهما عمره كاملا ، ولما اقعده العجز عنهما أرسل صرخاته اليائسة مدوية فى العصور

أما أبو نواس فلم يكن يعبأ بالحياة ولا يفكر بالموت إلا تفكير رجل ساخر طوراً وطوراً مسلم لله موضوع الآخرة وما اليه . فهو ينغمس فى الحياة انغماسا ، بل يعب منها عبا سواء لديه الفضيلة والرذيلة والحلال والحرام

بيئة ابى نواس الفلسفية

ولقد نشأ أبو نواس فى بيئة فارسية تأخذ بمبادىء الديانة الزرادشتية من اباحة النبيذ والغناء والمجون ما طاب منها وما خبث ، سواء اقصداً أم اسرافا ، وصحب فتيا عشراء السوء امثال والبة بن الحباب وحماد عجرد ويحي بن زياد ومطيع بن اياس ، وكلهم فاجر زنديق متهم فى دينه كما يقول صاحب الاغانى ، ولكن كلهم شاعر لبق . فاعجب بهم أبو نواس ودرج على سنتهم من التمادى فى التهتك والفجور . وكان أبو نواس ألمع ذكاء وأقوى عبقرية منهم جميعا وهو اشعرهم بلا ريب . وقد عاش أبو نواس فى النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة فأخذ النحو وعلوم اللغة عن سيبويه وخلف الاحمر ، وأحاط بكل ما وصل اليه عصره من ثقافة فارسية وهندية ويونانية وعربية . ولقد شاعت فى عهده مبادىء مانى وزرادشت فى بغداد وترجمت السند هند من الهندية كما ترجمت بعض كتب اليونان امثال المجسطى فى الفلك ومنطق ارسطو . وكان الشعر والغناء قد قطعا شوطا عظيما من التجديد والرقى لما تركزت علوم الدين من حديث

وفقه وتفسير واتسعت اتساعا رائعا وساد فى العراق مذهب الامام أبى حنيفة وذاع فيه موطأ الامام مالك وشرع الامام الشافعى فى نشر مذهبه

لهذا جميعه كانت بغداد تموج بالشعراء والفقهاء والرواة والمتفلسفين وأشياع الديانات غير الاسلامية وتزدحم بالفرس والهنود والروم والصقالبة الذين تألبوا على العرب للاسباب السياسية المعروفة فنشأت الشعوبية

وكان الاسلام دين الدولة ومن المسلمين سنيون وشيعيون . وهناك الذميون من نصارى ويهود وغير الذميين ممن أظهر الاسلام واضمر ديانة الفرس ، وهؤلاء هم الزنادقة وغيرهم من الذين يعتقدون بالجبرية والقدرية وغير هذا كثير

فى ديوان ابى نواس

ولا نعرف ديوانا كديوان أبى نواس يهتدى مطالعه الى هذا الخليط من اصطفاق مدنيات ، وتضارب ديانات بما يمر به من معان وألفاظ تفتح آفاقا واسعة على التاريخ وعلى علوم العصر وحضارته وتدل دلالة صريحة على ثقافة أبى نواس المتنوعة . فاذا برم بأحد المتفلسفين من أهل زمانه قال مجملا :

فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

وليس كالعبقرية لتوحى مثل هذا المعنى الرائع الذى طابقه فيه شكسبير بعد قرون حين قال فى رواية هملت : « ان تحت السماء امورا لا تدركها فلسفتنا . . . »

ولقد وعى أبو نواس ماوصل اليه من الفلسفة بدليل ما جاء فى شعره من ألفاظها حيث يقول :

ولكننى لما بدا منك ما بدا وقست اموري عند ذاك بمقياس

وحيث يقول :

ألم تر جوهر الدنيا المصفى ومخرجه من البحر الاجاج

وفى قوله يصف الخمر :

جاءت كروح لم يقم فى جوهر لطفا به يحصره نور

وفى قوله راجزاً :

فهى إذا شجت على العلات ببارد المـــاء من الفرات

وفى قوله أيضا :

أنت صورة الاشياء بينى وبينه فجهلى كلا جهل وعلمى كلا علم

وجلى أن ألفاظ المقياس والجوهر والعلات والصورة ـ كل هذا من ألفاظ الفلسفة اليونانية التى شاعت فى عصره ، فلا غرابة ان يستعملها ما دام قد استوعبها . اما الغرابة ففى استخدام بعض معانى هذه الفلسفة كقوله متغزلا :

لو كانت الاشباح تعرفه أجلته اجـــلال باريها
لو تستطيع الارض لانقبضت حتى يكون جميعه فيهـا

وقوله يصف كلب صيد :

أغضف لا ييأس من خلاطه بصيد بعد البعد وانبساطه

فانقباض الارض حتى يملأها المحبوب جميعا وبعد البعد وانبساط البعد يصيده الكلب من المعاني الدقيقة التي لم يسبق اليها أبو نواس . وقد بحثت اليونان في « نفس النفس » وهي ما كانوا ينعتون بها النفس المفكرة وتلك المعاني موحاة من هذه . وقد يطول الكلام على هذا وتكفي الاشارة اليه

وإذا قال أبو نواس يهجو مغنيا :

سخنت من شدة البرودة حتى صرت عندي كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج بارد حار

قال ابن قتيبة : « هذا الشعر يدل على نظره في علم الطبائع لأن الهند تزعم أن الشيء اذا أفرط في البرد عاد حارا مؤذيا »

وقد يتضجر أبو نواس من هؤلاء الذين يجادلونه في الاديان والمذاهب فيقول لاحدهم على التعميم :

يا ناظراً في الدين ما الأمر لا قدر صح ولا جبر
ما صح عندي في جميع الذي تذكر إلا الموت والقبر

ويقول في وصف الخمر على التقرير :

تقسمتها ظنون الفكر إذ خفيت كما تقسمت الاديان آراء

وهو القائل :

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
انما السالم من ألجم فاه بلجام

وفي معرض الغزل :

أتغدو للحديث الى فقيه وتنظر في الحلال وفي الحرام
فهل حدثت عن قتلي بشيء من الفقهاء يا بدر التمام

فلاعجب بعد هذا أن يقول ابن خلكان في اسناد الى اسماعيل بن نوبخت : « ان أبا نواس كان أعلم الناس . . . » وما من شك ان مثل ذهنه المتوقد لا يني من الاطلاع والدراسة وانما الفضول العقلي من لوازم النبوغ وهو هو الذي قال :

قلبت آفاق الكلام فما أبصرتني أغفلت من معنى

رأى ابى نواس فى الدنيا

ولكن العلم شيء والخلق شيء آخر . ومن يطيل النظر فى شعر أبى نواس يجد نفسه أمام رجل ضيق الصدر قليل الصبر . لا يحسن التفكير فى أمر ينطوى على الجد . ولا يهمه فى يومه ما يأتى به الغد . لانه لا يرى لنفسه خطة يسلكها ولا نهجا ينتهجه . فبأية عين ينظر الى الدنيا سوى أنها دار جميلة السكنى لكن سرعان ما تنتقض بما كنها ؟ وانما الناس فيها جيران ثقلاء فهو لا يأبه لهم ولا يقيم لهم وزنا . فاذا ما أفاد من دنياه جهده فعفاء لها بعد ذلك . وقد صور نفسه على حقيقتها حيث قال :

وهان على الناس فيما أريده بما جئت فاستغنيت عن طلب العذر
رأيت الليالى مرصدات لمدتى فبادرت لذاتى مبادرة الدهر

وهو صادق حيث يقول :

فانى قد شبعت من المعاصى ومن ادمانها وشبعن منى

وحيث يقول :

تلك لذاتى وكنت فتى لم أقل من لذة حسبى

إذن هو يعتنق فلسفة اللذة فى أسهل مبادئها فيجعل لذته غاية كل شيء . فاذاً تحصيل العلم لذة واقتناء الكلاب لذة . والصيد لذة . وشرب الخمر لذة . والتصرف فى الزندقة لذة . ومغازلة الحسان والغلمان وما هناك من تواصل وتقاطع وعبث ومجون وتهتك واستهتار - كل هذا لذة ما وراءه لذة

أجل ليست هذه اللذه منظورا من ورائها احراز السعادة على طريقة ابيقوروس يفصلها الفيلسوف اليونانى الى جسمية وروحية ويجعلها غاية الحياة ، وما دامت غاية فى نظره فهى فضيلة ، وكل فضيلة خير ، فكل لذة لا تفضى الى خير فهى شر بعواقبها يجب استبعادها حتى تتم المنفعة . نعم لم تكن لذة أبى نواس منسوخة عن أبيقوروس ، بل هى لذة الفارسى الشعوبى الماجن يتزندق متظرفا حتى يرده اسلامه الى ايمانه

هذا هو أبو نواس فى كل أدوار حياته . وشواهد ديوانه لا تحصى للدلالة عليه ، سواء فى غزله أو هجوه أو عتابه أو فى هذه الخمريات الرائعة التى تبقى ما بقيت الخمر واللغة العربية

هل تزندق ابو نواس

وقد كان ابو نواس يتظرف حتى يقال عنه انه زنديق وانه كافر . وهو نفسه يقول هذا عن نفسه إذ يهجو ابراهيم النظام :

قولا لابراهيم قولا هذرا غلبتنى زندقة وكفرا

ولم يكن هذا إلا استرخاء فى العقيدة وتهاونا فى امور الدين لأن الزندقة التى حاربها الخلفاء وبطشوا بالذين دانوا بها كانت عقيدة أصحاب مانى ، وهذه لايجسر ابونواس ان ينسبها لنفسه ، بل هو يتبرأ منها حين يتهم بها علنا ابان بن عبد الحميد اللاحقى :

فقلت سبحان ربى فقال سبحان مانى
فقلت عيسى رسول فقال من شيطان

أما هو فمسلم سنى ينعى على الشيعيين حظر العفو عند تعمد الذنب :

لا تحظر العفو ان كنت امرا حرجا فان حظركه فى الدين ازراء

ويقول فى مكان آخر :

وثقت بعفو الله عن كل مسلم فلست عن الصهباء ما عشت مقصرا

وكيف يكون زنديقاً وكيف يكون كافراً من يقول :

شمر فما فى الدين اغلوطة ورح لمـــا أنت له رائح

أجل إن فلسفة اللذة التى اعتنقها كانت ملقاة الحبل على الغارب . لا يكبحها كابح ولا يخضد حدتها خاضد لذلك آلت به حتما إلى الألم وأغلب الظن أنه لم يترك الخمر حتى تركته بوازع المرض . ومهما يكن من الأمر فان توبته كانت مخلصة صحيحة بدليل خوفه :

رحم الله مسلمـــاً ذكر الله فازدجر
غفر الله ذنب من خاف فاستشعر الحذر

وقوله وفيه زجر وموعظة :

ما ارتد طرف امرىء بلذته الا وشىء يموت من جسده

وقد رقت شكواه جداً برقة حاله وشدة ندمه حيث قال :

هد جسمى السقام سفلا وعلواً وأرانى أموت عضوا فعضوا

وحيث قال : فما عاش منى بالذى مات ناهض فبعضى لبعضى دون قبر البلى قبر

ولعل مدة توبته كانت أطول مما توهموا لما أوحت به من تأنيب النفس وحرارة الضراعة . ولا غرو فان أبا نواس كان صادق الشعور يودع شعره مكنونات فؤاده وخوالج نفسه . وقد جاءت توبته حارة بمقدار ما كانت معصيته حارة ، وهذا أمر طبيعى يعرفه علماء النفس الروحيون . وفى مقطوعاته الشعرية فى الزهد مايفوق كل مقطوعات أبى العتاهية معاصره فى الزهد والورع . وإنما كان أبو العتاهية ينظم مواعظه للرشد والنصيحة وكثير منها يشبه نظم النحاة أراجيزهم فهى بعيدة عن الحياة ولهيبها وكل شعر لا تلهبه الحياة فهو ألفاظ . ولم ينظم ابو نواس إلا شعرا خالصاً

خليل شيبوب

الرشيد وأبو نواس

هل كان النواسي نديماً للرشيد

بقلم الأستاذ عبد الحميد العبادي

شخصيتان معروفتان مألوفتان عند الخاص والعام ، ومعدودتان من وجوه كثيرة أعجب شخصيات العالم الاسلامي فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى : الاولى شخصية شاعر عربى أعجمى الاصل تاهت فيه فلسفة الاعاجم الاباحية القائمة على الاستهزاء بالمواصفات والعقائد ، وعلى الاستمتاع باللذة ، مشروعها وغير مشروعها ، مقبولها ومرذولها ، ثم راح يصوغ هذه الفلسفة البائرة المبيرة فى شعر سهل بلغ لم يسبق اليه ولم يلحق فيه . فغدا بحق امام شعراء مذهب اللذة فى العربية وحامل لوائهم على الاطلاق . أما الشخصية الثانية فشخصية ملك عربى تاهت فيه فلسفة سياسة ذلك الزمان القائمة على الاستبداد ، والجبروت ، والعصبية والعقيدة الجامدة ، مع ما يمتاز به العربى المترف عادة من رقي الذوق ، ودقة الاحساس ، ولطف المزاج

واذا كانت فلسفة أبى نواس قد عادت عليه بتخرق الخلق ، وشذوذ الشهوة ، فقد عادت على الرشيد فلسفته بصلابة الرأى وجمود العقيدة والتهالك على كل ما يمسك عليه سلطانه خيراً كان أو شراً . من أجل ذلك نستجيز أن نستعير تعبيراً فرنسياً شاع فى أوربا فى أواخر القرن الماضى fin-des-iècle وأعطاه الكاتب الالمانى الاشهر ماكس نوردو طابعاً علمياً خاصا (١) فنسمى أبا نواس « شاعر آخر الزمان » ، والرشيد « ملك آخر الزمان » كذلك . ولامر ماشاءت الاقدار أن يفارق كل منهما هذه الدنيا فى العقد الاخير من القرن الثانى الهجرى

جمعت بين هاتين الشخصيتين العجيبتين جوامع الزمان والمكان والفن ، ولكن باعدت بينهما مقتضيات فلسفة كل منهما . فترددت الصلة بينهما بين السلب والايجاب والوجود والعدم ، وهذا هو المؤتلف مع فلسفة الرجلين والمتفق مع الثابت المستيقن من أخبارهما . بيد أن أخباراً محرفة منحولة تؤكد توثق الصلة بينهما الى المدى الذى يكون عادة بين الاوداء والخلطاء غير مبالية ما بين الرجلين من تفاوت الفلسفة واختلاف المزاج . كما أن طائفة عظيمة أخرى من الحكايات أبدعها خيال القصاص فى شتى العصور الاسلامية قد ذهبت فى تصوير الصلة بين أبى نواس والرشيد كل مذهب

---

(١) فى كتابه « الانحطاط » Degeneration : الباب الاول ومؤداه التحلل من قيود العرف والاخلاق

مطرحة كل اعتبار الا اعتبار الرغبة فى تفكهة القارىء وامتاعه . . والآن فلنعرض لكل ذلك بشيء من التفصيل :

ولد أبو نواس بالاهواز حوالى عام ١٤٠ ونشأ وتعلم بالبصرة . ثم ارتحل الى البادية فى طلب اللغة وفصاحة اللسان . ثم انتقل الى الكوفة للاخذ عن علمائها . فلما اكتملت مواهبه ونضج شعره ارتحل إلى بغداد بلد العلم والأدب والسياسة العليا فى ذلك الزمان كما كانت بلد الحياة الماجنة الخليعة التى يؤثرها من كان مثل ابى نواس . فاتخذها الشاعر مهاجرا ولزمها حتى آخر حياته اذا استثنينا رحلته القصيرة الى مصر . والظاهر أن هجرته الى بغداد كانت حوالى عام ١٧٩ (١) على اكثر تقدير ، أى فى الوقت الذى كان البرامكة فيه قابضين على زمام الأمر فى الدولة الاسلامية فكان طبعيا أن يتوجه اليهم ابو نواس بشعره وقد مدحهم ونال جوائزهم السنية وكان آخر شعر مدحهم به قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أربع البلى ان الخشوع لباد عليك . وانى لم اخنك ودادى

قالوا ولما سمعها الفضل بن يحيى تطير منها تطيراً شديداً . ولم يمض أسبوع على سماعه لها حتى نكب ونكب معه قومه . ونحن نعرف أن نكبة البرامكة كانت عام ١٨٧ واذاً يمكن القول ان أبا نواس منذ دخوله بغداد عام ١٧٩ إلى عام ١٨٧ كان يخص البرامكة من بين رجال الدولة بشعره ، وانه لم يتوجه الى الرشيد بمدحه فى تلك السنوات الثمان . والحق اننا لانجد فى ديوانه شعراً قاله فى الرشيد ويمكن رده إلى تلك الفترة ولا عبرة بتلك الابيات التى قالها ابو نواس فى عام ١٧٩ يحث الرشيد على استحجاب الفضل بن الربيع (٢) :

قولا لهارون امام الهدى عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما بك من قدرة فلست مثل الفضل بالواجد
ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد

فهى فى الواقع مدح فى الفضل بن الربيع وقد أوردها جامع ديوان ابى نواس على أنها كذلك

فلما دالت دولة البرامكة وقامت دولة آل الربيع واستبد الرشيد بالأمر دار ابو نواس مع الفلك الدوار وأقبل يمدح رجال العهد الجديد وعلى رأسهم الخليفة نفسه وكان ذلك بدء اتصاله الادبى بالرشيد . ومن أوائل مامدحه به قوله من قصيدة :

انى حلفت عليك جهد ألية قسما بكل مقصر ومحلق
لقد اتقيت الله حق تقاته وجهدت نفسك فوق جهد المتقى

---

(١) [illegible] من قوله يخاطب جعفر بن الربيع :

[illegible] بى ود عشرين حجة ولا تفسدوا ما كان منكم من الفضل

[illegible] عزل فى عام ١٧٩ محمد بن خالد بن برمك عن الحجبة وولاها الفضل بن الربيع

وأخفت أهل الشرك حتى إنه   لتخافك النطف التي لم تخلق
وصناعة الشعراء ان انفقتها   نفقت وان اكسدتها لم تنفق

وقوله من قصيدة أخرى :

تبارك من ساس الامور بعلمه   وفضل هارونا على الخلفاء
نعيش بخير ما انطوينا على التقى   وما ساس دنيانا أبو الامناء
امام يخاف الله حتى كأنما   يؤمل رؤياه صباح مساء

وقوله من قصيدة ثالثة :

هارون ألفنا ائتلاف مودة   ماتت لهما الاحقاد والأضغان
في كل عام غزوة ورفادة   تنبت بين نواهما الأقران
حج وغزو مات بينهما الكرى   باليعملات شعارها الوخدان

وهذا الشعر كله يدل على أن أبا نواس انما مدح به الرشيد عند ما ظهر الرشيد بمظهر البأس والجبروت ، وعنـد ما غدا مخوفاً مرهوباً لا تؤمن بوائقه ، وعند ما جد في جهاد الروم وأذل طاغيتهم ، وعند ما أصبحت بضاعة الشعراء رهن مشيئته ، إن شاء نفقت وان شاء كسدت . والرشيد انما ظهر بكل ذلك بعقب ايقاعه بالبرامكة . بل ان المصادر التاريخية نفسها تعيننا على تاريخ القصائد الثلاث المذكورة . فالراجح أن القصيدة الاولى مدح بها أبو نواس الرشيد عام ١٨٧ عند ما انتصر الرشيد على نقفور البيزنطي انتصاره المشهور (١) أما القصيدة الثانية فثبت أن الشاعر نظمها عام ١٨٩ عند ما أخذ الرشيد البيعة بولاية العهد لابنه القاسم ولقبه بالمؤتمن (٢) وأما القصيدة الثالثة فقالها عام ١٩٠ عندما اتخذ الرشيد قلنسوة مكتوباً عليها « غاز حاج » (٣)

على أن هذه المدائح وغيرها من شعر أبي نواس في الرشيد لم تعد أن تكون من قبيل الشعر الرسمي الذي يقال في الظروف والمناسبات الخاصة ، وليس فيها ولا في عامة شعر أبي نواس مايفيد أن أبا نواس تجاوز في علاقته بالرشيد هذه الحالة الى أن يكون من شعراء البلاط فضلا عن أن يكون من جلساء الرشيد وندمائه . بل ليس في شعر أبي نواس ولا في الثبت من أخباره ما يفيد أنه كان ينشد الرشيد شعره إنشاداً على نحو ما كان يفعل بعض معاصريه أمثال أبي العتاهية ومروان ابن أبي حفصة مثلا (٤) لقد كان ثم أمور تحول بين أبي نواس وبين هذه الغاية . لقد كان أبونواس قبيح السيرة ، ماجنا ، سكيراً متهماً في نفسه مقيما بحانات الكرخ ومواخيره يشرب الخمر ويعبث بالغلمان ، وكان يصرح بكل ذلك في شعره وخاصة خمرياته حتى شاع أمره في بغداد . ثم إنه قد خاض في أمر العصبية العربية وتقلب فيها تقلبا منكراً . فادعى أول الأمر نسب النزارية وهجا اليمن

(١) الطبرى ج ١٠ ص ٩٢ـ ٩٣ (٢) الطبرى ج ١٠ ص ٩٦ (٣) الطبرى ج ١٠ ص ٩٩ (٤) الطبرى ج ١٠ ص ٩٢ ـــ ٩٣

ثم عاد فادعى نسب اليمن وهجا النزارية بقصيدة قوية أولها :

ليست بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبها

ثم صار شعوبيا وبرىء من العرب قاطبة وهجاهم وادعى الاعجمية (١) . وسبب ثالث قعد به عن الاتصال بالرشيد ، هو فساد عقيدته وزندقته ومجاهرته فى شعره بآراء الثنوية فهذه الامور كلها لم تكن لتجعل الرشيد يقبل على أبي نواس ويأذن له فى غشيان حضرته وانشاده ، وهو بعد الحريص على مظهره الاسلامي ، المتزمت فى أمر العرض والشرف ، الفخور بنسبه العربي النزاري القرشي . والحق أن الرشيد من حيث هو خليفة المسلمين وحارس الدين والآداب ، لم يتردد فى الضرب على يد أبي نواس ، وفى أن يمسه من حين لآخر ببعض العقاب ، فقد رووا أنه حبسه فى شرب الخمر (٢) وأنه حبسه طويلا بسبب قصيدته التى هجا بها النزارية ، وأنه حبسه كذلك من أجل جهره بالزندقة وعقائد الثنوية ، وكان حساده وأعداؤه من جلساء الرشيد يقعون فيه عند الخليفة من هذه الناحية الدقيقة الحساسة . رووا (٣) ان الرشيد جلس مجلسا وأفاض من حضره فى المطبوعين من شعراء المحدثين ، الى ان اتصل الذكر بالحسن بن هانىء فغمز عليه سليمان بن جعفر ، فقال : يا أمير المؤمنين ! كافر بالله . لا يرعوى عن منكر ولا يأنف من فاحشة ، وقد نمى الى أمير المؤمنين خبره . فقال : يا أبا عمر ! هل تروي عنه من ذلك شيئا ؟ قال : نعم ! قوله يا أمير المؤمنين :

يا ناظراً فى الدين ما الامر لا قدر صح ولا جبر
ما صح عندى من جميع الذى يذكر إلا الموت والقبر

ثم أنشده قوله أيضا :

باح لسانى بمضمر السر وذاك أنى أقول بالدهر
وليس بعد الممات مرتجع وانما الموت بيضة العقر

فاستشاط الرشيد غضبا . وقال : على بابن الفاعلة . يا فضل ! لا يفوتنك الزنديق ! ونمى الى أبى نواس الخبر فساخ فى الارض ، فلم يقدر عليه احد . فقال رجل من جلساء الرشيد : إن اذن أمير المؤمنين أنشدته من قول هذا الفاسق ما هو أشنع مما سمع . قال : هات ! قال : قوله فى غلام نصرانى :

تمر فأستحيك ان أتكلما ويثنيك زهو الحسن عن أن تسلما
ويهتز فى ثوبيك كل عشية قضيب من الريحان شب منعما

(١) أخبار أبي نواس الورقة ٨٥ (من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية) (٢) أخبار أبي نواس ص ١٠٩ (من الجزء الاول المطبوع) (٣) أخبار أبي نواس الورقة ١٠١ (من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية)

بحسبك أن الجسم قد شفه الضنى ❊ وان جفونى فيك قد ذرفت دما
أليس عظيماً عنــد كل موحد ❊ غزال مسيحى يعــذب مسلما
فلولا دخول النار بعــد مصيره ❊ عبدت مكان الله عيسى بن مريما

فازداد حنق الرشيد عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ! واشنع من ذلك ، قال : هات ! فأنشده قوله فى غلام نصرانى :

وملحة بالعــذل ذات نصيحة ❊ ترجو إنابة ذى مجون مارق
بكرت تبصرنى الرشاد وهمتى ❊ غير الرشاد ومذهبى وخلائقى
فأجبتها كفى ملامك اننى ❊ مختار دين أقسة وجثالق
والله لولا اننى متخوف ❊ ان ابتلى ....

وقطع الانشاد ، فقال له الرشيد : بماذا ، ويلك ! فاستعفاه ، فقال : ويلك ! بماذا ، فقال :

...... بامام جور فاسق

قال فضج المجلس بأهله . وأنكر الرشيد نفسه . ثم قال : امض . فقال :

لتبعته فى دينــه ودخلته ❊ ببصيرة منى دخول الوامق
انى لأعلم ان ربى لم يكن ❊ ليخصهم إلا بدين صادق

فقال الرشيد للفضل بن يزيد بن المنصور : ان لم يدخل هــذا الكلب فى المطبق لتكرن قولا وفعلا . فوجه الفضل (فى طلبه) من ساعته ، فأخذ وأودع المطبق ثم أتاه الفضل بن الربيع الى أن اطلق ، فقال فى ذلك :

الله فرج لى برأى الـ ❊ ـفضل من حلق الكبول
وأقالنى عنت العثــا ❊ ر وقد أيست من المقيل

والظاهر أن ابا نواس قال فى ورطته هذه يستعطف الرشيد قصيدته التى يقول فيها :

بعفوك لا بجودك عذت لا بل ❊ بفضلك يا أمــير المؤمنينا
فلا يتعذرن على عفو ❊ وسعت به جميع العــالمينا

على ان الرشيد لم يكن بالرجل الذى تخفى عليه مكانة أبى نواس فى الأدب والشعر خاصة . لقد كان الرشيد نفسه ذا بصر بالشعر عليما بمراتب الشعراء شديد العطف عليهم والرعاية لهم . وكان فى قرارة نفسه عظيم الاعجاب بفن ابى نواس مؤمنا بأنه امام شعراء زمانه غير مدافع . قال اسمعيل بن صبيح (١) قال لى الرشيد : يا اسماعيل ! ابغنى وصيفة مليحة فطنة شكلة حلوة متكلمة ظريفة عاقلة لسقينى فان الشرب يطيب من يد مثلها . قال : فقلت يا سيدى ! على الجهد . فقال :

(١) اخبار ابى نواس ، الورقة ٦٩ (من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية)

أجمل قول هذا العيار امامك — يريد أبا نواس — وأمثل فيها ما حد في مثلها . فقلت يا سيدى ! وما قوله ؟ قال :

من كف ساقية ناهيك ساقية ... في حسن قد وفي ظرف وفي أدب
كانت لرب قيان ذي معاينة ... بالكشح محترف بالكشح مكتسب
حتى اذا ما غلى ماء الشباب بها ... وأفعمت في تمام الجسم والعصب
وجشت بجنى اللحظ فانجمشت ... وجرت الوعد بين الصدق والكذب
تمت فلم ير انسان لها شبها ... فيمن برا الله من عجم ومن عرب
تلك التي لو خلت من عين قيمها ... لم أقض منها ولا من حبها أربي

من أجل هذا التقدير الفني المحض كان الرشيد لا يبلغ من عقوبة أبي نواس المبلغ الذي يقتضيه نص الشرع . فكان يجازيه على مجونه ، واستهتاره ، ومجاهرته بالمعاصي في شعره ، بمجرد الحبس . ومع ذلك كان اذا كتب اليه أبو نواس من السجن يستعطفه . او شفع عنده شفيعاً ذا خطر ، أقال عثرته وقبل شفاعته فيه وأمر بتخلية سبيله . بل لقد بلغ الامر بالرشيد ان انزعج عندما أرجف أهل بغداد بأن أبا نواس قد قتل . قال يوسف بن الداية (١) : غاب أبو نواس عنا وعن اخوانه غيبة طويلة ، فلم نعلم له خبراً وجعلنا نسأل عن أمره فلم نعلم له أثراً . حتى مضت له سنة فظننوا أنه قتل ، وبلغ ذلك الرشيد فقال : والله ان صح انه قتل لاقتلن قاتله ولو كان محمداً (يريد ابنه الامين) انظروا كل من هجاه من الناس فاكتبوا اسمه وارفعوه إلى ! فارتجت بذلك بغداد . فلما كان على رأس الحول اذا نحن به قد وافى . فقلنا له : يا أبا علي ! قد غبت هذه الغيبة عنا فغممتنا وظننا بك الظنون . قال : كنت في بيتي . قلنا : ألم تسمع بغمنا لك وقول الرشيد فيك ؟ فلم يبق أحد من اخوانه الا عذله ، وقالوا : ان في هذا تعريضا لنفسك للآفات ، فأنشأ يقول :

اني لفي شغل عن العالمين ... بالروح والريحان والياسمين

الى آخر القصيدة

* * *

وجملة القول ان أبا نواس كان يحرص على أن يخلد بعض شعره بنظمه في تلك الشخصية الساطعة المتلألئة ، شخصية الخليفة هارون الرشيد . ولكنه كان يعلم ألا سبيل له الى الاتصال بتلك الشخصية فوق هذا القدر . فكان يمدح الرشيد ويستعطفه « من بعيد » . أما الرشيد فكان يقدر فن أبي نواس ويعجب به أشد الاعجاب ، ولكنه للاسباب التي سبق ذكرها كان لا يستطيع او لا يريد

(١) أخبار ابي نواس : الورقة ٩٨ (من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية)

الذهاب إلى أبعد من حد التقدير والاعجاب ، فكان يسمع شعره وينقده (١) ويعجب به ، ولكن «من بعيد» كذلك . تلك حقيقة الصلة بين ابى نواس والرشيد وذلك مقدار مداها

٭ ٭ ٭

على أن هناك طائفة من الاخبار تزعم أن أبا نواس كان وثيق الصلة بالرشيد وانه كان يدخل عليه ويجالسه وينادمه وانه كان ملازما لقصره وان له وقائع ونوادر مع حرم الرشيد وجواريه. وعندى ان بعض هذه الاخبار يصح اذا وضعنا مكان «الرشيد» لفظ «الامين» . فلا شك أن أبا نواس كان ملازماً لقصر الامين ينادمه ويجالسه ويشاربه ، إلى حد أن استغل المأمون تلك الصلة فى التشنيع على الامين بخراسان (٢) عندما استحكمت النفرة بين الاخوين. وقد دعا ذلك الامين آخر الامر إلى التشديد على أبى نواس فى ترك الخمر والى حبسه عندما كان يعصى أمره . وقد أشار أبو نواس الى ذلك فى شعره . وقد يكون بعض هذه الاخبار صحيحاً كذلك اذا وضعنا مكان اسم أبى نواس اسم «ابن أبى مريم المدنى» (٣) وكان رجلا مضحاكا فكها منقطعاً إلى الرشيد فى أواخر حياته يسليه ويفرج همومه بنكاته وطريف أحاديثه

وهناك مجموعة أخرى من الحكايات والنوادر تدور حول العلاقة بين أبى نواس والرشيد وقد أبدعها الخيال فى العصور الاسلامية المختلفة . هذه الحكايات لا نجد لها أثراً ما فى كتب الادب والتاريخ المعتمدة كالاغانى والعقد الفريد ، ولكنها حفلت بها كتب القصص وخاصة كتابى «الف ليلة وليلة» و «اعلام الناس» وهى تصور ابا نواس فى صورة رجل مضحاك يفكه الخليفة باشعاره العابثة المرتجلة ويضحكه بنوادره المستملحة . ولو أجاد واضعو هذه الحكايات السبك لنسبوها الى ابن ابى مريم المدنى المذكور ولكنهم نسبوها خطأ الى أبى نواس . قال ابن منظور صاحب «لسان العرب» ومؤلف كتاب «أخبار ابى نواس» (٤) : «وقال بعض المترجين ممن يحيط علماً بأحوال أبى نواس ان هذه الحكايات عن ابى نواس والرشيد موضوعات ، وان أبا نواس ما دخل على الرشيد قط ولا رآه وانما دخل على محمد الامين»

واذا كان ابن منظور قد بالغ على ما يظهر فى نفيه عن أبى نواس رؤية الرشيد فلا شك أن عباراته فيما دون ذلك صادقة كل الصدق

عبد الحميد العبادي

---

(١) ديوان ابي نواس : هامش ص ٧٣ (طبع المطبعة العمومية) (٢) اخبار ابى نواس : الورقة ٧٢ (من النسخة الخطية) (٣)الطبري ج ١٠ ص ١١٤

(٤) السفر الاول المطبوع ص ٢١٧

خمريات أبي نواس

بقلم الأستاذ حسين شفيق المصري

لو لم يكن أبو نواس معروف الاصل والفصل والزمن ، ما كان فرق بينه وبين مجنون ليلى وجحا وغيرهما من أشخاص القصص التى يضعها الخياليون ، لأن المذكور من حياته والمشهور من شعره اكثره مختلق منحول ، وسيرته تصوره بصورة لم تكن له ولم تخطر عنه ببال أهل أهل زمانه ، فهو فى أحاديث المتحدثين عنه رجل ماجن مخلوق للتهريج بلا حياء ولا دين ولا كرامة ، وهذا مفترى عليه ولا شك . ولو كان على تلك المهانة ما اعجب به الرشيد ولا قربه الأمين ولا أمراء القرن الهجرى الثانى والاسلام فى عنفوانه والاحكام الدينية قائمة بالرغم مما خالط ذلك الوقت من الحنات التى جاءت بها الفرس والروم ، فوق ما كان من آثار أولئك الأعاجم الذين خالطوا أهل العراق فى الجاهلية وما بعدها الى عهد هذا الشاعر المعلوم المجهول !

والغريب أن الذى أصاب الحسن بن هانىء - أبا نواس - من سوء السمعة قد تطاير منه رشاش أصاب أمير المؤمنين الرشيد ، وانصب منه الشيء الكثير على الأمين ، فعزى اليهما اللهو والقصف والخلاعة ، على حين أن الرشيد كان مقيما للصلاة مؤدياً للحج وسائر الفرائض ، ولم يرم الأمين بما رمى به الا اندفاعاً مع السياسة التى أرادها أنصار أخيه المأمون ، مضافة الى خيالات الرواة وأصحاب القصص التى لا تروج الا بغرائب الاكاذيب

والحق أن أبا نواس كان يشرب الخمر ، وكان يمجن ولكن بالمقدار الذى لا يجعله مثلة من المثلات . ولم يكن له بد من القصف والمجون فى حدود العقل الذى لا يحجبه عن الخلفاء والأمراء الغيورين على الدين ، فقد وجد فيما بين عامى ١٤١ و ١٩٩ للهجرة ، وولد بالأهواز ، وعاش فى بغداد . وهى مدينة كان فيها العدد العديد من اهل الذمة الذين لم تحرم عليهم الخمر ، وكان هو وأمثاله من الشعراء والمترفين يختلفون اليهم ويشاركونهم فى عاداتهم وأخلاقهم ، ويعرفون منهم الخمارين . والشباب والجدة يدفعان الى الشهوات ولو كان وراءها العقاب الأليم

واختلاط دم أبى نواس بالدم الفارسى أمه جعله سريعا الى الحضارة نفوراً من البداوة ، وهذا ظاهر فى شعره عن الخمر وغير الخمر ، ولعل هذا كان سبباً فى تجاوزه الحد فى المجون أحياناً ، فحبسه الرشيد ثم الأمين ، فكان يتوب توبة الحدأة من خطف أفراخ الدجاج

أما خمرياته فكما قلنا ، يتعب الباحث عنها ويعنى أشد العناء لكثرة مانسب اليه من خمريات

معاصريه من الشعراء المجيدين وسخفاء الشعراء، ومحال أن يهتدى الى شعره بين ذلك ما لم يكن الباحث عارفا بالشعر والخمر معا عارفا بأساليب الشعراء فى مختلف الامصار ومختلف العصور

ويزيد الحيرة ظلاما أن القصيدة الواحدة من خمريات أبى نواس قد يكون له منها بيت أو بيتان وباقيها لشاعر أو عدة شعراء جمع بعض الرواة أقوالهم وجعلها مع بيتيه متلاحقة فى غير ترتيب قصيدة، بزعم أنها نواسية ويتاجر بذلك ولا يدرى أنه يجنى على الادب أفظع الجنايات

ثم إن كل ما روى عنه من الشعر على حروف التاء المثناة والثاء المثلثة والجيم والخاء مفترى عليه وليس له منه شىء لسخافته وركاكته التى لا يمكن أن تكون لشاعر من أهل عصره. ولا قيمة لمن يزعم أنه كان يسخف إذا قال الشعر وهو سكران، لأن هذا الزعم من أقوال أناس غير شعراء وليس فيهم من ذاق الخمر، وأصحاب الشعر والخمر يعلمون علم اليقين أن نشوة الشارب تفصح لسانه وتوسع دائرة خياله وقد كان الاخطل اذا اجبل استعان بالخمر على الشعر، وهذا شأن كل شاعر مجيد.. ومما خلطه الرواة قوله:

يا خاطب القهوة الصهباء يمهرها بالرطل يأخذ منها ملأه ذهبا
قصرت بالراح فاحذر أن تسمعها فيحلف الكرم ألا يحمل العنبا

فان هذين البيتين المرقصين من قصيدة كلها ركاكة وضعف وهذيان شديد فى لغة بعيدة من لغة القرن الثانى للهجرة كبعد التراب من السحاب.. وكذلك فعلوا بقوله:

كأن منظرها والماء يقرعها ديباج غانية أو رقم وشاء
كأن قرقرة الابريق بينهمو رجع المزامير أو ترجيع فأفاء

فان هذين البيتين من قصيدة ضاعت فلفقوا له معهما قصيدة انحدروا بها فى الرداءة الى زعمهم أنه قال فيها:

ونحن بين بساتين فتنفحنا ريح البنفسج أو نشر الخزاماء!

فأبو نواس براء مما خلطوا به شعره، ولولا خوف الاطالة لاوردت من بدائعه ما يجعل كل ما قيل فى الخمر من بعده ومن قبله هباء لا يعبأ به أحد، فقد ابتدع معانى لا تخطر على قلب شاعر وجاء من الوصف بما يسخر من تصاوير المرآة الصافية، وماذا عسى أن يقول مخلوق يصف جميلا فى يديه كاسان فيهما خمر بعد قوله:

فشبهت كأسيه بكفيه إذ بدا سراجين فى محراب قس إذا صلى

والذى بلغ بأبى نواس الى هذه المنزلة من الاجادة فى الخمريات ليس كونه شاعراً كبيراً كما يتوهم الناس، بل كونه كان يتكلم عالما لا متخيلا. لانه انما كان يتكلم عما يرى بعينه ويذوق بلسانه ويحسه يجرى فى دمه. وخياله مع هذا العلم سماء فوق السموات

وابو نواس فى شعره يسجل عادات زمنه واخلاق معاصريه. فانه يخبرنا ان تبادل الشاربين

التحية عند شرب كل كاس من عادة الاولين . فقد كانوا يقرع بعضهم كؤوس بعض ويقولون : « السلام عليكم » او « سعد مساؤكم » مثلا كما يفعل السكيرون الى الآن . قال :

ادار علينا بالتحية كاسه ومربلها لونامن الراح احمرا

وقد وصف كثيرا من مجالس القصف واللهو فى اسلوب باهر ، وروى لنا كثيرا من حوادثه باسلوب يشهد للغة العربية بانها سيدة اللغات التى تسع القصص فى شعرها العالى الآخذ بالالباب ، بالاسهاب تارة وبالايجاز أخرى ، فيحار السامع فى أمر تفضيل الاطالة أو الاقصار ولا يدرى بايهما يتعلق دون الآخر وهما كالقرنفل والورد من الزهر

وكما رزق أبو نواس رواة سوء نسبوا اليه ما ليس له من السخافات ، كذلك رزق نقادا جهلاء عابوا أحسن ما قال فزعموا أنه ضعف فى قوله :

أقمنا بهـــا يوما ويومين بعده ويوما له يوم الترحل خامس

فقالوا إنه أضاع الوقت سدى وكان يستطيع ان يقول : « اقمنا خمسة أيام » وهو انتقاد فى ظاهره وجيه . ولا وجاهة له عند من يفهم الشعر ، فيراه قال إنه واخوانه اقاموا فى الحانة يوما ليرحلوا بعده فاستحسنوها فاستقر رأيهم على الاقامة يومين آخرين فلما قضوهما قالوا نقيم يوماً آخر فلما قضوا الرابع لم يهن عليهم مفارقتها فاقاموا اليوم الخامس . وهو بهذا البيت قد حكى حكاية وقص قصة وهم لا يشعرون . . ومثله قوله :

ولقد شربت ثمانيا وثمانيا وثمان عشرة واثنتين وأربعا

قال ناقد جاهل : لم لم يقل شربت اربعين عوضا عن هـــذا الكلام الطويل ، مع انه اقصر كلام لاطول معنى ، فقد وصف ليلته بطولها فى بيت واحد من الشعر فقال انه شرب ثمانية اقداح فى حانة ، وانتقل الى مكان آخر فشرب ثمانية أقداح ، ثم خرج يسعى الى مجلس انس شرب فيه ثمانى عشرة كأسا ، فخرج بعد ذلك الى حانة شرب فيها كاسين ثم انتقل الى حانة شرب فيها اربعا ، وهو غاية فى الايجاز مع التفصيل الشافى لمن يفهم الشعر

فنحن نخرج من هذا الى أن أبا نواس قد ظلمه الرواة كما ظلمه القصاصون ، وانه كان يشرب الخمر ويمجن ، ولكنه كان من أصحاب الأقدار ولم يكن مدمنا يسخر منه الناس أو يتخذونه ضحكة ولو كانوا ملوكا وامراء . لأن الرجل كان فى عصر نهضة أدب وعلم وحضارة وزينة ، فكان حريا بان يندفع مع التيار بحيث لا يغرق . وأكبر دليل على ان ما عزى اليه من الشعر الضعيف لشعراء آخرين أنك حين تقرأ مدائحه لا تراه الا رصينا مكينا عربيا مبينا ، فى طليعة الطبقة الاولى من فحول شعراء الجد الذين لا يهزلون ، ولا والله ما قالوا مثل قوله :

واذا المطى بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام

حسين شفيق المصري

المرأة فى شعر أبى نواس

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

« .. ورأيى ان ابا نواس لا يقل شاعرية عن اى شاعر غربى من الفحول . ولو واتته الظروف والبيئة ، والهمته المرأة ، لقرأنا له ليالى كوسيه ، ومأتميات كلامارتين .. »

فى النسخة التى بين يدى عن أبى نواس يقسم جامع الكتاب غزل أبى نواس الى قسمين غزل المؤنث ، وغزل المذكر ، والثانى أقوى من الاول وكان حقه أن يسبقه فى الترتيب ، وأن يعقب باب الخمريات وأن يكونا معاً فى مقدمة الديوان لانهما حياة أبى نواس ولب لبابها . والك لتراه فى الخمريات يتكلم عن الغلمان ، وعند ما يتكلم عن الغلمان يتكلم عن الكأس . فما أوثق الصلة عنده بين الكأس والغلام !

على أن هناك صنفا آخر من الغزل عند أبى نواس ، ذلك هو الغزل السخيف المتكلف الذى يقع فى أول قصائد المدح ، وهذا لا يدخل فى حسابنا ولن نتكلم عنه لانه مزيف ولا معنى له . ومن المحزن حقا أن ترى آثار « التجليد » فى شعر أبى نواس واضحة ملموسة ، واضحة فى تعابيره ، واضحة فى طريقته . على ان التقليد جرفه هو أيضا فاضطر أن يجارى القدماء فى عهده فيخاطب الديار ، ويتكلم عن النياق والاطلال ، ويبدأ المدح بالغزل ، وهو ذلك الرجل « المودرن » بكل معنى الكلم الذى يقول فى محبوبته : « مطمومة الشعر غلامية . . . »

والذى يقول عن الخمر ذلك البيت الذى لا يقوله الا باريسى بودليرى

صفراء تضحك عند المزج من شغب كأن أعينها أنصاف أجراس

وقد كنا جماعة نتحدث عن معنى ذلك البيت العجيب ، فاتفقنا على ان المرء يجب أن يدمن الشراب كابى نواس حتى يرى ويفهم هاته « الانصاف أجراس »

الآن نتكلم عن غزل المؤنث عند أبى نواس :

أول ما نلاحظه عن حب المؤنث عند أبى نواس أن حبه سطحى وناقص . ذلك لانه لم يخلق لحب النساء ، فشروط الحب الكامل عند علماء النفس ثلاثة : الاول الاعجاب الكامل ، والثانى ان يكون بين ذكر وأنثى ، والثالث أن يكون هناك « الاسمنت » الذى يربط الاول بالثانى ، ذلك هو

الاعتياد ، والتزاور والاختلاط ، ويسمى الفرنسيون ذلك L'habitude أما ان حبه المؤنث سطحى ، فواضح من اكثر أبياته فى الغزل . فهو لا يعنى مرة بتحليل عاطفة . ولا تعمق فى شرح احساس وان كان شعره لا يخلو من ومضات رائعة ، ربما كان سببها اللوعة والكبت ، وانى أذكر على سبيل المثل أبياته الشهيرة :

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب
إن بكى يحق له ليس ما به لعب
تضحكين لاهيـة والمحب ينتحب
كلما انقضى سبب منك عاد لى سبب
تعجبين من سقمى صحتى هى العجب

وهى أبيات ظريفة ، وموسيقاها تامة

وكان أبو نواس يحب أكثر من امرأة واحدة ، فهناك جنان وعنان ، وسمجة (ما اعجب الاسم !) ودنانير وغيرهن ، وأكثر شعره موجه الى جنان ، وقد كان على مايرى القارىء لشعره لا يراها الا نادراً ، وكان يتوسل بالرسل والشفعاء اليها ، وقد رآها مرة تلطم فى مأتم ، فقال فيها أبياته الجميلة الآتية :

يا قمراً أبصرت فى مأتم يندب شجوا بين أتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
لا تبك ميتاً حل فى حفرة وابك قتيلا لك بالباب !

نعود الى تحليل حبه على ضوء العلم الحديث ، فنقول ان أول شروط الحب الكامل الاعجاب الكامل . أى ان تكون المحبوبة مثلا أعلى ، يخلع عليها الرجل من حلل خياله ما شاء ، وأبو نواس لم يكن يعجب الا بما يلمحه من معبودته وهى فى مأتم أو فى طريق ، فكان يستوقفه منها « الكثيب وغصن البان ، وعقرب الصدغ »

ولا نعرف عنها من شعره غير ذلك ، ولا نعلم الا انها ارسلت رسولا اليه بجواب لا يرضيه . وإلا أنها تسبه ، وإلا أنها تتجنى عليه ولا تسمح له حتى بنظرة ، والمسكينة لا تملك ذلك فهو يعترف بذلك فى ابياته عند المأتم حيث يقول :

أبرزه المأتم لى كارها برغم بواب وحجاب !

والواقع ان اعجابه بها كان من ناحية جمالها وقوامها وصباحتها فقط ولا نعلم شيئاً غير ذلك .

وربما كان هو لا يعلم غير ذلك . والا لو استطاع ان يعلم لاخبرنا . ولكان شعره سجلا ظريفا لامرأة جميلة فاتنة . وما كانت تجرى به نفسها من مختلف العواطف . ولعله لو كان بينه وبينها صلة

أقوى مما نعرف لكان وحيها أبدع . ولسمعنا من ذلك الشاعر الممتاز شعراً لا يقل قوة عن شعره فى الخمر . ومن يدرى ربما صرفته الجارية الجميلة عن غرامه بغيرها

ينقلنا هـذا الى الشرط الثانى فى الحب . وهو أن يكون بين ذكر وأنثى . والغريب ان أبا نواس كان يرى المثل الاعلى فى المرأة ان تكون على شكل غلام ! فلننظر مثلا الى الأبيات التالية :

مذكرة مؤنثـة مهاة اذا برزت تشبهها الغلاما !

تعاف الماء والعسل المصفى وتشرب من فتوتها المداما

فالبيت الاول يدل على ان رأيه فى المرأة ان تكون كالغلام !

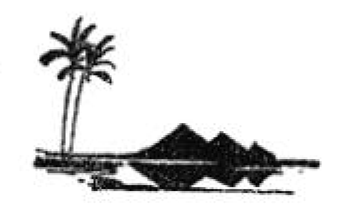
والثانى يدل على ان رأيه ان تكون المرأة شابة فتية قوية تسكر من خمر الشباب وتنتشى من ريعانه !

الآن نصل الى الشرط الثالث للحب الكامل ، وهو الاعتياد والاختلاط . وقد كان ذلك ممتنعا بالطبع فى العصر الاسلامى . وظل ممتنعاً كذلك بعده . ولعل هـذا هو السر فى ان الغزل فى الشعر الادبى ينقصه دائما الروح الحارة . والاوعة العميقة . التى تنشأ من حب مربوط برباط شديد من الالفة . ولقد كان شعر ابن ابى ربيعة سطحيا فى الغزل كذلك . فقد كان يرى النساء حقا ، ولكن لا يراهن الا خطفاً . ولم تكن هناك امرأة واحدة ملهمة قوية يحـدث بينه وبينها ما يلهمه الشعر العميق المتعدد الحوادث والصور !

هذا فيما يتعلق بحبه عن المرأة . والواقع ان شعره فى المرأة لا يزيد عن عشر ديوانه . فهو لم يكن يخصص لها جزءاً كبيراً من حياته . وانما كانت عنده حاجة جنسية كأى رجل آخر . وكان يشعر بها كأى رجل آخر . فلا يستطيع ان يشبع رغبته . فيطفىء هـذه الرغبة بالخمر واللهو . ويكتب فى المرأة شعراً مؤداه أنه محروم منها . وأنه معجب بجسمها وجمالها وانه يراها حسناء كالغلام

ورأيى ان ابا نواس لا يقل شاعرية عن أى شاعر غربى من الفحول . ولو واتته الظروف والبيئة . وألهمته المرأة لقرأنا له ليالى كوسيه ومآتميات كلامارتين . فانك لتقرأ له بين الوقت والآخر أبياتا تومض ايماض النجم العالى . ولكنها لا تلبث ان تنطفىء فى لجة التقليد وتغطى عليها أمواج القدم !

ابراهيم ناجى



أبو نواس السياسي

الدور الخطير الذي لعبه في الحياة السياسية

بقلم الأستاذ خيري سعيد

قبل الدخول في موضوع هذا المقال ، ينبغي أن نعرض على القارىء صورة مصغرة من الحياة السياسية في صدر الدولة العباسية ، لمهد هذا الشاعر

سن المنصور لورثته دستوراً نقيد به وتنفذه من خلفه ، يتلخص في اصطناع الموالي ، واذكاء البغضاء بين الفرس والعرب واضرام نار العصبية بين مضر واليمن ، والقضاء على احفاد علي بن أبي طالب الذين ينافسون العباسيين على الخلافة . . وكان هوى الفرس مع الطالبين في الباطن ومع العباسيين في الظاهر . وقد اتهم جميع وزراء الفرس بالعمل على بيعة الطالبيين وقتل منهم بسبب ذلك أبو سلمة الخلال وزير ابراهيم الامام وقتل يعقوب بن داود وزير المهدى وقتل جعفر بن يحيى البرمكي وزير الرشيد ، وقتل الفضل بن سهل وزير المأمون

لقد أمل الفرس من الدعوة العباسية الانتقام من بني أمية ، ثم الغدر بهذه الدولة الناشئة التي هم عمادها وسندها . وقدم أبو مسلم الخراساني بتنفيذ تلك الخطة بعد وفاة السفاح ، فرمته الاقدار بداهية الدواهي أبي جعفر المنصور ، فاحتال عليه حتى جاءه من خراسان فقتله

واذا كانت سياسة العباسيين تقوم على مبدأ « فرق تسد » فان سياسة الفرس قامت على انتهاز الفرصة واكتساب القلوب بالمال واللفظ المعسول . وما زالوا يتلمسون سنوح الفرصة ، حتى أوشكت أن تلوح في أخريات عهد الرشيد ، لكن الحزب العباسي فطن إلى المكيدة الرهيبة ، وحرض الرشيد على الايقاع بالبرامكة ، فنكبهم بين عشية وضحاها وأخذهم على غرة

ورغم ذلك ، لم ييأس الفرس ، ووجدوا في الخلاف الذي نشب بين الامين والمامون فرصتهم فانتهزوها وضربوا ضربتهم القاضية فسحقوا النفوذ العربي وضعضعوا هيبة الخلافة العربية والجأوا العباسيين إلى وقاية ملكهم بحرس من الاتراك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ولقد أخلص الترك للمعتصم والواثق ، ثم استبدوا فيما بعد بالفرس والعباسيين والعرب جميعاً

هذا مجمل الحياة السياسية في صدر الدولة العباسية ، فاين كان أبو نواس من هذه الاعاصير ، وإلى أي حزب انضوى ، وما الدور الذي لعبه وكيف تسنى له أن يساهم في الدسائس والمكايد وهو شاعر خليع ، ثم جاز للحزب العباسي أن يعتمد على مثله وسيرته مفضوحة وسلوكه مريب

شرح ذلك فيما يلى بإيجاز اضطررنا معه إلى طرح الاسانيد :

أبو نواس من البصرة ، فارسى الاصل أضاف نفسه الى الموالى طائعاً مختاراً . وبعد أن كان يتنزر ويدعى للفرزدق (فجعل كنيته أبا فراس) مدح اليمانية وادعى انه من قبيلة « حاء وحكم » . فزجره يزيد بن منصور الحميرى خال الخليفة المهدى وقال له : « انت خوزى ، فما لك وحاء وحكم؟ » فقال له : « أنا مولى لهم » .

فهو اذن من موالى البصرة والموالى يتعصبون للعباسيين لكنهم يؤثرون الوقوف على الحياد إلا اذا أكرهوا على النضال ، فحين ذاك ينحازون إلى الاقوى . قال محمد بن على بن عبد الله بن عباس صاحب الدعوة العباسية : « أما البصرة وسوادها فعثمانية ، تدين بالكف . تقول : كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل » فهو اذن من أناس يصطفيهم العباسيون ويطمئنون إلى ولائهم تلك خصلة ، والخصلة الاخرى التى هيأت له مكاناً جليلا فى البلاط العباسى ذكرها فى قوله :

سأبغى الغنى اما جليس خليفة | يقوم سواء ، أو مخيف سبيل
بكل فتى لا يستطار جنانه | اذا نوه الزحفان باسم قتيل
لتحمس مال الله من كل فاجر | أخى بطنة للطيبات أكول
ألم تر أن المال عون على الندى | وليس جواد مقتر كبخيل

وقد وفق لان يكون جليس خليفة ، وأن يكون أيضاً من السفاحين (لكن بطريق غير مباشر هو التحريض والدس والوقيعة وتشويه السمعة ونشر الفضائح)

اتصل لدى مقدمه من الكوفة الى بغداد بأولاد المهدى ـ الهادى والرشيد ، ثم نادم القاسم بن هرون الرشيد فلم تعجبه عشرته ، فانتقل الى خدمة الامين فاصاب فيه أميراً مستهتراً فى خلواته

استخدم الحزب العباسى ـ وكان يتزعمه الربيع ، ثم الفضل ابنه من بعده ـ أبا نواس فى أغراضه السياسية . فمدح نزاراً وهجا اليمن ، ثم مدح اليمن . ثم أهمل اليمن ونزاراً وأقبل على مدح أقطاب الحزب العباسى هرون الرشيد وولى عهده الامين ووزيره الفضل بن الربيع وبقية أقاربه . ولقد كان الشاعر فى ذلك الوقت يؤدى وظيفة الجريدة ، كان داعية تذاع قصائده على السنة الرواة

وقد قدمنا أن البرامكة لم يشذوا عن سياسة الفرس التقليدية . وهى استبدال العباسيين بالطالبيين ليسهل عليهم نقل السلطان اليهم . فاشترك فى الدس عليهم والوقيعة بهم . لانه اعتبر خطتهم موجهة ضده شخصيا ، إذ كان شاعر الخليفة وشاعر ولى العهد وله المكانة التى يحسد عليها فحرض عليهم صغار الشعرا كيما يمدحوهم بقصائد يصفونهم فيها بأوصاف تصلح لايغار صدر الرشيد عليهم ، من ذلك قول الشاعر فى هرون والبرامكة :

أضاف الى بيعة بيعة | فقام بها جعفر دونه
بنو برمك أسسوا ملكه | وشدوا لوارثه عقده

ومعنى هذه الابيات ان جعفراً وزير الرشيد قد شاركه فى الخلافة . لا بل هو الذى أسس له الملك والسلطان ، ولولاه لما تمكن من تنصيب ولده الامين ولياً للعهد . . .

وما ا كتفى أبو نواس بذلك . فانه كان يزين للمغنين أن يصنعوا فى بعض المقاطيع أصواتاً يتغنون بها فى مجلس أنس الرشيد . ويتحرى أن توافق ما يهمس به الفضل بن الربيع وأنصاره فى حق البرامكة وشرههم الى الاستئثار بالامر والنهى . فمن ذلك الصوت الذى غناه ابن جامع وهو :

ليت هنداً انجزتنا ما تعد　　وشفت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرة واحـدة　　انما العاجز من لا يستبد

فقد قيل ان الرشيد غمغم وقال : نعم انما العاجز من لا يستبد . ونكب البرامكة ولما تخفت اصداء هذا الصوت فى شعاب نفسه الحائرة

وبعض أشعاره فيها تلميح بما اتهمت به البرامكة وقد أخفاها فى مدائحه للرشيد وليس يعجزك أن تفطن اليها إذا تلوتها على ضوء مانبهناك اليه

ثم ان أبا نواس كان يقوم بوظيفة الجاسوس على البرامكة ، ومن هنا تطوافه بالحانات وشغفه بالولائم والدعوات . إذ بتلك الوسيلة يستطيع أن يجمع الاخبار من العيون والارصاد الذين وضعهم الفضل بن الربيع على البرامكة . وبتلك الوسيلة يكسب الانصار ويفسد الخطط سراً من وراء ستار . وهذا ما فعله أمثاله فى جميع العصور . كالبارون دى باتز ، الذى عاش فى باريس متنكراً يتنقل هنا وهناك وتمكن من تسديد ضربات هدامة للثورة الفرنسية انتقاماً لسيده لويس السادس عشر ومولاته مارى انطوانيت

ولولا ضيق المقام لاتينا بالشواهد على ذلك . وكيفما كانت الحال . فان أبا نواس ، لم يمدح البرامكة الا رياء ليأمن شرهم وينيد رفدهم . وقد استمالوه الى حزبهم فأبى لانه كان مكينا فى حزب العباسيين أثيراً عند زعمائه

ولما نكب البرامكة لم يرثهم ويقال ان ما ينسب اليه من ذلك مدخول عليه

ويمكن اعتبار أبى نواس — بلغة عصرنا — وزيراً للدعاية كالدكتور جوبلز فى المانيا والكونت شيانو فى ايطاليا ، على اختلاف الوسائل والازمان . فلقد كان ينظم القصائد ويوحى للشعراء ان ينظموا على غراره فى الموضوعات التى يراها أنفع لتأييد حزبه . وقد أفادت دعايته ضد المأمون ولمصلحة الامين . فحببت الاخير الى البغداديين والعرب وأهل الكوفة والبصرة ومصر . ولولا خرق قائده « على بن عيسى بن ماهان » واستهتاره بقائد المأمون طاهر بن الحسين ، لانتصر الامين واندحر أخوه . وعلى ذلك يكون أبو نواس قد نجح فى حياته السياسية نجاحاً عظيما . وكيف لا ينجح وقد امتنع عن شرب الخمر كى لا تضعف دعايته . والخمر كانت روحه وأنسه وبهجة حياته ؟!

احمد خيري سعيد